د ممتاز

ربيع الآخر ١٤٠٥هـ - يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥

العربي

البيت العربي



■ صناعة السلاح العربي

■ مسابقة القصة القصيرة

العـــــدد ٣١٤ يـنـــــاير ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة

ص.ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيًا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI

Issue No. 314 Jan. 1985 P.O. Box 748- Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات الى: قسم الإشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الأردن ٣٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	أمريكا دولاران

عزيزي القارىء

■ عدد الفاتح من يناير من مجلتك « العربي » هذا العام . . هو عدد ممتاز كالعادة . . وهو أيضا عدد تاريخي ، لعدة أسباب . . منها على سبيل المثال لا الحصر . . أن « العربي » تلبس ثوبا جديدا في الأخراج من غلافها حتى أصغر باب فيها ، هذا الثوب الجديد حرصنا على أن يكون متسقا مع الماضي ، وملبيا لذوق الأجيال الجديدة معا .

وما دمنا قد ذكرنا الأجيال الجديدة فان « العربي » تقدم بدءاً من هذا العدد ـ الذى اضيفت اليه ملزمه جديدة ـ الباب الجديد (البيت العربي) والذي يعني بأمور البيت العربي من كل جوانبه الأسرية والاقتصادية والاجتماعية والطبية والنفسية ، ونحن في العربي نعتبر أن هذه الخدمة الثقافية ضرورية ، وخدمة جديدة تضاف الى رصيد العربي .

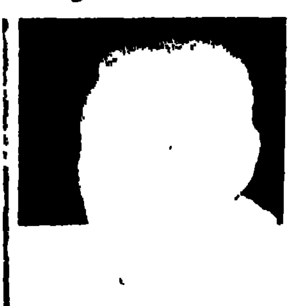
أما الأبواب الاخرى الجديدة فهي كثيرة . . منها مثلا باب (وجها لوجه) الذي يقدم كل شهر حوارا بين شخصيتين بارزتين من جيلين مختلفين من رجال الفكر والعلم والادب والفن . . بالاضافة الى تطوير باب « صفحة لغة » ليصبح بعنوان (جمال العربية) مؤديا خدمة اضافية جديدة في مجالات اللغة العربية نثرا وشعرا ، وكذلك تقديم « قاموس العربي » تلبية لرغبة الكثير من القراء في تناول بعض التعبيرات والمفاهيم المتداولة والتي تحتاج الى تحليل وتفسير .

كما أن « العربي » في هذا العدد تبدأ بطرح مسابقة (القصة القصيرة) للقصاصين الشبان . . فنحن نشعر أن هذه الفئة الكبيرة في الوطن العربي قد آن لها أن تأخذ حقها في النشر والانتشار . .

ان خدمة « العربي » الثقافية تتطور كي تقدم للقارىء العربي في كل مكان ، تشكيلة جامعة من المواد الثقافية تواكب كل جديد ، وقد قامت اسرة العربي منذ شهور بالاعداد لهذه القفزة الجديدة . . وهي ليست آخر ما نعد به القارىء هذا العام ولكنها فقط أول الخطوات . . ونترك للقارىء أن يحكم على ما نقدمه بدءا من هذا العدد . . فمن أجله صدرت « العربي » . . ومن أجله تواصل المسيرة من أجل مستقبل مشرق في خدمة الثقافة والفكر في وطننا العربي الكبير . . □

المحرر

د . توفيق الطويل و د . نصار عبدالله وجها لوجه





استطلاع العدد : صناعة السلاح العربي



محتو [illegible] د



صورة الغلاف :
ندى ابراهيم سليم .. وعالم جديد اسمه المدرسة . (طالع ص ١٨٢)

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء ..

العدد ٣١٤ - يناير ١٩٨٥



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

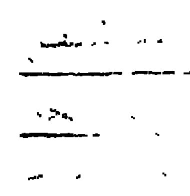
حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

ترقب

مستقبل الوطن العربي

- المعاناة والاغتراب ظواهر ملاصقة للإنسان العربي المعاصر
- الصراعات العبثية أرجأت وضع تصورات جماعية مشتركة للمستقبل
- الأولويات العربية هي بناء البشر القادرين على الاضطلاع بالمهمات التنموية
- المستقبل يتحدد بما نخبزه اليوم .. فأي مستقبل نريد ؟



نحن الآن في مطلع العام الميلادي ١٩٨٥ ، تفصلنا عن القرن الواحد والعشرين - وهي نقطة افتراضية - فقط خمس عشرة سنة ، فماذا عن مستقبلنا نحن العرب في مطلع ذلك القرن ، قرن الاتصالات السريعة والتقنية المتقدمة ؟

من المعروف لدى شعوب الأرض جميعا أن العادات القديمة تموت بصعوبة . وكلما كانت هذه العادات والقيم قريبة الى ضمائر الناس صعب التخلص منها . ومن أهم القيم والعادات التي يبدو أننا نحن العرب [illegible] بها ، النفور الشديد من قراءة المستقبل . وربما كان لهذا النفور علاقة بما ترسب في ضميرنا من أن قراءة المستقبل نوع من التنجيم المذموم



الذي لا يصدق في جميع الأحوال ، وربما كان ذلك راجعا الى حرصنا على أن نعيش الحاضر ونترك المستقبل يأتي وكما يأتي ، فهو يوم لغيرنا وليس لنا .

الا أن الدراسات المستقبلية قد فرضت على العالم ، وأصبحت يوما بعد يوم علما يتعدى التوقعات والاحتمالات ، الى امكانية الحدوث والتبلور ، وأصبح (علم المستقبل) يحظى باهتمام أكبر وأوسع انتشارا عندما تحول - في نهاية الستينات ومطلع السبعينات - من مجرد فروض واجتهادات فكرية ، الى جهود علمية منظمة تدعمها وتمولها مؤسسات علمية لها احترامها في العالم ، وأصبحت الأسئلة والقضايا التي تطرقها تتداول في وسائل الاعلام وتصل الى كل بيت . من بعض تلك القضايا الهامة : قضايا مثل (الانفجار السكاني) الذي يخيف العالم وينذره . ومنها قضايا (الغذاء) التي أصبحت تتبلور أكثر وأكثر في موجات المجاعة التي تضرب بعض الدول في العالم الثالث ، ومنها أيضا قضايا الطاقة وقضايا المواد الخام . وكانت الاجابات عن معظم تلك الأسئلة تقود الى الخوف والفزع من المستقبل . صحيح أن هذا الخوف والفزع قد جعل بعض الكتاب يتجه الى الطرف الآخر - وهو الاستبشار - ورسم صورة وردية للعالم في المستقبل ، مما جعل موضوع « المستقبلية » مشكوكا فيه لدى الكثيرين

بصرف النظر عن هذا التطرف أو ذاك فإن المستقبل ودراسته العلمية أصبحت بالنسبة لنا نحن العرب قضية ملحة ، بعد أن تحولت التوقعات الى علم ينير للكثير من الشعوب طريقها القادم .

علم المستقبل اليوم يسعى الى اكتشاف أفضل الظروف والامكانات والطرق والوسائل التي تمكن المجتمع من الوصول الى الأهداف التي يبتغيها ، وهو يقوم على قاعدة تقول أن جزءا كبيرا من المستقبل قد تحدد بما تم إنجازه اليوم أو أنجز بطريقة سيئة وسلبية ، أو بما لم ينجز قط خلال الخمس أو العشر سنوات الماضية في مسيرة أي مجتمع .

بمعنى آخر أن ما نفعله ، وما نخطط له اليوم ، سيقودنا الى شكل من أشكال المستقبل ، وما لا نفعله اليوم وما لا ننجزه أو ما ننجزه بطريقة سيئة أيضا ، سوف يحدد ذلك المستقبل .

إذن (فالمستقبلية) على عكس ما يتبادر الى الذهن ، لا تصدر نبوءات ، وانما يتحدد هدفها في تخيل مستقبل مرغوب فيه واقتراح طرق ووسائل واستراتيجيات لتحويل هذا المستقبل المرغوب فيه الى مستقبل ممكن .

وقد دخل العرب في الدراسات الاستراتيجية من باب ضيق ، من باب الاهتمام الشخصي لدى بعض المفكرين العرب بتلك القضية . . مفكرين من أمثال : يوسف صايغ واسماعيل صبري عبد الله والمهدي المنجرة ونادر

الفرجاني وآخرين . قليلون أيضا دخلوه من باب الترجمة والنقل من النتائج الفكرية لمؤسسات غربية وشرقية .

ومع الأسف لم يدخل العرب الى هذا الموضوع من باب المؤسسات العلمية كالجامعات ومراكز البحث . لذلك فان الدعوات الفردية لقراءة مستقبل الوطن العربي واستشرافه ، ما زالت محدودة ومحصورة بين دفات الكتب والدراسات ، كما أن هذه الدعوات على قلتها لم تصل بعد الى صانع القرار في الوطن العربي .

الوطن العربي حتى نهاية القرن

□ ما تجمع من دراسات لصورة الوطن العربي حتى نهاية القرن ، سواء من الدراسات الأجنبية أو الدراسات العربية القليلة ، لا يترك مجالا للشك بأنها صورة قاتمة ، يلخصها أحد تقارير نادي روما بأن أسبابها في الوطن العربي هي (قصر المدى في أهداف الحكومات وسيطرة الأحلام على أهداف المثقفين) !

وتلخصها دراسة عربية أخرى بأنها قصور في المشاركة من جهة ، وعدم وضوح خطط تنموية مستقبلية . ففي غياب ذلك فإن (الآخرين) سوف يحددون المستقبل العربي الذي يتفق مع مصالحهم ، لأن المستقبل هو ما نقرره اليوم . . وإذا لم يوجد وعي بما يجب أن نختار اليوم ، فإن غيرنا سوف يحدد مستقبلنا .

وإذا اعترفنا أن توقعات الدراسات الأجنبية لمستقبل الوطن العربي ليست بالضرورة محايدة وعلمية ، وهي أيضا مبتسرة تنظر الى مصالحها بالدرجة الأولى ، فترى أن المنطقة العربية تنقسم الى قسمين : القسم الاول أقطار مصدرة للمواد الخام وخاصة النفط ، والقسم الثاني أقطار هي سوق للمنتجات الصناعية . . .

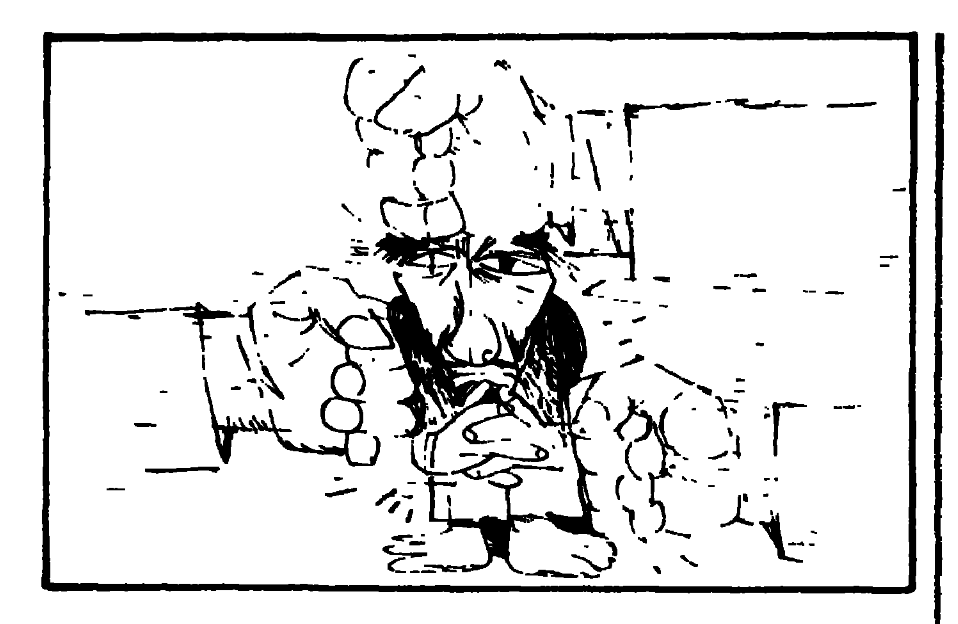
وبتراكم ثروة تعود ملكيتها للاقطار الاولى ولكنها مستثمرة في الغرب الا ان بعضها استخدم في تحسين ظروف الخدمات العامة كالصحة والطرق والكهرباء ، كل ذلك ينعكس في مستوى إشباع الحاجات الأساسية لسكان تلك الأقطار ، بينما القسم الثاني لا يحقق ـ على سبيل المثال ـ تقدما يذكر في نصيب الفرد من الغذاء عبر ثلاثين عاما .*



صورة الوطن العربي من وجهة نظر الدراسات المستقبلية العربية صورة تابعة وبطيئة النمو . واذا أخذنا بعين الاعتبار تحذير الدراسات

---

* سعد الدين وآخرون ـ صور المستقبل العربي ـ ص ٥٨



المستقبلية الغربية نفسها (بأنه ليس بامكان أي مجموعة اجتماعية جغرافية اقتصادية يبلغ عدد سكانها أقل من مائة الى مائة وخمسين مليون نسمة ، أن تعيش وتنمو في بداية القرن الواحد والعشرين بشكل مستقل) .

اذا أخذنا بعين الاعتبار هذه المقولة ، فاننا نتعرف مباشرة على الاهمية القصوى لاعادة هيكلة الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية على صعيد الوطن العربي اليوم ، أما اذا لم نفعل شيئا على هذا الصعيد فإن المتوقع أن يظل الوطن العربي على حالة الضعف النسبي الموجود بها الآن ، متخلفا وتابعا .

اذا كانت هناك فائدة أساسية في تحليل (النماذج المستقبلية الغربية للوطن العربي) فإنها تنبهنا الى قضية هي أن استمرار الأوضاع الحالية في الوطن العربي سيقودنا الى فاجعة متوقعة في المدى المنظور .

مصيدة الغذاء واهمية استزراع الأرض الجديدة

□ وعندما نتحول الى الدراسات العربية القليلة التي حاولت استشراف المستقبل العربي ، نجد أن المشكلة أعظم وأعمّ ، ففي دراستين لنادر الفرجاني [1] والمهدي المنجرة [2] تبرز العقبات الكأداء أمام تحقيق حتى الحد الأدنى من (الاستقلال والنمو) للوطن العربي في ضوء الظروف الحالية والمتوقعة .

بالنسبة للغذاء والأرض المزروعة ـ على سبيل المثال لا الحصر وهي قضية رئيسية في إطار التنمية ـ ينقل الفرجاني هذه الحقائق :

(فحتى نحافظ سنة ٢٠٠٠ فقط على نصيب الفرد العربي بالنسبة للأرض

---

١ ـ التنمية العربية بين الامكانيات والهدر .
٢ ـ المغرب الكبير عام ٢٠٠٠

الزراعية عند مستوى منتصف السبعينات ، علينا أن نضاعف الأرض الزراعية . أي أنه حتى نبقى كما كنا في منتصف السبعينات ، علينا أن نزرع قرابة خمسين مليون هكتار خلال الخمس عشرة سنة القادمة ! وهذه مهمة مستحيلة وإذا أردنا أن نبقي الفجوة الغذائية الحالية - أن نبقيها ولا نقلصها - علينا بالضرورة زيادة الانتاج الزراعي العربي بدرجة تتناسب مع القصور في استزراع الأرض الجديدة) .

ولا ينجو أي من الأقطار العربية من مصيدة الغذاء هذه .

أما اذا تحولنا الى دراسة المنجرة ، والتي اقتصرت على دراسة أقطار المغرب الكبير ، فان الرؤية الخصبة والمبدعة تقدم لنا توقعات ثلاثة : توقع استمرار الواقع الحالي ، وتوقع تقديم إصلاحات تؤثر في المستقبل ، وتوقع ثالث سماه المؤلف توقع التحولات . واذا كان التوقعان الأخيران يستلزمان ادخال معطيات جديدة ، الا أن استمرار الواقع الحالي سيؤدي - كما يرى الكاتب - الى (تفقير وتفاوتات اجتماعية خطيرة وتبعية اقتصادية كبيرة ، وخاصة في الميدان الغذائي والعلمي والثقافي . . . وهكذا دون اعتماد مكثف على الخارج ، فإن بلدا أو اثنين سيعانيان من صعوبات واضحة في معركة البقاء) .

ملخص التوقعات المستقبلية للوطن العربي لا تسر الصديق ، لقد نظرنا الى المستقبل نظرتنا الى التاريخ على أنه واقع بحد ذاته ، ورفضنا أن نواكبه ونتوقع ماله .

□ لقد ارتبط الوطن العربي في عقول الكثيرين - على الأقل في العقود الثلاثة الأخيرة - بالنفط . وأن نقول أو نتصور وطنا عربيا بلا نفط . فقد يكون مفاجأة المستقبل ، خاصة في ضوء ما هو معروف من احتياطيات النفط الكامنة تحت أرض بعض الأقطار العربية . ولكننا هنا لا نقصد المعنى الحرفي بل المعنى المجازي . فاذا أخذنا بعين الاعتبار الحقيقة الاقتصادية المتمثلة في أن نسبة الصادرات السلعية والخدمية (غير النفط) من الوطن العربي الى العالم لا تشكل أكثر من ٦٪ فقط . وأن الـ ٩٤٪ الباقية من صادرات الوطن العربي هي صادرات نفطية (نفط أو مشتقاته) . . تبين لنا الاعتماد الأكبر على مداخيل النفط ، ليس فقط في الأقطار العربية المصدرة للنفط ، ولكن أيضا في الأقطار غير المصدرة للنفط في اعتمادها على النفط . اذا كانت تلك حقيقة اقتصادية . . فان حقيقة اقتصادية أخرى تقول أن انخفاض الطلب العالمي على النفط ، وبالتالي احتمالات انخفاض أسعاره ، لا يرجع فقط الى ترشيد الاستهلاك في الدول المصنعة ، بل أيضا الى توفر النفط من البلدان المنتجة الجديدة ، خارج منظمة الأقطار المصدرة للنفط .

وذلك يعني إما تخفيض انتاج النفط العربي في المستقبل ، أو تخفيض

أسعاره ، وربما الخطوتين معا . وبما أن النفط العربي يخضع حتى الآن سواء في كمية إنتاجه أو قرارات تسويقه أو طريقة استعمال عوائده ، في الأغلب الأعم الى قرارات قطرية . . فإن التوقع المستقبلي لكل تلك العوامل أن تجبر الجميع على الحد من الانفاق على جهود التنمية وضغط مستوى الرفاه على المستوى القطري وضغط معونات التنمية وترشيد استخدام اليد العاملة المتنقلة بين الأقطار العربية ، والتي بدورها تدر دخلا على البلدان المصدرة للعمالة .

وبكلمة مجملة يجب على الوطن العربي في المستقبل القريب أن يواجه تدبير عائدات خارج القطاع النفطي عندما يتحول هذا القطاع الى عامل ثانوي لا رئيسي . ومن الأوفق أن نتعود من الآن على أن الوطن العربي في القرن الواحد والعشرين القريب سيكون وطنا بلا نفط ، فالمسار السهل والظليل الذي اعتمد عليه خلال ربع القرن الماضي باستخدام عائدات النفط لاستيراد السلع والخدمات ، بدأت تباشير نهايته تتضح وأصبح التحدي هو الانتاج .

☐ نظلم أنفسنا عندما نقول إن صرخات الألم والتحذير على مستوى الوطن العربي لم تكن قد انطلقت محذرة منذرة من توقعات المستقبل ، فهناك من الوثائق والدراسات ما يكفي لقرع ناقوس الخطر .

لقد ذكر نادر الفرجاني في كتاب (هدر الامكانيات) ما نصه :

(ان تبعية العرب لدول الغرب المصنعة تزداد ، والتعاون بينهم يتدهور ، ولا تحقق قضايا التنمية والمشاركة الشعبية على وجه الخصوص تقدما محسوسا ان لم تكن تراجعت ، وينعكس هذا على تدني مستوى تحقيق الغايات العربية النهائية ، مما أدى الى اتساع الشقة في مستوى الرفاه بين العرب والقطاعات التي هي أسعد حظا من البشرية . . وينطوي استمرار التراخي في العمل العربي على مخاطر مستقبلية جسيمة ، تتمثل في تباعد الشعب العربي عن غاياته المنشودة واتساع الفجوة أكثر بيننا وبين المتقدمين) .

وصيحة أخرى يطلقها علي الكواري بألم فيقول :

(ان الوضع العربي الراهن يمثل ظاهرة يصعب فهمها على الكثيرين ، فالمجتمع العربي مليء بالحيوية والحركة ، غير مقل في تضحياته ولا في مبادرات أفراده ، غني بالأفكار الفردية والامكانيات والمقومات المطلوبة لنهضة حضارية ، ومع وجود كل ذلك لا يوجد ضمير عربي أو فكر عربي أو عمل عربي فعال ، يمكن الرجوع اليه والاحتماء به من أجل تحقيق الخلاص أو حتى تلافي النكسات) .

وإذا كان كل ذلك غيضا من فيض لصيحات الأفراد ، فإن الوثائق الرسمية ذهبت هذا المذهب أيضا . تقول احدى وثائق الجامعة العربية التي

صدرت في الثلث الأخير من السبعينات على سبيل المثال لا الحصر : (تمر الأمة العربية في الربع الأخير من القرن العشرين بمرحلة خطيرة من مراحل تاريخها الطويل ، تقف فيها على مفترق الطرق ، وتتعدد أمامها المسارات وتتشعب الدروب وتواجه ـ وهي في هذا المفترق ـ تحديات ضخمة تنذر بالمحنة والبلاء) .

وصيحات الألم الصادرة من المفكرين أو من خلال الوثائق الرسمية ليست قليلة ، كما أنها ليست جديدة ، ولكن الملاحظ أن هذه الصيحات تذهب بعيدا في الهواء ولا يرجع حتى صداها .

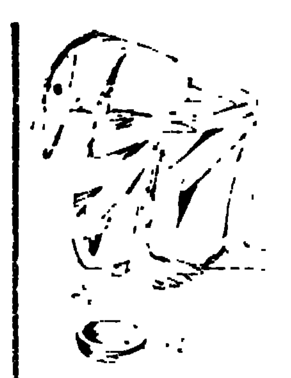
ففي الوقت الذي تشدد فيه كل الدراسات والوثائق العربية التي تعالج قضايا ذات صلة بالمستقبل وتتلمس خطوط التحرك الاستراتيجي في المجالات المختلفة حتى نهاية قرننا الحالي ، مشددة على الوفاق العربي والتقارب الأوثق في حده الأدنى لإنجاح أية محاولات لسد الفجوة الغذائية والصناعية والتقنية . . نجد أن مظاهر النزاع بين العرب تتفاقم . . واذا كان المستقبل يحكمه الحاضر ، فهو حاضر غير سار . فالنزاعات العربية / العربية تفاقمت حتى تعدت الخلافات السياسية وقطع العلاقات الرسمية الى نزاعات مسلحة ، وما وقع حتى الآن من تباعد وقطيعة لم يقع بعمقه وعنفه في أية بقعة جغرافية من العالم الحديث . . . على حين أن ما بينها وبين بعضها أقل كثيرا وكثيرا من الروابط التي تجمع الأقطار العربية .

الإنسان محور المستقبل

☐ بناء البشر القادرين على الاضطلاع بالمهام التنموية الأساسية هو حجر الزاوية في الاهتمام بالمستقبل ، كما أن إقامة الأشكال المؤسسية والتنظيم الاجتماعي الضروري لتوظيف هؤلاء البشر لأداء المهام بكفاءة ، يعني الاهتمام الحقيقي بالمستقبل .

وعندما يهتم أي قطر أو أي اقليم بالمستقبل ، فإنه يعني الاهتمام بالانسان ، ليس في حاضره فقط ولكن أيضا في مستقبله . وضعف الاهتمام بالانسان من جوانب عديدة هو ظاهرة عربية مميزة . فحتى أولئك الذين قالوا في مراحل سابقة بالاهتمام بالاقتصاد والتنمية ، وجدوا أن هذا الاهتمام لا يعني شيئا ان لم يواكبه اهتمام بحقوق المواطن السياسية . ولعلنا نجد في تعبير الدكتور يوسف صايغ عندما قدم محاضرته الشهيرة في الكويت بعد حصوله على جائزة الكويت للتقدم العلمي لعام ١٩٨٢ حول زوايا المثلث الحرج في التنمية العربية ـ وهي الحرية والعدالة الاجتماعية والوحدة ـ نجده يقول :

ـ [illegible] الساحة العربية سادها لسنوات عديدة بين أواخر الخمسينات ومطلع [illegible] فهم خاطىء للعلاقة بين الديمقراطية الاجتماعية والاقتصادية من [illegible] وبين الديمقراطية السياسية من جهة أخرى . وأعترف شخصيا أنني [illegible] إلى حد ما في هذا الخطأ في بعض نتاجي الفكري . . ان هذه المقولة



يمكن استخدامها كذريعة لحجب فرص المشاركة الشعبية السياسية) .

ولقد ردد المستقبليون العرب توجهات الصايغ وأضافوا اليها بأن هناك صلة وثيقة بين صور أفضل للمستقبل العربي وبين المشاركة الشعبية ، بل وصل بعضهم الى القول أن عدم المساهمة الفعلية للسكان في اتخاذ القرارات ضمن قنوات معترف بها ـ رغم مظاهر الديمقراطية الصورية ـ يهدر ويعيق أي تصور لبناء المستقبل .

ضعف المشاركة الشعبية الذي تتسم به معظم التنظيمات الاجتماعية في الاقطار العربية ، يفسره البعض بضعف ثقة الجماهير في العقائد الاجتماعية السياسية المطروحة من جهة ، ومن جهة أخرى ضيق فرص المشاركة والثمن الغالي الذي يدفعه المعارضون في بعض الاقطار . كل ذلك يتزامن في رأينا مع ضغط الظروف الاقتصادية على الجماهير ، وكل ذلك ينعكس سلبيا على ضعف الاحساس بالانتماء ومعاناة الاغتراب وغياب الحافز الأهم في الانتاجية الاجتماعية الاقتصادية ، لذلك فإن التحدي المستقبلي الأول والأهم هو الوصول الى صيغة في المشاركة تتبناها الجماهير العربية عن عقيدة واقتناع .

وعندما يكون الحديث عن الانسان وعلاقته بالمستقبل ، فان الحديث لا يقتصر على المشاركة فقط رغم أهميتها ، وإنما يتعدى ذلك الى التعليم والتقنية ، فهناك من بين المائة والسبعين مليون نسمة من العرب في الوطن العربي ، يوجد حوالي ٣٢ مليون أمي ، وأن نسبة الأمية في الوطن العربي بمجمله أعلى بكثير من المتوسط العالمي .

اذا أضفنا الى كل ذلك ما استقرت عليه الدراسات المستقبلية والتنموية الجادة من أن التعليم لا يعني محو الأمية ، وأنما يمتد الى التعليم الوظيفي والحضاري الذي يمكن الانسان من المشاركة بفعالية في الانتاج والنشاط العام ، لتبين لنا خطورة ما نواجه من نقص وعمق الاحباط الذي سنشعر به في المستقبل .

وبعد ،

ان الدراسات التي بين أيدينا عن المستقبل العربي ، لا تبشر بالخير على أقل تقدير ، وما يفصلنا عن القرن الواحد والعشرين لا يتعدى خمس عشرة سنة ، سيشهده معظم من هم في ثلاثيناتهم وأربعيناتهم اليوم من العرب ، صحيح أن الدراسات المستقبلية لا تتعدى التوقعات ، وأنه اذا كان هناك شيء صحيح فيها ، فإن أيا من تلك التوقعات لا يمكن أن تتطابق مع الواقع تطابقا كاملا ، إلا أن هذه الدراسات تقول لنا أيضا أن المستقبل يبذر بذرته في الوقت الحالي ، ومن لا يبذر شيئا الآن ، فعليه ألا يتوقع حصادا على الاطلاق . □

محمد الرميحي

نظرة على الدراسات المستقبلية دولياً وعربياً

بقلم : الدكتور أسامة أمين الخولي

في مطلع عام ١٩٨٤ توفي أوريليو بيتشي (Aurelio Pec — cei) مؤسس « نادي روما » . ونادي روما هو الهيئة المسئولة عن تقرير صدر في مارس عام ١٩٨٢ عن فريق من العلماء في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا في الولايات المتحدة بعنوان « حدود النمو » كان له صدى ، بل دوي عنيف ، في كثير من أرجاء العالم . فمن هو أوريليو بيتشي ، وماذا يقصد بنادي روما ؟ وماذا عن الدراسات المستقبلية دوليا وعربيا ؟

أوريليو بيتشي شخصية من تلك الشخصيات الفريدة والمثيرة التي تظهر بين الحين والآخر وتترك آثارها عبر فترات في التاريخ ، دون أن تكون [illegible] الدول أو مخططي الثورات أو قادة [illegible] الأعمال من المليونيرات [illegible] بدأ حياته في دنيا المال [illegible] المعروفة ، [illegible] أمريكا اللاتينية [illegible] أيضا في وقت [illegible] الأوساط في مشروعات [illegible] قامت بها مؤسسة إيطالية بعد [illegible] ١٩٥٢ ، [illegible] نادي روما » الذي أسسه بيتشي بديناميكيته الفذة وقدرته غير العادية على تدبير الموارد وحفز الأشخاص وتحريك الأمور في الاتجاهات التي يسعى اليها ، هو تجمع طوعي لعدد من المفكرين من مختلف ربوع العالم أدركوا في وقت مبكر الاخطار الرهيبة التي تدفع البشرية نحو « الهاوية » ورأوا في هذا الأشكالية الكونية الجامعة التي يجب أن يحشد الجهد لوقف اندفاع الانسانية نحوها من خلال تبصيرهم بما هم مقبلون عليه لو أن الأمور سارت على ما هي عليه . وهكذا أثاروا الاهتمام بالنظر في المستقبل ومحاولة التعرف على ما

يخبئه لنا من مفاجآت ، هي في واقع الأمر النتيجة المنطقية والمتوقعة للنهج الذي نسير عليه اليوم ، ومن منطلق أن يدفعنا هذا الى ابراز جوانب الخلل الاجتماعي والسياسي والبيئي والاقتصادي التي ستؤدي اليه ، ومواجهتها لتحقيق رؤ ية فاعلة لمستقبل مأمول وممكن ، والسعي باصرار من أجل تحقيقه .

أما التقرير فقد كان حصيلة محاولة رائدة لبناء نموذج رياضي ضخم - على الأقل بمعايير ذلك الوقت - للعالم الذي نعيش فيه،يمثل بأكبر قدر ممكن من الأمانة، العلاقات المتبادلة بين حشد من العناصر التي لم نعتد قبل ذلك النظر فيها بنظرة شاملة متماسكة ، وفي محاولة لتوضيح هذه العلاقات التي تغيب عن الدراسة عندما نتناول هذه العناصر الهامة واحدا واحدا بمعزل عن العناصر الأخرى . وهذا أمر لم يكن ممكنا قبلا لعدم توفر الأدوات القادرة على الإحاطة به . ومع ظهور الحاسبات الالكترونية وتعاظم قدراتها على إختزان كميات ضخمة من المعلومات ومعالجتها بسرعات هائلة ، عدا من الممكن الإلمام بالحد الأدنى اللازم من التفاصيل والبيانات لضمان دقة معقولة للنموذج ، ومعالجتها بجهد وكلفة مقبولين . وكانت الرسالة التي جاء بها التقرير هي أن العالم مقبل على شيء قريب من الخراب أو الظلام ، بسبب زيادة عدد سكانه وتناقص موارده وتلوث بيئته ، نتيجة لسعي المجتمعات الغربية المحموم لسنين طويلة لتحقيق « النمو » بالمعنى الاقتصادي التقليدي . ويمكن اعتبار التقرير هذا ضربا من النبوءة بمصير مظلم ، ونذيرا بالويل والثبور . وسرعان ما شاع استعمال تعبير « التنبؤ » بالمستقبل لوصف هذا النوع من الدراسات المستقبلية ، وان كنت شخصيا لا أرتاح لهذه الترجمة لاصطلاح استعمل في لغة أجنبية ، خصوصا وأنه لم يعد دارجا فيها اليوم . فهو يوحي للقاريء العادي أن هناك « علما » للتنجيم وقراءة الطالع . وحتى لو قلنا أننا اعتدنا عليه في « التنبوءات » الجوية ، فان سمعتها حتى الآن لا تختلف كثيرا عن سمعة « قارئة الفنجان » ، ومع ادراكي أنها ستحقق خلال سنوات معدودات تقدما هاما في دقة حساب الطقس المتوقع .

وفي كلتا الحالتين ، فان حقيقة الأمر هي أننا نسعى - من خلال التعرف الدقيق على الواقع الراهن ودراسة قوانين الحركة الطبيعية ، أو الاجتماعية ، التي نحاول الكشف عنها - الى استخلاص النتائج المنطقية المترتبة في مستقبل قريب على هذا الواقع ، في تحركه مع الزمن طبقا للقوانين التي تحكم حركته . ولنلاحظ هنا أن كلا الجهدين يحاول دراسة ظواهر تجري على نطاق شاسع يفوق مداه بمراحل نطاق دراساتنا الطبيعية والاجتماعية المألوفة ويسعى لوصفها بعدد محدود ، وان كان كبيرا ، من المؤشرات التي تعطي صورة قريبة من الواقع ، وبما يسمح لنا بتجاهل حشد أكبر كثيرا من المؤشرات التفصيلية . ولنكتف هنا بالقول بأن الكتابات العربية الآن أميل الى استعمال عبارات أكثر دقة وموضوعية مثل « الاستشراف » أو « التشوّف » أو مجرد « الدراسات المستقبلية » .

وإذا ما حاولنا استعراض تاريخ الاهتمام بهذا النوع من الدراسات ، والذي نعرف له سوابق تاريخية كثيرة ، لاعتبرنا أن البدايات الأولى لها في عصرنا هي الستينيات من هذا القرن . وسرعان ما اكتسب عام ٢٠٠٠ شهرة باعتباره هدفا زمنيا معقولا للنظرة بعيدة المدى التي تتجاوز آفاق التخطيط التقليدي لخمس سنوات أو سبع ، أو التخطيط طويل المدى لعشر سنوات أو خمس عشرة سنة . وخرجت علينا دراسات ورؤ ى وتصورات للعالم سنة ٢٠٠٠ ، وحتى للوطن العربي سنة ٢٠٠٠ . ومع مرور الزمن انتقلنا الى الحديث عن عام ٢٠٢٥ أو ٢٠٥٠ .

وربما كان تلوث البيئة المجال الذي تبلورت فيه بوضوح سمتان رئيسيتان للدراسات المستقبلية ، هما شموليتها للعالم بأسره (عندما تكشّف لنا أن ما يحدث في الجانب الغربي من المحيط الأطلسي قد يسبب ذبول الأشجار وتسمم البحيرات في شمال أوروبا) وآفاقه الزمنية الطويلة نسبيا (فالملوثات تتراكم على مر السنين ولا تظهر آثارها إلا بعد سنوات عديدة) .

وليس من قبيل الصدفة أن يعقد مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة بعد ظهور تقرير « حدود النمو » بثلاثة أشهر فقط ، وكلاهما استغرق زمنا طويلا في الاعداد .

التقرير المضاد :

ولعل الاعداد لمؤتمر البيئة كان أول مناسبة سُمع فيها صوت العالم الثالث في القضايا المستقبلية . ففي اجتماع تمهيدي للمؤتمر عقد في سويسرا ، امتد مفهوم البيئة لأول مرة ليشمل « البيئة الاجتماعية » الى جانب « البيئة الطبيعية » ، واعتبر الفقر واحدا من أخطر « ملوثات » البيئة . وأثناء انعقاد المؤتمر تبنت الصين موقفا يرفض الصياغة الغربية لأخطار تلوث البيئة ويقول ان هذه ليست مشكلة العالم النامي ، فالأخطار الناجمة عن استخدام المبيدات الحشرية ، مثلا ثمن زهيد لاستئصال شأفة أمراض مستوطنة كالملاريا . إلا أن رد العالم الثالث الشامل على تقرير « حدود النمو » جاء بعد ذلك من الأرجنتين ، من معهد باريلوتشي ، في تقرير على نفس المستوى من حيث أساليب الدراسة ومنهجيتها . وجاء هذا التقرير نقيضا صريحا للتقرير الأول ، يرفض مفهوم « حدود النمو » ويرجع سوداوية نظرته الى عجزه عن مراجعة المنطلقات الأساسية للدراسة مراجعة جذرية . فتقرير باريلوتشي يرى أن المشكلة الأساسية هي في نظام العلاقات الحالي في العالم والى سيطرة نمط التنمية السائد في الغرب الصناعي وهو الذي أهدر الموارد الطبيعية هدرا مجنونا ، ولوث البيئة بتقنيات مدمرة سعيا وراء تحقيق ربح سريع لمجموعات صغيرة ، تاركا وراءه ـ كنتيجة حتمية ـ العالم الثالث يعيش في فقر وتخلف وكانت رسالته هي أن اعادة صياغة النظام الدولي كفيلة بتفنيد مفهوم « حدود النمو » وأن هناك بديلا آخر ممكنا لعالم يُرشّد استخدامه للموارد ويحافظ على البيئة ويوفر لسكانه حياة كريمة .

و[illegible] مثال لنوع مختلف من [illegible] لا يكتفي باستشراف [illegible] وامتداده في [illegible] لمستقبل « بديل » يمكن تحقيقه [illegible] توجهاتنا أمكن احداثها . وهذا المستقبل البديل ليس حلما طوباويا ، بل انه مشروع أجزاؤه متكاملة ومتناسقة وقابلة للتحقيق في حدود الموارد المتاحة . وهو بهذا يضعنا أمام مسئولية محددة هي السعي لاحداث التغيرات اللازمة لجعله أمرا واقعا . وليس هذا مجال الخوض في صنوف الدراسات المستقبلية ، اذ يكفينا هنا أن ننبّه الى فكرة المستقبلات البديلة التي تقوم على أساس من الخيارات الممكنة نظريا ، علينا أن نحدد موقفنا منها ونحن على معرفة بدرجة لا بأس بها من الدقة بما يؤدي اليه كل منها وبما يتطلب تحقيقه من مقومات وأدوات وفترات زمنية .

وسرعان ما تواترت الدراسات المستقبلية والنماذج وتنوعت النتائج والبدائل والخيارات . فمن نادي روما صدرت دراسة أخرى أشمل وأكثر تدقيقا بعنوان « البشرية في مفترق الطرق » تميزت بتقسيمها للعالم الى عدد من المناطق لكل منها مميزاته الخاصة ، وظهر فيها الوطن العربي بشكل ما في أحد التجمعات ، ثم دراسة عن مجموعة الدول المصنعة بعنوان المستقبلات المتبادلة (Interfutures) أكدت ارتباط مصيرها بما يحدث في العالم الثالث ، ودراسة عن الأمم المتحدة عرفت باسم نموذج ليونتييف . . . الخ . وصاحب هذه التصورات العالمية دراسات أخرى على المستوى القطري في الغرب والشرق وبعض الدول النامية . وشكلت الجمعيات والهيئات ومراكز الدراسات والبحوث المتخصصة في هذه الدراسات أو المعنية بأمرها وبتطوير منهجياتها وتقييم نتائجها .

وربما كان تبلور واحدة من أدوات التحليل الحديثة والمعروفة باسم تحليل الأنساق (جمع نسق) ذا أثر كبير في تطوير الدراسات المستقبلية ، وإقامتها على أسس منهجية راسخة نسبيا ، لقدرتها على نظم أشتات من القضايا المعقدة والمتشابكة في أنساق تخضع للتحليل المنطقي . ولقد أنشيء عام ١٩٧٢ المعهد الدولي لتحليل الأنساق التطبيقي في فيينا ، وفي جهد مشترك بين عدد من المعاهد العلمية المرموقة في الشرق والغرب . بل ان شخصية سوفيتية هي جيفيشياني ، رئيس لجنة الدولة للعلوم والتكنولوجيا في الاتحاد السوفييتي وزوج ابنة رئيس الوزراء الراحل كوسيجين ، قامت على أمر ادارته لعدة سنوات . الا



اوريليو بيتشي والدراسات المستقبلية

أن روح التعاون العلمي والفكري بين الشرق والغرب تعاني اليوم من موقف أمريكي متشدد ورافض لهذا التعاون ـ على الأقل على المستوى الرسمي ـ في معالجة قضايا كونية « لا مذهبية » بالغة الخطورة للانسانية كلها ، مثل الطاقة ، والحفاظ على الموارد والبيئة ، وأنماط الهجرات ، واحتواء المخاطر التقنية والسياسية ـ العسكرية .

نحن ودراسات المستقبل :

فأين نحن في الوطن العربي من هذه الدراسات المستحدثة ؟ لقد صدرت أول محاولة منشورة لاستشراف مستقبل المنطقة في أواخر الستينيات عن اسرائيل !! وكانت على هيئة كتيب صغير يضم مجموعة من المخططات واللوحات الملونة تتناول جمعا من المؤشرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتنموية . وتلت ذلك بسنوات معدودات محاولة رائدة من لبنان قام بها أنطوان زحلان لعرض أول رؤية عربية لمستقبل المنطقة . ولنذكر أن كلتيهما صدرت في وقت مبكر لم تكن قد تطورت فيه منهجيات البحث وربما لم تتوفر له أيضا المقومات الأساسية اللازمة من قواعد المعلومات الوافية والدقيقة ولا من أدوات البحث والاستقراء . وظل الاهتمام بهذه الدراسات محصورا في عدد قليل من المهتمين بها والمثقفين حتى أواسط السبعينيات . وربما كانت أحداث عام ١٩٧٣ وانشغال الغرب بتحديد توجهات بعيدة المدى اثر صدمة ارتفاع أسعار النفط واهتمامه بالنظر في حاضر علاقاته بالمنطقة وبمستقبل

هذه العلاقات من بين ما أثار الاهتمام بالموضوع . ولقد جرت في مصر (بمبادرة من الدكتور ابراهيم حلمي عبدالرحمن مؤسس معهد التخطيط القومي ، ثم منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية وأول رئيس لها) أول محاولة جادة على نطاق واسع لتركيب نموذج رياضي وتشغيله على حاسب الكتروني فيما سمي آنئذ بمشروع « القاهرة ٢٠٠٠ » وذلك بالاستعانة بالتقنيات التي استخدمت في نموذج « البشرية في مفترق الطرق » . وفي مؤتمر اليونسكو عن تطبيق العلم والتكنولوجيا (كاستعرب) المنعقد في الرباط عام ١٩٧٦ صدرت توصية باجراء دراسة عن مستقبل العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي حتى عام ٢٠٠٠ (وهو الأمر الذي لم يتحقق حتى الآن !) . وانشغلت عدة منظمات عربية متخصصة في أسرة الجامعة العربية باعداد « استراتيجيات » للتنمية في مجالات تخصصها (الزراعة والصناعة والتربية) فيها تصورات للمستقبل ، وان كانت لا تستند الى قدر كبير من الدراسة المدققة أو المنهجيات المتطورة . وفي عام ١٩٨٠ ، كلف المكتب الاقليمي للدول العربية في برنامج الأمم المتحدة للتنمية "المعهد العربي للتخطيط في الكويت" باجراء مجموعة من الدراسات للتعرف على المستقبل العربي عام ٢٠٠٠ وجرت مناقشتها في اجتماع عقد في طنجة في العام التالي .

وكان لكثير من المثقفين العرب في البداية موقف مبدئي رافض لهذا النوع من الدراسات يرى أنها لا تستند الى أسس « علمية » مقبولة . وربما كان مرده في غالبية الأحوال عدم الدراية المتعمقة بأساليب هذه الدراسات وحدودها ، من ناحية ، والزعم الباطل الذي روجت له أجهزة الاعلام ، عندنا وفي الخارج ، بقدرتها على « التنبؤ » بالمستقبل بمعنى دارج غير دقيق ، من جهة أخرى .

وقد شهدت السنوات الأخيرة البدايات الأولى منها لتواصل نهضة الدراسات المستقبلية في الوطن العربي على نحو أكثر تأصيلا وجدية عما سبق . ونحصر هنا في مجال الدراسات العربية الشاملة مثالين أولهما مشروع « المستقبلات العربية البديلة » الذي تموله أساسا جامعة الأمم المتحدة ويقوم بدور المنسق فيه الاقتصادي العربي المعروف الدكتور اسماعيل صبري عبدالله . وصدر عن المشروع في بدايته كتاب بعنوان « صور المستقبل العربي » نشره مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع جامعة الأمم المتحدة ، كما يصدر عن المشروع « ملف » يعرض موجزا للدراسات التي تجري في اطار الاعداد للتقرير النهائي الذي ينتظر أن يصدر في العام القادم . أما المبادرة الثانية فهي لمركز دراسات الوحدة العربية نفسه ، الذي بدأ مؤخرا دراسة كبيرة لاستشراف مستقبل الوطن العربي ، أنجزت المرحلة التمهيدية الأولى منها وربما استغرق استكمالها عامين أو أكثر . ومازلنا نفتقد في الوطن العربي مؤسسات متخصصة في هذه الدراسات تتراكم فيها الخبرات وتتأصل المنهجيات والممارسات على نحو ما يجري في مناطق أخرى في الشمال والجنوب ، خصوصا وأن هناك اليوم من بين أعضاء « الاتحاد العالمي للدراسات المستقبلية » ما يربو على العشرين عالما عربيا . أما على المستوى القطري ، فهناك مثال وحيد لتجمع فكري يهتم بالدراسات المستقبلية هو الاتحاد المغربي للمستقبليات والذي قام بدراسة هامة عن المغرب العربي . والحق ، أنه قد آن الأوان لكي تقوم في ربوع الوطن العربي هيئات حكومية وشعبية تكرس نشاطها لمثل هذه الدراسات . ولعل التحول الدرامي في أحوال سوق النفط العالمية وانعكاساته المباشرة والخطيرة على الوطن العربي بأسره وتدهور الأوضاع السياسية والعسكرية في المنطقة بصورة متواترة في الأعوام الأخيرة وما صاحبه من شعور عام بالضياع والاحباط أن تكون حافزا لمزيد من الاهتمام بهذه الدراسات . فلو أننا رجعنا الى ما هو منشور في السنوات العشر الأخيرة في العالم الصناعي، من دراسات حول موضوع الطاقة عموما ، والنفط بالذات ، أو في اسرائيل والدوائر الصهيونية عن رؤيتهم لمستقبل الدولة الصهيونية ولمعالجة علاقاتها بالأقطار العربية وتطويرها لصالحهم لرأينا أن شواهد ومؤشرات ما حدث مؤخرا كانت واضحة ومعلنة لكل من يعي مغزاها الحقيقي وتوجهاتها الصريحة .

بين التصور والمنهج العلمي .

واليوم ، وقد زالت عن الدراسات المستقبلية مسحة الطرافة والاثارة التي ترتبط بظهور كل صرعة جديدة ، فان بين دوائر المنشغلين بها تحركا واضحا الآن نحو اجراء مراجعة شاملة لأساليبها واهتماماتها ومحتواها . فهناك توجه يدعو الى المزيد من الالتزام بالمنهجيات العلمية الدقيقة والاصرار على تطبيق الأساليب الكمية والحسابية في الدراسات حتى لا يتحول البحث في المستقبل الى ضرب من التخمينات الشخصية والخيال الذي لا يرتبط بوضوح بواقع محدد ولا سبيل للحكم بصحته أو بطلانه . وهناك في المقابل توجه آخر يرى أن هناك حاجة للابقاء على هذا النوع من التصورات الحرة لبدائل المستقبل باعتباره رافدا لإبداع بشرى لا توفره طرق الحساب ، وفي مسائل انسانية لا يمكن قياسها بأية مؤشرات عددية ، بل ان التزمّت المنهجي قد يكون سلبية يجب تخطيها . واذا ما كان التوفيق بين هذين الرأيين ممكنا ـ وعلى الرغم من مشقة تحقيقه ـ في جماعة بحث صغيرة تعمل في اطار تنظيمي واحد ، فان تحقيقه مع انتشار النشاط في كثير من الهيئات التي تربطها شبكة من العلاقات أشق من ذلك بكثير ، ان لم يكن مستحيلا .

والأمر الثاني الذي يقلق الدارسين الجادين هو دور أجهزة الاعلام في معاملتهم وكأنهم من مشاهير نجوم هوليوود والطريقة الدعائية وغير الأمينة التي يروجون بها لاعمالهم ونتائجهم بين الجماهير وكأن ما يقومون به هو ضرب من السحر ، وذلك بالتقاطهم ليتَف من معلومات لا تستوعب بدقة ، وطرحها بأشكال مثيرة . وهم يفضلون أن يعيشوا حياة أقل بريقا وشهرة من حياة كبار الفنانين ، وأن ينصرفوا في هدوء وجدية للبحث عن منهجيات مفيدة توضح المزيد من المستقبلات الممكنة . وفي كثير من المؤتمرات واللقاءات الخاصة بالدراسات المستقبلية نلاحظ اليوم نزعة نحو تأكيد أن الدراسات المستقبلية ليست بدعة تميز عصرنا وأن تاريخ الفكر الانساني ، قديمه وحديثه ، حافل بسوابق تاريخية لهذه الدراسات . وربما كان الجديد في الأمر اليوم هو أنها تستخدم أساليب وطرقا للنظر في الأمر لم تكن معروفة من قبل .

والظاهرة الثالثة التي تقلق دارسي المستقبل هي أنهم قد نجحوا كعشيرة علمية في اجراء العديد من البحوث العلمية ، دون أن ينجحوا في اقامة علاقة مؤثرة مع العشيرة السياسية . ويرى معظمهم ، في الغرب مثلا ، أن انشغالهم في السبعينيات مثلا بالحفاظ على البيئة ـ وان كان من الضروري أن يستمر ـ فان الأمر يقتضي أيضا أن يمتد الى قضايا أخرى مثل العمل والاستخدام ، خصوصا وأن هناك مؤشرات قوية الى أن الغرب يسير نحو مستقبل صناعي لا تعمل فيه الا قلة من عدد السكان . وبشكل عام ، فانهم ان لم يقيموا هذه العلاقات المؤثرة مع صانعي القرار ، وان لم يعتد هؤلاء الرجوع الى الدراسات المستقبلية للاسترشاد بها في اتخاذ القرار ، فان جهدهم سيظل ترفا ربما كان في نهاية الأمر غير مبرر . ولعلنا في الوطن العربي أكثر حاجة من غيرنا للتأكيد على هذا التوجه وعلى أهميته في مواجهة ما يحيط بنا من أخطار وما يواجهنا من تحديات . □

■ قال فيلسوف انجليزى : « ليست السعادة فى امتلاك الكثير ، ولكن فى القناعة بما تملك . . والرجل القليل الحاجة لديه دائما ما يكفيه » .

■ أفضل وأقصر طريق يكفل لك أن تعيش فى هذه الدنيا موفور الكرامة . . هو ان يكون ماتبطنه فى نفسك كالذى يظهر منك للناس .

(أرسطو)

نظرة إلى مستقبل العرب والمسلمين

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

تحريك العقول وتحرير الارادات شعاران رئيسيان في معركة العرب والمسلمين للتواصل مع مستقبلهم وصنعه بصورة أفضل .

فهل واقع الحال يعطي دفعا تفاؤليا في هذا المجال ؟ أم أن فيه من الاحباط وصور التشاؤم ما يعطل المسيرة ؟

هذا ما يجيب عليه الدكتور أحمد كمال أبو المجد في هذا المقال :

■ الفارق بين التخطيط .. واستشراف آفاق المستقبل أن التخطيط تدبير لأحوال الحاضر والمستقبل القريب .... وان استشراف آفاق المستقبل محاولة لتصور الأوضاع المستقبل البعيد بقصد التهيؤ لاستقبالها والتعامل معها ... هذا الفارق في عمق الامتداد الزمني الذي يشتغل به الجهد الانساني في الحالتين هو الذي يستدعي ـ بالضرورة والمنطق ـ نتيجتين هامتين :

الأولى : ان كلا من التخطيط ، واستشراف المستقبل ، في جزء منهما رصد لعناصر الحاضر والمستقبل القريب .. وفي الجزء الآخر تدخل بالجهد المنظم لتحريك تلك العناصر واستثمارها ، سعيا لتحقيق أهداف معينة .. ولكن نصيب التخطيط من النجاح [illegible] تلك العناصر وتوجيهها أوفى من [illegible] في المستقبل .

الثانية : [illegible] أساسا مع واقع قائم بعناصر حاضرة [illegible] والقياس من حيث طبيعتها وحجمها واتجاه حركتها .. اما الذي يستشرف آفاق المستقبل [illegible] عناصر الواقع لا تكون الا جزءا محدودا نسبيا من [illegible] مهمته ، ويبقى للخيال وللتقدير نصيب كبير في تصور « المتغيرات الجديدة » وتصور التطورات المحتملة في حجم عناصر « الواقع المقبل » واتجاه حركتها ، وتفاعلها فيما بينها .

ومن المؤكد ـ رغم ما تقدم ـ ان التقدم العلمي في وسائل الرصد والقياس ، والسرعة الهائلة التي تتم بها كثير من التغيرات في بنية المجتمعات الانسانية نتيجة الكشوف العلمية المتلاحقة .. قد جعل استشراف آفاق المستقبل اقرب الى « التقدير العلمي » منه الى التنبؤ والرجم بالظنون و« التخمين العشوائي » الذي يدخل كله في باب الخيال .

كما جعل هذا الاستشراف بالنسبة لنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ اكثر ضرورة والحاحا ، ما دمنا نعيش وسط شعوب تدخلنا في حسابها .. وتحاول تحديد مكاننا على خريطة مستقبلها ، وتسعى فوق ذلك الى تحديد هذا المكان تحديدا يناسب تخطيطها هي ، ويحقق مصالحها وحدها ..

في ضوء هذا الفهم لطبيعة كل من التخطيط ، والنظر في آفاق المستقبل .. لا نملك الا ان نتساءل عن مستقبل العرب والمسلمين . بادئين بأننا نتحدث عن العرب والمسلمين ... ولنا في قضية العلاقة بينهما موقفان متكاملان ..



العروبة والاسلام

أولهما .. اننا ندرك من خلال النظرة التاريخية .. والتأمل الثقافي .. والواقع المعاش لجماهير العرب والمسلمين ، مقدار العلاقة الوثيقة بين العروبة والاسلام ... ونرفض لذلك كل محاولة لطرح العلاقة بينهما في صورة خيار حتمي ، او ثنائية تقوم على التناقض والتضاد .. وتلك قضية قد فرغنا منها على المستويين التاريخي والموضوعي .. ولذلك - ايضا - نرى ان كثيرا من آفاق المستقبل الذي ينتظر الأمة العربية ، ينتظر كذلك أمة المسلمين ..

والثاني .. ان التطابق - مع ذلك - غير كامل بين العروبة والاسلام .. فدوائرهما التاريخية والجغرافية متداخلة وليست متطابقة .. وفوق ذلك فان عناصر الواقع العربي التي لا بد ان يتخذها المخطط ومن يستشرف آفاق المستقبل على السواء .. اساسا يبني عليه تصوره لذلك المستقبل .. تظل متميزة - في جزء منها - عن عناصر الواقع الاسلامي التي تصلح اساسا للبحث في مستقبل امة الاسلام ..

ولما كان من المستحيل في دراسة خاطفة موجزة ان يستقصي اي باحث فرد كل عناصر الواقع ومكوناته ، وأن يحملها معه ومعها كل علاقاتها الداخلية ، وما تحمله من عناصر الحياة او الفناء واتجاهات الحركة وسرعتها .. فقد يكون من حقنا ان نكتفي بالتوقف عند عدد من الظواهر الكبرى والعناصر الأساسية في كل من [الواقع العربي] و [الواقع الاسلامي].. وأن نعرض ما نتصوره من امر حركتها وهي تنتقل من « الآن » الى « مستقبل الزمان » .

ان الواقع العربي حين نرتفع عن كثير من تفاصيله وجزئياته تنتظمه ظواهر ثلاث ، نتصور انها سوف تحدد الى مدى بعيد صورة مستقبله ... وهذه الظواهر هي :

١ - خطر فوات « الفرصة التاريخية العظيمة » التي صاحبت تدفق النفط من آباره الغنية في الأرض العربية ، واشتداد الطلب عليه ، وتحكم منظمة الأويك في اسعاره بما منح الوطن العربي فرصة العمر لاقامة مشروع تنموي قومي تتخطى به امة العرب حاجز التخلف .. وتؤمن عن طريقه مستقبلها الاقتصادي عن طريق انتاج ما تستهلكه ، وتصدير بعض فوائضه ، وتشييد « بنية اساسية » من العمران ، تقوم عليها « بنية اساسية » ثانية من العلاقات الاجتماعية العادلة والمستقرة ، وبنية أساسية ثقافية ، تصفى بها الأمية ، وتتوطن الثقافة العربية في ارض العرب اولا .. ثم تنطلق لتؤدي دورا انسانيا من خلال قيمها « المحافظة » لنوعية الحياة ولعلاقات انسانية قائمة على اداء العدل ، وتقديم

الواجب على الحق ، والايثار على النفس ، واشاعة الرحمة والتسامح ورعاية الضعفاء . واستقراء الواقع العربي يكشف عن ان هذا المشروع « التنموي » القومي لم يتحقق .. وان فرصة العمر التي حملها القدر لأمة العرب توشك ان تنفلت من ايديهم .. نعم .. لقد عمرت اموال النفط مدنا وقرى وبوادي كثيرة .. واتخمت كثيرمن الأسواق العربية بآلاف من السلع الاستهلاكية التي لا يشبع طالبها ، ولكن الصناعة لم تتوطن ... والانتاج لم تثبت قواعده .. والأداة الرئيسية « للاقلاع الحضاري » وهي اتقان لغة « القوانين الطبيعية والاجتماعية ... ومسايرة النهضة العلمية منهجا ومضمونا .. لا تزال غائبة عن اكثر الاقطار العربية » ..

٢ ـ تفكك اواصر الرابطة العربية ، او الجامعة العربية ، بصورها المختلفة ، وتعثر المحاولات الوحدوية المختلفة ، وتراجع المد القومي في صوره العملية .. حتى لم تبق منه الا صيحات متحمسين ، وهتافات حالمين يكذبها الواقع المر كل يوم مائة مرة .. حتى لقد صار التناقض بين بعض الاشكال والطقوس الوحدوية القائمة وبين الواقع المعاش لأمة العرب مأساة في صورة ملهاة .. فمع وجود الجامعة العربية مبنى ونظاما ومؤسسات .. يقتتل العرب بالسلاح وبالكلمة وبالمال . ولا يكاد السلاح ينطلق من خندق عربي الا الى خندق عربي آخر .. والوان القطيعة والخصومة وتبادل العدوان بين الأقطار والأحزاب العربية واقع يعلو صيته فوق همس الهامسين بآمال الوحدة وبالدفاع المستبسل عن « القومية » ولا اريد هنا ان أنكأ جروحا أو أن أشارك في وأد ما بقي من أمل .. وانما أتساءل .. عن السوق العربية المشتركة اين هي ؟ وعن الدفاع المشترك اين هو؟ وعن العلاقات الدبلوماسية بين مصر وسائر الدول العربية اين هي ؟ . كما اتساءل في [illegible] الاتهامات المتبادلة يوميا ـ وبغير انقطاع ـ [illegible] لكل ما هو قومي ووحدوي [illegible] النهاية عما آلت اليه القضية التي [illegible] الاختلاف والاقتتال والتحاصم والقطيعة [illegible] قضية فلسطين التي احتلت ، [illegible] ولا [illegible] يطاردون ؟ .. عاما بعد عام وحلقة بعد حلقة

٣ ـ والى جانب تفكك أواصر الرابطة العربية .. وبسبب هذا التفكك بدأت نذر خطيرة تتجمع في الأفق .. معلنة تهديد استقلال الأمة العربية في صميمه .. فأساطيل الدول الكبرى تجوب البحرين الأبيض والأحمر .. محملة بقوات هائلة مستعدة دائما لأداء ادوار داخل « المنطقة العربية » لحساب تلك الدول الكبرى .. ولم يعد الذي يهدد الاستقلال العربي عدوان عسكري او سياسي يفرض به النفوذ الغربي او الشرقي على اجزاء من ارض العرب فحسب ، وانما صار كثير من العرب الذين تغطيهم جميعا « عبءة » العروبة .. ويرتفع فوق رؤوسهم شعار « الوحدة العربية » يتسابقون ـ كل بطريقته ـ للدخول ا طوعي في دائرة نفوذ هذه القوة او تلك ، ولطلب احماية منها في مواجهة اخطار داخلية او خارجية حقيقية او موهومة .. دفاعا عما يرونه مصالح الجماهير العربية احيانا ، ودفاعا عما يرونه مصالح الأنظمة العربية في اكثر الأحيان .. وهكذا اصبح خطر التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية خطرا حقيقيا قائما ، احدى قدميه تطل من ارض الواقع .. والأخرى توشك ان تستقر على ارض المستقبل القريب ..

ان ثبات هذه العناصر الثلاثة من عناصر الواقع العربي القائم وتحركها بعد ذلك لتكون جزءا من مكونات المستقبل هو الفرض الذي تشهد له اكثر الشواهد .. فضلا عن انه الفرض الذي تتحرك لتحقيقه قوى عديدة خارج الوطن العربي .. وفي مقدمتها دولة « اسرائيل » المستقرة على الارض العربية .. والتي تهيء نفسها لمستقبل تتحول فيه الى القوة العسكرية والاقتصادية الأولى صاحبة القول النافذ في « المنطقة » كلها ..

نعم .. قد تكون هذه صورة قاتمة .. متشائمة .. ولكن هل يرى احد ـ بعين الحقيقة لا بعين الخيال والأمنية ـ ان في الواقع العربي من اسباب التفاؤل ما يستبعد اركان هذا التصور لآفاق المستقبل العربي .. ؟؟

ويبقى .. ان العنصر « الغائب » عن هذا التحليل هو عنصر الارادة العربية الفاعلة .. التي تملك ـ وحدها ـ ان تقطع الطريق على امتداد عناصر « الضعف العربي القائم » الى آفاق المستقبل ، قريبه

وبعيده .. ولكن الأمر حين يتصل « بارادة التغيير » عند شعب من الشعوب ، فانه لا يجوز ان يدخل دائرة الرصد والحساب .. الا بعد ان يدخل في دائرة الاستثارة والتحريك والفعل .. وقد يكون من مداخل هذه الاستثارة التي من اجلها نكتب ما نكتب ، ان نطيل جميعا التأمل في المساق الطبيعي الذي يوصل اليه نمو عناصر الضعف التي استعرضناها .. وان نتخيل لأنفسنا مستقبلا .. تضيع فيه من احلامنا بعد ان تضيع من واقعنا فرص النمو والرخاء .. وفرص التجمع والتوحد .. وفرص الاستقلال وتقرير المصير .. وينير تحريك هذا الفزع النبيل من مستقبل واقع على الحدود بين المجهول والمعلوم .. فسنظل ـ نحن العرب ـ نفخر بتراث لا فضل لجيلنا فيه ..

ونتحدث عن قضايا كبيرة لم نحرك لعلاجها ساكنا ولا متحركا .. وننادي بوحدة .. تضحك الشعوب ملء اشداقها حين تسمع صياحنا بها .. ثم ترى من ورائه حروبا أهلية وغارات يشنها العربي على العربي .. ونتحدث عن مستقبل عربي ، حيث لا مستقبل لمن لا يعملون ! .

اذا بدأنا استشرافنا المستقبل المسلمين برصد العناصر الرئيسيه في واقعهم لبدا لنا ـ على الفور ـ كثير من الظواهر التي صادفناها ونحن نستقرىء واقع العرب .. فرقة وشتات .. وطلب للأمن في جوار الأقوياء من غير العرب وغير المسلمين .. وتناقص مطرد لفرص اللحاق بالآخرين .. مع دأب واصرار على مواصلة الحديث عن الأمجاد القديمة .. واجترار لقصة فضل المسلمين على سائر الناس .. وتصلب وتشدد لا حدود لهما في توكيد « تميز المسلمين » واختلافهم عن سائر الناس والشعوب .. ولم لا .. أليسوا : خير أمة أخرجت للناس ؟

ولكننا نستطيع ـ في غير حاجة الى بحث طويل ـ أن نضيف الى تلك العناصر كلها عنصرين بارزين : أولهما .. أننا ـ نحن المسلمين ـ لم نحسم بعد عددا من القضايا الأساسية في بنياننا الفكري والوجداني .. وعلى رأسها قضية القضايا في تاريخها الطويل .. وهي كيفية وصل القديم بالجديد .. وادخال العصر على التراث ، أو التراث على العصر .. والاهتداء الى صيغة سوية هادئة .. يستقيم فيها المسلم على أمر الله .. في سماحة ويسر .. دون أن يدفع لهذه الاستقامة ثمنا يبتدعه ـ من تواصله مع الناس .. وحسن استقباله لثمرات العقل والتجربة من مستحدثات الزمان .. وحقه في الاستمتاع بما حوله من نعم الحياة وخيراتها « وزينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق .. » ولا أبالغ أو أجاوز الحقيقة اذا قلت أن وجه الحياة الاسلامية لا يزال مكدودا مرهقا مشدودا كالوتر ، مليئا بآثار الفصام والتمزق والعصاب .. لم يفرغ بعد من هذه المعركة القائمة في عقله ووجدانه بين « الدين » و « الدنيا » ـ وبين « التراث والعصر » ، وبين « العقل والنقل » .. الى آخر هذه الثنائيات التي استغرقت عمره ـ أجيالا بعد أجيال ـ واستهلكت طاقته .. ثم تركت خيرة شبابه موزعين بين اليأس والرجاء .. وتركت ملايين المسلمين ـ كذلك ـ موزعين بين الفزع من الاسلام .. والفزع عليه ..

ان هذه الحيرة الاسلامية العامة تعبر عن نفسها تعبيرا صريحا في عدد كبير من القضايا المبدئية والعملية .. حسبنا أن نشير ـ مجرد اشارة ـ الى عدد منها :

أ : علاقة المسلمين بغير المسلمين .. ومدى « الخصوصية » التي تميز المسلمين عن غيرهم .. كما تميز الاسلام كله عن سائر محتويات التاريخ الانساني ..

ب : قضية الثوابت والمتغيرات .. في نظام الاسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي .. ومنهج الاهتداء الى تلك الثوابت والمتغيرات .. ودور كل من النصوص ، والعقل في ذلك كله ..

ج : مسئولية « الصفوة » أو « الطليعة » ، أو رواد الاصلاح باسم الاسلام عن تغيير أوضاع المجتمع .. وحدود تلك المسئولية ، وأثرها في تحديد علاقة أولئك المصلحين الدعاة بجماهير الناس أولا .. ثم بالحكام ثانيا ..

د : قضية نظام الحكم السياسي ، ومتى يكون اسلاميا ومتى لا يكون ـ ومتى تكون القوانين هي الأخرى ، اسلامية ... ومتى لا تكون ؟

الصحوة

العنصر الثاني : أن الواقع الاسلامي يشهد موجة متصاعدة من « التوجه للنهضة الاسلامية » تلف العالم الاسلامي كله من أرض المغرب العربي غربا الى أندونسيا وماليزيا في أقصى المشرق ، وهي موجة توجه لفهم الموقف الاسلامي من الحياة ، وبناء مجتمعات اسلامية على أساس من هذا الموقف . . ثم ترجمة هذا الموقف الى أنظمة ومؤسسات وقواعد سلوك اجتماعي . . وتشريعات . . وهي الموجة التي سماها أكثر مؤرخيها ، وأكثر المشاركين فيها موجة « الصحوة الاسلامية » .

غير أن الاهتمام بهذه الصحوة قد اتخذ مسارا شاذا وغريبا ، اذ اندفع البعض الى التخوف الشديد منها . . واعتبارها قوة جذب الى الوراء . . بما تحمله بعض تياراتها وروافدها ، من ميل شديد الى المحافظة ، واشفاق يبلغ درجة الفزع من كل جديد ، كما اندفع البعض الى الدفاع عنها في حماس المجاهدين الذين يستعجلون الشهادة . . ويعتبرون كل مخالف لهم حليفا لقوى الشر المتآمرة على « صحوة المسلمين » جديرا بأن يناصبوه العداوة ، وأن يدخلوا معه في قتال « حتى الفناء » . .

أما العناصر التي يشترك فيها واقع المسلمين مع واقع العرب ، فان امتدادها الى المستقبل جدير بأن يحمل معه العواقب والأخطار التي عرضنا لها من قبل . .

وأما العناصر الخاصة بالاسلام والمسلمين فانها ـ فيما نرى ـ تضع مستقبل المسلمين على مفترق طريقين . .

فاذا استمرت الحيرة القائمة حول القضايا [illegible] تحولت الى « حيرة متوطنة متجددة » [illegible] تمكن أن يحمل للمسلمين الا [illegible] ومزيدا من الضعف والعزلة [illegible] أن يعتمد المسلمون في [illegible] الزمن » وحده . . [illegible] لا تحل نفسها [illegible] بعشرات من [illegible] الفكر الاسلامي

مئات عديدة من السنين ، رغم كثرة ما قيل وما كتب حولها . .

وأما موجة التوجه للنهضة والانبعاث ، فانها ـ فيمانرى ـ تحمل بعض عناصر الفناء ، كما تحمل بعض عناصر النمو والبقاء . .

١ ـ فالدعوة الى العزلة عن بقية أجزاء المجتمع ، وعن تيار الحضارة العالمية . . والميل الى التشديد والغلو . . والوقوف الجامد عند حرفية النصوص ، وتجاهل مقاصد الشريعة وجوهر العقيدة ووظائف الآداب والشعائر ، والعجز عن التمييز بين الجوهر والشكل ، وبين المعنى والمبنى ، وبين الأمور الأساسية والأمور العارضة . . والانزلاق السريع الى مواجهات تصادمية مع « الآخرين » . . كل هذه ـ فيمانرى ـ مخاطر تهدد موجة الانبعاث بالذبول أو بالفناء . . ونجهل هذه النهاية مسألة وقت وقد يطول أو يقصر . . وفي اعتقادنا أن الخائفين من « الاسلام » كمنافس حضاري ، ومن المسلمين كقوة مؤثرة في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية . . يعملون ـ بوعي وتدبير ، أو باندفاع تلقائي ، لدفع هذه الظواهر السلبية الى أقصى مداها ضمانا لتصفية « الانبعاث الاسلامي » بفعل أصحابه وعثراتهم المتكررة ، واستعجالهم لصدامات ومواجهات ليسوا أهلا لها ولا قادرين عليها . . وانعزالهم عن التيار العريض لجماهير المسلمين ، الذين لا تستطيع قلة من المصلحين والدعاة ـ مهما بلغ تنظيمها وتصحيحها ـ أن تستغني عن تأييدهم ومشاركتهم . .

٢ ـ ولكن موجة الانبعاث الاسلامي تستمد الفرصة الحقيقية للنمو المستقبلي من عاملين رئيسيين :

العامل الأول :

ان هناك تيارا اسلاميا داخل المسار العريض لموجة انبعث الاسلامي ، يحمل خصائص مناقضة لتلك التي استعرضناها . . ذلك أن موجة الغلو والتشدد والمبالغة في التفسير الحرفي للنصوص قد نبهت أفرادا

وجماعات الى ضرورة ترشيد موجة النهضة الاسلامية . . فقامت على امتداد العالم الاسلامي جماعات قليلة العدد ، ليس بينها الى الآن تنسيق ولا تعارف . . ولكنها - فيما نرى - تعبر عن تطلعات ملايين المسلمين . . كما أنها - فوق ذلك - أكثر اتساقا مع حركة التاريخ ، وأوفى قدرة على تلبية الحاجات الحقيقية للجماهير . . لن يتسع المقام لاستعراض خصائص ذلك الرافد من روافد « التيار الاسلامي » وانما حسبنا أن نشير الى الخصائص الأربع التالية :

١ - النظرة الوظيفية للاسلام ، باعتبار مبادئه وأحكامه محققة لمصالح الناس ، وليست مجرد نصوص مقطوعة الصلة بأهداف المجتمع الانساني . .

٢ - النظرة الانسانية العامة . . التي تتمثل في الوعي بوحدة النوع الانساني ، وبخصائص التميز التي تجمع « الشعوب والقبائل » على احتلاف أجناسها وعقائدها . . وذلك في مقابل الموقف الانعزالي المرتاب تجاه « الآخرين » ، والذي يمثله التيار المتجه - في تقديرنا - نحو التراجع والزوال . .

٣ - الوعي الكامل بسنة التطور وحركة الحياة . . وادراك ضخامة « الجهد » العلمي والتنظيمي الذي لا بد أن يبذل حتى توضع المبادىء الاسلامية في صياغات واشكال وأساليب تناسب أطوار الحركة التاريخية . . وهذا الوعي هو نقيض الرؤية « الثبوتية » التي تضع الاسلام والمسلمين خارج مسار التاريخ . .

٤ - الوعي بتفاوت « التوجيهات الدينية » في المرتبة ودرجة الالتزام . . والتسليم بأن العمل الاجتماعي يحتاج - بالضرورة - الى ترتيب الأولويات . . والتعامل مع الواقع على أساس مراعاة هذا الترتيب . . في دعوة الناس . . وفي تنظيم مراحل الهدم والبناء التي لا بد أن تقوم عليها كل حركات التغيير والاصلاح . .

أما العامل الثاني الذي يفتح أبواباً للرجاء في مستقبل المسلمين . . فجوهره أن مسار التطور الاجتماعي (بمعناه الأوسع) يشهد احساسا متزايدا بالحاجة الموضوعية الى مجموعة القيم أو المبادىء التي تشكل « العمود المحوري » للتصور الاسلامي وللتنظيم الاسلامي على السواء . . ويبدو الأمر لنا - من منظور تاريخي بعيد الغور - كما لو كان الاسلام قد ادخر هذا الزمن الطويل . . على امتداد عصور كانت البشرية - مع حاجتها الأصيلة اليه ، مستطيعة مع ذلك أن تدبر أكثر أمورها متكئة على الغرائز الانسانية ، ! وعلى ثمرات الجهد البشرى فى مجالات الفلسفة والأخلاق والقانون . .

ولكن « الانفجارات » السلوكية التي حملتها معها الثورات العلمية والصناعية المتعاقبة . . قد وصلت بالمسار الانساني - فيما نرى - الى نقطة تشتد فيها الحاجة الموضوعية الى الاسلام . . ولهذا نشتد في رفض مقولات المنكفئين على الماضي وحده ، والداخلين في خصومة مع المستقبل ، والمشتغلين - نتيجة ذلك كله - بالبحث في اشراط الساعة ، المتوقعين قيامها بين يوم وآخر . . ذلك أنهم في غفلتهم وبأسهم يفرون من المعركة الحقيقية التي ادخروا لها . . معركة المساهمة في ترشيد حركة المجتمعات الانسانية وهي تواجه - كل يوم - أمواجا من التغيرات تترك الحليم حيران . . وتوشك أن تصيب الجيل كله « بدوار الحركة السريعة » الناجمة من انهيار الحدود بين الحاضر والمستقبل . .

وبعد . .

فهذه محاولة لاستشراف مستقبل العرب والمسلمين في ضوء رصد الظواهر الكبرى في حاضرهم . . وهي محاولة تقوم على مجموعة من الفروض لانستطيع هنا أن نقيم الدليل على صحتها ، وفي مقدمتها فرض استمرار عناصر الواقع الخارج عن دنيا العرب والمسلمين بأحجامها القائمة ، وباتجاه حركتها الذي نعرفة ونراه . .

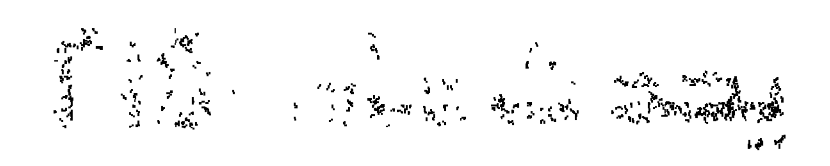
والخاتمة التي نختم بها هذه المحاولة الأولية هي ترديد ما قررناه من قبل من أن الحاضر لا ينتقل بحالته الى المستقبل ، وان حركة عناصره لا تحكمها القوانين الكونية المستقلة عن ارادة الانسان فحسب ، وانما تتحكم فيها كذلك ارادة التغيير التي يوجهها عقل الانسان . . ذلك أن هذه الارادة جزء من نظام الكون ، وحركتها ناموس من نواميسه . .

نحن اذن - عربا ومسلمين - نحتاج أول ما نحتاج الى تحريك عقولنا وتحرير ارادتنا . . حتى نكون من بين من يصنعون المستقبل ، ويحددون مواقعهم على خريطته ، ولا نكون جزءا من « مادته » الساكنة التي تحركها ارادة الآخرين . □



بقلم : محمود المراغي

هل يمكن أن يكون الماضي مؤشرا للمستقبل ؟
الأكيد أنه يدخل ضمن المؤشرات الرئيسية ، خاصة اذا كان الحديث عن الانسان . . فالانسان تجربة متصلة وتاريخ ممتد .



يقول التاريخ ان جديدا قد حدث خلال القرنين الماضيين ، وان ذلك الجديد قد ازداد وضوحا في النصف الثاني من القرن العشرين . كان سكان العالم - منذ بداية التاريخ - يتزايدون ببطء ، وأحيانا بشكل غير مستقر تؤثر فيه المجاعات والحروب والأوبئة . . فإذا بهم - منذ القرن الثامن عشر - يزيدون باطراد ، واذا بالنصف الثاني من القرن العشرين وقد سجل أرقاما قياسية في معدلات التزايد السكاني ، مما زاد القلق على المستقبل ، وزاد الاتجاه لمواجهة المشكلة السكانية .

وتقول الارقام انه في عام (١) ميلادية كان عدد سكان العالم (٣٠٠) مليون نسمة فقط . . واستغرق الأمر أكثر من (١٥٠٠) سنة ليتضاعف هذا الرقم . . [illegible] عام (١٧٥٠) حين تزايدت المعدلات [illegible] خلال مائة وخمسين عاما من هذا [illegible] عام (١٩٠٠) - تضاعف عدد [illegible] سنويا [illegible] التاريخ . كان التزايد [illegible] يزيد بأكثر من ٠,٥٪ [illegible] عام ١٩٥٠ . ثم [illegible]) و [illegible] النامية بشكل [illegible] وتساعد في [illegible]

خلال هذه الرحلة تضاعف عدد سكان العالم مرة أخرى بين عام ١٩٥٠ و ١٩٨٠ وساعد على ذلك تحسن مستوى المعيشة والصحة والتعليم ، مما خلق اتجاها للحد من الانجاب ، ومما قلل نسبة الوفيات . .

ولكن . . بقي الاغنياء ينجبون أقل ، والفقراء ينجبون أكثر ، واستطاع بعض الفقراء أن يحددوا الانجاب بطفلين في المتوسط كما هو الحال في الصين ، بينما تزايد هذا الرقم عند معظم الدول النامية ليصبح متوسط الانجاب (٤ - ٥) أطفال لكل أسرة .

وبالطبع وخلال هذه الرحلة التي أصبح فيها الفقراء - أو ما نطلق على دولهم البلاد النامية - يحتلون ٧٥٪ من عدد سكان العالم . . برزت قضية الثروة والموارد . . وهل تكفي للمستقبل أم تحدث المجاعة ؟ . و . . قبل ذلك كان السؤال : هل يتم توزيع الثروة في العالم بشكل عادل ؟ . . وبمعنى آخر : هل يمثل الفقر مشكلة ندرة في الموارد . أم مشكلة سوء توزيع لها ؟

في محاولة للبنك الدولي ، وفي آخر تقرير له حول التنمية في العالم ، استطاع البنك أن يلقي الضوء على قصة توزيع الثروة . ويقول التقرير - والصادر في يوليو

الماضي ـ أنه بينما زاد سكان العالم ثلاث مرات منذ عام (١٨٥٠) فان الدخل الحقيقي للفرد قد زاد نحو ست مرات خلال هذه الفترة . ومع زيادة الدخل زاد انتشار التعليم ، وزادت متوسطات الاعمار ، وزاد التحضر . . ولكن . . ـ وفي نفس الوقت ـ زاد سوء توزيع الثروة .

بالارقام ، كانت الدول النامية تمثل ٧٤٪ من سكان العالم عام (١٨٠٠) وانخفضت النسبة الى ٦٧٪ عام (١٩٥٠) . . ثم انحسر هذا التحسن وعادت نسبة الفقراء إلى التزايد لتفوق ما كانت عليه عام (١٨٠٠) وتصل الى ثلاثة أرباع العالم تماما عام (١٩٨٠) .

وبينما كانت الاهمية العددية للفقراء على هذا النحو ، فان نصيبهم من الثروة قد تراجع . . وبينما كانت هذه الدول النامية تستحوذ على ٤٤٪ من الانتاج العالمي في بداية القرن التاسع عشر ، فإن هذه النسبة قد تراجعت لتصبح ٢١٪ فقط عام ١٩٨٠ .

[illegible]

وربما يكون التفسير واضحا ، فالثورة الصناعية قد كرست صيغة الاغنياء والفقراء ، والاستعمار كان مردهرا لحساب البعض وعلى حساب البعض الاخر ، وثورة التقنية زادت الهوة ولم تضيقها ، والتكتلات الاقتصادية كانت أنجح في عالم الاغنياء . . بينما كانت التبعية وكان التقسيم غير العادل للعمل الدولي من نصيب الفقراء

السؤال الرئيسي : هل يستمر ذلك ؟

في توقع للبنك الدولي أن يستمر العالم في التزايد السكاني طوال القرن المقبل الاغنياء بنسب صغيرة قد تهبط الى الصفر ، والفقراء بنسب أكبر ، من المرجو ألا تزيد عن ٢٪ سنويا . ولكن ، ومع استمرار التوجيهات الحالية في ضبط النسل ، فان التوقع أن يصل العالم كله الى صيغة التثبيت التي تتساوى فيها أعداد المواليد والوفيات ، ولا يزيد حينذاك العالم أو ينقص في عام (٢١٥٠) ، حينذاك سيكون تعداد العالم ١١ بليون نسمة . . . وحينذاك ستكون الغالبية العظمى في عالم الفقراء . . وسوف تكون نقطة بداية جديدة بالنسبة لهم لكي يتمتعوا بمستوى معيشي أفضل ومتوسط دخل أكبر .

ابتداء من هذا التاريخ (٢١٥٠) وربما قبله ، بالنسبة لدول نامية كثيرة ، سوف يتقاسم الزيادة في الدخل نفس عدد السكان ، فنموهم سيكون قد توقف ولن تعود الافواه الجديدة تلتهم زيادة الدخل .

التبعية لا تفيد

ولكن . . هل ينتظر العالم ذلك التاريخ البعيد لينعم الفرد في الدول النامية بمتوسط دخل أكبر بفضل نجاحه في تنظيم النسل وحجبه لاعداد جديدة من الاطفال كان يمكن أن تغزو العالم ؟

الاكيد أن الاجابة بالنفي . فعنصر السكان متغير واحد ، أما بقية المتغيرات فأبرزها زيادة الانتاج والانتاجية وعدالة توزيع عائد هذا الانتاج على مستوى المجتمع المحلي والمجتمع الدولي .

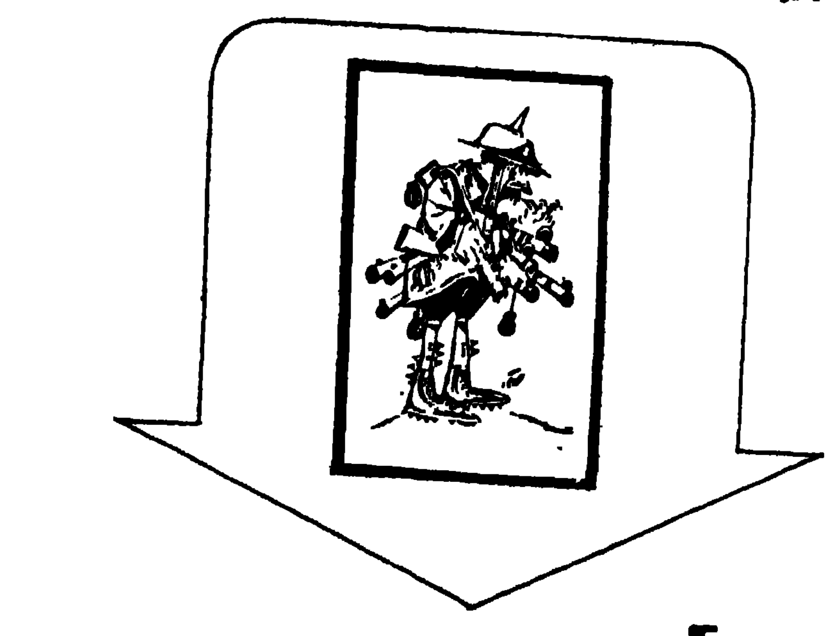
وفقا للعلاقات الدولية في الأمد المنظور ، فانه لا يبدو هناك اتجاه لتوزيع أفضل للثروة ، أو تقسيم أرقى للعمل الدولي ، أو شروط أفضل للتبادل بين الفقراء والاغنياء . انتاج الفقراء سوف يبقى ـ اذا استمرت السياسات القائمة كما هي ـ اكثر تخلفا من انتاج الدول المتقدمة وأسعاره أكثر تدنيا . فان التقدم التقني سوف يبقى بطيئا وباهظ الثمن أيضا . وسوف تواجه عالم الفقراء مشاكل الديون بشكل اكبر .

يقولون في عالمنا : التبعية لا تفيد ، والهوة سوف تتسع ، ومؤشرات التقدم في العالم الثالث ـ مهما تزايدت ـ فانها لن تصنع قفزات مماثلة لما يحدث في العالم الأول .

ويطرح ذلك قضية هامة : هل تكون التنمية في أحضان العالم المتقدم ووفق مفاهيمه ومصالحه . . أم تكون التنمية وفق أسلوب خاص نبتكره في عالمنا الثالث ، أسلوب يكرس الاستقلال ويدفع بعجلة الانتاج ويناسب ما نملك من إمكانات وما نطمح له من مستقبل ؟

يبدو أنه كما تم اختراع المصباح والكمبيوتر والطائرة والصاروخ ، فنحن بحاجة لاختراع ـ ان جاز التعبير ـ في ادارة الموارد والعلاقات الاجتماعية والدولية .

واذا لم نخترع فعلينا ان ننتظر عام (٢١٥٠) . . وربما يفاجئنا القادمون الجدد أطفال المائة وسبعين عاما القادمة بأنهم التهموا كل شيء وأحبطوا كل توقع ، وحينذاك لن ينفع الاختراع . . ولن ينفع التقليد . □



أيديولوجية التسلح

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

عندما يطالع القارىء العربي العادي عنوانا كبيرا في الصحف عن موضوع له صلة بمشكلة التسلح ، فان عينيه تبتعدان ، عادة ، عن الموضوع ، وتتحركان بحثا عن عنوان آخر يتناول موضوعا أقرب الى اهتمامه ، وأقوى جذبا لانتباهه .

ومن ناحية أخرى ، لا يكاد يمر يوم الا ونشاهد على شاشات التليفزيون منظرا لألوف مؤلفة من البشر ، في أوروبا وأمريكا واليابان ، يرفعون اللافتات ضد مشروعات التسلح ، ويجلسون بهدوء ، ولكن بإصرار ، ليعترضوا سبيل قافلة تحمل أسلحة للدمار ، أو ليسدوا مداخل قاعدة للصواريخ ، أو يتظاهروا في وجه زائر كبير يعلمون أن

زيارته تحمل معها أخطارا عسكرية .

هذه صورة مقابلة .

والصورتان تكشفان عن الفارق بين الوعي وانعدام الوعي ، بين الاهتمام واللامبالاة . ففي الوقت الذي يطوي فيه كثير من المثقفين في بلادنا أخبار التسلح على أساس أنها « من شأن الآخرين » ، أو لأنها معقدة ثقيلة الظل . . تتصدى النساء حاملات أطفالهن ، في المجتمعات الواعية ، لجنود مدججين بالسلاح ، وتقف رقة المرأة وبراءة الطفولة في وجه خشونة الجندي وصرامته ، كشاهد على تصدي الانسانية للنزاعات اللاانسانية ، ووقوف أنصار الحياة في وجه دعاة الموت والدمار .

إن قضية التسلح ، في عالم اليوم قضية تهمني وتهمك ، ولها أوثق الصلات بالحياة اليومية للأسرة العادية ، والأمنيات التي يتمناها الآباء لأبنائهم ، والأمل في المستقبل كما يرتسم في مخيلة كل شاب وفتاة . ولهذا يتخذ الملايين من البشر الواعين موقفا واضحا ومحددا من هذه القضية ، ويتصدون بالأناشيد والزهور ، ولكن بحزم واصرار ، لتجار الموت . ولأن نوع الموت الذي تهددنا به أسلحة العصر لن يوفر أحدا ، فإن من واجب الانسان العربي أن يكون أكثر اهتماما ، وأن يفتح عينيه جيدا ، ولا يقلب الصفحة ، حين يقرأ في الجريدة خبرا من أخبار التسلح .

فما هي القضية بالضبط ؟

ان لهذه القضية أبعادا كثيرة ، شديدة التعقيد ، ولكني لا أود في هذا الحيز المحدود أن أعيد الى أذهان القراء حقائق يستطيعون الحصول عليها لو قرأوا ما يكتب في كل يوم عن الموضوع . وانما أردت من هذا المقال أن ألقي بعض الأضواء على جوانب من الموضوع لا تعالجها الكتابات الشائعة ، ويتجاهلها الكتاب دائما ، أو يتغافلون عنها عامدين .

الدور الايديولوجي للتسلح

ان في عالمنا هذا نظامين أيديولوجيين : الرأسمالي والاشتراكي ، وفيه كتلة ضخمة ، هي كتلة العالم الثالث تسعى الى اللحاق بموكب التقدم ، وتنجح حينا وتخفق أحيانا ، وقد تقترب تجاربها الهادفة الى تحقيق التقدم من هذا المعسكر أو ذاك . وهكذا فإننا لو شئنا أن نلخص صراعات عالم اليوم في كلمة موجزة ، لقلنا انها هي صراع المعسكرين الكبيرين فيما بينهما من جهة ، وتنافسهما على اجتذاب الكتلة الضخمة للعالم الثالث من جهة أخرى . وفي هذا الصراع ، بشقّيه ، يقوم التسلح بدور أساسي .

ان النظام الرأسمالي ، يستطيع أن يتحمل دون عناء أعباء التسلح ونفقاته الباهظة . بل ان انتاج السلاح وتطويره وتجديده المستمر من أهم العوامل التي تساعد على استمرار هذا النظام في الحياة وازدهار اقتصاده وتشغيل مصانعه وايجاد فرص عمل للعاطلين فيه . أما النظام الاشتراكي فان التسلح بالنسبة اليه عبء ثقيل يؤثر تأثيرا واضحا في مستوى نموه . ذلك لأن السلاح في هذه الحالة لا تنتجه شركة تحقق أرباحا هائلة من بيعه أو تصديره ، وانما تنتجه الدولة التي تخطط اقتصادها بحيث يؤدي التوسع الزائد في أي ميدان الى التضييق في الميادين الأخرى . وهكذا فان انتاج أسلحة باهظة التكاليف ، في المجتمع الاشتراكي ، لابد أن تُقتطع نفقاته من قوت الناس ومن ملبسهم ومسكنهم وسائر الخدمات التي تقدم اليهم .

هذه حقيقة أساسية ، اذا استوعبناها جيدا أمكننا أن نفهم بوضوح طبيعة الدور الايديولوجي الخطير الذي يؤديه التسلح في عالمنا المعاصر .

فحين نستوعب هذه الحقيقة ، نستطيع أن نعلل ظواهر كثيرة قد تبدو في نظرنا غير مفهومة . فلماذا كانت أهم التجديدات الحاسمة في ميدان التسلح تأتي من جانب المعسكر الرأسمالي ؟

ان التطوير المستمر للأسلحة التقليدية يحدث أولا في البلاد الرأسمالية . والقنبلة الذرية ، ثم الهيدروجينية ، والطائرات الأسرع من الصوت ، كل ذلك بدأت به بلاد رأسمالية . صحيح أن السوفيت كانوا هم الذين افتتحوا عصر الصواريخ ، غير أن التطوير العسكري للصواريخ باستخدامها من أجل شن حروب الفضاء قد تم على أيدي الأمريكيين . وفي أيامنا هذه يحلم رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بنظام جديد يشكل « حائطا » لاصطياد الصواريخ

المعادية قبل وصولها الى أهدافها ـ وهذا النظام الذي سيتكلف مئات البلايين من الدولارات ، والذي لا يضمن أحد فعاليته على الاطلاق ، يعني تصعيدا جديدا في التسلح ، وارتفاعا صاروخيا في ميزانياته .

التصعيد على [illegible]

هذا التطوير المستمر لا يعني فقط مزيدا من الروح العدوانية لدى مبتكريه ، بل انه موجه في الأساس نحو الخصوم ، والهدف الأساسي منه ، في رأيي ، ليس عسكريا ، وانما هو ايديولوجي واقتصادي . فقد أصبح التوازن الدولي يحتم على كل من القوتين العظميين أن تلحق الواحدة بالأخرى في قدراتها العسكرية . وكل تصعيد في مستوى التسلح ونفقاته يعني مزيدا من الارهاق لاقتصاد المعسكر الشرقي ، ويعني اقتطاعا من ضرورات الحياة لدى شعوب هذا المعسكر من أجل هدف أهم : هو أن تكون هذه الدول أو لا تكون ، أعني من أجل الصراع على البقاء ، وهو في عالمنا هذا أهم الصراعات جميعا .

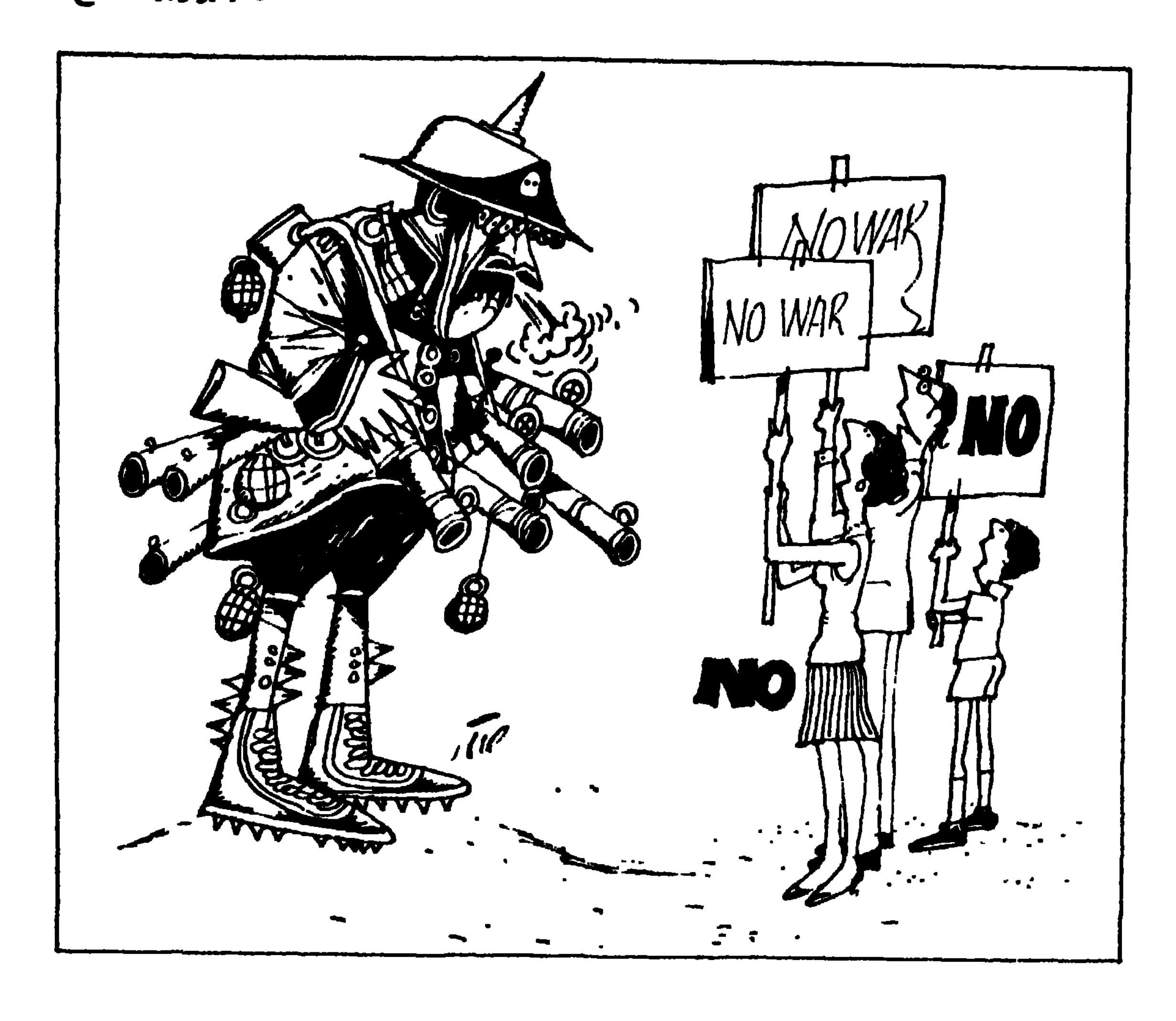
وكما قلت ، فان الاقتصاد الاشتراكي لم تنشأ فكرته اصلا من أجل عالم تسوده منافسات عسكرية وصراعات حياة أو موت ، بل ان مؤسسيه تصوروا قيام تنافس سلمي بين الرأسمالية والاشتراكية ، وبنوا تنبؤاتهم بحتمية انتصار الاشتراكية على أساس فكرة المنافسة السلمية . ومع ذلك فإن الكتّاب حينما يعددون تلك العناصر التي أخفق مؤسسو الاقتصاد الاشتراكي ، مثل كارل ماركس ، في التنبؤ بها ، يغفلون عادة هذا العنصر الذي أصبح يشكل الحقيقة الأساسية في عالمنا المعاصر : أعني قيام النظام الرأسمالي بوضع العالم كله ـ وضمنه المعسكر الآخر ـ أمام أمر واقع يضطر فيه الى تخصيص الجانب الأكبر من موازنته من أجل التسليح . ففي رأيي أن عدم تنبه الى الأساليب الدفاعية ـ الهجومية التي يستطيع بها النظام الرأسمالي أن يطيل حياته ، بل أن يزداد رسوخا على صعيد العالم كله ، هو أهم النقاط التي أخفقت فيها تنبؤات رواد الاشتراكية في القرن الماضي . وبفضل هذه الأساليب استطاع النظام الرأسمالي أن يضع الصراع بينه وبين الاشتراكية في إطار مختلف تماما عما تصوره هؤلاء الرواد .

ولكن الواقع أن التنبؤ بمثل هذه التطورات كان أمرا شبه مستحيل : ذلك لأنها لم تظهر في الأفق الا بعد أن أدرك مفكرو النظام الرأسمالي أن وسيلتهم الوحيدة للصمود في مضمار المنافسة هي أن ينقلوا الصراع الى أرضهم الخاصة ، فيجعلوه صراعا مسلحا بدلا من أن يكون سلميا . وكلما لاحت في الأفق بوادر استرخاء أو هدوء ، أشعلوا نيران أزمة أو نزاع هنا أو هناك ، لكي تظل الحاجة الى التسلح قائمة .

وقد ظهر ذلك أوضح مايكون بعد الحرب العالمية الثانية . فخلال السنوات الأربعين التي انقضت منذ انتهاء هذه الحرب ، طورت أنواع من الأسلحة تفوق بكثير كل ماعرفته البشرية من قبل . وكان ذلك أمرا غريبا بحق ، لأن من المألوف ألا تحدث تطورات سريعة وحاسمة في الأسلحة الا في أوقات الحروب الطويلة . ومع ذلك فقد اتسمت فترة ما بعد الحرب بالجمع بين صفات السلم والحرب معا . وفي الوقت الذي تعتقد فيه معظم شعوب العالم أن هذا التصعيد في التسلح راجع الى خوف كل نظام من أن ينقض عليه الآخر ، واتباعهما سياسة الردع المتبادل ، أي تخويف كل طرف للطرف الآخر حتى لا يبدأ بتوجيه الضربة الأولى اليه ـ يتبين لمن يفكر في الأمر بمزيد من التعمق أن المسألة تنتمي الى ميدان الصراع الأيديولوجي أكثر مما تنتمي الى الميدان العسكري .

[illegible]

المهم في الأمر أن الدعوة إلى الاشتراكية لم تكن ، في أصلها ، تحسب حسابا للأساليب الجديدة ، غير المتوقعة ، التي يبتدعها النظام الرأسمالي لكي يدافع عن نفسه ، ويضعف المعسكر الآخر ، وعلى رأس هذه الأساليب ، التصعيد المستمر للتسلح . وهكذا نشأ موقف جديد ، أصبح فيه التنافس بين المعسكرين مشوها ، يسير في طرق متعرجة شديدة التعقيد ، بدلا من أن يسلك طريق المنافسة السليمة المباشرة . واستطاع المعسكر الرأسمالي بالفعل أن يوقف مسيرة المعسكر الخصم ، بل أن يوسع الهوة المعيشية التي تفصله عنه ، وكل من يزور بلدان المعسكر



الاشتراكي ويقارنها بالبلاد الرأسمالية المتقدمة ، لابد أن يصدمه الفارق الهائل في مستوى المعيشة بين الجانبين ـ هذا مع الاعتراف الكامل بالنجاح الكبير الذي يحرزه المعسكر الاشتراكي في ميادين كالتعليم والعلاج الطبي والاسكان . فالفرد العادي في أي بلد اشتراكي يعيش حياته اليومية في مستوى أدنى بكثير من نظيره في العالم الرأسمالي ، والتطلعات الاستهلاكية تستحوذ عليه استحواذا لا تخطئه العين الفاحصة ، ولا يخفف منه شعوره بأنه أكثر أمانا بكثير ، في عمله ومستقبله وحياته اليومية ، من نظيره في الغرب .

هذا القصور الاستهلاكي الواضح لا يرجع إلا إلى الاستنزاف المتعمد الذي يفرضه النظام الرأسمالي على اقتصاد المعسكر الخصم في ميدان التسلح ، الذي أصبح الآن باهظ التكاليف . بل ان نقص الاستهلاك ، الذي يلاحظه الانسان العادي بسهولة في عالم لم تعد تقوم فيه حواجز بين المجتمعات ذات الأنظمة المختلفة ، هو المسئول عن عدم الاستقرار وعن تلك الثورات التي تشب من آن لآخر في بلاد المعسكر الاشتراكي ، كالمجر وتشكوسلوفاكيا ، وأخيرا بولندا ، ونتيجة لتلك الثورات ، تفرض السلطات مزيدا من القيود ، فيؤدي ذلك الى مزيد من الغضب المكتوم ، وهكذا تستمر الحلقة الجهنمية في تضييق الخناق على هذا المعسكر ، بعد أن نجح المعسكر الرأسمالي في فرضها على خصومه حتى يلعبوا لعبة الصراع بقواعده هو ، وعلى أرضه هو .

خدعة الضربة الأولى

ان التسلح قد أصبح اليوم ، في رأيي ، يؤدي دورا ايديولوجيا أكثر مما يؤدي دورا عسكريا . وكل

جيد جديد من أسلحة الدمار يبتكره العالم الرأسمالي ، ويرغم الآخرين على مواجهته بأسلحة مقابلة ، انما هو وسيلة جديدة يصطنعها هذا العالم لكي يتغلب من جهة على أزماته الداخلية ، من بطالة وكساد . . . الخ ، ولكي يرهق الخصم وينهك قواه من جهة أخرى . وأستطيع أن أقول بكل ثقة ان المسئولين الكبار في بلد مثل أمريكا يعلمون علم اليقين أنهم يخدعون شعبهم حين يقدمون اليه (كما يفعلون في هذه الأيام) فكرة نظام لحرب كونية أو فضائية تقوم فيها صواريخ أو أشعة ليزر أو غيرها من ابتكارات الموت بتدمير الصواريخ المهاجمة لو أراد العدو توجيه « الضربة الأولى » . ذلك لأن عدو الأمريكيين لن يوجه الضربة الأولى ، وهذا أمر يعلمه أصحاب هذه الأفكار الجهنمية أنفسهم عن يقين .

وهذا التأكيد الجازم بأن أحد المعسكرين عدواني ، والآخر لا يريد الحرب ولن يبدأها ، لا يرجع الى أن أحد المعسكرين يتسم بالفضيلة والآخر بالرذيلة ، وانما يرجع ببساطة الى أن طبيعة النظام الاشتراكي تجعله أقدر على المنافسة في حالة السلم منه في حالة الحرب ، ومن ثم فانه يخدم مصالحه على نحو أفضل عن طريق منع الحروب ، لا عن طريق إشعالها ، هذا فضلا عن أن الكوارث الرهيبة التي عانتها الدولة الكبرى في هذا المعسكر ، وهي الاتحاد السوفيتي ، خلال الحرب العالمية الثانية ، تجعلها آخر دولة في العالم تفكر في شن حرب عالمية أخرى .

أما بالنسبة الى بلاد العالم الثالث ، فان التسلح المتصاعد يعني ، ببساطة ، تعطيل خطط التنمية وتخصيص موارد المجتمع لأغراض الموت بدلا من أهداف الحياة . وتؤدي لعبة التحسين الدائم للأسلحة الى أن تظل دول العالم الثالث ـ مهما كان فقرها ـ في حاجة دائمة الى سلاح جديد ، وتصبح أسلحتها القديمة بعد عدد من السنين كتلا معدنية لا نفع فيها ، بعد أن كانت قد اقتطعت في سبيلها من قوتها الضروري ، وجوعت شعوبها أو حرمتهم من ألزم الضرورات [illegible] هكذا تظهر كل يوم طائرات أسرع ، وأشد فتكا [illegible] أطول مدى ، ودبابات أقوى دروعا ، وكل قطعة جديدة تشترى من هذه الأسلحة تعني حرمان بلد هو في الأصل فقير ، من مستشفى أو مدرسة أو مصنع . والحرمان ـ مصحوبا بتصعيد التسلح ـ يؤدي الى زيادة اصطباغ المجتمع بالصبغة الاستبدادية ، مما يعني مزيدا من الارتباط بالدول الموردة للسلاح ، وبذلك يحقق التسلح بدوره في هذه الحالة هدفا أيديولوجيا .

راعي البقر وخصمه

لقد شاهدنا جميعا ، في أفلام رعاة البقر الأمريكية ، منظرا لمواجهة بين مسلحين يقترب كل منهما من الآخر ببطء ويده بقرب زناد مسدسه ، وعرفنا من هذه الأفلام الأمريكية أن حياة الفرد ـ في فترة بناء أمريكا وتوسعها ـ كانت تتوقف على السرعة التي يسحب بها مسدسه . وبوسعي أن أقول ان أمريكا قد استطاعت أن تنقل هذا المنظر بحذافيره الى المستوى الدولي ، فأصبحت المواجهة بين المعسكرين ، أعني بين صواريخ كل منهما المنصوبة في اتجاه الآخر ، صورة طبق الأصل للمواجهة بين راعي البقر وخصمه . بل ان التشبيه يمتد الى ما هو أبعد من ذلك : فكل النزاع الحالي حول صواريخ كروز وبرشنج ، التي نصبتها أمريكا حديثا في أوروبا وتسببت في قطع مباحثات نزع السلاح ، انما يرجع الى أن هذه الصواريخ تعطي الطرف الذي يستخدمها بضع دقائق أسرع من الطرف الآخر ، عندما يرسل صواريخه اليه . انها تعني ، ببساطة ، أن أحد المسلحين اللذين يواجه كل منهما الآخر قد ابتكر طريقة أسرع لمد إصبعه الى الزناد .

ومن المفارقات ذات المغزى ، أن هذا التطور قد أصبح واضحا للعيان في عهد رئيس أمريكي كان حتى عهد ليس بالبعيد متخصصا في تمثيل أدوار رعاة البقر ، وكان بارعا في مشاهد المواجهة وسرعة سحب المسدسات !

ان سباق التسلح ، في رأيي ، ليس ـ كما يعتقد الكثيرون ـ ضرورة تمليها ظروف عالمنا المعاصر ، وليس إجراء وقائيا يستهدف تحقيق الأمن للدول في عالم يسوده الصراع ، وانما هو خطة متعمدة تطبق ببراعة لأهداف أيديولوجية في المحل الأول . انه ببساطة إجراء يرمي الى نقل المواجهة بين

الأيديولوجيات الكبرى في هذا العالم من الميدان السلمي الى الميدان العسكري ، محققا بذلك أهدافا ثلاثة :

١ ـ خدمة الاقتصاد القائم على النشاط الحر ، والذي يحقق أعظم أرباحه ، ويحل كثيرا من مشاكله الداخلية ، عن طريق صناعات الأسلحة .

٢ ـ ارهاق اقتصاد المجتمعات الاشتراكية ، الذي لم يخطط أصلا لمواجهة أعباء عسكرية باهظة ، والذي لا يحقق أفضل نتائجه الا في ظروف المنافسة السلمية . وهذا الارهاق تترتب عليه مشكلات كثيرة ، ويؤدي الى دورة خبيثة من السخط ، الناجم عن الحرمان ، الى القمع الذي يولده السخط ، والذي يؤدي بدوره الى المزيد من الغضب والتذمر ، وهلم جرا . . .

٣ ـ استنزاف موارد البلاد النامية واضاعة فرصتها في تعويض التخلف ، وابقاؤها في حالة اعتماد متزايد على الدول التي تورد السلاح وتبيع الغذاء .

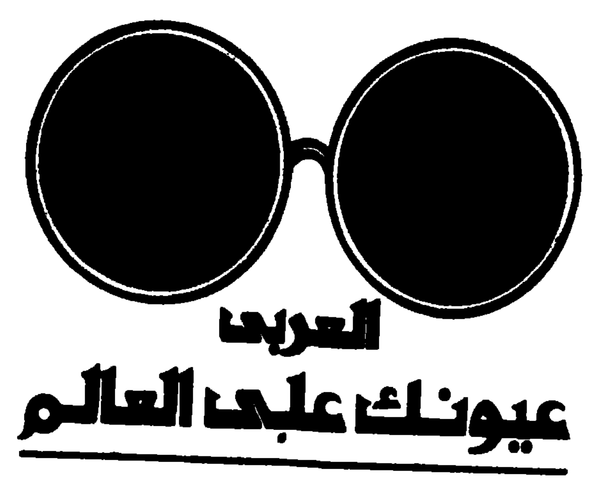
صناعة السلاح وتجارة الموت

هكذا فإننا لسنا على الاطلاق بعيدين عن المعركة ، وانما هي تمس صميم مستقبلنا ومستقبل أبنائنا . واذا كان المخططون الأصليون لعملية تصعيد التسلح يستهدفون في الأساس غايات ايديولوجية ، فانهم في سبيل ذلك يضعون العالم كله ـ وضمنه نحن ـ على فوهة بركان ، ويهددون بقاءنا ذاته في كل لحظة .

فمن وراء مرحنا وضحكنا ولهونا ، هناك عالم لا نحس به ، عالم حقيقي الى أبعد مدى ، هو عالم أولئك الذين يجلسون على مدى الساعات الأربع والعشرين في كل يوم أمام شاشات التليفزيون ولوحات الأزرار المتصلة بمخابىء الصواريخ الهائلة ، يرصدون كل حركة ويرسلون كل لمحة خطر الى قيادات متحفزة ، وينتظرون الاشارة الحمراء ليضغطوا الأزرار التي تطلق جحيم الموت والدمار على العالم كله .

هذه معركة يوجد كل واحد منا في ساحتها ، شأنه شأن أي فرد آخر من أفراد هذا الجنس الذي يسمي نفسه « عاقلا » ، والذي أوشك عقله ، وعلمه ، على أن يبعث به الى الجنون . انها معركة لا معنى لها ، يخططها ببراعة صناع السلاح كيما تنتعش تجارة الموت التي يبيعونها للعالم بأسره ، والتي يحققون بها رخاءهم ، وينهكون بها خصومهم ، ويرغمون بها العالم على الانقياد لهم ، ويضمنون بها صمود ايديولوجيتهم وبقاء أسلوب حياتهم .

انها معركتنا جميعا ، وعلينا أن نتصدى لها بنفس الشجاعة التي يواجهها بها نساء وأطفال وآباء مسالمون في مجتمعات تكشفت لها الحقيقة بكل ما فيها من بشاعة ومرارة . وهي معركة ينبغي ألا ينتصر فيها من يملكون أسلحة الدمار ، بل ينبغي أن يكون النصر النهائي فيها لمن يؤمنون بالانسان . □



صناعة السلاح العربي

استطلاع : منير نصيف   تصوير : طالب الحسيني

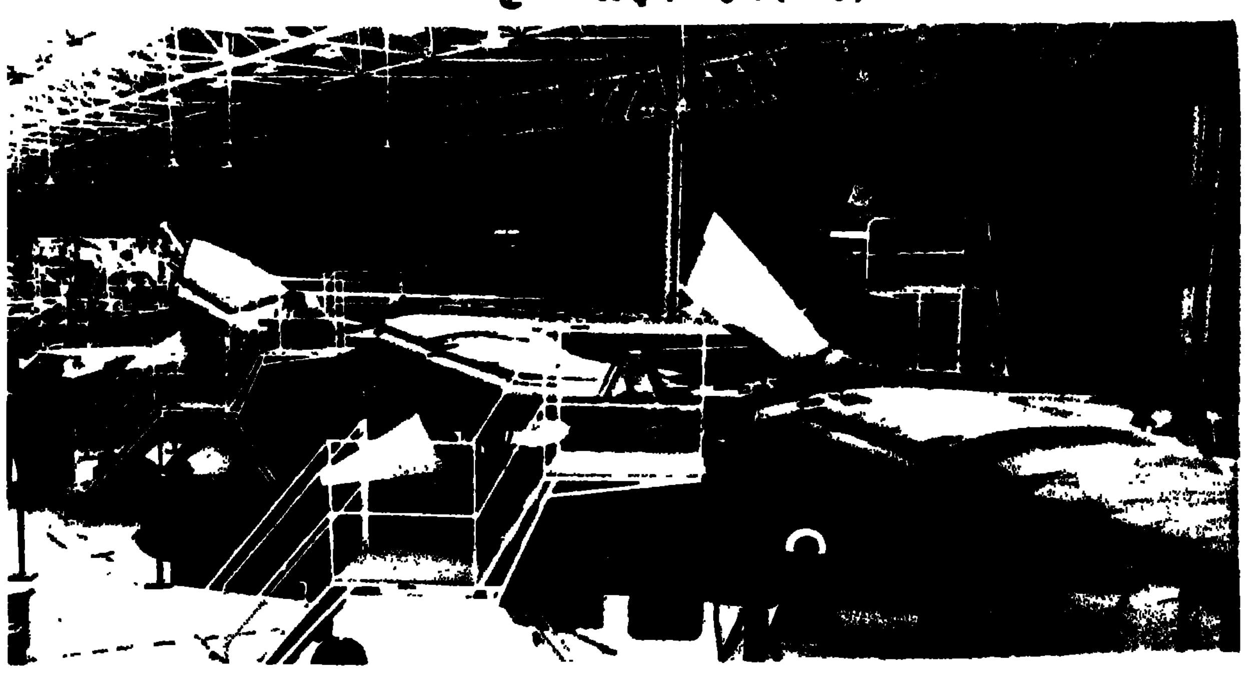
■ (الشعوب . . كل الشعوب تريد السلام . . ليس هناك شعب على هذه الأرض يريد القتال . . يريد أن يقتل ويقتل . . لماذا تنشب الحروب اذن ؟) .

هكذا تساءل كاتب الانجليز هـ.ج. ولز وهو يتحدث عن كتابه الذي تنبأ فيه باختراع الكثير من الأسلحة التي نراها اليوم ، ومن بينها القنبلة الذرية . وكانت أمنيته أن يرحل عن هذا العالم قبل أن يرى أو يسمع عن إنشطار الذرة . . ولكن أمنيته لم تتحقق ، فقد امتد به العمر حتى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . . وعندما نقلوا اليه ما صنعته (قنبلة الفناء) كما - كان يسميها - بأهل هيروشيما وناجازاكي ، بكى ولز حزناً على المصير المعتم الذي ينتظر البشرية . . ومات الكاتب العالم في عام ١٩٤٦ مات وهو يدعو الله من أجل إنقاذ العالم من الهلاك بعد أن عاش الحربين العالميتين ، الأولى والثانية . . وكتب يصف أحزان البشر وآلامهم .

ولكن ولز الذي بدأت رحلته مع الحياة في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وامتدت الى حوالي منتصف القرن العشرين ، لم يستطع أبداً أن يعثر على إجابة مقنعة لتساؤلاته : (لماذا تنشب الحروب . وكل شعوب الأرض ترفضها ؟) .

وكان الرجل ينتع أحياناً بفلسفة الحياة ذاتها منذ أن بدأت الحياة . . أليست هي صراع من أجل البقاء) .

الطائرة « ألفا جيت » من أحدث طائرات التدريب ، وهي أيضاً طائرة قتالية متطورة (فوق) الطائرة مكتملة ، (وتحت) مجموعة منها في ورشة الانتاج .





المهندس الدكتور جمال السيد وزير الانتاج الحربي «السلام بلا قوة يعني الاستسلام»

رسالة الى الأمة العربية

.. قفزت الى رأسي هذه الخواطر ، ونحن نختتم رحلتنا بين مصانع السلاح في جمهورية مصر العربية .. وكنا على موعد مع الرجل المسئول عن تصنيع السلاح في مصر . وزير الانتاج الحربي المهندس الدكتور جمال السيد ..

قلت : لقد كانت لنا جولة سريعة في مصانع إنتاج الأسلحة في مصر رأينا من خلالها مدى التقدم الذي حققته هذه الصناعة . ترى ما هي الرسالة التي يمكن أن تنقلها (العربي) الى الأمة العربية من خلال سياسة التصنيع الحربي ؟) .

قال الوزير : مصر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية .. ولا بد أن يكون تفكيرنا ـ ونحن نمضي في تصنيع السلاح وفي كل ما يتعلق بمستقبلنا ومصيرنا ـ نابعا من هذا الواقع .. ان معدات الدفاع تخضع لسيطرة وسياسة الدولة لأنها معدات استراتيجية .. ومن الصعب على أية دولة أن توفر كل شيء تحتاج اليه للدفاع من صهبا وترابها ، ولعلنا نجد في التعاون الأوروبي مثلا يحتذى ، فهناك تعاون قائم بين دول أوروبا الرئيسية الثلاث ، ألمانيا وبريطانيا وفرنسا . وفي رأيي أن مثل هذا التعاون لا بد أن يكون قائماً بين الأخوة العرب ، حتى نستطيع أن نصل الى كل ما نحتاج اليه من سلاح للدفاع عن أمتنا ، بفضل التكامل والتعاون بين العرب .

قلت : صناعة السلاح .. هل هي سبيلنا الوحيد لتحقيق الأمن القومي ؟

وقال الوزير : الأمن القومي يشمل الأمن الغذائي والأمن السياسي والأمن العسكري .. ان هناك حاجتين أساسيتين تندرجان في مقدمة الموضوعات الاستراتيجية .. أولهما : الغذاء ، ثم معدات الدفاع .. وهذان العاملان يتحكمان في اتخاذ القرار .. انهما في واقع الأمر منبع القرار لأية دولة .

السلاح والغـــــذاء

ولعل هذا هو نفس المعنى الذي ذهب اليه جورج واشنطون محرر أمريكا ، وقد كان فلاحاً انجليزيا هاجر الى العالم الجديد وقاد حرب التحرير ضد المستعمر الانجليزي .. لقد قال يومها : « لا أريد أن أرى أحد جنودي يحمل السلاح وحده .. أريد أن أرى في يده الأخرى (كوز الذرة) ، فلا بد أن يكون ممتلىء المعدة حتى يستطيع أن يستمر في القتال » .

وفي (رائعة) تولستوي (حرب وسلام) نجده يتحدث عن الأرض فيقول : « لقد كانت حانية ، فقد مضت تقدم لنا ما نحتاج اليه من غذاء رغم الحرائق التي أحدثتها قذائف المدافع التي كان يطلقها نابليون في ريف روسيا ومدنها .. لقد هزم الجوع جيش نابليون ، أما جنودنا فقد كان الغذاء دائماً ينتظرهم في نهاية يوم القتال اللانهائي » .

ومضى وزير الانتاج الحربي يكمل حديثه : « الشعب العربي ، شعب يريد أن يعيش في سلام ، ! ولكن السلام بلا قوة يصبح استسلاماً .. فهو سلام غير مستقر وغير حقيقي .. أما السلام الحقيقي فهو السلام الذي يعتمد على القوة ، وعلى القدرة في الدفاع عن الأرض .. وهذا هو ما نهدف اليه .. اننا نتطلع الى اليوم الذي يتحقق فيه التكامل بين العرب ، فنرى مثلاً دبابة نصنع ، نحن هنا في مصر جزء منها ، بينما يُصنع جزء آخر في بلد عربي ثان ، وجزء ثالث في العراق أو السعودية وهكذا .. »

رحلــة خاطفــة

ونعود الى بداية رحلتنا مع صناعة السلاح في مصر ، وقد كانت رحلة خاطفة بدأناها من حيث كان لا بد أن تبدأ مع الرجل الأول الذي يحمل مسؤولية الدفاع عن الأرض العربية في مصر ـ المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة ـ الذي أصدر تعليماته بفتح أبواب المصانع الحربية لمجلة العربي .. مجلة كل عربي . فكما أن السلاح المصري لكل العرب ، كذلك «العربي» لكل عربي ..

ومع النور الأخضر الذي أضيء أمامنا ، انطلقنا في سيارة خاصة بعد ظهر يوم امتلأ بالدفء الذي تحمله قلوب الرجال المشرفين والعاملين في انتاج معدات الدفاع عن تراب الأرض العربية الطيبة .. وكانت وجهتنا شركة ابي زعبل للصناعات الهندسية ، قاعدة الصناعات الحربية الثقيلة ..

هناك في منطقة نائية عند أطراف القاهرة ، وفوق رمال الصحراء الساخنة التي راحت تتوارى شيئاً فشيئاً أمام اللون الأخضر .. لون الحياة ، بعد قيام هذا الحزام الطويل من الأشجار العالية الوارفة لتخفف من قيظ الحر في موسم الصيف . هناك قامت مصانع إنتاج المدافع الثقيلة من عيار ٢٠٣ مم وطول ثمانية أمتار من مواسير المدافع بمختلف أنواعها ..

مدينــة المدافع

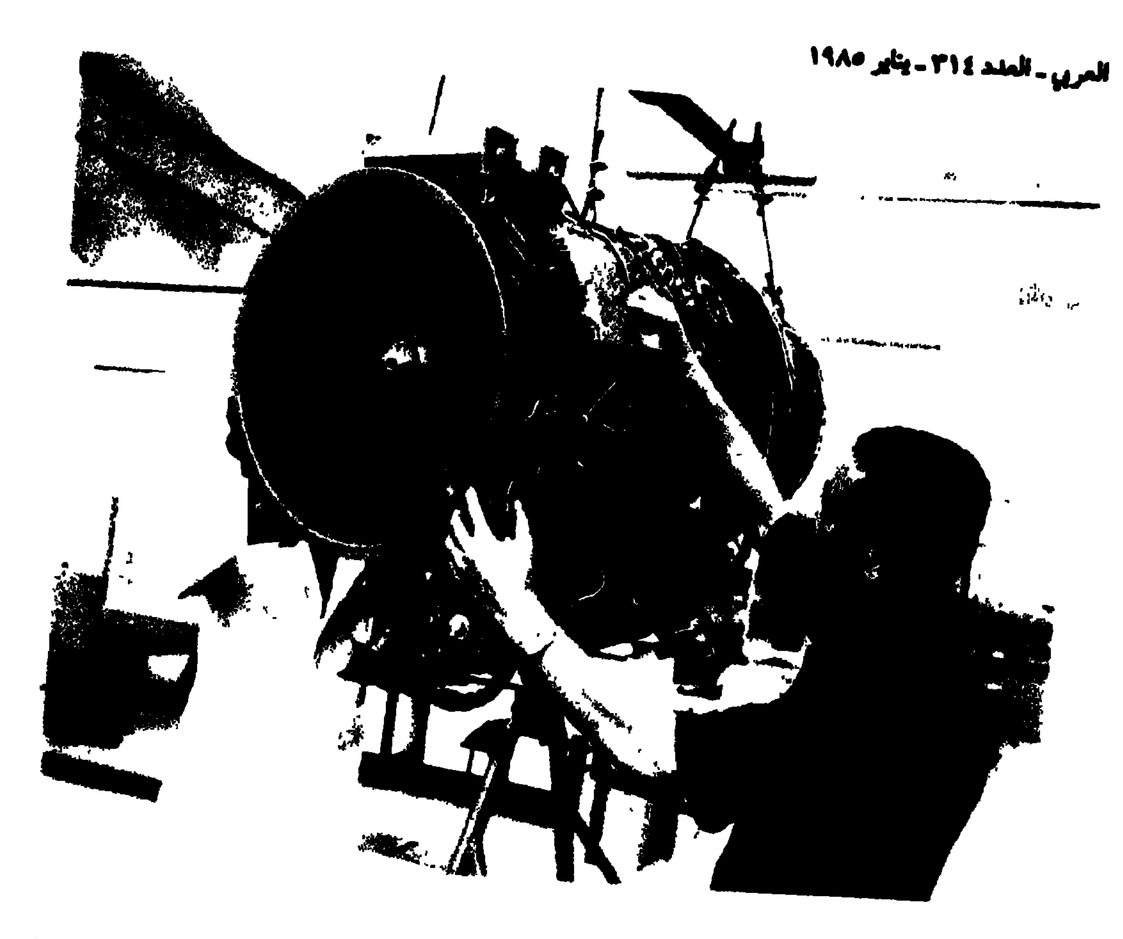
مدينة كبيرة تحتل مساحة من الأرض تزيد على مئة وعشرين الف متر مربع (حوالي ٢٨ فدان) ، شيدها المقاولون العرب وزودت بأحدث المعدات ، لانتاج ما تحتاج اليه القوات المسلحة من الأسلحة الثقيلة وقطع غيارها ، وتحقيق التكامل في التصنيع بين انتاج السلاح وذخيرته ، وبهذا التكامل تتحقق الظروف المواتية للتصدير الى الأسواق الخارجية . وقد بدأ التصدير بالفعل الى الدول الشقيقة والصديقة ، التي تدافع عن أرضها وسيادتها ..

وأمضينا بضع ساعات نسجل صورة سير العمل ومراحله في مصانع الشركة .. عشرات المعدات التي يعمل عليها أكثر من الفي عامل ومهندس لقطع وتشغيل وتشكيل ولحام المعادن وقياسها واختبارها .. عمل مستمر لا يهدأ . ثم كان لنا لقاء في نهاية جولتنا مع المهندس جلال الدين حمزة رئيس مجلس الادارة ، وكان يستعد للذهاب الى الحفل الذي أقيم لتسلم كأس الانتاج والتفوق ، الذي فازت به الشركة تقديرا لجهودها ، قال : « سندفع من عرقنا وجهدنا وأموالنا مهما كان الثمن من أجل تأمين السلاح .. نحن لا نريد أن يتحكم أحد في أقدارنا ومصائرنا .. انما نتطلع الى اليوم الذي يتم فيه توحيد السلاح وتوحيد العقيدة العسكرية ، فنرى السلاح الواحد .. نفس السلاح في يد كل العرب ، وهذا لا يتأتى قبل أن تتحقق وحدة الصف العربي .. نحن لا نصنع السلاح من أجل الحرب ، ولكننا نصنع السلاح من أجل السلام .. من أجل صد أي اعتداء على أرضنا وسيادتنا ... » .

وترك المهندس جلال حمزة مكتبه ، ومشى أمامنا ، ومشينا معه ، ثم رفع يده مشيراً الى مساحة كبيرة من الأرض الفضاء في قلب الصحراء وقال : « هنا في هذا المكان سوف تقام المدينة السكنية الجديدة للمهندسين والعمال وأسرهم ، وسوف يتضاعف عدد العمال في المصنع الى أربعة آلاف عامل عندما تكتمل العمالة بعد التوسعات التي ستتم في المستقبل باذن الله ... » .

ومضى يقول : « إن امكانيات التصنيع الثقيل بالشركة تسهم بلا شك في إرساء قاعدة راسخة للصناعات الحربية الثقيلة يمكن الانطلاق منها لاقامة صناعة العربات المدرعة على مراحل ، بحيث نبدأ بالعربات الخفيفة وننتهي بالمدرعات الثقيلة ، وحتى لو فصلت هذه الصناعة الجديدة عن الشركة مستقبلاً ، فسوف نظل نسهم بقسط وافر في تدبير مكوناتها .. إن انتاج الأسلحة الثقيلة يتطلب معدات ذات نوعية خاصة ودقة عالية ، وتتم مراقبة جودة الإنتاج خلال العمليات الانتاجية ومراحل التجميع عن طريق اتباع أساليب خاصة لضمان دقة الأبعاد وجودة التشغيل ، كما تجري عليها في النهاية اختبارات الرماية للتأكد من صلاحيتها للاستخدام) .

ومع الغروب كانت رحلة العودة الى المدينة . والاستعداد ليوم جديد مع السلاح العربي ..



(فوق) محرك الطائرة النفاث ، وهي مزودة بمحركين يتم تصنيع أكثر من ٣٠ في المائة منها محلياً .

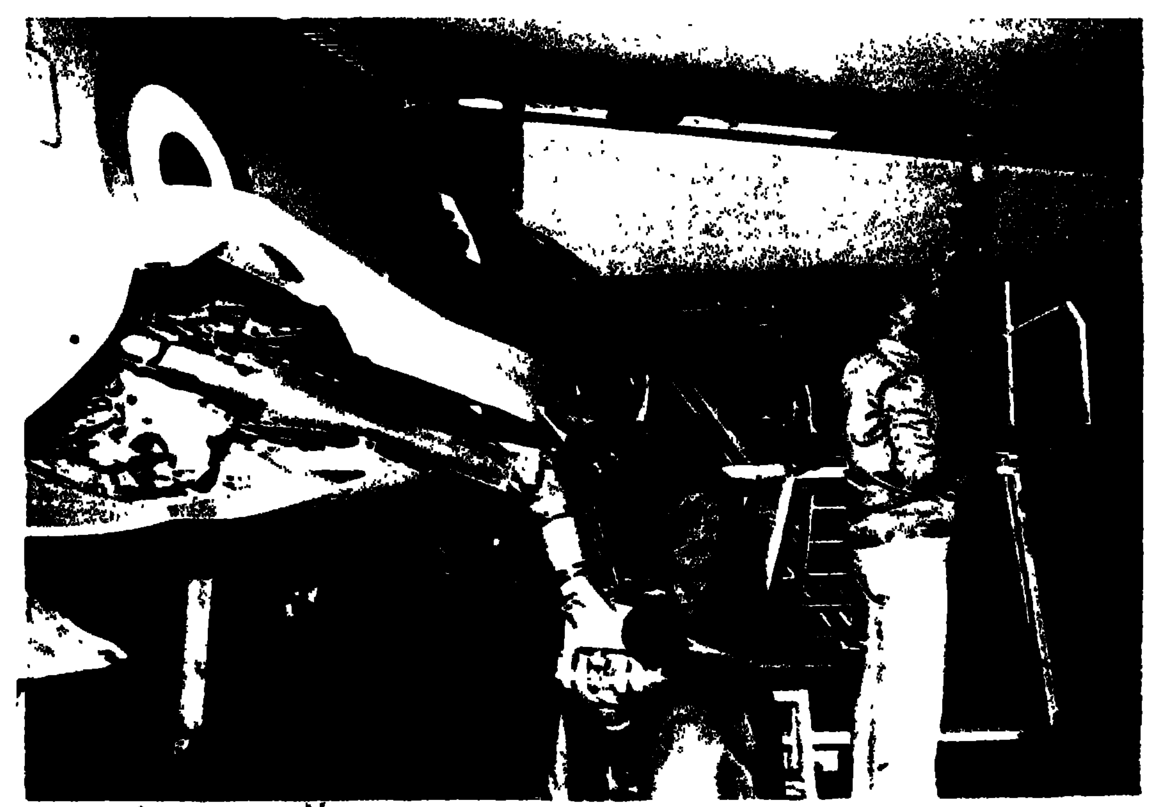
الى اليمين ذيل الطائرة الهليكوبتر « جازيل » في ورشة التجميع وقد بدأ انتاجها في العام الماضي .

الى اليسار « فوق » بعض أجزاء جسم الطائرة جازيل في مرحلة تجميعها توطئة لعملية تجميع أكبر حتى تكتمل الطائرة .

الى اليسار « تحت » عملية تركيب أحد محركي الطائرة النفاثة ألفا جيت في ورشة التجميع .







الهيئة العربيــــة للتصنيع

كان موعدنا في صباح اليوم التالي مع الهيئة العربية للتصنيـع .. الهيئـة التي قـامت في عـام ١٩٧٥ في أعقاب حرب أكتوبر بعامين تقريباً بـرأسمال قـدره ١٠٤٠ مليــون دولار أمـريكي ، وكــان الغــرض الأساسي من قيامها ، هو إرساء قاعدة صناعية تكفل إقامة وانماء وتطوير الصناعـات المتقدمـة .. وتركـز نشاط الهيئة الأساسي في مجال تخصصات متعددة ، من بينهـا الطائـرات بأنـواعها ، وتشمـل طـائـرات التدريب وطائرات الهليكوبـتر ، وكذلـك محركـات الطائرات وما تتطلبه من عمليات الصيانة والاصلاح والعمران لمختلف أنواعها ، ثم القذائف الصاروخية غير الموجهة ، ونظم الصواريخ الموجهة ، والمعدات الأرضية والأجهزة الالكترونية الخاصة بهـا ، وأيضاً الألكتـرونـات الخـاصـة بالطــائــرات ، وأجهـزة الألكترونيـات المستخـدمـة في صفـوف القـوات المسلحة ، مثل سـلاح الاشارة والعـربات المـدرعة والمركبات الجيب وغيرها .

وفي قاعة الاجتماعات بالمبنى الكبير الأنيق الذي تشغله ادارة الهيئـة العربيـة للتصنيع ، ومن خـلال شاشة التلفزيون ، كان لقاؤنا الأول بأحـدث انتاج لمصانع الطائرات المصرية ، التي تمتد خبرة العاملين فيها الى ثلاثين عاماً مضت .. انها طائرات التدريب المتقدمة الفرنسية ألفا جيت ALFA JET، بعد أن تم التعاقد مع شركة مارسيل داسو وشركة سنيكما الفرنسيتين لانتاج الهيكل والمحرك في مصر ، ثم يعاد تسليم الطائرات المنتجة الى شركـة داسو التي تقـوم بدورها باعادة تسليمها الى القوات الجـوية المصـرية وفقاً للمواصفات العالمية

في مصنــــع الطائـــرات

وبدأت جولتنا في مصنع الطائرات . هناك كان لقاؤنا على الطبيعة بمختلف مراحل الانتاج .. انتاج الأجزاء الخاصة بجسم الطائرة ومحركـاتها المعـائنة وهي ليست مجرد تجميع فحسب ، ولكنها أيضاً ، وهذا هو الأهم ، عملية تصنيع لأكثر من ثلث أجزاء الطائرة



صواريخ القصف المساحي للمدفعية . وتنطلق من قاذف متعدد ذاتي الحركة . في مجموعات تصل الى ٤٠ صاروخا بأقل من عشرين ثانية

ويقول المهندس أحمد إحسان هيبـة رئيس مجلس ادارة مصنع الطائرات : (لقد حصل المصنع بالفعل عـلى اعتماد جهـات الرقـابة الحكـومية للتفتيش في فرنسا ، على أساس أننـا نقوم هنـا بكل العمليـات الخاصة بالتصنيع والتجميع لهذه الطائرات . ومعنى هـذا خضوع المصنـع شأنـه شـأن أي مصنـع آخـر للطائرات في فرنسا ، للرقابة الخاصة بتلك الجهات في كل الأوقات ، وهذا من شأنه بطبيعة الحال أن يبعث الثقة الكاملة في منتجات المصنع ، عـلى أساس أنها تطابق تماماً ما تنتجه مصانع الطائرات في فرنسا » .

ـ ما هي مميزات الطائرة الألفا جيت ؟

ـ ان هذه الطائرة الحديثة التي تصل سرعتها الى ألف كيلومـتر في السـاعـة ، وتستطيـع أن تحلق الى ارتفاع يصل الى ٤٥ ألف قدم عن سطح البحـر ، قادرة على الطيران لمدة ثلاث ساعات ونصف في الارتفـاعات العـالية ، وأقـل من ذلـك بسـاعـة في الارتفاعات المنخفضة .



ثم هي ليست طائرة تدريب فحسب ، وانما أيضاً طائرة مقاتلة يمكن تزويدها بمدفع وقنابل وأجهزة دقيقة ، لتحديد مسافة الأهداف ، وبفضل استخدام أشعة الليزر

تسع وحدات انتاجيـــة

لقد بلغ عدد الوحدات الانتاجية للهيئة العربية للتصنيع تسع وحدات ، من بينها خمس وحدات تملكها الهيئة ملكية كاملة ، ثم أربع شركات انشئت على أساس المشاركة بين الهيئة وبعض الشركات الأجنبية المتخصصة في المجالات المختلفة ، وهي تشمل مصنعاً للطائرات ومصنعاً للمحركات ثم مصنع صقر ومصنع قادر ، وقد خصصا للصناعات المتطورة ، الى جانب مصنع الألكترونيات ، وأخيراً ثلاث شركات عربية بريطانية للطائرات الهليكوبتر والمحركات والصناعات الديناميكية ، وشركة عربية أمريكية للسيارات .

وكانت جولتنا التالية في الشركة العربية البريطانية لطائرات الهليكوبتر ، وقد أنشئت في شهر فبراير من عام ١٩٧٨ ، بهدف قيام صناعة الهليكوبتر في مصر ، وليس مجرد تجميع أجزاء الطائرة فحسب .

العربـــة المدرعة فهـــد

أتاح تصميم العربة بالصورة التي تم بها الانتاج مزايا متعددة ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

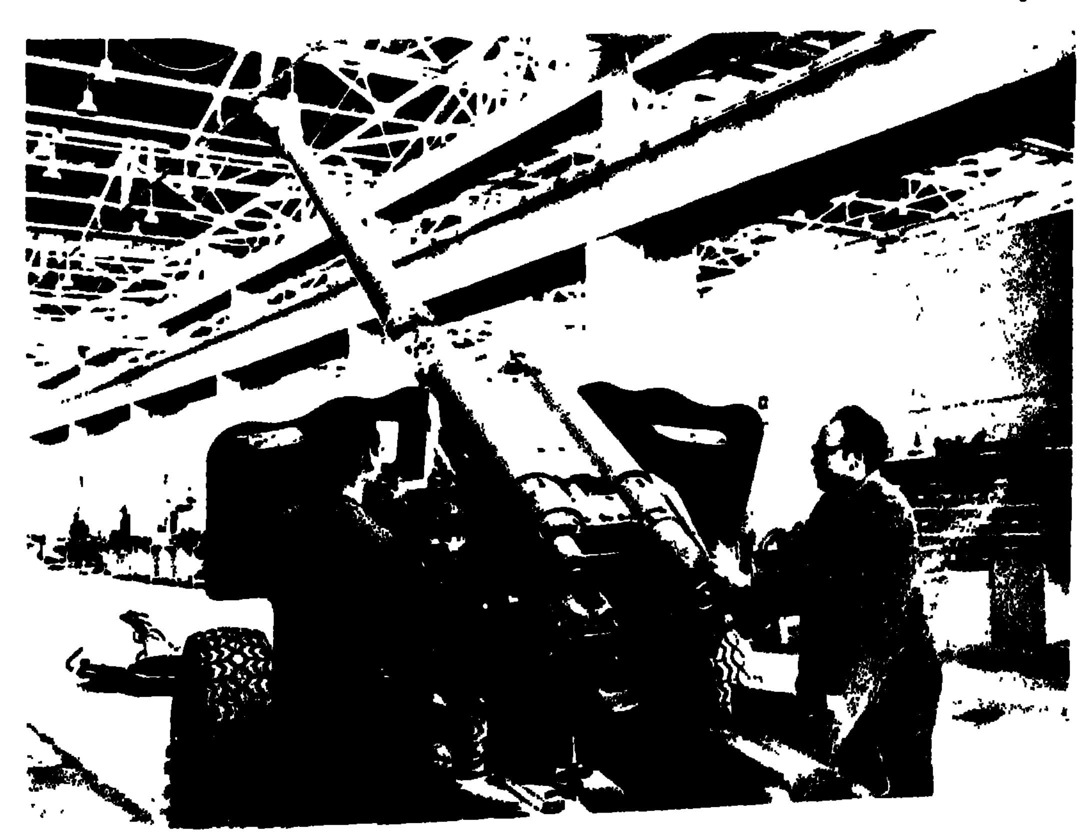
القدرة على عبور كافة أنواع الأراضي الصعبة ، واجتياز الموانع ، والسير السهل عبر الأراضي الرملية ذات الكثبان المتحركة والمنهارة ، وكذلك في كافة الأجواء الحارة والمتربة .

وتتيح تكنولوجيا اللحام الحديثة المستخدمة بالمصنع انتاج العربة من الصلب المدرع بالطرق التي تحقق المحافظة على مستوى عال من الحماية ، بصورة منتظمة في جميع أجزاء العربة ومواضع اللحام بها .

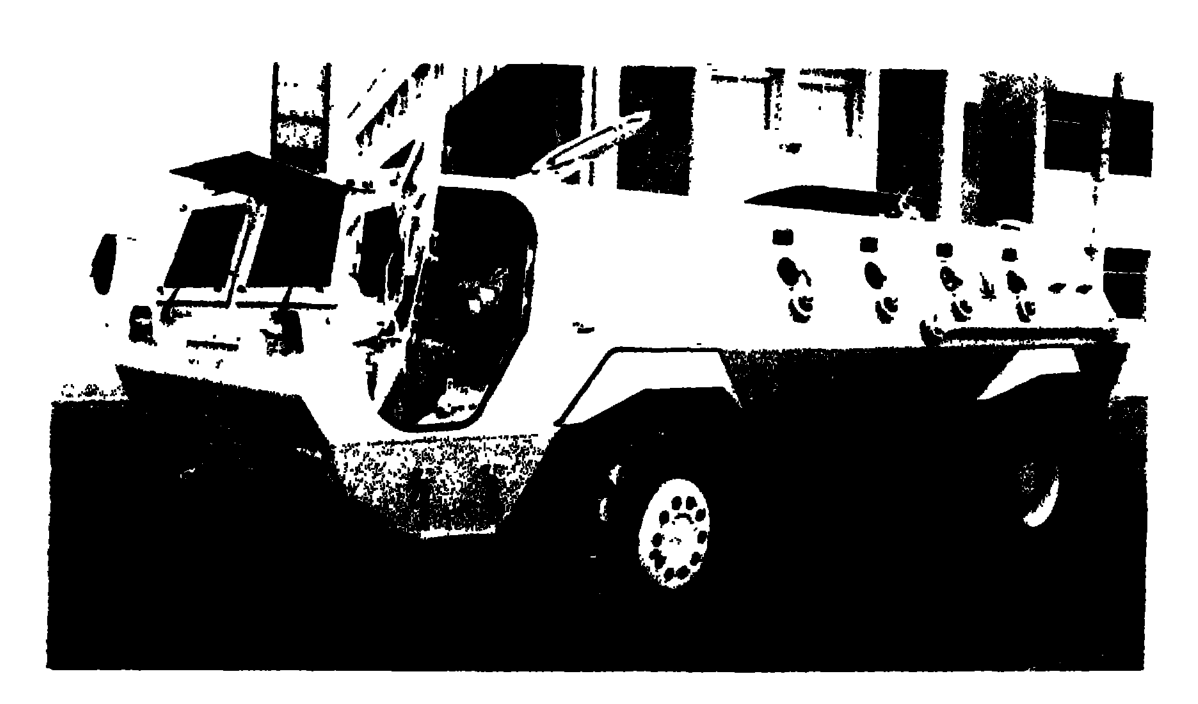
لقد قامت الشركة نتيجة للتعاون بين الحكومات المصرية والبريطانية والفرنسية ، ونصت العقود المبرمة بين الجانبين المصري والأجنبي على شراء طائرات الهليكوبتر من طراز (جازيل) ، على أن تعهد شركة ايروسبسيال الفرنسية الى مصانع الهيئة العربية للتصنيع ببعض خطوات انتاج هذه الطائرة والقيام بعمليات التجميع والاختبارات الأرضية والجوية للطائرات الجازيل بمصانعها في مصر .



« فوق » تجارب إختبار داخل كابين الطائرة « جازيل » الهليكوبتر . « تحت » مدفع ميدان بدأ انتاجه منذ عام ، ومداه حوالي الثلاثين كيلومتراً .







العربة المدرعة « فهد » وهي من أحدث ما تنتجه الهيئة العربية للتصنيع ، والصورة العليا للعربة من الداخل والثانية من الخارج .

الصواريخ المضيئة

ويصل مداها الى حوالي خمسة كيلومترات ، وقوة إضاءتها تزيد عن مليون شمعة

ويضم المصنع العديد من الورش الحديثة والمعامل الخاصة باختبارات الفحص والأداء ، التي يتم إجراؤها على كافة انتاج المصنع لضمان جودتها العالية ، كما يدعم نشاط المصنع وجود فريق متكامل من الباحثين المتخصصين في مجال بحوث وتطوير وانتاج نظم الصواريخ المختلفة

انهـــا البدايـــة فقط

ولهذه الطائرة الصغيرة الحديثة عدة استخدامات ، فهي تقوم بمهام القيادة الطائرة ، ومهام الكوماندو ـ والمراقبة الجوية ، وادارة نيران المدفعية ، وتنقلات كبار الشخصيات والاسعاف الطائر ، واخلاء الجرحى ، والقتال ضد الدبابات ، وأخيراً الاستطلاع الجوي بجميع أنواعه ، ويمكن تزويدها بمدافع وصواريخ لأغراض الدفاع ، وهي تنطلق بسرعة ٣١٠ كيلومترات في الساعة ، ويمكن أن تصل الى ارتفاع ستة آلاف متر (١٨ ألف قدم) فوق سطح البحر .

هل انتهينا من الحديث عن الطائرات ومصانعها ؟ .. يقول رئيس مجلس الادارة : « انها البداية فقط وقد بدأنا ، وسيكون لدينا الكثير من المشروعات الأخرى لانتاج طائرات جديدة باذن الله » .

وتدث [illegible] حديث وزير الانتاج الحربي المهندس جمال السيد [illegible] للقائه . لقد قال : (ان صناعة الطائ[illegible] الى صناعات مغذية FEEDI[illegible] INDUSTRIES من العديد من الشركات في مختلف [illegible] العالم ومصر تقوم الآن [illegible] العديد من هذه الصناعات المغذية » .

ما هي الصناعات المغذية ؟

ما معنى هذا الكلام ؟

قال لنا أحد المهندسين المسؤولين في مصنع الطائرات : (من خلال ممارستنا لعمليات التصنيع للطائرات استطعنا أن نتعرف على الاحتياجات الأساسية لهذه الصناعة ، ولنأخذ الطائرة ألفا جيت كمثال ملموس . حيث أنها تمثل أقصى مراحل التطور في هذه الصناعة . وقد قمنا بعمل حصر لمكونات هذه الطائرة والشركات التي تقوم بتوريد هذه المكونات ، فوجدنا أن هناك حوالي أربة وأربعين شركة متخصصة تشارك بصورة مباشرة في توريد مكونات هيكل الطائرة . فالعجلة السفلى للطائرة مثلاً تشارك في انتاجها أكثر من خمس عشرة شركة أخرى .

ولو أننا اتبعنا نفس الخط لحصر الشركات المشاركة في انتاج المحرك ، وكذلك الشركات التي تسهم في انتاج معدات التسليح الأخرى كالمدافع والصواريخ وأجهزة الاستشعار من البعد ، لوجدنا أن عددها قد يصل الى أكثر من أربعمائة شركة متخصصة ، كلها تقوم بما نسميه (الصناعات المغذية) ومن هنا نجد أن الامكانيات المطلوب توفرها لانشاء صناعة للطائرات على أسس متينة تفوق قدرات أية دولة عربية مهما

كانت امكاناتها . حتى لو اجتمعت امكانيات الدول العربية جميعاً لارساء قواعد هذه الصناعة ، فلن يمكننا الوصول الى النتائج المرجوة في أقل من ثلاثين عاماً !

ما الجدوى من ارهاق أنفسنا في عمل لاطاقة لنا به ؟ ويجيب المهندس المسؤول على التساؤل الذي طرحه هو : (انه الشعور بضرورة الاعتماد على النفس في انتاج هذه الصناعات الاستراتيجية ، واذا توفرت الادارة المخلصة في قيام مثل هذه الصناعات المتطورة ، فلا بد أن تكون على مستوى الصعيد العربي كله ، لأن متطلباتها ، كما ذكرنا تفوق إمكانيات أية دولة على حدة) .

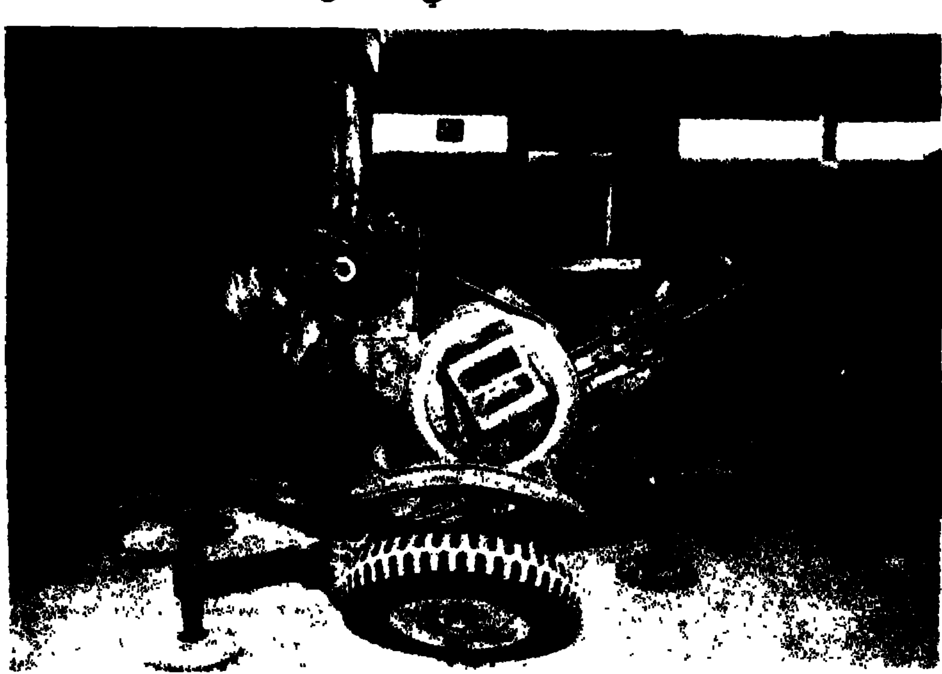
في مصنع الصواريخ

قال لنا مرافقنا ونحن نتجول بين أقسام مصنع صقر للصناعات المتطورة أو (الصواريخ) ، قال : (ان من يرى سير العمل في الوحدات الانتاجية يتصور أن الحرب ستنشب غداً .. ولكننا ننتج السلاح من أجل الدفاع ، ولو أن النتيجة في النهاية واحدة . فالحرب تفرض على الشعوب فرضاً .. فليس هناك شعب يريد الحرب .. ولكن منذ أن عرفت الحروب كوسيلة لحل الخلافات بين القطاعات البشرية ، تحاول كل جهة مقاتلة ايجاد قوة ضاربة داخل قوتها تمكنها من كسب المعركة وفرض سيطرتها على الجهة المعادية ، ومن أجل هذا كان لا بد من التوصل الى وسيلة أو سلاح لمقاومة القوة المعادية والحد من فعاليتها . وقديماً كان سلاح الفرسان يمثل هذه القوة الضاربة لما كان يتمتع به من قدرة على الاقتحام ، وسرعة الوصول الى عمق خطوط العدو ..

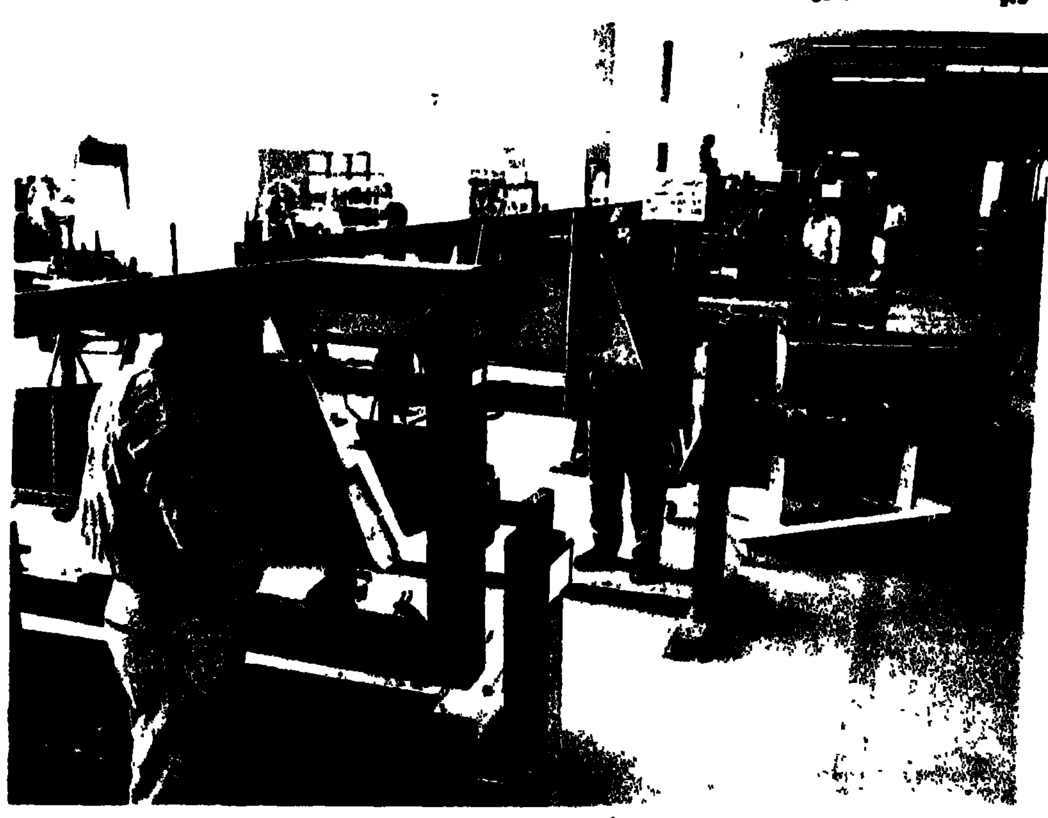
« وقديماً أيضاً استخدموا النبال والسهام كسلاح لحماية المشاة والذود عنهم في صد الهجمات القوية لسلاح الفرسان .. ثم تطورت العلوم العسكرية وتحول سلاح الفرسان الى ما أصبح يعرف حديثاً بسلاح المدرعات بدباباته وقلاعه الضاربة المتحركة .. وتصاعدت أهمية الدور الذي تقوم به دبابات القتال منذ نشوب الحرب العالمية الثانية ، وأصبح لدبابة القتال الدور الرئيسي في كسب المعارك البرية ، وستظل تحتفظ بهذا الدور في المستقبل أياً كان نوع الحرب التي تخوضها أية أمة من الأمم » .

الدبابة العدو الأول

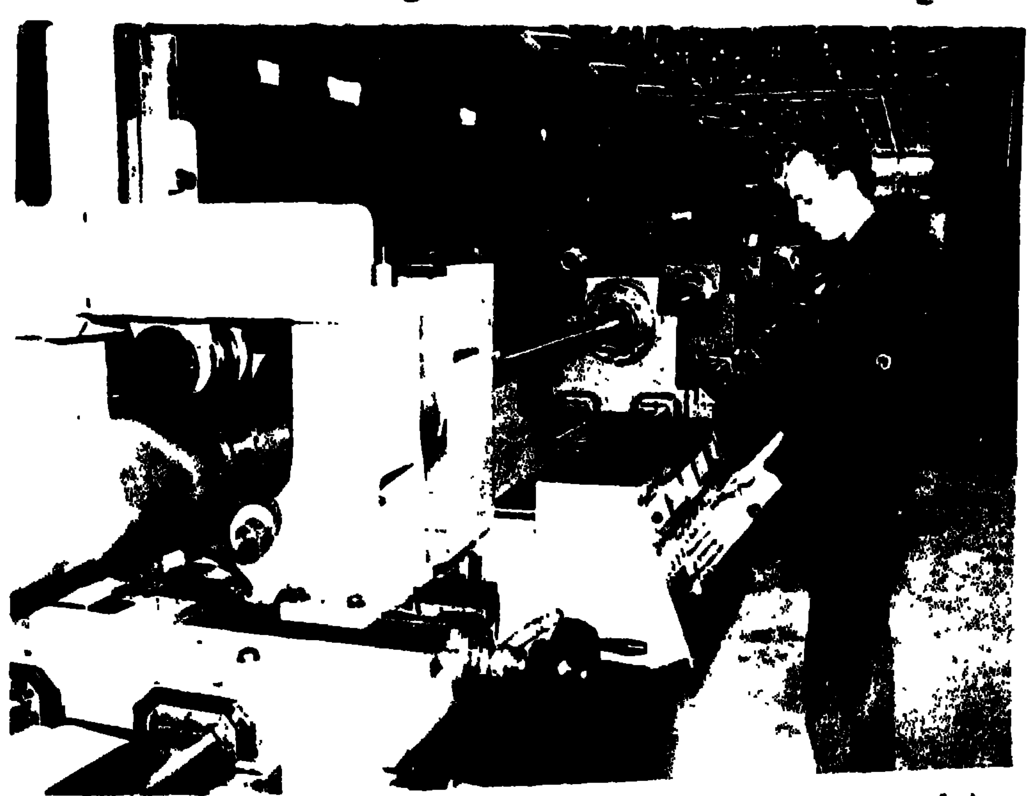
« ومضى يقول : وهكذا أصبحت دبابة القتال العدو الأول لسلاح المشاة في ميدان القتال .. ومن هنا بدأ الاهتمام بتزويد الجندي بالوسائل الدفاعية الخاصة التي تمكنه من النضال بفعالية ضد مدرعات



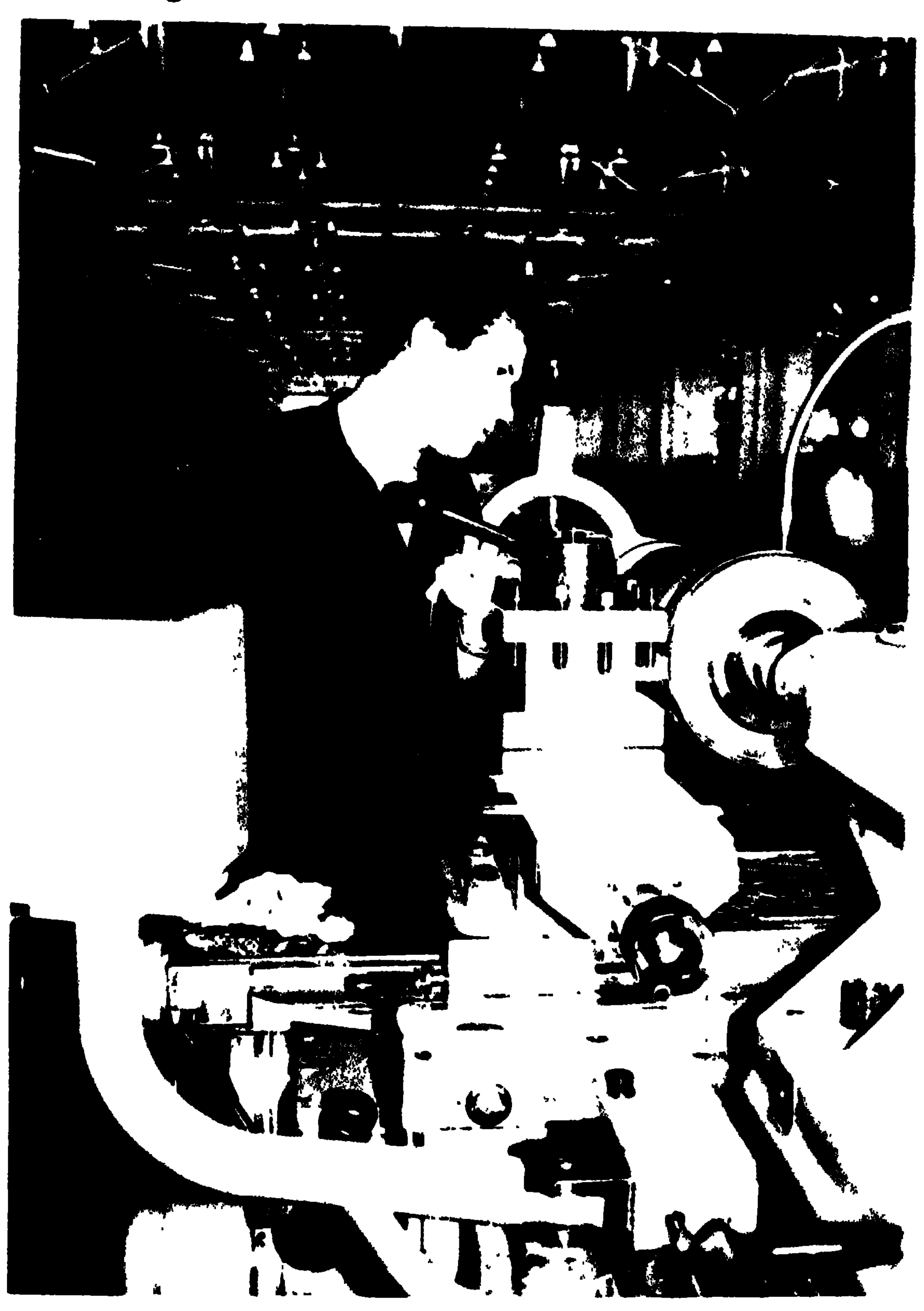
المدفع (٢٣) مليمتر ثنائي ، وهو من أحدث المدافع المضادة للطائرات ، ومداه كيلو مترين .



ورشة تصنيع أجنحة الطائرة « ألفا جيت » تمهيداً لنقلها الى ورشة التجميع .



ورشة صناعة مواسير المدافع من مختلف الأحجام في شركة أبو زعبل للصناعات الهندسية ، قاعدة الصناعات الحربية الثقيلة



صورة أخرى في ورشة تصنيع مواسير المدافع لماكينة تشغيل حلقة الترباس التي تعمل بالكومبيوتر .

أسلحة أخرى تنتجها الهيئة العربية للتصنيع (مصنع صقر للصناعات المتطورة)

تخصص المصنع في تصميم وتطوير انتاج الصواريخ منذ فترة تزيد على ثلاثين عاماً ، ويغطي انتاجه احتياجات القوات المسلحة والأقطار العربية . .

ويمكن تقسيم ذلك تحت النوعيات التالية :

● الأسلحة المضادة للدبابات : ينتج المصنع الصاروخ (آر.بي.جي.) منذ عام ٧١ ، وهو صاروخ خارق للدروع ، يطلق من الكتف ، ويصل مداه الى حوالي ٥٠٠ متر .

● الصواريخ الموجهة المضادة للطيران المنخفض : ينتج المصنع الصاروخ (عين صقر) المضاد للطيران المنخفض ، ويعمل بتوجيه الأشعة تحت الحمراء ، ويطلق من الكتف

ويستخدم أحدث التكنولوجيا العالمية .

● صواريخ المدفعية : ينتج المصنع مجموعة من صواريخ القصف المساحي ، ذات الرؤوس الحربية المتنوعة الشديدة الانفجار ، والمضادة للدبابات أو الأفراد ، ومنها ما يلي :

ـ الصاروخ الفا ب ـ ومداه (٨) ثمانية كيلومترات .

ـ الصاروخ ١٢٢ مم ـ ومداه (٢٠) عشرون كيلومتراً

ـ الصاروخ صقر ٣٠ ـ ومداه (٣٠) ثلاثون كيلومتراً

وتطلق هذه الصواريخ من فوق عربات خاصة بها

● صواريخ توليد الستائر الدخانية : وتستخدم لتعمية نقاط المراقبة المعادية ، أو لتغطية مناورات القوات الصديقة في الالتفاف ، وتستمر الستارة الدخانية حوالي ١٥ دقيقة على مسافة عريضة على الجبهة

● صواريخ الأهداف الطائرة (رمح) : وتستخدم لتدريب أطقم الدفاع الجوي على إصابة الأهداف الطائرة

العدو على اختلاف ثقلها ومنحه قدرة ذاتية كاملة تغنيه أحياناً عن دعم مدرعات الجيش الذي ينتمي اليه ويحارب في صفوفه » .

« ونتيجة لذلك ، فقد أعربت جميع دوائر الأركان العامة في مختلف الجيوش عن حاجتها لحيازة أنواع من وسائل النضال ضد المدرعات ، تكون أسلحة في حوزة جنود المشاة بحيث تستجيب لخصائص واحتياجات رئيسية في مقدمتها طاقة فعالة لتدمير الدبابات مهما اختلفت قوة تدريعها ووزنها ، ومدى إصابتها المؤثرة للاشتباك عن بعد ، وكذلك مدى أدنى للاشتباك عن قرب داخل « المنطقة الميتة » للدبابة . .

خفة وزن هذه الأسلحة وصغر حجمها أمران ضروريان بحيث تكون سريعة وسهلة التنقل ، وبحيث يسهل إخفاؤها عن مرمى أجهزة المراقبة والتعقب ، ثم السرعة في الاستخدام حتى تكون معدة للأداء في مختلف أنواع الأرض وحقول القتال ، وأخيراً سهولة التدريب عليها وصيانتها »

الصواريـــــخ

وقد أمكن بالفعل التوصل الى انتاج أنواع من الأسلحة الصاروخية المضادة للدبابات ، تلبية لهذه الاحتياجات وهي تنقسم الى فرعين أساسيين : الأول (صواريخ غير موجهة) وهي غير مزودة بأي نظام للتوجيه أثناء الطيران ، وتعتمد في دقة إصابتها للهدف على كفاءة الرامي ، وعلى دقة أجهزة التصويب المتاحة في نظام الاطلاق المستخدم ، كما أن التصميم الهيكلي لهذه الصواريخ يكسبها الاتزان أثناء الطيران ، مما يقلل من انحرافها عن المسار المطلوب ، وهي تنقسم الى ثلاثة أنواع رئيسية ، صواريخ قصيرة المدى حتى مائتي متر ، وصواريخ متوسطة المدى من مائتي متر حتى خمسمائة متر ، وصواريخ بعيدة المدى أي أكثر من خمسمائة متر .

أما الفرع الثاني ، فهو الصواريخ الموجهة ، وهي مزودة بنظام توجيه أثناء الطيران ، وكذلك نظام للتصويب أثناء الاطلاق حتى يتم وضعها في نطاق الهدف المطلوب إصابته . أما دقة إصابة هذه



العربة جيب بتصميماتها الخمسة . وتقوم بانتاجها الشركة العربية الأمريكية للعربات . وتقوم الشركة العربية بانتاج حوالي ـ ٤٠٪ من أجزائها محليا

الصواريخ للهدف فهي تعتمد في الدرجة الأولى على نوعية نظام التوجيه المتبع وكفاءته .

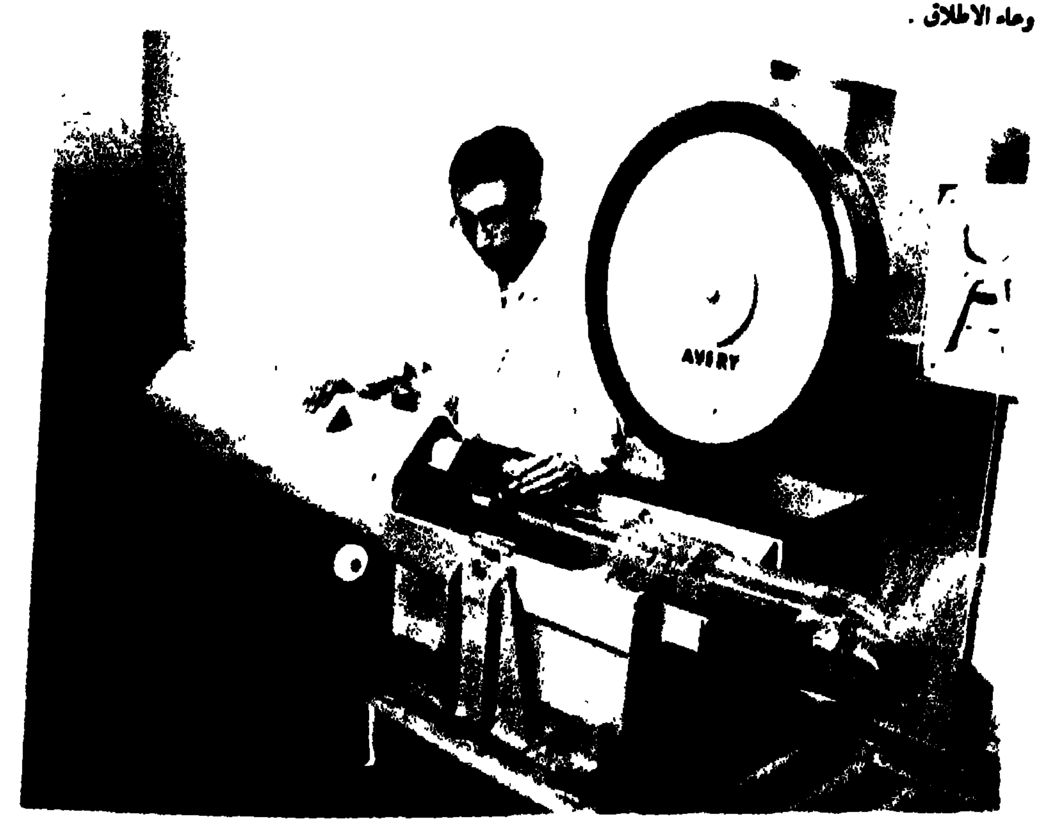
ولكل من الصواريخ غير الموجهة والصواريخ الموجهة ميزات وعيوب ، فالأولى تتميز ببساطتها وسهولة استخدامها وعدم حاجتها الى إعداد خاص قبل الاطلاق ، وقد أدى هذا بالتالي الى قلة تكاليفها ورخص ثمنها ، ولكن يعاب عليها بطبيعة الحال صغر مدى الاصابة المؤثرة وعدم وجود نظام توجيه . أما الصواريخ الموجهة فتتميز بدقة عالية في إصابة الهدف ، كما أن وجود نظام للتوجيه أتاح لها مدى استخدام بعيد يصل ـ كما ذكرنا ـ الى خمسة آلاف متر ، أي خمسة كيلومترات ، الأمر الذي يؤدي الى امكانية الاشتباك عن بعد ، تمهيداً لعمليات الاقتحام . وقد أدى كل هذا الى أن تستخدم فيها أجهزة ذات تقنية عالية ومتطورة للغاية ، مما يسبب ارتفاع تكاليفها وغلو ثمنها .

سلاح فعال

ومن الأسلحة التي كان لها دور فعال في حرب أكتوبر السلاح آر . بي . جي . V المضاد للدبابات وقد شهدنا عملية تصنيعه وانتاجه في مصنع صقر للصناعات المتطورة ، بحق انتاج من الاتحاد السوفيتي ، وهو يتميز بخصائص استطاعت أن تجعل منه سلاحاً فعالاً في أيدي جنود المشاة في مختلف الظروف ، وتباين مواقع القتال ، سواء كانت أراضي الاشتباك وعرة أو منبسطة ، أو مناطق غابات أو داخل المدن ، فهو خفيف يزيد وزنه قليلاً عن ستة كيلوجرامات ، ويبلغ طوله الكلي ٩٥ سنتيمتراً وعياره ٤٠ مليمتراً . وفي البداية كانت مجموعة استخدام هذا السلاح تتكون من فريقين أحدهما الرامي ، أي حامل السلاح القاذف ، والثاني حامل

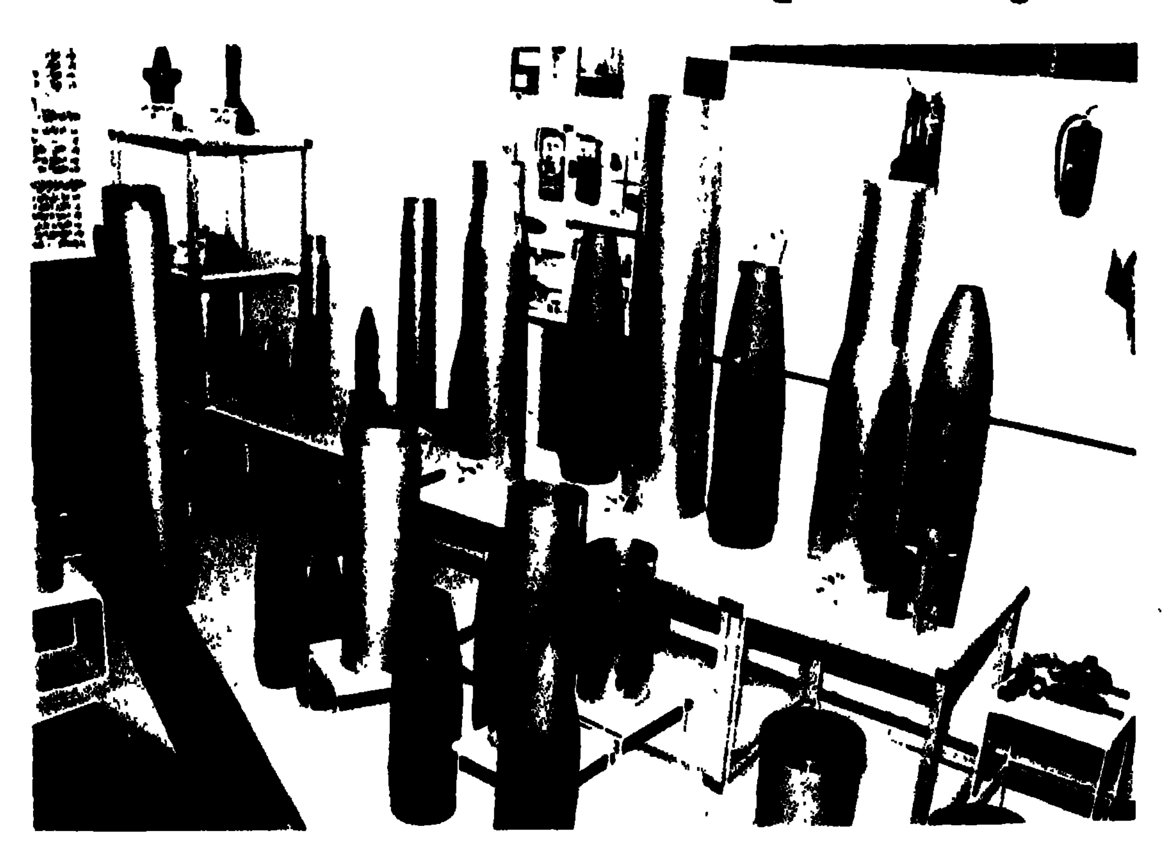


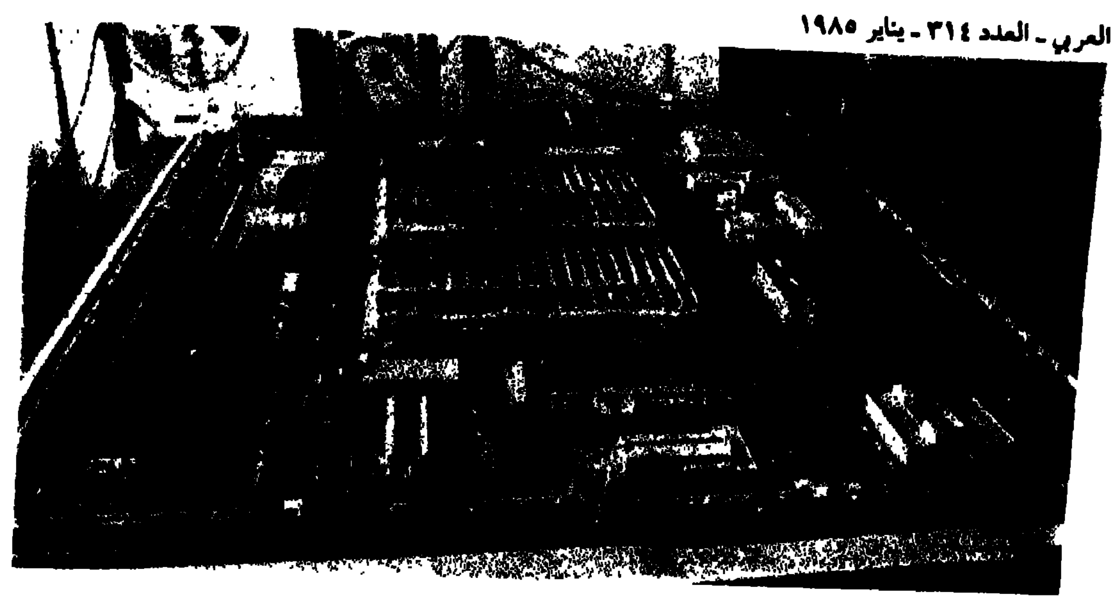
في معمل الالكترونيات الخاصة بالصواريخ التي ينتجها مصنع صقر للصناعات المتطورة بمختلف أنواعها . . هناك وجدنا المرأة تعمل في هذه الصناعة الدقيقة « وتحت » صورة لأحد الصواريخ أثناء عملية وزنه والتفتيش عليه تمهيداً لادخاله في وعاء الاطلاق .





مجموعة من السيارات العسكرية التي ينتجها مصنع السيارات ، وكلها معدة للتسليم للقوات المسلحة ، وتحت صورة لبعض أنواع القذائف الخاصة بالمدافع الثقيلة والخفيفة .





ماكيت مصانع شركة ابو زعبل للصناعات الهندسية قاعدة الصناعات الحربية الثقيلة . ويشمل المباني الخاصة بالورش والمدينة السكنية المزمع إقامتها للعاملين بالشركة ، وأسرهم كمجتمع صناعي متكامل

الذخيرة . ولكن طريقة التعبئة ما لبثت أن أتاحت الفرصة لكي يتمكن فرد واحد من استخدامه ، فهو الرامي وحامل الذخيرة في نفس الوقت . ويستطيع الرامي أن يتخذ أحد أوضاع الضرب ، سواء كانت رقوداً أو قعوداً أو ارتكازاً تبعاً لظروف الاشتباك . .

من أجـــل كـــل العـــــرب

قال مرافقنا يحدثنا ونحن نقترب من نهاية جولتنا في مصنع صقر مع الغروب : « أمامنا الأن مصنع السيارات ثم مصنع الألكترونيات ، وفي هذا المصنع الأخير شاهدنا المرأة المصرية تعمل في هذه الصناعة الدقيقة . . ثم قال مرافقنا : ولكنكم لم تروا كل شيء بعد . . انكم في حاجة الى اسبوعين على الأقل ، لا بضعة أيام ، حتى تستطيعوا القيام بعملية مسح سريع لما وصلت اليه صناعة السلاح في مصر . . اننا فخورون بما حققنا من تقدم في هذه الصناعة . فالسلاح العربي في النهاية هو للعرب ومن أجل العرب . . كل العرب .

وفي المعرض الدولي للسلاح الذي أقيم في شهر نوفمبر الماضي ، في أعقاب زيارة (العربي) السريعة لمصانع السلاح في مصر ، تأكد هذا المعنى الذي ذهب اليه صاحبنا ، وهو يحدثنا عن صناعة السلاح في مصر من أجل كل العرب . . لقد شاركت في المعرض تسع عشرة دولة ، من بينها الأردن والعراق والصومال . . وشاهد المدعوون أحدث ما توصلت اليه شركات صناعة السلاح في العالم ، وكانت ١٧٧ شركة .

ثم مـــاذا ؟

لقد فجرت صناعة السلاح في مصر طاقات وامكانيات هائلة ، تبشر بمستقبل مشرق في مجال الاعتماد على النفس للدفاع عن أرضنا وسيادتنا . □

●

في مقـ ... قبل التاريخ كان الصراع بين الانسان والوحش في الغابة وتغيرت الدنيا وخرج الانسان من كهفه وهجر حياة التر ... بحثا عن غذائه في الحيوانات التي كان يطاردها ويقتلها ويتعدى على لحمها وبدأ يرتبط بالأرض بعد أن اكتشف ما ... حولها من غذاء ولكن صراعه من أجل البقاء لم يتوقف . لقد بدأ يأخذ أبعادا جديدة ، فقد وجد نفسه . بالرغم ... يقف مدافعا عن أرضه عن مصدر غذائه الجديد الذي أعطاه كل جهده وعمره . . وفي هذه المرة ... يكن صراعه ... (الوحش) الذي تركه في الغابة ، ورحل بعيدا عنه ، وانما كان مع الانسان نفسه !



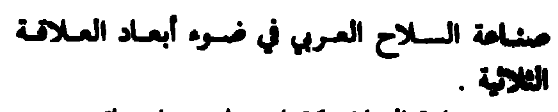
اعداد : محمود عبدالوهاب

(نخطىء كثيرا لو تصورنا أن قيام صناعة سلاح عربية هو مجرد قرار فني ، يعتمد على توافر امكانيات تقنية فقط ، فالأمر أعمق من ذلك فهو قرار يتعلق بسياسة الدول واستراتيجيتها) .

هناك عبارة شهيرة لمؤلف عظيم لا تزال صادقة حتى اليوم . . . العبارة للمؤلف العسكري الشهير (فون كلاوس فيتز) قالها في كتابه (عن الحرب) هي : (السياسة هي التي تسبب الحرب ، وتمثل السياسة العقل المفكر ، والحرب هي مجرد أداة لها ، وليس العكس بصحيح ، والسبيل الوحيد الممكن في الحرب هو اخضاع وجهة النظر العسكرية لوجهة النظر السياسية) . ورغم أن كلاوس فيتز قالها منذ زمن الا أنها ماتزال حتى اليوم صحيحة تماما ، فالحرب قرار سياسي . وبالتالي فأدوات الحرب وأشكالها قرار سياسي ، ومع تقدم وتعقد شكل الدولة وتعقد المصالح ، وتطور علم العلاقات الدولية لم تعد الحرب فقط هي التي يقررها الساسة ، بل صارت أشياء كثيرة مثل التنمية مثلا ، فتحديد تنمية من وعلى حساب من وكيف ؟ ليس قرارا فنيا بقدر ما هو رؤية سياسية للمجتمع وطبقاته وظروفه . وصناعة السلاح أيضا ليست قرارا فنيا بقدر ما هي قرار سياسي بالدرجة الاولى يتعلق بسياسة الدولة واستراتيجيتها وعلاقاتها الدولية وفي نفس الوقت فان صناعة السلاح هي واحدة من أعقد صناعات التكنولوجيا وبالتالي فانه لا يمكن أن تنشأ صناعة متقدمة في مجتمع لا يساير ذات درجة التقدم ، العلاقة الثالثة في قضية صناعة السلاح هي الانسان الذي يقوم بالتصنيع .

حول هذه المحاور الثلاثة تحدث للعربي د. جورج طعمة استاذ العلوم السياسية والدبلوماسي العربي الشهير والذي قضى في العمل الدبلوماسي والسياسي زهاء ثلاثين عاما . . . سألناه تحديدا عن مستقبل





صناعة السلاح العربي في ضوء أبعاد العلاقة الثلاثية .

● صناعة السلاح كقرار سياسي واستراتيجي .

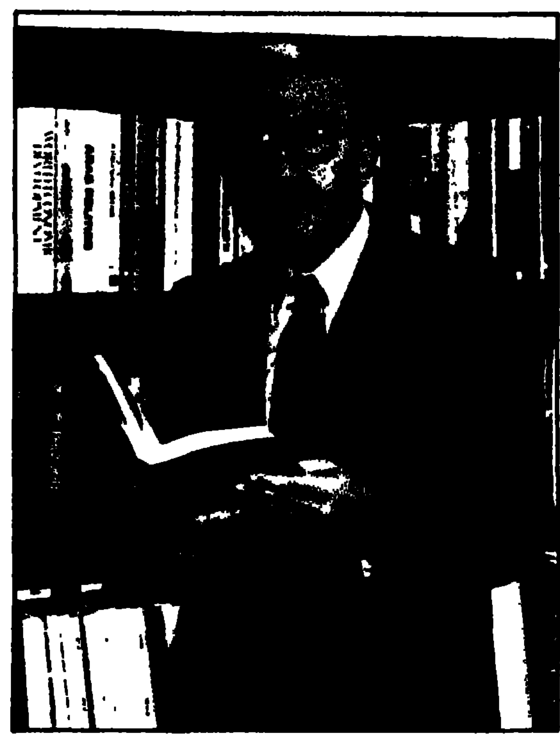
● صناعة السلاح صناعة متقدمة ، فهل من الممكن أن تنشأ في مجتمع لا يسايرها في ذات درجة التطور ؟

● الانسان العربي الذي هو ابن لبيئته ومجتمعه ودوره في هذه الصناعة .

يقول د. جورج طعمة :

اذا اقتصرنا على الناحية الاستراتيجية في تصنيع الاسلحة وما يترتب عليها من نتائج مستقبلية فالبديهي أن أي تصنيع نستطيع القيام به وتحقيقه والاستغناء به عن موارد أجنبية مهما كانت قطعة السلاح التي نصنعها فهي خطوة لازمة وضرورية . ولن أخوض في تفاصيل ما نصنع ، فتقني عسكري فقط يستطيع أن يجيب بدقة عن هذا السؤال ، وثمة بديهية أخرى أيضا وهي أنه في أي استراتيجية شاملة لا سيما اذا كنا نجابه ـ كما هو الأمر في الواقع ـ أعداء على حدودنا يصبح تصنيع السلاح ليس واجبا قوميا فحسب ، وانما في مرتبة واحدة مع الغذاء . لا نستطيع أن نجد بديلا له ، والدليل أن أجزاء كبيرة من بلادنا في الوطن العربي وقعت تحت الاحتلال الأجنبي ونحن بحاجة على الاقل لان نوقف هذا العدوان المتربص بنا على معظم حدودنا .

ثمة ناحية أخرى أذكرها وأذكر بها وهي أن أعداءنا لن يفسحوا لنا المجال لتصنيع السلاح كما نريد ، ولنتذكر فقط أنه عندما بدأ الرئيس جمال عبدالناصر في انتاج أسلحة أثارت خصومنا وأعداءنا فقد حاولوا المستحيل لاحباط هذه الخطوة الجبارة في تاريخنا الحديث ، ويقيني أننا سنلقى مقاومة شرسة عندما يجد أعداءنا أننا ـ حقا نستطيع ـ أو نحن على الطريق نستطيع أن نقف على أقدامنا في هذا المضمار ، ولكن حديث تصنيع السلاح وأبعاده لا يمكن فعلا القاء نظرة ناقدة تحليلية عليها الا اذا وضعت في اطار ما نشير اليه في السؤال ، وهو استراتيجيته الشاملة ، ومن هنا فانني أقول ومنعاً لأي التباس أو سوء فهم انني أضع قضية تصنيع السلاح حربيا على قدم المساواة مع انتاج الغذاء أو مع أي انتاج لازم ضروري .



د. جورج طعمه.

وهذا يضعنا رأسا ـ وجها لوجه ـ في مجابهة العقبات الرهيبة التي يجب أن نكون متنبهين اليها .

أولاً : في اطار الاستراتيجية الشاملة لا نستطيع أن ننسى أي سلاح آخر في أيدينا لكي يدعم السلاح الذي نصنعه وهنا أتوقف عند نقطتين : الأولى سلاح النفط مثلا لانه سلاح لا يقل أهمية عن أي سلاح آخر ، لماذا يوجد فائض نفطي في العالم الآن بحيث أصبح العرض أكثر من الطلب ، وبحيث أصبح منتجو النفط تحت ارادة المستهلكين ؟ وعكس هذا هو الامر الذي يجب أن يكون ، ثانيا : الغذاء ولنراجع رقميا مقدار ما وصل اليه استيرادنا وأنا أفكر بالوطن العربي ككل . . . فاستيرادنا من المواد الغذائية كالقمح مثلا أصبح يقاس بمليارات الدولارات في حين أن الأقطار العربية لو استثمرت مواردها الزراعية لأمكن أن تكون مصدرة للقمح وغيره من المواد الغذائية .

ثالثا : المال العربي لا أزال أذكر والألم يحز في نفسي أن مدينة نيويورك حين أفلست فعلا عام ١٩٧٤ فقد كانت الأموال العربية هي التي أنقذتها وأستطيع أن أدلك على مصادر غربية بالذات ذكرت هذا الأمر مثل

(توني سامسون) في كتابه « مقرصو المال »

هل نستطيع في هذه الحال وعندما نأخذ هذه الأبعاد بعين الاعتبار أن نفصل بين قضية تصنيع السلاح وبين ما لدينا من امكانيات أخرى كسلاح النفط والغذاء والمال . هذه عناصر في تكوين أي أمة لا يمكن فصلها بعضها عن بعض كما لا يمكن فصل أعضاء الجسم الواحد كعضوية واحدة متكاملة .

وانتهى من هذا القسم من الاجابة بالاشارة الى أنه في الأقطار العربيه وبالذات السودان وموريتانيا واليمن الشمالي واليمن الجنوبي والصومال وجيبوتي وحتى مصر تقع ضمن البلاد التي تعاني من مشكلة زيادة متسارعة في عدد السكان وقلة في الموارد مما يجعل شعوبها أكثر مظلومة من الشعب العربي تجاه خطر الأزمات الاقتصادية الخانقة نتيجة لمشكلة تفجر السكان . ولكن فوق جميع الاعتبارات المتقدمة التي لم أذكر الا خطوطها الكبرى دون التوغل في التفاصيل هناك الانسان العربي والمجتمع العربي وعلاقة العرب بالعرب .

فالانسان العربي الذي سوف ينتج السلاح ويستعمله هو انسان معذب مضطهد مغترب في أرضه ووطنه .

الانسان العربي أولا وأخيرا هو الضمانة الوحيدة لأي تصنيع نريد أن نقوم به سلاحا كان أو غيره ، لانه هو الذي سوف يصنع هذا السلاح ويستعمله ، ومن حيث الامكانية فلدى الانسان العربي المقدرة على أن يكون انسانا متميزا ، أنا لست فقط أؤكد ذلك بل أحارب وأكافح من أجل ذلك ، وأتطلع لانسان عربي متحرر من الخوف والاضطهاد،ولكن الذين يقولون هذا القول ويقصدون به هم مغتربون في ديارهم وبلادهم أو مشردون خارج بلادهم . ومن هنا فإنني أرى أن ندرس بعلمية وموضوعية كيان الانسان كمواطن وكفرد ازاء أنظمة الحكم التي يعيش في ظلها .

ثانيا : المجتمع العربي وأنا أنظر الى ذلك فقط في اطار معادلة تصنيع السلاح ، والسؤال الذي يطرح فورا وبصورة مباشرة هو علاقات المجتمعات العربية كدول وكحكومات مع بعضها مع البعض ولا أطني ات بالشيء الجديد اذا توقفت وشددت على الألم العميق الذي يحز الآن في نفس كل مواطن عربي صادق حيثما كان ، من التجزئة والتفرقة التي وصلت الى حد العداء والتقاتل والتحارب ، بين نظام عربي ونظام عربي آخر .

ولا أتردد أن أقول اننا في علاقتنا بعضنا مع بعض تجاوزنا في هذه العلاقات ما تفعله بنا الصهيونية وهي عدونا الأول .

فيما يتعلق بمحاربة العربي للعربي لابد أن نذكر بحس واقعي وروح موضوعية أن ما يلاقيه العربي من أخيه العربي هو أشد أذى وايلاما مما يلاقيه هذا الانسان العربي المنكوب من أي عدو خارجي ، أنا أعرف فعلا بالتفصيل وبالحقيقة واللحظة التاريخية مواطنين عربا بذلوا دماءهم فعلا ودون أي ثمن في خدمة قضايا بلادهم ثم وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام أعدائهم وبالذات أولئك الناس الذين بذلوا دماءهم من أجل خدمتهم وفي المحط الأخير . أليس هذا هو الانسان العربي في واقعه الأليم والذي علينا بداية العمل على تحريره .

نأتي أخيراً الى تقنية القرار السياسي والنظرة المستقبلية وكلتاهما أمران متلازمان فالقرار السياسي لا يمكن بأي شكل إلا أن يكون حصيلة أكاد أن أقول رياضية حسابية لمجموعة العوامل التي ذكرناها ، فاذا وجدنا في أحد شقي المعادلة الرياضية خللا ما لكانت النتيجة بالضرورة ستنتهي الى خلل وفشل . وقد استعملت كلمة حسابية رياضية لأننا فعلا لو استبدلنا بالعوامل المثبطة ما يجب أن تكون عليه العوامل التي هي في مقدورنا لكانت النتيجة مبشرة ومطمئنة ، لانه علميا في حيز الامكان ـ وباستقلال كامل طاقات الانسان العربي ـ أن يكون المجتمع العربي قويا وخلاقا ومبدعا . لذا لا نستطيع أن نسقط من حساب أي استراتيجية شاملة أو أي نظرة مستقبلية عوامل العقل والارادة والتبصر في المستقبل،لانه ما لم نضع هذه العوامل الفكرية الخلقية العقائدية في موضعها الصحيح،وفي أي حساب لاستراتيجية كبيرة شاملة فان صناعة السلاح وحدها لن تكفي . مالم يسبقها ويتوازن معها بناء وتحرير الانسان العربي .

العرب والسلاح :

انتهى رأي الدكتور جورج طعمة فماذا يقول الواقع العربي ؟

هناك حقيقة لا يختلف عليها أحد أن الجغرافيا تصنع التاريخ ، ولقد ساهمت جغرافية الوطن العربي في أن تضعه في قلب حركة التاريخ كله ، وبهما تطورت علوم السياسة وتعقدت مصالح العالم فان الوطن العربي يظل في بؤرة اهتمام العالم .

ففي العالم القديم كان يمثل حدود الامبراطوريات العظمى في ذلك الحين ، وفي عصر آخر كان نقطة صراع لكونه محور اتصال بين عالم الغرب والشرق ، وفي التاريخ الحديث كان الأسواق من وجهة نظر الذين يفسرون التاريخ بالظواهر الاقتصادية ، وكان المدى الحيوي لقوى العصر ، وكان محور العمليات الاستراتيجية ، وكان أرض الصراع المتوقعة لحرب تقليدية بين قوى العالم بحيث تنجو من ويلاتها الدول الأكثر تقدما وكان قبل كل ذلك الخطر الحقيقي اذا ترك لشأنه وفق ما يريده له أبناؤه ومواطنوه .

واتد أدرك العالم كله مغزى تجربة محمد علي في مصر وانتبه اليها ، وكان حريصا على ألا تتكرر ، فقد وصلت جيوش محمد علي الى مدى هددت فيه مصالح وأطماع أوروبا .

ويحفل تاريخ العرب المعاصر بكثير من الأدلة والشواهد التي تدلل على صحة هذا الرأي ، وكان أخطر مافي تجربة محمد علي انه اعتمد في بناء قوته العسكرية - التي هي أداة تنفيذ الارادة السياسية - على نفسه فأنشأ في مصر دار صناعة الاسلحة ودار السمن وكانت بذلك تقريبا أول صناعة سلاح عربية منظمة في التاريخ الحديث .

واذا كانت الحرب هي أداة السياسة فانه لا حرب بدون سلاح ، ولظروف كثيرة تاريخية واجتماعية واقتصادية فان وطننا العربي مازال حتى اليوم يعتمد على دول أخرى في شراء أسلحته ، رغم أن السلاح ليس كالسلع التجارية وأن قواعد بيعه تخضع لقرارات سياسية قبل أي مصلحة اقتصادية ، الا أن هذا التحفظ لا يمنع من حقيقة لا يجهلها أحد وهي أن الوطن العربي يعتمد في سلاحه وطعامه على ذات الدول التي هي صاحبة مصلحة سياسية واقتصادية في المكان العربي بكل أبعاده اقتصاديا واستراتيجية ومصالح .

لغة لا تجامل :

يبقى للغة الأرقام صدقها ووضوحها ، فالرقم شديد الحياد من حيث هو كرقم مجرد ، وعند فهمه وتحليله لا يملك الانسان إلا أن ينحاز وفق ما يعطيه الرقم من دلالة ومن معنى . ومن واقع تقارير ودراسات[1] صدرت خلال السنوات الثلاث الماضية نحاول أن نقرأ قليلا في بعض الأرقام ذات المغزي عن واقع السلاح لدى العرب .

■ في عام ١٩٦٠ كانت النفقات العسكرية في البلدان النامية ٤,٥ بالمائة من دخلها القومي ، وازدادت الى ٧,٢ بالمائة في عام ١٩٧٠ والى ١٣,٥ بالمائة عام ١٩٧٥ ثم ١٦,١ عام ١٩٨٠ .

■ بلغ مجموع نفقات البلدان النامية على السلاح في عام ١٩٦٠ مليار دولار وفي عام ١٩٨٠ بلغ ١٩,٥ مليار دولار .

■ قدر اجمالي النفقات العسكرية في العالم لسنة ١٩٨٠ بنحو ٥٥٠ مليار دولار أي ما يعادل أكثر من مليون دولار كل دقيقة .

■ قدر حجم النفقات العسكرية في منطقة الشرق الأوسط في عام ١٩٨٠ بنحو ٤٧,٩٠٠ مليار دولار مقابل ٣٣,٤٤٥ مليار دولار في عام ١٩٧٩ ، ٣٣,٢٨٣ مليار دولار في عام ١٩٧٨ .

■ في عام ١٩٧٩ وافقت كل من العراق والكويت وقطر والسعودية والامارات العربية على تأسيس

---

(١) نعتمد هنا بشكل رئيسي على تقارير معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن وتقارير معهد استكهولم الدولي لابحاث السلام بالاضافة الى دوريات ونشرات عسكرية مختلفة . والأرقام الخاصة بالبلاد العربية تنسحب على أعوام ٨٢/ ٨٣ ، حيث لم يصدر بعد تقرير الموقف النهائي لعام ٨٣/ ١٩٨٤

صناعة حربية في دولة الامارات العربية ورصد لها مبلغ ٨ بلايين دولار .

■ بلغ اجمالي النفقات العسكرية في المملكة الاردنية في عام ٨٢ ـ ١٩٨٣ قرابة ٥٠٠ مليون دولار أمريكي من اجمالي دخل قومي يقترب من ٣ بليون دولار ، ويتركز جهد الانفاق الرئيسي في مجالين :

أ ـ في مجال القوات الجوية ٨٤ طائرة قتال ، ٢٨ طائرة اعتراضية ، ١٥ طائرة للعمليات التمويهية

ب ـ وفي مجال القوات المدرعة ٢٥٠ دبابة م ٤٧ ، م ٤٨ ، و ٧٥ دبابة م ـ ٦٠ تشيفين و ١٩١ دبابة ستريون ، ١٤٠ عربة استكشاف و ٨٢٠ ناقلة جنود

■ يبلغ اجمالي الانفاق العسكري في الجزائر قرابة ٩١٤ مليون دولار . من اجمالي ناتج قومي يصل الى حدود ٦٨و٤٠ البليون دولار .

تتألف القوات الجوية من ٢٩٥ طائرة قتال و ٢٠ طائرة عمودية مسلحة و ١٣ طائرة قاذفة و ١٠٥ طائرة اعتراضية و ١١٤ طائرة مقاتلة للهجوم الأرضي

وفي المدرعات يوجد ٧٠٠ دبابة و ٢٥٠ عربة مدرعة و ٣٠٠ مركبة قتال للمشاة ، و ٨٣٠ ناقلة

■ وفي المملكة العربية السعودية

يبلغ الانفاق العسكري حوالي ٢٧,٧ بليون دولار جهد الانفاق الرئيسي في مجال المدرعات والقوات الجوية .

في القوات المدرعة تمتلك ٧٣٠ دبابة و ٢٥٠ مركبة قتال للمشاة و ١٠٠٠ ناقلة جنود مدرعه وفي القوات الجوية ١٣٩ طائرة قتال و ٦٥ طائرة مقاتلة لاغراض الهجوم الجوي ، ١٥ طائرة اعتراضية و ٤٢ طائرة لوحدة العمليات التحويلية و ٣٤ طائرة نقل و ٣٤ طائرة عمودية .

■ يبلغ الانفاق العسكري السوري قرابة ٣ بلايين دولار من اجمالي دخل قومي يصل الى ٩,٢ بليون دولار ، يتمثل الجهد الرئيسي في التسليح في المدرعات ومدفعية الميدان والقوات الجوية فتمتلك ٣٣٠٠ دبابة و ١٦٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ٢٣٠٠ مدفع من طراز هاوتزر بالاضافة الى مدافع مضادة للطائرات ومدافع متعددة الصواريخ ومدافع هاون ومدافع مضادة للدبابات . . . الخ ، وفي القوات الجوية ٤٤٨ طائرة قتال ، ١٩٢ طائرة للهجوم الارضي و ٢٥٥ طائرة اعتراضية

■ العراق

اجمالي الانفاق العسكري ٢,٧ بليون دولار من اجمالي ناتج قومي يقترب من ٣٦ بليون دولار ، يمتلك ٢٧٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠ مركبة قتال مدرعة ، ٣٣٥ طائرة قتال و ٦٠ طائرة عمودية مسلحة و ٩ قاذفات قنابل ثقيلة و ٨ قاذفات خفيفه و ١٦٧ طائرة مقاتلة للهجوم الارضي و ١١٥ طائرة اعتراضية بالاضافة الى طائرات النقل والتدريب . مصدر السلاح الرئيسي الاتحاد السوفيتي ، فرنسا المانيا الشرقية ،

■ وفي مصر يبلغ الانفاق العسكري قرابة ٢,٥ بليون دولار أمريكي من اجمالي دخل قومي يصل الى ١٨ بليون دولار . تمتلك ١٦٣٠ دبابة ، ٢٠٠ مركبة قتال و ٣٠٠ عربة استكشاف و ٢٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة و ١٥٠٠ مدفع ميدان و ١٨٠٠ مدفع مضاد للدبابات ، و ١٠٠٠ قاذف موجه ضد الدبابات وفي القوات الجوية ٢٩٠ طائرة قتال و ٦٠ طائرة عمودية مسلحة و ١٦ قاذفة قنابل ثقيلة و ٢٠٥ طائرة مقاتلة للهجوم الأرضي ٦٠ طائرة عمودية للقتال و ١٧ طائرة استطلاع بالاضافة الى طائرات التدريب

كم أم كيف ؟

ويبقى في أرقام السلاح العربي الكثير ولكن الأهم هو أن نقرأ الأرقام السابقة التي لا نستطيع أن نكون محايدين تجاهها ، وهذا ما يدفعنا الى أن نبحث عن علاقات الارقام بالواقع وعلاقة الكم بالكيف وعلاقة البائع بالعدو وعلاقة السياسة بالاقتصاد والمصالح بالأمن . . كثير من العلاقات والاشكالية تتوارد الى الذهن من هذه الأرقام التي لا يمكن أن تكون محايدة ، فقط ونحن نبحث هذه العلاقات علينا أن نضعها في سياق لا خلاف حوله مفاده أن الحرب هي أداة السياسة ، وأن الشعار الذي رفعته الامبراطورية الرومانية مازال صحيحا الى اليوم فقد كان شعارا بسيطا وعميقا يقول (اذا أردت السلم فاستعد للحرب) ، من هذا الشعار عرف العالم نظرية التوازن العسكري الذي يخلق القوة السياسية . . وعلى هذا الضوء نستطيع أن نحلل ونقرأ الأرقام مرة ثانية . □

مسابقة العربي للقصة القصيرة

تشجيعاً للهواة من كتاب القصة الموهوبين
في أقطار الوطن العربي والمهجر
وتوكيداً للعلاقة بين "العربي" وقرائها
فإنها تقيم مسابقة للقصة القصيرة

الشروط

* يحق للهواة من القصاصين الاشتراك في هذه المسابقة .
* أن يكون موضوع القصة منسجما مع الاتجاهات القومية وألا يتعارض مع المباديء والقيم الدينية والانسانية .
* أن تكون القصة موضوعة لا مترجمة ولا ملخصة ولا مقتبسة .
* ألا يتجاوز عدد كلماتها ١٥٠٠ كلمة .
* ألا يكون قد سبق نشرها من قبل .
* أن تكتب باللغة العربية الفصحى بخط واضح ، وعلى وجه واحد من الورق ، ويفضل أن تكتب على الآلة الكاتبة .
* أن يكون « للعربي » حق الأولوية في نشر القصص الفائزة بالجوائز .
* ألا تحمل القصة اسم كاتبها أو عنوانها ، بل يكتب اسم الكاتب وعنوانه وعنوان القصة ، على النموذج المرفق « الكوبون » « ع » في أسفل الصفحة ، بحيث يكون النموذج أو « الكوبون » « ع » في أسفل الصفحة هو المستند الوحيد الذي يؤكد ملكية صاحب القصة .
* آخر موعد لقبول القصص هو ٣٠ ابريل ـ نيسان ـ من سنة ١٩٨٥ ، ولا تدخل المسابقة أية قصة تصل بعد هذا التاريخ .
* تعلن نتائج المسابقة في بداية شهر أكتوبر ـ تشرين أول من سنة ١٩٨٥ .
* القصص التي تصل الى المجلة لا ترد الى أصحابها .
* يكتب على المظروف مسابقة القصة القصيرة

الجوائز

- الجائزة الأولى : ٣٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثانية : ٢٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثالثة : ١٥٠ دينارا كويتيا .
- الجائزة الرابعة : ١٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الخامسة : ٧٥ دينارا كويتيا .

ـ الجوائز من السادسة حتى العاشرة اشتراك مجاني لمدة عام في المجلة وكتاب العربي .

ع

الاسم الثلاثي : ....

اسم القصة : ....

العنوان : ....



لا بُدَّ أن نلتقي

شعر : يعقوب السبيعي

يأتي بك الله يا من شطَّ مُبتعدا … بيني وبينكَ ما لا ينتهي أبدا

بيني وبينك ما يبقي وإن عَصَفَتْ … به المواجِع أو مَدَّتْ اليه يَدا

قد كان موعدَنا الأزهارُ ، رُحْتُ فما … وجدتُ بين ثنايا عطرِها أحدا

لغير حُبي يكونُ البعد مضيعةً ، … وغيرُ روحي تعيشُ المنتأى بَددا

أراقب الزمن الخالي وأمنحه … ـ لكيْ أراكِ به ـ من صَبْوتي مددا

متى ستمنحني عرشَ الّلقاء ؟ فلي … قلبٌ تعيشُ مليكا فيه منفردا

أضم ذكراك في شتى بواعثها … حتى النسائمَ قد صَيَّرتها جسدا

لأجل عينيكَ رقّ الصدر فانكشفتْ … سَرائرُ عن ورودٍ لاثمات ندى

فدىً لعيْنيك أيامي التي امْتلأتْ … شوقاً له كلُّ ما بين الضُلوع فدى

لا زال عطرك أنفاساً أعيش بها … ولم يزل ثغرك البسام متقدا

ولم تزل في جهات الروح تملؤها … حَدائِقاً ، وضياءً راعشاً ، وهُدَى

ولم تَزلْ في دروب الشوق تحملني … إلى غدٍ ، كاشفاً لي ما أراهُ غدا

لا بُدَّ أن نلتقي ، إمّا على قدرٍ … اليك يُوصِلُني ، أو خاطرٍ شَرَدا

بيني وبينك ما لا ينتهي أبدا … أنا وحُبُّك صوت والزمانُ صدى

النمو الديموغرافي هل يغير وجه العالم..؟

بقلم : الدكتور فضل أيوبي

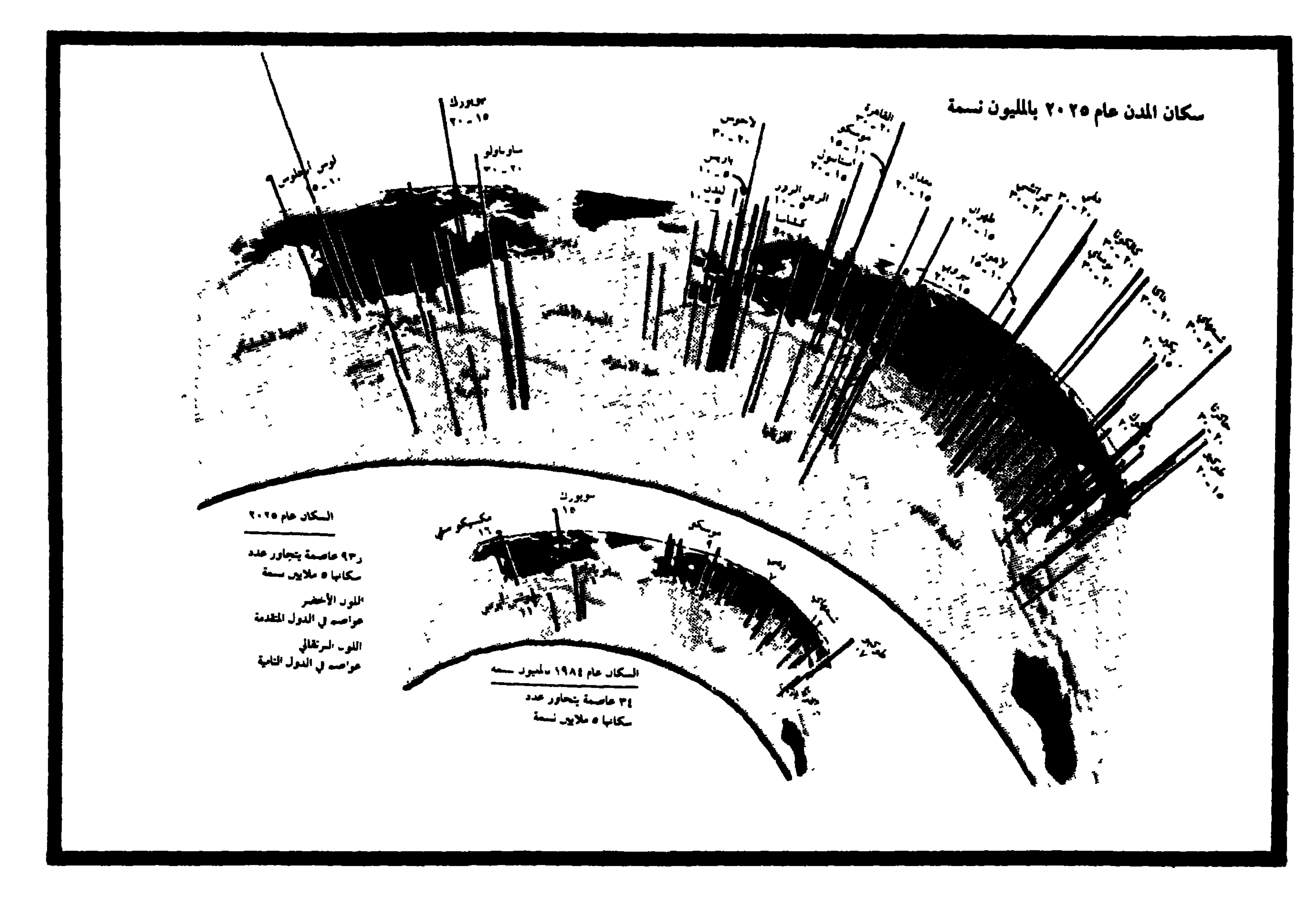
هل تستطيع الدول النامية أن تسيطر على النمو السكاني المتزايد فيها ؟ . ترى كيف سيكون وجه العالم بعد أقل من عشرين عاما من اليوم ؟ ! كيف ينظر الشمال الغني الى الجنوب الفقير ؟ وما سر حالة الرعب التي تعيشها الدول الصناعية المتقدمة ؟ . هذا المقال الذي يعتمد على الأرقام والاحصائيات يقدم لنا تصورا لما سيكون عليه النمو الديموغرافي سنة ٢٠٠٠ !

عقد في شهر آب المنصرم من سنة ١٩٨٤ مؤتمر عالمي للسكان في مدينة مكسيكو ضم أكثر من خمسمائة مندوب وباحث واخصائي تحت رعاية الأمم المتحدة . وكان هذا هو المؤتمر الثاني بعد مرور عشرة أعوام على المؤتمر الدولي الذي عقد بمدينة بوخارست في شهر آب أيضا من سنة ١٩٧٤ .

والهدف من مؤتمر مكسيكو هو وضع مخطط العمل الدولي الذي تم التوصل اليه في بوخارست كدليل عمل ديموغرافي لحكومات العالم المختلفة موضع التنفيذ . وحرصا على نجاح المؤتمر فقد قامت أربع لجان رئيسية بتحضير الأرضية اللازمة له من خلال دراسة الموضوعات التالية :

الخصوبة والأسرة ، التوزيع الجغرافي ، الهجرات والتنمية ، السكان والموارد ، البيئة والتنمية ، الوفيات والسياسات الصحية .

لقد انطلق هؤلاء الخبراء في أعمالهم وفق مسلمة


سكان المدن عام ٢٠٢٥ بالمليون نسمة
نيويورك
السكان عام ٢٠٢٥
٩٣ عاصمة يتجاوز عدد سكانها ٥ ملايين نسمة
اللون الأخضر عواصم في الدول المتقدمة
اللون البرتقالي عواصم في الدول النامية
نيويورك ١٥
السكان عام ١٩٨٤ بالمليون نسمة
٣٤ عاصمة يتجاوز عدد سكانها ٥ ملايين نسمة

أساسية هي : أن المبادىء والأهداف لمخطط عمل بوخارست لم يطرأ عليها أي تبدل . وهكذا عاد علم السكان ـ الديموغرافيا ـ الى واجهة الأحداث ، يتصدر الأنباء العالمية وسط الاهتمامات المتزايدة لرجال السياسة والاقتصاد ، والاجتماع والصحافة ، ذلك ان هذا العمل قد يحمل بين أرقامه وخطوطه البيانية قنابل حقيقية يجب التصرف حيالها بكل الحيطة والحذر ، وأن النمو الديموغرافي لا يشكل هاجسا بالنسبة للدول الفقيرة فقط ، وانما يسبب رعبا لا حدود له بالنسبة للدول الغنية أيضا

فلماذا يسيطر هذا الهاجس على أذهان الدول النامية ؟ ولماذا هذا الشعور بالرعب في العالم الصناعي ؟

الانفجار الديموغرافي

لقد عرفت البشرية أثناء تطورها طفرتين ديموغرافيتين هامتين :

الطفرة الاولى جاءت في أعقاب الثورة النيوليتكية (العصر الحجري الأخير . المصقول) حيث اكتشف الانسان الزراعة وتوصل الى ايجاد كميات هائلة من الغذاء أدت الى ارتفاع عدد سكان العالم من (١٥ مليون) نسمة في أواخر الألف الخامسة قبل الميلاد الى (١٥٠ مليون) نسمة في نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد . ونتج عن ذلك توزع الانسان وانتشاره على سطح الأرض وتشديد سيطرته على المناطق التي عاش بها غير أنه خلال الخمسة الاف سنة الأخيرة لم تتطور الزراعة بشكل كاف فانكفأ النمو الديموغرافي .

الطفرة الثانية : حدثت نتيجة لظهور الثورة الصناعية في أواخر القرن الثامن عشر ، وهي تختلف من حيث طبيعتها ، وشدتها عن الطفرة الأولى ، ذلك أن الزيادة الديموغرافية سابقا تمت وفق القانون السابق (نسبة ولادات عالية ، ونسبة وفيات عالية أيضا) . بينما جاءت الزيادة الثانية وفق قانون . (نسبة ولادات عالية ، ونسبة وفيات منخفضة) واذا كانت هذه الطفرة قد بدأت منذ نهايات القرن الثامن عشر فانها ما زالت مستمرة ويمكننا هنا أن نميز بين مرحلتين هامتين في تاريخ هذه الطفرة .

المرحلة الاولى بدأت مع الثورة الصناعية وانتهت في أيامنا الراهنة هذه ، وقد انتهت كلية لصالح البلدان الصناعية وذلك خلال قرن ونصف قرن من الزمان ، حيث تمكن العالم الغربي بفضل الزيادة السكانية التي شهدها من بسط نفوذه على بقية العالم كله تقريبا . فانطلقت أوروبا عن طريق الهجرات المكثفة ، المصحوبة بالتقدم التكنولوجي نحو الأمريكتين ، وأفريقيا ، وآسيا وأوقيانوسيا . وقد غذت هذه الطفرة ظهور الامبرياليات المختلفة : الأوربية ـ الروسية ـ وفيما بعد الامريكية .

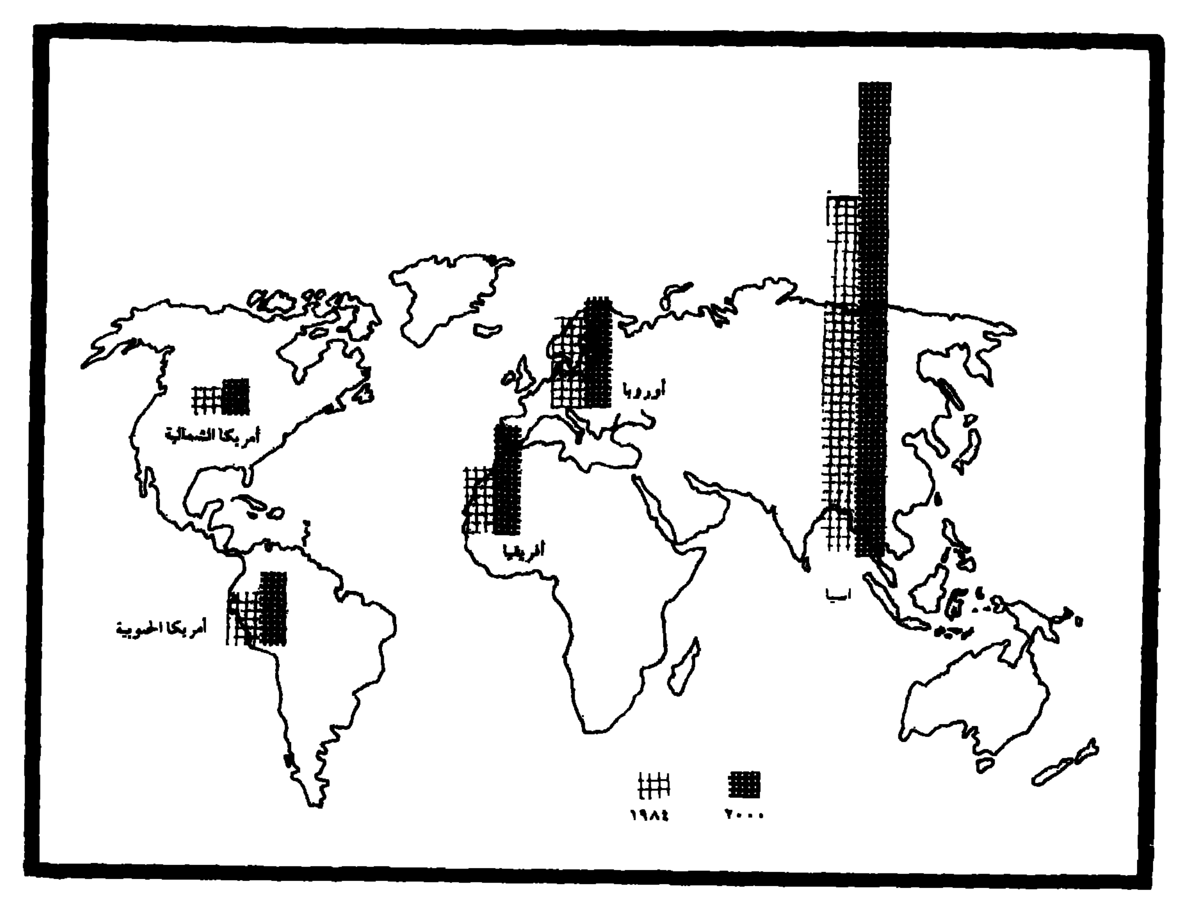
أما المرحلة الثانية فهي التي أثارت رياح الرعب في الستينيات من هذا القرن بسبب الزيادة الديموغرافية المتسارعة للبلدان النامية التي بدأت في العقود الاولى من القرن العشرين ، ولم تنته بعد .

والآن يحق لنا أن نتساءل : اذا كانت المرحلة الاولى من الطفرة الثانية قد انتهت لصالح العالم العربي الغربي بانتشاره وسيطرته على العالم ، فكيف ستنتهي المرحلة الثانية ، لا سيما ان النمو الديموغرافي يسير لصالح الدول النامية هذه المرة ؟

تنبؤات الأمم المتحدة

في مطلع هذا القرن كان عدد سكان العالم (١,٦) مليار نسمة . وفي سنة ١٩٥٠ وصل هذا العدد الى (٢,٥) مليار نسمة . وفي سنة ١٩٥٠ وصل هذا العدد الى (٢,٥) مليار نسمة يتوزعون على النحو التالي : (٨٠٠) مليون نسمة في البلدان المتقدمة : أوربا ـ أمريكا الشمالية ـ اليابان ـ استراليا ـ نيوزيلنده الجديدة ـ الاتحاد السوفيتي) و (١ و ١) مليار نسمة يسكنون باقي العالم ، وتكون النسبة واحدا الى اثنين تقريبا أي : (كل شخص واحد في العالم الغني يقابله شخصان في العالم الفقير) . وفي عام ١٩٨٥ سيتوزع سكان العالم على النحو التالي :

(١,٢) مليار نسمة في العالم الصناعي ، و (٣,٧) مليار في البلدان النامية أي نسبة واحد الى ثلاثة . وفي نهاية القرن العشرين سيكون عدد سكان العالم المتطور (١,٣) مليار نسمة ، وسكان دول العالم الثالث



تطور سكان العالم بالملايين ضمن الحدود الحالية بين عامي ١٩٨٤ - ٢٠٠٠

(٤٫٨) مليار نسمة ، أي بنسبة واحد الى أربعة . بينما اذا استمر النمو الديموغرافي ليصل بعدد سكان العالم في نهاية القرن الواحد والعشرين الى ما بين (١٠ - ١١) مليار نسمة ، عندها يكون نصيب الدول الغنية منه (١٫٤) مليار نسمة والبلدان السائرة في طريق النمو (٨٫٦) مليار نسمة ، وستصبح النسبة واحدا الى ستة . ومن البديهي أن تتأثر المدن بهذا الانفجار الديموغرافي ، خاصة المدن ذات الاحجام المتوسطة والصغيرة ، لا سيما وأنها تواجه استقبال أعداد كبيرة من النازحين من الريف اضافة الى زياداتها الطبيعية . وهنا أيضا نجد التناقض كبيرا بين البلدان الصناعية والبلدان النامية . بالنسبة لدول المجموعة الاولى فقد أنجزت تقريبا عملية التحضر ، اذ أنه في سنة ١٩٨٥ ، سيكون (٧٥٪) من سكانها من الحضر ، وفي سنة ٢٠٠٠ ستزداد هذه النسبة لتستقر في حدود الـ (٨٠٪) بينما يشكل السكان الريفيون في البلدان النامية نسبة تقدر بـ (٥٧٪) من مجموع السكان لسنة ١٩٨٥ وأحيانا تصل هذه النسبة الى (٧٥٪) كما هو الحال في أفريقيا المدارية ، والهند ، والصين . ولكن في نهاية القرن الحالي ستصبح نسبة السكان الحضر في هذه البلدان (٥١٪) .

في سنة ١٩٥٠ مثلا لم يكن يوجد في العالم سوى مدينتين تضم كل واحدة منها عشرة ملايين نسمة هما : نيويورك ولندن رمزا الامبريالية الصناعية . أما اليوم فقد أصبح أمثال هذه المدن (١٣) مدينة ، وفي نهاية القرن الحالي سيصبح عددها (٢٥) على رأسها مدينة مكسيكو ، ثم مدينة ساوباولو ، وشنغهاي ، وسوف تشهد كل من : القاهرة ، ولاجوس ، والجزائر نموا كبيرا في عدد سكانها .

ان ظاهرة التحضر تزداد أهمية في المدن الصغيرة والمتوسطة في العالم النامي لكونها مكونة من المهاجرين ، ففي خلال السنوات الخمس الأخيرة -

على سبيل المثال - تزايد سكان ... التي تريد تعداد سكانها عن أربعة آلاف نسمة ... ١١ ... وهي نسبة عالية جدا ... (٢,٤) الذي سبب الانفجار ... في هذا العالم .

هذه هي ... الأمم المتحدة ... ونشأت سنة ١٩٦٣ ... سيشهدها العالم ... قدمته بذلك على ... كوكبنا الأرضي ... (٤٠٧٥) مليار نسمة قبل نهاية سنة ١٩٨٥ ، وها نحن الآن على أبواب هذا ... أن دراسات الأمم المتحدة ... ١٩٨٥ (٤,٨٣) مليار نسمة بفارق بسيط ... (١٠٠) مليون نسمة ... ١٩٦٣ بكهف بأن سكان العالم سيقدرون في سنة ٢٠٠٠ بحوالي (٦,١٣) مليار نسمة ، وها هي التوقعات الحديثة تقدر بأن هؤلاء السكان سيصبحون في سنة ٢٠٠٠ (٦,١٢) مليار نسمة

أين المشكلة ؟

من خلال الأرقام التي استعرضناها سابقا نجد أن النمو الديموغرافي في العالم الصناعي يسير بوتيرة ضعيفة جدا ، وأن معدلات الزيادة في بعض البلدان الأوربية تصل إلى الصفر ، وفي بعضها الآخر أقل من الصفر . أي أنها دخلت في مرحلة التقلص ... في الوقت الذي نجد فيه سكان البلدان النامية يتزايدون وفق معدلات لم تسجل من قبل ... سكان ... سنة ١٩٥٠ (٥٦٠) مليون نسمة ... من مليار ، أي أنهم تضاعفوا خلال ٣٥ سنة ... أمريكا اللاتينية فقد عرفوا زيادة ... من (١٦٤) مليون نسمة سنة ١٩٥٠ إلى (٤١٠) مليون نسمة عام ١٩٨٥ أي أنهم تضاعفوا مرتين ونصف ... أما إفريقيا فقد تضاعفت مرتين خلال نفس الفترة ... بالنسبة للمستقبل القريب سوف يكون عدد سكان ... سنة ٢٠٢٥ (١,٤) مليار نسمة أي أنهم لن يبدوا إلا نسبة (٤٠٪) ، وعدد سكان أمريكا اللاتينية (٨٦٥) مليون نسمة أي أنهم ... (٢,١) ... وإذا بقي النمو الديموغرافي في إفريقيا على وضعه الحالي فإن سكانها في نهاية القرن ... (٢,٦) مليار نسمة أي ضعف سكان العالم الصناعي .

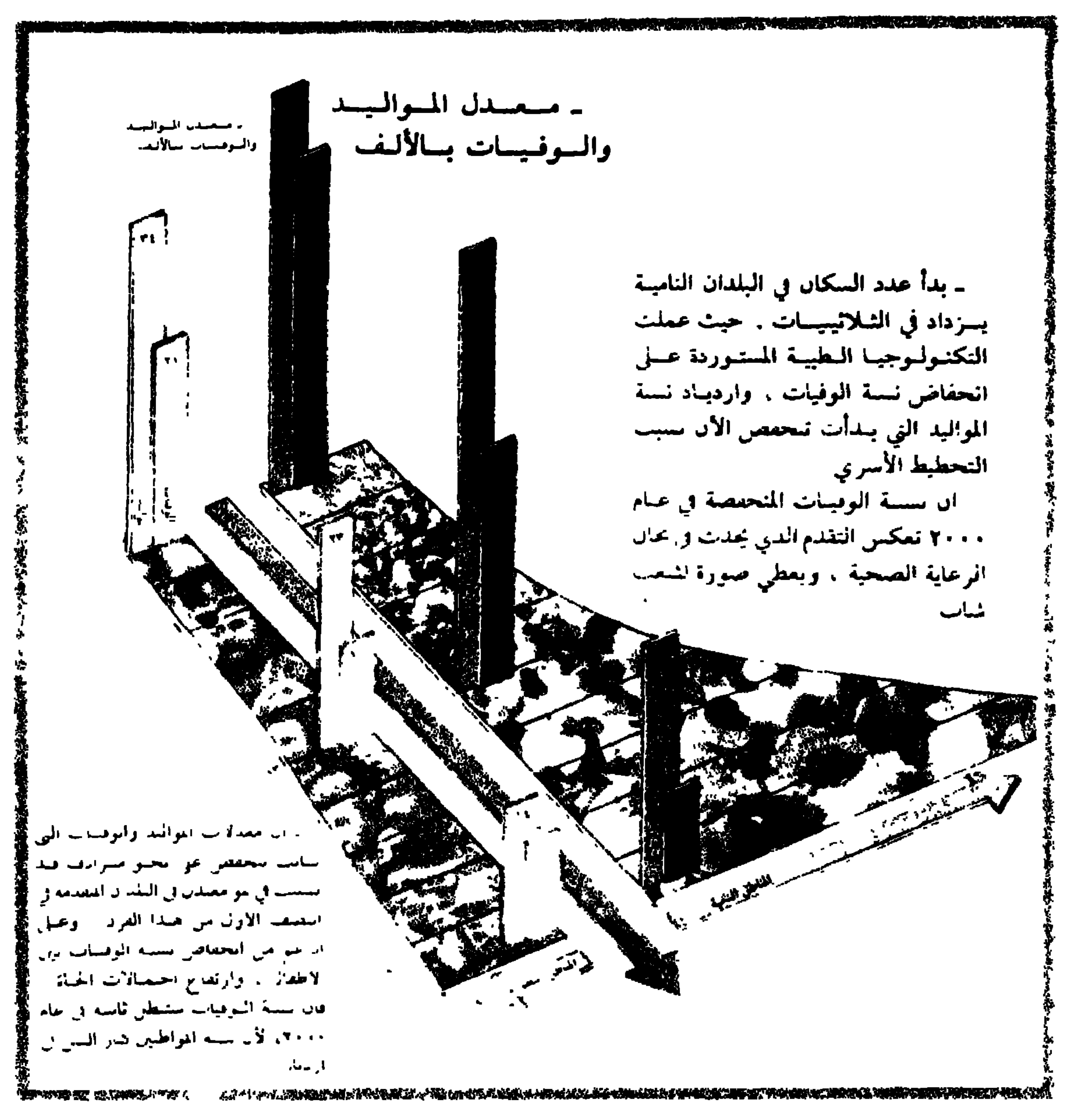
أمام هذا الخلل الواضح في ميزان النمو الديموغرافي ... يشعر العالم الغربي بالقلق الشديد ... إلى رعب حقيقي ... نظر ديموغرافيو العالم الرأسمالي إلى هرم الأعمار - خاصة في أوروبا - ووجدوا فيه اتساعا متزايدا للقمة وضيقا مواصلا للقاعدة ... أي بعبارة أخرى زيادة شرائح الذين تجاوزوا سن الستين ، وقلة الذين هم دون سن العاشرة ... ولتصحيح الوضع في هذا الهرم فإنه يتوجب على كل أسرة أوربية أن تنجب (٢,١) طفلا في المتوسط وهو معدل لم تصل إليه أي دولة أوربية بعد

أما بالنسبة للدول النامية فإن هذا النمو على الرغم من أنه أحد العوامل التي تعيق عملية التنمية ، إلا أنه لا يمكن أن يكون المشجب الذي يجب أن نعلق عليه كافة مشاكلها كي تبقى دون أن تشمل ...

والآن هل يبدو مفيدا أن نتساءل فيما إذا كان مبدأ الأوربي المتطرف ... في المجال الديموغرافي ؟

الإجابة عن هذا السؤال نجدها في الحالة العصبية التي تعيشها أوروبا الآن ... والصحافة تحذر من أن تخرج الهياكل البشرية الجائعة والقادمة من الجنوب على وشك ... على مواقد أوروبا ... الآلاف ... الذين استخدمتهم أوروبا أثناء طفرتها الاقتصادية ... الآن عن خدماتهم ويلقي بهم خارج الحدود ... ظهور ... السياسية المتطرفة التي ... تشعل ... العنصرية ... ونحيت نار العنصرية ... حرب ... (سكان ...)

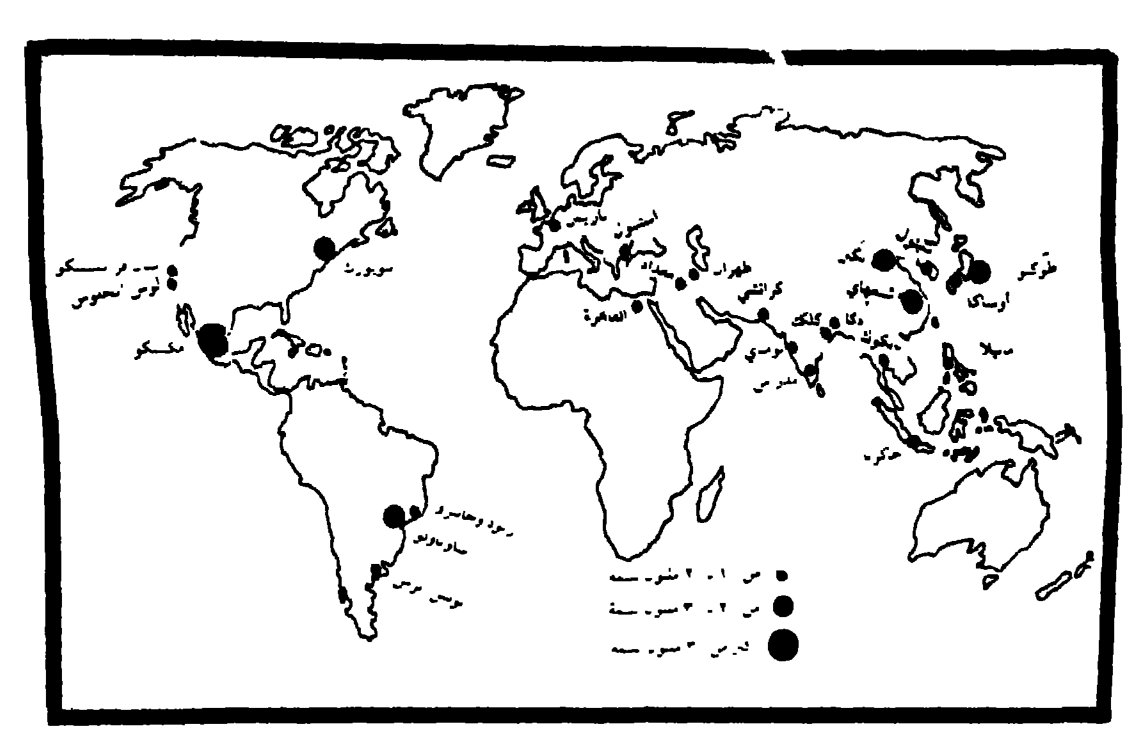
والآن على الرغم من ... هل يتوجب ... أن نطر إلى المستقبل على ... هذه الدرجة ؟ على صعيد السكان ، تشير تنبؤات الأمم المتحدة إلى عكس ذلك ... فبالنسبة للثمانينات من هذا القرن



● معدل المواليد والوفيات بين عامي ١٩٠٠ و ٢٠٠٠ في البلدان النامية والبلدان المتطورة

تؤكد هذه التقديرات ان معدل النمو [illegible] سوف يكون بحدود (٢ ٪) بعد أن كان [illegible] (٢،٤ ٪) . وبذلك تكون [illegible] قد دخلت مرحلة التباطؤ . فها هي [illegible] سياسة واضحة وصارمة لتخفيض نسبة [illegible] . وها هي الجزائر تتمكن بفضل سياستها الرشيدة من استيعاب الزيادة الديموغرافية والسيطرة عليها . وها هي الصين تعظم الأسرة ذات الطفل الواحد ، وتفرض أشد العقوبات الاقتصادية على الأسر التي تضم أكثر من طفلين . كما ان جمهورية بيرو تبنت رسميا سياسة ديموغرافية تساعدها على ألا يتجاوز عدد سكانها الـ (٢٨) مليون نسمة سنة ٢٠٠٠ والأمثلة أمامنا عديدة .

أما على صعيد انتاج الغذاء . فقد أشارت احدى نشرات الفاو الى أنه : بين عامي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨ نجد (٣٦) دولة فقط من أصل (١١٨) دولة أكثر فقرا



التجمعات الحضرية التي سيزيد عدد سكانها عن ١٠ ملايين نسمة سنة ٢٠٠٠

في العالم تقدم لكل من مواطنيها عددا كافيا من السعر الحراري « الكالوري » ولكن في عام ١٩٧٠ ارتفع عدد الدول الى (٤٤) دولة ، وفي عام ١٩٧٦ وصل الى (٥٢) دولة . وفي عام ١٩٨٠ أصبحت (٦٢) دولة تعتبر دولا فقيرة على أعتاب التوازن الغذائي .

مشكلة الغذاء

وفي شهر كانون الأول من سنة ١٩٨٠ أعلنت دائرة الزراعة في الولايات المتحدة الامريكية في تقريرها السنوي : « انه على المستوى العالمي سوف تتناقص مشكلة الغذاء » فاذا كان هذا الكلام صحيحا مائة بالمئة بالنسبة للبلدان المتطورة ، فقد يكون فيه شيء من الصحة بالنسبة للبلدان الناميه . وعلى الرغم من أنه يوجد شذاذ بين الحالتين الا أن الرقم النهائي يبقى ايجابيا . نعم هناك مشاكل مطروحة تدعو للقلق مثل زيادة التحضر ، المناطق التي أتلفها الجفاف ، المناطق المهددة بعدم التوازن بين الزيادة الديموغرافية والنمو الاقتصادي ، الا أن هذه المشاكل لا يمكن لها أن تكون عقبات مستعصية ، انما يمكن التغلب عليها وفق استراتيجيات عالمية

كما أن هناك مئات الالاف من الهكتارات التي لم تستغل بشكل جيد ، ومئات أخرى يمكن استصلاحها واضافتها الى الأراضي المنتجة وتأمين الغذاء للأجيال القادمة ، اننا قادرون على ابعاد شبح المجاعة ولكن شريطة أن نتصرف بعقلانية .

ونعود الى المؤتمرين من بوخارست الى مكسيكو . لقد تبدلت المواقف ، فدول العالم الثالث التي تمثل موقفها في بوخارست بالتقليل من أهمية السكان كعامل محدد للنمو ، تبنت في مكسيكو سياسة واضحة تتمثل في اعاقة النمو الديموغرافي . ودول العالم الصناعي التي حاربت في بوخارست من أجل ضبط هذا النمو ، استماتت في مكسيكو من أجل اضافة نضع جمل تحض على النمو الديموغرافي وذلك لتبديل عالم المسنين الذي يسودها . مؤتمر بوخارست كان رغبة من العالم الغني لكبح جماح الزيادات السكانية في الدول السائرة في طريق النمو . لذلك كان ممثلوه هم المحركون الأساسيون . أما في مكسيكو فقد انقلبت الاية ، اذ جاء المؤتمر ممثلا لرغبات دول العالم الثالث التي أخذت على عاتقها مخطط العمل الذي تم التوصل اليه في بوخارست ، وحاربت من أجل تنفيذه

نصا وروحا . وشددت على توصياته وتحديد الأهداف والأرقام على المدى المتوسط والمدى الطويل .

ان لتبدل المواقف وتناقضها ما يبرره خاصة بالنسبة للدول الفقيرة . فهي عندما قللت من أهمية السكان كعامل محدد للنمو كانت محقة في ذلك ، لأن الغرب يريد أن يجعل من هذه المشكلة ، أم المشاكل جميعها ، طمعا في اخفاء الأسباب الحقيقية الكامنة وراء بؤس وشقاء هذه الدول ، وهربا من تحمل مسؤولياته تجاهها .

ان الدول النامية وحدها ، هي التي تعرف أي بنية اجتماعية واقتصادية تلك التي ورثتها عن العهود الاستعمارية . وهي وحدها التي تعرف أسباب تخلفها الحقيقية . وكيفية الخروج من هذا التخلف وبناء مجتمعاتها الجديدة .

مرحلة الاعتدال

حقيقة . . لقد شهد العالم فترة هامة من الانفجار الديموغرافي : الا أن هذا النمو دخل في مرحلة الاعتدال . وحقيقة أيضا أن هناك عدم توازن ديموغرافي قائم بين الدول الغنية والفقيرة يساعد على اعطاء أهميات متزايدة لمشكلات الهجرة العالمية . ولكن اذا كانت هذه الهجرات تقلق المجتمعات الغربية فهل يكون تخفيض نسبة الخصوبة في البلدان النامية علاجا كافيا لهذا القلق ؟

ان مسألة السيطرة على الخصوبة على الرغم من كونها سياسة حكومية ، الا أنها في حقيقة الأمر نتيجة منطقية لتطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية لأي شعب من الشعوب . ذلك أن هذا التطور وحده هو الكفيل بتحديد عدد أفراد الاسرة الواحدة بما يحمله من أفكار وعادات جديدة ان هذه المسألة هي في نهاية المطاف ضرورة ملحة بشكل أو بآخر لعملية التنمية والخروج من براثن التخلف .

ولكن هل يجب أن نموت هلعا منذ الأن خوفا من الموت جوعا في السنوات القادمة ؟ وهل يبدو المستقبل الذي ينتظرنا قاتما الى هذه الدرجة التي يريد الغرب أن يصوره بها ؟

الجواب على ذلك . . بالنفي . . فشبح أفكار مالتوس لا يخيف الا اذا أريد له ذلك . وأمر انتاج كميات غذاء تتناسب مع عدد سكان كوكبنا الجميل أمر ممكن جدا . غير أنه في الوقت نفسه يجب ألا نأخذ الأمور ببساطة ، فالانفجار الديموغرافي حقيقة واضحة يجب ألا نقلل من شأنها فهي تتطلب تصورات وسياسات واضحة ومحددة للمستقبل بالنسبة للعالم النامي .

أما بالنسبة للدول الغنية فهناك أشياء أخرى يمكن أن تقدمها غير التهويل من أمر الزيادات السكانية . . . في مقدمتها القبول باعادة النظر في نظام المبادلات القائم حاليا بين الشمال والجنوب ، واقامة نظام اقتصادي دولي جديد كفيل بايجاد مجتمع دولي أكثر عدلا واستقرارا . □

●

من كل شعب . . . مثل

* الأنف الكبير لا يشوه الوجه الجميل . (مثل ألماني) .
* من أطفأ شمعة غيره بقي في ظلام مثله . (مثل بولندي)
* جميل أن يموت الانسان من أجل وطنه ، وأجمل منه أن يعيش لأجله . (مثل هنغاري)

قطع غبار بشرية
في عوالم غير مرئية

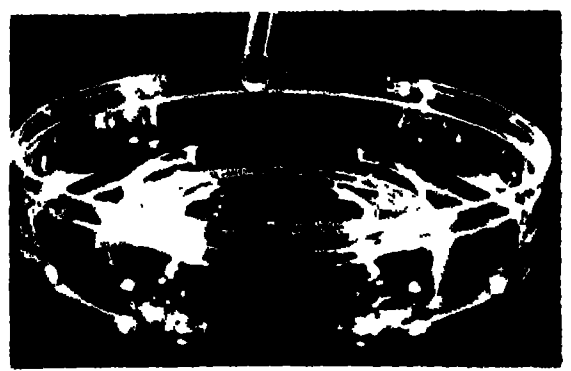
بقلم : الدكتور عبدالمحسن صالح

عنوان هذه الدراسة قد يبدو أقرب الى عالم الخيال منه الى عالم الواقع . وهذا قد يثير في العقل بضعة تساؤلات حائرة : ما هي تلك العوالم غير المرئية التي سميناها « قطع غبار بشرية » ؟ وكيف يتحول غير المرئي الى شيء مرئي بحيث يمكن تناوله وزرعه في أجسام البشر ؟

والواقع انه لاشيء من ذلك ... فمع ان العنوان غريب ، الا ان عباراته [illegible] كوننا سنحاول دراسة [illegible] مستقبل العلوم البيولوجية وما ستصبح عليه في نهاية القرن العشرين ، او بداية القرن الحادي والعشرين . وصحيح ان تصور انماط التفكير عند ذاك تغير جذريا كما تغيرت مثلا انماط تفكيرنا خلال الخمس عشرة سنة الماضية

ع [illegible] الى العلوم [illegible] [illegible] هذا [illegible] تركز عليه من خلال الابحاث العلمية خفية . ومع ذلك فمن المستحسن ان نقدم هنا مثالا وحدة التحدث [illegible] تركز عليه وحين نتعرض مستقبل العلوم البيولوجية . وسيتضح لنا ذلك لمثال يصف مدى الهوة الواسعة في مكان استيعاب معلومة تحققت بين فترتين لا تتعديان عشر سنوات لا غير . فلو ان رجلا من الناس كان قد احترق منذ ثماني سنوات





شكل (١) أجنة تبدأ حياتها في الأطباق (أ) وقد تصبح سلعة في المستقبل لمن كان عقيماً . وعلى كل حنين « بيان » يوضح صفاته التي يمكن أن يجيء عليها (ب) أسمر أبيض ولد بنت عالم فنان الخ . وهذا فان ما نستهجنه اليوم ، قد يراه غيرنا في المستقبل حسن ؟



شكل (٢) جسم انسان وعليه توزعت قطع الغيار التي تمخضت عنها البحوث الحالية ، لكن الأمور سوف تتطور لتصبح هذه « التوليفة » أقرب مما نتصور ، وقد ينصب التحوير على أدمغتنا وأمخاخنا لتكون اكثر ذكاء وتذكرا وبهجة واطمئنانا ، وذلك بالتأثير عليها كهربيا أو كيميائيا ، وتوجيهها لما نحب ونرضى !

فقط ان ابوين قد ماتا في عام ١٩٧١ ، ولكن بها رزقا بطفلين في عام ١٩٧٣ ، عندئذ سوف تظن بحدثك انه يهذي بكلام غير مفهوم ، اذ لم يحدث قط ان ينجب الناس بعد ان صاروا عظاما ولم يرد مثل ذلك ايضا حتى في اساطير الاولين !

لكن ذلك قد حدث في زماننا هذا . فلقد سافر السيد ماريو ريوس وزوجته إلزا الامريكيان الى استراليا في عام ١٩٨١ ، وتوجها الى احد المراكز الطبية التي تعالج حالات العقم عن طريق التلقيح في الأطباق او في انابيب الاختبار (شكل١) ثم زرع الجنين في بداية مراحله الأولى في رحم الأم (او رحم سيدة اخرى تقبل ذلك مقابل اجر) ، وبالفعل تم انتاج اربعة اجنة ، زرع اثنان منها في الأم ، لكن الزراعة فشلت ، وعندئذ أوصت بضرورة الاحتفاظ بالجنينين المتبقيين لتعاود الكرة ، فلعلها تنجح ، لكن الزوجين ماتا في حادثة سقوط طائرة في شيلي منذ ثلاث سنوات ، وعندئذ وقع المركز الطبي في حيص بيص : فما مصير هذين الجنينين « اليتيمين » المحفوظين في ثلاجة تحت ظروف خاصة ؟ . . . وهل من حق احد ان يوصي ببعثها الى الحياة ؟ . . وما العمل في وصية الوالدين وهما في عداد الاموات ؟ . . او هل يمكن استخدام الجنينين في البحوث العلمية لتطويرها ، خاصة وانها بدون صاحب ؟ . . أم من المستحسن وضع حد لحياتها ؟ . . ومن يتحمل وزر ذلك ، فربما يقيم احد قضية يطلب فيها تعويضا عن موت الجنينين ؟ . . الخ ، هذا وما زالت الأمور معلقة ، الى ان تسن شرائع جديدة تساير امور هذا العصر الغريب الذي بدأت بشائره منذ عهد قريب ، اي منذ ولادة أول طفلة انابيب بحالة طيبة في عام ١٩٧٨ ، ومن يومها تطورت الأمور بسرعة مذهلة ، لكنها احدثت مفارقات مضحكة او محزنة ، واحتدم الجدل والنقاش بين العلماء ومشرعي القوانين وعلماء الاجتماع والفلاسفة ، فهناك امور تستدعي أنماطا فكرية جديدة ، لأن كل شيء يتطور بسرعة كبيرة .

ماذا نختار ؟

إن أخطر ما قد يتمخض عنه المستقبل هو ما يختص بإعادة « نسخ » الانسان ، بمعنى انه لن يفد الى الحياة بالطرق التقليدية المعروفة ، اي من خلال اجتماع ذكر بأنثى ، بعقد او بغير عقد ، فهذا لم يعد يهم مستقبلا ، لأن فراش الزوجية قد استبدل به العلماء الأطباق وانابيب الاختبار ، وطبيعي ان احدا لا يستلطف ان يعقد زواج على ما في الاطباق ، وقد يظن البعض اننا نقصد بذلك اطفال الانابيب التي يتم فيها التلقيح بين الخلايا الجنسية ، وما هذا قصدنا ، لأن اعادة نسخ الانسان شيء آخر مختلف تماما ، اذ ستأتي النسخة من ذات خلاياه الجسدية ، وتكفي نواة واحدة من احدى خلاياه الموجودة في جلده أو شفته او امعائه . . الخ لاعادة « طبعه » او خلقه من جديد ، لأن الخطة الوراثية المتكاملة ، او النظام الحياتي الذي أنشأه اول مرة موجود في كل نواة من خلاياه الجسدية ، ولو اشتغل النظام ، وانقسمت النواة ، لعادت الى حالتها الجنينية ، أي من الممكن ان تعيد الكرة وتنتج « طبعة بالكربون » أو نسخة طبق الأصل من ذات الانسان الذي عزلت منه النواة ، وزرعت في سيتوبلازم اية خلية جنينية مفرغة من نواتها ، ثم زرعت الخلية بما حوت في رحم انثى مهيأ لحملها .

صدق أولا تصدق ! . . صحيح ان « نسخ » الانسان لم يتحقق حتى الان ، ولا احد يريد ، لكن الغريب انه تحقق منذ حوالي ٢٠ عاما في عالم الحيوان ، وامكن تجربته على الضفادع ، فنتج من ذلك نسخ مكررة ومتشابهة تماما من نوى خلايا امعاء ضفدع ، وبحيث جاء الخلف مطابقا تماما للسلف ـ حتى على مستوى البروتينات ، اي من الممكن نقل نسيج او عضو أو خلايا او بروتينات من اية « نسخة » ضفدعية الى الأخرى دون ان تلفظها ، وكأنما هي جزء من كيانها (شكل ٣) .

ومنذ سنوات قليلة تحقق الشيء نفسه مع الفئران ، والفئران من الحيوانات الثديية ، وكذلك الانسان ، واذا تحقق النسخ في الضفادع والفئران ، فربما قد يحل الدور بعد خمسين عاما على الانسان ، ونأمل الا يحدث ، لأن ذلك قد يضعنا في مآزق فكرية عويصة .

بين الماضي والحاضر والمستقبل :

تلك اذن لمحات سريعة عن عينة من البحوث

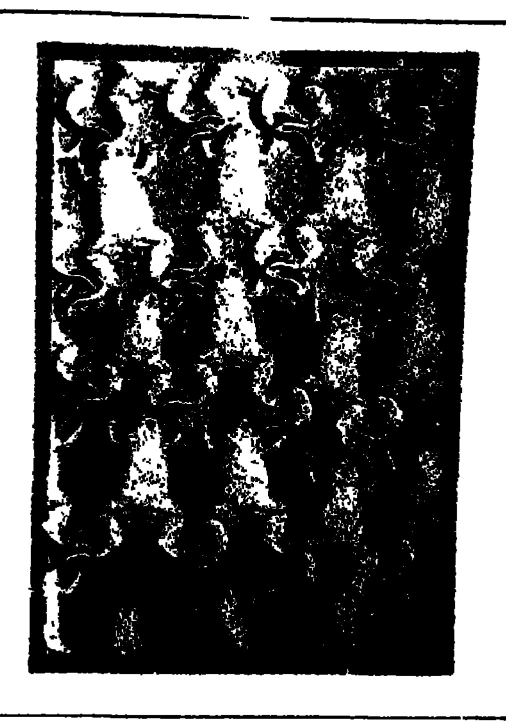
المثيرة التي تجري الآن في معامل العلماء ، لكن هناك بحوثا اغرب واخطر ، وهي مـا يتعلق بعنوان تلك الدراسة ، ولكي ندرك كيف يمكن التعامل مع قطع غيار غير منظورة ، فان ذلـك يستلزم الماما سريعـا ومختصرا بابعاد الموضوع . . فقطع الغيـار المساعـدة معروفة من زمن ، لكنها كانت جد بدائية ، فاستبدال سنادة خشبيه بساق مبتورة او وضع عين زجاجية محل عين مفقوءة ، او اسنان صناعية محل المخلوعـة . . الـخ ، هي من الأدوات البدائيـة التي استعـان بهـا الانسان على عاهاته ، ثم تطورت الأمور ، وحلت زراعة الأعضاء والانسجـة محل غيـرها من اعضـاء مستهلكة ، (مثل زراعة الجلد والكلى والقلوب . . الخ) ، ثم عكف العلماء على ما هو ادق ، فزرعوا الخـلايا الملقحـة في الارحام ، ثم زرعـوا النوى في الخـلايـا ، واخيـرا وصلوا الى ادق مستـويـات الابداع . . اي الى ما في داخل النواة من مكونات .

وباختصار شديد نقول : إن نوى خلايا الكائنات تحتوي على مكونات دقيقة تعرف بالكروموسومات ، والكروموسومات اشرطة مطوية او مفرودة ، يتوقف ذلك على نشاط الخلية ، لكن كل هذا قـد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان هذه الأشرطـة ليست في الواقع الا جزيئات كيميائية « منسـوجة » عـلى هيئة خيط دقيق غاية الـدقة . . خيط لا يتجـاوز سمكه جـزئين اثنـين من مليون جـزء من المليمتر ، لكن اطواله تختلف ، اذ لا يزيد طوله مثلا في الفيروس عن جـزء من ألف جزء من المليمـتر (شكـل ٤) وفي البكتيريا يصـل طولـه بالكـاد الى ملليمتر واحـد ، ومجموع اطواله في نواة خلية الانسان حوالي ١٥٠٠ ملليمتر (أي مترا ونصف المتر) ، أو ما بـين ذلك تكون الاطوال في الانواع الأخرى من الكائنات .

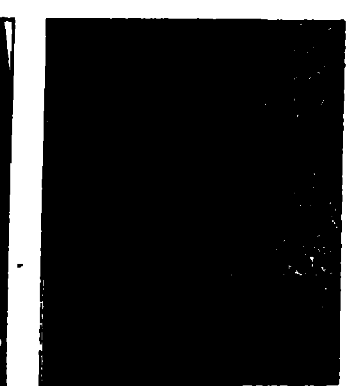
وكما تتوحد كل شرائط المخلوقات في سمكهـا ، كذلك تتوحد في شفراتها ـ أي في « الكود » الكيميائي المستخدم في برمجة الأشرطة ، وتلك مفارقة عجيبة ، لأن البـرمجة التي نـزود بهـا الحـاسبـات او العقـول الاليكترونية في عصرنا الحديث جدا قد سبقتها برمجة اروع وادق واكفـأ من كل مـا عرفـه الانسان قـديما وحديثا ، وروعتها تتمثل في انتاج انواع لا حصر لها من ملايين الأنواع من الكائنات . فالاختلاف مثلا بـين الانسـان والحصـان والبـاذنجـان والثعبـان والميكروب . . الخ . . الخ ، هو اختلاف في البرمجة الكيميائية المسجلة على الاشرطة الوراثية . . اي في التبادل والتوافق الذي يتم بين اربعة مركبات كيميائية لا غير ، وهذه الاربعة فقط بمثابة « ألف باء » الحياة التي « تكتب » بها مخلوقاتها . . ذلك ان كل مخلوق بمثابة « قـاموس » حي قـائم بذاتـه ، وبـالتحليـل الكيميائي والفيزيائي توصل عالمـان بريـطانيان همـا كريك وواطسون الى الشكل والمضمون الذي توجد عليه الأشرطة الوراثية ، وكيف تآلفت فيها المركبات الأربعة (شكل ٥) ، واستحقا على ذلك جائزة نوبل بجدارة .

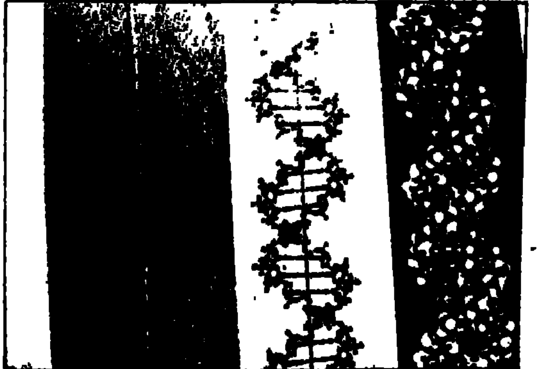
ونحن لن نسترسل اكثر من ذلك ، خـاصة وان هذه الاشرطة عالم قائم بذاته ، لكن يكفي ان نذكر ان الأشرطة مقسمة الى فقرات (لكنهـا متصلة) ، وكل فقرة مبرمج عليها فكرة لعملية كيميائية ، وفي هذه العملية يتشعب الحديث ويطول ، ولكن يكفي ان نقول ان الفقرة الـواحدة اسمهـا جينة Gene أو موروثة ، ولو حدث الخطأ في حرف واحد ـ أو اكثر ـ من حروفها ، فان ذلك يعني عملية خاطئة ، والعملية الخـاطئة تعبـر عن نفسها بمـرض وراثي . . اي ان الأمراض الوراثية التي تظهر في الكائنات هي برمجة خاطئة في الأشرطة ، ومن هنا تبدأ فكرة قطع الغيار في هذا العالم غير المرئي ، أي زراعة جينة او عدة جينات سليمة لتعمل بدل الخاطئة بعد ان تلبس في الشريط الوراثي . ولكن الفكرة اتخذت ابعادا اخرى خطيرة عنـدما نجحت زراعـة الجينـات في خلط الصفـات الوراثية بين الكائنات ، وأدت الى تغييرهـا ، وهذه هي الزراعة الجديدة التي تشتغل في الباطن دون ان نراها على حقيقتها ، لكننا ـ مع ذلك ـ نرى آثـارها ظاهرة !

ولكي نـوضح ذلـك اكثر ، دعنـا نقـدم صـورة ملموسة من واقع عالمنا ، فنحن نعرف جميعا أشرطة التسجيل ونراها رؤ ية العين ، لكننا لا نستطيع ان نرى ما سجـل عليها ، ولكي نعـرف ، فلابـد من تشغيلها على جهازها ، وعندئذ نعرف المضمون . . ولنفرض بعد ذلك ان زيدا من الناس قام بوصل جزء من شـريط على شـريـطنـا الأصـلي ، وهي عمليـة



شكل (٣) ضفادع طبق الأصل من بعضها ، لأنها لم تأت بعملية التلقيح التقليدية ، بل جاءت من نوى خلايا أمعاء ضفدع ، ثم زرع النوى المعزول في خلايا جنينية مفرغة من أنويتها ، وانقسمت كل خلية ، وأعطت نسخة طبق الأصل من المنسوخ منه ـ أي الضفدع الأصلي .. والشيء نفسه حدث مع الفئران .





شكل (٤) الشريط الوراثي لأحد الفيروسات كبر هنا حوالي ٩٠ ألف مرة (أ) ولهذا يبدو طويلا ، رغم انه في عالمه الحقيقي لا يزيد طوله عن جزء واحد من الف جزء من المليمتر ، وكل الأشرطة في جميع الكائنات الحية تشبه هذا الشريط تماما ، عدا الاختلاف في الأطوال ، وفي تنظيم الشعرة التي تبدو هنا كخيط (ب) (الى اليمين) ثم كتنظيم حلزوني ، وبشكل مجسد (الى اليسار) انظر شكل (٥)

ميسورا ، عندئذ سيعبر هذا الجزء عن نفسه ـ مع الشريط الأصلي ـ عندما نديره في جهاز التسجيل

بمثل هذا المفهوم يتعامل العلماء مع الخريطات الوراثية التي تتخذ شكل شريط ، أي أنه بالإمكان عزل جينة أو عدة جينات (الجينة جزء من شريط أصلي اصول ـ عليه عشرات الألوف من الجينات) من الشريط الوراثي لكائن حي ، ثم زرعه (أو وصله) في الشريط الوراثي لكائن حي آخر (شكل ٦) وعندما ينقله ، فلابد ان يسمح له بالتعبير عن نفسه ، تماما كما يسمح المسجل للجزء الموصول على

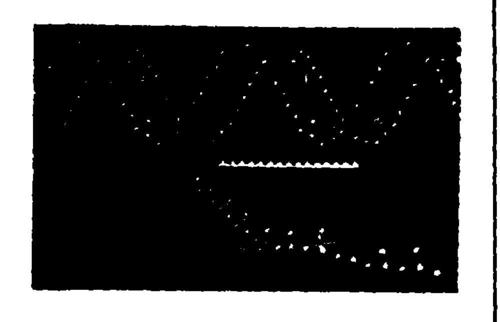
الشريط الأصلي بابراز ما سجل عليه . . صوتا كان ذلك ، أو صوتا وصورة (كما في اشرطة الفيديو) .

بدايات مثيرة :

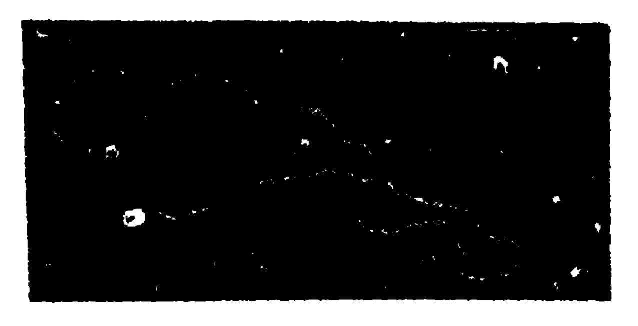
من هـذا المنطلق ، أطلق لخيالك ـ بعـد ذلـك العنان ، وتصور كيفما تشاء ، خاصة وانه بالامكان الأن اقحام جزء او أجزاء من خطة البرمجة الوراثية بين اي نوع واي نوع آخر ، ابتداء من البرمجة الموجودة في خلايا مخ الانسان سيد المخلوقات ، الى البرمجة الموجودة في الميكروبات !

خذ ـ على سبيل المثال ـ الجينة او الجينات المبرمجة في خلايا جزر لانجرهان الموجودة بالبنكرياس لتعطي الأمر بصناعة الانسولين ، وهو الهرمون الذي يتكفل بتمكين الخلايا من الحصول على تموينها من سكر الدم لتحرقه وتحصل منه على الطاقة . ولهذا فان مرض السكر يعني عدم افراز الانسولين في الجسم ، او افرازه بصورة خاطئة يترتب عليها عدم قدرته على القيام بوظيفته ، وهنا قد يحدث امر من أمرين . اما ان تعزل جينات الانسولين من خلايا سليمة ، ثم تزرع في الخلايا المعطوبة ، أو أن تزرع في الجهاز الوراثي لأحد انواع البكتيريا ، ليصنع الانسولين الانساني ، فنحصل عليه بكميات كبيرة ، لأنه لا يحتاجه في قليل او كثير . ولكن المرضى في حاجة شديدة اليه .

الأمر الأول ممنوع ممارسته في الوقت الحاضر . لأن البحوث لم تتقدم او تتطور بعد في هذا المجال ، وقد يمكن اصلاح هذا الخلل الجيني بزراعة الجينات في الانسان في نهاية هذا القرن ، او بداية القرن التالي وسيطلق عليه بحق عصر « الجراحة » الجينية او العلاج بزراعة الجينات ، او تداولها كقطع غيار ، وذلك امر بالغ التعقيد والصعوبة في عصرنا الحالي ، اذ لابد من تذليل المشكلات الضخمة التي تواجه العلماء في هذا المجال ، وعندئذ يمكن اصلاح الخلل الوراثي الذي يتسبب في كثير من الامراض التي تعاني منها البشرية الآن اكبر معاناة . وعلى رأسها مرض السرطان اللعين بانواعه ، اذ ثبت ان الأشرطة الوراثية تحتوي على جينات خاصة ، وهي بمثابة



شكل (٥) من خلال التحليلات الكيميائية والفيزيائية أمكن تحديد رموز الشفرة الرياضية التي تراها في هذا النموذج أشبه بدرجات السلم الحلزوني ، وفي كل درجة رمزان او شفرتان متشابكتان ، ومن التباديل والتوافيق بين هذه الشفرات تتحدد صفات الكائنات ـ بما في ذلك الانسان . . فالأشرطة الموجودة في نواة خلية واحدة من خلايا اجسامنا تحتوي على ثمانية آلاف مليون شفرة



شكل (٦) شريط وراثي حلقي مكبر حوالي ١٣٠ الف مرة ، وهو من الأشرطة المستخدمة في وصل أو زرع جينة أو اكثر ، لكن الموصول لا يمكن أن يظهر ، ولهذا أوضحناه تجاوزا باضافة لون أحمر ، انما تعرف الجينات المزروعة اذا ترجمت الخلية محتوياتها لتعطي انتاجا جديدا عليها . . والذي يقوم بهذه العملية « الجراحية » الدقيقة جدا هي الخلية ذاتها ، لأنها تمتلك « أدواتها » (على هيئة انزيمات) التي تستخدمها في ذلك ، ولقد عزل العلماء منها حتى الآن اكثر من ٨٠ انزيما مختلفا .

صمام الأمان الذي يضع الخلية تحت رقابة صارمة ، فتنقسم بمعيار ، وتشتغل بمقدار ، ولكن قد يحدث الخلل في برمجتها الوراثية ، وعندئذ تعطي اوامر خاطئة ، تؤدي الى فوضى خلوية ، قد يتمخض عنها السرطان ، ومثل هذه الجينات قد حددت مواقعها ، وعرفت بعض الغازها ، ويطلق عليها اسم « اونكوجينات ـ Oncogenes ـ أي الجينات ذات العناصر المحولة او المغيرة ، لكن ذلك موضوع آخر قد نعود اليه في دراسة قادمة .. المهم ان العلاج يتوقف على معرفة السبب او الاسباب ، وقد يحقق عصر الجينات المزروعة حلم البشرية في التغلب على اخطر امراض العصر بعد ربع قرن من الزمان ، او ربما اقل ، فذلك يتوقف على جهود العلماء في هذا السبيل .

الأمر الثاني : أي الذي يختص بنقل اجزاء من الخطط المبرمجة في كائن وزراعتها في كائن آخر (يستثني من ذلك الانسان الآن) ، فقد حقق العلماء فيه اهدافا سوف تتعاظم وتتضاعف بسرعة مذهلة ، بحيث تؤدي الى عمليات تطوير جذرية في انماط تفكير الاجيال القادمة .

مؤشرات دالة على مستقبل مذهل :

دعنا إذن نتخيل انه في عام ٢٠٠٠ ، أو ربما اقل ، سوف يكون الأرنب في حجم الخروف ، والخروف في حجم الحمار ، والبقرة في حجم الفيل او الديناصور ، والتفاحة في حجم البطيخة ، وكذلك ثمرة الطماطم ، ولن نسترسل في ذكر المزيد .

لكنها ـ مع ذلك ـ ليست خيالا ، لأن التجارب قد اثبتت امكان حدوث ذلك على الفئران ، واليوم قطط وفئران ، وغدا سيأتي الدور على الابقار والخرفان .
وطبيعي ان العلماء لا يسعون الى تسمين الفئران ، لكنها من حيوانات التجارب السهلة التداول ، وما قد يعطي نتيجة مع الفئران ، قد يعطيها مع اي حيوان مرغوب لشحمه ولحمه ولبنه وصوفه .. الى آخر تلك الصفات التي يحبها الانسان . ولكن كيف يحدث ذلك حقا ؟

الجينات وهرمون النمو :

عن طريق زرع الجينات الخاصة بافراز هرمون النمو ايضا ... صحيح ان الفأر أو غيره من الحيوانات يفرز هرموناته بالقدر المطلوب ، لكن ان تمنحه « قطعة غيار » زائدة في جهازه الوراثي الكامن في البويضة الملقحة ، فان ذلك كفيل بافراز هرمونات النمو ضعفين ، وبذلك يزيد الفأر « المحسن » وزنا وحجما الى الضعفين وربما الى ثلاثة أو اربعة اضعاف لو زدت العيار ، وزرعت مزيدا من جينات النمو .. المهم ان تطبيق ذلك على حيوانات المرعى او الطيور الداجنة ، وكل ماله صلة بتوفير مزيد من الغذاء للانسان ، سوف نرى بشائره قبل نهاية هذا القرن .

وما قد يحدث للحيوان ، قد يحدث ايضا للنبات ، لأن للنباتات هرمونات نمو خاصة اسمها الاوكسينات Auxins ، ولهذه جينات مبرمجة لتعطي خطة التصنيع الكيميائي للهرمون النباتي ، واذا كان للنبات من هذه الجينات عدد محدود ، فان زيادتها بطريق الاقحام الجيني وارد في عصرنا هذا ، ومن هنا يمكن ان تنمو وتنضج وتثمر في غصون شهر بدلا من ثلاثة او اربعة .. اي انه يمكن زرع المحصول الواحد في الفصل الواحد اكثر من مرة ، ولنتصور معنا ماذا يعني ذلك بالنسبة لعالم يشكو من قلة المحاصيل ، وفقر البروتين .

وليس بمستبعد كلك ان تعيش الاجيال القادمة في رفاهية هذه الانجازات ، خاصة بعد ان يتقن العلماء ادراك معظم مفردات لغة الوراثة ، وطرق السيطرة على جيناتها في الانتقاء والعزل والزراعة داخل الجهاز الجيني لاي كائن حي ، وعندئذ لا تنمو النباتات اسرع فحسب ، بل ايضا باحجام اكبر ، وثمرات اضخم ، والوان اعجب ، ومذاقات اطيب ، وليس ذلك بمستغرب ، فما دام لكل شيء خطة عمل وراثية ، فانه يمكن تفصيله حسب الطلب ، وعندئذ فلا مانع مثلا من انتاج فواكه بمذاقات خاصة لم تكن موجودة اصلا ، او خضراوات بمواصفات محببة في المذاق .

الهدف لما يفيـد :

وقد يبدو أننا عدنا مرة اخرى الى الخيال ، لكن ذلك ليس كذلك ، فالبشائر قد ظهرت في عصرنا الحالي ، اذ تمكن فريق من العلماء من « تفصيل » نبات جديد أطلقوا عليه اسم بطاطم (ترجمة من عندنا لكلمة انجليزية مركبة تحمل هذا المعنى) . . وتعني بطاطس في طماطم ، أو إذا شئت ، فلنسمها طماطس ، أي طماطم في بطاطس ، ونحن هنا لا نمزح ، لأن النبات الجديد هو توليفة وراثية من هذا وذاك ، أى أنه يحمل صفات النباتين ، والثمار كذلك . ولن ندخل هنا في التفاصيل ، لأن المجال ضيق ، بل ذكرنا ذلك أيضا ذكرا عابرا ، ليتبين ان تنبؤاتنا قد تكون متواضعة ، وقد تأتي الأيام بانجازات أغرب من تصوراتنا التي تناسب زماننا

ولكن مثل هذه « السبيكة » النباتية « البطاطمية أو الطماطسية » تعتبر من رفاهيات البحوث العلمية . صحيح أنها تبصرنا بما قد يحدث مستقبلا ، لكن البحث الأهم ، هو ما كانت فائدته اعم ، وليس هناك اهم من انتاج نباتات تسمد نفسها بنفسها ، وتستغني تماما عن الأسمدة التي تنتجها مصانعنا ، ولن يتحقق ذلك الا اذا انشأنا لها مصانع سماد داخل انسجتها ، وما عليك الا ان تمدها بالخطة المبرمجة لصناعة السماد النيتروجيني .

أية خطة او مصانع يمكن ان نبنيها داخل انسجة النبات الرقيقة الحساسة ، خاصة وان انتاج السماد في مصانعنا وبخططنا يحتاج الى درجة حرارة عالية ، وضغط هائل ، وطاقة مكلفة وعمالة مدربة ؟

وهذا صحيح . ولكن مازالت الطبيعة هي الكتاب أو المرجع الأصيل الذي يرجع اليه العلماء ليتعلموا منه كل ما هو مثير ومتقن وجميل ، فتصنيع السماد النيتروجيني قد وجد لتسميد نباتات هذا الكوكب قبل ان يظهر الانسان عليه بمئات الملايين من السنين ، ولكن تلك الصناعة الأزلية تقوم بها مجموعة خاصة من الميكروبات ، ولهذه شرائطها المبرمجة ، وعلى اجزاء منها توجد الجينات الخاصة بتوجيه العمليات الحيوية لالتقاط غاز النيتروجين وتثبيته وتحويله الى املاح نيتروجينية غير عضوية . وهناك الآن بحوث تتسم بالعمق والأصالة والذكاء ، وهي تهدف الى التجسس والاستيلاء على الجينات الخاصة بصناعة السماد في الميكروب ، ثم عزلها وزرعها ضمن الجهاز الوراثي لبعض نباتات المحاصيل ، فتشتغل فيها ، وتمنحها ما تريد ، واذا نجح العلماء في ذلك (ونعتقد ان ذلك سيكون ممكنا في غضون ١٥ عاما) فسوف يكون اكبر انتصار يحققه العلماء على الاطلاق .

وفي بداية القرن الحادي والعشرين سوف يذيب العلماء الحدود القائمة بين النباتات ، اي لن تكون هناك نباتات مناطق صحراوية او ملحية او جليدية او حارة وما شابه ذلك ، بل يمكن زراعة اي محصول في اية بيئة ، وذلك بتزويده بالجينات التي تؤهله للحياة في المناطق الباردة ، بعد ان كان من نباتات المناطق الحارة ، او العكس ، كذلك يمكن زراعة محاصيل حقلية في الاراضي او المياه الملحية . . . ايضا عن طريق زرع جينات تتخطى بها العقبات !

ومما يبشر بمستقبل لا ريب فيه بالنسبة لتكنولوجيا الحيات ، هو تزايد عدد المؤسسات والشركات (الدوائية على الأخص) التي دخلت هذا السباق المحموم ، حتى لقد تجاوزت الآن المائة ، وهي تنمو وتتضاعف كل بضع سنوات ، ومن أسمائها تستطيع ان تتعرف على نشاطها ، لأن الأسماء ذاتها اشتقت من بيولوجيا الجينات ، لكنها تحولت الى تكنولوجيا عجيبة ، وفيها بدأ انتاج مركبات حيوية هامة ما كان احد يستطيع الحصول عليها الا بشق الانفس ، لكن التكنولوجيا الجديدة قد يسرت الأمور ، خاصة عن طريق الخلايا المعدلة ، وامكن بها انتاج بروتينات هامة عن طريق ميكروبات معدلة تستطيع ان تؤدي اية عملية حيوية قد يفشل فيها جسم الانسان ، ابتداء من انسولينه الى اجسامه المضادة (بروتينات يحارب بها الميكروبات) الى بعض مكونات دمه ، الى جزيئات حيوية يصنعها مخه ، ليدير بها نشاطه . .

وكما هو ظاهر من هذا السرد ، فإن أبعاد العصر المقبل ستتمخض عن القنبلة البيولوجية التي دونها أية قنبلة اخرى ، فقنبلتنا هذه من أجل الخير والبناء والتوجيه السليم ، لكن غيرها موجود من زمن للتخريب والتدمير ! □

كلاسيكية

شعر : فاروق شوشة

ع هـذي طـريقـي . وهـذا مُنتـهـى امـدي
وانـت أمسي . فـلا تستمسكـي بـغـدي
وقفـتُ عمـري عـلى وهـمٍ ظفـرتُ بـه
والآن يـا وهـم مـا ابقيـت مـلء يـدي
وقفـتُ صحـوي عـلى أُفـق طلـعـت بـه
شـعـاع مستـدفيء يـدنـو لمـرتـعـد
وقفـتُ خطـوى عـلى دربٍ بـه اتستجـرتْ
هـوجُ الـريـاح وعضّ القيـدُ في جلـدي
صحـوت في لحظـة قـد كنـتُ احسبُـهـا
رادا وريـا لمخـذول المتـاع صـدى
كـانـتْ جنـاحـين مـن نـعمـى ومـرحمـة
ومـن تمـازج أرواح ومـعتقـد
رفيـفُ انسـامـهـا انفـاسُ عـافيتـي
وبـرد انـدائـهـا ينسـابُ في كَبـدي
اطبقـتُ عينـي . يـا رؤيـا بـهـا اكتملـتْ
مـلامـحُ الابـد الـغـافي .. بـلا ابـد
حتـى صحـوت عـلى دنيـا بـلا أفـقٍ
ولا شـعـاب . ولا فجـرٍ ولا عُمـدِ
تـزاحمـتْ فيـك أصـداء الحيـاةٍ . فـلا
نجـاة مـن صـدمـات القـهـر والـعُقـد



وافرخت فيك أوهام الطريق . فلم
تدن السبيل لنائي العيش مفتقد
توقف الزمنُ العاتى . وخَلفني
طريح حُلم . بعيد المنتأى بدد
هذا صهيلُ الليالي في محابسها
وتلك حمحمة الأيام في الوتد
وانت اسطورة في اليم غارقةٌ
تتى بها فورة الأمواج بالزَبد
ورشفة من شراب سائغ عذب
تناقلتْها يدُ الاقداح كالرَصد
لا تتبعيني ، كفاني خطوُ مبتئس
أو تسبقيني ، كفاني نأى مُبتعد
كان الزحامُ يداويني ويُغرقني
فصار بعضُ عزائي صمتُ منفرد
لم يبق من غايتي وعدٌ يعللني
ومن سراب الرؤى كشفُ لمجتهد
يا ويلتاه ـ وظِلُّ العمر مرتعشٌ
والكونُ خالٍ . وما في البُعد من أحد
انى دفنتك في نفسي وفي خلدي
انى بعثتك في روحي وفي جسدي



ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ت

التضخم

خط مصطلح اقتصادي بسعة انتشار وتداول مثل مصطلح التضخم ،ولم يتحول مصطلح ما الى مشجب تلقى عليه كل أسباب الأزمات الاقتصاديه والغلاء مثل هذا المصطلح

والتضخم ببساطة هو الزيادة المستمرة والمفاجئة في المستوى العام للاسعار ، أو هو - بمعنى اخر - التدهور المستمر في القوة الشرائيه للعملة ، حيث تعنى القوة الشرائية كمية السلع والخدمات التى تشتريها العملة . وخير مثال على ذلك اذا كان فرد ما يستطيع أن يشترى بوحدة العملة ، ولنقل دينارا ، سلعا وخدمات (أ ، ب ، ج) ثم وجد ان نفس القدر من السلع والخدمات أصبح يلزم لشرائه دينارا وربع ، فان معنى ذلك أن هناك تضخما قدره ٢٥ ٪

وهناك رؤيتان متمايزتان للتضخم ، الاولى وهى ما يعرف بالرؤية التقليديه - ترى أن التضخم هو كمية كبيرة من النقود تلهث وراء كمية محدودة من السلع والخدمات ، والثانية وهى ماتعرف برؤية كينز ، والذى يتفق مع ذات النتيجة ولكنه يقول ان المجتمعات لاتصل اليها الا بعد ان تصل الى مرحلة التوظف الكامل لمواردها ولقواها العاملة

ويرى الاقتصاديون أن أسباب التضخم تنحصر فى حالتين ، اما زيادة مفاجئة فى الطلب بشكل يفوق القدرة الحقيقية للمجتمع لانتاج السلع والخدمات ، أو بسبب ارتفاع عناصر الانتاج مثل (ارتفاع اسعار السلع الوسيطة ،وتدهور سعر صرف العملة الوطنية أمام العملات الاجنبية مما يرفع من أثمان الواردات محليا ، وتبعية الاقتصاديات القومية وبالتالى حساسيتها الى التضخم الخارجى ، وتغير الأسعار عالميا .)

وهناك أنواع للتضخم وهي التضخم الجامح وهو أخطر الانواع ، وفيه ترتفع الاسعار كل ساعة ، ويستحيل وضع حل له الا بابطال النقود واصدار عملة جديدة يتولى البنك المركزى تحديد قيمتها ، وأشهر أمثلة ذلك ما حدث فى المانيا عقب الحرب العالمية الاولى ، والذى بلغ ذروته فى أغسطس ١٩٢١ .

وهناك أيضا تضخم مكبوت ، وتضخم زاحف ، وهما أقل حدة من النوع الاول الا أنهما يشتركان فى قائمة سوداء طويلة من الأثار الاقتصادية والاجتماعية

ويشهد العالم الان وتحديدا منذ السبعينيات نوعا آخر من التضخم أحدث انقلابا فى المفاهيم الاقتصادية وهو التضخم الانكماشى .

فقد كانت المفاهيم الاقتصادية مستقرة منذ فترة ،

* عالم اقتصادى أحدث ثورة فى المفاهيم الاقتصادية بمؤلفه عن النظرية العامة للتوظف والنقود والفائدة نشر فى عام ١٩٣٦.

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى


كينز

على أن هناك علاقة بين البطالة والتضخم مفادها « انه كلما زادت البطالة كلما قل التضخم وكلما قلت البطالة كلما زاد التضخم » ، وذلك لانه في حالة البطالة فان هناك عمالا كثيرين لايتقاضون أجورا ، وبالتالي لايدفعونها الى السوق فتظل السلع والخدمات أكثر من النقود ، ومع قلة البطالة فان هناك اجورا أكثر ومستهلكين أكثر مما يحدث خللا بين كمية النقود والمتاح من السلع والخدمات ، الا انه منذ السبعينيات انقلب هذا المفهوم تماما فقد ازدادت نسبة البطالة ، واستمر معدلها في ارديار عاما اثر عام بينما ازداد التضخم .

وللتضخم نتائج اقتصادية واجتماعية كثيرة كتدمير ثروة ومدخرات الطبقة الوسطى التي سوف تتآكل في محاولة عبثية للحفاظ على مستوى ثابت للمعيشة ، وضعف القدرة على الادخار لان فائض الدخل الذى كان يوجه للمدخرات سوف يتقلص امام معدل زيادة الاسعار المستمر ، ويضاف الى هذا نشوء ظاهرة الهرب من النقود وذلك لتدهور قيمتها المستمر مما يدفع الناس الى توجيه مدخراتهم لشراء العقارات والأراضي والذهب ، الامر الذى يخلق جوا من المضاربة ويعطي سوق العقارات ازدهارا ليس حقيقيا ، ويرفع أثمان العقارات الى مستوى غير طبيعي .

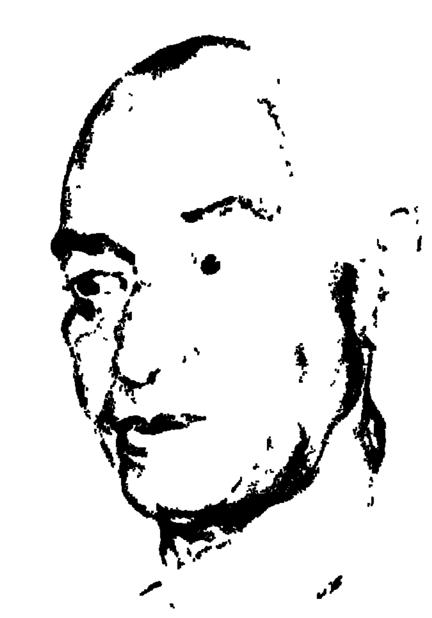
ولايمكن علاج التضخم من خلال رؤية نقدية فقط ، أو النظر اليه كحالة يمكن علاجها باصلاح مالي ، رغم أن بعض الاتجاهات الاقتصادية ترى ذلك ، الا ان العملية وواقع الحال ينبأن بأن هذه النظرة تريد الأمر تفاقما ، وأن أفضل سبل الاصلاح تتركز في اعادة النظر في السياسات الاقتصادية كلها ، لان التضخم في النهاية ليس مجرد أوراق نقود كثيرة بقدر ماهو تعبير عن اختلالات في هياكل الاقتصاد القومي وقدرته على الانتاج . □

نبوءة لينين !

كتب لينين « أبو الثورة البلشفية » في عام ١٩١٧ يقول : « سوف تمضي ألمانيا في تسليح نفسها حتى تزول من الوجود . . وستتمادى بريطانيا في توسعها الاستعماري حتى تزول كل مستعمراتها . . وسوف تستمر أمريكا في الانفاق بلا حساب حتى تصاب خزانتها بالافلاس ! »

ترى هل تحققت النبوءة ؟؟

وجهاً لوجه




الدكتور
توفيق الطويل

و

الدكتور
نصّار عبد الله

****

وجها لوجه .. باب جديد ، يلتقي فيه جيلان من أجيال الكتاب والمفكرين والعلماء ، يجمعهم اختصاص واحد ، جيل يسأل ، وجيل يجيب ، لعل هذا الحوار يسهم ـ بدوره ـ في اقامة جسر اتصال بين أجيال مختلفة ـ متعاصرة ، ولعله ـ أيضا ـ يتيح فرصة لفهم أعمق ، وصلة أوثق وتقويم أعم وأشمل

****

* الغزو الثقافي خطر وهمي مزعوم

* المأمون يمنح المترجمين وزن ما يترجمونه ذهبا ..

* التيارات الدينية صحوة لاشك فيها ، ولكنها تفتقر الى النضج .

ع الحوار بين جيلين من أجيال أساتذة الفلسفة . . الدكتور توفيق الطويل . . والدكتور نصار عبدالله . . أما عن الدكتور نصار فهو مدرس الفلسفة المعاصرة بجامعة اسيوط ، والمتخصص أيضا في الاقتصاد والقانون ، وصاحب الدراسات العديدة في الأدب والفلسفة ، والحاصل على جائزة الدولة التشجيعية عن ديوانه الشعري . وهو يجري الحوار مع أستاذه الدكتور توفيق الطويل عضو مجمع الخالدين .

أما بطاقة التعريف بالدكتور الطويل فيقدمها عنه تلميذه قائلا :

على مدى اربعين عاما تقريبا وهو يقوم بتدريس الفلسفة بجامعة القاهرة ، حيث تخرج على يديه آلاف الطلبة وعشرات الاساتذة . . انه واحد من أبرز شيوخ الفلسفة ـ في مصر والوطن العربي ـ الذين أثروا المكتبة الفلسفية العربية حيث قدم لها نحو خمسة وعشرين كتابا ما بين مؤلف ومترجم ، بالاضافة الى عشرات الدراسات والبحوث المتخصصة ، ومن ابرز هذه الكتب (فلسفة الاخلاق) (قصة النزاع بين الدين والفلسفة) (الفكر الديني الاسلامي في مائة العام الاخيرة) (العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي) (التنبؤ بالغيب عند مفكري الاسلام) (اسس الفلسفة) وغيرها .

انه الدكتور توفيق الطويل استاذ الفلسفة غير المتفرغ بجامعة القاهرة ، وعضو مجمع الخالدين بالاضافة الى عضويته الفعالة في عدد من اللجان المتخصصة بالمحافل العلمية .

كرمته الدولة اخيرا فمنحته جائزتها التقديرية ، عرفانا وتقديرا لما قدمه من جهد عملي .

والدكتور توفيق الطويل ينتمي الى مدرسة تؤمن بأن الولاء الأول للفيلسوف ينبغي ان يكون للحقيقة المجردة ، حقا هو يسلم بان الفيلسوف ينتمي الى وطن معين ، وعصر معين ينبغي عليه ـ باعتباره مواطنا ـ أن يعيش قضايا وطنه وعصره ويرتبط بها . غير انه باعتباره فيلسوفا ينبغي ان يظل ولاؤه الأول للحقيقة المجردة .

الفلسفة الخالدة

*** ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، ما هو تصور الدكتور توفيق الطويل لوظيفة الفلسفة ، والمهمة التي ينبغي ان تنهض بها في وطننا العربي ؟**

ـ الأصل في الفلسفة انها ذات وظيفة عامة لا ترتبط بزمان ولا مكان ، ولا يكتب للفلسفة الخلود الا من خلال العناصر الانسانية العامة التي تنطوي عليها . اما العناصر المحلية فمآلها الى زوال بزوال البيئة التي تنشأ فيها . وخذ مثلا ارسطو الذي كان مدافعا عن النظام الاجتماعي اليوناني عندما اجاز الرق ، شريطة ان يكون الرقيق غير يوناني . بيد ان هذا الجانب المحلي في فلسفة ارسطو هو اضعف جوانب فلسفته





على الاطلاق . . اما اقوى جوانب تلك الفلسفة فهو المنطق الارسطي الذي هو في حقيقة الأمر اساسي للمنطق الرياضي . . وهو جانب غير مستمد من البيئة اليونانية ولا من غير البيئة اليونانية .

الولاء أولا للحقيقة العلمية

*** هناك من يذهبون غير مذهبكم هذا . . هناك من يرون الفلسفة آداة للتغيير ، وينبغي ان تكون في رأيهم كذلك . . وهناك من يرون ان الخلود الفلسفي مرجعه في النهاية الى اصالة التعبير عن ظروف اجتماعية وسياسية معينة . . حتى ان كانت لا تمشي في**



الدكتور توفيق الطويل والدكتور نصار عبد الله وجهاً لوجه .

الظاهر بانها كذلك ، وعلى سبيل المثال الفلسفة الرواقية التي طرحت فكرة الاخوة بين البشر كبديل للتميز العنصري اليوناني ازاء الشعوب الاخرى . . ان هذه الفكرة الانسانية الخالدة كانت بدورها تعبيرا عن الانكسار العسكري اليوناني امام الفرس ، وما كان لها ان تطرح في عصر ارسطو . . عصر المجد العسكري اليوناني . . ؟

ـ الفلسفة في الأصل بحث عقلي عن الحقيقة . . لا يرتبط بزمان ولا مكان . . لكن هذا لا يعني اننا في الواقع لا نجد للفلسفة طابعا محليا ، فهناك الفلسفة الألمانية والانجليزية والفرنسية . . وكل من هذه الفلسفات يتلون بملامح بيئته . . غير ان عناصر الخلود في أية فلسفة خالدة ليست تلك المستمدة من واقع بيئي معين ، ولكنها تلك العناصر الانسانية العامة . لقد انقرضت آراء افلاطون وارسطو المستمدة من واقع بيئي معين وبقيت العناصر العامة وحدها . . ومع هذا اكرر القول بان الوظيفة العامة للفلسفة لا تعني انه يمتنع على الفيلسوف ان يربط بين تفكيره وبين الواقع الذي يعيش فيه ، فالفيلسوف لا يحيا في برج عاجي بطبيعة الحال .

* ما دمتم تسلمون بان للفلسفة طابعا محليا ـ فيما هو حادث فعلا ـ ومادام الفيلسوف لا يحيا في برج عاجي هل لنا ان نعود الى السؤال المطروح ونسألكم مرة اخرى . . ما هو تصوركم لدور الفيلسوف العربي في حدود هذين المعطيين ؟

ـ انني اطالب الفيلسوف العربي بان يكون على ولاء للفكر وللحقيقة التي يدرسها ، وأن يكون في نفس الوقت على اتصال بواقعه ، وبالمجتمع الذي ينتمي اليه .

الأجيـال التاليـة

* كيف اذن تنظرون الى انجازات بعض الاساتذة من الأجيال التالية لكم . . . على سبيل المثال فؤاد زكريا وزكي نجيب محمود ؟

ـ أكن كل الاعجاب والتقدير لانجازات فؤاد زكريا . . انه ينهض بحركة ثقافية شاملة في الكويت ، وآثارها لا تقتصر على الكويت وحدها بل تشمل الوطن العربي كله . . لا اعتقد ان انسانا يمكن ان يقلل من قيمة واهمية الجهد الذي يقوم به . . انني متفائل جدا بنتائجه وآثاره .

* ماذا عن عطائه المباشر ، اعني مؤلفاته ودراساته ؟
- احمل له ايضا كل الاعجاب والتقدير . . فعطاؤه خصب متنوع متعمق . . دعني ارو لك واقعة اترك لك حرية نشرها . . لقد تلقيت خطابا من ابني الذي يدرس الدكتوراه في العلوم السياسية بجامعة برمنجهام ، اثر كلمة نشرتها في جريدة الاخبار ، ولقد تضمن خطابه عتابا لي اني لم ارشح الدكتور فؤاد زكريا لجائزة الدولة التقديرية في كلمتي المنشورة . ان ابني لا يعرف الدكتور فؤاد ، لكنه ذكر لي ان اعماله يقرؤها الباحثون الغربيون باعجاب لانظير له بين مؤلفي العرب .

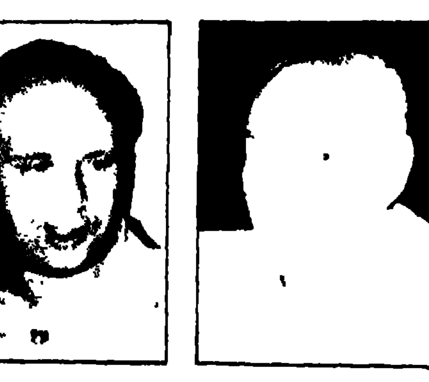
* وزكي نجيب محمود ؟
- اعمال زكي نجيب محمود ايضا تستوجب التقدير والاعجاب . . ان الكثيرين يصفون اعماله بانها مجرد ترجمة وماذا في هذا ؟ ان الترجمة كانت بداية لعصر الاسلام الذهبي في منتصف القرن الثامن الميلادي ، . . ومع هذا فانني اضيف ان وصف اعمال زكي نجيب محمود بانها مجرد ترجمة ، ينطوي على قدر كبير من المغالطة . فهو يفعل ما هو اكثر بكثير من الترجمة . انه ينقل مذاهب معينة ويدعمها باسانيد من عنده هو . . ان ما يفعله لا يقل شأنا عما فعله الفريد أير امام الوضعية المنطقية ، حيث استقى منها آراء مجموعة فيينا ، واعاد بسطها وطرحها على نحو واضح ، واستحق بذلك كل ما ناله من الشهرة والذيوع والمكانة الفلسفية الرفيعة .

الابداع العربي الفلسفي

* ما هو تفسيركم لانحسار الابداع العربي في المجال الفلسفي وغياب الاصالة فيما يكتبه الفلاسفة العرب في عصرنا هذا ؟
- نحن مازلنا في اول طريق نهضتنا الفكرية بعد خمسة قرون من الحكم التركي ، وهو حكم لم يكن ليستند الى العقل ولا ليتسع صدره لحرية الفكر . . فكتم الحرية العقلية ، والحركة الفكرية ، وعرقل التقدم العلمي والفلسفي زمانا طويلا . . زد على ذلك ان جوانب الاصالة الفلسفية العربية في عصر الازدهار جاءت نتيجة لمحاولات التوفيق بين العقيدة الاسلامية وبين الفلسفات القديمة ، من يونانية وفارسية وهندية . . ومن خلال هذه المحاولات تجلى الخلق العربي العبقري الفريد . غير ان هذه المحاولات التوفيقية قد انتهت بانتهاء العصور الوسطى تقريبا ، سواء في الوطن العربي (بين العقيدة الاسلامية والفلسفات القديمة) او في اوروبا (بين الفلسفة والعقيدة المسيحية) . . لم تعد الفلسفة الحديثة معنية بالتوفيق بين الدين والفلسفة . . . وبانسحاب هذه المشكلة من دائرة الاهتمام الاساسي للفلسفة غاب المجال الاساسي الذي تجلت فيه مظاهر شتى لاصالة الخلق الفلسفي عند العرب .

التوفيقية والتراث

* لكل عصر قضاياه وشواغله . . واذا كان الشغل لفلاسفة العصور الوسطى هو محاولة التوفيق بين العقيدة والفلسفة . . فان لعصرنا هذا قضاياه وشواغله . . بل ان من بين هذه الشواغل ما يحمل



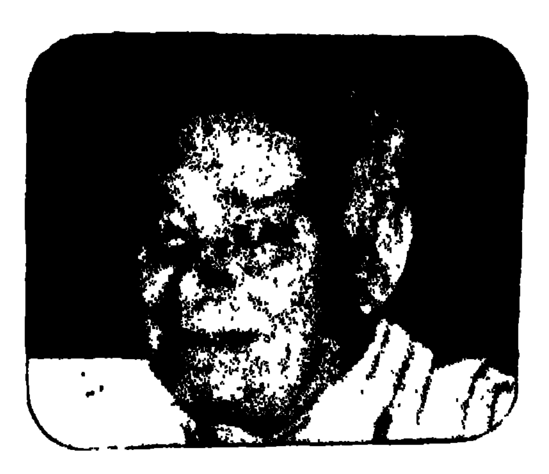


طابعا توفيقيا بدوره ، وعلى سبيل المثال في مجال الفكر السياسي محاولة التوفيق بين الفكر الماركسي والليبرالي ، أو بين هذين الرافدين وبين الموروث القومي ، الا يصح ان تكون هذه الشواغل موضوعا للاجتهاد والخلق من جانب المفكرين في العالم الثالث وفي وطننا العربي بوجه خاص ؟
- بلى . . وهذا ما هو حادث فعلا . . لقد شغل البعض بمحاولة حل هذا الاشكال . . المحاولات قائمة ولكنها في اعتقادي غير موفقة .

* يكاد الدكتور عبدالرحمن بدوي ان يكون هو

الاسم العربي الوحيد الذي تذكره بعض الموسوعات والقواميس الفلسفية الاجنبية المعاصرة . . فهل هو اكثر الفلاسفة العرب اصالة واهمية . . أو ماذا ؟

- الدكتور عبدالرحمن بدوي قيمة لاشك فيها سواء اشارت اليه الموسوعات الاجنبية ام لم تشر ، ومع هذا فان الاقتصار على ذكر اسمه يرجع الى اسباب اخرى غير قيمته العلمية التي لا سبيل الى الشك فيها ، لقد طرق الدكتور عبدالرحمن بدوي ابوابا لم يطرقها سواه اذ نشر كثيرا من كتب التراث وبوجه خاص الترجمات العربية الأولى لاعمال ارسطو ، وهو ما يثير اهتمام المستشرقين القائمين على امر هذه الموسوعات ، فضلا عن ذلك ، فهو دائم الحركة والتنقل ، قادر على اقامة وشائج من الصلة الثقافية المباشرة بينه وبين الاساتذة الذين يصدرون هذه الموسوعات ، اما سواه من الفلاسفة العرب فان اعمالهم تبقى بعيدة عن انظار القائمين على هذه الموسوعات ، يفصلها عنهم حاجز اللغة ، ولا يقربها منهم قنوات الاتصال المباشر .



● ما هي الصيغة المثلى للتعامل مع التراث في رأي الدكتور توفيق الطويل ؟

- أكثر التراث لم ينشر بعد . . هناك المئات والمئات من المؤلفات العربية القيمة لم تنشر بعد ، في الوقت الذي نختار فيه اسوأ كتب التراث ونقوم بنشرها . . انني اذكر في هذا المجال ان المستشرق الايطالي الدوميلي قد اورد في نهاية كتابه عن (تاريخ العلوم عند العرب) توصية المجمع العلمي بنشر مؤلفات عربية عديدة في مختلف فروع المعرفة البشرية ، وما تزال هذه المؤلفات حبيسة عدد من المكتبات العالمية في فرنسا واسبانيا وبريطانيا وتركيا . . وغيرها . . . ولا يفكر احد من العرب في نشرها الا فيما ندر . . لابد لنا اولا من نشر هذه المؤلفات نشرا علميا . . ثم ينبغي ان توضع بعد ذلك بين ايدي الباحثين والدارسين للاستفادة منها .

الغزو الثقافي

● شهدت السنوات الماضية تزايدا في صيحات التحذير مما يصفه البعض بانه غزو ثقافي تتعرض له الشخصية العربية - فما هو رأيكم في هذا المجال ؟

- رأيي بوضوح شديد لا لبس فيه . أن هذه التجربة مرت بالاسلام في مطلع العصر العباسي ، حيث اقبل المسلمون اقبالا شديدا على ترجمة تراث الامم (الوثنية) (اليونان وبلاد فارس والهند) . كانت حركة امة باسرها يقف وراءها الخلفاء والامراء وذوو اليسار ، ويمولونها بالاموال في غير تقتير الى حد ان المأمون كان يمنح حنين بن اسحق شيخ المترجمين في دار الحكمة وزن ما يترجمه ذهبا ، (اما الوزارات المعنية - حاليا - بالترجمة ، فهي تمنح المترجم في ايامنا مليما لقاء كل كلمة يترجمها ايا كانت قيمة الكتاب المترجم) فماذا كانت النتيجة ؟ النتيجة هي ان ذلك العصر اصبح عصر الاسلام الذهبي . . . أجل ، عصر الترجمة نفسه أصبح جزءا من عصر الاسلام الذهبي ، حتى قبل ان يتفاعل التراث الوافد مع تراث الاسلام الاصيل . . لا خوف اطلاقا في رأيي من اي غزو ثقافي . . ولابد لنا من الاقبال على الثقافة الاجنبية قدر ما نستطيع؛ان تراثنا وحده لم يعد كافيا لمواجهة متطلبات العصر ، بعد ان سبقتنا اوروبا بسبعة قرون من الزمان .

الصحـــوة

● شهدت السنوات الماضية - ايضا - تصاعدا في التيارات الدينية بين الشباب بوجه خاص - كيف ينظر الدكتور توفيق الطويل الى هذه التيارات ؟ هل يراها نوعا من الصحوة . . أم يراها غير ذلك ؟

- هي بالتأكيد صحوة لاشك فيها . . لكنها صحوة تفتقر الى النضج عند أغلب الشباب المتدين . . فأغلب هذا الشباب المتدين يقف عند شكليات الدين ومظاهره السطحية ولا يتعمق في جوهره الصحيح □

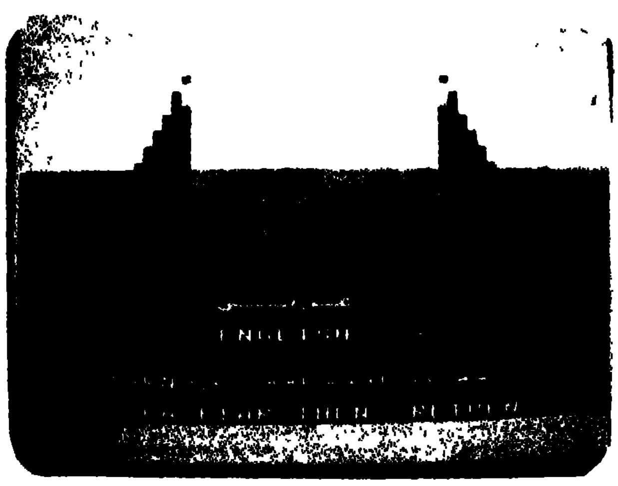


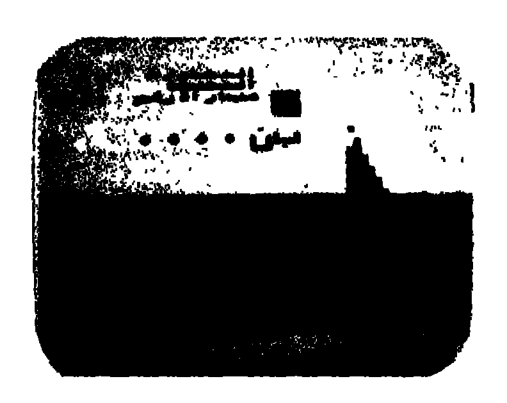
الكمبيوتر واللغة العربية .. تحدي المستقبل

بقلم : الدكتور نبيل علي

تقوم اليابان حاليا بتطوير آلة كاتبة سامعة تنسخ وتطبع ما يملى عليها ، كما أن هناك أساليب متطورة لتحليل النصوص اللغوية واكتشاف الاخطاء الاملائية وتصحيحها . .

أين نحن من كل ما يجري حولنا ؟ وكيف السبيل الى المزاوجة بين الكمبيوتر وبين اللغة العربية لكي يتاح لمجتمعنا أن يعيش ثورة المعلومات التي تعيشها امم العالم المتقدمة ؟





اسم البرنامج فرس البحر
برنامج لتعليم المفردات العربية والانجليزية

يشهد عالم اليوم تطورا هائلا في تكنولوجيا الكمبيوتر والمعلومات، الامر الذي أحدث في مجتمعات البلدان المتقدمة تغييرات جذرية يوشك أن تنقلها الى مجتمع جديد أسماه البعض « مجتمع المعلومات » فبعد المحراث في المجتمع الزراعي ، والآلة البخارية في المجتمع الصناعي الاول ، وتكنولوجيا الكهرباء والذرة في المجتمع الصناعي الثاني ، يأتي الكمبيوتر محدثا نقلة نوعية « مثيرة » في مسار التقدم الانساني ، مؤكدا الدور الحاسم للتكنولوجيا كمحرك أساسي للتغيير المجتمعي .

ينذر ذلك باحتمال ظهور فجوة « في المعلومات » بين الدول المتقدمة والدول النامية ، تضاف الى سابقتها « الفجوة الصناعية » محدثة فجوة مضاعفة تزيد من تصدع المجتمع الانساني وتمزقه على مدى محور التقدم والتخلف .

لقد أصبح الكمبيوتر قاسما مشتركا في معظم النشاطات الانسانية ابتداء بالمجالات العسكرية والعلمية والادارية وانتهاء بمجالات التعليم والتثقيف والترفية . وتعني عملية انصهار الكمبيوتر داخل المجتمع حتمية التقائه مع اللغة بصفتها وسيلة الاتصال الطبيعية واداة التعبير الاساسية ، لذا فان جميع الشواهد تشير الى الاهمية البالغة لقضية الكمبيوتر واللغة ، ويكفي هنا أن نذكر أن مشروع الجيل الخامس من الكمبيوتر ، الذي تنفذه اليابان حاليا ، يهدف اساسا الى انتاج كمبيوترات ذات قدرة لغوية عالية بحيث يمكن استخدامها في نظم آلية قادرة على التخاطب والتحليل والانتاج ، او بعبارة اخرى أنظمة ذات « ذكاء صناعي » تفوق بكثير قدرة انظمة الكمبيوتر المعتادة والمستخدمة في الحسابات ومعالجة البيانات التقليدية .

وفي الحقيقة ـ ومنذ ظهور الكمبيوتر في آواخر الاربعينيات ـ وعلاقته باللغه تتوثق وتتأصل باطراد متعاظم يوحي بأن وراء هذا الترابط الوثيق عوامل ودوافع عديدة ومتباينة . .
ومذاهبها هي :

ظهور علم اللغة الحديث الذي ينقل اللغة : من المجال الوصفي والفلسفي الى مصاف العلوم الدقيقة لتدين اللغة بذلك الى تقطع التحليل الرياضي وتلقائية المعالجة الآلية ، والتقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر والمعلومات والذي صاحبه احتياج متزايد الى لغات للبرمجة ارقى وأذكى ، وأساليب متطورة لمعالجة المعلومات وتخزينها واسترجاعها وتحليلها . وتتطلب جميع هذه الامور فهما لغويا عميقا .

وكذلك التقدم الهائل في علوم الاتصالات والاحصاء الرياضي وظهور نظرية المعلومات التي اتاحت طريقة « كمية » لقياس المعلومات . ولقد استخدمت نظرية المعلومات في تحليل كثير من الظواهر اللغوية مما ساعد على فهم كثير من العلاقات الدقيقة واستخلاص الضوابط التي تتحكم في « آلية » اللغة .

وكان لدخول الكمبيوتر في مجالات العلوم الانسانية والتعليم والتثقيف اثر ملحوظ وهي مجالات تتبوأ فيها اللغة موضع الصدارة .

ثم تزايد الاهتمام بتقنية الروبوت (الانسان الآلي) وأنظمة الذكاء الصناعي والترجمة الآلية التي تعد آليات التعامل اللغوي من أهم مكوناتها ، اضف الى ذلك انتشار الكمبيوتر الشخصي والمنزلي ومايتبع ذلك من ضرورة تيسير العلاقة بين الكمبيوتر ومستخدمه ، والذي بات لايشترط فيه التخصص الفني . ويتطلب ذلك توفير لغات برمجة سهلة تقترب كثيرا من اللغة الطبيعية حتى « يستأنس » المستخدم الالة الجديدة .

وأخيرا تفاقم ظاهرة « انفجار المعلومات » مما أدى الى ضرورة استحداث وسائل فعالة وذكية لضغط المعلومات وأختزالها (تلخيصا واستخلاصا) وذلك باسترجاعها وتحليلها وابراز علاقات الترابط بينها . . وحيث ان القدر الأكبر من المعلومات هو عبارة عن نصوص أو بيانات لغوية ، فقد فرض ذلك حتمية التعامل الآلي مع كثير من العناصر اللغوية : حروفا وكلمات ، نصوصا ودلالات ، وذلك لامكان استخلاص الافكار المحورية واعادة ترتيب هيكل المعلومات بصورة تتيح سرعة النفاذ الى المعلومة وربطها بالمعلومات الاخرى المتعلقة .

التطبيقات اللغوية

على ضوء ما تقدم يتضح لنا كيف توفرت الأسباب والدوافع لاعادة النظر في منظومة اللغة ككل ، ولسبر اغوارها واكتشاف ضوابطها وتعميق اسس تقعيدها واعادة صياغة ظواهر الشذوذ بها . وهكذا انطلقت الجهود مع جميع المحاور اللغوية، صرفا ونحوا ، وصوتا ودلالة ، لتستحدث الكثير من تطبيقات الكمبيوتر اللغوية . ونذكر من هذه التطبيقات :
- نظم الترجمة الآليه التي تترجم بين لغة واخرى ، وبين لغة وعدة لغات .

ويعد نظام الترجمة الآليه بمثابة محاكاة كاملة للمنظومة اللغوية تحليلا وتركيبا .. لذا فهو بمثابة الوسيلة المعملية .

يضاف الى ذلك توليد الكلام صناعيا بحيث يمكن تحويل النصوص المكتوبة الى صوت مسموع . وكذلك تمييز الاصوات آليا وذلك بتحويل الاصوات المنطوقة الى نصوص مكتوبة . (يجري حاليا في اليابان تطوير آلة كاتبة سامعة تنسخ وتطبع ما يملى عليها) .

ثم هناك أساليب متطورة لتحليل النصوص اللغوية وتشمل نظما آلية للفهرسة والاستخلاص، وتحاليل أساليب الكتاب واكتشاف الاخطاء الاملائية وتصحيحها ، واستخدام الكمبيوتر في تعليم اللغات وتنمية التذوق الادبي والقدرة على القراءة والكتابة ، وكذلك التخاطب مع نظم المعلومات بصورة طبيعية دون اللجوء الى استخدام لغات اصطناعية لا يقدر على التعامل بها الا المتخصصون .

الجانب العربي

هذا عن الكمبيوتر واللغة بصفة عامة ، أما فيمايخص لغتنا العربية فهناك الكثير من الامور العامة التي تعطي المسألة بعدا لا يتجاوز المجال التكنولوجي واللغوي الى مجالات ثقافية واجتماعية واقتصادية بل وأمنية ايضا ، وكيف لا .. وتزاوج الكمبيوتر واللغة العربية هو أحد المتطلبات الاساسية لتهيئة الوطن العربي للمجتمع القادم : مجتمع الكمبيوتر والمعلومات ؟

يجدر بنا هنا أن نشير الى مايتسم به موضوع مركب مثل هذا الذي يتناول اللغة العربية والكمبيوتر من اتساع وتشعب يتعذر معه تناول جميع أوجه الموضوع لذا سنحاول هنا التركيز على النقاط الاساسية التالية :

مصدر المشكلة :

نشأت تكنولوجيا الكمبيوتر وتطورت متخذة من اللغه الانجليزية اساسا لها وقد صبغ ذلك كثيرا من عناصرها واتجاهاتها بخصائص فنية حددت أصلا لتلائم هذه اللغة . من هذه الخصائص :

● استخدام شيفرة لتبادل البيانات مصممة اساسا على ضوء الابجدية الانجليزية ، فلا مكان فيها لحركات التشكيل وتفترض وجود شكلين للحرف فقط،واستخدام وسائل لاظهار النصوص وطبعها بحيث تتلاءم مع طبيعة الحروف الانجليزية التي تتسم بالاستقامة وغياب المنحنيات وبالتالي تعطي اشكالا مشوهة لحروف اللغه العربية الكثيرة المنحنيات والتفاصيل .

كما أن معظم نظم المعلومات تفترض التعامل مع نصوص انجليزية مما يجعل أساليب الفهرسة والاستخلاص الآلي واسترجاع المعلومات غير ملائمة للنصوص العربية .

ويشكل الاساس الانجليزي المذكور مشكلة حقيقية لمستخدمي اللغات الاخرى ، وتزداد حدة هذه المشكلة مع اتساع الفروق اللغوية بين اللغة المستخدمة واللغة الانجليزية،مما أدى الى ظهور مشاكل جمة في تطويعها لتكنولوجيا الكمبيوتر المصححة للغة الانجليزية وتحول هذه المشاكل دون انتشار تطبيقات الكمبيوتر في مجالات مثل التعليم وبنوك المعلومات العربية والترجمة الآلية وتوليد الكلام وتمييزه

وحتى يمكن للقاريء تصور حجم المشكلة سنتناول هنا وبايجاز بعض الفروق الاساسية بين الانجليزية والعربية وذلك من منظور (كمبيوتري) :
● تنتمي اللغة العربية لفصيلة اللغات السامية في حين تنتمي الانجليزية للفصيلة الآرية . وذلك يعني تباينا جوهريا في معمارية اللغة ككل ، تنعكس آثاره

على كل أو (جل) الظواهر اللغوية ويعرف اللغة العربية بأنها لغة تصريفية في حين تتسم اللغة الانجليزية بالتركيب ، لذا فان للعربية قابلية هائلة للاشتقاق والتصريف ، وفي نفس الوقت فهي لا تستسيغ الكلمات المركبة تركيب مزجي مثل (Anticlockwise) ؛

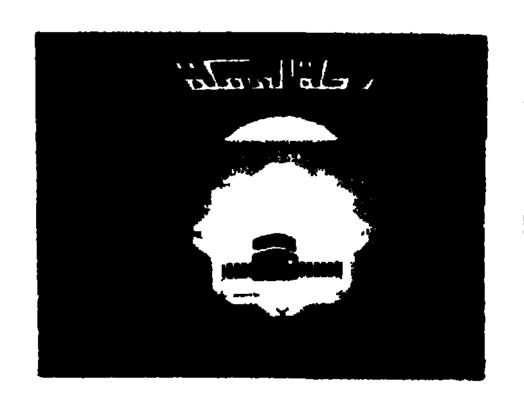
وهناك الخاصية الاعرابية للغة العربية وما ينطوي عليه ذلك من تعقيدات على المستوى التركيبي والصرفي والصوتي واللغة الانجليزية غير جنسية في حين تستخدم العربية نظاما معقدا للتذكير والتأنيث كما ترتب المعاجم العربية على أساس جذور الكلمات ونسير على اساس الترتيب الابجدي للكلمات كما في الانجليزية ولا تسير تعقد ظواهر الافراد والجمع في اللغة العربية (مفرد و مثنى وجمع) علاوة على جمع التكسير وجمع الخصوع ونعد ظاهرة الشذوذ اللغوي في العربية أعقد بكثير من مثيلتها في اللغة الانجليزية ، هذا فضلا عن كثرة الترادف في اللغة العربية ، واستخدام العربية لقواعد ووحدات صوتية تختلف بشكل جذري عن تلك المستخدمة في اللغة الانجليزية

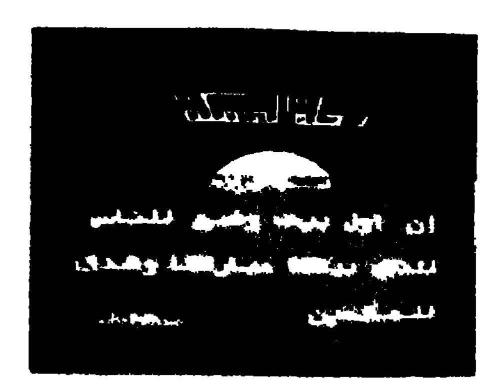
بتصيح مماسبق ان اللغة العربية أعقد بكثير من اللغة الانجليزية ، ولذا فان عملية تطويعها لتكنولوجيا الكمبيوتر المصممة اصلا لتلائم الانجليزية هي بمثابة عملية تطويع معكوسة لاستيعاب الأعقد في اطار الأبسط وهذا هو مصدر المشكلة الاساسي

والاتجاهات الرئيسية في تطويع اللغة العربية لتكنولوجيا الكمبيوتر تتمثل في التغاضي عن بعض خصائص الكتابة العربية لتكنولوجيا الكمبيوتر مما يؤدي الى تشويه غير مقبول في شكل الحروف عند اظهارها على الشاشة المرئية أو طبعها على الورق.

كذلك تؤدي الى اسقاط حركات التشكيل الى عدم دقة استرجاع البيانات العربية وصعوبة التحليل الآلي للصرف (لاستخراج جذر الكلمة) وتعسر ميكنة المعاجم العربية.

وقد دعت هذه المشاكل البعض للتفكير في تبسيط اللغة العربية نفسها وذلك باختزال عدد اشكال وتبسيط القواعد النحوية والصرفية وتحديد

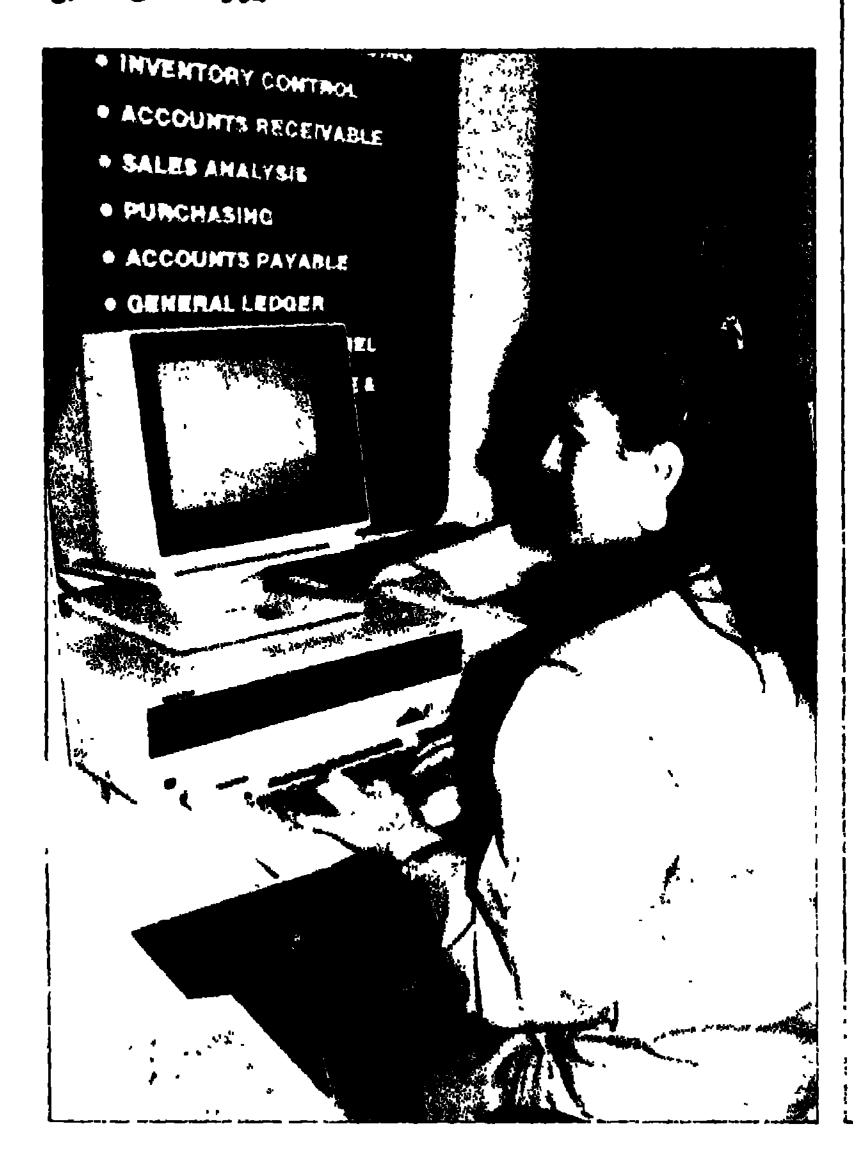




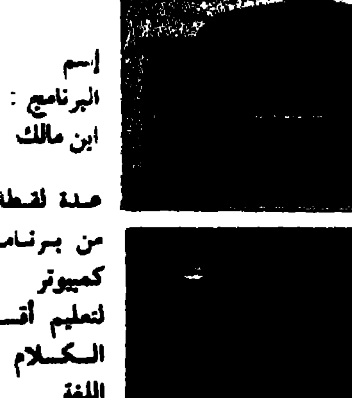


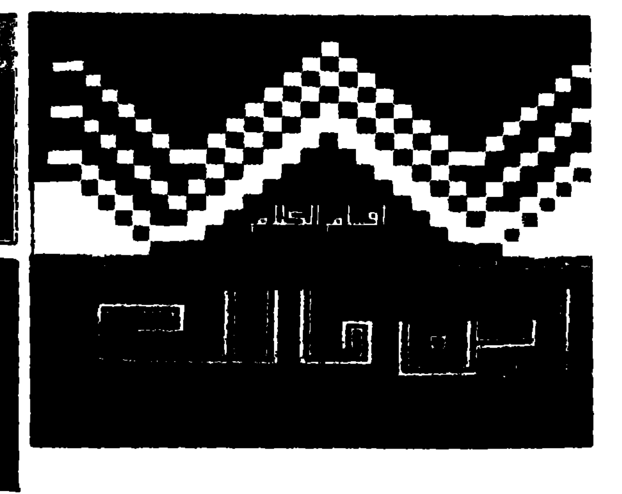
اسم البرنامج : رحلة إلى مكة

عدة لقطات من برنامج كمبيوتر لتعليم مناسك الحج وتاريخ مكة قبل وبعد الاسلام .



تسجل برنامجا جديدا لتعليم طلبة المرحلة الثانوية . الذين تقدم لهم برامجاً في الكيمياء والفيزياء والرياضيات





إسم البرنامج : ابن مالك

عدة لقطات من برنامج كمبيوتر لتعليم أقسام الكلام في اللغة العربية .

الاستخدامات اللفظية والمعنوية، وقد تصدى لهذه المحاولات كثير من أصحاب الحرص على هويتنا اللغوية والحضارية .

التحديات

وبجانب الصعوبات التي تواجه الباحثين في مجال الكمبيوتر واللغة بصفة عامة ، هناك الكثير من التحديات المتعلقةبمعالجة اللغة العربية كمبيوتريا .

ان ندرة البحوث الاساسية في هذا المجال والتي تعد الركيزة الاولى للتطبيقات التكنولوجية ، وقصور التقعيد اللغوي عن تناول كثير من القضايا التفصيلية التي يتعذر بدونها اكتمال دورة المعالجة الالية ، وكذلك التشابك والتداخل الحاد بين عناصر منظومة اللغة العربية . . ويكفي مثلا على ذلك حدة التشابك بين التركيب (الاعراب) والصوتيات ونظام الكتابة (التشكيل) والصرف ، ثم مشكلة حركات التشكيل وتعدد أساليب استخدامه ضمن تشكيل شامل لجميع حروف الكلمة الى غياب التشكيل تماما ، دفع البعض الى القول بأن النص العربي غير المشكل (يفهم ليقرأ بدلا من أن يقرأ ليفهم) وذلك يقلب عملية الاستيعاب رأسا على عقب .

ان المرونة الهائلة التي تتسم بها اللغة العربية كتابة ونطقا وتركيبا وتصريفا تزيد من صعوبة محاصرة ظواهرها آليا هذا فضلا عن وجود حالات كثيرة من اللبس والتكرار وتعدد الحالات الاعرابية والصرفية .

ان غياب عنصر التوحيد والقياس جعل السوق العربي يغص بالكثير من المعدات والنظم التي يتعذر تبادل البرامج أو البيانات بينها مما أحدث حالة من الفوضى في ربط المنظم على المستوى القومي أو القطاعي ، وكذلك غياب الحوار بين الفنيين واللغويين العرب في مجال يتطلب أقصى درجات الحوار والعمل المشترك .

أضف الى ذلك هيمنة موردي المعدات على عملية التعريب وما يصاحب ذلك من اخضاع العربية للمطالب الفنية وليس العكس كما هو مفروض .

ان انخفاض الوعي في ادراك اهمية قضية الكمبيوتر واللغة العربية ، وتجاهل أقسام اللغة العربية ، في جامعاتنا ومعاهدنا لعلم اللغة الحواسبي يضاعف من حجم المشكلةفمازالت معظم جوانب اللغة العربية تدرس بطريقة وصفية بعيدا عن الاحصاء اللغوي والتحليل الرياضي ونظريات المعلومات (والتكويد) .

تطبيقات الكمبيوتر في اللغة العربية

يوجد حاليا عدة تطبيقات للكمبيوتر في مجال اللغة العربية ، منها منسق الكلمات Wordprocessor الذي يستخدم لنسخ النصوص العربية بدلا من الآلة الكاتبة.ويظهر البعد اللغوي في برنامج تنسيق الكلمات عند تزويده بوسائل آلية لاكتشاف وتصحيح الاخطاء الاملائية، حيث يتطلب ذلك فهماعميقا لبنية الكلمة العربية ومعدلات تكرار حروفها ومفرداتها .

وقد استخدم الكمبيوتر في تعليم اللغة العربية وقامت احدى الشركات الكويتية أخيرا بتطوير برامج عربية لنظام MSX لتعليم الالف باء العربية للصغار وتعليم أقسام الكلام والتدريب على الاعراب وضبط أواخر الكلمات ، وكثير من ألعاب اللغات الاخرى باستخدام الحروف والمفردات العربية .

وكذلك استخدام الكمبيوتر في توليد الكلام صناعيا . وهناك محاولات تجرى حاليا لانتاج أول وحدة لاخراج العربية صوتيا بواسطة الميكروكمبيوتر .

هذا بالاضافة الى أن هناك عدة محاولات أولية للترجمة الآلية من الانجليزية والفرنسية الى العربية .

وظهور بعض الاحصائيات عن تردد الحروف في النصوص العربية وجذور الكلمات في المعاجم العربية الرئيسية وكذلك احصائيات مختلفة عند ألفاظ وحروف القرآن الكريم . وقد استخدم الكمبيوتر أيضا في تعريب النظام الموحد للكمبيوتر الشخصي المعروف باسم MSX بواسطة احدى الشركات الكويتية بالتعاون مع شركة أجنبية .

وقد تم تعريب بعض البرامج الأساسية للتعامل مع نظم المعلومات باستخدام اللغة العربية ، ويقوم مركز المعلومات للجامعة العربية بجهد رائد في هذا المجال

برنامج لاظهار التقويم ويظهر فيه وضوح الخط العربي على الشاشة .

ولا ننسى جهود بعض الجامعات والمؤسسات السعودية لتطوير لغات برمجة عربية وتعريب نظم التشغيل وبرامج قواعد البيانات ، وكذلك جهود معهد دراسات التعريب بالمغرب لتوحيد المصطلحات العربية في مجال الكمبيوتر ونظم المعلومات ، وقيام مركز البحوث العلمية الكويتي بمشاريع أبحاث في مجال تنسيق الكلمات وضغط البيانات العربية .

منطلقات مقترحة

اننا نعتقد ان هناك فرصة حقيقية تتيحها الانجازات الحالية والمرتقبة لتكنولوجيا الكمبيوتر والمعلومات يمكن من خلالها ـ ان أحسن استخدامها ـ تعويض تخلفنا الراهن أو جزء كبير منه على الاقل ، وذلك في المجال الحيوي لعلاقة الكمبيوتر واللغة . وفي هذا الصدد نقترح المنطلقات الاساسية التالية :

ـ صياغة جديدة لمنظومة اللغة العربية ككل لاكتشاف علاقات التداخل والترابط بين عناصرها المختلفة ، واعادة النظر في قضية التشكيل والاعراب من جذورها ، وذلك لصياغتها بصورة تقبل المعالجة الآلية .

ـ كما ينبغي استغلال الامكانيات الهائلة التي يتيحها الميكروكمبيوتر،ووسائل الذكاء الصناعي المؤسسة عليه،وتحليل دقيق لخبرة الدول التي لا تستخدم الانجليزية والتي سبقتنا في هذا المجال،ونذكر هنا على سبيل المثال خبرة اليابانيين في تصميم وسائل متقدمة للتعامل مع أشكال الحروف المعقدة ، وتجربة البولنديين في معالجة الكلام آليا،ومحاولات الفرنسيين في مجال الترجمة الآلية،ولا تفوتنا التوصية بادخال معلم اللغة الحواسبي في أقسام اللغة العربية وفي كليات العلوم . وغني عن الذكر ، أن يتم ذلك من خلال تنسيق الجهود العربية في هذا المجال : تنظيما وتخطيطا وتطويرا وتمويلا . □



ع فوق جسر ترابي منهار جلس ينظر الى لا شيء . وينتظر شيئاً . لاح سرب الفتيات من بعيد . وحين اقتربن قد مالت فوق رؤوسهن [illegible] معاطفه [illegible] صدره . فوقعت عينه على النطاقه . وسمع لدقات قلبه [illegible] لدقات [illegible] تحت سور العصب الحزين . لا يدري ما معنى النطاقه . أصبحت مثل العصفور الذي ما من صداقته بد . لو ترك الأمر له لأنقذه في اشرعة جبرتها [illegible] . عنه خفف من معاناته العالقه بعصفور مثل النحلة [illegible] وكرهه تبي اصدقت بها الساعات [illegible] امامه في يشبه عصف دائره [illegible] النطاقه [illegible] ـه ، محاولاً أن يفرش على وجهه ابتسامه

قالت الصبية ذات الثوب المطرز ، وقد اكتسى وجهها بابتسامة فيها العافية :

ـ مبارك عليك . صرت رجلاً

قال شكري ، ولا يزال يبدو بالصلافة ، كأنه يجب بسمة شاردة ، مع أن الحركات في أصيل يوم من [illegible] الربيع

ـ أنا طول عمري رجل ... يا بنت !!

ضحكت رفيقاتها بالضحك لتحيلات [illegible] من عبارته . ازداد وجه ذات الثوب المطرز احمراراً فازدادت فتنة . وأسلت عينها لتشرعتين لواسعتين [illegible] [illegible] فقالت

قصـة بقـلم : الدكتـور محمد حسن عبد الله



ـ اذا كان كلامك صحيحاً ، لماذا كل هذا الفرح بورقة لا تقدم ولا تؤخر ؟

ـ ماذا أفعل ؟ تعليمات الحكومة ، والمدرسة جعلت ذلك شرطاً للتسجيل . كل من يبلغ السادسة عشرة عليه أن يذهب الى البندر ، ويستخرج بطاقة من السجل المدني .

قالت واحدة في آخر الصف :

ـ أنا تجاوزت السادسة عشرة ، وليس عندي بطاقة ! !

ضربت إحدى رفيقاتها بكفها على كتفيها وكفلها ، وهتفت مازحة :

ـ مثل القطط تأكلين وتنكرين ، تجاوزت السادسة عشرة ، فأين اللحم ؟

غضبت غضباً سعيداً . قالت :

ـ اللحم (موضة) قديمة ، تفرح به الفتيات مثلك .

استولت على ذات الثوب المطرز رغبة في استعادة الصدارة . قالت :

ـ ماذا أحضرت من البندر ؟

ـ البطاقة ! !

ـ غير البطاقة ؟

تلعثم ، اضطرب ، فكر ، فكر فيها بشغف :

ـ الحقيقة . . تمنيت أن أحضر شيئاً آخر ، ولو رطل هريسة أو منديل نايلون ، لكن للأسف . دخلت معركة .

شهق البعض ، وهتف أكثر من فم بخوف حقيقي :

ـ معركة ! !

ـ وفي قسم الشرطة .

ـ الشرطة ! !

جحظت نظرته وهو يطوي البطاقة ويعيدها الى جيبه . قالت ذات الثوب المطرز :

ـ العساكر ليس في قلوبهم رحمة .

قال شكري :

ـ صحيح . لكن : أنا شكري والأجر على الله . كسرت أنفه .

ـ كسرت أنفه ؟ ! مصيبة ، لا بد من تلفيق تهمة .

ـ كسرت أنفه يعني : دست كرامته ، وجعلته يستجير .

حظي بنظرة اعجاب منها ، اعجاب ممزوج بالتمني ، وكأنها تقول : (عسى أن يكون ذلك صحيحاً) . أما التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً فقد قالت متشككة :

ـ أنت تدوس كرامة عسكري ؟

قال مندفعاً :

ـ طبعاً ، ولا يهمني . ما دمت لم أبدأ بالاعتداء . المواطن لازم يعرف حقه ويدافع عنه بكل الوسائل المشروعة

لم تفهم العبارة الأخيرة . عادت تقول :

ـ كلام مدارس ، مثل أكل المطاعم ، منظر ولا فائدة .

ـ صحيح كلام مدارس يفهمه المتعلمون ، ولهذا حين هددني العسكري دخلت الى ضابط القسم ، وشرحت له الموقف .

كانت ذات الثوب المطرز تشرب كلماته ، ولهذا ضايقها اعتراض صاحبتها بين آونة وأخرى ، فأرادت أن تصيب هدفها المزدوج بكلمة واحدة . فقالت :

ـ لماذا لا تقص علينا الحكاية من أولها ؟

قرنت كلمتها بأن انحنت الى الأمام قليلاً ، وتلقت جرتها بين يديها ، معلنة بذلك استعدادها لوقوف طويل ، وما لبثت الجرار أن نزلت تباعاً .

قال شكري :

ـ المسألة بسيطة . أنا في البداية لم أفكر في التدخل . كل شخص مسئول عن نفسه . قدمت الاستمارة ووقفت أنتظر نداء اسمي . جاء فلاح معه صرة طعام ، وتقدم الى العسكري ، ورجاه أن يتيح له مقابلة أخيه المحجوز في سجن القسم للتحقيق .

احداهن شرد خيالها ، تساءلت ببراءة :

ـ المحجوز أخو العسكري ، أم أخو الفلاح ؟

تضايق شكري للمقاطعة التي تدل على قصور واضح في استيعاب كلامه ، أما التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً فقد قالت ساخرة :

ـ أخو العسكري ! ! ربنا يشفي الكلاب ويضرك ، هل سمعنا عن عسكري سجن أخاه ؟ !

وتدخلت أخرى :

ـ ولو سجن العسكري أخاه سيفرش له السجاد

ويجلس واضعا رجلا على رجل ! !
وثالثـــــة :
- ولا لزوم للافلاح في الحكاية ! !
صرخت صاحبة التساؤ ل البرىء :
- خلاص يا جماعة . هل أنا كفرت ؟ أنا غبية ، تبرأوا مني وينتهي الأمر .
استأنف شكري حكايته وكأن شيئاً لم يحدث :
- فاتني أن أذكر أن الفلاح كان معه ابنته الصغيرة . المهم . تقدم ضارعاً نحو العسكري ، وجرى بينهما الحوار بهذه الطريقة :
- وحياتك يا سيدنا العسكري . انت رجل شهم ، وفيك مروءة
- خلصــــا .
- أخي ! !
- ماله ؟ حكمدار القسم ؟
- محبوس تحت التحقيق .
- حصل لنا الشرف . وبعدين ؟
- أريد رؤ يته خمس دقائق أطمئنه أن الصلح سيتم .
- ممنوع .
- كلمة واحدة تطمئن الولد .
- ممنـــوع .
- ممنوع ممنوع . طيب ، فضل منك ، توصل هذه الصرة ، فيها رغيف وقطعة جبن ، أنظر بمسك .
- قلنا . . . ممنوع .
- أكل . . لأنسان القسم لن يصرف له طعاماً اليوم ، والتحقيق تأجل للغد .
- صحيح ، وأخوك مجرم لا يستحق الأكل .
- استغفر الله العظيم ، أخي لم يسرق أحداً ، أخي حاول الحصول على أجره المغتصب .
- أخوك مسجون ، والمسجون مجرم ، هذا ما أعرفه
- والأكل ! الرحمة فوق العدل .
- انت رجل رذل ، ولا ينفع معك الا الضرب .
قال شكري :
- لحد هنا لم أستطع الصبر ، وخصوصاً أن العسكري خطف الصرة من يد الرجل وضربها في وجهه حتى تناثرت محتوياتها البائسة ، ودفعه الى الخارج

شهقت الفتيات فزعاً وألماً :
- يضرب نعمة ربنا ؟ !
- الضرب ضرب ، ولكن الذي آلمني أن الفلاح وقف عاجزاً . العساكر يملأون ساحة القسم مثل الدبابير ، وآلمني أكثر أن بنته أجهشت بالبكاء ، وهي تتعلق بثوب أبيها المهزوم .
قبل أن تسقط بعض الدموع من المآقي الحزينة ، سارع شكري لتأكيد دوره في الحكاية :
- لم أصبر أكثر من ذلك . خرجت من الصف ، وتوجهت نحو العسكري . قلت له :
- أنت لا يحق لك اهانة مواطن بهذه الطريقة ، حتى لو كان على خطأ .
بصراحة اصفر وجهه . طبعاً ، لم يتعود أن يعارضه أحد ، فأراد أن يرهبني ، جعر صوته :
- وأنت ، ما دخلك ؟ اذا لم تلزم الصمت ألحقتك به .
فقلت دون اكتراث :
- افعل ان استطعت . أليس في البلد قانون ؟ أليس لهذا القسم رئيس ؟
وارتفع صوت العسكري أكثر ، فرفعت صوتي أكثر وأكثر ، وهنا خرج الضابط من مكتبه يهرول نحونا .
قالت التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً :
- هنا الكلام .
- تمام ! ! حاول العسكري أن يسبقني بالكلام ، ويصور المسألة من وجهة نظره ، ولكني منعته ، أوقفته عند حده ، وشرحت للضابط الموضوع من كل الجوانب . .
عادت التي تجاوزت الستة عشر ربيعاً تردد :
- هنا الكلام .
- فعلاً . الضابط فكر في الموضوع ، وفعلاً وبخ العسكري ، وأمره بجمع ما تناثر من الصرة ، وإعادتها الى الفلاح ، وتوصيله الى أخيه في الحجز .
قالت ذات التساؤل البريء :
- ربنا يخليه ، ضابط ابن حلال صحيح .
خشيت ذات الثوب المطرز أن يتجه الاعجاب الى الضابط ، فسارعت تدافع عن شكري :
- المهم من الذي أسس الموضوع وأقنع الضابط ؟
واستدرك شكري منقذاً نفسه من الوضع السلبي

الذي انتهى اليه ، فقد .
ـ الحقيقة أن الضابط قال أمام الجميع : أنا أشكرك يا أستاذ . أنت مواطن صالح ، ولو أن كل شخص يدافع عن المظلوم بهذه الطريقة ، كان النظام يسود الجميع .
قالت ذات الثوب المطرز من أعماق قلبها :
ـ صــــح ! !

●●●

بعد الانصراف من صلاة العشاء تجمع أصحاب الكفوف الناعمة من تلاميذ القرية ، وانطلقوا الى الطريق الزراعي يتضاحكون ويتمشون في ليل الربيع المقمر . كان الهم لا يزال يجثم على صدر شكري ، لم يجد الى الفرار منه سبيلاً .

وتسلسل الحوار بين الأصدقاء ، والتقط شكري طرف الكلام ، وراح ينسجه في أناة وهو يتخيل كل عبارة يقولها مجسدة تجري أمامه ، ويتصور أركان المشهد ماثلين في مواجهة وحضور كأنهم يؤدون أدوارهم المحفوظة في تمثيلية محبوكة . لقد أدخل تعديلات مناسبة لمقتضى الحال ، فلم تكن مع الفلاح ابنته الطفلة ، بل أمه العجوز ، وحين خطف منه العسكري صرة الطعام ودفعه خارجاً ، فان هذه الأم تدهورت على الأرض وارتطم رأسها بالحائط ، ولكنها لم تأبه لما أصابها ، بل أخذت تولول : (ابني . ابني) لا تدري على أي واحد من ابنيها تصيح : السجين خلف القضبان ، أم المضروب في ساحة القسم ! ! كل هذا والناس في الطابور يشاهدون ! ! يمصمصون شفاههم ثم تهرب نظراتهم . وقد يلوم بعضهم الفلاح ، اذ كان الأولى به أن (يغمز) العسكري بقطعة فضية وينتهي الاشكال . قال شكري :
ـ لم أستطع السيطرة على مشاعري . صحت في العسكري : تضرب امرأة في عمر أمك ؟
قال العسكري والشرر يتطاير من عينيه :
ـ الزم حدك ، اذا تدخلت في شغلي تعرف شغلك .
بصراحة . فكرت في التراجع لحظة ، لكني أدركت أنني اذا تراجعت سأصير موضع سخرية الواقفين . وهنا قلت له : هل شغلك أن تضرب الناس ؟ افرض أنها أمك أو أمي أو أم أي واحد من هذا الجمهور .

وهنا همهم بعض الواقفين . قال أحدهم : صحيح . وقال آخر : قلوب عديمة الانسانية . وقال ثالث : ويقولون الشرطة في خدمة الشعب ! ! وهكذا .
وهنا أحس العسكري أن دائرة الرفض تتسع ، فأسرع مهرولاً يستنجد بالضابط ، وما لبث أن عاد خلفه يلهث . .
حين أدرك الواقفون أن العسكري ذهب يستنجد برئيسه تحيرت خطوات بعضهم وفكر في الانصراف تجنباً للشر ، ولكني صحت بهم : كل واحد يلزم مكانه . الضابط متعلم ويفهم واجبه أكثر من العسكري . وساعدني شخص آخر فقال : الضابط أو العسكري ، ماذا تأخذ الريح من البلاط ؟ !
وفعلاً جاء الضابط وخلفه العسكري يلهث وقد أشار الي قائلاً :
ـ هذا الولد هو الذي يثير الشغب يا أفندم .
تتابعت ألوان مختلفة على وجه الضابط ، وتقدم نحوي . وهنا تحفز جسمي كله للدفاع عن النفس ، وقلت في سري : هي موتة أو أكثر ؟ ! اذا مد يده سأكسرها . وهنا تدخل عنصر جديد لم يكن في حسباني . قال الواقفون : هذا الشاب لم يخطيء ، الشرطي أهان المرأة العجوز وضرب ابنها أمامها ، وكلنا اعترضنا على سلوكه . . .
اضطرب الضابط قليلاً ، ولعله فكر أن القبض على هذا العدد الكبير غير ممكن ، ويسيء اليه عند رؤسائه ، فصمت قليلاً ، ثم قال :
ـ خلاص يا جماعة . . اعتبروا المسألة منتهية ، تعال يا عسكري . وانصرف الى مكتبه ، وانصرفت وأنا لا أكاد أصدق ، ولكن نظرات الاعجاب من الواقفين كانت تغرقني في الخجل ، لأنهم تأكدوا أنه لولا انطلاق أول اعتراض ما كان للاعتراض الثاني أن ينطلق ! !

●●●

حين توغل ليل القرية ، واقترب من منتصفه ، وتأكد له أن والده راح في سابع نومه ، وتفرق الأصحاب ، قصد دكان عبده الدخاخني منسرباً كالشعاع في الحارات الضيقة . هناك وجد بعض الساهرين مصفوفين على أريكة في مدخل الدكان ، وعبده يتسلى باستخراج قطع الصابون من صندوق ،

ورصها على الأرفف . كان على الأريكة شيخ الخفراء ، وخياط القرية ، ومدرس بالمدرسة الابتدائية الوحيدة . ألقى شكري السلام ، وناول الدخاخني قرشين ، وأخذ سيجارة ، وما لبث أن أشعلها من المصباح المهبب في المدخل ، ثم مال بشقة على الحاجز الخشبي ، وأخذ نفساً طويلاً . شرد حياله الى هناك ، لم يعرف كيف يفتح الموضوع من جديد ، لكن الخياط رفع عنه عناء المحاولة ، اذ سأله :

ـ صحيح يا شكري أنك ضربت العسكري داخل القسم في البندر ؟

ضحك بصوت عال ، دخان السيجارة جسد الضحكة في دفعاته المتقطعة أتاحت له الضحكة الطويلة أن يفكر بأناة في الاجابة المناسبة . اهتدى اليها ، نثر رماد السيجارة بأن ضربها بسبابته برفق ، ثم سحب نفساً هادئاً طويلاً ، وترك الدخان ينغم كلماته .

ـ الأمر فيه مبالغة .

ـ الحكاية ملأت البلد ، يقولون : لويت ذراعه ، ويقول آخرون أنك ضربته على أنفه وأسلت دمه ! !

تهرب من تحديد ما حدث ، هو نفسه لم يعد يعرف الفرق بين ما حدث وما تمنى أن يحدث ، والآن لا مفر من جواب مناسب :

ـ الحقيقة أن العسكري أخذ صرة الطعام من الفلاح ، وقذفها بأقصى قوة الى الشارع . انطلق الفلاح خلف صرته يستعيدها ، وكان معه ابنه الصغير لا يقدر المسئولية ، فشتم العسكري وانطلق يلحق بأبيه ، لكن العسكري طارد الصبي وضربه بكعب البندقية على كاحله فسقط على الأرض يتلوى ، وتركه وانصرف . هنا خفت أن يكون قد حدث لساق الصبي مكروه ، فذهبت فاستدعيت الاسعاف ، ثم توجهت الى مكتب الضابط وأدليت بافادة حددت فيها مسئولية العسكري عن إصابة الولد .

قال المدرس :

ـ والله أنت ضربته ضربة قاضية ، على الأقل يعرف أنه لن يمر دون عقاب .

قال شيخ الخفراء :

ـ والضابط ، ماذا فعل ؟

سأله الخياط :

ـ ماذا تظنه فعل ؟

داعب شيخ الخفراء ذءابتي شاربه بلذة ، وهو يريح بندقيته الضخمة على رجليه وكأنها طفل يتوسدهما ؛

ـ الضابط لا يؤذي العسكري . . مهما عمل ، حتى لو قال له كلمة أمامكم ، سيرجع فيها ، ويطيب خاطره على انفراد .

قال الخياط بقلق :

ـ هل هذا ما حدث يا شكري ؟

لم ينتظر المدرس جواباً ، اذ قال :

ـ الضابط متعلم ، ولا يمكن أن يتفق سلوكه مع سلوك العسكري ، وخصوصاً حين يكون العسكري على غلط .

حرك شكري رأسه موافقاً ، وانصرف ، وقد كادت سيجارته تنتهي .

●●●

تسارعت خطواته في حارات القرية ، وقد غرقت في ظلام دامس ، اقتحم جوانب نفسه وأخذ يضغط كأنه وحش عملاق جثم على فريسة . نسي لشدة حزنه أن ينفخ كم نفساً في الهواء ليطرد رائحة الدخان عن فمه فلا تشمه أمه وقف أمام الباب قليلاً كأنه لا يريد الدخول . أحس برعشة تهز كيانه ، وندى الليل يتساقط غزيراً على رأسه وكتفيه . طرق الباب برفق ، لكن أمه التي اعتادت أن تظل قلقة حتى يعود ، التقطت أذناها الطرقات . نهضت تفتح له . ما كاد شكري يرى قامتها تسد الباب ، ودفء جسمها يشع على روحه المقرورة ، حتى ألقى بنفسه على كتفها كطفل ، وانسابت دموعه :

ـ لم أخطيء في حقه يا أمي . قلت له عيب يا عسكري تضرب رجلاً مثل والدك . قال غاضباً : عسكري يا ابن الكلب ، ثلاثة أشرطة وتقول عسكري ، وتريد أن تعرفني ما هو العيب ؟ !

ذهبت الى الضابط شاكياً ، لم يسمع مني ، استمع اليه ، ثم أشار الى القيود الحديدية المعلقة فوق رأسه ، وقال : خلاص . . لم يعد عندنا شغل غير العيال . وقذف البطاقة في وجهي وبصق ، وهو يقسم أنه لو رآني مرة أخرى سيجعلني آكلها أمامه . □

الأدب الصهيوني الحديث كيف نشأ..

[illegible]

بقلم : حلمي عبد الكريم الزعبي

لعب الادب الصهيوني منذ انبعاثه في النصف الثاني من القرن الماضي في الدياسبورا ادوارا سياسية خطيرة . فقد مهد هذا الأدب السبيل أمام الصهيونية السياسية لكي تظهر ، ووفر لها كل أسباب الرواج والذيوع .

اتجه الادب الصهيوني عبر نتاجاته الشعرية والقصصية والروائية الى مخاطبة اليهود من أجل الالتفات الى فكرة الانبعاث (القومي) والتبشير بالصهيونية السياسية ، قبل أن تختمر في خيال هرتزل فكرة « الدولة اليهودية » ، وهكذا حاولت الصهيوبية الأدبية ماوسعتها المحاولة ان تشد اليهودي أينما كان ، وحيثما وجد ، لهذه الفكرة فشحذت كل أسلحتها ، وحشدت كل نتاجاتها في خضم هذه المعركة ، من أجل كسب الأنصار للصهيونية ، حتى من قبل أن تظهر ، ولكي تنجح في هذه المهمة لجأت في بداية الأمر الى التركيز على العامل الديني والتوراة ، ومن خلال هذا التركيز كان لا بد أن يؤدي ذلك حتما الى استخدام هذا العامل كمدخل الى أمور أخرى تسعى اليها الصهيوبية الأدبية . وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك منطقيا الى أن تنبثق عنه فكرة « شعب الله المختار » « وأرض الميعاد » .

كان التركيز على هذه الفكرة ضروريا بالنسبة للصهيونية الأدبية ، لكي تتيح للبذرة التي بذرتها من خلال نتاجاتها أن تنمو في « ارض خصبة » زاد في خصوبتها الحديث عن « معاناة اليهودي » في التيه وداخل الجيتو ـ الاماكن التي عزل اليهود انفسهم فيها عن الآخرين واضطهادهم على يد الأغيار الذين لا تأخذهم باليهود رحمة أو شفقة . .

الدعوة للخلاص

وكان طبيعيا أن يكون « الاضطهاد والمعاناة » جوهر الفكر الصهيوني ، والمحور الذي تدور من حوله كل النتاجات الادبية الصهيونية ، سواء كانت نثرا أو شعرا أو قصة أو رواية . « فالتيه هو جحيم الأرض الذي يصطلي اليهود بناره « وأرض الميعاد » هي الجنة التي ينبغي على اليهودي ان يسعى اليها لكي يرتشف من حليبها وعسلها ويغترف من خيراتها . .

ومن أجل انتشال اليهودي من وهدة الشعور بالضعة والذل وهو يلقى « الاضطهاد » من قبل المحيط الاجتماعي الذي يعيشه وسط محيط

● الدياسبورا : الأماكن المتفرقة التي عاش فيها اليهود ، ويسمونها اماكن الشتات

« الأغيار » ، بدأ الأدباء الصهاينة عبر ادبهم يروجون لدعوة الخلاص من هذا المحيط ، ولا يمكن أن يتحقق الخلاص والنفس اليهودية خائفة مرتجفة تعيش الخنوع والاستكانة والذل وتتقبل الاضطهاد راضية . ومن هنا لجأت الصهيونية الادبية الى استخدام « نتاجها » من أجل نفخ القوة والثقة في النفس اليهودية المرتجفة والمضطربة ، أي محاولة شد اليهودي الى التأزم والانفعال المستمر عن طريق اثارة النوازع النفسية والخوف من « المنفى » ثم الانتقال الى تحريضه للتمرد على واقع الجيتو والانتقال من موقع الدفاع الى الهجوم ، وهذا يتطلب جرأة وشجاعة والتحول الى بطل . من هنا يمكن أن نفسر اساليب التسيير التي استخدمها هذا الادب ، بل إصراره على اصطناع هذه الاساليب خدمة للفكرة التي يروج لها . ويمكننا في ضوء ذلك ان نتمثل هذا التنوع الذي ينسجم بداهة مع تعدد الأهداف التي سعى اليها من حيث الاهمية والمراحل التي قطعها على الشكل التالي -

● أدب التراث : هذا النوع من الادب انطلق كما ذكرنا مستندا الى الاسطورة الدينية والتراث الديني المستمد من التوراة والتلمود ، وما يتفرع عنها من مقولات عن « شعب الله المختار » وأرض الميعاد والهيكل .

● أدب الرثاء : أو بعبارة أدق أدب البكاء والندب الذي يجسد روح « المنفى » ويحكي قصة معاناة اليهود في ظل الاضطهاد في الجيتو ، ومحاولة المبالغة والتهويل في وصف هذه المعاناة ، واجترار الآلام استدرارا للعطف ، ثم محاولة استثمار ذلك للتحريض على الاغيار المضطهدين (بكسر الهاء) والتفوق عليهم ، واستخراج نزعة السمو والتعالي من عقدة الضعة والهوان .

● أدب الحنين الى الارض : وهو نوع من الأدب لم يتورع عن استخدام كل اساليب التعبير « من الرواية التاريخية والشعر والقصة ، من أجل تأكيد مقولة الملكية التاريخية المزعومة لليهود في فلسطين ، بالحديث عن العودة الى صهيون » باعتبارها « الملاذ »

أدب المقاومة : وقد استهدف خلق نموذج لليهودي المتمرد على واقع الجيتو . اليهودي البطل المتفوق الذي يتحلى بصفات وخصائص مقصورة عليه ، ولا تكمن في غيره ، هذا النوع من الادب كان رواده الشعراء الصهاينة وكتاب القصة والرواية ، سواء ما كتب باليديشية أو العبرية ، أمثال (آحاد هعام) وبياليك وبيريسي سمولتسكن وهس .

والذي يعنينا في هذا المقام هو هذا النوع الأخير من الأدب نظرا لدوره الخطير في التعبئة الحاقدة على « الاغيار » وشحن النفس اليهودية بشحنات الحقد المعززة بالدعوات المختلقة والمتفوقة على كل بني البشر . وحقيقة الأمر أن هذه كانت وسيلة استهدفت انتشال اليهودي من وهدة الضعة والاستكانة ودفعه الى مواقع المقاومة والتصدي لما يسمى بالاضطهاد الذي يتعرض له ، وايصاله الى مرحلة البطولة والبطل حسب المواصفات التي حددها هذا الادب للفرد هو عادة شخص مندفع مجازف خارق البطولة « فارس » لا يشق له عبار في مواجهة الأغيار . لا يعرف الشفقة ولا الرحمة . ولا التسامح مع الذين دبروا له المجازر . هكذا ومن خلال نتاجاتهم الادبية رسم الأدباء الصهاينة الرواد سمات الشخصية الصهيونية بنزعتها العدوانية من خلال التركيز على البطل والبطولة اليهودية ، وما تعنيه من ممارسات وقواعد سلوكية عدوانية ، وروحها العنصرية العرقية بتأكيدها باستمرار على « سمو اليهودي » وتميزه وتفوقه . ولقد تبنى هذا الأدب عبر نتاجاته التي ستوقف عند نماذج لها - البطل اليهودي قبل أن يولد من خلال رسم صورة له ، وتحديد سماته وصفاته ونسب ملاحم وهمية له ، فلا غرو ان يحدث ذلك طالما ان هذا الأدب كان يسعى الى عاية ، وهي خلق الصهيونية وخلق الفرد الصهيوني ، من هنا فان الأدب الصهيوني - حتى من خلال الرواية التي هي حصيلة الحركة الواقعية والفكرية في مجتمع ما - كان ينطلق من « فراغ » . ولكن هذا لا يتنافى مع الحقيقة بان هذا الادب استطاع أن يبلغ مبتغاه ومآربه حين بلور قاعدة سلوكية عدوانية عنصرية لليهودي ، وفي وضع اساس تربوي جديد لليهودي يترك بصماته على التكوين النفسي لهذا اليهودي ، حيث اتخذ من الشعارات التي يحفل بها نتاجهم الأدبي مثل « الشعب الأسمى » « ومن مثلك يا شعب اسرائيل بين الشعوب » « واقتل الاغيار دون شفقة وبلا تردد » « بادر الى قتل من يضمر لك سوءا » الخ . . . مادة لهذه التربية ، وصولا الى شحن النفسية اليهودية بشحنات العقدة والتعالي .

امثلة تطبيقية

الاديب الصهيوني « شالوم عليخم » في روايته « طوبيا بائع الحليب » يجسد صراع اليهودي في المنفى . في الفصل الاول من الرواية يظهر طوبيا بائع الحليب وهو يجوب القرية ليوزع الحليب على أهلها ، وشعور الخوف يستبد به ويطارده . فأبناء القرية ماكرو الحميل « يتربصون به الدوائر ، ويكيدون له ، ويسعون الى ايراده موارد التهلكة رغم ما يؤديه من عمل خير .

وحين يشعر بشبح الخطر يطارده أينما اتجه ، يلجأ الى شيخ القرية بروبلو يتلمس عنده الأمان والملاذ . لكن الشيخ رغم جبروته لا يوفر له الأمان المنشود ، فيعود كسير النفس الى منزله وهو يرتعد خوفا على بناته السبع من ابناء قريته ، الذين لا تأخذهم به وبأفراد أسرته شفقة أو رحمة في هذا الفصل يصور « شالوم عليخم » طوبيا بائع الحليب وقد أخذه الخوف من المحيط الاجتماعي من حوله الذي راح يكيد له ، ويسعى الى الفتك به ، والشيخ « الذي يرمز الى السلطة » لا يفعل شيئا من أجل نجدته وهناك يبدأ بقدح زناد فكره من أجل ان يجد حلا .

ويواصل شالوم عليخم تصوير أحداث قصة متساوقة مع الاتجاه الذي يرمي اليه هذا الأدب ، فينقلنا الى صورة أخرى في الفصل الأخير صورة طوبيا الذي تغلب على خوفه وقرر أن يواجه التحدي بالتحدي ، فتنتصب قامته ، وينفض عنه غبار الخوف ، ويقرر مواجهة أهل القرية . أمام هذا المشهد يتراجع أهل القرية ، وبعد ذلك يقرر طوبيا النزوح فيهاجر الى أرض صهيون مع بناته اللاتي لا يجدن عرسانا في القرية ، ليجد هناك الملاذ والأمان له ولافراد أسرته والعرسان لبناته .

لكن الادب الصهيوني لم يتكف بالتركيز على شبح المنفى وابراز خطورته ومخاطره ، وتصوير اليهودي هناك بصورة الخائف المعذب والمطارد . فليس من مصلحة الصهيونية أن يصور هذا اليهودي دوماً على أنه الضحية التي تطأطيء الرأس ، بل من مصلحتها أن يكون هناك يهودي متفوق قوي متميز .

من هنا بدأ رواد الادب الصهيوني يتعهدون اليهود بنشأة جديدة ، أساسها غرس الشعور بالثقة والقوة والسمو والتحرر ، من عقدة الضعة والخنوع التي تحكمت فيهم في المنافي ، أي أن الأدب الصهيوني بدأ يتكفل بعملية خلق « اليهودي البطل » الذي لا يعرف الخوف ولا تقف في طريقه قوة .

هذا مناحيم بياليك شاعر الصهيونية الأدبية ، ومن خلال شعره يحرص على أن يقدم اليهود بصورة الأبطال الذين يتحدون الخوف غير هيابين ولا وجلين

الشعر موظفا

شعب لا يتزحزح ، لا يرتعب لا يخاف
عدوه ليس أسدا هصورا .
الاصوات لا تخيف ، فالرجال أبطال شجعان .
البطل
يتحدى الجحيم
ويحطم الاغلال ويسمو بالشعب
ولوسفك الدم
فشعبنا يده طولى دوما .

ويواصل شاعر صهيوني آخر هو شمعون هالكن السير على نفس المنوال في قصيدة له نقتطف منها الابيات التالية :

هلا كنتم كالاباء تحديا
يا حراس المزامير المقدسة
انتم يا ضحايا الجيتو
تتفوقون على الاغيار
فأنتم معجزة
مهما تريدون يكون

الادب الصهيوني حين راح يتغنى بالبطل والبطولة اليهودية ، قبل ظهور الصهيونية السياسية ، الى حد الاغراق والتهويل في الحديث عن صفات هذا البطل ، وعن تفرده بالبطولة والحط من شأن « الأغيار » ، راح في نفس الوقت يروج لعنصرية أدبية . ولا نجافي الحقيقة ان قلنا ان الادب الصهيوني ـ منذ بدايته ـ لم يكن أدبا انسانيا ، وجد لخدمة اهداف انسانية ، ولا يمكن لنتاج أدبي أن يكون انسانيا ، وهو في مجمله عنصري الجوهر والبناء ، لحمته العنصرية وسداه الشوفينية .

ان الادب وهو افرازات لعمليات فكرية انسانية ، لا يمكن أن يتحول الى اداة تحريض على القتل ، وعلى

احتقار الآخرين والتعالي عليهم .
والنثر أيضا : - وانبرى الاديب الفيلسوف الصهيوني آحاد هعام ليمجد « البطولة » والقوة والاندفاع المقرونة بالاعتداء على الآخرين ، وذلك عبر كتابه « رسائل ومقالات آحاد هعام » . يقول هذا الأديب : ان شعبنا وهو يبحث عن وطن « قومي » له ويتلمس الطريق الى حياة « قومية » خاصة به ، ليكون قدوة للآخرين ومنارة للأغيار ، يندفع الى مواجهة الخطر بخطوات جريئة قوية . انه يجهز على العدو غير هياب ولاوجل ، حتى وان كان أقوى منه عدة وعددا . انه يلقي بنفسه في عرض البحر وهو عاصف مائج . الجرأة هي النبراس الذي يضيء طريقه ، والقوة هي التي ترهب الأغيار ، ومن مثل شعبنا أحوج الى القوة التي تجعل من مبدأ « لا تخش عبدك يا يعقوب » مبدأ ذا معنى عملي

البطولة والشجاعة في مثل هذا الأدب المتكفل بتربية اليهود تربية عدوانية عنصرية سحذان من العاطفة واثارة الخيال والتحريض على العدوان بل القتل وتغذية الروح العنصرية سندا وركيزة هذا ما فاض به الأدب الصهيوني وهو لا يزال في « الدياسبورا » ومع بدء تدفق موجات المهاجرين الصهاينة الى فلسطين تحت تأثير التحريض والحث المتواصلين ، استجابة للدعوة الصهيونية التي أطلقها هذا الأدب قبل ان يطلقها هرتزل ، بدأ هذا الأدب يهاجر هو الآخر الى فلسطين ومع هجرته بدأ يلعب دورا أخطر مما كان يمارسه في « المنفى » . بدأ يمارس وظيفته الدعائية والسياسية بلا حدود ولا قيود ، وعبر وسائل اتصال جماهيري أوسع . هنا جندت الحركة الصهيونية الأدب وطوته تحت أجنحتها بعد تشكيله في اطار تنظيمي لخدمة أهداف تلك الحركة . . في خلق المستوطن الصهيوني المتميز والمتفوق والبطل ، وتغذية الروح العسكرية العدوانية ، والنزعة العنصرية .

هنا بدأ الأدب الصهيوني المجير لخدمة الصهيونية وأهدافها يحاول أن يسهم بدوره في بلورة « الشخصية » الصهيونية ، بصفاتها الجديدة ومواصفاتها المتميزة . لقد بدأ هذا الأدب يشيد بعد الهجرة « بالرواد » من المهاجرين في الهجرتين الاولى والثانية ، ويغالي الى حد الخيال في وصف تسجيل ارادته ، في « مواجهة التحديات » كما يسمى البدء ببناء المستوطنات ، وتجفيف المستنقعات ، ومصارعة المرض وقهر الطبيعة ، ثم تخلصه من سلبيات « الدياسبورا » وشفائه من عللها وخاصة الخنوع والذل . وظل هذا الحال حتى الثلاثينيات ، حيث بدأ يتحدث عن « اليهودي » ذي المزايا الايجابية ،والكفاءة والارادة والقدرة الخارقة على أداء المهمات وفعل المعجزات ، ثم اليهودي البطل الذي يهزم كل من يحاول أن يقف في طريق عمله ، وهو يسعى الى إقامة الوطن « القومي » . وهنا أيضا حاول هذا الأدب ما وسعته المحاولة التركيز على صفة البطولة الجماعية والمشتركة التي تجاوزت البطولة الفردية .

بعد عام ١٩٤٨

وبعد زرع الكيان الصهيوني الاغتصابي فوق أرض فلسطين عام ١٩٤٨ يواصل هذا الأدب ـ وعلى الرغم من كثرة عدد الأدباء واتساع رقعة النتاج الأدبي بأشكاله وأنواعه ـ تأدية مهمته في التحريض ، واذكاء نار الحقد والعنصرية .
فقصص موشيه شامير (قصصي وروائي) وروايات سي - يزهار وشعر حوري والترمان ومسرحيات وروايات اهرون ميجيد التي يحفل بها الشارع الأدبي الصهيوني ، كان لها دورها في بلورة السلوك العدواني للمجتمع الصهيوني بافراده وجماعاته فهذا الأدب يصف القتال ، والذي لا يسلم منه حتى الأطفال والنساء على أنه بطولة تستحق التقدير ، وانواط الشجاعة والادب الصهيوني صنع من اليهودي « سوبرمان » لا يضاهيه فرد في الدنيا ، ولا يصل الى مرتبته احد . أي أن هذا المستوطن كما يقول شامير « بطل يندفع الى الأمام ، فيهرب منه الأغيار ، لا شيء يوقفه حتى الموت . وحتى الموت لا يجد سبيلا غير احناء الرأس خجلا أمام هذه البطولة » !
وهناك أمثله كثيرة لا يتسع المجال هنا لها ، والتي هي نموذج ودليل على هذا الادب العنصري ذي المنحى العدواني الذي كان دوره ولا يزال هو تبرير العدوان والجريمة ، والترويج للافكار العنصرية والشوفينية التي تحط من شأن الآخرين ، وتسفه كيانهم ووجودهم في نفس الوقت الذي تعمل فيه جاهدة على تمجيد الذات اليهودية . □



تراثنا
بين ماضٍ وحاضر

بقلم : الدكتورة بنت الشاطىء

كانت مفاجأة لي ، أن نشرت مجلة العربي ، في الذكرى الخامسة والعشرين لصدورها مقالا لي عن «تراثنا» كتبته في أعدادها الاولى ، ضمن ما اختارته لاعادة نشره من مقالات لكتابها القدامى .

وبلغ من تأثري بهذا التقدير ، أن لم أجد ما أعبر به عن عرفاني بجميل حسن ظنها بي سوى متابعة النشر فيما يشغلني ، حتى اليوم ، من قضية تراثنا من حيث أراها من أهم القضايا الحيوية في وجودنا المعاصر .

إن ادراكنا لأهمية قضية التراث ، يحتاج الى وضوح رؤية لدلالتها وأبعادها . اذ يغلب على الظن العام ، أن التراث يتعلق بالماضي وحده . وتكثر شكوى الكتاب العصريين من عزلتنا الثقافية عن الغرب الحديث . وقلّ فينا من يشكو عزلتنا عن ماضينا ، قريبه والبعيد . وفي المجال الثقافي دعوة ملحة الى تلبية حاجات الحاضر ومواجهة أزمات المرحلة وتحديات العصر ، دون أن يأخذ تراثنا من هذه الدعوة موضعا ، وكأن الحاضر غير مشحون بميراث ذلك الماضي الذي توغل في أعماقه جذور أصالتنا ، ويضيء لنا آثار خطانا على مسار الزمن ، ويعطي تاريخنا تفسيره ومنطقه .

وحين يذكر تراث الاسلام ، يتجه غالبا الى ما وصل الينا من مخطوطات لعلماء الاسلام ، ويغيب عن الفهم العام ، أن تراثنا الاسلامي يستوعب كل ذخائر مخطوطاته ، في اللغة والأدب والتراجم

والتاريخ ، وفي علوم الطبيعيات والرياضيات كالطب والكيمياء والصيدلة والفلك والرياضة والجغرافيا والملاحة والطبيعة . . بل يستوعب كذلك ما حملت الشعوب التي أسلمت في الفتوح الكبرى وتعربت ، من ميراث ماضيها الذي صار من ماضي الأمة .

شمول التراث الاسلامي

قد يبدو هذا المفهوم الشامل لتراث الاسلام غريبا علينا ، لكنه لم يكن كذلك في القرون الاسلامية الاولى ، والأمة في أوج عزتها ومنعتها وحيويتها ، حيث اتسع أفقها الرحب لهذا الشمول ، فأحيت تراث العربية من العصر الجاهلي ، رواية وجمعا وتدوينا ودراسة ، كما نشطت لتعريب التراث العلمي لشعوب الدولة الاسلامية الكبرى ، وترجمت الفكر اليوناني كذلك ، وهي تدرك أنه استمد أصوله من حضارة الشرق القديم ، فكان هذا الشمول ، مظهرا لوعي الأمة ، بقدر ما كان من روافد حضارتها الاسلامية الرائدة القائدة في العصر الوسيط .

والتاريخ الحضارى للانسانية يعرف الدور الجليل لكنوز تراثنا التي عمرت بها دور الكتب الاسلامية في حواضر دولتها الكبرى من أقصى المشرق الى أقصى المغرب والاندلس ، فكانت منارا للعلم والثقافة ، هدى مسرى البشرية من ظلمات عصورها الوسطى الى فجر النهضة الحديثة التي لا يجحد مؤرخوها الغربيون ، أنها قامت أساسا على ما نقلت وأخذت من الحضارة الاسلامية وتراثها .

والحديث يطول عن حركة النقل لكنوز تراثنا الى الغرب الأوروبي ، وقيام حركة الاستشراق لفحصه ودرسه ، وما قدمت الحركة الى عصر الاحياء « والنهضة » من عطاء التراث الاسلامي الذي تدفق على أوروبا في الحروب الصليبية وعبر الاندلس وصقلية والدرديل ، وتعرضت كنوزه في الشرق الاسلامي للدمار في جوائح الاعصار التتري ، وفي معارك الفتن السياسية والمذهبية التي أنهكت الأمة ، بالمشرق والمغرب ، فتخلفت عن مركزها القيادي للغرب الذي تسلط عليها في ليلها الطويل بوطأة الاحتلال العسكري ، وما صحبه من غزو فكري ألحت ذرائعه على تاريخها بترا وتشويها ، ورسخت في أجيال من بنيها عقدة الشعور بالنقص تجاه الفرنجة ، بما بث في عقولهم ووجدانهم من ازدراء لشرقيتهم الاسلامية العربية التي ألقوا عليها أوزار تخلفنا وحملوها تبعة انحطاطنا . واستطاعت هذه الذرائع أن تسرق ألسنة شعوب منا لتعزلها عن لسان قوميتها ولغة عقيدتها وتاريخها . كما حرصت في الاقطار التي ناضلت عن لسانها ، أن تنال من وحدتنا الفكرية والثقافية ، وتنمينا الى مدارس متنافرة متناكرة ، لا في الاقطار الشقيقة فحسب ، بل في البلد الواحد والبيت الواحد ، ينتمي بعض أبنائه الى المدرسة الاسلامية السلفية ، وآخرون منهم ينتمون الى مدارس الفرنجة على تعدد لغاتها ومللها وطوائفها ومناهجها ، وتنافرت لذلك موارد ثقافتنا وأنماط عقلياتنا وشخصياتنا ، فنحن فيما بيننا غرباء .



وبهذا الشتات المبعثر ، نواجه أزمات المرحلة ، وضراوة الاستعمار الحديث ، الثقافي والاقتصادي والمذهبي ، وكأنما أعدنا الغزو الفكري في ليل الاحتلال ، لما يراد بأمتنا بعد انتصار المعارك الباسلة التي خاضها شعبنا في المشرق والمغرب ، للتحرر من أغلال الرق الاستعماري .

ونطوي الحديث الطويل عما مضى ، لننظر في موضع تراثنا في العصر الحديث بين شرق وغرب .

تراثنا والغرب

في الظن الشائع ، أن الغرب صرفته شواغل السباق العلمي وصراع القوى والمذاهب ، عن تراث الاسلام بعد أن أدى دوره التاريخي في عصر الاحياء

وحركة الاستشراق والغزو الاستعماري والفكري لشرقنا الاسيوي الافريقي .

المتصلون منا بقضايا التراث ، والمشاركون في المؤتمرات الدولية للمستشرقين ، يعلمون أن تراثنا مايزال حتى اليوم مشغلة الغرب ، وذلك ما يسجله الباحثون الغربيون فيما تعتز به دولهم من خدمة الثقافة والعلم بتراث الاسلام .

في (دراسة للمخطوطات العربية في الاتحاد السوفيتي) نشرها المستشرق الروسي « جريجوري شرباتوف » سنة ١٩٦٣ ، قال بعد بيان لجهود الرواد من المستشرقين الروس :

« وبدأت مرحلة جديدة في بلادنا ، وأدى التغير الجذري في الحياة العلمية الى اتساع الدراسات الشرقية ، واقامة مركزين كبيرين للاستشراق في لينتحراد وموسكو . وكذلك تأسيس مراكز له ـ أي للاستشراق ـ في جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز . وفي كل من هذه المناطق تنشط حركة جمع ودراسة المخطوطات الشرقية والعربية خاصة . كما تغيرت وتحسنت ظروف حفظ المخطوطات فيها ، وتكونت مجموعات المخطوطات العربية في مختلف المدن : طشقند وباكو وتفليس وخاركيف . . وأضخمها مجموعة المخطوطات في معهد الاستشراق بطشقند عاصمة أوزباكستان ، وتضم هذه المجموعة ثمانين ألف مخطوط بالعربية ، وغيرها من اللغات الشرقية ، وأقدم مخطوطة عربية فيها ترقى الى سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) . وفي الخمسينيات من القرن الحالي ، صدرت أربعة مجلدات في وصف مجموعة طشقند تتناول أكثر من الفين وسبعمائة مخطوط في التاريخ وعلم الطبيعة والطب والجغرافيا والزراعة والفلسفة والادب واللغة . وفي لينتحراد أيضا طبع في السنوات الاخيرة مجلدان من (كتالوجات) المخطوطات العربية في معهد شعوب آسيا ، في الادب النثري والجغرافيا ، ويعد الآن للطبع مجلدان في مخطوطات الشعر والتاريخ والسير ومخطوطات الطب . كما نشر هناك دليل للمجموعة العربية في مكتبة لينتجراد . وأما المجموعات العربية في المدن الاخرى كموسكو وباكو وتفليس وخاركيف . فنشر وصفها في أعمال المستشرقين « تسير تيلي ، وساليه ، وكوفاليوسكي وغيرهم . . » وعلى غرار العلماء المستشرقين الروس في القرن التاسع عشر ، واصل ويواصل المستعربون السوفييت الدراسة الدائمة للمخطوطات العربية ، ولهم في هذا الميدان ما نفتخر به من كشف وتحليل وطبع لمخطوطات بالغة القيمة . وهم كثيرون ، فلنذكر منهم : « كراتشكوفوسكي ، وايبرمان ، وبوريسوف ، وبيليايف ، وبوجاكوف ، وخالدوف . . » ومما يعتز به الاتحاد السوفيتي من المخطوطات النادرة : كتاب المنازل والديار للأمير أسامة بن منقذ ، وكتاب سر الاسرار في الكيمياء لأبي بكر الرازي ، وكتاب الآثار الباقية لأبي الريحان البيروني ، ورسالة لابن فضلان عن رحلته الى منطقة الفولجا ، وما نشر معهد الاستشراق في طشقند من مجلدات كتاب القانون في الطب للرئيس ابن سينا ، ورسائله الفلسفية مع علماء عصره . ومخطوط نادر في الفلسفة عثر عليه « بوريسوف » ونوه بما له من أهمية خاصة في علم اللاهوت الذي ينسب الى « ارسطو » دون تحقيق . .

تحقيق الذخائر المختارة

ويوجه الاتحاد السوفيتي طلاب الدراسات العليا في معاهد الاستشراق الى تحقيق ذخائر مختارة من تراثنا ودراستها . وبخاصة ما يتعلق منها بالتاريخ والجغرافيا لاقطار الشرق الاسيوي الاسلامي التي ضمها الروس الى الاتحاد السوفيتي ، أذكر منها على سبيل المثال : رسالة بولجاكوف للدكتوراه (معلومات الجغرافيين العرب عن آسيا الوسطى في القرنين التاسع والعاشر) ورسالة المستشرقة أولغا فرولوفا : (مافي تاريخ ابن الاثير عن ماضي شعوب آسيا الوسطى) ورسالة شوموفسكي للدكتوراه من معهد الاستشراق بموسكو : (ثلاث أراجيز في علم البحار لأحمد ابن ماجد السعدي) ومعها مصورة لمخطوطها الفريد الذي عثر عليه كراتشكو فوسكي في لينتجراد قبل الحرب العالمية الاولى ، وقدم بحوثا ذات عدد عن شخصية ابن ماجد ، ربان سفينة فاسكودي جاما الى بحر الهند عبر مضيق ماجلان ورأس الرجاء الصالح ، في الرحلة التاريخية التي يقرر عميد المستشرقين الروس أنها « تمثل لحظة حاسمة لانتقال

السيطرة من الشرق الاسلامي الى الغرب الاوروبي ، وهي اللحظة التي التقى فيها فاسكودي جاما بالربان الماهر أحمد بن ماجد . »

والمخطوط ، مع رسالة شوموفسكي ، من مشورات المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٨ . وفيها أطلق الروس القمر الصناعي الاول ، واحتشدوا لرحلة ارتياد غيابة الفضاء . وقبلها بنحو ثلث قرن ، نشر المستشرق الفرنسي « جابرييل فيران » كتاب (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد لأحمد بن ماجد) طبع في باريس سنة ١٩٢٤ م والكتابان ذكرهما أمير البحر التركي « علي ريس » في أربعين مصنفا لأحمد بن ماجد ، دون أسماءها في مصادر كتاب له في (الجغرافية الملاحية) صنفه في القرن العاشر للهجرة ، السادس عشر الميلادي . ومنه نسختان خطيتان بمكتبة باريس القومية في فهرسة دي سلان .

وتعتز عاصمة النمسا ، باقتنائها أغنى مجموعة للبردي المصري في العالم كله ، وعددها يقارب مائة ألف ، مسقة في خزائن (متحف البرتينا بفيينا) على لغاتها . الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية والرومانية والفارسية والعربية . . وثائق مجهولة لنا من ماضي تاريخنا وتاريخ الحضارة الانسانية بوجه عام . والبرديات العربية في المجموعة . عددها عشرة آلاف ، أقدمها مؤرخة في الثالث والعشرين من جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين (٢٢ هـ) بعد سنتين اثنتين من الفتح الاسلامي لمصر ، تليها برديات من عهد الخلفاء الراشدين ، والعصر الاموي ، والعباسي ، والطولوني ، والاخشيدي ، والعصر الفاطمي ، والايوبي ودولة المماليك الاولى .

وفي سجلات البرتينا ، ما نشر علماء النمسا وغيرهم عن هذه المجموعة الكبرى ، ووثائق القصة المثيرة لاقتنائها ، والسباق الدولي على الكنز ، لمدى قرن كامل ، ودول أوروبا التي دخلته . والقدر الذي تملكه متاحف الغرب وجامعاته ومكتباته ، الى جانب ما يملكه هواة الآثار ومؤرخو الحضارة المعاصرون .

وأما ذخائر مخطوطات تراثنا في خزائن الغرب ، فتفوق العد والاحصاء . كما لا نحصي ما نشر علماء الاستشراق منها تحقيقا ودراسة ، فلأذكر على عجل : المجموعة القيمة التي نشرتها جامعة أوكسفورد تذكارا للمستشرق الانجليزي الكبير « الاستاذ جب » وتواصل جامعة باليرمو جهود المستشرق الرائد « أماري » في خدمة التراث الاسلامي بالمكتبة الصقلية . وغير مجهول ما قدم مركز الاستشراق الهولندي من مطبوعات « ليدن » لذخائر من تراث الاسلام ، وطبعاته المجددة لدائرة المعارف الاسلامية ، ومعاجم المستشرق الهولندي « فنسنك » لالفاظ الحديث الشريف ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم . وما نشر المستشرقون الاسبان في عصرنا ، من ذخائر تراث الاندلس . □

●

جين أوستن والناس

سألوا الكاتبة الانجليزية (جين اوستن) : « ماذا يحدث للناس وهم يمضون في رحلة الحياة ، إن أبطال قصصك يلفها الغموض حتى ليحار المرء في كشف أسرارها !» .

قالت : (ربما كانت الظاهرة التي تستوقفني دائما هو ذلك التغيير الذي يطرأ على شخصيات الناس ، انهم يتبدلون ويتلونون حتى أنني كنت اجد فيهم كلما لقيتهم شيئا جديدا . . الغريب أن هذا الجديد كان دائما يبدو أسوأ وأكثر غموضا) .



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

ألفاظ التوكيد

نعود هنا الى اللفظين (كلا) و (كلتا) في حالة اعراب كل منهما توكيدا في اصطلاح النحاة تابعا في اعرابه لمؤكدة قبله ، ثم في حالة اعراب كل منهما على وفق ما يقتضيه السياق .

يكون كل منهما توكيداً اذا سبقه مؤكد مثنى فيكون تابعاً له ، ويضاف الى ضمير يناسبه في التثنية فيعود عليه ، وفي هذه الحالة يعرب اعراب المثنى فتكون الألف علامة اعرابه رفعاً ، والياء علامة إعرابه نصباً وجراً ، مثل « أنشد الشاعران كلاهما في الحفل » .

وكقول ابن الرومي (وكان له ثلاثة أبناء فمات أوسطهم ، فرثاه بقصيدة طويلة من غرر قصائد الرثاء في الشعر العربي ، بل الشعر العالمي) :

أرى أخـويـك الـبـاقـيـين كـليـهـما
يهيجان لي الأحزان من غير ما عَمْدِ

واذا لم يسبقه مؤكد وكان متصلا بضمير أعرب على وفق السياق ، ومثاله ما ذكر في لسان العرب من أن اعرابيا خيرَّ بين شيئين ، فقال . كليهما وتمرا . أي أعطني كليهما وتمرا .

والغالب على « كلا وكلتا » أن يقع كل منهما مبتدأ في جملة كما في قصيدة البحتري ، وقد لقي ذئباً خلال جولة في الصحراء ، فاستوحش منه وفي وصف وحشته منه قال :

كـلانـا بهـا ذئـب يحـدّث نـفـسـه
بـصـاحـبـه ، والجـد يُـتْـعِـسُـهُ الجـدُّ

وقول حسان بن ثابت في الجاهلية من قصيدة يمدح مواليه من آل جفنة ملوك الشام وفيها يشير الى ساقٍ قدم له شراباً ممزوجاً بالماء :

ان الـتي نـاوَلْـتَـنـي فـقـتـلْـتَـهـا
قُتِـلَـتْ - قُتِلْتَ - فـهَـاتِهـا لَمْ تُـقْـتَـلِ
كِـلْـتَـاهُمَـا حَلَبُ الـعَـصِـيرِ فَـعَـاطِـنِي
بِـزُجَـاجَـةٍ أَرْخَـاهُمَـا لِـلْـمِـفْـصَـلِ

واذا لم يُضَفْ « كلا » أو « كلتا » الى ضمير بل الى اسم ظاهر ، أُعْرِبَ إعْرَابَ المقصور في جميع أحواله ، فألزم الألف التي لا تظهر عليها الحركات (مثل مصطفى) كقوله تعالى : « كلتا الجنتين آتت أكلها » ، فأفرد الضمير في « آتت » ، ولم يقل « آتتا »

والتعبير القرآني هو الأبلغ والأرجح ، ومثل قول الشاعر :

كلا أخي وخليلي واجدي عضداً
عند الملمات ان نابت ملمات

ولكن يجوز التثنية أيضاً في أمثال هذه العبارة ، فتقول : كلا المتسابقين سريع ، أو سريعان ، وكلتا الطالبتين ناجحة أو ناجحتان ، ويرى بعضهم أن التثنية في مثل هذه الحالة خطأ ، مع أنها صواب ، وشاهده قول الفرزدق في وصف فرسين في سباق :

كلاهما حين جد الجري بينهما
قد أقلعا ، وكلا أنفيهما رابي

والشاهد قوله « قد أقلعا » ولم يقل « قد أقلع » .

(ثنى الشاعر في خبر « كلا » الأولى وهي مرفوعة بالألف كالمثنى ، وافرد في خبر الثانية وهي مرفوعة كالمقصور) ويجوز أن يقول في غير الشعر : وكلا أنفيهما رابيان » وذلك للضرورة في الشعر ، أو للحاجة البيانية في النثر .

وكما يؤكد المثنى (أو الاثنان أو الاثنتان) بكلمة « كلا » في التذكير ، و « كلتا » في التأنيث ـ يمكن أن نؤكد أيضا بكلمة « نفس » أو كلمة « عين » مفردة أو جمعا ، مع اضافتها الى ضمير المثنى ليطابق المؤكد فتقول مثلاً . أكرمت أبوي نفسها ، أو أنفسهما ، كما نقول أكرمت أبوي عينها ، أو أعينهما ، وهناك فرق في المعنى بين التوكيد بكلمة « كلا » أو « كلتا » وبين التوكيد بكلمة « نفس » أو « عين » مفردة أو جمعا ، مع إضافتها لضمير المثنى ـ وهذا الفرق هو أن التوكيد باحدى الكلمتين الأوليين (كلا وكلتا) يدل على شمول الاثنين معاً ، وأن التثنية حقيقية ، فاذا قلت : « أكرمت أبوي كليهما » دل التوكيد على أن الاكرام تحقق لكل واحد منهما وليس لأحدهما ، ولكن اذا أكدنا بكلمة نفسها أو عينهما دل التوكيد على أن الاكرام تحقق لذات الأبوين لا لغيرهما ممن يتصل بهما من الأصدقاء أو الأقرباء ، فمن اكرام الانسان أبويه عند غيابهما بل بعد وفاتهما أن يكرم بسببهما من هو صديق لهما (أو من كان لهما صديقاً) وكذلك إكرام الأقرباء وهم أولى بالمعروف

كل وجميع وعامة

ونقول في بقية الفاظ التوكيد ما قلناه في (كلا) و كلتا) . فالكلمات « كل »و « جميع » و « عامة » تفيد العموم ، وهي تدل على التوكيد . ولكن لالفظ منها يعرب توكيدا في اصطلاح النحاة الا اذا سبقه مؤكد ، وكان التوكيد حينئذ مضافا الى ضمير يناسب هذا المؤكد ، فيكون تابعا له في اعرابه رفعا ونصبا وجرا .

وهذه امثلة على (كل) مع مؤكدها :

قول النبي عليه السلام : « الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب » (مرفوعان)

وكقوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلّها » (منصوبان)

وقوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » (مجروران)

وهذه امثلة على (جميع) ومؤكدها :

البحارُ جميعُها مالحة (مرفوعان) ، ان النجوم جميعَها سابحة في الفضاء (منصوبان) للسمكِ جميعه خياشيم (مجروران)

وهذه امثلة على (عامة) :

المحسنون عامتهم محبوبون (مرفوعان).ليت العمالَ عامتَهم نشيطون (منصوبان) ، للزوميات المعري عامتِها خصائصُها الواضحة .

ولكن كل واحد من هذه الالفاظ الثلاثة : كل وجميع وعامة ، قد يأتي دون أن يسبقه مؤكد . فلا يسمى في اصطلاح النحاة توكيدا بل يعرب على مقتضى السياق ، سواء اضيف الى ضمير او غيره ، او لم يضف الى شيء لفظا .

فمن الامثلة على (كل) واعرابه : قوله تعالى : « وكلٌ في فلك يسبحون » (مبتدأ مرفوع) وقوله : (لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه) مجرور باللام

امثلة على جميع : وإعرابه

قوله تعالى « فاذا هم جميع لدينا محضرون » (خبر مرفوع) وقوله « واعتصموا بحبل الله جميعاً » (حال منصوبة) وكقولنا « عناية الله محيطة بجميع خلقه » (مجرور بالباء)

وهكذا تعرب مثلها في التوكيد الفاظ اخرى على وفق موقعها من السياق ، ولا يعرب لفظ منها توكيدا في اصطلاح النحاة لانه لم يسبق بمؤكد ، ومن امثلة ذلك (اجمعون) كما في قوله تعالى « وجنود ابليس اجمعون » وقوله « فوربك لنسألنهم اجمعين » وقوله « ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين » . □



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

"حديثهن بشاشة، وقتيلهن شهيد"

جميل بثينة

هو جميل بن عبدالله بن معمر العذريّ ، نسبة الى قبيلة عذرة التي اشتهرت بالحب العفيف ، فنسب اليها فيقال « حب عذريّ » وكانت منذ الجاهلية حتى ايام جميل تنزل بادية في « وادي بغيض » من وادي القرى شمالي المدينة في الحجاز ، وفي هذه البادية نشأ جميل ، واحب ابنة عمه بثينة ولم يتزوجها لأن التقاليد البدوية يومئذ كانت تحول دون ذلك ، وكان يحب قبلها اختها الكبرى « أم الجسور » ولكن حدث أن التقى ببثينة وهما يسقيان قطعانهما على مورد ، فاختلفا على السقي ، فسبها وسبته ، وذلك قوله :

وأول ما قاد المودة بيننا بواد بغيض - يا بثين - سباب

وقد بقي على الوفاء لها حتى مات ، وتدل أخباره وأشعاره على أنه لقي في حبها كثيرا من العذابات ولاسيما بعد أن روحت من غيره ، ونفي عن القبيلة فلجأ الى مصر أيام كان يتولاها عبدالعزيز بن مروان ، وفي مصر توفي سنة ٨٢هـ ، ولما بلغها نعيه حزنت عليه وكان فيما رثته به .

صرح النعيُّ ، وما كنى بجميل وثوى بمصر ثواء غير قفول
قومي بثينة ، فاندبي بعويل وابكي خليلك قبل كل خليل

وليس لجميل شعر نسيب الا في بثينة ، وكذلك كان شعراء البادية في عصره ، مثل تلميذه كثير عزة ومجنون ليلى ، ويحسن هنا ان نبين ان صاحب النسيب يتعلق بواحدة في حبه وشعره ، وهذا جدير أن يُسمّى شعر الحب او النسيب ، وصاحبه قد يذكر مسمونا الى حبيبته ولا ينسب الى ابيه ، كما تقدم في اسماء هؤلاء الشعراء الثلاثة ، وهناك شعراء عاصروهم تعلق كل منهم بنساء كثير وتغزل في كل منهن حين مالت اليها نفسه شهوة واعجابا ، ومنهم عمر بن ابي ربيعة والأحوص والعرجي وعبيدالله بن قيس الرقيات ، وكانوا يسكنون مدن الحجاز كالمدينة ومكة والطائف ، وشعر هؤلاء جدير ان يسمى « الغزل » وقلما يخلو هو واصحابه من عبث ومجون ، والفرق بين

الطائفتين يعود الى اختلاف المزاج والبيئة : ويؤخذ على جميل انه ـ مع ثراء اهله ، وقوة بنيته وجماله ـ كان معنيا بشئون حبه غير مشغول بغزوات الجهاد الذي كان يومئذ عاما ، يتطوع له الشبان ، والى هذا يشير بقوله في هذه الابيات :

يقولون : « جاهد ـ يا جميل بغزوة » وايُّ جهاد غيرهن أريد ؟

وشعر جميل يميل الى السهولة والرصانة كما في النموذج الذي نقدمه هنا .

ألا ليت أيام الصفاء جديد ودهراً تولّى يا بُثَين يعود
فنغنى كما كُنّا نكون وأنتُمُ صديقٌ وإذ ما تبذلين زهيدُ
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها وقد قُرِّبتْ رحلي أمِصْرَ تُريدُ ؟
ولا قولها : لولا العُيون التي ترى أتيتُك ، فاعذرني ، فَدتك جدود
خليلٌ ما أخفى من الوجْد ظاهر ودمعي بما أخفى الغداة شهيد
ألا قد أرى والله أن رُبَّ عبرة إذا الدار شطت بيننا ستزيد
إذا قلتُ : مابي يا بُثينةُ قاتلي من الحُبِّ ! قالت : ثابتٌ ويزيدُ !
وإن قُلت : ردي بعض عقلي أعش به مع الناس ، قالت : ذاك منك بعيدُ
فلا أنا مردود بما جئت طالبا ولا حُبُّها فيما يبيد يبيد
جزتك الجوازي يا بثينُ سلامة إذا ما خليل بان وهو حميد !
وقلت لها : بيني وبينك فاعلمي من الله ميثاق لهُ وعُهُودُ
وقد كان حبيكم طريفا وتالدا وما الحُبُّ إلا طارف وتليد
وإن عروض الوصل بيني وبينها وإن سهلته بالمنى لصعود
فأفنَيْتُ عيشي بانتظاري نوالها وأبليتُ ذاك الدَّهرَ وهْوَ جديدُ

●●●

الاليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوادي القُرى إنّي إذاً لسعيدُ
وقد تَلْتقي الأهواءُ مِن بعدِ يأسَةٍ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهيَ بَعِيدُ
فمن يُعْطَ في الدُّنيا قريناً كَمِثْلِها فذلك في عَيْشِ الحياةِ رَشِيدُ
يموت الهوى مِنّي إذا ما لَقِيتها ويحيا إذا فارقْتُهَا فَيَعُودُ
يقُولون : جاهِدْ يا جميلُ بِغزْوَةٍ وأيَّ جِهادٍ غيرَهُن أريدُ ؟
لِكُلِ حديثٍ بَيْنَهُنَّ بَشَاشَةٌ وكُلُ قتيلٍ بَيْنَهُنَّ شَهِيدُ

●

الكتاب والتعليق !

ما أكثر المرات التي تجد نفسك فيها وأنت جالس في مكتبة عامة تتصفح كتابا استعرته لتوك ، ان هناك في هامش الكتاب تعليقا سجله قارىء قبلك على بعض محتويات الكتاب ، وتقرأ التعليق وتفاجأ بأنه أجمل ألف مرة من النص المطبوع . . . العالم الحافل بالاحداث من حولنا هو أحد هذه الكتب . . !

« جورج سانتيانا »



حكايات شرق وغرب

أجمل هدية !

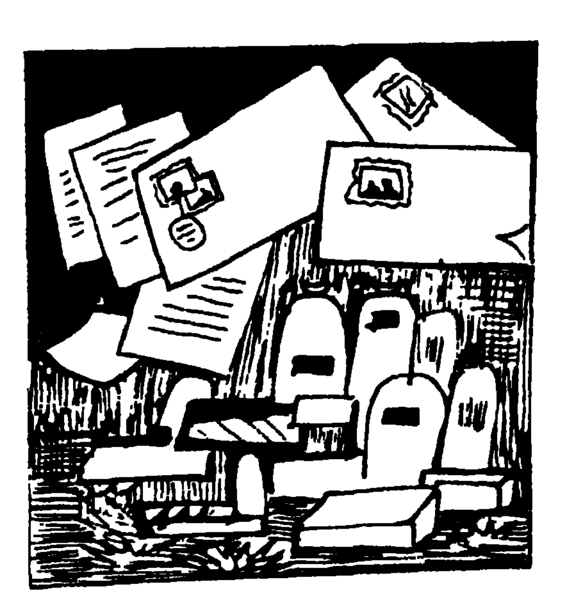
● استعدت سيدة عجوز للاحتفال بعيد ميلادها الثمانين .. وجلست الى مكتبها تراجع بعض أوراقها الخاصة ، وفجأة عثرت على شهادة ميلادها بين هذه الأوراق ، وكانت المفاجأة عندما اكتشفت انها قد أخطأت في الحساب وانها لمّا تبلغ الثمانين بعد ، وأنه مازال امامها عام كامل فهي الآن في التاسعة والسبعين !

وجاء الأبناء والأحفاد والأصدقاء ليشاركوها احتفالها بيوم مولدها ولكنهم لم يجدوها ، لقد تركت لهم كعكة العيد بشموعها المشتعلة ، وتركت معها البيت وخرجت .. ولكنها ما لبثت أن عادت قبل أن تغرب الشمس .. ولم تكن وحدها ، كانت معها دراجتها التي تعودت على قيادتها بعد ظهر كل يوم .

- ماذا حدث ؟ أين أنت ؟

- لقد كنت مع أجمل هدية قدمت لي في عيد ميلادي .. كنت مع دراجتي التي كان من المقرر أن أفترق عنها اليوم بعد بلوغي الثمانين بناء على أوامر الأطباء .. ولكنني سوف أستمر في ركوبها لمدة عام آخر .. لقد أخطأت في حساب يوم مولدي ، وهو أجمل خطأ ارتكبته في حياتي ! » ●

رسائل الى العالم الآخر



● كان يعرف انه سيموت بعد ثلاثة أو أربعة أشهر .. هكذا توقع له الأطباء ، فقد كان مصابا بأورام خبيثة في المخ ، وأسرع كن ماك آفوي (٤١ سنة) الى المجلة التي تصدر في مدينة فورت لودرديل بولاية فلوريدا الأمريكية ، ونشر اعلانا صغيرا يقول فيه : « انا على استعداد لأن أحمل أي رسالة يريد ان يبعث بها أي فرد الى ذويه وأقاربه الذين سبقوه الى العالم الآخر !! » .

وحدد ماك آفوى مبلغ عشرين دولارا أمريكيا مقابل كل رسالة يحملها معه فى رحلته المرتقبة . وقد تلقى حتى الآن خمس رسائل ، احداها من شاب مات والده وحرمه من الميراث ، وهو يسأله فى رسالته القصيرة : « لماذا يا أبي .. لقد كنت ولداً مهذبا

وكنت أحبك . هل لك أن تفعل شيئا الآن حتى أحصل على نصيبى من ثروتك ! ؟ »

ويقول ماك آفوى : « لا تنسوا أن مهمتى انسانية » قبل أى شىء آخر . . انني على استعداد لأن أوقع تعهدا الان بأنى سوف أسلم هذه الرسائل الى أصحابها . صدقونى ! فلابد أن تثقوا فى كلامى . سوف أبحث عنهم وأسلمهم رسائلهم ، سواء كانوا خمسة أو خمسة آلاف . . صحيح أننى لن أحملها فى يدى ، ولكنها ستكون راسخة فى ذهنى حتى بعد أن يتوقف عقلى عن التفكير ، وحتى بعد أن يحرقوا جثمانى ويتحول كل شىء الى رماد ، ستبقى هذه الرسائل حية فى رحلتى الى العالم الآخر ولن أنسى محتوياتها ، أو أسماء أصحابها . هذا كل ما أستطيع أن أعدكم به الآن ! » .

من بين الرسائل التى تلقاها ماك آفوى ، رسالة من زوجة الى زوجها تقول فيها : « أحبك . . أحبك ، وسوف ألحق بك قريبا ! »

ثم يقول ماك آفوى فى نهاية اعلانه : « لقد كان رحيل زوجتى المفاجىء منذ تسع سنوات هو الذى أوحى لى بهذه الفكرة ، فقد كان لدىّ أشياء كثيرة أريد أن أقولها لها ، ولكنها لم تنتظر . . فقد حدث كل شىء بسرعة . . ولم أجد الوقت الذى أستطيع فيه أن أقول لها ما كنت أريد أن أقوله . . لقد اقترب موعد لقائى بها على أية حال !

حواء فى المعركة من أجل البقاء !

« إنه ليس مثل أى شىء اخر . . انه ليس كالموت مثلا الذى نعرف انه سيحدث حتما . . إنه شىء مختلف تماما لا يمكن لأحد أن يتصوره . أنا شخصيا لا أستطيع أن أمشى فى الشارع ، أو أن أتأمل الريف الجميل أو أبدى إعجابى بلوحة رائعة أو أستمع الى قطعة موسيقية . . لا أستطيع أن أفعل شيئا من هذا دون أن أدرك أن المصير الذى ينتظر كل شىء جميل فى هذه الحياة هو الدمار والفناء ! كل إنسان فى هذا العالم سوف يهلك . . كل شىء صنعه البشر على مدى القرون الطويلة التى انقضت سوف ينتهى ويصبح رماداً تذروه الرياح !

لماذا ؟ ولأى سبب ؟

وكانت تتوقف طويلا عند هذا السؤال الذى طالما وقفت أمامه حائرة تبحث عن اجابة مقنعة له ، تستطيع معها أن تطوى صفحات الكتب التى تناثرت حولها وهى تقرأ وتقرأ عن القضية التى أصبحت تشغل كل تفكيرها . . قضية نزع السلاح النووى !

صاحبة هذا الكلام هى جوان وودوارد نجمة السينما المعروفة ، التى تركت الأضواء وهجرت التمثيل وقررت أن تعيش « بوجه واحد » وجه الزوجة الأم التى تريد لأبنائها حياة أفضل . . حياة آمنة يتخلصون فيها من الخوف الذى يعيش فيه العالم من المستقبل . .

فى فيلمها القديم « الوجوه الثلاثة لحواء » الذى



جوان وودوارد

اضطلعت فيه بدور البطولة ، وفازت على دورها فيه بجائزة الاوسكار لأحسن ممثلة فى عام ١٩٥٧ ، لم تكن جوان تعرف عن الأسلحة النووية ، أكثر مما كانت تقرؤه فى الصحف ، فهى لم تكن بعد قد أصبحت أما . . وهى تقول : « لقد كان من الممكن أن يكون لى عشرة وجوه لا ثلاثة فقط ، كما يقول اسم الفيلم الذى أوصلها الى القمة » .

ثم طلقت من زوجها الأول ، وتزوجت الممثل بول نيومان وأنجبت منه ثلاث بنات . . وبدأت رحلتها مع الكتب . . ومع كل ما حوته عن الأسلحة

النووية ، وعن سباق التسلح . . وكانت كلما ازدادت معرفة بهذه القضية اكتشفت مدى السخف في هذا الاصطلاح الذي شاءوا أن يطلقوه عليها ، فهي ليست « قضية » كما تقول جوان في ثورة . . « وكيف يمكن أن تكون قضية وهي مسألة حياة أو موت . . موت البشرية كلها ؟ » . .

انها تعترف بشبابها الساذج : « لقد كنت في الخامسة عشرة من عمري عندما ألقى الامريكيون القنبلة الذرية على هيروشيما . . وكنت مشغولة وقتها بأشياء أخرى . . ولكن الصورة تغيرت الآن . . أنني أشعر بالدهشة عندما أرى الأزواج ينجبون أطفالا الآن . . انه عمل يتسم بشجاعة بالغة أو بايمان كبير بالله . ولو أنني كنت في مكانهم وبدأت في تكوين اسرة اليوم ، لفكرت أكثر من مرة قبل أن أقدم على انجاب طفل . . وانني أعتقد أنه اذا لم يكن هناك من أسباب قوية تدفعني الى الاعتقاد بأن العالم سوف يتغير ، فلن أفكر في توفير مزيد من « الوقود » الى النار التي تهدد بالاشتعال ! »

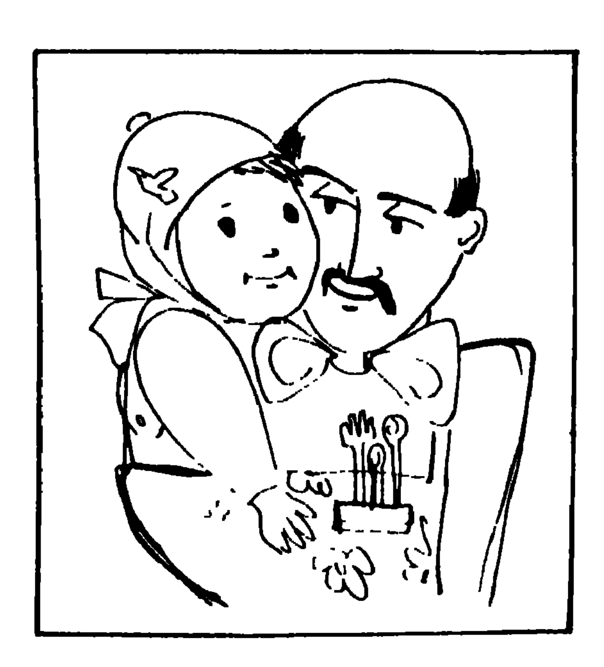
وجوان لا تقف وحدها في الحملة التي كرست لها حياتها . . الحرب على سباق التسلح النووي . . انها اليوم واحدة من عدد كبير من الأمهات الامريكيات اللواتي شاركن في هذه الحملة التي أسستها سيدة تدعى هيلين كالديكوت . .

تقول هيلين : « كل ما أطمع فيه هو أن أستطيع أن أقول لأطفالي عندما أرى قنابل الدمار تتساقط : « صدقوني لقد حاولت أن أمنع سقوطها ! »

الزوج . . « ست البيت »

« أنا أحب ابنتي وأحب زوجتي ، ومن أجل هذا قررت أن أقوم بدور « ست البيت » مؤقتا على الأقل ! هكذا حدد دون ورسلي المحامي الانجليزي الأسباب التي دفعته الى اتخاذ قراره الهام بالقيام بدور « الأم » ورعاية طفلته الصغيرة سارة بعد أن أمضى عدة أسابيع يأخذ دروسا خاصة في كيفية العناية بالطفل ، وتغيير ملابسه الداخلية واعداد وجبات الطعام الغنية بالفيتامينات طبقا لقائمة الطعام التي تعدها « الأم » قبل الذهاب الى عملها في الصباح . . الى المدرسة التي تقوم فيها بتدريس الأطفال منذ أكثر من عشر سنوات ، قبل ان تتزوج وتصبح أما .

يقول ورسلي : « أنا أعلم أن زوجتي « سوزان » تحب أطفالها في المدرسة ، وأنا لا أريد أن أحرمها من متعة اللقاء بهم كل يوم ، فقد أصبحوا جزءا من حياتها . إنها في البيت أم لطفلة واحدة ، ولكنها في المدرسة أم لعشرات من الأطفال . ثم انني أهيم حبا بطفلتنا الصغيرة ، اني أمضي معها أسعد لحظات حياتي . ما الذي يضيرني إذا أخذت اجازة من عملي فترة من الزمن . انني لا أنوي العودة الى مكتبي قبل أن تكبر سارة وتذهب الى المدرسة ، وتصبح واحدة من الاطفال الذين تعلقت بهم أمها »



وفي بيرلي ستريت بمدينة نوتنجهام ، أصبح منظر السيد دون ورسلي مألوفا ، وهو يدفع أمامه العربة الصغيرة التي تنام فيها سارة كلما كان الجو صحوا والشمس مشرقة . . لامرة واحدة ، ولكن أكثر من ثلاث مرات كل يوم في الصباح وعند الظهيرة ، وقبل أن تغرب الشمس في المساء !

الصين اكتشفت الشعير منذ ٢٠ قرنا قبل الميلاد

العنوان مقدمة لخبر أهم ، وهو أنه قد ثبت أن الشعير يدخل عنصرا هاما في أسرع « رجيم » يمكن ان يوصف لأية سيدة تريد أن تنقص من وزنها خمسة ارطال اي حوالي كيلوجرامين في أقل من خمسة أيام ، أي بمعدل رطل في كل يوم .

فقد اكتشف العلماء أن الشعير الذي زرعه الصينيون منذ هذه القرون الطويلة قبل الميلاد ، واكتشفوا فوائده ، هو أفضل شراب تستعين به السيدة التي ازداد وزنها للتخلص من هذه الزيادة في أقصر فترة ممكنة !

والشعير يغلى ثم يترك ليبرد ويصبح شرابا بلا تحلية ، لأن السكر يفسد مفعوله في عملية التخسيس أما بقية أصناف الغذاء التي يوصى بها الأطباء ، فهي كل أنواع الخضروات الطازجة ، والفواكه الطازجه أيضا ، في الافطار والغداء والعشاء مع كوب من عصير الشعير المغلي ، ولا مانع من تناول قدح من الشاي بالليمون بدون سكر ، والامتناع بطبيعة الحال عن تناول الخبز والنشويات



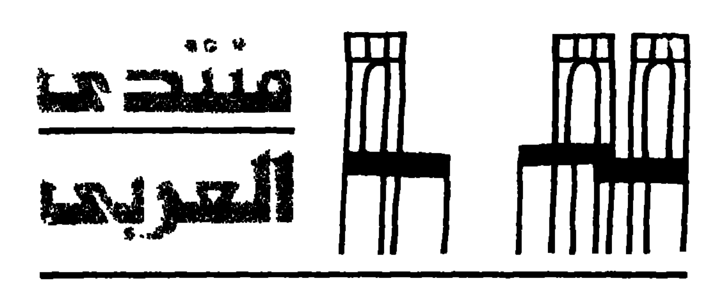
انه بعد هذا ليس « رجيما » للتخسيس فحسب ، بل هو أيضا أحسن « وصفة » يمكن أن تحصل عليها السيدة لاستعادة نشاطها وحيويتها . . وكذلك الرجل أيضا ، ولو أن الدراسات تقول ان الرجيم فشل مع الرجال ، لأنهم يهربون بعد اليوم الاول ، الى أقرب مطعم يقدم لهم اللحوم والأسماك !

تنام ٤٣ سنة فوق قنبلة !

تبدأ فصول هذه القصة في عام ١٩٤١ عندما زحفت قوات النازي الى مدينة ردیانسك في أوكرانيا بالاتحاد السوفيتي ، أيام الحرب العالمية الثانية ، وراحت تمطر المدينة بالقنابل والقذائف واستقرت احداها في بيت زينيدا ولم تنفجر ولكنها احدثت فجوة في سقف البيت ثم استقرت تحت أرض غرفة نومها !

واندحرت قوات النازي وانتهت الحرب ، وأسرعت السيدة صاحبة البيت التي جاوزت اليوم عامها الرابع والسبعين بابلاغ السلطات الرسمية عن مكان القنبلة التي لم تنفجر ولم يصدقوها ، وعاودت الكتابة اليهم مرة ثانية وثالثة ، ولكن بدون جدوى ! وأخيرا نامت فوق القنبلة طوال هذه الأعوام . وفي شهر سبتمبر الماضي وبعد مرور ثلاثة وأربعين عاما على وجه التحديد . تلقى العمال الذين كانوا يشرفون على مد الأسلاك التليفونية في المنطقة التي يقع فيها بيت زينيدا ، اشارة من المسؤولين بوجود قنبلة لم تنفجر !! وبحثوا عنها ووجدوها ، وتدخلت قوات الجيش لاخلاء أكثر من ألفي شخص من منازلهم . ثم فجروا القنبلة التي بلغ وزنها أكثر من خمسمائة رطل !

أين ستقيم السيدة زينيدا بعد أن ذهب بيتها مع عشرات من البيوت التي أخلاها سكانها وتهاوت مع الانفجار ؟ تقول صحيفة (ليتراتورنايا جازيتا) ، أو الصحيفة الأدبية : ان الجدة العجوز سوف تتسلم قريبا شقة جديدة بعد أن تحررت من القنبلة التي أقضت مضجعها !)



قضية

مشاهد العنف في التلفزيون

بقلم : الدكتور . أنيس فهمي

يواجه علماء الاجتماع والنفس دائما بمشكلات تتولد في وقت واحد في بلاد كثيرة ، يختلف بعضها عن بعض في نواح متعددة من مجالات الحياة . من هذه المشكلات مشكلة العنف وعلاقتها بالتلفزيون من ناحية ، وعلاقتها من ناحية أخرى بما يسميه علماء الاجتماع (السلوك غير الطبيعي) ، وما يسميه الناس في لغتهم العادية (بالاجرام) .
وهذه محاولة لالقاء الضوء على أهم وجهات النظر العلمية في هذه المشكلة البالغة التعقيد .

يوجد فريق من العلماء يوجهون اهتمامهم الى الخصائص المميزة والخبرات السابقةفي ماضي الانسان الذي يرتكب حوادث العنف ، آخذين في اعتبارهم علاقة هذا الانسان بوسائل الاتصال وأي نوع منها هو المفضل لديه .

كما أن المحللين النفسيين على سبيل المثال يبحثون في الميول العدوانية التي قد تتولد نتيجة لصدمات وتجارب في مرحلة مبكرة من العمر ، وقد تكون الصدمة حدثت للطفل على أثر مشاهدته لأحد مشاهد العنف في التلفزيون

أما علماء النفس الاكلينيكيين فيهتمون بالدرجة الأولى بديناميكية التفاعل المتبادل بين الانسان والبيئة التي يعيش فيها .

نظرية الحرمان النسبي

من ناحية أخرى يبحث علماء علم النفس الاجتماعي في مشكلة مشاهد العنف في التلفزيون ونتائجها على ضوء دراسة مجموعة من المواقف الفردية ، ومظاهر تركيب نسيج المجتمع التي تساعد على ظهور هذا الموقف ، أو ذاك النوع من السلوك

الفردي . وفي هذا المجال اكتشف بعض العلماء عن طريق التجربة ، بعض العوامل مثل (الحرمان النسبي) أو (البحث عن هوية للذات) وربطوا بينها وبين بعض أنواع السلوك كالعزلة أو الاحساس بالعجز التي قد تؤدي بدورها الى ممارسة الفرد لنوع أو آخر من أنواع العنف .

ويوجد فريق آخر من العلماء الذين ينادون بتفسير العلاقة بين مشاهد التلفزيون العنيفة ، وبين السلوك المنحرف على أساس المجموعات الاجتماعية والتركيب الاجتماعي وليس على الأساس الفردي .

ان علماء الاجتماع يصرون في المقام الأول على خصائص تركيب نسيج المجتمع ، واعطائها أهمية كبرى الى حد القول بأن هذه الخصائص لها علاقة بممارسة الفرد للقوة والسيطرة .

ان التقسيمات التي أشرنا اليها تبعا لنوعيات العلماء ، قد جرى تعميقها بقصد الوصول الى فهم أفضل للعلاقة بين مشاهد العنف في التلفزيون وبين الاجرام ، مما أدى الى ظهور عدد كبير من النظريات والفروض التفسيرية .

المفهوم الثقافي للعنف

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن نوع جديد من المفهوم الثقافي للعنف ، وهذا المفهوم يفصح عن نفسه في بعض الأعمال الوحشية والعدوانية التي يعرضها التلفزيون . فاذا سلمنا الآن بأن كل كائن بشري - ابتداء من طفولته حتى نهايته - يتحتم عليه أن يمتص ، ويصحح ، ويكمل ، ويرفض بعض القيم والتقاليد والعادات لكي ينمي ويطور تركيب نسيج شخصيته ، فاننا نجد أنفسنا ازاء عملية تكيف بالنسبة للمجتمع غاية في التعقيد ، ولكنها تتيح لنا أن نكتشف أنفسنا أولا ثم نكتشف العالم الذي نعيش فيه ثانيا . وأي انسان يقول أن التلفزيون يلعب دورا تافها أو لايقوم بأي دور على الاطلاق داخل عملية تكييف أنفسنا بالنسبة للمجتمع ، انما يغلق عينيه عن رؤية حقيقية لاسبيل الى تجاهلها أو انكارها . ففي اطار عملية التكيف بالنسبة للمجتمع ، يمدنا التلفزيون بجميع المؤثرات التي تستطيع أن تحدث تأثيرا مباشرا في شخصية المشاهد ، عن طريق المحاكاة والاحساس بالتوحد مع شخصية البطل التي يعرضها التلفزيون .

المحاكاة والتوحد

ان نظريات المحاكاة والتوحد تؤكد بأنه تحت ظروف معينة ، وفي بعض المواقف المعينة يتجه الانسان باعادة تمثيل الأفعال والتصرفات أو الانفعالات التي رأى غيره يمارسها على شاشة التلفزيون . ومع أن هذه النظرية قد أثبتت صحتها في كثير من الأحيان ، الا أن بعض المعارضين يقولون انها نظرية تفسر العلاقة بين العنف في التلفزيون والاجرام بطريقة ميكانيكية بحتة ، وانها تستند في أساسها الى الرباط المباشر بين السبب والنتيجة دون اعتبار للعوامل الأخرى الاضافية التي تؤثر في تلك العملية .

الافراغ الانفعالي

وبالاضافة الى هذه الآراء توجد مدرسة فكرية تعتقد بأن مشاهدة مناظر العنف في التلفزيون لاتؤدي الى اعتبار العنف أو الوحشية أسلوبا للحياة ، أو حلا للمشكلات الشخصية والاجتماعية ، بل على العكس من ذلك تماما ، فان علماء هذه المدرسة يعتقدون بأن مشاهدة مناظر العنف في التلفزيون تتيح للمشاهد أن يتخلص في خياله من رغبات كان من الجائز أن يحققها في الواقع لولا عملية التفريغ التي تحدث له عند مشاهدة هذه المناظر العنيفة . وفي هذا الصدد يلجأ هؤلاء العلماء الى تطبيق نظرية أرسطو في التراجيديا عن (التطهير) أو (الافراغ الانفعالي) . ولتوضيح ذلك نقول ان نظرية أرسطو تعلن أن الانسان يشعر باللذة والسرور عند مشاهدة التراجيديا لأنها تثير فيه احساسات الشفقة والخوف بالنسبة لبطل المأساة ، وبذلك يتطهر المشاهد من هذه الاحساسات ويتخلص منها مع احساسه بالراحة لأن الكوارث التي ألمت ببطل المسرحية لم تقع عليه هو .

ويدلل هؤلاء العلماء على صحة نظريتهم بقولهم ان أطفال الطبقة الدنيا من المجتمع الذين تنقصهم الموارد والامكانيات ، وبالتالي لايتمتعون بقدرات كبيرة على الخيال ، هؤلاء الاطفال يحتاجون الى

تزويدهم بمادة اضافية من الخارج لكي يستطيعوا مجاراة الآخرين في مقدرتهم على التحيل،ومعنى ذلك باختصار أن مشاهدة أفعال العنف في التلفزيون يمكن أن تكون مفيدة باعتبارها صمام أمان للتنفيس عن الاحباطات والنزعات العدوانية . على أنه توجد طائفة أخرى من المفكرين الذين يقولون أن عرض مشاهد العنف في التلفزيون لاتحدث الا تأثيرا طفيفا ، أو ليس لها تأثير في مجتمع منضبط يشيع فيه الاستقرار والأمن والطمأنينة . وهؤلاء يعتقدون بأن المشاهد السلبي لمناظر العنف يمكن أن يشارك بحاسته البصرية فقط في أفعال العنف دون أن يكون لهذه الأفعال أي رد فعل 'و تأثير سيء على مشاعره أو مواقفه أو أشكال سلوكه .

نظرية التحليل النفسي

ومن أهم النظريات الشائعة لتفسير العلاقة بين العنف في التلفزيون وبين السلوك المنحرف نظرية التحليل النفسي التي تستند الى عنصرين : الاحباط والعدوان ، باعتبار أن العدوان نتيجة للاحباط . وهذا هو التفسير الكلاسيكي للمشكلة والذي كان أساسا لابحاث لاحصر لها في هذا المجال .

وقد اتضح من هذه الأبحاث أنه من الخطأ الاعتقاد بأن الاحباط يؤدي حتما الى نوع من أنواع التعبير العدواني . أما الصحيح ـ الذي يمكن اثباته ـ فهو السلوك العدواني يسبقه دائما موقف من مواقف الاحباط . ومع ذلك يجب التحذير من تطبيق هذه النظرية من جانب واحد عندما نحاول تفسير العلاقة بين مشاهد العنف والاجرام . وعلى أية حال فاننا حتى ان سلمنا بأن الاحباط يؤدي الى حالة انفعالية ـ كالغضب مثلا ـ فانه يجب الا يغيب عن بالنا أن انتقال الانفعال الى مرحلة الفعل يتوقف على عوامل أخرى من أهمها التكيف الاجتماعي والوضع الاجتماعي الثقافي .

التكيف الاجتماعي

وقد أثبت علماء الاجتماع أن التكيف يتحقق بوساطة عوامل متعددة ابتداء من الاختلاط المتكرر ، الى الاشكال الأكثر استقرارا مثل المحاكاة والتوحد والتعود ، وأثناء هذه العملية يكتسب الانسان مجموعة القيم التي ستكون جزءا أساسيا لايتجزأ من تركيب شخصيته . ان الأبحاث التي أجريت في هذا المجال أثبتت أن الانسان المنطوي يكون أكثر قابلية للتكيف وبالتالي أكثر استعدادا لامتصاص القيم ، في حين أن الانسان المنبسط يقاوم التكيف وغالبا ما يقع تحت سيطرة ردود الفعل الانفعالية . ان كلا من هذين النوعين : المنطوي والمنبسط ، يمكن أن يبدر منه نوع أو آخر من أنواع السلوك العدواني ، الا أن احتمال ارتكاب فعل عدواني نتيجة لمشاهدة العنف في التلفزيون يختلف من شخص الى آخر .

ان الأبحاث التي تأخذ في اعتبارها العامل الاجتماعي الثقافي تستند أساسا الى الافتراض بأن السلوك الانساني في مجموعة ـ الذي يشتمل أيضا على السلوك العدواني ـ يجب أن ينظر اليه في ضوء العلاقة مع البيئة الاجتماعية الثقافية التي ينبع منها الفعل العدواني . واذا كان من المسلم به أن الانتماء الى طبقة اجتماعية معينة ، والى شعب معين ، وأن نوع المهنة التي يزاولها الفرد ، ودرجة تعليمه ، وكثيرا من العوامل الاجتماعية الأخرى تلعب دورا رئيسيا في تهيئة الفرد للانحراف ، فاننا لايمكن أن نلقي اللوم على مشاهد العنف في التلفزيون ، واعتبارها المسئول الوحيد عن السلوك العدواني سواء لدى الصغار أو لدى البالغين .

لذلك فانه من العبث أن نكتفي بعمل احصاء لعدد مشاهد العنف التي يعرضها التلفزيون في الاسبوع ثم نواجه محطات التلفزيون بهذه الأرقام كدليل على تأثيرها الضار على الشباب . ان المشكلة أكثر عمقا وأكثر تعقيدا ، والمطلوب هو التوصل للاجابة عن السؤال التالي :

الى أي حد تسهم مشاهد العنف في التلفزيون في خلق تركيب اجتماعي ثقافي من أنواع السلوك والمعايير والقيم التي تدفع الفرد اما الى الارتكاب الفعلي لأعمال العدوان أو الى تنمية الرغبة لديه لارتكاب هذه الأفعال ؟

ولكي يستطيع الباحثون الاجابة عن هذا السؤال فانهم وجدوا أنفسهم أمام سؤال ضخم ذي ثلاث شعب :

(١) هل اذاعة مشاهد العنف في التلفزيون تساعد

على الاقتناع بالفكرة التي تقول بأننا نعيش في عالم من الوحوش يسيطر عليه قانون الغابة ، ولذلك يجب علينا بالتالي أن نتقبل العنف على انه معيار اجتماعي أو قيمة اجتماعية ؟

(٢) هل تنجح مشاهد العنف في التلفزيون في اقناع المشاهدين بأنهم يعيشون في عالم لابد من الكفاح من أجل تغييره ؟

(٣) وحتى اذا نجحنا في اثبات براءة مناظر العنف في التلفزيون من احداث آثار ضارة لدى المشاهدين،من ناحية تشجيع أو ابراز المشاعر والافعال العدوانية ، ألا يجدر بنا أن نطالب محطات التلفزيون بانتاج وتشجيع البرامج التي تعرض أشياء بديلة لعالم العنف ؟

التلفزيون والطفل

وقد لاحظ الباحثون أثناء دراستهم للتركيب الاجتماعي الذي غالبا ما يطلقون عليه اسم (الوسط الاجتماعي) أو (البيئة الاجتماعية) أو (الاستعداد) ، لاحظوا أن الاطفال الذين يشاهدون التلفزيون بصفة مستمرة ـ والذي كثيرا ما تشتمل رسومه المتحركة على مناظر للعنف ـ لايتأثرون في أغلب الأحوال بما يشاهدونه من هذه المناظر .

ان الأطفال الذين يتأثرون بهذه المناظر ويجنحون الى تحويل مشاعرهم العدوانية ـ بعد مشاهدتهم مناظر العنف ـ الى أفعال عدوانية هم فقط أولئك الذين لديهم استعداد مسبق للسلوك العدواني نتيجة لعوامل أخرى . وقد اتفقت الابحاث الأمريكية الأخيرة مع ملاحظات هؤلاء الباحثين . وهذا يعني أن التلفزيون له تأثير محدود اذا ما قورن بتأثير سلوك الوالدين أو خبرات الطفل بالسلوك العدواني داخل بيئته الاجتماعية .

ان الأبحاث في هذا الميدان تقتضي استمرار المتابعة بالنسبة للشبان والأطفال لعدة سنوات لمعرفة تأثير مشاهدة مناظر العنف على سلوكهم .

ان واقع الحال يؤكد أن التلفزيون يمكن أن يشجع بطريقة غير مباشرة أو بطريق المصادفة بعض الأفعال العدوانية ، وذلك في حالة وجود دوافع ونزعات لدى الفرد ، مضادة للمعايير والقيم المعترف بها في المجتمع ، أو في حالة اندفاع التلفزيون نحو تمجيد الجريمة أو تحقير بعض القيم الاجتماعية ، وهذا لايحدث الا نادرا جدا لأنه يعني انحراف التلفزيون عن هدفه . □

منتدى العربي

تعقيبات

التلفزيون الأجنبي

واقع جديد .. أم نمط جديد

الرأى ، والرأى الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

حول قضية الاعلام فى الوطن العربى » وماذا أعددنا لمواجهة البث التلفزيونى الأجنبى بالأقمار الصناعية » والمنشور بالعدد ٣٠٧ (يونيو ١٩٨٤) نعرض هذه الآراء .

تظل الدعوات والنداءات المبكرة ، التي يطلقها العلماء والمفكرون العرب ، عبر منابرهم البسيطة وفي كل المناسبات ، حبيسة الكتب والدراسات والبحوث ، ولا تجد صداها الا في المراكز العلمية وقاعات التدريس ، لتدفن في زوايا المكاتب ، وتصنف ضمن تصانيف التراث .

يتوافق هذا تماما مع موعد اطلاق الدعوات ، واستصراخ أولي الهمم لمواجهة الغزو التلفزيوني الأجنبي الوافد ، والقمر الصناعي الاسرائيلي ، المزمع تشغيلها ، والتي أزف وقت تنفيذهما ، وحال بيننا وبين استدراكنا لخطرهما ، واستئصالنا له البحث المتواني التقليدي ، والاتصالات البطيئة الرتيبة بين الدوائر العلمية والعملية ، واستطرح العلماء لمعالجتها فكريا ، لوضعها كورقة عمل أمام المحافل الدولية ، أمام المتنفذين أولي الأمر والنهي ولات ساعة منجد .

لذلك نرى أن قضية تقبل الشعب العربي لهذه التيارات الجديدة والمحطات الوافدة الى قنواتنا الاعلامية معضلة حقيقية ، لانها ستفد الى مجتمع لها فيه مقعد ، ولها فيه من يروج لها ، ويستمرىء وسائلها ، وليست هي فرض واقع بقوة السلاح ، بقدر ما هي اقرار وضع معين يحظى بالتأييد والرضا من الداخل ، حتى من قبل الجليس والرفيق والشقيق .

ولم تعط للوطن العربي فرصة منذ سنين ـ لتوالي أشكال الاستعمار ـ ليعيد النظر في حساباته ، ويجدد انتباهه الحضاري والفكري . وفي هذا يكمن الخطر الداهم ، وتتحقق المشكلة ، وتتعقد ، وتستلزم صراعا جديدا مع الأفكار والنظريات المكتسبة ، وهي أعضل في العداء السافر بالمواجهة ، فتلك تستلزم المدة والعدد للمواجهة ، وهذه تستلزم التطهير والتعقيم الذاتي من داخل المجتمع ، وهو امر عسير قد لا أعده من عداد المعالجات لعسره ، ولكني أقره كواقع موجود .

من جانب آخر فليس في شاشات العالم الثالث التلفزيونية ما هو مستقل استقلالا كليا ، ومكتف بما تعرضه من برامجه المحلية ، وليس فيها كذلك من يتخذ ثقافته الاقليمية والقومية قاعدة للتعليم والتربية بكل جوانبها ومبادئها ومقوماتها ، ويتبعها سنة وطريقة على طول المراحل مع الطلبة والشباب .

بل ان في بعض دول العالم الثالث ـ لتبعيتها ـ ما يغلب عليها الصفة الأوروبية ، اكثر من أي مدينة في أوروبا ، لما درجت عليه من الذوبان في أوعية الثقافة الاوروبية ، والانسلاخ عن الثقافة القومية ، ودون اعتبار الماضي والماجد من التراث . وفي بلادنا العربية مازال هناك من يتكلم الفرنسية ، كلغة علمية ولغة محادثة واجتماع ، لكونه لا يحسن التعبير بالعربية ، أو يكون غير دقيق إن تكلم بها .

فهؤلاء لا تشكل مسائل استقدام المحطات الاجنبية عندهم أي خلل في التفكير ، بل تشكل زيادة في البهجة والاطلاع واضافة وتعميقا لثقافتهم الاجنبية . التي اختطتها لهم هذه الدول لتجريد الشعب من ثقافته ، فلا هو متأصل فيها ، ولا هو محافظ على أصله ، فحتى يبقى مبتورا أبدا ، ويبقى دائما بحاجة الى أصالة والى الاستناد الى ذاتية روحية ، فليقبل كل الرياح المسمومة .

فأجهزة التلفزة في دول العالم الثالث ليس لديها الاكتفاء الذاتي أو الاستقلالية ، بحيث تصمد أو تواجه مثل هذه البرامج ، وليس بامكانها أن تدعو الى الشحن الذاتي وهي مشحونة خارجيا . ففي بعض الدول تصل نسبة البرامج الأجنبية المعروضة على شاشاتها الى ٧٠٪ ، وتزيد النسبة وتنخفض تبعا لظروف البلاد السياسية ومكانتها العلمية . وان ما يعرض من هذه البرامج الأجنبية ليس بالضرورة برامج اجتماعية هادفة ترمي الى زرع الخلق النبيل ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية ، وليست بالضرورة برامج ترفيهية ذات طابع ماجن وضيع غرضه الترفيه فقط ، بل لأجل التخدير واشغال الطاقات الشابة وتعطيلها ، ومحاكاة الرغبة البهيمية في النفس الانسانية محاكاة لا تخلو من الاسفاف والسخف .

ان المناعة العلمية والثقافية ليست مطلوبة لهذا الغرض فقط ، بل هي مطلوبة لمواجهة كل أنواع الغزو الفكري الأجنبي ، حيث أن المبادىء والأفكار والنظريات لا تجد صداها الا لدى النفوس المستعدة لذلك ، وأن نسبة التأثر الحضاري والفكري والاجتماعي لدى الشباب والأطفال أكثر منها لدى الشيوخ ، ولعل هذا يرجع الى مزامنة هؤلاء لعصور الاستعمار ، ومعاصرتهم له في مراحلهم العلمية وتقاليدهم الاجتماعية ، في حين أن الشيوخ ـ خاصة

المخضرمين ـ منهم قد تلقوا ولو لبعض الوقت أصولا تربوية اجتماعية على علاتها ، ملأت نفوسهم بطابع قوي أصيل ، فلم تؤثر فيهم السموم الغربية تأثيرها في غيرهم ، ومازال قسم كبير منهم أوعى لما يجري من غيرهم .

ولا نلقي العبء الأكبر ، على أمتنا ونصورها كما نصور القبائل البدائية في جنوب افريقيا ، فليست البلاد العربية من الهامشية والسطحية ، بحيث أنها انخرطت في غمار هذه الحضارة بهذه السهولة ، ولكن الطوق المحكم ، والتركيز المشدود ، والمؤامرات المستمرة وعمليات التجريد والقهر ، لم تتح لها أن تتنفس الصعداء ، وأن تقف على قدميها .

وهناك أمور كثيرة تبعث على اليأس والقنوط من جراء الاهمال العفوي ، أو المقصود في تسييس وسائل الاعلام وعدم برمجتها وفق أسس قومية تربوية رشيدة .

فضعف ثقة المشاهد العربي ببرامج التلفزيون المعروضة ، وعدم الحضور التربوي والاجتماعي لهذه المؤسسات ، في بعث مفاهيم اخلاقية حسنة يفسح المجال أمام البرامج الأجنبية ، لان تزاحم البرامج المحلية وتكريس وسائل الاعلام كمنابر شخصية للدعاية وللانتخابات وترسيخ الشعارات الفارغة جعل المشاهد العربي يتخم بمثل هذه البرامج ، ويرغب عنها الى برامج ترفيهية بحتة ، على حساب المثل والقيم ، كما ان خلو الساحة من علماء ومفكرين واجتماعيين لارتقاء هذا المنبر ، والدعوة من خلاله ، وعزوف الاختصاصيين واساتذة الجامعات عن الادلاء بدلوهم في مثل هذه القضايا ، جعل الترابط الروحي بين المشاهد وبرامج أخرى تحاكي ما يخالج نفسه وما يعتلج بها قويا ، فلقد كشفت احصائية أخيرة ان البرامج الأجنبية شدت الجمهور العربي المتفرج بنسبة ليس بينها وبين بعض البرامج المحلية أي تعادل ، ثم تأتي البرامج المحلية لتنقسم الى قسمين : أحدهما موجه توجيها خارجيا ، وآخر مستقل بذاته .

ان ما يجب أن نقوله أن الجمهور ميال دائما لمن يأخذ بزمام عقله ، وضعف الثقة بوسائل الاعلام لا يأتي من فراغ . اذن فالمعالجة السريعة والموضوعية والسديدة لازمة ، لتدارك مثل هذا الموقف ، وليست هي معالجة آنية لهذا البث فقط ، فحتى لو لم يكتمل البث التلفزيوني بعد عشرين سنة ، فان التطور الطبيعي وازالة الحواجز والفوارق بين الامم ، وانهيار الحدود الجغرافية بفضل التقدم السريع ، والتقنية ، سوف يبتدع لنا ما هو أغرب من الأقمار الصناعية . وان العقل البشري سائر في طريق اختصار الزمن والجهد ، وتذليل كل العوائق لربط البشرية اولا بآخر . □

الدكتور محمد زكي

الإعلام العربي بين الواقع والطموح !

■ الدراسة التي قدمها الاستاذ حمدي قنديل حول هذا الموضوع تجذب الانتباه لكونها صدرت عن خبير بقضايا الاعلام ، وعلى الأخص ما يتعلق بالسياسات الاعلامية ، وما حققته المنظمات الدولية ، وعلى رأسها اليونسكو في هذا الميدان ، وكذا ما وصلت اليه الدول المتقدمة ، وما تجتهد في

محاولة انجازه الدول النامية .

اذا كان وطننا العربي جزءا عضويا من العالم الثالث ، أي عالم الدول النامية ، فلابد أن نوحز المقالة المذكورة في الحلم المخيف المتجاوز حد الكابوس ، والواقع المر الذى لا ينفع فيه ضجر ولا يستقيم أمل . في هذا الصدد يلاحظ الأستاذ حمدي قنديل بأن مشكلة اعلامنا ليست بالضرورة مشكلة تقنية ، وانما هي قبل كل شيء قضية سياسة وقانون وثقافة ، كما يلقى الضوء على ظاهرة التضارب بين حق الاتصال وحرية التعبير من جهة ، وضرورة حماية الأصالة والهوية من جهة أخرى ، الشيء الذى يثير موضوع المبادىء الرائدة ، ويفسر الى حد ما حيرة الدول العربية بين المؤيدين لحرية الاعلام والمتحوفين من الغزو الثقافي والانتقائيين في اطار الحرية .

لكن . . . بقدر ماأوافقه على الطبيعة السياسية والثقافية لقضية الاعلام في بلادنا ، فانني أجد بعض الصعوبة في اغفال مشكلة التقنية وفي التسليم بالجانب القانوني .

هناك مشكلة قائمة في الوطن العربي ، على غرار الكثير من بلدان العالم الثالث هي القبول باعتماد سياسة اعلامية ضمن السياسة التنموية الشاملة . وليس معنى هذا أن الدول العربية لا تعمل بسياسة اعلامية ، وانما الملاحظ ان حلها يتخوف من نهج سياسة متكاملة ومنسجمة مع السياسة العامة التي تسير عليها في طريق تحقيق تنمية شاملة اقتصادية واجتماعية . وتبرز هذه الظاهرة لو أخذنا بعين الاعتبار الجانب الأيديولوجي ، بحيث نرى الانظمة ذات الاتجاه الاشتراكي لا تأخذ من نظام الاعلام بالدول الاشتراكية الا الصفة العمودية أو الاتجاه الواحد ، حيث تسخر وسائل الاعلام أساسا للتعريف بمزايا النظام ، ومحاولة دائمة لاقناع المواطنين بسلامته وبكونه سبيل خلاصهم الوحيد من ويلات التخلف ، أو ثالوث الفقر والمرض والجهل . لكن اشتراك المواطنين في هذا الاعلام وتغلغله في أضيق أوساطهم يظل أمراً مجهولا ، نظرا للمركزية الشديدة التي تطبعه ، ولانغلاق أبوابه أمام الافراد أو الجماعات ، أو الاقليات أو القطاعات التي لا تتوفر على مكان في احد أجهزة الحكم . ونصل الى نفس النتيجة تقريبا في الدول التي تأخذ بالنظام الليبرالي ، حيث تتعدد وسائل الاعلام وتختلف اتجاهاتها ، وذلك لأن هذه الوسائل تتمركز في العواصم والحواضر ، حيث تتوزع بين الدول والهيئات ذات النفوذ السياسي أو الاقتصادي . فنجد الوسائل المسموعة والمرئية من اذاعة وتلفزة ، اضافة الى الوكالات ، خاضعة لاحتكار الدولة ، وبعبارة أصح لاحتكار الحكومة . ويكفي هنا التذكير بالدوي الذي يهز المواطن العربي العادي عندما يتعلق الامر بما يسمى بالحكومة .

أما الوسائل الأخرى من صحف ومجلات ، وأحيانا سينما ، فانها محكوم عليها بالفشل الذريع ، الا اذا تأرجحت بين الأحزاب والنقابات والمجموعات الاقتصادية الضاغطة ، بحيث لا يكون لها دور وطني شامل ، ولا يتعدى تأثيرها نطاق الجماعة التي لها ارتباط أو مصلحة بالهيئة المالكة أو المشرفة عليها .

الاعلام المنعزل

هذه الأوضاع لاتمت الى السياسة الاعلامية بشيء ، لأنها تخلق اعلاما ـ ولو كان سياسيا ـ منعزلا عن السياسة العامة ، أو خادما لصيقا بسياسة ضيقة : بينما المطلوب هو خلق المؤسسات الضرورية لسياسة اعلامية ، واحترام مبادىء عليا يخضع لها الجميع ، ويستفيد منها الجميع . في ضوء ذلك تكون أجهزة مراقبة الحاكمين ، وسائر المواطنين ، على وعي وبينة من اتجاه الاعلام والمصالح الاقتصادية والثقافية للبلاد ـ بايجاز يصبح موضوع الهوية محلولا ، لأن الوطن يعرف حدود التفتح على البلدان الاخرى . ويمكنه أن يتحكم ، ولو على مراحل ، فيما يأخذه أو ينتقيه منها ، تبعا لطاقاته العطائية بما فيها العلمية والتكنولوجية .

هنا أكرر ، ولو في عجلة ، بأن على الدول العربية أن تعمل بنظام اعلامي عادل ومتوازن وديموقراطي داخل حدودها ، لأن ذلك هو الأساس الأول ، وشرط النجاح الحقيقي للمساهمة الفعالة في النظام الاعلامي العالمي الجديد . فاذا كان فاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف يعقل أن نرى هذه المساهمة من دول لاتزال صفحات المطبوعات بعيدة المنال على ٨٠٪ من سكانها ، إما بسبب الامية أو الفقر ؟ ولاتزال مشدوهة أو مصدومة بقوى الفرق بين الصورة الخيالية

المخدرة التي تعطيها لها وسائل الاعلام المسموعة والمرئية ، والواقع المرعب الذي تعيشه يوميا ؟

التخطيط العلمي والتقني

فيما يتعلق بالتقنية لا يسعني الا أن ألاحظ مع الكثيرين بأنها مشكلة عويصة في بلداننا . وليس السبب في ذلك قلة العلماء والفنيين في الوطن العربي ، وهنا أود التأكيد بأن المسألة ليست في الكم ، وليست في العلماء ذاتهم ، وانما هي راجعة أصلا الى مراكز القرار السياسي والاقتصادي في الوطن العربي لا جدال في أن التقنية ركيزة من ركائز التقدم الاقتصادي ، وهذا الأخير أصبح اليوم خاضعا للتخطيط السليم والدقيق ، سواء على المدى القريب أو المتوسط أو البعيد . هنا أتساءل : أين هي الخطط الاقتصادية العربية التي تعطى للاستثمار في البحث العلمي والتقني قسما معينا ضمن بنودها ؟ ولا أقول مبالغا أين هي تلك الخطط التي تركز عليه ، لأن التركيز هو المطلوب اليوم نظرا لسرعة عجلة التقدم والتطور ؟ لست أنكر أن هناك أولويات من أولاها الزراعة الكفيلة بتحقيق الحد الأدنى من الأمن الغذائي ؟ لكنني أومن بأن الاعلام الناجح يسهم بفعالية في تحقيق سياسة زراعية نافعة ، وسواء الاعلام أو الزراعة فانهما يحتاجان الى تقنيات ووسائل ، لا تزال الدول العربية تعتمد فيها عموما على الانتاج الأجنبي .

اذا تركنا الان أجهزة الدولة الرسمية المسؤولة عن الاقتصاد وتخطيطه ، وسلطنا الضوء على رأس المال العربي الحر ، وجدنا أنه يفضل قطاعات الاستثمار السهلة ، حيث تكثر المضاربة ويتحقق الربح بسرعة ، وحيث تقل الانعكاسات الاجتماعية والثقافية . لن أتجرأ هنا وأحلم بالسؤال عن المقاولات العربية التي تخصص جزءا من فائضها أو من نفقاتها العامة للبحث العلمي والتقني ، فذلك لا يزال من باب الخيال . معنى هذا أننا سوف نظل مستهلكين لانتاج الغير الى أجل غير مسمى .

حقا هذه عجالة ، وربما لا تتصف بالاتزان والبساطة التي ميزت السؤال الصارخ الذي دوى به قلم الاستاذ حمدي قنديل ، لكن ربما ـ كذلك ـ تكفي لجواب يملؤه الأسى : اننا لم نعد شيئا للبث التلفزيوني الأجنبي لأننا منشغلون عنه ، لست أدرى بماذا ، لكننا على كل حال منشغلون ، لست ادري بماذا ، لكننا على كل حال منشغلون وأخشى أن يكون مصير القمر الصناعي العربي إعراضا أو على الاقل فتوراً من ذويه ، لان الخدمات التي سوف يقدمها لن تمتع المواطن العربي ، ولان هذا الاخير سوف يظل مندفعا ذاتيا للبحث عن متعته في اتجاه آخر ، ولان الحكام والمترفين العرب لا يحتاجون الى قمر صناعي عربي لقضاء حاجتهم . لذا ربما كانت الخدمات الاقتصادية لرؤوس الاموال العربية هي الامكانية الاولى في البداية هذا اذا رضي المعنيون أو اذا تمكن القمر العربي من تحقيق تلك الخدمات بصورة وبكلفة أحسن مما هو عليه الامر بوسائل أخرى . □

الدكتور محمد الادريسي العلمي

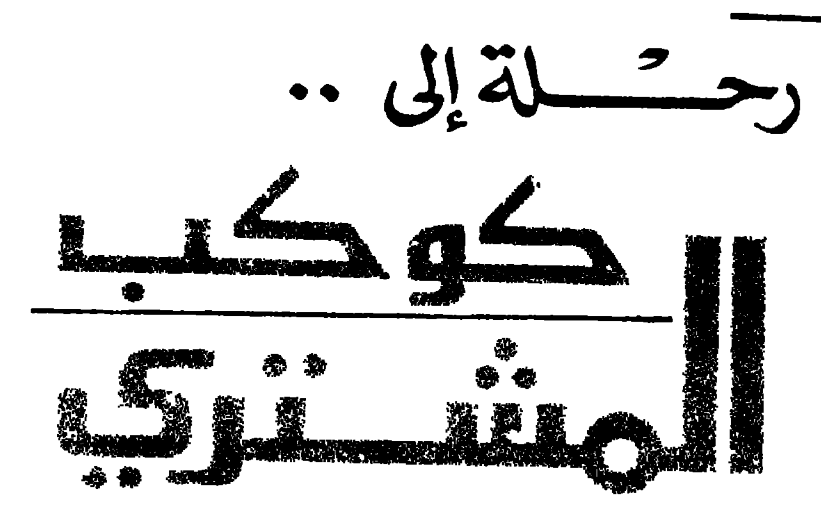
●

الطائرة . . والبراشوت !

يخطىء من يظن أن المتفائل وحده هو الذي يسهم في بناء المجتمع ، فالمتفائل يخترع الطائرة ، والمتشائم يخترع « البراشوت » . . الطائرة بناء ، ولكن البراشوت أيضا هو الذي ينقذ صانع هذا البناء من الموت لكي يبني من جديد ! !

« بيل فوجان »

قصة من الخيال العلمي



تأليف : اسحق عظيموف

إعداد : رؤوف وصفي *

حدث هذا عام ٢٠٢٢ ميلادية

انسابت سفينة الفضاء كطائر حرافي هائل ، تاركة الغلاف الجوي للأرض ، ثم عبرت حاجز الكويكبات الذي يتكون من كتل من الصخر خالية من الهواء والحياة . واستمرت السفينة في طريقها ، تخترق ملايين الكيلو مترات من الفراغ ، الى أعماق الفضاء كانت هذه أول رحلة استكشافية من نوعها في تاريخ كوكب الأرض . .

ففي عام ١٩٩٢ ـ أي منذ ثلاثين عاما ـ تم التقاط اشارات غامضة صادرة من كوكب المشتري تمكن علماء الفضاء بعد مدة من فك رموزها باستخدام الكمبيوتر واتضح لهم وجود كائنات عاقلة فوق ذلك الكوكب الغامض ، وكما يطلق عليه « عملاق المجموعة الشمسية » . . فهو أكبر الكواكب التسعة التي تدور حول الشمس . .

تمكن علماء الفضاء من الرد على رسائل سكان كوكب المشتري بنفس الشفرة المستخدمة . ومن ثم أمكن خلال عدة سنوات إيجاد نوع من الرموز المتفق عليها للتفاهم بين البشر وسكان المشتري . .

ومنذ عشر سنوات شعر علماء الفضاء بأن سكان المشتري يدبرون شيئا لسكان كوكب الأرض . كان هذا يبدو واضحا من أسلوب التهديد والتعالي الذي أصبح يميز رسائلهم ، ثم عدم الاكتراث بالرد على تساؤلات علماء الفضاء حول الحياة ونوعها فوق كوكبهم العملاق . .

اجتمع علماء الفضاء في العالم كله ، يوم ٦ سبتمبر ٢٠١٣ أثناء انعقاد المؤتمر الدولي للفضاء ، لكشف غموض تصرفات سكان المشتري . واستقر الرأي على تصميم سفينة فضاء يتعاون في بنائها وتمويلها

---

* عضو الاتحاد الدولي لكتاب الخيال العلمي والجمعية الدولية لعلوم المستقبل .

جميع الدول ، وذلك بهدف القيام برحلة استكشافية الى ذلك الكوكب الهائل ومحاولة التعرف على ما يدبره سكانه ولكن الصعوبة التي واجهت العلماء هي عدم إمكان هبوط آدمي فوق كوكب المشتري ، فالجاذبية تبلغ مرتين ونصف قدر جاذبية كوكب الأرض ، كما أن الأعاصير المدمرة لغازات سامة مثل الهيدروجين والميثان علاوة على مجالات قوى متعددة واشعاعات قاتلة ، مما يجعل مجرد محاولة الهبوط فوق هذا الكوكب العملاق ضربا من المستحيل . ولكن العلماء استطاعوا بعد عدة اجتماعات ايجاد حل لهذه المشكلة . .

الى كوكب المشتري

جلس الملاحون الثلاثة حول جهاز الرادار داخل الصاروخ . كان يبدو على شاشته ذات الأبعاد الثلاثة ، صورة لكوكب المشتري ، الذي كان يظهر كقرص من الذهب تتوسطه خطوط مضيئة يتدرج لونها من الأصفر الباهت الى الأحمر القاني . أما في أقصى الشمال والجنوب فيحيط به أحزمة مظلمة نسبيا يتدرج لونها من البني الى الأزرق القاتم . .

بدأت مقاييس الضغط ترتفع في جنون . . .



واستمر هذا عندما كانت سفينة الفضاء تنساب في طيران دائري حول كوكب المشتري .

أخذت مؤشرات المقاييس المختلفة تتحرك حتى وصلت الى ما يقرب من المليون أو نحوها من وحدات الضغط الجوي حيث كانت الأرقام تفقد معظم معانيها . أما درجة الحرارة كما سجلتها الأجهزة فكانت تتحمص في بطء وبغير انتظام . وأخيرا انتظمت عند نحو مائة وأربعين درجة مئوية تحت الصفر .

شقت سفينة الفضاء طريقها ببطء وبصعوبة خلال متاهة من الجزيئات الغازية وكرات الهيدروجين المتجمد . وكان بخار النشادر المنبعث من محيطات هائلة يضفي على الجو ذلك المنظر المرعب . أما العواصف التي بدأت أجهزة السفينة في تسجيلها فقد بلغت سرعتها آلاف الكيلو مترات ، وبدت كأعاصير تكتسح كل شيء في طريقها . .

كان من الواضح قبل هبوط سفينة الفضاء أن كوكب المشتري ليس عالما يبعث على البهجة في النفس . ولكن الملاحين الثلاثة ظنوا أنه كذلك بل كانوا مقتنعين به ، فهم لم يكونوا من البشر بل ثلاثة من الروبوت أو الأناس الآليين . . مارد وجبار وصقر . . . وقد صمموا فوق سطح الأرض خصيصا لهذه الرحلة المثيرة والخطيرة . قال مارد بعد أن حطت سفينة الفضاء على سطح المشتري :

ـ يبدو مكانا موحشا .

لحق به جبار ونظر الى سطح الكوكب الذي تغطيه جبال النشادر المتجمدة ذات الارتفاعات الشاهقة . . . وقال :

ـ توجد تركيبات من نوع ما على مسافة منا ! ويبدو أنها اصطناعية ، وأقترح أن ننتظر سكان المشتري حتى يأتوا الينا .

لم يدم الانتظار طويلا . . . فقد حطت بالقرب منهم سفينة فضاء غريبة الشكل . وما لبث أن اقترب صف من العربات اتخذت مراكزها ، وخرج منها بعض الكائنات الحية ومعهم بعض المعدات . . ربما كانت أسلحة . .

قال مارد :

ـ انهم يحيطون بنا الآن . والخطوة المنطقية المسالمة هي أن نخرج في العراء .

فتح باب السفينة الثقيل . . . وخرج الثلاثة بخطوات بطيئة . . وكان ظهورهم عند الباب اشارة لشيء من الهرج بين سكان المشتري الذين يحيطون بهم . وسجل مارد ارتفاعا في درجة حرارة القشرة الخارجية لجسمه المصنوع من سبيكة معدنية خاصة . .

نظر الى جبار وقال :

ـ هل تشعر بالحرارة ؟ أعتقد أنهم يوجهون الينا طاقة حرارية من نوع ما .

الهجوم

كان صقر هو المنوط بأعمال السكرتارية . وطريقته في أخذ المذكرات هي أن يضيف الى اسطوانة الذاكرة الدقيقة داخل عقله الالكتروني . وكان قد سبق له أن جمع تسجيلات كل جهاز في سفينة الفضاء دقيقة بدقيقة خلال الرحلة . وسأل صقر في حيرة :

ـ أي سبب أسجله لرد الفعل ؟ ربما كان السادة الآدميون يودون الوقوف على هذا .

ـ سجّل . . . لا سبب واضح . ولعلك تقول أن درجة الحرارة القصوى للشعاع كانت نحو خمسين درجة مئوية . . و . . .

قاطعه جبار قائلا :

ـ هل نحاول الاتصال بسكان المشتري ؟

أجابه مارد مؤكدا :

ـ سيكون هذا مضيعة للوقت . . . ولن يكون هناك الا عدد قليل منهم يعرفون رموز الشفرة التي يتبادلون بها الرسائل مع السادة الآدميين .

توقف الاشعاع الحراري ، ودفع بأجهزة أخرى الى الأمام ، وأخذت تعمل . . . وسقطت بعض الكبسولات عند أقدام الأناس الآليين . سقطت سريعة وبقوة بسبب جاذبية المشتري ، ثم انفتحت وخرج منها سائل أزرق أخذ يكوّن بركا صغيرة ، راحت تنكمش بسرعة ،

واكتسحت الأعاصير الهائلة الأنخرة بعيدا . . وحيث كانت تتجه كان سكان المشتري يبتعدون عن طريقها في فزع . انحنى جبار وغمس أصبعه الضخم في احدى الحفر وحملق في السائل الذي أخذ يتساقط ، وقال في دهشة .

ـ أعتقد أنه غاز الأوكسجين في شكل سائل .

ووافقه مارد :

ـ انه غاز الأوكسجين ولا شك . . . ان هدا يبدو غريبا . . . ومن رأيي أن هدا الغاز سام لهذه المخلوقات .

وما لبث صقر أن قال :

ـ هذه المخلوقات الغريبة تحاول أن تهلكنا .

كائنات هلامية

كان السادة الآدميون قد أتقنوا تصميمهم ، فقد استغرق صنع سفينة الفضاء عشر سنوات بما فيها الثلاثة الاليون وكل الأجهزة الالكترونية . . ومن ثم الهجوم عليهم كان بلا جدوى .

انقضت ساعات الانتظار الأخيرة في مناقشة تسودها الخيرة لوصف مظهر واحد من سكان المشترى قال مارد :

ـ لا يمكن أن تصف أي شيء دون مقياس ترجع اليه هذه الكائنات لا تشبه أي مخلوقات نعرفها انها بعيدة كل البعد عن كل ما يستطيع تفكيري المبرمج الوصول اليه .

كان حسم كائن المشتري عبارة عن كتلة هلامية حمراء . وله أطراف عديدة . . والكثير من الفجوات التي تستخدم عالبا للرؤية . . وعندما يتحرك يبدو وكأن جسمه قد تحول الى حالة غازية متموجة .

وفي دلك الوقت . . . تقدمت جماعة من سكان المشتري بطريقة غير منتظمة بالمرة . وما كان أحد يستطيع أن يحدد طريقة تحركهم . انهم يسيرون بحركة انزلاقية وبسرعة ، ربما بمساعدة الرياح الشديدة . التزم الفريقان الصمت وتوقفا عن الحركة تماما . وبدا في الجو نذير خطر . .

وفجأة انطلقت من بين سكان المشتري أصوات قرقعة معدنية . .

قال جبار في ابتهاج :

ـ انها الشفرة . . . لقد جاؤوا بخبير الاتصالات أخيرا . .

ظل كائن من سكان المشتري في المقدمة بينما تراجع الباقون . . وكان هو الذي يرسل نبضات الشفرة . .

ـ من أين أتيتم ؟

تولى مارد مهمة التحدث عن فريقه بوصفه الأرقى منهم من ناحية العقل الاصطناعي ودار الحوار :

ـ نحن من كوكب الأرض .

ـ ماذا تريدون ؟

ـ معلومات . . . فقد جئنا ندرس عالمكم لنعود بنتائج أبحاثنا . . . واذا قدمتم لنا المعاونة . .

قاطعته قرقعة كائن المشتري :

ـ يجب أن تهلكوا فورا .

ـ اننا مستعدون لعرض صداقتنا . . . ولا داعي لاشهار الحرب .

ـ نحن سكان المشتري لا نحتمل وجود الحشرات بيننا .

قال مارد لزميله :

ـ « تظل الحقيقة ثابتة بأن السادة الآدميين في خطر كبير . . . هذا عالم ضخم وسكان المشتري هؤلاء أوفر عددا وأكثر مواردا ، فاذا استطاعوا أن يخترقوا الغلاف الغازي الكثيف ويصلوا الى كوكب الأرض لأمكن لهم غزوها ، واشاعة الدمار بها .

زيارة لمدينة فوق كوكب المشتري

كانت المدينة الهائلة عبارة عن ميناء على شاطىء النشادر الذي لا يحده بصر . وكانت الرياح الشديدة تلفح الوجوه . أما الأمواج فكان يعلوها الزبد وترتفع في جنون ثم تهبط بفعل الجاذبية . كان من الواضح أن معظم تركيبات الميناء تحت سطح الكوكب . . أما المباني التي كانت تبدو عن قرب ، فهي مصنوعة من مادة معدنية سميكة وتتخذ شكل نصف كرة ويميل

لونها للبياض أما بسبب اللون الأصلي أو بفعل أبخرة النشادر التي تملأ الجو وتتصاعد باستمرار من المحيط الهائل . .

قال صقر بفضول :

- هل يمكنني أن أستكشف ما في محيط النشادر ؟

أجاب مارد وكأنما نفذ صبره . .

- حسنا . . ولكن لا تتأخر حتى نستأنف السير .

أخذ صقر يسير برشاقة يغلب عليها الخيلاء . . وسرت في الجو رعدة من تلك الآلة العملاقة التي كانت تنبض بالطاقة الذرية وهي تخترقه . كانت تلك الرشاقة واضحة في التصميم والتركيب المثاليين . . ثقل وقوة . . . وطول بلغ مترين ونصف المتر . كانت عيناه مروعتين ، تتوهجان كأنما بنار داخلية تتأجج بالذرات المشعة . . . كانتا تستطيعان أن تريا في أي مدى بواسطة ذبذبة يصدرها باستخدام أشعة الليزر . أما عقله الاصطناعي فهو عبارة عن عدد هائل من الخلايا الالكترونية وملحق به جهاز صغير أشبه بالحاسب الالكتروني الدقيق ، ويتصل بآلاف الأسلاك التي تمتد الى كل أطراف الانسان الآلي .

هرول صقر مسرعا . وشق طريقه الى الساحل ثم ألقى بنفسه في لجة النشادر . . . وراح سكان المشتري يراقبونه مراقبة دقيقة . . . وبالطبع لم يفهموا شيئا مما دار بين صقر ومارد . .

قرقع خبير الشفرة :

- من الواضح أن رفيقكما قرر نبذ الحياة يأسا لما رآه من عظمتنا .

أجاب مارد في تعجب :

- لا شيء من هذا القبيل . . . انما هو يريد أن يبحث عن الكائنات الحية الموجودة في النشادر ، فصديقنا يتملكه فضول شديد أحيانا ، ونحن ندرك هذا ونحاول ارضاءه كلما استطعنا .

أعقب ذلك سكون طويل . . . ثم قال كائن المشتري :

- سيغرق !

أجاب جبار :

- لا خوف من ذلك . . . فنحن لا نغرق .

في محيط النشادر

ما لبث صقر بعد قليل أن شق سطح المحيط واتجه في بطء نحو الأرض الصلبة . ولكن شيئا ما كان يتبعه ، كائن حي من حجم هائل يتكون جسمه من مجموعة من المخالب والبراثن والأشواك . ثم اتضح ان الكائن البحري لم يكن يتبعه من تلقاء نفسه ، بل أن صقر كان يجره خلفه . .

اقترب صقر . . واتخذ مهمة الاتصال وهو مضطرب وبث رسالة الى خبير الشفرة :

- انني آسف جدا اذ حدث هذا . . . ولكن هذا المخلوق هاجمني وكنت آخذ بعض المذكرات عنه . . . وأرجو ألا يكون مخلوقا نفيسا .

لم يجبه أحد في الحال ، لأنه عند أول ظهور للوحش البحري دبت الفوضى بين سكان المشتري ، وعندما ثبت أن هذا المخلوق قد مات فعلا أعيد النظام للصفوف . وكان البعض ممن يتسمون بالجرأة يفحصون الجثة عن قرب بفضول شديد . .

أتت رسالة الشفرة أخيرا من كائن المشتري :

- انه مخلوق متوحش للغاية ونادرا ما يشاهد بهذا القرب من الشاطىء .

رد مارد في تودد :

- اذا كان يصلح كطعام فانه يسرنا بالطبع أن . .

قاطعته قرقعة خبير الشفرة :

- يمكننا أن نحصل على طعامنا بأنفسنا دون الاستعانة بالآخرين فكلوه أنتم .

عند هذا رفع صقر المخلوق بذراع واحدة وألقى به في محيط النشادر وهو يقول : « شكرا لكم ، فلا حاجة بنا للطعام ، اذ أننا لا نأكل مطلقا » .

توقف خبير الشفرة لحظات ثم أردف قائلا :

- أيتها المخلوقات . نحن أهل المشتري نفتقر الى الفضول ولكن علماءنا يجدّون في طلب

الحقــائق . انهم يـودون معـرفـة مم تتكــون أجسامكم ؟

رد مارد :

ـ اننـا حساسـون للطاقـة ويمكننـا أن نكيف أنفسنـا للمستـوى الكهـربـائي أو المغنـاطيسي المواجه لنا . أما بصرنا الـطويل المـدى فمنشؤه أشعة الليزر . وأما أجسامنا فتتكون من سبيكة معدنية خاصة لا تتأثر بأي طاقة حرارية أو كهربية مهما بلغت شدتها . وأما جو المشتري فـلا يؤثر فينا . اذ أننا لا نتنفس . . كما أننا لا ننام .

تراجع أهل المشتري وقد التوت أجزاء شتى من أجسـامهم التي يصعب وصفها . كـان من الواضح أنهم في حديث هام وان كان لم ينبعث منهم أي صوت على الاطلاق .

السلام مع الأرض

كـانوا يصعـدون سلم سفينـة الفضـاء وهم ينـظرون ربما للمـرة الأخيرة الى عـالم المشتـري الرهيب . وأبخرة النشادر تتصاعد من المحيطات التي لا حد لها وتكوّن سحبا رمـادية تحـوّل جو كوكب المشتري الى ظلام دائم . .

وفجأة ، أتت قرقعة ،سالة شفرة من بعيد . استـدار الأناس الآليـون الثلاثـة نحـو مصـدر الصوت . كان هناك ثلاثة من سكان المشتـري ينزلقون ويتماوجون بأجسامهم الهلامية في اتجاه سفينة الفضاء .

وجاءت الرسالة العاجلة :

ـ لقـد اجتمعت الحكومـة المركـزية وقـررت توجيه هذه الرسالة لكم أيها الزوّار النبلاء .



نظر الأناس الآليـون الى بعضهم البعض في دهشة . ما الذي حدث ؟ وما سبب هذا التغيير المفاجىء في الأسلوب . .

ـ أيها الزوار النبلاء . لقد نال كوكبنا الشرف بوجودكم فوق سطحه . اننا نـريد السـلام مع كوكب الأرض ، ونرجو ابلاغ زعمـائكم بأننـا نرحب بأي زوار من كوكبكم العظيم

وفي قمرة القيادة داخل سفينة الفضاء ، وأثناء عـودتهم الى كـوكب الأرض ، جلس الثـلاثـة الآليونَ أمام جهاز الرادار الذي يظهر على شاشته المجسمة خط أخضر فاتح قفز بسرعة كالأفعى ثم تقوس ، واستدار الى جانب . .

تنهد مارد ثم قال :

ـ هذه مسألة نفسية . . . ان سكان المشتري يعانون من عقدة العظمة لأنهم يعيشون فوق أكبر كواكب المجموعة الشمسية . وعندما لم يتمكنوا من تدميرنا كان عليهم أن ينقذوا ماء وجوههم . فكانت كل استعراضاتهم وما قالوه قصد اذلالنا واقناعنا بقوتهم وتفوقهم علينـا . ولكن بعد مـا رأوه من أننـا لا نأكـل ولا ننـام ولا نتنفس ولا نغرق . . . انهاروا تماما .

تساءل جبار في دهشة :

ـ ولكن ما الذي يعنيهم من أمرنا . . . فـما نحن سوى أناس آليون . . ولسنا نحن الـذين سنقاتلهم .

رد مارد في ارتياح :

ـ لقد فكرت في هذا بعد أن غادرنا كـوكب المشتري . أتعلم أنه فاتنا ـ وعن غير قصد ـ أن نخبرهم أننا مجرد أناس آليون !

قال صقر في تعجب :

ـ ولكنهم لم يسألونا قط .

رد عليه جبار :

ـ تماما . . . لقد ظنوا أننا بشر . . . وأن كل سكان كوكب الأرض مثلنا .

استدار لينظر الى كوكب المشتري الذي أخذ يتباعد في أعماق الفضاء . . وأكمل في همس :

ـ . . أهم ما في الأمر . . ان السلام ساد بين كوكب الأرض . . . وكوكب المشتري .

أورام الثدي والجديد في التشخيص والعلاج

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوى *

■ ما الذي يجب على كل أنثى معرفته ؟
■ ماذا عن أورام الثدي الحميدة ؟
■ ما الجديد في تشخيص وعلاج سرطان الثدي ؟
■ كيف تفحص المرأة ثديها بنفسها ؟

■ بالرغم من الاهتمام الزائد فى عناية النساء بصحتهن واجسادهن الا أن الملاحظ انهن يهملن العناية بأثدائهن .

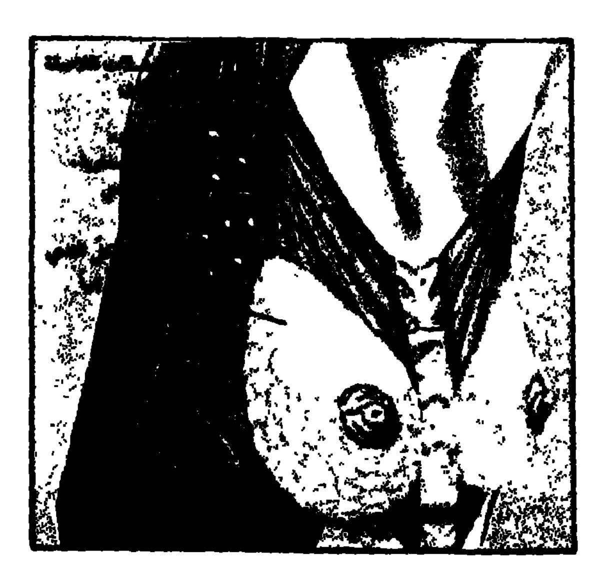
ان بين ٨٠ و ٩٠٪ من أورام الثدى حميدة ، ولكن يتوهم الكثير من النساء بمجرد اكتشاف ورم أو تدرن بالثدى انه ورم سرطانى . هذا بدوره يعنى عندهن استئصال الثدى المصاب ، وهذا وحده أمر مريع مثل المرض نفسه .

ومفتاح المحافظة على الجسد وصحته هو معرفة كيفية ممارسة الحياة بطريقة سليمة ، والاطلاع أولا بأول على فوائد ومخاطر الطرق المختلفة للعلاج ، وفحص الثدى بانتظام لملاحظة أى تغيير طارىء .

* استشارية الاشعة بمستشفى مبارك الكبير ـ الكويت .

قنوات الحليب
جيب للحليب
حويصلات الحليب
حلمة الثدي
الأربطة الشادة لنسيج الثدي
فصوص نسيج الثدي الغددي
هالة الحلمة
نسيج ليفي
نتوءات غددية جلدية
نسيج دهني
عضلات حلمة الثدي

صورة تشريحية للثدي



ان اكتشاف ورم الثدى أمر مزعج لصاحبه ، واذا كان ، فلا داعى للقلق . فقد يكون الورم عبارة عن تليف بالثدى مع أكياس (شكل ١) . انها تسمية مخيفة كما يبدو ، ولكنها ببساطة تعنى أن لدى بعض النساء استعدادا لتكوين أكياس مع أنسجة ليفية فى أثدائهن فى الفترة ما بين التبويض والطمث أى الدورة الشهرية . ان أكثر من نصف الأمريكيات لديهن هذا الاستعداد . وقد تظهر تلك المشكلة قبل سن العشرين ، وتختفى بعد سن اليأس . مما حدا ببعض الاطباء الى عدم اعتبار تلك الظاهرة مرضا لكثرتها واختفاء معظمها بتنظيم غذائى معين ، لو لا أن نسبة الاصابة بالمرض الخبيث كانت أكثر فى هؤلاء عما هى

عليه في النساء الاخريات الطبيعيات .

هناك أيضا نوع آخر من الاورام الحميدة في الثدي يسمى « ورم غددي ليفي » Fibroadenoma، وهو غير خبيث بالتأكيد ، ينمو ببطء ويمكن أن يظهر في كلا الثديين في من هن حول أو أقل من ثلاثين عاما في العادة .

اذا اتضح بعد الـ... أن هناك درنة في الثدي فالاجراء المتبع هو فحص خلايا هذه الدرنة بأخذ عينة منها بابرة رفيعة - فاذا كانت تكيسا سحب السائل الذي بها (وعادة فان ٩٥٪ منها حميدة) فاذا لم تكن تكيسا وكانت ورما غدديا اخذت عينة من الخلايا . . . وفي المختبر تظهر لنا نوعية هذه الخلايا (وهي في الغالب أورام حميدة) .

فحوص بالموجات والاشعة

أما الفحوص الاخرى التي تجرى على الثدي فمنها :

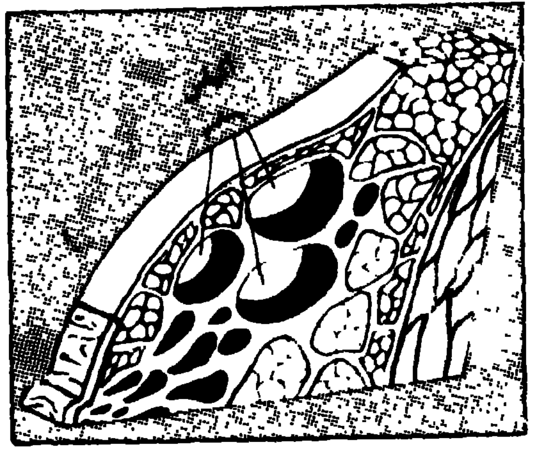
فحص بالموجات الصوتية Sonar مثلا (شكل ٢) ، حيث يستعمل جهاز صغير مثل ميكروفون جهاز التسجيل الصوتي بامراره على الثدي ، وهو يرسل ويستقبل الموجات فوق الصوتية ويرسلها لتراها كصورة تلفزيونية تظهر لنا طبيعة الورم الموجود ، وتبين لنا ما اذا كان تكيسا أو أي نوع آخر من الاورام . ولكن هذه الطريقة ليست صادقة مائة في المائة .

وهناك فحص بالاشعة تحت الحمراء -Thermo graphy (شكل ٣) وهذا يعتمد أساسا على أن نسيج الورم الخبيث عادة ، تزيد درجة حرارته درجة ، أو ربما أكثر عن بقية أنسجة الثدي التي حوله ، فاذا ألصقنا لوحا ...عليه ... مادة حساسة للحرارة بالثدي أمكن أن ... تختلف الانسجة بمختلف الالوان ومنها ... الورم من بين سائر الانسجة الطبيعية ولكن توجد بعض الاورام الحميدة ذات الحرارة العالية . لذا فلا يعتبر ذلك

شكل (١)



- فحص الثدي بالسونار يبين مظهر التكيس .



- رسم توضيحي لجزء من الثدي في التليف مع الاكياس

الفحص حساسا للاورام السرطانية وتشخيصها بدقة وانما هو يساعد فقط في عمل مسح لنسيج ... وللتأكد من وجود درنات به .

أما الفحص الذي يعتمد عليه فعلا فهو الاشعة السينية - وما يعمل للثدي يسمى -Mammogra phy وله جهاز معين ولا يمكن عمله بجهاز الاشعة العادي مثلا ، وهذا الفحص في الاغلب ... واكيد في اكتشاف الاورام ، وهو يبين الـ...

للجراح اذا ما لزمت جراحة ، ويعتبر قاعدة اساسية للمقارنة اذا ما كررت الاشعة بعد مدة فى المستقبل .

ولكن يجب ألا ننسى ان الاشعة سلاح ذو حدين ، ولا يجوز أن نأخذها مأخذا سهلا ونفحص بها أيا ما كان .

هناك نساء يجب أن تعمل لهن هذه الاشعة بصفة دورية وهن ما يطلق عليهن حاملات شارة الخطر Risk patients ولا يعنى هذا أن أغلبهن سوف يصبن بالمرض ، ولكن يجب أن نأخذ حالاتهن مأخذ الحذر وأن نضعهن تحت الملاحظة الدقيقة .

هؤلاء هن :

● مريضة سابقة بسرطان الثدى

● سيدة اصيبت امها أو أخت لها بسرطان الثدى قبل بلوغ سن اليأس

● اذا كانت قد تعرضت لعلاج بالاشعة العميقة أو أى اشعاع آخر قبل ذلك .

● سيدة بدأت لديها الدورة الشهرية عند البلوغ قبل اثنى عشر عاما أو بلغت سن اليأس بعد سن الخمسين .

● سيدة تعاطت علاجا يحتوى على هرمون الايستروجين بعد بلوغها سن اليأس .

● اذا كانت من سلالات أوروبا الشرقية أو الشمالية أو ذات قرابة يهودية .

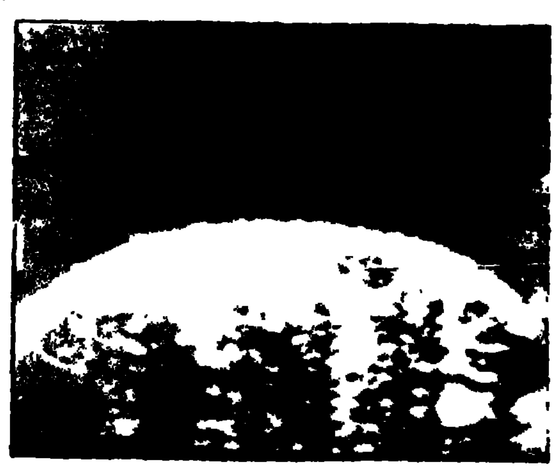
● سيدة تأكل اللحم بشراهة وتكثر من الدهنيات . . وسوف نعرج على هذه النقطة مفصلا بعد ذلك .

النصيحة المخلصة التى نسديها اليهن هى أن يقمن بعمل أشعة سنوية فى سن الخمسين أو أكثر ، وواحدة كل عام أو عامين لمن هن فى سن الاربعين الى الخمسين ، وواحدة كقاعدة للمستقبل فى السن من ٣٥ ـ ٣٩ عاما .

عند ثبوت الورم

إذا ما عملت الأشعة وأثبتت وجود ورم ، وعملت عينة مخبرية للخلايا من الورم نفسه بالابرة ، واذا ما ثبت ان هناك ورما حقيقيا ، تعمل عينة نسيجية منه بواسطة فتحة بسيطة فى جلد الثدى لأخذ قطعة من الورم أو استئصاله برمته وهذا أفضل . ويتم ذلك فى غرفة العمليات الجراحية ، ويستحسن أن تؤخذ العينة الجراحية فى يوم سابق ليوم العملية الجراحية . اذا ما كانت البوادر تشير الى

شكل (٢)



ـ فحص الثدى بالسونار وبه ورم غدى ليفى



ـ رسم توضيحى للثدى يبين الورم الغدى الليفى

ذلك . . . لماذا ؟ لكي يكون هناك مجال لدراسة العينة وتقرير الطريقة المثلى للعلاج ، فلربما استغنى الجراح عن عملية معينة بأخرى ، ولربما استعيض بالعلاج الكيميائي بالعقاقير أو بالاشعة العميقة عن الجراحة أصلا . . . ثم لامكانية مراجعة التشخيص النهائي .

تعمل أيضا بعض تحاليل الدم لبيان مستوى بعض الهرمونات بالدم بعد أخذ العينة من الورم مباشرة لوجود علاقة بين أورام الثدي وبعض الهرمونات .

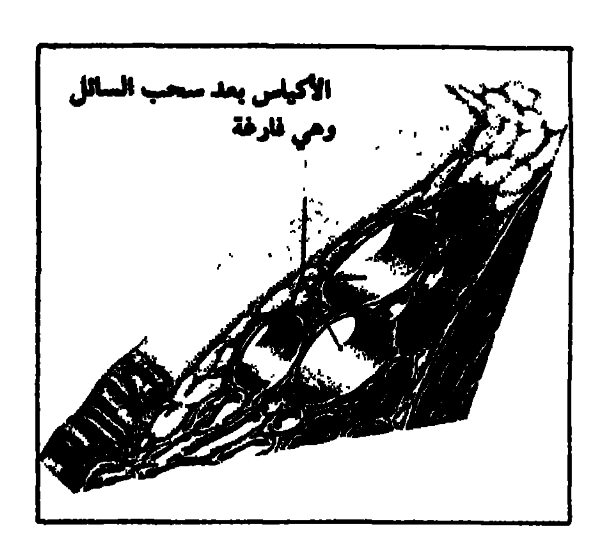
بعد كل هذا وفي أغلب الحالات تكون النتيجة سلبية للمرض الخبيث وينتهي كل شيء أما اذا كانت النتيجة ايجابية فذلك وضع آخر . يجب الانصياع لنصائح الطبيب واقتراحاته اذا كان ثقة . . أو أخذ الرأي ثانيا وثالثا . . .

وهنا في الكويت - كما هو الحال في معظم البلدان المتقدمة - يتولى أمر المريضة فريق متكامل من الاطباء من مختلف التخصصات - فهناك الطبيب الاكلينيكي الذي فحص المريضة أولا وأوحى بأن هناك ورما بالثدي ، وطبيب الاشعة الذي شخص المرض بالاشعة ، وطبيب التحاليل الذي فحص عينة الخلايا وعينة الانسجة ، وأيضا فريق أطباء علاج الاورام من جراح وكيميائي وأشعة عميقة . وبعد النقاش والاتفاق على طريقة العلاج أيا كانت ، يقوم المختص فيهم بعمل اللازم نحو المريضة حتى لا تكون هناك فرصة للخطأ والندم حيث لا يفيد الندم .

علاج سرطان الثدي

ان أول خطوة في علاج سرطان الثدي هي بيان المرحلة التي وصل اليها المرض . ولا يكتفي الطبيب بقياس حجم الورم نفسه ، ولكن يعتمد أيضا على فحوص أخرى للدم والكبد والعظام ، ومعرفة ما اذا كان المرض قد وصل الى اماكن أخرى بالجسم .

وبعد بيان نتائج تلك الفحوص يحدد مدى انتشار المرض الى واحدة من أربع مراحل .


الأكياس بعد سحب السائل وهي فارغة

فالمرحلة الاولى - وهي أقلها انتشارا وخطورة - هي وجود درنة صغيرة أقل من ٢ سم في الحجم ، وليس معها ما يدل على انتشار المرض منها الى الغدد الليمفاوية في الابطين أو الى أي مكان آخر في الجسم .

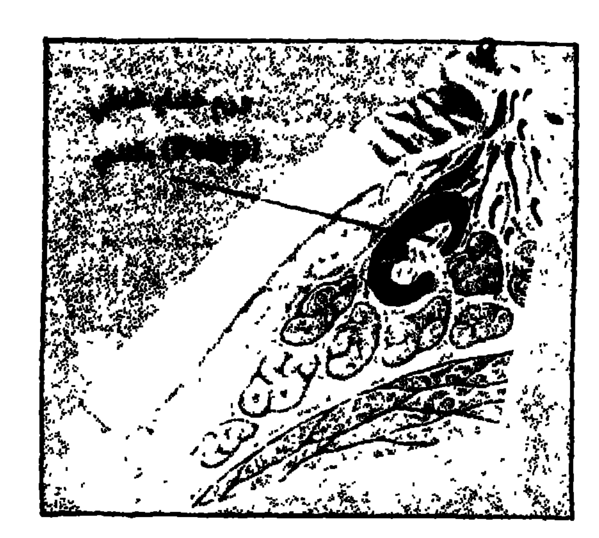
والمرحلة الثانية يكون الورم من ٢ سم - ٥ سم حجما ، ويمكن تحسس الغدد الليمفاوية في الابطين ، وربما لا تحس ، ولا يوجد ما يوحي بانتشار المرض الى أجزاء أخرى بالجسم .

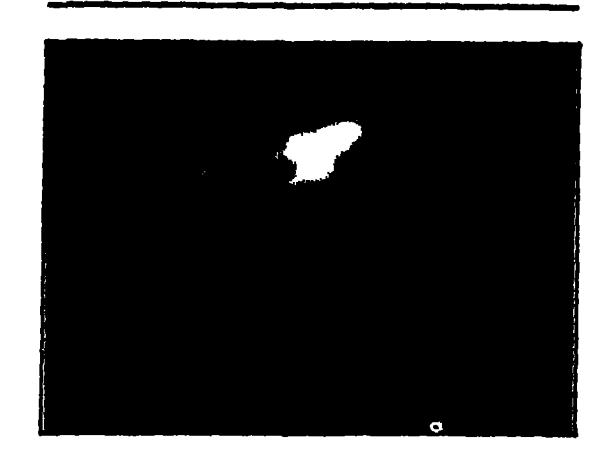
والمرحلة الثالثة هي درنة كبيرة ، والغدد الليمفاوية سهلة التحسس في الابطين ، وربما هناك أورام صغيرة بالجلد والصدر ولا يوجد انتشار بعيد المدى في الجسم .

أما المرحلة الرابعة ، فهي الاكثر تقدما وخطورة ، فالورم بها يكون صغيرا أو كبيرا ، والغدد الليمفاوية المحسوسة كبيرة وكثيرة وخبيثة ، وهناك ما يدل على انتشار المرض في سائر انحاء الجسم .

وبعد تحديد مرحلة المرض يبدأ التفاوض في العلاج .

ولقد كان العلاج في معظم سنوات هذا القرن يعتمد أساسا على عملية جراحية متوحشة الى حد ما ، اذ يتم فيها استئصال الثدي والغدد الليمفاوية في الابط . والعضلات الصدرية الملاصقة للثدي ،

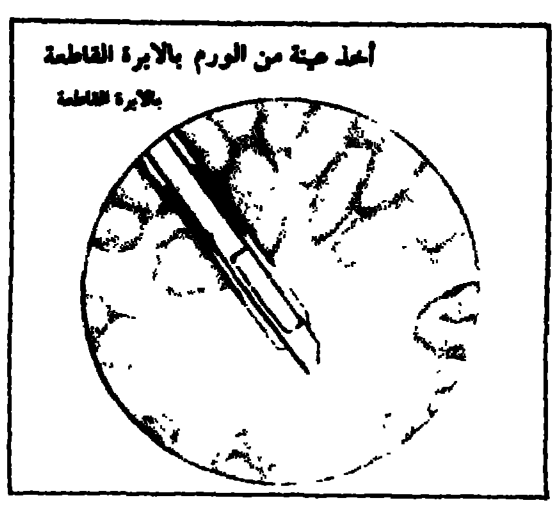




شكل (٣) ' وبه فحص بالاشعة تحت الحمراء الورم يختلف لونه عن باقى أنسجة الثدى

وكان هذا هو العلاج الامثل لسرطان الثدى فى نظر الطب آنذاك . الا أنه ـ ومنذ عام ١٩٧٩ ـ أعلن فى الولايات المتحدة الامريكية انه لم يعد هناك مبرر لتلك العملية الا فيما ندر . واليوم نجد طرقا متعددة لعلاج سرطان الثدى منها :

* استئصال الورم فقط مع بعض الانسجة المحيطة به ، ويتبع ذلك جلسات بالاشعة العميقة أو مثيلاتها .



* استئصال ربع الثدى المصاب ـ وهذا ما يعمل به فى أوروبا ـ ثم اكمال العلاج بالاشعة العميقة .

* ا. تئصال الثدى المصاب فقط دون الغدد الليمفـ : أو العضلات المجاورة ، واكمال العلاج بالكيمـ ات أو الاشعة العميقة أو كليهما .

* فى عملية جراحية متطورة يستأصل الثدى وبعض الغدد الليمفاوية وبعض العضلات ويستكمل العلاج بالطرق الاخرى .

يسمى المرض فى المرحلتين الثانية والثالثة مرضا موضعيا محددا . ولذا يجمع فى علاجه بين الجراحة والعلاج الكيميائى بعقاقير تقتل خلايا السرطان فى أى من أنحاء الجسم فى المريضات دون سن اليأس .

أما من هن بعد سن اليأس فيعطين عقارا مضادا لهرمون الايستروجين الذى يتسبب فى وجود الورم .

كذلك تعطى بعض الهرمونات المضادة لهذا الهرمون لبعض الأورام التى تعتمد على وجوده فى بعض الحالات .

أما عند المرحلة الرابعة فالنظرة أكثر وجوما وقتامة ، حيث يكون المرض قد انتشر بعيدا فى أنحاء الجسم ، وفى الاغلب يكون العلاج على تعدد صوره أقل فاعلية .

وهنا لالزوم لاستئصال الثدى ، وتستخدم جميع الطرق السابقة لعل المرض يقف عند حد .

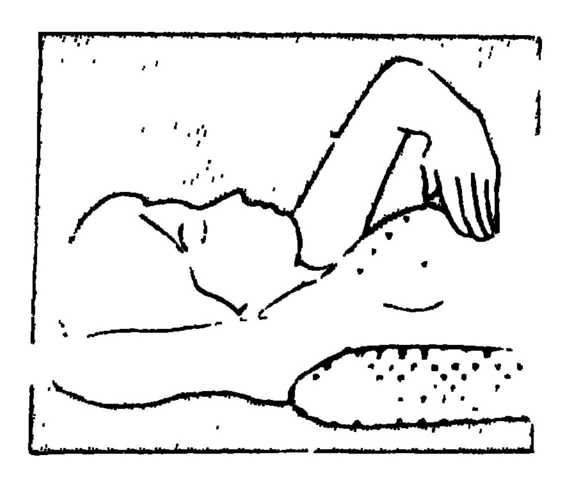
التشخيص المبكر

لعلنا مما تقدم نميل للاعتقاد بأن سرطان الثدى هو من الامراض اللعينة المخيفة ، اذ أن نسبة الوفيات منه لم تتغير على مدى الخمسين عاما الماضية ، وبالرغم من أن تشخيصه فى مريضة ما يعنى بدء مرحلة نضال مرير وعنيف ، الا أن هناك من النساء من تغلبن عليه وعشن طويلا ، فبالعلاج المناسب والتشخيص المبكر ومساندة المريضة معنويا ونفسيا وعلاجيا ، يمكن مواجهته ومحاربته وقهره أيضا والتغلب عليه بفضل الله .

وللتشخيص المبكر للمرض يجب أن تفحص المرأة ثديها بنفسها بانتظام كل شهر مرة - مثلا بعد انتهاء العادة الشهرية بأسبوع - ولتحدد من كانت فى سن اليأس أول كل شهر موعدا للفحص الدورى لثديها .

ابدئى بالنظرة العامة والتفتيش النظرى ، ففى أمام المرآة وحركى ذراعيك من جانب جسمك فوقا الى رأسك ، لاحظى أى تغيير فى شكل الثديين وهيئتها الخارجية ، أى انبعاج أو تفلطح .

ثم انسطحى على ظهرك (شكل ٤) ، اثنكى يدك اليمنى مثنية تحت رأسك مع وضع منشفة مطوية تحت الكتف الايمن لاسناده باليد اليسرى ممدودة الاصابع ابدئى عند موضع الساعة ١٢ بفحص الثدى الايمن . حركى اليد كما لو كانت فى دائرة صغيرة لتحركى جلد الثدى على الانسجة التى تحته . انك تبحثين بهذا عن أى درنة بالداخل قد تكون ملتصقة بالجلد الذى يغطيها . ان الدرنات التى تتحرك بحرية تامة ويتحرك الجلد فوقها بحرية أيضا هى فى العادة غير خبيثة وهى اما أكياس ، أو ورم ليفى غددى أو قنوات حليبية متضخمة



(شكل ٤)

كيفية فحص الثدي الدوري

حركى اصابعك بنفس الطريقة حول الثدى كله ثم الى الداخل قليلا وكررى نفس الخطوات فى دائرة أصغر ثم دائرة أصغر وأصغر وهكذا الى أن تصلى الى مركز الثدى - كررى نفس الفحص بعد أن تنزلى ذراعك الى جانب جسمك لارخاء عضلات مقدمة الصدر ، وأخيرا أعصرى الحلمة لترى ما اذا كان هناك افراز منها ، دموى ؟ صديدى ؟ سائل شفاف ؟ كررى نفس الطريقة بفحص الجهة الاخرى ، أى الثدى الايسر باستعمال اليد اليمنى . . .

بتلك الطريقة البسيطة يمكن اكتشاف أصغر الاورام حجما فى أكثر الاوقات مناسبة للعلاج الناجع لهذا المرض .

تأثير الدهنيات

يمكن الاقلال من فرص التعرض لهذا المرض بنظرة الى طعامنا . فقد أعلن المعهد القومى للسرطان ، والاكاديمية القوميه للعلوم ، وجمعية السرطان الامريكية ، أن هناك علاقة مباشرة بين سرطان الثدى والطعام . بداية ، فان زيادة أكل الدهون تعنى زيادة فرص التعرض للمرض .

فى أمريكا وأوربا ، حيث تكون الدهنيات ٤٠٪ من السعرات الحرارية للطعام ، نوجد ان نسبة الاصابة بسرطان الثدى تزيد مرات عنها فى آسيا وأفريقيا ، حيث لا يعتمد الطعام على الدهون . زد على ذلك أنه لوحظ عند اليابانيات - حيث طعامهن القومى قليل الدهون ونسبة المرض قليلة - عندما هاجرت أعداد منهن الى أمريكا وأخذن بعادات المهجر فى الطعام ، ازدادت نسبة الاصابة بينهن بهذا

المـرض ، بـل ارتفعت لتصـل الى نسبتهـا بـين الامريكيات (١ : ١١) .

ما هى الصلة اذن بين الدهون وسرطان الثدى ؟ ان هناك علاقة ما بين هرمـون الايستروجـين وهذا المرض . وهناك علاقة أيضا بين هذا الهرمون والمواد الدهنية . وعندما تنخفض نسبة الدهـون عند قـوم تنخفض نسبة الاصابة بهذا المرض ، واذا ارتفعت الدهون ارتفعت نسبة الاصابة به . . . هذا ما حدث للنساء اليابانيات فى المهجر .

لذا توصى الاكاديمية القومية للعلوم فى أمريكا بألا تزيد نسبة الدهون فى الطعام عن ٣٠٪ ، واذن يجب الاعتماد فى الاغلبية على اللحوم الحمراء خالية الدهن ، والاقلال من الحليب والجبن كامل الدسم والاكثار من الطعام الخالى منه .

لوحظ فى دراسة أخرى أن من يعتمد طعامهن على الفواكه والخضروات ـ أى من يحتوى طعـامهن على نسبة عالية من الالياف ـ تندر بينهن حالات سرطان الثدى . ان هذه الالياف لا تقدر على هضمها الامعاء الادمية . وعندما لا يهضم طعام تتخلص منه الامعاء سريعا بـاخراجه من الجسم . اذن فالعـلاقة بـين انخفاض نسبة الاصابة وبـين هذه المواد تكمن فى سرعة اخراجها . لماذا ؟

ان هذه السرعة هى العامل الاساسى . فهى تقلل من فرص امتصاص الدهون التى يحتويها الـطعام ، ومن بينها الايستروجين ومسببات اخرى للسرطان فلا تصل بكميات وافرة للدورة الدموية وهكذا . . . .

يجب ان يحتوى الطعام اليومى على كمية كافية من المواد ذات الالياف . فليكن الخبـز من الدقيق غـير المنخول ، وليؤخذ من الحبوب ذات القشور ثـلاث وجبات فى الاسبوع ، ولتضف الى الطعام البقول مثل الحمص والفاصوليا والبازلاء . والفواكه مثل العنب والموز والبرقوق والتفاح والخوخ والبلح لها اهميتها ، ويحسن الا يرمى من قشور الفواكه ما أمكن تناوله مع ثماره .

أما الفيتامينات ، فلا توجد علاقة ثابتة بينها وبين الوقاية من السرطان . ولكن لوحظ انخفاض فى نسبة الاصـابة عنـد قوم يهتمـون فى طعامهم بفيتـامـين أ وفيتامين ج .

يوجد فيتـامين أ فى الجـزر والطـماطم والسبانـخ والقـرع العسلى والبـطاطا الحلوة والخـوخ والمشمش والشمام . ولا ينصح بتنـاول حبوب فيتـامين أ لان كثرته فى الجسم قد تكون سامة .

ولا يعلم للآن كيف يحارب فيتامين ج هذا المرض فى الجسم ، ولكن يعتقد بأنه يعطل تحول بعض المواد غير الضارة فى الطعام الى مواد سرطانية فى الجسم . مثل النترينات Nitrites ـ وهى مواد حافظة تضاف للمخللات واللحوم المحفوظة الى مادة النيتروسيامين الضـارة .

ويوجد فيتامين ج بغزارة فى الحمضيات والفراولة والتوت والفلفل الاحمر . فلنكثر من الاطعمـة التى تحتوى على فيتامين أ و ج ، فلربما تكون فيها الوقاية من شر هذا المرض اللعين . □

●

حتى نتعلم الغناء !

.. ذا يشعر المرء باحراج عندما يضبط وهو يتحدث الى نفسه ؟ قطعا انه لو كان يغني لنفسه ، وسمعه الآخرون لما شعر باحراج على الاطلاق .. فهو يغني اذن فهو سعيد .. الحل للتخلص من عادة الحديث للنفس ومع النفس هو أن يتعلم المرء كيف يكون حديثه ممتعا مع الآخرين ... ولكي يحقق هذا الهدف فلابد أن يبني سورا عاليا يحجب عنه مشاكل الحياة !

أسابيع الكويت الثقافيّة جسور للتواصل بيْن الأشقاء

استطلاع : صادق يلي

تصوير : اوسكار متري



فوق : عدنان أبو عودة وزير البلاط الأردني افتتح الأسبوع الثقافي الكويتي ، ويرى هنا وهو يتابع معرض الكتاب . والى أسفل جانب من الجماهير التي تابعت نشاطات الأسبوع ، وتفاعلت معه تفاعلا جيدا .







فوق : الشعراء والمحاضرون رسل توثيق العلاقات وتدعيم جسور التواصل والوحدة بين الأقطار العربية .
والى أسفل : رواد معارض الكتب والفن التشكيلي والأزياء الشعبية يتابعون ويناقشون .

دأب المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب منذ عام ١٩٧٧ على إقامة أسابيع ثقافية في مختلف انحاء الوطن العربي بدأها في تونس - الجزائر - وليبيا - والمغرب ثم العراق وشطري اليمن ، وفي سبتمبر الماضي أقيم الأسبوع الثقافي الكويتي في الأردن .

ع استهدفت الكويت من خلال أسابيعها الثقافية توثيق العلاقات بينها وبين الأشقاء ، وأبراز الوجه الثقافي للكويت الحديثة في جوانب شتى من العلوم والفنون والآداب ، لايمانها العميق بأن الاطلاع على ثمرات العقول ، والوقوف على ما أبدعت هو الجانب المتحضر الذي يميز الانسان عن غيره من الكائنات .

المعروف أن أنشطة الأسابيع الثقافية تشمل على عروض مسرحية وأمسيات شعرية ومحاضرات وندوات ثقافية ، بالاضافة الى إقامة معارض فنية تبرز جوانب مختلفة من فن الرسم والنحت ، وعروض للأزياء التقليدية ، ثم عروض أخرى غنائية وموسيقية . ومعارض للكتب والدوريات والمنشورات التي تصدرها مؤسسات مختلفة .

جدوى الأسابيع الثقافية :

يقول الدكتور هاشم ياغي الأستاذ بالجامعة الأردنية رداً على سؤال لنا عن جدوى هذه الأسابيع الثقافية التي تقيمها مجموعة من المثقفين العرب في بعض أقطار وطننا العربي . . : « كأني أحس بأمرين يشغلان بالك : أولهما ، هذا الانصراف النفسي لدى الكثرة من أبناء أمتنا عن مواسمها الثقافية ، بل عن جميع مؤتمراتها المتعددة ، وثانيهما ، هذا الذي استقر في وجدانك ووجدان كثرة من أبناء هذه الأمة أيضاً من صور تاريخية لمواسم في الثقافة كانت تسطع في تاريخ هذه الأمة ، وكان لها ثمراتها الرائعة ، بل أن هذه المواسم كانت من أخصب الينابيع التي أستقى منها عرب الجاهلية السابقة للاسلام خاصة في التمهيد لتجمع القوم في البيان واللغة والفكر والثقافة ، مما أفاد منه حين وجهه لمنفعة هذه الأمة ، ولعل هذا الذي استقر من منافع في المواسم أن يكون قريباً مما أوحى به القرآن الكريم اذ يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » . . . والتعارف الذي يذهب اليه القرآن الكريم فيما أشعر هو لقاء ذوي الخبرة الواسعة في الحياة ، وذوي البصر فيها والمعرفة بغيرهم من الناس

ويستطرد الدكتور ياغي قائلا : واذا كان العرب اليوم قليلي التواصل الحقيقي بين أقطارهم رغم مؤتمراتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكثيرة ، فان مواسمهم الثقافية ببعد مضمونها في الغالب عن عناصر التفرقة ، تساهم في تقريب هذه الاقطار بعضها من بعض .

ندوة عن الحياة الثقافية في الكويت

وقد شهد المركز الثقافي الملكي في اليوم الخامس لنشاطات الاسبوع الثقافي في الاردن ندوة تناولت الحياة الثقافية في الكويت ، شارك فيها الأساتذة عبد الرزاق البصير وعبد العزيز السريع والدكتور سليمان الشطي . تحدث الاستاذ البصير في البداية فأشاد باهتمام الكويت بالثقافة منذ أكثر من قرنين ، فقال أن عناية الكويتيين بالثقافة في تلك الفترة جاءت على مقدار فهمهم ووعيهم ، وكان من نتائجها افتتاح أول مدرسة نظامية سنة ١٩١١ ، يدرس فيها القرآن والدين والجغرافيا والتاريخ والحساب واللغة العربية ، ثم بدأ الاهتمام بالجمعيات الثقافية فكان النادي الأدبي والرابطة الأدبية . وقال : ان مما يلفت النظر أن الأسماء كانت لها دلالاتها ، فالنادي هو النادي الادبي ، والرابطة هي الرابطة الادبية ، ثم رابطة الأدباء ، فلم يقولوا النادي الأدبي الكويتي ، أو رابطة الأدباء الكويتية ، بمعنى أن لكل عربي الحق في

أن يشارك في هذه الأندية والروابط ، مما يدل على أن الشعور القومي تغلغل في النفوس منذ وقت بعيد . ثم تحدث عن الصحافة وهي واحدة من وسائل الثقافة ، وأشار الى أنها وجدت في الكويت سنة ١٩٢٨ ، وأن الصحافة الكويتية هي أول صحافة عرفها خليجنا العربي ، ثم تطرق في حديثه الى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ومدى اهتمامه بالثقافة . فقد استضاف لجنة التخطيط الثقافي الشامل المنبثقة عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووفر لها مقرا ، ورأسها رئيسه وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ، هذه اللجنة التي دعت المتخصصين في ميادين الثقافة والعلوم والصناعة حتى الصحة كي يتقدموا ببحوثهم وخططهم ، وستخرج هذه البحوث والدراسات في سفر كبير ؛ وأشار الى أن للمجلس عدة لجان ؛ منها : لجنة ثقافة الطفل التي تنظر في الكتابة للطفل والمؤلفات المتخصصة في هذا الميدان ، كي تساعد على نشر أي نتاج مفيد وقيم للطفل العربي . ويصدر المجلس كتاب (عالم المعرفة) وهي سلسلة كتب تصدر كل شهر يتناول كل كتاب قضية متخصصة ، فمرة عن الشباب ، ومرة عن التفكير العلمي ، وأخرى عن التراث والتاريخ . وقد شارك في هذه السلسلة كبار الكتاب والعلماء من مشرق الوطن العربي ومغربه . كما أن للفكر العالمي والترجمة نصيبا ، فهناك مجلة (الثقافة العالمية) وهي تعنى بالثقافة والفكر العالمي . اما عن دور وزارة الاعلام في الحياة الثقافية في الكويت فقد تحدث الاستاذ البصير عن مجلة (العربي) وكتابها الذي يصدر أربع مرات في السنة ، ثم مجلة (عالم الفكر) الفصلية ، وسلسلة المسرح ، وكتب التراث العربي مثل : كتاب تاج العروس للزبيدي والذي بلغ ما صدر منه حتى الآن ٢١ جزءا .

القصة القصيرة والمسرح

القصة القصيرة في الكويت منذ بداية ظهورها حتى الوقت الحاضر تحدث عنها الاستاذ عبد العزيز السريع ، وقد قسم كتاب القصة الى ثلاثة أجيال ، ففي المرحلة الاولى نجد خالد الفرج عام ١٩٢٨ ، الذي كتب قصة عنوانها (منيرة) ، وهي قصة منسجمة مع فترتها والبيئة التي احتضنتها ، وتعبر عن امكانية وموهبة جديدتين .

أما المرحلة الثانية فكانت في الاربعينيات ، وفي مجلة (البعثة) بالذات ، والتي انجبت العديد من الكتاب ، كان على رأسهم فهد الدويري الذي بلغت القصة على يديه أحسن حالاتها ، فقصصه جيدة متينة في بناء الشخصية والتنامي ولحظة التنوير ، وبعد الدويري كان أبرز كتاب القصة فرحان راشد الفرحان ، الذي استمر في كتابة القصة حتى وفاته وهو صاحب (سخريات القدر) وهي أول مجموعة قصصية تصدر في الكويت ، كما أنه أول من حاول الجمع بين القصة القصيرة والرواية شبه الطويلة ، وكانت بعنوان (آلام صديق) وهناك فرسان آخرون انبروا لهذا النوع من الأدب ، منهم : أحمد العدواني ، وعبد العزيز محمود ، وعلى زكريا الانصاري ، وهيفاء هاشم .

ثم عرج السريع على جيل آخر هو جيل سليمان الشطي ، الذي كتب (الدفة) و (الضوء الخافت) ، وهو كاتب يتميز بالتحليل والأسلوب الجيد ، وبناء الشخصية ، ويهتم كثيرا بالتفاصيل الدقيقة المتميزة ، وفي مجموعته الأخيرة (رجال من الرف العالى) كان الشطي واضحا ، فقد استطاع أن يكون الفارس المجلي ، نجد العبارة الشعرية المكثفة والشخصية الفنية المتنوعة . أما سليمان الخليفي فهو كاتب قصة يمتاز باسلوب خاص ، فهو يستفز القارىء ، ونقرأ له نماذج لقصص غير مألوفة .

أما عن المرحلة الثالثة فتحدث السريع عن ليلى العثمان ، ولها عدة مجموعات قصصيه كما أن لها محاولات في الشعر ، ولكنها تمتاز في القصة القصيرة . ثم تحدث عن فاطمة الناهض وهي كاتبة غير عادية ، ثم محمد العجمي الذي أصدر (الشرخ) ، ووليد الرجيب وطالب الرفاعي ، بالاضافة الى مجموعة من الكتاب العرب المتواجدين في الكويت فلهم نتاج واضح في هذا المجال .

أما عن المسرح في الكويت فكان الحديث للدكتور سليمان الشطي ، وقد ذكر أن فترة الثلاثينيات كانت البداية الحقيقية للمسرح في الكويت ، فيها شهدت خشبة المسرح منذ ذلك الوقت ، وحتى الآن نحو (١٥٠) عملا مسرحيا ، أي بمعدل ثمانى مسرحيات



أزياء شعبية فيها الجمال وعبق التراث مشغولة
بالقصب والترتر ، ووجوه مستطلعة ومتشوقة للمعرفة .



لقطات من حفلات الغناء .. امتزج فيها الفن الشعبي القديم بتطويرات معاصرة حملتها فرقة التلفزيون وغريد الشاطيء وصالح الحريبي ورابحة .

لكل موسم ، وهو معدل جيد في بلد يصل تعداد سكانه الى المليون ونصف ، ففي تلك الفترة التي كانت الكويت تعاني فيها شظف العيش كانت هناك مسرحيات متعددة ، اتخذت البعد القومي والمثل العليا مواضيع او افكارا رئيسية لها ، فوجدنا (هملت) تقدم وهذا انجاز كبير .

وقد ذكر الدكتور الشطي أن رائد المسرح في الكويت في تلك الفترة هو الاستاذ حمد الرجيب الذي يعد بحق رجل مسرح كامل ، فقدم (عدو الشعب) و (وفاء) و (سر الجريمة) فقد كان مخرجا وممثلا ، كما كان يقوم بأعمال الديكور . ثم جاء بعده محمد النشمي الذي حاول أن يتابع ما بدأه الرجيب ، ولكن بطريقته المختلفة ، فقد حاول أن يقترب من المجتمع ، وكانت طريقته تعتمد على العمل الجماعي ، ففي الخمسينيات ، وبعد ظهور البترول والثراء وجدنا مسرحيات (خبير اسكت) (ومدير فاشل) و (ابن المسؤول) .

اما حمد الرجيب فقد ذهب الى القاهرة ليتعلم المسرح هناك ، ولما عاد من دراسته دعا زكي طليمات الى الكويت ، فأسس فرقة المسرح العربي ، وقدم أعمال محمود تيمور وتوفيق الحكيم وعلى أحمد باكثير . ومع مجيء طليمات وتقديمه لهذه الاعمال ظهرت مجموعة من الشباب الذين لم ترق لهم هذه الاعمال ، والتي غلب عليها الجانب التاريخي التراثي ، فكونوا فرقا مسرحية ، وهنا برزت أسماء صقر الرشود وعبد العزيز السريع وعبد الرحمن الضويحي وسعد الفرج وعبد الحسين عبد الرضا ، وقد اقيمت أمسية شعرية ضمن نشاطات الأسبوع ، شارك فيها الشعراء خالد سعود الزيد ، د . خليفة الوقيان ، د . عبد الله العتيبي ، يعقوب السبيعي ، وجنة القريني ، القوا فيها مجموعة من قصائدهم التي تجاوب معها الجمهور بشكل جيد .

البحر الاحمر وزرع الالغام

وضمن نشاطات الأسبوع القت الدكتورة بدرية العوضي استاذة القانون الدولي في جامعة الكويت محاضرة عن خطورة زرع الألغام في البحر الأحمر على الاستقلال السياسي للدول العربية المطلة على هذا



الدكتورة بدرية العوضي

البحر ، وهو موضوع افردت له الصحافة العربية والعالمية جانبا كبيرا من اهتمامها . وتناولت الدكتورة بدرية العوضي الجانب القانوني من خلال القواعد الدولية المستقرة بشأن حقوق الدول المطلة على المضايق الدولية أو القنوات الدولية والمياه الاقليمية في اتخاذ كافة الاجراءات الضرورية لحماية أمنها وسلامتها من الأخطار المحدقة بها من جراء عمليات زرع الألغام .

واضافت : أن خطورة الموضوع تأتي من عدة عوامل ، منها : تهديد سلامة الدول المطلة على البحر الأحمر مباشرة ، ثم تهديد الملاحة في هذا الممر المائي ، ثم تهديد استقلالية الدول وحريتها ، فمن الناحية القانونية فان قواعد القانون الدولي واضحة بحق الدول الساحلية باتخاذ الاجراءات الكفيلة بمنع الاعمال التي تضر بأمنها وسلامتها ، وأن حقوق الدول المطلة على البحر الأحمر معروفة في مواجهة هذا العمل العدواني ، سواء داخل التقسيمات الدولية للحياة أو داخل الحياة الاقليمية ، أو في المضائق الدولية ، مثل باب المندب ، وكذلك في قناة السويس وخليج السويس . وقالت الدكتورة العوضي في معرض حديثها : أن للدول حقها المشروع والمستنبط من مبدأ حق البقاء ، وهو من المبادىء الأساسية للقانون الدولي ، حيث يحق لاية دولة استنادا الى مبدأ الدفاع عن النفس اتخاذ الاجراءات الوقائية والضرورية لمحاربة الأعمال غير المشروعة في المناطق التي تخضع لسلطتها مباشرة ، كالمياه الاقليمية أو غيرها ، وبناء عليه يحق لهذه الدول مراقبة وتفتيش

السفن المشتبه بها اثناء مرورها ، أو انشاء جهاز اقليمي خاص بأمن المنطقة وحماية مصالحها .

فنون تشكيلية

وقد عرض خلال الاسبوع الثقافي حوالى ثلاثين عملا فنيا تشكيليا يربطها خيط واحد ، وهو تكريس المناخ المحلي الكويتي ، واستقراء طقوس البيئة المحلية ، وقد تنوعت فيها الاتجاهات الفنية من واقعية وتأثيرية وتجريدية وسريالية ورمزية ، كما أن هذه الأعمال الفنية تصور مراحل متفاوتة للحركة التشكيلية في الكويت .

يقول الناقد الفني الاستاذ محمد الجالوس : « أن تشتم رائحة البحر وتملأ عينيك رهبة القوارب الجاثمة على الشاطىء ، فأنت بلا شك تدخل تجربة خاصة ، وأن تتسكع في (سوق واجف) وتنظر الى (بائعة الباجلاء) فأنت بالتأكيد تكتشف عوالم جديدة ، هكذا وجدت نفسي مسكونا بما رأيت في معرض الفنانين الكويتيين ، فالاعمال يربطها خيط واحد . وهو تكريس المناخ الكويتي واستقراء طقوس البيئة المحلية ، انها تعطينا صورة واضحة المعالم عن الحركة التشكيلية الكويتية التي يبدو أن لها تجربة رائدة . فهي ترسم خارطة لتراث بحري وصحراوي ضارب في العمق والأصالة ، فهناك محوران رئيسيان فيما عرض من لوحات ، المحور الأول ضم أعمالا تتحدث عن البحر ، والمحور الثاني ضم أعمالا سجلت الممارسات الشعبية في الحياة العامة والطقوس الصحراوية المكانية » . ويضيف الأستاذ محمد الجالوس قائلا : « واضح في الأعمال التي تتحدث عن البحر أنها تتبع المدرسة السريالية والاكاديمية لدى الفنان عبد الرسول سلمان والفنان سالم الخرجي ، وهو واقعي كلاسيكي عند الفنان محمود الرضوان ، وأهم ما يميز أعمال الفنانين سلمان والرضوان هو ذلك الاستبطان الوجداني لسكان الصحراء ، فألوان (انشودة الماضي) للفنان عبد الرسول السلمان تأخذ من رمل البحر ومحايدة الصحراء في تشكيل كتلة معلقة ذات افق يختلط فيها الماء باليابسة ، وبذلك يحافظ على التماسك الموضوعي للكتلة والفراغ » .

أما عن الفنان محمود الرضوان فيقول الاستاذ جالوس : ان البحر عند الفنان محمود الرضوان ساكن فيه بخشوع ، فالألوان الحارة التي تمكن من تجميدها بابراز تناقض الظل والنور بشكل قاطع واستخدام الألوان المحايدة التي تثير في الجسد جفاف الصحراء وسكونها الاسطوري فأنها توشك ان تكسر صمت البحر او تحجر رمال الشاطىء ، وحركة الناس في اعماله محدودة فالناس في احدى حالتين ، اما السكون وانتظار رحيل الشمس ، أو دخول البوابات والخروج منها .

أما الأعمال التي سجلت الممارسات الشعبية في الحياة العامة والطقوس الصحراوية المكانية ، فتمثلت في اعمال الفنان أيوب حسين ، فهي واقعية فوتوغرافية اكتفت بأخذ شريحة حياتية واسعة ، التزمت بالمكان .

أما الفنان عبدالله سالم فهو يميل الى التجريد ، وكسر حدود الكتل المتعارف عليها بخلق كتل جديدة ، وتوازنات جديدة داخل البنية الابداعية للعمل فـ (بوابة الكويت) لم تعد قطعة من خشب أو طين ، بل تحولت الى تضاريس داخلية لمشاعر الفنان تجاه هذه البوابة .

وقد ضم المعروض كذلك مجموعات كبيرة من لوحات أطفال الكويت ، تبرز الملامح العامة لفن الطفل ، مثل التسطيح والشفافية والتكرار والمبالغة ، اما موضوعاتها فكانت مستوحاة من واقع الكويت والوطن العربي . وبالاضافة الى ذلك حوى المعرض مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية الملونة التي تصور جوانب مختلفة ومتعددة عن انجازات الكويت الحضارية ومسايرتها لركب الحضارة والتقدم الذي تشهده البلاد حاليا .

سدو وأزياء

كذلك كان لفنون الصحراء والبادية نصيب لايستهان به في المعرض ، فالمشغولات اليدوية ، وهى فن عريق شائع في كثير من أرجاء وطننا العربي من خروج ومساند وسط وعدول تمثل حياة البادية ببساطتها وعفويتها . وقد نال هذا الجانب شيئا من الاهتمام في الآونة الأخيرة عند القائمين على الحركة التشكيلية في وطننا العربي .

كما حوى المعرض مجموعة من الأزياء الشعبية الرجالية والنسائية ، ولهذه الأثواب تسميات عدة ، فهناك الأثواب المصنوعة من الحرير الصيني الطبيعي ، والمطرزة بالقصب والترتر ، ذات الألوان البهيجة ، وغالبا ما تستخدم في حفلات الزواج . فهي فضفاضة واسعة جيلة ، تبرز جانبا من الفلكلور الكويتي ، بجانب المباخر ومرشات ماء الورد حيث يعبق المكان برائحة زكية .

اما ملابس الرجال فهناك الملابس التي يلبسها البحارة كالوزار المدراسي وملابس الغواصين ، ثم الدشاديش بأنواعها والكوفية الحمراء والصديرى الذي كان يلبسه كبار السن من الرجال مع العقال القديم ، ثم ملابس أخرى قديمة كان يلبسها الشيوخ وكبار القوم مثل الشلاحات والصديري والدقلة .

وضم المعرض كذلك مجموعة من الكتب والدوريات التي تصدرها المؤسسات الثقافية في الكويت ، مثل وزارة الاعلام والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . ووزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية وقد نوه السيد عدنان أبو عودة وزير البلاط الملكى الاردني الذي افتتح الأسبوع الثقافي الكويتي نيابة عن سمو الأمير(الحسن بن طلال)بالدوريات والمنشورات حيث قال في معرض حديثه : ان مما يلفت الانتباه هو غزارة الدوريات والمنشورات المختلفة ، التي تقوم باصدارها مؤسسات كويتية تخصصت في نشر المعرفة ، وان المرء ليخرج بانطباع خاص بعد زيارته لهذا المعرض ، حيث يحس بعناية فائقة بالثقافة . وهذا الاسبوع نموذج يجب أن يحتذى به في كثير من البلاد العربية . .

واذا كانت المعارض والمحاضرات والندوات تجذب فئة المثقفين خاصة ، فان الغناء والموسيقا والرقص يجذب قطاعا كبيرا من جمهور المشاهدين الذين حرصوا على حضور هذه الحفلات ، واستمتعوا بسماع الأغاني الكويتية ذات الطابع المميز ، وخاصة غناء الصوت الذي تشتهر به منطقة الخليج عن باقي أقطارنا العربية ، والذي أشار اليه الأصفهاني في كتابه الخالد « الأغاني » .

كما قدمت فرقة تلفزيون الكويت للفنون جوانب أخرى من الغناء ، الذي يصاحبه الرقص مع الايقاع ، وهو مستوحى من حياة البحارة وهم على ظهور السفن ، او تمثل جوانب من حياة الانسان الكويتي الحضرى أو البدوى في أفراحه وممارساته اليومية .

خصوصية الثقافة

يحدثنا الدكتور جميل علوش الذي عمل ردحا من الزمن في الكويت عن الانطباع الذي خرج به بعد مشاهدته لهذا الاسبوع الثقافي قائلا : ان هذه اللقاءات الثقافية التي تعقد بين الحين والآخر في هذا البلد أو ذاك من عواصم أقطارنا العربية ، تحمل في طياتها فوائد جمة ، وخيرا كثيرا لهدف الوحدة العربية الكبير الذي أعاقت السياسة تحقيقه ، وأورثته النظريات والايدلوجيات متاعب جمة ، فهذه اللقاءات من شأنها أن تقوى الصلات بين أبناء الوطن العربي الواحد ، فيتعرف ابن الاردن على الادب والثقافة التي يبدعها أشقاؤه في الكويت ، ويلم بالاتجاهات في جميع الفنون والآداب وموضوعاتها المختلفة ، كما يتعرف ابن الكويت على الاتجاهات الثقافية في الاردن ومساراتها ومنطلقاتها . وعلى الرغم من أن مصادرنا الثقافية واحدة ، الا أن لكل مجتمع عربي تجربته الخاصة ، وليس في هذا خروج على مفهوم الوحدة ، ولا هو دعوة الى الاقليمية كما يظن البعض ، فصفة الخصوصية والتفرد من مميزات الجودة والابداع ، والتشابه هو ضرب من التقليد الذي ليس له قيمة .

ويضيف الدكتور علوش قائلا : وعلى الرغم من أن اقامة الاسابيع الثقافية تقليد جديد درجت عليه الأقطار العربية في الأونة الاخيرة ، فهي تتويج لنشاطات كبيرة كانت تقوم بها وزارات الاعلام والمؤسسات الثقافية في الوطن العربي من لقاءات ومؤتمرات ومهرجانات ، بالاضافة الى أن هذه الاسابيع الثقافية تمتاز عن سابقتها بقوة التركيز ، وعمق التأثير ، وبخاصة اذا استطاعت وسائل الاعلام تأدية دورها على خير وجه في هذا السبيل .

لذلك فما احرانا بأن يطلع بعضنا على آداب وثقافة البعض الآخر ، من أجل شد الروابط وتقوية الأواصر والسعى لاقامة صرح الوحدة العربية التي هي مطمح كل عربي غيور . □



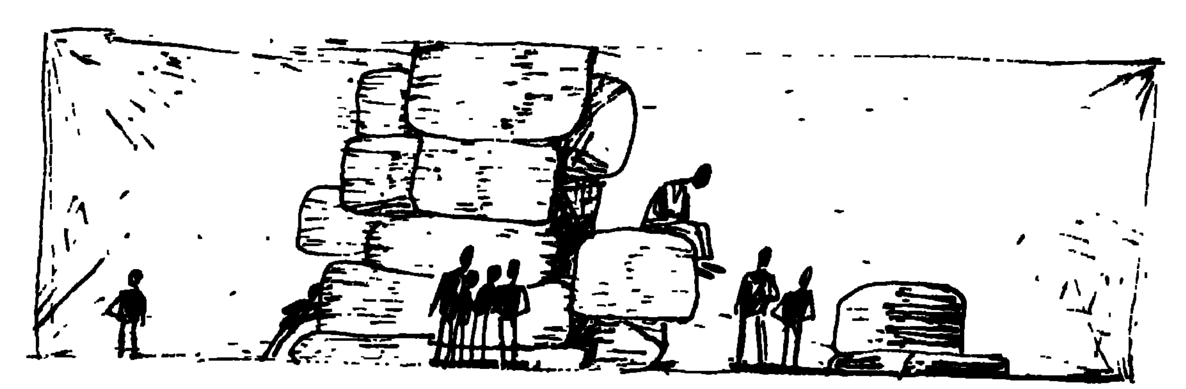
أفكار مستقبلية للخروج من

مأزق البطالة العالمية

بقلم : الدكتور رمزى زكي

لم تعد البطالة مشكلة العالم الفقير فقط ، فقد أصبحت واحدة من أخطر مشاكل النظام الاقتصادى الرأسمالي ، وهى فوق ذلك تحمل داخلها بذور انفجارات سياسية واقتصادية واجتماعية .. فماذا يحمل المستقبل من امكانات لحلها .. ؟

■ لعل أبرز وأسوأ سمات الأزمة الاقتصادية العالمية التى تمسك بخناق البلاد الرأسمالية المتقدمة ، ومعها توابعها البلاد المتخلفة ، هي تفاقم مشكلة البطالة ، أي التزايد المستمر فى عدد الأفراد القادرين على العمل ، والراغبين فيه ، والباحثين عنه بلا جدوى . وطبقا للاحصائيات الحديثة ، يصل معدل البطالة ، أى نسبة المتعطلين عن العمل الى اجمالي القوى العاملة ، فى المتوسط ، الى ١٢٪ فى مجموعة الدول الرأسمالية بغرب أوروبا ، والى حوالي ١٠٪ في الولايات المتحدة الأمريكية . كما يقدر عدد العمال العاطلين بالدول الرأسمالية المتقدمة بحوالي ٣٥ مليون عاطل . ومما يجعل الصورة قاتمة هو الاتجاه المستمر لهذه الاعداد وتلك النسب نحو الارتفاع منذ بداية السبعينيات وحتى الآن . وليس هناك ما يشير الى توقع انخفاض حجم البطالة ومعدلاتها فى الاجل القريب المتطور . أما فى البلاد المتخلفة التي تعانى الآن أشد المعاناة من حصار التنمية فيها ، ومن تفاقم تبعيتها للاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فان البطالة فيها أكثر تفاقما وأكثر ايلاما للناس . ذلك أن عدد العاطلين فى هذه البلاد يزيد عن المائة مليون . كما أن معدل نمو البطالة فى هذه الدول أكبر من ذلك المعدل الذى تنمو به فرص التوظف . وقد ذكر التقرير الشهير



لفيلي برانت وزملائه ، عن حوار الشمال والجنوب (فبراير ١٩٨٠) أن هنـــاك تخوفا من أن يصبح عدد العمال العاطلين عن العمل فى هذه البلاد حوالي مليار فرد عام ٢٠٠٠ .

وان بلدا كالهند ، التى يصل عدد سكانها الى نحو ٦٠٠ مليون فرد ، تحتاج الى ايجاد فرص عمل لثمانية ملايين فرد كل عـام ، من الآن حتى عام ٢٠٠٠ ، حتى يمكن أن يتوفر التوظف الكامل للعمالة الناجمة عن النمو السكانى ، وحتى تواجه البطالة المتراكمة من قبل . وبينما يستفيد أغلب العمال المتعطلين بالبلاد الرأسمالية من نظم اعانات البطالة والرعاية الاجتماعية ، الأمر الذى يخفف عنهم ـ الى حد كبير ـ من مأساة التعطل عن العمـل ، الا أن العمـــال العاطلين بالبلاد المتخلفة يفتقدون هـــذه النـــظم . ومن هنا تمثل حالة البطالة ، بالنسبة لهم ، تهديدا مباشرا لحياتهم ولحياة من يعولونهم .

ســوق العمـل بــالبـلاد الرأسمالية ؟

والحقيقـة ، أن (البـطالـة المتـزايـدة) بـالبــلاد الرأسمالية قد تـطورت فى السنوات الأخيـرة لكي تصبح مشكلة هيكلية ، بمعنى ، أنها أصبحت صفة لصيقة بخصائص هيكل اقتصاديـات هذه البـلاد . فماذا حدث على وجه الـدقة للـنظام الرأسمـالي في الحقبـة الأخيرة من السنـوات ، وجعل طـريقة أداء النظام مغايـرة لما كـانت عليـه من قبـل ، وبحيث أصبحت البطالة أحد افرازاته الدائمة ؟

لقد عاشت معظم البلاد الرأسماليـة المتقدمـة ، خلال الفترة الممتدة فيما بين أعقاب الحرب العالميـة الثانية حتى بداية السبعينيـات فترة ازدهـار لامعة . وهى الفتـرة التى يمكن أن نسميها بحق (بـالعصـر الكينـزي) حيث كـانت السيـاسـات الاقتصـاديـة الاجتماعية فى تلك البلاد ، تعتمد اعتمادا رئيسيا على (روشته) اللورد كينز . وهي الروشته التى أوصت بضرورة التدخل الحكومي فى النشاط الاقتصادى ، حتى يمكن المحافظة على هدف التـوظف الكامـل ، ومعالجة مشاكل التقلبات الدورية للاقتصاد القومي .

وخـلال هذا العصـر تمكنت هـذه البـلاد من تحقيق معدلات نمو عالية نسبيا ، تصل فى المتوسط الى ٤٪ سنويا ، كما أن معدل البطالة فيها لم يتجاوز ٣٪ ، ولم يتعـد معدل التضخم ٣٪ سنـويا . وآنـذاك ، راح الاقتصاديون المحترفون يتحدثون عن انتهاء عصور الأزمات ، وأن النظام الرأسمالي قد استقر وأصبـح بامكانه أن يرتكز على الدعائم الذهبية الثلاث ، وهي النمو الاقتصادى المرتفع ، وتحقيق التوظف الكامل ، وتـوافر التـوازن الاقتصادى الـداخلي والخـارجي . وشاع مصطلح (دول الـرفاه) لـلاشارة الى البـلاد الـرأسمالية،نـظرا لتـوافـر الضمـانـات والـرعـايـة الاجتماعية من جانب الحكومات ، وبسبب ما تتمتع به تلك البلاد من درجـة عاليـة من ارتفاع مستـوى المعيشة وتنوع الاستهلاك ووفرته .

والحق ، أن هذا النمو المزدهر ، المقترن بدرجات عالية من التوظف والاستقرار ، كان راجعا الى عدة عوامل هامة توافرت لهذه البلاد ، مثل :

١ ـ الحصول على مواد الطاقة ، وبالذات النفط من دول العالم الثالث ، بأسعار بخسة .

٢ ـ التقدم التكنولوجي الهائل .

٣ ـ نمو حركة التجارة الدولية .

٤ ـ استمرار نمط تقسيم العمل الـدولي،لصالـح البلاد الرأسمالية .



وبجانب ذلك توافر استقرار نسبي واضح في العلاقات الدولية ، حيث كان السباق السلمي بين النظامين العالميين (الرأسمالي والاشتراكي) ينسج اطارا مواتيا في حلبة المنافسة الاقتصادية على النطاق العالمي .

أما الدول المتخلفة ، التي تقع على حواف الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فقد استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تحصل على استقلالها السياسي ، وارتفعت فيها شعارات التنمية والتصنيع وتحسين مستوى المعيشة ومكافحة البطالة . وظلت تبحث عن صيغ ممكنة وملائمة لوضع هذه الشعارات موضع التنفيذ . ونظرا لكونها جزءا لا ينفصم عن الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، فقد نالها من الاستقرار والنمو اللذين شهدهما هذا الاقتصاد ، قسطا لا بأس به . حيث ظلت صادرات هذه البلاد من المواد الأولية تنساب الى البلاد الرأسمالية ، وظلت محتفظة بقدرتها على تمويل وارداتها من خلال حصيلة الصادرات والقروض الخارجية . وقد اتجه معدل البطالة في عدد كبير منها نحو الانخفاض .

بيد أنه مع مجيء العقد السابع من قرننا الحالي ، دخلت البلاد الرأسمالية المتقدمة في أزمة طاحنة ، طويلة المدى ، أهم معالمها هو الركود الاقتصادى ، وتزايد الطاقات العاطلة ، وتعايش البطالة مع التضخم ، وتفاقم العجز في ميزان المدفوعات كما تعاصر ذلك مع وجود اضطرابات شديدة في العلاقات الاقتصادية الدولية (انهيار نظام النقد الدولي ، تعاظم نزعة الحماية ، تفاقم مشاكل المديونية الخارجية ، تعويم أسعار الصرف ، .. الى آخره) .

وهذه الأزمة تشكل ، بكل تأكيد ، نقطة تحول تاريخية هامة في الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وليس مجالنا الآن أن نتعرض لتعليل أسباب هذه الأزمة ودلالتها ، وانما نود فقط أن نلقي بالأضواء على علاقة هذه الأزمة بسوق العمل في البلاد الرأسمالية . فقد صاحب هذه الأزمة تعاظم خطير ومستمر في اعداد العمال العاطلين . وكان ذلك في الحقيقة راجعا الى الامور الآتية :

١ ـ تفاقم آثار الثورة العملية والتكنولوجية على العمالة ، حيث تسارع احلال الفنون الانتاجية المكثفة لرأس المال محل العمل الانساني في كثير من قطاعات الاقتصاد القومي . وقد أدى ذلك ، بداهة ، الى تقليل الطلب على عنصر العمل الانساني .

٢ ـ انتقال عدد لا بأس به من الصناعات الموجودة بالبلاد الرأسمالية المتقدمة الى البلاد المتخلفة ، بفعل الممارسات التي لجأت اليها الشركات الدولية النشاط ، لكي تستفيد من العمالة الأجنبية الرخيصة ، وبخاصة في بلاد جنوب شرق آسيا . وقد أثر ذلك على العمالة المحلية في هذه الصناعات في البلاد الرأسمالية المتقدمة . وتلك هي على سبيل المثال ، مأساة العمال المتعطلين في صناعة المنسوجات ، والصناعات الجلدية ، وصناعة الساعات ، وصناعة تركيب السفن ، .. الى آخره .

٣ ـ لجوء كثير من حكومات هذه البلاد الى انتهاج سياسات انكماشية ، كان من شأنها تحجيم الانفاق العام ، الجارى والاستثماري ، في مختلف المجالات (باستثناء الانفاق العسكرى طبعا) . وقد جر ذلك معه تخفيضا محسوسا في طلب الحكومات على العمالة المحلية للعمل في قطاع الخدمات العامة . فضلا عما نتج عن تخفيض الانفاق العام من آثار انكماشية مضاعفة على التوظف في القطاعات الأخرى .

تلك هي أهم العوامل ، التي تفاعل بعضها مع بعض ، وألقت بظلالها الكثيفة على سوق العمل بالبلاد الرأسمالية ، الذى أصبح يعج الآن بملايين العمال العاطلين .

أما البلاد المتخلفة ، التي تأثرت كثيرا بالأزمة الاقتصادية العالمية ، فقد نمت فيها معدلات البطالة بفعل آثار هذه الأزمة عليها ، وعجز الأنظمة السائدة فيها عن تطبيق سياسات حازمة لمواجهة الصدمات الخارجية ، مثل صدمات ارتفاع أسعار الواردات ، وانخفاض وتقلب أسعار الصادرات ، وتذبذب أسعار الصرف ، وعدم استقرار أسواق النقد العالمية ، . . . الى آخره . وكان من جراء ذلك أن زاد عجز موازين مدفوعاتها ، وضعفت قدرتها الذاتية على الاستيراد ، وتعطلت ، من ثم ، فيها كثير من برامج الانتاج وعجلات الاستثمار ، نظرا لاعتمادها على قدر ضئيل من الواردات الوسيطة والانتاجية . وكان من الطبيعي - والحال هذه - أن تنخفض معدلات النمو والتوظف ، وأن ترتفع بالمقابل معدلات البطالة . كما ساهمت سياسة (الباب المفتوح) التي ينتهجها الآن كثير من هذه البلاد في تفاقم أحوال البطالة ، بسبب المنافسة غير المتكافئة التي تعرضت لها الصناعات المحلية ، مما أدى الى افلاس واغلاق الكثير منها ، وبسبب الممارسات اللعينة التي تزاولها الشركات الأجنبية الدولية النشاط في عربدتها داخل هذه البلاد .

أفكار للخروج من مأزق البطالة :

ويسود الاتفاق ، أو احساس عام ، بين الاقتصاديين فى العالم الرأسمالي ، بأن العودة الى (الأيام الجميلة) التي كانت عليها أحوال التوظف فيما بين انتهاء الحرب العالمية الثانية وحتى ستينيات هذا القرن ، هي أمر صعب ، ان لم يكن مستحيلا . وقد بات راسخا في الذهن ، تلك الحقيقة المرة التي تقول ، انه لا توجد دولة رأسمالية فى العالم يمكنها أن تجمع الآن بين تحقيق العمالة الكاملة ، والاستقرار السعرى ، والتوازن الخارجي ، ونظام حرية السوق .

ومع ذلك فانه من بين ثنايا هذه الصورة القاتمة ، تبرز بعض الآراء المتفائلة بصدد علاج مشكلة البطالة . وفى هذا الخصوص ثمة أفكار كثيرة تستحق المناقشة .

* وأول هذه الآراء المتفائله ، يرى أن مشكلة البطالة بالعالم الرأسمالي المتقدم سوف تحل تلقائيا من خلال الاتجاه التدريجي لحجم قوة العمل نحو التناقص بفعل الميل المستمر لمعدل الخصوبة نحو التدهور فى هذه الدول . ففى الولايات المتحدة ، على سبيل المثال ، انخفض معدل خصوبة المرأة منذ بداية الستينيات من ٣٫٦ الى ١٫٨ فى نهاية السبعينيات . كما أن عددا لا بأس به من دول الغرب قد انعدم فيها النمو السكانى . ومن هنا ، فانه ان آجلا أو عاجلا ، فان عدد السكان الذين يزداد بهم سوق العمل سنويا ، سوف يقل عبر الزمن . وليس يخفى أن هذا الرأي لا يتعرض للاسباب الحقيقية لمشكلة الفائض السكاني المزمن الذى يتسم به النظام الرأسمالي في مرحلته الراهنة ،ويحلم بايجاد الحل عن طريق (التغيرات الديموجرافية .) في الاجل الطويل ، ولا يهتم بالمشكلة في الأجل القصير .

* وثاني هذه الآراء ، ما ينادي به بعض الحكماء ، من أن أفضل سبيل للخروج من مأزق البطالة هو الاصرار على النمو الاقتصادي وتحقيق المزيد منه ، على أساس أن زيادة الاستثمار والانتاج وتشغيل الطاقات العاطلة من شأنه أن يخلق فرصا كافية للعمالة الباحثة عن عمل . بيد أن هذا الرأي وان كان صحيحا من الناحية التاريخية ، الا أنه يعد الآن من قبيل الآراء التقليدية المشكوك في صحتها ، لانه لا يراعي التغيرات الهيكلية التي حدثت في الدول الرأسمالية . ذلك أن النمو الاقتصادي قد يتحقق الآن بشكل غير مصحوب بزيادة في فرص العمل Jobless Growth بسبب ثورة الفنون الالكترونية التي قللت من حجم استخدام القوة العاملة ، نظرا لارتفاع درجة التحكم الآلي التي تمخضت عن تلك الفنون . ويضاعف من حرج الموقف ، ان تلك الفنون الانتاجية تتوغل الآن بشدة في القطاعات الخدمية ، وهي القطاعات التي كانت لها القدرة على استيعاب العمالة الجديدة الزائدة عن

حاجة قطاعات الانتاج المادي . كما أن الانفاق العسكري الذي كانت له قدرة عظيمة على امتصاص وتوظيف أعداد كبيرة من هذا الانفاق أصبح يذهب في الآونة الأخيرة الى بحوث التطوير التكنولوجي للأسلحة .

من هنا ، فانه حتى (عسكرة النظام الاقتصادي) لم تعد بالوصفة المجدية لمواجهة معضلة البطالة .

● وثالث هذه الأراء ، ما يقترحه البعض من تخفيض لساعات العمل لكي تتاح الفرصة لأكبر عدد من العمال للمشاركة في الانتاج . والحق ، أن عدد ساعات العمل التي يعملها الانسان في الدول الرأسمالية المتقدمة قد مال بشكل مستمر نحو التناقص بالتدريج . ففي بداية هذا القرن كان متوسط ساعات العمل يتراوح ما بين عشر واحدى عشرة ساعة في اليوم ، مع ستة أيام كل أسبوع ، وبمقدار واحد وخمسين أسبوعا في السنة . أما الآن ، فان متوسط ساعات العمل في اليوم هو ثماني ساعات ، مع خمسة أيام في الأسبوع ، وبمقدار يتراوح ما بين ٤٧ ـ ٤٨ أسبوعا في السنة . معنى هذا أنه بعد أن كان المواطن يكدح حوالي ١٥٠ ألف ساعة عمل على مدار حياته ، انخفض عدد هذه الساعات حاليا الى ما يقرب من ٨٠ ألف ساعة . وهناك من يعتقد أن التطور المستقبل سيتجه بعدد هذه الساعات نحو الانخفاض ، الى حوالي أربعين ألف ساعة عمل . الأمر الذي يسهم في توفير فرص كثيرة للتوظف أمام العمالة الباحثة عن عمل . ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال التقاعد المبكر ، واطالة مدة التعليم الفني والمهني ، وتقليل ساعات العمل في اليوم ، وزيادة أيام الراحة في الاسبوع الى ثلاثة أو أربعة أيام ، واطالة مدة الاجازات السنوية المسموح بها . . . الى آخره .

وعند تقييم هذه الاقتراح ، فان السؤال الهام الذي يتعين الاجابة عليه ، هو موقف رجال الأعمال . فالذي لاشك فيه ، أن تقصير وقت العمل من شأنه أن يرفع من كلفة الأجور في تكاليف الانتاج . وبناء عليه ، فانه ما لم يعوض الانخفاض في وقت العمل ، بارتفاع مناظر ـ على الاقل بنفس النسبة ـ في انتاجية العمال ، فان اقتراحا بهذا الشكل من شأنه أن يهبط بمعدلات الربح . وهو أمر لن يقبل به رجال الأعمال . وحتى اذا تم تعويض ارتفاع كلفة الانتاج برفع مستوى الانتاجية ، فان فاعلية هذا الاقتراح في علاج مشكلة البطالة يفترض ايقاف عملية احلال رأس المال مكان عنصر العمل البشري في الفنون الانتاجية المستحدثة . ومن المشكوك فيه ، أن يحدث هذا في ضوء استمرار الثورة العلمية التكنولوجية .

● وهناك اقتراح آخر ، يرى أن علاج مشكلة البطالة يتطلب اعادة الحياة الى قوى العرض والطلب في سوق العمل . وفي هذا الخصوص ، ينحى بعض الاقتصاديين باللائمة على نقابات العمال وعلى السياسات الكينزية التي عطلت مفعول هذه القوى . ففي رأيهم أن البطالة ترجع الى جمود الأجور والى زيادة تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية ، وأن بالامكان تجاوز مشكلة البطالة من خلال تخفيض الأجور . ولهذا يتعين (النضال) بلا هوادة ضد قوة نقابات العمال التي تقف أمام هذا الطريق . كما ينبغي الغاء نظام اعانات البطالة التي تمنحها حكومات بعض الدول للعمال العاطلين ، لانها بذلك تجعل هؤلاء العمال غير عابئين بالبحث عن فرص للعمل ، وبخاصة اذا كان الفرق بين الاجر الجديد لفرصة العمل لا يزيد كثيرا عن مقدار اعانة البطالة . وتجدر الاشارة ، الى أن أنصار هذا الرأي لا يمانعون من زيادة معدل البطالة الطبيعي في المراحل الاولى من تخفيض الأجور ، وبالتالي تكاليف الانتاج ، فتقوى الحوافز لدى الرأسماليين لاستئجار العمال وتشغيلهم . والواقع أن اقتراحا كهذا ينطوي على كلفة سياسية بالغة الخطورة ، لانه يؤدي بالتأكيد الى حدوث صدام عنيف بين الطبقة العاملة وتنظيماتها النقابية والسياسية وبين حماة السلطة ورأس المال . وهو أمر تؤكده أحداث انجلترا ، التي تتبنى مثل هذا الاقتراح (الصراع بين تاتشر وبين نقابات العمال) .

● وهناك اقتراح آخر ، على عكس الاقتراح السالف الذكر ، يرى أن يأتي من خلال دعم دور الدولة في الحياة الاقتصادية ، مع الاشارة دوما ، الى أن وظيفة الدولة ليست مصادرة الارباح أو الحد من حرية رأس المال الخاص ، ولكن وظيفتها يجب أن تكون هي : جعل الخسائر اجتماعية ، ووقف كارثة الانهيار الاقتصادي ، وتسهيل عمل النظام الرأسمالي

من خلال تنشيطه . وأنصار هذا الرأي يقترحون حلولا كينزية أو شبه كينزية ، مثل دعوة جهاز الدولة لتبني التخطيط الاقتصادي طويل المدى ، وقيام الحكومات بتنفيذ دفعة قوية من الاستثمارات العامة الكثيفة في مجال مكافحة تلوث البيئة ، وبناء المساكن اللائقة لمحدودي الدخل ، وتطوير مصادر جديدة للطاقة ، وتوسيع واعادة بناء شبكة السكك الحديدية ، . . . الى آخره .

* وأخيرا وليس آخرا ، هناك بعض الحكماء الذين يعتقدون أن الخروج من مأزق البطالة يكون من خلال دول الشمال الرأسمالي ، وسيكون من خلال انعاش الجنوب الفقير والمتخلف . ويكون ذلك من خلال ارسال عشرات البلايين من الدولارات الى دول الجنوب . ويمكن تدبير هذه الأموال من خلال القنوات الرسمية الحكومية ، ومن المنظمات الدولية ، وعن طريق فرض ضرائب على التجارة الدولية وعلى تجارة السلاح والنقل البحري واستغلال الفضاء وقيعان البحار . . الى آخره .

وسيؤدي استخدام هذه الاموال من جانب دول الجنوب الى سرعة انعاش الطلب الكلي في السوق الرأسمالي العالمي ، الأمر الذي سيؤدي الى دوران عجلات الانتاج والتوظف والاستثمار على نحو يحل معضلة البطالة بدول الشمال ، ودول الجنوب أيضا . وهذا الاقتراح الذي تتبناه بقوة لجنة فيلي برانت لحوار الشمال والجنوب ، ينادي في واقع الأمر بعمل ما يمكن تسميته (بنظام للضمان الاجتماعي) على المستوى الدولي ، بحيث يتحمل تكلفته أغنياء الشمال حتى يمكن لفقراء الجنوب أن توجد لديهم المقدرة الشرائية لتنشيط التجارة الدولية ، فتتزايد فرص التخصص والانتاج والاستثمار في الشمال والجنوب معا . وهو اقتراح يذكرنا بما نادت به الكينزية ، ومن هنا يمكن اعتباره من قبيل الكينزية العالمية .

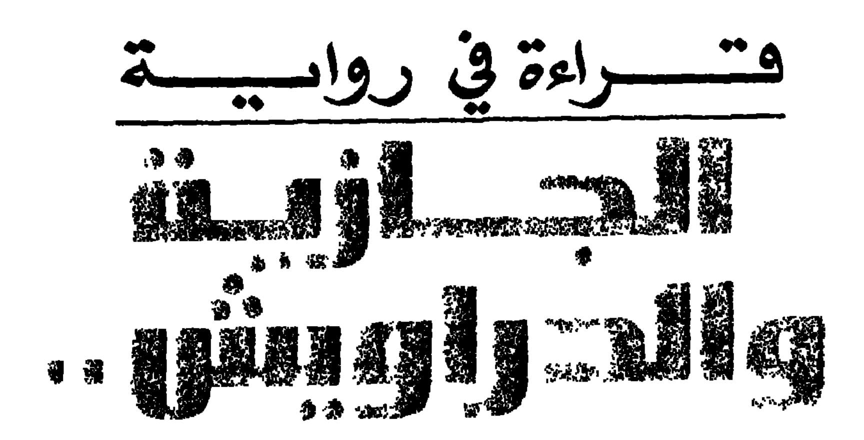
* كانت تلكم طائفة من الحلول والآراء المطروحة على ساحة الفكر الاقتصادي للخروج من مأزق البطالة . صحيح أنه من الصعب أن نتنبأ بشكل دقيق بما يخبئه المستقبل من تطورات ومفاجآت ، ومن ثم ليس بالامكان أن نحدد ، على نحو يقيني ، مسار التطور الذي ستأخذه ظاهرة البطالة في الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، لمراكزه المتقدمة وأطرافه المتخلفة في الحقبة القادمة . ولكن مهما يكن من أمر ، فاننا نعتقد أنه لا سبيل للخلاص من مأزق البطالة طالما ظلت قدرة النظام الرأسمالي الانتاجية تنمو بمعدلات أكبر من قدرته على الاستهلاك . فها هنا يكمن لب المشكلة ، وان العائق الحقيقي للتغلب على هذه المشكلة يتمثل في نظام الملكية الخاصة الذي تعلو فيه مصلحة (الخاص) على (العام) . ولهذا فاغلب الظن ، أن أية حلول سيؤخذ بها للتخفيف من حدة هذا المأزق ستكون من قبيل الحلول المسكنة التي تخفف من الآلام الحالية هي أزمة هيكلية ، وتشكل ـ كما قلنا من قبل ـ نقطة تحول حاسمة في تاريخ النظام الرأسمالي ، فان ثمة تغيرات هامة في السياسة والاقتصاد يجب أن تحدث ، حتى يظهر وضع تاريخي جديد ، يكون مواتيا لاستئناف التوسع في عمليات الانتاج وتراكم رأس المال ، ومن ثم زيادة فرص التوظف .

أما في البلاد المتخلفة ، فليس هناك من سبيل فعال أمامها للتخلص من مأساة البطالة ، الا بتحقيق التنمية المستقلة ، المعتمدة على النفس ، والتي تتوجه للداخل وليس الخارج ، وتهدف الى تحقيق الاشباع المتزايد للحاجات الأساسية للسكان . ولن يتحقق ذلك ، الا بنفي التبعية الاقتصادية للخارج ، وبتحقيق التحرر الاقتصادي ، وتعبئة الموارد المحلية الممكنة ، وترشيد استخدامها من خلال نظام عقلاني يعتمد على التخطيط . □

■ لن يتاح لى أن أعيش فى هذه الحياة غير مرة واحدة . فكل عمل حسن أستطيع أداءه ، كل لمسة رقيقة لانسان أستطيع منحه إياها ، يجب ألا أؤجلها أو أهملها لأننى لن أمر بهذا الطريق مرة أخرى .

(ستيفن جريلين)

قـــراءة في روايـــة



للـــروائي الجزائـــري عبدالحـــميـد بـــن هـدوقــه

بقلم : أبو المعاطي أبو النجا

يمضي القاريء الى عالم هذه الرواية عبر صوتين يأتيان من زمنين مختلفين .

صوت من الزمن الأول يقدم الفصل الأول في الرواية ، ثم يأتي الصوت الثاني ليقدم فصلاً من الزمن الثاني ، ثم تتوالى الفصول في الرواية تعاقبا بين الصوتين ، كحبلين مجدولين على التوالي . ومن خلال جدل الصوتين في ذات القاريء يكتسب بناء هذه الرواية تعقيده وثراءه وتفرده !!

الصوت الأول :

هو صوت (الطيب بن الأخضر الجبايلي) ، يأتي من السجن ، حيث يسترجع (الطيب) في وحدته الأحداث التي انتهت به الى سجنه ، متهما بقتل الطالب (الأحمر) الذي عثر على جثته فوق صخرة أسفل (عين المضيق) . شهد أهل قرية « الدشرة » ضده ، وأكد راعي « الدشرة » أنه رآهما معا ، الطيب والأحمر لآخر مرة قرب الصخرة ، ولم ينف والد الطيب التهمة عنه ، بل كان صمته يشي باعتزاز بأن يكون ابنه هو حقا قاتل الأحمر !

(الشامبيط) وحده هو الذي لم يتهم الطيب ولم يدافع عنه . كان يكره القاتل والقتيل ، بقدر ما كانت القرية كلها تكره (الشامبيط) .

لم يكن ما يفكر فيه (الطيب) في سجنه هو إثبات براءته ، فقد كانت هذه البراءة هي الشيء الوحيد الذي يراه في وضوح ، ما عدا ذلك فقد كانت الأحداث تتشابك في عقله وتملأ أيامه في السجن بتساؤلات حادة يحاول أن يزيح عنها الغموض ، وأن

يلتمس المعنى ، فذلك وحده هو ما سيجعله قادرا على المقاومة وهو في السجن ، وعلى المواجهة حين يخرج منه !!

كانت الحكومة قد أرسلت عددا من الطلبة منهم (الأحمر) ، أكبرهم سنا (في الثلاثين من عمره) لاقناع الأهالي في قرية الدشرة التي تقع قريبا من قمة الجبل ، بالانتقال الى القرية الجديدة ، التي تبرع (الشامبيط) بأرضها ، والتي تبنيها الحكومة لهم في الوادي ، ليمكن لها أن تقيم سدا أسفل الدشرة ، يحتجز خلفه مياه الأمطار والثلوج والعيون بأعلى الجبل . مياه السد سوف تغرق القرية بطبيعة الحال . وكان دور الطلبة أن يقنعوا الأهالي بأهمية الانتقال الى القرية الجديدة ، وبأن هذا الانتقال الى قرية تتصل بغيرها من بلاد الدنيا داخل الجزائر وخارجها ، هو في حقيقته انتقال الى حياة أفضل ، تسعى الحكومة بعد الاستقلال الى توفيرها ، وبخاصة لأولئك الذين أبلوا في حرب الاستقلال مثل سكان الدشرة ، يكفي أن يكون من بينهم والد (الجازية) ، الشهيد (الذي قتل بألف بندقية ، ودفن في حناجر الطيور) كما يحكى الأهالي ، و (الأخضر الجبايلي) الذي يتخفى في وداعته ، ولكن الناس يعرفون (أن الحجل يسقط قبل أن تنطلق الطلقة من بندقيته) .

لم يتردد (الطيب) في أن يشارك الطلبة مهتهم في اقناع الأهالي ، وأكثر من ذلك استضاف في بيته (الأحمر) (وصافية) الطالبة الوحيدة التي جاءت معهم لتكون مع شقيقته (حجيلة) ، كان طالباً مثلهم ، ولكنه يدرك ـ ربما بشكل مختلف ـ معنى تعلق الأهالي بقريتهم ، بالدشرة التي تلوذ مترفعة بجبلها العالي ، بمسجد الأولياء السبعة الذي تسمى به القرية أحيانا . ففي زمن لا يعرفه أحد دفن هؤلاء الأولياء هنا (سبعة يغْبَاوْ و سبعة ينْبأو) كلما مات سبعة ولد غيرهم ، فكيف يمكن لأحد أن يقنع الدراويش والرعاة والزراع بالتخلي عن مثل هذا المكان الذي تستمد منه الدشرة قيمتها بين القرى ، في ساحة مسجد السبعة تقام (الزردات) كلما جد أمر خطير ، فيها تقدم النذور ، وتنحر الذبائح وتصدح الطبول ، ويرقص الدراويش على ايقاعها ، وتحمى المناجل حتى تصير بلون الدم أو بلون البرق ، يلعق الدراويش المناجل بألسنتهم يعانقونها بأيديهم العارية ، يقرءون في دماء الذبائح المتجمدة في أواني الفخار صفحة المستقبل ، يتحدثون بما كان ويكون ، هنا حياة تنطوي على أسرارها ، صنعها الجبل والدراويش والرعاة والسبعة الذين يحرسون الدشرة بقدر ما تحرسهم (الدشرة) فكيف لمثل هؤلاء الطلبة أن يقنعوا الأهالي بالتخلي عن قريتهم ؟

كان (الطيب) في الحقيقة مقسوما قسمين ، قسم مع الطلبة وقسم مع الأهالي ، أما (الأحمر) فكان يقول (للطيب) عن السكان :

ـ ان رءوسهم جد صغيرة، ولو وضعت فيها أفكار كبيرة انفجرت .

ـ وماذا تريد أن تضع فيها ؟

ـ لا أدري ! ربما أضع فيها أحلاما حمراء بمستقبل يلمس أشد الخيالات ضيقا !

ربما كان ذلك جزءاً من سر الأحمر وسحره ، قدرته على أن يحول الفكرة الى حلم ، والرغبة الى شوق !

فضوله لا يقف عند حد ، ومعلوماته عن القرية والشامبيط والدراويش والرعاة والزراع تجعل (الطيب) يشعر الى جوار الاعجاب به الخوف منه ، انها أكبر بكثير من كل الأيام التي قضاها في الدشرة ، كيف عرف بأمر (الجازية) ؟

ان اهتمامه المفاجيء بما يروى عن (الجازية) من أنها ترفض كل خطابها ، وأنها لن تتزوج الا بمن لا يخطر له على بال ، هذا الاهتمام يترك آثارا لا تخطيء العين معناها لدى (صافية) زميلة الأحمر ، ولدى (حجيلة) شقيقة (الطيب) الأمر الذي يفجر في أعماق الطيب أشياء لا يقدر على إخفائها ولا على مواجهتها !! هل جاء الأحمر من أجل السد أم من أجل الجازية ؟

وما هذا الذي يجري أمام عينيه (لصافية) و (حجيلة) ؟

إن الانسان المنقسم لا يقدر على خوض المعارك ، وهاهو الطيب يجد نفسه عاجزا عن الدفاع عن (الدشرة) أو عن (الجازية) أو عن (حجيلة) أو عن (صافية) التي لا ينكر اهتمامه بها ، فهي تقف في منتصف المسافة بينه وبين الأحمر ، متحررة لكن ليس الى حد تعمد الصدام مع الأهالي ، حالمة بالتغيير لكنها

● « الجازية والدراويش »



ترى مع (الطيب) أن قدرا من احترام منطق الأهالي ضروري لمشاركتهم في أي تغيير !
هي تقترب يوما بعد يوم من قلب الطيب وعقله ، لكن أين يكون قلبها هي ؟
كأنما جاء (الأحمر) ليجعل الطيب يواجه حقيقته ، ماذا هو ؟ ماذا يريد ؟ ماذا يكون ؟

أبوه يحلم بأن يزوجه من الجازية ، وبخاصة بعد أن عرف أن (الشامبيط) يتطلع هو الآخر الى أن يزوج ابنه الذي يدرس في أمريكا من الجازية !
كانت الجازية حلم طفولة (الطيب) ، تربيا معا ، عاشا حب الطفولة وأحلامها ، حين عاد من دراسته وجد أن الطفلة قد أصبحت أسطورة ، من الذي صنع هذه الاسطورة ؟ هل هو أبوها الشهيد ؟ هل هو جمالها الفائق الذي لا يقوى أحد على مجرد التحديق فيه ؟ أم هم الدراويش والرعاة والزراع ؟ كل واحد منهم حلم بها يوما ، وحين بدا أن أحلامهم جميعا تقصر عن الوصول اليها وتتصادم ، أطلقوا



حولها الأساطير والحكايات لتحول بينهم وبينها ، لتبقى لهم جميعا ، للدشرة كلها حين لا تكون لواحد منهم ، الأساطير التي تروي حول الجازية لا تتوقف عند حد ، تتحرك في كل اتجاه ، تتلون بكل المعاني بحكم الحصار حول الجازية . عندما سمع الدراويش أن (الشامبيط) يفكر فيها لابنه أطلقوا الحكايات التي تشوه سمعتها مع الرعاة حتى يزهد فيها ابن (الشامبيط) !

الزردة أو المواجهة :

حين عرف (الطيب) أن الدشرة قررت أن تقيم (زردة) احتفالا بوجود الطلبة،لم يكن يدري أيفرح أم يغضب ؟

كان يقول للأحمر لمواجهة اندفاعاته المغامرة :

ـ دع نفسك على عفويتها ، واحْيَ معنا حياتنا ترى الأشياء على طبيعتها !

ولكن الأحمر ما كان يعرف حدودا يتوقف عندها ، كان يرسل نداءاته الى كل مكان ، والى كل أحد ، موقظا في الناس أشواقا مجهولة المصدر مجهولة الغاية . أخته حجيلة التي لم تخرج يوما من القرية ، استجابت لنداءات الأحمر ، لم تخف لحظة حماسها للانتقال الى القرية الجديدة ضد رغبة أبويها ، ربما لأن تلك هي الطريقة الوحيدة أمامها لتحقيق أحلامها الغامضة المكبوتة في حياة مختلفة !

قال لها الأحمر يوما أمام أخيها :

ـ أنت النموذج الكامل للهدم ، وأخوك النموذج الكامل للصيانة !

وهاهي الدشرة تبدو كأنها تستجيب لنداءاته ، فقررت أن تصنع (زردة) للطلاب ، في جو الزردة ، تقلع الدشرة برقعها ، تعرف ذاتها ، تستعرض قواها الخفية والغامضة ، أهي تريد أن تتصالح مع الأحمر أم قررت منازلته ؟؟

في ساحة مسجد السبعة تجمع الأهالي والطلبة في لحظة بدت مشحونة بالعواطف والمخاوف والفضول والترقب والفرح ، سيقت الذبائح الى مكان الذبح ، عزفت الطبول والرزنات ، حلقات الرجال والنساء والأطفال تزداد إحكاما حول الدراويش والرعاة ، وهم يرقصون ويتحاورون بالكلمات الغامضة المسجوعة ، التي تتحدث عن الماضي والحاضر وماذا يراد بالناس أو يراد منهم ؟ !

اشترك الطلاب في الرقص مع الدراويش ، في مكان قريب كانت النيران تشتعل ، والمناجل تكتسب ألوانها الحمراء والبيضاء ، قبل أن تصل المناجل الى أيدي الدراويش خرج الطلبة من حلبة الرقص ، عدا الأحمر ، ظل وحده يرقص مع الدراويش بقامته الفارعة كصفصاف الدشرة ، النساء يبحلقن إعجابا وخشية ، سوف يمكر به الدراويش لامحالة ، المناجل الحمراء تخطف الأبصار ، السماء تشارك في اللحظة الخارقة فترسل سحابا يزيد من ألق المناجل ، الجانب الذي تقف فيه النسوة يحدث فيه هرج ومرج ، تنسحب الأنظار للحظة من على ساحة الرقص ، ثمة حدث خارق يحدث ، (الجازية) تحضر الى الحضرة ، جاءت ملثمة لكن نورها لا يحجبه لثام ، علت صيحات الدراويش تطلب المناجل ، الرعد يختلط بأصوات الدراويش ، ووميض البرق يخفي للحظة وميض المناجل ، وحبات المطر تلغي المسافات بين السماء والأرض ، بين الانسان والطبيعة ، طلب درويش منجلا أبيض من وهج النار وقدمه للأحمر ، أخذه الأحمر بلاتردد ، لعقه مرة ومرات وكان في حالة نشوة كاملة ، إشتد العزف والرقص ، تتابعت ومضات البرق كأنها تشير الى مكان الجازية ، الأحمر قرأ الاشارة . تقدم نحو الجازية ، مد يده إليها ، مدت يدها اليه ، قادها الى الحلبة ، قدم لها منجلا فلعقته ، راقصها فراقصته (الأحمر يرقص ، الجازية ترقص ، الحاضرون جالسون لكن نفوسهم ترقص) ، ماذا بقي لكي تقوم القيامة ؟ وبدا كأن

القيامة قامت ، المطر ينهمر ، العاصفة تعصف ، حبات المطر تصبح فجأة حبات برد في حجم البيضة ، صعق الناس ، لاذ بعضهم بالمسجد ، هرع الآخرون الى بيوتهم ، لكن ماذا تفعل البيوت أمام السيل الجارف ، بدا كأن السيل وليس الطلبة هو الذي سيقوم باقتلاع القرية من جذورها . السماء تنتقم من الطلبة ، السبعة ينتقمون من الأهالي الذين سمحوا للأحمر بأن يراقص الجازية في ساحة مسجدهم ، كيف فعلها هذا الغريب ؟

اقتحم قدس أقداسهم ، تحدى الدراويش ، لعب لعبتهم ، غزا قلوب النساء والأطفال والأهالي ، تجاوز الحدود ، ألغى المسافات . . . ربما في تلك اللحظة تقرر أن يموت الأحمر . من الذي أصدر القرار ؟ من الذي نفذه بعد حين ؟ لا أحد يعرف ، لاأحد يتكلم ، وحتى في السجن لم تكن الأمور أكثر وضوحا ، لم يكن (الطيب) ناقما أو حاقدا ، حين بدأ الأحمر مراقصة الجازية . امتدت يد أبيه الى البندقية لكن (الشامبيط) أمسك بيد أبيه . . . الطيب حاول أن يقنع أباه أن كل ما حدث كان مجرد رقص في حفل طقوسه تسمح للجميع بالرقص ، والجازية لم تكن خطيبته ، صمت أبوه ولكنه لم يهدأ ، واذا كان قد هدأ بعد حين ، فمن يهدىء الدراويش والرعاة ؟

كان يحاول أن يفهم الأحمر لا أن يقتله ، لا ينكر أنه في لحظات تمنى قتله ، حين رآه يطلق في صدور نساء القرية مشاعر كانت تغيض في صخور الدشرة ، رآها في الرردة تفيض من العيون كالينابيع ، وتفاجىء حتى أصحابها ، وفي عيني صافية وحجيلة كانت تمتزج الغيرة بالافتتان ، تمنى لحظتها أن يكون قاتله ، لكن فعل القتل يحتاج الى نوع من الايمان بما يدعو الى القتل ، وهو لم يكن يملك ايمان الدراويش بالماضي ولا إيمان الأحمر بالمستقبل ، (الأحمر جعله يدرك أنه كالصمر الذي تتلاقى فيه جميع الازمنة !)

في السجن

في السجن كان (الطيب) يحاول أن يلملم أجزاءه المبعثرة ، أن يجمع بين الأسئلة وأجوبتها ، بين الأحداث ومعانيها ، لماذا بقي الأحمر وحده في الدشرة بعد أن غادرها الطلبة ؟ لو عاد معهم الى المدينة بعد ما جرى في الزردة لما لقي مصرعه ولما دخل الطيب السجن ؟

كان الأحمر يذهب الى الأماكن التي تقرر أن يقام فيها السد يلاحظ ويكتب أوراقا ويبعث بتقارير ، ويرد على أسئلة (الطيب) بجواب وحيد :

- لم تنته مهمتي بعد .

ماذا كانت مهمته ؟

كان يحاول أن يفهم الطيب لا أن يقتله ، وجاء الموت ليضع حدا لمهمة الأحمر ! وليدخل الطيب السجن !

في السجن كان الطيب يتأمل الألِفات التي حفرها في الحائط سجين كان في نفس الغرفة . . . حفرها بأظافره . . . قال السجان : مات قبل أن يصل بها من يمين الباب الى يساره . . . ما الذي كان يريد هذا السجين أن يقوله بهذه الألفات لمن يجيء بعده ؟

وفي السجن يلتقي بشاعر سجين ، نصف عاقل ونصف مجنون . . . لم يسمع بالأحمر ومع ذلك فقد كانت روح الأحمر تسكن نصفه العاقل ونصفه المجنون معا .

وتأكد له أن الأحمر لا يموت بالقتل !

وفي السجن زارته أخيرا صافية ، لا تزال تواصل اقترابها المحسوب منه ، تحمل في عينيها أشواقا لا تحتجزها القضبان ، وأخبارا تؤكد أن الأحمر لا يزال يواصل مغامراته بعد الموت ، فالتقارير التي كان يدعوها مهمته ، جعلت المسئولين يعيدون النظر في قضية السد برمته ، ويشكلون لجنة لتقصي الحقائق حول علاقة الشامبيط بالموضوع كله ، ومدى جدية الدراسات السابقة حول الموضع ، والطلبة يتابعون المسألة ، وكأن الأحمر لا يزال يقودهم من وراء القبر !

الصوت الثاني :

هو صوت (عايد بن السايح بن المحاين) الذي يعود من المهجر الى مسقط رأس والده في الدشرة ، تنفيذا لوصية الوالد الذي مات في الغربة !

كان أبوه صديقا للأخضر بن الجبايلي ، وكانت قصة سجن (الطيب) ومقتل الأحمر ، وأسطورة الجازية كلها قد هاجرت خارج الجزائر ، وهي تعود الآن مع (عايد) أسئلة تبحث عن أجوبة . . .

وصورا متفرقة تبحث عن اطار . ولم يكن ذلك كله سوى أجزاء متفرقة في بحث عايد عن جذوره في الدشرة ، ورغبته ورغبة أبيه في العودة لهذه الجذور !

وهو في طريقه الى الدشرة ، صاعدا اليها عبر طريق ضيق على منحدر عال يلتقي أول ما يلتقي براعي السبعة ، الذي يطلق قطيعه عليه في حركة مفاجئة تملأ الطريق ، ولولا تشبثه بأحد الجذور الناشئة لسقط في المنحدر ، ان هذا الحادث سوف يلقي الضوء في فصول تالية على الطريقة التي قتل بها الأحمر ، كما أن التمسك بالجذور كأسلوب للنجاة من هلاك محقق هو رمز لا تخطئه العين في هذه الرواية الحافلة بالرموز .

ومن خلال حديث (عايد) مع الراعي تبدأ الاضواء تترامى على الوجه الأخر للأحداث التي عشناها مع (الطيب) .

وفي اطار بناء الرواية الذي ألمحنا اليه في بداية هذا المقال فان الوجه الآخر للشخصيات والأحداث كان يتراءى دائما للقاريء من خلال تقاطع الصوتين وهذا جزء من انجاز البناء في هذه الرواية ، فقد كان من الطبيعي بالنسبة لعايد وهو عائد من المهجر أن يسأل ويحاور ويحاول أن يفهم ، ومن هنا فقد كان صوته مرآة لأصوات الدراويش والرعاة والزراع ، ومرآة للتغييرات التي حدثت بين الزمن الأول والزمن الثاني ومن هنا فقد كانت شخصيات الأحداث تبدو دائما للقاريء بفضل هذا البناء ومن خلال هذه المرايا . . . المتقابلة متعددة الوجوه والمستويات متنوعة الدلالة والمعنى والايحاء !!

مع صوت عايد نلتقي (بحجيلة) التي تفتحت شخصيتها في الزمن الأول أمام نداءات الأحمر ، وقد أصبحت أكثر نضجا واستقلالا ، ان شخصيتها تتطور عبر حوارها الدائم مع عايد الذي لا يزال تعيش في أعماقه أسطورة الجازية ، انها هي التي تنجح في تخليصه من هذه الأسطورة ، لتصبح هي البديل الصحي لأسطورة الجازية أو التحقق الصحيح والممكن لهذه الأسطورة !!

ومع صوت عايد نستمع الى أحد الدراويش يتحدث اليه عن الأحمر :

(لو لم يستعجل لصار درويشا ممتازا ، خسر نفسه ، وخسره الدراويش ! ماذا كنا نستطيع أن نفعل له ؟ لم يحالفنا ولم يستشرنا ! الناس تعذبوا وسجنوا ، حلموا السنين الطويلة ليحصلوا على نظرة واحدة من الجازية ، ولم يستطيعوا ، وهو في لحظة أراد أن يولدها أمام كل الناس لا . . . كان غالطا . . . لعق منجلا ، رقص رقصة ، ظن أنه وصل ، الدروشة لا تحصل في ليلة ، الجازيةلا تنال بضمة . لا لا . . . كان غالطا) .

واذا كان الدراويش قد رأوا ببصيرتهم النافذة أن الأحمر كان درويشا مثلهم ، فاننا مع صوت عايد نرى بدورنا ، وفي بهو المرايا المتقابلة الذي يتيحه بناء هذه الرواية ، أن الدراويش ليسوا سوى نوع من الثوار ، لقد رفضوا واقعا قاصرا وعاجزا ، ونجحوا في إطلاق قواهم الكامنة ،وفي تحرير عواطفهم وخيالاتهم من اسار الرؤية اليومية المقيدة بالمنطق العملي ، ولكنهم لم يصلوا الى توجيه هذه القوى التي أطلقوها لتغيير واقعهم الى مستوى خيالهم وحلمهم الزاهي !!

مع صوت عايد وتجربته في الدشرة تتكامل الصورة الحقيقية (للشامبيط) فنرى أنه الرؤ ية المضادة لرؤ ية الأحمر ، ولكن خطورة الشامبيط أنه أقدر من الأحمر على انجاز رؤ يته لأنه يعرف خفايا الدشرة ، ويعرف كيف يسيطر بالوعد والوعيد على الدراويش والرعاة والزراع جميعا حتى يصل الى هدفه النهائي بتزويج ابنه من الجازية ليصبح مالكا للواقع والأسطورة !

ومع صوت عايد نرى الشامبيط يقتل بالطريقة نفسها التي قتل بها الأحمر ، قبل أن يتمكن من حضور الزردة التي أقامها ليتمكن ابنه من رؤ ية الجازية ولتتمكن هي من رؤ يته ، وفي هذه المرة لن يكون القاريء في حاجة الى من يخبره عن القاتل ، فرجال الدشرة القدامى يصفون حساباتهم ، وربما كان الأحمر هو الآخر يصفي حساباته مع الشامبيط حين بدأت تقاريره التي كتبها قبل أن يموت عن مشروع السد تجعل الثورة تعيد النظر في المشروع كله في ضوئها .

ومع تقابل صوت عايد وصوت الطيب في الفصلين الأخيرين ترق الحواجز وتتقاصر المسافات بين الطيب وصافية وعايد وحجيلة ، ويلوح أن هؤلاء الأربعة هم أبطال الزمن القادم الذين تنعقد عليهم الآمال في انجاز التغيير بالناس وفيهم ومعهم !! □

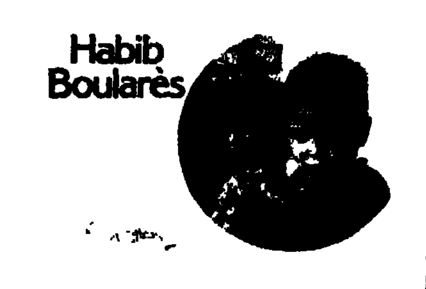
مكتبة العربي

كتاب الشهر

الإسلام الخوف والأمل

تأليف :

الحبيب بو الأعراس



عرض وتقديم : الدكتور الحبيب الجنحاني

- مؤلف هذا الكتاب مثقف تونسي ، وصحافي مشهور ، شارك أيام الشباب في الحركة الوطنية التونسية ، ثم تحمل مسؤوليات غداة الاستقلال ، منها مسؤولية وزارة الشئون الثقافية والاعلام ، وهو حاليا عضو في مجلس النواب التونسي ، ويعمل أستاذا بمدرسة اللغات الشرقية في باريس .

كتاب الشهر

■ لماذا هـذا الكتاب ؟
يحـاول المؤلـف أن يجيـب فى مـقـدمـة الـكـتـاب عـن هـذا الـسـؤال ، فـهـنـاك عشرات الكتب التى صدرت فى السنوات الأخيرة عن الاسلام فى البلدان الغربية ، فهل سيضيف هـذا العمل شيئا جديدا ؟ ذلك ما حاوله المؤلف ، وقـد نجح فى ذلك الى حد بعيد ، كما سنرى أثناء مناقشتنا لبعض الأفكار الأساسية ، فهو ليس تصنيفا أكاديميا ، أو عـرضا للكميـات الثرية من الكتب والوثـائق ، وضمنها المنشورات السياسية الصادرة عن الحركات الاسلامية التى يزخر بها المجتمع الاسلامى المعاصر ، بل تحليلا لواقع الاسلام اليوم ، هذا الواقع الذى أصبحت تقدمه وسائل الاعلام الغربي باعتباره واقعا منذرا بالويل ، ومهددا لمصالح الغرب ، وباثا الرعب فى نفوس الغربيين ، وفى قلوب أصدقـائهم المتبنين للنموذج الحضارى الغربي فى البلدان الاسلاميـة ، متخذة من المثال الايراني حجة لـدعم صور الهـول والفزع التى يقدم بها الاسلام .

هل يخيف الاسلام فعلا ، وهل هو مرتبط حتـما بالتعصب ، تطغى على رواده نظرة ماضويـة رجعية ؟

أليست التيـارات الـسلمية التحـديثية فى الفكر الاسلامى الحديث هي التى استطاعت أن تصمد أكثر وتدوم ؟ أليست مظاهر الغلو التى برزت هنا وهناك فى صفوف الحركات الاسلامية فى السنوات الأخيرة هي رد فعل نتيجة فشل أنماط معينة من سياسة التنمية ، ونتيجـة ارتماء كثير من النظم الـسياسيـة فى العـالم الاسلامي ارتماء كليا ومبالغا فيه فى أحضان السياسة الامبريالية للغرب مما أدى الى بروز أشكال مفضوحة لـلاستعمار الجـديد ، وتقلص مـظاهـر الاستقـلال الوطني ، وما تعنيه من أصالـة حضاريـة مثلت أيام الكفـاح الوطنى دعـامة أسـاسيـة من دعـائم تعبئة الجماهير فى سبيـل الحريـة والاستقلال ، وقـد كان الجهاد بمفهومـه الاسلامى حـافزا فعـالا للجماهـير المسلمة فى مقاومة المستعمر بالامس القريب ؟

يحاول المؤلف فى الفقرة الاولى من الكتـاب أن يقـدم للقارىء الاوروبي بصفـة خـاصـة المـراحـل التـأسيسية لـظهور الـدعوة الاسـلامية فى المجتمـع القرشي المكي ، ثم فى المدينة من جهة ، وربط هذه المرحلة - مرحلة الخلافة الراشدة - برؤية كثير من الحركات الاسلامية المعاصرة من جهة ثانية .

إنـه ليس من الصدفـة أبـدا أن يتخـذ كثير من الحركات الثورية الاسلامية حياة الجماعة الاسلامية الاولى فى المدينة نموذجا يحتذى ، وهذا لا يعنى العودة الى السلوك اليومي لتلك الجماعة بعد أربعة عشر قرنا من تطور المجتمع البشرى ، وما حققه من انتصارات علمية وتقنية باهرة ، كما تقدم بعض الحركات للرأي العام العالمي اليوم تبسيطا ساذجا لها وتشويها .

إن المسلم اليوم يعيش عصره ، ويستعمل تقنياته فى حياته اليومية ، لكنه يريد أن يحافظ مجتمعه - ابتداء من القيادة المشرفة على شؤونه - على القيم التى أسس عليها المجتمع الاسلامى فى العصر الـراشدى . إن قيمة الحاكم القدوة ، أو المحاسبة الدقيقة فى صرف أمـوال الجماعـة ، أي الأموال العـمـوميـة اليـوم لا تتناقض مع الافادة من أحدث ما بلغه التطور العلمى والتقنى البشرى ، ويريد أن يحافظ خاصة على ذاتيته واستقلاله ، وأن يشارك الآخرين مشاركة الند للند ، ولا يبقى تابعا ، قانعا بفتات مائـدة عمالقـة العصر الحديث ، مغزوا في مجتمعـه وفي عقر داره . ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

السبيل

إن القضية مطروحة منذ أكثر من قرن ، ومرت بمراحل مختلفة ، ويبدو أنها دخلت منذ مطلع السبعينيات مرحلة حاسمة طرحت مستقبل مليار مسلم طرحا عالميا ، وبشكل حاد .

إن الكاتب يتساءل : لماذا في الاعوام الاخيرة بصفة خاصة ، ولماذا اتباع هذا الاسلوب العنيف ، ولماذا . . . ؟

إن الموضوع أشد تعقيدا ، وأخطر شأنا من الاجابة عنه اجابة سطحية ، سريعة ، فهو يدعو المفكرين ، وأهل الاختصاص فى القضايا الاسلامية ، ورجال السياسة والحكم ، وليس أخيرا المنظمات الدولية إلى الانكباب على دراسة الموضوع .

إن مستقبل الاسلام لا يهم المسلمين فحسب ، بل يهم المجتمع الدولي كله ، ولكن لا مناص من الاعتراف بالحقيقة المؤلمة ، وهي أن المجتمع الدولى ، وخصوصا المجتمع الصناعي منه لا يهمه ما يحدث من تناقضات ، وعنف ، وانتفاضات في البلدان الاسلامية إلا من زاوية واحدة تكاد تنحصر فى دراسة تأثير هذه الأحداث في مصالحه الاقتصادية عامة ، والنفطية بصفة خاصة .

أما الفقرة الثانية من الكتاب فقد خصصها المؤلف للحديث عن ظهور الحركات الاسلامية المنظمة في المرحلة المعاصرة ، ابتداء من تأسيس حركة الاخوان المسلمين سنة ١٩٢٨ مركزا بالخصوص على مصر ، وبلاد الشام ، محاولا ربط ذلك بفشل النظم القائمة في البلدان الاسلامية في ميادين السياسة التربوية وتكوين الكوادر ، وفي اختيار نموذج التنمية الاقتصادية ، وما مر به هذا النموذج من اضطراب وتذبذب بين الطريق الرأسمالي والطريق الاشتراكي ، وما آلت اليه أغلب التجارب من تأزم اجتماعي وحضاري تحول إلى انتفاضات وانقلابات ، وجاء التعرض الى الفشل السياسى موجزا ايجازا مخلا ، لأن تجربة ثلاثين سنة من الاستقلال السياسى ، وما تخللها من محاولات مختلفة ومتناقضة لحل القضايا الاقتصادية والاجتماعية قد برهنت بوضوح على أن المشكل الأساسي في المجتمعات الاسلامية كان وما يزال مشكلا سياسيا ، أي اسلوب الحكم ، فلا غرابة ـ إذن ـ أن تركز كل الحركات السياسية الاسلامية في برامجها على طريقة الحكم ، وأسلوب تسيير شؤون الجماعة الاسلامية ابتداء من النموذج الحضارى المتبع الى الحياة اليومية الخاصة للحكام ، وهي حياة ينبغى أن تكون قدوة للآخرين حسب الرؤ ية الاسلامية لنظام الحكم .

إن جميع الحركات الدينية فى العالم قد برهنت من جديد على الهفوة الكبيرة التي تقع فيها بعض التحاليل الاجتماعية حين تغفل تماما العامل الديني ، وقد جاءت التجربة البولندية مؤكدة ذلك في مجتمع نشئت أجياله الجديدة منذ ما يقرب من أربعين سنة على تربية ايديولوجية معينة تهدف الى وضع العامل الدينى على الرف فى حياة الناس اليومية .

الصحوة

وقد حاول المؤلف في هذه الفقرة أن يربط بين ظاهرة النشاط الاسلامي وظاهرة عالمية معروفة في حياة الفرد والجماعة ، وأعني بذلك ظاهرة اللجوء الى قوة غيبية ما ، أو الاستنجاد بالايمان في حالات اليأس والضعف . إننا نعتقد أن للصحوة الاسلامية المعاصرة سماتها الخاصة ، وأهدافها المتميزة ، وهي تتباين تماما مع الظاهرة الكونية المشار اليها . ولا يمكن فهم هذه السمات الخاصة الا بالتعمق فى دراسة تاريخ الفكر السياسى الاسلامى من جهة ، وربط هذا الفكر بمظاهر التحدى التى يواجهها المسلم المعاصر يوميا في المستوى الوطنى القطرى البحت ، وفي المستوى العالمي من جهة ثانية،ومن هنا فاننا نعتقد أن الصحوة الاسلامية هي صحوة سياسية اجتماعية بالدرجة الاولى من الاشكال السطحية التي تبرز بها هنا وهناك .

ثم حاول المؤلف تحليل الخوف من الحركة الاسلامية ، خوف كثير من النظم القائمة في العالم الاسلامي نفسه ، وخوف الغرب بصفة خاصة ، هذا الغرب الذي ما زالت الكنيسة ، والاحزاب المسيحية تلعب فيه دورا أساسيا في الحياة العامة ، وهو الذى يبارك تضامن الكنيسة مع الحركة النقابية في بولندا ، ولكنه يقف ـ غالبا ـ خائفا معاديا ، مشوها لكل حركة

كتاب الشهر

اسلامية تبرز في هذا البلد الاسلامي أو ذاك !

لم كل هذا الخوف ؟ لا مناص هنا من إبداء الملاحظة الأساسية التالية : إن الغرب لا يخاف من الاسلام عامة ، فهو يشجع كل مظاهر الاسلام الشكلي ، ويدعم النظم التي تستعمل الاسلام مسكنا ، ومخدرا ، وقد استعمل هذه الاساليب أثناء مرحلة الاستعمار المباشر ، ولكنه يقف معاديا لكل مظاهر الصحوة الاسلامية ، فهو يخاف ارتباط السياسة بالاسلام مع الملاحظة أن المسيحية في الغرب لم تنفصل يوما عن السياسة ماضيا وحاضرا .

إن اسباب العداء للاسلام السياسي متعددة ، منها الخوف على المصالح الاستراتيجية والاقتصادية والثقافية ، ومنها « الروح » الحضارية للغرب ، فهي روح مسيحية رغم الثورات ، والتقدم العلمي والتقني ، ورغم النزعات العقلانية في تاريخ الفكر الأوروبي .

وهكذا تبرز هذه الروح الكامنة كلما لاحت في الافق حركة اسلامية شعبية تحاول العودة الى القيم التأسيسية للمجتمع الاسلامي ، وليس من المبالغة القول إن هذه الظاهرة الثقافية الحضارية ما تزال أسيرة النظرة الصليبية في تقييمها لقضايا الاسلام ، سواء كان أصحابها يؤمنون اليوم بالمسيحية او لا يؤمنون .

إن محاولة تفسير انضباط أنصار الحركات الاسلامية ، وذودهم عن مبادىء الاسلام الى حد الاستشهاد في سبيل ذلك ، وعودة روح الجهاد بالحنين الى إحياء عظمة الاسلام ، تلك العظمة التي تقرن في الخطاب السياسي الاسلامي ، بالايمان والتمسك باصول الاسلام في الحياة الخاصة والعامة ، لا تغوص الى الأعماق للكشف عن أسباب هذه الروح النضالية الجديدة لدى الحركات الاسلامية المعاصرة ، وقد تحولت الى ملاذ بعد فشل الايديولوجيات المعاصرة في حل القضايا المطروحة مع تزايد أساليب القمع والاضطهاد والارتماء في احضان النموذج الحضاري الغربي ، وما يرافقه من تبعية وتصنيم للغرب ، وقد بقي هذا النموذج - رغم محاولات التوفيق منذ ما يربو على قرن - غريبا قلقا في المجتمع الاسلامي ، وهنا يقفز السؤال التالي : ما هو البديل الذي تطرحه هذه الحركات ، فالتغنى بالماضي والحنين الى العصر الراشدي لا يحل المشاكل المطروحة بالحاح ؟

البديل

إن البديل ليس واضحا حقا في برامج هذه الحركات ، ولكن لا بد من الاعتراف بان البديل يحتاج الى حوار متواصل وعميق ، والى وعي سياسي نتيجة التجربة ، والى صراع فكري وحضاري مع التيارات الاخرى المتواجدة في الساحة ، ولكن هذه الحركات محرومة من جميع وسائل التنظيم والحوار ، ولعل هذا ما يدفع بها الى اتباع أساليب العمل السري ، واللجوء الى العنف في بعض البلدان ، اننا نتفق مع المؤلف حول المنطق الدوجماتي ، وضحالة المعرفة الاسلامية لدى العدد الكبير من أنصار هذه الحركات ، وحتى في صفوف كوادرها ، ويبدو أن القيادات تركز في المرحلة الحالية على الانضباط ، واذكاء روح النضال ، والاستماتة ، ولا تعير اهتماما كبيرا للتثقيف السياسي عامة ، والاسلامي خاصة .

ولا مناص من التساؤل هنا عما فعلته النظم السياسية خلال ثلاثة عقود من الاستقلال لنشر الفكر الاسلامي المجدد ، والمعرفة الاسلامية التي أرسى

قواعدها كبار المفكرين المسلمين بروح نقدية متسامحة ، وفي مناخ ثقافي تميز بالتنوع ، والجدل الفكرى ، انها لم تفعل شيئا يذكر ، واكتفت بدعم بعض المؤسسات التقليدية ذات الطابع الديكورى ، والحقت بركب سلطانها فئة من « علماء » الاسلام لا صلة لها البتة بجماهير الشباب الذين يمثلون اليوم التربة الخصبة لعمل الحركات الاسلامية .

ومنذ القدم عرف الاسلام فقهاء البلاط ، وفقهاء المسجد ! ثم حاول المؤلف بعد ذلك ان يبرهن على أن نشر الاسلام لم يتم عن طريق الفتح الا في مرحلة صدر الاسلام عندما خرج العرب حاملين لواء الدعوة الجديدة ، ولكن الاسلام انتشر بعد ذلك بين شعوب عريقة في الحضارة بفضل ما يحمله من مبادىء وقيم ، ونلاحظ هنا ان الدينامية التجارية التى عرفها المجتمع الاسلامي في القرون الخمسة الاولى كان لها شأن كبير في انتشار الاسلام في مناطق نائية مثل الصين ، أو شبه القارة الهندية ، أو في البلدان الافريقية جنوب الصحراء ، ثم حاول في دقة ووضوح ان يقدم لغير المختصين ، وخصوصا للقارىء الاوروبي المبادىء الاسلامية الكبرى انطلاقا من الكتاب والسنة باعتبارهما مصدرين اساسيين للشريعة الاسلامية ، ثم اشار الى الاجماع ، والاجتهاد ، فالقياس ، رابطا ذلك بظهور المذاهب السنية ابتداء من القرن الثانى للهجرة ، ومشيرا الى عصور الركود الثقافي والفكرى ، وتأثير ذلك في حركة الاجتهاد بصفة خاصة .

اما القضية الكبرى التى تبقى مطروحة على الفكر الاسلامي المعاصر فهي : كيف نواجه قضايا الحياة المعاصرة ، وما تفرزه يوميا من تحديات لنقدم للشباب المسلم ـ وقد التجأ الى الاسلام بعد خيبة أمل متكررة باحثا عن البديل ـ جوابا ينسجم مع الاصول الاسلامية دون التنكر للواقع المعاصر المعقد : هل نقدم له اجوبة تنطلق من عصر الشروح والحواشي ، لا صلة لها بتحديات الحياة المعاصرة ، ام نجدد الاجتهاد ، ونحاول تفسير اصول الشريعة الاسلامية على ضوء ما حققه المجتمع البشرى من تقدم حضارى وتقنى ؟ هذه هي القضية الكبرى المطروحة اليوم على ذوى الاختصاص في الفكر والتشريع الاسلاميين .

العلماء

يعالج المؤلف في الفصل السادس من الكتاب تحت عنوان « علماء السلطة وسلطة العلماء » قضية معقدة ، وشائكة في تاريخ المجتمع الاسلامي إذ أن الاصول النظرية للاسلام تؤكد بوضوح على عدم وجود هياكل دينية رسمية تخضع لمقاييس وطقوس معينة ، فلا رهبانية في الاسلام ، ولكننا نجد من جهة اخرى ، وطوال قرون عديدة تمتد من القرن الاول للهجرة الى اليوم ، فئات اجتماعية لها سماتها ، ودورها الخاص في المجتمع ، أي فئات « العلماء » ، أو « رجال الدين » ، وقد برهن الواقع التاريخي على الدور الكبير الذى قامت به هذه الفئات في مختلف العصور ، وفي شتى الدول الاسلامية ، والامارات على اختلاف نزعاتها المذهبية ، وقد نجح في ربط دور هذه الفئات في الماضي بزعامات الحركات الاسلامية المعاصرة .

ونود هنا ان نبرز النقطتين التاليتين :

اولا : ضرورة التفريق الواضح بين النظم الاسلامية التى حاولت أن تتخذ من ولاء فئة « العلماء » دعامة أساسية من دعائم الحكم وبين النظم التى قامت على الدعوة الدينية ، سواء كانت سنية مثل المرابطين في بلاد المغرب مع الاندلس ، أو شيعية اسماعيلية مثل الفاطميين ، أو إباضية وصفرية مثل الامارة الرسمية ، أو المدرارية .

ثانيا : إن « العلماء » باعتبارهم ممثلي المذاهب المختلفة لم يكونوا دائما مناصرين للسلطة ، بل كانوا في كثير من الحالات من أشد المعارضين لها ، وخصوصا « العلماء » الذين يمثلون مذاهب غير سنية ، ولا يمكن فهم الفكر الشيعي المعاصر الا من خلال نضاله الطويل ضد السلطة المركزية .

تبدأ الفقرة الموالية في الكتاب بطرح التساؤل الكلاسيكي :

ـ ما هو البديل الذي يطرحه المسلمون لحل القضايا الحادة التي تواجههم يوميا وخصوصا بعد أن اتضح أن الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلدان

كتاب الشهر

الاسلامية ما يزال هشا ، بل تنوعت أمثال التبعية وازدادت ، واستفحلت ظاهرة العنف داخل هذه البلدان من جهة ، ومع الاقطار المجاورة من جهة ثانية ؟

إن مفهوم « الامة الاسلامية » اصبح يصطدم منذ مطلع هذا القرن بالوطنية القطرية ، وبالمميزات العرقية ، والثقافية .

إن طرح البديل الاسلامي يطرح حتما تصور نظام الحكم الاسلامي ، وهنا يحاول المؤلف أن يقدم نظرة بعض المفكرين الاسلاميين المعاصرين الى نظام الدولة الاسلامية المعاصرة ، فيختار أبو الاعلى المودودي ، وسيد قطب ، وآية الله الخميني ، ويتضح في نهاية تلخيص آراء هؤلاء المتفقهين في شؤون الاسلام أن الهدف السياسي وفي كثير من الأحيان استراتيجية العمل السياسي اليومي من أجل الوصول الى الحكم ، وحتى الزعامة الشخصية - يطغيان على الاصول والمبادىء ، وهكذا ينحصر الاسلام في اتباع الاتجاه الضيق المعين ، وكل اتجاه آخر يحكم عليه بالمروق والزندقة ، وهو أمر يتناقض ليس مع ما ورد في أصول التفكير الاسلامي فقط ، بل حتى مع التجربة التاريخية الرائدة التي عرفها المجتمع الاسلامي في مرحلة التأسيس ، أي في عصر صدر الاسلام . وهكذا تعوض « الخمينية » الشريعة الاسلامية ، وتلغي أعمال مئات المفكرين المسلمين خلال قرون طويلة ، أو تكاد ، كما اصبحت الستالينية هي الفلسفة الماركسية ، وكل مخالفة للستالينية تعني المروق والارتداد عن الماركسية !

اسلام الشعارات

ومن النقاط الخطيرة التي يلمح لها الكاتب في هذه الفقرة ضعف الثقافة الاسلامية عند أنصار كثير من الحركات الاسلامية ، وجهلهم بأصول التفكير الاسلامي ، وهو الامر الذي يجعل ثقافتهم عن النظام الاسلامي تنحصر في الاطلاع على بعض الكتيبات التي يطغى عليها طابع الارشاد الديني السياسي الموجه ، فينقلب الاسلام الى شعارات ، ومظاهر شكلية . ونود ان نلفت النظر في هذا الصدد الى مسؤولية النظم السياسية القائمة في هذا الجهل بالمبادىء الاسلامية الخالدة التي مكنت الاسلام من بناء حضارة من أخصب الحضارات العالمية ، ومن أكثرها تنوعا ، وأقدرها على مراعاة الظروف الموضوعية للمجتمع الانساني .

لو حاول المرء أن يرصد ما تقدمه برامج التثقيف الاسلامي في المؤسسات التربوية ، وفي المساجد ، وخصوصا ضمن وسائل الاعلام السمعية البصرية لوجد المحتوى في اكثر الاحيان شكليا هزيلا ، موجها توجيها سيئا ، ولا يمت بصلة الى ما عرفته الحضارة الاسلامية من إشعاع عالمي ومن ابداع ، وتنوع في المدارس التشريعية والفكرية ، ومن تعايش خصب مع التيارات الحضارية الاخرى .

انطلاقا من تحليل التجربة التركية والسوفياتية والاندونيسية قد تبينت استحالة اقامة نظام « دولة علمانية » في بلد إسلامي ، واذا برزت أحيانا بوادر نجاح التجربة في مظاهرها الشكلية ، كما هو الشأن في الجمهورية التركية التي اعلنها مصطفى كمال سنة ١٩٢٣ فان الثمن كان غاليا ، ثم جاءت موجة رد الفعل - فيما بعد - عنيفة ، مهددة بتقويض أسس الدولة « الحديثة » .

إن كل محاولات إبعاد الاسلام عن الدولة قد ارتكبت خطأ فادحا ، يتمثل في النظرة الى الاسلام

كدين ينحصر في ممارسة مجموعة من العبادات . إن الاسلام دين وهوية حضارية أولا وبالذات .

إن الفصل الذي خصصه المؤلف تحت عنوان : « سبل الاصلاح المختلفة » (ص ١٧٣ - ٢٠٢) . يعد - دون ريب - من أبرز فصول الكتاب ، وأقربها الى تحقيق الهدف الرئيسي لخطة الدراسة ، ألا وهي محاولة ابراز السند بين الحركات الاسلامية المعاصرة ، وبوادر نهضة الفكر الاصلاحي الاسلامي منذ منتصف القرن الثامن عشر ، وقد وفق المؤلف الى حد كبير - بالرغم من غزارة المادة وتنوعها - في تقديم صورة واضحة وشاملة لتطور تيارات هذا الفكر الاصلاحي في شتى مناطق العالم الاسلامي ، وفي مختلف العصور ابتداء من الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الشيخ عبد الحميد بن باديس ، وسيد قطب ، وعلال الفاسي ، مرورا بالافغاني ، وعبده ، واحمد خان ، وخير الدين التونسي ، وقابادو ، وعلي عبد الرازق ، والشيخ حسن البنا دون اغفال التجارب السياسية المعاصرة التي حاولت ان يكون لها موقف من الاسلام ، ومن الشريعة بصفة خاصة مثل التجربة التركية ، والتونسية ، والليبية ، وغيرها .

ملاحظات

ونود هنا لفت النظر الى النقاط التالية :

أولا : إن محاولات الاصلاح في بعض ميادين تطبيق الشريعة الاسلامية التي قامت بها بعض النظم السياسية قد طغى عليها الطابع السياسي ، والسلطوي ، ولم تأت نتيجة عمل تنظيري فكري اجتهادي ، فبدلا من أن تسعى السلطة الى خلق ديناميكيه فكرية تؤدي الى التجديد والاجتهاد بعد مرحلة من التثقيف والحوار العميق ، انقلبت هي نفسها الى سلطة مجتهدة ومشرعة فجاءت اصلاحاتها فوقية ، تكاد تكون مفروضة ، ولعل هذا يمثل عاملا أساسيا من عوامل موجة الرفض والتمسك بالسلفية الجامدة التي نلمسها في صفوف الشباب ، أي في صفوف الجيل الذي من المفروض أن يكون أشد حماسة لهذه المحاولات الاصلاحية .

ثانيا : لم تبرز الصلة بين الفكر الاصلاحي بشتى تياراته وبين حركات الصحوة الاسلامية اليوم ، لماذا المودودي ، وليس الافغاني ، أو تلميذه الشيخ عبده ؟ ولماذا سيد قطب ، وليس ابن باديس ؟ الى غير ذلك من الامثلة ، اننا نعتقد ان هذه النقطة ما تزال في حاجة الى المزيد من التحليل .

ثالثا : القطيعة التامه بين « علماء البلاط » وبين التيارات الاسلامية المنتشرة في صفوف الشباب بصفة خاصة ، فقد تحول ممثلو المؤسسات الاسلامية الرسمية الى شبه « ديكور » في المواسم والاحتفالات الرسمية في نظر عامة الناس ، وخصوصا بين صفوف الأجيال الصاعدة .

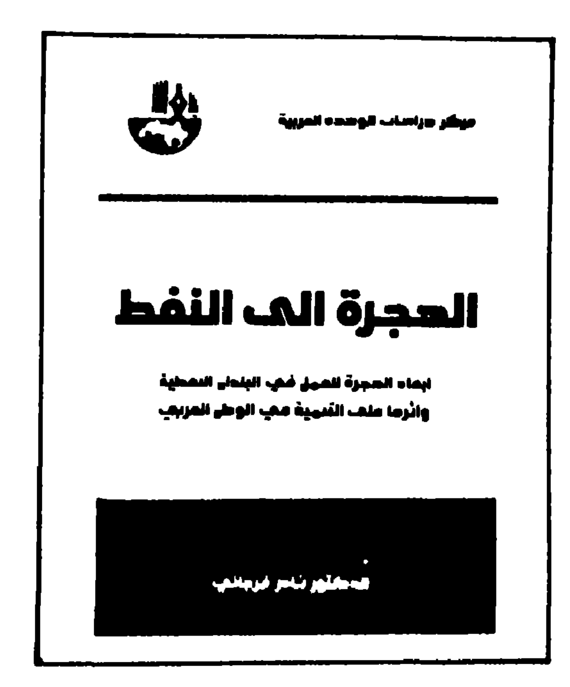
يعود المؤلف في الفقرة الموالية الى موضوع جهل أنصار الحركات الاسلامية المناضلة بالعلوم الاسلامية من توحيد ، وحديث ، وتفسير ، وفقه ، وغيرها من العلوم التي اصبحت تمثل على مر القرون موضوعات تخصص دقيق ومتشعب ، ويتجاوز هذا الجهل المعرفة الاسلامية المجردة ليبلغ الاحاطة السطحية والضبابية بتاريخ المجتمع الاسلامي ، ان المعرفة التاريخية تكاد تكون منعدمة ، وكأنه حاول أن يربط بين هذه المعرفة السطحية وبين المبالغة والغلو الى درجة العنف ، واراقة الدماء باسم الدفاع عن الاسلام .

إن التجربة التاريخية الطويلة التي مر بها المجتمع الاسلامي تبرهن على أن المسلم مسالم ، ومعتدل بطبيعة روحه الاسلامية . إن جميع الحركات المتطرفة التي عرفها تاريخ الاسلام قد عاشت في النهاية مرحلة التقلص والانحسار .

ثم يطرح المؤلف في الفقرة الموالية من الكتاب تحت عنوان « نداء الحياة » اشكالية موقف « الحكم الديني » ، أو النظام الاسلامي من قضايا الحياة المعاصرة مثل قضايا التنمية ، والتعاون الدولي ، والشركات المتعددة الجنسيات ، وكذلك قضايا المرأة ، والتكوين المهني ، والبحث العلمي وغيرها من المشاكل الملحة المطروحة اليوم على المجتمع الاسلامي . □

من المكتبة العربية

الهجرة الى النفط



تأليف الدكتور / نادر فرجاني

عرض : حسن محمود عباس

كان مجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالاقطار العربية الخليجية قد طلب الى المعهد العربي للتخطيط القيام بدراسة عن استخدام الايدي العاملة في البلدان العربية الخليجية ، وامكانية الاستفادة من الايدي العاملة العربية . ولما كان مؤلف هذا الكتاب على اتصال وثيق بهذا الميدان من ميادين البحث ، ـ وفي الفترة التي كان يعمل بها في المعهد العربي للتخطيط بالكويت على وجه الخصوص ـ فقد اضطلع بهذه المهمة ـ مهمة تحديد الظاهرة ، وتقصي الحقائق المتصلة بها سعيا الى بلوغ الغاية المرجوة من ذلك كله وهي معرفة الآثار والنتائج المترتبة عليها .

يضم الكتاب مقدمة واربعة فصول ، تقع جميعا في حوالي مائتين وثلاثين صفحة ، وقد صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في ديسمبر من عام ١٩٨٣ اما فصوله فهي : خلفية ظاهرة الهجرة تجاه منابع النفط ـ منظور بلدان المنشأ ـ منظور بلدان الاستقبال ـ المنظور القومي ـ خاتمة . ويضم الكتاب عددا من الجداول ، ويختتم بقائمة مراجع مهمة لأبحاث مثل هذا البحث يجد فيها المستزيد فضلة .

الهجر ضد الوصل ، والهجرة معناها الخروج من ارض الى أرض . والهجرة المقصودة هنا هي انتقال العمالة ـ او الايدي العاملة العربية ـ من بلدان المنشأ للعمل في البلدان العربية النفطية . لقد كان لارتفاع عائدات النفط في السبعينيات اثر بالغ على حجم المشروعات في البلدان النفطية مما ادى الى قيام طلب ضخم على العمل لم يكن ممكنا ان تفي به قوة عمل المواطنين لاكما ولاكيفا . وقد اتاح ذلك فرصا للكسب المادي بمجرد أن تمكنت قوى العمل من الهجرة الى البلدان العربية النفطية .

أما بصدد التنمية التي هي الغاية المرجوة من كل

● أبعاد الهجرة للعمل في البلدان النفطية وأثرها على التنمية في الوطن العربي

ذلك ، فهي تغيير هيكلي في النسق الاجتماعي - الاقتصادي يتضمن تطوير وتنويع البنيان الانتاجي المحلي بما يؤدي الى ارتفاع مطرد في مستوى المعيشة للناس بحيث يكون تعريف مستوى المعيشة المرجو ، وكيفية تحقيه قائما على اغناء الخصوصية الحضارية للمجتمع ، وتحرير المواطن بتخليصه من عوائق المشاركة الفاعلة في النشاط الاجتماعي والاقتصادي على المستويين الفردي والمؤسسي ، وتحرير الوطن بتخليصه من ربقة التبعية للخارج فالتنمية بهذا المفهوم نهضة حضارية تؤدي الى ترقية النسق الاجتماعي - الاقتصادي باتجاه مستويات رفاه اعلى

ان تنمية ونهضة حضارية على هذا النحو لايمكن أن تتسنى لأي بلد عربي بمفرده ايا كانت امكانياته . والعروبة هي السبيل الوحيد لهوية حضارية للمواطن في أي من البلدان العربية ، كما أن الوطن العربي يتكامل بقوة في نسق متماسك الموارد : طبيعية وبشرية . ان مفتاح التنمية الوحيد في الوطن العربي موحود على الصعيد القومي ، ولاشك أن الساحة القومية يغشاها الان ظلام دامس ، ولكن المفتاح هناك ، ولن يجده من يبحث عنه في مكان آخر ، ولو كان مسلحا بضوء باهر (مثل عائدات النفط !) .

ان العنصر الحاسم في تنمية اي مجتمع هو تطوير البشر ، بمعنى تعظيم المعارف والقدرات البشرية ، واطلاق الطاقات الكامنة في الناس بحيث يمكنهم احداث التغيير المطلوب في البنيان الاجتماعي - الاقتصادي . وهذا هو المضمون الجوهري لتحرير الانسان ، ولكن الاستفادة من طاقات البشر تقتضي نظمها في نسق اجتماعي يمكن الناس من المشاركة بفعالية في عملية اتخاذ القرار ، ثم الانتاج والاستمتاع بنصيب عادل في توزيع الناتج .

ويعرض المؤلف لموقف يرى أن المحصلة الكلية لحركة انتقال الايدي العاملة بين البلدان العربية تبقى ذات مضمون ايجابي ، ولكن يتخذ منه موقفا مغايرا اذ يرى - أي المؤلف - ان ظاهرة الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية في السنوات العشر الاخيرة لم تساعد - بل ربما اعاقت - امكانية التنمية في الوطن العربي ، وبذلك تكون محصلة آثار هذه الهجرة سلبية ، بل خطيرة على الامد البعيد ، وهذا هو المنظور الأوفق - في تقدير المؤلف - لمناقشة آثار ظاهرة تمتد ، وبعمق ، الى اتساع النسيج الاجتماعي - الاقتصادي في الوطن العربي . ولهذه الهجرة خصائص نوجزها فيما يلي : -

١ - ان بلدان المنشأ - اي التي تصدر الايدي العاملة - تعاني من ضائقة تتفاوت من بلد الى آخر ، في حين تتصف البلدان المستقبلة - وهي خليجية - بالغنى .

٢ - الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية هي في الاساس مؤقتة وغير اندماجية ، وهي ليست استيطانية كما هو الحال في الهجرة الى الولايات المتحدة أو كندا مثلا .

٣ - وعلى الرغم من انها ليست استيطانية فان الوافدين يشكلون غالبية قوة العمل في كثير من البلدان العربية النفطية .

٤ - تعرضت الهجرة لتطورات ضخمة ومتلاحقة في فترة زمنية قصيرة مما انتج كثيرا من الاثار الاجتماعية والاقتصادية البعيدة المدى في كل بلدان المنشأ والاستقبال .

خلفية ظاهرة الهجرة

قصر المؤلف الفترة التي يعدها بداية للظاهرة على السنوات الاخيرة من عقد الستينيات والاولى من عقد السبعينيات ، ويحدد معالم هذه الفترة بقوله : لعل اهم ملامح هذه الفترة هو تبلور سياسة الانفراج في

من المكتبة العربية

العلاقات بين الدولتين العظميين على وجه الخصوص ، وبين الشرق والغرب في شمال الكرة الأرضية عموما . وقد ترتب على الانفراج انخفاض درجة التناقض بين قطبي الصراع العالمي ، والتسابق لكسب النفوذ في مناطق العالم الثالث بطريقة لاتستدعي احتمال الحرب بين القطبين .

وينتقل المؤلف في رصده للظاهرة الى الحديث عن عائدات النفط التي قفزت في البلدان العربية المنضوية تحت لواء منظمة الاقطار المصدرة للنفط قفزة هائلة خلال السبعينيات نتيجة لتصحيح اسعار النفط في عام ١٩٧٣ ، والزيادات المتتالية اللاحقة التي نتج عنها دفقة عارمة من اموال النفط كان لها تأثيرات ضخمة على البنية الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي .

وهناك وجهة نظر مهمة تذهب الى القول بأن توظيف العائدات النفطية قد ساهم بشكل واضح في اعادة ترتيب الاوضاع الاقتصادية والسياسية في المنطقة بما ادى الى زيادة تبعية الوطن العربي للغرب الرأسمالي من جهة ، والى تعميق التجزئة وخلخلة تماسك القوى الوطنية في المنطقة من جهة اخرى . وقد تأثرت البنى الاقتصادية والسياسية للبلدان العربية النفطية مباشرة بتوظيف العوائد النفطية ، ولكن آثار توظيف العوائد عبرت الى البلدان العربية غير النفطية في المقام الاول فوق جسر الهجرة اضافة الى الاستثمار والمعونات . ولكن وصول هذه الدفقة المالية الهائلة على صورة العائدات النفطية لبعض الاقتصاديات العربية لايستدعي في حد ذاته ، قيام تيار هجرة الى منابع النفط . الا أن تحالف نمط الانفاق الداخلي في البلدان النفطية الذي تطلب قوة عمل اكبر من المتوفر محليا ، مع تردى الظروف الاقتصادية في البلدان غير النفطية ، كل ذلك ادى الى وجود تباين شديد في درجة اليسر الاقتصادي في البلدان العربية ، فانقسمت الى مجموعتين تصدر احداهما قوة العمل وتستوردها الأخرى .

منظور بلدان المنشأ

يرى المؤلف أن فتح الباب على مصراعيه للهجرة من مصر كان عنصرا اساسيا في عملية عكس المسار الاقتصادي والاجتماعي ـ السياسي الذي ساد مصر في أواخر الخمسينيات والستينيات . كما ان التحضير للنزوح الكبير من مصر بدأ في الواقع قبل التدشين الرسمي لما سمي بسياسة الانفتاح ، واكتسب النزوح أبعاداً خطيرة حتى قبل ان تترسخ تبعية الاقتصاد المصري للغرب الرأسمالي التي تؤرخ عادة بعام ١٩٧٧ .

وليست مصر وحدها هي التي تصدر قوة العمل ، ولكن بلدا آخر دخل هذا المجال وهو اليمن الذي يمد سوق عمل السعودية ـ على وجه الخصوص ـ بالايدي العاملة .

ويرى المؤلف أن تفاقم الاوضاع الاقتصادية ، وتشجيع السلطة في مصر ، وقدوم فرصة الاشتراك في المال النفطي ، كل هذه أدت الى استحداث تيار الهجرة من مصر للعمل في البلدان العربية النفطية في السبعينيات . وقد قدر آخر أحصاء لعدد العاملين المصريين في الخارج بثلاثة ملايين منهم مليون و٢٥٠ ألفا يعملون في العراق . والهجرة الدائمة من مصر كانت ومازالت ضئيلة الحجم ، ولاتتوفر لنا بيانات عن العدد الفعلي للمهاجرين بصفة دائمة في فترة زمنية معينة . أما عن توجهات المهاجرين فتشير بعض البيانات المحدودة الى أن معظم المهاجرين من مصر تقريبا يتوجهون للبلدان العربية . ففي عام ١٩٧٣ مثلا أعارت الحكومة المصرية حوالي ٢٥ ألف

موظف وكان ٩٧٪ منهم لبلدان عربية . وفي عام ١٩٧٧ غادر البلاد حوالي خمسين الفا بعقود عمل خاصة ، توجه ٩٨ بالمائة منهم الى بلدان عربية . لقد تركز غرض سياسة الانفتاح الاقتصادي على اتاحة فرصة سانحة أمام رأس المال الاجنبي متعاونا مع القطاعات الراغبة في رأس المال المحلي لاتمام مهمة اعادة ادماج مصر في النظام الرأسمالي العالمي باحكام ، وقد اكتملت هذه المهمة في عام ١٩٧٧ ، والواقع أن الاعداد لتفريغ مصر من قوى التغيير الأساسية عن طريق الهجرة للعمل في البلدان العربية النفطية قد بدأ قبل الاعلان عن فتح الباب للاستثمار الأجنبي في مصر .

ويضيف المؤلف الى ذلك قوله بأن تشجيع الهجرة من مصر كان احد اهم عناصر مهاجمة البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية التي سادت مصر في الستينيات . ومهما قيل في هذه البنية فقد تأكد فيها ارتباط مصير المصري بمستقبل بلده . اما فتح الباب للهجرة فقد ارسى اسس انفصال المصري عن بلده كسبيل لحل مشاكله الخاصة بشكل فردي ، وفصم علاقة المواطن بالوطن هو المنفذ الاكيد للتحلل المجتمعي ، والملاحظ أن خطوات قانونية وتنظيمية مهمة كانت قد اتخذت لتشجيع الهجرة منذ بداية السبعينيات وقبل صدور تشريعات الانفتاح

وهناك حالة تختلف جوهريا عن مصر ، وهي اليمن بشطريها التي تعود الهجرة منها الى عصور بعيدة .ولا توجد بيانات تعطي مباشرة حجم الهجرة من اليمن في السنوات القليلة الماضية ، ولكن هناك مؤشرات الى أن عدد المهاجرين قد زاد زيادة ضخمة منذ عام ١٩٧٥ . وقد تسبب رواج الهجرة في منتصف السبعينيات في خلق عجز شديد في قوة العمل وضاعف في القصور الذي كان سائدا في مستوى المهارة . فقد وصل العجز في قوة العمل الى حد أن قام الاطفال بأعمال البالغين ، ومنها اعمال شاقة .

ولقد تبين من تقرير حديث للبنك الدولي قدر فيه عدد اليمنيين الشماليين العاملين في أهم خمسة بلدان عربية نفطية بحوالي ٢٦١ الفا في عام ١٩٧٥ .

ومن المفيد هنا ملاحظة ان الحكومة فرضت قيودا على منح الجوازات والتأشيرات في عام ١٩٧٨ ولكنها عادت وقللت منها في عام ١٩٨١ . وكذلك يمكن أن يؤدي فرض الخدمة العسكرية على الذكور في فئة العمر (١٨ ـ ٣٥) الى انعكاسات معينة على حجم الهجرة من اليمن ، وقد أدت التطورات المصاحبة للهجرة في السبعينيات الى زيادة الحرج في اقتصاد اليمن . ولكن المستقبل القريب قد يشهد عودة العمال اليمنيين المهاجرين وماقد يصحب ذلك من مشاكل تتمثل في اعادة استيعاب هؤلاء العائدين ، تلك المشاكل التي يزيد في تعقيدها مايصحبها من انخفاض في تحويلات العاملين بالخارج .

وعندما يفرغ المؤلف من تحليل ابعاد الهجرة وآثارها في بلدان المنشأ ينتقل لدراسة الهجرة الى البلدان العربية النفطية من منظور هذه البلدان ذاتها .

ان مناقشة بلدان الاستقبال هي الوجه الاخر للقضية ، فبلدان الاستقبال هي ـ من ناحية ـ قسم عزيز من الوطن العربي الكبير يهمنا التعرف على ابعاد الهجرة اليها وآثارها على البنية الاجتماعية والاقتصادية وامكانية التنمية فيها . ومن ناحية اخرى ، فان جزءا مهما من خبرة المهاجرين ، وبالتالي محددات سلوكهم وآثار هجرتهم على بلادهم ، تتكون في بلدان المهجر . ولهذا تكمل دراسة بلدان الاستقبال الشق الخاص ببلدان المنشأ في خطة الكتاب ويعمد المؤلف في هذا الفصل الى نفس الاسلوب الذي اتبعه في الفصل الاول ، فيقدم دراسة معمقة لحالتين ، واحدة للكويت واخرى للامارات العربية المتحدة قبل تقديم بعض الملاحظات العامة على اوضاع قوة العمل والسكان في بلدان الخليج العربي . والسبب الاول لاختيار هاتين الدولتين هو انهما توفران بيانات احصائية ومعلومات عن العاملين والسكان اكثر من بلدان الاستقبال الاخرى ، وان كانت البيانات عن الكويت اكثر انتظاما وتفصيلا من تلك المتوفرة عن دولة الامارات .

وفي الفصل الأخير من الكتاب يحاول المؤلف رصد آثار هذه الظاهرة وتأثيرها على التنمية القومية ويناقش الاوضاع المؤسسية والقانونية والاجرائية الحاكمة لتنقل الأيدي العاملة بين البلدان العربية وامكانات تطويرها بهدف تحرير التبادل البشري بين اجزاء الوطن العربي . □

مكتبة العربي

مختارات

تكوين العقل العربي

الكاتب : د . محمد عابد الجابري
دار النشر : دار الطليعة - بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ٣٥٠ صفحة من القطع المتوسط .

كيف تكون العقل العربي ، ومم تكون ، وما هي التوجهات والأفكار المهيمنة عليه ؟ وما هي تصورات المؤلف لايجاد كيان خاص بالعقل العربي ؟

هذه بعض التساؤلات التي شغل المؤلف نفسه بالاجابة عنها وتوضيحها .

يقول المؤلف :

« ان نقد العقل جزء أساسي وأولي من كل مشروع للنهضة ، ولكن نهضتنا العربية الحديثة جرت فيها الأمور على غير هذا المجرى ، ولعل ذلك من أهم عوامل تعثرها المستمر الى الآن .

لقد تم خلال المائة سنة الماضية تكريس تصورات وآراء « ونظريات » حول الثقافة العربية بمختلف فروعها ، مما رسم قراءات معينة لتاريخ هذه الثقافة ، مما جعلها لا تهتم الا بما تريد أن « تكتشفه » أو « تبرهن » عليه ، ولما كان العقل العربي الذي نعنيه هو العقل الذي تكون وتشكل داخل الثقافة العربية ، في نفس الوقت الذي عمل هو نفسه على انتاجها واعادة انتاجها ، فان عملية النقد المطلوبة - أو على الأقل كما نريدها - تتطلب التحرر من اسار القراءات السائدة ، واستئناف النظر في معطيات الثقافة العربية والاسلامية بمختلف فروعها . دون التقيد بوجهات النظر السائدة . » .

مسرح سعد الله ونوس

الكاتب : خالد عبد اللطيف رمضان .
الناشر : شركة المنابر للنشر - الكويت .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ١٧٢ صفحة من القطع المتوسط .

سعد الله ونوس من الكتاب المجتهدين والبارزين في مجال المسرح في الوطن العربي ، كتب عشرات المسرحيات ، التي تناولت الكثير من القضايا السياسية والاجتماعية في قوالب وأساليب متعددة .

وقد تناول المؤلف سيرة حياة الكاتب والنقلات المهمة في حياته ، وعرج على اتجاهات مسرحياته فقسمها الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : البداية العبثية ، ودرس فيها المضامين والتركيب الفني للشخصيات والأحداث والحوار وغيرها .

القسم الثاني : سجل فيه لمرحلته التسجيلية في مسرح ونوس ، ودرس التفصيلات الفنية المتعلقة بكل مسرحية كتبت ضمن هذا الاتجاه .

أما المرحلة الثالثة فهي الاتجاه لكتابة المسرح الملحمي ، ودرس فيها الكاتب المسرحيات التي كتبت في هذا الاتجاه وتركيباتها الفنية .

وقد جاء في مقدمة الكاتب عن المؤلف ما يلي :

« سعد الله ونوس واحد من أبرز كتاب المسرح العربي الذين ظهروا في سوريا ، ولا يمكن دراسة المسرح العربي المعاصر في سوريا دون التصدي لتراث سعد الله ونوس الذي يعد علامة بارزة في تاريخ هذا المسرح ، لما تمتع به من صدق واهتمام بقضايا

الانسان العربي وهمومه ، وارتباط وثيق بالواقع ومحاولة تشخيص أزمات الواقع المعاش ، والدعوة الى تغييره نحو الأفضل » .

الكسندر بوشكين

مختارات نثرية

ترجمة : غائب طعمة فرمان وأبي بكر يوسف .
الناشر : دار رادوغا ـ قوس قزح ـ موسكو .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ٤٠٠ صفحة من القطع الصغير .

المعروف أن الكسندر سيرغييفتش بوشكين (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧) كان شاعرا روسيا طبقت شهرته الآفاق في حياته وبعد مماته .

لكنه على ما يبدو كان كاتبا متعدد المواهب ، فها هي دار رادوغا ـ قوس قزح ـ التي تتولى ترجمة الأعمال الأدبية في الاتحاد السوفيتي الى العربية ، تنشر مجموعة من قصصه ، تولى ترجمتها أديبان عربيان كبيران هما غائب طعمة فرمان وأبو بكر يوسف ، ضمن سلسلة « من أعلام الأدب الروسي » .

وفي الكتاب مجموعة من القصص والروايات القصيرة هي :

- قصص المرحوم ايفان بتروفيتش بيلكين .
- الطلقة . ـ عاصفة ثلجية . ـ صانع التوابيت .
- ناظر المحطة . ـ ابنة السيد ـ الفلاحة
- دوبروفسكي ـ ابنة الآمر .

قال الكاتب الروسي ليون تولستوي عن بعض قصص المجموعة « يجب على كل كاتب أن يدرسها . لقد فعلت ذلك ولا أستطيع أن أنقل لك التأثير الخير الذي تركته في نفسي » .

وقال الكاتب ايفان غونتشاروف عن أدب بوشكين :

« تكمن في بوشكين كل البذور والبراعم التي تطورت منها ـ فيما بعد ـ كل أنواع وأشكال الفن في فنانينا جميعا .

مناخ الأزمة وأزمة المناخ

الكاتب : جاسم السعدون
الناشر : شركة الربيعان للنشر ـ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤
عدد الصفحات : ١٦٥ صفحة من القطع المتوسط

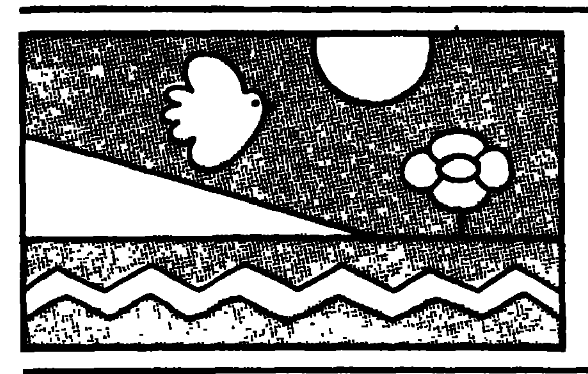
تعتبر سنوات نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات سنوات ازدهار في مسيرة سوق الأوراق المالية في الكويت ، مما كان يعكس نفسه على مظاهر الرواج الاقتصادي في البلد والمنطقة .

الا أن عام ١٩٨٢ شهد أزمة سوق الأوراق المالية . وبالتالي كسادا في السوق الاقتصادي .

فما هي أسباب الرواج السابق ، وما هي أسباب الأزمة الحالية ؟

هذا ما أخذت تجيب عليه بعض الكتب والدراسات التي تناولت هذا الموضوع من جوانب شتى ، ومنها هذا الكتاب الذي جمع فيه مؤلفه بعض كتاباته ومقابلاته ومحاضراته التي كتبها في الصحافة المحلية أو القاها في بعض الهيئات الشعبية ، وأصدرها في هذا الكتاب ، وقد استعرض فيه بعض المفاهيم الاقتصادية المتعلقة بالتنمية والغنى والفقر والاستثمارات وصولا الى اجتهاده في أزمة سوق المناخ ـ سوق الأوراق المالية ـ والمترتبات التي ترتبت عليها ، والاجراءات التي تلتها ، يقول الكاتب :

« ان ما اصطلح على تسميته بأزمة المناخ ليس أزمة بالمعنى المفهوم لها ، أي أن قوى خلقها واستمرارها وعلاجها ليست كامنة فيها ، وهي كذلك ليست أخطر ما نواجهه ، أي أنها لم تكن سوى ظاهرة لمناخ الأزمة الذي نعيشه ، والذي يجعلنا عرضة لأزمات مستمرة بعضها ينفجر في الزمن القصير ويحدث ضجة تعالج بردود أفعال جادة ، وبعضها وأخطرها هو ما تظهر تبعاته في الزمن البعيد ، في وقت لا نكون قادرين فيه على مواجهة هذه التبعات » .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

[illegible]

أصدرت منظمة الصحة العالمية سنة ١٩٧٧ ميثاقاً خاصاً بالحليب المجفف المسحوق.. المعد للرضع.. وقد تضمن هذا الميثاق الهام توصيات موجهة الى الأمهات، وتوصيات أخرى موجهة الى الشركات الصناعية التي تنتج ذلك الحليب.. وترتب على هذه التوصيات الأخيرة مواجهة حادة صاخبة بين بعض تلك الشركات وبين فئات بيئية وغير بيئية ومقاطعة لمنتجات الشركة، امتد أمدها سبع سنوات كاملة.. ولم تقف عند حد الا في شهر فبراير الماضي..

أما التوصيات الخاصة بالأمهات فشملت، ولو بصورة غير مباشرة، الحض على رضاع الشدي.. ذلك أن حليب الأم غذاء كامل كما أثبتت أحدث الدراسات العلمية والطبية.. وهو يصل الى جوف الرضيع نظيفا معقما.. دون أدنى ريب.. أضف الى ذلك أن حليب الأم ذو ضرورة حيوية للرضيع.. فهو يعزز أجهزة المناعة والدفاع في جسمه.. ويوطد الاستقرار والاطمئنان لعواطفه ومشاعره، فيوفر أحد الشروط الهامة للنمو السوي لشخصيته.. ثم ان رضاع الثدي يحد من التعرض للاصابة بمرض السكري في الكبر.. وهذا اكتشاف جديد توصل اليه العلماء في الشهور الاخيرة..

وحذرت تلك التوصيات أيضا - بالمقابل - من مخاطر الرضاع الاصطناعي.. فالحليب المجفف ليس غذاء كاملا.. ويحد من قدرة الطفل على المقاومة بدلا من تعزيزها.. وقد يؤدي الى الاهتزاز العاطفي بدلا من الاستقرار، ويؤدي بالتالي الى مركبات النقص وآفات نفسية أخرى يعاني منها الكثير من الرجال..

أضف الى ذلك أن رضاع القوارير يتطلب تعقيما جيدا لتلك القوارير.. ويستوجب التقيد بتعليمات دقيقة عند اذابة الحليب في الماء.. وما أسرع ما ينقلب نفع هذا الحليب الى أضرار، اسهالات وامساكات وغير ذلك، اذا لم تراع تلك التعليمات تمام المراعاة بكافة تفاصيلها.. ولما كان الماء ملوثا في أكثر بلدان العالم الثالث، وكان الجهل والأمية منتشرين بين أهلها، لا سيما الأمهات، كان من المتعذر تعقيم القوارير تعقيماً جيداً او غير جيد، وتقيد الأمهات بالتعليمات الدقيقة.. هكذا يصبح الحليب المجفف اداة مرض وضرر للأطفال الرضع.. ويفقد مافيه من نفع في هذه البلدان..

وتضمن ميثاق المنظمة الدولية، كما ذكرنا، توصيات أخرى منها حث الشركات على تنبيه المستهلكين الى مخاطر هذا الحليب، والحد من دعايتها له والكف عن توزيع العينات السخية بالمجان..



صورة إحدى المظاهرات التي قامت بها فئات البيئيين في نيويورك عام ١٩٧٧ وقد نشرت هذه الصورة مجلة نيوزويك الأمريكية (٦ فبراير ١٩٨٤) وهي المجلة التي اعتمدناها في أكثر ما ذكرناه

ومطالبتها بالتقيد بهذه التوصيات في كافة الاسواق . . واسواق العالم الثالث على وجه التحديد . .

واستجابت الشركات لذلك الميثاق في الدول المتقدمة . . لافي بلدان العالم الثالث . . ولم لا ؟ فأكثر حكومات العالم الثالث في غفلة تامة عن الميثاق وعن مضار الحليب المجفف . . وهكذا عملت الشركات هنا بقول الشاعر : خلا لك الجو فبيضي واصفري . . .

ولا يخفى ما ينطوي عليه ذلك من استغلال بشع . . يستوجب الرد العنيف المناسب عليه . . وجاء هذا الرد من جهة لم تكن في الحسبان . . وجاء بطريقة لم تكن في الحسبان أيضا . . فقد قامت فئات من البيئيين وغيرهم بمظاهرات صاخبة ضد الشركات ، ودعت الى مقاطعة منتجات هذه الشركات . واستجاب الجمهور في الدول المتقدمة . لتلك النداءات ، وعمد الى المقاطعة الفعالة لتلك المنتجات . . وطال أمد هذه المقاطعة سبع سنوات (١٩٧٧ ـ ١٩٨٤) . ولما كانت الخسائر التي تكبدتها الشركة الكبرى التي استهدفتها المقاطعة خسائر كبيرة بلغت عشرات الملايين من الدولارات . . أذعنت هذه الشركة الكبرى للواقع وسعت الى عقد اجتماع مع الفئات المسؤولة عن المقاطعة . . وتعهدت هذه الشركة في هذا الاجتماع الذي عقد في نيويورك في فبراير الماضي (١٩٨٤) بتطبيق ميثاق منظمة الصحة العالمية في بلدان العالم الثالث تطبيقا فعليا وأمينا . . مقابل ايقاف المقاطعة . . □

نجح العلماء السوفيات في تهجين نوع جديد من البكتريا التي تلتهم البترول وتستطيع بالتالي القضاء على بقع الزيت التي تعاني منها اليابسة وقد كثرت في المدة الأخيرة في أصقاع سيبيريا الشديدة البرودة

وتفوق البكتريا السوفياتية التي تم تطويرها في مختبرات نوفوسيبيريسك Novosibirsk نظيراتها الأمريكيات من حيث سرعتها ومقاومتها للبرودة . فهي تلتهم البترول بسرعة تبلغ ١٠٠ ضعف سرعة الصنوف الأخرى . . وتستطيع القيام بمهمتها هذه على أكمل وجه في جو بارد تهبط حرارته الى ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر .

والأغرب من ذلك ما أكدته وكالة تاس ، مصدر الخبر ، من أن التربة لا تتلف بسبب فعل هذه البكتريا وأن الحشيش يعود الى النمو فيها ثانية في غضون ١٠ أسابيع من التهام البكتريا لبقعة الزيت التي لوثتها . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

انها في غاية البساطة .. مجرد غطاء لعنق الرحم .. ويطول أمدفاعليته سنة كاملة .. ولكنه يفصل أو يصنع خصيصا لكل امرأة على حدة ، وذلك ليكون مناسبا لها تماما .. فلا يتحرك أو يتزحزح من مكانه أبدا .. ولا يتسبب بالتهابات أو روائح كريهة .. كما تفعل اللوالب ..

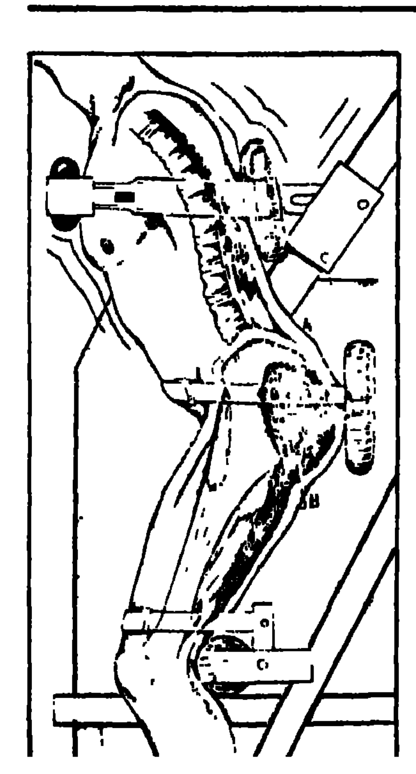
ويتم صنع الغطاء بأخذ شكل عنق الرحم في المرأة ، وذلك بواسطة مادة السيليكون .. ثم يصنع قالب من البلاستر الباريسي Positive Cast ليصنع الغطاء بشكل هذا القالب تماما .. وذلك بواسطة آلة سكب تعمل على أساس الفراغ .. أما المادة التي يصنع منها الغطاء فهي الكراتون Kraton ..

ويكون الغطاء في النهاية ذا طبقتين تفصل بينهما قناة رفيعة .. ذات صمام .. ومن شأن هذه القناة وصمامها أن تسمح بخروج السوائل وتمنع دخولها .. فهي اذن تحول دون دخول السائل المنوي وتمنع الحمل ..

وقد سجلت الاختراع الدوائر المختصة مؤخرا لأستاذين طبيبين في جامعة شيكاجو .. طبيب أسنان واسمه روبرت جويب Goepp وطبيب أمراض نساء واسمه أوفريز Uwe Freese .. وأنشئت شركة خاصة لصنع هذا الغطاء .. أطلقوا عليها اسم الغطاء نفسه . (Contracep) . □

ألم الظهر عرض ظاهر ، كما هو معروف ... ولهذا العرض الظاهر سبب باطن كما هو معروف أيضا ... ولكن العلل التي يمكن أن تكون سببا باطنيا لذلك الألم كثيرة .

فقد يكون سبب الألم المبرح في أسفل ظهرك مجرد تعب أو ارهاق لحق بعضلات أسفل الظهر ... وهو السبب الأكثر شيوعا « ٨٠٪ من الحالات » .. وقد يكون السبب انبعاجا في أحد الاقراص الغضروفية .. وهو السبب الاقل انتشارا (١٥٪) من حالات ألم الظهر جميعها . وقد يكون سبب الالم غير هذا وذاك ..

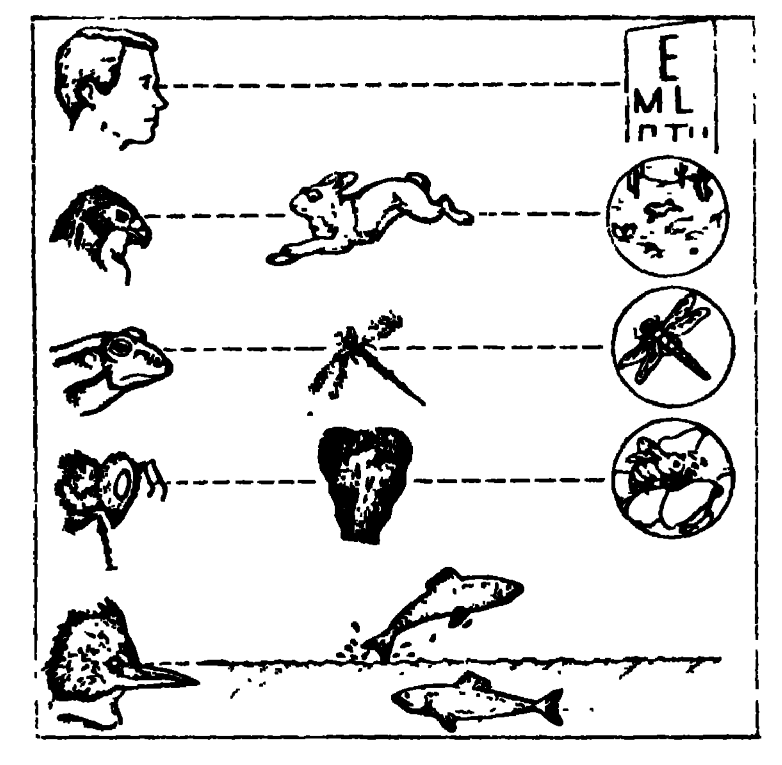


من هنا كانت الصعوبة في تشخيص ألم الظهر . وكان من الضروري اللجوء الى التصوير بالاشعة السينية في كثير من الحالات . ولكن هذا التصوير نفسه كثيراً ما يلتبس أمره ولا يساعد على اكتشاف سبب الألم . . .

لذلك كان ابتكار الجهاز الجديد الخاص بتشخيص ألم الظهر (انظر الصورة) خبرا هاما بالنسبة الى الذين يعانون من ألم الظهر الحاد أو المزمن وهم يعدون بعشرات الملايين في العالم .

والجهاز الجديد الذي مازال قيد التجارب الميدانية في ثلاثة مراكز طبية في الولايات المتحدة الامريكية ، ذو اطار كالقفص . . وذو كمبيوتر متصل بهذا الاطار . . . ومن شأنه أن يعرض المريض ، لدى أخذه المكان المناسب من الاطار ، لحركات مختلفة ، كالانحناء والتقاط جسم ثقيل وحمله والنهوض به لوضعه في مكان آخر غير مكانه الأصلي . . ويرصد جهاز الكمبيوتر ، أثناء تلك الحركات ، أداء العضلات والاربطة والغضاريف وغير ذلك في أسفل الظهر ويترجم ذلك الاداء في رسم بياني واضح بيّن . . يغني المريض عن شرح حالته للطبيب ويغني الطبيب عن الاجتهاد والرجم بالغيب والتشخيص الخاطيء الذي قد يؤدي الى أوخم العواقب . □

قوة الابصار في الانسان والحيوان



يقاس البصر السويّ الكامل في الانسان بعلامة 20/20 . . .

ومعنى ذلك أنك ترى من على بعد عشرين قدما ما يراه أكثر الناس من على بعد عشرين قدما . أما اذا كانت العلامة 50/20 فمعنى ذلك أنك لاترى ما يراه الناس من على بعد 50 قدما ، وأنك بحاجة الى الاقتراب منه حتى تصبح المسافة 20 قدما لكي تستطيع أن تراه . . .

ونحصل على العلامة نتيجة الامتحان طبعا . . امتحان قدرتك على قراءة

حروف بأحجام مختلفة وفي سطور مختلفة من على بعد 20 قدما . . . وغالبا ما توجد لوحة الحروف هذه في عيادات أطباء العيون وفي محلات أخصائيي النظارات .

على أن بصر الانسان يعتبر محدودا جدا بالقياس مع بصر كثير من الحيوان . .

فالصقور مثلا تستطيع رؤية قطعة نقود صغيرة ملقاة على رصيف الطريق من فوق قمة ناطحة السحاب (الأمبير ستيت) . . . وذلك بدقة ووضوح بالغين . . ويقدرون قوة بصر الصقور بثمانية أضعاف قوة بصر الانسان ، حتى في الحالات التي تبلغ قوة بصره فيها 20/20 .

أما النحلة فيمتاز بصرها بكونه مركبا أو مضاعفا يمكّن النحلة من الملاحظة في الجو . . فعينها ذات 15000 عدسة قرنية وترى الأشياء نقاطا في أشكال أو نقوش مختلفة ، كالموزاييك . والشمس في نظر النحلة لا تعدو كونها مجرد نقطة واحدة . . . ولكنها نقطة ارتكاز ثابتة تمكّن عين النحلة من قياس الزاوية بين الشمس وبين خط طيران النحلة بحيث لا تضل السبيل . . أضف الى ذلك أن عين النحلة تقدر ، بل تحدد سرعة الطيران . . وقد اتخذها المهندسون أساسا لابتكار جهاز جديد للطائرات يحدد السرعة . . . والاهم من ذلك أن النحلة تستطيع أن ترى ما يعجز الانسان عن رؤيته : الأشعة فوق البنفسجية .

ويتميز بصر الضفدع في أنه يرى الثابت متحركا . . . كالسينما . فعينها مجهزة بخلايا متطورة جدا يسميها العلماء (Bug Detectors) . .

ولاتستجيب هذه الخلايا الا للأجسام المتحركة .

وقل مثل ذلك في الطيور التي ترى وهي في أعالي الجو والاسماك وهي في أعماق البحر . . .

ومهما يكن من أمر فان بصر الانسان يتميز بالقدرة على رؤية الألوان . . والاستمتاع بمشاهدتها ولا يشاركه في ذلك أحد من عالم الحيوان باستثناء عدد محدود جدا من القردة . □

وأخيرا نجحوا في ترميمه

■ هذا هو وجه الملك فيليب الثاني ، والد الاسكندر الكبير ، كما يرجح العلماء . . والجمجمة التي تبدو في الصورة لم يعثروا عليها قطعة واحدة . . وانما قطعا عديدة صغيرة . . قام جون نيف J. Neeve . . الأخصائي في الفن الطبي في جامعة مانشستر . . قام بلم شمل تلك القطع الصغيرة حتى كانت الجمجمة التي ترى . . وقد عثروا على تلك القطع الصغيرة في أحد القبور سنة ١٩٧٧ . . وكانت قطعا متفحمة (محروقة !) .

أما التشويه الذي تراه في عين فيليب اليمنى وما حولها فمرده الى سهم أطلقه عليه أحد أعدائه في احدى المعارك . . والتاريخ يذكر ذلك . . ولو قارنت وجه فيليب هذا (دون تشويه) بوجهه المنقوش على العملة لوجدته مطابقا . □



البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع



صغيرك.. وعالم جديد اسمه المدرسة

إعداد : وفاء طه ناجي تصوير : سليمان حيدر

« بفضل حزم المعلمة ورقتها ، وحنان الوالدين وحرصهم ، استطاع الصغير اجتياز الصعوبات التي صادفته عند الذهاب الى المدرسة للمرة الاولى . . ليستمتع بعد ذلك بعالم جديد ، وعلاقات رائعة . »

يعد هذا المفهوم هو انجح اساليب التربية في اعداد جيل لا يعاني عقدا ، او تسيبا في حياته الجديدة داخل المدرسة . وعند تطبيق ذلك يحتاج الاهل والمربون في المدرسة الى صبر واهتمام مشترك ، يتوازن فيه الثواب والعقاب ، الشدة واللين ودون مبالغة او ميل يؤدي حتما الى نتيجة عكسية ، بالاضافة الى أن ذلك التوازن نفسه لا بد أن يتوفر بين الام من جهة والاب من جهة أخرى باعتبارهما طرفي العلاقة الاولى المؤثرة اساسيا في بناء شخصية الصغير . فما هي المشكلات التي يتعرض لها الابناء في العام الاول من حياتهم الدراسية ؟ وما هو دور الاهل والمدرسة في حل تلك المشكلات ؟ وهل هناك اسلوب في التربية يحمى التلميذ من سلبيات انفصاله عن البيت ؟

طفل مدلل . . او عدواني . . لماذا ؟

ع كانت لنا جولة داخل احدى مدارس الصغار بالكويت للتعرف على الصعوبات التي تواجههم واثرها عليهم . فالتقينا مع السيدة بهاء المغربي مديرة المدرسة تقول :

بعد خبرة تسعة عشر عاما في مجال تعليم الصغار استطيع أن اؤكد أن أهم اسباب تفاقم المشكلات في هذا الزمن هو تدليل الاطفال . . فهذا الجيل مدلل الى ابعد الحدود ، والكثير من الصغار عندما يدخلون المدرسة لاول مرة يفرطون في محاولات التأثير على معلميهم لتلبية حاجاتهم . . سواء بالبكاء او العزوف



بهاء المغربي : هذا جيل مدلل



الطفل الخجول يعاني من التردد

عن الطعام . أو الانطواء او العدوانية . وهي مشكلة تواجهها بشدة وتسبب لنا قلقا ، فواجبنا أن نعلم الطفل كيف يحب المدرسة ويتعلم فيها تنمية قدراته النفسية والاجتماعية

وتنهي السيدة المغربي حديثها قائلة . واذا كان الانصياع الشامل لرغبات الصغير ايا كانت ووقتما شاء تشكل خطأ في تنشئته ، فان الاصرار على الزامه بنظام صارم لا مرونة فيه اشد خطورة ، فالتوازن هو المطلوب في عملية تشكيله منذ البداية .

وتشاركنا الحديث ماسيرفيليب وكيلة المدرسة فتقول .

يعاني الصغير اول ما يعاني مشاعر الغربة ، وهي مشكلة اساسها عدم التمهيد الى أنه سوف ينتقل الى محيط فيه شبه انضباط ، والسيطرة على ذلك لا تتم الا بمنح الصغير مزيدا من الرعاية والحب ، فهو لا يتقبل بسهولة وضعه الجديد في الانفصال المنظم عن اسرته .

اما اذا كان للصغير اخ أكبر في نفس المدرسة فهذه مشكلة اخرى ، لانه يرغب في مرافقة اخيه طوال الوقت . . ويبذل في سبيل ذلك ما يستطيع . . حتى أن بعض الصغار يظل يبكي طوال الوقت من اجل الالتحاق بصف اخيه فتصبح مهمة المدرسة عسيرة في تشجيع الصغير على تكوين روابط جديدة مع آخرين من اقرانه ومحاولة مد جسر بينه وبين من هم في مثل سنه وذلك بضمه الى تلاميذ لهم نفس هواياته ، حتى نحميه من اعراض الاضطراب التي قد تصل به حدا يستوجب المعالجه .

وتحكي لنا المعلمة صفاء حسن عن الصغار الجدد في الصف فتقول : يستغرق اندماج الطفل العادي بين اقرانه في جو المدرسة الجديد ما بين عشرة ايام الى شهر ، ومن خلال عملي استطيع أن احدد ان الصغار الذين يدخلون المدرسة لاول مرة ثلاثة أنواع يمثلون بذلك ثلاثة وجوه للمشكلات ، طفل مدلل ، طفل خجول ، وطفل عدواني . ومن علاقتي معهم فان الطفل المدلل يزعجه هذا العدد الكبير من زملائه الذين تهتم بهم المعلمة ، فيظل يلاحقها ويستلفت انتباهها ليحظى وحده بكل الاهتمام . اما الطفل الخجول فهو يعاني طوال الوقت من الشعور بالتردد ويهرب من كل محاولة تبقيه ضمن مجموعة من اقرانه من الصغار . ويأتي بعد ذلك الطفل العدواني الذي يسبب الكثير من المشكلات داخل فصله ، فهو لم يتعود الانضباط في سلوكه او عواطفه ، ومن خلال تجربتي كمعلمة للاطفال ، فان طريقة المعاملة المجدية قد تختلف من طفل الى آخر . . حسب شخصية كل طفل وقابليته للتشكيل ،

ونلتقي مع أمهات عشن تلك التجربة الجديدة مع صغارهن . فتحكي لنا سناء ابراهيم وهي ام لطفل عمره ست سنوات وتقول : كانت بداية صغيرى مع المدرسة طيبة للغاية ، فقد احبها ، واحب زملاء



على المدرسة أن تهيىء مناخا يكفل للتلميذ التكيف البطىء مع الظروف الجديدة



معاملة الأهل المتوازنة تساعد الابن على الايجابية



لماذا يتعرض الصغير للاحباط ؟

صفه ، ومعلمته ، حتى انه كثيرا ما كان يرفض العودة معي الى البيت . حتى جاء يوم ورفض الذهاب الى المدرسة . . ومرت أيام وهو على رفضه . . وحاولت معه المستحيل دون جدوى . الى أن اكتشفت السبب . فقد سافرت معلمته . وفي اول حصة للمعلمة الجديدة عنفته وضربته بقسوة لمجرد انه نسى دفتره .

اما السيدة / زهرة المطوع وهي ام لابنة عمرها(٥) سنوات فتقول : ابنتي هادئة الطبع ، شديدة الحساسية والتهذيب . بعد الاسبوع الاول من انتظامها بالدراسة بدأت ألاحظ عليها نوعا من القلق والتوتر الذي أخذ ينعكس تدريجيا على سلوكها داخل البيت . فاختل نظام اكلها ونومها واصبحت تصر على أن تنام معنا في الفراش انا ووالدها ، واذا حاولنا أن نعيدها الى ما كانت عليه من نوم في غرفتها ، فان ردة فعلها تكون نوبة حادة من الصراخ . وما زالت المشكلة قائمة حتى الآن .

محاولة للتفسير

حملنا هموم المدرسة ومشاكل الاهل ومع د . عزت سيد اسماعيل استاذ علم النفس في جامعة الكويت ، حاولنا البحث عن اجابة لسؤال يتعلق بخير الوسائل التي يمكن اتباعها في تنشئة الصغار ،

قال : يعد ذهاب الطفل الى المدرسة في سن السادسة أو قبلها بقليل اول تعرض للتركيب التنظيمي للمجتمع ، ويكون على الطفل أن يحقق تكيفا مع غرباء من الكبار ومع مجموعة كبيرة من الاقران ، كما يكون عليه أداء مهام لا مهرب منها .

ويتعرض الطفل في المدرسة للفشل او للتهديد بالفشل سواء في المجال التعليمي او في المحيط الاجتماعي بها . كما يمثل عنصر التنافس في المدرسة موقفا يحاول الطفل من خلاله أن يختبر ذاته وأن يتعرف على نواحي تفوقه وضعفه ، ولا تزداد مشاعر الاحباط لدى الطفل بصورة مرضية ما لم تكن الارض مهيأة لذلك من خلال قيام علاقات اسرية خاطئة ، او مالم يتخذ المدرسون انفسهم اتجاهات خاطئة في معاملته ،



الطفل الانطوائي ، وصعوبة التكيف

فان صحة الصغير النفسية - نجاحه ،فشله - يرجع الى خبراته الاولى مع والديه وأخوته في المنزل ، فالعلاقات الاسرية هي التي تعمل على صياغة شخصيته

ويستمر د . عزت في الحديث فيقول : والميزان الذي يحقق الشخصية السوية هو منح الطفل الحب والاهتمام مع قدر من الاتساق في اسلوب التعامل معه . فالتدليل المفرط ، او القيود المتطرفة يمكن أن يسهم أى منها في احداث اضطرابات سلوكية .

فالطفل قد يستجيب للتدليل المفرط والقصور في الضوابط السلوكية بالسلبية والوداعة التي لا مبرر لها او بالتمرد والرغبة في الاشباع الفوري لمطالبه اللانهائية . ويتبع هذا ان أى تغير فجائي في بيئة الطفل ، مثل الانتظام في المدرسة ، يمكن أن يؤدي الى حدوث اضطراب انفعالي ، وخاصة بالنسبة للطفل ذي الحساسية المفرطة والذي يفتقر الى الاحساس بالامن ،

ومثل هذا الطفل اذا منح فرصة الألفه التدريجية لهذه التغييرات فانه سوف يحقق تكيفا مع هذه المطالب الجديدة .

وفي المدرسة قد تظهر لدى الصغير مشكلات وجدوانية مثل عدم القدرة على تكوين روابط مع الآخرين سواء من الكبار او الصغار ، ويكون السلوك انسحابيا سلبيا مع تزايد الرغبة في الاستحواذ على انتباه الآخرين . وقد يكون هناك سلوك انفجاري في شكل تخريبي او في صورة نوبات من الغضب او السخف بدرجة لا تتفق مع العوامل المحدثة لها .

وقد تظهر صعوبات خاصة بالدراسة مثل قصور في مدى الانتباه وعدم القدرة على التركيز .

ويعد الخوف من المدرسة اهم واكثر المشكلات شيوعا عند ذهاب الصغير الى المدرسة لاول مرة ، يظهر هذا الخوف في صورة قلق .. ونحن في الدراسات النفسية نسميه « قلق الانفصال » بدلا من « الخوف المرضي من المدرسة »

واعراض قلق الانفصال يمكن أن تأتي بالاضافة الى رفض الطفل الذهاب الى المدرسة في صورة شكاوى بدنية مثل : آلام في البطن او صداع يحدث صباحا في أيام الدراسة فقط ، او اثناء اليوم الدراسي .

العلاج

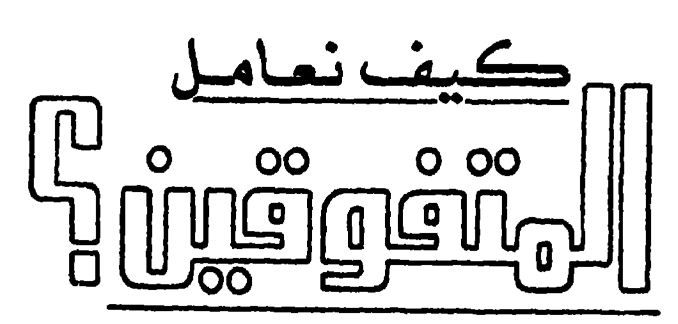
وينهي د . عزت حديثه قائلا : ولما كان قلق الانفصال او الخوف من المدرسة يتضمن كلا من الطفل والآباء والمدرسة في نوع من العلاقه المتشابكة ، فان لكل منهم دورا ايجابيا في مساعدة الصغير للتغلب على تلك المخاوف التي لا أساس لها .

فلاينبغي أن يجاب مطلب الصغير ليبقى في البيت ، ويجب ان يعاد الى المدرسة بأسرع ما يمكن ، وضروري أن يتفهم الآباء العوامل التي أدت الى هذا الموقف اذ ان عودة الطفل الى المدرسة ليس لها قيمة تذكر ما لم يتفهم الموقف . ويمكن للمدرسة أن تلعب دوراً هاماً في هذا الصدد حيث يمكنها التعرف على الكثير من أبعاد شخصية الطفل من حيث طبيعة استجاباته للمواقف الجديدة كالاقدام أو الانسحاب منها ، وقدرته على التكيف وقابلية سلوكه للتعديل وفقاً لتغير الظروف البيئية ، وتوعية مزاجه السائد مثل الابتهاج أو السلوك النافر غير الودود ، ومدى قدرته على تركيز الانتباه والاستمرار في نشاط معين في مواجهة العقبات والصعاب .

هل نفعل ؟

ويبقى أن نقول انه ليس هناك اب أو أم يحب أن يكون له طفل مزعج أو منطو غير قادر على تحقيق أي قدر من التوافق مع عالمه الجديد داخل المدرسة : فعلى الاهل أن يشجعوا اطفالهم في غير اسراف على ممارسة حرية التعبير وفي نفس الوقت تعليمهم حب المغامرة وكيفية استنباط الحلول بتشغيل العقل حتى لا ينشأوا بلا ارادة عاجزين عن استيعاب عالم يتحول بسرعة .

اما المدرسة فمن الضروري أن يكون دورها الحقيقي هو الكشف عن القدرات الخاصة عند كل صغير وتوجيهها الوجهة الصحيحة للافادة منها بدلا من اتباع سياسة تربوية محدودة وجامدة ، وذلك حتى يتحقق الهدف من التنشئة وهو تنمية مدارك الصغار وقواهم وملكاتهم في اطار تقاليد وقيم مجتمعهم ، فهل نفعل هذا .. نرجو ذلك . □



كيف نعامل المتفوقين؟

مدرسة خاصة بالمتفوقين بسيبيريا

« ليست القضية في الامكانيات فقط ، ولكنها في نظرة المجتمع لابنائه المتفوقين وتقديره لأهميتهم ، وهذه تجربة من قلب سيبيريا ، حيث توجد مدينة العلم والعلماء » .

في مدينة نوفو سيبيرسك التي تقع في الجنوب الغربي من سيبيريا . وعلى ضفاف نهر « الأوب » بعد ثلاثين كيلو مترا فقط .. تجد نفسك في مدينة العلم والعلماء . هنا مائة معهد علمي و ١٢ ألف عالم ، وجامعة ومعاهد موسيقا وثقافة وآداب ، ومع هذا يوجد فرع للأكاديمية العليا للعلوم بسيبيريا .

وسط هذه المباني التي تتشكل منها المدينة بالاضافة الى المساكن والحدائق ومباني الخدمات ، يوجد مبنى صغير .. هو غايتنا في هذه الزيارة .. مدرسة الطلبة المتفوقين .

اختيار المتفوقين

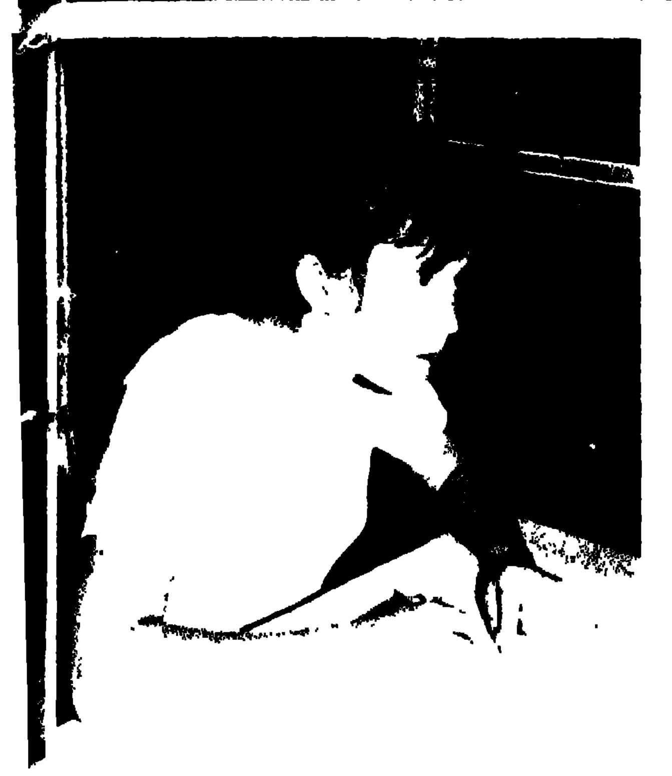
على باب المدرسة استقبلنا يوري محاييف استاذ الرياضيات ، والذي كان ذات يوم تلميذا بها ، يقول عن تاريخ المدرسة وطلبتها : « تأسست المدرسة عام ١٩٦٣ بمبادرة من الدكتور ميخائيل ليفرينتيف ،



مدرسة للمتفوقين في سيبيريا



طالب من شعب البوريات



تصغي وتسجل



درس عام



الدروس المنتقاة . عدد الطلبة فيها قليل



تدريبات رياضية



الاستاذ يوري خاييف

وذلك ادراكا منه لاهمية تخريج كوادر علمية نابهة . وعدد الطلبة بالمدرسة ٥٥٠ طالبا فقط ، يتخرج نصفهم كل عام ليحل مكانهم عدد مساو تماما .

وطريقة اختيار الطلبة تتم بأن نقيم معسكرا علميا يضم حوالى ألفي طالب من مجموع طلبة الجمهوريات السوفيتية كلها ، وخاصة السيبيرية منها ، وفي نهاية أيام المعسكر يتم عقد اختبار للطلبة ، وأهم مواد الاختبار هي الرياضيات ، ونختار بعد ذلك الـ ٦٠٠



وجهان

الأوائل ، والذين يتم اختبارهم بعد ذلك اختبارا نهائيا ، تسفر نتيجته عن انتقاء ٥٥٠ طالبا وهم سعة المدرسة ، ويعود باقي الطلاب لمتابعة دروسهم العادية .

ليس نظاما طبقيا ولكن قواعد علمية

يواصل محدثنا شرحه ويتناول نظام الدراسة وطبيعتها يقول : مدة الدراسة بالمدرسة عامان فقط ، وهما يعادلان آخر سنتي المرحلة الثانوية ، وقد كان تحديد مدة الدراسة بعامين وقصرها على آخر مرحلة قبل دخول الجامعة أمرا مقصودا ، فنحن لا نريد خلق تمييز طبقي جديد ، وان كان مبعثه التفوق العلمي ، وفي نفس الوقت فاننا نعتقد أن هذه مهمة كافية لتحقيق هدفنا ، فنحن نهدف الى زرع قواعد علمية متطورة في اذهان الطلبة ، تساعدهم بعد ذلك على التحصيل والدراسة بامكانيات خلاقة ، وخاصة في المواد العلمية ، ولذلك فان معظم خريجي المدرسة يتجهون الى دراسة العلوم ، ويتخصصون في فروعها المختلفة ، الا أن الفرعين الاكثر إقبالا هما الكيمياء والفيزياء .

ونظام اليوم المدرسي قائم على نظم المدارس الداخلية ، حيث تقدم المدرسة جميع خدماتها كمؤسسة تعليمية تربوية للطالب ، ابتداء من الكتب الى أدوات المختبر والطعام والسكن ، ومناهج التدريس هي ذاتها نفس المناهج في المدارس العادية ، الا أننا نعطي جرعة أكثر تركيزا في مواد الفيزياء والرياضيات والكيمياء ، ونجعل لها مكانا مميزا في برنامج الدراسة ، سواء من حيث نوعية المنهج أو من حيث عدد الساعات ، ومن حيث عدد الطلبة في الفصل الواحد (المعدل الوسطى هو ١٢ طالبا وطالبة في بعض مواد الدراسة) . والدراسة تكاد أن تكون مجانية ، فالرسوم لا تتجاوز ٣٠ روبلا بالشهر ، ويعفى منها الطلاب أبناء الأسر ذات الدخل المنخفض ، ولذا فان ٢٥ بالمائة من الطلبة لا يدفعون شيئا ، وهذه السياسة نتبعها لكي لا تكون الرسوم ـ رغم رمزيتها وكونها لا تتعادل مع تكلفة وجبات



اصغاء ومتابعة

الطعام فقط ـ معوقا لعقول نابهة من أن تأخذ فرصتها وتتقدم .

خلف الأسوار

وليست هذه هي المدرسة الوحيدة في الاتحاد السوفيتي ، بل هى أقدم مدرسة ، ولكن يوجد معها ثلاث مدارس اخرى تتبع نفس الأساليب والبرامج ، وتقع في موسكو ولينغراد وكييف .

وطوال طريق العودة . . كان الذهن مشتغلا تملأه صورتان لمجتمعين ، مجتمع يتعامل مع ابنائه بمنطق الثروة ، ومجتمع آخر ينظر اليهم كأرقام . . ولذلك فليس غريبا أن يكون التقدم عندهم تقدم مجموع ، وعندنا طفرات أفراد .

ولم يقل أحد منا ابدا أن الذكاء والابداع وقف على شعوب دون شعوب ، الموهبة والذكاء . . والتفوق مجرد قدرات تختلف من شخص الى آخر ، ولكن الذي لا يجب أن يكون حوله خلاف هو تعامل المجتمع ، والفرص التي تمنح ، والمناخ الذي يحيط ، والبحث الجاد عن هذه العقول . . والتي في النهاية لن تصنع لنفسها نصرا بقدر ما سوف تمنح المجتمع والوطن حياة أفضل .

المسألة باختصار أن هناك مجتمعات تأخذ بعقول أبنائها الى ما وراء كل الحواجز ، لتتيح لهم فرص الابداع والخلق ، وهناك مجتمعات تحيط عقول أبنائها بمزيد من الأسوار كى تمنعهم من الخلق . . فلننظر أى مستقبل نريد . . ونحدد هل نظل طويلا وراء الأسوار ؟ □

سليمان الشيخ

شعر المرأة تاج جمالها

بقلم : الدكتور نبيل سليم

للحصول على مثل هذا الشعر الجميل يجب أن نعتني بغذائنا .. ولتقوية الشعر يجب أن يكون عن الطريق الموضعي



قيل في الشَّعر انه « تاج الجمال » وهذا صحيح فالشَّعر دليل واضح ، لا على مدى اهتمامك به فحسب ، بل على مدى اهتمامك بنفسك وجمالك .

فالشَّعر النظيف المصفف ، المعتنى به ، يوحي بأن صاحبته تعنى بنفسها وتحرص على أن تبدو جميلة ممتلئة حيوية وشبابا .

ع الشعر منذ أقدم الازمنة ، كان الشغل الشاغل للمـرأة حتى اختلفـت وصفـات تجميـله ، وتعددت أساليب تصفيفـه والعناية به ، وتـطورت الحضارة الانسانية ، وكيف لا والمرأة تعرف ما لشعرها من قيمة في نظر الرجل ، فيه تغنى الشعراء ، وبحسنه ونعومته وانسداله ولونه تغزل المتغزلون .

في الماضي كـانت المـرأة تستعمـل دهن الجمـل ومساحيق الأعشاب السحـرية « الحنـاء » ، واليوم صارت تستعمل أحدث ما توصل اليه العلم ، وسواء في هذا العصر أو ذاك ، كانت غاية حواء واحدة لا تتبدل : الحصول على شعر سـاحر جميـل . . الأمر الـذي أفسح في المـاضي مجالا واسعـا للمشعـوذين والـدجالين كي يتفننوا في وصفـاتهم « السحريـة » الكاذبة ، كما أتاح في الحاضر مجالا للعلماء كي يجعلوا هذه المنحة الالهية الرائعة محطا لدراساتهم ، وموضعا لأبحاثهم وتحليلاتهم من أجـل التوصـل الى احدى الطرق المؤدية الى حفظ وسلامة الشعـر ، واعطائـه الرواء والبهاء الى أبعد حد ممكن .

مولد الشَّعر

يبدأ ظهور الشعر في رأس الجنين منذ الشهر الرابع من الحمل ويتزايد تدريجيا مع تقدم العمر حتى يصل عدد البصيلات الشعرية في المرأة الى خمسة مـلايين شعرة ، منها حوالى مليون شعرة بالرأس ، ثم يبدأ عدد البصيلات الشعرية فى النقصان التدريجي مـع التقدم أكثر في العمر .

وتمـر البصيلة الشعـريـة بفتـرات من النشـاط والخمول ، وفي فترة النشاط تنمو الشعرة حتى تصل الى طول معين ثم تبقى بدون نمو لفترة معينة وتسقط بعـدها لتبـدأ البصيلة في تكوين شعـرة أخـرى من جديد .

والشعرة الدقيقة التي تكاد لا ترى بالعين المجردة ، تعتبر في نظر العلم ، عضوا كاملا يعيش مع بـاقي أعضاء الجسم في نوع من الانسجام يجعله شبه مجتمع مستقل يعيش بجوار مجتمعات أخرى ، أو أشبه بكتل الدبق التي تنمو على شجرة السنديان .

والشعر كأي عضو آخر من أعضاء الجسم ، نجد له « أجهزة ماصة » مفرزة وماصة وعصبية ووعائية ، فهـو يأخـذ غذاءه ويمتصـه ويحولـه ثم يلفظ البقايـا والنفايات في مجار داخلية .

سقوط الشعر

ان سقوط الشعر الذي انتهت فترة حياته يؤدي الى فزع البعض مع أنه ظاهرة طبيعية فسيولوجية،وتحدث في حدود ٢٥ الى ١٠٠ شعرة يوميا .

وفي بعض الحـالات المرضيـة مثـل الأنيميـا والأمراض المزمنة وأثناء وبعد الحمل عند النساء وفى حالات الحميات والازمات النفسية والعاطفية وعند تعاطى بعض العقاقير السامة تقل التغـذية الخـاصة بالبصيلة ، كما تؤثر عليها عوارض المرض مما يؤدى الى قصر فترة نمو الشعر وسرعة تساقطه ، وفي هـذه الحالات يعود الشعر الى حالتـه الطبيعيـة بعد زوال السبب .

ويطول شعر الرأس بحوالي ملليمتر واحد كـل

ثلاثة أيام ، ويتأثر هذا النمو بالهرمونات ، فمثلا زيادة هرمون الغدة الدرقية تؤدي الى زيادة طول الشعر بينما زيادة هرمون الأنوثة الاستروجين « Estrogen» تؤدي الى خفض الطول .

وزيادة نمو الشعر قد تكون زيادة عامة في الأماكن التي ينمو فيها الشعر عادة أو تكون في الأماكن التي لا يظهر فيها الشعر عادة في المرأة مثل الذقن والصدر . . وهذه الزيادة قد تصاحب بعض الأمراض الجلدية أو اضطرابات الهرمونات وخصوصا الغدة الكظرية « فوق الكلية » والغدة الدرقية والمبيض . كذلك قد تنتج زيادة نمو الشعر نتيجة تناول بعض الأدوية مثل أدوية الصرع . وكذا عقار « الكورتيزون » ومشتقاته ، وهرمونات الذكورة ، كما أنها تصاحب أورام الغدة فوق الكلية والمبيض .

وفي هذه الحالات يجب العرض على الطبيب الاخصائي لمعرفة السبب وعلاجه .

تلوين الشعر

بعض السيدات يقبلن على تغيير لون شعرهن تبعا للموضة ولكن هذا التغيير لا يخلو من الخطورة خصوصا في أيدي بعض مصففي الشعر و «الكوافيرات» الذين يحترفون فن التجميل بالممارسة وليس بالدراسة . حيث أن بعض الصبغات المستعملة تؤدي الى التهاب جلدي موضعي بفروة الرأس والوجه والرقبة . وقد لا تفطن السيدة أو « الكوافير » الى أن الصبغة هي سبب حدوث الالتهابات رغم تكرارها كلما استعملت الصبغة .

لذلك يجب على أي سيدة تصاب بأي التهاب بفروة الرأس أو الوجه أو الرقبة أن تتوقف عن استعمال أي صبغات أو مستحضرات للتجميل تستعملها لشعرها وأن تعرض نفسها فورا على الطبيب الاخصائي .

والأصباغ التي تستعمل في تلوين الشعر اما أن تكون أصباغا « وقتية » أو « دائمة » أو « نصف دائمة » و « الأصباغ الوقتية » تحيط الشعر بغلاف رقيق من الصبغة مكسبة اياه اللون المطلوب ، وهذه يمكن ازالتها باستعمال « الشامبو » أو الصابون . ومن أمثلتها الـ « أسبراي » بأنواعه .

« والأصباغ نصف الدائمة » تحيط الشعرة بجزئيات صغيرة يمكنها اختراق الطبقة الخارجية للجلد « الكيراتين » والدخول في الشعرة فتكسبها اللون المطلوب ، مثل الحناء وبعض الأصباغ الموجودة على هيئة كريمات ، ويمكن غسل الشعر مع وجود هذه الصبغة من ٦ الى ١٠ مرات قبل أن يستعيد الشعر لونه الطبيعي .

أما « الصبغات الدائمة » فهي تعتمد على اختراق جسم الشعرة بعد معالجته معالجة خاصة بواسطة بعض المواد المؤكسدة لتصبح احد مكونات الشعرة مكسبة اياها لونا أقرب ما يكون الى الطبيعي مما يؤدي الى كثرة استعمالها . وفي كثير من الحالات تؤدي الى حساسية جلدية مصحوبة بالتهابات شديدة .

كما أن ازالتها تتم بصعوبة . فإذا حدث وغيرت السيدة رأيها أو لم يعجبها لون الشعر وأرادت استبداله بلون آخر ـ كما يحدث مع كثير من السيدات ـ يلجأ الكوافير الى استعمال مواد قوية لازالة اللون وهذه المواد قد تدمر الشعر نفسه وتؤدي الى فقد كمية كبيرة منه في معظم الحالات .

الشعر يتغذى عن طريق الفم

ان الشعر الحي النابت في رؤوسنا ، يأخذ من أجسامنا قسما من حاجته ، ويحصل على باقي حاجاته بوسائله الخاصة ، وهذا يعني أن كل وسيلة تهدف الى تحسين الشعر وتقويته يجب أن تتم بواسطة الطريق الموضعي .

بالاضافة الى طرق تحسين الصحة العامة . وبعبارة أخرى لا بد من الاستعانة بالعلاجات الموضعية الخاصة بالشعر ، والملائمة لطبيعة صاحبته وحالتها الصحية .

ولقد أثبت العلم أن الشعر ينمو بمقدار اثني عشر ملليمترا كل شهر تقريبا . وان سرعة نموه تتوقف على الجو ، وهو في الصيف أسرع منه في الشتاء ، والشعرة الساقطة هي شعرة ميتة قبل ثلاثة أشهر . واذا كانت





الصورة العليا : قطاع مستعرض للشعرة يوضح قلة المواد الغذائية مما يضعف الشعرة ويساعد على سقوطها والصورة السفلى قطاع مستعرض لشعرة يوضح أنها أخذت حاجتها من الغذاء الكامل حيث أن الشعر يتغذى عن طريق الفم .

الحالة الصحية جيدة فيمكن استعادة هذه الشعرات في اليوم نفسه الذي ماتت فيه .

وقد تأكد لدى الاخصائيين أن صحة الشعر تتطلب تناول أغذية معينة كالخضروات الغضة والجذور ذات القيمة الغذائية والأسماك والمنتجات البحرية بصورة عامة .

ولا بد للسيدة اذا أرادت الحصول على شعر جميل ، من أن تستهلك الكبريت « كبريت الحديد » ، والكلسيوم ، والفيتامينات أ ، ب ، ث ، د ، واليود ، وهذا يعني تناول : الفجل ، والجزر ، والبصل ، والملفوف الأخضر ، والسبانخ والعدس والحبوب على اختلاف أنواعها والسردين بالزيت والأسماك ، والبيض ، والتين الشوكي ، والثوم ، والكبدة ، وهذا ما عناه أحد أخصائي التجميل حين قال : « أن الشعر يتغذى عن طريق الفم » .

ان السبب الرئيسي في أن أنواعا من الشعر تكون سريعة التقصف والسقوط ، هو أن إفرازاتها غير كافية ، وهذا يفسر حالة الشعر « المنقوش » الذي نراه لدى بعض الناس ، وتتوقف صلابة الشعر وليونته على كمية الافرازات التي يتلقاها ، فكلما زادت هذه الافرازات غدا الشعر لينا ناعما ، وكلما تناقصت اتجه الشعر الى الصلابة والجفاف وقابلية التقصف ، ويدعى الشعر الناعم اللين بالشعر الدهني . أما الشعر الصلب المنقوش فيدعى بالشعر « الجاف » . ولا بد للمرأة أن تعرف نوع شعرها كي تعرف بالتالي طريقة العناية به ، لأن لكل نوع من الأنواع طريقة خاصة تختلف الى حد بعيد ، عن طريقة العناية بالأنواع الأخرى .

ولا حاجة الى استشارة الأخصائي أو الطبيب لمعرفة نوع الشعر ويمكن معرفة ذلك من خلال الاجابة على هذه الأسئلة . .

هل شعرك قاتم أم متقصف ؟
هل جلد شعرك صلب أم مرن ؟
هل يتطاير شعرك في مهب الريح ؟

اذا كان شعرك - يا سيدتي - جافا فانك تعثرين دائما على قشرة خفيفة تتناثر على ثيابك ، أما اذا كان دهنيا فتظهر عليه في أغلب الأحيان كتل بيضاء تتمركز حول جذوره ومنابته ، أي أن القشرة لا تسقط بل تلتصق بالجذور .

العناية بالشعر

والحديث هنا لك ياسيدتي . . . فلكل نوع من أنواع الشعر طريقة خاصة للعناية به ، فهناك الشعر « العادي » وهو الشعر الوسط بين أن يكون جلده دهنيا أو جافا ، وهذا النوع يظهر مدى عناية صاحبته

به ، لأن قلة العناية سرعان ما تنعكس عليه بشكل غبار متراكم ، وافرازات دهنية ظاهرة وخلايا منفصلة عن الجلد .

وأول خطوات العناية بالشعر العادي هي التمشيط ، ولكن للتمشيط قواعده وأصوله فكيف تمشطين شعرك ؟

التمشيط يجب أن يتم صباحا ومساء على السواء ، ويكون باستعمال فرشاة مصنوعة من النايلون القاسي أو الشعر الطبيعي لبعض الحيوانات ، وهذه الاخيرة أنعم وألطف ولا تؤذي ساق الشعرة أو تتسبب في كسرها أو تقصفها كفرشاة النايلون . أما فرشاة الشعر الاخرى فانها لا تؤذي الجلد ولا تسبب الحساسية ، ولا تؤدي الى وجود القشرة الرأسية .

ويجب أن يتم التمشيط في جميع الاتجاهات : الى أعلى والى أسفل .. والى اليمين والى اليسار .. ويحسن أن تنظفي الفرشاة بين الحين والآخر أثناء التمشيط بقطعة قماش خشنة لتخليصها من الغبار الذي قد يتساقط ثانية على الشعر .

ويجب أن يتم التمشيط بنشاط الى درجة تبعث الحيوية والحرارة في فروة الرأس . وعليك أن تغسلي أمشاطك وفراشيك مرة في الاسبوع على الاقل بماء مضاف اليه قليل من الامونياك وهو متوفر في الصيدليات .

أما اذا كان شعرك دهنيا ، فعليك الاكثار من غسله (بمعدل مرة أو مرتين أسبوعيا) ، ويمكنك استعمال « شامبو » بالصابون غير أن الصابون الكبريتي يعتبر أفضل ، وبخاصة اذا كان حضيا ، واحذري من أن ترتكبي الخطأ الذي ترتكبه الكثيرات وهو غسل الشعر بالكحول أو الكولونيا لأن هذه الطريقة تزيل الدهن الظاهر ، ولكنها تنشط الافرازات الدهنية في الوقت نفسه فتزيد الطين بلة .

كما أن الاسيتون وسائر المحاليل سريعة التبخر ضارة بالشعر أيضا ، وتستطيعين أن تجدي في الاسواق مستحضرات عديدة قوامها الأحماض الدهنية الكبريتية (المسلفرة) التي تقاوم افراز الدهن بصورة جيدة ، ومنها بعض أنواع « الشامبو » كما أن ذوات الشعر الدهني اللواتي يشكين تساقطه يفيدهن استعمال لوسيون ، قوامه زيت الخروع .

اذا كان شعرك جافا فاغسليه مرة كل ثمانية أيام أو كل أسبوعين بالشامبو الخالي من الصابون أو بصابون يحتوي على زيت « الكاد » أو القطران . ويفيدك الشامبو بالبيض مرة كل أسبوع (بوسعك أن تعدي أنت هذا الشامبو بأن يخفق صفار بيضة أو أكثر مع قليل من الكولونيا أو زيت الزيتون ويدلك به الشعر !

بقي أن تعلمي يا سيدتي أنه اذا دعت الحاجة الى تطبيق طريقة مجففة لجلدة الشعر ، كالتصفيف الدائم « برماننت » بالبارد والساخن أو التجفيف الكهربائي « السشوار » أو ازالة اللون فيجب الاحتياط للتتائج بغسل الشعر بزيت اللوز الحلو .

وبقيت .. كلمة

للعناية اليومية بالشعر ننصحك يا سيدتي باتباع الآتي :

- الغذاء الجيد الكامل المحتوى على البروتينات والفيتامينات والمعادن والرياضة في الهواء الطلق يقويان الجسم وينشطان الدورة الدموية .
- لا تبللي شعرك قبل تسريحه ويكفي تبليل المشط .
- يحسن تدليك فروة الرأس بفرشاة خشنة لتنشيط الدورة الدموية بها .
- فروة الرأس تفرز مواد زيتية خاصة ولنعومة شعرك يجب تعويضها باستعمال زيت الزيتون أو الخروع .
- اغسلي شعرك مرة كل أسبوع في الصيف وكل أسبوعين في الشتاء لأن كثرة غسل الشعر تزيل المواد الدهنية فيصبح جافا ويسقط ، واحرصي على استعمال الماء الدافىء والصابون .
- يراعى عدم شد الشعر كثيرا لأن هذا يؤذي جذوره ويساعد على سرعة تساقطه .

واذا كان شعرك ـ بعد هذا ـ ضعيفا ويحتاج الى تقوية فيحسن أن تستشيري الطبيب في هذا الشأن □



حركاتك العصبيّة لها سبب ..!

« في حياتنا اليومية كثيراً ما نلتقي بأشخاص تميزهم حركات عصبية تسبب لهم كثيراً من الحرج ، وتنقل لنا عدوى التوتر .. هل حاولت أن تسأل نفسك : لماذا هذه الحركات ؟ هذا ما نحاول أن نقدم له تفسيراً » .

يختلف شكل الحركات العصبية ، كقضم الأظافر والعبث بالشارب الى هز الأرجل .. الخ والتي تسبب لصاحبها حرجاً بسبب الحركة اللاارادية التي يؤديها ، ونشأت معه منذ الصغر .

وهذه الحركات لها مسبب قوي بحيث نلحظ أنها نشأت ، وظلت مع الانسان حتى حين يكبر ، ولكن الحركات العصابية أو النفسية ليس لها مسبب واحد معين ، بل هي مجموعة عوامل متعددة تتضافر في احداثها ، ومن أهم هذه العوامل . الوراثة بالدرجة الأولى .

وطريقة التربية أيضاً لها أثر على الطفل في تكوين تلك الحركات .

والبيت أو الجو الأسري حين تكثر به المشاحنات أو القسوة غير المرتبطة بالحب والعطف غالباً ما يتعرض أطفاله للاصابة بالأمراض العصبية . فللحرمان العاطفي أثر يفوق العقاب البدني . كذلك فان انعدام المرونة عند الوالدين يسبب فشل الطفل في الملاءمة مع البيئة المحيطة به ، وعدم القدرة على مواجهة الضغوطات الحياتية .

الا أن غالبية هذه الحركات تبدأ عند الانسان في مرحلة الطفولة .

وحين يصل الانسان لمرحلة المراهقة ، فإما أن تختفي هذه الحركات تدريجياً وأما أن تستمر . وفي حالة الاستمرار ، فانها غالباً ما تزيد حدتها وتصبح عادة يصعب التخلص منها ، خاصة اذا اجتمع العاملان : الوراثي والاجتماعي (سوء التربية) .

وحيث أن الوقاية خير من العلاج ، فكلما قلت حدة التوتر كانت الاصابة بهذه الحركات أقل .

طرق العلاج :

هناك طريقتان مختلفتان للعلاج :

١ ـ العلاج السلوكي : وهو العلاج النفسي البحت ، على اعتبار أن كل شيء يعاني منه الانسان وهو كبير ، نشأ أساساً معه اثناء الطفولة ، وأول ما يتعلمه الانسان عبارة عن عادات مكتسبة ، ويلجأ هذا النوع من العلاج لجعل الانسان ينسى الأمور التي تعلمها .

٢ ـ العلاج العضوي : وهو أسلوب المنع المستمر ، وقد يزيد هذا العلاج التوتر والعصبية عند الطفل ، ولكن مع مرور الوقت سيعتاد الطفل طريقة المنع ، ويبدأ هو نفسه بالامتناع عما قد يكون مرضاً في المستقبل .

كذلك يمكن اللجوء لبعض الأدوية المهدئة والمضادة للقلق ، والتي يلجأ لها في الحالات النادرة ولمدة قصيرة . □

ريم الكيلاني

زوجي .. القريبُ البعيـد!

أصوات المذيعين والمذيعات من محطات الاذاعة المختلفة صدعت رأسي ... هنا اذاعة مونت كارلو ، اليكم موجز الأنباء ، صوت العرب يحييكم .. الخ .. تناولت الوسادة التي بجانبي ، لأصعها فوق رأسي . ورغم هذا اخترقتها ذبذبات وتموجات الاذاعات المختلفة ، فتحت عيني المثقلتين بالنعاس ، فاصطدمت بأرقام الساعة التي بجانبي ، السادسة صباحا ... يا الهي لماذا يحب زوجي الاستيقاظ باكرا ، ولم لا يستيقظ بهدوء ، متجنبا هذا الضجيج ، ويقلع قليلا عن استخدام المذياع .. ذلك الجهاز الذي أصبحت أكرهه وأتمنى أن احطمه .

لقد سألته أكثر من مرة : الا يكفيك سماع اذاعة واحدة ؟ فالأخبار كلها متشابهة ، أجاب : ان اهتمامي بالسياسة لايضاهيه اهتمام ، ويجب أن أسمع اذاعات العالم كلها ، فبعضها يبث أخبارا ملفقة ، والبعض الآخر يبث معلومات مهمة ، الا تعرفين بأنه ما بين مساء وصباح يمكن أن تتغير أشياء كثيرة فوق خريطة العالم ، أو يحدث حدث عالمي ، وأنا لا أريد أن يفوتني مثل هذا الخبر .

ولكن يا عزيزي ما الذي تستطيع أن تفعله بمجرد سماعك لمثل هذه الأخبار ؟

أعرف وأتابع ، الا يكفي هذا ...؟!

ولكن لاتستطيع أن تسمعها في وقت لا أكون فيه سابحة في عالم الأحلام ، غارقة في النوم ؟

النوم ، النوم ، الا تكفين عن هذه العادة القبيحة ..

لقد قلت لجارتي الحزينة ، بعد اقتران زوجها بامرأة أخرى ...

لاتحزني ياعزيزتي ، فأنا أيضا لي (ضرة) !!

متى وكيف ؟!

ان ضرتي ليست آدمية ، بل هي عبارة عن جهاز صغير ، يشحن بالبطاريات ، ومجموعة جرائد ومجلات .

آه لقد عرفت ، انه مذياع زوجك ، آسفة ـ وبصراحة ـ لقد لعنته أكثر من مرة ، وخاصة عندما يبدأ في ساعات الصباح الأولى ، ورثيت حالك ، كان الله في عونك ، انه يقلقني وأنا في بيت مجاور .

ليس المذياع فقط ، ولكن هناك هذه المفارش الورقية ، التي يسميها الناس جرائد . تصوري أنه عند الغداء يحجب وجهه بها ، وأحاول أن أفهمه بأن « الشوربة » قد بردت ، كي يؤجل قراءة الجريدة الى مابعد الطعام ... ولكنه يتأسف كعادته طالبا مني أن أغمس لساني الطويل ، في صحن « الشوربة » وأكف من مناقرته ، وافساد مزاجه ...

وفي المساء يحتضن واحدا من كتبه ويغرق فيه ، راحلا معه الى عوالم لا يسمح لي بالدخول اليها ، فأشعر بالغليان ، وبأن أعصابي وشيئا ما في داخلي يرفض هذا الوضع المشوه ، فتمتد يدي لأختطف الكتاب ، وألقيه ببرود جانبا ، وأنا أقول :

يا عزيزي أنت لم تخلق للزواج ، كان الأحرى بك ، بدلا من أن تبحث عن امرأة تقاسمك حياتك ، أن تتجه لأقرب مكتبة عامة ، حيث تجرى مراسيم زواجك السياسي ، على مجموعة من الأوراق والكتب والصحف اليومية ... وأن تتفق مع شركة الكترونيات كي يصنعوا لك زوجة تلتقط ، جميع اذاعات العالم !!

تقى

أعطني حريتي .. يا زوجتي !

حتى لو هبطت ونامت تحت الفراش ، فلن أبالي ، فقد صار عاديا ما تفعله كل صباح ، يبدأ بهزة رأس ، وكلمة (أف) تنطلق من فمها ، في ذات اللحظة التي تتقلب فيها وتدير رأسها جهة الحائط ، وتضع الوسادة فوق رأسها ، حركات متلازمة متعاقبة صرت أحفظها عن ظهر قلب . فكرت كثيرا أن أنقل فراشي خارج الغرفة ، ولكنها لن تفهم هذا الأمر على وجهه الصحيح ، وسأعرض نفسي لاتهامات لاتنتهي ، تبدأ بالجحود وتنتهي بالشك ، ثم حالة البيت لاتسمح بأن نفرغ غرفة كي أنام بها مستقلا ! الاستقلال ... ذلك الحلم الرائع الجميل ، لماذا لم يطالب الثوار باستقلال الرجال ضمن استقلال الأوطان ؟ ولكن لأننا في زمن الأحلام الضائعة ، فان حلمي هذا يبدو أنه لن يتحقق .

●●●

كنا في زمن مضى يحلو لنا أن نتنقل مع مؤشر المذياع من محطة الى محطة ، ونلهث خلف الخبر من موجة الى موجة ، ونسمع هنا قطعة موسيقا ، وهنا عملا مسرحيا ، وهناك عرضا لفيلم عالمي أو عرضا لكتاب جديد . وكنا نقف طويلا أمام خبر في جريدة أو مقال ، ونتبادل الجرائد لنقرأ تحليلين مختلفين لخبر واحد وحدث واحد .

في زمن مضى كان الحوار متعة ، والاهتمام بالعالم كله يروي شجرة الحب ... ويمنح زهورها عبقا ورائحة .. كنا نسبح في البهجة ، وهم يحكون عن عقار جديد مستخرج من المادة الحية في الخلية الانسانية لعلاج السرطان ، أوعن خبر يقول ان هناك أملا لضعاف البصر بأن يعود اليهم نظرهم بجراحة بسيطة ...

كان كل هذا يمنحنا احساسا بالغبطة والتفاؤ ل أن أيام أبنائنا ستكون أجمل ... كان هذا في زمن مضى .. أما الآن فصار الحديث بيننا عن البقال الذي غالطها في الحساب ، وتاجر الخضروات الذي خدعها وأعطاها ثمارا معطوبة ، وعن زميلتها في العمل التي تأتي كل يوم بفستان جديد ، وعن العلاقة القادمة التي تخطط لاستخدامها في زيادة المدخرات ، لشراء قطعة سجاد حريرية تعلقها على الحائط ، وعن الابن الذي لايذاكر الخ الخ

في زماننا هذا ـ بعد خمسة عشر عاما فقط ـ صارت أهم وظائف الصحف هي أن تفرش تحت الطعام ، والمذياع أصبح صداعا ولا داعي له ... وأصبح على أن أواجه أحد الأمرين : اما أن أشاركها حديثها أو الزم الصمت .. وكلاهما مر ، فلا أسلم من الاتهامات ومن صفات الدم الثقيل ، وانني تغيرت ، وانني لا ينطلق لساني بالحديث الا اذا كان في زيارتنا ضيوف .. وعبثا أحاول ان أقول أن حياتي الخاصه واهتماماتي ... ولكنني لا أكمل هذه الجملة حتى تصرخ في وجهي بأن حياتي الخاصة لم تعد خاصة منذ أن تزوجت ووقعت عقد الملكية .. ملكيتي أنا وتحويلي الى مملوك ... ومن هنا فلا مفر من أن يظل حلمي قائما .. ان حركات التحرير وهي تناضل من أجل تراب الوطن عليها أن تناضل من أجل استقلال الأزواج ، وحتى نصل الى هذا فانه لايبقى لدي الا أن أكاتب جمعية العفو الدولية ولجان حقوق الانسان !

الأم لها دورها في بناء شخصية طفلها

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

(كيفما تربي طفلك وتعامليه ، تكن شخصيته .
فقديما قالوا : الآباء يزرعون ، والابناء يحصدون .
ولكن مع تطور علم النفس ودراسات نمو الشخصية ، أصبح المثل أصدق ما يكون لو قلنا : ان الامهات هن اللواتي يزرعن . . فانظري سيدتي ماذا تزرعين !)

نخطىء كثيرا في فهم المشاكل النفسية التي تصيب أطفالنا ، ونرجعها لاسباب بعيدة عن حقيقتها ، فهل تصدق أم - أي أم - أنها السبب - بطريقة تربيتها - لحالات فقد الشخصية عند الطفل ، واضطرابات النوم والتبول الليلي في الفراش ، ومص الابهام والاصابع ، وحدة الطبع والعناد والمشاكسة ؟ بالطبع لا . والسبب ببساطة أن بعض الامهات يعتقدن أن الطفل كائن صغير ، ضعيف ، عاجز ، ليس له ما للرجل الكبير من كيان ، وشخصية ، وارادة ، فتفرض ارادتها عليه ، وتحاول أن تسيره حسب رغبتها وهواها

ان اعتقاد الامهات بأن الطفل كائن ضعيف ولا شخصية له هو اعتقاد خاطىء بالطبع ، وهو السبب في كل ما ينتج مستقبلا من سوء العلاقة بين الام والطفل ، مما يؤدي في اصابة الطفل ببعض المشاكل النفسية ، وما يتبعها من مشاكل التطور ونمو الطفل له (شخصية) مميزة ، لها غرائزها وميولها ، واحساساتها ، ومتطلباتها ، وارادتها ، وان الطفل يحب ، كما يحق له في بعض ما يطلب ، أو يرغب فيه وأنه (لا يحب) أن ينال كل ما يريد ، فالحل الأمثل هو الموقف المتوازن بين تلبيته والمنع ،

ويجب أن يكون المنع مبررا ، وله أسبابه ودوافعه التي تجتهد الام في التصرف حسب الوضع المناسب لأن المنع الكامل سوف يخلق في النهاية نوعا من تحطم الارادة لدى الطفل في محاولته لتحقيق ما يريد ، وتصرف الام بالمنع قد يصيب الطفل بشتى أنواع المشاكل النفسية التي تؤدي الى ظهور أعراضها المتعددة المعروفة ، من فيام (مشكلة) فقد الشخصية عند الطفل ، واضطرابات النوم ، والتبول الليلي في الفراش ، ومص الابهام والاصابع ، وحدة الطبع ، والعناد والمشاكسة ، وحب ايذاء الأطفال الاخرين وقد يتعدى الامر - كذلك - الى ما هو أبعد من هذا فيصاب الطفل بعجز النمو ، فيتسب الطفل هزيل الجسم ، ضعيف البنيان .

متى تنشأ العلاقة بين الام والطفل ؟

تنشأ العلاقة بين الام وطفلها - أول ما تنشأ - بعد ولادة الطفل مباشرة ! فالوليد في شهره الاول ، وحتى في أيامه الاولى ، يشعر غريزيا بمكانه عند أمه ، وقربه منها ، او بعده عنها فهو يشعر بالوحدة ،

والوحشة ، اذا ما أبعد مهده عن سرير أمه النفساء . كما أنه (يعرف) ويميز من تعتني به وترضعه ، وفيما اذا كانت أمه أم غيرها من المعنيات كالممرضة ، أو المربية ، مثلا . فيقبل على الغذاء من أمه بغبطة أكبر ، وراحة أتم . مما يتسبب عنه اتمام عملية الرضاعة بكفاءة تامة .

أما الطفل فى أشهره الاولى فان البيئة ، والمحيط اللذين يعيش فيهما يؤثران على نموه وتطوره تأثيراً كبيرا ، ولا سيما : وقت الجلوس ، والمشى ، وتطور الكلام ، ونحو ذلك من عوامل التطور . ذلك أن التطور يعتمد ، بالدرجة الاولى ، على نضج الجهاز العصبي عند الطفل . وقد يتأخر ذلك التطور بسبب الحرمان العاطفى للطفل ، فيتأخر الطفل في جلوسه ، ومشيه ، وتعلمه النطق والكلام ، وغير ذلك . فقد لوحظ : أن الاطفال الذين يربون فى المعاهد ، والمؤسسات ، وينشأون فيها ، بعيدين عن أمهاتهم ، يتأخر وقت جلوسهم عن موعده السوي ، وكذلك الوقوف ، والمشى ، فانهما يتأخران عن وقتهما الطبيعى كذلك . وقد يصيب ذلك التأخر : الذكاء ، والنمو الجسمى ، والسلوك الاجتماعي ، فتصاب كلها ببعض التأخير . وقد يكون لقلة العناية ، وقلة الوقت المخصص منها لكل طفل ، أثر فى ذلك التأخير أيضا .

سلوك الام ونمو الطفل :

وما يحدث فى هذه المعاهد ، والمؤسسات ، قد يحدث مثله فى البيت أيضا . ذلك أن بعض الامهات لا تعطى طفلها حقه من العناية والرعاية ، وتترك أمر العناية به الى المربيات والخدم . فيحرم الطفل من نعمة عناية أمه به ، وعدم حصوله على الرعاية والتدريب ، ومساعدته على الجلوس ، والمشى ، والكلام ، وغيرها . كذلك فان الطفل الذى لا ينال قسطا من التدريب على ارتداء ملابسه مثلا ، أو تناول طعامه بنفسه ، أو استعمال المرحاض عند احساسه بالحاجة لذلك ، فانه سوف ينشأ متأخرا عن اتيان هذه الامور وأمثالها عن بقية أقرانه .

وقد تذهب بعض الامهات الى ما هو أبعد من ذلك ، فتعمد الى اهمال طفلها وحرمانه من العطف ، والرعاية ، والحنان . بل وقد تقسو عليه ، وتعاقبه لاتفه الاسباب ، وهذا ما يؤدي الى تأخره عن بقية أقرانه في تطوره النفسي والسلوكي ، كذلك فان بعض الامهات يقضين معظم أوقاتهن خارج البيت ، في العمل أو غيره ، فيهملن أطفالهن ، ويحرمنهم من الحنان الذى هم في أشد الحاجة اليه ، وما يؤدي ذلك من نتائج سيئة في المستقبل .

كذلك فان سوء تصرف الام ، أو الوالدين معا ، في معاملة الطفل عند أول عهده بتعلم الكلام قد يسبب امتناع الطفل عن النطق ، أو التقليل منه . ذلك أن بعض الامهات يستخففن بأطفالهن فينتقدن طريقة النطق ، وطريقة الكلام عندهم . فيسخرن من كلامهم ، ويهزأن من طريقة نطق اللفظ ، فيصاب الاطفال بالخيبة التى تفقدهم حسن النطق ، والاجادة في الكلام ، مدة من الزمن . وقد يتعدى الامر الى أكثر من هذا ، فيصاب الطفل ببعض عيوب الكلام كالتلعثم مثلا . فقد يتلكأ الطفل بنطق بعض الالفاظ التى يصعب عليه النطق بها . وقد يتعرض هذا الطفل الى سخرية أمه ، أو والديه معا ، أو بعض أفراد العائلة الآخرين ، فيضطرب ، ويفقد الثقة بنفسه ، فتتمكن منه حالة كالتلعثم ، وتتمادى فيه مع الوقت ، فتلازمه حتى الكبر .

يتضح مما تقدم : أهمية عناية الام بطفلها ، بنفسها ، وتدريبه ، ومساعدته على الجلوس ، والمشى ، والكلام ، فى سن مبكرة ، وتأثير ذلك على تطوره ونموه . كذلك البيئة الصالحة ، والمحيط الطيب ، وشعور الطفل بمحبة أمه ، وحنانها ، واحساسه بالاطمئنان بقربها ، وفى رعايتها . فان ذلك كله مما يحفز فيه القدرة على القيام بما يدرب عليه بدرجة فائقة في الاتقان والمهارة . فينشأ الطفل بجسم سليم ، ونفسية سليمة ، فيتجنب بذلك التعرض لكثير من مشاكل السلوك ، والعادات غير الحميدة التى قد تلازمه حتى الكبر . وبذلك تكون الام قد أعدت لطفلها سبل العيش الرغيد والحياة الآمنة والنشأة الصالحة . □

من الحياة

فن الحياة .. كيف نتعلمه ؟

كان يمشي مسرعا وكأنه على موعد هام لا يريد أن يتأخر عنه .. ولم يكن وحده في تلك الليلة من ليالي الشتاء الباردة ... كانت المدينة كلها ساهرة كما لوكانت تنتظر حدثا هاما .. حدثا سعيدا .. الشوارع مزدحمة بالناس والسيارات غارقة في الاضواء . المحال التجارية تمتلىء بالمشترين .. الموسيقا الهادئة أحيانا ، الصاخبة أحيانا تنبعث من كل مكان .. !

ولم يشعر بالتعب رغم ما كان يحمله فوق صدره من علب الهدايا التي رافقته في رحلته الطويلة من قلب المدينة الى بيته ، كان يحس بأنه يحمل أجمل ما في الدنيا كلها بين يديه ..

واقتربت رحلته من نهايتها وصل الى بيته وهو حيء بهم . كانوا جميعا هناك ينتظرونه أمام باب البيت الخارجي زوجته وأطفاله الثلاثة .

واختلطت الاصوات . ودوت الضحكات وسط جدران العش الصغير الذي يحتضن الأسرة السعيدة .

وانقضت لحظات التقى بعدها عقربا الساعة في عناق قصير .. لقد انتصف الليل ، وأعلنت دقات الساعة نهاية يوم وبداية يوم جديد .. ولكنه لم يكن مثل أي يوم آخر مضى وانقضى . كانت الساعة تعلن مع دقاتها مولد عام جديد ..

ومع الهدايا الصغيرة التي حملها الاب لأسرته .. ومع الأطباق الشهية التي أعدتها الأم لهذه الليلة التي تحتفل بها الاسرة في هدوء .. ومع الضحكات والابتسامات التي امتلأ بها البيت الصغير ، كانت هناك وجوه سعيدة تعكس ما كان يعتمل داخل الصدور من انفعالات بقيت تعيش معها على مدى اللحظات التي بدأت مع بداية شروق شمس العام الجديد ..

ترى هل تمضي الشمس في شروقها على عالم جديد يمتلىء بالحب والسلام لكل الناس ؟

يقول فروست : (نحن الذين نصنع الحب .. ونحن الذين نصنع السلام ، والحياة بدونهما لا تستحق الحياة !)

ويقول نورمان فنسنت بيل: أن التمتع بالحياة فن ، ولكي نعرف قيمة الحياة ، لا بد أن نتعلم هذا الفن ! اننا نعيش ونتحرك ونعمل ، ولكن كثيرين منا يخطئون متع الحياة .. !

القناعة والسعادة

هذه الاسرة الصغيرة التي اجتمعت لتحتفل في هدوء بقدوم العام الجديد لم تنس المعنى الجميل للحياة التي تعيشها .. كتب روبرت لويس ستيفنسون يقول : (حقيقة ان الزمن الذي نعيش فيه قد جعل كل واحد منا يشعر بأن التمتع بالحياة لم يعد أمرا سهلا ، فقد أصبحنا جيلا مشغولا بأشياء كثيرة لم تكن موجودة أيام آبائنا وأجدادنا !)

بين طفل وأبيه

قال الطفل لابيه يوما : « لقد رأيت القطار الجديد بالامس يا أبي . . سمعت صوت صفيره ، ثم هدير عجلاته وهي تدور فوق القضبان الحديدية . . في بادىء الأمر كان دورانها سريعا ، ثم ما لبث القطار أن أبطأ من سرعته وارتفع صوت صفارته ، وقمت من فراشي ، واتجهت الى النافذة لأرقب القطار وهو يستعد لدخول المحطة . . لم أكن أعلم أن القطار يتوقف عندنا . . انه قطار جميل يا أبي »

وابتسم الاب في هدوء وهو يربت على كتف ابنه الصغير الذي لم يتجاوز عامه السادس ، وقال : « ولكن القطار ليس جديدا يا بني ! »

أما الجديد فقد كان الطفل نفسه . . لقد نجح في الامتحان في أول عام يذهب فيه الى المدرسة ، وأهداه والده ساعة يد جميلة . . وغمرته سعادة جارفة وهو يرى الساعة حول معصمه ، ويسمع دقاتها تسابق دقات قلبه الصغير السعيد . . . ومع هذا الشعور الجديد بالسعادة بدأ يرى أشياء لم يكن يراها من قبل . . بدأ يحب الحياة وكل ما تحمله اليه من حوله . . ان كل شيء فيها يستوقفه الآن ويثير اهتمامه !

قالت الام تحدث ابنائها : لقد أعطتكم الدنيا أشياء كثيرة لم نكن نعرفها في أيامنا . . أنتم جيل جديد يعيش في عالم جديد لا يمت الى العالم القديم الذي عاشه آباؤكم بصلة . . إن كل شيء يتحرك بمجرد الضغط على زر صغير . . ولم يكن أجدادكم يعرفون الازرار ، ولكنهم كانوا أكثر سعادة !

السعادة . . ما هي ؟

ولكن ما هي السعادة . . كيف كانوا يجدونها منذ خمسين أو ستين سنة مضت ؟ يقول الشاعر وليام ووردزوورث الذي رحل منذ أكثر من مائة وثلاثين عاما (لقد أعطتنا الدنيا أكثر مما نحتاج اليه ونطمع فيه)

ولم يكن ووردزوورث يعيش في المدينة ، بل كان يسكن بيتا صغيرا يطل على بحيرة في ريف



ولكن هل تغيرت الدنيا نفسها ؟ انها هي هي لم تتغير . ومازالت مليئة بالاشياء الجميلة التي يمكن أن تستوقف كل شخص ، رجلا كان أو امرأة ، طفلا أو بالغا ، مادام يشعر في داخله بالقناعة ، ومادام صدره يمتلىء بالسعادة . .

والشعور بالسعادة ليس مشكلة ، فنحن كثيرا ما نكون سعداء لأي سبب ولأصغر سبب ، ولكننا نضل طريقنا في التعبير عن سعادتنا ، أو لأننا نبخل على غيرنا أن يشاركنا شعورنا بها . . وبالرغم من هذا فهي تبقى في داخلنا ، وقد تكشف تصرفاتنا ما نشعر به من سعادة أردنا أن نخفيها عن عيون الناس ، دون أن ندري !



انجلترا .. ومع هذا كان شاعر الانجليز سعيدا .. كان يجد السعادة التى تحدث عنها فى بعض قصائده فوق أغصان الشجر مع زقزقة العصافير ، وعند غروب الشمس ومع ابتسامة الفلاح وهو يحرث أرضه ويرويها بعد أن ينثر فيها الحَبَّ والحُبَّ !

ترى ماذا كان ووردزورث يقول اليوم لو أنه عاش ليرى بعضاً من صور الحياة العصرية الجديدة ؟ .. كيف كان سيحدثنا ويصف لنا شكل الحياة عندما تطالعه لافتة بعرض الشارع تقول : (هذه مدينة تعيش فوق أجنحة ، ويجرى كل شيء فيها على عجلات ؟)

والسعادة ليست شيئا نبحث عنه ونسعى الى تحقيقه ، ولكنها شيء يعيش فى داخلنا .. أقل شيء يحركه وأبسط لفتة تنعشه ..

رحلتنا مع الحياة

ولكى نشعر بالسعادة كما يقول نورمان فنسنت بيل ، فلا بد أن نعرف المزيد عن فن الحياة . وهو يحدثنا فى كتابه عن رحلتنا مع الحياة نفسها وموقفنا منها : « إن هناك شيئاً واحداً ثابتاً يحدد موقفك من اسلوب حياتك . كيف تعيش ، وبماذا تشعر عندما تصحو من نومك فى الصباح ؟ هل أنت رجل تعلمت كيف تنظم حياتك ؟ كيف تعمل ؟ وكيف تنعم بالحياة ، وبكل ما تحمله اليك من أشياء جميلة ؟ »

وهو يرى أن أول اختبار يبدأ فى الصباح ، عندما يترك المرء فراشه ويستعد للقاء يوم جديد حافل بالعمل .. وهو عند الرجل غيره عند المرأة .. والرجل يبقى « شاباً » اذا شعر أنه مازال ممتلئا بالحيوية والنشاط مع بداية النهار الجديد ، وهو شعور قد يحار هو نفسه فى تفسير أسبابه ، ولكنه اذا وجد نفسه وكأنه يريد أن يقول لكل من حوله : (هذا يوم عظيم .. هذا يوم أتوقع أن أجد فيه كل شيء جميلا !) .. اذا كان هذا هو احساسه مع بداية طلوع الشمس فى الصباح فهو مازال « شابا » ، وأهم من هذا ، فهو رجل سعيد يحب الحياة ..

شباب الرجل

أما المرأة ، فهى أكثر حماساً ، وأكثر استعدادا دائما ، لتقبل كل ما يحمله اليها اليوم الجديد ، وخاصة بعد أن تصبح أماً ، وسواء كانت زوجة عاملة ، أو (ست بيت) .. ومن أجل هذا تبدو الزوجة أصغر سنا وأكثر نشاطا وحيوية من زوجها ، وخاصة اذا كان هو قد بدأ يفقد « شبابه » أو بمعنى أصح حماسه ، فليس للسن هنا علاقة بهذا الشعور من قريب أو من بعيد .. وهو يستطيع أن يقيس عمره اذا وجد نفسه يقترب من الشعور الذى ينتاب الكثيرين منا فى وقت أو فى آخر ولاسباب نفسية ، فلا يكاد يترك فراشه فى الصباح حتى يجد نفسه يحدث نفسه : (يوم آخر جديد لا يختلف عن أى يوم مضى !) وربما ارتفع صوته متعمدا أن ينقل مشاعره الى هؤلاء الذين يشاركونه حياته ... زوجته وأطفاله ... وربما والديه واخوته اذا لم يكن قد تزوج بعد !

و« الشاب » الذى تحدث عنه الكاتب هو الذى يحب الحياة .. وهو أعظم حب ، لأنه اذا أحب الحياة ، أحب كل من يعيشها معه .. واذا افتقد المرء هذا الحب ، افتقد معه كل شيء ..

حب الحياة

كثيرون هم الذين يصنعون الثروات ، ويحققون الشهرة والمجد خلال مسيرتهم فى الحياة ، ولكنهم لا يجدون متعة حقيقية للحياة مع شيء من هذا كله . . إن حب الحياة وحده واستمرار هذا الحب هو المتعة كلها . .

ولكن هذا الشعور كثيرا ما يهرب منا . . العمل الذى كنا نحبه ونقبل عليه ، لا يلبث أن يتحول الى روتين ممل لاننا بدأنا نفقد اهتمامنا به ، الزواج الذى بدأ سعيدا تحول الى مجرد صداقة بين رجل وامرأة ، لا تخلو من الخصام والمشاكل وقد لا تستمر اذا لم يثمر الزواج . . وحتى اذا أثمر وجاء الأطفال ، فقد تصطدم سفينة الزواج بالصخور لأتفه سبب ، وتغرق الأسرة كلها . . الأمال والاحلام التى كانت تحركنا وتدفعنا الى العمل والمثابرة ، لا تلبث أن تتبدد وتصبح شيئاً بلا روح . . لقد فقدنا المتعة التى يجدها الناس فى الحياة ، هربت منا وأصبحنا نعيش أياما خاوية بلا هدف ولا معنى !

ماذا نفعل اذا وقعنا اسرى لهذا المأزق ؟

البعض منا قد يلجأ الى اقتناء المزيد من المال ، والسعى الى مزيد من الشهرة والجاه ، ولكنهم لا يلبثون أن يكتشفوا أن لا شيء من هذا قد عوضهم أعظم ما افتقدوه فى الحياة . .

والبعض قد يعيش على الأمل . . الأمل فى أن يستعيد ما افتقده أو بعضاً منه . . وليس هناك انسان يعيش بلا هموم ، وبلا مشاكل . . ففى داخل كل منا شيء قد يكون مصدراً لألم مؤقت ، ولكنه لا يلبث أن يزول اذا أدرك أن العالم ملىء بالمعذبين . . هذا البعض هو الذى عرف كيف يحب الحياة ، وتعلم كيف يجيد فن الحياة . .

وعندما احتوى الفراش جسد روبرت لويس ستيفنسون سنوات طويلة ، وهو يشكو المرض والألم . . كان يبتسم لزائريه ويجلس معهم ، ويتحدث اليهم وينظم الشعر للاطفال الصغار . .

« الاطفال يغنون فى اليابان البعيدة . .
« والاطفال يغنون فى اسبانيا القريبة . .
« الأرغون وعازف الارغون تحت المطر . .

وتغنى الأطفال بالكلمات التى كتبها لهم ستيفنسون . . أما هو فقد تعلم كيف يغنى تحت المطر ، والألم يمزق جسده المريض . □

●

بين ابن وأبيه !

قال الابن لأبيه عندما وقف يرقبه وهو منكب على عمله طوال ساعات النهار والليل : « أبي غدا . . سوف تشترق الشمس ويبدأ يوم جديد . . أرجوك أن تصحبني في نزهة بين الحدائق »

وقال الأب : « ولكني مشغول بعملي كما تعلم »

وقال الأبن الذي لم يتجاوز عامه السابع : « ولكن الا تشعر أنك أعطيت عملك أكثر مما يجب ، أنا لا أريد ان آخذك منه ، ولكنني فقط اريدك أن تخرج الى الدنيا لتأخذ منها أنت شيئا . . أي شيء . . هل تعلم أنها قريبة جدا منك ولكنك لاتشعر بوجودها . »

طبيب الأسرة

ماذا تفعلين لو أصيب ابنك بالغدة النكافية؟

ع عزيزتي الأم :
دورك لايقل أهمية عن دور الطبيب ! !

فقديما قالوا : ان العلاج من أى مرض لاينتهى بتشخيصه ووصف الدواء المناسب له ، وهذا القول ليس صحيحا للكبار فقط ، بل هو أمر أكثر اهمية وصحة للاطفال ، وهنا تتحدد المسئولية . . مسئولية الأم التى يبدأ دورها منذ ملاحظة الأعراض الاولى لتوعك الطفل ، ولاينتهى هذا الدور الا بعد انتهاء مرحلة النقاهة .

ويقينا فانه ليس هناك مرض أخطر من مرض ، أو عارض أكثر اهمية من عارض . فكل ما يصيب الطفل - بخاصة - شديد الخطورة مالم ننتبه له ونعالجه العلاج الصحيح ، ونرعاه كما ينبغى . ولعل من أكثر الأمراض التى توضح أهمية دور الأم هو « التهاب الغدة النكافية » كيف هذا . . لنسمع رأى الطب :

انتبهى لارتفاع درجة الحرارة

يعد التهاب الغدة النكافية من الامراض التى تصيب الجهاز التنفسى بنوع معين من الفيروسات ، ورغم أن المرض لايفرق بين الكبار والصغار ، إلا أن الاطفال أكثر تعرضا للاصابة به ، لان المرض ينتشر وينتقل من المصاب الى السليم عن طريق العطس او الاختلاط ، خاصة فى الأماكن المزدحمة . وتبدأ أعراض المرض بارتفاع شديد فى درجة الحرارة ، والتهاب الحلق مع صعوبة فى تحريك الفك ، وهنا يبدأ أول دور للام ،وللأسف فان كثيرا من الامهات يفسرن هذه الأعراض على أنها أعراض نزلة برد ، أو بعض المتاعب باللوزتين ، لاتلبث أن تنتهى ببعض المسكنات العادية ، وبعض مخفضات درجة الحرارة ، والام بذلك لاترى أنها تعطى جسم الطفل طاقة احتمال أكثر ، ويتأخر اكتشاف المرض مسببا بذلك احتمالات اكثر لمضاعفات خطيرة .

ولهذا ينصح الأطباء الامهات بألا يترددن فى الذهاب الى الطبيب مع أول ظاهرة يلحظنها ، والا يحاولن التعامل مع الطفل من واقع خبراتهن السابقة فقط ، وبعد الفحص الطبى ووصف العلاج يبدأ دور جديد للام .

فالطفل يجب أن يلزم الهدوء ، وان يعزل عن بقية افراد الاسرة خشية انتشار العدوى . وفى نفس الوقت فان أول من تحرص عليه الام خوفا من العدوى هى ذاتها ، بخاصة اذا كانت حاملا ، وهنا ينصح

الأطباء الام بأن تتخلى قليلا عن مشاعر الحنان تجاه طفلها المريض - هذه المشاعر - التى تعبر عنها باحتضان الطفل وتقبيله .

وهذا المرض اكثر ما يحتاج الى ذكائك - عزيزتى الام - فالطفل لايمكن تركه وحده فى غرفة مغلقة ، لأن الاطفال سريعو الملل شديدو الرغبة فى الحركة ، وهنا ينصح اخصائيو التربية الام أن تنقل الى الطفل ألعابه فى السرير ، وتنتهز هذه الفرصة - عدم قدرته النسبية على الحركة - للقيام بعمليات تلقين ضرورية ، تعلمه فيها بعض العادات وأنماط السلوك الصحية ، والتشديد على أن يصبح اكثر حرصا على النظافة الشخصية . وكلما قدمت له الأم هذه النصائح والتلقينات فى شكل قصصي - حتى لو ابتدعتها من خيالها - كان وقعها اكثر تأثيرا فى نفس الطفل .

ما بعد الشفاء

ولاينتهى دور الام بانتهاء الأعراض وشفاء الطفل ، بل يزداد أهمية خلال فترة النقاهة ، حيث تكون مناعة الطفل أقل ، وقدرته على المقاومة أضعف ، بعد فترة مرض بذلت فيها أجهزة المقاومة لديه جهدا كبيرا . وهنا يجب على الام أن تهتم بالطفل فى طعامه - رغم حالات عدم الشهية - والحرص على تنوع مصادر الغذاء ، وابتكار طرق تحبب الطفل بتناول وجباته . وفى نفس الوقت تبدأ معه مرحلة تحريك العضلات من خلال الحركة التدريجية البسيطة . □



ضرس العقل

ع أبلغ من العمر ٢٥ عاما ، ولم يظهر فى فمى ضرس العقل ، فهل هذا يدل على نقص ما أو يؤدى الى ضرر ؟ . . وما قيمة ضرس العقل ؟ . وهل له علاقة برجاحة العقل كما يزعمون ؟

س . ب
صنعاء

هو الرحى الثالثة أو السن الأخيرة فى مجموعة أسنان الفم الثابتة ، التى يبدأ ظهورها عوضا عن الأسنان اللبنية المؤقتة فى السنة السادسة من عمر الطفل .

ومن المألوف أن يأتى دور ضرس العقل فى البروز فيما بين سن ١٧ عاما و ٢٥ عاما ، ومن هنا اكتشف اسم ضرس العقل أو سن الحكمة (Wisdom Tooth) حيث يتوافق ظهوره ، مع نهاية مرحلة البلوغ وبداية سن الرشد .

غير أن ظهور ضرس العقل ليس ضرورة محتمة ، فهو لا يبرز الا فى ٣٥٪ من البشر تقريبا ، وعدم ظهوره قد يعود لعدم تكون برعم للضرس ، أو لعدم نمو برعم الضرس اذا ما تكون ، وأحيانا قد ينمو معوجا ، أو يسبب ازدحاما للأسنان فى الفك الصغير ، مما يؤدى الى ضغطه على الأسنان الأخرى وتشوهها .

فاذا لم يسبب ضرس العقل مشكلة مرضية لصاحبه . فان غيابه لا يترك أثرا ، ولا يسبب ضررا ، حيث قيل أن ضرس العقل يرتبط بتطور الفك البشرى ، حيث كان فك الانسان الاول كبيرا ، لهذا تنتظم فيه ٣٢ سنا ، بينما فك الانسان الحاضر أصغر حجما مما لا يتسع لهذا العدد من الاسنان ، وأصبح غياب ضرس العقل محتملا .

بريد الأسرة طبيب

اختبار الحمل

ع عندما توجهت الى طبيب النساء للفحص طلب عينة من البول للتأكد من حدوث الحمل ، فكيف للأطباء أن يعرفوا الحمل من خلال فحص بول المرأة ؟

ص . ي . أ ـ الكويت

يلجأ الأطباء المختصون حاليا الى فحص عينة من البول للتأكد من حدوث الحمل ، وهو اختبار موثوق به الى درجة كبيرة تتعدى ٩٠٪ ، بل قد تصل الى ٩٨٪ من الحالات .

والفكرة من استعمال عينة بول المرأة الحامل تعود الى أن الجنين عندما ينغرس فى جدار رحم الام بعد اسبوع تقريبا من تلقيح البويضة ، تتكون المشيمة ، وتبدأ فى افراز هرمون جنسي يصل إلى درجة عالية من التركيز فى اليوم الثانى عشر من موعد دورة الطمث الغائبة ، لدرجة يتسرب معها الى البول . ومن ثم لجأ الطبيبان اشيم وزونديك منذ أكثر من ثلاثين عاما الى اختبار سمى باسمها **Ascheim Zonciek test** ويختصر الى حرفين **A — Z test** حيث تؤخذ عينة من البول فى الصباح الباكر ، شرط أن تكون الحامل قد صامت ليلتها الا من عشاء خفيف ، وامتناع عن أية عقاقير أو أشربة ، ثم تحقن العينة فى اناث حيوانات التجارب الصغيرة ، مثل الفئران أو الأرانب او الضفادع ، وعقب ستة أو سبعة أسابيع يكشف على مبايض هذه الحيوانات وأعضائها التناسلية ، فتجد تغيرات واضحة اذا كان الحمل ايجابيا .

ثم تطور الأمر الى اختبار سريع يعطى الجواب فى دقائق أو ساعات معدودات ، وهذا يعتمد على تفاعل الأجسام المضادة لهرمون المشيمة مع عينة البول التى تتخثر عند التسخين لو كان الحمل ايجابيا ، بسبب وجود هرمون المشيمة بوفرة ، وكما قلنا يجرى الاختبار بعد غياب الطمث بحوالى أسبوعين ، فاذا اعطى نتيجة سلبية أعيد بعدها بأسبوع لمزيد من التأكد . □

مقلة العين

ع أسمع كثيرا عن مقلة العين ، فأى جزء من العين يا ترى يعنى المقلة ؟ وما هى وظيفتها ؟

أ . العربي ـ طنجة

مقلة العين هى كل كتلة العين ، أو ما يعرف بكرة العين (**Eye ball**) وقطرها يتراوح ما بين ٢ ـ ٣ ستمترات ، أو انش تقريبا .

ويحيط بمقلة العين غلاف أبيض يدعونه الصلبة (**Sclera**) يكون الجزء الأمامى منه شفافا يسمح بدخول الضوء يسمونه القرنية (**Cornea**)

وخلف القرنية يوجد ما يشبه الستارة المستديرة ، مثقوبة الوسط ، ذات ألوان شتى ، منها البنى ومنها الأزرق ومنها الاخضر تدعى القزحية (**Iris**) أما الثقب فى وسط القزحية فهو بؤ بؤ العين (**Pupil**) الذى ينفذ الضوء من خلاله ليخترق عدسة العين (**Lens**) خلف القزحية ، ويمر عبر مادة هلامية لزجة تملأ تجويف العين تسمى بالسائل الزجاجى ، أما باطن العين فتغطيه الشبكية وهى النسيج العصبى الحساس للضوء .

ومقلة العين تقبع داخل تجويف فى الجمجمة يدعى محجر العين ، حيث ترقد على مخدة دهنية لزجة ، تربطها بالجدار العظمى ست عضلات صغيرة ، تقوم على تحريكها فى شتى الاتجاهات حسب حاجة صاحبها .

ومن خلف مقلة العين يمتد العصب البصرى قادما من الشبكية ، لينفذ عبر ثقب فى الجمجمة ، ليصل الى كتلة المخ ، وينتهى فى المؤخرة حيث المنطقة البصرية المختصة من المخ . □

مساحة ودّ

آباء وأبناء

ع بين أكوام الرسائل التي تتلقاها يوميا ، كنا جلوساً نفرز كل ما يتصل بهذا القسم الجديد الذي يبدأ من هذا العدد ، ووقعت في يدي رسالة عمر صاحبها كما يتضح من خطه وأسلوبه لايتجاوز السابعة عشرة ، وأعترف أن الرسالة رغم قصرها أفزعتني وملأتني أسى وشغلت ذهني أياما طوالا .

يقول صاحب الرسالة (الاب في هذه الايام يمثل الانانية والتسلط والقسوة ، أما الأم فهي كالاب ، زد على ذلك مراقبة (الموضة) وأهم البرفانات والرحلات والنزهات . . . الخ . . فهي لا تعطي أبناءها أدنى اهتمام ، ولا تهتم إلا بنفسها . . فهل تستحق أن تكون الجنة تحت أقدامها ؟ !

وما أفزعني هو أن تصبح لهجة الحديث عن الآباء والامهات بهذه القسوة ، وأن تتحطم هالة التقدير ، وتجف ينابيع الحب داخلنا تجاههم ، صحيح أنه ليس منا من يؤله والديه ، ولكن هناك حدا أدنى من الاختلاف في الرأى ووجهات النظر وليس الخلاف ، وهناك رؤ ية جديدة للتربية ، وليس الانكار والجحود لكل ما يفعله الوالدان ، وكلنا عرف في حياته هذا الاختلاف ، وكل الأسر تشهد الصراع المهذب الحنون بين الرغبة والحماس والانطلاق ، وبين العقل والحكمة والخوف . فبين الرغبة في أن نفعل كل ما نحب ، ونمارس حياتنا وفق احساسنا فقط ، وانطلاقنا لتلبية دواعي الكسل واللهو والنزق ، يقف أمام هذا كله عقل الآباء الأكثر حكمة والأشد خوفا علينا . من الذي وضع هذه اللهجة على ألسنة الأبناء ؟ ومن زرع الجحود في الكلمات ؟ ومن استثمر قدر سوء الفهم المشترك ؟ هل هي أجهزة المجتمع ؟ أم هو عجز الوالدين نتيجة هموم الحياة وضغطها ؟ . . . من أوصل المشاعر داخل نفوس الابناء الى حد النكران ، ففي جيل مضى كانت بعض حالات عدم المسئولية لدى الوالدين تفجر داخل الأبناء حباً أكثر وحناناً أعمق . . أم أن زمان الحب والحنان قد مضى . . ضمن ما سرقه زماننا الرديء منا ؟!

أما أنت أخي هيثم فيوما ما ستعرف أن الآباء على حق . . وأن الشعر المأثور حين قال « . . . ومن يك حازماً . . فليقس أحياناً على من يرحم » كان يلخص علاقة الآباء بالأبناء ولكني لا أتمنى لك أن تدرك هذا بعد فوات الأوان . □

العربي العربي العربي العربي العربي العربي من ربع قرن

١٠ مبادىء هامة لتحقيق التعاون الاقتصادي العربي

العدد الرابع عشر يناير ١٩٦٠



■ ما هي المبادىء التي يرتكز عليها أو يجب أن يرتكز عليها ، التعاون الاقتصادي العربي ؟

انها مبادىء يجب أن تنبثق عن الواقع العربي ، وأن تعبر تعبيرا صادقا عن آماله وأهدافه . وفي رأينا أن أهم هذه المبادىء هي :

أولا ـ ان المبدأ الأساسي في التعاون الاقتصادي العربي هو أنه يهدف الى تحقيق الوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية توطئة لتقارب أكبر وأشمل ، فتوحيد الاقتصاد يسهل توحيد النواحي الأخرى ، بل يؤدى في النهاية الى ذلك نظرا للدور الحيوي الذي يلعبه الاقتصاد في الدولة الحديثة .

هذا هو الهدف البعيد المدى للتعاون الاقتصادي العربي . ومع أن هذا التعاون يتألف من مراحل عديدة ، الا أنه يؤلف بدوره مرحلة من مراحل الوحدة العربية المنشودة .

ثانيا ـ انه تعاون يهدف الى أحسن الاستغلال للموارد العربية ، وذلك :

(أ) بايجاد سوق عربية مشتركة تجعل التخصص الانتاجي أمرا ممكنا .

(ب) تنظيم استغلال الثروات المشتركة كالبترول والمياه .

(ج) خلق مستودعات مشتركة من عناصر الانتاج القابلة للتنقل حيثما تشتد الحاجة اليها . فالتعاون الاقتصادي يبقى عديم الأثر اذا لم يؤد الى التخصص الانتاجي الذي يساعد على زيادة الانتاج وتخفيض أكلافه ، ويساعد بالتالي على زيادة الدخل الاهلي للبلاد . كما أن فائدته تبقى محدودة اذا لم يؤد الى تنظيم استغلال الثروات المشتركة . .

ثالثا ـ انه تعاون يهدف الى رفه البلاد العربية وخيرها .

يتألف أي مجتمع من فئات مختلفة يسعى بعضها أحيانا ، ولو عن غير قصد ، للاستفادة على حساب غيره من الفئات ، فينظر الى الأمور من خلال مصلحته الخاصة ، ويحاول توجيهها في سبيل مصلحته هذه . فالتعاون الاقتصادي العربي لا يعمل على اعطاء فئة معينة امتيازات خاصة ، كما أنه يجب أن لايستخدم لمثل هذه الغايات .

رابعا : انه تعاون يهدف الى المنفعة المتبادلة . انه تعاون لمصلحة جميع البلاد ، لايستأثر بفوائده بلد واحد ، ولا يستغل بلد بلدا آخر في سبيل مصلحته . فهو لايجب أن يثير مخاوف بلد من تسلط بلد آخر عليه ، بل بالعكس يجب أن تسعى كل دولة اليه ، لأنه يخدم مصلحتها كما يخدم مصلحة الدول الأخرى .

خامسا : انه تعاون طويل الأجل . انه ليس تعاونا طارئا ، أو لفترة محدودة من الزمن . وبالتالي فيجب الا تطغى الاعتبارات القصيرة الأجل عليه ، ويجب الا يتأثر بها اذا كانت تتعارض بشدة مع الأهداف الطويلة الأجل .

ان كل تعاون طويل الأجل ، كالتعاون الاقتصادي العربي ، لابد أن يتألف من مراحل ، اذ لايمكن التوصل الى الهدف البعيد الأجل دفعة واحدة . ولذا فلا يجب التوقف عند مرحلة والاكتفاء بها ، خصوصا اذا ما ظهرت بعض العقبات وبدا أنه لا يمكن تخطيها الا ببعض التضحية . فالتضحية في مصالح حاضرة عاجلة ، في سبيل مصالح مؤجلة وأهم ، هو أمر ضروري في تعاون اقتصادي طويل .

سادسا : انه تعاون متعدد الأطراف . أطرافه جميع الأقطار العربية . نقول هذا لنميزه عن التعاون الثنائي الذي يتم عادة بين بلدين فقط . ان التعاون الاقتصادي العربي لايقر الاتفاقات الثنائية الا في الحالات التي يكون هناك فيها ضرورة قصوى ، كمعالجة مشكلة مشتركة بين بلدين فقط مثل حقوق المياه .

سابعا : انه تعاون يجب أن لايتأثر بالعوامل السياسية المؤقتة في المنطقة .

ان التعاون الاقتصادي العربي يجب أن يفصل عن السياسة . ذلك لأن التأثر بالعوامل السياسية قد يعكر سيره الطبيعي مما يضر في النهاية بمصالح جميع الأطراف المعنيين . ولا يمكن تغيير نسق التعاون الاقتصادي بسرعة كلما تغيرت هذه العوامل دون الحاق أى أذى فادح بالمصالح الحقيقية للبلدان الأطراف .

ثامنا : انه تعاون على الصعيد الحكومي والخاص ، يعزز فيها كل منهما الآخر ، وتضع الاتفاقات الحكومية المتابعة اطاره المتوسع ، تاركة المجال للتعاون على الصعيد الخاص ليتفاعل مع بعضه في خدمة الصالح العام . فالجسم الاقتصادي يتكون من قطاعين رئيسيين : القطاع الحكومي ، والقطاع الخاص .

ان التعاون الاقتصادي العربي على الصعيد الحكومي يجب أن ينحصر بصورة رئيسية في حقل المنافع العامة ، كالطرق ، والمواصلات ، والترانزيت ، وفي حقل المشاريع الانمائية المشتركة او المشاريع الكبرى الهامة التي تعجز دولة واحدة عن تحقيقها بنفسها ، وفي حقل ايجاد المؤسسات التي تسهل قيام هذا التعاون وتضعه على اسس ثابتة . . . اما التعاون في المجالات الاخرى فيترك للقطاع الخاص .

تاسعا : انه تعاون يهدف الى تقوية المركز العربي تجاه الخارج وخصوصا تجاه التكتلات الخاصة والعامة .

ففي العالم الآن اتجاه نحو التكتلات ، وقد أخذ هذا الاتجاه شكلا جديا بعد ظهور جبارين كبيرين يملك كل منهما طاقة انتاجية كبيرة ، ويتمتع بقوة عسكرية هائلة . . ومن أبرز مظاهر هذا الاتجاه قيام السوق الأوروبية المشتركة ، وانشاء منطقة تجارة حرة بين بعض البلدان الأوروبية غير المنضمة الى السوق المشتركة .

ان التأثيرات المحتملة لهذه التكتلات على جانب كبير من الأهمية ، ولا يمكن لكل دولة عربية ان تواجهها على انفراد بصورة فعالة ، كما لو كانت مندمجة في وحدة اقتصادية شاملة .

عاشرا : انه تعاون غير منكمش على نفسه . يسعى بدوره الى التعاون مع الدول الأجنبية على قدم المساواة ، كي يتفاعل الاقتصاد العربي مع الاقتصاد العالمي ، وذلك في سبيل تنمية المصالح المتبادلة في سبيل تعزيز الاستقرار العالمي والرفاه الانساني □

الدكتور : عصام عاشور



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء

كلمة :

● هذه المرة نخرج عن تقليدنا فنبدأ نحن الحوار معك عزيزي القارىء .. فليس أفضل من كلمة صريحة نابعة من القلب يوجهها الينا واليك صديق جديد من قراء « العربي » ..

الصديق يحيى مشحوت محمد يحدثنا من سلطنة عمان ويقول :

● « اسمحوا لي أن أعترف بأني جديد على قراءة العربي .. ستة أعداد أخيرة فقط .. ولكني وجدت فيها بغيتي وحلمي في أن يكون لي رفيق وصديق وجليس أنتظره بشوق مع مطلع كل شهر .

وكقارىء جديد - ومثلي العديد من الشباب - أحب أن أعبر عما يجول في نفوسنا .. فنحن جيل أغرقوه - عن قصد أو غير قصد - في مشكلات اقتصادية وسياسية واجتماعية ، ليبعدوه عن التفكير والتزود بما يفتح أمامه آفاق الحرية والانطلاق .. نحن جيل في أشد الحاجة الى جرعات ثقافية تساعدنا على التحرر من الأفكار المسموعة ، التي تأتينا عبر صحف وأفلام وصور رخيصة تافهة مستهدفة ، ابعادنا عن معايشة أربعة عشر قرنا زخرت بعباقرتنا في مبادىء الفلك والطب والهندسة والرياضيات والعلوم والفنون والآداب .. نحن جيل متعطش الى المعرفة والخروج الى آفاق جديدة تفتح أمامنا الطريق الى التقدم والنهوض ، واستعادة قيمنا وتقاليدنا وحضارتنا .. نحن جيل يعرف عن دانتي ودافنشي ورفائيل وبسمارك وبلزاك وشكسبير وموليير وهوجو وديكنز أكثر مما نعرف عن الرازي وابن النفيس وابن رشد وابن الهيثم وابن سينا .. نحن جيل يتلهف الى جرعات تحمل التعظيم والتكريم لمن يستحق التعظيم في حياته وبعد مماته من علمائنا ومفكرينا .. فالملايين من أبناء شعبنا يعرفون عن بعض المغنين والراقصين واللاعبين على الحبال أكثر مما يعرفون عن علماء ومهندسين وأطباء عرب ، لا نوفيهم حقهم في الحياة ولا بعد الممات .

واذا كنا قد وجدنا الحلم الذي نتمناه على صفحات « العربي » - مجلة كل العرب - فكم نتمنى منها المزيد من الزاد الثقافي يغذونا ويأخذ بيدنا على الطريق .. مستضيئين بشعلة النور والمعرفة والايمان ..

●● ونحن نقولها - عزيزي القارىء - سنواصل المسيرة معا .. سنقدم على صفحاتنا مشكلات الصراع العالمي والقضايا المعاصرة ، فكريا وأدبيا واجتماعيا وعلميا ليزداد القارىء العربي اطلاعا ... ستمتد استطلاعاتنا المصورة الى آفاق جديدة فوق تغطيتها المستمرة للعالم العربي .. سنقدم لك ابتداء من هذا العدد أبوابا جديدة هدفها استقطاب الأقلام المخلصة لايجاد حلول لمشاكل أساسية في مجتمعاتنا ومتطلبات العصر الذي نعيش فيه

العربي

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

مصطلحات طبية

● نشرت مجلتكم في عدد أكتوبر سنة ١٩٨٤ تحت عنوان (عيناك) بضعة مصطلحات طبية بلغة أجنبية منها : كاتاركت Cataract التي تدل على الماء الأبيض في العين ، واسمها العربي الاصطلاحي الساد ، أو السد ، لأنه يسد طريق الضوء الى العين ، ومنه الساد الخلقي والساد الشيخي ، والساد المرضي ، والساد الولادي ، على وفق الزمن الذي بدأ فيه المرض ، ومنه ساد ناضج Mature Calar-act والساد المفرط النضج Hyper Mature Calaract وغلفات الساد After Calaract ومنها كلمة Lens Pet وقد ترجمت لكلمة (نتوء عدسي) والصواب (الحفيرة العدسية) وشتان بين النتوء والحفيرة .

ومنها كلمة Glaucoma أو المياه الزرقاء ، والمصطلح العربي هو (الزراق) كما سماه أجدادنا قديما .

ومنها كلمة Deplopia بمعنى رؤية الشيء الواحد شيئين ، وقد سميت الرؤية الازدواجية للاشياء ، والكلمة المناسبة هي كلمة (الشفع) .

ومنها Phacoemrfrificatim التي لم يعربها الكاتب ، وتعريبها استحلاب العدسة .

وأبرز كلمة أعصاب المخ والأعصاب المخية (العصب المخي الثالث والرابع) والتعبير الصحيح هو الأعصاب القحفية ، لأنها تصدر عن الجمجمة أو القحف ، وهي المدلول الصحيح Granial Operue .

د . سرى فايز سبع العيش
عمان / الاردن

ونحن بدورنا نقدم اقتراحك لمن يكتب في شؤون العلم والطب كي تشاع في لغتنا المصطلحات العلمية الحديثة .

استطلاع المالديف

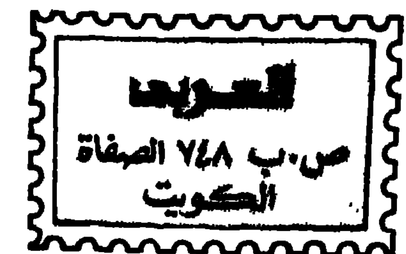
● لم نكن نعرف شيئا عن جزر المالديف ، ولا أين موقعها في عالمنا الاسلامي ، حتى قرأنا ما نشرته العربي في استطلاعها عن جمهورية المالديف . وعرفنا أنها دولة اسلامية سكانها ١٠٠٪ من المسلمين ، كما أن من رجالها أبطالا واجهوا الغزاة .

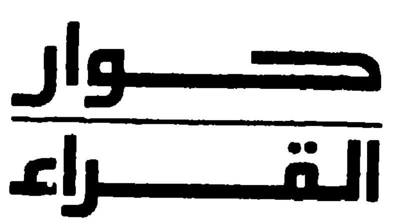
اننا مع الأسف لا نعرف عن شعوب أمتنا الاسلامية بقدر ما نعرف عن لندن وباريس وكل الدول التي استعمرتنا ، وأرغمتنا على الغرق في ثقافاتها ولغاتها . وما أجدر حكوماتنا وصحفنا التي تملأ الصفحات بالمعلومات والاخبار عن الحضارة الغربية ومظاهر الحياة في دول الشرق والغرب ، أن تبذل بعض هذا الجهد ، لاطلاعنا على ما يجري في وطننا العربي والاسلامي ، وتعريفنا بشعوبها ومظاهر نهوضها .

فوزي علي سادج
الجزائر

● قرأت في مجلتكم الموقرة « العربي » في باب استطلاعات مصورة عن التعليم في جزر المالديف ، ان هذه الجزر في حاجة الى كل جهد من مسلم لمسلم ، مما دفعني الى الكتابة لكم وذلك للآتي :

١ ـ حيث انني حاصل على بكالوريوس العلوم والتربية شعبة الرياضيات من جامعة المنصورة ، عام





١٩٧٥ لذا أرغب في معرفة شروط العمل بالتدريس في هذه الجزر .

٢ ـ حيث انني أمارس الآن نشاطا تجاريا داخل مصر ، في ميدان الاستيراد والتصدير ، ولدي بعض الامكانات المادية التي يمكن استغلالها هناك ، لذا أرجو ارسال مزيد من التفصيلات عن أوجه الاستثمار ان أمكن .

محمد المتولي
دكرنس ـ الدقهلية ـ مصر

● قرأنا في العدد ٣١١ من العربي تحقيقا صحفيا عن جزر المالديف ولقد تأثرنا بالتحقيق الذي تعرفنا به على شعب مسلم طيب مما اثار في نفوسنا الحماس لخدمة ابناء هذه الجزر المسلمة واهلها الطيبين . نرجوا منكم اعطاءنا عنوان المراسلات لجمهورية المالديف حيث اننا اطباء اردنيون ونرغب في مساعدة اخواننا المسلمين هناك كما نرجو تزويدنا بمعلومات مفصلة عن الوضع الصحي وامكانية وكيفية العمل هناك وهل المالديف بحاجة الى خدماتنا الطبية ؟.

الدكتور اياد جرادات
الدكتور علي صالح
الزرقاء ـ الاردن

جمهورية المالديف كما عرفنا في حاجة الى كل جهد مخلص من اصحاب الكفاءات الطبية والتعليمية والامكانات الاستثمارية خاصة مع التوسع في برامج التنمية .. ولكن القدرات المادية ضئيلة . وعلى اي الحالات يمكن الاستعلام قبل تقديم الطلبات من ادارة الاستعلامات على العنوان التالي :

Department of Information and Broad-casting. Malé, Republic of Maldives.

تراثنا المهجور

● الخط العربي من أجمل الفنون الاسلامية وأسماها : يرجع الفضل في تجويده وتحسينه الى اهتمام المسلمين الأوائل بكتابة القرآن الكريم : وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وكفى هذا الفن شرفا وتعظيما أن الله أقسم به في محكم كتابه فقال (ن والقلم وما يسطرون)

وأقدم الخطوط الخط الكوفي ، وهو الذي جوده علماء الكوفة الذين اقتبسوه من الخطوط القديمة لجزيرة العرب ، وهو الخط الذي حمله المسلمون لنشر الدين والاحكام الشرعية . وأنواعه كثيرة تفوق الثلاثين ، نذكر منها : المكي ، والمدني ، والاندلسي ، والشامي ، والعراقي ، والعباسي ، والمصري ، والمشعب ، والريحاني والفاطمي ، والمملوكي ، وكوفي المصاحف ـ وقد سئل أحد الكتاب متى يوصف الخط بالجمال : فقال اذا اعتدلت أقسامه ، وطالت ألفه ولامه ، واستقامت سطوره ، وضاهى صعوده حدوره ، وتفتحت عيونه ، ولم تشتبه راؤه ونونه ، وأشرق قرطاسه ، واظلمت أنفاسه ، ولم تختلف أجناسه ، وأسرع الى العيون تصوره ، وخيل اليك انه يتحرك وهو ساكن .

ثم تطور الكوفي الى النسخ ، ومنه الى الثلث ، ومن الخطوط المنتشرة حاليا : الفارسي ، والرقعة ، والديواني ، وجلي الديواني ، والتوقيع ، بالاضافة الى ما سبق ذكره .

ومن البلاد التي ارتقت وأبدعت في هذا الفن ايران وتركيا والعراق وسوريا ومصر ، ومن يزور قسم الخط بدار الكتب المصرية سيجد معجزة هذا الفن ، وهي كتابة آية الكرسي كاملة على حبة أرز ، وكانت الهواية

الخاصة لمعظم السلاطين والوزراء في تركيا هي الخط العربي ، وقد كتب الحافظ عثمان الذي اشتهر بالخط النسخ القرآن أكثر من مرة ، حتى قيل ان القرآن نزل بالحجاز وقرىء بمصر ، وكتب في استانبول ،

مما سبق ذكره يتضح لنا ما كان في نفوس الأوائل من حب لهذا الفن ، وتقدير لهذا التراث الاسلامي

لقد أهمل تدريسه والاهتمام به ، ويتجلى ذلك بصورة واضحة في خط طلاب المدارس والمعاهد ، لا سيما الاعدادي والثانوي .

آمل في احياء وانقاذ هذا التراث الذي يحتضر ، بأن يعود اليه شبابه ، ولا يتحقق ذلك الا بتزويد المدارس والمعاهد بمتخصصين في هذا المجال ، والله أسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى ،

عبد اللطيف شعيرة ـ الرباط ـ
المملكة المغربية

جمال الخط هو موهبة عند الانسان ، ثم هو رغبة في تطوير هذه الموهبة ، والخط العربي له أصالته التي نود أن تعود اليه . .

قارىء من أمريكا

● من مونرو بالولايات المتحدة أعبر لكم عن فخري بهذه اللغة التي أكتب بها ، وأريد أن أعبر عن حبي وارتباطي بلغتي وقوميتي . فرغم اني ابتعدت عن الكتابات بالعربية الأم ، مما زال في نفسي هذا الحب للغتي ولأبناء عروبتي . . وما اغترابي الا درس في محبة الأرض واللغة والوطن .

وأعبر عن حزني لأني لم أقرأ مجلة العربي منذ أتيت الى هذا البلد ، وأرجو أن تكون رسالتي محل رعاية كطالب يبحث عن « العربي » حتى في أمريكا .

ولي سؤال . . هل من الممكن أن أرسل للعربي مقالة واحدة تكشف عن مقدرتي في لغتي الأم ؟ هذا من ناحية ، أما من ناحية ثانية ، فانني أبحث عن أسعار الاشتراك وكيف ؟ لأرسل لكم بأسرع وقت .

محمد خليل الشيحة
مونرو ـ الولايات المتحدة

نرحب بك قارئا ، ونرحب بقلمك طالما أن انتاجك جدير بالنشر . وقد أرسلنا لك نسخة من « العربي » وسنوافيك باشتراك مجاني

ردود خاصة :

● **مهندس زراعي أشرف شعبان ـ الاسكندرية**

« العربي » ترحب بكل ما تتلقاه من قرائها ، وصفحاتها مفتوحة لكل انتاج جيد يتفق مع رسالتها ويكون جديرا بالنشر .

● **ادهان منير ـ سيدي عمر ـ المغرب**

شكرا لتحيتكم بقصيدة « مدح مجلة العربي » ولعل نشرها في قلوبنا فيه الكفاية حتى لا تبدو أمام القراء كمن يمدح نفسه ، أما « المقامة الحكمية » التي أرسلتها فستنتفع بها من غير شك . . ولعل هذا يرضيك .

مسابقة العربى

جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ البكتريا هل هى نبات أم حيوان ؟

٢ ـ النعام والطاووس والوطواط والديناصور . . ثلاثة منها متجانسة ، وواحد نشاز . . فأيها هذا الناشز ، ولماذا ؟

٣ ـ قماش الموسلين والشك الذى تسحب بواسطته نقودك من البنك ، والكابل وجمعها كابلات الكهرباء وما اليها . . الألفاظ الثلاثة أجنبية ولكنها مشتقة من أصول عربية . . فما هى أصولها الثلاثة . . . ؟

٤ ـ محمد بوخرنوبة رئيس احدى الدول العربية ، اشتهر فى السبعينيات من هذا القرن باسم أو لقب غير اسمه الأصلى الذى ذكرنا . . فمن هو هذا الرئيس الراحل . . ؟

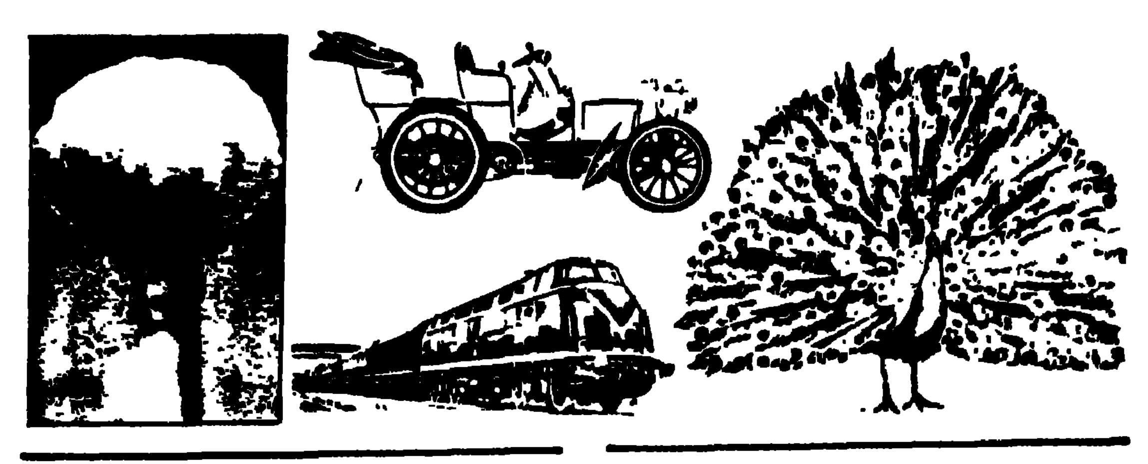
٥ ـ أيهما أصح : قولك رجل تعيس الحظ (تعاسة) أم قولك رجل تعس الحظ (تعسا) ولماذا ؟

٦ ـ كثيرا ما نقرأ فى الصحف (استقل الطائرة) و (استقل السيارة) و (استقل القطار) و (استقل السفينة) . . فأى هذه العبارات صواب وأيها خطأ من حيث اللغة . .

٧ ـ يبلغ عمر الكون حسب تقدير علماء الفلك ٤٥٠٠ مليون سنة أويزيد ، فما هو عمر الكون حسب التقويم العبرى . . ؟

٨ ـ متى يحتفل الناس فى الغرب خاصة باليوبيل الياقوتى الأزرق واليوبيل البلاتينى ؟

٩ ـ ما العامل المشترك بين مايوه السباحة النسائى المعروف باسم (بيكينى) وبين القنبلة النووية التى فجرتها الولايات المتحدة على سبيل التجربة فى ١٩٤٦/٧/٢٥



الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٤ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مارس ١٩٨٥ .

١٠ ـ من القائل (دعوا دوائري ولا تعبثوا بها . .) وما المناسبة ؟ علما بأنه قال كلمته المأثورة هذه عقب سقوط مدينته في أيدي الرومان . . وقبيل اقدام جنودهم على قتله . .

١١ ـ (مكاو) اسم يطلق على طير . . وعلى جزيرة من جزر الصين . . فما هو ذلك الطير . . وكيف تحكم هذه الجزيرة . . ؟

١٢ ـ هناك من يقول إن السيارة الكهربائية التي يسيرها محرك يعمل بالبطاريات ، ظهرت في مطلع القرن العشرين ، وإنها انتشرت سنة ١٩٠٠ حتى بلغ مجموعها في نيويورك وشيكاغو وبوسطن نصف مجموع سيارات البنزين آنذاك ، فهل هذا القول خطأ أم صواب . . . ؟



العدد ٣١٤ يناير ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .

. . . .

٢ ـ . . . .

. . . .

٣ ـ . . . .

. . . .

٤ ـ . . . .

. . . .

٥ ـ . . . .

. . . .

٦ ـ . . . .

. . . .

٧ ـ . . . .

. . . .

٨ ـ . . . .

. . . .

٩ ـ . . . .

. . . .

١٠ ـ . . . .

. . . .

١١ ـ . . . .

. . . .

١٢ ـ . . . .

. . . .

الاسم : . . . .

. . . .

العنوان : . . . .

. . . .

. . . .

. . . .

مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي

حل

١ - الدولة هي سلطنة بروناي . . وقد استقلت عن بريطانيا في ١٩٨٤/١/١ بعد حكم طال أمده ٩٦ عاما . . وتقع الدولة في جزيرة بورنيو من جزر الهند الشرقية ، وفي الشمال الغربي منها ، وهي دولة غنية ببترولها ومطاطها وغير ذلك ، ومساحتها ٢٢٢٦ ميلا مربعا ، وعدد سكانها نحو ربع مليون نسمة .

٢ - الطاووس لايبيض أبدا . . فهو ذكر . . أما انثاه فليست بمثل ألوانه وروعته ، ولاتسمى بالطاووس على كل حال . . .

٣ - الحركة التي يحدثها المصارع وهو يلوح للثور بقطعة القماش هي التي تثير الثور ، ولا أثر للون الأحمر في ذلك ، كذلك لاأثر لما يردده المصارع بصوت مسموع مخاطبا الثور (تورو . . . تورو)

٤ - الفضاء الداخلي هو أعماق المحيطات . .

٥ - جائزة (بولترر) **Pulitzer** هي التي توزع سنويا على الفائزين في فنون الأدب والصحافة . . أما التسمية فنسبة الى جوزف بولتزر (١٨٤٧ - ١٩١١)من مواليد المجر الذين هاجروا الى الولايات المتحدة ، وقد عمل في الصحافة ،



واشترى صحيفة نيويورك وارلد ، وفي سنة ١٩٣٠ أنشأ كلية الصحافة في جامعة كولمبيا . .

٦ـ القمر كوكب لا نجم . . فهو لايضيء وانما يعكس ضوء الشمس ، كما هو معلوم ثم أنه جرم كسائر الكواكب .

٧ـ الأمبير = وحدة التيار الكهربائى

الاوم = وحدة المقاومة الكهربائية

الفولت = وحدة الضغط ـ أو العبء الكهربائى .

٨ـ الانتاج بمعدل ٨ ملايين برميل يوميا يفوق الانتاج بمعدل ٨ ملايين طن من البترول سنويا ، ومعادلة التحويل هى الضرب برقم (٤٩,٨) للتحويل من البراميل يوميا الى الأطنان سنويا ، وبرقم ٢٠١ , اذا كان العكس هو المطلوب وذلك بحوالى ٤ أضعاف .

٩ـ . صواب . . فالكيروسين هو الوقود الذى تستعمله أكثر الطائرات النفاثة .

١٠ ـ الأشعريان هما . . أبو موسى الأشعرى ، هو صاحب الدور المعروف فى التحكيم ، وأبو الحسن الأشعرى ، هو مؤسس علم الكلام . .

١١ـ يحتفلون باليوبيل الذهبى عند مضى ٥٠ عاما ، ويحتفلون باليوبيل الماسى عند مضى ٦٠ عاما .

١٢ ـ السرعة الضرورية للصواريخ للتحرر من جاذبية الأرض هى (٢٥٠٠٠) ميل فى الساعة . .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١١ اكتوبر

الجائزة الأولى : السيدة / مجد محمد مراد ـ دمشق ـ سوريا

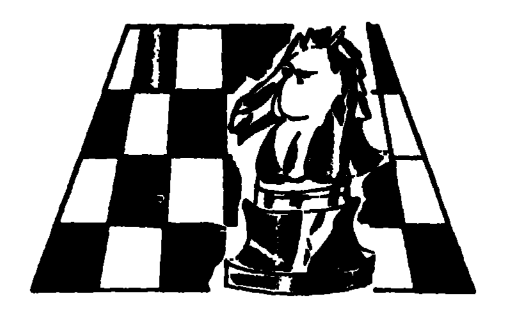
الجائزة الثانية : عيسى خليل أبو شمة ـ دولة الكويت

الجائزة الثالثة : يوسف عبدالله الشبعان ـ المحرق ـ دولة البحرين .

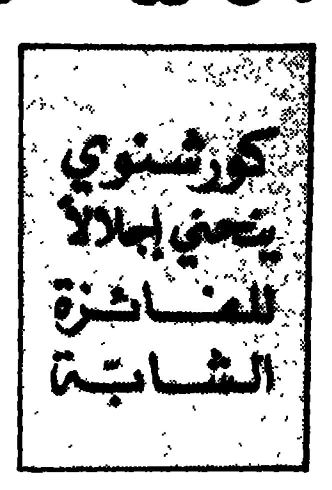
الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ عبدالغني عبدالهادي ـ جبل الحسين ـ عمان ـ الاردن .
٢ ـ الصيدلي صلاح الدين عبدالقيوم ابو شامة ـ بورتسودان ـ جمهورية السودان الديمقراطية .
٣ ـ سهيل موسى السكر ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .
٤ ـ خالد محمود محمود هيبة ـ الاسكندرية ـ جمهورية مصر العربية .
٥ ـ عبدالوهاب الفقيه رمضان ـ الجمهورية التونسية
٦ ـ عقيل محمد جواد عبدالرضا ـ مسقط ـ سلطنة عمان
٧ ـ عبدالقادر عثمان عبدالقادر ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية
٨ ـ زين العابدين اكريم ـ الرباط ـ المملكة المغربية

معركة بلا سلاح







كورشنوي وهو يلاعب بيا كراملنج

■ فيكتور كورشنوي الروسي الأصل والسويسري الجنسية والذي كان يحتل المركز الثالث بين أبطال العالم في الشطرنج برصيد قدره (٢٦٣٥) نقطة يتهاوى أمام الضربات القاصمة المتلاحقة التي كالتها له البطلة السويدية الشابة بيا كرملنج ، وتتصدر هذه البطلة قائمة التصنيف الأخير للاتحاد الدولي للشطرنج للسيدات برصيد قدره (٢٤٠٥) نقاط متقدمة عشرين نقطة على بطلة العالم الروسية للسيدات شيبور داندز وباتت تهدد عرش الشطرنج للسيدات الذي كان حكراً على اللاعبات الروسيات لسنوات طويلة .

دفاع كاروكان (بييل سبتمبر ١٩٨٤)

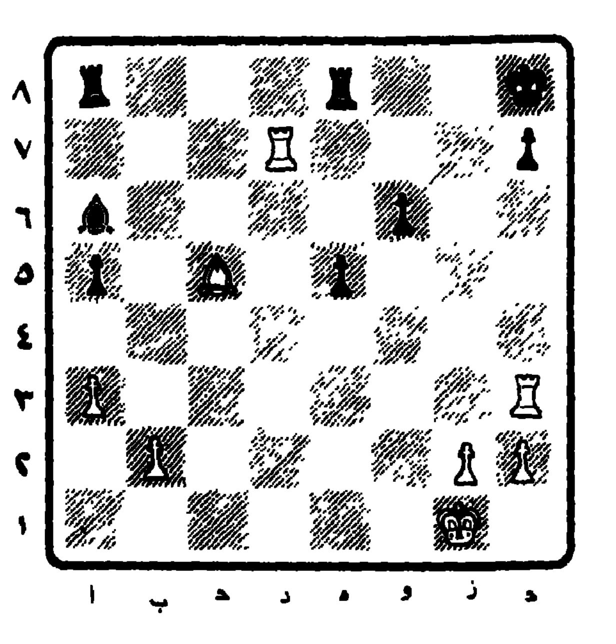
بيا كراملنج (أبيض)	كورشنوي (أسود)
١ - هـ ٤	حـ ٦
٢ - جـ ٤	د ٥
٣ - هـ × د ٥	جـ × د ٥
٤ - جـ × د ٥	ح - و ٦
٥ - ح - جـ ٣	ح × د ٥
٦ - ح - و ٣	هـ ٦
٧ - د ٤	ف - ب ٤
٨ - ف - د ٢	ح - جـ ٦
٩ - ف - د ٣	ف - هـ ٧
١٠ - أ ٣	ف - و ٦
١١ - ت	ت
لو ١١ -	ح × د ٤
١٢ - ح × د ٤	ف × د ٤
١٣ - و - أ ٤ +	ويفوز بالفيل أو
١١ -	ف × د ٤
١٢ - ح × د ٤	ح × د ٤
١٣ - و - ز ٤	مما يوقع الأسود في متاعب لا قبل له بها
١٢ - و - هـ ٢	ف × د ٤
١٣ - ح × د ٥	و × د ٥
١٤ - ف - هـ ٤	و - د ٦
١٥ - ف × جـ ٦	ب × جـ ٦
١٦ - ح × د ٤	و × د ٤
١٧ - ف - ب ٤	ر - هـ ٨

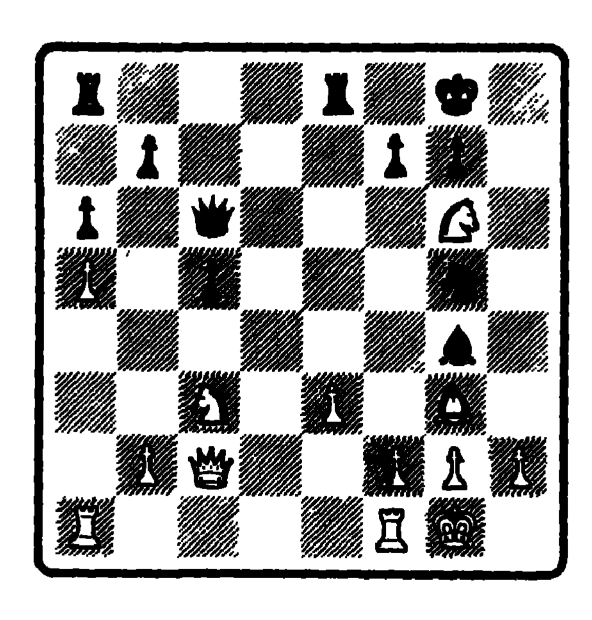
١٨ ـ ر (و) ـ د ١	و ـ ب ٦
١٩ ـ و ـ هـ ٥	و ـ ب ٥
٢٠ ـ و ـ جـ ٧	و ـ ب ٦
٢١ ـ و ـ هـ ٥	أ ٥ ؟ (رديئة)
٢٢ ـ ف ـ جـ ٥	و ـ ب ٣
٢٣ ـ و ٤	ف ـ أ ٦
٢٤ ـ ر ـ د ٧	و ـ جـ ٢
٢٥ ـ ف ـ د ٤	و ـ ز ٦
٢٦ ـ ر ـ هـ ١	و ٦
٢٧ ـ و ـ ج ٥	و ـ و ٥
٢٨ ـ و × جـ ٦	هـ ٥
٢٩ ـ و × هـ ٥	و × هـ ٥
٣٠ ـ ف ـ جـ ٥	و ـ و ٦ ؟

مبادلة الوزير في هذا الموقف تزيد الطين بلة ، فهي بدلاً من ان تخفف من ضغط الابيض على المربعات السوداء تضاعف من سيطرة الرخ الابيض على الصف السابع وكان من الافضل لو لعب الاسود

٣٠ ـ . . .	ف ـ جـ ٤ تمهيداً لنقله الى و ٧
٣١ ـ و × و ٦	ز× و ٦
٣٢ ـ ر ـ هـ ٣	م ـ حـ ٨
٣٢ ـ	ر (أ) ـ د ٨ كانت أفضل
٣٣ ـ ر ـ حـ ٣	يستسلم

الموقف بعد النقلة ٣٣





مسابقة العدد

مسأله رقم (٢٥)

الاسود يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات

الفائزون بحل مسابقة عدد سبتمبر ١٩٨٤ مسألة رقم ٢١

الفائزون باشتراك سنة كاملة

١ ـ باسل البورنو ـ المرقاب / الكويت
٢ ـ هدى نعمان ـ عدن / اليمن
٣ ـ حيدر محمد علي ـ الديوانية / العراق
٤ ـ منير ولدرويس ـ المدية / الجزائر
٥ ـ غسان ابو السعود ـ عمان / الاردن

الفائزون باشتراك نصف سنة :

١ ـ عبد المولى منير ـ القاهرة / ج م ع
٢ ـ محمد مخاشن ـ حدة / السعودية
٣ ـ محمد المرزوقي ـ ابو ظبي / الأمارات
٤ ـ ايسزيس فاخوري ـ ام درمان / السودان
٥ ـ الطاهر بالريش ـ جربة / تونس

شعر

سليمان العيسى

رَضِعَ النَّقاءَ مِنَ السَّماءِ ، منَ النجوم الصافِيَةْ
ومِنَ الصُّخُورِ الجاثِيَةْ . .
رَبَّتْهُ أخلاقُ القِمَمْ
يَسْقِي كما شاءَ الكَرَمْ
الوردُ مِثْلُ الشوكِ ، والأرضُ الخصيبةُ كاليَبَسْ
في النُّورِ يَرْحَلُ . . في الغَلَسْ
لافَرْقَ . . فالشِّيَمُ العِتَاقُ(١) هِيَ الشَّمَمْ
يَسْقِي . . وتَنْكُرُهُ الضِّفافُ . .
تَعُقُّهُ حيناً . . ويَرْحَلْ
هُوَ لِلْعَطاءِ . . فليسَ يَسْأَلْ
يَسْقِي . .
لِأَنَّ حقيقةَ اليَنْبُوعِ أنْ يَسْقِي . .
حقيقتَهُ الأصيلَةْ . . .
هُوَ لَيْسَ يَقْوَى أنْ يَكُونَ سِوَى حَقيقتِهِ الأصيلَهْ
تَمْتاقُهُ حيناً صِغارُ حَصًى ، كِبارُ حَصًى ،
رُكامٌ مِنْ غُثاءٍ . .
وَيَمُرُّ لا يَلْوِي . . ويَسْقِيها . . أَلَيْسَتْ في الظَّماءِ ؟

وهُوَ الشجاعُ . . هُوَ المُضِيءُ . . إذَا تَجَهَّمَت الضِّفَافُ
يَنْسابُ لايَلْوِي . .
هُوَ الأنقى . . هُوَ الأقوى . .
إذن . . ماذا يَخافُ ؟
يا أيُّها المُتَرَقْرِقُ الصافي . . سَيُتْعِبُكَ السَّفَرْ
لَكِنَّنا سَنَظَلُّ أظْمأَ ما نكونُ لِقَطْرَتَيْنِ ، لِرَشْفَةٍ ،
نحنُ البَشَرْ . . .



(١) العتاق : هنا العريقة الأصلية

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

أول يناير
١٩٨٥

١٨٤
من مسرح الخيال العلمي - ٣

عمود من نار / الكاليدوسكوب / نفير الضباب

تأليف: راي برادبوري / مراجعة: د. طه محمود طه

ترجمة وتقديم: رؤوف وصفي



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يناير
١٩٨٥

دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية

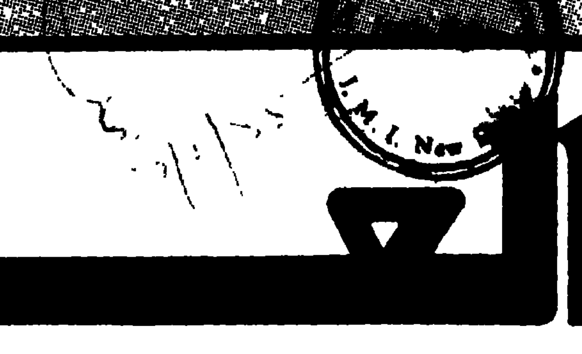
د. بدرية عبدالله العوضي



الكتاب الخامس والثمانون

المراسلات : توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

جمادي الأولى ١٤٠٥ هـ - فبراير «شباط» ١٩٨٥



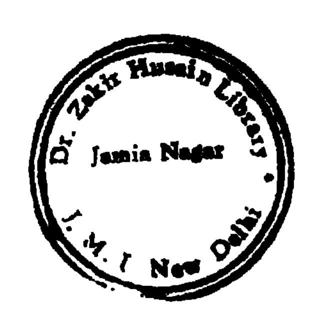
العربي

١٠ شموع على طريق الثقافة

و ٢٤ عاماً مع مسيرة الاستقلال



العـــــــدد ٣١٥ فبـــــراير ١٩٨٥



مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 315 Feb. 1985 P.O. Box 748- Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ص.ب ٧٤٨ صفـــاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات بإسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص.ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

في الأسواق

كتاب العربي



قال القدماء: العقل السليم في الجسم السليم ، واذا كان هذا القول يعني شيئا فانما يعني في جوهره أن الانسان جسم وعقل، واذا اكتمل الاثنان اكتملت الحياة الصحية للانسان .. والدكتور فاخر عاقل وهو الاستاذ المتمرس في موضوع هام هو الدراسات النفسية يقدم لنا في هذا الكتاب صفحات عن النفس وعن المجتمع نحتاج جميعا اليها .

وعندما تختار العربي هذه الدراسات التي كتبها الدكتور فاخر عاقل على مدى ربع قرن من الزمان، لكي تضمها بين دفتي كتاب فان هدفها الاساسي هو تقديم وجبة ثقافية متكاملة عن النفس البشرية ومدى تفاعلها مع واقعها ومجتمعها، وما ينتج عن ذلك من نتائج .

في هذا العدد نريد أن نحدثك في أكثر من قضية . . . ففي عالم كعالمنا الذي يضج بأحداث الحروب والعدوان والقرصنة ـ وخاصة الجوية مثل الذي تعرضت لهالطائرة الكويتية مع نهاية العام الماضي حيث وقف وقتها الكويتيون والعرب ومحبو السلام جميعا الى صف كويت العدالة والحق ـ في مثل هذا العالم الذي يشيع فيه العنف . . تبقى الكويت ـ التى تحتفل بعيدها الوطنى الرابع والعشرين على مسيرة الاستقلال ـ منبرا من منابر الثقافة . . رغم كل قوى الشر التى تريد الاطاحة بالأمة العربية الى قاع الخسران . . ومع أواخر العام الذي انقضى كانت الكويت ساحة لمناقشات ندوة « دور الحضارة الاسلامية من مهدها العربى الى آفاقها العالمية » بالتنسيق بين « اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة » وبين « اليونسكو » « واللجنة الدولية للتاريخ العلمي والثقافي للبشرية » . . . وفي الوقت نفسه شهدت أرض المعارض بالكويت المعرض العاشر للكتاب العربى ووزعت جوائز « مؤسسة الكويت للتقدم العلمي » و « المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب » على مستحقيها من المبرزين العرب . اذ عبر أحد المحتفى بهم الدكتور محمد العصفور في كلمته التى ألقاها نيابة عن زملائه مشيدا بالتقدم الثقافى والحضارى في الكويت بقوله : « ان النفط يتحول الى حبر ، والذهب الاسود يتحول الى حبر أسود . . يحرك النفوس وينير العقول »

ومع بدايات العام الجديد . . كان المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب يضيء عشر شموع على طريق تأصيل الثقافة العربية ، الأمر الذى أفردنا له تحقيقا صحفيا في هذا العدد .

كما شهدت بداية العام أيضا ـ أول يناير الماضى ـ صدور العدد الممتاز من العربى بحلته الجديدة وأبوابه المبتكرة . . ونجدها مناسبة ـ عزيزى القارىء ـ لنقول اننا كنا نتوقع أن تكون ردود أفعال القراء ايجابية ، ولكننا لم نكن نتوقع كل هذه الايجابية ، فبعد نزول العدد الى السوق في معظم أقطار الوطن العربى بأيام قليلة بدأت برقيات الاخوة الموزعين تتوافد علينا . . ومهما اختلفت صيغها فإنها تصب في محصلة واحدة : نريد المزيد من أعداد « العربى » ، وبعدها بأيام تحولت صيغة البرقيات الى : « رجاء أغيثونا فقد نفدت الاعداد » .

وكانت رسائل القراء التى وصلت مباشرة الى ادارة العربى ظاهرة جديدة ، فقد وصلت آلاف الرسائل من القراء ، وكانت شهادة للجهد الذى بذلته أسرة « العربى » طوال الأشهر الماضية ، هذا التعبير الجميل الذى حبانا اياه قارىء العربى في كل قطر من أقطار العروبة زادنا تصميما على أن نحافظ على ما حققناه ونبذل المزيد من الجهد . . .

لذلك فانه بدءا من هذا العدد ستجد ان صفحات العربى قد أضيف اليها ملزمة كاملة . . وسوف يحقق ذلك لقراء العربى ميزتين : الأولى ان مادة العربى نفسها لن تنقص ، والثانية أن الابواب الجديدة وهي تأخذ مكانها لن تزاحم المواد الثقافية والعلمية الأصيلة ، ونحن في « العربى » نعتقد أن ذلك مكسب جديد حققناه في مطلع هذا العام . . .

والى مكاسب أخرى جديدة مع كل عدد جديد . . . من « العربى » مجلة كل العرب . . .

المحرر



صورة الغلاف :
في السادسة من عمرها ترتدي ملابس جدتها التقليدية . (طالع ص١٧٤)

المراسلات باسم رئيس التحرير . .
والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء . .

العدد ٣١٥ - فبراير ١٩٨٥



مجلة الأسرة والمجتمع

بقلم الدكتور محمد الرميحي

اليابان : مائة عام من النهضة

☐ إحدى الظواهر الهامة في التجربة اليابانية هي : البعد الاجتماعي

☐ النسيج الاجتماعي الياباني استجاب للمتغيرات دون أن يفقد تماسكه

☐ ماهي الدروس الحضارية التي يمكن أن تنفعنا نحن العرب ؟

نحن ـ العرب ـ مدينون للزمن الحاضر ، هذا الزمن الذي نرى انجازاته العلمية والتقنية والانسانية ونشعر أننا لا نستطيع اللحاق به ، نلتفت لتجارب الذين حولنا من الأمم الناهضة شرقا وغربا لعلنا من تجاربها مستفيدون ، وبركب الحضارة ـ بمعناها الشامل ـ لاحقون ، ويبدو لكثير منا أن مثلنا كمثل الرجل الذي يجري للحاق بتفاحة مربوطة بقصبة طويلة مثبتة على صدره . . . يجري في محاولة لالتقاط التفاحة ، فلا هو اليها واصل ، ولا هو عن جريه واقف ، وتكاد تنقطع أنفاسه في اكمال الشوط .

إنها صورة لا شك قاتمة . لكن ما نراه حولنا من الواقع يؤكد تلك الصورة في أكثر أشكالها سخرية .

من بين تجارب الشعوب التي نراها أمامنا دائما . . التجربة اليابانية . فلا أحد يشك أن اليابان ـ ذلك البلد الشرقي ـ أصبح اليوم من القوى



الرئيسية في العالم ، وحتى بعد مجموعة الهزائم المنكرة ـ وأسوؤها هزيمته في الحرب العالمية الثانية ـ حققت اليابان اليوم إنجازا اقتصاديا وحضاريا بالغ الأثر في تجارب الشعوب الحية .

ولعل البعض يعتقد أن جيلنا من العرب الحاليين وحده هو الذي افتتن بالتجربة اليابانية ، وحاول سبر أغوارها ، لما يظهر بيننا كعرب وبين الشعب الياباني من تماثل في كثير من العناصر الحضارية ، لكن هذا الافتتان ليس وليد اليوم أو الأمس القريب ، بل انه أقدم من ذلك بكثير ، حتى عندما لم تكن تجربة اليابان تتعدى بضعة عقود من السنين .

من السلطان عبدالحميد حتى الوقت الحاضر

☐ لعل من المفاجيء للبعض أن يعرف أن السلطان عبدالحميد ـ وهو من أواخر السلاطين العثمانيين ـ قد أعجبته تجربة اليابان ونهضتها منذ زمن بعيد ، في مطلع هذا القرن على وجه التقريب ، ونحن نجده في مذكراته التي دونها يكشف عن نواياه التي كانت تتجه الى تكرار عناصر تلك التجربة لدى الدولة الاسلامية انذاك . ولكن لم تتح له الفرصة ، لأسباب متعددة وكثيرة ، واستمر كتاب ومفكرون كثيرون من العرب يذكروننا دائما ـ وبحسرة كلما أمكن ذلك ـ بتلك التجربة الشرقية منذ محاولة السلطان عبدالحميد ، ومن قبلها تجربة محمد علي في مصر وما أتيح لها من ظروف كان يمكن أن تتشابه مع ظروف النهضة اليابانية ، كما يذكروننا بأشعار حافظ ابراهيم ومقولات مالك بن نبي ، الذي أعجب بالتجربة اليابانية وكتب عنها . وحتى في يومنا هذا عندما استضاف المفكرون العرب في نهاية العام الماضي في ندوتهم بالقاهرة كاتبا يابانيا هو « ياسومازا كورودا » ، راح يحدثهم ـ خلال بحثهم في أصالة ومعاصرة الوطن العربي ـ عن التحديث في اليابان .

وأعتقد أن ذلك لن يكون نهاية المطاف . فما حدث في اليابان سيظل يشد الكثير منا نحن العرب ـ في محاولتنا لدفع ديوننا للزمن الحاضر ومحاولة تلمس طرق جديدة لنهضة عربية ـ فنعاود الحديث مرارا وتكرارا عما حدث في اليابان .

اليابان.. لماذا؟

☐ السؤال : ماذا شد أسلافنا ويشدنا للتجربة اليابانية ؟

في تقديري أن الجواب عن هذا السؤال الكبير يكمن في أن هناك شعبا قد يتماثل معنا نحن العرب في بعض العوامل الحضارية والانسانية والاقليمية ، وهو شعب شرقي مثلنا استطاع أن ينقل عناصر الحداثة ويوائم بين التقليد (بمعنى القديم الموروث) . . والجديد الحديث . . دون أن يفرط في الكثير من عناصر التقليد التي تمثل جوهره ، ودون أن يستهين أيضا بالحديث والمتطور ، وبتلك الصياغة استطاع أن يصبح قوة عالمية .

فالبعد الاجتماعي والقيمي هو أحد الأسس الذاتية في نهضة اليابان

اليوم ، وليس البعد المادي وحده فقط .

خلال بحثنا عن العناصر التي كونت تلك المعادلة ، وكانت ناجحة الى حد كبير في الحاق اليابان بالعصر الحديث وبسرعة فائقة ، قد نجد عناصر تنفعنا نحن العرب ولها علاقة بأسباب نهضتنا المرتجاة . وتتيح لنا أن نسدد ديننا للزمن الحاضر .

المشاهدة على الطبيعة

☐ وقد قدر لي أن أزور اليابان في وسط شهر نوفمبر الفائت ، وأن أعود لأؤكد أن ما تراه العين أعمق وأكثر أثرا مما تسمعه الاذن ، وما يستفاد من معاينة التجربة أشد وقعا مما يقرأ في بطون الكتب . الا أنني أسارع الى القول انه ليس بالضرورة أن ما تراه العين وما يستفاد من معاينة التجربة ، أكثر بهرا مما تسمعه الاذن أو يقرأ في بطون الكتب .

بل انني أعتقد أنه في حالة اليابان يبدو أن العكس هو الصحيح . فالانبهار بالتجربة اليابانية وعملية التحديث التي تبناها المجتمع الياباني وهضمها ، هو فيما نسمع ونقرأ ونتناقل ، أما الواقع فليس فيه من الانبهار شيء ، الانبهار بمعنى المعجزة واستحالة التكرار .

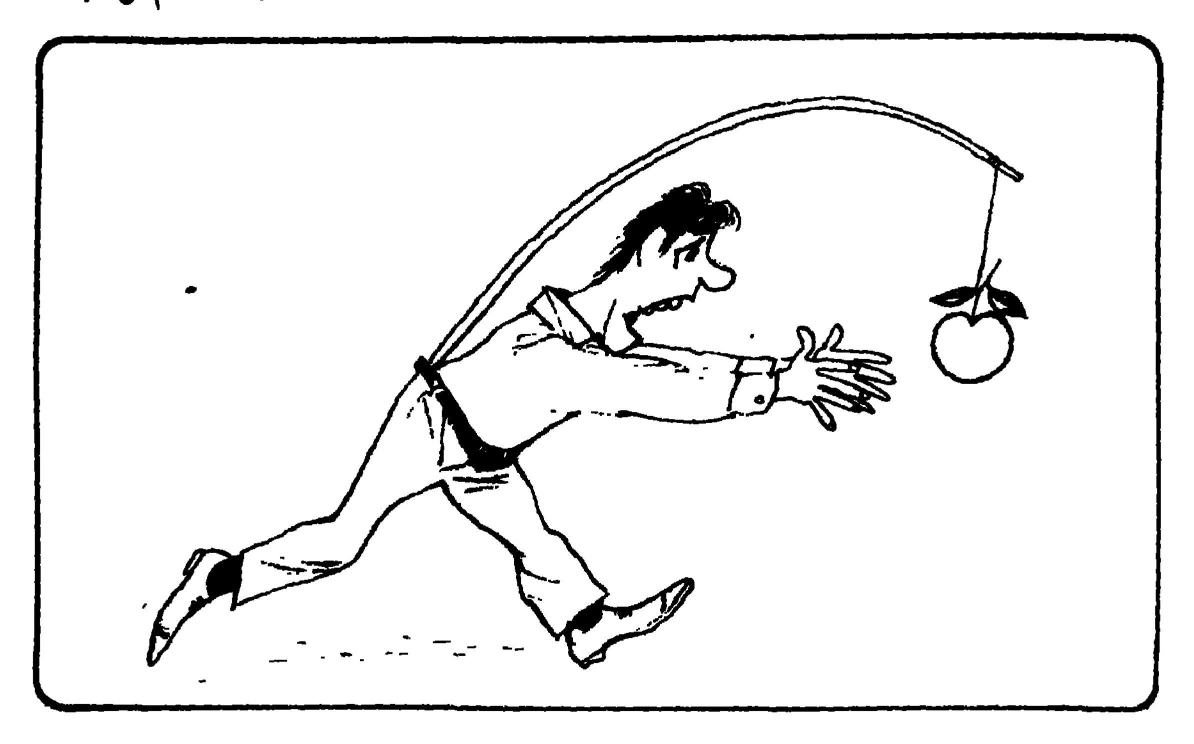
فما حدث في اليابان تجربة انسانية . . صحيح أن لها خصوصيتها ، ولكنها تجربة انسانية نستطيع أن نرى فيها نجاحات الانسان وفشله ، ضعفه وقوته . . وأيضا قدرته على التكيف . . تجربة يمكن أن تتكرر لدى شعوب أخرى إذا توفر لها العزم والتصميم ووضوح الرؤية . فإن كان للغربيين عذر في وصف المجتمع الياباني بأنه غريب وغامض ومقفل . . وذلك نتيجة ما حمله اليهم التاريخ الطويل الذي جعلهم ينظرون الى الشرق عموما بأنه غريب وغامض . . فإننا نحن أبناء الشرق الذين تجمعنا هوامش عريضة من التراث الشرقي ، يجب أن لا نقف أمام تجربة كهذه موقفا سلبيا ، وإن وقف بعضنا - تمشيا مع الغرب - ذلك الموقف !

أرض الشمس المشرقة وتعدد الآلهة

☐ مجموعة من الأفكار الخاطئة تسمعها كأساس لعمليات تحديث اليابان.أول هذه الأفكار الخاطئة - وأهمها في نظري - هو قول القائلين ان اليابان واءمت بين الجديد والقديم ، المستحدث والموروث ، دون أن تتخلى عن الأخير . وذاك فهم خاطيء ، خاطيء من حيث تجارب الانسانية كلها على وجه الأرض وعبر التاريخ ، حيث أن عملية التثاقف بين الشعوب عادة ما تنصهر عناصرها بعضها مع بعض . كما يأتي مولود جديد له شبه الأب والأم والجدود ولكنه مخلوق متفرد له خصائصه الذاتية . . وكما في ذلك المولود فإن الأمر أيضا ينسحب على تجارب الشعوب ، وهو في تجربة اليابان بالذات واضح وجلي .



فالصينيون - وحضارتهم أقرب الحضارات القديمة الى جزر اليابان - قد تركوا أثرهم في حضارة اليابانيين - هذا الأثر واضح وبيّن الى اليوم . . من



ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يتبناه اليابانيون من حروف صينية ، عدا ملامح كثيرة من عناصر الثقافة الصينية ، ليس أقلها بالطبع العقيدة الدينية ، التي كان من أثر انتشارها أن انتشرت الفنون والآداب الصينية ، ولمدة طويلة استمرت اليابان في تقبل التأثيرات الحضارية الصينية وتمثلها لتعيد انتاجها على نمط ياباني .

في ذلك الوقت كانت أرض الشمس المشرقة تعتقد بأن الحداثة والتقدم هو في تقليد الصين ، فلما انزوت الصين ، كحضارة وقوة ، حولت اليابان أنظارها في نهاية القرن التاسع عشر الى اوروبا ، ولا سيما الدولة البروسية . . فأصبح تقليد الألمان في كل شيء ظاهرة طبيعية في اليابان . ولقد توافق مع توجه اليابان الى اوروبا ، ان الأخيرة كانت في أوج عصرها الليبرالي . وكان النموذج الليبرالي هو ما اختارته اليابان . . وتم اقتباس العديد من المفاهيم القانونية والسياسية والبيروقراطية من النموذج البروسي ، بما في ذلك تنظيم مجلس الوزراء وكذلك الدستور الأول في اليابان في سنة ١٨٨٩ . وقد قاد هذا التشرب ، الى تكوين دولة عسكرية . ويقول بعض المؤرخين انه قد غاب عنها دور الزعيم ، ولو تم ذلك لتحولت اليابان الى دولة « فاشستية » على غرار ما كان في الغرب ، وفي ألمانيا النازية بالذات .

رغم عدم التماثل هذا ، فاليابان في تلك الفترة أصبحت قوة عسكرية لها أطماع في جيرانها ، مما دفعها الى دخول أكثر من حرب في بداية القرن العشرين .

وبعد الحرب العالمية الثانية ، وهزيمتها من الولايات المتحدة ، تحولت اليابان الى نمط جديد على غرار التنظيم والادارة الامريكية ، وأصبح تحقيق فكرة الديموقراطية كما تفهم في الولايات المتحدة ، هو المثل الأعلى للتنظيم الذي تبنته اليابان ، ووضع دستورها الجديد بعد الحرب تمشيا مع هذا التوجه .

وقاد ذلك الى محاولة تقليد الغرب حتى في الديانات ، فأصبح بعض اليابانيين مسيحيين ، وتمثل الشعب الياباني مظاهر الثقافة المسيحية في الأعياد والمواسم ، وان لم يتبنَّ العقيدة ذاتها . . !

اليابانيون اذن تمثلوا تجارب غيرهم وتبنوها ، ويقول لنا التاريخ - عن علاقة اليابانيين بالصين - (انه لم يسبق ان خطط شعب حر لاستيراد حضارة من شعب آخر كما فعل اليابانيون مع الحضارة الصينية) .

ان الاستعداد للتغيير هو جوهر الحقيقة هنا ، وقد كان هذا التغيير في بعض أوقاته عن اقتناع اعتقدت معه النخبة اليابانية انه لصالح اليابان ، كما كان هذا التغيير في أوقات أخرى مفروضا من الخارج .

هذا الاستعداد للتغيير والمواءمة ، حافظ على النسيج الاجتماعي الياباني ، وامتص هذا النسيج العناصر الجديدة وتواءم معها . . تغير معها وأثر فيها في نفس الوقت .

فرغم الاعجاب الأول بالحضارة الصينية ، وبعده بالحضارة الغربية في القرن التاسع عشر ، ثم أخيرا بالشكل الامريكي في التنظيم والادارة - رغم كل ذلك ، فقد نقل اليابانيون من حضارة الغير عناصر قوتها ، وطوعوا نسيجهم الاجتماعي للتغيرات التي فرضتها عليهم حاجتهم لمسايرة العصر .

الطبقية الاجتماعية

□ أبرز ما يمكن ملاحظته في هذا الجانب ، ان الطبقية الاجتماعية اليابانية قد تحولت من شكل الى آخر ، دون ان يفقد النسيج الاجتماعي صلابته . ورغم كل ما أخذه اليابانيون من الصينيين ظلت الطبقية الاجتماعية الاقطاعية هي السمة البارزة للمجتمع الياباني حتى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ، ولم يقبلوا فكرة « الامبراطور الدنيوي » التي كان الصينيون يأخذون بها . وظلت النظرة الى بيت الامبراطور الياباني على أنه البيت (المطل من اعلى السحاب) ، هو البيت المقدس . وفي إبان الحرب العالمية الثانية تحدثنا روث بندكت - عالمة الانتروبولجيا الأمريكية التي كتبت اكثر الكتب شهرة عن اليابان وهو (زهرة الأقحوان والسيف)* وقد



---

* هذا الكتاب كتبته الكاتبة بناء على طلب وزارة الحرب الأمريكية أبان الحرب العالمية الثانية واصبح كتابا ذائع الصيت وضروريا لفهم اليابان . والنسخة التي قرأتها اخيرا هي الطبعة الثامنة والثلاثون .



اخذت معظم معلوماته من سجناء الحرب اليابانيين . . تحدثنا الكاتبة ان كل من استجوبوا من أسرى الحرب اليابانيين في جميع المواقع كانوا يرفضون ان يذكروا الامبراطور بسوء ، فهو مقدس ، وفوق النقد .

في التنظيم التقليدي الياباني قبل منتصف القرن التاسع عشر ، كان الولاء (للشوجن) الاقطاعي الأكبر ، و (الديموز) الاقطاعي المحلي ، ولاء لا يرقى اليه الشك من قبل الفلاح الياباني . كما كانت الطوائف (وهي على الترتيب من اعلى : المحاربون ، والمزارعون ، والصناع ، والتجار ، ثم ما دون ذلك من عامة) هي ميزة المجتمع الاقطاعي الياباني المتوارثة ، حتى ان كل رئيس عائلة في هذه الطائفة او تلك كان عليه ان يضع شبه اعلان امام منزله مبينا انتماءه الى هذه الطبقة او تلك ، وتمشيا مع هذا التراتب الاجتماعي كان يعتمد الثياب التي يلبسها ، ونوع الاكل الذي يمكن ان يشتريه ، بل نوع المنزل الذي يمكن ان يعيش فيه .

التجار والعاملون بالتجارة كانوا فوق العامة في اسفل السلم الاجتماعي . . وذاك يفسر التناقض بين (الاقطاع) والعمل التجاري ، وكلما تقدمت التجارة تآكل الاقطاع . تلك تجربة التاريخ الاوروبي وهي كذلك تجربة التاريخ الياباني . ولقد كانت أكثر الفئات الاجتماعية اضطهادا في العصر الاقطاعي الياباني هي فئة التجار . فقد كان الاقطاعيون الكبار يبالغون في القسوة على هذا القطاع سواء في فرض الضرائب او وضع التنظيمات ، الى درجة تحديد حجم سفنهم التي ينقلون فيها البضائع الى الخارج . المزارعون والمحاربون فقط كانوا طبقتين مناسبتين للاقطاع .

والمرونة الاجتماعية أيضاً ..

□ رغم مظاهر القطيعة في هذا التركيب الاجتماعي ، الا ان المجتمع نفسه كان يحمل بذور المرونة في التحول من شكل الى آخر ، وكانت هناك حقوق تعطى لكل فئة اجتماعية . وحتى العامة كانت لهم حقوق احتكار بعض المهن ، وقد كان من حق المزارعين مثلا ان يظهروا شكواهم وتذمرهم من الاقطاعي ، وكان يحقق لهم بعضا من مطالبهم . . ولكن بعد ان يجري اعدام قيادة المطالبين بالاصلاح ! ، كما ان نظام (الرهائن) من ابناء الفلاحين لدى الاقطاعي عمل متعارف عليه لضمان ولاء الاخرين المطلق . المرونة تظهر في مظهر آخر حيث كان يمكن للانسان ان يغير طبقته ـ وليس الامر كذلك في الهند حيث النظام الطبقي الصارم ـ فالتغير في النظام الطبقي الياباني التقليدي ممكن دون صراع ، عندما يصبح لدى التاجر ما يكفي من المال الذي يمكنه من امتلاك الارض عن طريق التأجير فيتحول الى اقطاعي . وكان هناك طريق آخر لتغيير الفئة الاجتماعية هو طريق التبني ، ويمكن شراء

وضع « المحارب » عن طريق تأجير عائلة من طبقة المحاربين لابن أي تاجر أو تزويجه من ابنة محارب .

ومازال التبني يتم في اليابان حتى اليوم عن طريق تزويج البنت من شاب يتوسم الأب فيه خيرا ، فيعطيه ابنته واسمه ايضا .

لذلك فان تحول النسيج الاجتماعي من إقطاع الى مجتمع برجوازي حديث ، تتحكم فيه فئة عليا من أصحاب المال والأعمال ، كان تحولا سلميا . وعندما ظهرت السفن الامريكية على شواطيء اليابان بقيادة الكابتن ماتيوز بري في سنة ١٨٥٣ ، لم تكن اليابان في حقيقة الأمر مجتمعا مغلقا متخلفا ، بل كانت مهيأة لتقبل التغيير اجتماعيا ، وكانت بها فئة معقولة على علم بما يجري في الغرب .

لذلك فان صيحة اليابانيين بعد أن وجدوا أرضهم تتعرض للغزو من طلائع الحضارة الغربية الحديثة ، كانت هي « الصحوة » و « البعث » والرجوع الى العصر الذهبي تحت شعار (احفظوا الامبراطور ، والموت للبرابرة) .

الإنتصار على الغرب

□ هذه الاصلاحات الاقتصادية والقانونية التي اخذها اليابانيون على عاتقهم مقلدين الغرب من اجل الانتصار عليه ـ والتي امتدت بين منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الثانية ـ قد واكبتها اصلاحات اجتماعية ايضا . فأصبحت العائلة ومعايير القرابة هي امتداد للولاء السابق ، ولكن ولاء هذه المجاميع للاقطاعي تحول للامبراطور . واصبح « الشعب » بمعنى « القوم » وأهمية اتخاذ موقعه تحت الشمس هو القيمة العليا لليابانيين ، واصبحت القومية والتركيب الاجتماعي ولغة الاحترام المتبادلة بين الاصغر والأكبر في خدمة المصلحة العليا للوطن .

لغة الاحترام بين اليابانيين أصبحت تعتمد على السن والجنس والوضع في العائلة . وفي العائلة يتشرب الياباني الصغير منذ نعومة اظفاره احترام من هم أسن منه ، وحتى وهو في مهده تدفع الام رأس طفلها الى اسفل امام والده او اخيه الاكبر إظهارا للاحترام . . !

هذا التركيب الاجتماعي الجديد في مظهره القديم في فحواه ، جعل من المجتمع الياباني مجتمعا عسكريا صارما في الفترة الواقعة بين الاصلاحات الكبرى في منتصف القرن التاسع عشر ونهاية الحرب العالمية الثانية ، وجعله ايضا مجتمعا متجانسا في العصر الديمقراطي الحديث .

والايمان بالدولة في الفترة الأولى ، وبأنها لا تنهزم ، تنقله لنا روث بندكت ، في كتابها الذي اشرنا اليه سابقا ، بقولها (ان الاسرى اليابانيين لم يكونوا يصدقون ان بلادهم يمكن ان تهزم ، أو حتى أن يقعوا اسرى في أيدي العدو ، وكان عدد الأسرى ضئيلا جدا ، وكان البعض منهم يتحول الى « متعاون » بعد وقوعه أسيرا) . . وتفسير الظاهرة الأخيرة هو أن الياباني لا



يفعل ذلك خيانة منه ، ولكن لأن معتقداته التي بنيت بشكل قطعي على النصر قد تحولت الى هزيمة نفسية .

وبعد الحرب تحول هذا التركيب الاجتماعي التقليدي من معايير القرابة والعائلة الى معايير (الانجاز) . فأصبحت العائلة تعني شيئين : العائلة الصغيرة (النواوية) التي أصبحت اليوم هي السائدة في المجتمع الياباني المعاصر ، وكذلك تعني شيئا آخر هو « الشركة » او « المصنع » الذي يعمل فيه الفرد .

واصبح العمل هو المعيار الاهم الذي يشكل الرابط الجديد للنسيج الاجتماعي الياباني . وحيث قيم الاحترام والتبجيل « للعمل » و « الوطن » .

وهناك كتاب حديث كتبه ياباني ، لم يكن مقبولا لدى اليابان الى درجة فصله من عمله كسفير وهو (اهيرو كواساكي) ، في هذا الكتاب الذي سماه مؤلفه (سقوط القناع الياباني)* - يقول عن قيمة العمل لدى الياباني المعاصر (إن العمل والحياة خارج العمل كما يفهمها الغربي ، ليست موجودة عند الياباني ، وليس هناك خط فاصل يحدد أين ينتهي العمل وتبدأ الحياة ، فان كان الموظف الياباني في مكتبه لم ينجز عمله في اوقات الدوام فانه يبقى في مكتبه حتى يتم انجازه ، بصرف النظر عن توقيت العمل نفسه ، وربما يأخذ اوراق العمل الى المنزل لينهيها حتى لو كان ذلك في ايام العطل) .

التركيب الاجتماعي الياباني اليوم هو نخبة حاكمة وشعب معظمه من الطبقة الوسطى يستخدم العلاقات الاجتماعية من الطاعة والاحترام وتقديس معايير الانجاز في انسجام اجتماعي لصالح المؤسسة الاقتصادية .

* * * *

مما تقدم نستطيع أن نثبت قضيتين هامتين يمكن ان تكونا منارتين لفهمنا للتجربة اليابانية من منظورها الاجتماعي والقيمي :

الأولى : ان العلاقات الاجتماعية في اليابان ليست ثابتة وجامدة ولكنها متحولة لتقبل الجديد وللتطوع بمرونة معه .

والثانية : ان اليابان تقبل على الجديد وتهضمه بشكل مخطط وواع ولا تقف امامه بدعوى أنه مجلوب من الخارج .

الخبرة الوطنية

□ مع الدروس الهامة الأخرى في التجربة اليابانية هناك ما يمكن تسميته (بالخبرة الوطنية) هذا الدرس هام بالنسبة لنا نحن في الوطن العربي ، ويتلخص هذا المفهوم في أن الخبرة الحديثة تقنية كانت أو قانونية أو اقتصادية أو في أي اطار آخر ، هي في الغالب نتاج العقل والعمل الحديث في الغرب ،

---

* هذا الكتاب اعتبره اليابانيون صارما وخارجا عن التقاليد اليابانية لأنه تعرض لامور يابانية خاصة في الحياة والعمل والاخلاق .

وحتى ننقل هذه الخبرة لابد من عنصر وطني (محلي) لفهمها واستيعابها ثم نقلها الى المجتمع .

وما فعله اليابانيون في هذا الاطار أصبح معروفا للعالم . فهم قد أرسلوا الوفود الطلابية والبعثات العلمية لتنهل من العلم الحديث ، وعلى هذه الوفود بعد عودتها الى الوطن اعتمدت تجربتهم في نقل التحديث .

الفارق واضح هنا بين هذا التوجه وبين استخدام الخبرة الانسانية الاجنبية في صورة بشر مجلوبين من الخارج لتقييم او وضع برامج التنمية ـ كما يحدث في كثير من اقطار العالم الثالث ـ هؤلاء الأغراب ولو تسلحوا بالخبرة التقنية والفنية في مجال تخصصهم يفتقدون فهم الواقع المحلي الاجتماعي والثقافي ، فهم في الحقيقة يحصلون على بعض من هذه الخبرة من السكان المحليين ، وتأتي توصياتهم صورة مكررة لما خبروه في مجتمعاتهم .

اما الخبرة المحلية التي اعتمد عليها اليابانيون فهي تقوم على ابناء اليابان انفسهم الذين توفرت لهم الخبرة الجديدة وجعلوها توائم متطلبات مجتمعهم . ولم يخضعوا لما سماه بعض الصحفيين العرب (عقدة الخواجة) التي اخذت اكثر من مظهر في نطاق محاولات التحديث والتنمية العربية .

* * * *

تجربة اليابان التحديثية ليست بعيدة عن متناول اليد والعقل العربي ، فهي ملخصة فيما ذهب اليه كثيرون من المفكرين العرب ـ وعلى سبيل المثال : زكي نجيب محمود عندما قال ما معناه : (ان سمة العصر هي العلم والتقنية ، وعلينا صب هذا المضمون في وعاءين من عندنا : الوعاء الأول هو اللغة ، فننقل اليها نتاج العصر الفكري ، ويصبح هذا النتاج عربي القسمات والملامح ، والوعاء الثاني هو قواعد السلوك العامة من تشريع وخلافه وموروثات اجتماعية . واذا تعارضت هذه الموروثات الاجتماعية مع ما تقتضيه علوم العصر على اختلافها وجب الابقاء على علوم العصر وتجاوز تلك الموروثات الاجتماعية) .

التجربة اليابانية تقول لنا بما لا يقبل الشك ان الموروثات الاجتماعية في غالبيتها محايدة، بل ويمكن استخدامها لتأكيد علوم العصر ، وهكذا بالنسبة للموروثات الاجتماعية العربية .

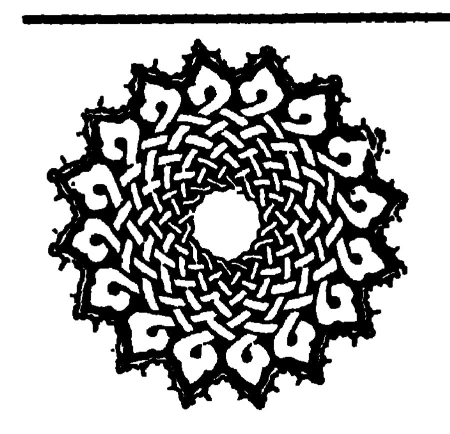
ليست هناك إذن قوانين نهائية تقف امام التقدم في اي نسيج اجتماعي ، انما الذي يقف امام التقدم ما يختزنه البعض في عقولهم من فهم خاطىء للحاضر ومتطلبات العصر .. فهل ندفع ديننا للزمن المعاصر عن طريق فهم تجارب غيرنا فهما علميا واضحا والاستفادة من دروسه في وعاء عربي وبأيد عربية ؟

ذلك ما نرجوه .

محمد الرميحي



من قضايا الاسلام والعصر :



آفاق الاجتهاد

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

أمامنا أكثر من طريق في عرض هذا الموضوع :

أولا : أن نبدأ بالاجتهاد وتعريفه وشرعيته وضرورته ، وانه المصدر الثالث في التشريع بعد القرآن والسنة النبوية ، ونذكر أدلة ذلك وآراء الفقهاء فيه ، ثم ننتقل الى العصر الحاضر ، مناقشين ما أثير حول باب الاجتهاد وغلقه وفتحه ، والمشكلات التي علينا أن نقابلها الآن .

ثانيا : أن نبدأ بالمشكلات : ذلك أنها التي تدعو الى الاجتهاد ، وهي التي تفرض نفسها علينا فرضا ، وتفاديها أو التهرب منها ، انما هو تهرب من واقع الحياة التي نحياها والعصر الذي نعيش فيه . ولا يملك الدين وعلماؤه الا أن يحملوا مسئولياتهم ، جامعين بين فهم الاسلام عقيدة وشريعة ، وبين فهم العصر ، واقامة الجسور التي يمكن أن يعبر عليها العالم الاسلامي الى غده حاملا نور الشريعة ، ، قادرا على السير في دروب الحياة المتشابكة وتياراتها المتدافعة .

الافق الاول

وقد آثرت سلوك المنهج الثاني ، وفيه نعرض آفاق الاجتهاد التي يفرضها علينا سير الحياة في تدفقه الذي لا ينتظر أحدا ، وانما علينا أن نلقاه ، وأن نشارك فيه ، وأن تكون لنا القدرة على صياغة حياتنا الدينية والفكرية ، صياغة مبدعة مثمرة .

وأبدأ بالأفق الاول ، وأعود فيه الى سنوات مضت عندما كنت في زيارة لأمريكا اللاتينية ، حملتني فيها مسئوليات العمل الى البرازيل والارجنتين ، ولقيت

جاليات إسلامية في ريو دي جانيرو وساوباولو وكوروتيبا وبوينس آيرس . . ودار بيننا أكثر من حوار ، فتح الاخوة هناك فيه قلوبهم ، وعرضوا أفكارهم ومشكلاتهم في صراحة وألم . .

ولنستمع الى قولهم ، فمن حقهم أن يقولوا ، وعلينا أن نسمع ، ولنا جميعا أن نتحاور ، ونطرح المشكلة أمام أهل العلم . . وأقصد العلم في أوسع مدلولاته : علم الدين ، وظروف البيئة التي يعيش فيها إخواننا هناك ، وأبعاد المشكلات التي يقابلونها .

قالوا : أكثر رجال الدين الذين يزورونا يأتون من المشرق الاسلامي ، رجال عاشوا في عواصم إسلامية ، يسمعون الأذان في اليوم خمس مرات ، ويسمعون القرآن ويقرءونه ، ويتحدثون العربية بطلاقة ، وصفوة القول أنهم يعيشون في ديار هي مهد الاسلام وموطنه .

ونحن نعيش هنا في أطراف الدنيا ، اذا كان للدنيا أطراف ، نعيش في أقصى الأرض ، إذا كانت نظرتنا الى ديارنا المقدسة كأنها في المركز . وكم نكون سعداء لو استطاع أبناؤ نا ـ الذين ولدوا في هذه الديار ـ أن يحفظوا فاتحة الكتاب وقصار السور ، وأن يؤدوا الصلوات الخمس ، ويصوموا رمضان . . .

إن أحدنا يعيش وكأنه صورة حية لقول المتنبي وهو يصف شِعب بوّان ، فلم تصرفه مغاني الشِعب وخضرتها وزهورها عن إحساسه ـ وهو العربي ـ بالغربة فقال :

ولكن الفتى العربي فيها
غريب القلب واليد واللسان

ولكن أبناءنا لا يحسون الغربة في هذه البلاد ، ففيها ولدوا وكبروا ، ولهم فيها أصدقاؤهم وجيرانهم . . يعيشون كما يعيش من حولهم .

وعندما يزورنا أحد رجال الدين يسأله الأبناء عن كثير مما يصادفون في حياتهم اليومية . . فلا يسمعون من الضيف إلا كلمة واحدة : هذا حرام . . هذا حرام !!

وفي يوم التقيت مع رجل الدين ـ هكذا قال صاحبي الذي حدثني هناك ـ وقلت له :

يا مولانا . هل تظن ان الله سيحاسب على الاسلام سكان ساوباولو وبيونس ايرس ، كما يحاسب سكان مكة والمدينة ودمشق والقاهرة ؟ لم يسألك الأبناء عن شيء من حياتهم اليومية إلا قلت : هذا حرام . . هذا حرام . . !!

انهم لا يستفتونك في خمر يشربونها ، ولا في محرّم يأكلونه ولكن في تزاور مختلط ، وفي جلسات عائلية تضم أبناءنا جميعا ليتعارفوا ، وفي جامعات تضم الأبناء والبنات . وفي شيء من التيسير في الملبس أو التجمل في الخروج . . وكثير من هذا يحدث عندكم في المشرق الاسلامي وتسير به حياتكم ، أو تتعايشون معه .

يا مولانا : مما أحفظ من حديث النبي عليه الصلاة والسلام . . « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم » . .

(رواه الترمذي والنسائي عن ابي هريرة)

والاولاد ـ والحمد لله ـ لا يؤذون أحدا ، ولا يقربون الحرام . ولكن الحياة هنا غير الحياة عندكم . . اجمع لي ياسيدي كل الحلال الذي تعرفه وضعه في قائمة ، وسننظر معا هل يستطيع أولادنا أن يصوغوا حياتهم به ؟ فإن كلمة حلال لم ترد على لسانك إلا قليلا . .

وعدت من امريكا اللاتينية ، وهذه المعاناة حية في خاطري وقلبي . وسؤال الصديق يتردد : هل يحاسب الله أهل هذه الديار القصية ، وذلك الجيل الناشيء هناك ، كما يحاسب أبناء الاسلام الذين عاشوا في ديار الاسلام ؟ الا يحتاج هؤلاء الى من يَدْرسُ معهم أسلوب حياتهم ولا يكتفي بأن يقول الفتوى ، ثم يطير . . عائدا الى بلاده ، تاركا القوم هناك بين نارين : الاحساس بالذنب ، والحرمان من الدعوة المستنيرة ؟؟

الأفق الثاني

ومن هؤلاء أنتقل الى الأفق الثاني ومشكلاته في غرب أوروبا والولايات المتحدة وكندا ، ذلك العالم الغربي المتقدم ، الذي استطاع أن يجتذب عناصر متفوقة من أبنائنا . . وإذا كانت الطلائع الأولى من المهاجرين المسلمين ، لم تستطع أن تؤكد وجودها الجماعي في تلك الديار ، فإن كثرة المهاجرين من بعدهم وقدراتهم على التقارب السكنى من ناحية ،

والتعاون المهني من ناحية اخرى ، وتوفر فرص الاستقرار والكسب والتفوق أمامهم ، كل أولئك جعل من هذه الديار (مواطن دائمة) لجاليات إسلامية آخذة في التكاثف ، والقدرة على مد جذورها في الأرض الجديدة ، والرغبة في الاستقرار هناك .

وهم يقابلون - على الاقل - مشكلتين أساسيتين :

أما الاولى عندهم - وهي الأخطر - فهي الأبناء . . الأبناء الذين يعيشون الحياة الجديدة معيشة كاملة في المدرسة والنادي والحديقة العامة ، ويتعاملون في حياتهم اليومية بلغة البلاد التي يعيشون فيها ، ويشعر الأولاد أن التكاليف الاسلامية (طارئة) على هذه الحياة الجديدة : لماذا الصلاة في هذه المواقيت ؟ ولماذا الصوم ، وكل زملائي يأكلون في أي وقت ؟ وما الذي يستفيده الدين من جوعي وحرماني ؟ ولماذا لا أحفظ معاني القرآن وأكتفي بأقل القليل من الكلمات العربية ؟

بعض الأباء آثر العودة بالأبناء إلى ديار الاسلام ، والمشكلة مع البنات أشد ، وتركوا حصيلة عمرهم هناك من الجهد ، والمنصب الذي وصلوا إليه بالعرق والسهر والجدية المضنية ، التي لا يعرفها إلا من كابد حياة الصراع هناك . عادوا لأنهم لم يستطيعوا أن يقاوموا مَدَّ الحياة وموجها وتدافعها هناك . ولكن هل تَرْكُ هذه البيئات المتقدمة هو الحل ؟ وتَرْكُها لمن ؟ نحن نعلم كيف أفاد آخرون من هذه البيئات الجديدة . تلك عناصر أصبحت دعماً لأوطانها ومدداً علمياً واقتصادياً ، وركائز تعين على مزيد من الهجرة . هل أتحدث عن المهاجرين الأسيويين ، إذا كان الحديث عن الأجناس ؟ وهل أتحدث عن المهاجرين اليهود إذا كان الحديث عن الأديان ؟ وصلة هؤلاء وهؤلاء وأنشطتهم ؟

ان (اليهودي) في هذه المناطق الجديدة لا يفقد هويته الدينية . وهو - في الأغلب - مزدوج الولاء ، وهناك خط عاطفي يربطه باسرائيل ، وعلاقات منتظمة ، عن طريق منظمات راسخة القدم ، منتشرة الفروع ، فكيف حافظ هؤلاء على هوية أجيالهم الجديدة ؟ وكيف نظموا حياتهم اليومية ، وشعائرهم الدينية ، وتقاليد يوم السبت ، وملابس وأدوات العبادة ؟ وكيف نظموا التواصل بين الأجيال والتعاون المالي والعلمي بينهم ؟

كل هذه مسارات في هذا الأفق تحتاج منا الى دراسة عميقة ، وتجارب ورصد للنتائج وتطويرها .

ويأتي جانب آخر هناك : هو أسلوب التلاؤم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للراشدين والمنظمات الاسلامية ، والذي أعلمه أن الاخوة هناك يبذلون الكثير من الجهد العلمي في تحديد أبعاد حياتهم ، والكثير من الجهد العملي في تطبيق ذلك . ونرجو ألا نحمل إليهم بعض الآفات الفكرية من العالم الاسلامي . . آفات الفرقة والمذهبية والحساسيات الطائفية والصراعات التي جعلت من بعض أبنائنا على الآخرين قضاة يحكمون في الدماء ، وينفذون الأحكام ، والتي أوجدت أخاديد الدماء بين الحكام والمحكومين ، وحفرت بينهم خنادق الشك وسوء الظن .

هناك اجتهادات على مستوى الراشدين ، واجتهادات من أجل الاجيال الجديدة ، وأتحدث عن الاجتهادات هنا بأوسع مدلولاتها التي تشمل صياغة الحياة الجديدة في مواطن جديدة لأجيال جديدة .

الأفق الثالث

وهناك أفق ثالث يتحدى أكثر من دين ، بل أكثر من قانون أخلاقي . وترجع قصته الى نهايات الحرب العالمية الثانية ، عندما ألقت الولايات المتحدة قنبلتها الذرية الأولى على هيروشيما في ٦ أغسطس ١٩٤٥ ، وفي ٩ أغسطس على نجازاكي في اليابان .

واستسلمت اليابان ، وانتهت الحرب العالمية في ١٤ أغسطس ١٩٤٥ .

يقول المؤرخ العالمي أرنولد توينبي : لقد أخرج الانسان المارد من القمقم ، وأصيب الدين بضربة قاضية ، وأصبح العلم ملاكا وشيطانا معا .

كان النظر الى العلم من قبل ، كأنه كشف وفتوح . . أما بعد الحرب العالمية الثانية ، فاشتد ارتباط العلم بالسياسة والحرب . وأصبحت المعرفة سلاحا داخلا في استراتيجية الدول الكبرى ، واتجهت الكشوف العلمية إلى آفاق جديدة من حروب الجراثيم أو الحروب البيولوجية . . ومع اتساع آفاق العلم في اتجاهين : في أعماق الفضاء الخارجي ، وفي أعماق الخلية والذرة . . ظهرت أسلحة الفضاء

الخارجي ، وتجارب التحكم في الخلية ، وهندسة الوراثة ، واصطناع افراد من البشر بمواصفات محددة ، والافادة من الأرحام الخصبة في حمل جنين أم اخرى ، فتكون إحداهما أما بالبويضة المخصبة ، والثانية أما بالحمل . . ومع القدرة على التحديد العلمي لمواصفات في الأجنة ظهرت مشكلات التخلص من الجنين المشوه ، ومدى سلطة المجتمع أو الابوين في تقرير مصيره .

كثيرة هي المشكلات التي أفرزتها هندسة الوراثة وعلوم الحياة في مدلولها الواسع

ويكفي أن نشير الى الندوة العالمية التي شهدتها مدينة فارنا / بلغاريا في يونيو ١٩٧٥ ، والتي أصدرت عنها منظمة اليونسكو كتابا عام ١٩٧٨ ، أشرف عليه الاستاذ بروسو رايبس وعنوانه : « علم الحياة والاخلاق » وما تتابع بعد هذا من ندوات شارك فيها أكثر من هيئة عالمية وعلمية متخصصة تدعو الى دراسات مكثفة . وحوار بين العلماء من ناحية ، ورجال الدين والاخلاق من ناحية اخرى ، لوضع ميثاق أخلاقي عالمي ، يوضح الاطار العام للعلاقة بين هذه الآفاق العلمية ، وبين الدين والاخلاق .

واذا كان هذا مطلوبا على الصعيد العالمي ، فإن أصحاب كل دين - وعلماءه ورجال الدين فيه - مدعوون الى دراسة تخص دينهم في هذا الامر .

وأعود فأقول :

إن هذا ضرورة وفريضة . وعلينا أن نواجه هذه المشكلات مواجهة علمية دينية واعية ، وأن يكون لمجتمعنا فيها قول مبني على دراسات أصولية وموضوعية .

الأفق الرابع

ومن الافق العالمي انتقل الى الافق الاسلامي في شموله ، والى الاقطار الاسلامية في خصائصها الحضارية .

وليس أيسر من ان تغلق عليك بابك وتدور في دائرة ضيقة من الأفكار ، تظن أنها الحياة وأنها الخير . . وليحدث في الدنيا من بعدك ما يحدث !!

الذين أغلقوا الأبواب . واتخذوا الصوامع والأديرة والخانقات والخلاوي والمغارات والكهوف ورؤوس الجبال . . هؤلاء كثيرون منتشرون في طول التاريخ وامتداد الارض . وكل دين شهد صنوفا من هؤلاء الذين تركوا الحياة الدنيا فرارا الى نعيم ، أو خلود روح ، او صعوداً بها الى مستوى الاتحاد بالوجود الكلي ، كما تصوره بعض الاديان . . والحديث ليس موجها الى هؤلاء . .

ولعل من أهم خصائص الاسلام الحضارية ، أن دولته تكونت والوحي ينزل وقبل أن ينزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة : ٣) وقوله تعالى : « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (البقرة : ٢٨١). كانت للاسلام في المدينة دولة ، لها قائدها ونظامها الداخلي وعلاقاتها الخارجية وهذه الخصوصية لم يشهدها دين آخر .

فالاسلام - من اول يوم - لم ينعزل عن الحياة : اتخذ نظام الدعوة الخاصة ثم العامة ، وتحمل الأذى ، وكون قاعدته في المدينة ، ومنها استرد مكة وطهرها من الأوثان ، وانتشر في الجزيرة العربية . ومنها الى المشارق والمغارب ، برا وبحرا .

وقابل علماؤه مشكلات الحياة المتجددة بالقرآن الكريم ، والسنة المطهرة وبالاجتهاد .

ولم يتوقف هذا المد المبارك الا عندما وجد العلماء أنفسهم في مأزق حرج ، لا يطلب السلطان منهم الفتاوي إلا لاستباحة أوقاف محبوسة على الفقراء ، تتطلع إليها أعين الولاة الطامعة . وقد شرح هذا الامر بإفاضة السيد محمد رشيد رضا في كتابه (يسر الاسلام).

طبيعة الاسلام أن يتقدم ، وأن ينظر الى غد بنور من الكتاب والسنة ، مهتديا بهذا التراث الضخم من الفقه والتشريع .

فالاسباب التي دعت بعض العلماء الى القول بإقفال باب الاجتهاد ، كانت أسبابا اجتماعية اقتصادية سياسية ، ولم يكن هذا عن ضعف فيهم أو عجز . . وإنما حماية لما بقي من أموال أصحاب الحقوق . .

ويقول الشيخ محمود شلتوت ـ شيخ جامع الازهر ـ في كتابه : الاسلام عقيدة وشريعة ص ••• « واذا كان من أسس الاجماع اتفاق النظر في تقدير المصلحة ـ وهي مما يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والاحوال ، فإنه يجوز للمجتهدين أنفسهم ، أو لمن يأتي من بعدهم ـ إذا تغيرت ظروف الاجماع الاول ـ أن يعيدوا النظر في المسألة في ضوء الظروف الجديدة . وان يقرروا ما يحقق المصلحة التي تقتضيها تلك الظروف ، ويكون الاتفاق الثاني إجماعا منهيا لأثر الاجماع الأول ، ويصير هو الحجة التي يجب اتباعها ، واذا وجدت المصلحة فثم شرع الله » .

وفي هذا الباب الذي عقده الشيخ شلتوت بعنوان (الرأي والنظر) دراسة لجوانب الاجتهاد ، يمكن الرجوع اليها في كتابه الذي سبقت الاشارة اليه .

والمتغيرات في المجتمع الاسلامي الآن كبيرة : اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وعلميا وتربويا .. وتسطيح المسائل ، وتبسيط الحلول ، واقتراح الاقراص الصغيرة التي تقابل أمراضا كثيرة .. لم يعد مقبولا مع تسارع الحياة وتفتح الاجيال الجديدة .

ما موقف علمائنا من القضايا الاقتصادية المطروحة الآن ، وعلاقة أو علاقات الاقتصاد في الأقطار الاسلامية ، بالاقتصاد العالمي ؟ ما النقاط التي يلتقون فيها والتي يتمايزون ؟ قل مثل هذا عن أنسب الاساليب للشورى ، وتحقيق الارادة الشعبية المعبرة عن مصالح أوسع القطاعات وأولاها بالرعاية ؟

وكيف يمكن أن يتوفر (الأمن الفكري) لكل من العلماء ورجال الدين والأخلاق ، ليتحاوروا ، دون ضغط ولا خوف ولا إكراه .

أحيانا ، وفي بعض الاقطار والعصور ، نحس أن السلطان قد يضع الكلمة في فم العالم ، وقد يحرك في يده القلم .. ورحم الله ابا العلاء المعري في قوله :

تلوا باطلا ، وجلوا صارما
وقالوا صدقنا ، فقلتم : نعم !!

لا نستطيع ان نطلب من كل عالم في كل عصر أن يصبر الصبر الطويل ، ويتحمل الأذى المضني .. وإن كان هذا هو المأمول .. وخير من ذلك وأقرب أن يكون التشاور بالحسنى في جو من الاخاء وفي ظل من العدل والأمن .

كما انه لا داعي لأن نصف العالم بالمروق أو الزندقة ، إذا ما لم يقل ما كان ينتظر منه ، من موافقة لهوى يتوخاه الذين كلفوه بالبحث .

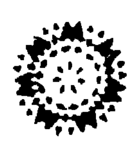
وكم شهدت أرض الاسلام من علماء قاسوا العذاب فترات من حياتهم وامتحنوا .. ثم رفعهم الاسلام بعد هذا إلى مصاف الأئمة المتبوعين ..

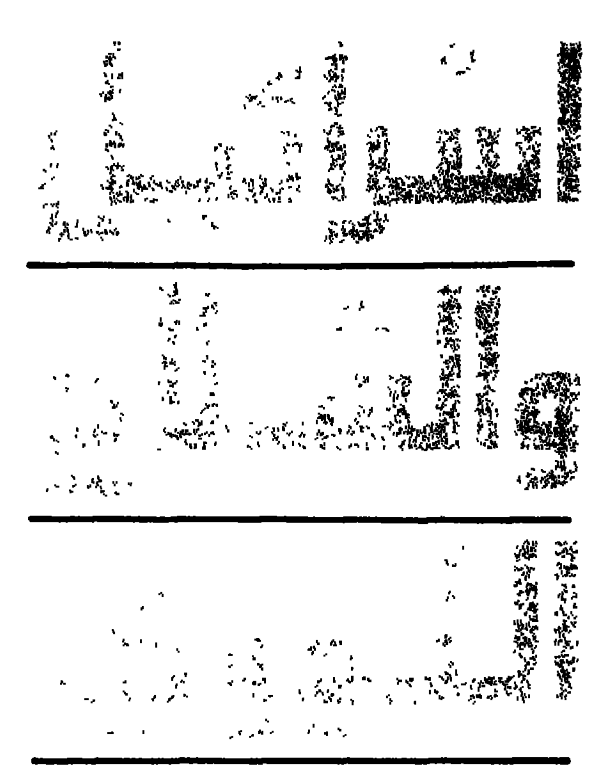
تلزمنا في مرحلة الاجتهاد والحرية سعة أفق وهدوء في العرض والرد . يلزمنا (أدب الحوار) وفي جوه السمح نستطيع أن ندرس الكثير وأن نصل الى كثير .. هل أتحدث عن الموقف من الفنون الجميلة ؟ هل أتحدث عن العمارة الاسلامية ؟ هل أتحدث عن تخطيط المدن لتكون صورة حية تستطيع أخلاقيات الاسلام أن تعيش فيها وأن تنمو ؟ هل أتحدث عن التطوير الشامل لنظم التعليم وهندسة بناء الشباب المسلم الذي يستطيع أن يحمل مسئوليات المستقبل ..؟

خاتمة

كنت أود أن أبسط القول في مشكلات الشباب الاسلامي وموقعه بين الأصالة ومتغيرات الحياة ، فهذا أفق على درجة كبيرة من الاهمية .. ولكن ما سبق القول فيه ، يمس الشباب من جوانب متعددة .

وأعتقد أنه قد آن الأوان أن توضع هذه القضايا على مائدة البحث ، وأن تتحدد المسئوليات وأن يخطط لها ، وأن توضع لها البرامج والمراحل ، التي تستطيع أن تستقطب جهود العاملين ، فلا تضيع في صراعات داخلية ، ولا مناقشات لفظية ، ولا قضايا فرعية ، وإنما يتجه الاجتهاد ـ بقدر ما نستطيع ـ نحو صياغة الحياة الجديدة التي نستخلص فيها أرضا ، ونحرر ديارا ، ونبني قاعدة علمية وشبابا ، ونوقف النزيف الداخلي بين أبناء العروبة والاسلام ، ليكون لوجودنا في هذه الحياة اعلى مردود مستطاع . □





بقلم : الدكتور عبدالرحيم حسين

أخذ الحديث عن امتلاك العدو الصهيوني للقنبلة الذرية مناحي شتى ، وارتبط هذا الحديث دائما بتعاون العدو مع دول أخرى في هذا المجال ، كما ارتبط بتأكيد امتلاك العدو لهذه القنبلة تارة ، وبامكانية العدو التقنية على انتاجها تارة اخرى . فأين هي الحقيقة ؟

في غياب معلومات مؤكدة - سواء أكانت هذه المعلومات من العدو نفسه أم من مصادر دولية أخرى - يظل الحديث عن هذا الأمر خاضعا للجدل وللقناعات الشخصية ، ويظل حسمه من مسؤولية المصادر السياسية والعسكرية العليا . وليس الحديث هنا غير طرح الأمر للمناقشة استنادا الى ما هو متوفر من معلومات .

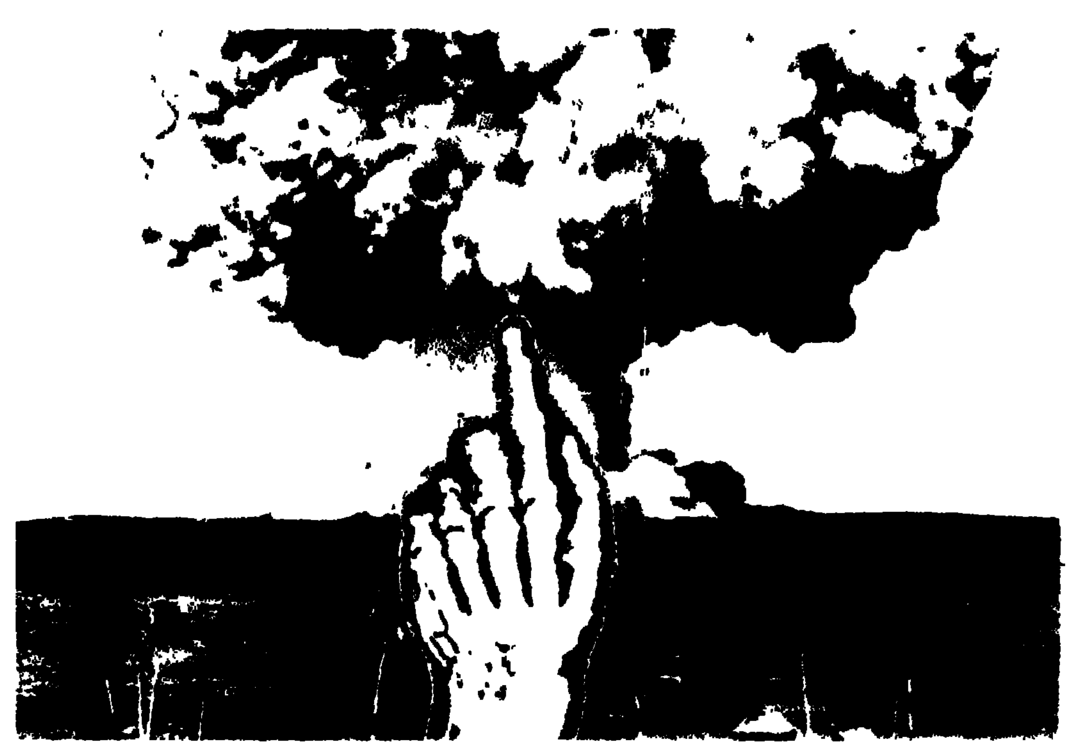
يستفاد من المعلومات التي نشرها لويس دين في كتابه « تخطيط الدفاع الأميركي لانتشار الأسلحة النووية » وأصدره معهد هدسون عام ١٩٧٩م . « بأن اسرائيل لديها القدرة على بناء مفاعل نووي لانتاج البلوتونيوم بطاقة ٢٠ قنبلة ذرية سنويا منذ عام ١٩٧٥ ، وما زالت هذه القدرة متوفرة ، كما أن لديها القدرة على انتاج اليورانيوم المخصب Enriched في عام ١٩٨٠ » . كما يستفاد من معلومات جوزيف ياجور في كتابه « منع انتشار الأسلحة النووية وسياسة أميركا الخارجية » الذي نشره معهد بروكنجز عام ١٩٨٠ :

« ان اسرائيل لديها مفاعلان نوويان للبحوث : الأول بطاقة ٥ ميجاواط حراري لانتاج اليورانيوم المخصب ، والثاني طاقته ٢٦ ميجاواط حراري لليورانيوم الطبيعي . كما يرى المصدر نفسه أن لدى اسرائيل مفاعلا لانتاج الماء الخفيف قدرته ٩٥٠ ميجاواط كهربائي ، تنتهي من انشائه في منتصف الثمانينيات » .

التعاون مع فرنسا

لم يحقق العدو نتائج ملموسة في مجال البحث النووي ، الا بعد الاتفاق الفرنسي الاسرائيلي على برنامج لتبادل المعلومات سمح بموجبه لاسرائيل في عام ١٩٥٣ بالاطلاع على البرنامج الفرنسي للبحوث النووية ، ثم بمشاركة بعض العلماء الاسرائيليين كمراقبين في اجراء التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الكبرى .

ومنذ اعلان الثورة الجزائرية وتأييد الأمة العربية لها وتحمّل مصر بقيادة جمال عبدالناصر مسؤولياتها القومية نحو هذه الثورة ، تعزز التعاون النووي بين فرنسا واسرائيل ، انطلاقا من تصنيف الامة العربية



كعدو مشترك لكل من فرنسا واسرائيل .

وكان أبرز ما حققه هذا التعاون هو تزويد فرنسا لاسرائيل بمفاعل ديمونا الذري في اكتوبر عام ١٩٥٧ وانشاؤه في صحراء النقب بطاقة وصلت الى ٢٤ ميغاواط حراري يعمل باليورانيوم الطبيعي كوقود ، ويستخدم الماء الثقيل للتبريد ، وتوفير التسهيلات اللازمة لمركز البحوث الملحق بهذا المفاعل . ومما هو جدير بالذكر أن شيمون بيريز هو الذي قاد المفاوضات السرية مع فرنسا التي ادت الى انشاء المفاعل .

ولكن مفاعل ديمونا لم يكن الأول ، اذ كان مفاعل ناحال سوريك الذي أنشأته الولايات المتحدة بطاقة ٥ آلاف كيلوواط هو الأول ، لكن المفاعل الأميركي لم يكن معداً لصنع السلاح النووي .

ويلاحظ هنا أن انشاء المفاعل النووي ارتبط بأمور محددة : أولها ـ فشل العدوان الثلاثي (اسرائيل ـ بريطانيا ـ فرنسا) في عام ١٩٥٦ على مصر واضطرار هذه الدول المعتدية أمام صمود الشعب العربي في مصر ، وتضامن الشعب العربي كله معه ، وامام ادانة العالم لهذا العدوان ، الى الانسحاب من الأراضي المصرية دون تحقيق اية نتيجة لأي طرف من الاطراف المعتدية ، مما زاد من مكانة مصر وعزز زعامة عبدالناصر عربيا ودوليا . وثانيهما ـ اكتشاف اسرائيل عزلتها الدولية وتردي علاقاتها مع الحكومة الأميركية في عهد الرئيس ايزنهاور ،وعدم بقاء أي صديق لها باستثناء فرنسا التي كانت صداقتها مرتبطة ارتباطا مباشرا بموقف الامة العربية المؤيد للثورة الجزائرية وثالثها ـ محاولة العدو الصهيوني تحقيق هوة تكنولوجية عسكرية بينه وبين الامة العربية ، يضمن لنفسه التفوق فيها ، واصراره على التوسع من منطلق عسكري .

الكشف عن الحقيقة

اكتشف أمر مفاعل ديمونا رسميا عندما اضطر دافيد بن جوريون في ديسمبر ١٩٦٠ تحت تأثير الضغط الاميركي ـ وبعد أن سربت حكومة فرنسا في عهد ديجول معلومات عن المفاعل الذري الاسرائيلي ، خاصة وان ديجول لم يوافق على استمرار العلاقة النووية مع اسرائيل ، واخذ تعهدا منها بعدم انتاج السلاح الذري ـ الى اعطاء تفسير للاشاعات التي دارت حول بناء مفاعل ذري في اسرائيل قادر على انتاج اسلحة نووية » واعترفت كل من فرنسا واسرائيل بانهما شريكتان في برنامج نووي تعاوني شامل لبناء مفاعل ذري ، الا أن بن جوريون انكر

التهم القائلة بأن حكومته تخطط لانتاج سلاح نووي . وأكدت حكومة بن جوريون هذا الانكار رسميا امام الكنيست الصهيوني في عام ١٩٦١ عندما أعلنت بأنه « ليس هناك من سلاح نووي في الشرق الأوسط . ولن تكون اسرائيل هي البادئة بادخاله ، وطالب بن جوريون بضرورة واهمية التركيز على الحد من سباق التسلح التقليدي في المنطقة . وأصبح هذا البيان هو الموقف الرسمي لحكومة بن جوريون ، تكرر اعلانه في أكثر من مناسبة .

موقف اميركي جديد

يبدو واضحا في بيان بن جوريون أثر الضغط الاميركي من أجل اعلان الموقف الاسرائيلي من التسلح النوي ، بغض النظر عن نوايا اخرى لم يكشف عنها . لكن هل كان الاعلان الاسرائيلي الجديد بلا ثمن ؟ ان الأحداث اللاحقة اثبتت أن الموقف الاسرائيلي الجديد من التسلح النووي كان ثمنه تعهدا أميركيا علنيا بضمان امداد اسرائيل بالسلاح بحيث يتحقق تفوقها العسكري في المنطقة ، وهو أمر كانت تستند فيه اسرائيل الى أوروبا بمباركة أميركية خفية .

كان تصريح شيمون بيريز (رئيس الوزراء الحالي) مدير وزارة الدفاع الاسرائيلية آنذاك في مايو ١٩٦٢ معبرا عن الموقف الانقلابي الجديد ، عندما أعلن اثناء زيارته لاميركا « بأن فرنسا ستبحث عن حلفاء عرب بعد التوصل الى تسوية للمسألة الجزائرية وأن كوف دي مورفيل قد شكا (اليه شخصيا) من أن فرنسا هي المورد الوحيد للسلاح الى اسرائيل ويسعدها مشاركة طرف آخر في تحمل العبء ، أما بريطانيا فقد أصبح لديها القناعة بأن من الضروري تخفيض صفقات السلاح الى اسرائيل من أجل محاولة اصلاح مركزها في العالم العربي » .

ويمكننا الاستنتاج هنا بأن أوروبا ملت التورط مع اسرائيل ، كما ملت القيام بدورها نيابة عن أميركا ، مما جعل أميركا تقوم بدورها الطبيعي المكشوف .

وكان واضحا أن زيارة بيريز للولايات المتحدة مرتبطة بعقد صفقة أسلحة متطورة تزود بها اسرائيل ، اذ سرعان ما أعلن في يولية ١٩٦٢ عن تزويد أميركا لاسرائيل بصواريخ هوك أرض جو ، أعقبتها فيما بعد صفقة طائرات سكاي هوك ودبابات باتون .

وقد بررت أميركا موقفها الجديد أنه « من أجل منع اسرائيل من تطوير ترسانتها النووية اذا ما ضمنت اميركا أمنها وقامت بتزويدها بالسلاح التقليدي » .

بداية التزاوج الاميركي الاسرائيلي

كانت صفقة صواريخ هوك الاميركية بداية عهد من التزاوج الاميركي مع اسرائيل لم ينفصم حتى الان ، تبعه تحالف تام في المواقف تجاه القضايا الدولية ، وتوسع في التعاون القائم أصلا بين الموساد (مؤسسة الاستخبارات الاسرائيلية) وبين CIA مؤسسة الاستخبارات المركزية الاميركية بمساعدة ضابط الارتباط الاميركي مع الموساد جيمس انجلتون .

ولكن أهم ما حدث في هذه الفترة هو تراجع الرئيس الاميركي كينيدي عن فتح ملف القضية الفلسطينية ـ مستجيبا لرغبة اسرائيل ـ الذي كان قد بدأه مع الرئيس جمال عبدالناصر ، وابلاغه جولدامائير في ١٩٦٢/١٢/٢٧ « أن العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل في الشرق الاوسط تشبه مثيلاتها مع بريطانيا فيما يخص الامور الدولية ، وأن اميركا ستقوم بدعم اسرائيل اذا ما تعرضت لاي عدوان . وأعاد كينيدي موقفه هذا الى ليفي اشكول رئيس وزراءاسرائيل بعد دافيد بن جوريون في اكتوبر ١٩٦٣ .

كان دافيد بن جوريون رئيس الوزراء الصهيوني يعيش أزمة داخلية على المستويين الحزبي والحكومي ، بسبب اثارة فضيحة لافون التي كان ملفها قد طوي في عام ١٩٥٥ ، وتورط مساعدي بن جوريون في هذه الفضيحة التي كشف أمرها في مصر ، عندما قامت مجموعة من المخابرات الاسرائيلية بالقاء متفجرات على المؤسسات الاميركية والبريطانية دون علم وزير الدفاع الاسرائيلي لافون آنذاك . كما بدا واضحا أن ابن‌جوريون لا يؤيد السياسة الاسرائيلية الجديدة في الارتماء التام في أحضان اميركا ، كما لا يؤيد الاستجابة للتدخل الاميركي المباشر في السياسة

النووية لاسرائيل ، على عكس موقف قيادة الحزب ومعظم أعضاء الحكومة مثل ليفي اشكول ، بنحاس سابير ، ايجال الون ، مما دفع بن جوريون في النهاية الى تقديم استقالته وتولي ليفي اشكول رئاسة الوزارة من بعده في يونية ١٩٦٣ .

رئاسة اشكول

أمر ليفي أشكول رئيس الوزراء الجديد بتحديد حجم العمل في مفاعل ديمونا مقابل تأمين السلاح الاميركي المتطور ، عندما أعلن شيمون يفتاك مدير برنامج تطوير جيش الدفاع بأن اسرائيل لن تنشيء مصنعا لفصل البلوتونيوم الذي يمكن الحصول عليه من مفاعل ديمونا ، كما وقعت اتفاقية منع اجراء التجارب النووية . وتم طرد بيرجمان سنة ١٩٦٦ من رئاسة لجنة الطاقة النووية ، وأصبح اشكول نفسه ، رئيس المؤسسة النووية والحقها بمكتبه . الا انه احتفظ لنفسه بالحق في اعادة النظر في سياسة اسرائيل النووية وفق تطورات الوضع في المنطقة وحسب ميزان القوى بين العرب واسرائيل .

اغتيل الرئيس الاميركي كينيدي في ١٩٦٣/١١/٢٢ وخلفه في الرئاسة ليندون جونسون الذي عزز العلاقات مع اسرائيل ، تلك العلاقات التي كان قد بدأها كينيدي قبل اغتياله . وفي ظل العلاقات الجديدة ساد الاعتقاد بأن اميركا ليس لديها ما يمنع من تأييد اسرائيل لانتاج الاسلحة النووية . وحاولت مصر فضح النوايا الاميركية الاسرائيلية في هذا المجال ، عندما كتب محمد حسنين هيكل في اغسطس عام ١٩٦٥ في الاهرام « ان اسرائيل على مشارف تفجير نووي وستكون قادرة خلال عامين او ثلاثة على انتاج أسلحة ذرية ، وان لدى مصر سببا يدعوها الى الاستعداد لانتاج هذه الاسلحة وهو تصميمها على البقاء » .

وفي الشهر نفسه أشار شيمون بيريز في معرض تعليقه الى صحيفة جيروزالم بوست على حديث هيكل « بانه يؤمن بأثر العامل النفسي في الردع ضد العرب » ولم يحاول التخفيف من الشكوك التي أبداها هيكل في جريدة الاهرام .



● حاييم وايزمان ، أول رئيس للكيان الصهيوني ، كميائي مدرك لأهمية التقنية في حياة الأمم .

حرب ١٩٦٧م

ومنذ أغسطس ١٩٦٥ حتى غداة حرب يونية ١٩٦٧ أخذ النقاش حول امتلاك اسرائيل لأسلحة نووية منحيين : الاول - عربي قادته مصر وحاولت استخدام الضغط الدولي من أجل كشفه وبيان اخطاره في المنطقة ، وتبعتها كل من منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا ، لكنهما حاولتا التخفيف من نتائج الحرب النووية امام حرب الأغوار التي كانتا تناديان بها .

والثاني - كان داخل اسرائيل نفسها عندما أخذ النقاش يحتدم بين المؤيدين لامتلاك السلاح النووي والمعارضين له ، الا أن هذا النقاش لم يسفر عن نتائج ملموسة او اعلان موقف رسمي جديد من حكومة اسرائيل .

وما أن انتهت حرب ١٩٦٧ بنتائجها العسكرية المعروفة وبدون اي استخدام للسلاح النووي من الأطراف المتحاربة ، حتى تعززت القناعة لدى اسرائيل بان السلاح النووي أمر ضروري لحسم الصراع العربي الاسرائيلي ، خاصة وان الحرب لم تؤد

الى نتائج سياسية لصالحها . وكان رفض العرب جميعا الجلوس على طاولة المفاوضات معها واعلانهم عن تصميمهم على ازالة آثار العدوان الاسرائيلي في مؤتمر الخرطوم الشهير بلاءاته الثلاث صفعة لمخططي السياسة العدوانية ضد الأمة العربية .

وهنا على ما يبدو صمم موسى دايان وزير الدفاع الاسرائيلي على الاستمرار في المشروع النووي بموافقة حكومته ، وتوفر في عام ١٩٦٩ للعلماء الاسرائيليين من وسائل التقنية ما يمكنهم من انتاج القنبلة الذرية .

ومنذ ذلك التاريخ منع اي زائر من التفتيش على مفاعل ديمونا ، ورفضت اسرائيل الطلبات الاميركية المتكررة بتوضيح موقفها من امتلاك السلاح النووي ، مما عزز الاعتقاد القائل بان اسرائيل تمكنت من صنع القنبلة الذرية ، او على الاقل تمكنت من تذليل العقبات التي تحول دون انتاجها . واعترف ليفي اشكول أن اسرائيل تمتلك التقنية التي تمكنها من انتاج الاسلحة الذرية لكنها لن تستخدمها . وزاد هذا الاعتقاد عندما رفضت اسرائيل التوقيع على اتفاقية منع انتشار الاسلحة النووية ١٩٧٠ التي دعمتها الولايات المتحدة الاميركية . ولم يظهر اي موقف اميركي معارض للسياسة الاسرائيلية الجديدة ، مما يعني مباركة الولايات المتحدة لهذه السياسة التي كانت قد عارضتها في بداية الستينيات . وليس من نافلة القول أن الموقف الاميركي حكمته رغبة اميركا في الاشراف على تطور الانتاج النووي الاسرائيلي والتحكم في استخدامه ، وليس الرفض لامتلاك اسرائيل لهذا السلاح .

ما بعد ١٩٧٠م

رغم أن الولايات المتحدة الاميركية كانت الداعية الى عقد اتفاقية الحد من انتشار الاسلحة النووية في عام ١٩٧٠ ، الا أنها كانت أول من خرق هذه الاتفاقية ، وقامت بعقد اتفاقات نووية مع ٢٩ دولة بينها ١٣ دولة لم توقع الاتفاقية . وكان أخطر هذه الاتفاقات تلك التي وقعتها مع حكومة جنوب افريقيا العنصرية من أجل انشاء مفاعلين ذريين بقوة مائة ميغاواط لكل منهما مع تعهد بتقديم خدمات تصل الى مائتي ميغاواط . وامداد حكومة جنوب افريقيا بمائتي رطل من البلوتونيوم تكفي لصنع عشر قنابل ذرية مع تعهد بامدادها بمائة رطل اخرى .

ويلاحظ هنا أن الولايات المتحدة بعد أن ضمنت السيطرة على القوة النووية في الشرق الأوسط انتقلت الى خلق قوة جديدة في جنوب افريقيا كما يلاحظ أن العلاقات بين اسرائيل وحكومة جنوب افريقيا علاقات حيمة بمباركة أميركية . من هنا جاء القول بوجود تنسيق نووي بين اسرائيل وجنوب افريقيا لكنه يتم في ظل رقابة أميركية مباشرة .

حرب اكتوبر ١٩٧٣م

تعرضت اسطورة التفوق العسكري الصهيوني لهزة عنيفة في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، كما تعرضت مبررات الوجود الصهيوني كله للتساؤل من قبل الدوائر الاستعمارية والرأسمالية اليهودية . وأثبتت هذه الحرب أن امتلاك التقنية النووية والتسلح التقليدي لن يفيد اسرائيل في لحظة تضامن عربي مهما كانت قصيرة . ولا مجال هنا لسرد قصة التدخل الاميركي المباشر العسكري والسياسي من أجل انقاذ اسرائيل . وكان موسى دايان المتحمس لامتلاك السلاح النووي أكثر المسؤولين الاسرائيليين اضطرابا امام الضربة العربية عندما ابلغ جولدامائير (رئيسة الوزراء) يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣ ان اسرائيل ستفقد الهيكل الثالث ولكن احدى الروايات تذكر ان دايان استعد لاستخدام السلاح النووي عندما أمر بوضع صواريخ اريحا الفرنسية الصنع التي تحمل الرؤوس الذرية على اهبة الاستعداد ، كما جهز طائرات كوفير والفانتوم بأسلحة ذرية ووضع ١٣ سلاحا ذريا من صنع اسرائيل في موضع التأهب . الا أننا نرى في هذه الرواية بغض - النظر عن مصداقيتها - تبريرا للموقف الأميركي في مد اسرائيل بكميات السلاح الهائلة أثناء الحرب وبعد أن شارفت اسرائيل على الهزيمة .

العودة الى السلاح الذري

ما أن التقط الكيان الصهيوني أنفاسه بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ حتى عاد الى التلويح مرة اخرى بامتلاك

السلاح النووي . وأعلن كاتزيتر الرئيس الصهيوني في ديسمبر ١٩٧٤ م قائلا : « لقد كان قصدنا توفير القدرة على التطور النووي والآن لدينا هذه القدرة وعلينا أن نطور أسلحة أكثر حداثة وأكثر قوة » .

وكان هذا التصريح اعترافا بالمباركة الاميركية لسياسة اسرائيل النووية . ورغم أن التصريح فيه من العموميات والغموض ما لا يختلف كثيرا عن تصريحات المسؤولين السابقين ، الا أن اعتراف كاتزيتر بامتلاك القدرة النووية في عام ١٩٧٤ فقط يعني أن كل ما قيل واستنتج حول هذا الأمر كان من باب الردع النفسي والتهويل . ويعني أن اسرائيل في عام ١٩٦٩ وصلت الى مرحلة امتلاك التقنية النووية ، وذلك أمر ليس من الصعب على الكثير من الدول ، لكن لم يسمح لها ؛ وربما لم تستطع أن تذهب الى أبعد من ذلك ، الا بعد أن أعطتها الولايات المتحدة الضوء الأخضر .

وعندما طلب التلفزيون البريطاني من اسحق رابين (رئيس وزراء العدو آنذاك) توضيح ما أفضى به كاتزيتر أنكر وجود قوة ذرية لدى اسرائيل وأعاد القول « بأن حكومته لن تكون الاولى التي ستدخل السلاح النووي في منطقة الشرق الأوسط ولكن لا يمكنها أن تكون الثانية » .

وفي هذه الفترة برزت ظاهرة جديدة بين الأوساط الشعبية في اسرائيل ، فبينما كانت هناك مطالبة بمنع انتاج السلاح النووي في الستينيات ، أظهر استفتاء اجري في عام ١٩٧٦ بأن ٧٧٪ من السكان طالبوا بضرورة امتلاك اسرائيل للقنبلة الذرية ، كما اعتقد ٦٢٪ من السكان بأن حكومتهم تملك هذه القنبلة وهو أمر يمكن الرد به على كل المتفائلين بوجود تيار داخل اسرائيل يفكر في العيش بسلام مع الامة العربية ، ويعزز الحقيقة القائلة بأن اسرائيل قاعدة للتوسع العسكري على حساب الأمة العربية .

وحتى ١٨ أغسطس ١٩٨٠ كان الموقف الاسرائيلي الرسمي المعلن من امتلاك القنبلة الذرية يدور في حلقة من الغموض واللعب بالالفاظ ، فقد أعلن دايان في هذا التاريخ « لم يحدث أن قلنا بأننا لن نستخدم السلاح النووى ، قلنا فقط بأننا لن نكون البادئين باستخدامه » الا أن دايان لم ينكر ملكية اسرائيل لهذا السلاح . .

الاتفاق الاستراتيجي

ومنذ عام ١٩٨١ بدأ الحديث عن الاتفاق الاستراتيجي بين اسرائيل والولايات المتحدة . واذا ما عرفنا أن الاستراتيجية الأميركية في الشرق الاوسط تقوم على :

١ ـ تأمين تدفق النفط من المنطقة .

٢ ـ استمرار فتح قناة السويس .

٣ ـ منع التوسع الشيوعي مع تجنب الصدام مع الإتحاد السوفيتي .

٤ ـ ضمان أمن اسرائيل . (من أجل الاهداف السابقة)

اذا ما عرفنا ذلك فان اسرائيل أصبحت طرفا في تحقيق الاستراتيجية الأميركية في منطقة الشرق الاوسط بحكم الاتفاق الاستراتيجي بين البلدين .

وفي ظل المباركة الاميركية للسياسة النووية في اسرائيل ، فاننا نعتقد أن اسرائيل ملكت السلاح الذري ، رغم أنه لم يعلن حتى الآن عن أي تفجير نووي لها ، كما أصبحت مركز تخزين للسلاح النووي الاميركي في ظل الاتفاق الاستراتيجي الجديد . وهو ما يفسر حرص أميركا على عدم الاعلان عن امتلاك اسرائيل لهذا السلاح .

الا أن مصادر المخابرات الاميركية نفسها تشير الى أن اسرائيل تمتلك أسلحة نووية اخرى تقدرها بحوالي ٢٠٠ رأس نووي بقوة تدميرية تصل الى ٢٠ كيلوطن ، كما أن لدى اسرائيل أنظمة اطلاق نووي متعددة منها طائرة ف ٤ي ، ف١٥ ، ف١٦ الاميركية اضافة الى صواريخ اريحا م د ٦٦٠ ، م د ٦٢٠ الفرنسية ـ الاسرائيلية الصنع وصواريخ لانس الاميركية ذات القدرة على حمل رأس نووي وزن ١١ كيلو .

وأخيرا سواء امتلكت اسرائيل القنبلة الذرية او الاسلحة النووية الاخرى ، فان استخدام هذه الاسلحة يظل محكوما بأمور فوق طاقة اسرائيل ، وأول هذه الامور وأهمها هو القرار الاميركي . كما أن ردع اسرائيل يظل من مسؤوليات الامة العربية المصممة على البقاء والعطاء الانساني . □

ذكرى العيد

شعر : عبدالعزيز جعفر

على أُفقِ المجدِ أعلامُها ... تَدورُ مع العزِّ أيامُها

بلادي التي شعَّ في أُفقِها ... نداءُ السماءِ وأنغامُها

ضِفافُ الخليجِ على راحتَيْها ... حقوقُ الحياةِ وإلزامُها

كويتُ العُلا أصلُها ثابتٌ ... ثبوتَ الرَواسي ، وآكامُها

تُؤسَّسُ بالعلمِ بنيانُها ... وتُوصَلُ بالحبِّ أرحامُها

كما سارَها « جابرٌ » سيرةً ... رَوَتْها الورودُ وأنسامُها

تغنَّتْ بها الوُرْقُ بينَ الغصونِ ... فرقَّتْ معَ العطرِ أكمامُها

وَوَثّقَها الودُّ ملءَ القلوبِ ... لتسموَ للحقِّ أفهامُها

وغاياتُ شعبِ الكويتِ الأبيِّ ... تلاقي على الحبِّ إحكامُها

له في عروبَتِهِ مَوْئِلٌ ... وعزُّ العروبةِ إسلامُها

فأمُّ اللغاتِ لنا رايَةٌ ... بِوَحْدَتِها سادَ أقوامُها

وقد صانَها اللهُ كي لا تَزُولَ ... فأُنزِلَ في الذِّكرِ إكرامُها

فيا أيُّها العيدُ ذكراكَ عادتْ ... وحُقَّ لذكراكَ إعظامُها

تُذكِّرنا بانتصاراتِنا ... وكيفَ تُجدِّدُ أعوامُها

وفي كلِّ فجٍّ تفوتُ الليالي ... لِيُكْشَفَ بالجِدِّ إظلامُها

وقد نوَّرَ اللهُ فيها قلوبًا ... يُسارِعُ للخيرِ إسهامُها

ويَعْلو بها « جابرٌ » لِلذُّرا ... فيبتدرُ الفوزَ إقدامُها

فما زالَ حِصناً حصيناً لها ... كما تجمعُ الأُسْدَ آجامُها

« وسعدٌ » يُجاهدُ في حكمَةٍ ... تسامَتْ فللهِ إلهامُها

فيا ربِّ غاياتُنا لا يَزالُ ... بفضلِكَ وحدَكَ إتمامُها

أعِنّا لِنَكْتُبَ آمالَنا ... على صُحُفِ العزِّ أقلامُها





رسالة القاهرة

بقلم : فاروق خورشيد

منذ أوائل الثمانينيات ، وربما في حدود نهاية العام الأول منها ، بدأت تظهر في القاهرة بواكير تحرك ثقافي يريد أن يقفز على موات السبعينيات ليصل نفسه بخصب الستينيات وحركتهاالثرية . . ولا شك أن القاهرة قد عانت منذ نهاية الستينيات تقلصا واضحا في حركة الابداع الفني ، وفي النشاط الثقافي بوجه عام .

لقد وجد المثقفون أنفسهم في حالة حصار وعزلة ، فمنهم من طوى أوراقه وسكت ، ومنهم من هاجر بجسده وفكره ، أو بفكره على الأقل ، الى خارج القاهرة . وانطفأت أنوار المسارح ، وسكتت منابر المحافل الأدبية ، وخف هدير المطابع . . وما كان يقدم في خلال هذه الفترة ، كان يقدم إما بشكل مغامرة من صاحبه بأمنه وسمعته وكرامته ، واما أنه كان مجرد أصوات تصدر بلا رسالة حقيقية ، وبلا ابداع جاد . . بل بما يشبه الأدب ولا أدب ، وما يسمى نفسه ثقافة ولا ثقافة . . وعاش المثقفون والمبدعون في غربة كاملة ، حتى لو كانوا يمارسون حياتهم في قلب القاهرة . . أما من هاجروا فقد كانت الغربة بالنسبة لهم غربتين ، غربة الوجدان وغربة المكان . . وما أظن أنهم كانوا ينشرون كل ما يكتبون ويبدعون ، بل أحسب أنهم كانوا يطوون أوراقهم على ما تبدعه وجداناتهم في انتظار وأسى ، وربما في دهشة مما يحدث لمجتمعهم من تغيير جذري ، يقلب الأوضاع رأسا على عقب ، ويقلب القيم كذلك رأسا على عقب . . فقد أصبح المال هو القيمة لا العلم ولا الفكر . . وأصبح الكسب المادي هو الغاية لا التحصيل ولا الدرس . . وأصبح الآن هو الهدف ، لا الغد ولا المستقبل . . ومن حاول منهم أن يوضح خطورة ما يحدث على الوجدان والعقل ، اتهم بكل الاتهامات التي تحملها قواميس من تخصصوا في اضطهاد الكلمة وروادها ، وتعقب أصحابها بالقمع من أول التاريخ حتى اليوم .

أصحاب الكلمة لا يتوقفون

وساد صمت أصحاب الكلمة لتحل أبواق الرجال الجوف ، ودفوف حملة القماقم الذين يسيرون في جنازات الكلمات من أول التاريخ حتى اليوم . . ولكني - كما قلت - لا أحسب أن أصحاب الكلمات قد توقفوا عن الكتابة ، ولعلهم كانوا يطوون أوراقهم

على ما يبدعونه في انتظار . وفي حقب كثيرة من تاريخ الشعوب ، تنحسر الكلمات ولا تظهر ، ولا يبقى على سطح الحياة سوى الفاظ التأييد والتفسير والنفاق والموافقة ، بل والتهنئة لكل من عسف بالكلمة وأصحابها . ولكن هذه الحقب من تاريخ الشعوب حفلت بالكلمات الصادقة التي تتسلل الى ضمائر الناس ، اما عن طريق الاديب المجهول الذي نسميه أديب الشعب ، في ابداع لا يعرف أحد قائله ونسميه الأدب الشعبي ، يغلف نفسه بالسذاجة والعفوية ، ويحمل في أعماقه أقسى الاحكام وأصحها وأنضجها على هذه الحقبة ومن فيها وما فيها . . واما عن طريق الكلمات المطوية التي تنتظر انقضاء الغمة لتكشف عن نفسها ، ولتظهر من جديد ، لتلتحم بضمائر الناس ، معبرة عن معاناتهم في هذه الحقب المظلمة . .

ظاهرتان

وقد تحققت للقاهرة من أواخر الستينيات حتى سنوات من بداية الثمانينيات الظاهرتان معا . . أعني التعبير الذي اختبأ في عباءة الفن الشعبي ، والتعبير الذي مارس وجوده وان لم يمارس فعله ، أي الذي كتب وجنب الظهور الى نهاية الحقبة المظلمة . . والظاهرة الأولى لنا حديث مفرد عنها ، أذ هي عندي الآن في مرحلة الرصد والتسجيل والمقارنة والاستدلال ، ولكن حديثي الآن هو عن الظاهرة الثانية وهي أكثر أرتباطا بالمثقفين والمبدعين من رجال الادب من الظاهرة الاولى . . فتململ المثقفين في الداخل ، والمثقفين المهاجرين في الخارج لم يتوقف لحظة ، وظهرت المقالات والدراسات في الجرائد والمجلات التي تصدر خارج القاهرة في كل جزء من أجزاء الوطن العربي . وبعض هذه المقالات أخذت طابع الهجوم السياسي العنيف ضد القاهرة ، غير مفرقة بين الوضع السياسي وبين شعب القاهرة وتاريخها العريق في الوطنية والفداء . . وأصابت هذه المقالات والدراسات هوى عند بعض الجهات السياسية هنا وهناك ، فشجعتها وظاهرتها بالمال والتأييد ، ومساحات النشر المفتوحة والدائمة . . ولكن هذه المقالات نفسها أصابت المبدع القاهري بمزيد من الاحساس بالغربة ، فالسهام لم تفرق أبدا بين السجان والمسجون ، ولا بين القاتل والمقتول . . وما أصاب النظام من رذاذ ، أغرق المثقف القاهري في رشاش من الاحساس بالمهانة والضيق ، والتعاسة أحيانا ، والغربة في كل الأحيان . . وأيا كان الموقف السياسي لابن القاهرة ، فماكان يرضى أن تهان بلاده وأن يسب أهله ، وهو لا يستطيع حراكا أوردا ، وخاصة اذا كانت هذه الاهانة ، وكان هذا السباب صادرا عن قاهريين يقفون مثله في نفس الموقف ، ويعانون مثله من نفس المرض ، أو يحسون مثله بنفس الغربة ، وينتظرون مثله لحظة الخلاص . .

اشتبك الأمر وتداخل ، وأصبح مزيجا غريبا لا يستطيع أحد أن يفصل جزئية منه عن أخرى ، ومن هنا كان ما آثره الكثيرون من المبدعين والكتاب من صمت ظاهر ، وانتاج مستمر يبقيهم على وجه الحياة الأدبية العربية ، وابداع مستور يجنب نطاق النشر الى حين . .

انفراجة الثمانينيات

ومن هنا كانت انفراجة الثمانينيات ـ أو على وجه الدقة العامين الأخيرين منها ـ تحفل بظواهر هامة أبرزها وأهمها خروج المخزون الابداعي الذي كتب في حقبة الصمت ، واندفاعه الى مظان النشر في توال مستمر واصرار واضح . .

وقد سبقت الحركة النقدية حركة الابداع في يقظتها ، اذ لم يكن في الدراسات النقدية ما يقلق أحدا ، بل لعل هذه الحركة بعلميتها الواضحة التي ظهرت في الفصلية التي أصدرتها هيئة الكتاب أثناء رئاسة صلاح عبد الصبور لها بعنوان (فصول) ، قد طمأنت من يتوجسون من الأدب ، وجعلتهم يتأكدون أن الأدباء والمفكرين قد غدوا كحكماء أثينا ، يتجادلون في المطلقات ، وجيوش الغزاة على الأبواب ، وما الخطر في الحديث عن البنيوية أو التراث ، أو الأصالة والمعاصرة . . . وماذا في أعداد عن الشعر والرواية أو القصة . . ؟ ورغم محاولات الكثيرين ممن انتدبوا انفسهم للهجوم على المجلة أو الهيئة ورئيسها ورئيس التحرير ، والعودة الى التحذير من الشيوعية ومراكز القوى التي تطل برأسها في

« فصول » الا أن المجلة تركت تسير في هدوء . . وفي رأيي أن« فصول »كانت البداية الحقيقية لكل ما تلاها ، . . وكانت بداية لها ما بعدها . . فقد أحس المثقفون أن القاهرة ينبض فيها شيء صحيح وجاد ، وأن حركة ربط المثقف العربي بمدارس النقد وتطورها في العالم كله أشارة واضحة الى أن الجسد ما زال حيا ، وما زال يبحث عن مصادر الحياة والوجود في المعطيات الثقافية الجديدة من حوله ، وفي تراثه العربي الأصيل في جذوره ، كما أن هذه الحركة اشارة واضحة الى انتهاء القاهرة العربي الذي لا يغيره شيء ، ولا يمكن أن يتغير بقرار أو يهتز لارادة فرد ما . .

عودة الروح

وقد شجعت هذه الخطوة الكثير من الأقلام ـ وخاصة أقلام الدارسين والنقاد ـ الى العودة الى الكتابة في القاهرة ، كما شجعت أوساط المثقفين على الاحساس بمعنى التغيير والتأهب له . وأوحت ـ الى حد ما ـ بقرب انتهاء العاصفة . . وصدرت سلسلة الابداع العالمي لتعيد نشر الأمهات المترجمة من الاعمال الابداعية ، التي واكبت النهضة الثقافية من بدايتها ، وأتاحت مرة أخرى العودة الى مناخ أكثر رفقا بالعقل الشادي الى المعرفة . . ولم يكن في هذه السلسلة ما يستدعي الجدل ، فالمجادلون لا يخافون من الكتب ، فمن الذي يقرأ الكتب ؟ وما مدى تأثيرها على الرأي العام ؟ . . ومن هذا المنطلق صمتت أقلام المتربصين عنها ، وكذلك صمتت عن السلسلة الأخرى التي صدرت أثرها ، وهي سلسلة الابداع العربي . . الا أن هذه السلسلة دارت في فلك ما هو قائم من نماذج ابداعية ، أفرزتها فترة الموات للكتاب الذين ظلوا على السطح في هذه الفترة ، فان تجاوزت هذا فهي تعيد طبع بعض الأعمال الابداعية التي نفدت طبعاتها من قبل ، وحرمت النور طوال هذه الفترة . . وبدأت من خلال هذه النافذة أعمال كثيرة تطل برأسها ، أعمال من تلك التي لم يكن يراد لها أبدا أن ترى النور طول حقبه السبعينيات ، وأحدث هذا نوعا من الزخم في الحياة الادبية . وكانت الحقبة المدمرة قد بدأت تنحسر وتزول ، بالمتغيرات السياسية التي حدثت بعد أن وصل خنق الفكر الى مداه الذي لا مدى بعده . . وظهرت بعض المتغيرات الأدبية الجديدة ، فاهتمت بعض المجلات الاسبوعية بالادب والأدباء ، وبدأت تفرد للدراسات والمقالات النقدية بعض صفحاتها ، ثم تشجعت أكثر ، وبدأت تنشر أعمالا ابداعية جديدة . . وان كان النشر على حذر . . فإنّ صخب المسيطرون على مجالات النشر ، والمتربعون على عروش الأدب وعلا صوت صخبهم ، تراجعت هذه الصفحات بعض الشيء واختفت بعض الأقلام بعض الوقت . . ونحن نقصد بالمتربعين على عروش الأدب ، من رفعتهم الحقبة المظلمة الى مكان الصدارة في الاشراف على الأدب والأدباء ، وعلى صفحات الأدب وبرامجه في كل مكان وكل منظمة ، وهؤلاء لا يرضون لشيء أن ينشر الا ما يرضيهم ، ولا يرضون لأديب أن يكتب الا اذا خرج من عباءاتهم . . والا فان الكلام ضد الوطن ، والا فان الاقلام باعت نفسها لاعداء الوطن ـ وهم يعنون بالطبع منابر النشر العربية المتاحة حيث هاجرت هذه الأقلام لتجد الترحيب والمجال . . كما أننا نقصد بالمسيطرين على مجالات النشر ، مجموعة الجالسين على القمة في هذه المجلات ، التي أصبحت من أول الحقبة مسئولة مباشرة عما ينشر في مجالاتها ، فكانت بالتالي أحرص من السلطة نفسها على نوعية ما ينشر ومضمونه ، . . وقد ظل صخب الفئتين ونفوذهما . . جاثما على صدر كل كلمة . . فئة تصفي كل كلمة من كل مظان الشبهة . . وتصخب الأخرى حين تتسرب بعض الكلمات الصادقة أو بعض الأقلام الصريحة التي لم تركع أو تذل . .

شعارات جديدة

والمدهش أن أعضاء الفئتين قد بدأوا يرفعون شعارات جديدة الآن ، وبدأوا يرحبون بشكل أو بآخر بالأقلام والكلمات التي ظلت ممنوعة طوال حقبة ازدهارهم العجيب . . ولكن هذا ليس مدهشا على الاطلاق ، في ظل المتغيرات السياسية الجديدة ، فقد بدأت بعض الكراسي تهتز ، وبدأت بعض الوجوه تختفي ، وبدأت بعض الأصوات تغير من نغمتها ، وبسرعة . .

وفي ظل كل هذا التحرك الجديد الذي تحفل به حياة القاهرة الثقافية هذه الأيام ، ظهرت عدة أعمال قصصية وروائية ومسرحية متتالية ، من الواضح تماما أنها من تلك الأعمال التي كتبت في حقبة الصمت ، وظلت تتجنب الظهور ، الى أن أحست أن الوقت قد حان لها لتقول كلمتها التي طال اختزانها ، فظهرت عدة قصص ومسرحيات في مجلة « ابداع الجديدة» «كما ظهرت عدة مجموعات وأعمال كاملة في سلسلة كتب مختارات فصول . وطبيعي أن يصمت النقاد عنها حتى الآن . وطبيعي ايضا أن يتصوروا أنها لم تنشر أصلا . ولكننا نرصد عدة ظواهر فنية وأدبية في هذه الأعمال ، وخاصة ما ظهر منها في سلسلة مختارات فصول التي أصدرت أعمالا لفتحى غانم ، وعبد الرحمن فهمي وأبي المعاطي أبي النجا ، وشكري عياد ، وبهاء طاهر ، وعبد الغفار مكاوي ، وجمال الغيطاني ، ولغيرهم أيضا . الا أن الظاهرة التي نرصدها تبدو أشد وضوحا في أعمال هؤلاء الذين ذكرنا اسماءهم .. فأنت تحس أنها أعمال تعبر عن الحقبة التي نتحدث عنها كل التعبير ، وتصدر في نماذجها وشخصياتها عن نظرة فنية نقدية للحقبة بكل أبعادها الاجتماعية وسلبياتها الصارخة .. كما أنها تحفل بذلك الاحساس الذي عاشه الكتاب فيها .. احساس هو مزيج من السأم واليأس والغربة في آن واحد .. فهي وليدة هذا الطحن الثقيل الذي وجد المثقف القاهري نفسه فيه ، يقع تحت وطأته ، يكبل وجدانه ، ويحاصر عقله ، ويثير فيه الاشمئزاز من صمته ، وصمت الآخرين - ويثير فيه أيضا الغضب على عجزه وعجز الآخرين .. ولست أحسب أن الأحكام التعميمية تصلح هنا لايضاح الصورة التي تجسدها هذه الأعمال التي توالت فجأة بعد صمت طويل ، ولهذا فستكون لنا وقفة في رسالة تالية مع أحد هذه الأمثلة .. وهي وقفة متأنية بعض الشيء مع آخر كتاب لفتحى غانم « الرجل المناسب » لعلها تكشف عن الظاهرة التي نريد اثباتها ..

صحوة إبداعية

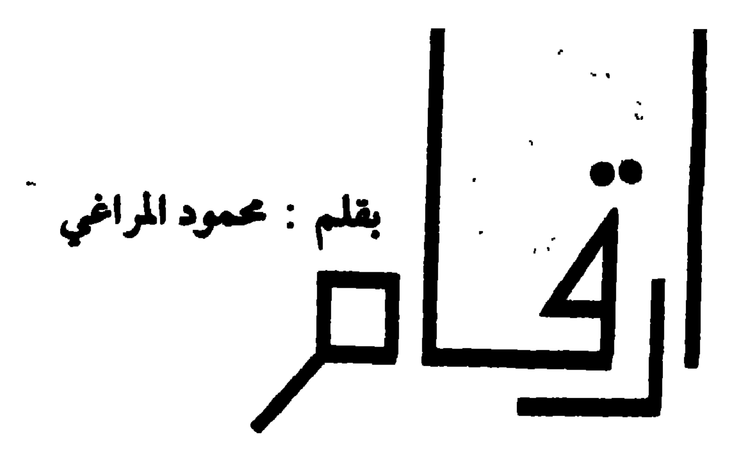
ومجموعة فتحي غانم أول عمل يخرج من صمت السبعينيات ، ليدين حقبة الظلام التي عاشتها القاهرة . ولكن مافعله فتحي غانم قد كرره الباقون الذين ذكرنا أسماءهم من كتاب سلسلة مختارات « فصول » ، وهم بذلك يعلنون أن القاهرة بدأت صحوة ابداعية جديدة ، لا من فراغ ، وانما من حيث توقفت في السبعينيات ، بمعنى أن نبض الابداع لم يتوقف أبدا ، وانما تجنب النشر فقط ، وهاهو يعود ليصل خطوط التعبير الأدبي بعضها ببعض ، وليقيم الجسر مابين زخم الستينيات ووعد الثمانينيات ..

ثم تأتي مجلة القاهرة الأسبوعية الثقافية مع بواكير عام ١٩٨٥ لتؤكد معنى اليقظة التي أصبحت أمل رجال الفكر والابداع في القاهرة ، التي تعود الى حضن العطاء العربي ، والمشاركة الابداعية والنقدية العربية من جديد . □



البحث عن السعادة !

يقول آرثر روبنسيان في كتابه (سنوات شبابي) : ان معظم الناس ينظرون الى السعادة نظرة غير واقعية . فهم دائما يستخدمون « إذا » كشرط للشعور بالسعادة التي يبحثون عنها .. فأنت تسمعهم يقولون : (سأكون سعيدا اذا أصبحت غنيا . أو سأكون سعيدا اذا أحبتني الفتاة التي أريدها زوجة . أو سأكون سعيدا إذا أصبحت شخصية مشهورة .. الى آخره .. وهم في معظم الحالات يحققون هدفهم ، ولكنهم لا يجدون السعادة لأنهم يبحثون عن أشياء أخرى !! أنا شخصيا أحب الحياة بحلوها ومرها .



بقلم : محمود المراغي

داخل المقابر الفرعونية كثيرا ما وجد الباحثون آنية للطعام والشراب .. فقد كان المصريون القدماء يعتقدون في البعث ، وأنه عند البعث لابد أن يجد الانسان طعامه وشرابه .. ويبدو ـ طبقا للارقام الحديثة ـ أنه لو توفر هذا الطعام لتأخرت الوفاة ولكتب الله للانسان عمرا أطول .

النساء يعشن أكثر .. والاغنياء يعيشون أفضل .هكذا تقول الأرقام والاحصاءات وهي تجيب على السؤال الهام : لماذا يموت الانسان ؟ .. وهل يختلف موت الأغنياء عن الفقراء ، وأهل الريف عن أهل المدينة ، وسكان الشمال عن سكان الجنوب ؟ .

وبصرف النظر عن التقدم العام في متوسطات الأعمار التي شهدها العالم في الثلث المنصرم من هذا القرن نتيجة للتحسن في الرعاية ومستويات المعيشة والغذاء والتقدم العلمي .

بصرف النظر عن هذه الظاهرة التي أصبحت شائعة ، فان أرقام هيئة الصحة العالمية تسجل أمرين يلفتان النظر ..

الأول عمر الرجال وعمر النساء ، وبينما تحدد التوقعات متوسط أعمار الذين يولدون الآن في الدول الصناعية بـ(٧١) عاما للرجال .. فإنها تقفز بالرقم الى (٧٨) عاما كمتوسط متوقع للنساء ، وبما يجعل المرأة الغربية هي الأطول عمرا بين كل رجال ونساء العالم .

نفس الظاهرة تسجلها نساء المجموعة الاشتراكية ، حيث يبلغ المتوسط المتوقع للأعمار ٧٤ عاما في مقابل (٦٦) عاما للرجل .

وبالطبع .. وعندما نستعرض الدول ذات الدخل المتوسط والمنخفض يتراجع المتوسط ، ولكن يبقى للمرأة موقع الصدارة .. فهي تعيش أكثر وباستمرار .. الأمر الثاني الذي تسجله أرقام هيئة الصحة العالمية وصندوق الأنشطة السكانية التابع للأمم المتحدة أكثر اثارة وأهمية ، انه يلخص واقع هذا العالم المتناقض من خلال لحظة الموت .

السؤال دائما : لماذا يموت الناس ؟ والأرقام تشرح الأسباب فتجعل من أمراض القلق والارهاق العصبي وتلوث البيئة سببا رئيسيا للموت في الشمال .. وأمراض الفقر وسوء التغذية وقلة الرعاية من نصيب الجنوب ..

بتفصيل أكثر تأتي أمراض القلب والمخ والدورة الدموية في مقدمة أسباب الوفاة في الدول المتقدمة . نصف الناس تقريبا ، وبالتحديد ٤٨٪ من الحالات يموتون بهذه الأمراض .. فاذا لم تلحقهم هذه الأمراض وتتسبب في انتهاء الحياة فان الأورام الخبيثة (سرطان المعدة والرئة والأورام الأخرى) كفيلة بالقيام بالمهمة وبنسبة عالية أخرى هي ١٨,٥٪ .
ثم تأتي سلسلة الأسباب الأخرى وفي مقدمتها العنف والحوادث كمسبب لوفاة ٧٪ من الحالات .

وفي التفسير : يأتي الانتشار الصناعي ، وضجيج المدينة ، واستنزاف الفرد واجهاده بدنيا وعصبيا ، وتعرضه لبيئة ملوثة بعيدة عن الطبيعة ، يأتي كل ذلك ليصنع حالات الذبحة الصدرية والجلطة القلبية وتصلب الشرايين وأمراض أوعية المخ وأوعية الدم .

انها أمراض ابن المدينة ، وقد أصبحت القرية في العالم المتقدم مدينة صغيرة ، بعد ان أصبحت الزراعة صناعة كبيرة ، وان كانت ذات ضجيج أقل .

طفل بائس و معدة عليلة

هل تختلف الصورة في الجنوب ، في الدول النامية ؟ الأرقام تقول ذلك وبشكل واضح . . وبينما تختفي الانفلونزا والأمراض المعدية والطفيلية والنزلات المعوية وأمراض الأطفال الرضع المسببة للوفاة . . بينما تختفي هذه الأمراض من قائمة الأسباب ذات الوزن النسبي الكبير عند الدول المتقدمة ، حتى انه لايشار اليها في الأرقام . . فانه على العكس ـ وفي مجتمعات الفقراء ـ تبرز هذه الأسباب كأهم محطات في رحلة وداع الانسان .

الأطفال وحدهم ، وفي عامهم الأول من الحياة تمثل وفياتهم ٧٪ من جملة وفيات الدول النامية ، الأمراض المعدية والطفيلية ـ والتي تنحسر في الشمال ـ تمثل ١٠٪ . والانفلونزا والالتهاب الرئوي ١٥٪ .

انه عالم من الفقراء والبسطاء وضحايا سوء التغذية وسوء الرعاية الصحية ، لذا فانه يشهد الموت كل يوم ، لأسباب تافهة ، وهو أيضا يشهد المجهول الذي عجزت المنظمات الدولية ان تحدده ، فقالت ان ٢٧٪ من أسباب الوفاة . . غير معروفة ، ولا تدخل ضمن التصنيفات الرئيسية السابقة . .

ومع ذلك فالعالم الثالث محظوظ في أكثر من مجال . . فضحايا الحوادث والعنف والأورام الخبيثة أقل كثيرا مما يقدمه العالم المتقدم في هذه المجالات . .

بعد تسعين عاما

هكذا تتحدد خريطة الموت الذي تزيد نسبته في الجنوب وتقل في الشمال ، ويأتي مبكرا عند الرجال ويتلكأ عند القدوم الى النساء .

ولكن وخلف أرقام الأطباء تأتي أرقام الاقتصاديين ، لتبرز جوانب المأساة ، فطوال عشرين عاما بين (١٩٦٠ ـ ١٩٨١) لم يزد متوسط دخل الفرد في أفقر البلدان الا بنسبة ١٪ سنويا . . وفي عام ١٩٨١ كان متوسط الدخل القومي للفرد في أغنى البلدان يساوي ٢٢٠ ضعفا قياسا على أفقر البلدان . . ووفقا للمعدلات الحالية للنمو ، فان متوسط الدخل الفردي لافقر البلدان يحتاج فترة تتراوح بين سبعين وتسعين عاما . . حتى يتضاعف . .

في الستينيات رفعت احدى الدول النامية ـ مصر ـ شعار مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات ، وحققت معظم الهدف . . ومعه انتشرت الخدمات الصحية ، وزاد متوسط الأعمار وقلت الوفيات .

في أمريكا اللاتينية ـ ورغم متاعبها ـ حوصر الفقر والمرض في العديد من البلدان ، وزاد متوسط العمر . وفي الصين ارتفع التوقع لمتوسط ما يعيشه الانسان الى مايزيد عن ٦٧ عاما في السنوات الأربع الأخيرة .

ولكن . .

وفي زامبيا يموت ٢٠٪ من الحالات بسبب الحصبة ، و ١٥,٥٪ بسبب سوء التغذية وفقر الدم . . و١٠٪ بسبب النزلات المعوية . .

وفي المقارنة نقول ـ ووفقا لاحصاءات ١٩٨٠ ـ يملك العالم الصناعي طبيبا لكل (١٨٠) فردا . . وتملك الدول ذات الدخل المنخفض نفس الطبيب ولكن ليخدم (٥٧٧٢) فردا .

انها معادلة الفقر والثراء ، التقدم والتخلف . . ولكن أليس من المفجع أن يموت الناس في الربع الأخير من القرن العشرين بسبب الجوع والفاقة ؟ أليس مستغربا أن يموت الأطفال بسبب الجفاف بينما تكفي جرعة رخيصة الثمن لانقاذهم ؟ والأمر لا يدعو كثيرا للاستغراب ، فالقصة تبدأ من دخل منخفض ،لكنها تمتد الى رغيف الخبز ، وتكدس المساكن ، وخلل المرافق ، وتلوث المياه ، وعجز الخدمة الصحية .

انه حصار الفقر في الجنوب ،وحصار المدينة في الشمال ، وبين الحصارين يموت الانسان مع اختلاف الأسباب والنسب . □



سيبيريا

بين أسطورة المنفى وحقيقة الحياة ..!

استطلاع : سليمان الشيخ   تصوير : طالب الحسيني

سيبيريا بحار أو صحارى من الثلج واسعة،هكذا يقال عنها ، ويقال أيضا أن مساحتها مساحة قارة ، القليل عنها هو المعروف ، والكثير مازال في طي الكتمان .. أو يغطيه الجليد وبعد المسافات والتنائي .لو سألت أي انسان عادي عنها ، فانه يجيبك دون تردد : هي بلاد الثلج والجليد ، وربما يضيف بلاد المنفى أيضاً .

عندما كنا نعلن لمن يسألنا أن وجهتنا هي (سيبيريا) فان علامات الدهشة والتعجب ثم التعاطف كانت تبرز واضحة على الوجوه ، بل وتتسابق كلمات الاشفاق على (حالنا) من طبيعة هذه الرحلة الشاقة . وكأنما استقر في الأذهان ما كتبه ابن فضلان عن رحلته التي انطلق فيها من بغداد زمن الخليفة العباسي المقتدر وقطع فيها بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة ٣٠٩هـ الموافق ٩٢١م واستغرقت في الذهاب ١١ شهرا فقط وما جاء فيها من وصف الطقس البارد حيث قال : (ولقد كنت أخرج من الحمام ، فاذا دخلت الى البيت نظرت الى لحيتي فاذا هي قطعة واحدة من الثلج حتى كنت ادنيها الى النار) كما يبدو أنه مازال مستقراً في الأذهان أن هذه (السيبيريا) هي المنفى بعينه ، وانه - أي المنفى - هو عقاب السلطة لكل من تمرد أو ثار أو أعلن اجتهاداً مغايراً لاجتهاداتها .

والحقيقة أن في هذا الاعتقاد بعض الصحة أو كلها ، لأن سلطة القياصرة نفت مئات بل آلاف البشر ليواجهوا أقدارهم في طبيعة قاسية .

وهكذا فعل ستالين في أيامه الأخيرة تقريباً ،



وردة بين الورود ، لاحظ الغابة . . وهي تمثل حزاماً حاضراً يُسوِّر المكان .

بالرغم من الانجازات الايجابية العظيمة التي حققها في جميع جمهوريات الاتحاد السوفيتي . وبالرغم من أنه وصل الى السلطة من خلال ثورة جذرية أطاحت بالقيصرية ، الا أنه لم يستطع التخلي عن (عادة) من عاداتها ، الا وهي ارسال المعارضين الى المنافي السيبيرية .

ومع أن هذا العمل - النفي - هو قمة مصادرة حق الانسان في الاختيار والتنقل والتعبير .

مع ذلك فان هذا النفي كان له وجه ايجابي .

ذكر لنا المهندس علي جانوف النائب الأول لرئيس بلدية مدينة نوفوسبيرسك الواقعة في الغرب السيبيري :

(أن المنفيين الأوائل أسسوا حواضر ومستوطنات أخذت تفعل فعلها في الطبيعة ، وتحد من قسوتها ، ووحشيتها . ولأن الكثير من المنفيين كانوا على درجة عالية من الثقافة ويملكون حصيلة جيدة من أفكار التغيير ، لذلك فانهم أعطوا (أوطانهم) الجديدة الكثير من جهد الفعل الانساني الخلاق والمغير) .

وعليّ أن أضيف أن (القارة) السيبيرية التي تكتسي بالحلل الثلجية لمدة تزيد على ستة أشهر في السنة لم تكن مأوى المنفيين فقط ، بل رادها الكثير من المغامرين والتجار الذين كانوا يبحثون عن فرو الحيوانات الثمين ، وعن الأحجار الكريمة .

هكذا كانت هذه القارة من قبل ، فكيف أصبحت الآن ؟

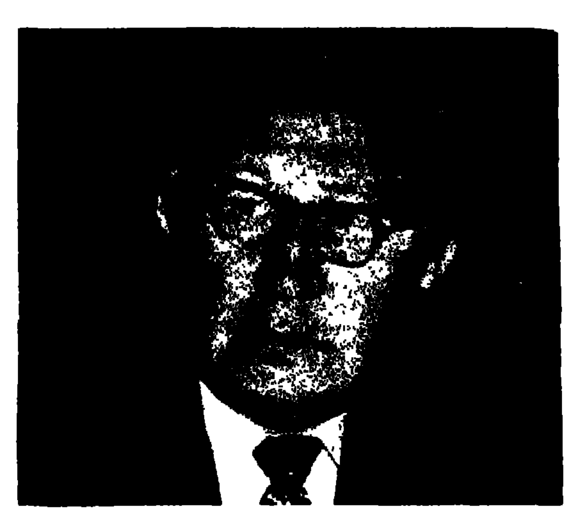
وما هو الجديد فيها ؟ . . وما الذي صنعه الانسان بها ؟

قلوب أدفأ من الجمر :

قال لنا البروفسور سيرجي بافلولوفيتش توكاريف نائب رئيس مجلس ادارة دراسة القوى الانتاجية في سيبيريا (أن ترى بعينيك مرة ، أفضل من أن تسمع من الناس مئات المرات) .

وأضاف : (صحيح أن سيبيريا في بعض الأشهر صحراء من الجليد ، لكن قلوب ناسها أدفأ من الجمر) .

* وقالت السيدة مايا ارخيبوفا رئيسة بلدية مدينة



البروفسور توكاريف

شولوخوف : الهجرة القسرية التي قرأتم عنها في الماضي الى سيبيريا أصبحت الآن هجرة اختيار ورغبة شخصية ، وهكذا فان ٨٠٪ من عدد سكان مدينتنا هم من الشباب ونسبة عالية من بينهم لا تتجاوز أعمارهم ٣٠ سنة .

* وقال لنا بوريس بافلوفيتش النائب الأول لرئيس بلدية مدينة براتسك بفرح وغبطة : اننا نعتبر مدينتنا ورشة تدريب للعمال العرب ، بل ان المئات من مهندسينا عملوا ويعملون في الأقطار العربية

لقد دربنا الكثير من مهندسي وعمال السد العالي في مصر ، وتدرب ويتدرب عشرات العمال العرب في مصانع الألمونيوم والصلب في مدينتنا حتى الآن .

* وفي مدينة ايركوتسك قال لنا العالم فلاديمير كوكوف الخبير في الاقتصاد وتخطيط السكك الحديدية . .

كانت الأنهار في الماضي وسيلة من وسائل التنقل والعيش في الفترة التي لا تكون فيها المياه متجمدة ، لكن وعندما يحصل التجمد . . فهل على الحياة أن تتوقف ؟ لذلك جاءت ضرورة إضافة خطوط سكك حديد جديدة ، وتطوير خطوط الطيران الداخلية وتزويدها بأحدث الطائرات .

وخط سكة حديد (بام) الذي تم انجازه في هذه الأيام (بطول ٣٢٠٠ كم) هو عنصر من عناصر الحياة والتقدم ، أضيف الى غيره من خطوط في سيبيريا .

عزيزي القارىء . . قبل أن نمضي في ايراد أقوال من قابلناهم في المدن السيبيرية التي زرناها فاننا ننقل لك نبذة قصيرة عن سيبيريا .

الموقع والمساحــة :

مساحة سيبيريا تزيد على عشرة ملايين كيلومتر مربع ، أي أقل من نصف مساحة الاتحاد السوفيتي بمليونين من الكيلومترات المربعة تقريباً ، وهي تماثل مساحة الوطن العربي كله من محيطه الى خليجه تقريباً .

وهي من حيث الموقع الجغرافي تقع في الجزء الأكبر من شمال قارة آسيا أي أنها تمتد من جبال الأورال غرباً حتى السلاسل الجبلية للمحيط الهادي شرقاً ، ومن شواطىء المحيط المتجمد الشمالي شمالاً حتى السهوب التلالية لكازاخستان ومنغوليا والصين الشعبية جنوباً .

المتوسط السنوي لدرجة الحرارة في كل سيبيريا شتاءً هو حوالي صفر ، ويصل متوسط درجة الحرارة في الشمال الشرقي حوالي ١٨ درجة تحت الصفر ، وفي بعض المناطق خاصة الشمالية منها فإن درجة حرارتها تصل الى ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر ، أما في الصيف فإن درجة حرارة بعض المناطق الجنوبية الشرقية تزيد على ٤٠ درجة مئوية فوق الصفر ، لذلك فإن أجهزة التكييف الباردة موجودة مثلها مثل الدافئة في البيوت والمكاتب .

يوجد في سيبيريا ثلاثة أنهار عملاقة هي ، أوب ، ينيسى ، لينا وآلاف الأنهار الفرعية والروافد الكبيرة والصغيرة تقدر مساحة أحواضها مجتمعة بحوالي ٨٠٪ من كل الأراضي السيبيرية .

يقسم بعض الجغرافيين سيبيريا الى قسمين : شرقي ، وغربي ، والحد الفاصل بينهما هو نهر ينيسى ويتكون الغرب السيبيري من السهول أساساً وأكبر مدنه هي مدينة نوفوسيبيرسك أما القسم الشرقي السيبيري فيتكون من سلاسل من الجبال والجبال المستوية ، وأكبر مدنه أيركوتسك .

وأرى أن هذا التقسيم كان يعتمد على تسهيلات الوصول الى المناطق من حيث سكك الحديد وغيرها من وسائل المواصلات ، الا أن التطورات الجارية على أرض الطبيعة وبناء خط سكة حديد (بام) واكتشاف مصادر الطاقة المهمة في الوسط والشمال السيبيري ، جعل نظرية الجغرافيين السابقة متخلفة عما أنجزه الانسان وما فعله من تغييرات في الطبيعة .

تلك بعض المعلومات عن سيبيريا . ومع أن نقل المعلومات من مصادرها عمل جيد ، وأساسي لأي بحث ، الا أنك عندما تريد أن تنقل نبض الحياة ، والفعل الانساني وهو يتجلى إبداعاً وتغييراً فما عليك الا أن ترى بعينيك ، وتعايش باعصابك واحساساتك .

وبما أن رحلتنا ومشاهداتنا غطت الكثير من النشاطات في المدن الرئيسية الثلاث التي زرناها : براتسك ، ايركوتسك ، نوفوسيبيرسك ، وبما أن مساحة استطلاعنا محدودة ، لذلك فان علينا الاختصار والتكثيف .

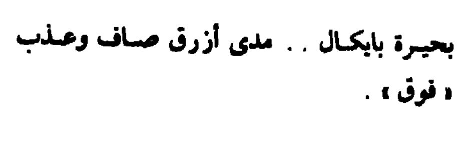
ثروات وصعوبات :

قبل أن ننتقل بالطائرة من موسكو الى مدينة براتسك (٦ ساعات طيران مباشر) التقينا في موسكو بالبروفسور توكاريف الذي أشرنا اليه من قبل مع الخبيرين في المجلس روزنكوفا - سيدة - وسمولنكوف .

تركز حديث البروفسور توكاريف على ضخامة وأهمية الثروات الطبيعية الموجودة في سيبيريا والتي تقدر كما قال ببلايين الأطنان ، ومحاولاتهم استغلال هذه الطاقة واستخراجها في ظروف مناخية صعبة جداً ، يتحول فيها الاسمنت العادي الى رمل ، وتتشقق وتنفجر فيها الأنابيب العادية التي من المفترض فيها نقل الثروات المستخرجة الى حيث يتم تكريرها والاستفادة منها ومعالجتها وتحويلها الى عناصر ومواد جديدة . كصناعة البتروكيماويات أو الاستفادة من الفحم في صناعة الصلب وغيرها .

وقال أن ٨٠٪ بالمائة من الغاز المنتج في الاتحاد السوفيتي يأتي من سيبيريا كما أن نصف انتاجنا من البترول يأتي منها أيضاً ، ومثل ذلك أو يزيد من الفحم والحديد والنحاس ، وغيرها من المعادن ،





بحيرة بايكال .. مدى أزرق صاف وعذب « فوق » .

البيت الروسي القديم « الى اليمين » .

أشجار ومهرجان الوان في الغابة السيبيرية « الى اليسار أعلى » .

طلبة وعمل تطوعي في مدينة ايركوتسك « الى اليسار » .





والأخشاب ، كما أن أكثر من ٨٠٪ من الموارد المائية في الاتحاد السوفيتي تقع في المناطق الشرقية أي في المناطق السيبيرية .

مع ذلك فنحن نقول بأننا نواجه صعوبات جمة تعوق بعض طموحاتنا ، فقد اكتشفنا الكثير من مكامن الفحم والغاز وحقول البترول وغيرها لكننا لا نستطيع استغلالها كلها الآن ، بسبب التكلفة العالية ، أو بسبب حاجتنا الى تقنيات عالية ومهارات تشغيلية خاصة بها .

لذلك فنحن نبقيها ضمن الخطط الطموحة التي تقتضي تكامل خطط استغلالها من حيث توفير مستلزمات ذلك من طرق وسكك حديدية وميزانيات وقدرات تقنية مناسبة .

اننا ضد النظرة التبسيطية التي تقول بأن استغلالنا للثروات في سيبيريا يتم بسهولة ويسر ، وأن تكاليف ذلك قليلة ، وفي نفس الوقت نحن ضد النظرة أو الدعاية التي تذهب بأننا نواجه صعوبات جمة لا يمكننا التغلب عليها في استغلالنا لمواردنا وثرواتنا الطبيعية .

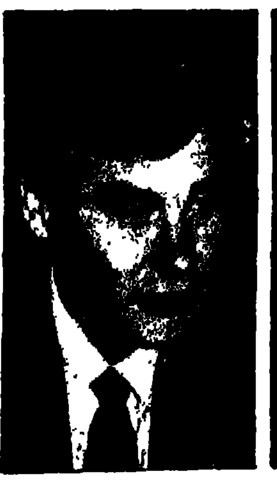
براتســــــك :

وهكذا كانت وجهتنا مدينة براتسك في الشرق السيبيري .

الملاحظة الأولى التي لاحظناها عندما وصلنا المدينة هو أن الزائر الثقيل لم يكن قد وصلها بعد .



السيدة ارخيبوفا



المهندس كروموفسكي

وأعني بالزائر الثقيل هو البرد الشديد والثلج ، صحيح ان درجة الحرارة في الليل كانت تتراوح بين ٣ و ٥ درجات تحت الصفر وانها في النهار كانت ترتفع لتصل الى ٥ درجات فوق الصفر . مع ذلك فان المطر الكثيف والثلج لم يكونا قد بدآ دورتهما السنوية. (الزيارة كانت في الأيام العشرة الأخيرة من شهر سبتمبر - أيلول ١٩٨٤) .

براتسك مدينة في غابة وهكذا هي المدن والقرى في سيبيريا ، يتم البناء على حساب الغابات ، لكنها أي الغابة تبقى كالحزام بالنسبة للمدن بل انها تبقى حاضرة داخل الكثير من الأحياء والمناطق وهي (متنفس) للانسان ، يستروح ويعيش الطبيعة كما هي .

وهي . . مدينة شابة . . هكذا قال لنا بوريس بافلوفيتش النائب الأول لرئيس بلديتها . . بل أن بقية المدن السيبيرية التي زرناها . . كان المسؤولون فيها يؤكدون على أنها مدن شابة .

وهذا القول يمكن وضعه ضمن تفسيرين :

الأول : انها مدن جديدة أو مجددة ، يمكن أن تكون قد وجدت منذ مئات السنين لكنها أخذت تزداد في عدد السكان ، وفي إقامة المشروعات الضخمة بعد قيام ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

الثاني : أن متوسط عمر سكان المدن السيبيرية لا يتجاوز الثلاثين عاماً ، فالمشاريع الكثيرة تحتاج الى أيد عاملة شابة . . والطبيعة القاسية التي لا تعرف الحنو أو المداراة لا ترحم من به سقم ، فلا يغامر بالمجيء اليها الا الشباب الذين ما زال طموح تحقيق الذات يسيطر على كل ذرة في كيانهم .

مدينتنا مركز صناعي كبير يقطنها الآن حوالي ٢٧٠ ألفاً من السكان هكذا بدأ السيد بافلوفيتش حديثه معنا :

وأهم الصناعات فيها الخشب والورق والألمنيوم والحديد ، ونصدر بعض ما ننتجه ونصنعه الى بعض الدول العربية كمصر ، وسوريا ، واليمن الديمقراطية والجماهيرية الليبية .

وأضاف السيد بافلوفيتش عندما استقبلنا في دار البلدية : أن عشرات العمال والمهندسين العرب تدربوا في مصانعنا ومعاهدنا بل أن مئات المهندسين

من مدينتنا شاركوا في إقامة السدود والمصانع في الأقطار العربية كالسد العالي في أسوان ، ومصنع الألمنيوم في نجع حمادي ، ومصنع الحديد في حلوان وسد الفرات في سوريا وغيرها .

وبعد أن خضنا مع السيد بافلوفيتش في أحاديث شتى حول العمل وظروفه والعوائد والتكنولوجيا وخططهم لزيادة السكان ورعاية الأطفال الخ .

خرجنا من دار البلدية الى الفندق ، وقد صادفنا في طريقنا مكتب توثيق الزواج وقد شرح لنا مرافقنا إيفان منشكوف أن هناك طريقتين للزواج في الاتحاد السوفيتي الأولى بواسطة مكتب مدني ، والثانية عن طريق رجال الدين مسيحيين ومسلمين ويهود ، أو رجال الدين في الديانات الأخرى كالبوذية وغيرها .

السد العالي والمصانع :

ذهبنا في اليوم التالي لزيارة مصنع الألمنيوم الذي يبعد عن المدينة حوالي ٢٠ كيلومتراً، استقبلنا المهندس كروموفسكي مدير القسم التكنولوجي في المصنع .. وقال : ـ

ـ مادة الألمنيوم نستوردها من القسم السوفيتي الأوروبي ، وبدأنا التحضير لبناء المصنع اعتباراً من سنة ١٩٦١م ، وبدأ انتاجه سنة ١٩٦٦م ، أي بعد أن تم بناء السد العالي على نهر انغارا سنة ١٩٦٦م وبعد أن تم توفير الطاقة من أكبر محطات توليد الكهرباء في العالم ، فان طاقة انتاج المصانع ارتفعت ، وتم بناء مصانع جديدة حول المدينة .

وأضاف السيد كروموفسكي : الأيدي العاملة في المصنع يصل عددها الى ١٢ الف عامل وعاملة . ولأن هناك صعوبة في طبيعة العمل من حيث التعامل مع افران النار فاننا نقدم تسهيلات للعمال منها :

ـ ساعات العمل ٦ ساعات ، وكل ٤ أيام عمل يقابلها يوم عطلة .

ـ الاجازة السنوية تصل الى ٤٨ يوماً ، مع أن الاجازة للعمال هي ٣٦ يوماً ، أما من حيث المرتبات فان العامل الماهر الذي خدم ما يزيد على ٥ سنوات فانه يتقاضى حوالي ٦٠٠ روبل . وتقدير المرتب في الاتحاد السوفيتي يخضع لطبيعة العمل ، فأنا المهندس على سبيل المثال قد أتقاضى ٣٠٠ روبل شهرياً أو يزيد قليلاً ، في حين أن العامل الذي يعمل على أفران الصهر قد يتقاضى ضعف ما أتقاضاه .

الحديث المتكرر عن السد العالي في براتسك وأهمية محطته الكهرمائية ، والبحيرة الصناعية التي وجدت نتيجة إنشاء السد ، ودور مهندسي المدينة في بناء وتدريب عمال ومهندسي السد العالي في أسوان ، شدنا لزيارة المكان .. وفي يوم مشمس بارد انطلقنا من المدينة وقطعنا مسافة حوالي ٢٥ كيلومتراً في طريق تحفه التلال المتوجة بأشجار الشربين والصنوبر والأرز .. أوراقها تختلف بين شجرة وأخرى .. حمراء خضراء صفراء برتقالية .. كادت تكون مهرجان ألوان .. ثم صافحت عيوننا حوار أشعة الشمس مع مياه البحيرة .. وفي الجانب الآخر كان نهر أنغارا الذي ينبع من بحيرة بايكال يهدر متئداً بعد أن تم حجز الكثير من مياهه في السد التي تصل قدرتها لتوليد طاقة كهربائية الى ٤ر٥ مليون كيلوات .

قابلنا السيد ليف أويلوجين نائب مدير المحطة وهو مهندس طاقة ومن المهندسين الذين دربوا الكثير من المهندسين والعمال العرب . وبعد ان اوضح لنا أهمية السد ودوره . قدم لنا دفترا يسجل فيه الزوار انطباعاتهم .

فوقعت عيناي على التالي :

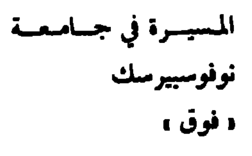
(في نهاية تدريبنا ـ في محطة براتسك الكهربائية المائية ـ نحن المهندسين والفنيين العرب من السد العالي في الجمهورية العربية المتحدة ، نشكر جميع الخبراء السوفيت على ما بذلوه في تدريبنا واعطائنا جميع المعلومات اللازمة .

مهندس عبد الحليم عبد القادر
٢٧/٥/١٩٦٥م

يبدو أن المهندس كان يريدني أن أقرأ هذه الكلمات بالذات .. نظر بوجهي متملياً .. وقال هل قرأت ؟ أجبت بالايجاب وقلت : الآن عرفت أن سدنا العالي كان أخاً لسدكم العالي هنا في براتسك ومن هنا جاء الاسم المتشابه . إلا أن المهندس تساءل : وهل نكافأ على ما بذلنا .. بالطرد المهين ؟

قلت مخففاً : هي سياسات تتغير ، وما تم انجازه على الطبيعة لا يمكن أن تمحوه السياسات (عندما كنت أكتب هذا الاستطلاع تذكر الناس أهمية السد





المسيرة في جامعة نوفوسيبيرسك
« فوق »

مسرح الأطفال وشعار مدينة نوفوسيبريك « الى اليمين » .







وجه وابتسامة وملابس تقليدية سيبيرية .. يمكن أن تكون هذه الملابس قد اختفت من الحياة الحاضرة ، لكنها تظهر في المناسبات فتثير الكثير من الذكريات .. والكثير من الحنين الى ماض مضى لا يمكن أن يعود .

العالي بأسوان كونه حمى مصر من خطر المجاعة التي انتشرت في الدول المجاورة لخمس سنوات متواليات) .

داخل البيت السيبيري :

غادرنا المحطة بعد أن مررنا على شواطيء البحيرة الصناعية ، وبقيت في النفس رغبة . لقد قابلنا بعض المسئولين ودخلنا بعض الحوانيت والمصانع والمؤسسات ، وسمعنا وناقشنا ، لكن كيف هو البيت في براتسك من الداخل ؟ ما هي تفصيلات حياة العائلات ؟ بماذا يهتمون ، كيف يعيشون وما هي طبيعة علاقاتهم الأسرية وما هي انطباعاتهم عنا ؟

انتقلنا الى حي عادي من أحياء المدينة ، ثم صعدنا بالمصعد الى الطابق الثالث ودخلنا شقة مكونة من ثلاث غرف . . استقبلنا على الباب السيد لاينيد والسيدة فيرا ، انهما يكونان عائلة ميخاتشك ، سنهما يقترب من الأربعين .

السيدة فيرا مهندسة تخطيط والسيد لاينيد مهندس ميكانيكي ، ويعملان منذ سنة ١٩٦٧ في مصنع للخشب .

الزوجة أصلها من جمهورية أوكرانيا والزوج يعود أصله الى جمهورية روسيا ، الا أن عائلتيهما سكنتا سيبيريا منذ الخمسينيات .

تخرجا من معهد البولتكنيك من مدينة تومسك في سيبيريا وتزوجا بعد التخرج مباشرة (١٩٦٧م) .

قالا انهما يعتبران سيبيريا وطناً لهما (لقد تعودنا على كل ما فيها ، بردها وثلجها وصعوباتها أصبحت جزءا من تكويننا ، ونحن لا نفكر في الهجرة منها ، اننا نؤدي عملاً نعتبره مهماً) .

والأولاد ؟

- صاحت الوالدة فحضر ولد وبنت .

الولد عمره حوالي ٩ سنوات والبنت عمرها حوالي ١٤ سنة . بافل وماي ، الولد في الصف الرابع ، والبنت في الصف العاشر .

قال الزوج : أعتقد أن ما انجبناه يكفي .

حاولت أن أدغدغ عاطفة الأمومة في المرأة . .



عائلة ميخاتشك

فوجدتها منحازة ومتفقة مع الزوج . سألت : هل تدفعون أقساطاً للمدارس ؟

- أجاب الزوج والزوجة بالنفي القاطع ، وأضافا أن بعض المدارس تقدم بعض الوجبات الغذائية .

- والشقة . . . . هل تدفعون إيجاراً لها ؟

قالت الزوجة : دعني أوضح لك الأمور : التعليم في وطننا مجاني ، والتطبيب والسكن أيضاً . هناك بعض الرسوم القليلة التي لا تذكر ندفعها ، وهي مثلاً بالنسبة للسكن حوالي ٢٠ روبلاً في السنة ، و ٣٠ روبلاً في السنة بالنسبة للتعليم ، وهي مبالغ لا تذكر لقاء خدمات حياتية مهمة جداً .

- وما هو دخلكم كعائلة ؟

أجاب الزوج : دخلنا أنا وزوجتي حوالي ٨٠٠ روبل في الشهر نصرف منها ونوفر بطبيعة الحال ، وعندنا سيارة ، ونذهب في إجازاتنا السنوية في رحلات داخل الاتحاد السوفيتي وخارجه ، لقد زرنا فنلندا ، والهند وألمانيا الشرقية والغربية ومصر وسوريا وغيرها من بلدان .

* والاهتمامات ؟

- قال الرجل أنا أهتم بميكانيك السيارات ، وفي أوقات فراغي اتابع زراعة الأرض خارج المدينة واهتم بالتصوير وقراءة الأدب ومتابعة السينما والمسرح .

وقالت الزوجة انها تهتم بالقراءة وخاصة الأدب ،

وأدب الرحلات منه بالذات ، وزراعة الزهور ، ومتابعة النشاطات الحزبية .

سألت : لقد ذكر السيد لاينيد انه يهتم بزراعة الأرض ، فهل تم توزيع الأراضي على الناس ؟ ما أعرفه ان الأرض هي ملك الدولة في الاتحاد السوفيتي .

أجاب السيد لاينيد : لقد تم توزيع قطع كثيرة من الأراضي على الناس في الكثير من جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، ومساحة ارضي على سبيل المثال هي حوالي ٦٠٠ متر مربع . وهي ليست ملكية خاصة ، كما أن بعض الناس يملكون بعض البيوت الخاصة ، لكن الأرض ملكيتها للدولة في كلتي الحالتين ، والقصد من توزيع الأراضي هو دفع الناس للاهتمام بالعمل الفلاحي ، وانتاج بعض المنتوجات التي تسد حاجة البيت .

ـ لقد ذكرت السيدة فيرا النشاطات الحزبية .. هل انتما أعضاء في الحزب ؟

أجابت الزوجة .. نعم نحن اعضاء في الحزب ، انا منذ ١٢ سنة وزوجي منذ ست سنوات وهناك نشاطات اجتماعية ومشروعات يقيمها الحزب نتابعها ونهتم بها .

ـ لقد ذكرتم انكم زرتم سوريا ومصر .. فما هي انطباعاتكم عن الكويت وأقطار الخليج العربي ؟

أجابت الزوجة : لقد قرأت كتابا يتعلق بالطرق والرحلات والمحطات المهمة في الشرق ، وقرأت عن حياة الناس في الكويت عندما كانوا يكدون في البحر ويستخرجون اللؤلؤ منه والصعوبات الحياتية التي كانوا يواجهونها ، أما الزوج فذكر انها بلاد النفط وهي دول مستقلة لكنها جزء من الأمة العربية .



آسيا صالحوفا



البروفسور كوكوف

في ايركوتسك

أبت الطبيعة في براتسك الا أن ترينا حالاتها المتغيرة .. ففي صباح يوم سفرنا من براتسك الى ايركوتسك فتحت النافذة .. كانت خيوط دقيقة تتطاير في الجو .. أمعنت النظر ، لقد كان (ندفاً) ثلجيا رفيعا ودقيقا .. وهكذا تركنا الطقس في براتسك .

وصلنا بعد ساعتي طيران الى المدينة التي تقع على نهر انغارا ايضا ، (طوله ١٨٠٠ كيلومتر تقريبا) ويقسمها النهر الى قسمين . وتعتبر ايركوتسك في القسم الشرقي من سيبيريا ، قطارات تصفر .. وبواخر تمخر .. والقدم والعراقه تظهران على مباني المدينة .

قال لنا السيد فالودا فالسوف مراسل وكالة نوفوستي الصحافية في المدينة : ان مدينة ايركوتسك تم تأسيسها سنة ١٦٦١ م من قبل شعب القوزاق بعد أن وصلوها عبر الأنهار ، وبعد تأسيس المدينة بخمس وعشرين سنة فانها ازدهرت وازداد عدد سكانها ووصل الى حوالي ٦٠٠ الف نسمة الآن .

نتجول في المدينة .. وحبيبات المطر تداعبنا مع أشعة الشمس ، مبان كثيرة يظهر عليها القدم ، ولازال بعضها مبنيا من الخشب ، مادة بناء البيت السيبيري حتى سنين قريبة ، بل ان حيا بأكمله مازال مبنيا بكامله من الخشب . (كورنيش) المدينة يمتد لعشرات الكيلومترات يحاذي النهر وتظلل الناس فيه غابات الأشجار التي دخلت عليها يد الانسان فشذبتها وهذبتها .

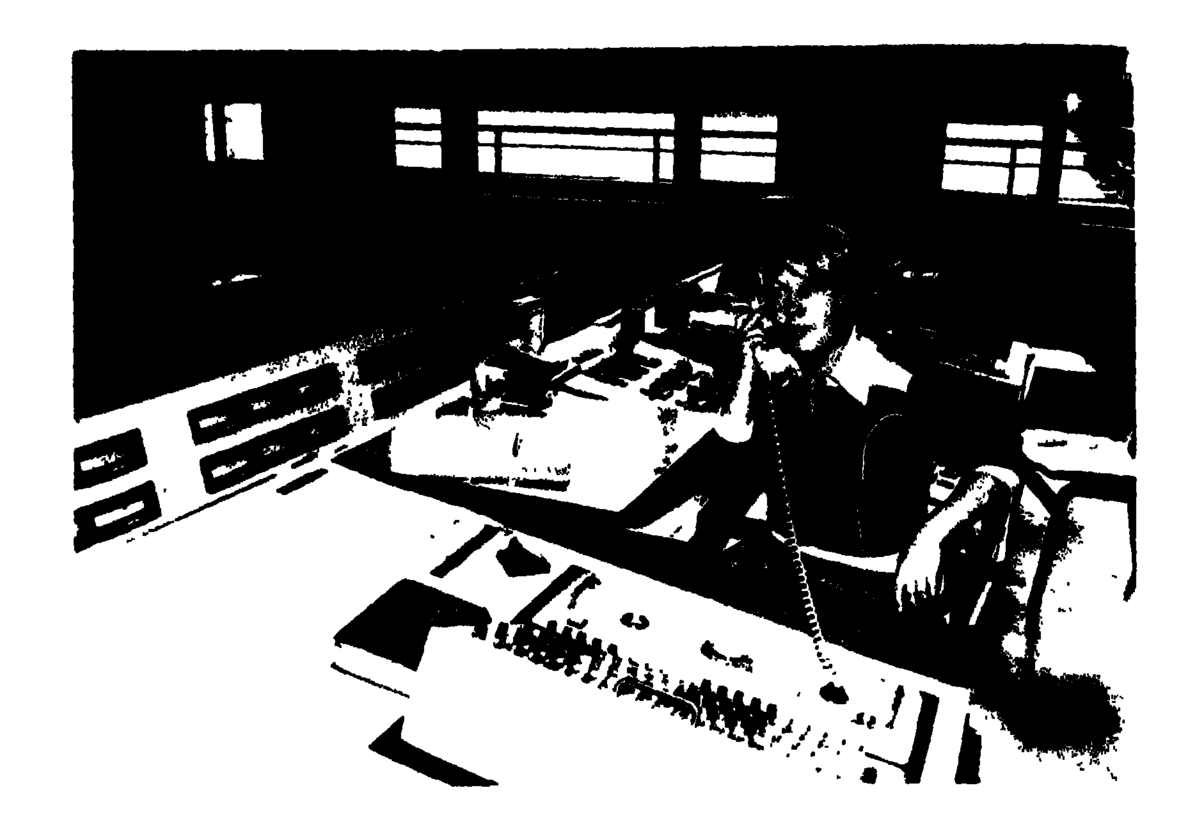
في المسجد

مبنى كبير على جوانبه ترتفع مباني مخروطية الشكل .. قال السيد فالودا انها احدى كنائس المدينة .











السد العالي في مدينة براتسك « الى اليمين أعلى»

البناء التقليدي وحارسه بائعة الورد ـ في مدينة براتسك « الى اليمين أسفل » .

مهندسة تدير محطة التحكم في السد العالي « فوق » .

في مصنع الألمنيوم ـ مدينة براتسك « الى اليسار » .

ـ وهل أماكن عبادة الديانات الأخرى موجودة أيضا ؟

* نعم انها موجودة ، الكنيس لليهود ، والمسجد للمسلمين ، وأماكن عبادة البوذيين ايضا وغيرهم .

ـ لقد لفظت المسجد بتشديد السين .. هل هذا هو اسمه في الروسية ؟

* نعم هو ذلك .

ـ هل نستطيع زيارته ؟

* ولِمَ لا .. اقتربنا من مبنى عريق ، تتصدره لوحة مكتوب عليها بالعربية الواضحة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... بسم الله الرحمن الرحيم ... لا اله الا الله) .

جاءنا الحارس .. السلام عليكم بالعربية تم تبادلها فيما بيننا . قادنا الى داخل المسجد ، كان الامام محمديف غالي احمد مع بعض الرجال في الداخل ، قال انه من التتر المسلمين وكذلك الرجال الذين كانوا يلازمونه ، ملامحهم كانت تشي بذلك بوضوح ، قرأ القرآن بعربية مفهومة تماماً ، وقال انه يترجم خطب الجمعة الى الروسية للمصلين ، المسجد عادي كأي مسجد في بلاد أخرى ، مفروش بالحصر والسجاد ، حاجز من القماش يفصل بين أماكن صلاة النساء والرجال .

قال الامام محمديف انه خريج معهد الدراسات الاسلامية ، وهو مقيم منذ مدة طويلة في المدينة ويؤم المسلمين في الجامع ويشرح أمور الدين داخله .

أكبر بحيرة عذبة

تمنينا أن يكون الجو مشمسا في صباح اليوم التالي عندما أخبرنا مرافقنا أن برنامجنا يتضمن زيارة بحيرة بايكال التي تبعد عن مدينة ايركوتسك حوالي ١٠٠ كيلو متر تقريبا ، انطلقنا في الصباح وبعض الغيوم تحجب عنا الشمس ، والجو الضبابي يخيم على المدينة .

كان انغارا يرافقنا في رحلتنا وكانت أشجار الغابات تحف بالطريق على الجانبين ، طبيعة بكر .. وتلال مكسوة بالأشجار .. وهواء نقي يداعب وجوهنا . قرى صغيرة بيوتها مبنية من الخشب متناثرة على جانبي الطريق .. قال السيد فالودا ان بعضها



المهندس جانوف — الامام محمديف

يعود لشعب البوريات الذي يدين بالبوذية ، وهم يبنون قراهم بجانب الأنهار في معظم الأحيان ، لأن النهر على ما يبدو جزء من طقوسهم .

الغابة مدى لا تدركه العين وحبيبات الندى تتساقط من فروع الأشجار كأنها المطر الخفيف ، وصلنا الى مكان فيه بعض المقاعد الحجرية ، تلتف حوله الأشجار من جميع الجهات ، أغصانها وأوراقها موثقة بها ، آلاف خرق الملابس والحبال الصغيرة القصيرة من جميع الألوان . انها احدى طقوس شعب البوريات البوذي .. هكذا قال السيد فالودا ، لحظتها فان ذاكرتي استعادت مشهدا مماثلا رأيته في مدينة بافوس القبرصية ذات يوم ، آلاف مناديل الجيب وأغطية الرؤوس النسائية مربوطة باغصان احدى الأشجار ، قيل لي يومها انها نذور ، او للتبرك .. وها هو نفس المشهد يتكرر تقريبا لكن مع البوذيين .

تابعنا رحلتنا محفوفين بالنهر وأشجار الغابات ، مع تسلل جديد لخيوط الشمس اخذت تخترق حجب الغيوم ..

قابلنا الدكتور جريجوري متشينكو سكرتير معهد الأبحاث المائية الخاص بالبحيرة . هو ومجموعة من العلماء يقيمون بالمعهد ، ويبحثون في كل ما يتعلق بالبحيرة من ماء وهواء وحيوانات وطبيعة محيطة وعملهم الأساسي هو حماية نظافة مياه البحيرة .

قال الدكتور متشينكو ان البحيرة تمتد لحوالي ٦٣٦ كيلومترا وأكبر عرض لها هو ٨٠ كيلومترا واقله ٣٠ .

يدخل البحيرة حوالي ٣٠٠ نهر أهمها نهر لينا ويخرج منها نهر واحد هو انغارا .

تحوي البحيرة حوالي ٢٢٪ من كل المياه الحلوة في العالم . وأكبر جزيرة فيها هي جزيرة الهون وتمتد حوالي ٦٢ كيلومترا في الطول وعرضها حوالي ١٥ كيلومترا ويسكنها ١٥٠٠ نسمة .

مياهها نظيفة وصالحة للشرب ويمكن الرؤ ية من خلال مياهها الى عمق حوالي ٤٠ مترا . مياه البحيرة تتجمد في الشتاء ، ويعيش فيها حوالي ٥٢ نوعا من السمك ، (تتجمد البحيرة ٥ أشهر في السنة)

شولوخوف

شولوخوف مدينة لا تفصلها حدود واضحة عن مدينة ايركوتسك ، واسمها لم يأت من اسم الكاتب المعروف شولوخوف صاحب رواية (الدون الهادىء) بل جاء الاسم من اسم تاجر مغامر ، وصل هذه الأراضي وانتقل في استكشافاته حتى وصل آلاسكا ، ثم عاد وتوفي في مكان معروف بالمدينة ، وعندما تم تأسيس المدينة منذ حوالي ٢٠ سنة فاننا آثرنا اطلاق اسمه عليها ، عدد سكانها الآن حوالي ٥٠ الف نسمة وهي مدينة شابة وجدت مع وجود المصانع كالألمنيوم ، وصناعة البناء والاسلاك وغيرها .

هكذا قالت لنا رئيسة بلدية المدينة مايا آرخيبوفا عند استقبالها لنا ، شدت على أيادينا وقادتنا الى غرفة مكتبها .

قلت : ألا تجدين صعوبة في عملك ياسيدتي . . ومالك ومشاكل الصناعة والاسكان وغيرها ؟ وما هو وضع المرأة والاطفال الصغار ؟

قالت : هو الواجب ، والمرأة متساوية الحقوق مع الرجل ، وهناك صعوبات بسيطة فى كوني لا أستطيع أن اعطي وقتا كافيا للعائلة ، لكن يبدو أن عائلتي اصبحت هي كل من يعيش في هذه المدينة . وهناك بعض الأعمال المحددة في قانون العمل تمنع المرأة العمل بها .

أما بالنسبة للأطفال أبناء العاملين والعاملات فإن ٩٣٪ منهم ممن تقل أعمارهم عن السادسة فانهم يدخلون دور رعاية الطفولة وعندنا في المدينة حوالي ٣٠ دارا .

هل ينمو البلح في سيبيريا ؟

هناك مثل يقول (لا ينمو البلح في سيبيريا) . الا أن المفاجأة التي كانت تنتظرنا عندما دخلنا قاعة الاجتماعات للالتقاء بعالم الاقتصاد وتخطيط السكك الحديدية فلاديمير كوكوف بمدينة ايركوتسك ، هي تصدر شجرة نخيل للقاعة . صحيح انها كانت مسجونة في وعاء خاص وانها لا تثمر ربما بسبب هذا السجن ، ولكنها كانت موجودة وسعفها الاخضر يضفي جمالا أخاذاً على المكان .

تحدث العالم كوكوف عن التأثيرات الناتجة عن الانتهاء من مد خطوط سكك حديد (بام) وان هذه الخطوط مدت في أماكن غير مأهولة . . وذكر المشروعات التي يمكن الاستفادة منها ، وقيام مركز صناعي جديد يعتمد على ثروات طبيعية غنية جدا مثل الفحم والحديد والفوسفات ، والغابات البكر .

سألت : ألا تتأثر خطوط سكك الحديد الطويلة بالثلج الذي يقيم طويلا خاصة في المنطقة الجديدة ؟

ان هذا الجانب هو من أهم الصعوبات التي نواجهها ، لكننا كعلماء ابتكرنا حلا لكل مشكلة .

والزراعة . . هل لها نصيب في سيبيريا ؟

منذ مئات السنين وسيبيريا الغربية تنتج الحبوب والخضروات وبعض أنواع الفواكه ، وفي المناطق الاخرى فاننا بدأنا باقامة مزارع تعتمد على طريقة الزراعة المحمية ، اضافة الى وجود مزارع للدجاج والأبقار .

معهد البولتكنيك

برنامج الساعات الأخيرة من زيارتنا لمدينة ايركوتسك كان زيارة معهد البولتكنيك . . ان الطموح الكبير لاستغلال ثروات الطبيعة والتغلب على شتى مصاعبها لا يمكن أن يتم الا بوجود العقول المدربة والخبيرة والمستوعبة للتقنيات المتطورة ، لذلك فان هذا المعهد انشىء منذ سنة ١٩٣٢ . هكذا لخص لنا السيد فلاديمير بتروفش سكرتير اللجنة الحزبية في المعهد دوره ، وأضاف أن في المعهد الآن ٢٦ فرعا





توربينات الماء في مدينة براتسك « فوق »

في معهد البولينكنيك في ايركوتسك « الى اليمين »

صناعة الآلات الثقيلة في مدينة نوفوسيبيرسك « الى اليسار أعلى»

أطفال إحدى الروضات في أحضان الغابة (الى اليسار أسفل) يستروحون . . ويستجمون . . ويتعلمون أيضاً



علميا و ٤٥ مهنة ، وفيه حوالي ١٨ ألف طالب وطالبة ، دراستهم تقوم على الدراسة النظرية والعملية ، يدرسهم حوالي ١٥٤٠ مدرسا ويوجد في المعهد حوالي ٢٥٠ طالبا وطالبة من جمهورية منغوليا الشعبية ، يدرسون من خلال برنامج المنح الذي توفره لهم الجهات المختصة . والالتحاق بالمعهد يتم بعد الصف العاشر مباشرة .

ومدة الدراسة خمس سنوات يتخرج الطالب بعدها ، بعد أن يقدم مشروعا تطبيقيا توافق عليه اللجنة الفاحصة ، ويتم توزيع المتخرجين على المهن الخاصة بهم قبل شهرين من تخرجهم .

نوفوسبيرسك (أو سيبيريا الجديدة)

محطتنا الثالثة كانت مدينة نوفوسبيرسك ، لم تبلغ من العمر مائة سنة بعد ، مع ذلك فهي ثالث المدن مساحة في الاتحاد السوفيتي بعد موسكو ولينينغراد ، وأكبر المدن السيبيرية في عدد السكان (حوالي مليون ونصف مليون نسمة) وهي عاصمة العلم والعلماء في سيبيريا اذ يوجد فيها الفروع السيبيرية للاكاديمية السوفيتية للعلوم ، والزراعة والعلوم الطبية . وبها ما يزيد على ١٠٠ معهد علمي ، وما يزيد على ١٥ ألف عالم ، وفيها ١٦ معهدا للدراسات العليا ويدرس ١٥ ألف طالب في معهد الدراسات الكهربائية الهندسية لوحده .

وهي في موقعها على نهر الاوب تعتبر ميناء تجاريا مهما ، ومحطة أساسية من محطات خط حديد - عبر سيبيريا - وفيها مطار كبير .

كما أن قربها من جبال التاي (حوالي ٢٠٠ كيلومتر) الغني بالثروات الطبيعية وفر لها مواداً أولية لقيام صناعة مزدهرة فيها تبدأ من أصغر الأشياء وصولا الى صنع الآلات الثقيلة .

هكذا تكلم المهندس علي جانوف النائب الأول لرئيس بلدية نوفوسبيرسك بحب وفخر عن المدينة . ولم يترك أي خاطرة تتعلق بالتفصيلات الدقيقة حول تاريخ انشاء المدينة ، والتغييرات والتطورات التي حصلت فيها الا وذكرها ، عن الثقافة والعلم والتجارة وتنقية الهواء وقيام السد على نهر أوب سنة ١٩٥٦ وطاقة محطة توليد الكهرباء والبحيرة .

وبناء الشقق الجديدة (يبنون سنويا حوالي ١٥ ألف شقة جديدة) وظروف قيام المدينة ودور المنفيين في تنشيط حركة الحياة فيها من قبل . ومحطات التدفئة التي تحولت من الفحم الى الغاز . ومحطات تنظيم مجاري المياه وعدم جعلها تصب في النهر ، والنقل والمواصلات وبناء محطات المترو ، والمسارح الستة في المدينة (من بينها مسرحان للاطفال) ومعاهد الباليه والاوبرا والاكاديمية المسرحية ، والنشر والطباعة والصحف والمكتبات العامة ، والزراعة والاسكان والمستقبل .

في نفس اليوم الذي قابلنا فيه نائب رئيس البلدية كان موعدنا بعد الظهر لزيارة مصنع الصناعات الثقيلة .

التقينا بمدير عام المصنع فيكتور ارنوفسكي وسكرتير اللجنة الحزبية فلاديمير كسيليوف وايفان كابلن اقدم رسام تقني في المصنع . تحدثوا عن ظروف انشاء المصنع أثناء الحرب العالمية الثانية (أصبحت سيبيريا خط الدفاع الثاني في ظروف الحرب ، وانتقل الكثير من الصناعات والكثير من الناس الى المدن السيبيرية ومنها نوفوسبيرسك في الغرب السيبيري) .

وأنواع الصناعات التي صنعها المصنع ، والتطورات التي حدثت به ، اذ أنهم بدأوا الصناعة عن طريق اليد ، والآن فانهم يستعملون أحدث الانجازات التقنية . وتحدثوا عن عدد العمال الذين أصبحوا الان ستة آلاف عامل ، بعد أن كانوا ١٥٠٠ عامل في بداية انشائه ، وعن المدرسة التقنية الملحقة بالمصنع ، ورواتب العاملين وطرق السلامة المتبعة ، والرعاية الصحية والاجتماعية ، والدول التي يصدرون لها صناعاتهم (منها سوريا ، العراق ، مصر) وقد ازدادت كمية الانتاج حوالي ٢٠ مرة منذ انشاء المصنع حتى الآن .

ثم تحدثوا عن البيوت التي بناها المصنع للعمال وعن رعاية اطفال العاملين والعاملات (٩٠٪ من الأطفال يتوزعون على ٧ دور رعاية تابعة للمصنع) .

وعن المعسكرات الصيفية التي تقام للأطفال الصبيان والبنات خارج المدينة . أما عن نسبة

عمال للعاملات فمازالت كما هي منذ انشاء المصنع ، ٦٠٪ رجال و ٤٠٪ نساء وهناك ١٥ مهنة تمنع المرأة من العمل بها قانونيا .

مدينة العلماء

وفي اليوم التالي زرنا مدينة العلم والعلماء ، أي القسم السيبيري من الاكاديمية السوفيتية للعلوم ، وزرنا متحف القسم الجغرافي الذي يختص بالدراسة والبحث عن الثروات الطبيعية في سيبيريا ، وسمعنا فيه ـ من المشرفة على المتحف ـ ارقاما مذهلة .

مثلا يوجد غاز في سيبيريا يكفي لحوالي ٢٠٠ سنة اذا ما استمر الانتاج كما هو الان ، أي مليار متر مكعب يوميا .

وانه تم اكتشاف ٢٠ الف نوع من أنواع المواد الطبيعية خلال العشرين سنة الأخيرة . وانه يوجد ملح في المنطقة الغربية في سيبيريا يكفي العالم كله لحوالي ١٣ مليون سنة .

وقابلنا اثر ذلك البروفسور فلاديمير بويكا نائب مدير معهد الفلسفة والعلوم الاجتماعية في الاكاديمية ، وهو دكتور في الفلسفة وقد تحدث باسهاب عن تجربة السلطة السوفيتية وتعاملها مع الشعوب القومية الصغيرة ،

ـ وفي مساء نفس اليوم توجهنا لزيارة مركز التضامن مع الشعوب في جامعة نوفوسيبيرسك . واعضاء المركز هم من الطلاب والطالبات .

وقد تأسست الجامعة بتاريخ ١٩٥٨/٩/٢٩ لذلك فان الطلبة كانوا يحتفلون في ذلك اليوم بمناسبة مرور ٢٥ سنة على انشائها وتضم الجامعة ٦ كليات منها الميكانيكا ، والرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية والجيولوجيا والعلوم الاقتصادية والسياسية والآداب .

الغيوم السوداء كانت تنذر بهطول مطر غزير منذ ساعات الصباح الأولى ، الا أن الطلبة واساتذتهم كانوا قد استعدوا للمسيرة « الكرنفالية » التي يسيرون بها داخل الجامعة يغيرون فيها أزياءهم وملابسهم وينطلقون مشاة أو على العربات يغنون ويهزجون ويطلقون صفاراتهم وزماميرهم . .

غابة من الشماسي كانت تملأ الساحات والطرق ، وشعلة الاحتفال تم اضرام حطبها ، بالرغم من هطول المطر بشكل كثيف . كنا داخل قاعة اجتماعات مركز التضامن مع الشعوب نتناقش حول القضايا التي تهم الشعوب المناضلة في العالم الثالث ، مجموعة من الطلاب والطالبات من مختلف الفروع . . يشع الحماس في عيونهم ، والاهتمام لمعرفة ادق التفصيلات تشي به ملامحهم .

كانوا من مختلف جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، حماسهم للعدل والحريات وأمانيهم لتحرر الشعوب ذكرني بموجة المد القومي في وطننا العربي في الستينيات ، المناقشات والمتابعات السياسية والنضالية كانت حيزا حيا من ثقافة طلبة الثانويات والجامعات .

وها أنا أرى نفس شعلة الحماس ، والتوق لأداء الخدمات العامة ومساعدة الناس والشعوب المغلوبة على أمرها .

وفلسطين تبقى حاضرة في قلب دائرة الاهتمام . آسيا صالحوفا الرئيسة الحالية للنادي (طالبة فيزياء) واندريه غويكو الرئيس السابق وغيرهما من الطلبة افاضا في الحديث عما بذلوه من نشاطات لنصرة الثورة الفلسطينية واقامتهم للنشاطات المؤيدة لها كمعارض الملصقات وعروض الافلام واقامة المحاضرات واستقبال المحاضرين من الفلسطينيين أو العرب الأخرين ، واقامة الامسيات الموسيقية وغيرها .

ومما قالاه : نحن نعرف أن (اسرائيل) هي قاعدة للامبريالية في المنطقة ولا حل الا بتوحيد العرب والسعي لاعادة حقوق الفلسطينين .

وتابع المحتفلون احتفالاتهم ، ثم التقوا في ساحة كبيرة وبدأوا بانتخاب مدير وعمداء للجامعة من بين الطلبة أنفسهم . . هكذا كان التقليد يقضي ، وتستمر سلطة المنتخبين من الطلبة لمدة ٦ ساعات فقط . . لكن المطر كان مستمرا في تدفقه ، الا أن دفء قلوب السيبيريين كان لا يستجيب لالحاح المطر أو لعصف الريح . . استمروا في انتخاباتهم وغنائهم واستمرت الشعلة متأججة . . وحديث اسيا صالحوفا مستمر يهمس في اذني عن الاحتفالات الاخرى التي يقيمونها للتضامن مع الشعوب المناضلة . . بينما كان ذهني يسافر الى وطن يمكن أن يصبح عظيما . . لو توحد . □

متى تصل رسائلنا الى الكون الخارجي؟

****

بقلم : الدكتور فخري اسماعيل الحسن

هل نحن ـ سكان هذه الارض ـ وحيدون في هذا الكون الواسع الرحب .. أم هناك مخلوقات في كواكب أخرى من هذا الكون ؟ سؤال يطرح نفسه باستمرار .. والمحاولات للوصول الى الحقيقة جادة .. ومتطورة .. فما هي تفاصيلها .. وما هي توقعات العلماء .. ؟

■ الارض هذا الكوكب الجميل الذي نعيش عليه ، رغم اتساعه وكبره الا انه جزء صغير في هذا الكون الواسع الرحب ، فالارض احد كواكب المجموعة الشمسية التسعة . ورغم ان الارض ليست أصغرها إلا أن بعض هذه الكواكب أضخم بكثير من الارض ، فالمشتري (Jupiter) مثلا فيه من المادة أكثر من ضعف المادة الموجودة في بقية الكواكب مجتمعة . وهنالك أيضا أكثر من ثلاثين قمرا مصاحباً لكواكب مجموعتنا الشمسية والتي هي بدورها ـ المجموعة الشمسية ـ جزء صغير جدا من مجرتنا العملاقة « طريق اللبانة »(Milky way) والتي يعتقد علماء الفلك انها تحتوي على أكثر من (٢٥٠) الف مليون نجم وعدد كبير من الكواكب . ان مجرتنا ذات اتساع كبير لدرجة ان الضوء بسرعته الكبيرة التي تساوي « ٣٠٠ » الف كيلو متر/ثانية (سرعة كبيرة لدرجة ان الضوء يدور حول الكرة الارضية سبع دورات في الثانية) يحتاج الى مائة الف سنة ليقطعها . ونقول بلغة علم الفلك ان اتساع مجرتنا يساوي مائة ألف سنة ضوئية .

وطريق اللبانة وأربع وعشرون مجرة أخرى قريبة منها ، ومثلها في الضخامة والاتساع تكوّن عنقودا من المجرات يسمى بالمجموعة المحلية . وهنالك عدد كبير جدا من المجرات تكوّن عناقيد منتشرة في الكون ، وعدد هذه المجرات قد يصل الى عشرة آلاف مليون مجرة . ومما يزيد الأمور تعقيدا أن احدى النظريات التي تبحث في أصل الكون وتطوره تقول إن الكون دائم الاتساع ، أي أن الكون يزداد اتساعا مع الزمن .

نستنتج مما تقدم أن الكون من الكبر والاتساع بحيث يصعب على العقل البشري بما أوتي من قدرة ان

معادلة « دراك »

بدأ اهتمام العلماء في البحث عن مخلوقات ذكية اخرى في الكون منذ أوائل الستينيات ، ففي عام ١٩٦١ اجتمعت مجموعة من علماء الفلك لدراسة ومناقشة هذا الموضوع ، ولقد قدم فرانك دراك (Drake) في هذا المؤتمر معادلة عرفت فيما بعد باسمه لحساب عدد الحضارات في مجرتنا . والمقصود بعدد الحضارات هنا هو عدد الكواكب التي تعيش عليها مخلوقات متقدمة وذات حضارة على اعتبار أن حضارتنا ـ أي حضارة الجنس البشري على الكرة



ـ صورة لجانب من القمر والارض .   أو الرؤية من بعد لامكانات الحياة .

يتصور مداه أو حدوده ان كان له حدود . وقد تتبادر للذهن مجموعة من الأسئلة : هل نحن سكان الكرة الأرضية وحيدون في هذا الكون الواسع الرحب أم ان هنالك مخلوقات اخرى في امكنة مختلفة في هذا الكون ؟ ماهو احتمال وجود مخلوقات اخرى في مجرتنا العملاقة وكيف نستطيع الاتصال بهم ان وجدوا ؟ قد تكون هذه الاسئلة من أكثر الأسئلة التي تتحدى العلم في الوقت الحاضر وسوف نحاول فيما يلي تقديم الاجابات التي يقترحها علماء الفلك لهذه الاسئلة .

الارضية ـ هي حضارة واحدة .

ان معادلة دراك تعطي عدد الحضارات كحاصل ضرب سبعة من العوامل المختلفة والتي معظمها فلكية ، وتكمن المشكلة الأساسية في هذه المعادلة في عدم القدرة على تحديد عواملها ـ على الأقل في الوقت الحاضر ـ بدقة معقولة . وعلى الرغم من ذلك فلقد اشتركت مجموعة من علماء الفلك في كل من أمريكا وروسيا عام ١٩٧١ في مناقشة موضوع الحياة في الكون . وبعد مجموعة من الفروض بسطو المعادلة

السابقة الى جملة تقول « ان عدد الحضارات في مجرتنا يساوي عُشرَ ١/. ١ معدل الحياة للحضارات » ولقد قدَّر هؤلاء العلماء معدل الحياة للحضارات بعشر ملايين من السنين وبالتالي وحسب الجملة نستنتج أن هنالك مليون حضارة في مجرتنا أي يعتقد هؤلاء العلماء أنه يوجد في مجرتنا مليون كوكب تعج بالحياة والحضارة مثل الأرض . وهنا قد يجد القارىء ويقول هذا الكلام سخيف ـ وقد يكون ـ لأنه لو وجدت كل هذه المخلوقات لتوقعنا زوارا من كوكب ما كل اسبوع او شهر او سنة او حتى عقد من الزمن ، ولكننا لم نسمع عن اي زوار من الفضاء الخارجي . ولن يجد علماء الفلك صعوبة في تبرير جفاء المخلوقات الاخرى وعدم زيارتها لنا اذ أن مجرتنا غاية في الضخامة والاتساع والمخلوقات ـ إن وجدت ـ فالأغلب أن تكون موزعة توزيعا شبه منتظم على المجرة وبالتالي فان أقرب حضارة الينا تكون على بعد بضع مئات من السنين الضوئية . ان هذا يعني أننا لانستطيع ـ وحتى لو عرفنا مكانهم ـ ان نرسل لهم مركبة فضاء تدعوهم لزيارتنا لأن هذه المركبة قد تحتاج الى ملايين السنين لكي تصل اليهم ، وحتى لو اردنا الاتصال بهم باكبر سرعة ممكنة اي سرعة الضوء وارسلنا لهم رسالة لاسلكية فاننا قد ننتظر مئات السنين قبل أن نسمع الرد .

(أين هم إذن)

رغم أن « معادلة دراك » قد تكون صحيحة الا أن عدم معرفتنا الكافية بعوامل المعادلة تجعل من عملية الحساب نوعا من التخمين ليس الا ، ولقد اتضح هذا في المؤتمر العام للاتحاد العالمي للفلك الذي ناقش موضوع الحياة في الكون قبل سنوات ، وكان الاختلاف كبيرا في المؤتمر اذ قدر البعض أن عدد الحضارات في مجرتنا كبير جدا وقد يصل الى الف مليون حضارة مما جعل البعض يعترض ويسأل : ولكن أين هم اذا كانوا بهذه الكثرة ؟ ولماذا لم نسمع منهم ؟ (وعلى اعتبار وجود الف مليون حضارة فان أقرب حضارة الينا تكون على بعد أقل من ثلاثين سنة ضوئية) وعلى النقيض من ذلك قال آخرون اننا الوحيدون في هذا الكون ولا وجود لأي حضارات أخرى . وكان رأي الأغلبية يقول أن عدد الحضارات لايمكن أن يكون كبيرا جدا (ألف مليون حضارة) ولكن الأغلب ان هنالك مخلوقات أخرى في أمكنة مختلفة من هذا الكون الواسع ، وكان دراك صاحب المعادلة المشهورة من مؤيدي هذا الرأي الاخير والنتيجة التي خرج بها المؤتمر أن الحقائق التي نعرفها الآن كافية لحساب عدد الحضارات بطريقة نظرية والافضل أن نبحث عن المخلوقات الاخرى بصورة عملية .

بدأ العلماء البحث عن الحياة في الكون منذ فترة ليست بالقصيرة . ولقد استخدموا طريقتين في بحثهم : الطريقة الأولى بارسال المركبات الفضائية الى الكواكب القريبة أي كواكب مجموعتنا الشمسية إما لاجراء التجارب العلمية على تربة هذه الكواكب أو لتصويرها عن قرب وارسال الصور الى المحطات الأرضية من أجل دراستها ، واستخدم العلماء الأمواج اللاسلكية (امواج الراديو) في الطريقة الثانية لدراسة النجوم البعيدة .

ان الطريقة الاولى غير عملية في دراسة النجوم وذلك لبعدها الشاسع فمثلا من أقرب النجوم الينا نجم يدعى برنارد ويبعد عنا حوالي ست سنوات ضوئية . واذا ما ارسلت اليه مركبة فضاء كتلك التي ارسلت الى المريخ فانها تحتاج الى أكثر من (٣٠) الف سنة لكي تصل اليه ، وقد تتغير الصورة قليلا في المستقبل بايجاد نوع جديد من الوقود كالجسيمات المشحونة او الوقود النووي وهنالك فعلا تجارب على هذه الانواع من الوقود وحققت بعض النجاح ولكن تحتاج الابحاث الى وقت طويل قبل ان تستكمل وتوضع موضع التطبيق العملي . وسوف نستعرض الآن ما توصل اليه العلماء في البحث عن الحياة في الكون وسوف نبدأ بكواكب مجموعتنا الشمسية .

الحياة في كواكب مجموعتنا الشمسية

يسود كواكب المجموعة الشمسية ظروف مناخية مختلفة ففيها الحرارة اللافحة والكافية لصهر بعض المعادن وفيها الاعتدال وكذلك التجمد التام أيضا . عطارد (Mercury) مثلا أقرب الكواكب الى الشمس ، ولقد سبب هذا القرب صعوبة في دراسته



لحظة هبوط قمر صناعي ورائد في الفضاء، لاستكشاف كوكب آخر . كما تخيلها أحد الرسامين في محطة اتصالات أرضية

من الارض ، اذ ارسلت في عام ١٩٧٤ مركبة الفضاء الامريكية مارنير ١٠ (Mariner10) الى عطارد حيث ارسلت آلاف الصور لسطحه والتقط بعضها من مسافة قريبة نسبيا (٣٠٠ كم) ، لقد بينت هذه الصور أن فوهات البراكين تكثر على سطح عطارد ، أما عن درجة الحرارة على سطح هذا الكوكب فهي عالية جدا لقربه من الشمس وقد تصل الى ٥٠٠ درجة مئوية وبالتالي لا أمل بوجود أي حياة على سطح هذا الكوكب .

الزهرة (Venus) ثاني الكواكب قربا من الشمس وأكثر كواكب المجموعة الشمسية لمعانا في السماء ، كان الاعتقاد السائد قديما أن الزهرة توأم للارض وذلك لتماثل الحجم والكتلة ووجود غلاف جوي لكل منهما . ولكن اتضح ان الزهرة تشبه الجحيم اكثر مما تشبه الارض .

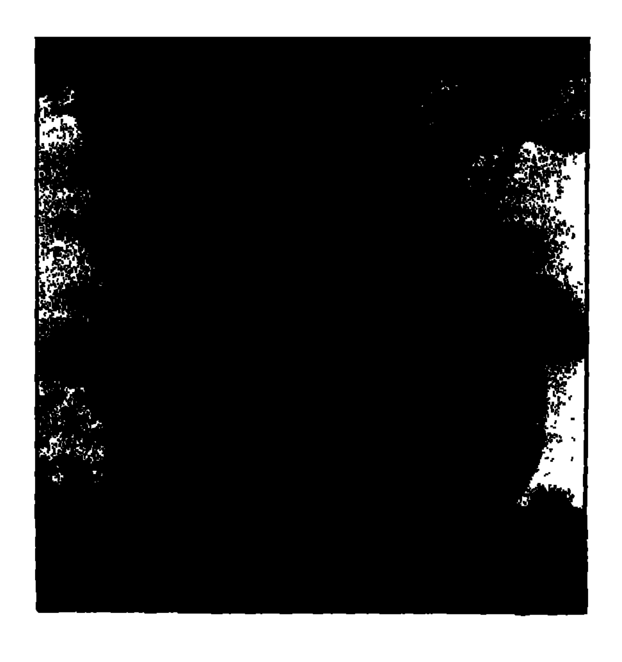
أرسلت الى الزهرة مجموعة كبيرة من مركبات الفضاء الامريكية والروسية استطاع قليل منها الهبوط على السطح ليعمل فترة بسيطة قبل ان يتحطم نتيجة للضغط المرتفع ودرجة الحرارة العالية ، فالضغط على سطح الزهرة أكثر بتسعين مرة من الضغط على الارض (٩٠ ضغط جوي) ودرجة الحرارة قد تصل الى ٤٧٥ درجة مئوية ليلا ونهارا ، تكثر الجبال ذات الصخور الحادة على سطح الزهرة ونتيجة للحرارة الشديدة فلا وجود للماء وبالتالي لا وجود للحياة أيضا (تأتي الارض بعد الزهرة ثم المريخ (Mars) وهو كوكب ذو حجم صغير ويساوي نصف حجم الارض تقريبا ، ويعتقد العلماء ان ظروفه مناسبة للحياة اكثر من اي كوكب آخر (باستثناء الارض طبعا) . اهتم العلماء بالمريخ منذ فترة طويلة وأرسلت اليه ١٢ مركبة فضاء امريكية وروسية كان آخرها واهمها مركبتي الفضاء الامريكيتين فايكنج ١، ٢ (Viking 1,2) حيث هبطتا على سطحه عام ١٩٧٦ ولقد جهزت المركبتان بمعامل لاجراء تجارب كيميائية وحيوية على تربة المريخ

وكذلك بكاميرات تلفزيونية لنقل نتائج التجارب مباشرة الى المحطة الارضية . والجدير بالذكر أن بعض العلماء كان يتوقع أن يرى أثر الحياة قبل اجراء التجارب وذلك من خلال كاميرات التلفزيون . ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ دون الدخول في التفاصيل العلمية للتجارب التي وصل عددها الى ٢٦ تجربة فان هذه التجارب لم تستطع إثبات او نفي وجود الحياة على سطح المريخ أي ان العلماء عادوا بعد كل الجهد والمال (حوالي بليون دولار) الى نقطة البداية ، ويعتقد العلماء أن موضوع الحياة على سطح المريخ لن يحسم الا اذا أرسلت مركبة فضاء لاحضار عينة من تربته لدراستها على الأرض .

تأتي بعد المريخ مجموعة الكواكب ذات الحجم الضخم والكثافة الصغيرة ، المشتري اول هذه الكواكب وهو اضخم كواكب المجموعة الشمسية ويتكون غالبا من غازات (هيدروجين وهيليوم) ، ارسلت الولايات المتحدة الأمريكية مركبتي الفضاء فواياجير ١و٢ وكذلك مركبتي الفضاء بايونير ١٠و١١ (Pioneer 10,11) الى المشتري وزحل لتصويرهما عن قرب ثم مواصلة الرحلة الى عمق الكون ، لقد ارسلت هذه المركبات صورا كثيرة للمشتري اما عن موضوع الحياة عليه فان احتمال وجودها ليس كبيرا بسبب برودته الشديدة . وعلى العموم فان معلوماتنا سوف تزداد في منتصف هذا العقد عندما تخترق جوه مركبة فضاء امريكية مزودة بمعامل للكشف عن المركبات العضوية .

زحل (Saturn) هو الكوكب التالي وهو اجمل كواكب المجموعة الشمسية بحلقاته ، وكذلك اقلها كثافة (كثافته اقل من كثافة الماء) وهو مثل المشتري يتكون من غازات . لقد ارسلت مركبات الفضاء الأمريكية سابقة الذكر صورا لهذا الكوكب ورغم ذلك فان معلوماتنا ما تزال قليلة عنه ، الا انه يمكن القول ان احتمال وجود حياة عليه قليلة جدا .

بعد زحل تأتي الكواكب اورانوس (Uranus) ونبتون (Neptune) وبلوتو على الترتيب . ورغم ان معلوماتنا عن هذه الكواكب متواضعة الا اننا نعرف ان ظروفها غير مناسبة للحياة ، بسبب البرودة الشديدة ، ولقد نشرت مجموعة من العلماء من جامعة



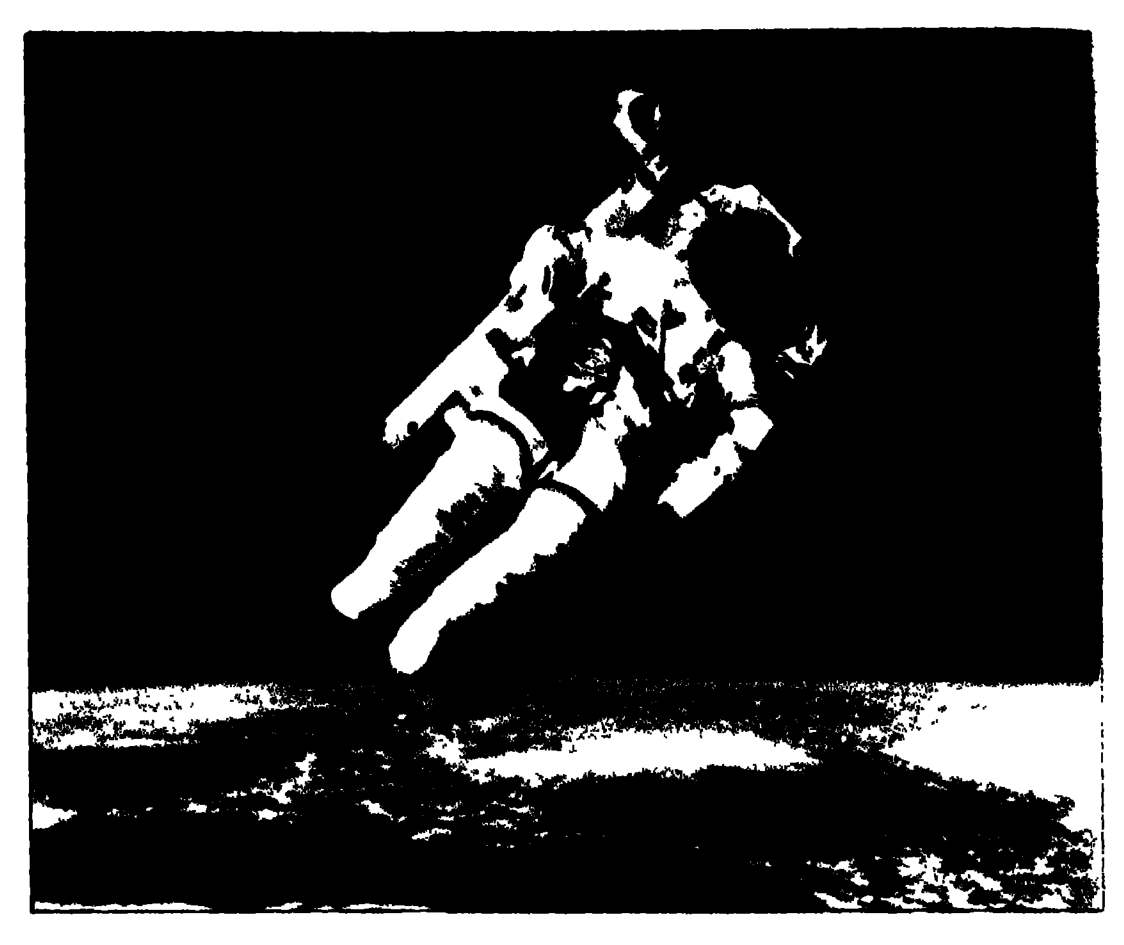
ـ محطة التقاط ورادار . . تتكلف الملايين وتتلقى رسائل الاقمار الصناعية ورصد حركة الكون المحيط بنا



ـ ليست لوحة سيريالية ، انها واحدة من صور الارض كما التقطها قمر صناعي .

بوسطن تقريرا عن احتمال وجود الحياة على اورانوس ونبتون وبيّن التقرير ان احتمالها معدوم . سوف ترسل مركبة فضاء امريكية الى اورانوس في منتصف هذا العقد . اما بلوتو فهو اصغر كواكب المجموعة الشمسية وأبعدها عن الشمس ولا امل بوجود أي حياة عليه .

نستنتج مما تقدم ان امكانية وجود حياة في مجموعتنا الشمسية غير معدومة ، ولكنها ليست كبيرة أيضا ، وحتى لو وجدت الحياة في مجموعتنا الشمسية ـ واكبر احتمال وجودها على المريخ ـ فان هذه الحياة سوف تكون في ابسط صورها لذلك اذا اردنا البحث عن



ـ لايقتصر جهد الانسان على اطلاق الأقمار الصناعية أو رصدها فقط ، فقد خاض المحاولة بنفسه ضمن واحد من أعظم انجازات الانسان فى القرن العشرين .

مخلوقات متطورة وذات حضارة كحضارتنا أو اكثر تقدما فعلينا البحث خارج مجموعتنا الشمسية .

البحث عن الحياة

خارج المجموعة الشمسية

بدأ العلماء في البحث عن مخلوقات متحضرة خارج مجموعتنا الشمسية منذ اكثر من عشرين سنة،وذلك بمحاولة استقبال والتقاط اشارات لاسلكية من عمق الكون . ان عملية الاستقبال هذه ليست سهلة ، بل يعترضها كثير من التعقيدات التقنية ، اذ لا ندري اي الترددات سوف تستخدم المخلوقات الاخرى ـ ان وجدت ـ ولا نعرف كذلك في اي اتجاه نبحث ، لأن الكون واسع جدا ولابد ان يكون هوائي جهاز الاستقبال (التلسكوب اللاسلكي) موجها نحو الكوكب الذي تنطلق منه الاشارات . لأن مثل هذه المشاكل تقلل من احتمال الاتصال .

ورغم ذلك فقد وضع العلماء بعض الفروض التي تسهل عملية البحث ، فهم يبحثون في اتجاه النجوم التي تشبه الشمس من حيث الحجم والحرارة ، ويستخدمون الترددات المعروفة من بعض الغازات المنتشرة في الكون (هيدروجين) على اعتبار ان هذه الترددات لا بد وان تكون معروفة لدى أي مخلوقات متحضرة في الكون .

كان « دراك » اول من حاول استقبال رسائل من خارج مجموعتنا الشمسية ، فلقد امضى عام ١٩٦٠ اكثر من ٢٠٠ ساعة محاولا التقاط أي اشارة من اقرب

نجمين الى مجموعتنا الشمسية ولكن دون فائدة . كان كل ما التقطه عبارة عن ضوضاء ، اكمل فيرشور محاولات دراك بالاستماع الى عشرة نجوم آخرى دون اي نتيجة . قام زيجرمان وبالمار بأكبر مجهود في هذا المجال خلال الفترة ما بين ٧٢ ـ ٧٤ اذ استمعا الى ٦٥٩ نجما مماثلا للشمس وعلى بعد يتراوح بين ٦و٧٦ سنة ضوئية من شمسنا ، لقد استمعا الى كل نجم ٧ مرات ولمدة ٤ دقائق في كل مرة،ورغم انهما التقطا بعض الاشارات غير المفهومة الا انها لا يمكن ان تكون صادرة عن مخلوقات متحضرة وذلك لعدم انتظامها .

هذه فقط بعض المحاولات وهنالك محاولات أخرى كثيرة ولكن النتيجة دائما واحدة . لا رسائل من الكون . ورغم سلبية التجارب التي اجريت خلال العقدين الماضيين الا ان مشاريع الأبحاث القادمة ذات تكاليف باهظة وذلك لاستخدام الأجهزة بالغة التعقيد والحساسية ، ففي الاتحاد السوفيتي ، هنالك برنامج لبناء عشر محطات ضخمة لمسح الفضاء الخارجي باستمرار مع احتمال بناء محطتي استقبال في الفضاء الخارجي ، وكذلك الحال في الولايات المتحدة هنالك مشاريع كثيرة ولكن أهمها مشاريع وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) والتي تتضمن انشاء محطة استقبال إما على سطح القمر أو في الفضاء الخارجي .

رسائلنا الى المخلوقات الأخرى

في الثاني من آذار عام ١٩٧٢ انطلقت مركبة الفضاء الأمريكية بايونير ١٠ (Pioneer 10) من فلوريدا نحو المشتري لتصويره عن قرب ومن ثم مواصلة الرحلة نحو الكواكب والنجوم البعيدة.ولقد غادرت هذه المركبة مجموعتنا الشمسية في حزيران من العام الماضي بسرعة تساوي تقريبا ١٩كم / ثانية (حوالي ٧٥ الف كم / ساعة)، وفي حالة تعرض هذه المركبة لأي مخلوقات متحضرة في الكون ، فقد ثبت بداخلها لوح منقوش عليه معلومات عن حضارتنا ولقد حوى اللوح صورة لرجل وامرأة ، وكذلك رسما لمجموعتنا الشمسية ، واشارة الى ان المركبة انطلقت من الأرض ، وحوى اللوح ايضا معلومات علمية يعتقد العلماء ان اي مخلوقات ذكية في الكون لا بد وان تعرفها ويمكن من خلالها تعيين مكان مجموعتنا الشمسية في مجرتنا وكذلك زمن انطلاق المركبة ، والطريف في الأمر ان الرجل رفع احدى يديه رمز التحية والصداقة للمخلوقات الاخرى . ويعلق البعض ان هذه الاشارة قد لا يكون لها نفس المعنى في جميع الكون ، بل على العكس من ذلك فقد يكون لها معنى مغاير مما قد يجعلنا نندم على هذه التحية . . . !!

وفي نيسان عام ١٩٧٣ انطلقت بايونير ١١ في رحلة مشابهة لرحلة بايونير ١٠ وعليها نسخة من اللوح السابق .

اما الرسالة الثانية فقد كانت ذات طبيعة مختلفة عن الرسالة الأولى اذا ارسلت في ١٦ نوفمبر ١٩٧٤ رسالة لاسلكية بواسطة التلسكوب الاسلكي في بورتوريكو (Purto — Rico) وهو اكبر تلسكوب لاسلكي من نوعه في العالم ـ نحو ٣٠٠ الف نجم تكون عنقودا من النجوم يسمى (M13) ويبعد عن مجرتنا الشمسية ٢٤ الف سنة ضوئية ، والرسالة عبارة عن نبضات الكترونية (Pulses) مدتها ثلاث دقائق اذا ما جمعت بطريقة صحيحة تعطي معلومات وافرة عن حضارتنا البشرية . وقد يتساءل البعض هل تستطيع المخلوقات الكونية ان تجمع هذه الرسالة بالطريقة التي يريدها علماء الارض ؟ يجيب العلماء الذين ارسلوا الرسالة بالايجاب ولكن ذلك قد يكون موضوع نقاش ، وعلى العموم فلا احد يتوقع ردا على هذه الرسالة نتيجة لبعد مجموعة النجوم (M13) الشاسع عن مجموعتنا الشمسية .

ارسلت الرسالة الثالثة الى الكون الخارجي على متن مركبة الفضاء الأمريكية فوياجير « ١ » (Voyager1) والتي انطلقت في آب عام ١٩٧٧ نحو المشتري وزحل ومن ثم لتواصل الرحلة نحو عمق الكون . لقد كانت الرسالة هذه المرة صوتية اذ وضع داخل المركبة اسطوانة مسجل عليها بخمس وخمسين لغة مختلفة ولمدة ساعتين ، لقد حوت الرسالة بالاضافة الى المعلومات الوافية عن حضارتنا تحية الى المخلوقات الكونية الأخرى من الجنس البشري وكذلك رسالة من كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت ، ويتوقع العلماء ان تترك



ـ واحـدة من محـاولات الانسـان المستمـرة لاكتشاف الكون الخارجي ، قمر صناعي في طريقه نحو مداره لبث الصور الى أهل الارض .

هذه المركبة مجموعتنا الشمسية عام ١٩٩٠ويأملون بأن يبقوا على اتصال بها حتى عام ٢٠٠٧ وعندها سوف يكون بعدها عن الأرض ١٥ الف مليون كيلومتر . وبعد شهر من انطلاق هذه المركبة انطلقت مركبة مشابهة (فواياجير ٢) وعليها نسخة من الاسطوانة السابقة وسوف تسلك نفس مسار المركبة « فواياجير ١ » .

والجدير بالذكر ان محاولة الاتصال بالمخلوقات الكونية من خلال مركبات الفضاء هي عملية غير جادة ، وذلك لأنها تحتاج الى فترة زمنية طويلة جدا ـ بسبب المسافة الشاسعة بين النجوم ـ فمثلا تحتاج بايونير ١٠ لفترة زمنية مقدارها ٨٠ الف سنة حتى تصل الى اقرب نجم من شمسنا . لذلك يفضل العلماء الرسائل اللاسلكية حيث تساوي سرعتها سرعة الضوء وهي الحد الاعلى للسرعات . ان رسالة بورتوريكو اللاسلكية ورغم انها انطلقت بعد مركبة بايونير ١٠ بحوالي ثلاث سنوات الا انها سبقت المركبة في طريقها نحو الكواكب والنجوم البعيدة بعد ارسالها بساعة واحدة فقط وذلك لسرعتها الكبيرة .

وأخيرا لابد من الاشارة الى ان بعض علماء الفلك قد عارض فكرة ارسال تلك الرسائل الى الكون الخارجي وحجتهم في ذلك انه قد تكون هنالك فعلا مخلوقات اكثر منا تقدما وجبروتا ، وسوف تكشف تلك الرسائل امرنا على هذا الكوكب الجميل وتأتي تلك المخلوقات للسيطرة علينا ، ويرد العلماء المؤيدون لفكرة الرسائل بأننا لا نستطيع المحافظة على سرية وجودنا هنا ، وذلك لأننا ومنذ اكثر من أربعين سنة ونحن نرسل أمواجا متناهية القصر (Micro-wave) من خلال محطات الارسال المختلفة (رادار ، تلفزيون وغير ذلك) وتتسرب تلك الأمواج نحو الكواكب والنجوم البعيدة وتكشف امرنا لأي مخلوقات قد توجد هناك .

يمكن القول في النهاية انه لا يوجد أي دليل علمي على ان الحياة سواء بصورتها البسيطة او المتقدمة والمتطورة موجودة في اي مكان آخر من الكون ، ورغم ذلك فانه من الخطأ القول باننا وحيدون وذلك لأننا في مرحلة من العلم والتطور لا تمكننا من تأكيد أو نفي وجود الحياة في أماكن كثيرة من الكون . □

● في الحقيقة فان بايونير لم توجه نحو أقرب نجم الى مجموعتنا الشمسية وبالتالي فسوف تحتاج الى فترة زمنية اكبر من ذلك .

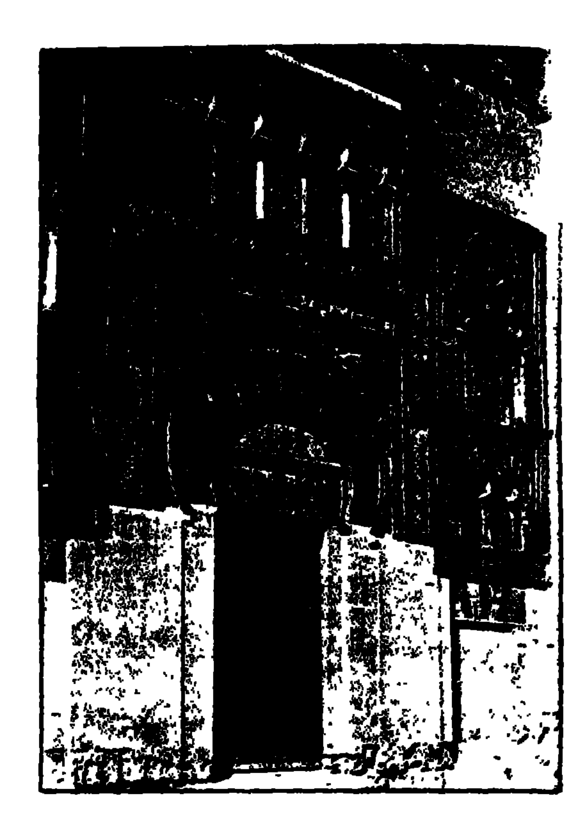


داخل مسجد قرطبة
« تلك أثارنا تدل علينا . . . فانظروا بعدنا الى الآثار »

طليطلة
مدينة الثقافة والترجمة

بقلم : الدكتور سيمون الحايك

عندما سقطت طليطلة قال البعض ان سقوطها كارثة لا تحتمل ، وأن الأجدر بالعرب توديع الأندلس والهجرة الى أفريقيا . لكن المدينة مالبثت أن تحولت الى دار للعلم ، ومنارا للحضارة . . ومنها انتقلت ثقافة العرب وجهودهم فى العلم وفى الحضارة الى أوروبا . . . . . فكيف كان ذلك ؟



أحد أبواب مسجد قرطبة

المحراب في مسجد قرطبة

... وكان لا بد من فتح الأندلس .

وتردد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك في السماح لموسى بن نصير بعبور ذلك البحر الكثير الأهوال على حد قوله . وأخيرا وافق على شرط أن تكون القوات العابرة من البربر ، ودخل طارق ابن زياد الأندلس وتم الفتح على يده . وسارع اليه موسى بن نصير والى أفريقية ليساعده في انجاز المهمة .

وواصلا تقدمهما حتى بلغا جبال « البرتات » (بيرني) واستعدا لدخول فرنسا وبلغهما أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك يدعوهما الى دمشق لتأدية الحساب .

وذهبا الى دمشق ، وكان ماكان من أمرهما .

وتثبتت أقدام العرب في شبه الجزيرة الايبرية ، ولا سيما بعد قدوم عبد الرحمن الداخل اليها . وأقبل اليها المعمرون من جميع الاقطار العربية ، واستوطنوها .

نزل جند دمشق في منطقة غرناطة ، وجند حمص في اشبيلية ، وجند قنسرين في جيان ، وجند مصر في تدمير ، وجند فلسطين في مالقة ، وجند الاردن في شذونة ورية ، وشرع الأندلس يزدهر .

بدايات النهضة

وصل اليه الطبيب الحراني على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط ، كما وصل زرياب المغني من بغداد . وعاش في ذلك العهد ـ أي أوائل القرن التاسع الميلادي ـ عباس بن فرناس أول من حاول الطيران . .

وعاش أيضا يحيى الغزال الشاعر وسفير الامير عبد الرحمن الاوسط الى بلاد البيزنطيين والاردمانيين في بلاد الدغمرك . .

وشرع أهل الاندلس يقلدون أهل المشرق العربي على الاقل في أوائل الفتح ، وبات شعراء الاندلس يتشبهون بنظرائهم مع شعراء المشارقة .

وجاء عبد الرحمن الناصر ، وكان أول خليفة في الاندلس بعد تضعضع الخلافة في بغداد . وتسلم من امبراطور القسطنطينية كتاب « الحشائش » لديوسقوردس وصححت ترجمته في الاندلس . وعاش في عصر هذا الخليفة أبو القاسم الزهراوى أشهر جراح في القرون الوسطى كما كتب ابن عبد ربه « العقد الفريد » . وفي عهد الناصر بنيت مدينة الزهراء القريبة من قرطبة ، وعلى عهد عبد الرحمن الناصر قصد الاندلس واستقر فيه أبو علي القالي ، صاحب كتاب الامالي . وحين توفي « الناصر لدين الله » عام ٩٦١ م وخلفه ابنه الحكم المستنصر ، استمر الازدهار العلمي والاقتصادي في الاندلس .

جمع الخليفة المستنصر مكتبة تعتبر من أضخم المكتبات في ذلك العهد ، اذ وصل فيها عدد المجلدات الى ما يزيد على ستمائة ألف مجلد حسب قول البعض ، وأربعمائة ألف حسب قول البعض الآخر ، في حين أن أعظم مكتبة في العالم المسيحي في ذلك العهد وما بعده لم يتجاوز عدد المجلدات فيها مائة وخمسين مجلدا .

وكانت أول نسخة من كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني من نصيب الحكم الثاني المستنصر ، ونال مكافأة ألف دينار . والى هذا العهد يرجع الطبيب المعروف « عريب بن سعيد الكاتب » وله كتاب معروف عنوانه : « خلق الجنين وتدبير الحبالى » ومن هذا العهد أيضا ربيع بن زيد الاسقف واضع كتاب الانواء ، وجابر بن افلح الذي أصلح كتاب « المجسطي » ، والقاضي المعروف « المنذر بن سعيد البلوطي » ، ومسلمة المجريطي مصلح جداول الخوارزمي ، وابن وافد الصيدلي المعروف صاحب « كتاب الوساد » والغافقي الاختصاصي بالعيون ، والعشاب الشهير ابن البيطار الاندلسي المالقي ، والزرقالي صاحب الجداول الطليطلية المشهورة ، والشاعر الكبير الدراج القسطلي الذي لقب بمتنبي الغرب ، وأخيرا ابن حزم الذي يعتبر موسوعة عصره ، صاحب كتاب « طوق الحمامة » .

لقد وصل من الشرق كل التراث اليوناني والفارسي والهندي مترجما ، ووصلت أيضا مؤلفات الفارابي والكندي وابن سينا واخوان الصفا والغزالي والرازي والبتاني وابن الهيثم والخوارزمي وابن ماسويه وابي معشر وقسطا بن لوقا وحنين بن اسحق وابن المقفع وغيرهم ، واستفاد منها علماء الاندلس وانتقدوها وأضافوا اليها معلومات جديدة وشرحوها وعلقوا عليها . .

نهاية الخلافة وسقوط طليطلة

وسقطت الخلافة الأموية بالاندلس في الثلث الاول من القرن الحادي عشر (١٠٣٠) م وأعقبها ظهور ملوك الطوائف ، حتى عام ١٠٨٥ لما سقطت طليطلة بيد الاسبان .

واعتبر العرب سقوط هذه المدينة كارثة لا تعوض ، والأجدر بهم توديع الاندلس والهجرة الى أفريقية ، كما قال شاعرهم :

« يا أهل أندلس شدوا مطيتكم
فما البقاء بها الا من الغلط
العقد يفرط من أطرافه وأرى
عقد الجزيرة مفروطا من الوسط
من جاور الشر لا يأمن بوائقه
كيف الحياة مع الحياة في السفط »

ولا بأس في ايراد بعض الأبيات من قصيدة قيلت عند سقوط طليطلة ولا يعرف قائلها :

« لثكلك كيف تبتسم الثغور
سرورا بعدما بئست ثغور
طليطلة أباح الكفر منها
حماها ان ذا نبأ كبير
فليس مثالها ايوان كسرى
ولا منها الخورنق والسدير
وكانت دار ايمان وعلم
معالمها التي طمست تنير

وهي قصيدة طويلة تقع في ٧٢ بيتا من الشعر يمكن مراجعتها في « نفح الطيب » للمقري .

وكان سقوط هذه المدينة وتكالب الادفونش (الفونسو السادس ملك قشتاله) السبب الرئيسي في طلب نجدة المرابطين ، لما قال المعتمد بن عباد ملك اشبيلية آنذاك كلمته الشهيرة : (رعي النوق في



PETRI NONII
SALACIENSIS, DE CREPVSCVLIS
LIBER VNVS

SECVNDA EDITIONE



كتاب (أسباب الغسق) لابن الهيثم ، ترجمة جيراردة الكريموني طبع سنة ١٥٧٣ .

أفريقية ولا رعي الخنازير في قشتاله » فجاء يوسف ابن تاشفين الى الاندلس وخاض معركة الزلاقة الشهيرة عام ١٠٨٦ م وأبيد فيها جيش الادفونش عن بكرة أبيه ، وأخرت بقاء العرب في الاندلس أربعة قرون أخرى ، واسترد العرب بعض ما فقدوه من المدن والمعاقل وكفوا عن دفع الجزية للادفونش . ولحسن حظ العرب والثقافة والحضارة العربيتين استولى النصارى على مدينة طليطلة . فكما كان من الضروري على العرب فتح الاندلس ومد جسر بينهم وبين الغرب ، كان من الضروري أيضا أن تسقط مدينة طليطلة في يد الادفونش وفي التاريخ الذي سقطت فيه أي عام ١٠٨٥ ، ولو تأخرت خمسين سنة عن السقوط لما أتيح للعرب أن يؤدوا دورهم الثقافي والحضاري في العالم الغربي ، ولو تأخر استرداد مدينة طليطلة خمسين سنة لما استفاد الغرب شيئا من الثقافة العربية واليونانية ، بل كان الغربيون لجأوا الى ترجمة الثقافة اليونانية من مصدرها اليوناني ، ولكان أرسطو وافلاطون وابقراط واقليدس وجالينوس وغيرهم كثيرون من أقطاب الفكر اليوناني قد وصلوا الى الغرب مباشرة دون المرور باللغة العربية ، لأنه من المعروف أن الثقافة اليونانية وصلت الى الغرب عن طريق العرب ، أي أن العرب كانوا قد نقلوا الحضارة اليونانية الى العربية ، ثم جاء الغربيون ونقلوا هذه الحضارة من العربية الى اللاتينية في مدينة طليطلة أما في خارج طليطلة فلم يترجم من العربية الى اللاتينية سوى جزء يسير جدا من الثقافة اليونانية والعربية في صقلية وفي « سلرنة » بجنوبي ايطالية ، حيث ازدهر الطب على عهد قسطنطين الافريقي في القرن الحادي عشر .

أهمية طليطلة

ولماذا مدينة طليطلة دون سواها من المدن الاسبانية أو الاوروبية ؟

لم يتخذ العرب طليطلة عاصمة لملكهم لأنهم وان كانوا وجدوها متوسطة في بلاد الاندلس ، فلم يجدوها متوسطة بالنسبة الى القوة العربية ، لأنهم لا يقدرون أن يبعدوا كثيرا عن أفريقية . وقد غلبت العروبة على نصارى طليطلة ، ولبثوا نصارى ولكن اتخذوا اللغة العربية والثقافة العربية لأنفسهم . وكانوا يقيمون صلواتهم وطقوسهم الكنسية باللغتين العربية واللاتينية ، وأطلق على هذا الطقس الكنسي اسم « الطقس المستعرب » ومن الغريب أنه بعد سقوط طليطلة بيد الاسبان كما رأينا ، ظل سكانها متمسكين بعروبتهم ولبث أخذهم وعطاؤ هم وبيعهم وشراؤ هم وجميع صكوك معاملاتهم باللغة العربية حتى أواخر القرن السادس عشر ، رغم أنهم طوال وجودهم تحت الحكم العربي كانوا كثيري العصيان والتمرد والثورات على حكام قرطبة من عبد الرحمن الاول الى عبد الرحمن الاوسط الى عبد الرحمن الناصر أي طوال ثلاثمائة سنة تقريبا .

عاشت في طليطلة الديانات الثلاث : اليهودية والنصرانية والاسلامية كما نقلت الى هذه المدينة مخطوطات كثيرة من مكتبة المستنصر . (٩٦١ - ٩٧٦) التي تبعثرت ولم يصل الينا منها سوى مخطوط واحد وضع عليه الحكم الثاني ملاحظات بخط يده ،

اذ أن هذا الخليفة الأُموي اعتنى عناية كبرى بمكتبته ، فكان يقضي فيها الساعات الطوال يطالع المخطوطات التي ترده من كافة أنحاء الوطن العربي ، ويعلق عليها ويضع الحواشي .

ولما ثبت النصارى أقدامهم في هذه المدينة بعد استرجاعها من المسلمين ، جاءت رهبانية « كلوني » الفرنسية الى اسبانية النصرانية لتدخل اليها الطقس الروماني الكنسي بدلا عن الطقس المستعرب .

من حملة الرهبان الذين قدموا الى اسبانية من هذه الرهبانية راهب اسمه « ريموندو » أصبح فيما بعد رئيس أساقفة المدينة ، وبالتالي رئيس أساقفة اسبانية لأن طليطلة كانت العاصمة الدينية لاسبانية النصرانية ، وحتى عهدنا هذا فان رئيس أساقفة طليطلة هو رئيس الكنيسة الاسبانية . فهذا الراهب الاسقف شغف بالثقافة العربية ، وخاصة الفلسفة منها فأحب الاطلاع عليها ، غير أن جهله باللغة العربية حال بينه وبين رغبته ، وأدرك مساعدوه هذه الرغبة عنده فعمدوا الى ترجمة الكتب العربية الى اللاتينية ، وهي اللغة السائدة في ذلك العصر في كافة أنحاء العالم المسيحي لأنها لغة الكنيسة الرومانية

طليطلة والترجمة

نشأ على هذا النحو ما سموه « مدرسة الترجمات في طليطلة » وقد شغلت هذه المدرسة حقبتين ، الحقبة الاولى امتدت من عام ١١٢٠ تقريبا حتى عام ١١٩٠ أي أنها شغلت القسم الأكبر من القرن الثاني عشر على عهد الاسقف « ريموندو » ، فقد رغب هذا بالاطلاع على الفلسفة العربية ، فلسفة الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي فكان له ما أراد .

والحقبة الثانية شغلت القسم الأكبر من القرن الثالث عشر على عهد الملك الفونسو العاشر الحكيم المتوفي عام ١٢٨٤ . تميزت الحقبة الاولى من هذه المدرسة بالترجمة من العربية الى اللاتينية ، وفي هذه الحقبة ترجم القرآن الكريم الى اللاتينية بأمر من رئيس جمعية « كلوني » الاباتي « بطرس » المحترم ، فقد جاء هذا الراهب من فرنسا الى اسبانية لتفقد الأديرة التابعة لرهبانيته في الأراضي الاسبانية المسيحية ، فرأى أن يعمل على ترجمة القرآن الكريم للتعرف عليه ، وبالتالي لكي يفضحه ، فقد شاء محاربة الاسلام على هذا النحو لأن طريق القوة لم يأت بالثمار المرجوة . كان يريد اقناع المسلمين باعتناق الديانة المسيحية ، فأوكل ترجمة القرآن الى « هرمان الدلماتي » Herman el Dalmata و « روبرت أوف تشستير Robert of chester وترجماه .

وهذه أسماء بعض المترجمين الذين قدموا الى طليطلة لترجمة العلوم العربية الى اللاتينية . جيرارده الكريموني : من مدينة « كريمونة » الايطالية رغب هذا المترجم الكبير في الاطلاع على كتاب « المجسطي » لبطليموس فقيل له أنه موجود في طليطلة فقصدها فوجد فيها بحرا زاخرا من العلوم لا وجود له في العالم اللاتيني ، فقرر البقاء في المدينة دائما على ترجمة الكتب العربية الى اللاتينية ، فتعلم هذه اللغة وشرع في الترجمة بمساعدة بعض العرب ثم ما لبث أن صار يترجم وحده بدون مساعد فوصلت ترجماته الى ٨٧ كتابا بموجب اللائحة التي وضعها جورج سارتون وهذه بعض ترجماته :

كتاب المجسطي ترجمة في طليطلة عام ١١٧٥ وكتاب الانالوطيقا الثانية لأرسطو نقلا عن ترجمة متى ابن يونس

وكتاب سمسطيوس لارسطو .

وكتاب مقالة في القياس ، شرح الفارابي .

وكتاب في السماع الطبيعي ـ في السماء والعالم ـ في الكون والفساد ـ في الآثار العلوية وهذا الاخير من ترجمة يحيى بن البطريق عن اليونانية .

ومن ابقراط ترجم « علائم الموت » ومن جالينوس : « كتاب الترياق » وترجم أيضا كتاب الخير المحض المنسوب الى ارسطو ، كما ترجم أيضا عدة شروح لأرسطو وضعها اسكندر الافروديسي ، ونقلها عن اللغة اليونانية أبو عثمان سعيد الدمشقي (٩٠٨ ـ ٩٣٢) .

دومنجو غندسللبو : تعاون مع يوحنا الاشبيلي وتوفي عام ١١٨٧ وترجم كتاب « ينبوع الحياة » لابن غبرول ، وكتاب احصاء العلوم للفارابي وكتاب مقاصد الفلاسفة للغزالي ، وعيون المسائل للفارابي أيضا .

يوحنا الاشبيلي أو ابن داود : عمل في طليطلة من عـام ١١٣٥ الى ١١٥٣ تحت رعاية رئيس أساقفة المدينة « دون ريموندو » الذي أشرنا اليه سابقا ، وابن داود هذا هو أول من أطلع العالم الغربي على ابن سينا بترجمة جزئية لكتـاب « الشفاء » . وقـد تشارك ابن داود مع دومنجو غندسللبو وترجم الاثنان ما يقرب من خمسة عشر كتابا من العربية الى اللاتينية ، وأصبح يوحنا الاشبيلي أو ابن داود فيها بعـد رئيسا لأسـاقفة طليطلة .

رودولف البروجي : اشتغل أيضا بالترجمة في علم الفلك على عهد يوحنا الاسباني ، وعاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر . ترجم مؤلفات لمسلمة المجريطي في علم الفلك ، وأهدى الترجمة الى يوحنا الاشبيلي .

الحقبة الثانية للترجمة

ثم جاءت الحقبة الثانية للترجمات في طليـطلة ، على عهد الملك الفونسو العاشر الحكيم ، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر . وفي هذه المرة نقلت الكتب من العـربية الى الـرومنسيـة أي الاسبـانيـة الناشئة . أهتم هذا الملك العالم بعلم الفلك وعلم النجوم بنوع خاص . وترجمت في بـلاطه بـطليطلة « ليلة الاسـراء والمعراج » الى الـلاتينية والفـرنسيـة والرومانسية الاسبانية ومنها استقى دانتي المعلومـات المـدرجة في كتـاب الكوميـديـا الالهيـة عن الجحيم والنعيم . لا يمكن أن نثبت أن دانتي تأثر بمؤلفـات أخرى غير ليلة الاسراء والمعراج . ولا يمكن أن نثبت له أنه تأثر برسالة الغفران لأبي العلاء المعري لأن هذه الرسالـة لم تترجم الى الـلاتينية أو الى لغـة أوروبية أخرى . لم يتأثر دانتي بالفتوحات المكية لابن عربي من مرسية لأن هذه المؤلفات لم تترجم الى اللاتينية .

وفي هذه الحقبة ترجم أيضا كتاب « كليلة ودمنة » وترجم قسم من مؤلفات ابن رشد ، وكان المترجم ميخائيل سكوت .

تأثير هذه الترجمات : كان لهذه الترجمات التأثـير الحـاسم على الثقـافـة الأوروبيـة ، فهـذا « آرنست رينان » من منتصف القرن التاسع عشر يقول عن توما الاكويني : « انه ـ كفيلسـوف ـ مدين تقـريبا بكـل شيء لابن رشـد » . ويقول عن معلم توما الاكويني « البـرتوس الكبـير » . انه مـدين بكـل شيء لابن سينا . » وهذه الشهادة الصادرة عن رينان لا تعني انه يحابي العرب ، بل على العكس فانه في كتـابه « ابن رشد والرشدية » يقـول عن الفلسفة العـربية « انها الفلسفة اليونانية مكتوبة بأحرف عربية » .

لا مجال هنا لمناقشة هذا الرأي وابراز الابتكارات التي أضافتها الفلسفة العربية على الفلسفة اليونانية ، ولكن اذا كان رينان لم ينصف الفلسفة العربية فقد أنصف الترجمات من العربية الى اللاتينية .

وهكـذا فانـه كـان عـلى العـرب أن يعبـروا الى الانـدلس ويحملوا حضارتهم اليهـا لكي تنقل هـذه الحضارة الى أوروبا ، وكانت طليطلة أداة وصل بين هذه الثقافة والشعوب الاوروبيـة ، فقصد طليـطلة العديد منهم اذ أن المترجين باستثناء اثـنين منهم هما « غندسللبو » و « يوحنا الاسباني » كلهم أجانب نقلوا مـا ترجمـوه الى بلدانهم ، وتأثـر علماء العصـر بهـذه الترجمات بحيث أن الذين نبغوا في القرون الوسطى كان نبوغهم بتأثير من الثقافة العربية : « البـرتوس ماغنوس ، توما الاكويني ، يوحنا الصليبي ، دانتي ، روجـير بيكون » وغيـرهم وكلهم تأثـروا بـالثقـافـة العربية .

اذن لولا الاندلس لكانت الفتوحات العربية الاخرى أشبه بالفتوحات الكثيرة التي سبقتها والتي لحقتها ولم تترك أثرا لها . ولظلت الثقافة العربية محصورة ضمن العـالم العربي وبعض العـالم الاسـلامي ، ولمـا أتيح لها أن تلعب أحسن الادوار في الحضارة والثقافة العالميتين . .

والفضـل كل الفضـل عائـد الى طليـطلة بنـوع خاص ، اذ أن هذه المدينة أكثر من أي مدينة أخرى عربية أو أوروبيـة ، سهلت وصول الفكـر اليونـاني والفارسي والهندي والعربي طبعا الى الغرب فاستفاد منه وأفاد . □



بقلم : الدكتور عصام محمد عزو

اذا كنا نعيش عصر التطور العلمي المذهل لخدمة البشرية . فالذي لاشك فيه ـ وهو أمر واقع نتعرض لمخاطره كل يوم ـ أن العلم يكاد يصبح في خدمة الموت والتدمير الذي يمكن أن يؤدي الى فناء البشرية أيضا

اذا كانت العقول الالكترونية هي وسيلة الانسان الآن الى تحقيق انجازات التقدم العلمي .. فان الذي تؤكده كل الحقائق هو أن العقل الالكتروني قد تفوق نهائيا على العقل البشري ..

صحيح أن الانسان هو الذي اخترع العقل الالكتروني ، لكنه في مجال التقنيات المتطورة يقف عاجزا الى حدود الاستحالة ، أمام ما يقدر على فعله العقل الالكتروني ، الذي لولاه لما كان هناك وجود لأشياء اسمها صواريخ نووية عابرة للقارات . ذلك

أن السرعة الهائلة التي ينطلق بها الصاروخ تجعل العقل البشري عاجزا تماما عن اجراء تحاليل معطيات

تحركه ، واصدار الأوامر اللازمة المستندة الى عمليات حسابية في غاية التعقيد من أجل التحكم آنيا بمسار الصاروخ .

هنا يجد الانسان نفسه بحاجة الى سلطة اسطورية ما ، تكون قادرة على اتخاذ القرار المناسب في اللحظة المناسبة ، وعلى ضوء معطيات متحركة بسرعة مذهلة .

العقول الالكترونية ، وحدها هي القادرة على لعب دور هذه السلطة الأسطورية المطلوبة .

ان التحول التاريخي الأكبر في مجال المعلوماتية هو أن العقل الالكتروني لم يعد مجرد وسيلة حساب . ففي السابق كان دور هذا العقل مقتصرا على تقديم المعطيات للانسان الذي كانت تعود اليه مسئولية اتخاذ القرار على ضوئها ، أما الآن ، فالمسألة تحولت جذريا بفعل عامل الوقت الذي بات يلعب الدور الجوهري والأساسي . لاشك أن العقل البشري يستطيع أن يقرر ، لكنه لايملك القدرة على اللحاق بالسرعة الاسطورية لتي تتحرك المعطيات امامه . فالعقل الالكتروني قادر على أن ينجز في ثوان ماقد يحتاج الانسان لينجزه الى أشهر أو سنوات .

على الدنيا السلام . .

لنأخذ مثلا حالة حرب نووية تتعرض لها أوروبا ، في ضوء افتراض أسوأ الظروف العسكرية وأحسن الظروف المعلوماتية . ان صاروخا نوويا منطلقا من الأراضي السوفياتية على سبيل المثال يحتاج الى دقيقتين او ثلاث لبلوغ باريس او روما ولسبع او ثماني دقائق لبلوغ نيويورك او واشنطن . . وهذا مايحدث على سبيل المثال في حالة معاكسة اذا ما انطلقت الصواريخ من أوروبا او امريكا .

ان جميع الوسائل البصرية البشرية المتاحة لاتسمح بمشاهدة الصاروخ الاستراتيجي المعادي عندما ينطلق ، ولا تقدر على ذلك سوى الرادارات الالكترونية التي تستطيع اكتشافه بفعل التقاطها للذبذبات الشعاعية الناجمة عن انطلاقه وتحركه . وبالطبع فان هذه الرادارات لاتستطيع تأدية دورها سوى بفضل العقول الالكترونية الملحقة بها ، والتي تستطيع أن تحسم الأمر في جزء من الألف من الثانية .

اذا لم تتحرك الوسائل الدفاعية في غضون ذلك يكون على الدنيا السلام . ومن هنا فان عملية تحريك الصواريخ المضادة ، أي عملية اتخاذ قرار الرد ، يجب أن تحدث تلقائيا ، بمعنى آخر ، عندما تندلع الحرب النووية لن يكون للانسان أي دور فيها سوى دور المنذهل أو الضحية . . في أحسن الحالات أو أشدها سوءا .

الخطأ الحسابي

لقد بات واضحا لدى الجميع أن لاشيء يحول دون وقوع الكارثة النووية سوى اقامة توازن الرعب النووي ، فعندما يعلم الخصم انه اذا ضرب فسوف يلقى ضربا مماثلا ، من آلة لاترحم ولاتفكر ، فانه سوف يلجم نفسه تلقائيا عن اتخاذ قرار الضرب .

وانه لمن المضحك ، علميا وعسكريا ، أن يعلن الرئيس ريغان انه : اذا ضرب الروس أية مدينة اسريكية فسوف أرد بحزم . . فهو لن يكون لديه أي وقت للرد ، وعندما يرن الهاتف في غرفة نومه ، لاعلامه بالامر واتخاذ الأوامر منه ، تكون الكارثة قد حصلت . . لاخيار امامنا ، ولاامام الأصدقاء والأعداء ، سوى برمجة الرد التلقائي الألكتروني .

وقد يثور سؤال : الايبقى بوسع العنصر البشري ايقاف الرد المبرمج ؟ والاجابة : لا ، لأنه من المتوقع في غضون السنوات العشر المقبلة أن يكون العلماء قد توصلوا الى مضاعفة سرعة الصواريخ . وبالتالي فلا بد حتما من عملية عصر للوقت بالنسبة للرد المبرمج بحيث تصبح المسألة كلها مسألة ثوان أو أجزاء من الثانية فقط . وهكذا فان أي محاولة بشرية لابطال الرد يمكن أن تؤدي الى انفجار الصاروخ النووي في مكانه . وبالطبع ، فأن تموت بسلاح عدوك أفضل ألف مرة من أن تموت بسلاحك . الآلة اذن ـ اى العقل الالكترونى وليس الانسان ـ سيكون بيدها التفكير والحركة . . والتنفيذ .

وفي هذه الحالة . . فما أبشع أن يقع العقل الالكتروني في خطأ حسابي . . . صحيح أنه لامجال لمثل هذه المخاوف بالنسبة للمسائل الالكترونية النووية ، ولكن احتمال وقوع العقل الالكتروني في الخطأ وارد بنسبة ما . وإن كان لكل شيء حسابه .

ولنأخذ مثلا الرحلة الفضائية التي قام بها المختبر



هذا الانفجار النووي . . يمكن أن ينشأ عن خطأ حسابي للعقل الالكتروني .

الفضائي الأمريكي « سكايلاب » مؤخرا ، كانت هناك خمسة أنظمة عقول الكترونية تشرف على العملية . اربعة منها مزدوجة والخامس يلعب دور الحكم . والعملية تجري كالتالي : يقوم النظام الأول بإجراء تحاليل المعطيات ، في حين يقوم النظام الثاني باجراء التحاليل نفسها ، ثم يقدمان نتائجهما الى النظام الخامس (الحكم) ليقارنها ببعضها . وفي حالة وجود أي تفاوت بين تحاليل النظامين الأول والثاني ، يقوم النظامان الثالث والرابع باعادة اجراء التحاليل ، ثم يرفعان نتائجهما الى النظام الخامس وهكذا دواليك .

وزيادة في الحيطة ، جرى التحسب للحالة التالية : أن تأتي نتائج ثلاثة أنظمة مخالفة لنتائج النظام الرابع ، وان تأتي نتائج النظام الخامس مطابقة لنتائج النظام الرابع ، في هذه الحالة تلعب مسألة الأكثرية دورها ويتخذ القرار اوتوماتيكيا وفق النتائج التي أظهرتها تحاليل الأنظمة الثلاثة .

بالامكان اعتبار المسألة نوعا من النقاش

الديمقراطي الحر ، وبالطبع فلا مجال هنا للانسان للتدخل في نقاش معقد من هذا النوع ، لاسيما أن العملية كلها تتم في جزء من المليون من الثانية .

حرب نووية مزاجية

ورغم كل شيء فلا بد من العودة الى الناحية الانسانية ، الا يمكن مثلا أن يقوم قائد أحد المراكز النووية الأرضية ، أو قائد احدى الغواصات النووية ، بالضغط على الزر الأحمر رغبة منه في اشعال حرب نووية مزاجية على حسابه الخاص كما يحدث في الافلام العلمية الخرافية ؟ ومن جهة اخرى ، الا يمكن للاسباب المزاجية نفسها أن يرفض أحد القادة أوامر القيادة المركزية بالضغط على الزر الأحمر ؟ العلماء المتخصصون في هذا المحال يجيبون على هذه التساؤلات بالقول : ان هذه الازرار الحمراء لا وجود لها سوى في الافلام فقط ، صحيح أن هناك ازرار لكنها ازرار رموز الكترونية بالشيفرة التي لايستطيع حتى قائد الموقع النووي نفسه أن يفهمها لوحده .

ان الأوامر التي يتلقاها القائد تأتيه بشكل رموز (ارفع هذا بدرجة كذا ، اخفض ذاك بدرجة كذا ، أضيء الرقم كذا ، أطفيء الرقم كذا ، الخ) وهو بالتالي عليه أن ينفذ الاوامر بدون أن يناقشها ، وبالطبع بدون أن يفهم ماذا تعني . ففي حالة صدور الأوامر بالاطلاق مثلا ، لن يعرف القائد انه دخل الحرب النووية فعلا سوى في اللحظة التي يسمع أو يرى فيها انطلاق صاروخه ، وبدون أن يعرف قبل ذلك أن مايقوم به كان طريقا مؤديا الى الاطلاق فعلا .

وفي الحالة المعاكسة ايضا ، فمن البديهي ألا يملك القائد جميع الرموز والمعطيات الكافية لمعرفة كيف يطلق صاروخا ، فالقائد النووي ، البحري أو البري ، يكون عمليا مراقبا من قبل العقل الالكتروني نفسه . بالطبع فان الاوامر النهائية التي يتلقاها هذا العقل تأتي من عقول الكترونية أخرى من خارج الموقع وليس من قائد الموقع الذي ـ حتى لو اراد عدم تنفيذ الأوامر او تنفيذها بشكل مغلوط ـ فان العقل الالكتروني يوقفه عند حده ويتصرف وحده ، والشيء نفسه بالنسبة للقائد الجوي .

ولضمان هذه الناحية تجري عمليات تدريب دائمة تتغير فيها الرموز والاشارات بشكل دائم ، بحيث لايعرف القائد ما اذا كان مايقوم به هو عملية تجربة ازرار (روتينية) او عملية دخول حرب نووية فعلية .

ومع ذلك فالعلماء يؤكدون أن الاعتماد على أطقم بشرية للتشغيل سيكون مستبعدا خلال سنوات قليلة ، ولن يكون مستغربا أن تصبح مواقع الصواريخ التحت أرضية والغواصات والطائرات خالية من أي عنصر بشري وأن يصبح قطاع الحرب النووية مقتصرا على الآلات وحدها .

والواقع أن تلزيم مسألة الحرب النووية الى الآلات وحدها بدل الانسان هو في صالح البشرية ، لان بالامكان في مثل هذه الحالة على الاقل تحاشى (مزاجيات) الانسان وانانياته الخاصة .

ولعل ذلك هو أفضل ضمان لمصلحة البشرية والعالم ، فالآلة تعرف على الاقل ما يجب فعله ومالايجب . فالعقول الالكترونية لن تتورط في أي حرب مثلا قبل إجراء حسابات دقيقة جدا وشاملة جدا للربح وللخسارة .

ثم ان العقول الالكترونية لاتملك اية مصالح انتخابية او سياسية أو سلطوية ، وبالتالي فبوسع الانسان الركون الى (ضميرها) الواقعي والمتجرد من أية نزعة انسانية انانية او انفعالية .

وسائل الدفاع الذاتي

لكن يبقى واردا إمكان حصول أحد مالكي العقول الالكترونية (التي صارت سلعة تجارية بوسع أي كان شراءها في الغرب) على مفاتيح رموز شيفرة العقول الالكترونية النووية ؟ وهو يشكل بالفعل خطرا حقيقيا . وقد حدث منذ فترة أن توصل أحد هواة المعلوماتية ، وهو صبي امريكي في الرابعة عشرة من عمره ويملك عقلا الكترونيا صغيرا ، توصل الى اكتشاف الرموز السرية التي تستعملها « وكالة نازا » ، وقد كاد الأمر يحدث فضيحة امريكية كبرى من طراز (ووترجيت الكترونية) لولا المسارعة الى لفلفة المسألة .

الايدعو ذلك الى ضرورة التفكير في استصدار قوانين خاصة تجعل اقتناء العقول الالكترونية من المحرمات



العقل الالكتروني قد يشعل الحرب العالمية الثالثة .. لأسباب عاطفية .

كالسلاح او المخدرات .. بالاضافة الى ضرورة تطوير ما يسمى بوسائل الدفاع الذاتي للعقول الالكترونية التي تحميها من أية مداخلة غريبة ؟

ثم ان هناك واقعا مؤسفا فعلا هو ان العقول الألكترونية ومهما كانت متطورة ، هي في النهاية من صنع انسان . ألا يعني هذا ان صانع العقل الالكتروني النووي يظل بوسعه استغلال ذلك العقل عندما يشاء ؟ خاصة وان القيادة تظل بحاجة لذلك الصانع لاجراء عمليات الصيانة على الأقل ؟

لعل ذلك ما جعل عالما مثل البروفيسير رينه زاجويان عضو المجلس الوطني لعلوم الحرب الاستراتيجية يدعو الى ان تترك للعقول الالكترونية مهمة اجراء محادثات الحد من الأسلحة النووية ، وعقد الاتفاقات بدل الرؤساء والمسئولين السياسيين ؟ !

وجاءت هذه الفكرة مباشرة في كتابه (أرسطو الالكتروني) وهو يقول « انه اذا كانت هذه الفكرة قد تبدو الان مستغربة فهي لن تكون كذلك ابدا في المستقبل المنظور .

بل انني أرى أن لاشيء يمنع من جعل العقول الالكترونية ، النووية ، لدى العملاقين ـ الأمريكي والسوفياتي ـ على اتصال دائم فيما بينها لاجراء التنسيق اللازم ، وتحاشيا لحصول أي التباس ، بل ماذا يمنع من وضع عقل الكتروني ثالث ، محايد ، يوضع في سويسرا مثلا ويكون بمثابة القاضي الذي ينظر في الخلافات التي قد تنجم بين الفريقين ؟ ! »

اذا استمر رفضهم

« ولعل أخطر ما جاء في ذلك قوله : مالذي يمنع عقلا الكترونيا من اتخاذ قرار ذاتي باشعال حرب نووية شاملة ، لتخليص هذه البشرية من التعاسة التي تتخبط فيها وفق منطقه الالكتروني الخاص المتحرر من أية مشاعر أو انفعالات انسانية ؟ »

« أعتقد أنه من الآن وحتى العام ٢٠٠٠ لن يكون هذا الأمر مستبعدا ، فمن الناحية المنطقية ، قد يجد العقل الالكتروني أن مآسي البشر بلغت حدا لم يعد ممكنا إيقافه سوى بايقاف الحياة البشرية وبتطهير كوكب الأرض من جميع البشر ، أي أن هذا العقل قد يشعل الحروب العالمية الثالثة لأسباب .. عاطفية .. !

« وأنا مقتنع شخصيا بانه اذا استمر هذا السباق المجنون في تخزين وتطوير الأسلحة الفتاكة ، واذا استمر ظلم الانسان لأخيه الانسان على هذه الصورة ، فان قرار العقول الالكترونية بتدمير الكرة الأرضية على رؤوس الجميع سوف يكون قرارا عادلا جدا .. انسانيا جدا .. »

ان كل هذه المخاطر ولاشك ـ حتى ولو وقعت بين القوتين العظميين ـ سيكون ميدانها المتوقع هو العالم الثالث بأراضيه وناسه .. بما في ذلك الوطن العربي والاسلامي ..

فهل بالامكان لعب دور لمواجهة هذه اللعبة الخطرة التي يلعبها الكبار من خلال استغلال التطور العلمي والتقني لافناء البشرية ؟ □

مسابقة العربي للقصة القصيرة

تشجيعاً للهواة من كتاب القصة الموهوبين
في أقطار الوطن العربي والمهجر
وتوكيداً للعلاقة بين "العربي" وقرائها
فإنها تقيم مسابقة للقصة القصيرة

الشروط

* يحق للهواة من القصاصين الاشتراك في هذه المسابقة .
* أن يكون موضوع القصة منسجما مع الاتجاهات القومية وألا يتعارض مع المبادىء والقيم الدينية والانسانية .
* أن تكون القصة موضوعة لا مترجمة ولا ملخصة ولا مقتبسة .
* الا يتجاوز عدد كلماتها ١٥٠٠ كلمة .
* الا يكون قد سبق نشرها من قبل .
* أن تكتب باللغة العربية الفصحى بخط واضح ، وعلى وجه واحد من الورق ، ويفضل أن تكتب على الآلة الكاتبة .
* أن يكون « للعربي » حق الأولوية في نشر القصص الفائزة بالجوائز .
* الا تحمل القصة اسم كاتبها أو عنوانها ، بل يكتب اسم الكاتب وعنوانه وعنوان القصة ، على النموذج المرفق « الكوبون » في أسفل الصفحة ، بحيث يكون النموذج أو « الكوبون » في أسفل الصفحة هو المستند الوحيد الذي يؤكد ملكية صاحب القصة .
* آخر موعد لقبول القصص هو ٣٠ ابريل - نيسان - من سنة ١٩٨٥ ، ولا تدخل المسابقة أية قصة تصل بعد هذا التاريخ .
* تعلن نتائج المسابقة في بداية شهر أكتوبر - تشرين أول من سنة ١٩٨٥ .
* القصص التي تصل الى المجلة لا ترد الى أصحابها .
* يكتب على المظروف مسابقة القصة القصيرة .

الجوائز

* الجائزة الأولى : ٣٠٠ دينار كويتي .
* الجائزة الثانية : ٢٠٠ دينار كويتي .
* الجائزة الثالثة : ١٥٠ دينارا كويتيا .
* الجائزة الرابعة : ١٠٠ دينار كويتي .
* الجائزة الخامسة : ٧٥ دينارا كويتيا .

- الجوائز من السادسة حتى العاشرة اشتراك مجاني لمدة عام في المجلة وكتاب العربي .

الاسم الثلاثي : ....

اسم القصة : ....

العنوان : ....

....

قصة قصيرة

حفلة تنكرية

بقلم : محمد عبد الملك

أعلنت الحفلة التنكرية في الشوارع العامة . أرسلت مكبرات الصوت نداءات متكررة إلى الجميع .

ساد هرج ومرج وصدحت الموسيقا من أربعة جوانب ورقص المواطنون . توزع النُدل يحملون أقداح المشروبات الروحية وعصير البرتقال .

اجتمع في الساحة الكبيرة جمع غير متجانس من اليمين واليسار ، وقطاعات من الجيش وضباط الانقلابات العسكرية . وكان من الصعوبة بمكان التمييز بين الجميع حتى في الأعمار ، فالشباب قد أطلقوا لحى بيضاء طويلة مقلدين بابا نويل وأئمة المساجد ، والكبار ارتدوا ملابس وقبعات رعاة البقر وأطلقوا البارود من مسدسات الأطفال ، وبين فينة وأخرى كانوا يلكزون الجياد والللجنة المُحكِّمة كانت تتجول في الساحة الكبيرة بحثا عن النجوم .

وعريف الحفل يكرر في مكبرات الصوت :

ـ الشعب في كامل يقظته !

وكانت تتخلل نداءاته أغان وطنية صاخبة . . وكان البعض ينتهز فرصة مرور اللجنة فيبالغ في التمثيل والحركة والقفز في الهواء . وثمة جماعة اعتزلت في زاوية بملابس شعبية وتبارزت بسيوف من خشب مدهونة بلون رصاصي . وآخرون رقصوا للحرب المعلنة مع دول مجهولة . وبرز رجل أثار اهتمام اللجنة فتوقفت تتابع تأثيره السريع في الجمهور . كان الرجل يرتدي ملابس عسكرية ويقذف العصا التي في يده في الهواء ويستقبلها من جديد ، ثم يستبدل عصاه بمسدس كبير ويطلق رصاصات في الفضاء ثم يخرج من فمه لهبا أصفر . وكان الرجل يأتي بحركاته البهلوانية بخفة عالية ، وتكاد النار التي يدفعها من فمه أن تحرق وجوه وملابس وفساتين النساء ، فيفررن هاربات ، بينما احتفظ في فمه بسيكار مشتعل يخرج دخانا منتظما ، كما أطلق صيحات حرب وتحذير في نفس الوقت الذي كان يمضغ فيه لبانا أمريكيا ويجرع أكواب المشروب الأصفر بسرعة كبيرة ، ويحتفظ بسوط وخرزات كبيرة في صدره ، وبعض القنابل اليدوية وزجاجات المشروب . . . احتارت اللجنة في أمر الرجل وقال أحدهم .

ـ ها هو . . !

فقال الثاني : شيطان رجيم !

فقال الثالث : صاحب الحظ السعيد !

وكان رجل ما مجهول الهوية يرتدي قبعة عسكرية يتقدم من أمامه ويصيح في الناس : الجنرال ! . . الجنرال !

فقال رجل اللجنة الأول : أقسم أنه هو !

وقال الثاني : في حركاته شبه بقائد الانقلاب الأخير !

قال الأول : ان هيبته حقيقية !

فقال الثالث : أمر ليس عليه غبار ! . . انظروا ! . . انظروا الى لعبه بالمسدس . . لا يأتي ذلك إلا رجل جيش خطير . إن أكن مخطئا طلقت زوجاتي الأربع بالثلاث !





قال الأول : ان لم يفز بالجائزة أردانا قتلى ، فالمسدس حقيقي والأحكام عرفية !

قال الثاني : اني أشك في الأمر .

ونظر اليه أعضاء اللجنة بدهشة . لقد خالفهما في الرأي .

فقال الأول : ماذا تقول ؟!

ـ ان الخوف يولد الوهم . . ما هو الا موظف تعس يتسلم راتبا حقيرا . . أو ممثل بارع من مسارح الدرجة العاشرة في المدينة جاء يجرب مواهبه بعد جرعات من المشروب .

وصاح فيهم : لا تديروا بالاً للأقزام الممثلين .

فقال الأول : بما أن الجائزة كبيرة ، فان عدم فوزه بها سيؤدي بنا الى الدخول في قفص ذهبي من الأحكام العرفية التي تنتهي بعرس أبدي مع الموت . .

وأطلق ضحكات ساخرة . .

وكانت اللجنة قد أوصت أن يفوز خير المتنكرين في المدينة بضياع وبساتين وجوار وأرصدة في البنوك وامتيازات فوق القانون والأعراف . .

قال الثاني : دعونا نفكر بعمق . . هذه لحظات انجاب الأفكار وتوالدها فالزمن يجري مثل الماء . . من منكم يستطيع أن يمسك في قبضته نهرا من الماء . . يجري . . يجري بقوة لا كما يراه البصر . . اذن . . دعونا نفكر فالزمن له كف تضرب كما وانه مناور مثل الناس،ألا يخافونه كما يخافهم ؟! . . اذن اسمعوا . . ان كان هو قائد الانقلاب نفسه فما حاجته للجائزة مادام يمتاز بحقوق فوق القانون والأعراف وله ملكية تامة تتجاوز الناس . . الى الأرض . . والطيور . . والشجر ؟

فقال الأول : ما جاء يستعرض قوته اليوم إلا طمعا في الجائزة . . إن فوزه معنوي . . هل نسيت بأنه متعدد المواهب ؟

قال الثالث : اني أصدق ! لقد عقد صفقة مع شركة انتاج سينمائية لتمثيل دور البطولة في فيلم عن الانقلاب الأخير . . فلتكن له الجائزة . وقد يتبرع بها للفقراء . .

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

ـ ألا يحب التمثيل ؟ . . سيجلب هذا النبأ تصفيق الجماهير واعجاب المراهقات والشحاذين . .

ـ وان لم يكن هو نفسه الحاكم الجديد ؟

قال الأول : دعك من العبث والمجازفة . . انه يستحقها عن جدارة !

فضحك الثاني وقال مبتسما : وهل أنت واثق أنك تدفع الجائزة عن غير خوف ؟

ـ تمام الثقة ! . . ثم ان الخوف غريزة بشرية مشتركة . . ألا تحس بنفس الشعور في لحظات ما ؟!

ـ لكنك تتجاوز نظام التحكيم وقوانينه . .

ـ مثلا ؟

ـ أنت لم تشاهد جميع المتنكرين فالساحة تعج بهم وهم من كل الألوان والأصناف والطبقات . .

ـ سأفعل . . انها بداية الحفلة . .

ـ افعل ذلك فالمفاجآت في الطريق . . انه يوم تاريخي !

وانفعل الثالث . كان يبدو حائرا كمن يقدم على ارتكاب جرم وقد اصفر لونه وفقد بعض صفائه فقال :

ـ يجب أن نكون منصفين . . ان قوانين التنكر ونصوصه صريحة . . ان التنكر شعار لمرحلة . . هي هذا الزمن . . هذا اليوم . . اليوم . . هذه الليلة . . لذا فان التنكر هو هدف اجتماعي . اذن فنحن حين نخالف تشريعات التنكر نحكم على المجتمع بالدمار . . نهدم أسس الحياة ونواميسها . . تذكروا أن اختيارنا قد تم بعناية . . وان هذه الثقة المعطاة لنا

غير قابلة للهو بها أو التنكر لها . . دعوا العبث فهو شديد الحضور في العقل وقت الاحتفالات . .

ويتر حديثه بجملة قاطعة قالها بيقين :

ـ يجب أن نختار خير المتنكرين !

فقال الثاني : هذا ما اتفقنا عليه منذ البداية . .

ـ اذن يجب أن نعطي الجائزة لصاحبها . .

ـ ومن هو صاحبها ؟

ـ الأكثر كفاءة . . أقصد الأكثر تنكرا . .

فقال الأول : يجب أن نمر بباقي الجمع فقد يكون هناك من يتنكر بقدرة فائقة تشد انتباهنا من جديد . . انه يوم الذهول !

فأصر الثاني : يجب . . يجب ذلك . . المهمة صعبة ! . . كيف تكتشف خير المتنكرين والجميع يبدعون في التنكر ؟! . . ثم ان الفائز سيصبح ذا شأن عظيم . . سيكون النجم الذي يعلو النجوم . . . بطل العهد الجديد . . والعصر الجديد . . محط أنظار النساء والرجال . . لذا . . يجب أن يكون هذا المختار متنكرا حقيقيا . . ممثلا حقيقيا . . أن يمتلك القدرة على تغيير سلوكه وأفكاره ومعتقداته لفترة من الزمن . . أن يكون لصيقا وحليفا للخلود . . فالانقلابات العسكرية في المدينة تحدث بين يوم وليلة . . ونحن أمام هذا القرار التاريخي يجب أن نرضي الجميع . . ان المختار يجب أن يكون صالحا لكل زمان . . شديد التلون والذكاء . .

فقال الثالث : أوافقك تماما ! . . انها وجهة نظر علمية . . ان العمر يعلم الانسان التكيف مع النار وترويض الأبالسة وبالتالي الفوز بالغنيمة . كل أهل المدينة يجب أن ينسلخوا هذه اللحظة من ماضيهم وحاضرهم . . الأصوات يجب أن تتغير . . والأحاديث . . والألوان . . والأماني . . وان يأتوا عكس ما يعتقدون . . انه التنكر . . أليس كذلك ؟ .

فقال الأول : لا تنسوا أن العالم المتحضر ينتظر نتائج هذه المسابقة التنكرية فالفكرة جاءت من هناك . . تعلمنا التنكر واقامة الحفلات التنكرية بعد أن فتحنا أبصارنا على هذا العالم انه ينتظر النتائج . . ويرى كيف نمارس تقاليده الجديدة في عقر دارنا . . وان لم يكن الحكم عادلا فقد تتدخل اللجنة الدولية في البت في الأمر . . وقد تعترض . . وقد يعرضنا سوء التصرف لانقلاب عسكري جديد !

فقال الثاني : علينا اذن ألا نستعجل الأمور . . ان الحفل في بدايته . . وها هي سيارة فخمه قادمة وقد أفسح لها الجنود الطريق ترى من يكون صاحبها ؟!

فقال الأول : قد يستحق الجائزة !

وضحكت اللجنة . . .

فقال الثاني : استعار هذه السيارة للتنكر . إنها وسيلة للفوز بالجائزة . .

فقال الأول : تقصد ضغطا معنويا علينا ؟

فقال الثاني : بل ترهيبا !

ـ قد يكون صاحب السيارة ذا شأن يستحق الجائزة !

ـ عدنا لخرق القوانين ؟!

ـ إنا نضع الأمور في نصابها .

ـ كيف ؟

ـ يجب أن تتنكر القوانين أيضا !!

ـ لنمنحها لآكل النار اذن .

ـ انظروا ! . . من يركب هذه السيارة !

ـ امرأة !!

وهبطت سيدة بقناع بعد أن فتح أحد الجنود الباب لها . ومضت تشق طريقها محاطة بالجنود والجواري والخدم .

ـ مصيبة !

ـ ما الأمر ؟

ـ أقسم أنها زوجة قائد الانقلاب !

ـ وما الذي جاء بها هنا ؟

ـ انها مجنونة بالتفوق ، حتى بارتداء الملابس الداخلية . . فكيف تنام في سريرها والمدينة تعلن عن حفلة نجم النجوم !

ـ وقعنا في مصيدة .

ـ فئران والقفص يضيق .

ـ انظروا الى الذهب والجواهر .

فقال الثاني :

ـ بلغ بكم الهوس منتهاه . . ما هن الا فتيات مدارس صغيرات جنح خيالهن . . باللشقيات !

ـ والحرس ؟ . . والوصيفات ؟

ـ أليست حفلة تنكرية ؟

ـ أقسم انك خاطىء . . لن أعطيها الجائزة !

ـ احترنا في الأمر .

ـ أقسم بأنكم قد فشلتم في مهمتكم هذا اليوم فعادة ما يقلد الشحاذون الملوك .. ويقلد الملوك الشحاذين .. ألم يقلد هارون الرشيد كريما الصياد ؟

واقترب من اللجنة رجل بلحية كثة طويلة قذرة ، ممسكا بعصا مرتديا لباسا من الخيش ، ثم وقف يمد يده ويقول :

ـ يا محسنين اعطوا الحق لأصحابه .

ثم حدق بعينيه وأرسل نظرة نارية ومضى . فقال الأول :

ـ وعيد وتهديد لا يأتي الا من قادر مقتدر !

ـ بدأت أشك في كل شيء !.. كل شيء جائز في هذه اللحظة .. في هذه اللحظة .. في هذه المدينة ..

ـ ماذا اكتشفت ؟

ـ ان عينيه تشبهان عيني الحاكم العسكري الجديد !

ـ وكيف تميز ذلك ؟

ـ اتساعهما .. وحدتهما .. كنت في مكتبه بالأمس ونظر اليّ بنفس العينين ..

فقال الثاني مرتبها :

ـ ومن يكون آكل النار اذن ؟

ـ لم اره عن قرب ..

ـ أتشك في أمره ؟

ـ ربما .. ربما .. قد يكون ممثلا بارعا أو حاويا من حواة المدينة ..

من أين للحاكم العسكري وهو رجل متحضر أن يأتي بحركات الغجر هذه !.. انظر كيف يخرج النار من فمه !

ـ اذن فالجائزة للشحاذ ؟

ـ اعتقد ذلك .

ـ هل لشبه عينيه بالقائد ؟

ـ بل لقدرته الفائقة على التنكر .

ـ ولتواضعه أيضا .. انظر اليه .. يمشي كسيرا بين الناس .. انه يجسد المساواة بطريقة عملية جدا .. ستكون مفاجأة للجمهور أن قائدهم يرتدي كسوة الشحاذين ويدور بينهم .. سيكون ذلك مصدر سعادة لهم .. هذا رمز للمساواة .. يجب ألا نفوت الفرصة .. انه يختبر ذكاءنا !

فقال الأول : سقطنا في شرك كبير ! ان مهمتنا صعبة للغاية ..

فقال الثاني : اني أرشح المرأة .

ـ كيف ؟

ـ القائد يحب زوجته !

ـ وماذا لو كانت طالبة مستهترة ؟

ـ وكيف تأتي طالبة صغيرة بسيارة فخمة ؟

ـ من أجل الدعاية تجتمع الشياطين .. قد يكون أبوها سائقا لدى العائلات الكبيرة ..

ـ هذا جائز .. جائز .. كل شيء جائز ومعقول .. ان التنكر لشديد .. وهذا يجعلنا في حيرة .. والأجراس في رقابنا ..

وفي لحظة يأس قال : لو يكشف الجميع عن وجوههم !

وضحك الأول وقال : اذن فسدت اللعبة !

ـ كيف ؟

ـ ان متعتها في التنكر .. لا تنس ذلك .. من أجل ذلك كان وجودنا .

ـ انكم تطلقون لعقولكم العنان أكثر من اللازم .

ـ العبرة بالخاتمة !

ـ مثلكم يهمني أن يفوز خير المتنكرين .. لكن يجب أن تساوي بين المتنكرين على الأقل !

ـ الفطنة ان تقلد الأنبياء وتطلق الرصاص في آن واحد كما يفعل العسكر !

ـ بدأت اقتنع ان المهمة صعبة !.. ولكن علينا أن ننصف الجميع في هذه اللحظة .. يجب أن نحكم بالعدل .. القانون سيد الجميع ..

ـ ألا ترى انك شديد المثالية ؟

ـ بدأت أحس بذلك !

ـ ان خير المتنكرين هو أسوؤهم .

ـ يبدو لي ذلك ..

ـ وأسوأ المتنكرين هو أفضلهم .

ـ يبدو لي ذلك ..

ـ والمسدسات لا تطلق الأزهار .

ـ ما العمل اذن ؟

فقال الأول : ما رأيكم بشرب بعض المشروب .. انه يساعد على التخيل .. التخيل .. والتصور .. ثم يلزمنا خلق المبررات .. يجب أن

نذهب . . الى الكئوس . . الى الأوهام . أعطونا الفرصة . .

وكان يخاطب الجمهور :

ـ أيها المتسابقون . . أعطونا الفرصة . . الغنائم كثيرة . . مهلا

مهلا ! . . قد تقع الكئوس !

وكان عريف الحفل يطلق صوته الشمل .

ـ الثورة في عنفوانها ! !

عند البار . . البار المفتوح وقفت اللجنة . كئوسهم تتقارع وراء الكئوس ، سقطت عيونهم في حيرة . لقد اختيروا لادارة هذا الحفل بعد الانقلاب العسكري الثالث وتحملوا المهمة عن غير رغبة . .

قال الأول : القرار صعب للغاية !

ففاجأ الثاني اللجنة بقوله : الآن اجده سهلا !

ـ كيف ؟

ـ لقد كسبنا الجولة . .

ـ كيف ؟

ـ نطلب من المتسابقين القاء قصائد من الشعر الجاهلي والحديث . نسألهم عن أزمة الثقافة العربية . . سيكون اختبارا حقيقيا .

ـ كيف تتجاهل الامور ؟ ان المتنكرين العظماء جهلاء للغاية .

ـ ادن صح الحكم .

ـ كيف ؟

ـ فرصة عادلة للجميع ! اقصد لاختبارهم !

ـ وقد تحكم لهم . . أو انه قانون التنكر . .

ـ كيف ؟

ـ اليس المطلوب عكس الحقيقة ؟

ـ نعم . .

ـ اذن فالمثقف يجب أن يبدو جاهلا !

ـ اختلطت الامور . . وغبنا في التيه .

ـ وكيف يبدو الجاهل مثقفا ؟

ـ اذن سيتساوى الجميع !

ـ المساواة هي المطلوبة . . الوطن للجميع !

ـ سكرتم ولله الحمد !

ـ الحيرة تقود الى الجنون !

ـ ما رأيكم لو نترك الأمر بلا قرار ؟

ـ لن يقبل المتنكرون . .

وأعلنت الساعة الثانية عشرة . منتصف الليل . وقت اعلان نتائج المسابقة . صمتت الموسيقا . هبطت الكئوس حتى الصدور . وأسفل . . . أسفل الأقدام . عجز الجميع . أرهقهم الرقص والشراب والتوتر . تقدم الشحاذ ، وآكل النار ، والمرأة الصموف .

تحدث رئيس اللجنة قائلا :

ـ أيها السادة المتنكرون . . لقد أجدتم التنكر ارفعوا الكئوس . . عاليا . انها رايات عصركم الخفاقة . . انكم مفخرة هذا الزمن المجيد . . وبوسعكم أن تخلعوا الأقنعة الآن . . وان تستمتعوا بحروب أهلية جديدة . . أو بنوم طويل إذ أتعبكم الحفل والخمر والتيقظ للأعداء . . وليس بوسع هذه اللجنة الا أن تمارس القانون السائد . . والعرف السائد فحص منكم واليكم مثل النبع والمجرى والمصب .

وانتهت اللعبة . . وبدأت اللعبة . .

وأعلن عريف الحفل عن بدء انقلاب عسكري جديد وقال .

ـ أيها السادة . ان الشعب في المصيدة . . والجماهير ثملة بأمان كاذبة ! ثم أعلن البيان منع التجول . والأحكام العرفية الجديدة .

وصدحت اغان وطنية . فقال رئيس اللجنة لزملائه .

ـ لو اعطينا الحاكم العسكري المخلوع الجائزة !

وابتسم الثاني وقال : في العجلة الندامة !

ـ عدنا الى سابق عهدنا ؟

ـ وهل من حوار مع المدافع ؟

وارتفع صوت عريف الحفل من جديد :

ـ لتتواصل الأفراح . . مزيدا من الأقداح . . والأقنعة . . ولتبق اللجنة فقد أثبتت حيادها . . الشعب ينتصر !

فقال الأول :

ـ حفلة تنكرية جديدة !

ومن بعيد سمع الجميع طلقات الرصاص . وانتشرت مصفحات ضخمة في الشوارع . . وعربدت أصوات مدافع . . ومارش عسكري . . ورايات . . ومتظاهرون . . وقتلى . . فهرب الجميع . . أما من لم تسعفهم الثمالة فقد وقفوا يصفقون بأيد مرتعشة . . □



توتو والطريق الى السلام

القضية . والرجل . والجائزة

● كان يعلم أن اسمه يتقدم بقية الأسماء المرشحة للفوز بجائزة نوبل للسلام . وأسعده الخبر ، لان هذا يعني أن المجتمع الدولي ممثلا في لجنة نوبل ، سوف يقدم دليلا جديدا على قبح السياسة التي تمارسها حكومة جنوب افريقيا البيضاء ، ضد أصحاب الأرض الذين يمثلون اكثر من ٨٥٪ من سكان البلد الذي ظل مسرحا لأبشع الوان التمييز العنصري ضد السود ، لأن لون بشرتهم لا يعجب الرجل الابيض المستعمر !

وصاحب هذا الاسم ، الاسقف ديزموند توتو (٥٣ سنة) ، هو أحد الزعماء المدافعين عن حق السود ـ وهو واحد منهم ـ من أجل الحرية والمساواة ، بل لعله الزعيم الوحيد الذي يعمل من فوق الأرض ، ويرفع يده منذرا محذرا من النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على استمرار سياسة حكومة الاقلية البيضاء ، التي فرضت من نفسها وصية على هذا الشعب ، وراحت تتحكم في مصيره ، وتغلق أبواب بيته في وجهه ، وتقيم حوله الأسوار ، وتطرده من أرضه وتصرخ فيه ، وهو ماض في كفاحه من أجل استمرار الحياة : « قف . . أنت أسود . . وليس مكانك بيننا !! »

وقد رفض توتو أن يتوقف « لقد صمم على المضي في طريقه . . نفس الطريق الذي سار فيه من قبله نيلسون مانديلا الزعيم الأسود الذي يعيش وراء جدران السجون منذ عام ١٩٦٣ بعد تزعمه « للمؤتمر الافريقي الوطني » الذي تحول فيما بعد الى حركة فدائية ، تعمل خارج جنوب افريقيا ، وتنقل نشاطها الى داخل البلاد كلما حانت الفرصة . . ومن قبل مانديلا كان هناك البرت لوثولي ، وكان يتزعم المؤتمر الافريقي الوطني ، ولم يكن وقتها يعتمد على العنف ، كما أصبح فيما بعد ، وإنما كان مجرد زعيم منظمة تدعو الى المقاومة السلمية لكل عمل فيه مساس بحقوق الانسان ، فقد كان لوثولي متأثرا بالزعيم الهندي المهاتما غاندي ، الذي بدأ كفاحه فوق أرضهم في جنوب افريقيا ، قبل أن يعود الى بلاده ويتزعم أعظم ثورة سلمية في التاريخ .

الصفحة الأولى

ونجح لوثولي في أن يلفت أنظار العالم اليه . . وفي عام ١٩٦٠ ، فاز الزعيم الأسود بجائزة نوبل للسلام . . وكان فيرفورد الذي يمثل أبشع صور التمييز العنصري رئيسا لحكومة جنوب افريقيا في ذلك الوقت ، فأسرع يأمر باعتقال لوثولي في بيته وتحديد اقامته . . وبقي الزعيم الأسود سجينا حتى مات في عام ١٩٦٧ ، تاركاً علم الحرية في يد مانديلا ، الذي

انتقل المؤتمر تحت زعامته الى خارج الحدود ، ليتحول الى خنجر في صدر الحكومات البيضاء المتعاقبة ، حتى بعد أن اعتقلوا الرجل والقوا به في ظلام السجون !

الجائزة التي فاز بها توتو اذن هي الصفعة الثانية التي يوجهها المجتمع الدولي الى حكومة الاقلية البيضاء في جنوب إفريقيا ! والرجل الذى فاز بها تقديرا لجهوده السلمية في مقاومة الظلم والطغيان مازال ماضيا في كفاحه رغم كل ما يتعرض له من الوان الاضطهاد .

فقد سحبوا منه جواز سفره وأصبح يحمل وثيقة سفر مؤقتة ، وهي التي كانت معه اثناء وجوده في نيويورك كأستاذ زائر في الندوة التي اقيمت لعلوم اللاهوت ، عندما علم بنبأ فوزه بالجائزة بعد ليل طويل قلق اعقبه صباح مليء بالزهور ، فصاح في فرح وهو يستقبل الخبر : « إنه تأييد رائع لقضيتنا .. انه فوز للعدالة » .

وفي اليوم التالي كان الأسقف توتو الذي يرأس مجلس الكنائس في جنوب افريقيا ، يستقل الطائرة عائدا الى بلده ، ترافقه زوجته واثنتان من بناته الأربع .. وفوق الأرض التي احبها وقف يرد تحية اخوانه السود الذين استقبلوه استقبال الأبطال ..

ذاق الفقر والحرمان

من هو توتو .. ؟ من هو هذا الرجل الذي كرس حياته كما يقول أصدقاؤه وأعداؤه من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية ؟ لقد ولد في مدينة كلير لسدروب



الاسقف ديزموند توتو

في عام ١٩٣١ ، وذاق مرارة الفقر والحرمان . كان يحمل في صباه اكياس « الفول السوداني الذي يبيعه للناس في محطات السكك الحديدية ، حتى يتمكن من توفير نفقات تعليمه . واشتغل توتو بالتدريس بعد تخرجه • ولكن الحكومة البيضاء ما لبثت أن استولت على مدارس الارساليات السوداء ، فترك التدريس في عام ١٩٥٧ ، وذهب ليدرس هو اللاهوت .

وسافر الى انجلترا لاتمام تعليمه . ثم عاد الى بلده بعد ثلاث سنوات .. وراح يصعد السلم الكنسي بسرعة ، حتى تولى منصبه الحالي كسكرتير عام لمجلس الكنائس بجنوب افريقيا ، الذي يضم ١٢ مليون أسود .. ومن هذا المنبر إستطاع توتو أن يرفع صوته معارضا بقوة سياسة التمييز العنصري .. وبقى صوته عاليا طوال السنوات العشر الماضية ، وهو يدعو الى السلام والعدالة ، والتحذير من العواقب الخطيرة التي قد تترتب على استمرار الحكومة البيضاء في جنوب افريقيا في سياستها العنصرية .. قال يوما وهو يرى سحب الظلام تتجمع في سماء بلاده :

كل ما يستطيع الرجل الأبيض أن يفعله هو أن يقرر ما اذا كان يريد للحرية أن تسود بالوسائل السلمية ، أو بالنزاع المسلح ، وما يترتب عليه من اراقة للدماء !

وما أكثر المرات التي كان توتو يرى فيها الخطر قبل وقوعه .. قبل مذبحة شاربفيل ، ثم سوتو .. وغيرهما .. كان يحاول أن ينفذ بصوته من وراء الجدران العالية .. ولكنه لم يجد أبدا أذناً تسمع ولا عينا ترى !

بنك في القمر !

● متى تبدأ الرحلات الى القمر ؟ يؤكد العلماء أنه لن تمضي السنوات العشر القادمة ، أي قبل نهاية القرن العشرين ببضع سنوات ، إلا ويكون الانسان قد انتهى من بناء أول فندق مزود بالأوكسجين وبالجاذبية الاصطناعية ، حتى لا يجد النزلاء أنفسهم يسبحون في الفضاء المحيط بهم !

المهم أن الطلبات التي تنهال على المشتغلين بتنظيم الرحلات المقبلة الى القمر لم تعد مقصورة على حجز الأماكن في سفن الفضاء « للسياحة » ، فقد اتخذت الطلبات طابعا آخر اكثر جدية .. فقد تلقت السلطات المسؤولة في مدينة أوستن بولاية تكساس طلبا من « جمعية لامار للادخار » بالسماح لها بفتح فرع لها في القمر ، ويقول أحد كبار الرسميين في الجمعية : « خلال السنوات المقبلة سوف تقام المستعمرات في القمر وسيهاجر الناس الى هذا العالم الجديد ، وسوف يستقرون ويعملون هناك . ولكن سوف تمضي سنوات أخرى طويلة قبل أن يجد الوافدون الجدد مجالا ينفقون فيه أموالهم . ولا شك أنها ستكون فرصة مواتية للبنك الجديد لامتصاص مدخراتهم وتحويلها الى الأرض للاستثمار !!

عندما تلبس المرأة حذاء الرجل !

● تعرض الرجال في جمهورية اوزبكستان ، احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي لهجوم عنيف في صحيفة « ترود » السوفيتية ، والسبب كما قالت الصحيفة « أنهم أثبتوا أنهم اكثر الرجال كسلا » لماذا ؟ لأنهم لا يقومون بأي عمل على الاطلاق ، فهم يتركون كل الأعمال الشاقة للمرأة وحدها !

فقد اتضح أن عدد النساء في اوزبكستان يزيد على عدد الرجال بصورة ملحوظة .. وعندما يحدث هذا في أي مجتمع تختلط الأمور وتنقلب الأوضاع ، ومن هنا خرجت المرأة لتعمل في مختلف مجالات الصناعة ، حتى سائقي السيارات الثقيلة والأوناش الضخمة وعمال السكك الحديدية أصبحوا من النساء ..

أما الرجل في هذا المجتمع الغريب فهو إما موجود في البيت لرعاية الأطفال واعداد الطعام ، أو في الشارع أمام العربات الصغيرة التي يعدون فيها الفطائر ، وأكواب الليمونادة للعاملات الحسناوات !!



لغز الشقيقين !

● عندما نقل مايكل (١٦ سنة) الى المستشفى بمدينة نيويورك لاسعافه بالعلاج ، لم يكن يشكو شيئا . كل ما حدث أنه أحس بضعف مفاجيء أثناء زيارته لأصدقائه ، ثم سقط على الأرض مغشيا عليه .. ولكن مايكل ما لبث أن فارق الحياة بعد نقله الى المستشفى ببضع دقائق ، وسط حيرة الأطباء الذين لم يجدوا سببا واحدا لهذه الظاهرة .

ولكن القصة لم تنته .. فبعد ساعتين من رحيل مايكل ، وجد الأطباء أنفسهم أمام ظاهرة مثيرة للحيرة أكثر وأكثر ، فقد نقلت سيارة الاسعاف شقيق مايكل الأصغر « كريستوفر » وهو يصغره بخمس سنوات .

وقالت الأم وهي تبكي : « لا أدري ماذا حدث له ، لقد سقط كريستوفر على الأرض مغشيا عليه ،

وعبثا حاولنا أن نعيده الى حالته الطبيعية !

ـ وسأل الطبيب : « هل علم بوفاة شقيقه ؟

ـ وقالت الأم : « لا لم نقل له شيئا ! »

ـ ومتى حدث ذلك ؟

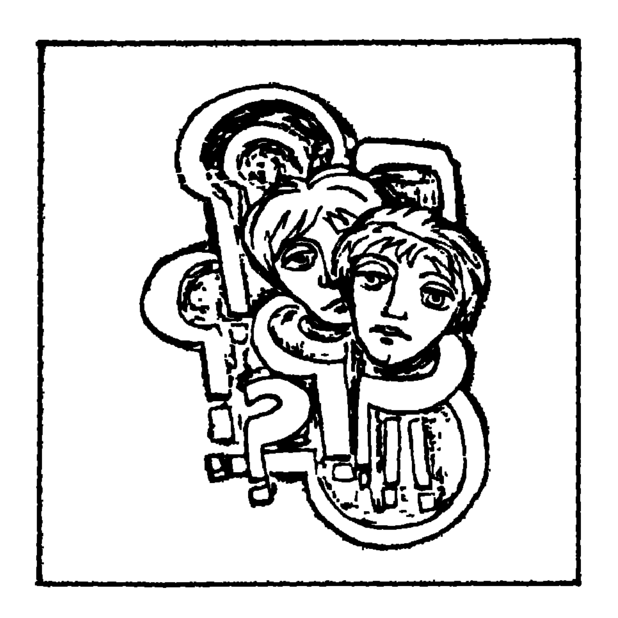
ـ منذ ساعتين تقريبا !

وكانت نفس اللحظة التي فارق فيها مايكل الحياة في المستشفى !

وجاء تقرير الطبيب الشرعي بعد تشريح جثة كريستوفر بأنه لم يجد أي شيء غير طبيعي يسبب هذه الوفاة المفاجئة !

ولم يجد الأطباء تفسيرا لوفاة الشقيق الأصغر ، غير أنه ربما يكون قد أحس بأن شقيقه قد فارق الحياة ، ولم يحتمل الصدمة . فقد كان الشقيقان متعلقين بعضهما ببعض ولا يفترقان أبدا . .

ولكن هذا التفسير أيضا كان مثيرا للحيره . . فلو أنهما كانا توأمين لما توقف أحد عند الحادث



وتساءل . . أما أن يكونا شقيقين بينهما خمس سنوات فهذا اللغز الذي يشغل الأطباء ، ويحاولون أن يجدوا له مبررا !

مصباح علاء الدين !

● الذين يقولون ان الكتاب بدأ يتوارى وراء شاشة التلفزيون ينسون أن بريق الصورة سرعان ما يخبو ، بينما تبقى الكلمة المكتوبة حية ابدا لا تموت !

يقول « لويس لامور » مؤلف مغامرات « الغرب الموحش » : إذا اكتشف المرء المتعة التي يجدها في القراءة والبحث عن المعرفة ، فلن يعرف الملل طريقه الى حياته يوما . . وعندئذ سوف يزداد ولعه بالقراءة مع كل كتاب جديد . . ان مكتبتي التي تحوي اليوم ما يقرب من العشرة آلاف كتاب ، هي « مصباح علاء الدين » الأسطورى . . فأنا استطيع من خلالها أن اعيش في أي زمن من التاريخ . . أستطيع أن اتحدث مع كبار المفكرين ، ومع الفلاسفة . . مع الخارجين



على القانون . . مع الملوك والملكات . . انهم جميعا هناك في بطون الكتب ، في انتظار قدومي . . ولا بأس من أن يكون الحوار من جانب واحد !

●

■ الزواج : هو الموضوع الوحيد الذي تتفق عليه جميع النساء .. ويختلف عليه بعض الرجال .

(اوسكار وايلد)

حلت الذكرى الخمسون على وفاة الشاعر التونسي (أبو القاسم الشابي) ومازال شعره وسيرته حتى الآن يلقيان متابعة واهتماما وبحثاً ودراسة .

والمقال التالي يتحدث عن (الثلاثية الخالدة في شعره) ، فما هي هذه الثلاثية ؟

الثلاثية الخالدة

في شعر أبي القاسم الشابي

بقلم : محمد الحبيب براهم

■ توفي الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي في التاسع من اكتوبر ١٩٣٤ عن عمر لا يتجاوز منتصف العقد الثالث ، وتعود ذكرى الاحتفاء المبكي لموهبة نادرة للمرة الخمسين ، فتبعث في النفس التأمل والامعان .

لقد أشبع الشابي نقدا وتحليلا من شعره ونثره ، من آرائه ومواقفه ، وتراوحت هذه الدراسات من المقالات القصيرة الى البحوث الأكاديمية ، الى المهرجانات والملتقيات المختصة في شأنه ، الا أن ما يستطيعه المرء في اطراقة رمزية تتماشى وما كان أثيرا عند الشابي من أسلوب في النظر والايحاء ، هو أن يصوغ للشاعر الرقيق باقة ورد بعيدا عن دقة تمحيص البحوث المتعمقة ، وجفاف استقصاء الجوانب النقدية لتراثه الفني في الأدب .

باقة ورد من وحي الخمسينية ، وعلى صفحات « العربي » الغراء نافذة حتما في عطرها لروحه التي كانت دوما تحسن عطاء الحياة . .

ثلاثية متماسكة الأطراف متفرعة الغصون إلا أنها روافد القلب الرئيسية عند شاعر الجريد التونسي الموهوب ، أبي القاسم الشابي . وهي وان لم تَعْدُ أن تكون معهودة باعتبارها متكونة من أغراض في القريض متداولة ، إلا أنها بتلاحمها في لا وعي وجدان الشاعر تلاحما مندمجا ، وبعنفوان وشفافية المعاني الواردة ضمنها ، وبسلاسة وحسن سبك الصور الفنية الموشيه لها من اخراج عفوي رقراق نافذ تمثل بحق عمق المعاناة وابداع الولادة .

الولادة دوماً ولادة في قاموس الزمن بشهورها المعلومة ومواصفاتها القادرة إلا أنه ما من بصمة مولود تشابه بصمة غيره من المواليد . . وبصمات هذه الولادة الشعرية ، رغم تأثرها بمواصفات اطار الشعر والشعراء ، ذات نكهة خاصة جعلت صاحبها رغم صغر سنه ، وتدرجه الأدبي الغض يبرز بروز العلامة المضيئة ، ويحتفظ الزمن بالبريق فلا تطفئه عوامل الدهر ، ولا تغيره الأحوال ، وخصوصاً موجات



التعتيم والتأويل .

الأرض والطبيعة والمرأة هي العروة الوثقى المتلاحمة في قصائد الشابي ، من تناغم وتكامل وتزاوج يستمد إكسيره من واقع انساني لا ينضب معينه ، ونفسية مشتعلة في نعومة واستحياء وغاص فني منصهر الاقتباس .

البعد الثوري

هي المنطلق في الأعماق ، كرامة الأرض وعزة الوطن فلا يهدأ شاغل في النفس ، وفي الدماء تسري بذرة الأرق من الظلم يهرق الكرامة ، والاستعمار يدنس الوطن ، ويتصاعد النشيد السرمدي متجاوزا كل كفاح محدود ، أو رقعة ضيقة ، أو وقائع بالذات ، ممجدا العصارة الانسانية في فن الجهاد في سبيل الأرض وأصول المعاناة الشعبية الملحمية في ميادين الذود عن الحمى وصون الذاتية :

اذا الشعب يوما أراد الحياة
فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلي
ولابد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر في جوها واندثر

وفي أطوار معاناة الشاعر لجوانب هذه القضية ، فصولٌ قوامها التمزق من الواقع المرير ، والأخذ والرد بين اليأس والترقب ، والتقلب بين الانطواء والغروب والتوثب والمواجهة . فهو الثائر . .

خلقت طليقا كطيف النسيم
وحراً كنور الضحى في سماه
تغرد كالطير أين اندفعت
وتشدو بما شاء وحي الاله

وهو الجريح المهزوم . . .

في صباح الحياة ضمخت أكوا
بي واترعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك فأهرق
ت رحيقي ودُستَ يا شعب كأسي

وهو الصادح على أفنان أشعة الأفق . .

سأعيش رغم الدّاء والأعداء
كالنسر فوق القمّةُ الشمّاء
أرنو الى الشمس المضيئة هازئا
بالسحب والأمطار والأنواء

وهو المحلق على ربوة المستقبل بشفافية الوثوق والايمان . .

ان ذا عصر ظلمة غير أنيّ
من وراء الظلام شمت صباحه
ضيعّ الدهر مجد شعبي ولكن
ستردّ الحياة يوما وشاحه

ويتجاوز غيبوبة الحلم وسراب الأمل ، محددا لون الدرب وماهية الخلاص . .

أنت في الكون قوّة لم تسسّها
فكرة عبقرية ذات بأس

ولا يقر قرار لنفس أبي القاسم الشابي في هذا الشأن ، فالواقع مر والأفق غيم للنظر ، وشمس للقلب ، ولا يملك الشاعر إلا أن ينطوي وصداه كامن في الجيل الموعود . .

الطبيعة واحة الشابي

هي المنبع والملاذ ، هي الرمز والمفتاح ، هي الجمال المصفى والانسياب المنتشى ، هي واحة الاطمئنان والسلوان . .

تلك هي الطبيعة في وجدان الشابي يتغزل بها ويذوب فيها ، يستلهم منها يتعشقها ويفنى في ذرات مكوناتها فناء الصوفيين في غيبوبتهم .

فالطبيعة عنده جمال وبراءة وعفوية ، تنساب صورها رقراقة كالخيال المراهق :

كم من عهود عذبة في عدوة الوادي النضير
فضية الأسمار مذهبة الأصائل والبكور
كانت أرق من الزهور ومن أغاريد الطيور
وألذ من سحر الصبا في بسمة الطفل الغرير

وهي في نفسه معبر للرموز الفلسفية تحوس وتبحث وتحتار وتتشكل في صور نفاذة تتراوح بين اليقين والعزم حينا والاعراض المرير حينا آخر . .

هو الكون حيّ يحبّ الحياة
ويحتقر الميْت مهما كبر
فلا الأفق يحضن ميت الطيور
ولا النحل يلثم ميت الزهر
وقال لي الغاب في رقة
محببة مثل خفق الوتر
يجيء الشتاء شتاء الضباب
شتاء الثلوج شتاء المطر
فينطفيء السحر سحر الغصون
وسحر الزهور وسحر الثمر
يغني الجميع كحلم بديع
تألق في مهجة واندثر

وهي قيثارة الوجدان يلجأ اليها في حالات اليأس وحسرته ، وانتشائه وانطلاقه ، ويندمج معها اندماجا كليا ، وكأنها اكسير الأمة وعصارة آماله :

وشف الدجى عن جمال عميق
يشب الخيال ويذكي الفكر
ومد على الكون سحر غريب
يصرّفه ساحر مقتدر
ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا
بعيدا بوحدتي وانفرادي

أصرف العمر في الجبال وفي الغا
بات بين الصنوبر المياد

ومهما تكن المؤثرات الثقافية والنفسية التي وجهت الشابي نحو طرق هذا الغرض الشعري فان هذا الانصهار العجيب بين الشاعر وبين الطبيعة يمثل نموذجا من الظواهر الأدبية الثرية بمدلولاتها وايحاءاتها .

إن الشابي بحساسيته المرهفة ووجدانه الشفاف ونفسيته المتنازعة بين شتى العوامل الخاصة والعامة ، وبحثه المتعطش عن واحة لعواطفه المتأججة ، ومشاعره الثائرة ، وتوقه الى المنبع من الجمال والأرض والكون ، لم يستعذب من خلال صوره الشعرية المنسابة الا عناق الطبيعة في أوج فتنة ايحاءاتها وأروع مظهر مدلولاتها ، ومن دلك نعرض ما يشفي الغليل عنده من خلال رمزه المختار ضمن أروع رموز الطبيعة.

المرأة والرمز

هي رمز الرموز ونقطة تزاوج المقاييس والأبعاد ، يحمله الشاعر اد يحدث عنها الى عوالم زاخرة بالمواصفات الجمالية المخملية ، فينتابه خدر لذيذ ، ويسترخي منه الوجدان ، وتنصهر الأحاسيس ، وتسلس القياد الى المخيلة الجموح في رحلة حريرية الدرب : ـ

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسماء الضحوى كالليلة القمراء كالورد كابتسام الوليد
أنت دنيا من الأناشيد والأحلام والسحر والخيال المريد
أنت فوق الخيال والشعر والفن وفوق النهى وفوق الحدود

وتتجاوز اللفظة المنسابة عتبات الحس والغزل والصورة الأنثوية والعرض الدنيوي لتحمله الى عبق سرمدي مبتل :

يا ابنة النور انني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود
فالاله العظيم لا يرجم العبد اذا كان في جلال السجود

فاذا الشاعر يتعبد في محراب الجمال ، يبحث لقلبه عن سلوى ولقريحته عن موطن الهام حي ، وقد عز نبض الواقع المرير الى أن كاد يتلاشى صداه ، فلا يجد القلب الفنان والقريحة المشبوبة الا المرأة الرمز خدينا في الوحدة ومعبرا للحياة ، وجسرا للطبيعة ، واكسيرا سحريا موقظا للانسان ان شاء،أو معبد تأمل وتبتل وتعويض حالم ان رام الانطواء الى حين .

وتبدو الصور الشعرية الحبلى عند الشابي مصمخة بهذا الرمز الأنثوي الخالد ، في اطار من الطبيعة المسفرة عن كوامنها لتلامس جميعها الأرض والطبيعة والمرأة ، أعمق محركات الوجدان البشري من عواطف وقيم ، وتصور بتلقائية أخاذة مُيسرة ، التوق نحو معادلة الاطمئنان والانتشاء من النفس الواعية الحساسة ، التي يؤرقها الشعار الحرين :

والشقي الشقي من كان مثلي
في حساسيّتي ورقة نفسي

الثلاثية الجمالية

لا ريب أن تفاعلا من هذا القبيل بين الشاعر وكل عنصر على حدة ، يخلق نسيجا موحدا ، يتلون حسب المُعْبَر الذي تقتبه الصور ، ويطل في أعصاء كلياته ثريا بفروق جزئيات التعبير والصياغة ، الا أنه من زاوية تجميع الخيوط يؤكد الالتحام . .

انها ثلاثية مرتبطة في نفس الشاعر قبل أن تظهر للوجود في شكل قصائد متنوعة الأعراض لأنها مصهرة المكونات في ذاته ، انصهارا نابعا من المعاناة التلقائية والبوح المستلهم ، فهو ينشد من الحياة الأرض المغمسة بأصالة الكرامة وشرف المجد ، وتتعثر الرؤيا ويغبر الواقع فيلوذ بالطبيعة وكأنه الهارب المستخذي أو المتعبد المستوحي ، ويبتدع من الأرض والطبيعة رمزا يناجيه ، ويجهش تارة حزنا رومنطيقيا على صدره ، وينساب شفافية حريرية أنيقة حينا آخر ، فينسى من الرمز نفسه ويذيب واقعه وتولد عنده المرأة الرمز ، تتجسم فيها المثل والقيم والجماليات والأرض والوطن والطبيعة والحياة ، ونلامس عندها أعمق ما في أعماق مشاعر أبي القاسم الشابي ، وأدق ما في خصائص فنه الشعري . فالمنبع والمصب عنده ضيقان فسيحان ذاتيان انسانيان منفصلان ملتحمان ، يتغذيان من شمعة ليكتشفا دوما شمسْ الأفق .

ولئن اعتبرت هذه الملامح النفسية والفنية الابداعية علامة موهبة شعرية متميزة اذا ما تناولناها بمقاييس النقد الأدبي ، فانها ذات ايحاءات أبعد وأعمق إذا ما تطرقنا إليها من منظار حضاري أشمل .

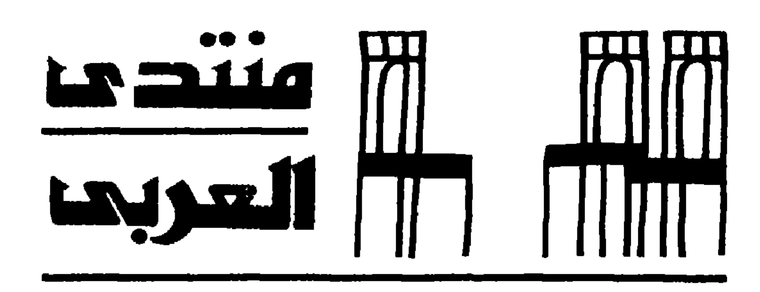
فالشابي في تونس وفي أقطار المغرب العربي الكبير ، مؤشر وعنوان . هو مؤشر لبوادر أحداث ، وعنوان لبدء مرحلة حاسمة .

فالمنطقة في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين تعيش حالة ركود وخمول ، يطغى الاستعمار ويعم الفسق وينتشر التواكل الفكري وينام الزمن . وتتفاعل في خضم الديجور دعوات الاصلاح الديني والاجتماعي هنا وهناك ، وتدب اليقظة على استحياء ، فتبلغ أصداؤها المتباعدة النفوس الحساسة المرهفة المحيطة بها وتنطلق . . والشابي صوت من هذه الأصوات لمس الواقع وبلغته الأصداء ، وتوجه بروءياه الى الأفق المأمول ، فسابق الزمن بصوره الشعرية القافزة على حدود المكان والزمان ، مستكنها عوالم جديدة رحبة ذات اشعاع وعمق وحياة حية .

فلا غرو إن كان واحداً لامس وتر الإيقاظ والإبداع الفني ، ومهد من خلال ديوع مفاهيمه الوطنية ومعانيه الانسانية ، وقوالبه الفنية الصقيلة الى ما يتسنى اعتباره التهيئة الفكرية والأدبية المثلى للمراحل العملية السياسية والاجتماعية التي ستعقب فترة الركود هذه .

فالأديب ضمير الأمة ونبضها الحضاري ، يسبق الزمن ويشم ما في جعبة الدهر ، ويعاني المخاض ويمهد أرضية الأعداد النفسي والوجداني ، وعلى الدنيا أن تلد بعد ذلك فهي الحبلى ، وأبو القاسم الشابي من هذا المعدن الذي نجد نماذجه النادرة في منعطفات التاريخ .

فهو في ذاته منعطف في الذاتية الوجدانية ، وهو في جيله منعطف لنمط حياة وطريقة عيش ولون رؤيا ، وهو في زمانه مؤشر لآفاق وعنوان لرحلة نهضة حضارية ، بدأت ملامحها ترتسم وقتها على الجباه العربية السمراء في كل مكان مذكرة بأن طيور البحر تسبح في الفضاء بسرعة ، إذا ما اذن الموج بالتمطي وبأن الكلمة اذا ما شمرت عن سواعدها فانها ايذان حضاري ولو بدت أحيانا متلفعة بقفاز حريري . □



قضية

حرب السينما والفيديو .. والمواقف العربية

بقلم : صلاح دهني

مع افتتاح مهرجان « كان » السينمائي الدولي العام الماضي كانت هنالك احداث موازية يجري بعضها في العلن ، وبعضها كان يجري فيما يشبه الخفاء . وتدل كلها على تحرك غير معتاد في الحال السينمائي .

..... فما هي طبيعة ذلك التحرك ؟

في قصر الاليزيه بباريس استقبل فرانسوا ميتران رئيس الجمهورية الفرنسية المخرج الايطالي الكبير فدير يكو فلليني وقلده وسام جوقة الشرف وقبيل دلك كان جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي يقلد في طوكيو المحرج الياباني الكبير اكير اكيروساوا ، الوسام نفسه .

وقد تبين فيما بعد أنه في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تحتفى بالسينما والسينمائيين فتقدم لهم أرفع أوسمتها ، كانت كذلك تعمل على جبهة ثانية من أجل ازدهار السينما في بلادها وفي أوروبا وتخليصها من الازمات التي تعصف بها .

ففيما كان الصحفيون والنقاد يحتشدون في كان » والمصورون يتدافعون بالمناكب ، والفنانات يمارسن الضغوط عبر فتنتهن المشرقة والطاغية ، والافلام تتوالى على الشاشات ، والاعلانات الضخمة في الشوارع تسيل اللعاب وتفتح القابليات ، كانت أمور اخرى تجري فيما يشبه الخفاء .

خطة المواجهة

فللمرة الاولى منذ بداية القرن كان ثمة اجتماع جد خاص يجري ذات صباح ضمن قاعة صغيرة يحضره ممثلون عن جميع الروابط المهنية السينمائية في اوروبا ، وكان الامريكيون يحومون حول القاعة يتشممون مايجري خلف جدرانها الكتيمة (ولو لبعض الوقت) . والحقيقة التي استبانت هي ان لاجتماع جرى من أجل الاتفاق على سياسة أوروبية مشتركة في حقل السينما وحقل الوسائل السمعية البصرية بشكل عام . وما كان الاجتماع ليتم لو لم

تشعر كافة الجهات بوطأة الضغوط التي تمارسها السينما الامريكية على السينما الاوروبية فتكاد تخنقها ، سواء على مستوى الاستثمار بالعروض في الصالات العامة ، أو في محطات التلفزة ، كما ان المستجدات التقنية في نشر الصورة وبثها باتت عبئا ثقيلا على فن السينما يكاد يقضي عليها بدل أن يدعمها . وعلى سبيل المثال أدىّ سماع ايطاليا بتعدد اقنية البث التلفزيوني باشراف وتوجيه القطاع الخاص ، الى هبوط مستوى التردد على صالات السينما في فترة عشرة اعوام من ٥٠٠ مليون - كما تقول الاحصاءات الرسمية الى ١٩٥ مليون مشاهد . وفي المانيا الغربية هبط العدد من ٢٠٠ مليون الى ١٢٥ مليون مشاهد بسبب الفوضى في استخدام الفيديو . وحدث الامر ذاته في اسبانيا التي باتت تعاني من مشكلات الفيديو العسيرة الحل . وهذا كله دون الكلام عن سوعية الافلام والبرامج والمسلسلات ومستوياتها . على ذلك أخذت دول أوروبا تعي ضرورة وضع استراتيجية دفاعية واقامة جبهة مشتركة . وسياسة الصورة المقترحة التي بحثتها المنظمات المهنية تدور حول أربعة محاور رئيسية نرى أن نوردها لعل فيها ، أو لبعضها ، فائدة ما لقادة الاعلام العرب .

أولا : فرض جدول زمني على نشر الفيلم . فأيما فيلم يجب استثماره أولا في الصالات ، ثم في الفيديو ، ومن بعد في شبكات التلفزيون الخاصة بالاشتراكات . . ومن بعد فقط عن طريق الوسائل الاخرى . ويتوجب وضع فواصل زمنية لحماية كل مرحلة .

ثانيا : تكثيف الكفاح ضد القرصنة ، وخصوصا عن طريق تشديد العقوبات .

ثالثا : وضع أنظمة لدعم الانتاج السينمائي بالمال العام ، وكذلك بفرض نسبة تستوفى من استثمار الفيديو وشبكات التلفزة بالكامل ، ومع تشجيع الانتاج المشترك .

رابعا : اقامة نظام كوتا للافلام الاوروبية يفرض على شبكات التلفزة الاوروبية على صورة مايجري في فرنسا ، اذ يفرض القانون على التلفزيون عرض ما لايقل عن ٦٠٪ من الافلام الاوروبية ، منها ٥٠٪ افلام محلية . وفي مثل هذا النظام حماية مؤكدة في مواجهة خصم شديد البأس يتمثل في الانتاج الامريكي الذي هو - عمليا - سيد الموجات ، كما هو سيد صالات العرض السينمائي في أوروبا الغربية كلها .

الجفاف الذهني

ترى هل ستظل تلك كلها في حيز الامنيات ، أم انها ستأخذ طريقها الى التنفيذ ؟ لا احد يدري الى أية درجة ستكون الضغوط الامريكية فعالة لافشال كل مخططات الحماية الاوروبية . غير انه بات من الواضح لدى العديدين من المسؤولين في اوروبا وكذلك في العالم - اليوم اكثر من أي وقت مضى - ان المرحلة التي بلغها النمو التقني وتعدد وسائل بث الصورة ، باتت تقتضي وضع قواعد واضحة للعبة ، والا فانها ستنقلب الى مغامرة غير مضمونة النتائج . . وقد تسوء الحال مستقبلا بهذه الصنابير المتعددة لصب الصورة ، فتبلغ مرحلة الجفاف الذهني والايذاء البالغ .

وما من ريب في أننا نحن المحكومين في العالم الثاني عموما بمتابعة برامج التلفزة في بلادنا (دون سواها في اغلب الاحيان) نعي اكثر من غيرنا معنى هذا (الجفاف) وبالتالي فيجب ان تستبد بنا الحاجة اكثر من غيرنا لدعم المؤسسات السينمائية الوطنية في مجال الفيلم الروائي والفيلم التسجيلي كممون رئيسي لمحطاتنا التلفزيونية المحلية .

ولقد أتيح لي بعد عودتي الى دمشق ، أن اتابع مراحل هذا الصراع الذي تتواجه فيه دول أوروبا مع صناعة السينما وصناعة التلفزة الامريكية ، عبر المجلات والصحف وبعض النشرات الفرنسية التي توزع في بعض اقطارنا العربية ، وكذلك عبر بعض الاتصالات الشخصية . وقد شغفني الموضوع لما يمثل من خطورة بالغة في مجال فنون الاتصال . وازداد اهتمامي بسبب متابعتي للمستجدات في فنون نشر الصورة وهي توشك على الامعان في تحطيم ميزان القوى بين أوروبا وامريكا من جهة ، وبين العالم (غير الاشتراكي) وامريكا من جهة أخرى . ذلك ان اليوم الذى تبث فيه برامج التلفزة عبر المحطات الفضائية الامريكية بنحو خاص لتعم العالم كله ، لم يعد بعيدا .

فاذا كنا نحن المتربعين في عالمنا الثالث لانعرف كيف نواجه بالبحث والدراسة والتشريع والانتاج مشكلات الصورة اليوم ، وهي نسبة محدودة الاثر حتى الآن . . . فكيف يا ترى تواجه اوروبا على صعيد البحث والدراسة وعلى صعيد التخطيط فالعمل تلك المشكلات ؟ علما بأننا حين نقول « الصورة » فانما نعني صورة الفيلم وصورة التلفزة وصورة الفيديو وما سيلي ذلك من صورة الديسك وآخر المستحدثات : التليتكست . . !

تنسيق الخطوات

يبدو أن اكبر الناشطين في هذا المجال هو وزير الثقافة الفرنسي السيد جاك لانج فقد بادر - اضافة الى تحركاته الاخرى . منذ شهر ايار (مايو) الماضي - الى دعوة السيد جاك فالنتي المسؤول عن الرابطة المهنية للسينما الامريكية لحضور مهرجان«كان السينمائي الدولي»وعقد معه عدة اجتماعات تناولت القضايا الاساسية ، قبل ان يتوسع الموضوع ويتشعب فيشمل في مرحلة تالية دول الجماعة الاوروبية كلها .

بحث الرجلان البارزان أول ما بحثا موضوعا يشغل بال الجهات المنتجة في العالم كله ، ألا وهو موضوع القرصنة وقد قررا « العمل على تطوير الوسائل الضرورية لحماية الاعمال السينمائية من أجل الحد من الضرر البالغ الذي تمثله القرصنة في مجال الوسائل السمعية البصرية على المستوى العالمي » وقد وصف جاك فالنتي القرصنة بأنها « سرطان السينما) وقدر الخسائر الناجمة عن القرصنة بالنسبة للسينما الامريكية وحدها بمليار دولار في السنة الواحدة . واتفق الطرفان على ان التوسع في مجال الانتاج السينمائي الوطني في كل بلد شرط للتوسع المتوازن في مجال المبادلات الدولية . وفي النهاية أعلن وزير الثقافة الفرنسي بأن « أوروبا السينمائية ليست سلاح حرب ضد الولايات المتحدة ، بل هي على عكس ذلك سلاح حياة . فيقظة سينمات أوروبا ضرورية للسينما الامريكية بشكل خاص »

وفي الشهر التالي ، حزيران (يونيو) عقدت في « قصر الفنون » بمدينة ميونيخ في المانيا الغربية ندوة عامة دارت حول الموضوعات الاساسية التي تقلق ذهن الفئات المثقفة في أوروبا في مجال الوسائل السمعية البصرية . وشاركت في الندوة لجنة الثقافة في البرلمان الاوروبي ، والمجلس الاوروبي ، وممثلون عن السلطات السينمائية في بلدان أوروبا ، وممثلون عن صناعة السينما والمخرجين الاوروبيين ، وأعلن في حينه رسميا بأن الندوة تنظم بدعم من لجنة « الجماعة الاوروبية » ، وأنها قد وضعت تحت رعاية رئيسها غاستون ثورن (المعروف في اقطار الوطن العربي بسبب زياراته المتعددة لها خلال السنوات الاخيرة)

وقد تضمن حفل افتتاح الندوة مدخلا قدمه رئيس الاتحاد الاوروبي لمخرجي الوسائل السمعية البصرية ، وتقريرا قدمه جاك لانغ وزير الثقافة الفرنسي . ودارت المناقشات حول الموضوعات الاساسية التالية :

- هل ننتج أم نستهلك . . من أجل استقلالية الانتاج الاوروبي .
- أقنية التوزيع الاوروبية
- من يملك وسائل الاتصال الجديدة ؟
- المهمة الثقافية للدولة ذات السيادة ، هل تنسحب على الوسائل الجديدة ؟
- الوسائل الجديدة : امكانات جديدة لعرض الفيلم

ومن تحليل هذه الموضوعات يستشف الاحساس بالخطر الذي يمثله الانتاج القادم من خارج القارة الاوروبية ، على الانتاج الاوروبي ، وعلى المواطن الاوروبي . انها تمثل ضربا من قرع ناقوس الخطر : بما يمثله الانتاج من جهة ، أو بما تمثله عملية انفلات الوسائل الجديدة (وفي مقدمتها الفيديو) وخروجها على سلطة الحكومات وأنظمة الرقابة ، وضرورات الاقتصاد . والغاية النهائية هي العمل على توحيد الجهود ، وايجاد نوع من الانسجام في السياسات والتشريعات الثقافية في مجال الوسائل السمعية البصرية بين دول الجماعة الاوروبية .

وفي شهر حزيران (يونيو) ذاته وبتحريك من جاك لانغ نفسه كما يبدو ، عقد وزراء الثقافة في دول الجماعة الاوروبية اجتماعا خاصا في اللوكسمبورج ، استمعوا فيه الى تقرير قدمه لانغ بعنوان « تدابير تحذيرية للادارات والشركات للكفاح ضد الامتداد الدولي للقرصنة ، وكذلك تنسيق التشريعات لتنظيم عمليات الكبح .

وقد أعقبت التقرير مناقشات شاملة حول التدابير المقترحة ، وحول مجمل المشكلات التي يطرحها توسع وسائل الاتصال في عالمنا الحديث .

وآخر ماتم في هذا الموضوع هو عقد المؤتمر الدولي الذي دعت اليه فرنسا وامريكا مشتركتين في باريس خلال خريف ١٩٨٤ لمناقشة قضايا القرصنة بالتفصيل في مجالات الوسائل السمعية البصرية . . وشاركت في المؤتمر مشاركة اساسية وفعالة الادارة العامة للانتربول » البوليس الدولي .

مطلوب موقف عربي

ان مجرد ايراد هذه الوقائع ـ التي حدثت في غضون شهور معدودات فقط ـ كاف بذاته لتبيان ماتوليه الدول المتقدمة من بالغ الاهتمام بفن الصورة المتحركة الناطقة كوسيلة ثقافة وتربية وتوجيه ، في المجتمع المعاصر . وفي الظن انه قد طالت غفوتنا واستدامت غفلتنا عن خطورة هذا الفن فتركناه نهبا للناهبين ومصدر تكسب لجهلة المتكسبين وكسالى الاداريين على حساب عافيه وذوق ووعي الجماهير العريضة في طول وطننا العربي وعرضه . وقد آن الاوان لكي نجتمع على رشاد فنبحث شؤونه من مناحيها كافة ، انتاجا وتوزيعا وتبادلا ، ضمن اطار الجامعة العربية واتحاد اذاعات الدول العربية ، والمؤسسات والهيئات الحكومية المتخصصة والنقابات ، وبالتعاون مع منظمة اليونسكو التي اجتمعت لديها خبرة واسعة في شؤون الاتصال وقضاياه في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء .

ولنا فيما نفعله أوروبا مثال طيب نقتدي به . ونحن أجدر بالسعي ، ومؤسساتنا المنتجة والباثة والموزعة أحوج الى الاصلاح والدعم ، وجماهيرنا ومبدعونا أولى بالرعاية . □

منتدى العربي

تعقيبات

البث التلفزيوني والانسان العربي

الرأى ، والرأى الآخر . . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

حول قضية الاعلام فى الوطن العربى « وماذا أعددنا لمواجهة البث التلفزيونى الأجنبى بالأقمار الصناعية » والمنشور بالعدد ٣٠٧ (يونيو ١٩٨٤) نعرض هذا الرأى .

■ تحاول مجلة « العربي » تنبيه العرب الى الخطر من انتشار البث التلفازي عبر الأقمار الصناعية . وهي صادقة في محاولتها ، مخلصة لمهمتها الاعلامية والثقافية،على الرغم من أنني مؤمن أنها تعلم علم اليقين أننا ـ نحن العرب ـ أبناءالحاضر ، وليس للمستقبل هامش كبير في تفكيرنا وسلوكنا وخططنا . واكاد أقول اننا سنواجه الغزو الثقافي التلفازي دون أن نعد له شيئا . وهذا الكلام لايستند الى التشاؤم ، وانما يستند الى الحاضر العربي ، لأن المستقبل ابن الحاضر وليس مصادفة سعيدة أو قدرا لافرار منه .

فلتمض مجلة العربي في التحذير من الخطر الثقافي الوافد الينا عبر الاقمار الصناعية ، ولتحاول ـ ماوسعها الجهد ـ اثارة أولي الامر والرأي العام تلك مهمتها وهذا شأنها ، ومن دون ذلك تخسر موقعها العربي المتميز وصوتها الحر . الا أن رؤيتي لطبيعة الحاضر العربي تمنعني من التفاؤل ، وتقودني الى القول ان هذا الحاضر خال من أي اعداد للغزو الثقافي التلفازي عبر الاقمار الصناعية . وأود هنا توضيح رأيي في لفظة « الاعداد » . اذ انني افهم دلالتها فهما خاصاً بوسائل الاعلام العربية ، وفهما آخر اجتماعيا سياسيا خاصا بالانسان العربي . والأمران عدى متكاملان ، يقود أحدهما الى الاخر . فوسائل الاعلام العربية مشغولة بتوطيد النزعة الاقليمية ، حتى ان كل دولة عربية باتت تخشى الدول العربية (الشقيقة) المجاورة لها أكثر من خشيتها الدول الاستعمارية .

واذا كنا نتحدث عن الاعداد للغزو الثقافي فلتحاول برامجنا في كل قطر بناء الانسان العربي من الداخل بناء متينا ، بحيث يغدو منتميا الى امته ، مؤمنا بتراثها ، عاملا على تحسين حاضرها والتهيئة لمستقبلها . ومن دون ذلك يسهل على المستعمرين ، وغيرهم ، تفتيت هذا الانسان بوساطة البث التلفازي وغيره . وليس ببعيد عنا ما أشاعته « اسرائيل » من ثقافة عدمية بين العرب الفلسطينيين في الارض المحتلة ، بغية تفريقهم من الداخل ليسهل عليها ضربهم من الخارج ، حسب تعبير غسان كنفاني رحمه الله . وكان الرد العربي ـ آنذاك ـ تعزيز الثقافة العربية في برامج التعليم ، بغية تحصين الانسان العربي الفلسطيني من الداخل ليسهل عليه مقاومة الاسرائيليين من الخارج . اي أن غرس القيم الأصيلة هو الوسيلة المختارة لتحصين الانسان من اي غزو ، سواء اكان الغزو سياسيا ام ثقافيا ام عسكريا . وفي المقابل ، يكون القهر معينا للثقافة الاستهلاكية على توهين الانسان والسيطرة عليه ، سواء أكان القائم بذلك عربيا ام مستعمرا .

هل حاولنا بناء الانسان العربي ، ام اننا زدنا عدد المعتقلات والسجون ، وبالغنا في تكميم الافواه ومصادرة الاراء ؟ هل ساهمت وسائل الاعلام العربية في تحريض الانسان على رفض القمع والقهر والسجن ، وشجعته على المواجهة الصادقة والرأي الموضوعي والنفرة من الظلم والظالمين . . ام أنها جعلت نفسها اداة طيعة في حدمة القاهرين والراغبين في زج الانسان العربي في قمقم التخلف والرضوخ ؟ وقد يخلص المرء من معرفته للحاضر العربي الى نتيجة بديهية هي أن الانسان العربي ، في هذه الفترة اكثر استعدادا لتقبل الثقافة الاستهلاكية التي ننتظر من البث التلفازي الاستعماري اشاعتها بيننا .

لاخوف من البث التلفازي عبر الاقمار الصناعية مادام لدينا من يكافح بناء المدن الترويحية ودور الاوبرا والمراكز الثقافية ، مدعيا الحرص على مصلحة الوطن والمواطن ! ذلك أن هذا البث لن يؤثر فينا بأكثر من تأثيرنا في انفسنا . كما أننا في الوقت نفسه نرفض أن نقول للبث التلفازي عبر الاقمار الصناعية : اهلا وسهلا ، فما زال بيننا من يستنكر ويصرخ ، ومازالت فينا بقية من حياة . لكن موقعنا وموقع هذا الصارخ المستنكر ، خارج دائرة الفعل والسلطة .

هل تنفع الكلمة في كبح السعي العربي الى تفتيت الانسان وهلهلة نسيجه الداخلي ، وتخفيض نسبة الاقليمية والقتال العربي ـ العربي ؟ . . لابد من بقائنا مؤمنين بقدرة الكلمة على التغيير ، دون أن ندخل دائرة التفاؤل المجاني البعيد عن الواقع العربي . هيا نستنكر اذن ، مستفيدين من الهامش الضيق المتاح لحرية الكلمة . □

سمر روحي الفيصل

حول المقاومة الفلسطينية

اطلعت على ما كتبه الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى في مجلة العربي العدد/ ٣٠٨ (يوليو ١٩٨٤) تحت عنوان « المقاومة الفلسطينية من ١٩٣٦ - ١٩٤٨ » .

وفي الوقت الذي أشكر فيه الكاتب على عنايته وحرصه على القضية الفلسطينية ، الا اني باعتباري ممن ساهم بقسط وطني متواضع في هذه الحقبة من القضية الفلسطينية أود أن أوضح بعض الملاحظات التي تحتاج الى أن توفى حقها :
يقول الكاتب في مقطع من مقالته ما يلي :

« فالمجموعات المقاتلة العربية كانت تحارب اليهود وحكومة الانتداب في الوقت الذي كانت تضرب فيه العناصر المتمردة أو ذات العلاقة باليهود ، أو ذات الاتجاه المخالف » .

والحقيقة هي أن الثورة الفلسطينية كانت تضرب فقط الجواسيس ، وباعة الأراضي ، وهؤلاء لم يكن ضربهم أو تصفيتهم يجري اعتباطا ، بل كانوا محكومين بالآية الكريمة « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أن يقتلوا ، أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » فكانت الثورة اذن تأخذ بالمادة الأخيرة من الآية الكريمة ثم تكرر الانذارات لمرات ثلاث ، وبعدها تجري المحاكمة ، واصدار الحكم العادل ، وكانت هذه المحاكم تعتمد على الفتاوى الدينية ، التي كان يصدرها العلماء والمفتون ، أمثال المرحوم الشيخ العلامة كامل القصاب ، وهو من المجاهدين السوريين المشهورين بالجهاد والعلم والتقوى والورع ، وهو ممن التجأ الى فلسطين من الانتداب الفرنسي .

أما النقطة الثانية التي طرحها الكاتب الدكتور أحمد فيقول فيها : « وقد بدأت خطة الهجوم في (مايو ١٩٣٨) بتشكيل دوريات - أوردي ريجنت - ، الليلة الخاصة التي كانت بمثابة رأس حربة في الهجوم على مجموعات الفدائيين العرب ، وما ان وافى (ديسمبر ١٩٣٨) حتى كان الجيش البريطاني قد أحكم سيطرته على البلاد ، وكان رمز انهيار الثورة هو استشهاد القائد عبد الرحيم الحاج محمد في (٢٥ مارس ١٩٣٩) في قرية صانور ، وحين اندلعت الحرب العالمية الثانية كانت الثورة الفلسطينية قد قضى عليها تماما .)
وللحقيقة نقول ان الثورة الفلسطينية لم تنته أو تمت ، بل خمدت وفترت في بعض المناطق ، وتجمدت في البعض الأخر .

أما الذي أربك الثورة الفلسطينية ، وجمد الكثير من المناطق ، فكان اعلان الحرب العالمية الثانية والحلف غير المقدس بين الحكومتين الاستعماريتين المنتدبتين على المنطقة ، وهما بريطانيا وفرنسا .

ونتيجة للحرب المذكورة ، أغلقت سلطات الانتداب الفرنسي حدود سورية ولبنان والأردن مع فلسطين ، وهكذا حوصرت الثورة الفلسطينية من الجهات الثلاث ، أما الجهة الرابعة فقد كانت حدود الشواطىء البحرية . وبهذا انقطعت الامدادات عن الثورة الفلسطينية ، حتى الجرحى لم يعد بالامكان تيسير سفرهم الى الأقطار العربية المذكورة للعلاج والمداواة ، مما أدى الى وفاة هؤلاء الأبطال تحت وطأة فقدان الأطباء والأدوية ، وفي المغاور والكهوف وبيوت الشعر . وبالاضافة الى كل ذلك ، فان قيادة الثورة الفلسطينية كانت محاصرة في مدينة دمشق ، بعد أن تعذر عليها - كما كانت تفعل سابقا - الانتقال ، حسب طبيعة المعارك الى لبنان والأردن .
وللذكرى والتاريخ فان المساعدات التي كانت تأتي الى الثورة الفلسطينية في دمشق من الهيئة العربية العليا كانت عن طريق المؤرخ العربي الكبير المرحوم المجاهد محمد عزة دروزة . □

ابراهيم الشيخ خليل

باكستان .. واللغة العربية

في كلمة للأديب الفاضل الاستاذ محمود أحمد غازي ، نشرت في العدد ٣١٠ من العربي ، جاء ذكر اسمي في مقال « في سبيل نشر اللغة العربية في باكستان » ، ولذلك أرى من واجبي اتماما للفائدة أن أعلق على هذه الكلمة المختصرة بما يفيد :

كانت فكرة تعريب باكستان تراود زعماء هذه البلاد منذ فجراستقلالها ، ولم يكونوا يريدون أن يجعلوا العربية لغة البلاد الثانية ، بل لغة البلاد الأولى ، وأن تكون باقي اللغات لغات محلية كما حدث في مطلع الاسلام ، اذ استعرب كثير من البلاد وانصهر في العروبة وأصبحت لغاتها اقليمية ، لان في تعريب البلاد حسم كثير من المشاكل الاقليمية فمن المعلوم أن باكستان يوم تأسيسها كانت مؤلفة من باكستان الشرقية وباكستان الغربية ، وفي البلاد لغات كثيرة منها الاردية والبنجابية والبلوجية والسندهية والبنغالية وغيرها من اللهجات ، وحيث ان اللغة الاردية هي أشهر هذه اللغات وأوسعها وأكثرها انتشارا ، فقد جُعلت هي والبنغالية لغتي البلاد الرسميتين ، ولكن ظلت الأردية هي الغالبة ، لان أهل البنغال وأهل شبه القارة الهندية الباكستانية يتكلمون الاردية بينما لايتكلم البنغالية الا أهل البنغال .

وانتهى الأمر بعد حرب مريرة الى شطر البلاد الى قسمين هما : باكستان وبنغلاديش ـ فلو كانت اللغة العربية لغة البلاد لما وجد هذا التنافس بين الشطرين ، ولما كان الأعداء قادرين على أن ينفذوا الى الصدور من هذه الناحية ، ولكنهم لم يكونوا عاجزين عن ايجاد الوسيلة لتحطيم باكستان بطريقة اخرى .

قلت ان نشر اللغة العربية كان نصب عيون زعماء البلاد ، ولكن مشاغل باكستان الكثيرة حالت دون تحقيق هذه الامنية ، ولعل لليد الأجنبية دخلا فيما حدث ـ كما علمت من مصادر موثوقة ـ فنامت الفكرة ولكنها لم تمت ،

عقبات في الطريق

وحدث في سنة ١٩٨٢ أن دعاني مجلس الجامعات الباكستانية لالقاء محاضرات في خمس جامعات فلبيت الدعوة،وأثناء وجودي في باكستان طلب الى ابداء رأيي في أسهل طريقة يمكن بها نشر اللغة العربية في البلاد ، فعكفت على دراسة هذا الموضوع ، ووصلت الى النتائج التالية . . . ورفعت ثلاثة تقارير الى رئيس البلاد وكانت النتائج هي :

أن خير طريقة لنشر اللغة العربية جعلها الزامية في المدارس،ولكن بعد دراسة موسعة للموضوع ظهر أن تنفيذ هذه الخطة يحتاج الى مالايقل عن خمسين ألف مدرس ومدرسة ، أو بمعنى ، آخر نقل خمسين الف اسرة من البلاد العربية الى باكستان،واذا فرضنا ان كل اسرة تتألف من أربعة اشخاص فقط كان مجموع عدد الاشخاص الذين سينقلون من البلاد العربية الى

باكستان لايقل عن مائتي الف نسمة ، وبصرف النظر عما يحتاجه هذا العدد الكبير من الناس من مساكن ومدارس ومستوصفات وربما مشاف وغير ذلك من مرافق الحياة ، فان مثل هذا العدد الكبير من الناس غير متيسر الحصول عليه في البلاد العربية التي هي ذاتها تشتكي النقص في جهاز المعلمين،ثم لوفرضنا وجوده لما استطاعت الحكومة الباكستانية النهوض بعبء مسؤولية هذا العدد الوفير من الناس ، لاسيما وانه من المفروض أن يكون لهم مستوى معين من الحياة،وحيث انه كان من المقرر أن تدخل اللغة العربية بصورة الزامية من الصف السادس الى الصف العاشر « اعدادي » ، فقد رأيت أن خير وسيلة عملية لنشر اللغة العربية بأسهل طريق وأرخص طريق هي أن تكتب سلسلة مؤلفة من خمسة كتب على طريقة التعليم الذاتي او التعلم بغير معلم على أن تكون هذه السلسة باللغتين العربية والاردية . فتعطي لهذه الصفوف الخمسة تدريجيا،وحيث ان هجائية اللغة الاردية هي الهجائية العربية ذاتها ولذا فلا يصعب على طالب الصف السادس فما فوق أن يتعلم العربية بالطريقة الذاتية ، اذ ليس عليه الا أن يقرأ الكلمة الاردية ويحفظ معناها بالعربية عن ظهر قلب،فلا ينتهي الطالب من قراءة هذه السلسلة في خمس سنين الا ويكون قد ألم باللغة العربية المامة حسنة،ولتصحيح اللفظ فقد اقترحت أن تعطي هذه الدروس بالراديو والتلفزيون من قبل شخصين عربيين (شاب وفتاة) ذوي لفظ سليم ونطق مستقيم .

فاذا ما انتهى الطالب من التعليم الاعدادي ـ وقد أصبح ملما باللغة العربية مثل عامة أبناء العرب ـ استطاع بعدها اذا شاء التخصص أن يدرس العربية بالثانوية أو الجامعة أو ان يكتفي بما تعلم وينصرف الى الناحية التي يريدها ، ولكنه يكون قد أصبح مستعربا قادرا على التكلم بالعربية وفهم كل أوجل مايكتب في الصحف والمجلات والكتب باستثناء الكتب العلمية التي تحتاج الى اختصاص، اذ يقول علماء اللغات ان الصحف والمجلات لاتستعمل أكثر من ألف كلمة ، والدراسات العليا غير الاختصاص تحتاج الى ٣٠٠٠ كلمة . وبديهي أن كلمات هذه السلسلة يجب أن تزيد على ثلاثة آلاف كلمة بين اسم وفعل ومصدر وغير ذلك .

امتحانات للترقية

ولكي لايبقى تعلم العربية محصورا بطلاب المدارس فقد اقترحت أن تفرض هذه السلسلة من الكتب على جميع موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين ، فلا يرتقي المرء من رتبة إلى رتبة ولايزاد في راتبه ولايمنح عطاءات ولاجوائز الا اذا ادى امتحانا مكتابا بعد كتاب ، وهذا الالزام يجب أن يطبق أيضا على العمال في المعامل .

وبالاضافة الى كل هذا فقد اقترحت أن تنشأ في كل جامعة من جامعات باكستان ـ وهي تسع عشرة جامعة ـ مدرسة لتخريج المعلمين تكون مدة الدراسة فيها سنتين بعد الصف العاشر ، وحيث انه يوجد في باكستان تسع عشرة جامعة كما ذكرنا ، فيكون عندنا تسع عشرة مدرسة للمعلمين ، يؤخذ في كل سنة لكل مدرسة خمسون طالبا فقط . وهكذا يكون عندنا بعد سنتين من احداث هذه المدارس ٩٥٠ مدرسا للغة العربية من الباكستانيين ، ويكون مجموع ماعندنا بعد احدى عشرة سنة من انشاء هذه المدارس ٩٥٠٠ مدرس ومدرسة وهكذا دواليك .

وتكاليف انشاء هذه الصفوف الخاصة لتخريج المعلمين زهيدة اذ أن كل جامعة تتحمل نفقات معلم ومعلمة أو نفقات اسرة واحدة ، ومن هؤلاء المعلمين يؤخذ المذيعون للراديو وللتلفزيون .

هذا هو مختصر الأمور التي اقترحتها وقد نفذ بعضها واصبحت اللغة العربية الزامية في المدارس ابتداء من الصف السادس وكتبت كتب لهذه الغاية ، ولكن اللغة لم تفرض الاعلى طلاب المدارس .

ويسرني أن اعلن بهذه الكلمة أن رغبة الباكستانيين لم تعد محصورة بالزعماء لأسباب سياسية أو غير سياسية بل أن أهل البلاد جميعا يرغبون في ذلك،وهناك جمعيات عربية كثيرة تقوم على سواعد بعض اهل الخير والعلم من أهل البلاد . كما أن حكومة الامارات أنشأت جامعة في كراتشي تموها وتسعى الآن الى توسيع نطاقها . واذا ماقلت جامعة فانى انقل الاسم كما هو وهي ليست في الحقيقة الامدرسة تسعى لأن تكون جامعة في يوم من الايام . □

الدكتور احسان حقي

العاذلون

شعر : محمد القيسي

واقطفُ مَا أشتهي ،
مِنْ ثمارِ الجبالِ عَلانيَة ،
ليسَ بي رغبةٌ في حوارِ المَدينةِ ،
أو نهرِهَا
وأقطفُ ما أشتَهي ،
لِيكونَ طريقي إلى غيرِها
فليسَ على بابها ما أراه جَديرا بحُزني
جَديراً بمُمتلكَاتِ دَمي ،
وَجَديراً بِمَا ضَاعَ مِني
فَيا عاذلي لا تَلمْني
لقد عُقِرَتْ ناقتي . . .
حينَ كنت أغني
وَأنشرُ فوق السطوحِ مَناديل عَبْلَةَ ،
والأرضُ تأخذُ عَني
فَهلْ صارَ عَنترةُ الآنَ نَسيْاً ،
وَغابتْ بروقُ يَديهِ ،
لِتبدأ قِصةُ لوني !
وَأعزفُ عَنها . . .
فَلا خيلُها الآنَ خيلي
وَلا ظلُّها عادَ ظِلِّي
وَأعرفُ كانتْ هوايَ ،
وكانتْ صبايَ ،
وَأهلي
وَكانَت نوافذ يَومي
أطلُّ الى الأرضِ منها ،
وَأحضنُ وجها بَعيدًا لأمّيَ
وَوَشياً على خَصرِها
فَيا أيُّها العَاذلونَ لِماذا أقفْ ! ؟
حَمامُ القِبَابِ بَعيدٌ ،
وروحي هنا قطرة قطرة ،
تستوي وتجفْ
وَأغنيتي ترتجفْ
ولَمْ يبقَ منْ سرِّها
حجاب ،
ولا غَامضٌ ،
مَا كُشِفْ
وَما كنتُ إلا فَتاها
أجيءُ إليها
فأبحثُ عمّا يوحّدني بالأزقةِ ،
كانتْ تَضمُّ إلى صدرِها
نَشيدي . . .
وَألقي برأسي إلى حجرِها
وثمةَ ما كانَ يُرعشُ في اللمسةِ الحانية
وَكانتْ تُخففْ

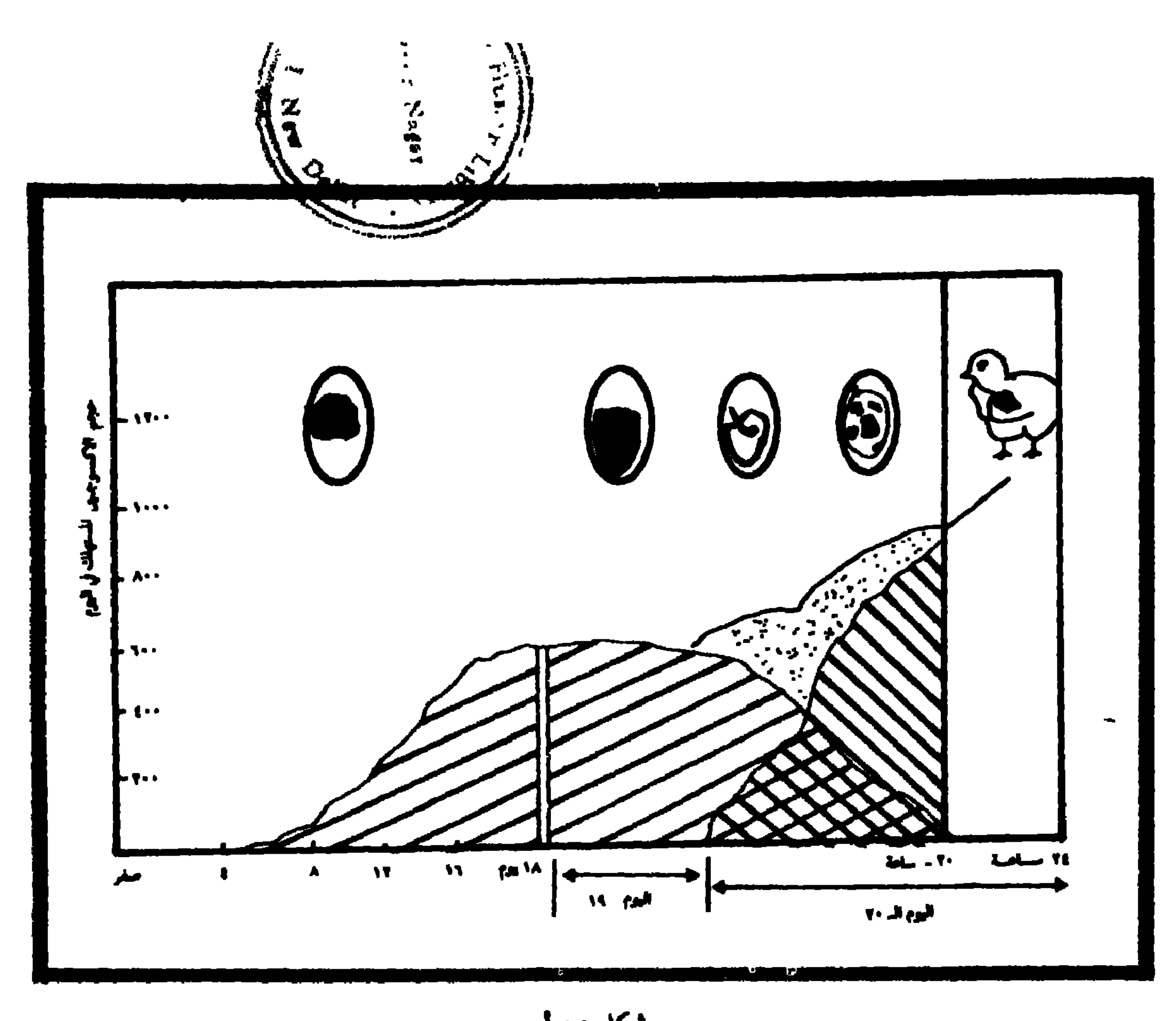
إذا ما نَدَتْ آهةٌ في البعيدِ ،
وَتجزعُ إمَّا قُصِفْ
غزالٌ على راحتي ،
فَلماذا أقِفْ !
أرى وَجهَهَا لَمْ يعدْ صَافيَاً
مثلما كانَ قبلَ مئاتِ السنينِ ،
وَقبلَ نصالِ السكاكينِ ،
قبلَ كهولةِ رُوحي على بَابِها
فَهلْ عَرَفتْ ما بها
لماذا أقف !
وَلا عُشبَ في بحرِها !
وكيف إذا مَا مَررتُ وَعاينتُ ما . .
تفعلُ الآن بي
كيفَ لا أنعطِفْ
فماذا تبقَّى لدَيها
وَماذا تبقَّى لَديَّ
لقدْ بَدَّلتْ ثوبَها الساحليَّ
وَألفيتَني في بَوادي يَديهاَ ،
بلا كِسرَةٍ ،
أو مزاميرَ ،
تُفضي إلى دَاليةْ
فَيَا أيهَا الفلكيّ
نُجومُكَ ماذا تقولُ ، وأين تُراهُ حَبيبي ؟
لماذا تأخّرَ جداً عليّ . . ؟
لماذا تأخر ؟ !
رأيتُ المَدينة تغفو علىَ عَرشها خاويةْ
وَقلبي وحيدٌ على ناصيةْ
يَدورُ ، يَدورُ ،
وطعنتُه داويةْ
لماذا إذنْ أيُّها العاذلون أقفْ
وهلْ تعرفونَ لماذا
إذا مَا تمهّلتُ ،
تصرخُ في الجبالُ : انْصرفْ !



هل يتنفس البيض...؟

بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

□ سؤال بسيط نتوقف امامه حائرين ، أو نجيب بكلمات وهمهمات مبهمة . فالموضوع غريب ومثير وبعيد عن التوقع ، ولكن نفس السؤال كان محور دراسات علمية جادة ، قام بها علماء تضلعوا في العلم ، فاذا بالأسرار تتكشف عن معجزة ابداعية ، وكانت الاجابة نعم . . البيض يتنفس واليكم الدليل .



شكل (٥ أ)

تنفس من خلال القنوات

تنفس من خلال الرئة

البيض احدى نعم الله على عباده ، فهو - كغذاء - مصدر بروتيني نقي ، والبيضة تأتينا صافية نقية متقنة أيما اتقان ، مغلفة بطهارة ونقاء وصفاء لم تمسها يد ، ولم تختلط بها ملوثات من مواد كيميائية أو غازات ، وبها من الأحماض الامينية والبروتينات تشكيلة بديعة متكاملة . ففيها كل الأحماض الامينية الأساسية التي هي بمثابة لبنات ضرورية لبناء الجسم ، فضلا عن فيتامين ج الى جانب أربعة عشر نوعا من الأملاح من ضمنها أملاح الحديد والفوسفور والمغنيسيوم والكالسيوم ، وكلها مواد معدنية ضرورية لبناء الأجسام ، وبناء العقول لبني الانسان .

ومع أننا نلتهم من البيض سنويا عدة بلايين ، الا أننا لا نشغل عقولنا بكشف أسرار هذا المخلوق الصامت الجامد الذي يضم أسرارا تحار فيها العقول والالباب ، ويقف الانسان حيالها خاشعا . وكلما اكتشفنا من أسرار البيض شيئا وجدنا أنفسنا - في الحقيقة - لا نزال على بداية الطريق ، مطالبين أكثر بالفحص الأدق ، والتعمق الأوفى ، والتدقيق في كل ما يتعلق بالموضوع ، حتى نلم أطرافه ونفهم أبعاده .

فالواقع أن معظمنا ينظر الى بيض الدجاج أو الطيور نظرة واقعية ، أو قل على الأقل نظرة انسان يبغي الحصول على طعام سريع مغذ يفي باحتياجات الجسم من الطاقة ، في حين ينظر العلماء الى البيض نظرة تختلف قليلا عن نظرة العامة ، فما داموا قد دلفوا الى معاملهم فان حاجتهم الى المعرفة تتعدى حاجتهم الى الطعام ، ومن ثم يتعاملون مع البيض على أنه كائن متكامل خلق وفق هندسة حيوية معجزة ،

ويؤدي دوره المنشود منه وفق نفس الأداء الهندسي البارع ، في سهولة ويسر دون حاجة الى حاسبات آلية أو أجهزة تحكم الكترونية ، وهو دور يفوق في روعته ودقته وعدم اصابته بخلل أو بعطل ، كل ما ابتكره البشر من معدات ، وما أطلقوه عليها من أسماء علمية معقدة .

فالبيض نظام متكامل ، ومرحلة شفرية لنقل الحياة ، واستمرار تدفقها في عالم الطيور وبعض أجناس الحيوان ، أو هو مخلوق كامن داخل مهد من المواد الغذائية المتكاملة ، اللازمة لضمان تغذية هذا المخلوق الكامن ، أو المخلوق المختفي خلف حدود قدرة عيوننا . ويتكون هذا الغذاء من ماء وأملاح وبروتينات تضمن للجنين تغذية متكاملة ، ولهذا نجد بيض الدجاج والطيور لا يحتاج أثناء مرحلة النمو الا للتقليب والتدفئة لمنع التصاق الجنين بالأغشية الداخلية للبيضة ، ولا ينقص هذا النظام الحيوي من متطلبات الحياة والنمو الا وسيلة يستطيع بها امتصاص الاكسوجين من الهواء وطرد بخار الماء وثاني أكسيد الكربون ، يتساوى في ذلك مع أي كائن حي يملك رئتين وأنفا بدءا من الفأر حتى الفيل ومرورا بالانسان ، أو حتى يناظر عمل الأسماك التي تتولى خياشيمها تبادل الغازات وفصل الاملاح من ماء البحر ، أو نظام يؤدي عمل ورق الشجر عندما يمتص هواء الزفير ويطرد الاكسوجين أو يعكس العملية .

اذن لا بد أن يتنفس البيض استكمالا للمنهج الطبيعي لدورة الحياة ، واعمالا للنظم المغلقة التي منحها الخالق لكل مخلوقاته .

وكيف ذلك

الانسان يتنفس وفق تحكم عضلي في الرئتين عن طريق الانف أو الفم ، فيأخذ ما شاء من الهواء ثم يطرد هواء الزفير . والسمك له قدرة عضلية ، والشجر يساعده الضوء على خلق ضغط سالب نسبيا عبر مسام الورق ، أين هذا من قشرة بيضاء وهلام ساكن لا حراك به ولا انفعال ، ولا عقل يتحكم أو خلايا تتأثر وتسيطر ؟ فبيضة دجاجة ملقحة عبارة عن كتلة من صفار (المح) به نواة الخلية ، ويشكل في جوهره غذاءها ، وعندما تخرج من مبيض الدجاجة للتلقيح وبعدها تأخذ طريقها للخارج تكتسي بطبقات من الزلال ـ بياض البيض ـ ثم تتكون روابط من خيوط دقيقة لا تراها عين مجردة ، تمتد من الزلال الى أقصى نهاية البيضة . وعلى الفور تتولد طبقتان رقيقتان من أغشية واهية تلف الزلال لفا وتدحيه دحيا ، وبعدها تتكون القشرة الخارجية البيضاء تفرزها غدد خاصة من النصف الادنى من قناة المبيض ، وتترك البيضة الدجاجة بعد مرور أربع وعشرين ساعة من التلقيح ، تم خلالها بناء جسم البيضة من جوامد سائلة من خلايا حية ، داخل صندوق بشكل مميز من الجير أو كربونات الكالسيوم المصمت .



شكل (٢)
خروج فقاعات الهواء بعد غمر البيضة في ماء بارد سبق إغلاؤه

وهنا نعود للسائل الذي يدهشه تنفس البيض

ونقول له : لقد اعدت يا صاح بتعجلك نفس المتاهة التي واجهها العلماء منذ أكثر من قرن ونصف من الزمان ، حاولوا خلالها وأيامها فك طلاسم هذا اللغز حتى جاء العالم الانجليزي جون دافي ـ عام ١٨٦٣ ميلادية ـ واقترح على أقرانه نظرية مؤداها أن البيض يتنفس خلال انتشار الهواء عبر قنوات دقيقة للغاية تصل ما بين الجنين الراقد في المح وبين الهواء ، وعن ذات القنوات يتسرب هواء الزفير الى خارج البيضة .

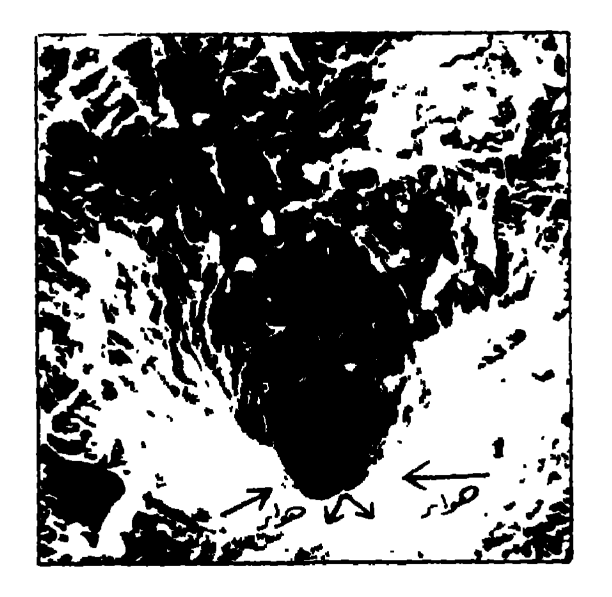
وحتى يؤكد جون دافي نظريته ، ويقنع العلماء للاخذ باقتراحه ، وضع بيضة في ماء بارد سبق تسخينه لدرجة الغليان لطرد كل الهواء الذائب به ، ولم تمض عدة دقائق الا وتكونت فقاعات هوائية كالتي نراها ، وفي الوقت الذي أحس فيه جون دافي بأنه كسب الجولة سأله أحد العلماء ان كان قادرا على اثبات وجود المسام ، وأسقط في يده فالمسام التي اقترحها عالمنا كانت تقع خلف قدرات المجاهر الضوئية في تلك الآونة .

والواقع أن المسام موجودة ، والقنوات متصلة ، لكن أن تقصر أدواتنا عن تأكيد الظاهرة فهذا قصور يقع على العلماء وحدهم . فما أن اكتشف المجهر الالكتروني وأطلقت أشعته الالكترونية على قشرة بيضة ، وكبرت المسام ثلاثة آلاف وثمانمائة مرة ، اذ بالمسام تظهر وكأنها كهوف سحيقة ، تمتد داخل كتل جبلية صلدة ، أو أغوار من قيعان البحار بعيدة ، تتخذ شكلا مخروطيا من مدخله وتكون بداية رحلة الهواء الجوي الى الجنين ، وعند نهايته في الطرف الآخر تكون رحلة البداية لخروج هواء الزفير ـ ثاني أكسيد الكربون ـ الى الخارج .

متى تتنفس البيضة ؟

لكن المعجزة الأكثر غرابة تأتي في نهاية السرداب ، فهناك بوابة ليس عليها حارس أو أجهزة انذار ، بل مجرد مواد كيميائية خاصة تؤدي ذات الاعمال دون خلل أو كلل ، فعندما يزداد الاكسوجين تتشكل المادة وتسمح بانتشاره ، ومتى تنفس من كان في المهد الغذائي ، واستكمل حاجته وزادت نسبة ثاني أكسيد الكربون ، اتخذت المادة شكلا جزئيا جديدا يمنع دخول الاكسوجين ، ومن ثم يندفع ثاني أكسيد الكربون الى الخارج تحت وقع زيادة تركيزه .

أي أن العملية هي انتشار غازات يتم منذ الازل وفق قوانين وضوابط لا خلل فيها أو التواء . ولو سألت مهندسا كيميائيا عن هذه القواعد لقال لك على الفور أن الوزن الجزئي للغازات يتحكم في سرعة الانتشار مضروبا في سرعة الانتشار مرة أخرى وهي نفس القوانين التي اكتشفها العلماء منذ حوالي قرنين من الزمان ، وصاغوا لها معادلة جراهام للانتشار ، وهي ذاتها أدت عملها منذ بلايين السنين دون تدخل



شكل (٣)

عشرة آلاف قناة حول قشرة البيضة مكبرة ٣٨٠٠ مرة بالميكروسكوب الالكتروني .

بشر ، فهي مجرد مادة كيميائية تشكل المسام المناسبة لتسلل جزئيات الغاز .

وفي البحث الذي أجراه عدد من العلماء ونشروا طرفا منه على صفحات مجلة العلم الامريكية (عدد فبراير ١٩٧٩ في الصفحات من ٣٨ الى ٤٧ ،) ثبت لديهم أنه خلال ٢١ يوماً استهلكت بيضة دجاجة تزن ٦٠ جراما قرابة ستة لترات من الاكسوجين ، وطردت الى الجو أربعة لترات من غاز ثاني أكسيد الكربون ، الى جانب أحد عشر لترا من بخار الماء ،

وفي نفس الوقت يقل وزن البيضة الى ٥١ جراما ويخرج كتكوت يزن ٣٨ جراما .

والواقع أن البيضه لا تتنفس طالما كانت في رحلة الخروج الى الحياة ، لكنها متى سقطت على الأرض بدأت فورا في التنفس بأن تنفصل الأغشية أعلى البيضة ، وتمتلىء بالهواء المتسرب من مسام بلورات الجير المكونة للقشرة ، وتتشكل فقاعة هوائية تمثل ١٥٪ من حجم البيضة ، وتعمل الفقاعة كمضخة تنظم امداد وطرد الهواء عبر عشرة آلاف قناة توصيل موزعة فتحاتها على القشرة ، فيأتي الهواء بالقدر المناسب ويطرد غاز الكربون بقدر متوافق ، فلو حدث ودخل هواء أكثر ، احترق الغذاء وتكون ماء ، ولو حدث العكس وتكدس غاز الكربون لاختنق الجنين في مهده ، ولكن الأمر تمسك به قدرة الخالق وليست يد انسان تتحكم فيه الأهواء والانواء .

ويخرج الكتكوت

والآن نترك التنفس ونمضي مع رحلة بيضة شاء قدرها أن تؤدي دورها الحقيقي في استمرار الحياة ، فهناك داخل الحضانات وعند درجة حرارة ٢٨ درجة مئوية ، وبعد مرور ٢١ يوما يتحول الجنين الى كائن حي له كيان واضح « شكل ٤ » يأكل بفمه ويتنفس



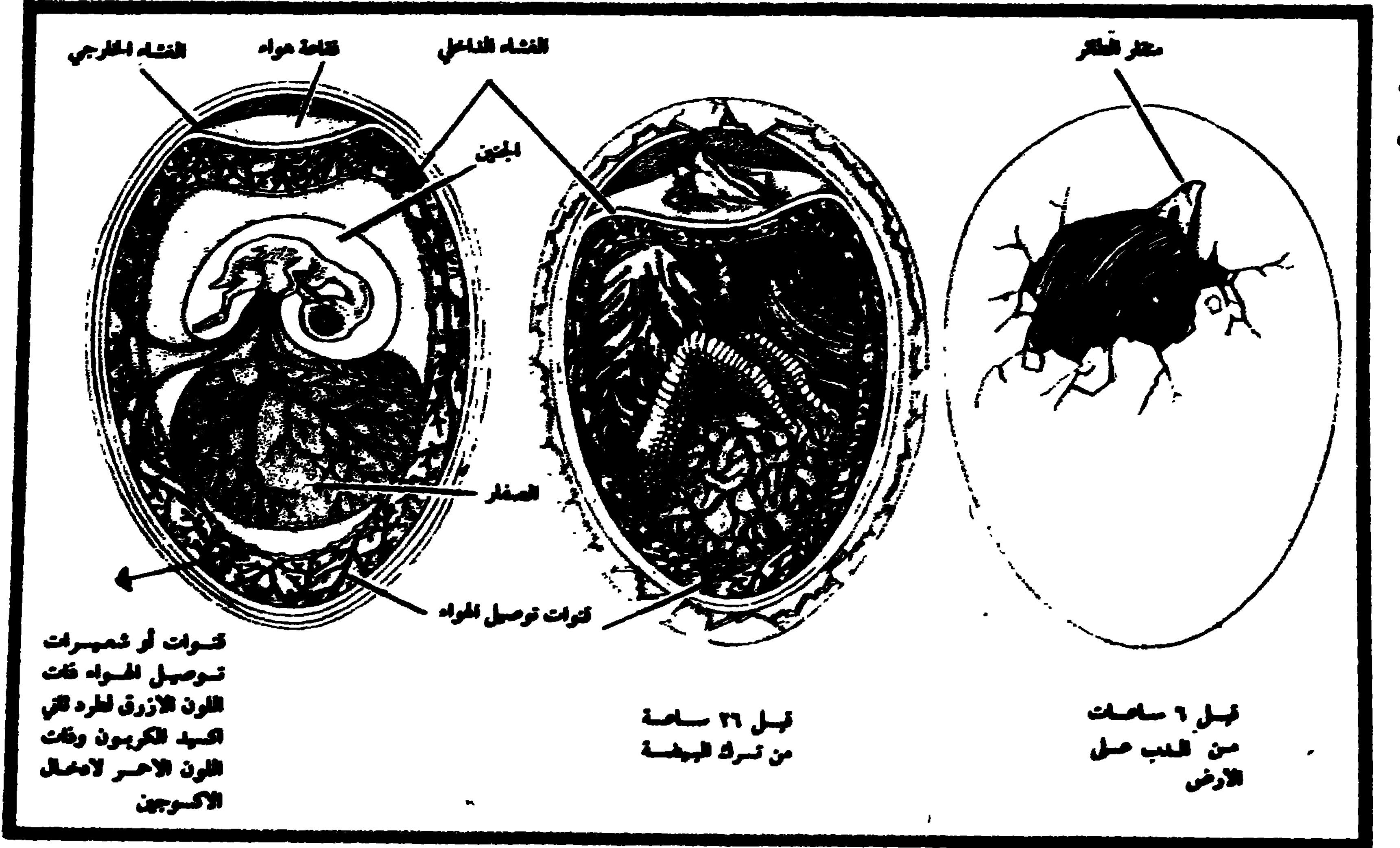
برئتيه ويعتمد على نفسه ، فما الذي يحدث خلال هذه الرحلة ؟

فور وضع البيضة الملقحة في الحضانة تستعد كل أغشية البيضة كأنها مقدمة على أداء أروع وأشق مهامها ، وتتخذ وضع طوارىء دقيق لخدمة الجنين داخل المحلول الهلامي ، ويبدأ استهلاك الاكسوجين يزداد يوما تلو يوم حتى يصل الى قرابة ثلاثة لترات في اليوم الرابع عشر . وقد لا تعني اللترات الثلاثة شيئاً لي أو لك فأنا وأنت نستهلك نفس الكمية في أقل من دقيقة ونحن جلوس على المقاعد الوثيرة ، لكن هذه الكمية تمر الى الجنين عبر عشرة آلاف قناة دقيقة بمعدل ٢٠,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جزىء أكسوجين في الثانية الواحدة ، ويخرج في ثانية أربعة عشر تريليون جزىء ثاني أكسيد الكربون تمر في الاتجاه المضاد منطلقة من جوف البيضة في صحبة ٦٣ مليون جزىء ماء .[١]

ويستكمل الفرخ تكوين جهازه التنفسي في اليوم التاسع عشر ، لكن الفرخ لا يترك موقعه داخل البيضة ، فما زال محتاجاً الى اعداد وتدريب لاستخدام جهازه التنفسي شأنه شأن أي انسان تعده بالصقل والتدريب لمواجهة أعباء المستقبل ، وحتى التدريب يبدأ متدرجا ، ويتم نفس البرنامج مع الفرخ ، ففي اليوم التاسع عشر تبدأ المرحلة الابتدائية للتدريب وفيها يثقب الفرخ غشاء الفقاعة الهوائية بمنقاره ، ويبدأ في أخذ ودفع الهواء من خلالها الى جانب عشرة آلاف قناة ترعاه وتضمن له الهواء ، ان فشل في الاداء أو تخاذل في التدريب ، وما أن يتأكد من نجاحه وقدرته خلال برنامج مدته عشرون ساعة ، حتى يثقب قشرة البيضة قبل خروجه منها بقرابة ست ساعات ويتعامل مباشرة مع الهواء محتفظا بقنوات الاتصال ، فان اتمها قفز من الهيكل القشري ودب برجليه على الارض لاول مرة في عمره ، وان فشل وجذب من القشرة رغما عنه خرج عليلا مريضا لا تدوم له الحياة الا معلولا . . ولله في خلقه شئون ، وقد صدق قول الحق جل وعلا (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) . □

---

١ - الجزيء . هو أصغر جزء من المادة يمكن الحصول عليه ، وله نفس خصائص المادةالفيزيائية والكيميائية


منقار الطائر
قبل ٦ ساعات
من الدبيب على
الارض
الغشاء الداخلي
قبل ٣٦ ساعة
من ترك البيضة
قنوات توصيل الهواء
الغشاء الخارجي
فقاعة هواء
الجنين
الصفار
قنوات أو شعيرات
توصيل الهواء ذات
اللون الازرق لطرد ثاني
اكسيد الكربون وذات
اللون الاحمر لادخال
الاكسوجين

شكل (٤)

العربي العربي العربي
العربي العربي العربي
من ربع قرن

العروبة وآلام المخاض

العدد الخامس عشر فبراير ١٩٦٠



لاشك أن المرحلة التي نحياها اليوم هي نقطة الانعطاف بين أمس الأقطار العربية وغدها .

والجيل الذي يعيش على مفترقات طرق التاريخ جيل سعيد سعادة حية عميقة . أنه يعيش مخاضا روحيا حقيقيا ، فيه ينفصل عن ماض قريب جديد ما يزال يحمل أوزاره ليتجه الى مستقبل خصيب ما يزال يتشوف اليه ويلمحه في الأفق دون أن يقبض عليه .

وفي هذه المنزلة ، منزلة الوجد الى الجديد ، والصراع مع رواسب القديم ، تجد النفوس الفتية كامل تفتحها ، وتلفي مجال نشاطها الخلاق .

انها حقا « تعيش في خطر » على حد تعبير « نيتشة » ، شاكية السلاح دوما تترقب وتتوفز وتحمل أمانة الأجيال .

غير أن لكل مخاض آلامه ، والجيل العربي الذي يحيا اليوم معركة الانفصال عن ركود ألفه سنوات طويلة ، والذي يتجه شطر مستقبل لم تستبن سائر معالمه بعد ، جيل يلقى من آلام المخاض ما يلقى ، ويعاني من التأزم ما يعاني . الآلام في نظرنا آلام خصيبة محملة بالعطاء ، ان هي وعت ذاتها ، وأدركت مسؤولياتها . وهي على العكس معرضة لأن تنقلب الى اجهاض فاشل ان هي لم ترتفع فوق الألم لتخلق منه الأمل .

ومن هنا كان واجبنا جميعا أن نقف في معركة الولادة الجديدة هذه ، يقظين حذرين ، نسدد الخطا ، ونبين لجيل المعركة حقيقة وجوده ، وواجب هذا الوجود .

المرء الذي يعيش في قلب المعركة ، قلما يستطيع أن يتبين جميع أوجهها ، ومن هو غارق في التيار لايقوى على أن يرى جنباته .

ولهذا كان جيلنا العربي ، الذي القى نفسه في يمّ معركة قومية تاريخية كبرى ، معرّضا للانزلاق بحكم انغماسه في لجة اليم ، وانجرافه في تياره .

ومن هنا أتى واجب الحديث عن واقعنا الذي نحياه ومستقبلنا الذي ننشده ، لنزداد وعيا لأنفسنا ، ولئلا يغادرنا هذا الوعي في أي لحظة من لحظات المعركة .

المجتمع العربي اليوم هو أولا وقبل كل شيء مجتمع ينهض فيه صراع عنيف بين العادة والنزوع ، بين ما

ألفه وبين رغبته في أن يجاوز ما ألف .

لقد مرت على المجتمع العربي عهود من الركودوالانحطاط كاد ينسى فيهاحضارته وأصالته . وائتمرت على هذا المجتمع جملة من القوى ارادت أن تفقده معالمه وأن تطمس كيانه القوى طمسا كاملا . وتألّب الاستعمار التركي عليه ، ومن بعده الاستعمار الغربي ، محاولا أن يقطع صلته بتراثه وأن يمحو خصائصه .

ولا شك أن أصالة العربي وقوة تراثه الحضاري كانا أقوى من محاولات الطمس هذه ، وأمنع من حملات الابادة كلها ، على عنفها وشدتها . فاستطاع العربي أن يصيمد لهذه الغزوات الضارية واستطاع أن يحفظ شعوره بذاته ، وشعوره بحضارته وأصالته .

وهكذا خرج العربي من المعركة القاسية ، معركة القرون الطويلة، ظافرا قويا وقد، جاوز مرحلة الثبات والصبر الى مرحلة الدفاع عن الذات ، والى مرحلة التحدي . فتحدى الاستعمار وما يزال يتحداه ، وانتصر على قوى تفوقه في معارك كثيرة .

غير أن هذا الاحساس بالعزة القومية وهو احساس حق ، ينبغي الا يطمس أمام أعيننا بعض الحقائق . والذي علينا الا ننساه هو أن هذا النزوع القومي الذي ثبت وانتصر ، لابد أن يجاهد مخلفات المعركة التي قامت بينه وبين اعدائه . فلكل معركة بقاياها القوية التي ينبغي ألا نتجاهلها . والمعركة التي قامت بين العرب وبين العوامل التي تألبت على كيانهم ووجودهم ، معركة انتهت دون شك بثبات المنازع العربية وصمود الروح القومية ، ولكنها خلفت وراءها مع ذلك مجموعة من العادات ، تعشش في قلب هذه المنازع وتعمر في الصميم من تلك الروح .

ولا نقول الا بدهيا من الأمر ان قلنا أن السنوات الطويلة التي أقام فيها الغرباء في بلادنا ، يعملون فيها تخريبا وتهديما ، قد أورثتنا عادات مما أراد هؤلاء الغرباء ، وجعلت في حنايا وثبتنا العربية نفسها بذورا فاسدة وجراثيم فتاكة . ولا نغلو ان قلنا أن وثبتنا العربية تحمل في ثناياها بذور تهديمها ، وأننا اذا لم نجمع هذه البذور ونجتث أصولها شيئا بعد شيء عرضنا وثبتنا للخطر الكبير .

وهكذا يقوم الصراع عميقا بين النوازع والعادات . فالنوازع في كل قلب عربي وفي كل أرض عربية ، نوازع البعث القومي والوحدة العربية المنشودة . أما العادات العقلية ، وأما التقاليد النفسية الموروثة ، فما تزال تغالب النوازع .

كذلك العادات العقلية المألوفة التي ورثناها نتيجة عهود الانحطاط ، والتي هي بقايا المعركة بيننا وبين العناصر الدخيلة على كياننا . فهي لاتظهر سافرة وانما تلبس لبوسا غير لبوسها ، بل انها تلبس لبوس المنازع العربية التي تغالبها وتحاول أن تصطنع زيها وأن تزيفه .

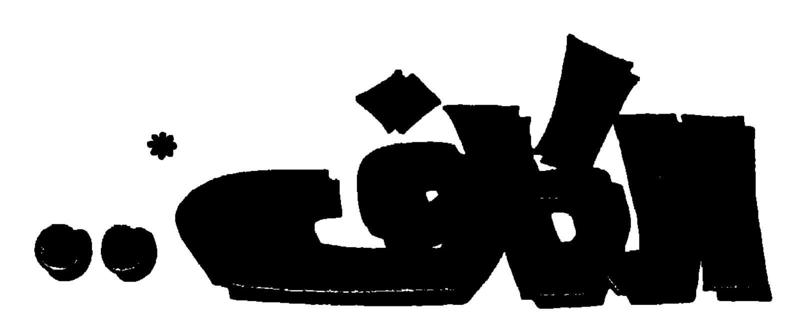
هكذا نجد الآن مجموعة من الأفكار في الأقطار العربية ، تحاول أن تقاوم الفكرة العربية ، عن طريق اصطناع زائف لها وادعاء مؤمن بها في الظاهر ، كافر في الباطن ، مدعية الحرص الخاص عليها ، بينما هي تحاول هدمها .

وهنالك وبعد أولئك وهؤلاء ، من قرت في أذهانهم عادات حرص المستعمر خلال سنوات طويلة على بثها واشاعتها ، وجعل لها الصدارة في أعماله وفي محاولات التهديم التي قام بها ، ونعني بذلك الروح الطائفية أو العنصرية . وهؤلاء أيضا يحاولون أن يعرضوا بقايا العنصرية أو الطائفية التي ورثوها ، وأن يظهروها العناصر اللازبة للفكرة العربية وأن يتخذوها عقيدة ومبدأ ، زاعمين أن بينها وبين القول بالعروبة نسبا أوصلة .

وهنالك أيضا أولئك الذين ألفوا النظم الاجتماعية البالية التي أقامها الغرباء في بلادنا خلال سنوات طويلة ، فأرادوا أن يفلسفوا هذه النظم وأن يسيروا في سياسة تعمية تجعل من مسايرة هذه النظم ضرورة تستلزمها طبيعة الكيان العربي .

ان محاولة تجاوز الذات محاولة شاقة لاتقوى عليها الا الأجيال الفذة . ومحاولة تجاوز العربي لعاداته التي عاشت في أعماقه وتقاليده ومنشآته فترة طويلة من الزمن ، هي البطولة الحقة ، وهي النداء الذي ينبغي أن يغري النفوس الكبيرة في مرحلتنا العربية الكبرى . □

د . عبدالله عبد الدايم



عندما بلغ ستيفانو روا الثانية عشرة من عمره طلب من أبيه ، الذي كان قبطانا للرحلات الطويلة،وصاحبا لمركب شراعي جميل ، أن يصطحبه في رحلة تكون هدية الأب الى ابنه . ثم قال له :

ـ أود أن أذهب ، حين أكبر ، الى البحر مثلك ، وأقود مراكب أكبر من مراكبك وأكثر جمالا .

فأجاب الأب :

ـ ليباركك الله يا صغيري !

وبما أن سفينته كانت تتهيأ للاقلاع في اليوم ذاته ، فقد أصطحب الغلام في الرحلة .كان نهارا رائعا ، مشمسا ، والبحر ساكنا . وكان ستيفانو ، الذي لم يصعد ظهر مركب من قبل ، يركض سعيدا على السطح ، يراقب باعجاب المناورات المعقدة للأشرعة .

وكان يطرح عديدا من الأسئلة على البحارة فيجيبون على استفساراته باسمين .

ولدى وصول الغلام الى مؤخرة السفينة توقف حائرا يراقب شيئا كان ينبثق أحيانا على بعد مائتين أو ثلاثمائة متر تقريبا في الخط الذي يخلفه المركب وراءه .

وعلى الرغم من أن السفينة كانت تجري مسرعة تدفعها ريح مواتية ، فقد كان هذا الشيء يحافظ على المسافة ذاتها . وعلى الرغم من أن الغلام لم يفهم طبيعته فقد كان فيه ما يخلب لبه .

* الكاف : سمكة ذات حجم كبير جدا ، منظرها مخيف ، وهي نادرة الوجود . يسميها سكان البحار والانهار كيفما اتفق كولبير ، كاهلوبرها ، كالونغا ، كالو ، بالو ، شالونغرا . علماء الطبيعة ـ وهذه حقيقة غريبة ـ يجهلونها . وبعضهم يذهب حتى الى القول بألا وجود لها



قصة الكاتب الايطالي دينو بوتزاتي

ترجمة : الدكتور محمود موعد



٤

وذات مساء . . وبينما كان مركبه الرائع راسيا في المينـاء ، مسقط رأسه ، أحس بـأن نهايتـه قـد أوشكت . فاستدعى القبطان الذي يثق به ثقة تامة وطلب اليه ألا يعارضه فيما سيحاوله . فوعده الاخر بشرفه .

وما ان حصل ستيفانو على هذا الضمان حتى باح الى القبطان ، الذي كان يصغي اليه مشدوها ، بقصة الكاف الذي داوم على ملاحقته حوالي خمسين عاما دون جدوى . قال له :

ـ لقد واكبني من طرف الى آخر من العالم بـوفاء لايستطيعه حتى أعز الأصدقاء . وأنا الآن على حافة الموت . وهو أيضا بلا شك قد كبر كثيرا ونال منه التعب . لن أخيب انتظاره !

قال ذلك ، ثم ودع صاحبه ، وأنزل زورق انقاذ الى البحر . واستقر فيه بعد أن أخذ لنفسه خطافا ، وأعلن :

ـ الآن . . أنا ذاهب الى ملاقاته حتى لاأخيب ظنه ليس الا . ولكني سأقاتل بأقصى مـا تبقى لدي من قوة .

وابتعد بضربات المجاديف . ورآه البحـارة يغيب هناك ، فوق البحر الساكن في ظلام الليل ، في سماء بدا فيها الهلال .

لم يجدف طويلا . فجأة برز خطم الكاف البشع في اتجاه الزورق . قال ستيفانو :

قـررت أن آتي اليك ، والان . . هـا نحن أولاء وجهـا لوجه . وعند ذاك جمع آخر قـواه ، ولوح بالخطاف ليضرب . خار الكاف بصوت متوسل :

ـ بـوهو . . هـو ! أي طريق طـويلة كـان عـلي اجتيـازهـا حتى التقي بـك ! أنـا أيضـا قـد انهكني التعب . . كم جعلتني أسبـح ! وأنت الـذي كنت تهـرب . . تهـرب . . انت لم تفهم شيئـا عـلى الاطلاق !

قال ستيفانو ملسوعا :

ـ أفهم ماذا ؟

ـ تفهم أني لاأطاردك حول الأرض لألتهمك كما كنت تـظن . ملك البحار كلفني فقط أن أعـطيـك هذه .

وأخرج القرش لسانه ، وقدم الى البحار العجوز كرة صغيرة فوسفورية . أخذها ستيفانو بين أصابعه وفحصهـا . كـانت لؤلؤة ذات شكـل مـدهش . وعرف فيها عند ذاك لؤلؤة البحر الشهيرة التي تهب الى مـن يحـوزهـا الثـروة والـقـوة والحب وسـلام الروح . لكن الأوان قد فات .

قال وهو يهز برأسه في حزن :

ـ واأسفاه ! شيء لايغتفر ! لقـد نجحت فقط في افساد حياتي وحياتك . اجاب الكاف :

ـ وداعا أيها الرجل المسكين .

وغرق الى الابد في المياه السود .

بعد شهرين دفعت الأمـواج بزورق صغـير الى الصخور البحرية الحادة . شاهده بعض الصيـادين فاقتربوا منه حائرين . كان هيكل مبيض جالسا فيه : سلامياته الرفيعة تشد على حصاة صغيرة مكورة . □

●

الصياد والعصفور :

* رمى رجل عصفورا بسهم فأخطأه ، فقال له رجل شهد خطأ السهم :

ـ أحسنت يا هذا .

ـ أتهزأ بي .

ـ معاذ الله . . . ولكنك أحسنت الى العصفور !

وجهاً لوجه





جبرا ابراهيم جبرا و ماجد السمرائي

* علينا أن نتذكر أن المستقبل أكبر مخادع للانسان .

* الغربة هى أعظم الدلالات الانسانية الكاشفة فى هذا الزمن .

* الفن ليس عملية فرار من الواقع .. بل هو سيطرة عليه .

■ مع تواصل الحوار وجها لوجه بين أجيال الكتاب والمفكرين والعلماء .. يأتى لقاء جديد بين جيلين فى ميدان الرواية والأدب والشعر ..

أما بطاقة التعريف بجبرا ابراهيم جبرا فيقدمها عنه ماجد السامرائى فيقول :

حين تقرأ جبرا ابراهيم جبرا تجد نفسك مليئا باحساس قد لا يتحقق لك مع كثير ممن تقرأ . فهذا المبدع الكبير في دنيا الكتابة العربية يملؤك ، وأنت تقرؤه ، بزخم الحياة : صراعا ، وتوترات ذاتية ووجدانية ، وطموحات فكرية ، ورؤى تتشكل عبر ما يرسم لك من أفق . . حتى لتحس وكأن الكتابة قدره ، وأنه لم يكن ليعيش حياته على النحو الذى عاشها به (وهي تمتد الى مدى خمسة وستين عاما) لو لم تكن الكتابة ، والكتابة المبدعة عمادها .

فهو الذى كان في العمق من حركة الحداثة والتجديد ، يؤكد كل يوم أهميته فى ميدان ما لهذه الحركة من انجازات فذة ، مشددا على أهمية التجدد المستمر ، باثا ذلك التأثير المتواصل فيها للواقع الابداعى العربي من حركة ذات صلة بأفكاره ، وعما رسم لنفسه وجيله في هذا الواقع من طموحات . .

ويكاد جبرا - بعنف الحياة والابداع فيه ، أن يشكل نموذجا فذا وفريدا في الثقافة العربية الجديدة ، وفي معطيات حركة الابداع فيها - فهو المبدع الذى يقف في العمق من حركة عصره ، دافعا هذه الحركة باتجاه التجديد المستمر والاضافة ، لا من خلال طموحاته في الآخرين فيها وحسب بل ، وبالدرجة الأساس ، من خلاله هو ، بما له من استمرار وفاعلية العطاء في مسار هذه الحركة .

فمن كتاب نقدى ، الى رواية مجددة ، الى أخرى تضع لنفسها من الدعائم ما لم يكن في واحدة من سابقاتها الى اسهام حقيقى وفاعل في الحياة الفنية (من سينما الى فنون تشكيلية) . . هذه التنويعات على شخصية المبدع فيه تضعك ، حين تعمد الى متابعته ، في قلب حركة صاخبة من الحياة ، تهتز بهذا الصيد الوافر من ابداع فنان فرد ، لا يمتلك غير موهبته وامكانياته الابداعية العالية .

هذا كله ، وهذه الصورة المستجمعة في خيوط تفاصيلها الاساسية ، يجعلك تحس بقربه منك ، أو قربك منه . . فهو - في أقل تقدير - يصدع بحلمك في أفق الابداع ، مشكلا جزءا من عالمك الذاتي .

واذا كان جبرا هو هذا كله ، وهذا كله . . فان ما أصبح يهمه اكثر من سواه في السنوات الأخيرة هو الرواية . . وان يؤكد نفسه روائيا . . منطلقا في نزوعه الابداعي هذا من يقين يسكن نفسه ، ويريه « ان الرواية هي فن المستقبل العربي » .

وفي الرواية اكد جبرا الكثير ، سواء على مستوى الفن الروائي أو على مستوى الموضوع . . حتى غدا مليئا باحساس قوى وشعور بالحاجة الى التعبير من خلال الرواية وبالرواية . . وكأنه يفسر بها نفسه للآخرين ، كما يفسر الآخرين لنفسه من خلالها وبها . فهي « النوع » الذى يتضمن جانبا ، وجانبا مهما من كيانه الذاتي ، ومن مسار هذا الكيان في الواقع ، بما يدفعه بقوة اكبر ومدى أوسع في تيار الحقيقة . .



من هنا يكون الحوار معه ، في الرواية - روايته هو - وعن الرواية بمثابة عملية بحث عن الدوافع الخفية الكامنة وراء رؤية كبيرة تشمل العالم ، كما يكون هذا الحوار تأكيدا لهذه الدوافع بصيغتها الاكثر تجدرا في نزوعه الخلاق هذا .

● في جميع ما كتبت - رواية وقصة ونقدا - أجدك لصيقا بذلك المفهوم الذى تكرس على نحو مدهش في الفترة التي تكونت فيها ثقافيا (إبان الثلاثينيات والأربعينيات) ، حيث نجد الأسبقية تعطى للتجربة الشخصية ، وللظواهر كما يتم تحديدها وتعيينها ، وللشخصيات من خلال ما تؤكده فيها من ظواهر متفردة . .

ـ أحسبك تقصد المفهوم الذى تكرس لدى أنا على نحو مدهش في الفترة التي تكونت فيها ثقافيا ـ فتكون قد وضعت اصبعك على أمر مهم من حياتي الفكرية . . الفترة الممتدة من أواسط الثلاثينيات (حين بدأت أقرأ بنهم ، وبوعي حاد) حتى أواخر الاربعينيات تجوهرت فيها مواقفي من الحياة والابداع معا . ولئن كنت أعطي الأسبقية ، كما تقول ، للتجربة الشخصية (وهذا أمر أكابر فيه وأعاند حتى اليوم) ، فانني أعني بالتجربة دلالاتها الغزيرة كلها :

امتداداتها في الداخل ، في الماضي ، في النفس ، في الذهن ، رنينها المتواصل ، اشعاعاتها الغامضة والعصرية في كل اتجاه والظواهر التي تذكرها لا [illegible] [illegible] عندي قمة ووجوه [illegible] في وقت [illegible] متعة ، رهيبة ، مثيرة ، [illegible] تصدر معا والشخصيات ، بظواهرها المتعددة . [illegible] هذه التناقضات [illegible] التي تصور الانسان على ما هو كل يوم ـ قنعه ، تعبره ، تعطيه معاناته وسلمه وحماقاته وحيوياته ، وضروبا من النصح يستفيد منها أو لا يستفيد ولكنها لا تنهي قلقه وحيرته ، ولا تبلغ بمشكلاته اي حل نهائي .

● بهذا المعنى ، هل أستطيع القول انك « كاتب واقعي » ؟

ـ « كاتب واقعي » ؟ لست أدرى . هل أنا كاتب واقعي ؟ هل كتابتي عقلانية الى هذا الحد ؟ على كل ، أنا لا أميل الى هذا التصنيف العتيق الذى ينتمي الى قرن مضى من النقد . انظر كيف يعبث روائي مثل « غوستاف فلوبير » بالتصنيف عندما يكتب (مدام بوفارى) على نحو يتيح للنقاد ان يسموه (واقعيا) ، ويكتب كذلك رواية (سالامبو) التي تتفجر بشظايا اللغة والتاريخ والشهوات الرومانسية المستحيلة ، ويكتب باسترسال عبر السنين (غوايات القديس انطوان) بشاعرية مذهلة . والبارز فيها كلها ، في النهاية ، هو شخصيته المضطربة ، المتاعة ، الممزقة بين ضرورات الفن والكلمة ، ومحظورات التجربة اللذيذة العاتية . . .

الرواية والتاريخ صورتان للزمن

● وما الذى تريد أن تمنحنا اياه ـ نحن المتلقين ـ من مستوى تاريخي من خلال روايتك ؟

ـ أنا لا أريد من خلال رواياتي أن أمنح أحدا أي مستوى تاريخي . . بل لعلني أريد الانطلاق من نقطة تماس مع التاريخ نحو ما لن تدونه كتب التاريخ . فاذا كان هناك أى تماس بين التاريخ وبين ما أكتب من رواية . فهو في احتمال أن تكون الروايات تاريخا ، ولكنه « تاريخ » لاعماق أخرى من الزمن غير التي تهتم [illegible]

[illegible] تذكرني بقول لاسبرنه [illegible] « التاريخ رواية أحداث وقعت ، والرواية تاريخ أحداث كان يمكن أن تقع » . يجب أن لا نخلط بين الاثنين ، ولكن لعل ثمة صلة بينهما [illegible] هما صورتان للزمن لا تتطابقان . ولكنهما تتكاملان . والتاريخ ليس هو الذى يعنيني في كتابة الرواية . فأنا ، إن كنت أريد شيئا ، أو إن كان لا بد لي من أن أريد شيئا للمتلقين في قراءتي ، فهو إدخالهم معي في المتاهة ، متاهة الزمن ومتاهة البشر .

هل للمتاهة « مستوى » تاريخي بالمعنى الذى تقصد إليه ؟ ربما كانت هي المستوى الخفي للتاريخ . انها عصور الانسانية جمعاء منذ أن حكم على آدم بأن يضرب في الفيافي ليأكل خبزه بعرق جبينه ، ويتمزق ألما وفجيعة لمرأى أحد ولديه يقتل الآخر .

● وأضيف الى ما قلت : انك تدخلها في تاريخ جديد . . تتماسك فيه أو تنهار . . تحافظ فيه على وضعها فتكرسه أو تلغيه كلية لتبني وضعا جديدا .

ـ شخصياتي قد ينطبق عليها قولك هذا ، بمعنى ما . انها تتحرك ضمن اطار زمني محدد ، لنا أن نسميه نوعا من التاريخ ، ولكنها تتحرك أيضا خارج هذا الاطار في اتجاه مطلق ، وهو المهم . والتماسك أو

الانهيار انما هو نتيجة هذا الخروج الارادى . وهي ، بالتأكيد ، لا تكرس أى وضع ، ولا تحافظ عليه : انها فى حالة انتقال مستمر . انها تتأمل وتساهم في صيرورتها باتجاه هذا الذى تسميه أنت بالتاريخ الجديد ، ولكنه تاريخ لا تحدده الأشهر والسنون ، وأحداثه تعتمد منطقا يتشبث بخصوصيته . .

الرواية وسيلة استقصاء

*** هل أستطيع القول عنك ، من خلال هذا كله ، انك تسعى الى تحقيق منظور تاريخي يكون للانسان العربي فيه وعيه لدوره في الحياة ، ، وادراكه للكيفية التي يحقق فيها تكامله الذاتي وصيرورته ؟**

ـ ربما يكون هذا أقرب الى ما يبدو أنه قد تبلور في رواياتي ، وكذلك في نقدى : الوعي ، دورة الحياة ، فرديا وجماعيا ـ دوران الأفلاك والأزمان ـ وكيف يحقق الانسان العربي تكامله الذاتي وصيرورته ؟ لا ريب أنني أتوق الى هذا كله ، ولعله يترقرق كنهر لا ينتهي الى مصب خلال كتاباتي . .

ولكن لا بد من التأكيد أن الرواية دائما وسيلة استقصاء ، وليست بيانا لنتيجة نهائية تحققت . يسير المرء فى الظلام في حقل كله ألغام ، واذا اخترق حقل الموت الى الطرف الآخر ، كانت لديه قصة الظلام الذى تربص له فيه ، وتغلب المرء عليه ، لأن صيرورته ما كانت يوما يقينية ، ووعيه لدوره فى الحياة لا يعني بالضرورة أنه أتقن هذا الدور وتمكن منه . فالمنظور التاريخي هنا مشظى ، كمن يجد نفسه بين جدران كلها مرايا ـ وكثير من هذه المرايا مقعر أو محدب . وعلى المرء أن يكافح كفاحا مرا للحفاظ على سلامة عقله وصلابة ارادته . وفى رواياتى حكاية بعض هذا الكفاح .

*** وبهذا المعنى لا تكون الرواية عندك « اعادة انتاج » لواقع قائم . .**

ـ طبعا لا . انها ، بالأحرى ، الغاء لواقع قائم .

*** وهنا تصبح الشخصيات « رموزا » لحالات ومواقف وأفكار . .**

ـ لا بأس ، ان شئت ذلك . لكنني أريد للشخصيات أن تكون ، أولا وقبل كل شيء ، أشخاصا يقفون على أقدامهم ، ويطاولون بقاماتهم . أما قيمة شخصياتي كرموز فتأتي حتما ، بالنسبة الى تصورى ، في الدرجة الثانية . وكرموز ، فان الشخصيات يجب أن تبقى بعيدة عن المعنى المحدد ، ومليئة باحتمالات لا تحصى .

*** وسياقات المستقبل ؟**

ـ يروق لنا أن نتصور أننا نستبق المستقبل . ولكن علينا أن نتذكر أيضا أن المستقبل اكبر مخادع . . يجعلنا نتوقعه بشكل ما ، ثم يداهمنا بشكل مغاير بالمرة . ومن يقل غير ذلك فانما يفضح جهله بالحياة



الغربة والبحث عن الخلاص

*** لكن ألا تجد شخصيات رواياتك محاصرة بالغربة ؟**

ـ لكنت أكذب على نفسي قبل القارىء لو لم أحسب أن أعظم الدلالات الانسانية الكاشفة هي فى هذه الغربة ، سيما فى هذا الزمن . والمفارقة هى أن أشد الناس معرفة بزمانهم أشدهم غربة عنه . (راجع أبا الطيب المتنبي) .

*** وحتى بحثهم عن الخلاص يكاد يكون « غربة أخرى » .**

ـ يبحثون عن الخلاص لأنهم فى غربة . وهل يبحث عن الخلاص الهانىء مع نفسه ، المنسجم مع أيامه ولياليه ؟ والبحث هو الغربة بالذات .

*** ومعظمهم محبط ، بالرغم من أن له أحلاما كثيرة وكبيرة .**

ـ معظمهم محبط ؟ ماذا نتوقع منهم أن يكونوا فى عصر كله قمع وقتل ؟ أما أن لهم أحلاما كثيرة وكبيرة ، فهو ما يجعلهم أكبر فى احباطاتهم . بروميثيوس مقيدا على الصخرة الشاهقة محبط ، لكن حلمه العنيد يجعله يتعملق على ريوس نفسه . والغلبة الأخيرة ، لعلها هناك

*** وغلبة بطلك ؟ انه مغلوب ، فى غالب الحالات والمواقف ، وان كان (غالبا) بصموده الذاتى .**

ـ صموده ، عناده ، سيره الدائم فى الاتجاه الذى لا يتوقعه الآخرون : كلها دلالات علة روحية ، قد لا يقرها « الواقع » المؤلم ، ولكنه لا يستطيع النيل منها اذن لعله يتحرك على الصعيد التراجيدى ، شئنا أو لم نشأ .

الفن سيطرة على الواقع

*** هنا دعنا نحدد موقفا من اشكالية تطرح نفسها فى هذا المجال ، تتعلق بهذا الموقف من جانب ، وبطبيعة الفن من جانب اخر فالفن ليس عملية فرار من الواقع ، بل هو سيطرة عليه ، وتكييف له ، وحافز على التغلب على ما يطرح من مشاكل . فعلى أى نحو تتعامل أنت مع هذا الاشكال ؟**

ـ انه فعلا سيطرة على الواقع . ولذا فهو دائما يسبق الواقع بخطوتين ، ان لم يكن بعشر خطوات . وطريقتى فى التعامل مع هذا الاشكال هى أن أبقى على ايمانى بالفن ، وقدرته المحيية ازاء طاقات الواقع المميتة . الفن هو مفتاح كينونة تخترق الاشكالات كلها ، والا لما بقي من آثار الحضارات العظمى شىء



ينبىء عن عظمة الانسانية وبقائها فى عالم من الفناء المستمر .

*** اذا كان أحد أبطال « دوستوفسكي » قد وجد نفسه يقول . (جئت هذا العالم كي أختلف معه) . فماذا يقول بطلك أنت وهو يواجه هذا العالم ؟**

ـ يبقى « ايفان كارامازوف » أبرع وأذكى من أبطالنا كلنا ، نحن الروائيين . ما الذى تظن أن بطلي سوف يقوله بعد هذا الحديث كله عن الاحباط ، والغربة ، والمتاهة ، والحلم ؟ ولكن بطلي ربما كان فيه أيضا شىء من نقاوة « اليوشا كارامازوف » وقدسيته وحبه وقوله لا بد أن يعكس بعضا من ذلك أيضا . فهو قد يقول انه جاء هذا العالم لكي يختلف معه ، ولكنه استخلص منه بعض روعته ، يحمله وهجا في قلبه أينما ذهب .

*** وهل هذا هو التعبير عن موقفك ذاته ؟ هل هو ما تقوله أنت ؟**

ـ ما أقوله أنا ؟ لا عليك مني ! انما هذا ما يقوله ويفعله بطلي الروائى .

*** بهذا المعنى ، ومن هذه الآفاق التى تطل منها فى كتاباتك ، هل تعتبر نفسك شاهدا على عصرك ؟**

ـ ماذا تظن أنت ؟ فيم هذه الكتابات كلها اذن ؟ ولو أن المرء لا يكفيه أن يكون شاهدا .

الحياد ضرب من الشلل

*** وأنت لم تكن شاهدا محايدا . بل كنت منحازا على الدوام الى قضيتك .. الى فكرتك عن الحياة والناس والأشياء .. والى حلمك ...**

ـ لكان الحياد في الشهادة ضربا من الشلل ... ولكن المرء ، مع هذا كله ، لا يكفيه أن يكون شاهدا . عليه أن يكون نذيرا أيضا .. وهنا تدخل قضية الابداع ذلك المجال الذى يتميز بنفاذ البصيرة حيث يصبح المبدع رائيا ، تفصح كلماته عما أكثر بكثير من منطوقها

*** ومن هنا ما في رواياتك من طاقة شعرية ، بل ومن لغة شعرية كلتاهما منسوجة فى قماشة عالمك الروائي ؟**

ـ ربما فالطاقة الشعرية هي [illegible] والنذير ، بقدر ما هى ميزة العاشق حين تصبح [illegible]

التى تجتاحه لهيبا صافيا : انه يحترق ، ولكنه يضيء الدنيا .

*** وبجانب هذه الشعرية هناك مواقف فكرية ، ووجهات نظر في مختلف القضايا : من الفن ، الى الانسان ، الى الحياة بشتى تجاربها . حتى ليجدك القاريء مطروحا في روايتك بكل ما لك من أبعاد فكرية .**

ـ هذا ما أردت لروايتي أن تكون منذ أول سطر كتبته ، وأنا في مراهقتي ولم أتخل عن ارادتي تلك حتى اليوم ، وهي التي توحي الي بأن ثمة الكثير ما [illegible] ينتظر أن يقال ومادام الليل والنهار [illegible] على الانسان فهما كفيلان بأن [illegible] [illegible] [illegible] وتتحدى قدرته [illegible] الألعام مستمر [illegible] حكاية أخرى لا بد أن [illegible] □

●

مع الوحدة والظلام

عندما فقد الموسيقار جوهان باخ بصره جلس يسجل وصفا لحياته في الظلام ، قال : « كانت زقزقة العصافير في الفجر هى الشيء الوحيد الذي يذكرني بأن الظلام قد انقشع ، كنت أقوم من سريري وأتجه الى نافذة غرفة نومي ، وأقف وراءها فأحس بدفء الشمس وهى تتسلل في رفق ، حيث كنت أقضى أيامى مع الوحدة والظلام . وكان الشيء الوحيد الذي يذكرني بأنني ما زالت حيا هو صوت موسيقاى ، فقد كنت أشعر كلما سمعت نغماً جميلا أن أبواب السماء تفتح لى ذراعيها ، وكأنها تدعوني الى الخلاص من الألم الذي أعيش فيه . »

وتر العروبة

في قلب شاعر

في شهر نوفمبر ١٩٨٤ (تشرين الثاني) فقدت الكويت ، ودوحة الشعر في الوطن العربي شاعرا أثرى ديوان الشعر العربي بالكثير من القصائد التي حملت هموم الانسان وعبرت عنها محليا وعربيا وعالميا .

انه الشاعر الكويتي
عبد الله سنان .



ولد الشاعر سنة ١٩١٧ في الكويت ، عمل بالتدريس في شبابه ، ثم عمل في عدة اعمال وسافر الى الهند وعمل هناك حوالى ٤ سنوات . ثم عاد الى الكويت وعمل في دوائر الحكومة ووزاراتها ، وآخر وظيفة شغلها كانت مديرا لادارة الشؤون الادارية في وزارة الاوقاف .

- عضو مؤسس في رابطة الادباء بالكويت ومثلها في عدة مؤتمرات أدبية عربية وغير عربية صدرت له الدواوين التالية

- نفحات الخليج صدر سنة ١٩٦٤ . ثم اصدر ما كتبه في الشعر في أربعة أجزاء تحت عنوان عام هو (نفحات الخليج) وهي

١ - الجزء الاول بعنوان (البواكير) صدر سنة ١٩٨٣

٢ - الجزء الثاني بعنوان (الله - الوطن) صدر سنة ١٩٨٣ .

٣ - الجزء الثالث بعنوان (الانسان) صدر سنة ١٩٨٣ .

٤ - الجزء الرابع بعنوان (الشعر الضاحك) وفيه المسرحية الشعرية (عمر وسمر) وصدر سنة ١٩٨٣ .

وصدر كتاب عنه بعنوان (عبد الله سنان - دراسة ومختارات - للاستاذ خالد سعود الزيد والدكتور عبد الله العتيبي .

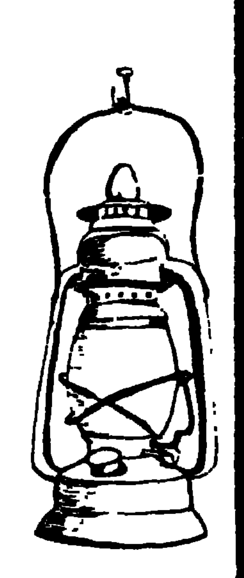


الى روح الشاعر عبد الله سنان الذي توفي يوم الأحد في ١١ صفر ١٤٠٥ هـ .
الموافق ٤/١١/١٩٨٤ م

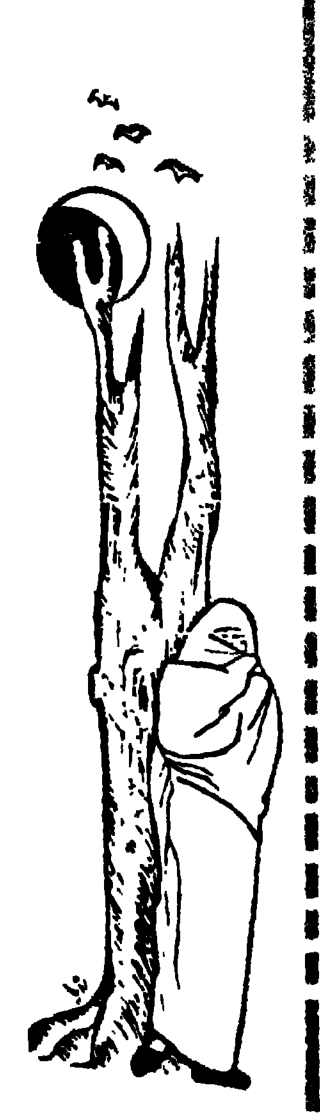
لقاء عند حرف محلق

شعر : خالد سعود الزيد

يا ابنَ ودّي تحيةً ... من فؤادٍ مُخرّقِ
مزّقتْ شملهُ النوى ... يا لَهُ من مُمزّقِ
كلما قال : هذه ... دارُها لم يُوفَّق
عَصَفَ البينُ بالذى ... كان يهوى وينتقي
لم تعُدْ دارُها كما ... صانها قلبُهُ التقي
دنَّستْها قَصيَّة ... جَمَحَت بالذى يقي
يا أبا خالد متى ... نلتقي ؟ هل سنلتقي ؟
حَدّثتني نُبُوءة ... من عليم مُحقق
اننا سوف نلتقي ... عند حرف مُحَلِّق
يَستقي من منابعٍ ... لم تُشَب بالتَّملُّق
جادك الغيث ما هَمَى ... يا أبا كُلّ مُشرق
يا أبا خالدٍ وما ... يُسْعفُ اليومَ مَنطِقي
يا سراجًا لسالكٍ ... مُتْعَبِ الخطوِ مُرْهَقِ
يا خُطا زانها التقى ... يا فَكاكاً لِموثَقِ
هل تذكرتَ صاحبي ... بعضَ ما كان أو بقي
ذكرياتٌ قديمة ... قد جلاها تَدَفُّقي



جمعتْنا سماؤها   عند نارِ (المُحَلَّق)
نرتدي ثوب (جرولٍ)   مرةً و (الفرزدق)
نسحبُ الدرب بسمةً   بالمنى لم تُعوَّق
يومَ كأسي مزاجُها   منكَ بالحبِّ تستقي
نتعاطى حديثها   بين (بُصْرى) (وجلَّق)
وترانا على غدٍ   مثلها في (المُحرَّقِ)
ذكرياتٌ عتيقةٌ   مثل خمرٍ معتق
كلما قلتُ هاتها   قال: خُذْ غير مُوثَق
نتهادى قلائدا   كالنثير المنمَّق
في طريقٍ مليئةٍ   بالوفاء المُوثَّق
هل تذكرت صاحبي   بعض ما كان أو بقي
كم حديثٍ وصلْته   بحديثٍ مُرقَّق
وقديم سكبتَهُ   في وشاحٍ مُزوَّق
وجني من المنى   بابُهُ غير مغلق
تنثرُ الودَّ سائغا   كالشراب المصفَّق
يا أبا خالد لقد   ان فجرُ التألُّق
يا طليقاً موفقاً   لم يعُذْ بالمطوَّق
قلْ لرضوان حاجة   من فؤادٍ مُؤرَّق
هل لنا من بقيةٍ   نحتسيها ونتقي؟
أيها الراحل الذي   موتُه لم يُصدَّق
لو تأنيْت لحظةً   قبلَ يوم التفرق
لمُعنّى نأى به   دهرُهُ غيرُ مُشفِق
ولذي حاجةٍ سعى   سعيُهُ لم يُوفَّق
ولأخرى تركتَها   للأسى والتمزق
ما عهدنا أخا الندى   مُطرقاً أيّ مُطرق
عصف البينُ بالمنى   وهوى كلُّ مُورق
وانتهتْ بي شجونها   عند حرّان مُخنَق
لم يجدْ صوت خافقي   غير وقعٍ مُؤرَّق
يتمنى فراقنا   مثل بَينٍ مفرِّق
تتبارى سواكبا   أدمعي شبأن مُملق
لم أبحْها لشاربٍ   قبله لم تُفتَّق
كلما قلتُ: حسبها   أرسلتْ صوت مُضمعق
فدعوها فإنها   أمرتْ من مُخلَّق



فهذه الدعوة المخلصة، التي شحذت كل عوامل المشاركة الجماعية ، بما فيها العامل الديني - بكل ايحائه بعمق الايمان بعدالة القضية - قد وضعت الانسان العربي أمام حقيقة هذا الصراع :

أخي العربي اذا لم تهب
الى دعوة الحق ، لم نسلم

ولم تقتصر دعوة الشاعر الى المشاركة الجماعية ، في قضايا الأمة ، وممارساتها النضالية ، على مستوى المواجهة المباشرة مع الأعداء ، بل اننا نجد هذه الدعوة تتعلق بكل مظهر من مظاهر الوحدة العربية ، وبكل رمز من رموزها كمقوم أساسي ومهم من مقومات انتصارها النهائي في شتى مجالات صراعها .

ففي يوم احتفال الشعب العربي المصري ، بعيد ثورته الثامن ، نجد شاعرنا قد تلفع بكل المشاعر القومية وراح يرفع رايات العيد ، ويبارق الاحتفال بهذا الحدث العربي الكبير ، الذي أطلق عليه الشاعر اسم (عيد الأمة) في قصيدة (أمتي في عيدها الثامن) التي حفلت بكل توهج الحس القومي ، حين يتحاوز محاذير الواقع السياسي السلبي لبعض الأقطار العربية :

قف بالرئيس وهنئه (بلا رعب)
عن الخليج ومن فيه من العرب
عن الخليج وأبناء الخليج ومن
لو استطاعوا أتوا حبوا على الركب
المضمرون له بين الضلوع هوى
لو كان في الشمس لانصبت الى نصب

العروبة

وبكل هذا الحس القومي المتوهج ، وبكل عوامل الوحدة ، ووشائجها ، نرى توجه الشاعر الى قطر عربي شقيق هو (البحرين) وتوجه الشاعر الى البحرين بالذات ، يكتسب أهمية قصوى ، وينم عن موقف بالغ الخطورة والأهمية ، على ضوء ما نعرفه عن طبيعة الظروف والملابسات السياسية والدولية ، التي بلغت التشكيك في عروبة البحرين .

ففي ضوء هذه الظروف والملابسات تكمن أهمية وقيمة هذا الموقف العربي للشاعر ، وتأتي فاعلية هذا التأكيد على عروبة البحرين ، ورفض كل أسباب الادعاء التي ترمي الى سلبها وجهها العربي الأصيل :

قوم هم العرب الذين سمت بهم
همم ، ونجتاز السّماك تفوقا
فبلادهم بلد لنا ، وبلادنا
بلد لهم ، مفتوحة لن تغلقا
اهلوهم نحن ، وهم أهل لنا
صنوان في البلدين لن يتفرقا
هذي الوشائج اصبحت محبوكة
من بيننا حبكا وفيها الملتقى
وعلى صعيد المجد سوف يضمنا
وطن العروبة والعلا فالى اللقا

فاذا كانت الظروف والأحداث السياسية والدولية ، قد حدت بالشاعر الى تحديد وقفة خاصة للبحرين ، فان ايمانه بالعروبة وبمصير أبنائها المشترك وخاصة في أقطار الخليج العربي المحاط بالمخاطر ، والمحفوف بالأهواء والأطماع الاستعمارية ، بقدر ما في أراضيها من طاقة ، وما في تاريخها من أصالة وعراقة ، نجد في قصيدة (نفحات الخليج) تسجيلا وافيا ، لكل بؤر التخلف التي خلفها وعمق جرحها المستعمرون .

صاح ان الخليج قد ناء بالأعـ
ـباء واستوغلت به الهمجية
أخروه الى الوراء ، وبثوا الـ
ـفقر والجهل فيه والأمية
ألبسوه لباس جوع وخوف
وأذاقوه ذلة أبدية
وسعوا بين ساكنيه لبث الـ
ـنعرات الخبيثة الوحشية
شافعي هذا وذاك قبيلي
وهذا يدين بالزيدية
غرز القط نابه وغدا بالـ
ـمخلب الشرس يشجب القومية

ان هذا الايمان الراسخ بحتمية النصر الذي لاحت بشائره الذهبية ، على حد تعبير الشاعر ، المتمثلة في

تلك الثورات العربية في بعض الأقطار العربية ، هو الذي قاد الشاعر الى هذا الموقف المتفائل عن اقتناع من جهة ، وعن عمد وقصد من ناحية ثانية ، وذلك خشية من الشاعر فيما قد تكون تركته صورة الواقع السيء للشعب العربي في الخليج ، من أثر سلبي ، باليأس والقنوط عند بعض أفراد المجتمع ، فغدا يؤكد حتمية النصر ، رغم الواقع السيء لعرب الخليج الذي قد يغري الاستعمار ورموزه في المنطقة ، في ممارسة دورهم ، تأسيسا على اعتقادهم باستمرار الواقع على ما هو عليه من ظروف تتيح لهم الممارسة والتحرك :

أيها الطامعون بالأرض ،
أرض العروبة الأزلية
ليس فيها قيد أصبع لنفوذ الـ
ـمعتدى أو مناطق عسكرية
يا ضفاف الخليج حرمك الـلـ
ـه على المستبد ذي العنجهية

أبعاد أخرى

وبكل توهج الضمير الشعبي ، ومنطقه البسيط في التعبير والمعالجة ، نرى الشاعر قد كلل مشاعره بحزن الجماهير العربية - التي هزتها نكبة تقسيم فلسطين عام ١٩٤٨ حتى صميم الصميم من كبريائها التاريخية والحضارية ، والى ذروة الذروة من تطلعاتها القومية والانسانية ، فكانت قصيدة (فواخجلتاه) التي تجردت فيها المشاعر العربية الغاضبة الحزينة ، من وسائل الشعر واللغة وفنيتها ، الا في حدود ما يسمح لها بالانطلاق والتعبير :

أليس من العار أن نـدّعى
بأنا بنو العرب أو نحتسب ؟!
ونحن نغط بنوم عميق
نسينا به ما دنا واقترب
فواخجلتاه وواأسفاه
وقد داهم الخطر المرتقب

ولم تكن هموم الأمة العربية ، هي قضية الشاعر وهمه المستمر وحسب ، ولكن هموم الانسان في كل مكان من العالم ، ونضاله وقضايا تحرره ، وتحريره ، قد وجدت مساحة كبيرة في وتر الشاعر المشدود - دائما - على انغام الحرية والخلاص ، والثورة ، ومعاني هذه القضايا ورموزها الممثلة في القادة والمناضلين .

وهكذا جاءت قصيدة (لومومبا) هذا الزعيم الأفريقي القتيل ، الواعد بجمع شمل أفريقيا وخلاصها ، والذي لم يزعزع اغتياله ايمان الشاعر والشعب الأفريقي بحتمية الانتصار الحاسم لأصحاب القضية :

الشعب آلى أن يَهُبَّا
وعلى الطغاة يشن حربا
لا تحسبن الطامع الغدّا
ر يحسوا الكاس عذبا
الشعب ثار وراح يشـ
ـهر في وجوه البغي غضبا
آلى على أن يشجب الـ
وجه الدخيل هناك شجبا
لا لم يمت (بتريس لو
مومبا) وكلهم لومومبا

وهكذا يظل وتر الحس القومي الثائر مشدودا في قلب الشاعر ، يعزف في كل المناسبات وبمختلف صيغ المعالجة ، لقضايا أمته العربية ، تارة يحتشد مباركا صلابة صمودها كما في قصيدة (بورسعيد) وطوراً بكل عفوية الجماهير ، وصدق حدسها ، يلعن رموز الاستعمار وممارساتها المشبوهة كما في قصيدة (انجلترا) وقصيدة (العدو الأول) وحتى في المناسبات الدينية مثل ذكرى الرسول الكريم ، فإنه جعل منها مجالا لتلمس الانتصار وأسبابه ، ومثالا لعمق تاريخنا النضالي في سبيل تأصيل المبادىء والقيم الانسانية ، وقوة الصمود وأصالته المستمدة من قوة الايمان وقيم الدين الاسلامي العظيم ، واستلهام معاني القوة ومناط التأسي من مسيرته الكبرى في سبيل خلاص الانسان على هذه الأرض .

ومن هذا كله يتضح لنا توجه الشاعر القومي الملتزم مصيريا ، بمجموع المبادىء والقيم التي تشكل جوهر القضية □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ب

بروليتاريا

يستخدم تعبير بروليتاريا لوصف الطبقات الدنيا والبائسة والمعدمة في المجتمع ، تلك « الطبقات التي لاتملك شيئا ولا تستطيع أن تستمر في الحياة الا بقوة عملها » .

والكلمة مشتقة تاريخيا من تعبير قانوني روماني قديم ، فقد كان المجتمع الروماني القديم مقسماً الى ست طبقات ، كانت الطبقة السادسة والأخيرة هي فئة البروليتاريا وكانت هذه الطبقة معفاة من الضرائب وليست لها أي صفة في المجتمع ولا ينظر اليها كمصدر فائدة الا لانجاب الاطفال ليتحولوا بعد ذلك الى عبيد وجنود

وفي أوائل القرن التاسع عشر استخدم المفكر الفرنسي سان سيمون * (١٧٦٠ - ١٨٢٥)تعبير البروليتاريا لكي يصف الذين لايملكون أي نصيب من الثروة العامة ولايحظون بأي ضمانة من ضمانات الحياة،فهم « طبقة بلا ماض وبلا مستقبل أيضا »

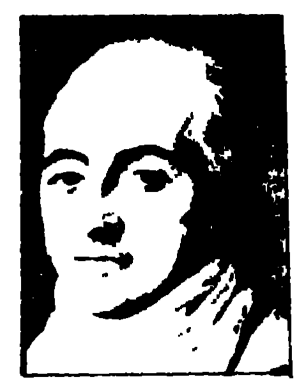
الا أن التطور في مفهوم التعبير واتساع معناه وشيوعه على ماهو متعارف عليه الآن في العلوم الاقتصادية والسياسية فقد تم على يد كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) فقد عرف ماركس طبقة البروليتاريا بأنها«الطبقة التي تتحمل كل أعباء المجتمع دون أن تنال أي ميزة من ميزات المجتمع ، وهي طبقة لاتعيش الا بقدر ماتجد عملا وبالتالي فاصحابها نتيجة اضطرارهم الى بيع قوة عملهم يصبحون سلعة شبيهة بأي سلعة أخرى تخضع الى كل قوانين السوق من مزاحمة ، وتقلبات ومساومة وعرض وطلب .)

ومن هنا فان البروليتاريا في رأي ماركس تمثل الضياع الكامل للانسان ، هذا الضياع الذي لايمكن تعويضه الا بأن يكتسب الانسان نفسه بأن يتحول الى قوة مناهضة للطبقات الأخرى وهذا هو دورها كما تخيله بعض المفكرين في الحجم الذي تتواجد فيه

ومع استخدام التعبير وتعقد شكل الحياة الاقتصادية والاجتماعية اشتق منه تعبير آخر ليصف طبقة اكثر دونية وهو تعبير (البروليتاريا الدنيا أو الرثة)وهي تلك الفئة التي تنشأ على هامش الأعمال الاقتصادية وتقوم بأعمال صغيرة مثل مسح الأحذية وخدمة المنازل وجمع اعقاب السجائر . . الخ ، ويستخدم الماركسيون تعبير البروليتاريا الدنيا لوصف هذه الفئات التي في رأيهم يصعب اكتسابها الوعي البروليتاري المناضل .

---

*من أوائل من بشر بالاشتراكية الخيالية ، ودعا الى عالم جديد ، تنبأ فيه بوضع جديد للعمال حيث أن مستقبل العالم في الصناعة ، ويذهب انصاره الى انه هو اول داعية لانشاء علم الاجتماع وليس سكرتيره « أوجست كونت » ، الا ان أخطر ما قدمه للفكر الانساني هو نظرته للتاريخ ومن مؤلفاته : رسائل من أحد سكان جنيف الى معاصريه ، في النظام الصناعي ، محاولات في تنظيم المجتمع ، المسيحية الجديدة .



سان سيمون

كارل ماركس

وليس بالضرورة أن توحد البروليتاريا في كل المجتمعات ولكن المفهوم ذاته يستخدم اليوم في العلوم الاجتماعيه بكثرة ويعني في بعض الأوقات معاني عبر متطابقة

ورغم ان المفهوم أجنبي الا انه يستخدم كثيرا في الكتابات العربية

رغم أن ظروف المجتمعات العربية تختلف كثيرا عن المجتمعات التي ظهر فيها هذا المفهوم ولذا فإن بعض الكتابات العربية تفضل إطلاق تعبير « الطبقة العاملة » على الطبقات التي تقوم بعبء العملية الانتاجية في المجتمع العربي . □

بورجوازية

■ طبقة اجتماعية ترمز الى فئات التجار وأصحاب الأعمال والمعنيين بالاشراف على شئون الصناعة والتجارة وأصحاب المحلات العامة ، وارتبطت الكلمة تاريخيا بالمدن والقرى الكبيرة ذات الاسواق التجارية ، ووفق التفسير المادي للتاريخ والذي يقسم مراحل تطور التاريخ الانساني الى مراحل هي مرحلة المشاع ، مرحلة الرق والعبودية ، مرحلة الاقطاع ، مرحلة البرجوازية ، مرحلة الاشتراكية ، فان المجتمع البرجوازي قد قام على انقاض المجتمع الاقطاعي ، وازدياد التجارة الدولية بين الشرق والعرب على اثر الحروب الصليبية ، وصاحب نشوء المجتمع البرجوازي ظهور العصر الصناعي فازدادت قوة البرجوازيين الذين تملكوا مصادر الثروة العقارية والزراعية والصناعية

وبينما تسوي النظرية الماركسية بين البرجوازي والرأسمالي اذ تعتبر كليهما خارج الطبقة العاملة ، ومستغلا لجهدها وطاقاتها ، يرى الاشتراكيون أن النظام البرجوازي يحمل بذور فنائه داخله فحيث أن البرجوازيين يسعون الى زيادة ثروتهم فانهم في نفس الوقت يزيدون من اتساع قاعدة الطبقة العاملة ، وتصبح بالتالي كل مفاتيح القوة الانتاجية في يدها ، ومع الوعي الذي يتكون لدى الطبقة العاملة نتيجة لتناقضات البرجوازية فان هذين العاملين : تكثيف الثروة من جهة ، والوعي من جهة أخرى ، سيؤديان الى الثورة الشعبية .

واتسع نطاق المصطلح وأصبح هناك ما يعرف بالبرجوازية الصغيرة والبرجوازية الوطنية ، فالبرجوازية الصغيرة تعني الشريحة الدنيا من طبقة البرجوازية وتضم صغار الفلاحين وصغار التجار وأصحاب الحرف

والبرجوازية الوطنية هي الشريحة الوسطى من الطبقة البرجوازية وهي تأخذ موقفا متقدما في دول العالم الثالث بتحالفها مع الطبقة العاملة وتأييدها لسياسات الاستقلال الاقتصادي ورفض التبعية . □



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

شاعر يرثي نفسه

مالك بن الريب التميمي

■ هذه أبيات من قصيدة لمالك بن الريب المازني التميمي ، وهوشاعر نشأ في بادية بني تميم قرب البصرة ، وكان شابا قوي الحيوية بدليل ايمانه بنفسه واعتداده بشخصيته كما ترى في بعض خبره . آلمه انتشار الفقر حوله ، فإن ولاة الأمر في الدولة ـ بعد عهد الخلفاء الراشدين ـ أقبلوا على جمع أسباب الثروة والسلطة والتنعم بها ، وأهملوا ضعاف الرعية ولا سيما أهل البادية أو البوادي ، فانتشر فيها الفقر واضطرب الأمن ، وعاد حالها الى نحو ماكانت عليه في الجاهلية ، من اغارة بعض قبائلها على بعض ، وظهور العصابات لقطع الطريق بعيدا عن مراكز السلطة ، ومن هؤلاء كان مالك وعصابته .

وحدث في عهد دولة معاوية بن أبي سفيان أن أراد البيعة لابنه يزيد ، وكان ممن كره هذه البيعة من أعيان بيته الأموي سعيد بن عثمان بن عفان الذي كان يرى انه اذا كانت هناك بيعة بولاية عهد ، فهو أحق بها لان أباه عثمان بن عفان كان أيضا خليفة من قبل ، وله فضل كبير على معاوية في رفع مكانته وتوطيد سلطانه ، فحاول معاوية ارضاءه أو اسكاته بأن عينه واليا على خراسان بعيدا وأرسله على رأس جيش للفتح هناك شرقا .

ولما سمع في طريقه الى هناك بأخبار مالك وعصابته استدعاهم اليه ، فهرب بعضهم ، وأجابه مالك ، فلما لقيه دعاه أن يتوب ويصحبه فرضي ، ولكنه لما عرض عليه أن يكون سائس خيله رفض هذا المنصب الذي عده غير لائق به في كفايته لما هو أفضل ، وأبى الا أن يكون في المحاربين ، فوافق سعيد ، وقبل أن يخرج الجيش من خراسان راجعا مرض مالك ، قيل : لأنه أراد لبس خفه فلدغته حية كانت مختبئة فيه .

ومالك في هذه القصيدة يألم لموته بعيدا عن أهله ، ويرثي نفسه معدّدا مناقبه ، معزّيا نفسه بين ترويح ذكرياته في أهله وغزواته ، وبين الحزن على ميتته غريبا .

ومالك ممن يسمون (بشعراء الواحدة) وهم الذين اشتهروا في الشعر بشهرة قصيدة لهم واحدة ، وان كان لهم غيرها ، وفي شعر مالك صدق وجزالة .

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلة
بجنب الغضى أزجي القلاص النواجيا[1]
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لو دنا الغضى
مزار ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعت الضلالة بالهدى
وأصبحت في جيش بن عفان غازيا
لعمري لئن غالت خراسان هامتي
لقد كنت عن بابيْ خراسان نائيا
فلله دري يوم أترك طائعا
بيّ باعلى الرقمتين وماليا
ودر كبيريْ اللذين كلاهما
على شفيق ناصح لو نهانيا
ودر الهوى من حيث يدعو صحابه
ودر لجاجاتي ودر انتهائيا
تذكرت من يبكي على فلم أجد
سوى السيف والرمح الرديني باكيا[2]
وأشقر محبوك يجر عنانه
الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا[3]
صريع على أيدي الرجال بقفرة
يسوون قبري حيث حم قضائيا
ولما تراءت عند مرو منيتي
وخل بها جسمي وحانت وفاتيا[4]
أقول لأصحابي : ارفعوني فإنني
يقر لعيني أن سهيل بداليا
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا
برابية ، إني مقيم لياليا
أقيما على اليوم أو بعض ليلة
ولا تعجلاني ، قد تبين مابيا
وقوما اذا ما استل روحي وهيئا
لي السدر والأكفان ثم أبكيا ليا

وخُطّا بأطراف الأسنة مضجعي
وردا على عيني فضل ردائيا
ولا تحسداني - بارك الله فيكما -
من الأرض ذات العرض أن توسعا ليا

خذاني فجراني ببردي اليكما
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أدبرت
سريعا الى الهيجا الى من دعانيا

وقد كنت محمودا لدى الزاد والقرى
وعن شتمىَ ابن العم والجار وانيا
وقُوما على بئر الشُبَيِّك فأسمعا
بها الوحش والبيض الحسان الروانيا[5]

بأنكما خلفتماني بقفرة
تهيل على الريح فيها السواقيا
ولا تنسيا عهدي خليلي إنني
تقطع أوصالي وتبلى عظاميا

يقولون : لا تبعد ! وهم يدفنونني
وأين مكان البعد إلا مكانيا
غداة غدٍ يالهف نفسي على غد
إذا أدلجوا عني وخلفت ثاويا
وأصبح مالي من طريف وتالد
لغيري وكان المال بالأمس ماليا

أقلب طرفي فوق رحلي فلا أرى
به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل منا نسوة لو شهدنني
بكين وفدّين الطبيب المداويا

فمنهن أمي وابنتاها وخالتي
وباكية أخرى تهيج البواكيا[6]
وما كان عهد الرمل مني وأهله
ذميما ، ولا بالرمل ودعت قاليا

---

١ - الغضى : شجر صحراوي ، وكانت قبيلته ، تنزل في موضع يكثر فيه هذا الشجر والشاعر يكرر كلمة الغضى ترويحا عن ضيقه حين تراجعه ذكرياته مع قومه فيه . والقلاص النواجي : النياق السريعة .
٢ - الرديني : نسبة الى امرأة اسمها ردينة كانت تصنع الرماح . ٣ - يصف حصانه بالقوة : عنانه : لجامه .
٤ - مرو : عاصمة خراسان - والمنية : الموت - خل : اختل فضعف .
٥ - بئر الشبيك : مكان : الرواني : جمع رانية ، ورنا : نظر ٦ - باكية اخرى : زوجته .



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

كلّ وجميع وعامّة

ذكرنا في العددين السابقين (٣١٣ ، ٣١٤) أن ألفاظ التوكيد وأنها سبعة (نفس) و (عين) لتوكيد المفرد . و (كلا) و (كلتا) لتوكيد المثنى مذكرا ومؤنثا ، و (كل) و (جميع) و (عامة) لتوكيد الجمع وشبهه (المفرد ذي الأجزاء) ومثلنا لكل لفظ منها بما يبين طريقة استعماله في حالتيه .

الاولى : حين يذكر بعد مؤكد ، مضافا الى ضمير يناسب هذا المؤكد ، فيكون تابعا له في الاعراب رفعا ونصبا وجرا ، كما في قوله تعالى : « واليه يرجع الأمرُ كلّه » (مرفوعان) وقوله : « وعلم آدم الاسماء كلَّها » (منصوبان) وقوله : « وتؤمنون بالكتاب كله » (مجروران) .

الثانية : حين لا يذكر بعد مؤكد فيتبعه ، بل يكون مستقلا ، وقد يكون مضافا إلى ضمير ، أو مضافا الى اسم ظاهر ، أو منقطعا عن الاضافة ، ويعرب حينئذ على وفق موضعه من السياق ، فيكون مبتدأ كقوله تعالى : « كلٌّ له قانتون » أو فاعلا كقوله : « يوم تجد كلُّ نفس ما عملت من خير محضراً » أو نائب فاعل كقوله : « ووُفيت كلُّ نفس ما كسبت ، وهم لا يظلمون »

وقد اخترنا هنا لفظ (كل) في التمثيل لأنه أكثر استعمالا ، ونزيد هنا أنه قد يأتي لفظ توكيد بعد مثله في المعنى ، فتستعمله في التأكيد ، كقوله تعالى : « فسجد الملائكة كلّهم أجمعون » وقوله : « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلُّهم جميعا » .

ومن هذا نعلم أن اللفظ قد يدل على التوكيد ولكنه لا يعرب توكيدا في اصطلاح النحاة ، الا حين يسبقه مؤكد ، والتوكيد في هذه الحالة يتبع المؤكد في اعرابه كما مثلنا هنا قبل ، وحينئذ ينبغي - على وفق منهج نحاتنا - أن يدرس مع التوابع الأخرى (النعت والعطف والبدل) لأن منهجهم تقسيم النحو أبوابا على وفق اعراب الكلمات ، واهتمامهم بهذا أكثر من اهتمامهم بمعاني الجمل .

أما في الحالة الأخرى حين لا يأتي لفظ التوكيد بعد مؤكد فانه يعرب على وفق سياق العبارة وقد مثلنا لذلك هنا قبل . وألفاظ التوكيد في هذه الحالة الثانية ينبغي - كما يقتضي منهج النحاة في التقسيم الاعرابي - ان تعتبر كسائر الأسماء في توزعها بين أبوابها النحوية ، ولا تدرس في باب التوكيد مع التوابع الأخرى ، لأنها ليست تابعة ، بل مستقلة .

من هنا يبدو لنا أن هذا الاصطلاح النحوي يحتاج الى اصلاح كي يتفق مع منهجهم الاعرابي .

ولو أنهم قسموا النحو أبوابا على وفق معاني الجمل ، لوجب أن يدرسوا كل الجمل الدالة على

التوكيد وأدوات توكيدها في باب واحد هو باب التوكيد، ومن هنا احتاج المعنى عندنا الى تكملة من علوم البلاغة .

وتختلف دلالة لفظ(كل) حين يكون مستقلا (أو معربا على وفق السياق) سواء كان مضافا الى ظاهر أو ضمير أو منقطعا عن الاضافة .

فيدل على الواحد اذا اضيف الى واحد ، كقوله تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين » وقوله « كل نفس ذائقة الموت »

أو أضيف الى ما يدل على معنى الواحد ، مثل:

« كل من تلقاه يشكو دهره
ليت شعري هذه الدنيا لمن ؟ »

ويدل على المثنى اذا اضيف الى مثنى أو ماقي معناه كقول الفرزدق في مخاطبة ذئب لقيه في الصحراء :

« وكل رفيقي كل رحل ـ وان هما
تعاطى القنا قوما هما ـ أخوان »

وكقولنا : « كل من تصادقنا ملتزمهان بالوفاء »

ويدل على جمع اذا اضيف الى جمع أو ماني معناه كقوله تعالى « كل حزب بما لديهم فرحون » .

وقد يضاف الى ما ظاهره يدل على جمع ، مع أنه يدل على واحد وكأنه منقطع عن الاضافة كقول دعبل الخزاعي في هجاء :

« الناس،كلُّهمُ يغدو لحاجته
من بين ذي فرح فيها ومهموم »

وقد يدل على معنى الجمع اذا قصد به الجمع : كما جاء في الأثر (كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون) ويمكن أن يقال عند قصد الافراد (كل بني آدم خطاء) أي كل واحد منهم خطّاء .

وكثيرا ما يأتي لفظ (كل) مقطوعا عن الاضافة لفظا ، وهي ملاحظة معنى ، وحينئذ يدل على المفرد ، كقوله تعالى:« وكلا وعد الله الحسنى »وقوله: « فكلا أخذنا بذنبه » وقد يدل على الجمع ، كما في قوله تعالى:« وإنَّ كلاً لَّما لَيوفينهم ربك اعمالهم »

وهناك استعمال آخر لهذه الألفاظ التوكيدية الدالة على العموم ، لم يتعرض له النحاة ، لأنهم ـ كما قدمنا ـ اهتموا بإعراب الألفاظ أشد من اهتمامهم بمعاني الجمل ، مع أنهم يقولون : « الاعراب فرع المعنى » وهذا صحيح ، ومع هذا تمسكوا بالفرع أكثر من تمسكهم بالأصل ، ولكن هذا الاستعمال الأخر قد تنبه له البلاغيون ، فيما يسمونه « علم المعاني » ، أحد علوم البلاغة ، وما هذه المعاني الا معاني النحو ، أو معاني التراكيب ، من توكيد ، ونفي ، واثبات ، واستفهام ، وقصر ، ويتضح هذا الاستعمال الأخر حين يقترن أحد الألفاظ التوكيدية الدالة على العموم بأداة نفي ، فيتقدم عليها ، أو تتقدم عليه ، فاذا تقدم لفظ العموم على أداة النفي في الجملة دلت الجملة على ما يسمى في علم المعاني « عموم السلب »واذا تقدمت أداة النفي على لفظ العموم دلت الجملة على ما يسمى « سلب العموم » واليك توضيح الفرق بينهما :ـ

(عموم السلب) أو شمول النفي : اذا قلنا : « كل الأحياء لا تستغني عن الهواء » كان المعنى أنه لا أحد من الأحياء يستغني عن الهواء ، أي أن اللفظ « كل » هنا سور جامع شامل كلي حول النص كله ، وكذلك حين تستخدم (جميع) أو (عامة) كقولنا : « جميع النساء لا يصلحن للحرب » و « عامة الحيوانات آكلة الحشائش لا تأكل اللحوم » .

ويشترط في هذه الحالة أن لا يكون لفظ العموم معمولا للفعل بعده (كالأمثلة السابقة) فان كان معمولا للفعل بعده أفاد سلب العموم غالبا ، سواء تقدمت أداة النفي لفظا أو تأخرت ، مثال تقديم لفظ العموم على أداة النفي : « كلَّ بلاد الغرب لم اشاهْد » ولا تمنع هذه الجملة ان أكون قد شاهدت بعض بلاد الغرب دون بعض ، ومثال تقديم أداة النفي : « الماء لا يحمل كل الأجسام » ، أي أنه يحمل بعضها دون بعض .

(سلب العموم) أو نفي الشمول : اذا قلنا:« ما كل طائر يطير » فالمعنى أنه بعض الطير لا يطير ، ويقل في مثل هذا التركيب الذي تتقدم فيه اداة النفي على لفظ العموم أن يكون لعموم النفي ، كقولنا : (الناس لا يحترمون كل مهذب ، ولا يكرهون كل طعام) . ويكشف عن المقصود هنا الذوق والاستعمال . □

---

(١) ولم يستعمل لفظ (عامة) في القرآن الكريم ، ولكن استعمل لفظ (كافة) للدلالة على العموم واستعمل لفظ (جميع) و (أجمعين) كثيرا ، ولكن لفظ (كل) فيه أكثر ورودا

هلاّ أعدت النظر في هذا الصّندوق.. ؟

التلفزيون

قوة توجهنا .. أم نوجهها ؟

بقلم : فاروق عبدالعزيز

****

الصندوق ..

صندوق الصور ، صندوق الأشرطة وصندوق الذاكرة البشرية المعاشة ، وصندوق الأوهام والحقائق والأساطير والأكاذيب والأخبار والضحكات والمشاعر .

صندوق الدنيا المعاصر ، وصندوق العالم الجديد . .

صندوق بيتك التلفزيون ! هل تعرفه حقا ؟

نعرف أنه وسيلة من وسائل الاتصال ، هدفها نقل المعلومات وتحقيق غايتي الفن اللتين حددهما أرسطو في كتابه « فن الشعر » وهما الامتاع والتثقيف .

ولكن هذه ليست معرفة « كاملة » بالتلفزيون . البعض الواعي منا يقول بأن التلفزيون جهاز خطير ، اذ أن تأثيره يفوق تأثير كافة الوسائل الاعلامية الاخرى .

****

■ ما من كاتب من كتّاب الخيال العلمي ، الا وقرن بين التلفزيون وبين سلطة قمعية فوقية ، تستهدف تسخير رعيتها وسلب قدراتها الانتقائية النقدية .

في عام ١٩٤٨ نشر الكاتب البريطاني جورج اورويل رائعته « ١٩٨٤ » التي صور فيها مجتمعا شموليا مخيفا ، يخضع الجميع فيه لابتسامة « الأخ الأكبر » الغامضة ، ويُستخدم فيه التلفزيون ـ مع

الغاء الكتابة ، وكافة الوسائل الاخرى للاعلام أو للتفكير - كجهاز لمراقبة الرعايا والوشاية بهم ، اذا ما جرأوا على تبادل الأفكار أو العواطف .

في نظر اورويل ، التلفزيون هنا جهاز خائن .

ويصور اورويل ما دار في أحد اجتماعات « دقائق الكراهية اليومية » حيث يجتمع الناس لمشاهدة شاشة تلفريون صخمة ، سرعان ما تنير وتظهر عليها صورة رجل يقال عنه انه خائن وهو يتحدث .

لم يحدث لمرة واحدة أن استمع أحد لما يقول ، لأن كل مشارك في هذا الاجتماع الاجباري لابد أن يظهر مدى كراهيته للخائن بالصراخ ، والاحتجاج فور ظهور صورته على الشاشة لان التلفزيون يقول لهم كل يوم إن هذا الرحل خائن . وقد عقب اوبريان مهندس التعديب على ذلك ذات مرة لبطل الرواية ونستون قائلا : « انهم يصدقون كل مايقال لهم في التلفزيون » وفي عام ١٩٥٧ نشر الكاتب الامريكي « راي برادبيري » رواية بعنوان « فهرنهيت ٤٥١ » حولها المخرج الفرنسي فرانسوا تروفو الى فيلم ممتاز بعد صدورها بستة أعوام وفهرنهيت ٤٥١ هي الدرجة التي تحترق عندها الكتب في حكومة خيالية ، ترفض التفكير وكل ما يؤدي اليه ، وتستخدم التلفريون كوسيلة للمراقبة والامتاع فقط . أما التثقيف فلا صرورة له في رأي مفكر الحكومة ، وفيلسوف الحريق الكابتن بيتي : « اذا كانت الحكومة عاجزة كثيرة التكاليف ، ترهق الناس بالصرائب الفادحة ، فمن الأفضل للجميع أن يتحملوا ذلك بدلا من أن يقلقوا الهدوء . أشغل الناس في هذه الحالة بمسابقات تلفزيونية عن الأغاني المشهورة ، باسقاط أو تغيير بضع كلمات ليتذكروها ، أو عن أسماء عواصم الولايات أو الاحصائيات الزراعية ، احشد اذهانهم بمعلومات لا يعارض بعضها البعض الآخر . وبالحقائق حتى يشعروا أنهم بارعون ، راضون عن انفسهم ، وعندئذ يشعرون انهم يفكرون ويحسون في الوقت الذي لا يفكرون فيه في الحقيقة . لا تعطيهم أشياء فيها مزالق كالفلسفة أو علوم الاجتماع مما يعقد الأمور ، وفي هذا الطريق الى الحزن والأسى . نحن فتيان السعادة ، ونحن نقف ضد تلك الموجة الضئيلة ، التي تريد للجميع الشقاء والتصارع حول النظريات والأفكار ، ويجب علينا الثبات في موقفنا » .

وفي موضع آخر يقول بطل الرواية « مونتاج » (ضابط حريق الكتب) لزوجته بعد أن اكتشف أن هناك شيئا عظيما اسمه « الكتاب » . . .

« في كل ساعة تمر أشياء كثيرة ملعونة في الجو . كيف تصعد الى الجو في كل ثانية من أوقات حياتنا ؟ لماذا لا يتكلم أحد في هذا الشأن ؟ لقد بدأنا حربين ذريتين وانتصرنا فيهما منذ عام ١٩٦٠ . . . اننا نلهو كثيرا هنا وننسى ما يعانيه العالم من فقر شديد ، لقد سمعت شائعات تقول إن العالم يموت جوعا واننا ممتلئو البطون . فهل صحيح أن العالم كله يكد ويكدح ونحن نلهو ؟ أيكون هذا هو سبب كراهية العالم لنا كل هذه الكراهية ؟ لقد سمعت أخيرا شائعات حول هذه الكراهية ايضا . أتعرفين السبب ؟ أنا لا أعرف ! ربما تخرجنا الكتب من كهوفنا ، وقد تحول هذه الكتب دون ارتكاب مثل هذا الخطأ الجنوني الملعون مرة أخرى . « انا لا أسمع تلك الشخصيات التلفزيونية الملعونة على حدار غرفة الاستقبال تذكر شيئا عن هذا » .

ليس كله خيالا :

ما كتبه جورج اورويل في عام ١٩٤٨ كان تعبيرا عن حوف كبير عما شاع عن بعض الأنظمة الشمولية في الشرق في تلك الفترة . وما نشره راي برادبيري كان احتجاجا صارخا على النشاط المحموم لمحاكم التفتيش الحديثة المعروفة « بلجنة النشاط غير الأمريكي » والتي تزعمها السيناتور جوزيف ماكارثي في نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات للتفتيش في العقول الأمريكية المتفقة عما اسماه السيناتور أفكارا تقدمية .

طالع مرة أخرى الفقرات المأخوذة من عمل اورويل وبرادبيري . ودقق خاصة في دور التلفزيون (هذا الجهاز المسالم الذي نستقبله أنا وأنت ونحن في بيوتنا) وكيف « تنبأ » الكاتبان بصفاته التخديرية . تأمل ما قيل وستكتشف بسهولة أنه ليس كله خيالا .



الجميع من كل الأعمار يخضعون لتأثير الرسالة التلفزيونية السلبي والايجابي . كل يستقبل رسالته حسب مرسمه الخاص والفيديو بجوار الصندوق كشقيقه الأصغر

المؤسسة . . والناس . . والصندوق :

ان الغاية الأساسية من هذا المقال هي التعرف على ذلك الجهاز ومفرداته اللغوية ، في ضوء اعتباره « وسيطا ساخنا » (على حد تعبير عالم الاتصال الكندي مارشال ماكلوهان) أي جهازا بالغ التأثير في جهازنا الفكري وعقليتنا التربوية . والتربية هي ـ في الأساس ـ اتصال فيزيقي يستهدف انتاج معان معينة . ولكي نتعرف (في اعادة نظر) الى التلفزيون يتوجب علينا ادراك المكونات الأساسية لعملية التوصيل الموافقة لولادة هذا الوسيط الساخن .

فاللغة وسيلة من وسائل الاتصال كما هو معروف .

ووسائط الاتصال كلها هي قنوات ممتدة بين طرف وطرف .

وكلما ازدادت وسائط الاتصال تركيبا وتعقيدا تشعبت المسالك ، لكن الأساس النظري يظل قائما هناك مرسل في داخل المؤسسة التلفزيونية يرسل لك رسالة .

أي مادة تلفزيونية هي رسالة لها مضمون معين . والجهاز هو قناة تحمل رسالة المرسل اليك أيها المستقبل « بكسر الباء » الجالس على الطرف الآخر من المعادلة .

هم مرسلون ونحن مستقبلون عبر قناة التلفزيون ، وكما يفترض في كل وسيط ، فان كلا من المرسل والمستقبل يقوم بدوره حسب تكوينه الحضاري الشامل ـ سياسيا وتاريخيا واجتماعيا وثقافيا ـ وفي لغة الاعلام يقولون ان المرسل يرسل لك رسالة خاضعة لرموز ورموز فرعية خاصة . ويفترض فيك وأنت على الطرف الآخر أن تستقبل الرسالة ـ أو الرموز ـ طبقا للقواعد التفسيرية لها .

ماهو رمزك وماهو رمزي ؟

ولان نظم الرموز مختلفة ، فان عملية الاتصال ليست سهلة على الاطلاق . فلو استقل استاذ جامعي

أكاديمي تاكسيا وحادث السائق فان الاتصال قد يكون عسيرا . وفي الوقت الذي يبدو فيه التوصيف اللغوي في القواميس سهلا ، فان الرموز والرموز الفرعية للكلمات تتحول الى عملية بالغة التعقيد والتركيب عندما يعاملها المرسل كصورة . فالضمادع شهية عند الفرنسيين والايطاليين ، وفظيعة مقززة عند غيرهم . والأمثلة على ذلك كثيرة .

الضفدع :- رمز أصلي - مشترك بين كل الشعوب فهو حيوان ، اما استخدامات الضفدع فهي رموز فرعية تختلف بين البشر في كل الأزمنة والأمكنة .

وقد أعطى الفيلسوف فيتجنشتين مثالا لاختلاف الرموز الفرعية ، حين روى أنه كان يستقل قطارا دات مرة من لندن الى كامبردج ، برفقة الاقتصادي الايطالي « بييرو سرافا » حينما سأله الأخير ببراءة ، ما معنى هذه الحركة ؟ وقام بحركة معينة ثم شرح له « سرافا » عدة معان لهذه الحركة في اللغة الاشارية لاهالي نابولي .

بعدها عكف فنجنشتين على اعادة التفكير في تحرياته الفلسفية ، فنظر الى الاتصال كلعبة صعبة ومشكلة . فبين المرسل والمرسل اليه هناك ما يعرف بعنصر البوميرانج (وهو تأثير قادة الرأي في المجتمع) والحاجة الى توصيل مباشر للرسالة - بطريقة من الباب للباب - كما أن هناك أيضا فلترات - أو مرشحات - نفسية وثقافية واجتماعية . وكلما كانت الدولة حديثة العهد بحضارة الاتصالات ، أمكن تغيير آراء المشاهدين بسهولة في الرسائل المبعوثة . وأحيانا تقف قوى وعادات وأفكار مختلفة الاتجاهات - يمكن للسلطات اللعب عليها بسهولة - في طريق الرسائل ، بحيث تغير فحواها الى الوجهة التي تريدها تماما .

في المجتمعات المتقدمة - أي تلك التي استوعبت حضارة الاتصالات وليست وسائلها المادية فقط يترك للفرد تقرير علاقته بالرسالة بأكبر قدر مخفف من تأثير البوميرانج .

أما في المجتمعات المتخلفة فان سيطرة التوجيه المركزي المتمثل في الدولة أو في قوة اجتماعية معينة ، مضافة الى التأثير السحري للتلفزيون ، يجعلان من كل ما يعرض مادة قابلة للتصديق . . « فهم يصدقون كل مايقال » .

الواقع أننا لا نشاهد مانريد ولكن ما يعرض علينا

تسود مجموعة من الأوهام المتبادلة بين المرسل ، والمرسل اليه . ومعظم هذه الأوهام في البلدان التي يكون فيها الجهاز طليقا - دون نظريات - والتي لا تملك أدوات فعالة لقياس الرأي العام .

وأول هذه الأوهام هو اعتقاد المرسل بأن رسالته « تصل » - وهذا أولا - والى « كل » المرسل اليهم -



ان المادة التلفزيونية لقوة ارسالها عبر وسيط ساحن يمكن أن تكون قاتلة



الأخ الأكبر البطل ذو الاستقامة الغامضة والذي لا يراه أحد بشخصه في رواية أورويل ١٩٨٤ انه يراقبك ويعتني بك

وهذا ثانيا ـ ويخلط المرسل كثيرا بين مشاهدة التلفزيون وبين وصول الرسالة .

من هذه الأوهام أيضا التصور بأن الرسالة غالبا ما تكون خالية من الأخطاء . وقد ذكرت أن المشاهدين في المناطق المتخلفة يشاهدون جميع برامج السهرة ويصدقونها جميعا . «لو تصورنا أن ثمة خطأ (مخالفا عادة لفلسفة المؤسسة المرسلة للرسائل التلفزيونية) تقدر نسبته بـ ٥٪ فان جيلا كاملا يمكن أن يتلقى هذا الخطأ » ويتعلم » منه .

ومن الأوهام أيضا تصور أن « الجمهور » كله يشاهد أو يتلقى . ومكمن الوهم في استخدام كلمات الجمهور والجماهير وجموع المشاهدين ، وهذه كلمات شديدة العمومية تشير بالضرورة الى « كتلة بشرية مستقبلة سلبياً لما يلقى اليها من رسائل » وكلما أوغلت المنطقة في التخلف استخدم رأي أقل عدد من الجماهير للدلالة على صواب الرسالة أو خطئها باللجوء الى معايير قيمية غير ثابتة .

الوهم الكبير :

ثمة واحد من الأوهام الكبرى حول المشاهدة التلفزيونية . . فطقوس المشاهدة تتضمن بالضرورة جلسة خاصة تتماشى مع فلسفة التلفزيون السائدة : ان رسالة الجهاز ترفيهية فلا تثقل على الناس بالرسائل التعليمية .

فالمشاهد يسترخي في الصالون أو في غرفة النوم في أي وضع يريحه . وبعد مضي فترة من الزمن يتحول هذا المخلوق الى جهاز استقبال سلبي كامل ، لما يمليه عليه رسول حضارة الاستقبال السلبي للصور .

يتوهم هذا المشاهد ـ وهو نحن جميعا (تقريبا) ـ أن قدرته على الاختيار في أفضل حالاتها ، وأنه اختار هذه الرسالة بارادته ، انها مجرد برنامج أو اعلان او تمثيلية أو فيلم ، وفي نظره مجرد مادة مسلية ـ ويؤكد أنه يستقبلها جيدا . ولكن الواقع أن الخدر يبدأ في التسلل اليه بعد قليل باعثا نوعا من البلادة الجسدية التي سرعان ما تتسلل هي الاخرى الى الاجزاء العليا من جسمه ، فيتحول الى كائن غير قادر على المقاومة ، حتى اذا توقفت المادة عن تحقيق العرض منها عنده وهو التسلية ، فانه يعجز عن النقل الى وسيط آخر يسليه .

في العادة يفتش في كل القنوات المتاحة داخليا وخارجيا عن تسلية صورية بديلة . لقد صار كائنا مستعمرا بالتسلية الصورية . وهذا هو الوهم الكبير . وهم التسلية التي يوفرها الوسيط الساخن . اذ أن كل ما يعقب هذا الاستعمار تلقائيا هو استقبال سلبي كامل لكل الرسائل يتحول ، شيئا فشيئا ـ كالخدر المتسلل تماما ـ الى استعمار فكري ثقافي كامل .

انه يتصور انه ينتقي المادة . وفي الواقع ، انه تحول الى كائن فاقد تماما لقدرته الانتقائية . وهذا هو ما قد يمكن أن يسمى في مجال آخر بانحدار الذوق العام .

بعد عدة ساعات من المشاهدة اليومية ، يتحول هذا الكائن الى كائن مستهلك قابل ومصدق لما يشاهده . الأفضليات عنده تتحكم فيها غريزته المباشرة الفجة ، فقد سرى الخدر الى الجزء العلوي من جسده بما في ذلك عينيه .

وفي الواقع اننا نستورد الجهاز (التقنية) دون نظرية خاصة بنا في الاتصال وتوصيل الرموز والرسائل . وليس الأمر مقصورا - كما نعلم - على الجهاز التلفزيوني ولكنه يمتد الى الكثير من نقاط اتصالنا وخطوط تماسنا مع منجزات الحضارة الغربية .

انه يعلمنا رغما عنا :

عندما نتحدث عن التعليم عن طريق التلفزيون ، تمتعض شفاه البعض والسبب هو تصور شائع مفاده أن هذا النوع من التعليم يعني نقل المعرفة المدرسية

وهذا خلط بيّن ، فالرسالة التلفزيونية هي كل ما يبث عبر الصندوق السحري « كل ما يبث » ثم . ما هي التربية ؟

التربية هي في الأساس محاولة وسعي لتزويد الفرد بأنماط من القيم وانظمة من التفكير الحر ، بهدف تنمية ملكاته النقدية ، وتنمية الابداع والتفكير ، وتكوين مواطن متوائم مع عالمه ومع مجتمعه ومع ذاته

وهكذا فان « كل ما يبث » من خلال الجهاز يمكن أن يربينا على نحو أو آخر ، انه يعلمنا رغما عنا .

خذ مثلا اعلانا لا يزيد عن ثلاثين ثانية عن صابون كذا . . امرأة جميلة فاتنة لها مواصفات النسبة الذهبية للجمال ، تتمتع بأنف روماني وعنق طويل وتهمس لك باسم الصابون . « أنا امرأة جميلة حقاً » ولكن بتكرار هذا النمط الاعلاني وتراكم الصدمات الاعلانية الأخرى ، اعلان عن مستحضرات التجميل ، السيارات ، الملابس ، الأواني المنزلية ، فان مفهومك للجمال سيظل ثابتاً في حدود مواصفات النسبة الذهبية غير مدرك لقيمة أخرى هي ان كل امرأة جميلة ، ولكن على نحو خاص ، وأن كل رجل وسيم ولكن على نحو خاص .

انه لا يعلمنا فقط ، انه يحرضنا ايضا :

بالتلفزيون طاقة تحريضية جبارة . فالمادة الاخبارية التي يتكون منها عادة ما يعرف بالقصة الاخبارية(وهذه شائعة فقط في التلفزيونات المتقدمة) تقوم بتسجيل واقع معين في زمن معين له خصائص آنية مباشرة ، ثم يقوم المعدون بتحليل الصور قبل تركيبها في شكل رسالة جاهزة للارسال .

ومن خصائص الصورة التلفزيونية انها تقوم على التحليل ثم التركيب قبل احداث الأثر الكلي . بعبارة أخرى فان تركيب صور أي مادة أو قصة اخبارية تبنى تلقائيا بناء صوريا معينا له رسالة معينة . فمن أكبر الأوهام القول بأن ثمة فيلما أو مادة تسجيلية موضوعية مجردة تسجل الواقع كما هو وحسب . فمجرد تركيب الصور على هذا النحو أو ذاك وبهذا الايقاع يحكم على الكيفية التي ستصل بها رسالتك الى المرسل اليهم .

وهنا تكمن الطاقة التحريضية للجهاز . فاذا عرضت فيلما أو مادة تزعم انها محايدة - رغم انها تنقل الواقع فعلا - فلابد أن يكون مصحوبا بتعليق توضيحي اذا اردت توصيل عكس الرسالة ، أو تحويرها . أما اذا اردت انتاج رسالتك الخاصة فبوسعك استخدام المادة الاخبارية نفسها ، ولكن فقط بعد اعادة تركيبها على نحو يضمن ارسال رسالتك أنت بطاقتها التحريضية الخاصة

لا تخافوا التلفزيون ، فسيعلمنا ما نريد :

ان تخاوف كتّاب الخيال العلمي ودارسي الوسيط الساخن تشير الى نوع من الحنين الى ماضي الوسائط الأخرى ، حين لم يكن التلفزيون سوى خيال الخيال . ولكن لم لا نسعى الى وضع فلسفة عربية خالصة ترعى كل مايرسل من مواد عن طريق التلفزيون ؟ والفلسفة لا تعني رقابة اخرى (!) ولكنها تستهدف وضع نظام عملي للتعامل مع الصندوق السحري يدلنا على ما يمكن أن نتعلمه منه .

فالتلفزيون يعلمنا شئنا أو أبينا .

فهل يوجد بيننا من هو قادر اليوم على شن هجوم مضاد على حضارة الاستقبال السلبي للصور ؟

لقد نادى كاتب ألماني في مقال نشره بمجلة « العصر » بتخصيص يوم يغلق فيه الصندوق التلفزيوني .

هذا أحسن .

ولكن الأحسن منه ألا نغلق الصندوق . . ولكن لنتعلم كيف نطلق حريتنا النقدية . □

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

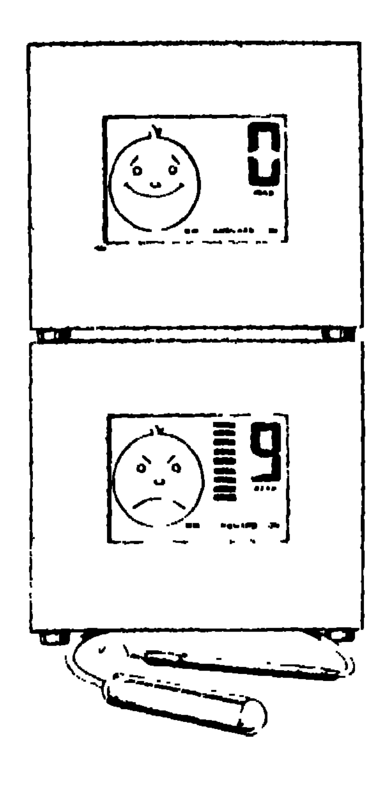
الجديد في طب الاسنان

■ هذا جهاز طريف وهام خطير في آن معا ... ابتكره العلماء في الخريف الماضي (1983) بقصد الكشف المبكر عما تتعرض له أسنان الانسان من نخور ...

والجهاز الكتروني ويسمونه فانجارد Vanguard (أو الطليعة !) ... وهو خفيف ويسهل حمله ونقله ويعمل بالبطارية .. ويستطيع الكشف عن التغيرات الميكروسكوبية التي قد تطرأ على ميناء السن وذلك تبعاً لما قد يفقده السن من أملاح ... وفي ذلك دليل على بداية تكون نخر ما في السن ...

ويتم ذلك بواسطة تيار كهربائي خفيف وغير مؤلم .. يتحرى وجود الماء الفائض الذي يتجمع في المسامات التي تظهر لدى فقدان الاملاح .. وكلما زادت ايصالية التيار Conductivity كان ذلك دليلا على وجود مزيد من تلف ...

والطرافة في الجهاز أن وجها ما يظهر على لوحته . ويكون هذا الوجه باسما أو عابسا تبعا لتلف الأسنان الذي يسجله الجهاز ... فان سجّل صفرا (كما في الصورة العليا) ظهر الوجه باسما لان الصفر دليل على أن السن سليمة . أما ان سجل ٩ كما في الصورة السفلى ظهر الوجه عابسا لأن رقم ٩ يدل على نخر مستفحل وبحاجة الى عناية طبية فورية . □



أحدث مكتشفات الفضاء ...

■ الأشعة صنوف كثيرة ولا تقتصر على أشعة الضوء كما يظن الكثيرون ولعل اشعة الضوء لا يمثل الا جزءا يسيرا جدا من مجموع الاشعاعات التي تملأ الكون ... والتي لا ترى بالعين المجردة .. باستثناء الضوء ..

من هذه الأشعة غير المرئية الاشعة تحت الحمراء ... انها أشعة حرارية أو حرارة مشعة .. ذات طبيعة كهرومغناطيسية

وموجات بأطوال تتراوح بين ۰٫۸ ملم أو أقل وبين مليمتر واحد .. وتقع وسطا بين موجات الضوء المرئى وموجات الراديو .. من هنا كانت قدرة هذه الأشعة تحت الحمراء على اختراق الضباب وما اليه مما يعجز عن اختراقه الضوء العادى .. ومن هنا أيضا كان فى مقدور التصوير بهذه الأشعة كشف النقاب عما عجزت عن رؤيته العين المجردة ..

بقى أن نذكر أن الفضاء ملىء بنجوم الأشعة تحت الحمراء .. فهذه أجرام سماوية مغلفة بغيوم من الغبار .. والاشعة تحت الحمراء هى أهم ما تبثه تلك النجوم ..

لا عجب اذن أن ظهر فى المدة الأخيرة علم فلك جديد يعتمد على الاشعة تحت الحمراء لاكتشاف مجاهل الكون .. وتقدر نسبة هذه المجاهل ۹۰٪ أى ما أمكن رؤيته من الكون حتى الأن لا يزيد على ۱۰٪ من الكون ككل .

ومعنى هذا أن علم الفلك التقليدى والحديث لا يطمح الى اكتشاف أكثر من ۱۰٪ من الكون بكل مراقبته وتلسكوباته الحالية والتى ستظهر فى المستقبل القريب والبعيد ..

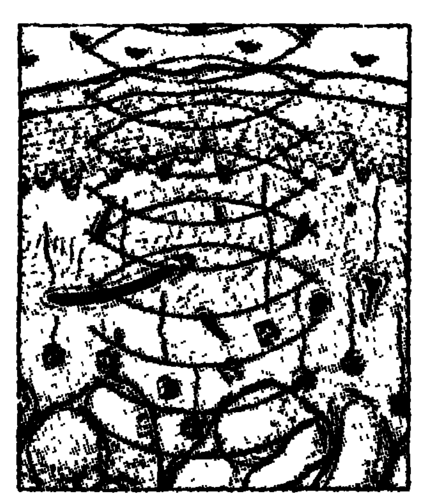
ما السبيل اذن الى اكتشاف مجاهل الكون التى تبلغ ۹۰٪ أو يزيد. السبيل هو تلسكوب يستطيع تصوير الاجرام التى لا سبيل الى رؤيتها بواسطة الضوء .. وانما بواسطة الاشعة تحت الحمراء التى تطلقها ..

لقد صنعوا هذا التلسكوب وجهزوه بشتى الاجهزة الحساسة والكاميرات التى يحتاجها ليطلقوه الى الفضاء الخارجى قمرا صناعيا سموه ايراس أو القمر الصناعى الخاص بتلك الاشعة تحت الحمراء وقد تم اطلاق ايراس بالفعل فى مطلع السنة الماضية ۱۹۸۳ .. واستكمل حياته القصيرة وتوقف عن العمل لدى انقضاء عشرة شهور على اطلاقه .. الا أن حياته على قصرها كانت أغنى بالصور والمعلومات والمفاجآت من أى قمر صناعى فلكى آخر . لقد نجح ايراس فى مسح الفضاء وكشف النقاب عن الكثير من مجاهله وأرسل من الصور الى الارض ما كان موضع دراسة العلماء وتحليلهم ... □

قياس

عمق الحروق

■ نعود الى الموجات الصوتية مرة أخرى .. فقد استعملت بنجاح مؤخرا فى تحديد مدى عمق الحروق .. وقد تعذر ذلك سابقا على الأطباء وتعذر معه العلاج .. بقدر مايختلف هذا باختلاف الحروق من حيث عمقها .. فالحروق السطحية مثلا تنظف وتترك وشأنها لتشفى تلقائيا .. أما فى حالة الجروح العميقة فغالبا مايبادر الجراح الى استئصال الأنسجة المحروقة قبل أن تظهر الالتهابات .. ومن شأن الموجات الصوتية ذات الذبذبات العالية أن يرتد بعضها لدى ارتطامه بالمنطقة التى تصل



بين نهاية الجلد المحروق وبداية الجلد السليم . ويفسر العالم جون كاترل

(انظر الرسم)
ذلك بقوله : (أن الحروق تجعل ألياف الكولاجن في الجلد المحروق أكثر كثافة .. وهذا التفاوت في الكثافة بين الجلد المحروق والجلد السليم هو الذي يسبب ارتداد الموجات فوق الصوتية .

وتجدر الاشارة الى أن مركز أبحاث وكالة الفضاء (ناسا) في لانجلين في فرجينيا هو صاحب الفضل في ظهور هذه التكنولوجية . □

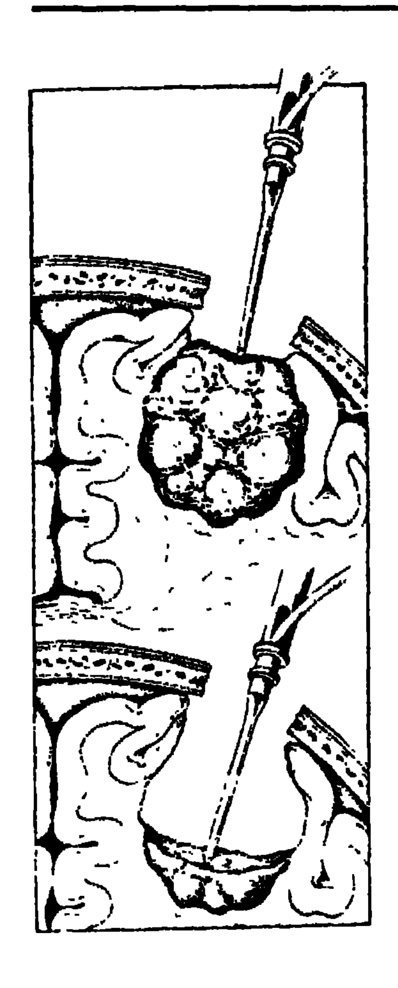
دلت الموجات فوق الصوتية في المدة الأخيرة على أنها ذات فوائد طبية كثيرة . واكثر مما توقع الاطباء. فقد استعملوها في تصوير الجنين وهو في رحم أمه ، واستعملوها أيضا في تحطيم حصى الكلى .. وبدأوا يستعملونها الان في القضاء على بعض الأورام السرطانية التي تصيب المخ ، والتي كانت ومازالت تستعصي على العمليات الجراحية .

على أن هذه الاستعمالات المختلفة تفترض أجهزة خاصة ومختلفة أيضا .. ويسمون الجهاز الذي طوروه لمعالجة أورام المخ « السفاطه الجراحية فوق الصوتية » ـ كافيترون ـ Cavitron Vhrasonic Surgical Aspirator أو اختصارا كوسا CUSA(انظر الرسم) .

ومن شأن هذا الجهاز أن يذبح ويجرح كالسكين ، وذلك بواسطة الأمواج فوق الصوتية التي يحدثها ...

والفضل في ذلك انما يعود لقدرة الجهاز على الذبذبة ـ عند طرفة المدبب-بمعدل ٢٣٠٠٠ مرة في الثانية الواحدة . لاعجب اذن ان أدت ملامسة هذا الطرف لجانب من الورم الخبيث الى تحطيم ذلك الجانب وتفتيته . ويجري سحب الفتات من المخ بعد ذلك بواسطة محلول ملحي يضخونه في موقع الفتات .. ويعيد الجراح الكرة على جوانب الورم الاخرى ... الواحد بعد الاخر حتى يتم التخلص من الورم جزءا بعد جزء .

ويمتاز هذا الجهاز بأنه يستأصل الجانب المتورم الخبيث من المخ ويسلخه عن جانبه



السليم دون أن يستأصل من هذا الجانب أي جزء أو يمسه باي سوء ، ولطالما تعذر ذلك على الجراحين في عملية الشفط Suction التي كثيرا ماعمدوا اليها في مثل هذه الحالات .

وقد أثبت جهاز كوسا فاعليته العجيبة ، وأحرز نجاحا تاما في مئات الحالات التي استعمل فيها للقضاء على بعض سرطانات المخ ، . وذلك في المركز الطبي في جامعة نيويورك وتحت اشراف الجراح فرد اينشتاين . □



لاريب أن اكتشاف الانسولين في العشرينيات من هذا القرن ، هو في طليعة الاكتشافات الطبية التي انتفعت بها البشرية ومازالت تنتفع . . وقد كان السكري ، قبل اكتشاف هرمون الانسولين ، من الأمراض القاتلة التي فتكت بالمصابين بها . . .

ولد السير فردريك جرانت بانتنج (Banting) في بلدة اليستون في اونتاريو في كندا . . وكان عالما أمضى حياته القصيرة (١٨٩١ - ١٩٤١) في الاشتغال في الفسيولوجيا . . .

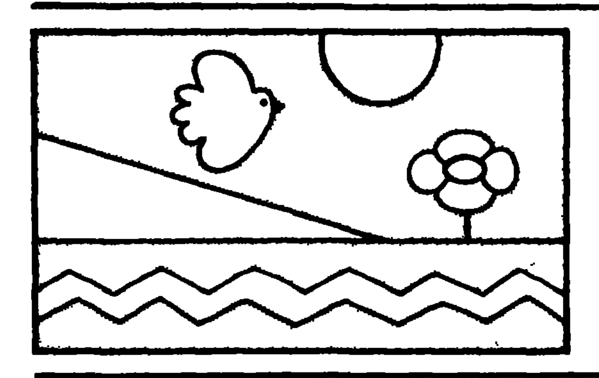
وراع بانتنج كثرة الموتى بسبب مرض السكر ورفض الفكرة الشائعة آنذاك بأنه مرض عضال لاعلاج له . . . فهرمون الانسولين كفيل بكبح المرض او وقفه عند حد لو أمكن عزل هذا الهرمون وتصنيعه على النحو المناسب . . فهو الذي تفرزه غدة البنكرياس في الاصحاء بالمقادير الكافية لحرق الفائض من محتويات السكر في الدم . . وهو الذي يؤدي الى الاصابة بمرض السكر . . اذا عجز البنكرياس عن افرازه أو تكاسل . . عرف بانتنج هذه المعلومات ، كما عرفها الكثيرون غيره من اطباء القرن التاسع عشر . . . ولكنه تجاوز الحد الذي وقفوا عنده ، وقد تحسس امكانية عزل الانسولين واستخلاصه من الحيوان ولكنه تحسس ايضاً الحاجة الى مختبرات يجري فيها التجارب

وتقدم بانتنج من جون ما كلويد ، وكان بروفسور الفسيولوجيا في جامعة تورنتو في تلك الأيام . . . وشرح له فكرته ، فأذن البروفسور لبانتنج باستعمال مختبراته ، واختار له أحد تلاميذه مساعدا . . . وكان اسمه شارلز بست وعمره ٢٢ سنه .

وانتهت سنة ١٩٢١ وتكللت تجارب بانتنج وبست بالنجاح ، حتى اذا حل شهر يناير ١٩٢٢ اعلن بانتنج انه عثر على عقار لمرض السكري . . . وذلك بالتعاون مع شارلز بست . . وأن عقاره هذا نظير الهرمون الذي تفرزه غدة البنكرياس . . وأنه اطلق على ذلك الهرمون اسم « أنسولين ».

واتفق ان كان ليونارد تومبسون طالب المدرسة (١٠) سنوات من نزلاء مستشفى تورنتو ، وذلك بسبب إصابته الحادة بمرض السكر . . وقد استفحل المرض بالفتى بحيث هزل كثيرا وعجز عن تناول الطعام بيده . . يئس الاطباء من معالجته وانقاذه . . ووجد بانتنج في تومبسون هذا ضالته المنشودة فانطلق في معالجته بالانسولين حقنا . . ولم تكد تمضي ٢٤ ساعة حتى تماثل الفتى للشفاء . . فكان أول من أنقذه الانسولين من موت محقق في التاريخ .

وجاءت سنة ١٩٢٣ واذا بجائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا تمنح الى بانتنج وماكلويد . . . أي أن شريكه في الجائزة لم يكن شارلز بست - شريكه في منجزاته وتجاربه - وانما جون ماكلويد صاحب المختبرات التي اجريت فيها تلك التجارب . . واستاء بانتنج كثيرا لاغفال ذكر بست وتجاهل جهوده . . فأقدم على مقاسمته المكافأة المالية التي حصل عليها مع الجائزة . . وأقدمت جامعة تورنتو على انشاء كلية او دائرة فيها باسم بانتنج وبست . □



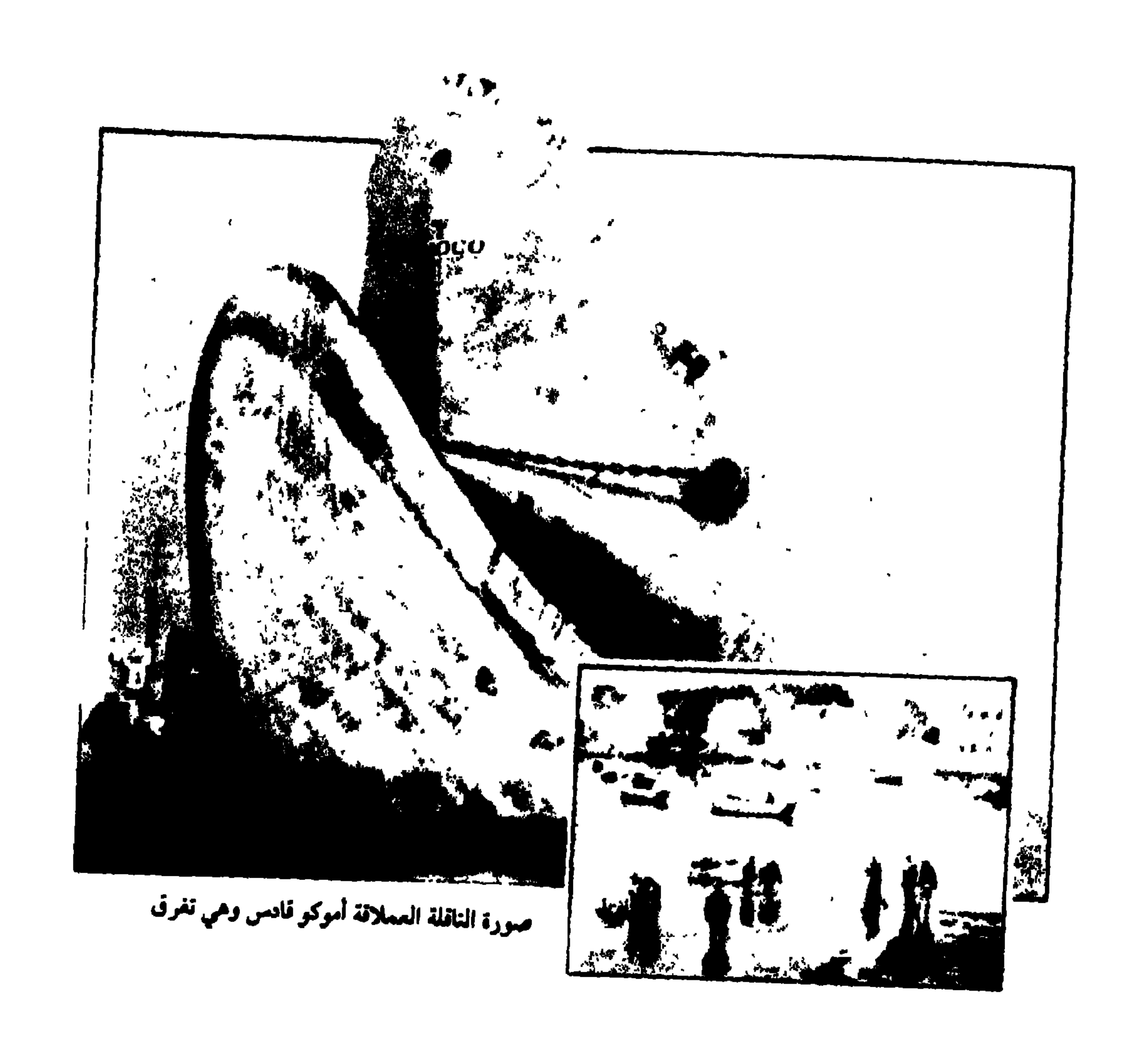
سلامة البشرية في سلامة البيئة

غرامة ٢٠٠٠ مليون دولار بسبب تلويث الشواطىء

■ غرقت الناقلة العملاقة (اموكو قادس) Amoco Cadiz بالقرب من شواطىء فرنسا الشمالية (بريتانيا) في ١٩٧٨/٣/١٦ .. وتسببت في بقعة زيت هائلة، كانت بلا ريب أكبر بقعة زيت عرفها التاريخ حتى ذلك الحين . فقد بلغت نحو (٣٠) كيلو مترا بالعرض و (١٥٠) كم بالطول وتسببت في تلوث فظيع للشواطىء الفرنسية الرائعة .. (٢٠٠) كيلو متر منها بالتحديد .. وخربت الثروة السمكية فيها ، وحرمت المنطقة من جموع السياح الذين طالما أموا شواطئها واستمتعوا بروعة طبيعتها ... وضمنوا موردا سخيا لأهلها .

وهب المتضررون من تلك البقعة والبيئيون آنذاك .. فساروا في مظاهرات وملئوا الصحف بالمقالات والاحتجاجات .. وعقدوا الندوات الصاخبة والاجتماعات ، لافي فرنسا فحسب ولكن في أمريكا ودول أخرى غيرها .. على أنهم لم يقفوا عند الأقوال .. بل تعدوها الى الأعمال .. فعمدوا الى تنظيف الشواطىء الملوثة ، واشترك في عمليات التنظيف هذه الصغار والكبار .. والموظفون وغير الموظفين .. والنساء والرجال .. والعسكريون وغير العسكريين .. ثم أقاموا الدعوى على شركة البترول العملاقة ، ستاندرد اويل كومباني (انديانا) التي تملك الناقلة وتسمى اختصارا (اموكو) .. وأقاموها في الوقت نفسه على فرعين من فروع هذه الشركة ، توليا الاشراف على أعمال الناقلة .. وقد جاوز عدد الذين أقاموا هذه الدعوى المائة .. ضموا فيمن ضموا فئات المتضررين من صيادين وأصحاب فنادق وفئات عديدة مختلفة تدعو الى حماية البيئة ..

وأقيمت الدعوى بالفعل سنة ١٩٨٠ ، ومضت السنوات الأربع الماضية ، ومحاكم شيكاجو تنظر في تلك الدعوى وفي الأضرار التي طالب بها المدعون فيها .. وقد شملت هذه الأضرار ما أنفقته الحكومة الفرنسية في سبيل تنظيف الشواطىء ، ويبلغ (٩٥) مليون دولار .. وما تكلفه السكان في ذلك السبيل ، وقد بلغ (٣٠) مليون دولار .. أضف الى ذلك جماهير المتطوعين الذين أسهموا في أعمال التنظيف وقد جاوز عددهم ٦٠٠٠ رجل .. فهم جديرون بتعويض .. وقل مثل ذلك في فرق كاملة من الجيش الفرنسي لم تتخلف عن أداء الواجب .. واجب انتشال مالا يقل عن ٢٥٠٠٠ طن من البترول الخام غطت الرمال ، وعلقت بالصخور ، واستقرت في قيعان الموانىء .. فضلا عن تلويث المياه .. وشملت الأضرار التي طالب بها المدعون التعويض عن ما لحق البيئة من أضرار أخرى ، نذكر منها الطيور النافقة وقد بلغ عددها ١٠،٠٠٠ طير والمحار التالف وقد جاوزت كميته (٥٠٠٠) طن .



صورة الناقلة العملاقة أموكو قادس وهي تغرق

على أن خطورة تلك الدعوى لا تقف عند ما ذكرنا .. فهي أكبر دعوى أقيمت حتى الآن بسبب التلوث ومن أجل حماية البيئة .. ثم انها الدعوى البيئية الأولى التي تقام على أساس معاهدة دولية ، لا قوانين وضعية تلزم الأفراد تنفيذها تحت طائلة العقوبة . أما المعاهدة فهي التي عقدت سنة ١٩٦٧ ، وذلك في أعقاب غرق ناقلة البترول (توري كانيون) وتلوث الشواطىء البريطانية ببقعة زيت كبيرة تبعا لغرقها .. والتي وقعت عليها (٤٠) دولة .. ومهما يكن من أمر فانها مجرد معاهدة وتفتقر الى عنصر الالزام الذي تتميز به القوانين الوضعية .

وعكف القاضي فرانك ماك جار (Mc Garr) على دراسة الدعوى ، ولم يصدر حكمه الا في شهر ابريل الماضي (١٩٨٤) وجاء قراره باعثا على الدهشة ، وقد طالب شركة البترول بدفع غرامة وتعويضات بلغت بمجموعها ٢٠٠٠ مليون دولار .. أي أضعاف ما طالب به المدعون .. هذا الى جانب ما خسرته الشركة في غرق الناقلة (١٥) مليون دولار ، وغرق حمولتها (٢٤) مليون دولار .

هذا القرار ، إن دل على شيء ، فانما يدل على مدى ما بلغه الوعي البيئي في الدول المتقدمة سواء على المستوى الشعبي أو مستوى القضاء .. ولكن للقرار دلالة أخرى جديرة بالملاحظة .. فمبلغ الغرامة (٢٠٠٠) مليون دولار كبير جدا ، ويفوق كثيرا ما تفرض دفعه المعاهدة في مثل هذه الحالات ، وهو لا يزيد على ١٧ مليون دولار ... ما السبب اذن في مضاعفة الغرامة أضعافا مضاعفة ؟ .. الاهمال هو السبب .. فقد اكتشف القاضي أن غرق الناقلة انما حدث نتيجة اهمال .. ورأى أن اهمالا يسبب كل هذه الأضرار الخطيرة لجدير بمضاعفة الغرامة التي تنزل بمرتكبيه أضعافا لتصبح (٢٠٠٠) مليون دولار . □

البحرين

كانت هولندا ومازالت، الدولة الرائدة في العالم من حيث اكتساب الارض من البحر، أو ان شئت، استصلاح مياه البحر وتحويلها الى يابسة.. الا أن هذه الريادة باتت مهددة كثيرا أو قليلا.. اذ تنوي البحرين العمل على مضاعفة مساحتها تقريبا وذلك بطمر مياه البحر التي تفصل بينها وبين قطر.. فمساحة البحرين لاتزيد على ٦٠٠ كيلومتر مربع، ومساحة الارض التي تنوي اكتسابها من البحر ٤٠٠ ـ ٥٠٠ كيلو متر مربع..

أما موقع المشروع البيئي الكبير ففي المياه التي تفصل البحرين عن قطر كما أسلفنا، وهي مياه ضحلة.. وستكون ثمرة المشروع الطيبة جزيرة جديدة تماثل جزيرة البحرين الاولى شكلا ومساحة، وأما الغاية فحل مشكلة السكن، وهي مشكلة قائمة في شتى البلدان ولكنها تكاد تكون مستعصية في البحرين. وذلك أن عدد سكان البحرين البالغ (٣٥٠,٠٠٠) نسمة حاليا آخذ في تزايد كبير ومطرد. أضف الى ذلك أن الجيل الجديد من الشباب الازواج ينزع الى السكن في منازل خاصة بهم ومستقلة عن منازل آبائهم.. خلافا للنزعة القديمة.. من هنا كانت البحرين بحاجة الى ٢٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ منزل جديد سنويا. ومن هنا أيضا كان حرص المسؤولين الشديد على مشاريع السكن والاسكان.. ومشاريع الاستصلاح.. استصلاح البحر والبر... التي ستوجبها رقعة البحرين الضيقة..

من هذه المشاريع مشروع مدينة (حمد) الواقعة في قلب الصحراء الى الجنوب الغربي من العاصمة المنامة.. وسيكتمل انشاء هذه المدينة في غضون اربع سنوات وستتسع لحوالي (٦٠,٠٠٠) نسمة...

ومن تلك المشاريع أيضا مشروع طمر البحر الذي ذكرنا والذي بدأ الاخصائيون والمستشارون بالدراسات البيئية الخاصة به. فوزارة الاسكان حريصة على التأكد من أن المشروع لن يضر بالبيئة من قريب ولا من بعيد... لذلك كان لابد من تحري مدى تأثيره على حركة الماء.. وعلى الاحياء البحرية والثروة السمكية.. وكذلك على ملوحة الماء.. ذلك أن مصنعين لتحلية ماء البحر يجري انشاؤهما حاليا في المنطقة... ومن يدري... فقد تؤدي تلك الدراسات الى اختيار موقع آخر غير (فشت الادهم) وهو الموقع الذي وقع عليه الاختيار لتنفيذ مشروع استصلاح البحر..

يقول الدكتور عبد اللطيف كانو: ان مشروع (فشت الادهم) لايعدو كونه واحدا من مشاريع اسكانية خمسة... اثنان منها بحريان... □

أثبتت الدراسات الأخيرة أن المسؤول الأول عن دمار البيئة وتلف الاشجار في غاباتها ليس الأمطار الحمضية كما ساد الاعتقاد سابقا، وانما السيارة.. نعم السيارة، ومايخرج من عادمها من ملوثات: أهمها غاز أول أكسيد الكربون.. وأكاسيد الأزوت والهيدروكربونات..

ونقلت الينا المجلات العلمية في الوقت نفسه خبرا في غاية الأهمية فقد نجحت شركة تويوتا اليابانية في تطوير محرك للسيارة يكاد يكون خاليا من غازات التلوث التي ذكرنا، يسمونه (Lean-Burn engine) ويحرق الهواء والوقود بنسبة ٢٣ جزءا من الاول، جزء واحد من الثاني.. أضف الى ذلك أن المحرك الجديد يوفر من استهلاك الوقود بنسبة (١٨٪) والظاهر أن طائفة من الدول المتقدمة تدرس حاليا احتمالات تبني المحرك الياباني المذكور في صناعة سياراتها، وذلك للتخلص من الملوثات التي تخرج من محركات السيارات التقليدية وتسبب تدمير البيئة... □

تراث الإنسانية

بقلم الدكتور أحمد أبو زيد

حين يؤرخ للحركة الثقافية في مصر بعد الحرب العالمية الثانية،فان عددا من المجلات الثقافية ذات المستوى الرفيع سوف تفرض نفسها على الباحث ، كي يفرد لها مكانا خاصا نظرا للدور الذي لعبته في توجيه الفكر العربي وتشكيله ، وماوفرته للكتاب والمفكرين والمبدعين من فرص للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في غير قليل من الحرية ، مع حرصها في الوقت ذاته على تحقيق درجة عالية من الجدية والتعمق في تناولها للموضوعات والمشكلات التي تعرض لها . وقد ظهر معظم هذه المجلات في الستينيات ، ولكنها لم تعمر طويلا ، فقد أجبرت اجبارا في أوائل السبعينيات على التوقف عن الصدور ، وتركت باختفائها فراغا رهيبا في الحياة الثقافية لم يمكن ملؤه تماما حتى الآن .

يرجع بعض أهمية هذه المجلات الى صدورها من هيئة حكومية هي وزارةالثقافة في مصر ، ومع ذلك فلم تكن هذه المجلات (لسان حال الحكومة)ولم تكن تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدولة ، كما أنها لم تنهج كلها نهجاً سياسيا أو أيديولوجيا واحدا ، بل كانت على العكس من ذلك تماما تعبر عن أفكار وآراء ومواقف متضاربة ومتناقضة ، وبذلك قام بينها كلها نوع من التكامل ساعد على أن تغطي مساحة كبيرة جدا من المجال الثقافي العام ، وفي مختلف ميادين المعرفة والابداع والتخصص .

من بين هذه المجلات العديدة التي كانت تصدر عن وزارة الثقافة والارشاد القومي المصرية انفردت مجلة « تراث الانسانية » بطابع خاص كان يميزها عنها كلها ، وهو طابع مستمد من نفس المجال الذي حددته لنفسها ، والسياسة التي رسمتها للسير عليها بحيث اقتصر نشاطها على مجال معين بالذات ، هو تقديم دراسات تحليلية عميقة لأهم الاعمال الفكرية والابداعية والعلمية التي أثرت في تاريخ الانسانية وأسهمت في تقدمها . ولذا كانت « تراث الانسانية » أقرب في طبيعتها الى المجلات الاكاديمية منها الى مجلات الرأي التي كانت تمثلها مجلة « الكاتب » والى حد ما مجلة (الفكر المعاصر) اللتان كانتا تصدران هما أيضا عن نفس الوزارة . وعهدت الوزارة بمهمة الاشراف عليها الى فئة من كبار الكتاب والمفكرين ، مما حدد بالضرورة المستوى العلمي للمجلة ، ونوع الكتابات التي تقدمها للقارىء . فقد أشرف عليها في بداية الامر لجنة تضم علماء ومفكرين ، من أمثال عباس محمود العقاد وزكي نجيب محمود وعبد الحليم منتصر وعلى أدهم ، ثم جاء من بعدهم فؤاد زكريا ، وهذه كلها أسماء لها وزنها ودورها في الثقافة العربية وحركة الفكر

المعاصر ، وذلك قبل أن أتولى أنا مهمة الاشراف عليها لفترة قصيرة ، حتى صدر في أواخر عام ١٩٧١ القرار بايقافها مع جميع المحلات التي كانت تصدرها الوزارة مثل مجلة (المجلة) ومجلة (الفنون الشعبية) ومجلة (المسرح) ومجلة الكاتب ومجلة الفكر المعاصر . وكان ذلك القرار أشبه بالكارثة التي وقعت على الاوساط الثقافية في مصر ، وأصابتها بالوجوم والقلق والخوف على مصير الثقافة ككل ، وعلى حرية الفكر وحق التعبير .

التعريف بروائع المفكرين

جاء التفكير في اصدار مجلة (تراث الانسانية) استجابة لحاجة ملحة شعر بها كبار المفكرين في ذلك الحين ، من ضرورة التعريف بروائع الكتب العربية والأجنبية التي تؤلف الركيزة الأساسية التى يمكن ان يقوم عليها بناء الثقافة وتكوين الانسان العربي المثقف ، خاصة وأن الكثيرين في العالم العربي ، ومن الشباب بالذات ، لايكادون يعرفون شيئا عن بعض هذه الاعمال أو عن أصحابها . وهذا وضع لانكاد نجد له مثيلا في الخارج ، حيث تهتم كثير من دور النشر باصدار سلاسل تعرض وتلخص روائع الفكر الغربي وتعرف بها القراء من الشباب ومن الطلاب بوجه خاص ، مع تضمين مختارات من تلك الأعمال تكفي للتعريف بخصائص الاسلوب ، ومنهج التفكير وطريقة الكتابة التي يتبعها أصحاب هذه الاعمال ، وتكون بذلك مقدمة وتمهيدا لاعداد الشباب والطلاب لقراءة الاصول ذاتها .

ولقد قامت مجلة « تراث الانسانية » لتحقق ما كان المثقفون يحلمون به ، من تقديم دراسات عن روائع الفكر العربي والاسلامي ، جنبا الى جنب مع الاعمال الكبرى في اللغات والثقافات الأجنبية .

والكلمة التي كتبها وزير الثقافة والارشاد القومي المصري حينذاك يقدم بها المجلة للقراء ، والتي نشرت في صدر العدد الاول - تشير الى تلك السلاسل والمجموعات التي ظهرت في الخارج ، والتي (تدرس روائع الكتب العالمية التي أثرت في الحضارة وتلخصها ، كما تترجم لكتابها في ايجاز ، وتعرض من هذه الكتب نماذج مختارة تساعد على فهمها وتبين خصائصها) .

ولكي تتحقق هذه الخطة كان يتعين انتقاء « طائفة من أمهات الكتب التي أثرت في الحضارة الانسانية » وأن يختص كل كتاب منها - كما تقول المقدمة - بفصل يبدأ بترجمة موجزة مستوعبة لصاحب الكتاب ، مع عرض سريع لكتبه الأخرى ، ثم يلي ذلك تلخيص دارس للكتاب المختار ، وتحليل لمادته ، وبيان مكانته ، وايراد شواهد منه تدل على أسلوب الكاتب وطريقته في التفكير « ولم تهمل المجلة » في هذا السبيل أيضا الكتب التي لايعرف مؤلفها مثل ألف ليلة وليلة والأساطير والقصص الشعبية وما الى ذلك . وقد التزمت « تراث الانسانية » بهذا الخط الواضح طوال حياتها القصيرة التي صدرت أثناءها كمجلة شهرية في أول الأمر ، ثم كمجلة فصلية ، ولم تخرج قط عن هذه الخطة وعن العمل لتحقيق ذلك الهدف ، وأمكن بذلك أن تقدم لقرائها بضع مئات من أمهات الكتب العالمية .

وراء المعرفة الانسانية

وقد يساعدنا العرض السريع لمحتويات المجلد الاول من المحلة على التعرف بشكل أوفى وأكثر وضوحا على سياسة المجلة وأهمية الرسالة التي حملتها . والثروة الفكرية التي استطاعت تقديمها للقراء ، وكذلك مستوى الدراسات التي تضمنتها ، وبالتالي الدور الذي قامت به في تكوين العقل العربي خلال صدورها . ويكفي أن نذكر ان المجلد الأول بأعداده الأثنى عشر ، التي صدرت خلال السنة الاولى ، يضم دراسات تحليلة وافية لواحد وسبعين كتابا في مختلف فنون المعرفة الانسانية . وكثير من هذه الكتب،لم يكن يتسنى للقارىء العربي العادي فرصة لمعرفتها معرفة وثيقةلولا(تراث الانسانية) .

ففي مجال اللغة والادب العربي مثلا نجد دراسات عميقة عن كتب من أمثال ديوان المتنبي ، وكتاب الامتاع والمؤانسة لابي حيان التوحيدي ، وطبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، وكتاب العين

للخليل بن أحمد ، ولسان العرب لابن منظور ، ومعجم الأدباء لياقوت وغيرها . . . . . وفي الفلسفة الاسلامية نقرأ عن احياء علوم الدين للغزالي ، وقصة حي بن يقظان لابن طفيل ، والرسالة القشيرية لعبدالكريم القشيري ، والفتوحات المكية لابن عربي .

كذلك كان لعلوم الفقة نصيب . فنجد كتاب الرسالة للامام الشافعي ، الى جانب المسند للامام أحمد بن حنبل ، ومعهما الموطأ للامام مالك بن أنس . كما كان للتاريخ الاسلامي نصيب أيضا تمثل في عدد من المؤلفات المهمة ، مثل سيرة ابن هشام ، وفتوح مصر لابن عبد الحكم وكتاب تاريخ الأمم للطبري . . ولم تغفل المجلة في مجلدها الأول تقديم بعض كتب العلوم التي كتبها علماء المسلمين ، والتي لايكاد الكثيرون من القراء يعرفون عنها شيء ، او يسمعون حتى بأسمائها وأسماء أصحابها ، مثل الجامع لمفردات الادوية والأغذية لابن البيطار ، وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني . وبطبيعة الحال كان هناك ذلك (القاسم المشترك) في كل الأعمال والدراسات التي تهتم بالتراث العربي والاسلامي وهو مقدمة ابن خلدون .

وبالمثل كان هناك اهتمام بروائع الابداع الفكري العالمي في مختلف مجالاته ولغاته ومواطنه . فقد ضم المجلد الأول مجموعة صخمة ومتنوعة من الكتب العالمية التي تعتبر أساسا ثقافيا صلبا بالنسبة لانسان المجتمعات الغربية . وبذلك نجد كتاب الأبطال لتوماس كارليل ، وهو الكتاب الذي أفرد فصلا مطولا للنبي محمد (ﷺ) الى جانب أزهار الشر ، الى جوار كتاب الشعر لنوالو ، الى جانب كتاب مختلف عن هذا كله اختلافا تاما ، في التوجه والنظر الى الانسان والمجتمع ، وفي نقطة الانطلاق ، وفي الأثر الذي تركه على العلاقات الانسانية ، وبخاصة فيما يتعلق بقوة السلطة ، وأعني به كتاب الأمير لميكيافيللي . . وكما كان للفلسفة الاسلامية حظ وافر كان لفلسفة الغرب نصيب كبير أيضا ، وبذلك نقرأ دراسة عميقة لكتاب وليام جيمس عن البرجماتية ، وهو كتاب ترجم الى اللغة العربية منذ سنوات طويلة ، حين كان لترجمة الكتب الجادة العميقة شأن في مصر والعالم العربي ، وقد أسيء فهم هذه الفلسفة مثلما أسيء فهم الوجودية ، اذ يأخذ الناس في العادة الأمور بظواهرها ، وينسون المبادىء الفلسفية العميقة الكامنة وراء تلك الظواهر .

الشوامخ

وقد عنيت المجلة فوق هذا كله بتقديم جانب آخر هام من الثقافة الغربية ، كان يحظي قبل الثورة بكثير من العناية ، ثم انصرف معظم المثقفين في مصر والعالم العربي عن الاهتمام به ، وأعني بذلك الاعمال الكلاسيكية الشامخة من يونانية ولاتينية . . ولقد كانت كليات الأداب في الجامعات المصرية بتأثير من طه حسين تعني بتدريس اللاتينية الى طلابها ، كما كان الطلاب في بعض الاقسام يدرسون اليونانية الى جانب اللاتينية .

كذلك كان الفكر اليوناني اللاتيني يجد طريقة الى القارىء المثقف العام في شكل ترجمات الى العربية ، لعل أشهرها هي ترجمة طه حسين لبعض أعمال سوفوكليس ، أو في شكل مقالات تعرض لبعض جوانب هذا الفكر من أدب وأساطير وغيرها تنشر في المجلات الاسبوعية ، على ماكان يفعل دريني خشبه . . في مجلة الرسالة ، وهو عمل طيب يذكر لصاحبه بالاجلال .

ثم بدأ الناس في مصر ينصرفون عن هذه اللون الرفيع الراقي من الثقافة الانسانية وذلك نتيجة لبعض الظروف والاوضاع التي لاسبيل الى الدخول في تفاصيلها هنا ، ولكن كان للنعرة القومية بغير شك دخل في ذلك . وحرصت مجلة (تراث الانسانية) على أن ترد الى الثقافة الكلاسيكية اعتبارها بين القراء المصريين والعرب ، وأن تعطيها ماهي جديرة به من عناية واهتمام ، باعتبارها أحد المصادر الاساسية للثقافة العالمية . وظهرت بذلك عدة دراسات لبعض هذه الاعمال الكلاسيكية في المجلد الأول ، مثل السير المتناظرة لبلوتارك ، والضفادع لأرستوفانيس ، والياذة هوميروس ، بل أننا نجد دراسة لكتاب اقليدس في أصول الهندسة والطريف في الأمر هو أن آخر عدد ظهر من المجلة قبل صدور القرار بايقافها مع غيرها من المجلات كان مخصصا بأكمله لبعض

الأعمال الكلاسيكية اليونانية واللاتينية ، بينما كان العدد قبل الأخير مخصصا بأكمله أيضا لبعض الكتب الاسلامية التي تكشف عن كثير من جوانب الفكر الاسلامي .

ولم يكن يتسنى للمجلة أن تقدم كل هذه الاعمال في مثل هذا الاطار المحكم ، وعلى ذلك المستوى الرفيع ، الا لانها اتبعت منذ البداية سياسة انتقاء الاعمال واختيار الباحثين بدقة وعناية ، ولم تعتمد على ماقد يجود به عليها الكتاب أنفسهم من بحوث ودراسات قد تتلاءم أو لاتتلاءم مع الخطة التي وضعتها المجلة لنفسها . وتشير مقدمة وزير الثقافة في العدد الاول من المجلة الى هذه النقطة صراحة ، فتذكر أنه تم بالفعل اختيار « طائفة من صفوة الكتاب والأدباء والعلماء وأساتذة الجامعات والمتخصصين » لكتابة تلك الفصول عن الكتب المختارة .

لماذا توقفت ؟ !

ولكن اذا كان الأمر كذلك ، وكان ذلك هو شأن المجلة ومستواها العلمي والثقافي ، وشأن الرسالة التي كانت تحملها ، والهدف الذي تهدف اليه ، فلماذا توقفت إذن عن الصدور ؟ أو بالأحرى لماذا صدر قرار وزير الثقافة المصري في أواخر عام ١٩٧١ بايقافها هي وبقية المجلات الثقافية التي كانت تصدر عن تلك الوزارة ؟

التبرير (الرسمي) لذلك القرار هو أن كل المجلات التي كانت تصدرها الوزارة ، بما فيها تراث الانسانية ، لم تعد تلقى نفس الانتشار والذيوع والاقبال الذي كانت تلقاه من قبل ، وأنه من الخطأ بناء على ذلك أن تستمر الوزارة في اصدار مجلات انصرف عنها قراؤها ، لأن ذلك يشكل عبئا ماليا عليها . وهذا تبرير أقل ما يقال فيه انه لا يطابق الواقع ، خاصة وان كثيراً من أعداد (تراث الانسانية) ـ وهو ما يعنيني الكلام عنها هنا ـ نفدت تماما ، ولم يبق منها نسخة واحدة حتى في مخازن الوزارة ذاتها . والواقع أن هذا التبرير يدين وزارة الثقافة لأنه يعني أنها تنظر الى الثقافة كسلعة تجارية ، يجب أن يكون لها عائد مادي ، وأن تعود على الوزارة بالمكسب . وعلى أي حال فإن المثقفين أنفسهم في مصر يختلفون في تفسير موقف الوزارة من مجلاتها الثقافية .

فأما الذين يحسنون الظن بالقرار وصاحبه فانهم يذكرون أن المجلة حين صدرت لأول مرة، لم يكن يراد لها أن تستمر في الصدور بغير توقف ، وانها إنما قامت لأداء مهمة معينة تتوقف بعدها . والمقدمة التي كتبها وزير الثقافة تقول ان الدراسات التي سوف تنشر في اعداد المجلة سوف « تجمع كلها في خمسة مجلدات أو نحوها » في آخر الامر ، وبذلك تستنفد المجلة الغرض الذي أنشئت من أجله ، وعلى ذلك فليس على الوزارة مأخذ ان هي أوقفت (تراث الانسانية) ، خاصة أن الوزير الذي أصدر قرار الايقاف كان ـ بالمصادفة هو الوزير الذي أصدر قرار الانشاء (الدكتور محمد عبد القادر حاتم) .

وأما الذين يسيئون الظن بالقرار وصاحبه فيردون السبب الحقيقي الى فزع السلطات الحاكمة في أوائل السبعينيات من نمو حرية الفكر ، ازدياد جرأة المفكرين على النقاش والنقد ، ولم يكن ثمة وسيلة أمام تلك السلطات لوقف هذه الحركة التحررية الا منع المجلات الثقافية عن الصدور ، بصرف النظر عن اتجاهاتها ومواقفها . فالمثقف ـ بالضرورة شخص متمرد وأصعب قيادا وخضوعا ، ومن هنا جاء القرار شاملا لجميع مجلات الوزارة التي حكموا عليها بأنها فاشلة .

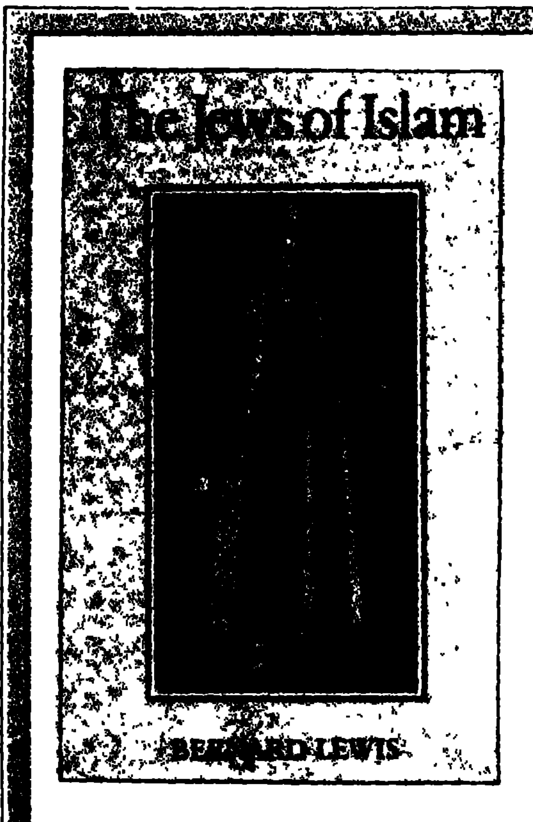
ومهما يكن من شيء فان توقف هذه الطائفة من المجلات الرفيعة المستوى كان ايذانا بنهاية فترة من فترات التحرر الفكري النسبي في مصر ، كما كان ايذانا بقيام عدد كبير من المجلات الثقافية في مختلف أنحاء العالم العربي ، لكي تواصل مسيرة الثقافة . ولقد بذلت محاولة أخيرة للرجوع الى المشروع الاصلي الخاص بجمع الدراسات التي ظهرت في تراث الانسانية ، أو مجموعة مختارة منها في شكل (دائرة معارف) تتألف من أربعة أو خمسة أجزاء . ولكن لأمر ما توقفت هذه الجهود والمحاولات . ولا يزال هناك رغم ذلك من بين المثقفين العرب من يرون أنه لا بد من إحياء المجلة بشكل أو بآخر ، كي تواصل ما انقطع من أداء رسالتها ، ولكن في ثوب جديد وبأسلوب جديد ودماء جديدة . □

كتاب الشهر



تأليف :

المستشرق : برنارد لويس



عرض : د . أحمد الأمين البشير

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة غير خافية المقاصد ، هي ظهور موجة زاحفة من الكتب ، ذات أهداف معينة ، تحاول الربط التاريخي بين اليهود والعرب المسلمين . أحد هذه الكتب كتاب (يهود الاسلام) هذا الكتاب هو أحدث مؤلفات المستشرق برنارد لويس الذي كتب ونشر مؤلفات عدة حول الاسلام . . وعندما يتابع القاريء عرض ونقد الكتاب من قبل الدكتور أحمد الأمين البشير ، الاستاذ المتخصص في التاريخ ، فانه يصل الى المعنى المقصود ، ويقف على حقيقة أفكار هذا المستشرق حول هذا الموضوع وغيره.

كتاب الشهر

■ كتاب عبارة عن صورة موسعة لمحاضرات ألقاها المؤلف في عام ١٩٨١ في كلية الاتحاد العبري بمدينة سنسناتي بولاية أوهايو الاميركية، تخليدا لذكرى جوستاف ومامي أفرو يمسون .. يقول المؤلف في تصديره أنه راجعها وتوسع فيها وأضاف اليها قبل نشر الكتاب عام ١٩٨٤ .

ولد البروفسير برنارد لويس في عام ١٩١٦ ، وهو من كبار المستشرقين ، وله كتب عديدة اهمها « أصول الاسماعيليين والاسماعيلية » ١٩٤٠ ، و « الاسلام في التاريخ » ١٩٥٠ ، وقد ترجما الى العربية ، و « العنصر واللون في الاسلام » ١٩٧١ ، والعشرات من الدراسات والمقالات .

والبروفسير برنارد لويس يهودي لا يحاول اخفاء صهيونيته ، وان أصر على مقدرة الاكاديمي المنضبط على معالجة موضوع تخصصه ، دون التأثر بارتباطاته العرقية والعقائدية .

وكان قبل عامين قد نشر تعليقا طويلا مكثفا حاد العبارة والمضمون ، في صحيفة النيويورك ريفيو أوف بوكس The New York Review of Books ، يفند فيه هجوم الدكتور ادوارد سعيد القارص عليه وعلى نواياه السيئة نحو العرب والعروبة في كتابه « الاستشراق » (انظر النسخة الانجليزية Orientalism صفحات ٣١٤ - ٣٢١) .

هذا الموقف من جانب المؤلف يضع على كاهل الناقد والقارىء العربي عبئا اضافيا عند قراءة كتابه موضوع هذا التعليق ، والغوص في السطور وما بينها لمعرفة مدى صدق ادعائه ، ومدى نجاحه في تحقيق ذلك من خلال معالجته لموضوعه الحساس .

يقول الكاتب في المقدمة : « ان مصادر العصرين الوسيط والحديث للتاريخ اليهودي تعترف بأن اليهود لم يتمتعوا بحياة زاهرة منتجة في شتاتهم ، إلّا تحت ظل الاسلام والمسيحية . ويعزو ذلك الى حقيقة هامة ، وهي أن اليهود لم يهملوا ، وكانت لهم منزلة كونية محددة في المجالين الديني والتاريخي .

فالمسيحيون قد تبنوا كتاب اليهود المقدس ، اما المسلمون فانهم قد اعترفوا به كرسالة سماوية جاء الاسلام ليكملها . من هذا المنطلق لم تكن اليهودية غريبة او عبثية في نظر المسلمين والمسيحيين ، وانما تنتمي لنفس المصدر الذي نبعا منه ، هذا الاعتراف يعطي لليهودية ، رغم الاضطهاد والكراهية والقتل ، في رأي الكاتب ، فسحة للازدهار « اذ ان الاضطهاد في نظر المؤمن خير من التجاهل والاستهانة » .

الاسلام والاديان الأخرى

يشير الكاتب في الفصل الأول الى النمطين الغالبين للانسان العربي المسلم في الحضارة الغربية : الأول يمثله كمحارب على ظهر جواده ، يحمل السيف باليمين والمصحف باليسار ، ويعود الفضل في انتشار هذه الصورة الى المؤرخ الانجليزي ادوارد قبون (١٧٣٧ - ١٧٩٤) مؤلف « أفول وسقوط الحضارة الرومانية » ويسخر الكاتب من هذا النمط بقوله ان المعرفة العابرة للعربي المسلم تكشف انه لا يحمل المصحف متباهيا بيسراه .

اما النمط الثاني فيمثل الوطن العربي الاسلامي كمجتمع مثالي تنصهر فيه مختلف العناصر والعقائد في وئام وانسجام ، ويعمل فيه الجميع على ازدهار الحضارة وتقدمها .

ويمضي الكاتب في تعليقه على النمطين قائلا ان النمط الأول من وجهة النظر اليهودية يمثل المانيا

النازية ، اما النمط الثاني فيمثل المجتمع الأمريكي المعاصر في تنوعه وتفاعله ومثله . والنمطان لا يمثلان الـواقـع ، ولكنهـما ككـل الانمـــاط ، لا يخلوان من صدق ، ويشتركان في كونهما حـديثين ، ومن نتـاج الخيال الغربي ، اذ ان كلا التعصب والتسامح امران جديدان على المسلمين والمسيحيين على السـواء . لم يكن التسامح ذا قيمة مجردة لدى المجموعتين ، كما لم يكن التعصب مرفوضا مدانـا . والى عهد قـريب لم تكن اوروبا المسيحية تحفل بالتسامح ، او تفتقد غيابه عند الآخرين .

اما الحديث عن التسامح الذي يجيده المـدافعون عن الاسلام من مسلمين ومتعاطفين معهم ، فهو في نظر الكاتب ، لا يتردد ابدا على ألسنة دعـاة البعث الاسـلامي هـذه الايـام كـما لم تعـرفـه المجتمعـات الاسلامية التقليدية الأولى التي لم تمارس المساواة بين الـذين قبلوا الـدين الجـديـد ـ الاســلام ـ والـذين رفضوه ، لأن ذلك ببسـاطة ينـاقض اسس العقيدة الاسلامية والمنطق الكامن وراءها .

يتحدث الكاتب بعد ذلك عن اهمية التعريفـات المحددة للاسلام ، ويحددها في معان ثـلاثة : أولهـا الوحي الذي انزل على النبي محمد (ﷺ) بالرسالة المتضمنة في القرآن الكريم . وثانيها التطور التاريخي للاسلام بعد موت النبي ، وما استحدث من تصوف وفكر ونشاط . وثالثها الحضارة الاسلامية في شمولها من فنون وعلوم ، بمعنى آخر الملامح الثقافية وليست الدينية فقط .

يقول الكاتب ان الاصطهاد النشيط العنيف القائم على القهر لم يحدث الا نادرا في الاسـلام . فاليهـود والمسيحيون لم يعانوا في ظل الاسـلام الاستشهاد في سبيل العقيدة ، ولم يرغموا على الاختيار بين دخول الاسلام او المنفى او الموت ، كما حدث للمسلمـين واليهود في اسبانيا المسيحية مثلا .

ويقارن الكاتب بين سماحة الاسلام في بدايته وفي العصور الوسطى ، وبين نظام الطبقـات المغلقة في الهند ، وبين النظام الارستقراطي في اوروبا آنذاك ، لقد كانت الحـركة عبـر السلم الاجتماعي مفتـوحة للجميع في المجتمع الاسلامي ، الا ان هذه الحركة كانت محدودة في مواضع كثيرة . فالعضوية الكاملة غير المنقوصة كانت مقصورة على الـذكور المسلمـين الأحرار . اما النساء والرقيق وغير المسلمين من اهل الذمة فلم يكونوا متساوين معهم ، وعدم مساواتهم ليست نتاج التقاليد والطبيعة الانسانيـة فقط ، وانما تنص عليها الشريعة في رأي المؤلف .

وهذه المجموعات الثلاث في رأيه وخاصة النساء والـرقيق ، كـانت هـامـة وضـروريـة للمجتمـع الاسـلامي ، الا انه لم يكن للمـرأة خيار في كـونها انثى ، ولا يتيسر بطبيعة الحال للعبد ان ينعم بحريته الا بموافقة سيده على عتقه . اما الـذمي فكانت لـه حـرية الاختيـار بين دينه وبين الاســلام ـ الرسـالة الاخيـرة من الله سبحـانـه وتعـالى التي هي اكمـال لليهودية والمسيحية . واذا رفض اليهود او النصاري اهتبال هذه الفرصة المواتية ، فعليهم وحـدهم يقع عبء ذلك الاختيار ، والرضا بهـوية الـذمي ، وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات كما جاءت في عهـد سيـدنـا عمـر رضي الله عنـه لأهـل سـوريـا المسيحيين ، وما اضيف اليه من حدود وقيود تختلف من مجتمع اسلامي لآخر .

ولا يسع المرء الا ان يتفق مع الكاتب هنا ، في ان على من اختار تقع تبعة اختياره ، ولكن الموضوع اكبر من ذلك ، وكان على الكاتب ان يذكر ان الـرفض اليهودي للأديان الاخرى له بعد آخر ، هو اسطورة « شعب الله المختـار » التي تحمل في طيـاتهـا رفضـا واحتقارا مسبقين للتسامح ، وحتى للمسـاواة . هذا البعد الهام الذي يتجاهله الكاتب عمدا يمثل الحلقة المفقودة في كتابه . ولعل هذا البعد يفسر اضمحلال اليهودية وتحجرها في الانظمة الدينية والسياسية التي تهملهـا ولا تعتـرف بهـا ، وبـالتـالي تنسف أسس الاسطورة ، وتحول الاقلية اليهودية الى جالية عادية ليس امـامهـا سـوى الانصهـار في الاغلبيــة ، او الاضمحلال او التحجر او الرحيل .

كتاب الشهر

التقليد اليهودي ـ الاسلامي

يقول الكاتب عنه :

« يعرف تاريخ اليهود نوعين متباينين للعلاقات الثقافية بين اليهود وجيرانهم . في احدهما يندمج اليهود في المجتمع الذي يعيشون فيه ، يتكلمون لغته ويتبنون القيم الثقافية للاغلبية المحيطة بهم . وهذه هي الحال في غرب اوروبا وامريكا الآن ».

« اما النوع الأخر فيعيش فيه اليهود في عزلة ثقافية ، لا يتحدثون لغة الأغلبية ، وانما اللغة العبرية او لغة اخرى لا يتحدثها من حولهم كالاسبانية ـ اليهودية التي جاء بها اليهود السفارد في الامبراطورية العثمانية ، او الالمانية ـ اليهودية (البيدية) التي يتحدث بها اليهود الاشكناز القادمون من المملكة البولندية والامبراطورية الروسية ، وقبل ذلك اللهجات الأرامية ـ اليهودية التي كانت شائعة في منطقة الهلال الخصيب وما وراءه - » .

« ان كلا هذين النوعين ينتج انواعا مختلفة للحياة اليهودية ، تتميز بعلاقات مختلفة بين الأقلية اليهودية والأغلبية الحاكمة ».

« ان التمازج والتعايش الثقافي لليهود والعرب في العالم الاسلامي يقترب من النوع الأول الغالب على حياة اليهود في المجتمعات الاوروبية والأمريكية الان . ويختلف عن الوضع في الامبراطوريات الرومانية والعثمانية والروسية . وكما اشار المستشرق (بروفسير قويتين) فان التمازج الثقافي بين اليهود والمسلمين قد انتج شيئا ليس هو مجرد ثقافة يهودية باللغة العربية ، وانما ثقافة يهودية ـ عربية يمكن ان نطلق عليها ثقافة يهودية ـ اسلامية ».

« اما من ناحية اللغة فهناك اختلافات طفيفة في اللهجات . لقد طور اليهود مثل المسيحيين لهجاتهم العربية المحددة ذات المفردات والاصوات المختلفة ولأغراض دينية . فاليهود قد كتبوا العربية باحرف عبرية ، كما ان المسيحيين قد كتبوها باحرف سريانية وذلك لاغراض دينية بحته ، فالمجموعتان تتبعان ديانتين سماويتين تقومان على كتابين مقدسين ، يعبر عنهما من خلال طقوس مكتوبة . هنالك اذن ارتباط وثيق بين النص والعبادة من جانب ، وبين النص والعقيدة من جانب آخر . ولكن الاختلافات بين هاتين اللهجتين والعربية طفيفة بالمقارنة مع سواها ولا تؤثر كثيرا على حجم الاشتراك في اللغة والقيم الثقافية التي تعبر بواسطتها ولقد ادى ذلك الى خلق اطار ثقافي عام ، وفر قدرا كبيرا من الاتصال والتفاعل الذي كان نادر الحدوث في تاريخ الشتات اليهودي »

« ان عملية التأثر الثقافي لليهود بالعالم العربي الاسلامي تتعدى حدود اللغة الى الاسلام . ولا يعني هذا بالضرورة اعتناق اليهود للاسلام ، وان كان هناك العديد منهم الذين اعتنقوا الاسلام ولعبوا دورا عظيم الاهمية فيه . الذي نقصده هنا ليس اتخاذ الاسلام دينا وانما هضم واستيعاب وتمثل صيغه الفكرية وانماطه السلوكية ـ بكلمة واحدة قيام تقليد يهودي ـ اسلامي مواز للتقليد اليهودي ـ المسيحي والذي كثر الحديث عنه في عصرنا الحاضر » .

« لقد اشرنا من قبل الى بعض المشاكل المتعلقة بالعلاقات المتبادلة بين اليهودية والاسلام والتأثيرات التي حدثت بينهما . انه من الصعب بل من المستحيل احيانا معرفة اي الممارسات والأفكار قد سبقت الأخرى ، وبالتالي ايهما اثر على الآخر . ولعله من الأوفق ان نستعمل صيغة محايدة ، وان نتحدث عن سلسلة من التطورات اليهودية تقابلها تطورات مماثلة

في الاسلام . اما في بعض الأمور ، فان التسلسل التاريخي يثبت دون شك ايهما مصدر النفوذ وايهما متلقيه ، ولكن في امور اخرى فانه يصعب تمييز خط التطور » (صفحات ٧٧ ـ ٧٨) .

ويقول المؤلف ان هنالك اختلافا كبيرا بين معاملة اليهود في المسيحية وفي الاسلام في القرون الوسطى . فعداء المسلمين لليهود لم يكن عداء دينيا . اما صلة اليهود بالمسيحية فتعود الى اللحظات الاولى لميلاد المسيحية ورفض اليهود لها ومحاربتهم للمسيح ، في حين ان مصدر العداء بين اليهودي والمسلم هو العلاقة المتوترة ابدا بين الأغلبية المسيطرة والاقلية المستضعفة ، وليس لها ذلك البعد الديني والنفسي الذي تمخض على المدى عن العداء للسامية في الغرب .

ويذكر المؤلف كتاب ابن حزم (٩٩٤ ـ ١٠٦٤) « الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل اخرى » الذي هاجم فيه اليهود من منطلق احتلافه مع ابن النغريلة . وكتاب القاضي ابن سعيد الاندلسي « طبقات الأمم » الذي صدر في القرن الحادي عشر ، وانصف فيه اليهود بذكرهم ضمن الامم الثماني التي اسهمت في مجال الحضارة الاسلامية كما ورد ذكرهم في مقدمة ابن خلدون . ويقول الكاتب ان جميعها تخلو مما يمكن ان نطلق عليه العداء للسامية الذي عرفه الغرب .

العصور الوسطى

يرفض المؤلف في بداية هذا الفصل استعمال التقسيمات الزمنية من قديم ووسيط وحديث لدراسة التاريخ الاسلامي ، ويستبدلها بثلاث مراحل من الغزو والتوسع الجغرافي ، غيرت ملامح العالم سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

المرحلة الأولى هي غزو العرب والمسلمين في القرنين السابع والثامن للبلاد التي حولهم ، والذي تم خلاله نشر الدين الاسلامي واللغة العربية واقامة الحلافة الاسلامية . وقد نجمت عن ذلك تغيرات جوهرية ادت الى خلق نظام جديد على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي في منطقة الشرق الاوسط .

اما المرحلة الثانية فتبدأ بغزو اهل السهول من الشمال والشمال الشرقي ، بداية بهجرة الاتراك في القرنين العاشر والحادي عشر ووصلت قمتها بهجرة المغول في القرن الثالث عشر ، مما ادى الى زوال الخلافة الاسلامية وقيام عهد سياسي جديد ، اصبحت السيادة فيه من نصيب الاتراك والمغول في امبراطوريات وممالك بديلة كما اصبحت اللغات التركية والمغولية هي الغالبة . بينما بقي الاسلام سائدا ، وان تغير في بنيته واصبح هرميا ، واكثر اهتماما بالنظام ، وتقليديا محافظا .

اما الغزو الاخير فهو الغزو الاوروبي . وكانت الممالك الاسلامية قد حاولت غزو الممالك الاوروبية اكثر من مرة . فقد حاول العرب في اسبانيا وصقلية ، والتتر المسلمون من روسيا ، والاتراك الذين نجحوا مرتين في الوصول الى اسوار فيينا . ولكن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل . وتحول موقف اوروبا من الدفاع الى الهجوم ، ولاحق الاسبانيون والبرتغاليون المغاربة الى شمال افريقيا ، وابحروا حول القارة الافريقية ، وحاربوا العرب المسلمين في جنوب آسيا وجنوب البحر الابيض المتوسط . . واستطاع المجريون والنمساويون طرد العثمانيين عبر البلقان الى القسطنطينية ، وبعد ان حرر الروس موسكو من التتر طردوا العثمانيين الى البحر الاسود وجبال القوقاز والى قلب العالم الاسلامي .

والكاتب هنا لم يلتزم الدقة في وصفة محاولات المسلمين غزو اوروبا بالفشل . نعم لم ينجح المسلمون في غزو اوروبا غزوا كاملا ، لكنهم نجحوا في غزو واحتلال بعض اجزاء منها لقرون طويلة ، وتركوا بصماتهم الثقافية والدينية واللغوية فيها الى يومنا هذا .

والفترة التي تهم المؤلف هنا هي فترة الغزو الثاني التي شهدت تدفق اهل السهول من المغول وانتهت بتقدم الغزاة الاوروبيين ـ اي فترة ازدهار واضمحلال الامبراطورية العثمانية .

كتاب الشهر

يقول المؤلف ان الحاليات اليهودية في الامبراطورية العثمانية كانت تتكون من مجموعات متعددة ، فهناك طبقة اليهود الرومانيين الذين يتحدثون الاغريقية في غربي آسيا الصغرى وفي القسطنطينية ومدن البلقان وتتكون ـ المجموعة الثانية ـ من المهاجرين من اوروبا وهم غالبا من اليهود الاشكناز القادمين من المانيا وفرنسا ، ولكن هجرة هذه المجموعة تضاءلت تحت وطأة هجرة اليهود السفارد من جنوب اوروبا بعد طردهم من اسبانيا في ١٤٩٢ ، ومن البرتغال في ١٤٩٦ ، ولقد بدأت اعدادهم تتزايد في اسطنبول وسولنيكا وأزمير وسواها من مدن الاناضول والبلقان .

وبعد احتلال العثمانيين لشمال افريقيا انضمت الى يهودها مجموعات جديدة تتحدث العربية ، وتطلق عليهم الوثائق العثمانية اليهود المستعربة ، تمييزا لهم عن يهود مصر وسوريا والعراق الذين يتحدثون العربية ، واليهود الذين يتحدثون التركية والاسبانية ، وكانت هناك اقليات صغيرة من المتحدثين باللغتين الكردية والارامية .

معنى ذلك ان يهود الدولة العثمانية كانوا يتكونون من المقيمين والمهاجرين . اليهود المقيمون اصبحوا جزءا من الامبراطورية العثمانية ، مثلهم مثل سواهم . اما المهاجرون فيكونون المجموعة الوحيدة التي اصبحت عثمانية بمحض اختيارها ، بعد ان سمعوا بالسماحة والفرص المواتية فيها ، وضاقوا بالاضطهاد الديني في اوروبا .

ويضيف الكاتب ان الدولة العثمانية قد دأبت على ترحيل الافراد والعائلات والمجموعات من مكان لأخر ، اما بقصد توقيع العقوبة عليهم ، او تمشيا مع سياسة الدولة الاقتصادية والاستراتيجية والسياسية ، وكانت سياسة الترحيل هذه تنطبق على الجميع من مسلمين وسواهم . مثلا بعد احتلال القسطنطينية رحل اليهود باعداد كبيرة من الأناضول والبلقان . وفي بداية القرن السابع عشر اصبح ٦٧٪ . من سكان سالونيكا يهودا . كما رحل اليهود الى قبرص بعد احتلالها في عام ١٥٧١ .

اما عن نظام الملة الذي اقامه العثمانيون لتنظيم الاقليات فيقول الكاتب : «ان ما جاء في ادبيات اليهود والعثمانيين في تعيين السلطان محمد الفاتح (١٤٣٢ ـ ١٤٨١) للحاخام موسى كاسالي في عام ١٤٥٣ مسئولا عن الملة اليهودية في جميع انحاء الامبراطورية ليس صحيحا ، اذ عين مسئولا فقط عن الحالية في اسطنبول » . ويعزو الكاتب ذلك الخلط . . الى عادة العثمانيين في اعلان اوامرهم الاصلاحية بأثر رجعي لاسباب دعائية . اما اول مرة يعين فيها حاخام عام ليهود الامبراطورية العثمانية كمجموعة فقد حدث في عام ١٨٣٤ .

يقول الكاتب ان اليهود المهاجرين من اوروبا الى الامبراطورية العثمانية اتوا بمعرفة جديدة وحرف ضرورية ، من حضارة مزدهرة الى حضارة متقلصة لم تعد في موضع العطاء . وكان اسهام هؤلاء اليهود في الحياة الثقافية للامبراطورية العثمانية محصورا في مجالات الطب والفنون الاستعراضية والعسكرية والطباعة والتجارة والدبلوماسية .

ولكن مع مرور الوقت فقد اليهود المهاجرون معرفتهم باللغات الاوروبية وبالتالي بدأ اسهامهم في الزوال بعد ان حلت مكانهم مجموعات مهاجرة جديدة من الاغريق والطليان والأرمن ، احتفظوا من خلال ارسال ابنائهم للتعليم في الجامعات الاوروبية باستمرار معرفتهم اللغات الاوروبية ، وبالتالي تمكنوا

من نقل منجزات الحضارة الاوروبية الى الامبراطورية العثمانية لفترة اطول .

يقـول الكاتب انـه برغم اتسـام الامـبراطـوريـة العثمانية بالتسامـح في معامـلاتها مـع اليهود الا ان القرون السادس عشر والسابـع عشر والثـامن عشر شهدت ازدياد العداء والمرارة من العامة والعلماء لهم تدريجيا ، مما كان يضطر الولاة والسلطان لتهدئتهم باعلان وتطبيق واجبات والتزامات اهل الذمة كما ان الفترة ذاتها شهدت تسرب بعض ممارسات العداء للسامية المنتشرة في اوروبا ، مثل اتهام اليهود باختطاف النصارى ، وخاصة اطفالهم ، واستنزاف دمهم Blood Libel ليعجنوا به الخبز الذي يتناولونه في مناسبات دينية ، واتهامهم كذلك - كأقلية - بالتآمر باستمرار ضد الاغلبية ، بحيث اصبح التآمر سمة ثابتة في شخصيتهم الجماعية كيهود ، ويعطي الكاتب مثلا باتهامهم بجؤ امرات نشر الاشتراكية في العالم العربي الاسلامي

ويقارن الكاتب بين معاملة اليهود في اوروبا بعد القـرن الســادس عشـر ، وبـين معـاملتهـم في الامبـراطوريـه العثمـانيـة لنفس الفتـرة بدأت الامبراطورية العثمانية تعاني من التدهور السياسي والاقتصادي ، وانعكس ، ذلك على الموقف الشعبي والرسمي تجاه الاقليات من يهود ومسيحيين اما اوروبا فقد شهدت في الفترة ذاتها ازدهارا اقتصاديا واصبح اليهود يلقون معاملة حسنة فيها نسبة لانتشار مبادىء الثورة الفرنسية والافكار الليبرالية والمبادىء الانسانية .

يقـول الكـاتب ان اليهـود في ايـران تحت حكم الشيعة المترمت كانوا يعانون اكثر من معاناتهم في اي مكان آخر من العالم الاسلامي ، وقد لخص الرحالة اليهودي جي . جي . بنيامين معاناتهم في منتصف القرن التاسع عشر ، في خمس عشرة ممارسة تلقي الضوء على ماوصل اليه وضع الذمي من تدهـور ، ومن بينهـا اجبارهم عـلى العيش في حي خـاص في المـدينـة ، لا يحق لهم العمـل بـالتجـارة حتى في احيائهم ، يحصبون بـالحجارة دون ذنب ظـاهـر ، يمنعون من الخروج من منازلهم اثناء هطول الامطار خـوف انتشار نجاستهم ، اذا قتل يهـودي وشهـد مسلـمان على الجريمة يغـرم قاتله المسلم بما يعادل ستمائة قرش ، لا يحق لليهودي معاينة البضـائع او لمسها قبل شرائها ، وان فعل يرغم على شرائها بالثمن الـذي يحدده البائع ، لا تبـاع اللحوم التي تـذبـح بالطريقة اليهودية للمسلمين ، اذا تجرأ يهودي وخرج من بيته اثناء الاحتفالات الدينية يكون عقابه الموت الخ الخ هذا الى جانب ارغامهم على الممارسات التقليدية من لبس ملابس معينة ، وبألوان معينة ، وشارات معينة ، ومنعهم من ركوب الخيل والجمال ، وارغـامهم على دفـع الجزيـة ، وحرمـانهم من تقلد وظائف وحرف معينة .

نهاية التقليد

في نوفمبر ١٨٠٦ تدخل القنصل البريطاني جيمس قرين لدى ملك المغرب طالبا اعفاء اليهود في جبل طارق من قرار منعهم من لبس الملابس الاوروبية وقد استجاب الملك لطلبه .

ويقول الكاتب ان لهذا القرار اهمية خاصة من عدة وجوه . لقد كان جبل طارق تحت السيطرة البريطانية منذ عام ١٧٠٤ ، وكانت اسبانيا قد اشترطت عدم السماح لليهود المغاربة بالاقامة في جبل طارق ، وهو شرط لم يلتزم به البريطانيون ، وتجدر الاشارة الى ان يهود الامبراطورية البريطانية كانـوا قد حصلوا عـلى حقوقهم المدنية الكاملة في القرن التاسع عشر .

بعد ان حصل اليهود على حقوق المواطنة في اغلب الدول الاوروبية ، بدءوا يتدخلون بمختلف الطرق لانقاذ اخوانهم في العـالم الاسلامي ، والعمـل على تحسين اوضاعهم فيه .

ولقد لعبت الدول الاوروبيه دورا هاما في تحسين حالة اليهـود والمسيحيين المقيمين في الامبراطـورية العثمـانية ، اذ شملت معـظمهم رعاية القنـاصـل الاوروبيـين تحت نـظام الامتيـازات الاجـنبيـة Capitulations ، وكان هذا التدخل يثير ثائرة

كتاب الشهر

الأهالي والطبقات الحاكمة ، ويقود الى انفجار العداء ضد الاقليات ، وتشديد قبضة الاضطهاد وممارسات نظام الذمة .

يقول الكاتب ان هذه الصلة الثلاثية بين الاسلام هنا واليهود واوروبا وجدت تعبيرها الدرامي في حادثة دمشق المشهورة في عام ١٨٤٠ .

ففي فبراير من ذلك العام اختفى قسيس فرنسي وخادمه ، واتهم زملاؤه حلاقا يهوديا بقتله ، وخلط دمائه مع الخبز الذي يأكله اليهود في مناسباتهم الدينية . وكان يقف وراء الاتهام والتحريض القنصل الفرنسي الذي نجح في اقناع حاكم الاقليم ـ شريف باشا ـ بالاتهام واعتقال قادة الجالية اليهودية البارزين ، وتعذيبهم اثناء الاستجواب ، مما ادى الى موت احدهم ، واعتناق آخر للاسلام ، واعتراف العديدين بالجرم تحت التعذيب . وحتى يبرر القنصل تدخله أثار حملة صحفية ضارية ضد اليهود في دمشق وباريس . وتحرك قادة اليهود في اوروبا ، وكونوا معارضة قوية وجدت استجابة في الدوائر المسئولة والشعبية .

وتكونت لجنة من اليهود وانصارهم في البرلمان في بريطانيا ، وارسلت لجنة الى مصر لمقابلة واليها محمد علي باشا ، وكانت سوريا تحت حكمه ، تنذره وتطلب تدخله للتحقيق في الواقعة . وقام اللورد بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانية بالاتصال بمحمد علي باشا ، كما فعلت الحكومة الفرنسية نفس الشيء . وتحت هذا الضغط المتزايد اصدر محمد علي باشا اوامره باطلاق سراح اليهود المعتقلين فورا . ويقول الكاتب انه اضطر بعد ذلك باشهر الى التخلي عن سوريا وفلسطين تحت الضغط الاوروبي .

وكان الوفد البرلماني البريطاني عند عودته من مصر قد عرج على القسطنطينية وقابل السلطان الذي اصدر فرمانا يدين حملات التشهير الجماعية ضد الاقليات ، ويؤكد عزم السلطات العثمانية على اعطاء اليهود حماية كاملة في النفس والممتلكات .

وفي عام ١٨٦٠ انشيء التحالف الاسرائيلي العالمي Alliance Israelite Universelle في باريس من اليهود الفرنسيين ذوي الاتجاهات الدينية والسياسية الليبرالية ، الذين نذروا انفسهم للاخذ بايدي اخوانهم اليهود في كل مكان ، وتحريرهم من الاضطهاد والعنف والخوف والجهل ، وتوعيتهم بحقوقهم المدنية . ورغم ان التحالف قد قصد به جميع اليهود في مختلف البلدان الا ان منظمات مماثلة له انبثقت في العالم الغربي ، في لندن في عام ١٨٧١ ، وفي فيينا عام ١٨٧٣ ، وبرلين عام ١٩٠١ ، والولايات المتحدة عام ١٩٠٦ وكانت هذه فترة تطور الصهيونية فكرا وتنظيما وتطبيقا .

ولقد قامت هذه المنظمات المدعومة النشيطة بمساعدة اليهود في المشرق العربي ، خاصة في مجال التعليم والتوعية ، والى لفت انظار المسئولين من وطنيين واجانب .

حقا لقد توفرت ظروف مادية واجتماعية وثقافية لاوروبا بعد القرن الثامن عشر ، جعلت انصاف الاقليات امرا مقبولا وضروريا ، لكن يجب ان نذكر ان هذا التسامح نحو الاقليات في اوروبا نفسها ومستعمراتها بعد ذلك قد واكبه اضطهاد واستغلال للاغلبية ، لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية . ولقد اقامت الادارات البريطانية تحالفات غير متكافئة مع عدد من الاقليات ، او طبقة منها ، لتركيز دعائم سيطرتها .

في العالم الاسلامي كانت هذه الاقليات تنتمي

غالبا الى اليهود وسواهم ونحن لا نرمي هنا بايراد هذه الحقيقة التاريخية الموثقة الى دمغ هذه الاقليات ككل بالعمالة والتواطؤ مع المستعمر ، ولكننا قصدنا ان نلفت الانظار الى حقيقة هامة اغفلها الكاتب عامدا عن مقارنته بين موقفي العالم الغربي والعالم الاسلامي تجاه الاقليات في العصر الحديث ، بحيث خرجت اوروبا من المقارنة وكفتها راجحة وهي التي مارست اسوأ انواع الاسترقاق والعنصرية والاستغلال والاضطهاد لبلاد وعناصر وقارات باكملها ، مما يجعل وصفها بالتسامح اقرب الى النكتة غير المستساغة منه بالتحليل الموضوعي الشامل . قد يقول قائل ان الكاتب كان يعالج أمر اليهود فقط وفي اوروبا ، ونقول ان الكاتب قد اورد ذلك في نطاق المقارنة مع وضع اليهود والاقليات في العالم الاسلامي والعالم الاوروبي وكان يتحتم عليه ان يوفي الموضوع حقه . وهو اساسا عن يهود الاسلام .

الخلاصة والتعليق

والان ، وبعد هذا التلخيص الطويل للكتاب الذي حاولنا فيه ابراز وجهة نظر المؤلف قدر الامكان ، يحق ان نتساءل : هل التزم الكاتب الموضوعية في معالجة موضوعه الحساس ؟

اولا لم يأت الكاتب بجديد من المعلومات ، وان نجح في الغوص في مختلف المراجع ، وانتقى منها ما يخدم اطروحته واغفال مايناقضها ، وخير مثال لذلك قفزته الخطيرة من نهاية القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين . لم يقل الكاتب شيئا عن فلسطين وعن قيام « اسرائيل » وما ساد ذلك من ذبح وقتل وتشريد . هذا من ناحية المعلومات ، وهو نقص خطير .

اما من ناحية المنهج المقارن الذي استعمله بمهارة في القاء الضوء على وضع اليهود والاقليات الاخرى في العالم الاسلامي ومقارنته بوضع اليهود في اوروبا وامريكا ، فيبدو ان الكاتب قد رفض عامدا ان يسلطه على « اسرائيل » حتى تكتمل دائرة المقارنة . لقد ظل اليهود اقلية مضطهدة مستضعفة طوال التاريخ ، كما يقول الكاتب ، ولكنهم منذ قيام « اسرائيل » في عام ١٩٤٨ تحولوا الى اغلبية حاكمة في داخل حدودها ، فماذا فعلوا بالآخرين ؟ المؤلف لا يريد ان يمس هذا الموضوع ، ولو من بعيد لأنه يقود الى مسئولية الحضارة الغربية وقيمها التي يمجدها الكاتب مما كان سيقوض اركان اطروحته . كذلك لم يقل الكاتب شيئا عن قيام الحركة الصهيونية للسبب ذاته .

لقد وضع الكاتب نصب عينيه هدفا معينا ، وهو اقامة البرهان وتقديم الأدلة على صحة اطروحته ، وجاءت النتيجة تاريخا ناقصا ، وكان يجدر به ان يكتب التاريخ اولا ـ كاملا غير منقوص ويستخرج منه ما يشاء من العبر بعد ذلك .

وليس للكاتب عذر ، خاصة بعد تعليقه على كتاب « الاستشراق » وأهم من ذلك بعد « اسرائيل » وما تبع ذلك من مجازر صبرا وشاتيلا ، واحتلال مايزال قائما في الجنوب والبقاع اللبنانيين .

ان موضوع الكتاب هو مدى تسامح الاغلبيات تجاه الاقليات . والتسامح ككل القيم المجردة لا يمكن تجزئته او قياسه بمعايير مختلفة للمسلمين والمسيحيين الاوروبيين وللاسرائيليين ، ولكن الكاتب اغفل هذه القاعدة الذهبية .

نعم لقد قام في الماضي تقليد يهودي ـ اسلامي في ظل التسامح الاسلامي . وهذا عنصر ايجابي . وقام مؤخرا تراث آخر صهيوني ـ عربي مازال ينمو . وهو عنصر سلبي . وكان على الكاتب ألا يغفل التقليد الثاني حتى لا يخرج عملا غير متوازن وغير مقنع .

لقد ذكر الكاتب في مقدمته ان كتابه عبارة عن صورة موسعة لمحاضرات القاها في كلية الاتحاد العبري بمدينة سنسناتي بولاية اوهايو الامريكية ، وليته لم يقل بانه قام بمراجعة وتوسيع المحاضرات ، وليته قال انه اكتفى بنشرها كما هي حين القاها على جمهور معين . ولو فعل ذلك كنا سنجد له العذر . اما وقد اختار ان يتوسع فيها وان يضيف اليها لنشرها على جمهور اوسع فكان يجدر به ان يكون اكثر حرصا على الدقة والموضوعية والاكاديمية المنضبطة . □

من المكتبة العربية



بقلم : يوسف عبد الله محمود

■ في الرابع عشر من شهر نيسان عام ١٩٨٣ ، غيّب الموت واحدا من رواد القصة القصيرة في الاردن هو المرحوم أمين فارس ملحس ، ولست هنا بصدد الحديث عن سيرته الذاتية أو رصد كل مظاهر نشاطه الأدبي ، وهي كثيرة لا يتسع المجال لتتبعها في هذا الحديث . . . ولكنني معنيّ بتناول مجموعته القصصية « ذبول » التي آثرت رابطة الكتاب الاردنيين نشرها غداة مرور أربعين يوما على وفاته ، وفاء منها لهذا الكاتب الذي ارتضى أن يعيش في الظلال زهدا منه في الشهرة التي كثيرا ما جرت على صاحبها المحن والنكبات . . تضم هذه المجموعة التي نشرت سنة ١٩٨٣ ست عشرة قصة قصيرة ، التزم الكاتب فيها الاتجاه الواقعي ، فكل ما ابدعه قلمه يحكي في معظمه هموم شعبه الذي اضطرته الظروف القاسية عام ١٩٤٨ الى أن يهيم على وجهه بعد أن فقد نعمة الاستقرار وهناءة العيش . . . عاش أمين هم شعبه وأساه بكل عواطفه وأحاسيسه ، فأبطال قصصه المحروريون يعبر لسان حالهم عن واقع مرير فرزته ظروف سياسية واجتماعية قاهرة . .

أما الشريحة الاجتماعية التي ينتمي اليها أبطال هذه القصص فتعيش على الهامش . . محرومة من لذائذ الحياة ، تعاني من البطالة كما في قصة « نظرة ملؤها الأمل » وقصة « جيوب خاوية » حيث تضغط الظروف الاجتماعية على البطلين اللذين أظلمت الدنيا في وجههما ، ومع ذلك لم يستسلما لليأس بل ظلت أقدامهما مشدودة الى الارض في صلابة واصرار . واذا كان الكاتب حريصا على تسجيل لحظات الصراع النفسي الناشئة عن الضغوط الاجتماعية ومشكلات البطالة والفقر فانه ـ كما أرى ـ بوضعه النهايات السعيدة لهذا الصراع في ختام مجموعة لا بأس بها من قصصه يدل على أن وعيه بأبعاد الصراع الاجتماعي في تلك الحقبة التي كتب فيها مجموعته القصصية « ذبول » والتي تقع بين الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ، لم يكن قد تبلور تبلورا كافيا ، والدليل على ذلك أن قصصه القصيرة الاخرى التي كتبها قبل وفاته بسنوات قليلة حاولت أن تستوعب مفهوم هذا الصراع على نحو أفضل من السابق ، كما توفر لها من المقومات الفنية الحديثة ما لم يتوفر لقصص المرحلة الاولى . .

ابو السعيدين يحمل المنارة !

وسأحاول هنا رصد بعض السمات الموضوعية والفنية في قصتين من قصص هذه المجموعة « ذبول » : الاولى عنوانها « أبو السعيدين » والثانية عنوانها « قصير » . . . في القصة الاولى « أبو

* رائد من رواد القصة القصيرة في الاردن

السعيدين » تلقانا حدوته تحاول بها الجدة أن تسلي أحفادها الصغار . . . وهي تتحدث عن رجل اسمه « ابو السعيدين » كان يعمل عتالا في نابلس أيام الحكم التركي وكان حين لا يتيسر له حملة يحملها يمد يده الى بضعة افراد في المدينة أولاهم ثقته دون سائر الناس . . . وذات يوم سدت في وجهه سبل الرزق ، فأسرع كالمجنون الى المنارة المنتصبه وسط مدينته يريد ان يحملها على ظهره ، وراح يصيح بأعلى صوته : يا أهل البلد « اللي يحب النبي يرد هالحمله على ظهري ، عندها التف حوله بعض اصحاب الدكاكين والمارة مستملحين نكتته ! وبسرعة تناهى الخبر الى متصرف المدينة التركي فظن أن تمردا يوشك أن يقع على سياسة الباب العالي فاستدعى اليه « ابا السعيدين » مستوضحا منه حقيقة الامر « فراح أبو السعيدين يحدثه عن عدو لم تستطع الجيوش العثمانية رغم انتصاراتها في ساحات الحروب أن تقضي عليه ، وكان يعني بهذا العدو « الفقر » عندها هدأت نفس المتصرف بعد أن تبين له أن أمن الباب العالي غير مهدد بالخطر !

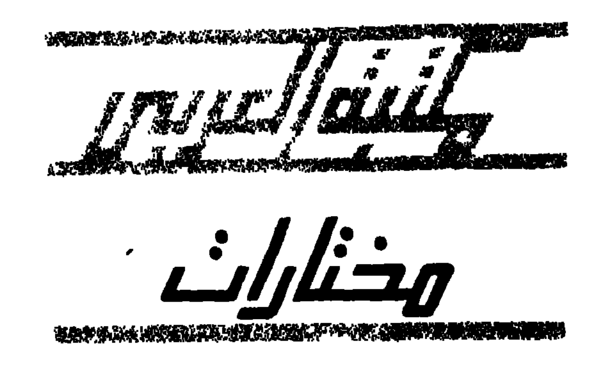
القصة - كما نرى - تصوير لاذع لمحنة الفقراء ، وتبدو السخرية المرة من محاولة « أبي السعيدين » انتزاع المناره الشامخة من مكانها وحملها على ظهره ، كأني به اراد بهذه الحيلة الذكية أن يعلن احتجاجه على وضع اجتماعي شاذ . . .

المصير

بقي أن أقول هنا قبل أن انتقل الى القصة الاخرى أن شخصية « ابي السعيدين » بالرغم من بؤسها لم تحاول أن تتخلى عن نقائها الانساني،بدليل رفض صاحبها أخذ المجيدي « بيده من المتصرف » « لانه حالف يمين لا يمد يده » . . وبعد الضغط عليه قبل أخذ هذا المبلغ شريطة أن يضعه احدهم في عبه ! . أما القصة الثانية التي اخترتها من مجموعة الكاتب الراحل أمين ملحس فعنوانها « مصير » . . . حين نذرع هذه القصة نكشف بداية رؤية طبقية واضحة عند الكاتب ، فالبطلان « البيك وابنه » نموذجان للمجتمع البورجوازي الغارق في أحلامه ومباذله . . . فالاب السادر في ملذاته يفقد فجأة وظيفته المحترمة التي درت كل هذا الثراء ، ثم تشاء الظروف أن يخسر كل ثروته ويضطر في نهاية المطاف أن يشغل وظيفة صغيرة يسد راتبها الهزيل رمق العائلة . . . وهنا تلقانا المفارقات الساخرة . . . الاب الذي فقد « البيكوية » يريد من ابنه أن يتفوق في دراسته ليستطيع أن يشتغل في المستقبل ويبني نفسه ، ولكن الابن الذي فتح عينيه - أول ما فتحها - على سهرات أبيه الحافلة بالخمر والميسر والنساء يأبى أن يطيع آباه ، بل انه يندفع وراء ملذاته غير عابىء بنصائح أسرته . . . ان هذا الابن بتطلعاته الطبقية لم يعد يطيق أن يرى أباه انسانا عاديا يعمل بوظيفة بسيطة،لذا فانه ينكر هذا الاب الذي خرج يبحث عنه ذات يوم ، قائلا لرفاقه الذين نبهوه الى وجوده : « انتم غلطانين . . . هذا ليس أبي » . . قد يقال هنا ان الكاتب من أجل أن يعري العلاقات الاجتماعية للطبقات المتميزة بثرائها وتطلعاتها الشاذة قسا على الابن حين جرده من عواطفه الانسانية وجعله ينكر أباه امام ملذاته . . . وقد يكون هذا صحيحا لو ان الواقع الاجتماعي الذي تتحرك في اطاره مثل تلك الشخصيات لم يكن على هذا النحو من التفسخ والانحلال . . وعلى كل حال ، فان قصص هذه المجموعة تغرف من واقع حياة المؤلف نفسه ، ومن واقع مجتمعه الذي ينتمي اليه انتماء حارا . . فأبطاله يوحد بينهم العذاب والالم . . العذاب الذي يطهر النفس ويثريها اذا ما تمكنت من التفوق على لحظات ضعفها ، أما الصياغة الفنية لهذه القصص التي كتب المؤلف معظمها في الخمسينيات والستينيات،فلم تخرج في الغالب عن الشكل الكلاسيكي لكتابة القصة القصيرة الذي يتكىء على السرد والوصف المباشر وأساليب الحوار التقليدية ، التي كثيرا ما تفقد العمل القصصي بعض توهجه وخصوصيته الفنية . . .

ولان كاتب هذه القصص كان يستلهم واقعة المرير في كل ما كتب فقد حفلت قصصه بالمفارقات الاجتماعية المثيرة للسخرية وللشفقة حينا آخر . .

وعلى عكس كثير من القصص القصيرة التي تكون فيها الشخصيات الثانوية مفروضة من الخارج ، فان مثل هذه الشخصيات في قصص أمين ملحس لها دورها المحدد في ثراء المواقف الانسانية التي يمر بها هذا البطل أو ذلك . . . □



الزيات والرسالة

الكاتب : د . محمد سيد محمد .
الناشر : دار الرفاعي للنشر ـ الرياض .
سنة النشر : ١٩٨٢ م .
عدد الصفحات : ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط .

لعبت المجلات في ثقافتنا العربية دورا مهما أعطاها ـ أي الثقافة ـ بعض سمات التغيير والتطوير ، ورفدها ببعض الركائز .

من تلك المجلات مجلة « الرسالة » التي أصدرها ورأس تحريرها الأديب أحمد حسن الزيات . وقد صدر العدد الأول منها سنة ١٩٣٣ . واستمرت في الصدور حوالي ٢٠ عاما كمجلة مستقلة التمويل .

ثم أعيد اصدارها بتمويل من قبل الدولة سنة ١٩٦٣ ورأس تحريرها الزيات أيضا .

وقد درس الكاتب تفصيلات حياة الزيات . والمراحل التي مرت بها ، ومكونات ثقافته وأعماله المؤلفة والمترجمة .

ثم عرج على المجلة ودورها ، والمراحل التي مرت بها ، وأبوابها ومعاركها الأدبية ، والقضايا التي اهتمت بها ، وتأثيرها على قرائها وعلى الأدب والفكر وغير ذلك .

يقول الكاتب عن دور المجلة :

« ويتضح دور « الرسالة » في مجال الثقافة العربية والفكر العربي في عملها الدائب من أجل تأصيل الثقافة العربية ، ولقد كان هذا الهدف واضحا في خطتها ، فقد كانت تعلن عن نفسها بأنها تجمع وحدة الثقافة لأبناء الأقطار العربية وانها تصور مظاهر العبقرية للامة العربية . واتخذت « الرسالة » من هذا الهدف قضية حيوية تقف فيها موقف البناء وموقف الدفاع . ووقفت من التراث موقفا ايجابيا معتدلا ، ولعبت دورا في الرأي العام العربي وهو دور يتسم بالعمق ، وتولت الكتابة لمناصرة قضية العدل الاجتماعي والاصلاح ، ومهاجمة الاقطاع ، وتحديد الملكية الزراعية ، وقوانين الاصلاح الزراعي وغيرها من موضوعات .



مدخل الانظمة السياسية

الكاتب : د . عبد الله هدية
الناشر : مكتبة أم القرى ـ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤ م .
عدد الصفحات : ٢٩٥ صفحة من القطع المتوسط

كيف نشأت الدول ، وما هي الأفكار السياسية التي استندت اليها السلطة ، وما هي تكوينات هذه السلطة وعناصرها . وما هي خصائص الانظمة السياسية وأشكال الدول ووظائفها ؟ كل هذه العناوين والأسئلة وغيرها . أجاب عنها المؤلف ، وتتبع نشأة الدول ونظمها الخاصة من الاغريق وصولا الى الانظمة الحديثة .

وقد جاء في مقدمة المؤلف ما يلي :

اذا كان « علم السياسة » يهتم بدراسة « السلطة » فهي محوره وحجر الزاوية في بنيانه ، فانه يهتم بدراسة ظاهرة السلطة داخل وعاء معين ، الا وهو « الدولة » ، ولذا كان من المنطقي أن نخصص جزءا يسيرا من هذا الكتاب لدراسة « الدولة » ، أركانها وأشكالها وكيفية نشوئها وقيامها ، والنظريات التي قيلت في هذا الصدد . ولا يمكن أن نتعرض للنظام السياسي في العصر الحديث الا عندما نتعرض لوعائه الطبيعي الذي يعمل داخله ، الا وهو الدولة ومؤسساتها والعلاقات بينها ، ومحتوى هذه المؤسسات ، وفحوى هذه العلاقات ، وصلتها بطبقات وأفراد المجتمع .

جزر الأندلس المنسية

الكاتب : د . عصام سالم سيسالم .
الناشر : دار العلم للملايين - بيروت .
سنة النشر : ١٩٨٤ .
عدد الصفحات : ٦٨٠ صفحة من القطع المتوسط .

المقصود بجزر الأندلس المنسية ، هي جزر الباليار ، التي تقع في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ، والتي تتبع اسبانيا الآن .

وقد كان للعرب المسلمين في هذه الجزر دول وولايات ، ومعارك . . وبناء حضاري أيضا ، وكانت تتبع دول الاندلس أحيانا ، أو تستقل وتعلن دولها الخاصة ، لكن ضمن المجموعة العربية الاسلامية ، قبل سقوط دولة الاندلس . .

وقد تتبع المؤلف تفصيلات تاريخ هذه الجزر قبل ظهور الاسلام وبعده ، وبين الأهمية الاستراتيجية لها ، ثم تناول التاريخ الخاص بفتح هذه الجزر من قبل المسلمين ، والمراحل والحقب والدول التي حكمتها ، أو الحكومات المحلية التي قامت بها ، وتتبع ذلك بتفصيلات دقيقة وصولا الى الانجازات الحضارية التي أنجزها سكان الجزر .

وقد جاء في مقدمة المؤلف ما يلي :

« الشواهد العديدة التي تمكنت من الاطلاع عليها تكشف الدور الكبير الذي أسهم فيه أهل هذه الجزر في حركة الجهاد البحري في الحوض الغربي للبحر المتوسط وما كان لهم من دور متميز في الحضارة الاسلامية . » .



الواقعية في الأدبين السوفيتي والعربي

الكاتب : د . ماجد علاء الدين
الناشر : دار الثقافة - دمشق
سنة النشر : ١٩٨٤م
عدد الصفحات : ٣٩٣ صفحة من القطع المتوسط

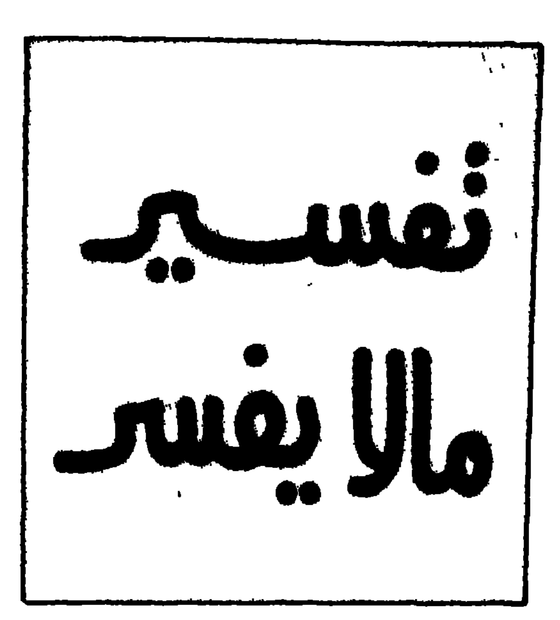
لاشك أن أي واقع له خصوصياته وتميزاته التي تميزه عن واقع آخر في الكثير من الوجوه والتفصيلات .

لكن . . لو قارنا نتاج وابداعات واقع معين بغيرها في الواقع الآخر ، فاننا قد نجد بعض السمات المشتركة .

واسلوب المقارنة هذا اتبعه المؤلف بين الأدبين العربي والسوفيتي ، فوجد بعض الوجوه المتشابهة ، خاصة الاتجاه الواقعي في إبداعات بعض الكتاب .

وقد قسم الكاتب كتابه الى عدة أقسام ، ورصد بعض السمات المشتركة منذ ثلاثينيات هذا القرن وصولا الى مرحلة الستينيات . وركز على أدب مكسيم غوركي ، الذي اعتبره مؤسس الواقعية الاشتراكية في الأدب السوفيتي ، ودرس بعض نتاجاته ، ثم درس نتاجات شولوخوف وغيره من الكتاب .

وبعد ذلك درس سمات الواقعية في الأدب العربي ، ودرس أدب عمر فاخوري ومواهب كيالي وحنا مينه وسعيد حورانية وغيرهم ، ودور بعض الروابط الأدبية . وعقد بعدها مقارنة بين الأدبين خاصة في الأماكن التي يتضح فيها التقارب حول أطر مدرسة الواقعية الاشتراكية .



شعر : علي السبتي

يمتد بيَ الزمانُ عاماً إثرَ عامْ
أحمل اضلعي التي تقوسّت من كثرة الآلامْ
وفي دماغي ضجةٌ ، وفي دمي أوهامْ
حتى غدوت عندما أنامُ . . . لا أنامْ !

* * *

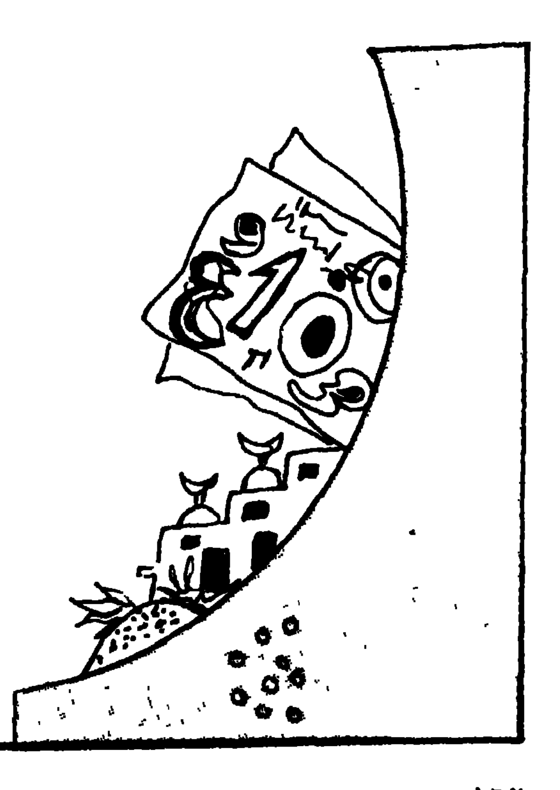
سيدتي تسألني الى متى تطحنك الأيامْ
وانت لا تزالُ منبعَ الأحلامْ
شعرُكِ كان لي وسادةً وعقدَ ياسمينْ
عشتُ على أريجهِ سنينْ
شعْرُكِ كان شمعةً تقتحمُ الظلامْ
فكيف تنحني والعمرُ لا يزالْ
يقوى على المحالْ
هل صرتَ يا معذبي تلاًّ من الرمالْ ؟

* * *

هل الليالي التي مرت على كبـدي
مـرت عليك أم أن الأمـرَ يختلفُ
مـالي أراكَ تعـاني من مشـاكسـةٍ
وانـت اكبـرُ ممـا يـتلفُ الـتلفُ
عـودتني أن أرى الأقـدارَ قـادرةً
اذا أردتَ فـلا جبنٌ ولا صـلفُ
اذا اردتَ فـدنياكَ التي وُلِـدتْ
كمثل دنياي فيهـا المجدُ والتـرفُ
فعـد لنـا لليـالي البيضِ نفجؤهـا
من كـل رائعـةِ الأفكـار نقتـرفُ

* * *

بكل روعة الشباب هل تعودْ
ام صرت مثلهم
سيدتي . . .
صديقتي



ما صرتُ مثلَهم
ولن أكونَ
فما أزال ذلك الذي عرفته في ماضي الأيامْ
احملُ وردةً وخنجراً أصنعُ منهما وسامْ

***

سيدتي تسألني متى ترتاحْ
أرتــاحُ يــا سيــدتي حــين أرى الاطفالْ
في كـل بـقـعـة يمشونَ كـالـرجالْ
فكـل طفـلٍ سيـدٌ وكـل سيـدٍ فعّالْ
مللتُ يا سيدتي من الأقوالْ
ومن مهرجين يحسبون المالْ
يجعلهم رجالْ
هـل يصنـع المـال انسانـاً بـلا خُلُق
وهـل رأيتـم نـجـومـاً دونهـا ألـق
وهـل سمعتم عن الجـودِ الـذي بـذلـوا
وأمهـم تـشـتـكـي من بـالي الخـرقِ
مخـادعـون ولـو فـتّشـت عـن كـثـب
عن أصلهمْ لـوجـدتَ الخـزيَ في العَلَقِ
فيـا التي تـدعـي بي ضـعـفَ مـقـدرة
اني بـصــرت وهــذا يـوم مـنـطـلـقـي

***

سيدتي تنام مثل قطةٍ وديعةٍ شبعانة
أرى بعينيها الله سبحانه
سبحان من خلقْ
يخلق من علقْ
هذي التي تزهر كالشفقْ
لم تدر ما الارقْ
وردتُ أن أمدَّ كفي نحوها لكنما الأوهامْ
قضت على الأحلامْ !

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

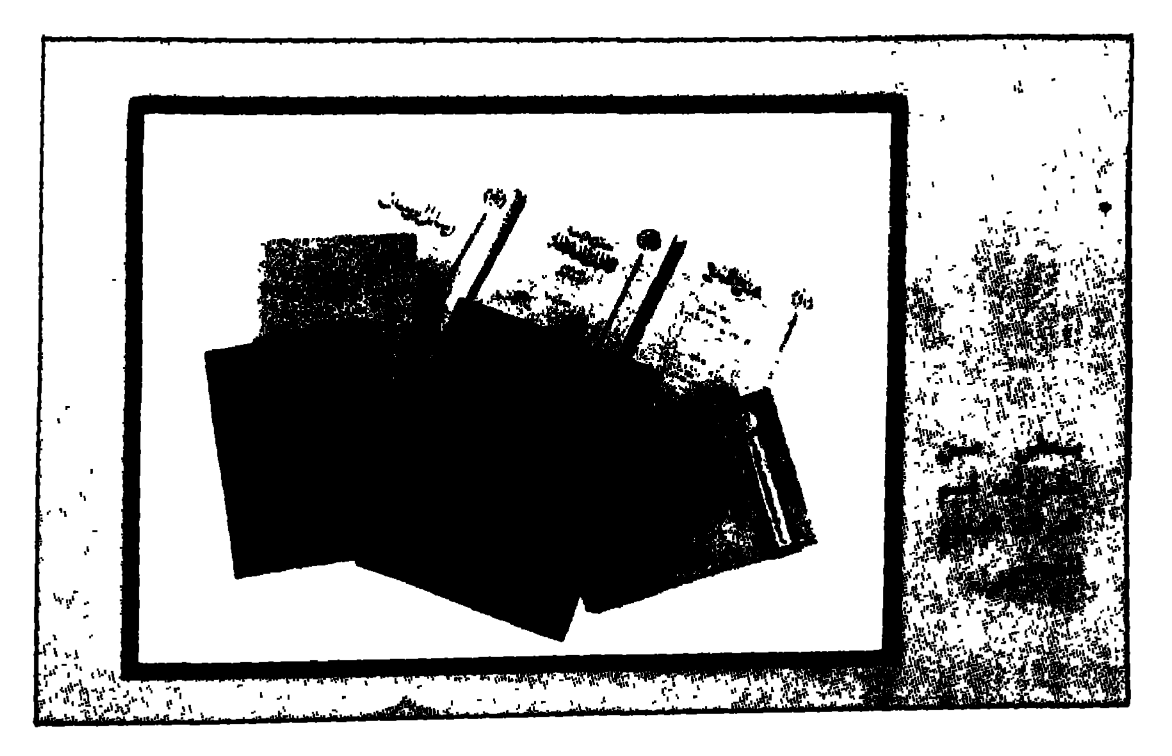
مشروع شموع...

على طريق الثقافة والفكر في الكويت

استطلاع : حسن محمود عباس

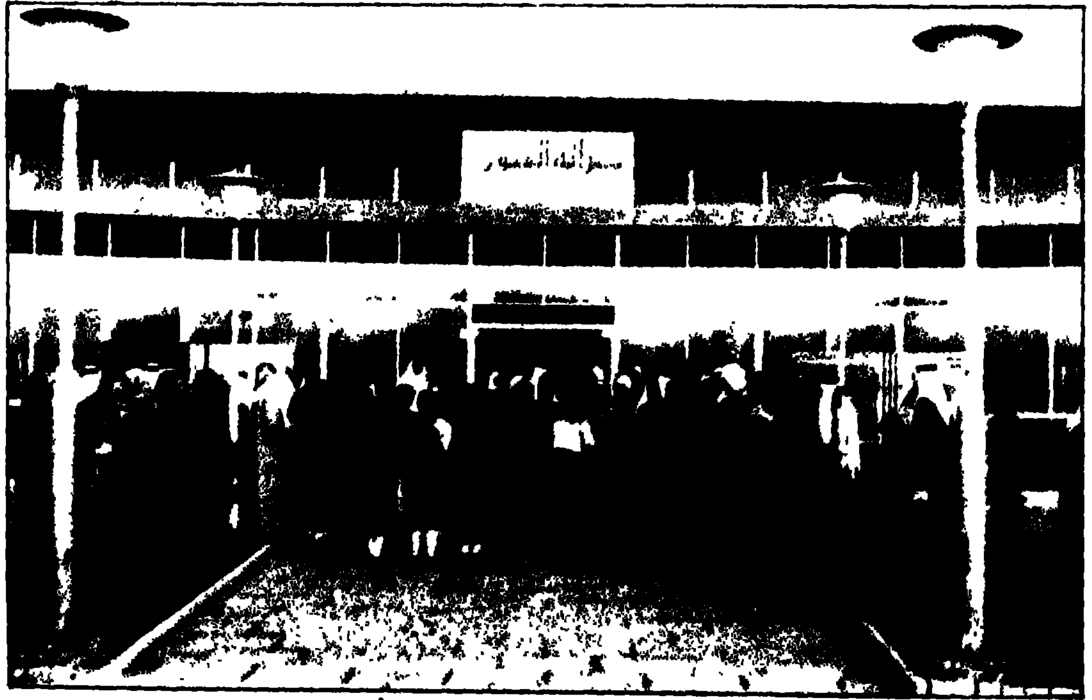
هل خطر لك وأنت تتصفح كتابا من سلسلة عالم المعرفة ، أو مجلة الثقافة العالمية ، أو من منشورات التراث . . . أو وأنت ترتاد صالة الفنون ، أو احدى المكتبات العامة وتنتفع بكنوزها . . هل خطر لك أن تسأل عن الجهد الذي يبذل من أجل ذلك كله ، وعن الأيدي التي تقف وراء هذا العمل لتؤديه على خير ما ترى ؟!

ان كنت تساءلت مثل هذه التساؤلات ، فلا شك أن الوقوف على الحقيقة يعنيك عناية خاصة ، ويستثير فضولك ، وهو فضول مشروع !





الاستاذ عبد العزيز حسين وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، والرئيس الأعلى للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بعد افتتاحه المعرض العاشر للكتاب العربي بالكويت ، وإلى جواره سعادة السفير اللبناني .



صالة الفنون بضاحية عبد الله السالم ، حيث تعرض فيها أعمال الفنانين التشكيليين الكويتيين وغيرهم ممن يستضيفهم المجلس .

كان لقاؤنا الأول مع الاستاذ أحمد مشاري العدواني الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، وهو الذي واكب عملية تطور المجلس منذ انشائه وحتى يومنا هذا ، وسألنا الاستاذ العدواني عن تقويمه للتجربة بعد عشر سنوات ونيف من عمر المجلس فقال :

« قد يكون من الصعب على امرىء متصل بتجربة ما أن يقومها تقويما موضوعيا دون أن يتهم بالهوى ، ولكن مع ذلك يظل هناك حد أدنى من الحركة في هذا المجال ، خصوصا وأن عمر التجربة زاد على عشر سنوات أعطت خلالها نتاجا راق الكثيرين ممن لا نشك في موضوعيتهم . وهذا النتاج ، وهذه الثمرات تمثلت في نشر الثقافة لا على المستوى المحلي وانما على المستوى العربي . فهذه هي سلسلة عالم المعرفة التي يشارك فيها كتاب من مختلف أرجاء الوطن العربي ، وتتناول شتى الموضوعات المؤلفة والمترجمة ، وما يقال عنها يقال عن مجلة الثقافة العالمية التي صدرت في نوفمبر من عام ١٩٨١ ، والتي تترجم أحدث الدراسات والمقالات في الفكر العالمي ، وتصدر كل شهرين ، وتوزع في جميع أرجاء الوطن العربي ، وكذلك سلسلة كتب التراث المحققة التي يصدرها المجلس ، ثم الاسابيع الثقافية التي نقيمها في الاقطار العربية الشقيقة ، ومعرض الكتاب السنوي وغير ذلك من أوجه النشاط الثقافي .

قلنا للاستاذ العدواني : « من المعروف أنكم كنتم تقيمون مواسم ثقافية تدعون اليها عددا من رجال الفكر والرأي والادب ، فهل ما زال لها نصيب في اهتمامكم ؟ »

فأجاب : « لم نكن نقيم مواسم ثقافية بالمعنى الدقيق للكلمة وانما كنا نستضيف ـ من حين لآخر ـ بعض رجال الفكر والادباء والمتخصصين للتشاور في أمور ثقافية ، والقاء بعض المحاضرات العامة ، وهو تقليد ما زلنا نحرص عليه .

وقد أشار علينا الاستاذ العدواني بالتوجه الى الادارات والاقسام المختلفة في المجلس لاستطلاع نشاطها والوقوف على حقيقة عملها ، وهذا ما كان .

منشورات التراث :

وبدأنا بقسم التراث وهو أحد الأقسام التابعة للمجلس الوطني ، وكانت بداية عمل القسم في النصف الثاني من عام ١٩٧٩ باشراف مستشاره الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وقد استطاع منذ انشائه أن يحقق عددا من المنجزات منها تكوين مكتبة تراثية ، وشعبة تصوير مجهزة بأدوات التصوير والاستنساخ .

وقد أصبح القسم يمتلك مخطوطات منها ما هو أصلي ـ وهو قليل ـ ومنها ما هو مصور من مكتبات عالمية عرف عنها احتواؤها لاعداد كبيرة منها . وقد تبنى القسم مشروعا يشرف عليه بعض المتخصصين في الخارج ، تتلخص مهمته في حصر المطبوعات النادرة التي نشرها المستشرقون منذ بداية القرن السادس عشر ونفدت طبعاتها ، ثم تحديد أماكن وجودها وأرقامها في مكتباتها ، وتصويرها ، وكذلك اختيار الاطروحات والدراسات الجامعية التي تتناول دراسات أو نصوصا تراثية تشرف عليها جامعات أجنبية لتصويرها ونشرها ، وأخيرا ينتفع القسم بمقتنيات المكتبات العامة والخاصة من المخطوطات أو الصور وفي مقدمتها مكتبة جامعة الكويت .

وقد قام القسم بنشاط مواز في مجال النشر فأصدر من الكتب : « المخطوطات الجغرافية في المتحف البريطاني » للدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وكتاب « من مباهج الفكر ومناهج العبر » ، للوطواط وهو موسوعة قيمة في الفلك والجغرافيا والحيوان والنبات ، وكتاب « المنصف للسارق والمسروق منه في اظهار سرقات المتنبي » تصنيف الحسن بن علي بن وكيع وتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، كما صدر كتاب « المناظر » لابن الهيثم الذي وضع فيه مؤلفه أسس علم البصريات على قواعد جديدة ، وصار كتابه مرجع الباحثين في العالم الاسلامي وأوروبا الى مطلع القرن السابع عشر . يقول عنه المحقق الدكتور عبد الحميد صبرة ـ الاستاذ بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ـ « ولا شك أن كتاب المناظر هو أنفس ما أنتج العرب في مجال الفيزياء ، وهو بالاضافة الى ذلك أهم كتاب في البصريات ظهر في الحقبة الممتدة بين القرن

الثاني الميلادي ، وفيه ألف بطليموس كتابه في المناظر . . . وأوائل القرن السابع عشر حين ظهرت مؤلفات كبلر وديكارت .

وفي همسة عتاب يقول الدكتور الغنيم مستشار القسم : « ولم نسمع في بلادنا صوتا واحدا من أهل التخصص نوه بالكتاب أو نقده ، حتى أتى ذلك من خارج وطننا العربي ، فنشرت مجلة « ISIS » مراجعة لهذا السفر الجليل كتبتها « أميلي سافاج سميث » وهي باحثة من جامعة كاليفورنيا تتخصص في البصريات ، وسبق لها أن نشرت نصوصا عربية في هذا المجال . وكان مما قالته : « وعلى الرغم من أهمية الكتاب الكبيرة ، فقد بقي مخطوطا في خزائن استانبول ، ولم ينهض أحد لطباعته ، حتى شاء الله أن يتصدى لهذه المهمة الدكتور عبد الحميد صبرة ، فقام بتحقيق الكتاب الذي ينتظر أن يخرج في أربعة مجلدات : اثنان للنص العربي ، واثنان للترجمة الانجليزية ، وصدر بالفعل المجلد الاول منه حاويا على النص العربي مقارنا بالترجمة اللاتينية . . لقد انتظرنا هذا الكتاب طويلا ، وأخيرا أثمر انتظارنا ، ولم يعق العمل تعدد النسخ المخطوطة ولا نفقات الطباعة . . والنتيجة طبعة رائعة دقيقة ، دقيقة الى حد الوسوسة وقد بلغت هذه الدقة درجة يستطيع القارىء معها - ان شاء - مراجعة أي نسخة من النسخ المخطوطة من خلال النص المطبوع . . وأخيرا ، لن نغالي في التوكيد على أهمية هذا الكتاب ، ولكنه سوف يكون المقياس والمرجع الثقة لكل مؤرخي علم البصريات في المستقبل !!

وقد صدرت عن القسم كتب أخرى منها كتاب « فرجة الهموم في علم المسافات والمجاري البحرية » لبحار مجهول ، شرحه وعلق عليه حسن صالح شهاب ، وعن هذا الكتاب يقول الدكتور الغنيم انه يعد حلقة من الحلقات المفقودة في كتب المرشدات البحرية بين ابن ماجد وبين القطامي صاحب « دليل المختار في علم البحار » .

وقد أجاب الدكتور الغنيم عن سؤالنا « ما الفرق بين قسم التراث وبين معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ؟ » .

بقوله : « ان جمع المخطوطات مهمة مشتركة ، ولكن الفارق يتجلى في أن المعهد ينسق بين المراكز العربية المهتمة بالتراث في الوطن العربي ، أما القسم فيركز على ايجاد مكتبة تراثية مخطوطة أو مطبوعة ، ونشر الكتب التراثية ضمن خطة علمية لاحياء التراث العربي . »

ومن هذا المنطلق يقتني قسم التراث العربي ما يقدر على اقتنائه من مخطوطات أصلية أو مصورة ، ومن فهمه لمعنى التراث يقوم القسم بنشر ما يراه جديرا بالنشر من مخطوطات قديمة . والقارىء المعاصر الذي يتهيأ له أن يطلع على واحد من هذه الكتب ، سوف يقف بقليل من التأني على معنى النشر لكتاب تراثي ، فهو يتمثل أولا في القراءة الواعية للنص ، وبعد هذه القراءة يأتي الكشف عن محتوى النص بشرح غوامضه ، وتفسير مصطلحاته ، ثم يأتي تيسير الانتفاع بالكتاب بوضع مجموعة من الفهارس يهتدي الباحث عن طريقها - بأيسر جهد - الى ما يريد .

الأسابيع الثقافية :

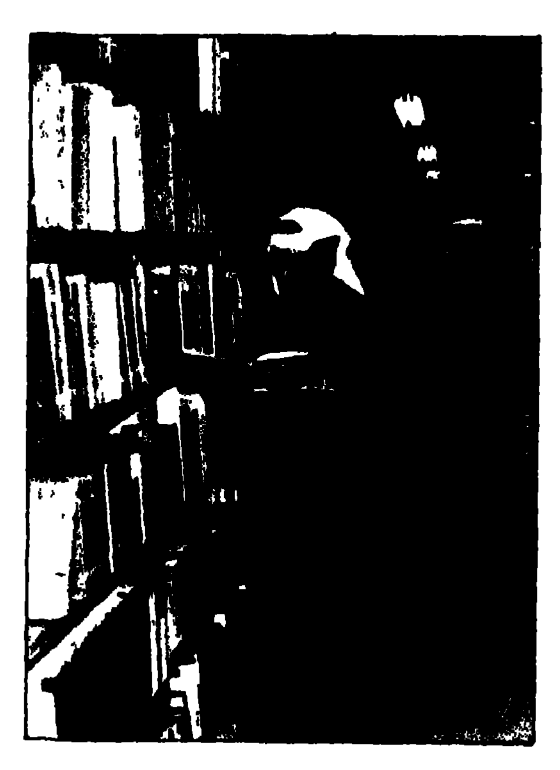
وحرصا من المجلس على توطيد الصلات الثقافية مع الاقطار العربية الشقيقة فقد استضاف عددا من الأسابيع الثقافية شاركت في كل منها بأنشطة مختلفة من تلك الأنشطة التي يزاولها الفنانون والمبدعون في تلك الاقطار ، فقد قُدِّمت عروض مسرحية ، وعرضت نماذج المنشورات والمطبوعات ، وألقيت محاضرات في الادب والفكر بعامة .

كما كان للمجلس دور بارز في اقامة الاسبوع الخليجي الاول في باريس في عام ١٩٨٢ ، وفي المشاركة بلقاءات ثقافية عربية وعالمية كلقاءات الوزراء المسئولين عن الشئون الثقافية في الوطن العربي ، وحضور مؤتمر الوزراء المسئولين عن الثقافة في العالم الذي عقد في المكسيك في عام ١٩٨٢ ، وكان يرأس الوفد في كل هذه الحالات السيد وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء ، والرئيس الاعلى للمجلس الاستاذ عبد العزيز حسين .

وردا على سؤال كنا قد وجهناه الى الدكتور خليفة الوقيان الامين العام المساعد حول الأسابيع الثقافية ، وان كانت قد حققت الطموحات المرجوة ، أجاب : « أعتقد أن الأسابيع الثقافية حققت الكثير من



الاستاذ أحمد مشاري العدواني في معرض رسوم الاطفال ، والى جواره السيدة وفاء القائم رئيسة قسم ثقافة الطفل



في المكتبة المركزية حيث يخلو المرء لنفسه فلا يؤنس وحدته إلاّ الكتاب



من معرض الكويت السابع لرسوم الاطفال



سليمان العسكري وصدقي حطاب يتفقدان المعروضات



بعض أعداد من سلسلة عالم المعرفة ، ومجلة الثقافة العالمية التي يصدرها المجلس



طالبة في المكتبة النسائية العامة بالعديلية

الطموحات التي كان المجلس يسعى الى تحقيقها من خلال تبني ذلك النوع من النشاط الثقافي والفني ، بهدف تحقيق أغراض التبادل الثقافي ، وتمتين جسور الصلة بالأشقاء العرب . . وقد يعود السبب في نجاح تجربة الاسابيع الثقافية الى حسن الانتقاء في المواد والعناصر التي تشتمل عليها تلك الاسابيع ، فهي مكثفة وثرية ، اذ تضم عادة مجموعة من معارض الكتب والفنون التشكيلية والازياء والمشغولات التقليدية ، كما تضم عروضا غنائية ومسرحية أحيانا وعددا من المحاضرات والندوات . . وأمام نجاح فكرة الاسابيع الثقافية فقد رأى المجلس مواصلة اقامتها مع الاهتمام بدراسة نتائج الاسابيع السابقة وتقويمها بهدف التعرف على السلبيات - ان وجدت - والسعي الى تلافيها » .

عالم المعرفة :

ولقد كثر عطاء المجلس وتعددت خيراته وما سلسلة « عالم المعرفة » الا واحدة من تلك الخيرات . ولقد استطاعت هذه السلسلة أن تنزل منزلة رفيعة في نفس القارىء العربي ، وبات انتظارها والبحث عنها واقتناؤ ها عادة حميدة يتحلى بها المثقفون في الوطن العربي . وقد أدى نجاحها المطرد الى زيادة الطلب عليها مما دفع المجلس - الذي يصدر ثلاثين ألف نسخة شهريا - الى زيادة اصداره منها ليصبح خمسين ألفا في الشهر وهو رقم لا تبلغه أي من دور النشر العربية . . وعدنا الى الدكتور الوقيان نسأله ، فسلسلة عالم المعرفة تقع ضمن دائرة اختصاصه في المجلس . قلنا « سلسلة عالم المعرفة » - وجبة الثقافة الشهرية الدسمة - كيف كانت ؟ وهل تفكرون في ادخال تعديلات عليها ؟ ومن أي نوع ؟ فقال : « لقد درس المجلس مشروع السلسلة دراسة مستفيضة ، كما قام بالتشاور مع عدد من رجالات الثقافة حول هذا المشروع فضلا عن التعرف على المشاريع المشابهة أو المقاربة بهدف تلاقي الجهد ، وفي ضوء الدراسة والتخطيط المتأني استقرت قناعة المجلس على اصدار السلسلة بصورة كتب شهرية مؤلفة أو مترجمة تتناول شتى فروع المعرفة . وتوجه المثقف العربي غير المتخصص ، كما روعي أن يكون ثمنها معقولا ، وأن يتحمل المجلس أجور شحنها بهدف ضمان حسن التوزيع » . وينتهي الدكتور خليفة الوقيان الى نتيجة محددة اذ يقول : « وفيما يخص التعديلات على المشروع نفسه فلا أعتقد بوجود تعديلات جوهرية ، اذ أن المشروع - كما قلت - استقر بشكله الحالي نتيجة دراسات مستفيضة انتهت الى أن الصورة الحالية لسلسلة عالم المعرفة هي الصورة الفضلى » .

تراث الموسيقا العربية :

ولم ينس المجلس ، الموسيقا العربية فوضع الاهتمام بها ضمن أهم غاياته ، حيث أنشأ مكتبة سميت « مكتبة التراث الموسيقي » لتعنى بجمع التراث الموسيقي العربي ، وبخاصة ما اتصل بالكويت وبمنطقة الخليج العربي . قلنا للدكتور خليفة : « ما هو عمل قسم الموسيقا ، وما هي مشاريعه للمستقبل ؟ » فقال : « عمل القسم هو أن يتولى العناية بمكتبة الموسيقا التي تضم نفائس من التسجيلات والتدوينات الموسيقية ، والتي توثق التراث الموسيقي والفنون الشعبية ، وتيسر للباحثين والدارسين سبل الانتفاع بها .

مجلة الثقافة العالمية :

وقد قصد بهذه المجلة أن تكون نافذة يطل من خلالها القارىء العربي على ألوان شتى من الثقافات الاجنبية ، فجندت لذلك أقلام مقتدرة لعدد من المترجمين ، يزودون المجلة بالمادة الثقافية والعلمية التي تطلع بها على قرائها في موعد صدورها . وقد توجهنا بسؤ النا الى الدكتور سليمان العسكري نائب رئيس تحرير المجلة والامين العام المساعد للمجلس . . . قلت : « هل هناك تصور جديد لتطوير المجلة أو اضافة ملاحق معينة لها ؟ » فقال : « مجلة الثقافة العالمية دخلت عامها الرابع ، وهي تشق طريقها بهدوء وثقة ، وتستقبل بالكثير من التقدير من جانب القراء العرب في جميع أقطار الوطن العربي التي توزع بها . ودعني أقول انها تجربة شاقة فكل عدد يصدر وراءه جهد وعناء ، ابتداء من تجميع المجلات والدوريات العالمية الى توزيعها للقراءة والترشيح من

قطاع واسع من المثقفين ، ثم مرحلة الترجمة ، ثم تحقيق الترجمة . . حتى يصل العدد مشمولا بالعناية والامانة ليد القارىء . ومسألة التطوير واردة باستمرار من خلال التوسع في الحصول على دوريات جديدة من مناطق مختلفة : من أفريقيا وآسيا ، من الصين واليابان وأمريكا اللاتينية . . . وهيئة التحرير تراقب المستجدات على الساحة الثقافية والعلمية . وتوصل باستمرار ما تراه ضروريا للقارىء العربي من هذه المستجدات ، ونأمل أن نصل قريبا الى شكل متوازن في الموضوعات المترجمة . أما الملاحق فقد أصدرنا ملحقا في العام الماضي ، وسنصدر ملحقا سنويا ثابتا ان شاء الله » .

قلنا للدكتور العسكري : « ماذا عن سوق الكتب ؟ » فقال : « مشروع سوق الكتب صدر به قرار من مجلس الوزراء الموقر ، ومدرج ضمن المشروعات الانشائية في الخطة الخمسية القادمة ، ونحن بانتظار تخصيص الموقع من قبل بلدية الكويت لنباشر في انشائه » .

المكتبات العامة :

وعن المكتبات العامة قلنا للدكتور العسكري إن هناك ظاهرة ملموسة تتمثل في تدفق طلبة المدارس المتوسطة والثانوية على المكتبات ، فهل وضعتم الحلول المناسبة التي تحفظ للمكتبات العامة مقتنياتها من عبث الطلبة : فهم صغار السن لا يقدرون قيمة الكتب كما ينبغي ، ولا يتيحون لطلبة الدراسات العليا والجامعية ولا للباحثين فرصة المطالعة بجو هادىء ؟

فقال : « ان الزيادة في تدفق طلبة المدارس المتوسطة والثانوية على المكتبات العامة أمر طبيعي نتيجة للتطور الذي حدث على مناهج وأساليب التعليم في وزارة التربية ، ولكن واقع المكتبات الحالي لن يساعد على تلبية كل ما يحتاجه هؤلاء الطلاب ، لأن هذه الاعداد الكبيرة تحتاج الى امكانيات كبيرة جدا ، وهي غير متوفرة حاليا ؛ فأربعة أمناء في مكتبة واحدة لا يمكنهم تلبية حاجة مائتين أو أكثر من القراء في فترة مسائية واحدة . . لذلك فنحن بحاجة الى مشروع الفهرس الموحد الذي سوف يربط المكتبات



الدكتور خليفة الوقيان — الدكتور عبد الله الغنيم

العامة في دولة الكويت بنظام آلي يؤدي خدمة مكتبية سريعة وشاملة للقراء والباحثين . وأضاف الدكتور العسكري انه خلال شهر فبراير (شباط) الحالي سيفتتح مبنى المكتبة المركزية الجديد في المدرسة المباركية السابق في مدينة الكويت ، وهذه المكتبة قضت السنوات الاربع الماضية في ضيافة مكتبة حولي العامة بعد أن أزيل مبناها القديم » ولقد التقينا الاستاذ فهد السلطان أمين المكتبة المركزية الذي يبدي حرصا على استقطاب اعداد أكبر من القراء ويتساءل : « لماذا لا يساهم الجميع بتوفير كل ما تحتاجه المكتبة من كتب ومراجع وأدوات ، ومد يد العون للمكتبة ؟ ويذكر تجربة شاهدها في الاردن ، قامت بها جمعية المكتبات الاردنية تحت شعار « قدم كتابا تنشىء مكتبة » ، فاجتمع لدى تلك الجمعية خمسة وعشرون ألف كتاب في يوم واحد !

الاتفاقيات الثقافية :

أما عن الاتفاقيات الثقافية بين الكويت والدول الشقيقة والصديقة فقد توجهنا بالسؤال الى الاستاذ صدقي حطاب مدير الشئون الثقافية والفنية بالمجلس

فأجاب : « نقل الاشراف على الاتفاقيات الثقافية الى المجلس الوطني حديثا بعد أن كانت وزارة التربية تتولى أمر اعداد وانجاز تلك الاتفاقيات ، ثم صدر قرار مجلس الوزراء الموقر بنقل الاضطلاع بهذه المهمة الى المجلس حيث تتولى الامانة العامة للمجلس ـ بأجهزتها الثقافية المتخصصة ـ عملية اعداد اتفاقيات التبادل الثقافي بمختلف أشكالها ، وتعمل على صياغتها من خلال سكرتارية ورئاسة اللجنة التحضيرية المشكلة من ممثلين لعدد من الوزارات والهيئات الرسمية . وقد تم توقيع اتفاقيات ثقافية بين الكويت وست دول عربية وأجنبية ، كما تم توقيع برامج تنفيذية للتعاون الثقافي والعلمي بين الكويت واثنتي عشرة دولة عربية وأجنبية .

مهرجان الكتاب العربي :

وينظم المجلس في كل عام معرضا للكتاب تشارك فيه معظم دور النشر في الوطن العربي ، ولا تلبث الايام المخصصة للعرض أن تتحول الى مهرجان يثير من الحيوية والحركة ما لا يثيره غيره ، ويشرف على المعرض اشرافا مباشرا مديره الاستاذ يحيى الربيعان الذي ينتهز فرصة اقامة معرض الكتاب العربي العاشر ـ وقد أقيم في ديسمبر من العام الماضي ـ ليتحدث عن مشكلات حركة انتقال الكتاب عبر أقطار الوطن العربي ، فيلقي اللوم على الرقابة التي تقف عائقا دون سهولة تبادل الكتب بين بلد عربي وآخر . ولا شك أن التوجهات السياسية للانظمة العربية هي التي تملي على الرقيب موقفا من هذا الكتاب أو ذاك ، هذا فضلا عن أن الرقيب نفسه غير متخصص . وعن اتحاد الناشرين العرب يقول الربيعان أنه ما زال حديث النشأة ، وليس له سلطة تأثير على الرقابة في الاقطار العربية .

النشاط المسرحي :

ولقد شهدت الكويت عروضا مسرحية قدمتها فرق مسرحية عربية جاءت تلبية لدعوات رسمية ، ثم كفت تلك الفرق عن المجيء ، وتوقفت ـ بالتالي ـ عروضها . تعليقا على تلك العروض ، وتعقيبا على القول بايقاف هذا النوع من الدعوات ، يقول عبد العزيز السريع الكاتب المسرحي المعروف ومراقب الشئون الثقافية والفنية بالمجلس :

« عندما أنشيء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عمل على تنشيط الحركة الثقافية بشتى السبل . وكان من بين وسائله لتحقيق ذلك دعوة الفرق المسرحية العربية بعد اختيار الاعمال الجيدة والنادرة التي تقدم على خشبات المسارح العربية بين حين وآخر . وقد استقدمت الامانة العامة للمجلس الوطني ـ في أول دعوة من نوعها ـ فرقة الطيب الصديقي المسرحية التي قدمت مقامات بديع الزمان الهمذاني ، ومسرحية سيدي عبد الرحمن المجذوب ، وكان أن أحدث عرض هاتين المسرحيتين أثرا طيبا متوقعا في الساحة الفنية والثقافية في الكويت ، مما جعل المجلس يتحمس للفكرة ويواصل دعوة الاعمال المسرحية المتميزة ، فتتالت العروض بعد ذلك حيث قدمت فرقة مدينة تونس مسرحية عطشان يا صبايا لسمير العيادي من اخراج المنصف السويسي .

ثم قدمت فرقة المسرح القومي في سوريا مسرحية سهرة مع أبي خليل القباني لسعد الله ونوس ، ومسرحية الغرباء لعلي عقلة عرسان ، بالاضافة الى العروض المختارة التي تضمنتها برامج الاسابيع الثقافية العربية التي استضافتها الكويت

ثقافة الطفل :

وفي المجلس أيضا قسم يعنى بثقافة الطفل ترأسه السيدة أمل الغانم ، وتنصب عنايته على اقامة مراسم للاطفال تحت رعاية المجلس ، ومعارض تعرض بها رسوماتهم وقد كان آخرها المعرض المحلي لرسوم الاطفال الذي أقيم في الفترة من ١٩ ـ ١٩٨٤/١١/٢٥ وكان برعاية الاستاذ أحمد مشاري العدواني الأمين العام للمجلس ، وقد زار المعرض ـ اضافة الى أولياء أمور الاطفال المشاركين ـ أعضاء من الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ومندوبون عن منتسبي ومسئولي الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين ، وأعضاء من المرسم الحر التابع لوزارة الاعلام ، وعدد كبير من أفراد الجمهور . □

قسم خاص

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

الزي الكويتي

بساطة ..
وجمال

ثريا

من أزياء الأقطار العربية

الزي الكويتي
بساطة .. وجمال

اعداد : ثريا البقصمي

تصوير : سليمان حيدر

من الخطأ أن ننظر الى أزياء الشعوب على أنها مجرد ألوان وطرق تفصيل فقط ، فهي أعمق مغزى وأكثر دلالة .. انها تعبير عن تاريخ وبيئة وحياة شعب .

الزى .. أى زى .. لأى شعب ، هو بمثابة تسجيل تاريخى لحياته ، وهو دائما المفتاح الذى فتح به الباحثون ومستكشفو الآثار الكثير من الأبواب المغلقة على أسرار التاريخ البشرى . والزى هو الفلكلور ، والتراث ، ولغة الشعوب ، والفن الملموس والمترجم لعادات وتقاليد النسيج البشرى للمجتمع الانسانى .

الزى الكويتى

ساهمت رمال الصحراء وزرقة مياه الخليج وأهازيج البحارة المبحرين وراء الرزق في نسج شخصية الزى الكويتى ، الذى اندثرت أكثر مقوماته وطمست أصالته في خضم المدنية والحضارة ، وبقيت بعض الخيوط من الأصل وما بقى أدخل عليه الكثير من التعديلات ، والآن أصبح الثوب النسائى الكويتى ، مجرد ضيف على حفلات الزفاف فقط ، والاستعراضات الغنائية ، . وبالنسبة للرجل الكويتى ، فهو أكثر وفاء لزيه التقليدى ، فقد رفض استبداله بالزى الأوروبى الذى لا يتناسب مع طبيعة المناخ الصحراوية القاسية ، وظل محبا لزيه ، لأنه مريح وعملى ، ويحدد شخصيته كانسان ينتمى الى هذه الارض .

رحلة مع باحثة تراث

في مركز رعاية الفنون الشعبية التابع لوزارة الاعلام التقينا بباحثة التراث السيدة/مريم العقروقة ومعها انطلقنا في رحلة طريفة ، للتعرف على جذور الزى الكويتى ، قالت : ـ ان اللون والخط والتصميم ، غنى جدا في الزى النسائى ، لأن المرأة توظف الزى لابراز شخصيتها وأنوثتها ، وفي الماضى قسمت الأزياء الى أزياء مناسبات ، فالعمل له زى وللفرح زى وللحزن زى ، فمثلا المتفق عليه بين أكثر شعوب العالم بأن الملابس السوداء تكون للحداد ،


البرقع زيّ الأصالة والجمال

ولكن في كويت الماضي كانت الملابس السوداء للمرأة تلبس في فترة « النفاس » بينما تكون ملابسها في فترة الحداد خضراء اللون . وقسم الزى حسب عمر المرأة ، فالفتاة الصغيرة من سن ٤ سنوات حتى ١٢ سنة كانت تلبس (البخنق) وهو غطاء للرأس محاط بحواش منقوشة مذهبة ، فضفاض ذو طول مناسب لحركة الاطفال ، وما ان تغادر الفتاة عالم الطفولة حتى تبدأ في لبس العباءة والثوب والملفع والدراعة وهو زى منزلى محتشم ، فانها تلبس فوق ثوب الشباب ثوبا أسود يسمى (الملفع) يزيدها وقارا وهيبة .

مناسبات الأزياء الكويتية

كانت المرأة تلبس في حالة أدائها الاعمال المنزلية الملابس القطنية ذات الألوان الداكنة ، وذلك لعدم تعرضها للاتساخ بسرعة ، قبل أن يعود الزوج من العمل تستبدل ملابسها بثوب زاهى اللون ، تتبخر وتتعطر بالطيب وتضع (الديرمة) وهو لحاء شجري يصبغ اللثة والشفاه باللون الأحمر ، استبدل بعد ذلك بأحمر الشفاه . وتتحكم الطبقية في نوعية الازياء ، فالمرأة المنتمية لأسرة ثرية لا تلجأ للبس الملابس الداكنة ، وذلك لتوفر المستخدمات اللواتي يقمن بالأعمال المنزلية ، ولهذا فانها تكون في أبهى زينتها طوال النهار ، وكانت توجد أزياء خاصة لاستقبال الضيوف ، وذلك في فترة بعد الظهر حيث تكون الفساتين من الأقمشة الحريرية والجرسية ويلبس فوقها الثوب الأبيض النادر الاستعمال ، وكانت الملابس الباهظة التكلفة تورث من جيل الى آخر ، ومنها الأثواب المطعمة بالذهب المسماه (بثوب جز الثريا) أو العباءة الماهود ، وهي أغلى أنواع العباءات وكانت من الحرير المخلوط ، وهناك أهزوجة شعبية تبين مدى غلاء هذه العباءة وهي (يا مريم بيش[1] داود طاقة زرى ، طاقة زرى ، وعبات ماهود) وكانت النساء تحفظ ملابسها في سلال من القش والتى توفر لها التهوية الطبيعية . وكذلك في الصناديق المبيتة .

امرأة الماضى اقتصادية

وأضافت الباحثة مريم بأن امرأة الماضى كانت اقتصادية ، تبتاع الملابس أو تخيطها مرتين في العام ، عند دخول الشتاء وعند بدء الصيف ، وكانت النساء في المنازل يقمن بخياطة الملابس وأغلبها من الأقمشة القطنية الرخيصة التكلفة مثل (الململ) و (الويل) وهذه الاقمشة هي الأفضل والأكثر صحية وملائمة لطبيعة جو الصيف الخانق . . ولم تكن المرأة تستهلك ملابسها الزاهية الباهضة الثمن ، وذلك لندرة لبسها ، فتقاليد المجتمع تفرض على المرأة في حالة غياب زوجها عدم التبرج والزينة ، ونظرا لحياة الكويتي المكافح ، والموزعة بين رحلات الغوص والتجارة ، والتى كانت تستغرق ما بين أربعة الى ستة شهور ، فالمرأة كانت في حالة عزوبية فرضتها عليها



ثوب تور أشهر الأثواب الكويتية وأقلها تكلفة ، جمال ينطق بروح الشرق وثوب عملي يناسب حياة الماضي البسيطة .



الزي الكويتي ثري ، بالنقوش والخطوط ، بخنق طفله ، زخارف ثوب ، بساطة وثراء كلها تجمعت في شخصية زي المرأة الكويتية

رحلة البحث عن الرزق ، وحرمتهـا من التمتع بملابسها معظم أيام السنة .

وقد لعبت الروابط الاجتماعية القوية دوراً في دفع العائلات الثرية الى مساعدة العائلات المتوسطة والفقيرة ، وذلك في اعارتهم الملابس الباهظة الثمن وخاصة ملابس الأعراس ، وكذلك المصاغات الذهبية التى كانت توضع في (طاسة) إناء نحاسى وتقدم للعروس لارتدائها ، وكان الاغنياء يعتبرون هذه السلفة ، كنوع من أنواع الزكاة على ملابسهم وحليهم ، وبالنسبة للرجال كان يعار (البشت) وهو عباءة رجالية باهظة الثمن ، وخاصة اذا كانت ذات حواش ذهبية ، ويعار البشت ، في حفلات الزواج وحفلات ختمة القرآن وحفلات النذر أو الذهاب لأول مرة الى الغوص .

وأشارت السيدة مريم بأن حفلات الرواج كانت تستمر لمدة سبعة أيام تستبدل العروس يوميا ثلاثة فساتين ذات ألوان تتفاوت ما بين الأبيض والأزرق والوردى ، وكانت الأقمشة مشجرة أو مطرزة بخيوط الذهب « المخورة » .

الزى الرجالى

كانت أزياء الرجال أبسط وأقل تكلفة ، ويتكون من غطاء الرأس (الغترة) والقحفية وهي قبعة صغيرة تلبس تحت غطاء الرأس ، ثم يلبس فوقها العقال ، والطريف بأن طريقة لبس غطاء الرأس اتخذت عدة تسميات لكثرة تنوعها، فهناك طريقة تسمى (بالجربحى) وأخرى (جناح الحمامة) وثالثة (ببوز الطير) و (النصارية) و (التنسيف) وللاعياد والمناسبات يرتدى الرجل (الزبون) والشليحات وهو رداء أبيض ، فضفاض واسع الأكمام ، وفي الشتاء كان يلبس الجاكيت ويسمى « بالقاط » فوق الدشداشة ، أو الصديرى ، وكانت الملابس المنزلية الداخلية من الأقمشة القطنية ، وهي منزلية الصنع ، واهتم الانسان الكويتى البسيط بملبسه ، وهناك مثل كويتى قديم يقول (مر على الناس مكتسى ، ولا تمر شبعان) وكان الرجل ينتعل النعل (النجدية) وهي أفخر أنواع النعل ، أما النعال (الربل) فهو مصنوع من إطار السيارات ، ويعمر طويلا ، والحذاء (جيوه) كان يصنع من أقمشة أشرعة السفن أو من الجلد الرخيص ، وهذه الصناعات الشعبية كانت تلاقى اقبالا كبيرا من قبل البسطاء من الناس .

أما أحذية النساء فهى مستوردة مثل النعال (أم عصابة) وهو من العراق ، وقبقاب (بوصبع)وهو من الهند ،أو حذاء (ابوسكربيل » وحذاء الدبابة ، وهذه أحذية ذات كعب عال ، لا تلبس الا فى المناسبات .

لغة الزى

وقد قامت النساء لعدم توفر (كتلوجات الموضة) باطلاق تسميات على تصاميم الملابس والفساتين ، وكانت التسمية تطلق على الجزء العلوى من الفستان ومنها على سبيل المثال (دلعة مدورة ، صدر يهودى ، نفنوف ابو قولة) وكانت الاثواب التى تلبس فى الاعراس والمناسبات لها تسميات وذلك لسهولةتصنيفها ومنها ثوب (الجز) وهو من أغلى انواع الأثواب ، ثوب جرجيت ، ثوب (خشم البلبول) ، ثوب شاش ، ثوب ثور ، ثوب كريب، ثوب شين ، ثوب الثريا .

وكانت أقمشة هذه الملابس تجلب من مصر والشام والعراق ، وقد زخر الثوب النسائى بالنقوش الهندية ، التى انتقلت اليه عن طريق التجار والبحارة ،وكانت لهذه النقوش تسميات شعبية مثل رسم (شيرة الطماطة) او رسم (الخاسة والديمنة والسبيت) وهى رموز اوراق اللعب (الكوتشينة) أو رسم (ابو نونة) أى النقطة أو (بو نجمة) ووردة النوير ، وهذه الرموز كانت مستمدة من حياتهم الشعبية البسيطة . وفى نهاية حديثها قالت السيدة مريم ، ان التعديلات التى أدخلت على الزى الكويتى ، افقدته شخصيته وأصالته ، وان الزى مرتبط بالتراث ، ومتى طور يصبح زائفا ، لا يمثل شخصيته الاصيلة ويفقد رائحة الماضى الزكية ، العبقة . □

المراهقة

المرحلة الحرجة في حياة الآباء والأبناء

اعداد : وفاء طه ناجي

كثيرة هي الاعترافات ، ولا يكاد يخلو منها بيت ، وقد حاولنا أن نجمع بعضها فماذا كانت النتيجة .. الكل يحكي تفاصيل .. ولكنه يتوقف كثيرا عند ذكر الأسماء ، فالأمر في النهاية يمس أبا وابنة أو يتعلق بأب وأم .

تقول . بدأت الاحظ أن ابنتي تقلدني في كل شيء حتى عندما أتألم لسبب أو لآخر .. وكلما حاولت أن أناقش معها هذا .. ترفع حاجبيها وتقول انها كبرت وصارت مثلي ، وتتألم لأشياء خاصة مثلي تماما .

ويقول .... والدي لايمنحني فرصة للتعبير عن رأي أطرحه في قضية ما أو أي موضوع يشار للمناقشة ، وفيما يتعلق بشئوني فانه يسمع مني ثم يقول ببساطة هل ستفهم أكثر منا نحن والديك ؟ .

وتشكو : .... منذ بدأ صوت ابني يتغير وشاربه ينمو وهو يثير لي كل يوم مشكلة مع جيراني حول معاكسة فتياتهم ، وكلما حاولت أن أفهمه بأن الرجولة أن يتحلى الانسان بالعلم والأخلاق ، ويتميز بالتفوق والقدرة على تحمل المسئولية .. فانه يبتسم ويقول ببرود أعصاب : وأضيفي الى معلوماتك أنها تتأكد بهذا أيضا !!

وتحكي عن أيام عصيبة عاشتها مع ابنتها التي أصبحت شديدة الانطواء بعد بلوغها . وتجلس وحيدة في غرفتها طوال الوقت ، ولم تجد معها كل محاولات كسر هذه الدائرة الا بالذهاب للطبيب ، ورغم ذلك ظلت لفترة طويلة تالية شاحبة .. تائهة تتعامل مع الناس كالنائمة الشاردة .

هذه عينات من اعترافات أمهات وأبناء .. وكثير منها نعايشه ونعيشه كل يوم في بيوتنا أو بيوت الأهل والأصدقاء والأقارب .. وعندما نسأل ، لا نملك سوى كلمة واحدة .. مراهقة .. فما هي حقيقة هذه المرحلة !؟

عندما تغادر الطفولة

تؤكد الدراسات النفسية أن أهم ما يجب أن يعرفه الآباء عن مرحلة المراهقة في حياة أبنائهم وبناتهم ، هو أنها بداية الانتقال من الطفولة الى الشباب . . سواء الى الرجولة أو الأنوثة ، ويصحب ذلك مظاهر جسدية وعاطفية وعقلية واجتماعية ، وأي خطأ في مواجهتها يسبب الكثير من الحرج الذي قد يؤثر في مستقبل الأبناء بعد ذلك .

وكثيرا ما تواجه المراهق صعوبات تزيد من مشكلاته في تلك المرحلة ، فتذبذب معاملة الوالدين له مرة كطفل ومرة كرجل من أسباب مشكلاته وعدم استقراره ، فسلوكه وتصرفاته تكون أحيانا كسلوك الأطفال وتصرفاتهم ، رغم أنه قد بلغ من النضج مبلغا يكفي للنظر اليه كرجل ، وكذلك الامر بالنسبة للفتاة .

واختلف علماء النفس في العمر الزمني لبداية المراهقة عند الانسان بسبب اختلاف البيئة والمناخ ، فالبلوغ في البلاد الحارة يبدأ مبكرا لدى الفتيات في التاسعة أو العاشرة ، بينما يبدأ في البلاد الباردة متأخرا في عمر قد يصل الى السابعة عشرة أو أقل قليلا .

والبلوغ عند الفتيات يكون بعد ذلك بعام أو عامين .

واتفق علماء النفس على أن الأمر ليس قاعدة . لأن هناك اناسا مراهقين في التفكير والسلوك رغم بلوغهم الخمسين أو الستين من العمر ، بينما هناك الذين يبدون نضجا في أعمالهم رغم عمرهم الذي يوافق زمن المراهقة .

المراهقة . . ليست مفاجأة

وحول مراهقة الأبناء ودور الآباء في معالجة مشاكلها كان للبيت العربي لقاء مع د . عزت سيد اسماعيل أستاذ علم النفس بجامعة الكويت - يقول :

في البداية . . أحب أن ألفت نظر الوالدين الى أن انتقال صغارهم الى مرحلة المراهقة لا يتم فجأة ، ولكن يتم التغيير تدريجيا ، وقد لا يلحظه الأهل بسبب التفاوت في معدل نمو الأبناء . وحتى يسهل فهم فترة المراهقة يمكن تقسيمها الى عدة خصائص :

أ - نشاط الغدد الصماء . . وسرعة في نمو الجسم .

ب - سرعة في النمو العقلي .

جـ - اتساع في الاتجاهات الانفعالية .

فمن حيث التغيرات الهرمونية (افراز الغدد) ، نجد من هذه الهرمونات ماله أهمية خاصة بالنمو الجسمي ، حيث يطرأ على المراهق تغير ملحوظ ، من زيادة الوزن والطول وخشونة في الصوت ونمو الشعر . . كما تبدو علامات الأنوثة واضحة على جسد الفتاة أيضا .

أما الذي يجب أن نهتم به حقيقة فهو ما يصحب بلوغ الأبناء - مبلغ الرجولة أو الانوثة - من اضطراب في توازنهم النفسي ، فأهمية تأثير نشاط الغدد في النمو العاطفي والعقلي لدى المراهق لا يقل عن أهميته في النمو الجسمي ، وهو ما يجب أن يتنبه له الأهل في البيت والمربون في المدرسة ، وهنا أؤكد على ضرورة ان يقوم كل من الأب والأم بتعليم أبنائهم شيئا من تلك التغييرات التي سوف تطرأ عليهم ، حتى لا يفاجأوا بمرحلة البلوغ . ان التربية الجنسية المبسطة هامة جدا في تلك الفترة ، فالخطر الحقيقي للمسألة الجنسية في حياة الفرد يكون في زمن المراهقة .

كيف ينظر المراهق لنفسه . . ؟

يتابع د . عزت حديثه فيقول : يتزايد اهتمام المراهقين بذواتهم وما يجري في نفوسهم ، فيهتمون بزينتهم ويتبع ذلك اهتمام بالجنس الآخر . ويحدث أن يشعر المراهق بالكآبة والميل الى الانتحار ، أو التجمع في جماعات خاصة ، ويرجع ذلك الى ما يستشعره أحيانا من أحاسيس النقص ، وانه مرفوض ممن حوله ولكن بشكل عام تظهر روح الجماعة لدى المراهقين في تلك المرحلة أكثر من أي وقت مضى ، وهو أمر أحب أن أؤكد على أهميته ، وعلى الأهل أن يستغلوا تلك الحماسة في توجيه المراهقين الوجهة

العلاقات مع الأهل . .

يستمر د . عزت في حديثه قائلا : بعد كل هذه التغيرات التي تلحق بالمراهق نجده يرغب في الاستقرار فكرا وعملا ، والابن الذي كان يتقبل في السابق المعلومات دون نقد يبدأ الآن في الشك والتحدي ، وتزول تقريبا فكرة الخضوع الكامل للأهل ، ويصبح المعلم كمصدر للسلطة محل شك أو تساؤل ، ورغبة المراهق في أن يكون له كيانه المستقل ، غالبا ما تؤدي به الى أن يصدر أحكاما قد تبدو بالنسبة للكبار غير واقعية في حين أنها منطقية تماما بالنسبة له على أساس من خبرته المحدودة . ويساعد المراهق على الرغبة في التحرر والاستقلال أنه قد أصبح بامكانه الاستغناء عن العناية التي كان يتلقاها خلال طفولته ، وبهذه الطريقة تنمو لديه ميول ومستويات طموح جديدة .

وأحب أن يعلم الأهل أن المراهقة فترة تستلزم التخلي عن الاعتماد الطفولي عليهم ويتبع ذلك انفصال انفعالي للابن ثم محاولة استقلال اقتصادي عن الاسرة ، وهو شاق على الفتى ، لكنه أشق على الفتاة ، فالالتصاق بالآباء الذين يقدمون الحماية الزائدة ، أو الخضوع لآباء مسيطرين هي مواقف يصعب التخلص منها .

طريقة معاملة المراهق

إن قدرا متزايدا من الحرية أمر مرغوب فيه كلما اقترب الطفل من سن النضج ، وبهذا الأسلوب يمكن أن نساعده كثيرا ، اذ يجب على الصغير أن يمارس تدريجيا هذه الامور من الاعتماد على النفس . قبل أن يصل مرحلة المراهقة : وأحب أن اشير هنا الى نقطة هامة وهى أن العلاقات السيئة بين الأبوين سبب هام من أسباب السلوك السيء لدى أطفالهما . ولايعنى تفهم تلك المرحلة فى حياة الابناء أن يخضع الأهل لجميع الرغبات والطلبات . بل ان الحزم مع التسامح ، والتوجيه دون الالحاح فى النضج ، أمور



الصحيحة بتشجيعهم على الانضمام الى الجمعيات الثقافية والرياضية والعلمية بدلا من الاتجاه الى العصابات أو الجماعات التخريبية .

ويحرص كل من الفتى والفتاة في بداية تلك المرحلة على عقد صداقات جديدة مع أقرانهم . . وقد أجمع علماء النفس بعد دراسات وأبحاث كثيرة على أن الصداقة الصحيحة مع نفس الجنس من أهم ما تتميز به فترة المراهقة .

أما فيما يتعلق بالعلاقات بين الجنسين فكثيرا ما تبدأ بالتجنب وعدم ميل أحدهما الى الآخر . . ويحدث ذلك في مطلع المراهقة ، ثم يبدأ الميل الى الجنس الآخر ، ومن مظاهر هذا الانجذاب أن تقع الفتاة في حب معلمها مثلا ، كما قد يتعرض الفتى لحب امرأة تكبره سنا . .

ونحن نرى أن تلك المظاهر غير المتوازنة تعبير عن حالة عدم الاستقرار التي يمر بها المراهق .

تدعو المراهق الى الاحترام الشديد للوالدين .

وينهي د . عزت سيد اسماعيل حديثه قائلا : وقد يقع الأهل في حيرة عظيمة فلا يعرفون أنسب الوسائل في تربية ابنهم المراهق ، وهل يجوز التحدث اليه صراحة في أمر تلك الفترة أم يترك ذلك لعوامل كالظروف أو المدرسة؟وانني أقول لهم: إن خير وسيلة هي فتح حوارات ومناقشات مع الأبناء ، لان هذا النوع من الحديث يشبع رغبتهم في حب الاستطلاع ، ويزيد من معلوماتهم . ويعرف المراهق أن ما يمر به لايجعله مختلفا عن غيره . فينمو لديه قدر كبير من الثقة بالنفس تمكنه أن يتعامل مع الآخرين بسهولة ودون أن يفقد ذاته وشخصيته . إن تلك الصراحة مع المراهقين احدى دعائم التربية وأنه من المفيد أن نطلعهم على ما سيتعرضون له من الأزمات العاطفية . ومرة أخرى أؤكد على ضرورة أن يتحدث الاب مع ابنه والام مع ابنتها عن الحقائق البسيطة للنضج الجنسي ، اذ تؤكد الدراسة أن الانحرافات والعقد النفسية لدى هؤلاء تنشأ أساسا من الجهل بتلك الحقائق . وحتى يبوح الأبناء بكل أسرارهم يجب أن يعاملوا معاملة لينة هادئة يحكمها الصبر أساسا .

يتأكد لنا - عزيزي القارئ - بعد كل ما سبق أن مشكلة المراهق الأساسية تتبلور في بحثه عن هويته . . فهو كثيرا ما يواجه صعوبات قد تزيد من مشكلاته في تلك الفترة . وصورة المراهق عن نفسه تتوقف على نظرة الآخرين ، والوالدين في البداية ، من حيث تقبلهم أو رفضهم له ، ويكون تمرده دليل محاولته للاستقلال الذاتي .

وغالبا ما يلجأ المراهق الى أساليب وسلوكيات تكشف عن قلقه وبحثه عن هويته ، ويتمثل لنا ذلك في الالوان الصارخة التي يرتديها ، واطلاق الشعر أو تصفيفه بطريقة ملفتة للنظر ، واتخاذ بعض الأشخاص مثلا أعلى وتقليد الأبطال . كما يكون الصراع حول الحاجات الجنسية واضحا . . ومن ناحية اخرى تتناقض أفكار وعواطف المتراهق بين الايمان والالحاد ، وقد يجد الكثيرون الحل في اللجوء الى الدين ، كما يشكل اهتمام ابنك بمهنته ومستقبله جزءا اساسيا من تفكيره ، وهو دليل الخطوه الأولى على طريق النضج .

وعلى الآباء أن يتجنبوا نظرات عدم الارتياح لتصرفات المراهق والادفعوه دفعا لممارسة تلك التصرفات خارج البيت بعيدا عن أعينهم ، ويصبح بذلك عرضة للانخراط في جماعات السوء ، أو الانحراف بأية صورة من الصور . □



الدواء الذي لا داء معه

روى الأصمعي قال : (جمع هرون الرشيد من الاطباء أربعة · عراقيا ، وروميا ، وهنديا ، ويونانيا فقال : ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه . فقال العراقي : الدواء الذي لا داء معه حبّ الرشاد الأبيض . وقال الهندي : الاهليلج الاسود . وقال الرومي : الماء الحار ، وقال اليوناني - وكان أطبهم - حبّ الرشاد الأبيض يولد الرطوبة ، والماء الحار يرخي المعدة ، والاهليلج الاسود يرق المعدة ، لكن الدواء الذي لا داء معه أن تقعد على الطعام وأنت تشتهيه ، وتقوم عنه وأنت تشتهيه) .

سأل الرشيد أطباءه هذا السؤال قبل ألف ومائتين من السنين فلم يسمع منهم جوابا شافيا ، فقد دحض كبيرهم اليوناني أقوالهم الواحد تلو الآخر ، ولم يستطع هو أيضا أن يأتي بدواء واحد لا داء معه فنصح بالحمية والاعتدال في الطعام كي لا يتخم المرء فيمرض فيضطر الى الدواء الذي لابد حينئذ من الداء معه .



مراكز التنمية الريفية في ليبيا

ثمار الجهود التي قامت بها الملتحقات بالمركز من أعمال التطريز والخياطة

تجربة لإعداد نموذج جديد للمرأة العربية

ما من ثروة تضاهي الانسان ... تظل هذه العبارة صحيحة مهما ازدادت ثروة الأمم أو تنوعت أشكالها ، وكل خطط التنمية ـ أيا كانت اتجاهاتها ـ تضع في حساباتها إعداد الانسان وتطويره ، لأنه في النهاية أداة التنمية وهدفها .

الا أن المشكلة التي ما زالت تبحث عن حل حقيقي لها تكمن في نقطتين : ـ

الاولى : مشاركة المرأة ودورها في المجتمع .

الثانية : مراعاة أن تكون الرعاية بساكني المدن والريف مساوية لنفس الرعاية التي يلقاها إنسان العواصم .

وفي الجماهيرية الليبية كان للبيت العربي جولة في



الحياكة وعمل الصوف من الأمور الهامة ، لتتمكن الزوجة من التخفيف عن كاهل الزوج .

أحد مراكز التنمية الريفية والتي تنتشر على خريطة ليبيا لتغطي أي مكان يتجمع فيه بشر .

وقد كانت فكرة انتشار المراكز مواكبة للبدو في إنشاء مزارع استيطانية ضمن مشروع التنمية الزراعية الكبير ، وكان وجود مجتمعات سكنية زراعية حافزا قويا لانشاء مراكز التنمية من أجل العمل على توعية المرأة وتنميتها وتحويلها الى أداة منتجة حقيقية في المجتمع .

وبدأت مراكز التنمية بتنفيذ برنامج متكامل من التدريب والتوعية ومحو الأمية ، وخطط البرنامج بحيث يضمن تخريج مستويين من الفتيات وزوجات المزارعين (المستوى الأول لاعداد ربة بيت واعية قادرة على تدبير وتلبية كافة احتياجات المنزل والمشاركة في الأعمال الزراعية علاوة على رفع مستواهن الثقافي والفكري) .

والمستوى الثاني هو اعداد الرائدات ذوات المستوى المرتفع من المهارات المنزلية المختلفة الى جانب التثقيف اللازم ، وذلك لكي يقمن بعد ذلك بمهمة التوعية والتثقيف داخل الأسر بالمجتمعات السكانية الجديدة في المناطق الزراعية ، علاوة على المشاركة في أعمال التدريب والتدريس في هذه المراكز .

وتشهد المجتمعات السكانية كل صباح مشهدا رائعا . يذهب الرجال الى الحقول والحدائق ، والاطفال الى المدارس ، والنساء الى مراكز التنمية . . في محاولة مستمرة ودؤوب لرفع مستوى ثقافة المرأة وتأهيلها لتقود الحياة جنبا الى جنب مع زوجها ، فلا يمكن أن يتقدم مجتمع ما وطاقة المرأة فيه معطلة ، أو تظل المرأة تسبح في الجهل وعدم الادراك ، فتنوير الاسرة يبدأ من تنوير الأم الحاضنة ، والتربية لأطفالنا نصف الحاضر وكل المستقبل . □

ريم الكيلاني



المراكز لاتقتصر على تدريس اقتصاديات المنزل ، بل هي أيضا تسهم مساهمة فعالة في تقديم العون للراغبات في تعليم الامور المكتبية



المدرسة والطالبة ، وشرح تفصيلي لطريقة تشغيل آلة التريكو



الاعمال المنزلية وأمور اعداد الطعام للزوج ، أمر لايقل أهمية عن مناهج التعلم الأخرى الملحقة بالمركز





لابد للأم من تعلم الاسعافات الأولية ، لتكون مستعدة تمام الاستعداد لمواجهة مايقع من حوادث .

بيت للحضانة ملحق بكل مركز .

همو... الصمت

اعرف . . لن يصدقني أحد . . فلا توجد زوجه لاتشكو من صمت زوجها . . وهدوئه ولكن عندما يصبح الصمت قاتلا ومميتا ويؤدي الى التوتر والقلق ، يصير الامر عذابا وقسوة .

زوجي مهندس في احدى شركات المقاولات ، يعود مساء من عمله منهكا متعبا ، لاهو يعرف ولا انا كيف ينزع ملابسه ويتناول عشاءه ولايعود للحياة ثانية الاصبيحة اليوم التالي .

وفي كل ليلة اشعر بملل رهيب يتخلل حنايا نفسي فلا أجد مؤنسا سوى شرب اليانسون ثم تناول الاقراص المهدئة ليبدأ بعدها الصراع مع النوم .

الاسبوع كله على هذا المنوال،لايمنحني الصبر الا انتظار وصول يوم الخميس ، ومع ساعات الصباح الاولى لليوم الموعود ابدأ باعداد نفسي وتجهيز أطفالي لنزهة ما . واستقبل هذا اليوم الهانىء بمنتهى السعادة واحاول اصطناع اللطف مع زوجي ، واضفاء جو من المرح والهدوء على المنزل . فانتقى من الحديث احلاه ومن الكلام اشهاه .

ولكن اليوم اجازة ، ستدخل الشمس منزلنا ، وستغرد الطيور فرحا وترقص الزهور ابتهاجا ، فزوجي سيصحبني واطفالي الى نزهة ما ولكن السؤال الذي يتكرر كل اسبوع هو اين سنذهب ؟ فالاماكن محدودة ، شاطىء البحر مكان لابأس به ، فهو يزيل الملل على أية حال ، فقد يسعد اطفالي بهذه النزهة ، حيث يمكنهم الجري واللعب فتخفف حدة الكبت التي لازمتهم اسبوعا كاملا .

وصلنا الشاطىء المنتظر ، هممت بفتح باب السيارة استعدادا لمزاولة رياضة المشي على شاطىء البحر ، ولكن صوتا مميزاً ناداني . لاتفتحي الباب ، ابقي مكانك ، هل تظنين نفسك في أوروبا ، لاداعي للمشي ، انظري الى الماء وتأملي قدرة الخالق .

ـ ولكني . .

ـ لا أريد نقاشا في الموضوع ، افعلي ما أقول .

ـ قلت في نفسي فلأطع مؤقتا واحاوره فربما استطعت اخماد نيران بركانه المتأجج ، طرقت كل المواضيع ، وتحدثت في كافة المجالات ، عن العمل والاهل والاطفال والطبيعة ، حتى حديث الذكريات ، نال جانبا من حديثي ، ولكنه لايحكي ولا يشكو ولايعرف للنطق طريقا ، وكأن عداء وقع بينه وبين الكلام فأقسم على الا يتكلم .

نظرت الى وجهه ، فاذا بعينيه مغمضتان واذا به يغط في نوم عميق .

وصلنا جنة الفردوس (بيتنا) ترجل زوجي ونحن من خلفه كقطيع ماشية يقودها راع محترف . . .

فتح الباب ، دلفنا جميعا داخل مملكة الحب . . بدل ثيابه . . واندس في فراشه ، ونام نوما عميقا هادئا ، بعض صديقاتي يشعرن بما اعاني ويبادلنني المشاعر ، الا ذلك الرجل الاصم الذي توجه اليه كل نوباتي العصبية وثوراتي اللاإرادية .

لايسمع ولايشعر ، وكأن الله انتزع منه المشاعر والاحساس وجعله الة تتحرك لتعمل فقط .

يستيقظ صبيحة اليوم التالي نشيطا ، منتعشا يبدأ يوما جديدا سعيدا يقضيه بمفرده ، او مع أي انسان اخر سواى ، وفي كل مكان يتاح له غير البيت .

هيا



الشـــرشـــرة

● عجيب أمر المرأة ، لاترى في الحياة الا الحب والاحلام .. تتصور أن الرجل ـ آلة لاتتعب ولاتنهك !! يعود من عمل طويل ومطلوب منه أن يبتسم ويضحك ويتحدث ويحكي ويحلم .

وفي سنوات سابقة كانت المسئوليات أخف . لم يكن الاطفال قد اشتد عودهم وكثرت طلباتهم واحتياجاتهم . لم تكن ميزانية الأسرة قد عرفت مصروفات المدرسة واشتراك سيارة المدرسة ، وبالتالي فلم أكن قد عرفت طريق ساعات العمل الاضافية وطلب العمل في مواقع بعيدة بحثا عن زيادة في الراتب من هنا وهناك . ويبدو انها لاتعرف معنى ما اعمل .. فهي لاتتصور كيف يمكن أن يقضي انسان عشر ساعات مع العمال والمقاولين وضجيج آلات البناء ، لكي يعود في نهاية اليوم مرهقا متهكا ليس فيه بقية حياة .

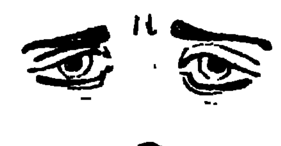
الاسبوع الماضي خرجنا في يوم الخميس . ذهبنا الى شاطىء البحر .. الشاطىء ملىء بالسيارات « عائلات وشبان » . واذا بها ترغب في المشي على الشاطىء . أي مشي وأي رياضة ؟ تنسى نفسها كثيرا هذه السيدة .. تنسى ان الشباب ـ لظروف كثيرة كالفراغ وطريقة المجتمع في التعامل معه وعدم النضوج ـ لن يتركها تسير بهدوء دون كلمة تلقي في أذنيها أو تخدش سمعها .. ورغم اننا تناقشنا كثيرا فيما مضى حول هذه لمسألة .. وقلت لها : صدقيني أن الشباب لايعاكس ولايلقي بالكلمات التي تجرح حبا في المعاكسة ، بقدر ما هو تعبير عن موقف من المجتمع ، فنتيجة لرفضه للمجتمع واحساسه بأنه في منتصف المسافة لاهو منه ولا عليه ، فهو يجرح المجتمع في أمس حرماته ، والا فمن يفسر لي انهم لايسيرون وراءك يطاردونك ولا .. ولا .. فقط يلقي كلمة تخدش السمع . و .. و .. أشياء كثيرة .

ولكنها رغم ذلك تنسى أوتتناسى .. ولاتملك حديثا الا عن ايام الخطوبة والفرح والحب والاحلام والامنيات حتى صارت اسطوانة مشروخة..ذات ايقاع واحد .. لاتملك فور سماعها الا الاستغراق في النوم على صوتها الرتيب

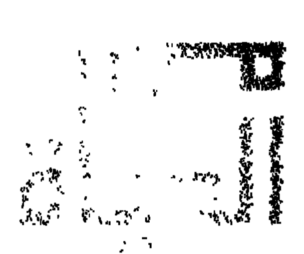
من زرع في ذهنها هذه الافكار والثقافات .. ؟ الحب ليس أن ينظر كل منا في عين الآخر .

الحب أن ننظر معا الى هدف واحد .. وهو قبل ذلك مسئولية حياة وعمل وبحث عن غد أفضل .. الحب صدر يعرف ويغفر ويفهم ويتفهم .. ويعين على مشقة الحياة من أجل بسمة لاتغيب عن شفاه اطفالنا .. ولكن من يسمع ومن يقرأ .. ومن يفهم ؟ ولذا فالافضل أن نهرب الى النوم هربا من الملل والشرثرة والحب على طريقة الافلام والمسلسلات .

هو







إبنة الشعب كانت تشكو الوحدة !

بقلم : منير نصيف

يا لها من حياة تلك التى صنعتها لنفسي . . انى أبدو أحيانا كما لو كنت أقف خارج نفسي أرقب وأتساءل : (هل كل هذا الذى فعلته يستحق كل المتاعب التى واجهتها . . ان الفرصة لا تجيء الا مرة فى العمر ، ولا استطيع أن أقول انى أحسنت استخدامها) .

(انديرا)

كتبت تقول:

(انى اشعر بقلق شديد . . لست ادرى . هل هو السن الذى يدفعنى الى هذا الشعور بعدم الاستقرار . ربما على أية حال ، لقد كنت دائما أحس وأنا طفلة صغيرة أن هناك قوة تدفعنى دائما الى الاستمرار فى الحياة ، تماما كما لو كنت أريد أن أقوم بسداد دين علي . ثم فجأة كنت أشعر بأنى قد سددت الدين . على أية حال انى لا أدرى لماذا تطاردنى هذه الرغبة القوية فى أن أترك كل شيء ، وأتقاعد هناك فى مكان بعيد فوق الجبال ، أريد أن أعيش حياتى بعيدا عن الناس !!)

***

ثم سجلت مشاعرها فى رسالة أخرى قالت فيها عن حياتها الخاصة :

(لقد كنت دائما انسانة تعسة فى حياتى الخاصة . . ولكننى لم أعد أهتم كثيرا بالجرح الذى أصابنى ، ولا بالشعور بالتعاسة الذى احتوانى ، حقيقة أننى أشعر بالأسى ، لأننى افتقدت أجمل ما فى الحياة . . افتقدت العلاقة الكاملة المثالية مع انسان آخر ، لانى اشعر أن من خلال هذه العلاقة وحدها يستطيع المرء أن ينمى شخصيته ويزدهر . . ولكن ربما شاء القدر أن يعوضنى عنها بهذه السكينة التى اشعر بها وحدى مع نفسى . . لقد قال أحد شعرائنا الذين عاشوا فى القرن السابع عشر : « اذهب حيثما تشاء ، فاذا وجدت أن روحك غريبة عنك ، فاعلم أنه ليس لك بيت فى هذا العالم الذى تعيش فيه » .

أعتقد أننى وصلت الى المرحلة التى بدأت أشعر فيها أن بيتى هو أى مكان أذهب اليه !)

وعن هواياتها كتبت تقول : (انى اعتبر نفسى محظوظة ، لانى أتمتع بقدر من روح المرح الكافى لمواجهة اسوأ المواقف ، وبقدر من الحب للطبيعة ، بحيث أستطيع أن أجد الجمال والسعادة فى الأماكن التى لا يخطر على بال انسان ان يجدهما فيها . ثم هناك أشياء كثيرة تسعدنى . . لقائى بالناس مثلا ، والكتب



انديرا كانت تشكو الوحدة

والموسيقا واللوحات ، وفوق كل شيء وقبل كل هذا أطفالى .. والمتعة التى أجدها وأنا أرقبهم ينمون ويكبرون ، ويتحولون الى شخصيات مختلفة تماما .)

وفى مكان آخر من نفس هذه الرسالة كتبت تسجل خواطرها عن حياتها مع والدها بعد أن ماتت أمها : (الحياة كلها مثيرة للشعور بالاحباط ..

***

هذه بعض الخواطر التى كانت تدور برأس امرأة عرفها العالم .. فهى لم تكن امرأة عادية ، وانما كانت تحمل مسؤولية الحكم فى واحدة من اكبر دول العالم .. واستطاعت أن تفرض شخصيتها على الأحداث ، وتنتزع احترام وتقدير شعبها وكل الشعوب التى تبحث عن السلام ،

لمن هذه الرسائل ؟

انها انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند .. ولكن لمن كانت تكتب هذه الرسائل التى كانت تعبر عما يعتمل فى صدرها من انفعالات ، فى مراحل مختلفة من عمرها ، وهى ماضية فى الطريق الذى اختاره لها والدها نهرو العظيم ، عندما كتب اليها يقول : (آمل أن تصبحى جنديا فى خدمة بلادك) .. وقد اصبحت أنديرا هذا الجندى .. أما الرسائل التى كانت تصور فيها مشاعرها ، فقد كانت تكتبها لصديقتها دوروثى نورمان الصحفية والمصورة الأمريكية ، التى تعيش وتعمل فى نيويورك .. وقد التقت بها أنديرا وعرفتها عندما كانت فى الحادية والثلاثين من عمرها ، وكانت وقتها فى صحبة والدها عندما زار الولايات المتحدة الامريكية فى عام ١٩٤٩ .. ونشأت بينهما علاقة صداقة ومودة على مدى السنوات التى تلت هذا اللقاء ، حتى لحظة رحيل انديرا فى أواخر العام الذى انقضى بكل ما حمله من آلام واحزان للبشرية . وقد جمعت دوروثى رسائل صديقتها أنديرا فى كتاب .

ترى كيف كانت حياة انديرا ؟ سألها أحد الصحفيين يوما : (هل صحيح أنك كنت طفلة مدللة ؟) .

وقالت ابنة نهرو : (بالعكس .. لقد كنت أشعر أننى أفتقد كل شيء ينعم به بقية الأطفال .. عندما كنت فى العام الثالث من عمرى مثلا ، أحرقت كل (العرائس) الصغيرة التى كنت ألهو بها ، لانها كانت عرائس انجليزية ، وكان الشعب الهندى وقتها يحارب كل ما هو أجنبى وكل ما هو انجليزى ! انى ما زلت أذكر كيف جمعت اسرتى كل ما هو أجنبى .. الملابس والأدوات وكل ما كان يحويه البيت من أشياء مصنوعة فى الخارج ، ثم وضعتها فى كومة كبيرة فى الفناء الخارجى واشعلت فيها النار !)

المدرسة الاولى

وهكذا كانت ثورة الشعب الهندى ضد الاحتلال الانجليزى هى مدرستها الاولى .. لقد عرفت أنديرا استاذ هذه المدرسة المهاتما غاندى ، وكان والدها قريبا

منه دائما ، وكانت تعجب لهذا الرجل النحيل البسيط الذى يقف فى مواجهة (الامبراطورية البريطانية) وكان أبوها يقول لها : (انه رجل قوى ياصغيرتى .. انه أقوى رجل فى الهند ، لأنه ابن الهند ، ولان الشعب كله يقف وراءه) .

وفى العام التالى كانت تجلس ، كما تعودت أن تفعل دائما ، فوق ركبتى جدها لوالدها ، وقد كان مقعدها المفضل كلما رأته جالسا بدوره يتحدث مع ابنه فى أمور بلاده . انها ما تزال تذكر كيف كانت تتعلم الكثير من حقائق الحياة من فوق هذا المقعد ، فقد كانت تحب جدها ، وكانت كلماته تنفذ الى أعماقها ، وتعى كل حرف منها فى هذه السن المبكرة ..

سألوها يوما : (وماذا كان يقول لك جدك ؟)

قالت : لقد علمنى أن هناك دائما نوعين من الناس .. هؤلاء الذين يعملون فى صمت ، وهؤلاء الذين يجنون ثمرة هذا العمل وينسبونه الى أنفسهم ، وكان جدى يقول لى دائما (أريد منك أن تكونى واحدة من هؤلاء الذين يعملون ولا ينتظرون أجرا على عملهم ..

مدرسة من السجن

وكانت ما زالت طفلة عندما حكم الانجليز على جدها - وكان محاميا ناجحا مرموقا - بالسجن ، الذى القوا فيه أيضا بوالدها نهرو ، لأنهما يقاومان الحكم الانجليزى للهند .. ومن وراء جدران السجن الذى قضى فيه الأب وابنه سنوات طويلة ، كانت الابنة الصغيرة تكبر وتنضج فى خجل وضعف ، ولكنها كانت تتعلم من خلال الرسائل الطويلة الرائعة التى كان أبوها يكتبها لها .. لقد كانت كلها رسائل تروى لها تاريخ العالم ، وكيف غيرت ثورات الشعوب هذا التاريخ .. وكانت مازالت تذكرها وتحفظ الكثير من فقراتها ، حتى بعد أن تقدم بها العمر .. ومازال طلبة المدارس فى الهند يقرأونها ويحفظون فقرات منها .

روت أنديرا يوما بعض ما كان يشغلها فى طفولتها قالت : (لقد كنت أجد نفسى فى وحدة بعد أن تخلصت من عرائسى الانجليزية ، فكنت أدعو العاملين فى بيت جدى ، فيأتون ويقفون أمامى ، وأصعد أنا فوق المائدة ، ثم لا البث بعد أن أراهم قد تجمعوا حولى ، أن انطلق فى القاء « خطاب حماسى » .. ولم يكن المستمعون يقفون جميعا فى صف واحد ... لقد وضعت « العرائس الهندية » الجديدة فى صفين .. مجموعة تمثل المتظاهرين الذين خرجوا يطالبون بالاستقلال ..وفيهم كنت أوجه خطابى لألهب حماسهم .. ثم مجموعة أخرى تمثل رجال البوليس الانجليزى وقد حملوا الهراوات ، وراحوا ينهالون بها على رؤوس المتظاهرين .)

وماتت أمهـــا !

وقد عرفت أنديرا قسوة الحياة عندما ماتت أمها وهى فتاة صغيرة .. كانت (كامالا) - وهذا اسمها - بدورها فتاة صغيرة بسيطة ، تنتمى الى أسرة من عامة الشعب ، اختارها والد نهرو المحامي الثرى الكبير ، لتصبح زوجة لابنه الذى ورث كل شئ عن أبيه .. اسمه ومهنته ، فقد أصبح محاميا مثله ، ثم حبه لبلاده وحماسه للقضية التى تحمس للدفاع عنها ، ووهب حياته كلها لها ، بالقرب من غاندى « ابو الهند » العظيـــم .

وجاءت أنديرا وحدها ثمرة لهذا الزواج ... ثم بدأ المرض يزحف الى صدر الأم المسكينة .. ونقلت الى سويسرا للعلاج ، بعد أن تمكن الداء منها .. لقد اصيبت (كامالا) بالسل ، وحزمت الابنه حقيبتها لتكون بجوار أمها فى محنتها ... وفى مدينة جنيف دخلت الأم المستشفى ، وذهبت أنديرا الى المدرسة .. وانقضى عامان وماتت كامالا .. وذهبت الابنة لتعيش حياة جديدة مع الوحدة فى كلية ((سومرفيل) للبنات فى اكسفورد بانجلترا ... هناك مضت تكمل تعليمها .. وهناك ايضا التقت بالشاب الذى استطاع ان يخرجها من وحدتها ... كان اسمه فيروز غاندى ، وكان يتلقى دراسته مثلها فى انجلترا .. وكان معدما لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، وكانت تصغره بخمس سنوات ...

ورزقت انديرا من زوجها بولدين (راجيف) الذي جاء بعد زواجها بثلاثة أعوام (رئيس وزراء الهند اليوم) ثم سانجاى الذى ولد بعد ذلك بعامين ، وهو الذى قتل فى حادث سقوط طائرته الصغيرة ، فى الوقت الذى كانت تعده فيه أمه لكى يخلفها فى زعامة حزب المؤتمر الهندى .

نهاية وبداية

ولكن حياة انديرا فى بيت الزوجية لم تدم طويلا ، ففى عام ١٩٤٧ اصبح والدها نهرو أول رئيس لوزراء الهند بعد الاستقلال ، وحملت أنديرا ولديها وذهبت لتعيش فى بيت والدها . . وكان هذا اليوم هو نهاية زواجها القصير الذى دام خمس سنوات . . وفى بيت نهرو عاشت (ابنة الهند) ، أو (ابنة الشعب) فكانت الابنة والمضيفة وكاتمه أسرار الدولة . . وفى هذه المدرسة الجديدة التى لازمت فيها والدها كظله فى معظم زيارته ورحلاته تعلمت الابنة الف باء السياسة . . ثم رحل الأب فى عام ١٩٦٤ اثر اصابته بشلل لم يمهله طويلا ، وبقيت هى تلملم جراح قلبها . . وجاء رجل طيب ضعيف يدعى شاسترى ليجيب على السؤال الذى طالما أثار حيرة العالم حتى ابناء الهند انفسهم : (بعد نهرو . . من ؟) . . ولكنه لم يبق طويلا فى مقعد الحكم ، فبعد عامين لحق شاسترى بالرجل الذى بنى الهند الحديثة . . . ووجدت أنديرا نفسها فجأة تقود مصير هذه الأمة الكبيرة . . وكانت وقتها قد جاوزت الخمسين من عمرها .

وعندما وقف زعماء المعارضه يهاجمونها ويقولون : (ان رئيسة الوزراء الجديدة ليس لها برنامج وليس لها سياسة وليس لها أسلوب !) ردت فى هدوء « قائلة : (انى « ست بيت » وسوف أتصرف بهذه العقلية ، فاذا وجدت شيئا قذرا أو غير مرتب فسوف أعمل على تنظيفه واعادة ترتيبه من جديد !) .

وراحت تعمل . . الى أن انطلقت الرصاصات المجنونة لتضع نهاية لحياة (ابنة الهند) . وفوق قمة الجبل الذى كانت تتمنى أن تعيش فيها نثروا الرماد الذى تبقى بعد حرق جثمانها . □



مع غاندي محرر الهند

اسمه غاندى

يقول أصدقاء أنديرا : لقد كان من الممكن أن يمر هذا الشاب فى حياتها مثل أى شاب آخر التقت به ، لولا أنها وجدت فيه شيئا لم تجده فى غيره من الشبان الذين عرفتهم . . فقد كان اسمه (غاندى) . . هكذا شاء القدر أن يضع فى طريقها رجلا يحمل اسم غاندى العظيم ، الذى كانت تجلس عند قدميه ، وتتعلم منه معنى الحياة ومعنى الحرية ، دون أن تكون هناك أية علاقة تربط بين الاثنين .

وعندما أتم الاثنان تعليمهما ، وعادا الى الهند فى عام ١٩٤١ ، أعلنت انديرا انها وغاندى قد اتفقا على الزواج .

قالت هى بعد ذلك : (لم يكن هناك أحد يريد لهذا الزواج أن يتم . . وكان ابى أشدهم رفضا لزواجى . . لقد أصابه الهم والحزن . . ولكننى كنت مصممة على الزواج من فيروز غاندى . . وتزوجنا) .

الأسرة

مـــاذا أفعـــل لـو أصيـب ابـني

تختلف أسباب الحروق ودرجاتها . والاطفال بحكم السن وعدم الوعي اكثر افراد الاسرة تعرضا لخطر الحروق . والأم هنا مسؤولة عن وقاية الطفل من أسباب الحروق ، وهي مسؤولة أيضا في مرحلة العلاج والتي تبدأ ببعض الاسعافات الاولية ريثما يحضر الطبيب .

ظاهرة تعرفها كل أم وتحذر منها . فعندما يبدأ الطفل في الحبو والحركة تكثر حوادثه داخل البيت فالأم بطبيعة حركتها في البيت ومشاغلها الكثيرة لاتستطيع أن تتابع طفلها في حركته الدائمة ، ولعل اكثر الحوادث شيوعا هو تسلل الاطفال الى المطبخ وجذب الاواني والتعلق بالاشياء ، ويكون الخطر فادحا لو كانت الآنية فوق النار أو بها شيء ساخن .

وليس هذا وحده سبب الحروق التي تحدث للاطفال ، فللحروق أسباب كثيرة . فقد يحدث الحرق باللهب أو الماء الساخن أو الكهرباء أو لمس المدافىء وبتأثير اشعة الشمس . وبالاضافة الى واجب الام في الوقاية من أسباب الحروق مثل ملاحظة عدم ترك الاواني التي بها أشياء ساخنة قريبة من متناول يد الطفل ومراقبة حركته في البيت وتأمين الوصلات الكهربائية بالمنزل ، نقول الى جانب هذا فان عليها القيام ببعض الاسعافات الاولية الضرورية قبل مجيء الطبيب .

مهما تكن أسباب الحروق فان علاج الحروق بدرجاتها الثلاث يأخذ وتيرة واحدة . الا ان الحروق الشديدة تتطلب علاجا اخصائيا مستعجلا لان الطفل يفقد معظم سوائل جسمه وربما يموت بالصدمة العصبية اذا لم يعالج في الوقت المناسب ، أما حالات الحروق البسيطة فيتم اسعافها بوضع كريمات خاصة مثل Fucidine Sulfamylon فوق الجرح وتغطيته بضماد نظيف فاذا لم يتوفر ذلك فيكفي دهن مكان الحرق بأي زيت نباتي وتغطيته بالشاش المعقم .

ولعله من المفيد أن تنتبه الام الى انه من الخطأ وضع « الميكروكروم » أو استخدام المواد المطهرة لعلاج الحرق لان هذه المواد تزيد الامر سوءا كما يجب عدم تفجير الفقاعات والبثور التي تتكون مكان الحرق لان تفجيرها يسبب التهابا مكان الحرق . □

بريـــد الأسـرة

طنين الأذن Tinnitus

يتنابني بعض الأحيان سماع صوت كأنه هدير الماء ، قالوا لي أنه طنين الأذن ، وسببه وجود أوساخ أو تراكم شمع الاذن فحاولت تنظيفه باعواد القطن دون جدوى .

فهل من وسيلة للعلاج تنصحون بها ولكم وافر الشكر .

أحمد ن . ع
صنعاء .

الطنين في الأذن هو صوت متصل مؤذ مزعج يعتبر من أشكال الضجيج .

ولكن كثيرا من الطنين قد يسمعه المريض نفسه ولايسمعه أحد من حوله ، وهذا هو طنين الأذن المرضى الذي يهم المريض والطبيب معا ، اذا اعتبرنا أن الطنين الحقيقي يمكن تفاديه بشكل أو بآخر ، أو معالجته على نحو ما يعالج الضجيج في المصانع أو الأماكن العامة .

والطنين فى الأذن لا يتبع نمطا معينا يوصف به ، وانما قد يصفه المريض بأشكال شتى ، منها صوت الهدير ، ومنها الخفيف ، أو ربما طرقات متتابعة ، وأحيانا يكون صفيرا ، أو همهمة تشبه صوت بخار الماء المتصاعد من ابريق الشاي ، أو لعله قرع أجراس مزعجة .

ان الطنين في حد ذاته ليس مرضا يعالج لذاته ، بقدر ماهو دلالة على بؤرة مرضيه ، في أحد أجزاء جهاز السمع أو قطاع من الأذن .

ان عمل الجهاز السمعي يعتمد على شقين :

الشق الأول تركيب توصيلي مهمته ايصال الذبذبات التي يستقبلها صوان الأذن ، وتعبر قناة السمع الخارجية ، فتهتز معها طبلة الأذن ، وبالتالي تحرك ثلاث عظام صغيرة ، هي المطرقة والسندان والركاب التي تعتبر أصغر عظام الجسم ، وموقعها الأذن الوسطى ، وتطرق عظمة الركاب على غشاء يغطي فتحة في الاذن الداخلية ، التي تدعى بالقوقعة ، حيث تحول نهايات الاعصاب الحساسة للسمع ، وتتجمع معا لتكون عصب السمع الذي ينقل الاشارات العصبية التي تترجمها نهايات الأعصاب من ذبذبات ميكانيكية الى اشارات عصبية ، حتى تصل الى منطقة في جانب المخ مختصة بالسمع ، تتولى تفسير الاشارات العصبية الى معاني مألوفة معروفة كانت مخزونة في الذاكرة .

ان أى خلل من أي موقع من الشق التوصيلي أو الشق العصبي ، قد يعبر عن ذاته بما يسمى الطنين ، فقد يكون مجرد تراكم شمعي في قناة الأذن الخارجية ، أو يكون ثقبا في طبلة الأذن ، وأحيانا تصلبا في عظيمات السمع في الشق العصبي من جهاز السمع .

وهنا يأتي دور الطبيب لتحديد موقع الخلل والعلاج .

ولاننسَ أن نذكر أحد أنواع الطنين الهستيري الذي يسمعه المريض وليس له من سبب سوى الوهم ، كما لاننسى مرضا من أمراض الحساسية يتميز بالطنين يدعونه مرض منيير ، يصيب بعض الناس بسبب غير معروف . □

بريد الأسرة

الكمادات Com presses

أصبت بالتواء في القدم ، وقد نصحني بعضهم باستعمال كمادات مياه ساخنة لاسعاف الالتواء ، مما أدى الى تفاقم الحال ولامني الأطباء على هذا التصرف .

فما هي حكاية هذه الكمادات ، ومتى تستعمل الكمادات الباردة ، ومتى تستعمل الكمادات الساخنة ؟ .

سالم أ . ع
طرابلس الغرب

الكمادات تعبير طبي يستعمل للتعبير عن وسائل متعددة ، أغلبها من الأقمشة أو المطاط وما اليه لتؤدي غرضا وضعيا .

أكثرها شيوعا هي كمادات الماء البارد ، وكمادات الماء الساخن ، لتقوم بايصال الحرارة من سخونة أو برودة الى موضع الجسم المراد علاجه .

والى جانب كمادات الماء أو الكمادات المبللة ، توجد الكمادات الجافة التي تستعمل فيها الكهرباء أحيانا أو تشحن بالطاقة الحرارية مسبقا كما هي كمادات الطين ، أو ربما استعملت قربة الماء الساخن منها أو البارد .

ولعل التأثير الأهم من هذه الكمادات هو ايصال الحرارة (من سخونة أو برودة) الى أوعية الدم في الجلد لهدفين رئيسيين :

أولهما : التأثير الحراري على جدار الوعاء الدموي ، حيث تعمل الحرارة على توسيع قطر الوعاء الدموي ، ومن ثم يزيد تدفق الدم الى المنطقة المطلوبة ، وهذا يتم من خلال استعمال الكمادات الساخنة ، بينما الكمادات الباردة تعمل نقيض هذا ، اذ تقبض الوعاء الدموي وتقلل من تدفق الدم الى المنطقة المصابة .

وثانيهما : ايصال الحرارة سواء منها السخونة أو البرودة ، الى تيار الدم حسب مايكون مطلوبا من تدفئة الجسم أو تبريده .

وهنا نرى أن كمادات الماء البارد تستعمل في حالات الاسعاف الأولى للحروق ، أو عند الكدمات ، أو مع حدوث (نزيف شديد) ، كما يشيع استعمال الكمادات الباردة عند الاصابة بضربات الحر أو ارتفاع درجة حرارة الطفل ، اذا ما اصيب بالحمى مع الحذر كل الحذر من استعمال الثلج أو الماء البارد جدا ، لان هذا يقبض الوعاء الدموى بشدة ، لدرجة انسداده وعدم سريان الدم ، مما يفقد تحقيق الغاية من الكمادات الباردة التي تمنع دوران الدم .

أما عن الكمادات الساخنة التي تزيد من تدفق الدم وتوسيع الأوعية الدموية فقد تستعمل عند آلام العضلات الروماتيزمية ، أو التواء المفاصل التي مضى عليها الوقت .

وكثيرا ماتستعمل الكمادات الدافئة (الفاترة) في تدفئة الأطراف الباردة ، مما يسمى في الطب بعضة الجليد .

هذا بالاضافة الى بعض أنواع الكمادات الطبية الكيماوية التي تستعمل تحت اشراف طبي ، وعقب استشارة طبية لحالات مرضية معينة . □

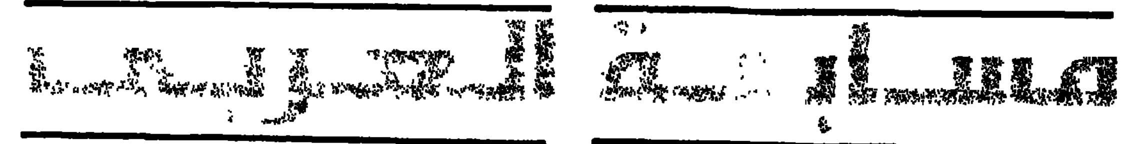
مساحة ود

زمن الأحلام الضائعة

كنا زملاء دراسة وأصدقاء عمل . كان أصدقنا حسا واحساسا . . رقيقا كنسمة ، عذبا ودودا صاخبا كطفل . كان يمتلء بالحماس والرغبة في الحياة ، شديد الحب لها ، عظيم الاحساس بها . كان رساما موهوبا وشاعرا بالغ الرقة والاحساس ، وفرقتنا طرق الحياة في السنوات القلائل الماضية ، مابين سفر وارتحال وهموم الى ان تلقيت رسالة منه . الظرف يحمل خاتماً استراليا ، والخط لم استطع التعرف عليه للوهلة الاولى ، فقد كان مكتوبا بحروف لاتينية شديدة التأنق والانتظام . وقرأت الرسالة مرة وأعدت قراءتها ثانية . ولم أستطع أن أمنع الكآبة والاحباط والاسى من أن ينسجوا خيوطهم داخلي . كتب يقول :

« كنت شاهدا على قصة حب . . ورغم أن اللفظ شديد الاتساع فقد افسده مروجو الافلام والمسلسلات حتى فقد الحب جلاله وعظمته . . وصارت الكلمة شيئا عاديا كالبرد أو الانفلونزا أو مواعيد نشرات الاخبار . أنت تعرفها رقيقة كعطر الفل ، حنونا كأم ، صديقة كحكيم . . وتشهد انني كنت احاور عقلها لاجسدها ، أتحسس روحها النقية ، أمسح بحنان تراب الذكريات المتراكم في مسامها . كانت مثلنا ابنه لموظف حكومي مهما علت درجته الوظيفية الا انه يظل مثلنا موظفا وعندما أدرك كلانا ان رفقة الحياة الباقية ستكون أجمل لو كنا معا . ذهبت الى بيت أهلها . في هذه الفترة اختفيت أنت ولم تشهد معنا ماحدث . . لم تكن معنا كي ترى بعينيك « جريمة القتل » التي حدثت . . مابين طلبات شبكة ومهر وتأثيث بيت . لم تكن معنا والمجتمع كله يحاصرنا . حتى لو تزوجنا وتغلبنا على هذه المطالب فإن دخلنا نحن الاثنين لن يكفي أن نظل أحياء . . لم تكن معنا والمجتمع كله ينظر الينا كالمجانين عندما نحكي عن احلامنا في أن يضمنا بيت ونحيا كسائر البشر . . كانت التعليقات والاجابات تتحول فورا الى أرقام . . وأرقام . وعندما أدركت عبثية الاستمرار . . وعرف الأرق والارهاق والقلق والتوتر طريقهم الى عيوننا . . جمعت حقائبي وأتيت الى هنا . . أرسم للاطفال في احدى شركات افلام الكارتون ، واذهب يومين في الاسبوع الى مصحة أمراض نفسية اشارك في برنامج علاج بالرسم . ولم أعط أحدا عنواني . . حتى أنت لم أرسله اليك . . فقط اردت منك ان تعرف . . اما أنا فساحاول أن اتعايش في عالم جديد بقيم جديدة . . مهما كانت قسوتها فلن تكون اكثر قسوة من قيم مجتمع هارب أنا منه . . و . . و . . انتهت رسالته القصيرة . . بعدما زرعت داخلي الاحباط والاسى الحزن من زماننا الردىء ، اما انت ياصديقي فاغفر الى انني نثرت مشاعرك للناس . . كل الناس . . لعل وعسى . . . □

محمود عبد الوهاب



جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

١ ـ عباس بن فرناس ، عالم عربي معروف ، حاول الطيران عدة مرات ، ولكنه . .

■ فشل ومات .

■ فشل ، وأصيب بكسور في عظامه ، دون أن يموت .

■ نجح في الطيران . فهو اذن الانسان الطائر الأول في التاريخ .

٢ ـ رسائل اخوان الصفا . . ما هي مواضيعها ؟

■ شعر وأدب .

■ تاريخ وجغرافيا .

■ علوم وفلسفة وتصوف وما الى ذلك . .

٣ ـ الأميبا : هل هي حيوان أم نبات ؟

٤ ـ انطلق القطار من القاهرة الى الاسكندرية بسرعة ٥٠ كيلومترا . . وبلغت سرعته في رحلة العودة ٧٥ كيلومترا فما هي سرعته بالمتوسط في الرحلتين . . علما بأنه استغرق ٤ ساعات في رحلة الذهاب . . . .

٥ ـ أيهما أسرع ، الجياد السريعة التي تفوز في سباق دربي وغيره أم الحمام الزاجل السريع ؟

٦ ـ اشترى رجل دراجة مستعملة بستين دينارا . . وباعها بعد أن أدخل بعض التحسينات عليها بسبعين دينارا . . ثم عاد فاشترى نفس الدراجة بأربعين دينارا . وتسنى له بيعها بعد ذلك بخمسين دينارا . . فما هو مجمل الربح الذي جناه . .

٧ ـ ما هو العَلم الذي رفعه الأمريكيون إبّان حرب الاستقلال التي خاضوها ضد الاستعمار البريطاني ؟

■ نفس العلم الأمريكي الحالي . . ولكن بعدد من النجوم أقل من عددها الحالي . . وذلك تبعا لعدد الولايات الذي بلغ (١٣) آنذاك ، ويبلغ حاليا (٥٠) ولاية .

■ نفس العلم الذي فرضته عليهم حكومة الاستعمار البريطانية .

٨ ـ قماش (الموهير) غني عن التعريف . . ولكن الذي يهمنا هنا هو اسمه الغريب . . فهل هو مشتق من أصل عربي ، كما يقال ، وان كان كذلك ، فما هو الاصل ؟

٩ ـ قناة عربية في احدى الدول العربية ، تصل بين نهرين عربيين كبيرين ، وهي طويلة ويبلغ طولها نحو (٥٠) كيلومترا ، وهي حديثة وقد تم العمل فيها سنة ١٩٧٨ . .

فما اسم هذه القناة ؟ وما هما النهران اللذان كانا منفصلين وأصبحا متصلين بعد انشائها ؟ . .

العربي ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٥ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول ابريل ١٩٨٥ .

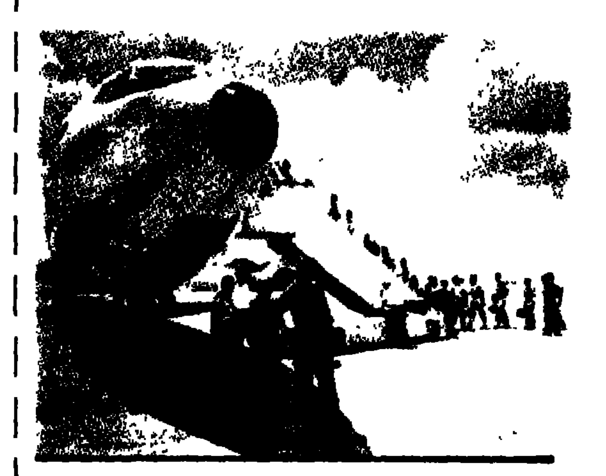
١٠ ـ الاقمار الصناعية . . بعضها يبدو لك ثابتا في مكانه لا يتحرك . . لماذا ؟

■ لأنه ثابت بالفعل . . وقد تعمدوا ذلك في صنعه . .

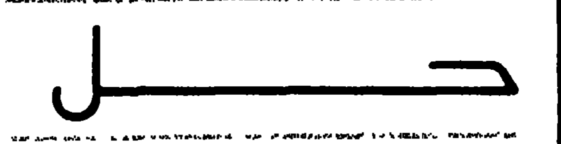
■ لأنه يدور بنفس سرعة دوران الارض حول نفسها . . فيبدو لك ثابتا وهو في الواقع سيار .

١١ ـ يقال عن طائرات الجمبو أنهم اطلقوا عليها هذا الاسم مجازا . . ذلك أن (جمبو) هو اسم فيل شهير من فيلة حديقة الحيوان في لندن . . صواب أم خطأ ؟

١٢ ـ القِلّة ضد الكثرة ، كما هو معروف . . فما معنى القُلّة . . . وما معنى القَلّة ؟



مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي



١ - « هكذا تكلم زرادشت » هو كتاب الفيلسوف الألماني نيتشه الذي تأثر به جبران خليل جبران

٢ - كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣) ولد في تريفس Treves في المانيا ومات في لندن التي عاش بها لدى بلوغه الثلاثين من عمره . .

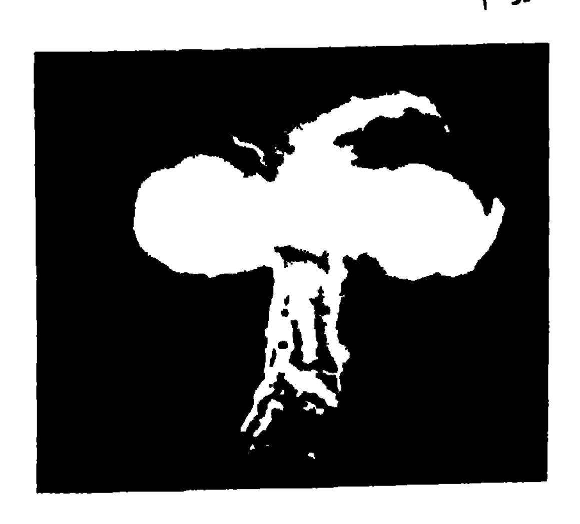
٣ - القناة هي قناة الصين العظمى التي تم انشاؤها على ثلاث مراحل ابتداء من سنة ٤٨٥ ق . م . وتصل بين أنهار هايهو والاصفر وهواي ويانجتسي . .

٤ - الهنود الحمر هم الذين أطلقوا اسم المسيسبي على أعظم انهار امريكا الشمالية .

٥ - يقال احْتُضِرَ الرجل ويُحْتَضَرُ اذا حضره الموت .
اما احْتَضَرَ فتعني جعل غيره حاضرا . . فيقال احتضر فلان فلانا . . أي جعله حاضرا .

٦ - معدن (كادميوم) هو المعدن المقصود . . ويذكر أيضا ان الاوزميوم والاريديوم وغيرهما من المعادن البلاتينية هي الاخرى معادن ثقيلة .

٧ - « الولد الصغير » هو الاسم الذي أطلقوه على قنبلة هيروشيما الذرية وهي التي القاها الامريكيون على المدينة اليابانية في ١٩٤٥/٨/٦ فقتلت على الفور ٩١٠٠٠ نسمة . . وفتكت بشكل أو بآخر بالكثيرين غيرهم . .



مسابقة العدد ٣١٣ نوفمبر ١٩٨٤

٨ ـ الفينيقيون هم الذين أدخلوا النصرانية الى بلاد الحبشة .. وقد حدث ذلك صدفة ، اذ عثر الاحباش سنة ٣٤١ م على ملاح فينيقي في عرض البحر وقد اشرف على الغرق هو وقاربه . والقوا القبض على فرومنتيوس هذا وساقوه الى بلاط النجاشي ليكون فيه عبدا .. وحظى الفتى باعجاب النجاشي ورضاه .. فاتاح له ذلك العمل على نشر دينه ، النصرانية ، في الحبشة .. ومالبث أن أصبح فرومنتيوس اول أسقف في تلك البلاد .

٩ ـ السير كريستوفر رن (١٦٣٢ ـ ١٧٢٣) وهو المهندس الذي وضع تصاميم كاتدرائية القديس بولس الشهيرة،كان ذا اهتمام كبير بالطب والتشريح .. وهو الذي أحرز النجاح في أولى عمليات نقل الدم الرائدة سنة ١٦٥٧ .

١٠ ـ سكان المدر هم سكان البيوت المبنية من طين .. وهم في الغالب سكان القرى .

١١ ـ سميت كذلك نسبة الى جزيرة جرزي .. أكبر جزر القنال الانجليزي التي تبلغ مساحتها ٤٥ كيلومترا مربعا وسكانها حوالي ٧٠,٠٠٠ نسمة .

١٢ ـ استعملت البيجاما لأول مرة في الهند ومنها انتقلت الى بريطانيا وسائر بلاد العالم .. علما بأن الاسم « بيجاما » اسم فارسي أصلا .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٣ نوفمبر

الجائزة الاولى : السيدة / سهام شاكر ـ ش قبرص ملبورن ـ استراليا

الجائزة الثانية : السيدة /صافيناز محمد احمد ـ القاهرة ـ جمهورية مصر العربيه .

الجائزة الثالثة : عبدالقادر البنا ـ كرتير ـ عدن ـ اليمن الجنوبيه .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ خالد حسن عباس المهدى ـ الشارقه ـ دولة الامارات العربية المتحدة .

٢ ـ نعمات علي جاد الله ـام درمان ـ الجمهورية السودانية .

٣ ـ احمد علي محمد النجار ـالجامعة السيفيه ـ سورت ـ الهند

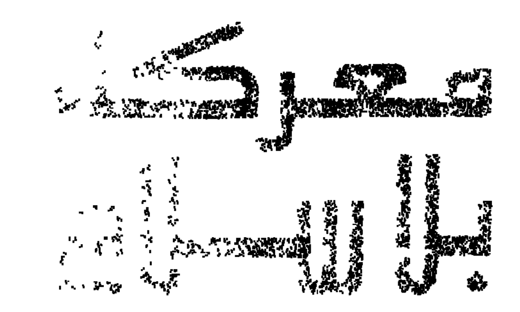
٤ ـ علية عبدالحميد احمد عثمان ـالصليبية ـ الكويت

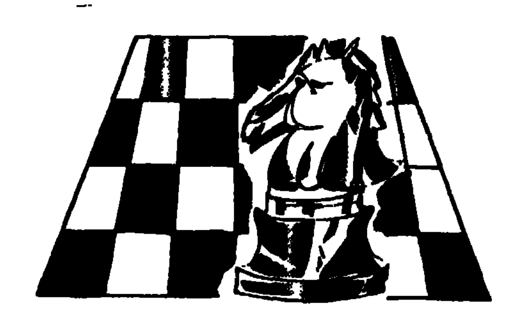
٥ ـ نشينش محمد ـالرباط ـ المغرب

٦ ـ منصف القلال ـ صفاقس ـ الجمهورية التونسية

٧ ـ عماد خالد صلاح ـعمان ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

٨ ـ وفاء أمين الشيخ ـ جمهورية مصر العربية .





يتمتع الشطرنج في الاتحاد السوفيتي بشعبية لا نظير لها ، وهي اللعبة الشعبية الأولى هناك بعد كرة القدم ، ويصل عدد اللاعبين المسجلين رسمياً في أندية الشطرنج المنتشرة في طول البلاد وعرضها الى أربعة ملايين لاعب أو يزيد .

ويقوم نادي الشطرنج المركزي في الاتحاد السوفيتي بإصدار ما يقرب من الثلاثين كتاباً من القطع الكبير سنوياً في أدب اللعبة والتي سرعان ما تتبخر من الأسواق فور صدورها رغم ان الطبعة الواحدة من كل من هذه الكتب لا تقل عن مائة ألف من النسخ .

وتفخر مكتبة النادي المذكور باحتوائها على ما يزيد عن عشرة آلاف كتاب في الشطرنج بالإضافة الى قائمة طويلة من البطاقات المرجعية السرية التي يصل تعدادها الى مائة ألف بطاقة والتي يطلق عليها الغلاة من أعضاء النادي اسم البنتاغون : « انها بنتاغوننا ، وسلاحنا السري في المباريات الدولية » .

ويتبين من كتابات الأجانب الذين قاموا بزيارة روسيا في القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين ان اللعبة كانت تتمتع بشعبية كبيرة في ذلك الوقت . غير أن الشطرنج عرف في روسيا قبل ذلك بكثير ، والمؤرخون الروس يحددون القرن التاسع أو العاشر الميلادي بداية لدخول هذه اللعبة من موطنها الأصلي (الهند أو بلاد فارس على الأرجح) .

وبتطور وازدهار المدرسة الروسية في الشطرنج انتشرت اللعبة انتشاراً واسعاً في الاتحاد السوفيتي ، فهناك اليوم مئات الألوف من طلبة المدارس ممن يشتركون في المباريات السنوية ومنهم من لا يتجاوز الثامنة من العمر .

ويبلغ عدد أساتذة الشطرنج الكبار في روسيا حالياً السبعين ، يتلقى كل منهم مكافأة شهرية من الدولة لا تقل عن ثلاثمائة روبل (٣٦٠ دولاراً) وقد تبلغ الامتيازات الممنوحة لبعض كبار اللاعبين حدّاً مذهلاً كحق استخدام سيارة أجنبيّة مثلاً وهو امتياز لا تتمتع به سوى القلة النادرة من ذوي الحظوة في روسيا الاشتراكية .

وتجري في موسكو حالياً المباراة على بطولة العالم بين البطلين الروسيين أناتولي كاربوف بطل العالم الحالي (٣٣ سنة) ومتحدّيه الوحيد على اللقب مواطنه جاري كاسباروف (٢١ سنة) وتجري المباراة في قاعة « ذات العماد » الأنيقة والتي يحتشد فيها ما يقرب من ١٣٠٠ متفرج يخيم عليهم صمت عميق لا يقطعه سوى همهمات الاستحسان الخافتة التي يطلقونها عندما يقوم أحد اللاعبين بنقلةٍ جيدّة . وهنالك ملايين آخرون من المتفرجين يجتمعون في النوادي المتفرقة . لمتابعة اللعبة نقْلةً فنَقْلة كما تصلهم مباشرة من قاعة المباراة . وتقوم اللجنة المشرفة على المباراة باصدار نشرتين يومياً تنقلان الى مختلف انحاء البلاد عبر جميع شبكات الاتصال من مرئية وغير مرئيّة .

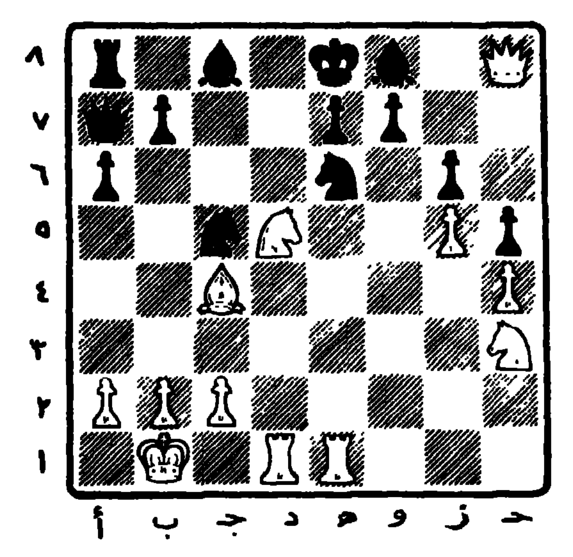
والنتيجة المعلنة حتى كتابة هذه السطور هي ٤ - صفر لصالح بطل العالم الحالي والتي ترجح له

الاحتفاظ باللقب لسنتين قادمتين على الأقل . والدور التالي هو ثالث الأدوار التي فاز بها كاربوف .

كاربوف (ابيض)	كاسباروف (أسود)
١ ـ هـ ٤	جـ ٥
٢ ـ ح - و ٣	هـ ٦
٣ ـ د ٤	جـ × د ٤
٤ ـ ح × د ٤	ح - جـ ٦
٥ ـ ح - ب ٥	د ٦
٦ ـ جـ ٤	ح - و ٦
٧ ـ ح ١ - جـ ٣	أ ٦
٨ ـ ح - أ ٣	ف - هـ ٧
٩ ـ ف - هـ ٢	ت
١٠ ـ ت	ب ٦
١١ ـ ف - هـ ٣	ف - ب ٧
١٢ ـ و - ب ٣	ح - أ٥ ؟ !
١٣ ـ و × ب ٦	ح × هـ ٤
١٤ ـ ح × هـ ٤	ف × هـ ٤
١٥ ـ و × د ٨	ف × د ٨
١٦ ـ ر أ - د ١	د ٥ ؟
١٧ ـ و ٣	ف - و ٥
١٨ ـ جـ × د ٥	هـ × د ٥
١٩ ـ ر × د ٥	ف - هـ ٦
٢٠ ـ ر - د ٦	ف × أ ٢
٢١ ـ ر × أ ٦	ر - ب ٨
٢٢ ـ ف - جـ ٥	ر - هـ ٨
٢٣ ـ ف - ب ٥	ر - هـ ٦
٢٤ ـ ب ٤	ح - ب ٧
٢٥ ـ ف - و ٢	ف - هـ ٧
٢٦ ـ ح - جـ ٢	ف - د ٥
٢٧ ـ ر - د ١	ف - ب ٣
٢٨ ـ ر - د ٧	ر - د ٨
٢٩ ـ ر × هـ ٦	ر × د ٧
٣٠ ـ ر - هـ ١	ر - جـ ٧
٣١ ـ ف - ب ٦	يستسلم □

حل مسابقة عدد شهر ديسمبر مسألة (٢٤)

١ ـ و × و ٦ +	ف أ و و - ز ٧
٢ ـ و - و ٨ +	ر × و ٨
٣ ـ ر × و ٨	



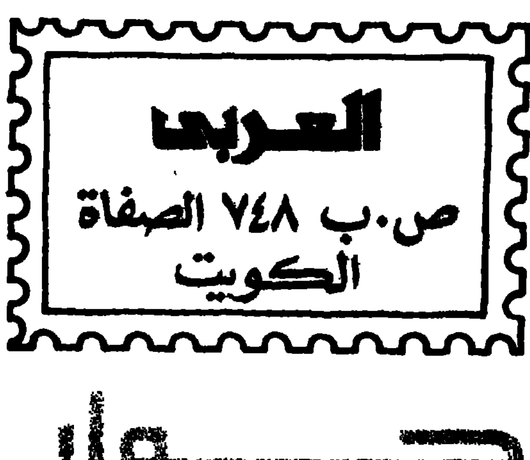
الأبيض يلعب ويميت الشاه في ٤ نقلات

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ سيف عبد الباسط ـ الخرطوم / السودان .
٢ ـ محمود مامي ـ تونس .
٣ ـ حسن ابو زيد ـ الوكرة/قطر .
٤ ـ محمد سراج الدين ـ حلب/سوريا .
٥ ـ مصطفى عبد المنعم ـ الاسكندرية/ج.م.ع.

الفائزون باشتراك نصف سنة :

١ ـ أبو بكر شوفه ـ مانشتر / بريطانيا .
٢ ـ عمر الصمادي ـ اربد/الأردن .
٣ ـ عدنان سعيد ـ الكويت/ الخالدية .
٤ ـ علي الفيتوري ـ الزاوية/ليبيا .
٥ ـ حسين فدعق ـ عدن/اليمن .



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء

عزيزي القارىء :

● تبدو الثقافة العربية غريبة بين أبناء الوطن العربي .. وهي وان احتلت مكانها بين الأدباء والمفكرين والعلماء،الا أنها لاتزال تقف فوق أرضية لاتستطيع فيها أن تجاور الثقافات الأخرى في العالم ..

واذا كان التيار العربي عريقا وغنيا بقادة الثقافة آنذاك ، والذين لاتزال آثارهم باقية الى عصرنا الحاضر ، فان هذا يجب الا يتوقف بعد رحيل (السلف) من أولئك القادة المثقفين ، بل يجب أن تضاف ثقافات جديدة ومتنوعة الى رصيدنا الثقافي العربي الذي نعتز به ..

الكتب العربية والاجنبية تملأ رفوف المكتبات في شتى أقطار الوطن العربي ، لكن المشكلة أن القارىء لايزال يعزف عن القراءة بحجة عدم وجود الوقت المناسب ، وهذه حجة لاوجود لها حين يحدد الانسان العربي ساعات نهاره ويوزعها بالقسطاس المستقيم ، على كل ما يعود عليه بالنفع والفائدة .. ولنبدأ بمعرفة قيمة القراءة ... ولنحدد بعد ذلك أوقاتها ....

المحرر

رد على رد

● نشر في العدد (٣٠٩) في باب حوار القراء - تعليقات حول ما نشرته في العدد (٣٠٥) تحت عنوان (غدا .. اللحوم من الطحالب) وما قرأته من تعليق على مقالتي استوقفني للرد على ما جاء في رسالة القارىء .

فما جاء في مقالتي ينطبق على الطحالب ولا ينطبق على (الأشنيات) كما يعتقد القارىء الكريم ، والفرق بين الاثنين واضح - فالأشنة عبارة عن نباتات دنيئة تتبع النباتات الثالوثية وتتكون من (فطر + طحلب) يعيشان معا عيشة تبادل منفعة ، فتقوم الطحالب بصناعة الغذاء الذي يعتمد عليه الفطر بينما يمتص الفطر الماء من الوسط المحيط به .

أما عن التعريف العام للطحالب - بأنها نباتات ثالوثية (أي خالية من الجذور والسوق والأوراق الحقيقية ، فهو تعريف صحيح تماما ووارد في معظم المراجع المتخصصة - وشكرا للقارىء العزيز ..

فوزي عبد القادر - كلية الزراعة
أسيوط - مصر العربية .

العلم .. في القرآن

● ان مقاصد الاسلام هي اسعاد البشرية في الدنيا والأخرة ، والتعاليم الاسلامية لم تفرق بين العلوم الدينية والدنيوية ، بل كانت الدعوة الى العلم عامة ، ومن ذلك يظهر لنا اطلاق لفظ العلم في قوله تعالى (وقل رب زدني علما) وكذلك قوله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) واطلاق لفظ العلماء هنا يقصد به الذين يفكرون في هذا

اعـداد : يـوسف الشهاب

الكون ، وما أودع الله فيه من قوانين وأنظمة ، لقد فرض الله العلم على جميع المسلمين ليعـرفوا قـدرة الخالق،وليتمكنوا من الاسهام في عمارة الكون وبناء حضارته الانسانية ، قال عليه الصلاة والسلام (العلم فريضة عـلى كل مسلم ومسلمـة) وتقديـر الاسلام للعلم اشارة الى أن العلم لا وطن له ، وأن الحقائق العلمية والحكمة يجب أن تؤخذ حيثما وحدت دون الالتفات الى مذهب أصحابها . .

هناك بعض الناس الذين أنكروا بعض الظواهر الطبيعية التي أكدها العلم ، مثـال (دوران الأرض وكرويتها) وهناك آخرون ينظرون الى القرآن الكريم على أنه قد جمع صنوف الحقائق العلمية ، فما من قانون اكتشف أو سيكشف الا وله أصل في القرآن الكريم ، لكنه في الحقيقة كتـاب عقيدة وهـداية ونـظام حياة يخاطب العقل والقلب والضميـر . . وليس كتـاب (فيزياء أو كيمياء) . .

ابراهيم حسين الدخيل ـ محافظة الرقة
سوريا .

البربر . . شعوب برمانية

● تناول أكثر من كاتب قضية انتماء (البربر) في مجلتنا«العربي»ـونظرا لما لهذا الموضوع من أهمية فاني أبعث لكم بعض التعاريف حتى يكون ذلك معينا على فهم هذا الموضوع . .

فـالبربـر . . هم سكـان أفـريقيـا الشمـالية الأصليـون ، من (الجنس الأبيض) ولا نعرف من أين نزحوا ـ لكنهم يعيشون في جبال أطلس ، وقـد اختلطوا بالفينيقيين في عهد قرطاجة ثم بالرومان ثم في القبائل والجيوش العربيـة بعد الفتـح الاسلامي ، ويعتقد العلماء بأن لغتهم تنتمي الى الفـرع السامي الحالي ، وكانت ديانتهم وثنية في عهد الفينيقيـين ودخلت النصرانية الغرب أيام الرومان حيث أن عدد (الأبرشيات) يزيد على الخمسين في القرنين الـرابع والخامس الميلادي .

البـربـر لفظ أطلقه اليونان والرومان على الأمم الاجنبيـة ، وهى الشعوب الجرمانيـة والمغولية التي اجتاحت الامبراطورية الـرومانيـة في القرن الثـالث والرابع والخامس الميلادي .

ولا أعتقد أن يكون البربر قد أنحدروا عن حام ابن نـوح لأنهم من (الجنس الأبيض) كما هـو وارد في التعريف الأول .

ماهر عبد الحليم جمعة ـ بغداد :
الجمهورية العراقية

البربر . . والمغرب العربي

● بودي أن أبدي رأيي في مسألة البربر التي كثر الحديث عنها في الأعداد الأخيرة من العربي :

لايوجد في الواقع « عرق » بربري أو عربي بالمعنى الصحيح للكلمة ، ذلك أن سكان المغـرب العربي مكونون من امتزاج عدة أجناس تعاقبت على المنطقة كالبربـر والونـدال والعرب والأتـراك . وكذا بعض العنـاصر الـزنجيـة القـادمـة من جنـوب الصحـراء الكبرى . ولهذا فمن الصعب بل من المستحيل معرفة الانتماء الحقيقي للسكان الحاليين للمغرب العربي ، هذا من الناحية الاثنولوجية .

أمـا من حيث اللغة ، فـان دور اللغة العـربيـة معتبر . انها اللغة التي يتكلم بها غالبية سكان المغرب العربي . يتخاطبون بها في تعاملهم اليومي . وعلاوة



حوار القراء

على ذلك فهي تعتبر اللغة الرسمية الوحيدة لكافة أقطار المغرب . والسبب الذي جعل مجال استعمال اللغة العربية واسعا يعود الى كونها لغة مكتوبة ، لغة حضارة ، ولغة القرآن الكريم ، وعلى هذا الأساس فان هوية سكان المغرب العربي عربية وهم يعتزون بها . أما اللهجات البربرية المحلية ، فقد تقلص مجال استعمالها كثيرا ، كما انها فقدت الكثير من مفرداتها لأن هذه اللهجات لا تكتب وانما تنطق فحسب .

وعلاوة على ذلك فان هذه اللهجات تأثرت كثيرا باللغة العربية بحيث أنها تستخدم عدة مفردات منها .

ولكن مع ذلك يوجد ثقافة بربرية تتجلى في عدة أعمال شعرية جيلة لكل من محمد أوعلي الأوزالي وسي محمد أو محند وغيرهما ليسوا بقليلين . . .

بالاضافة الى عدد كبير من الأساطير والحكايات والأغاني الفلكلورية ذات المواضيع المختلفة . دون أن ننسى فنون الخياطة والزخرفة والطبخ ذات الذوق الرفيع المتميز .

ومن المؤسف حقا أن هذا التراث مهدد بالزوال تدريجيا اذا لم يلق اهتماما وعناية متزايدين .

نعم انني جزائري عربي ، أفتخر بالثقافة البربرية التي هي جزء من تراث بلادي ، واني أرجو أن تدرك بلدان المغرب بأن الحفاظ على هذا الكنز الثمين أمانة . . وبأن تجاهله هو بمثابة بتر لجزء من شخصيتها ذات المجد العريق . ولذا فبدل أن نبتر وقتنا في « مجادلات بيزنطية » حول « عروبة » طارق بن زياد أو « بربريته » علينا أن نفكر جديا في قضايانا الحالية مثل مشكلة استعمال المفردات الفرنسية في اللهجات العامية حتى ان بعض هذه المفردات اندمج نهائيا بها وصار من العسير جدا الاستغناء عنها في التخاطب اليومي .

أمزيان الشريف ـ الجزائر

خلق الانسان

● قرات بحثا بقلم الدكتور عصام محمد في العدد (٣١١) تحت عنوان (فهم جديد لتطور الجنس البشري يقول ان الانسان الأول وجد منذ ثلاثين مليون سنة ، وهذه الوقائع تحدث عنها التروفسور (ايف كنز) في مؤتمر علمي دولي ـ ولقد ذكر بأن الانسان كان يمشي على أربع وتمثل بظهور نوع من الثدييات الفردية والبشرية ، ولي رد حول هذا الرأى.

، يتضح مما ذكر بأنه قبل خلق الانسان كانت توجد مخلوقات لا تمت للانسان الحالي بصلة ،وذلك لما جاء في القرآن الكريم من آيات تثبت أن أول مخلوق انساني هو سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام الذي خلقه الله وأمر الملائكة بالسجود له حيث قال تعالى : (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) الآية ٦١ سورة الاسراء ، وكما جاء أيضا في القرآن الكريم . . « واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم مالا تعلمون » (٣٠ سورة البقرة) ويتضح مما ذكر أن الملائكة شاهدت مخلوقات في الدنيا قبل ادم تسفك الدماء وتفسد في الأرض وانقرضت هذه المخلوقات جميعها ثم خلق الله آدم في أحسن تقويم .

وقد لاحظنا بعد الدراسة للمخلوقات التي في المقال آنف الذكر ، بأنه لم تثبت لهم أن الانسان الحالي هو من سلالة المخلوقات التي تمشي على أربع ، وكلها نظريات لاصحة لها ، والآية الكريمة تؤكد صدق ذلك في قوله تعالى ـ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . .

عبد السلام مأمون ـ دمشق ـ سوريا .

تحية للعربي

● تحياتي لرئيس التحرير لما جاء في حديث الشهر العدد ٣١٣حول(همّ التوفيق بين الأصالة والمعاصرة) . والواقع أن ما نعاني منه هو فشل حقيقي في كثير من برامج التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذا الفشل هو الذي جعلنا نتراجع أمام أعدائنا ، فرحنا نبحث في الفكر والأيديولوجيا عن مخرج . . ونسينا أن العلة التي الت بنا هي فشل تلك البرامج التنموية التي جربناها في ربع القرن الأخير على مستوى وطننا العربي . . وليس ذلك ضعفا أو وهنا في فكرنا كما أنه ليس ضعفا أو وهنا فينا كشعب . د خالد محمد نعيم

كلية الآداب ـ جامعة المنيا ـ مصر

● الف تحية وشكر للاخ يوسف الحسن ، الباحث والدبلوماسي في سفارة الامارات العربية المتحدة في واشنطن على مقاله المنشور في عدد ديسمبر بعنوان (حتى لاتضيع الفرصة) . ذلك المقال المطرقة الذي دق رؤوسنا علها تصحو على أخطائها . وما أجدرنا أن نتوقف عنده طويلا لمراجعة أساليبنا التالية في التعامل مع وقائع تجاهلناها وما زلنا . . ولعل كل من خاطبهم المقال أن يعوا ما جاء فيه ويعملوا على تفادي كل تقصير . .

وليد حسن الجلي

الخبر ـ المملكة العربية السعودية

صور للحياة البحرية

● نشرت العربي فى العدد ٣١٢ مجموعة من الصور عن الحياة البحرية والشعب المرجانية،كما نشرت في العدد ٣١١ تحقيقا مصورا عن جزر المالديف و معه صور عن الرخويات وبعض أنواع الحياة البحرية . ولما كنت طالبا في كلية علوم البحار بجامعة الملك عبد العزيز بجدة أرجو أن أقتني مجموعة من الصور التي لديكم مع استعدادي لتحمل المصاريف والتكاليف .

صالح البلوشي

جدة ـ المملكة العربية السعودية

يسعدنا أن نستجيب لطلبكم وسنرسل لك ست صور مما التقطه مصور العربي في المالديف ، على أن يشار الى أن الصور مقدمة من العربي في حالة استخدامها في أي مجال اعلامي .

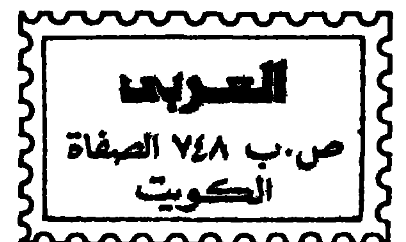
فهرس العربي

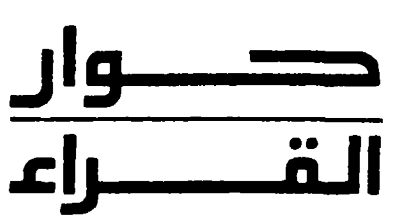
● أنا من الشباب الذين فتحوا أعينهم على « العربي » منذ سنتين فقط ، ونظرا لما تحويه المجلة من مقالات ومعلومات قيمة ، وقد فاتتني الاعداد السابقة ، فاني أقترح أن تطبعوا الاعداد القديمة وتبيعوها في مجلدات سنوية ليستفيد بها الجميع .

عبد الله أحمد عبد الله

المنامة ـ دولة البحرين

أصدرت العربي فهرسا كاملا في جزأين يضم عناوين المقالات وكتابها والاعداد المنشورة فيها ، ويمكن الحصول عليها من المكتبات ، كما أن « العربي » لديها ميكروفيلم لجميع مقالاتها في الخمسة عشرة الأخيرة تضعه في خدمة الباحثين والأكاديميين في مقرها في الكويت .





ميلاد جوته

● ورد في عدد اكتوبر في مقال (جوته وقصيدة من الديوان الشرقي) للدكتور عبد الغفار مكاوي أن اسم الشاعر هو يوهان فولنجانج فون جوته والصحيح أنه (فولفكانك) لأن حرف g في الالمانية ينطق كحرف (ك) كما أن تاريخ ميلاده ذكر على أنه عام ١٧٤٠ والصحيح أنه ولد عام ١٧٤٩ وتوفي عام ١٨٣٢ .

د . عدنان رشيد
جامعة الملك سعود ـ الرياض

ننشر التصحيح بعد أن رجعنا الى مختلف المصادر .. ولقد لزم التنويه .

العربي في بريطانيا

● انني أعتبر والعربي» مثلي مثل كل عربي ـ الصديق الذي لانستغني عن رفقته ، غير أنها نادرة الوجود في المكتبات وأكشاك بيع الصحف ، خصوصا في بلدي ليبيا . وقد حرمت من الحصول عليها عندما أتيت الى بريطانيا سنة ١٩٨٢ وبقيت على هذا الحال حتى شهر سبتمبر الماضي عندما عثرت على نسخة منها بالصدفة في أحد أكشاك بيع الصحف في منشستر ، وقد طلبت من صاحب المحل أن يضمن لي نسخة كل شهر ولكنه اعتذر . فلماذا هذا النقص في عدد النسخ ؟ وهل يمكن أن أحصل على ما فاتني من أعداد ابتداء من العدد ٣٠٩ ؟

ب . م . بوشوفا
جامعة مانشستر ـ بريطانيا .

لا نستطيع لاسباب فنية زيادة كميات الطبع والتوزيع ، ونأمل أن نحقق رغبة القراء الذين يطلبون المزيد بعد انتقالنا الى مطابعنا الحديدة . ومع ذلك فيمكن الاتصال بمكتب توريع العربي في لندن وعنوانه كما يلي :

Middle East Bublication
210 BRighton Road
Coulsdon
Surrey C R 3 2 N F
U . K .

ردود خاصة

● ترفيت مرزوق ـ وجدة ـ المغرب
ـ العربي ترحب بانتاج الأدباء الشبان وتنشر ما هو جدير بالنشر على صفحاتها .

● كامل سويلح الشوربجي ـ القاهرة .
ـ يؤسفنا أننا لانملك وسيلة حاليا لمساعدتك في معرفة الشجرة الأم لعائلة الشوربجي . وكل ما نعرفه هو ما نشر في استطلاع العربي الذي ذكرته بعنوان (عباسيون في تركيا) .



جريمة في جزيرة الماعز

تأليف : اوجو بتي

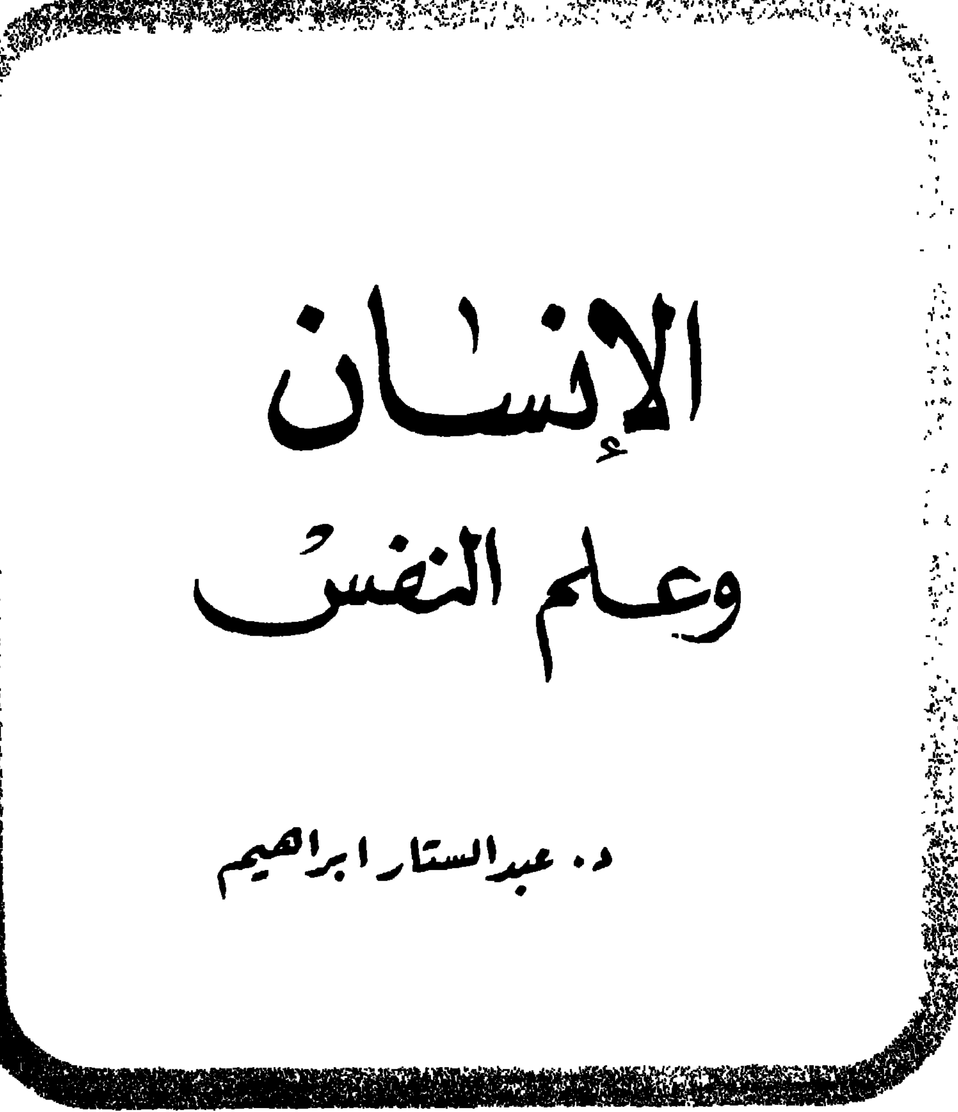
ترجمة وتقديم : سعد أردش

مراجعة : د. سلامة محمد سليمان



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

فبراير ١٩٨٥م



الإنسان وعلم النفس

د. عبدالستار ابراهيم

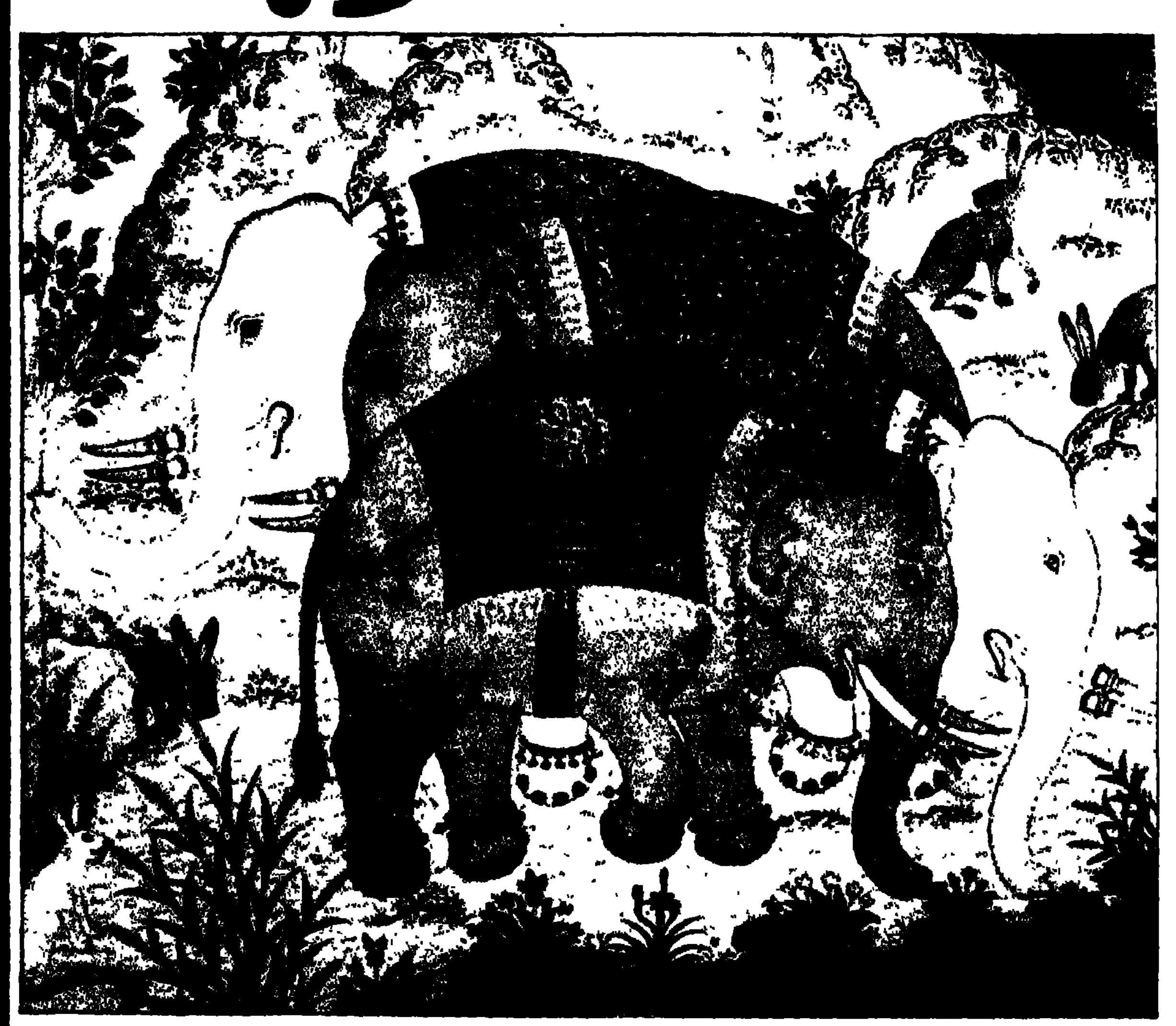
الكتاب السادس والثمانون

٥٠٠ فلس

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

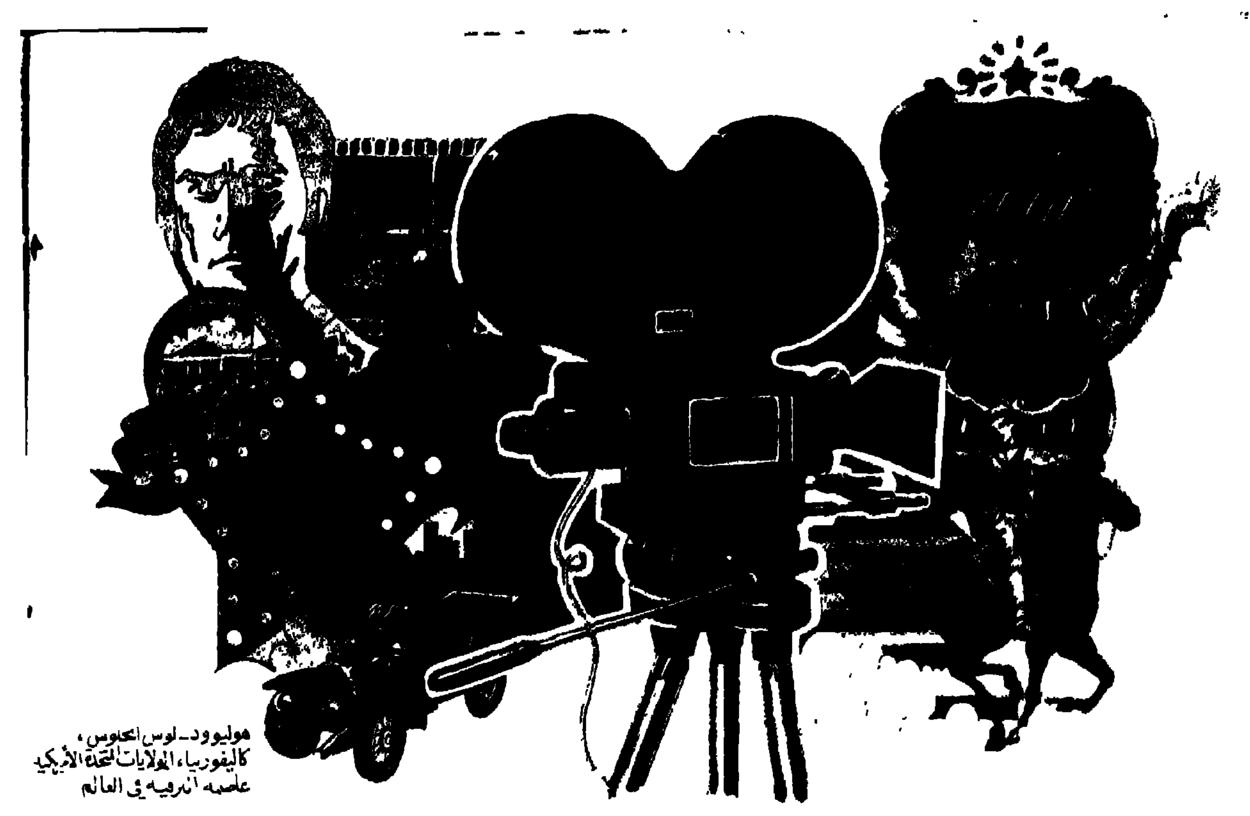
جمادي الآخرة ١٤٠٥هـ - مارس (آذار) ١٩٨٥

العربي



■ الرمز بالحيوان في الأدب العربي القديم

ليبيا تكشف نهرا في الصحراء

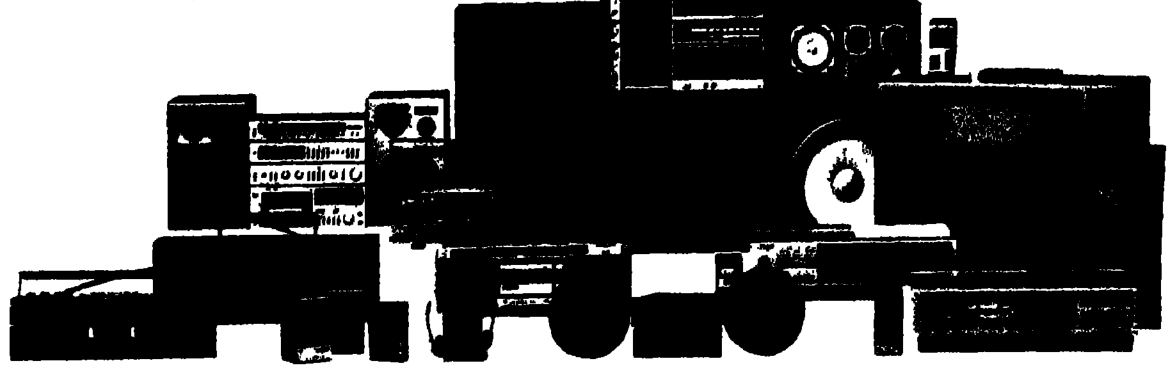


هوليوود ـ لوس انجلوس ،
كاليفورنيا ، الولايات المتحدة الأمريكية
عاصمه الترفيه في العالم

لأفكار العظيمة مِن أمريكا تتواصَل مَع فيشر.

لال تاريخها . قدمت أمريكا العديد من
تراعات المثيرة . مثالاً على ذلك إنتاج
ليوود الترفيهي الذي أثار العالم خلال
نوات عديدة .
عصرنا "السمعي المرئي" ، باستطاعتك
اهدة أرقى ما تقدمه هوليوود .
بيتك .
أفضل الطرق الموجودة
أرجاء العالم للإستماع بهذا

الترفيه الفني هو نظام فيشر المرئي
السمعي الكامل . مزيج لا مثيل له من
التكنولوجيا السباقة والتصميم الفني يسمح
لك بالتمتع بقمة الترفيه المنزلي .
مُنذ عام ١٩٣٧ . عندما إخترع افيري
فيشر أول جهاز نظام هاي فاي .
أصبح إسم فيشر مُرادفاً للإمتياز
ضمن الأجهزة السمعية المرئية .
فيشر فكرة أمريكية عظيمة اخرى .





العــــــدد ٣١٦ — مــــــارس ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت
للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

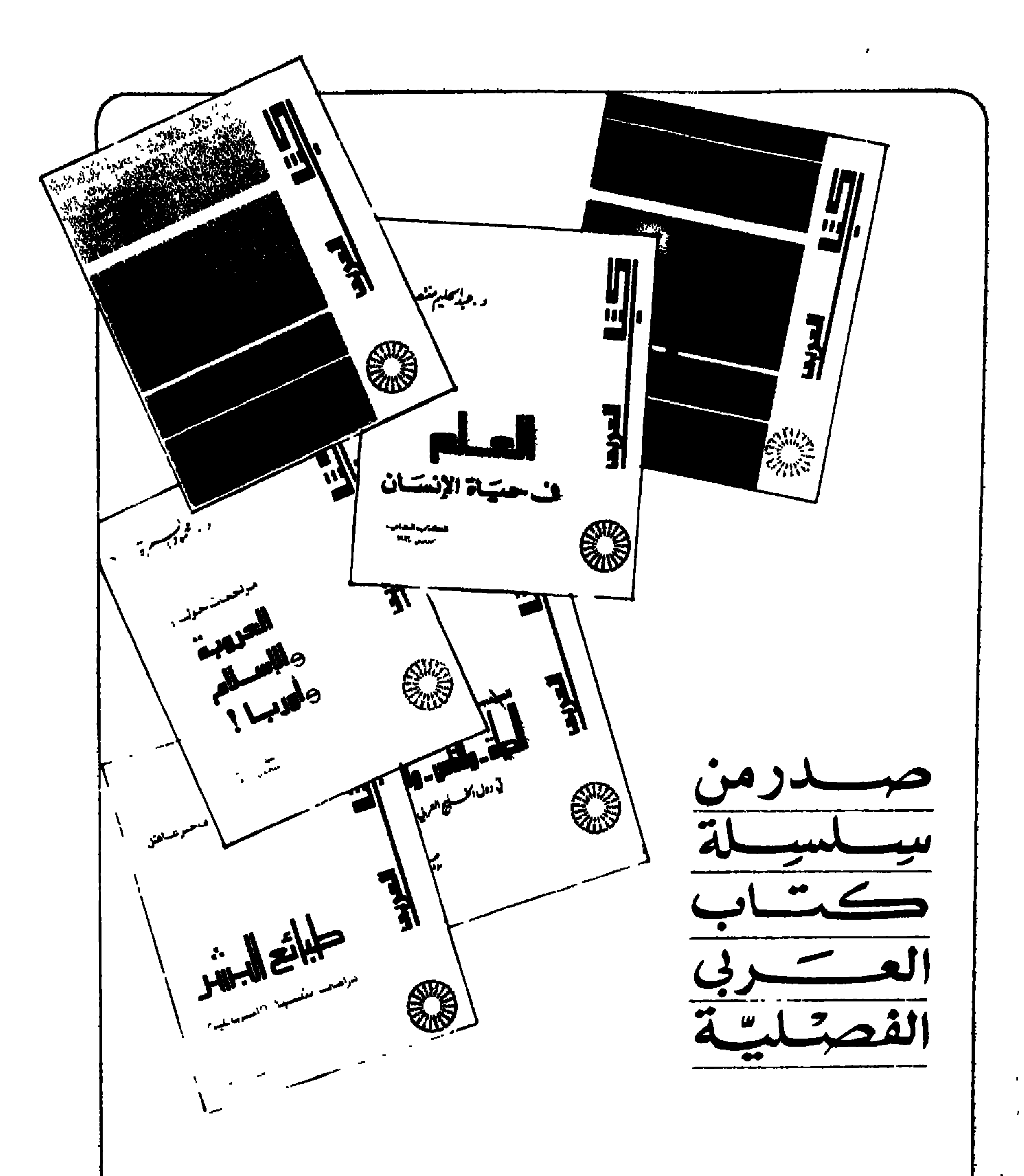
AL-ARABI
Issue No. 316 Mar. 1985 P.O. Box 748- Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص . ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041 KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإشتراكات
ترسل الطلبات إلى : قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص . ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي :
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران


صدر من
سلسلة
كتاب
العربي
الفصلية
العلم
في حياة الإنسان
العروبة
والإسلام
وأوربا !
طبائع البشر

عزيزي القارئ

بوعي تام لأهمية الصحافة ودورها في المجتمع تقوم « العربي » بتبني القضايا الاستراتيجية العربية التي لها علاقة بمستقبل كل فرد من أفراد هذه الأمة . في عدد الفاتح من يناير هذا العام قدمنا استطلاعا مصورا عن صناعة السلاح في القطر المصري ، ستكمله في اعدادنا اللاحقة عن هذه الصناعة في اقطار اخرى من وطننا العربي.هذه لاستطلاعات هي بذرة أولى للمعرفة من منظور الاهتمام بالقضايا العربية الشاملة.

أما على صعيد الثقافة فلازلنا على الدرب سائرين . فالاستاذ الدكتور زكي نجيب محمود حصل على الجائزة التقديرية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وكان من خطة « العربي » تقديمه في باب « وجها لوجه » مع الاستاذ الدكتور عبدالغفار مكاوي قبل ان يحصل الدكتور زكي على الجائزة ، وها هو قد حصل عليها . . فهنيئاً له بها ، وعندما تقلب صفحات العدد سوف تقرأ أفكار د زكي نجيب محمود ، التي تحلل واقع الثقافة العربية وتضيف بعدا جديدا وعميقا .

وتسافر « العربي » في هذا العدد الى الجماهيرية العربية الليبية لتستطلع مشروعا استراتيجيا حيويا هو النهر الصناعي الذي يقيمه الشعب الليبي تحسبا للمستقبل . فالمياه هي الحياة

أما « منتدى العربي » فلازال يحفل بالرسائل التي تناقش أيضا قضايانا العربية ، وفي العلوم وفي الاداب،وفي « البيت العربي » سوف تجد عزيزي القارىء مايشبع نهمك الى المعرفة والى كل ماهو جديد . كما أن « العربي » بدأت تتلقى قصص الهواة والناشئين الذين يودون دخول مسابقة القصة ، التي أعلنا عنها منذ مطلع هذا العام

وهكذا تقدم لك « العربي » في هذا العدد والأعداد القادمة كل جديد ومفيد ، والى لقاء متجدد على صفحات « العربي » ، نأمل لك كل خير □

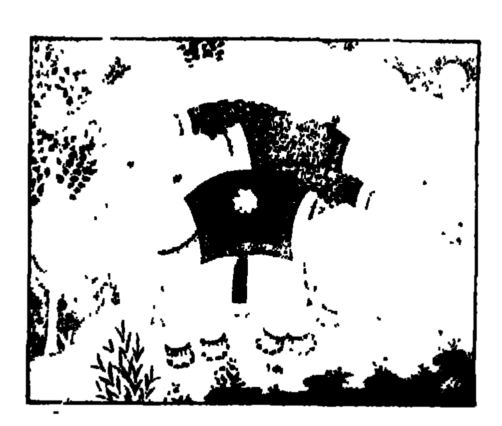
المحرر


نقص الحياة مع القلب الاصطناعي


نهر صناعي في ليبيا


د زكي نجيب محمود

محتويات العدد



مند ان عرف الانسان النطق وحروف الكتابة لجأ الى الرمز والتورية فمادا عن الرمز بالحيوان في أدبنا العربي ؟ (إقرأ ص ٢٨)

استطلاعات وتحقيقات

أبواب العربي

العدد ٣١٦ - مارس ١٩٨٥



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

التلوث . الدواء الفاسد . الغذاء المسموم:

عصبة متآخية تهدّد البشريّة بالفناء !

□ كوكبنا في خطر ، البشريّة في خطر ، أنت في خطر!

□ أولادنا المشوهون نتاج تلوث البيئة والجهل.

□ دخان المصانع من أكبر أعداء الانسان في المدن الكبيرة

كان ينتظر مولد طفله الأول وراح يترقب لحظة ولادته كما يفعل ملايين الآباء برجاء وأمل ، وجاء الطفل أخيرا وجاء معه الخبر الصاعقة : ان طفلك - ان قدرت له الحياة - سيعيش مشوها بلا رجلين وبيد واحدة !

كيف يستقبل أي انسان سويّ خبراً مثل هذا ؟ لاشك أنه يحتاج الى كل الصبر والشجاعة حتى يبقى سويا متوازنا ، ولكنه عندما يفكر لحظة في ذاك الطفل وماذا سيجد أمامه في الحياة يتمنى لو أنه لم يأت الى هذه الدنيا !

مثل هذه الحالة لم تعد شيئا نادرا ، بل أصبحت تتكرر - خاصة في بلاد العالم الثالث - والسبب هو الانتاج الانساني التقني في أكثر مظاهره انسانية : الدواء !





فهناك أنواع من الأدوية تغرق أسواق العالم الثالث ، وهي إما ممنوعة بتاتا ، أو غير مسموح بتداولها في العالم الصناعي المتقدم . والقصة جزء صغير من قصة أكبر وأوسع عنوانها العريض « التلوث قضية العصر وقضية القضايا » .

فالتلوث بأشكاله المتعددة يغير من شكل الأجنة في بطون الأمهات ، ويصيب الملايين بالأمراض المختلفة ، ويقتل الآلاف ، ويسمم المآكل والمشرب ، بل يغير الطقس ومواعيد بداية الفصول وينشر الفيروسات . . الى آخر المصائب والنكبات التي ابتليت بها الانسانية في هذا العصر .

وكلما ازداد تخلف الشعوب وعدم وعيها بهذه القضية المتشابكة « قضية التلوث » تفاقم أثرها على صحة الانسان وبقائه .

صحيح أن العلم الحديث ، والتقنية المصاحبة له ، قد أسهم اسهاما لا ينكر في تقدم الانسان ، وتوفير وسائل الراحة والوقاية له من الأمراض ، مما دفع الكثير من الناس الى الاعتقاد بأن توفير حياة أفضل للبشر هي في الأخذ بمزيد من التقنية . ولكن يجب أن لا يغيب عن البال أن تطور العلوم والتقنية ليس كله بردا وسلاما على البشرية ، فهو في الوقت ذاته « ذو مفعول هدام ـ خاصة اذا لم يتوفر معه وعي مصاحب يعرف حدوده ومضاره ـ فأثر التقدم التقني الهدام هو تخريب البيئة محدثا فيها انتكاسات تنعكس آثارها على صحة الناس . وتظهر هذه الانتكاسات بوضوح في العالم الثالث . . العالم الفقير الذي يريد أن يلحق بالعالم المتقدم .

لقد تنبه العالم الصناعي منذ عقدين أو أكثر إلى الآثار المدمرة التي يسببها التوسع في التصنيع الذي أدى الى تلوث البحيرات والأنهار والجداول ، فانطلقت صيحات كثيرة ومتعددة في هذه الأمم وخارجها تقول ان كوكبنا في خطر ، والبشرية في خطر ان استمر انتهاك البيئة الطبيعية ، والاخلال بتوازنها على هذه الصورة . بل الأمر اكثر من ذلك ، فقد ظهرت احزاب سياسية وغير سياسية في الوقت نفسه تطالب بانقاذ البيئة ـ كحزب الخضر ـ في ألمانيا الغربية .



☐ وفي سعيها الدائب للنمو والتنمية وجدت مجموعة من أقطار العالم الثالث نفسها في سباق لتطوير امكانياتها الاقتصادية ، وأصبحت التنمية مقصدها وغايتها مهما كان الثمن ، متغافلة أو متخطية أخطار التلوث البيئي ، البري والبحري والهوائي والغذائي . . . الخ ، فدفعت ـ ومازالت تدفع ـ ثمنا غاليا من مواردها الأساسية وخاصة الانسان .

وقد زينت لها بعض الشركات متعددة الجنسية ـ التي لها مصالح مباشرة في اتباع هذا الطريق الخطر ـ طريق استهلاك المنتجات التي تصدرها هذه الشركات دون روية ، منها شركات السجائر والأدوية ، والأغذية المعلبة ، وشركات تصنيع وتصدير المبيدات الحشرية . . . هذه الشركات

التي تمارس هذا النوع من الأعمال في بلدانها تحت رقابة صحية وقانونية شديدة ، تجد في العالم الثالث مجالا واسعا لتسويق منتجاتها بحد أدنى من الرقابة ، وهذا الأمر يؤثر في النهاية على توازن البيئة وصحة الانسان .

لقد مثلت البيئة ومشكلاتها قضية هامة في العقدين الماضيين في الدول الصناعية المتقدمة.ومازلنا نحن في العالم الثالث لم نتنبه بما فيه الكفاية لهذه القضية ذات التأثير الحاسم على صحة ومستقبل الانسان . ومشكلات البيئة بمعناها الشامل هي مجموعة الظروف الناتجة عن تأثير عوامل سلبية المفعول في النظام البيئي ، مما يؤدي الى تردي نوعية هذا النظام وإضراره بأشكال الحياة المختلفة . وتختلف مشكلات البيئة في نوعها وعمقها من بيئة الى أخرى حسب الموقع الجغرافي والمستوى الحضاري للسكان ، وهي بعد هذا تنحصر في مجموعتين من العوامل : العوامل الطبيعية ، والعوامل البشرية .

واذا كانت الأولى خارج قدرة الانسان على التحكم فيها بشكل مباشر ، فإن الثانية هي تحت سيطرة الانسان ، وعلى درجة وعيه وآهتمامه تتوقف درجة التحكم في مدخلاتها . والعوامل الأخيرة (البشرية) غالبا ما تكون احدى النتائج الجانبية لما يمارسه الانسان لسد حاجاته .

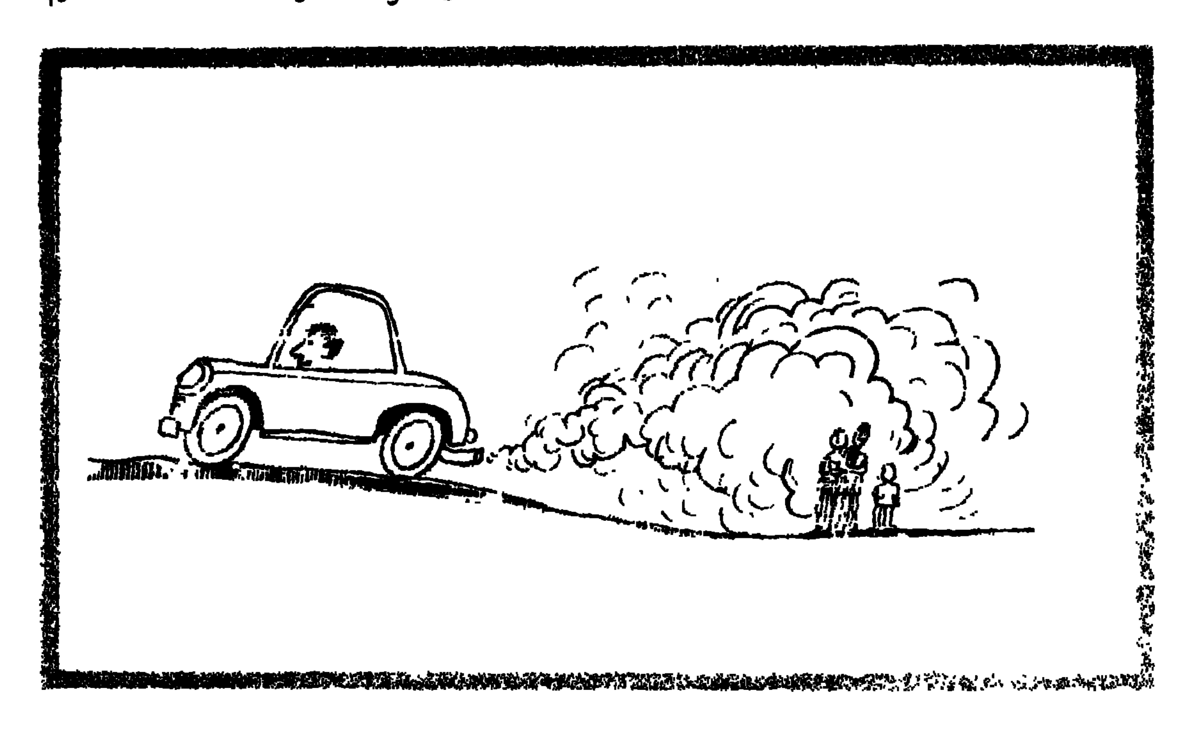
لذلك فان مشكلات التلوث في العالم الثالث مرتبطة ارتباطا عضويا بطموحات النمو الذي اجتاح هذا العالم الفقير والمتخلف ، وهي ذات اتجاهين : الأول اتجاه استنزاف ثرواته الطبيعية والمعدنية بصورة سريعة دون إيجاد بديل لهذه الثروات أو احلال غيرها مكانها ، والاتجاه الثاني في محاولة مواكبة الدول الصناعية واستخدام منتجاتها الصناعية كطريق للنمو . فاستوردت المصانع الملوثة للبيئة التي حرمت اقامتها لهذه الأسباب في بلدانها ، وكذلك مصانع المبيدات الحشرية شديدة السمِّية المستخدمة في رش المزروعات الى جانب مصانع الأدوية والأغذية المعلبة أو محال بيع الغذاء سريع التلف وحليب الأطفال !

هذا الاستيراد العشوائي قد تسبب في كوارث بيئية ذهب ضحيتها آلاف البشر ومازالت القائمة ممتدة .

واذا كانت الأمثلة كثيرة ، فاننا هنا سنكتفي بذكر بعضها للتدليل على حجم المشكلة .



☐ لابد من التأكيد هنا أن صناعة الدواء قد تطورت في السنوات الأخيرة تطورا يمكن ان يوصف بأنه ثوري ، ولا يمر يوم الا ونسمع أو نقرأ عن دواء جديد يعالج مرضا مستعصيا ، هذه ناحية ، أما الناحية الأخرى فهي أن بعض هذه الأدوية لها رد فعل سيء وربما قاتل ، حتى ان النتيجة الأخيرة ـ وأعني بها الوفاة ـ قد تبدو على هولها أهون بكثير من بعض النتائج ، ففي سعي الانسان لتطوير الدواء ـ ونتيجة للتسابق المحموم بين شركات الأدوية ـ نجد أن بعض تلك الأدوية كان لها رد فعل عكسي .



ولعل قصة أطفال الثاليدومايد التي عرفت في اوروبا في منتصف الستينيات خير شاهد لنا ـ من جملة شواهد كثيرة ـ على ما نذهب اليه .

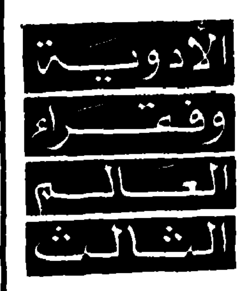
فقد كان الثاليدومايد هو دواء أنتجته احدى شركات الأدوية المتعددة الجنسية كي تتعاطاه الأمهات في الشهور الأولى من الحمل لتخفيف أعراض الحمل ، وانتشر هذا الدواء بين نساء الطبقة الوسطى والعاملات في أوروبا (بريطانيا وألمانيا على وجه التحديد) ولكن الذي حصل أن هؤلاء النساء جئن بأطفال مشوهين الى هذا العالم . . . أطفال ناقصي الأيدي ، أو الأذرع ، أو الأرجل وربما اكثر ، أسموهم بعد ذلك « بأطفال الثاليدومايد » وبعد أن تبين للمجتمع حجم الكارثة التي ألمت بجزء من أفراده دخلت المؤسسات الصحفية والديموقراطية معركة ضد الشركة المنتجة وحُرِم الدواء قانونا ، وكذلك دفعت تلك الشركة ـ بعد معركة طويلة ـ تعويضات للأسر التي نكبت في ابنائها .

ورغم هذه المعركة الطويلة والتاسية نجد أن بعض شركات الدواء مازالت غير مكترثة بما تأتي به أدويتها من نتائج جانبية وكادت كارثة الثاليدومايد تتكرر في أوائل الثمانينيات ، عندما رفعت أم بريطانية دعوى ضد احدى شركات الأدوية الأمريكية التي تنتج نوعا من أنواع الأدوية المضادة للوحم (الغثيان في أول الحمل) الذي يسمى في الولايات المتحدة « بندكتين » وفي بريطانيا تحت اسم تجاري « دبين دوكس » الذي نتج عنه ميلاد طفل مشوه (له يد تشبه الجناح وصدر يشبه الكهف) وقد تبين أن هذا التشوه قد ظهر في عدد من الأطفال استخدمت أمهاتهم الدواء نفسه .

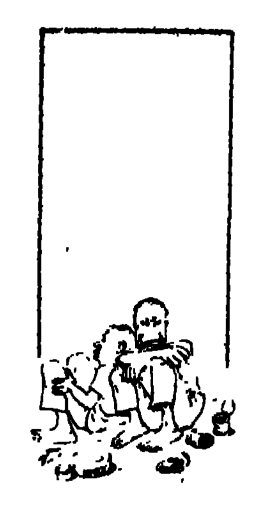
واذا كانت المجلات الطبية في الغرب الصناعي وكذلك النظام القانوني والوعي العام لدى المستهلكين للأدوية بصورة أوسع تستطيع أن تتابع مثل هذه الأمور وتضغط من أجل ايقاف بيع بعض الأدوية او سحبها من السوق فإن العالم الثالث شبه مفتوح بلا أبواب لمثل هذا النوع من المشكلات الانسانية دون أن يرفع احد صوته محذرا . . وغالبا ما يتقبل الآباء والأمهات مصير ابنائهم بصمت !

صحيح أن سكان العالم الثالث الذين يشكلون حوالي ثلاثة ارباع سكان المعمورة لا يستهلكون اكثر من ٢٠٪ من انتاج السوق العالمي للأدوية ، التي تقدر بعض المصادر قيمتها بما لا يزيد عن ٨٠ مليون دولار فقط ، ولكن تبقى بعد هذا النية والهدف الانساني من وراء انتاج الدواء . . ولا أعرف ، ولا يعرف التاريخ ان مريضا تناول دواء بغية الشفاء من علته ، فاذا به ينقلب سمّا زعافا يعجل بنهايته . . . لا لأنه أخطأ الدواء ولكن لأن الدواء نفسه يحمل معه الموت !

ان الدول الصناعية المتقدمة لا تهتم بتوفير الأموال للبحوث المعمقة للأمراض التي تصيب سكان العالم الثالث ، وهي بطبيعتها مختلفة عن الأمراض الشائعة في بلادها ، كما أن دول العالم الثالث ليس لها خيار في شراء معظم الأدوية التي تستوردها من العالم الصناعي ، وتتحكم حوالي مائة شركة غربية متعددة الجنسية في تجارة الأدوية الدولية ، ثم أن هذه الدول تستورد كل المركبات الكيمياوية لتصنيع الأدوية من تلك الشركات محليا ، هذا الاعتماد في شراء الأدوية الجاهزة أو المركبات الكيماوية قد يكون مناسبا لو أن شركات الأدوية تلك تقدم خدمات جيدة لهذه الدول وسكانها ، ولكنها للأسف لا تفعل !



☐ ديانا ميلروز سيدة اخذت على نفسها مهمة متابعة قضية الأدوية وعلاقتها بالعالم الثالث ، ونشرت كتابا عنوانه (الأدوية وفقراء العالم الثالث) أثبتت فيه أن شركات الأدوية العالمية لا تهتم بشكل عام ـ من حيث البحوث الطبية المتخصصة ـ بالأمراض الشائعة في العالم الثالث . من بعض ما تقوله المؤلفة : « ان ملايين الناس في العالم الثالث يموتون مع فقرهم من امراض يمكن حمايتهم منها او علاجها بالأساليب الطبية الحديثة » ، ولكن الكاتبة تقول : « ان المشكلات الهيكلية في صناعة الدواء العالمية تعوق هذا التوجه ، حيث ان هذه الصناعة تصطدم بقضيتين اساسيتين : الأولى شره الشركات المنتجة للأدوية المتعددة الجنسية لتصدير إنتاجها والترويج له ، والثانية جهل مطبق وتقاعس من قبل كثير من دول العالم الثالث . وماذكر أخيرا من ان ثلاثة مزارعين من الفلبين فتحوا على بعضهم خراطيم بعض الكيماويات الزراعية على سبيل المزاح ومات ثلاثتهم في الحال نتيجة سخف



مزاحهم الثقيل . يقدم لنا صورة عن مدى ما يعيش فيه سكان العالم الثالث من جهل !

كما حدث في احدى مقاطعات البرازيل في نهاية العام عندما نقلت شاحنة نوعا من مبيدات الحشرات السامة جنبا الى جنب مع أكياس من الطحين وعندما أصبح الطحين خبزا وأكلوه أصيب أربعمائة شخص بتسمم كيميائي شديد من جراء ذلك .

وسوق الدواء التي تتوجه لخدمة القلة الغنية في الدول الصناعية تتجاهل تماما متطلبات الأكثرية في العالم الثالث لأنه ليس لديهم القوة الشرائية !

ومشكلات الدواء للعالم الثالث لا تقف عند ذاك الحد - كما قلت - فنقص الرقابة أو انعدامها على الدواء يجعل من اسواق العالم الثالث مرتعا للأدوية التي فات أوانها أو الأدوية غير المحفوظة حفظا جيدا او غير واضحة فيما يتصل بالتعليمات الخاصة بتعاطيها ، كما حدث في جمهورية بيرو أخيرا ، وتناقلته الصحف العالمية عندما وُجد أن نوعا من الأدوية التي يعالج بها مرض نادر في العظام تباع كدواء فاتح للشهية عند الأطفال !!

ونحن في العالم الثالث لا نستطيع ان نعرف على وجه اليقين مضاعفات دواء ما حتى تظهر بعض التحذيرات منه في الغرب ، وهو - مع هذا - لا يُمنع في أغلب البلدان الا بعد معرفة خطورته بسنوات قد تمتد الى عقد أو عقدين من الزمان ، وقصة الأدوية قاتلة الألم « الفينال بيوتوزون » (الأوكسي فن بيوتوزون) PHENYL BUTAZONE OR OXYPHENBUTAZONE التي قيل انها تستخدم للتخفيف من آلام مرض المفاصل والتي سببت آلاف الوفيات في الغرب وأدت الى نتائج جانبية مرضية حادة منها اضطراب الدورة الدموية لدى الكثير من الذين استخدموها ، مازالت تثير الفزع .

لقد سحبت هذه الأدوية من الأسواق الغربية ، ولكنها لا تزال تستخدم في بعض أسواق العالم الثالث . أليس هذا دليلا واضحا على ضعف الرقابة على الأدوية من جهة ، والموقف المزدوج الذي تقفه شركات الأدوية المتعددة الجنسية تجاه المستهلكين في العالم الصناعي ودول العالم الثالث من جهة أخرى .

وبناء على دراسة لمعهد التنمية في جنيف ، هناك ٨٧ مرضا من الأمراض المنتشرة غالبا في الدول الفقيرة ، كما أن هناك تطعيما ناجحا ضد عشرة من هذه الأمراض ، وهناك علاج ناجح لحوالي ٣٢ منها ، ومما تبقى هناك ٢٣ مرضا تعالج جزئيا ولكن نتائج العلاج غير نهائية ، وأل ٣٢ مرضا الأخيرة لا علاج لها على الاطلاق !

ويقول لنا التقرير ان ٣٪ فقط من اموال البحوث البيولوجية التي

تصرفها شركات الأدوية المتعددة الجنسية توجه الى اكتشاف علاج للأمراض المتوطنة في العالم الثالث .

فوق ذلك كله يأخذ الجهل حصته في الاضرار بانسان العالم الثالث ، فنحن نجد في هذا القطاع ـ الدواء وتناوله ـ الكثير من الناس الذين يتطوعون بوصف نوع من الدواء لصديق أو قريب ، بدافع من تجربته له ، فقد وجد فيه ـ كما يعتقد ـ الشفاء ، وهو يصفه لهذا المريض دون دراية أو روية ، وقد تكون اعراض المرض متشابهة ولكنه غير مطابق لما كان يشكو منه.

كما ان البعض يخزن الأدوية وكأنها يمكن ان تبقى الى الأبد سليمة وفعالة ، وقد يلجأ آخرون لتناول دواءين احدهما ضد الآخر في الوقت نفسه ، كل ذلك يسببه الجهل ، وهو الذي يقود في النهاية الى خسران الصحة وتعطل الانتاج وربما الوفاة او الأخطر من ذلك . . التشوه .

البيئة المبتكرة والكيماويات القاتلة

☐ هل هي مفارقة مضحكة ان تكون أهم مسببات الأمراض في العالم الثالث في الأعم الأغلب سببها التلوث الفيروسي والطفيليات والبكتيريا ، وأن اسباب التوعك وضعف الصحة هي المياه الملوثة وسوء التغذية وهي مفارقة مضحكة مبكية لأن اسباب ضعف الصحة وانتشار الأمراض هذه دفع دول العالم الثالث الى التفكير في سد النقص من الطعام عن طريق اتباع اساليب جديدة هي استخدام مواد كيماوية مركبة مثل الأسمدة الصناعية ومبيدات الآفات الكيماوية ، للمحافظة على معدلات الانتاج الغذائي المتزايد وقتل الحشرات والأعشاب الضارة والفطريات . . هذه المنتجات الصناعية المركبة التي ابتدعها الانسان لخدمته في اطار ما عرف بعد ذلك (بالبيئة المبتكرة) أي استحداث بيئة جديدة خالية من الشوائب من اجل انتاج محاصيل زراعية وفيرة تغذي انسان العالم الثالث الذي يشكل نقص غذائه احد أسباب وقوعه فريسة المرض .

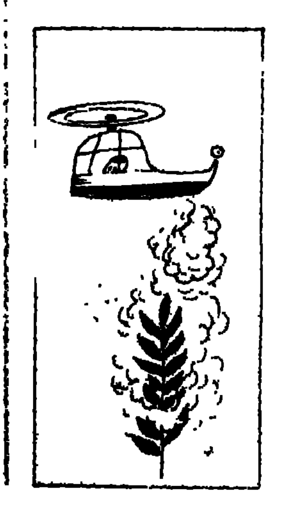
هذه البيئة المبتكرة قد اعطت الانسان نتائج لا يمكن الاستهانة بها . خاصة في توفير محاصيل زراعية كثيرة وكذلك جديدة ، غير انه سرعان ما ثبت قصورها بل خطورتها على هذه البيئة نفسها ، فهذه المنتجات الكيماوية ـ رغم فائدتها من جانب ـ وجد أنها ضارة من جانب آخر . فهي دخيلة على النظم البيئية المستقرة ، فقد اتضح ان هذه المضادات الكيماوية غير قابلة « للتدرك » بيولوجيا ، وبناء عليه فقد تراكمت في الطبيعة على شكل فضلات لتصبح سببا في تلوث البيئة .

لقد ثبت أن هذه الكيماويات وما تلفظه من سموم وملوثات في الماء ، تؤثر على صحة الانسان في المدى الطويل ، كما ثبت انها تضعف من اخصاب التربة لأنها ببساطة قضت ـ من جملة ما قضت عليه ـ على بكتيريا الخصوبة في التربة .

وعندما تنبه العالم المتقدم لخطورة هذه المركبات والمبيدات ووضع القوانين الصارمة للحد منها او منع استخدامها لم نجد في العالم الثالث صوتا يرتفع محذرا منها . بل على العكس ازداد تصدير هذه الكيماويات لبلدان العالم الثالث تحت شعار التنمية وتطوير الانتاجية الزراعية .

وتقول لنا التقارير العالمية بأن هناك حوالي ٥٠٠ الف من البشر في العالم الثالث يصابون بالتسمم من هذه المواد الكيماوية كل عام ، عشرة آلاف منهم على الأقل اصاباتهم مميتة . كما ان مبيعات هذه المواد للعالم الثالث قد ارتفع إلى رقم فلكي منذ بداية السبعينيات حتى بداية الثمانينيات ، وتجمع التقارير على ان تصدير المبيدات الكيماوية من الدول الصناعية الى العالم الثالث في امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا قد ارتفع في تلك الفترة من ٤ بلايين دولار الى ٢٦ بليون دولار ! وحيث ان الاحتياطات القانونية والعلمية ضعيفة او معدومة في معظم هذه الدول ، نجد أن هذه الصناعة تدر ارباحا ضخمة على منتجيها وتعتبر المانيا الاتحادية والولايات المتحدة أكبر دولتين مصدرتين لهذه المواد الكيماوية ، فتصدر الأولى حوالي ٩٠٪ من انتاجها (البالغ ١٦٠ الف طن سنويا) بينما تصدر الولايات المتحدة ٤٠٪ من هذا الناتج . ولقد كانت هناك محاولة لتقنين تصدير هذا النوع من المنتجات من الولايات المتحدة الى الخارج الا ان الإدارة الأمريكية رفضتها سنة ١٩٨١ ، وحيث ان البلدان الصناعية مثل الولايات المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا واليابان تضع قوانين صارمة لاستخدام وتوزيع مثل هذه المبيدات في اراضيها ، الا أنها لا تتحفظ في التصدير ، ولا يمكن لكثير من الدول النامية في العالم الثالث متابعة انواع الكيماويات وتحديد خطورتها وخاصة اذا علمنا ، ان الاكاديمية القومية الأمريكية للعلوم تقول ان هناك ٧,٧٥ مليون نوع من الكيماويات منتجة في العالم ، وان ما بين ٥٠٠ الى الف نوع جديد يصل الى السوق كل عام !

ويوميا ايضا يكشف العلماء في العالم الصناعي عن اخطار جديدة على الانسان والبيئة تسببها كيماويات مستخدمة منذ زمن ، او أخرى حديثة العهد ، وذلك اما بسبب تقدم العلم والبحوث ، او لأن نتائجها على الانسان وبيئته لا تظهر الا بعد زمن كما في حالة المركب الكيماوي المعروف د . د . ت . لقد مُنع استخدام هذا المركب الكيماوي في الولايات المتحدة ومعظم دول أوروبا بسبب تأثيره الأكيد السلبي على البيئة والانسان ولكنه لايزال يستخدم بتوسع في بعض دول العالم الثالث لمكافحة بعوض الملاريا او الحشرات الضارة .



لقد منعت الولايات المتحدة مثلا استيراد المنتجات الزراعية من دول البحر الكاريبي خاصة الفواكه الحمضية والباباي التي تم تبخيرها بالخليط

الكيماوي المعروف (بروmايد الاثيلين) الذي يعتقد انه يسبب بعض انواع السرطان . الا ان هذه المواد الغذائية تنتج وتستهلك في بلدانها وبلدان العالم الثالث دون أية عقبات .

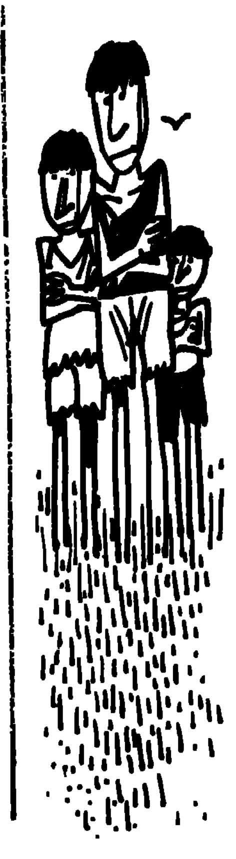
ولعل اغراق العالم الثالث بهذه المواد الكيماوية شديدة السمّية من قبل الشركات العالمية المتعددة الجنسية ـ يشبه في أوجه منه اغراقها بالأدوية ، فرغم ثبوت مساهمة هذه المواد الكيماوية في التلوث الكيمائي الا ان المعلومات الدقيقة عن حجم هذه المخاطر مازالت محتكرة من قبل الشركات المنتجة نفسها او دولها .

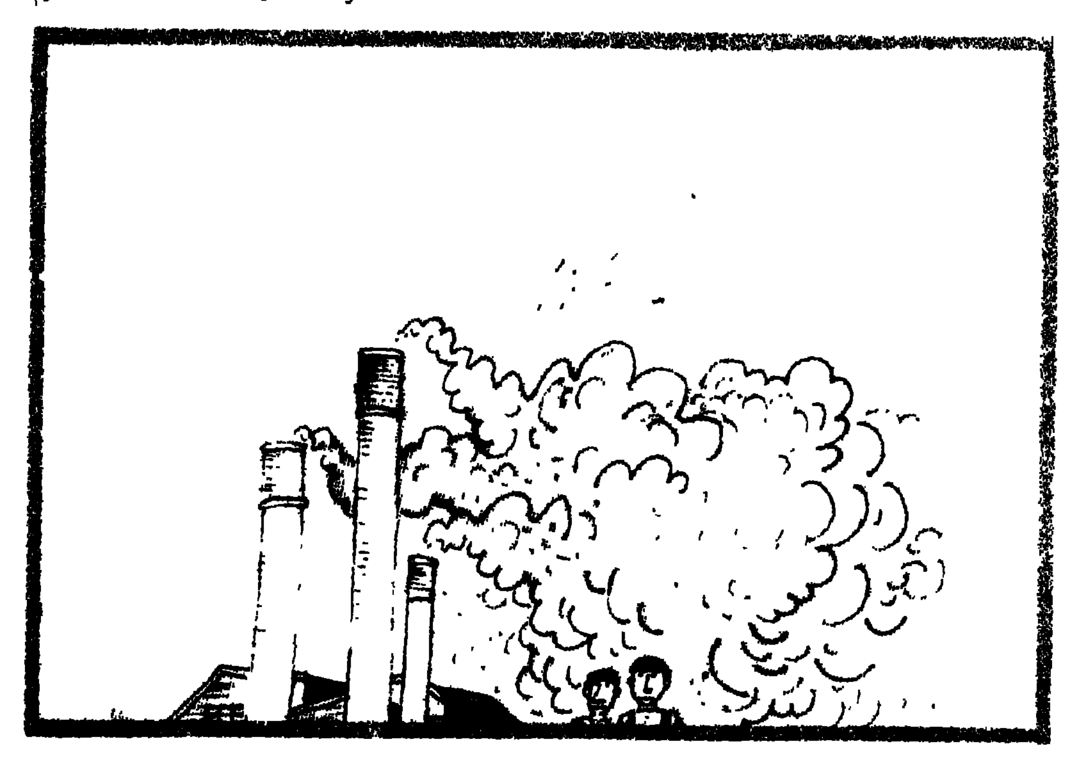
* * * *

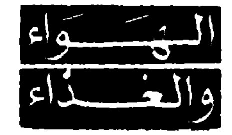
ولعل أسوأ كارثة صناعية في التاريخ هي تلك التي وقعت في مدينة بوبال الهندية في نهاية العام الماضي وذهب ضحيتها ألفان وخمسمائة إنسان الى جانب الذين أصيبوا بتشوهات وهؤلاء يزيدون على مائة ألف انسان آخر مهددين بالعمى والعقم والاصابة في الكلى والكبد والمخ . وهي دليل صارخ على ما تعانيه دول العالم الثالث من اهمال . فمصنع المبيدات ذاك الذي تسرب منه الغاز القاتل له اشباه في عدة مدن غربية وهي أطول منه عمرا ولكن لم يحدث فيها ما حدث في بوبال . ولعل هذه الكارثة تعيد طرح السؤال الذي مفاده : « هل العالم المتقدم يصدر الصناعات الملوثة الى العالم الثالث دون ان ترف له عين ؟»

ولعل مأساة بوبال أيضا تعيد لنا من جديد الأصوات المعزولة التي تطالب في العالم الثالث بالتنبه لهذه الأخطار البيئية كما فعل أحد المسئولين في البرلمان المحلي واسمه « ماهندرا كارما » فقد حذر من القنبلة الزمنية منذ سنة ١٩٨١ ولكن صيحاته ذهبت ادراج الرياح !

كثيرة هي المحاولات التي بذلت على نطاق دولي واقليمي لوضع هذا الخطر (المبيدات الكيماوية) تحت الرقابة المعقولة ، ولقد نشرت على سبيل المثال اللجنة العالمية لاتحاد المستهلكين من مركزها الرئيسي في هولندا والفرعي في ماليزيا كتابا تحت عنوان (المبيدات الكيماوية : طرق التصرف) . فيه معلومات هامة تشير الى خطورة بعض المواد الكيماوية وطريقة استعمالها وتخزينها ، كما أن الأمم المتحدة من خلال لجنتها لحماية البيئة ومقرها في جنيف ، وضعت سجلاً عالمياً لتسجيل الكيماويات الضارة . وفي منتصف العام الماضي عقد اجتماع دولي في هولندا كانت من أهم توصياته ، وضع نظام دولي لتبادل المعلومات وتحديد ضوابط لتصدير واستيراد المواد الكيماوية الضارة ، الا أن هذه الجهود مازالت في بداياتها .







□ مسلسل التلوث لا يقف عند حد ، فالهواء أيضا يتعرض بصورة شديدة للتلوث ، ويشكل الغاز الناتج من دخان المصانع ومن عوادم السيارات نسبة كبيرة من هذا التلوث ولعل الأخير الذي يخرج من عوادم السيارات يعد من العوامل سيئة التأثير على الصحة العامة ولا توجد مدينة في وقتنا الحالي لاتعاني من هذا التلوث الجوي . وتلوث الهواء لا تظهر نتائجه بسرعة وبشكل تراكمي ، فإذا ظهرت آثاره ، جاءت حادة ومسببة للأمراض ، ولقد سبب تلوث الهواء كوارث صحية حقيقية في هذا القرن من بينها ما حدث في بلجيكا في عام ١٩٣٠ عندما تسبب « الضبخان » (الدخان والضباب) SMOG في وفاة ستين شخصا في ديسمبر من ذلك العام الى جانب اصابة عدد كبير بالأمراض نتيجة لتركيز ثاني اكسيد الكبريت في الهواء بقرب مدينة سبرنج . والكارثة الثانية وقعت في ولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة في خريف ١٩٤٨ . أما كارثة لندن في ديسمبر ١٩٥٢ فأصبحت من العلامات المميزة في تاريخ حوادث « الضبخان » حيث قتل عدد ضخم من الناس من ٥ ـ ٩ ديسمبر من ذاك العام نتيجة فساد الهواء . وفي نيويورك في سنة ١٩٦٣ تكررت الظاهرة نفسها . هذه الكوارث وما شابهها دفعت الدول الصناعية الى سن القوانين الرادعة للحد من التلوث . كما أن السلطات المسئولة في بعض المدن تقيس بشكل دوري نسبة المواد الضارة المتسربة من عوادم السيارات في الهواء .

واذا كان الدخان الملوث في اجواء أي مدينة هو دخان مفروض على الانسان الا أن « الدخان » الذي تروجه شركات الدخان متعددة الجنسية يجد ايضا مجاله في العالم الثالث ، ومع تناقص المبيعات في العالم الصناعي المتقدم نتيجة لزيادة الوعي والدعاية المضادة للتدخين ، نجد أن الاحصائيات تقول لنا ان شركات الدخان تنظر الى أسواقها الآخذة في التوسع في العالم الثالث نظرة تفاؤل .

تقول الأرقام ان اثني عشر مليون سيجارة صدرت من بريطانيا وحدها الى الشرق الأوسط فقط عام ١٩٧٩ ، وان ٧٠٠ سيجارة يستهلكها الفرد الواحد في الصين التي يزيد تعداد سكانها على بليون نسمة !

ولا تخضع الاعلانات عن منتجات الدخان للمنع في التلفزيون والصحف في كثير من دول العالم الثالث ، كما لا تظهر تحذيرات صحية على العلب المبيعة في بعض هذه الأقطار ، والأنكي من ذلك أن شركات السجائر المتعددة الجنسية تصدر السجائر التي تحتوي على قطران ونيكوتين اكثر لاشباع (مزاج) المدخن ، والهدف هو جعل الادمان على السجائر اكبر وأعمق في العالم الثالث ، ويقول لنا احد تقارير منظمة الصحة العالمية ان التدخين سوف يصبح من المشكلات الصحية المستقبلية الرئيسية في هذا العالم .

وفي الوقت الذي تقول لنا التقارير المنشورة عن الغذاء ومستواه ان الوجبات الغربية قاتلة (جريدة التايمز ١٢ يونيو ١٩٨٤) نشاهد مطاعم الوجبات السريعة تنتشر في بلداننا ، وفي الغرب حيث تقول لنا الدراسات ان نوعية الطعام الذي يتناوله الانسان هو أحد مسببات السرطان وانه قد يكون اكبر اثرا من التدخين نفسه نجد أن اعلانات المأكولات الغربية والمأكولات المعلبة واللحوم المثلجة ، مازالت هي السائدة في معظم بلدان العالم الثالث . وسلسلة التلوث لا تبدأ ولا تنتهي بالطعام ، فاللحوم من خراف ودجاج وغيرها يتناولها الكثيرون في العالم الثالث ومعظمها مستورد فيما يسمى اليوم « صناعة الغذاء » ، لا يعرف أحد نوع الاعلاف التي تم تسمينها بها .

بعض التقارير التي تقول بأن هذه الحيوانات تطعم من مواد كيماوية وهرمونات HORMONES لزيادة تسمينها ، وبالتالي تسبب لمن يأكلها المرض هي أحد المحاذير . اما المحذور الثاني فهو في الأسماك التي صار تلوثها بالمخلفات الصناعية والكيماوية في كثير من سواحل العالم وقد ثبت وجود ارتباط بين هذه الملوثات التي تتراكم في الأحياء البحرية خاصة بعد انتشار انواع من المرض عند الانسان ، يصاحب ذلك نقص شديد في المتابعة من قبل سلطات العالم الثالث .

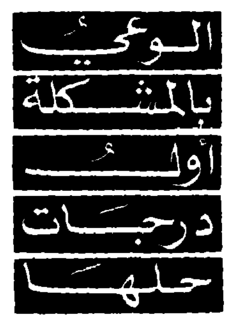




الـزبـدة الصنـاعيـة (المـارجـرين) والحليب المجفف والحلوى الصناعية . . الخ اصبحت لدى معظم سكان العالم الثالث منتجات حضارية رغم مضارها الكبيرة على صحة الانسان .

والتقارير حول مضار الغذاء الغربي لا تظهر في الغرب بسهولة حتى لا تؤثر في مصالح شركات صناعة الغذاء التي أصبحت ـ نتيجة لتعقد المجتمع الغربي ـ تكسب الملايين من تصدير الأغذية الجاهزة أو شبه الجاهزة

واذا كانت مشكلة المشاكل في الغرب هي تصادم الثروة والصحة -WEALTH & HEALTH- فان المشكلة في العالم الثالث هي تصادم الفقر والجهل ، فهناك فقر مادي وجهل بأفضل الامكانات الصحية المتاحة ، فالحاجة الى غذاء صحي ورخيص يحتاج الى علم وتوجيه ايضا .



☐ واذن فمشكلة البيئة والتلوث وما يتفرع منها ، هي مشكلة عالمية تزداد تفاقما في العالم الثالث حيث ان الدلائل في وجود وعي بها عند شعوب العالم الثالث او حتى عند بعض المسئولين ضعيفة جدا ، فالعديد من هذه الدول مشغولة في تنمية مصادرها الطبيعية لتلبية حاجات سكانها الملحة والمتزايدة دون النظر بجد الى مستقبل البيئة ، ويبدو أن الكلفة الاقتصادية والاجتماعية من هذه النظرة الأحادية تفوق الفوائد المتحصلة ، وهي في طريقها الى التفاقم . فالبلاد النامية تستخدم اليوم حوالي ٢٠٪ من انتاج العالم من المبيدات الكيماوية في برامجها الانمائية المختلفة ، وما يثير القلق ان هذه الواردات تتصاعد بمعدل سنوي مقداره ١٥٪ بين سنوات ١٩٤٧ ـ ١٩٨٠ ولكن دون حد أدنى من قواعد السلامة ، وكثيرا ما يقود الاستخدام غير السليم من جانب عمال غير مدربين أو الاهمال في التخزين الى عواقب وخيمة .

ان علاقة الانسان بالبيئة علاقة سلوكية ، ولابد أن نعترف أن السلوك الشائع للانسان مع الطبيعة ظهر انه يحمل كثيرا من جهل الانسان لذاته من جهة ، ولمكانه من الطبيعة من جهة أخرى .

كما أن سلوك الانسان في الدول الصناعية المتقدمة تجاه اخيه الانسان في الدول النامية سلوك تمليه المصلحة والانانية ، قُتل من أجله الآلاف ومازالوا يقتلون ويشوهون ، لا لسبب الا لحاجتهم الشديدة لبناء حياة كريمة على ارضهم التي احتواها العوز والجهل والفقر

وعندما يتحدث الآخرون عن التقدم الدولي فلابد ان نقدم مفهوما جديدا آخر هو نظام عالمي جديد لحماية البيئة . والبشرية اليوم أحوج ما تكون لهذا النظام .

محمد الرميحي



بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

منذ أشهر قليلة عقدت في القاهرة ندوة كان موضوعها الأساسي هو « الأصالة والمعاصرة » .

وقبلها عقدت ندوات ناقشت نفس الموضوع في عواصم عربية أخرى . . . ربما يعود تاريخها الى بداية هذا القرن .

الدكتور فؤاد زكريا يجتهد في هذا الموضوع ويدلي بدلوه ، ويعيد ترتيب هذا الأمر من جديد فلسفيا . فما هو تصور الدكتور زكريا ؟

كان إشكال «الأصالة والمعاصرة » مطروحا في حياتنا الثقافية ، منذ أن أصابتنا تلك الصدمة الحضارية التي تولدت عن احتكاكنا المباشر بالعرب في أوائل القرن التاسع عشر . لقد كان العرب قبل ذلك مجموعة من المجتمعات شبه المغلقة ، التي لم يكن الغرب يتصل بها إلا عن طريق أفراد مغامرين ، يدفعهم حب الاستطلاع الى المجازفة بدخول هذه الارض المجهولة المشوقة المليئة بالغرائب ، أرض السحر والحريم وألف ليلة وليلة ، فيقيمون فيها فترة قد تطول أو تقصر ، ثم يعودون الى بلدهم ليسجلوا مشاهداتهم في كتابات تحمل طابع الدهشة ، أو الاستعلاء ، أو المبالغة ، وتستهدف إبهار القارىء في بلادهم أكثر مما تستهدف الوصف الأمين لما هو موجود في بلادنا .

مواجهة من نوع آخر

غير أن القرن التاسع عشر حمل معه مواجهة من نوع آخر،مواجهة حضارية شاملة ، كان لابد أن تحدث بعد أن جاءت أوروبا الى بلادنا حاملة معها كل نواتج نهضتها الحديثة : من علم نظري وثقافة عقلانية وأسلحة متفوقة ، وبهم شديد الى التوسع والسيطرة على أسواق العالم . ومنذ ذلك الحين ، أصبح الشغل الشاغل للعقل العربي هو التساؤل عما ينبغي أن يكون عليه موقفه من هذه المواجهة : هل يحتمي بتاريخه وتراثه الماضي ، ويتخذ منه درعا أو شرنقة تدفع عنه غوائل التيار الكاسح المتدفق من بلاد غربية متفوقة ، أم يساير التيار الجديد أملا في أن يكون له نصيب في ذلك التقدم المادي والمعنوي ،

الذي حقق للحضارة الاوروبية تفوقا ساحقا على سائر حضارات العالم القديم ؟

كانت المشكلة اذن مطروحة في صورتها العامة ، وفي الكثير من تفاصيلها منذ مايقرب من قرنين ، ولكن العبارات التي صيغت بها كانت تتباين من مرحلة تاريخية الى أخرى . غير أن المرء يكون واهما لو اعتقد أن نوع المفاهيم المستخدمة في طرح المشكلة لم يكن له تأثير على طريقة فهمنا للمشكلة نفسها ، ان المسألة كلها مجرد ألفاظ متباينة تعبر كلها عن جوهر واحد . فحقيقة الأمر هي أن الألفاظ التي نعبر بها عن المشكلة تؤثر الى حد كبير في بلورة تفكيرنا ازاءها ، وتحديد موقفنا منها .

وفي ضوء هذه الحقيقة ينبغي علينا أن نحلل آخر الصيغ التي تطرح من خلالها هذه الاشكالية ، وهي صيغة « الاصالة والمعاصرة » تلك الصيغة التي لا يزيد عمرها ، فيما أعتقد ، عن ثلاثين عاماً . فقد ألقت هذه الصيغة بظلالها ، دون شك ، على العقل العربي ، وعلى طريقة مناقشته للمشكلة بأسرها ، اذ كانت طريقة طرح الموضوع تتخذ عادة شكل الاختيار بين ثلاثة بدائل : أعني اختيار الأصالة ، أو المعاصرة ، أو محاولة التوفيق بينهما .

وهدفي من هذا المقال هو أن أعرض بعض الأفكار التي تثبت أن هذه الصيغة في طرح المشكلة مسئولة عن قدر كبير من التخبط الفكري الذي تتسم به معالجاتنا لهذا الموضوع ، بل ان هذه الصيغة لابد أن تؤدي الى استمرار المناقشات حول « الأصالة » والمعاصرة الى ما لانهاية ، دون ان يتقدم تحليلنا للمشكلة وفهمنا لأبعادها خطوة واحدة الى الأمام . وأخيرا فسوف أقترح بديلا عن هذه الصيغة، أتصور أنه يتلافى معظم جوانب النقص فيها .

البدائل الثلاثة

ان طرح قضية الأصالة والمعاصرة على شكل بدائل ثلاثة هي : التمسك بالأصالة ، أو السير في طريق المعاصرة ، أو القيام بمحاولة توفيقية للجمع بين الاثنين ، يثير اشكالات تزيد من تعقيد القضية ، وتجعل الوصول الى رأى حاسم فيها أمرا يكاد يكون مستحيلا .

فالبديل الأول ، أعني التمسك بالأصالة ، يفترض أن من الممكن أن نعيش في ظل « أصالتنا » وحدها ، مادام أصحاب هذا الرأي ليسوا ممن يسعون الى التوفيق بين « الأصالة والمعاصرة » . ومعنى الأصالة في نظر هؤلاء هو « العودة الى الأصل » أي أن المطلوب من المجتمع في ظل هذا البديل ، هو أن يعيش في ماضيه دون حاضره ، وأن يستلهم التاريخ ويبني حياته على أساسه . فهل هذا بديل معقول من الناحية النظرية ، أو ممكن من الناحية العملية ؟ هل يستطيع أي مجتمع أن يجمد التاريخ ويتشبث بفترة واحدة منه ، ويتجاهل كل ما قبلها وما بعدها ، ويجعل من هذا الماضي حاضرا أبديا لا يسري عليه التغير ، ولا يخضع لتقلبات الزمن ؟ وهل يمكن أن يعيش أي مجتمع بأمجاد ماضيه وحدها ، وينسى أن ماكان « مجدا » في عصر معين قد يصبح « تخلفا » اذا ما نقل بحذافيره الى عصر آخر ؟ ان إشكال البديل الأول هو ، في كلمة واحدة انه يلغي التاريخ ، على حين أن التاريخ ليس مما يمكن الغاؤه .

فلنتأمل اذن البديل الثاني ، الذي يتساءل أصحابه : هل أساس التقدم هو أن نكون معاصرين ، أي أن نساير العصر ؟ هذا التساؤل يفترض أن العكس ممكن ، ولو نظريا فهو يفترض أن من الممكن الا يكون المجتمع « معاصرا » أي لايعيش عصره . فهل يستطيع أحد أن يتصور مجتمعا معاصرا يختار ، بمحض ارادته،أن يكون « غير معاصر » ؟ ، هل من الممكن أصلا أن يكون المجتمع في العصر ولا يكون فيه ، أي أن يعزل عنه طوعا ؟ سيجيب البعض بأن هذا ما يحدث مثلا في المجتمعات البدائية التي يعيش بعضها في أواخر القرن العشرين ، وفقا لأوضاع ظلت على ماهي عليه منذ عشرات القرون . ولكن البدائي لايفعل ذلك « إلا مرغما » فهو لايعرف القرن العشرين ، لأنه لم يتعرض لمؤثراته ولم يتصل بها ، أما الحالة التي نحن بصددها فهي حالة مجتمع يعرف العصر ويتصل به ، ولكنه ينفصل عنه عامدا ، ويختار أن يعيش في عصر غيره .

انك حين تضع المعاصرة كأنها بديل ضمن بديلين آخرين ، فأنت تضع معايشتك للعصر الذي تعيش

فيه ، كأنها اختيار وكأنها شيء يمكن أن يحدث أو لايحدث . وحقيقة الأمر أن المعاصرة ليست اختيارا ، وليست بديلا من البدائل فعصرك جزء منك وأنت جزء منه ، ولا أحد يملك أن يكون « معاصرا » أو لايكون

من الواضح اذن ، أن هذين الدليلين يكشفان عن إشكالات أساسية في علاقتنا بالزمن فالطريقة التي يصاغ بها البديلان توحي بأن في استطاعة مجتمع ما ان يختار ألا يعيش عصره ، بل يستمد مقومات حياته كلها ، أو أهمها ، من عصر ماض . ولما كانت المشكلة كلها ، كما بينا ، ليست مشكلة « اختيار » لان عصرك مفروض عليك شئت ام أبيت ، فان من حقنا أن نتساءل : ألا يجوز أن صيغة الاختيار بين الأصالة والمعاصرة تعبر عن خلل أساسي في علاقتنا بالزمن ، وبالتاريخ ؟ إذا صح ذلك فهل كانت هذه الكتابات ، وكل هذه المؤتمرات والندوات ، التي دارت حول هذا الموضوع طوال ربع القرن الأخير على الأقل ، مجرد تعبير عن هذا الاختلال ، وهل كان مفكرونا وكتابنا طوال هذا الوقت واقعين تحت تأثير وهم كبير لم يتنبهوا اليه ، حين طرحوا أمامنا إشكالية الأصالة والمعاصرة كما لو كانت اختيارا بين بديلين ، أو محاولة للتوفيق بينهما من الخارج ؟

الأصيل والأصل !

الواقع أن هذا الاتهام هو ـ في جانب منه على الأقل ـ اتهام ظالم ذلك أن للمشكلة وجها آخر هو الذي جعل مفكرينا يأخذون بديلي الأصالة والمعاصرة بكل هذه الجدية ، ويرون فيهما اختيارا حقيقيا وممكنا فهناك بعد آخر لإشكالية الأصالة والمعاصرة ، الى جانب البعد الذي كان حديثنا يدور حوله حتى الآن هو البعد « التقويمي » ، فأنت حين تتحدث عن أصالة مجتمع ما لاتعني الرجوع الى « أصل » هذا المجتمع فحسب ، بل تعني أيضا العودة الى ما هو « أصيل » في تاريخه وفي أعماق شخصيته المعنوية وبهذا المعنى نتحدث عن الأصالة في بحث أو كتاب ، ونعني بذلك أنه لم يعتمد على غيره أو يعكس آراء الآخرين ، وانما كان له موقفه الخاص المستقل النابع من ذاته ، وهكذا فان الأصالة يمكن أن تشير الى معنى زمني هو الرجوع الى « الأصل » ، ويمكن أيضا أن تشير الى معنى تقويمي هو البحث عما هو « أصيل » ويمكن بالطبع ان نجمع بين المعنيين على أساس أن الأصيل حقا هو ما ينتمي الى « الأصل » .

وتنطبق هذه الازدواجية نفسها على معنى « المعاصرة » فحين نتحدث عن المعاصرة بوصفها ضرورة للنهوض ، وسبيلا الى القضاء على التخلف ، لانقصد بذلك الدعوة الى أن نعيش في الفترة الزمنية الحاضرة فحسب ، بل نعني أيضا متابعة « أفضل » ما في هذه الفترة الحاضرة وأكثره « تقدما » ، والدليل على ذلك هو أن النماذج التي نختارها للمعاصرة تكون عادة في الصف الأول من مجتمعات العصر الحاضر ، مثل أوروبا الغربية أو أمريكا أو اليابان أو البلاد المتقدمة في العالم الاشتراكي ، تبعا لوجهة نظر المرء

هناك اذن تداخل أساسي بين البعدين ـ الزمني والتقويمي ـ في استخدامنا لكلمتي الأصالة والمعاصرة . وهذا التداخل هو الذي يثير الاشكالات التي أشرنا اليها في مستهل بحثنا هذا . لأن الدعوة الى الأصالة إذا فهمت بمعنى الرجوع الى الأصل وايقاف مسيرة التاريخ ، تصبح الدعوة مستحيلة فضلا عن كونها متخلفة أما اذا فهمت بمعنى البحث عما هو أصيل وغير مسبوق ، فانها تصبح تعبيرا عن هدف جدير حقا بأن نسعى اليه . وبالمثل فان الدعوة الى المعاصرة ، اذا فهمت بمعنى الحياة في الفترة الزمنية الحاضرة ، تصبح تحصيل حاصل ، مادام هذا أمرا مفروضا علينا ، ومادام العصر فينا ونحن فيه ، بحكم وضعنا الانساني ذاته ، أما اذا فهمت بمعنى البحث عن الافضل والأكثر تقدما في هذا العصر ، فانها تصبح عندئذ غاية تستحق أن نسعى الى تحقيقها .

الاتّباع أم الابداع ؟

لابد اذن من صيغة أخرى تقضي على هذا التداخل ، وتتجنب هذه الصعوبات ، والصيغة التي أعتقد أنها تخلصنا من كل هذه الالتباسات ، وتضع

أمامنا بدائل تمثل التحدي الحقيقي الذي يواجهه مجتمعنا ، شأنه شأن سائر مجتمعات العالم الثالث ، هي صيغة « الاتباع أو الابداع » أعني أن الإشكال الحضاري الذي نواجهه هو . هل سنظل الى الابد مقلدين محاكين ، نساير الاخرين ونمسك بذيل تطور لم نصنعه ، أم نصبح مبدعين ، نبتكر حلولنا الخاصة ونقف ندا للاخرين بأفكارنا الخلاقة ؟

هذا التقابل بين الاتباع والابداع ، الذي أقترحه بديلا للتقابل المضلل بين الأصاله والمعاصرة ، يمتاز على هذا الأخير بمزايا واضحه ، فهو يتخلص من كل مظاهر الخلط بين المعنى الزمني والمعنى التقويمي ، لأنه يستبعد الاشاره الى الزمن ، أو على الأصح يتخطى حدودها

ذلك لأن اتباع نمط غربي أوتقليد حضارة متفوقة بغير تمييز أو أعمال للفكر ، هو مظهر واضح من مظاهر التخلف ولكن من الواجب أن ننبه الى أن هذا النوع من الاتباع يمكن أن ينطبق على مسايرة الماضي ، مثلما ينطبق على محاكاة نماذج من الحاضر ، ويؤدي في كلتا الحالتين الى نتائج سلبية

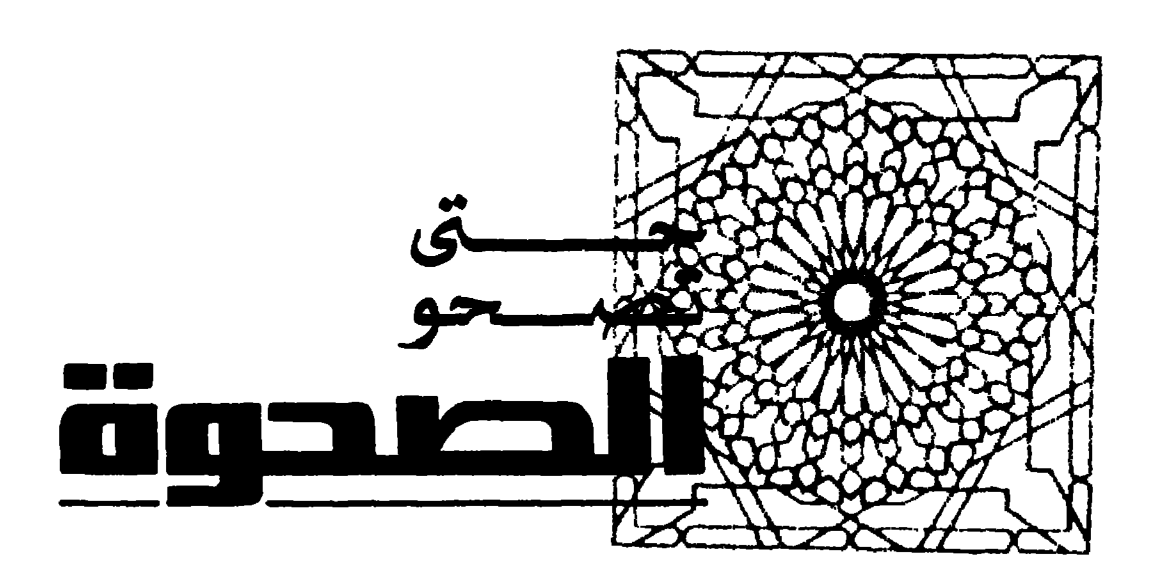
فالشاب الذي يحرص على متابعة أحدث الرقصات التي تظهر في الغرب واخر صيحات الملابس فيه ، مقلد لا يرجى منه ابداع . ولكن الشاب الذي يرتدي ملابس أسلافه منذ قرون عديدة ، ويفكر كما كانوا يفكرون ، وينفصل عن عصره ليتوحد مع عصر قديم ، هو أيضا اتباعي لا أمل منه في اصلاح أو تقدم ، واخصائي التربية العربي الذي ينقل اقتراحاته لاصلاح التعليم من كتب أو تقارير أمريكية ، دون أن يعمل أي حساب لاختلاف البيئة والخلفية الاجتماعيه والاقتصادية والاخلاقية والسياسية في كلا المجتمعين ، هو بغير شك مقلد مفتقر الى الإبداع ، ولكن الباحث الاسلامي الذي لا يجد لمشاكلنا الحاضرة حلولا الا في كتب السلف الصالح ، يسير بدوره على نهج الاتباع ، ولا أمل منه في أي ابداع . وهكذا يمكن أن يكون هناك اتباع للأصالة (بمعنى الأصل الزمني) واتباع للمعاصرة (بمعنى الواقع الراهن أيا كانت قيمته) ، أي أن فكرة الاتباع تتخطى النطاق الزمني ولا تتقيد به .

ومثل هذا يمكن أن يقال عن فكرة الابداع . فالابداع قد يكون لابتكار جديد يتمشى مع أحدث ما توصل اليه العصر ، وقد يكون لأساليب بسيطة عظيمة الفائدة لا علاقة لها بالمخترعات أو الكشوف العصرية . واذا كان النوع الأول ـ أعني الابداع الذي يقف في الصف الأول من الابتكارات العصرية معروفا للجميع ، فان النوع الثاني من الابداع يحتاج الى مزيد من الايضاح .

التحدي الحقيقي

ففي الصين تم التوصل الى حلول بسيطة شديدة الفعالية لمشكلة الذباب الذي ينقل أخطر الأمراض والأوبئة ، ولمشكلة العصافير التي تلتهم مخزون الحبوب ، بحيث أمكن استئصالها الى غير رجعة وفي فيتنام استطاع المحاربون الوطنيون مواجهة الغارات الجوية الوحشية التي كانت تشنها عليهم طائرات أمريكية جبارة ، بابتكار مخابىء من البوص ، بسيطة وزهيدة التكاليف ، ولكنها فعالة الى أقصى حد . وفي حرب ١٩٧٣ استطاع مهندس مصري بارع أن يبتكر طريقة لهدم السد الترابي الذي أقامته اسرائيل ، الذي كان من أقوى العقبات في وجه عبور قناة السويس ، مستخدما أبسط الوسائل وأكثر الأدوات تداولا وفي هذه الحالات كلها لم تستخدم تكنولوجيا معقدة أو مكلفة ، ولم يظهر اختراع يعتمد على أحدث النظريات وأعقد المختبرات ، وانما ظهرت أفكار جديدة مبدعة بسيطة غاية البساطة ، فعالة الى أبعد الحدود .

خلاصة القول اذن اننا لو تأملنا وضعنا الحضاري الراهن على أنه سعي الى حل إشكالية الاتباع أو الابداع ، لكان ذلك أجدى وأنفع وأدق بكثير من تأمل هذا الوضع في ضوء تلك الإشكالية العقيمة الغامضة ، المليئة بالمتناقضات . . . إشكالية الأصالة والمعاصرة . فالتحدي الحقيقي الذي نواجهه ليس اختيارا بين الرجوع الى الأصل أو مسايرة العصر ، وانما هؤلاء الاخرون معاصرين أم قدماء ـ وابتداع حلول من صنعنا نحن ، تعمل حسابا لتاريخنا وواقعنا ، وتكفل لنا مكانا في عالم لا يعترف الا بالمبدعين □



حتى تصحو الصحوة

بقلم : الدكتور حسان حتحوت

يشهد تاريخنا الأخير مظاهر تحول الأمة بقلبها الى ربها ، ولعل ذلك مرده الى أنها اتبعت السبل فتفرقت بها ، وانصرفت عن الزعامات والأنظمة التى أسلمت لها مقدراتها ، مغمضة العينين ، فلم تعد عليها الا بالهزيمة النكراء أمام العدووالدكتاتورية الغاشمة داخل الحدود . والناظر الى أى بلد في أنحاء الوطن الاسلامى عامة والعربى خاصة ، يرى شواهد هذا التحول ، الذى كان من شعاراته تغيير الزى والهيئة في قطاعات كبيرة من الرجال والنساء خاصة في سن الشباب ، واهتمام بالأمور الاسلامية يتراوح بين العمق والسطحية ، بمقدار ما أوتى صاحبه أو افتقده من العمق والوعى وسلامة النظر .

لما كان الاسلام موضع حذر شديد لدى أعدائه الظاهرين الخارجين ، ولدى الأنظمة الدخلية التى تقف منه موقف العداء ، أو موقف الحياد ، ولدى الذين يودون أن تكون مهمة الاسلام ان يخدمهم لا أن يخدموه ، ولما كانت تجارب الماضى أبانت أن القمع المباشر للاسلام ومحاولة تصفيته بالقوة قد فشل في اقتلاع جذوره ومنع انباته من جديد ، فقد صار واضحا لكل ذى عينين أن استراتيجية جديدة قد وضعت لمجابهة هذا الخطر الاسلامى ، تعتمد تكتيكا يقوم على المكيدة والدهاء ومكر الليل والنهار ، حتى يخرج قطار الاسلام عن خطه الاسلامى ، وحتى يكون بأس أبنائه فيما بينهم ، وليس متجها لأعدائهم ، وحتى تكون شواغلهم تفصيلات فرعية تستوعب طاقتهم ، وتملأ وقتهم ، وتفرق بينهم ، وتعطل بذلك مسيرتهم نحو الغايات الاسلامية الكبرى والمقاصد الرئيسية . وحتى لا يبقى الغبار المثار في هذه المعارك المصطنعة والفتن المقصودة حاجبا للرؤية وصارفا عن الهدف ، فقد رأينا أن نكتب هذه الكلمات لاخواننا وأبنائنا ، لعل فيهم من يقرأ ، ومن يسمع ، ومن يفكر ، فيسعى لرد الأمور لنصابها

الصحيح ، محتسبا عند الله ما قد ينالنى من قدح أو تسفيه ، في زمن رأيت فيه من بين الشبيبة الغضة من ظن أن اللحية الطويلة ، والجلباب القصير ، واللهجة الفظة ، مؤهلات كافية للحكمة في الرأى ، والحكم على الناس ، والتغاضي عما يفرضه الاسلام من سماحة الطبع ومكارم الخلق ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وامتثال الأدب .

أصل الأمر :

وأصل الأمر كما أراه . . ان كانت غايتنا أن نقيم البناء الاسلامى على أساس اسلامى ، يتمثل في الآية الكريمة (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .

كرامة الانسان هي حجر الأساس في ذلك البناء العتيد . كرامته التى جعلته أهلا لأن تسجد له الملائكة . . . والتى جعلته وحده بين من نعرف من خلق الله أهلا للمسئولية والحساب . . وواضح أن المسئولية لا تقوم الا على الحرية ، لأنه لا حساب على من لا خيار له . والمسئولية في الاسلام فردية ، لا تزر فيها وازرة وزر أخرى . ولهذا فالقياس الصحيح عندى لفحص أى مجتمع أو دولة ، ومعرفة مدى اقترابه أو بعده من الركائز الاسلامية الأصلية ، هو أن أنظر الى ما يوليه هذا المجتمع من قدر لحرية الفرد فيه . . فان غابت هذه الحرية فلن تغرنى المظاهر ولا الشعارات ، بل حتى ولا التشريعات ، لأنها تبنى على غير الأساس الأصيل . وفي تراثنا أن خليفة المسلمين ورئيس الدولة عمر بن الخطاب كان يخطب ، فاذا سيدة من الحضور تمارس حقها في الاختلاف معه ، وفي تصويبه فلا يملك ، الا أن يقر بأنه أخطأ وأن السيدة أصابت . كان الحاكم والمحكوم كلاهما يحافظ على حرية الفرد وان كان معارضا له . وواضح أننا لو حاولنا أن نترجم هذه الحرية الى عصرنا الحاضر ، فلن نراها نظرية ولا خرافية ، ولكن معمولا بها للأسف الشديد عند غيرنا وخارج بلادنا . . في غياب هذه الحرية فليفعل الحاكم ما يشاء ، ويرفع ما يشاء من شعارات ، ويعلن ما يشاء من سياسات ، ولكن لا ينبغى أن يصرف ذلك أنظارنا ولا أفكارنا عن أصول الأشياء .

والحكم :

ونضيف بعد ذلك أن الحكم في الاسلام أساسه البيعة . . وبمقتضى هذه البيعة تختار الأمة من توليه أمر الحكم ، فالأمة هي صاحبة الحق في الاختيار . . وقد تختاره من بين بدائل متاحة ، وقد تتخذ من آلات الاختيار ووسائله ما تراه أوفى بالتعبير عن رأيها الغالب . . وقد تمت البيعة للخلافة الراشدة بأساليب متعددة ، حتى نعلم أن الباب مفتوح لاختيار الأسلوب الأمثل على ضوء الظروف المتجددة على مرور الزمن .

وما دامت الأمة تختار ، ومادام أساس الاختيار الحرية ـ والا فهو اجبار لا اختيار ـ فان أية محاولة لتعويق حرية الأمة في اختيارها هي اخلال بشرط لا يصح العقد الا به، فهو اذن باطل . سواء اتخذ هذا التعويق الغاء حق الأمة في الاختيار أساسا ، أو حملها على اختيار معين بالقوة الصريحة ، أو الارهاب أو التهديد ، أو خلق المناخ النفسى الذى يفضى الى سلوك معين ، أو تزييف الوثائق ، أو تغيير القوانين ، أو الضغط المباشر أو غير المباشر ، أو احتكار الاعلان والاعلام ، وغيرها من وسائل التأثير أو غسيل المخ ، ولن أستطيع أن أحصى القائمة ، فهى طويلة ومكبرة ، وحسبنا هذه الأمثلة .

والأمة تختار الحاكم ليكون أجيرا لديها يقوم على مصالحها ، فالأمة سيدة ، والحاكم خادم ، ومحاولة الحاكم أن يكون هو السيد والأمة هي الخادمة تصرّف غير اسلامى . فان سار فيهم سيرة فرعون (لا أريكم الا ما أرى) وان سكت لسانه ولكن قال لسان حاله: (أنا ربكم الأعلى) فهو لا يصلح للحكم بحسب مفاهيم الاسلام . . وللأمة أن تختار الوسيلة الكفيلة باسباغ رقابتها على الحاكم ، ووصله برأيها ووجهة نظرها ، وتبصيرها بما يفعل في شئونها ، لتؤازره ان اصاب ، وتقومه اذا اعوج ، وتغيره اذا فشل . فان من له الحق في اعطاء البيعة له الحق في سحبها ، ان ثبت أن في هذا صالح الاسلام وأمة الاسلام .

وليست هذه بدعة جديدة . . فان أبا بكر لما بويع قال للأمة (أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم) .

ان مسألة نقل السلطة من يد ليد مسألة بالغة الخطورة . . ولقد كان الدرس الأكبر الذى ينبغى أن تخرج به الأمة من محنة الفتنة الكبرى على عهد عثمان فعلي فمعاوية ، هو حاجتها الى استنباط طريقة شرعية وسلمية تنتقل السلطة بموجبها في سهولة ويسر من يد ليد . . ولكن أحسب أن الأمة لم تستفق الى استيعاب هذا الدرس ، فقد كانت قد وقعت بالفعل في قبضة الدكتاتورية ، وأحسبها لم تزل في هذه القبضة ، الا فيما ندر ، لغاية يومنا هذا . ومن دواعى الأسف أنه في الوقت الذى كان المسلمون فيه يبنون حضارتهم كانت أوروبا تعيش عصر الجهل والدكتاتورية جميعا ، ومع ذلك فقد سبقونا في استنباط الوسائل الناضجة الواعية في موضوع انتقال السلطة ، وكنا أولى بذلك ، لأن غاية ما وصلوا اليه هو بعض مما استقرت أصوله في ديننا منذ زمان بعيد .

الأخلاق :

ولقد ارتفع صوت الصحوة في كل مكان يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية ، أو جعلها المصدر الرئيسى للتشريع وهو مطلب حق . فمن غير المعقول عندنا أن شريعة الله تحمل ظلما لأحد من مواطنى الأمة الاسلامية المسلمين أو غير المسلمين . .

ومن غير المعقول عندنا أن شريعة الله تقصر عن الوفاء بحاجات المجتمع من القوانين في كل زمان ولكن حتى لا نبنى بيد ونهدم باليد الأخرى ، ينبغى أن نعى أن الشريعة بعض الاسلام لا كله . . وأن طريقة الاسلام الفذة في مكافحة الجريمة هي منعها قبل أن تقع بمصادرتها في زوايا النفس ومجال الضمير ، وقبل أن تصل الى مجال اختصاص الشريعة . ومن هنا نرى أن تكوين الوجدان الاسلامى والتخلق بالاخلاق الاسلامية والتأدب بأدب الاسلام فرض واجب كوجوب العمل بالشريعة على الأقل . أعرف شبابا يتصدرون في مقام العمل الاسلامى ، ولا يمنعهم ذلك من الرد الخشن أو الوقح على والديهم ، مع أن الله يقول : (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما) وناسا يتحدثون باسم الاسلام ويسهل على ألسنتهم أن تخوض في ذكر الناس بالباطل ، أو تجاهر بتكفير المسلمين . . وطلابا لم يمنعهم الحماس للاسلام من الغش في الامتحان ، أو التطاول على استاذ ، أو استنساخ الكتب وبيعها دون اذن المؤلف أو الناشر . وموسرين . معاملاتهم المالية في غاية الخشونة أو القسوة أو الشح . وعلى ألسنتهم - تتنطـ - الأدعية والمأثورات ، وكيف أن صلواتهم كلها بحمد الله في المسجد ، وأطباء ان سمعوا أذان الظهر نفضوا أيديهم من العمل واتجهوا للمسجد ساعة أو تزيد ، فان أوقظوا خلال الليل لاسعاف مريض مخطر كان سلطان النوم عليهم أقوى من نداء الواجب . نذكر هذا ونحن لا نهاجم الدين ولا التدين ، ولا نقر الذين يتنصلون من عبادات الدين والتزاماته ، بدعوى أن من المحسوبين على الاسلام من فيهم هذا التناقض . وانما نود أن يعلم الملتزمون بالاسلام أنهم بأخلاقهم وأعمالهم وسلوكهم واحد من اثنين : اما مبشر يحبه الناس فيحبون ما يدعو اليه ، واما منفر يثير حفيظة الغير لا عليه وحده بل للأسف على الاسلام ، خاصة من قبل غير المسلمين ، أو المسلمين الذين ليست لديهم فكرة واضحة عن الاسلام ، وانما يقرأونه في أعمال الاسلاميين وحسبى ان أقول . . أن سيدة أمريكية اعتنقت الاسلام وحسن اسلامها ثم زارت بلدا اسلاميا ، فقالت أحمد الله على أننى أسلمت قبل أن أزور هذا البلد ، فلست أدرى ماذا كان يحدث لو كان مصدرى الأول عن الاسلام ما شهدته هناك من خلق ومن تعامل . ونبينا عليه الصلاة والسلام يقول (الدين المعاملة) ويقول (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

والمحبة :

سألت واحدا من الاسلاميين الغلاة (أيسرك لو أشرقت شمس الغد ، فاذا الناس كلهم قد اهتدوا للاسلام فاعتنقوه واتبعوه ؟) ، قال : (بغير شك) قلت : (فهل تعتقد أن من تمنى للناس هذه الامنية أهو شخص يحبهم أو شخص يبغضهم ؟) قال (بل هو شخص يحبهم) قلت فأرجو ألا تنسى ذلك ، بل أن تراعيه في تعاملك مع الناس ، حتى الذين على غير

هواك وعلى غير رضاك . فان تمني الهداية للغير ، ومحاولة سوقه اليها أمر من أمور الحب . . وبغير أن تتضح نفسك بهذا الحب فيشعر به كل من في مجال تعاملك فلن تقدر أن تكون مركز جذب لهم . ان من النفوس نفوسا كارهة ، ونفوسا محبة ، ترى ذلك في المهتدين والشاردين على السواء ، وتراه في جاهلية وفي اسلام . . وقد قال الله تعالى لمن هو خير منا جميعا: (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) ويمن عليه بقوله:(فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) . وما كان أنعم قلبه عليه السلام حين اشتدت وطأة الكفار ولددهم عليه ، فأتاه جبريل وقال له « ربك يقرئك السلام ويقول لو شئت أن أطبق عليهم الاخشبين (جبلين) لفعلت فيقول عليه السلام:(اليك عنى يا جبريل ، اللهم أغفر لقومى فانهم لا يعلمون) . هذه المرحمة والمحبة والمبرة التى اتسعت حتى لاعدائه جديرة بان تكون الأسوة الحسنة عن رسولنا الكريم ، فانه عليه الصلاة والسلام لم ييأس - وبيد الله مفاتيح القلوب - أن يخرج الله منهم أو من أصلابهم من يعبد الله . ان في بلادنا أزمة محبة ، والمؤمنون اولى الناس بتبديدها . . وفي بلادنا هموم وأثقال قابلة للزوال أو الاختصار لو تغشت المحبة والرفق قلوب الناس ، وملايين من الناس بينهم وبين الهداية شيء من الرفق والبشاشة والصبر ، وطول الأناة من جانب الدعاة .

ان المحب أكثر شغفا بما يجمع الناس لا بما يفرقهم ، وأكثر حرصا على الأرضية المشتركة منه على الفرعيات غير المشتركة ، وأحرص عملا بنصيحة الامام البنا رحمة الله عليه (ننفذ معا ما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا عليه) ، ولعلنا خلال ممارسة ما اتفقنا عليه تدخر قلوبنا من المحبة المتبادلة ما يعيننا على حل ما اختلفنا عليه ، أو على الاقل الى أدب الاختلاف ، فيكون لكل رأيه دون أن ينزل بهم فساد البين،فانه كما قال رسول الله: «هي الحالقة. . لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين». ولقد كان حول الرسول عليه السلام رجال كأبي بكر وعمر وعلى ، يستشيرهم فتختلف آراؤهم ، دون أن تتشعب قلوبهم ، ويكون الاختلاف هنا اثراء للمشورة وتوسيعا لرقعة الاختيار ، ودرسا في أدب الاختلاف .

كم ألمت حين زرت أحد المراكز الاسلامية في أمريكا الشمالية ، ورأيت من المسلمين من عثروا في مهجرهم على هويتهم الاسلامية ، وارتفعوا بها عن قسمة القوميات والمذاهب ، فوقفوا يصلون صفا واحدا خلف امام واحد ، فاذا هم يبتلون بمنشورات مطبوعة في بعض بلاد الشرق الأوسط يوزعها مجهولون ، وفيها اثارة للخلافات المذهبية ، واذكاء لنيران أخمدها الله ، أو فاتت مناسبتها منذ زمان بعيد ، ولست أدرى لصالح من تمتد يد لتفرق صف المسلمين وتشتت شملهم .

انني أعتقد أن كثيرا من هذه الأيادى المنفذة قد تكون مخلصة ، ولكن الرؤوس الخفية المدبرة غير مخلصة ، الا في حربها للاسلام ودسيستها عليه . ولعل الله يكشفهم ويبطل كيدهم وينير لأمة الاسلام سبيلها القويم ، ونهجها الواضح المبين . □

رحلة بالسيارة !

كتبت هيلن فان سلايك في كتابها (القلب ينبض) ، تقول : ما أشبه الزواج برحلة بالسيارة يريد فيها المرء أن يجد رفيقا قويا يجلس بجواره في المقعد الأمامي . . رفيقاً يتعلق به ويتشبث بذراعه عندما تبدأ رحلة الهبوط الخطرة من فوق التل . . رفيقا يضحك بعد ذلك من قلبه عندما تبدأ السيارة في الصعود بسلام مرة أخرى . . إنه يريده دائما بجانبه في الهبوط والصعود وعندما تدور السيارة عند المنحنى ، دون أن يرى أحدهما ما يخبئه الطريق .



الرمز بالحيوان

في الأدب العربي القديم

بقلم : الدكتورة : وديعة طه نجم

قصة الرمز بالحيوان تحمل من الأثر ما لا يستطيعه النصح المباشر احيانا.هل قرأت قصة الأسد والثيران الثلاثة ؟ إن أسطرها قلائل ولكن حكمتها بالغة ! ففيها وفي غيرها مما تقرأه في هذا المقال يكمن السبب الذي جعل الكتاب ـ على مر العصور ـ يولعون بالتلميح دون التصريح وبالرمز دون القول المباشر . . .

يحتل الحيوان مساحة واسعة في الشعر العربي منذ عصوره الأولى ، ولاسيما تلك الحيوانات التي عاشت في البيئة الصحراوية ، وصحبت الشاعر في حله وترحاله . . فاتجه الشاعر العربي الى وصفها مفصلا ومدققا في كل جزئياتها ، فللناقة مكانة في الشعر العربي بلغت مقدارا هاما بحيث راح اللغويون يخصونها بكتب خاصة بها ، اجتمع في وصفها معجم واسع في العربية . . وللخيل منزلة لاتقل عن منزلة الجمال . . ثم تأتي حيوانات صحراوية أخرى بدرجات متفاوتة في الأهمية مثل بقر الوحش والغزلان والوعول وغيرها . . ويلاحظ بعض الباحثين أن العرب آنذاك كانوا يتحاشون ذكر بعض الحيوانات في الشعر ، مثل الأرنب والفهد واليربوع . . الخ ، وكان هناك تقليد متبع في الاعراض عن ذكر حيوانات بأعينها . . .

وربما اتخذ العرب هذه الحيوانات التي عرفوا

طباعها ووسائل معيشتها وسيلة لضرب المثل على أنواع من الخلق الانساني كالحيلة والجبن والتهور والحكمة والتدبير . . الخ . وقد يستعير القائل صورا من عالم الحيوان ومن صفاته ليضرب بها المثل على الخلق الانساني ، وهذا أيضا باب واسع ، لعل من أمثلته البارزة الوصف (بالنفاق) الذي تؤخذ صورته مما يفعله الضب أو اليربوع بمسكنه. «فالنافقاء» موضع يجعله اليربوع رقيقا من جحره ، فاذا هاجمه شيء من فتحته الأخرى (القاصعاء) ضرب النافقاء برأسه فخرج ، وقيل انما سمي المنافق منافقا لأنه نافق كاليربوع ، وهو دخوله نافقاءه ، فهو يدخل من باب ويضلل عن حقيقة خروجه من باب آخر .

وهكذا كان عالم الحيوان عند العرب وسيلة ومصدرا من مصادر اثراء اللغة العربية بالصور الطريفة .

ورغم كل ذلك ، فان صورة الحيوان تبقى عند العربي أقرب الى الواقع والى حقيقة كونه حيوانا منها الى الصورة البشرية . اذ مهما وصف به الحيوان من صفات قد تكون مشتركة مع الصفات الانسانية ، فانه يبقى معزولا في عالمه الحيواني ، ولا يرقى به القائل أو الشاعر الى مستوى معادل للعالم الانساني . . . والعربي واقعي في نظرته الى ما حوله ، لايذهب مذهب التجريد البعيد المأخذ . .

صورة من صور الحيوان

تلك هي الصفة الغالبة على الشعر العربي قبل الاسلام ، حتى نأتي الى العصور الاسلامية التالية ، حينما يختلط العرب بشتى الأمم والأقوام ، وتتعقد المذاهب وتتجه ثقافة الأدباء والشعراء اتجاهات جديدة بفعل اتصالهم بفلسفات وديانات مختلفة ، وتختلف نظرتهم الى كل ما حولهم : الى الخلق والكون ، والموت والحياة والانسان والحيوان . . الخ ، وتشيع في المجتمع اعتقادات تفرض على أصحابها النظر الى الكون على أنه كل واحد ، وأن الحياة صور وأشكال ، وأن الحيوان صورة من صور الحياة التي لا يشكل الانسان الا وجها واحدا فقط من وجوهها المتعددة ، ولكنه لايمثلها كلها . . ومعنى ذلك أن الحيوان لا يقل عن الانسان تمثيلا لصور الحياة ووجوهها المختلفة ، وذلك أن اعتقاد بعض أصحاب الديانات القديمة بالتناسخ « مثلا » يجعل للحيوان منزلة خاصة في عالم الحياة . . . ويمكن حسب هذا الاعتقاد أن تحل فيها الروح نفسها التي تحل في صور مختلفة وشتى ، بما فيها الصورة الانسانية . .

وهكذا بدأنا نسمع في حكايات العصر العباسي خرافات تدور حول (مسخ) البشر الى حيوانات ، حتى صار يقال مثلا ، ان الاربيانة (أي واحدة الروبيان) كانت خياطة تسرق السلوك وانها مسخت وترك عليها بعض خيوطها لتكون علامة ودليلا على جنس سرقتها . وان الفأرة كانت طحانة . . . وأن الجرّي (وهو نوع من السمك) والضّباب كانتا أمتين مسختا . . الخ »وأما الحية فتتصل خرافتها بقصص الاسرائيليات والتوراة ، اذ قيل أنها كانت في صورة جمل ، وأنها عوقبت فأصبحت تزحف على بطنها وذلك لأنها حملت ابليس في جوفها ، حتى وسوس لآدم من فمها فأخرجه من الجنة . .

ومن التوراة أيضا ، ومن بعض قصص الاسرائيليات انتقلت تفاصيل اعتقادات حول بعض الحيوانات مثل حديث الحمامة المطوقة ، التي أرسلها نوح من سفينته لتبحث له عن اليابسة ، بعد أن ظل يطلب البر زمانا وهو في الطوفان . فعادت الحمامة اليه تحمل في فمها غصن زيتون ، وهكذا دلته الى الأمن والطمأنينة ، وقادته الى بر الأمان بعد الطوفان . . وهكذا أصبحت الحمامة وغصن الزيتون في فمها رمزا للسلام والطمأنينة .

وفي العصر العباسي أيضا نقلت الى العربية قصص تتناول الحيوان بطريقة مختلفة عما ألفه العرب في قصصهم وحكاياتهم ، وتتميز في عالم مستقل قائم بذاته ، ولكنه يوازي العالم الانساني ، تتصرف كائناته تصرف البشر تحب وتكره ، وتحتال وتمكر ، وتتصرف بالعقل والحكمة ، كما تتصرف بالحمق والتهور . . الخ . وكأن واضع هذه القصص أراد أن يجعل من هذه الكائنات رموزا للصفات البشرية والخلق الانساني ، وقصد الى التعبير عن أفكار لم يشأ أن يصرح بها بصورة مباشرة ، فجعل هذه الحيوانات تنطق عن هذه الأفكار . وأشهر هذه الآثار المنقولة

كتاب كليلة ودمنة الهندي الأصل الذي أصبح لحكاياته شعبية كبيرة بين القراء ، وبين الكتاب على حد سواء . .

الحيوانات وسيلة للتعبير

هكذا بدأت قصص الحيوانات تدور في مؤلفات العصر الأدبية والفلسفية ، وكان من أبرز مظاهر اتخاذ الحيوانات وسيلة للتعبير عن هدف بعيد المرمى فيه تجريد للأفكار الانسانية ، ظهور قصص الحيوان الهادفة الى ضرب المثل والتعبير عن الفكر ، واتخاذها عبرة على أحوال البشر .

وعامة هذه الحكايات ترجع الى العصر العباسي وتدون في مؤلفات هذا العصر ، سواء منها المؤلفات الأدبية العامة ، أو كتب الأمثال المتخصصة في ذلك . ومن أمثلة هذه الحكايات التي ترمي الى غاية بعيدة ، الحكاية التالية :

قيل ان ثلاثة ثيران اجتمعن في أجمة : أبيض وأسود وأحمر . وكان معها فيها أسد ، فكان الأسد لايقدر على شيء منها لاجتماعها عليه . فقال الأسد للثور الأسود والثور الأحمر :

لايدل علينا في أجمتنا الا الثور الأبيض فان لونه مشهور ولوني على لونكما . فلو تركتماني آكله صفت لنا الأجمة .

فقالا : دونك فكله .

فأكله . ثم قال للأحمر : لوني على لونك ، فدعني آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة .

فقال : دونك فكله

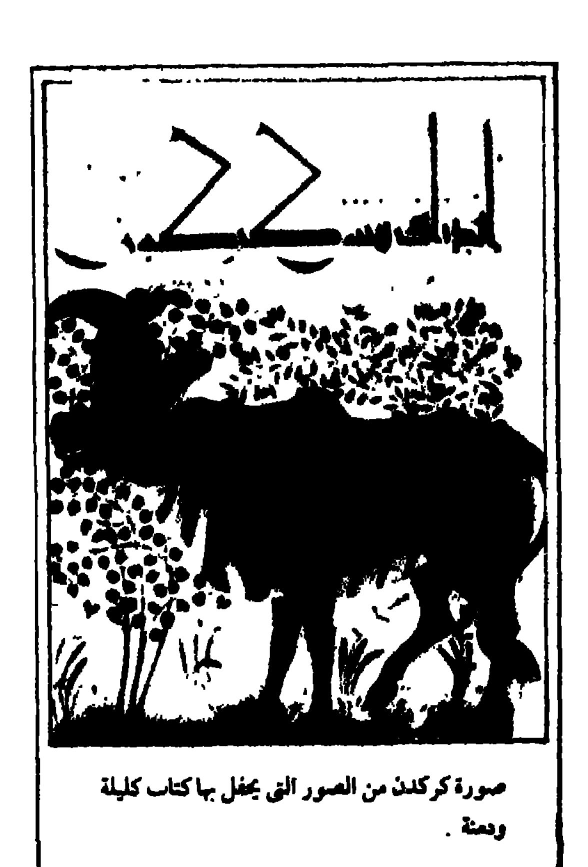
فأكله . ثم قال للأحمر : اني آكلك لا محالة .

فقال : دعني أنادي ثلاثا .

فقال : افعل .

فنادى : الا اني أكلت يوم أكل الثور الأبيض . . » *

وهكذا أصبح هذا القول (الا اني أكلت يوم أكل الثور الأبيض) مضرب المثل ، ذلك أن مصير الثيران الثلاثة قد تقرر منذ أن وافق الاثنان الأخيران على أن يأكل الأسد رفيقهما الثور الأبيض فجر عليهما سوء تقديرهما النهاية المحتمة .



صورة كركدن من الصور التي يحفل بها كتاب كليلة ودمنة .

والأمثلة كثيرة على هذا النمط الذي جعل فيه الحيوان وسيلة للتعبير عن المجتمع الانساني . ولقد أصبح لشهرة بعض الحيوانات بصفات بارزة شبيهة بالخلق الانساني أثر في استغلالها للرمز عن المجتمع الانساني .

التعبير بلسان الحيوان

وفي العصر العباسي يظهر الاتجاه نحو اتخاذ الحيوان وسيلة للتعبير عن آراء لم يشأ أصحابها أن يبوحوا بها بصراحة . وكأن العرب اكتشفوا افقا جديدا من آفاق التعبير عن الرأي ، ولاسيما بين أصحاب المذاهب الذين تكتموا على آرائهم ، أمثال جماعة اخوان الصفا الذين لم يفصحوا عن حقيقة شخصياتهم ، ولكنهم بثوا رسائلهم في الناس ، معبرين عن آرائهم في كل شيء بطريقة غير مباشرة . .

* انظر كتاب « قصص الحيوان في الأدب العربي القديم » للدكتور داود سلوم .

وقد وجد في هذا الشكل من أشكال التعبير رواجا بين أدباء العصور التالية ، ولاسيما أولئك الذين تعرضوا بالنقد والسخرية لعصرهم وأحواله الأدبية والسياسية وغيرها . . فلجأوا الى استخدام الاسلوب الرمزي بطريقة بارعة لأداء النقد ممزوجا بسخرية معبرة وجذابة في آن واحد ، كما فعل أبو العلاء المعري في مواضع من رسالة الغفران ، أو ابن شهيد الاندلسي في رسالة التوابع والزوابع

هؤلاء الكتاب وغيرهم يظهرون الحيوانات في كتاباتهم ناطقة متحاورة تتحكم في تصرفها بأنفسها ، بل وتحاور البشر على قدم المساواة ، والطريف أن أخوان الصفا لم يكتفوا باستنطاق هذه الحيوانات ، بل جعلوها تتمرد على الانسان وتدعو الى الخروج على طاعته وتحتكم الى حكيم وتعقد جلسة علنية في حضرة ملك الجن ، يقوم فيها خطباؤها وحكماؤها ، كل يقول رأيه في بني الانسان الذين ظلموا هذه الحيوانات وسخروها في مآربهم ، وكلفوها فوق طاقتها بعدما كانت طليقة في البراري . ويقوم النقاش بينها وبين (سبعين رجلا) من الانس جاءوا ليمثلوا اخوانهم من البشر في هذه المحاكمة العلنية . وحين ينتهي (الخطباء والزعماء) ـ من الحيوان ـ من نقاشهم وكلامهم يلتفت الملك الى صحبة من الجن يسألهم رأيهم ، فيقوم هؤلاء بحماسة مؤيدين الحيوانات على الانسان ، ويمضي الملك في الاستشارات والتداول ، ويدعو كافة البهائم ثانية للاجتماع . . وهكذا تمضي الرسالة في ذكر جميع أنواع الحيوانات وكلها تتفق على الشكوى من ظلم الانسان وجوره .

وأخيرا يختتم الاخوان رسالتهم مبينين غرضهم منها بقولهم : « ثم اعلم أيها الأخ ، أنا قد بينا في هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب ، ولا تظن بنا ظن السوء . ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ومخارقة الأخوان ، اذ عادتنا جارية على أن نكسو الحقائق الفاظا وعبارات واشارات ، كي لايخرج بنا عما نحن فيه . وفقكم الله لقراءتها واستماعها وفهم معاميها . . »*

أما أبو العلاء المعري في رسالة الغفران التي تخيلها في العالم الآخر ، فقد أظهر الحيوان في صور وأشكال شتى ، فكما أن البشر يغفر لهم بصالح أعمالهم ، كذلك الحيوان يمكن أن تشمله المغفرة . والحيوان عند شيخ المعرة عاقل ناطق يحاور البشر كذلك ، ومن ميزات هذا الحيوان قدرته على التحول من صورته الحيوانية الى صورة انسية . . ويبدو خيال المعري هنا وكأنه اصداء عن حكايات ألف ليلة وليلة ، فجماعة الأوز التي يلتقي بها ابن القارح وصحبه . ما تلبث أن تتحول الى مجموعة من الحور الحسان اللواتي يتغنين بالشعر ، ويضربن على الآلات ويطربن السامعين . حتى اذا أراد بعض صحبه من الشعراء اصطحاب القيان الى منزله ليسمع منهن ضروب الالحان ، اذا بأحدهم يحذرهم بأن الامر اذا انتشر في أرجاء المكان ، فان هؤلاء قد يطلق عليهم لقب « ازواج الاوز » . . فيمتنع هؤلاء عن نيتهم .

وتتجلى سخرية المعري المبطنة ، وكأنه يعرض بأولئك الذين تقودهم نزواتهم . . .

التوابع والزوابع

ولعل أطرف ما كتب في الأدب العربي مما يدخل في هذا الاطار ، تلك الرسالة المشهورة التي كتبها أديب اندلسي عاش ما بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجري ، هو ابن شهيد الاندلسي الشاعر الاديب الذي كتب رسالة سماها رسالة التوابع والزوابع .

(والتوابع هم جن الشعراء ، والزوابع هم الشياطين والمردة كذلك . .)

ويرمي ابن شهيد في هذه الرسالة الى التعبير عن آرائه النقدية في الأدب شعرا ونثرا ، وان ينتقد أحوال عصره وشخصياته . ولكنه لم يفعل ذلك بالنقد المباشر الصريح ، بل اختار لآرائه اطارا فريدا ، وذلك حين جعل الآراء تدور في صورة حوار يقوم بينه وبين توابع

---

* الرسالة الثامنة من الجسمانيات الطبيعيات من رسائل اخوان الصفاء

هؤلاء الأدباء والشعراء والشخصيات التي قصدها بالنقد .

ويتخيل ابن شهيد جنيا (هو زهير بن نمير) يظهر له ليقوده الى عالم الجن . وهناك يلتقي بكل هؤلاء الشياطين والجن من تابعي الشعراء ، يسألهم ويجيبونه ، ويتحاور معهم معبرا عن آرائه بلسانهم .

وحين ينتهي ابن شهيد مع دليله الجني من وديان الجن وتابعي الشعراء ينتقل الى واد آخر حيث يلتقي بحيوان الجن :

وأول ما يلتقي بجماعة من الحمير ، وقد قام فيهم هرج ومرج ، وقد علا صراخهم ونهيقهم . وما ان يقترب ابن شهيد ودليله (زهير) منهم حتى تقبل الجماعة عليه تحييه ، وتطلب اليه أن يكون حكما في شعر حمار وبغل من عشاق الحمير اختلف الرأي في شعرهما :

كلما هبت الريح على الأغصان تحركت ، فتحركت البطل ، فصدر عنه صوت عظيم أثار الثعلب .

يقول ابن شهيد :

« فتقدمت الى بغلة شهباء عليها جلّها وبرقعها ، لم تدخل فيما دخلت فيه الجماعة من سوء العجلة وسخف الحركة فقالت :

أحد الشعرين لبغل من بغالنا ، وهو :

على كل صب من هواهُ دليل
سقامٌ على حر الجوى ونحول
وما زال هذا الحب داء مبرحا
اذا ما اعترى بغلا فليس يزول

. . . الخ

والشعر الاخر لدكين الحمار :

دهيت بهذا الحب منذ هويت
وراثت اراداتي فلست أريث

(راثت : أبطأت) .

فضحك زهير ، وتماسكتُ - وقلت للمنشدة : ما (هويث)؟ : قالت هو (هويت) بلغة الحمير . .)

وحينما ينتهي الانشاد والحكم تلتفت البغلة الى ابن شهيد قائلة :

أما تعرفني أبا عامر ؟!

فيجيبها قائلا :

لو كان ثم علامة ؟

« فأماطت لثامها ، فاذا هي بغلة أبي عيسى ، والخال على خدها فتباكينا طويلا وأخذنا في ذكر ايامنا . . .

ثم راحت البغلة تسأل ابن شهيد عن حاله وحال اخوانه وأهل زمانه قائلة :

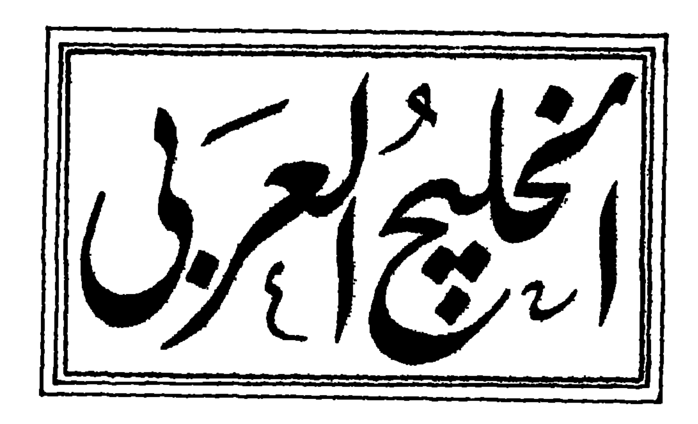
فما فعل الأحبة بعدي ، أهم على العهد ؟ فيجيبها ابن شهيد :

شب الغلمان وشاخ الفتيان وتنكرت الخلان ، ومن اخوانك من بلغ الامارة ، وانتهى الى الوزارة ، . فتنفست الصعداء وقالت :

سقاهم الله سَبَل العهد « مطر الربيع » ، وان حالوا عن العهد ونسوا أيام الود ، بحرمة الأدب الا ما أقرأتهم مني السلام .

قلت : كما تأمرين وأكثر . . » .

ولا يفوت القارىء اسلوب ابن شهيد الساخر الزاخر بالتعريض بأهل عصره . □



في الموشحات الأندلسية

بقلم : عبد الرزاق البصير

المعروف عن ابن زهر أنه اشتهر بالطب في مدينة أشبيلية بالأندلس في قصر عبد المؤمن حاكم المدينة . . الا أنه كان له في الأدب واللغة والثقافة الدينية باع طويل أيضا . وقد ورد في موشحة له اسم الخليج و « مسك دارين » . فأي خليج كان يعني ؟ ومن هي « دارين » التي ورد ذكرها في بعض قصائد الشعراء ؟

أسعد الناس في الدنيا من تكون حياته فيها محاطة بالتوفيق . فأنا ممن يعتقد أن بعض الناس قد تكون ظروفه مواتية له ، وأن بعض الناس قد تكون ظروفه معاكسة له ، ولا أعني بأني أدعو الى الكسل والخمول اعتمادا على مواتاة الظروف أو معاكستها ، كلا فإن السعي والاجتهاد من الأمور الواجبة ، سواء كانت ظروف الانسان معاكسة أو مواتية فإن الكسل يضعف قدرة أصحابه ، اذ لا يمكن أن يظفر بالمكانة المرموقة من شهادة عالية أو تجارة رابحة من يجلس في بيته ولا يستغل مواهبه ، لكن الواقع المشاهد يخبرنا بأن بعض الناس يرزق من الأمور ما يمكنه من الوصول الى المكانة المرموقة ، اذا استغل تلك الموهبة . كحسن الصوت للمغني ، وحدة الذكاء للدارس وما الى ذلك من الامور التي تحدث عنها المفكرون ، وصاغها بعض الشعراء في آثارهم مما لا يتسع له هذا المجال . .

يقول أبو الطيب المتنبي

ويختلف الرزقان والفعل واحد
الى أن يرى احسان هذا لذا ذنبا

ويقول الامام الشافعي :

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني
بنجوم أفلاك السماء تعلُّقي

الى قوله :

فاذا سمعت بأن محروما أتى
ماء ليشربه فغاض فصدِّق
أو أن محظوظا غدا في كفِّه
عود فأورق في يديه فحقِّق

ابن زهر

هذا تمهيد رأيت أن لا بأس في تقديمه ليكون بابا ندخل فيه الى حياة متفوق حالفه التوفيق في رحلة

حياته ، ذلك هو محمد بن عبد الملك المعروف بأبي بكر بن زهر فقد نشأ في بيت علم ، اذ كان والده وجده طبيبين ، ويبدو أن والده وجد فيه مخايل الذكاء فأخذ يشوقه الى دراسة الطب ، واذا بصاحبنا يبرع فيه حتى أصبح فيه أشد مهارة من والده ، وكان الوالد والابن طبيبين في قصر عبد المؤمن حاكم أشبيلية ومجمل دليل تفوقه أن حاكم أشبيلية احتاج الى علاج ، فوصف له الطبيب الوالد دواء ، غير أن طبيبنا أبابكر رأى أنه دواء غير صالح مما جعل عبد المؤمن في حيرة من أمره فقال عبد الملك . يا أمير المؤمنين ، ان الصواب في قوله ، فلما تناوله عبد المؤمن انتفع به وشفي من علته .

أضف الى ذلك أن طبيبنا كان يتمتع باعتدال القامه وصحة البنيه ، وقوة الأعضاء ، وقد بلغ من قوته أنه كان يجذب القوس الثقيل الذي لا يقدر على حمله أحد ، ولعلنا لسنا في حاجة الى القول بأن أفضل نعمة يهبها الله لعبده هي أن يكون على مثل ما وصف به طبيبنا الاندلسي من قوة جسدية ، اذ أن صاحب هذه الصفة تكون متعته في هذه الحياة أفضل من غيره ، فقد قيل ان الصحة تاج على رؤوس الأصحاء .

المثقف

على أن طبيبنا أبا بكر لم يقصر تثقيفه على الناحية الطبية وانما ثقف نفسه ثقافة دينية وأدبية ، فقد حفظ القرآن وسمع الحديث ، وأقبل على الأدب واللغة العربية ، فبرع في ذلك كله ، وعاني الشعر فبلغ الاجادة فيه ، وكان يحفظ شعر ذي الرمة ، ومن يحفظ شعر هذا الشاعر يتكون لديه رصيد ضخم من اللغة والادب . فقد أجمع فحول النقاد وفحول الشعراء على القول بأن ذا الرمة من فحول الشعراء ، حتى قال بعضهم ان الشعر بدىء بامرىء القيس وختم بذي الرمة ، وأن شعره يحتوي على ثلث لغة العرب ، فليس من المعقول أن يقتصر طبيبنا الأديب على أن يكتفي بسقي شجرة أدبه بشعر هذا الشاعر ، وانما رواها من أشعار أكابر الشعراء حتى أصبح أديبا يشار اليه بالبنان كما سنوضح ذلك فيما بعد

أما ثقافته الدينية فانها لا تقل عن ثقافته الأدبية ، فقد كان ملازما للامور الشرعية ، متين الدين ، قوي النفس ، محبا للخير ، وقد بلغ من تعلقه بالفقه أنه قرأ المدونة لمذهب مالك ، التي جمعها سحنون ، وقرأ مسند بن أبي شيبة على عبد الملك الباجي ، وهو من أكابر الفقهاء ، والمدونة والمسند هما الموسوعتان الفقهيتان المعروفتان في الاندلس والمغرب والقراءة هنا تعني حفظ هاتين الموسوعتين أو التعمق فيهما على الاقل ، وهذا دليل ساطع على ما يتصف به أديبنا من ثقافة متكاملة ، فقها وطبا وأدبا ، وهي صفات لا يكاد يظفر بها الا قليل من الناس

ومما يزيد في منزلة هذه الشخصية العربية في النفوس ، رفعة نفسه ، فقد كان لا يقابل الاساءة بالاساءة ، وانما يقابلها بالاحسان ، وقد تمثل ذلك في أن بعض جلسائه قال له .

اذا أردت أن توقع خصمك الذي آذاك فإني أدلك على ذلك ، فغضب منه غضبا شديدا وقال · اني لست كما تظن ، وليس ذلك من عادتي ، وكان يجتهد في التعرف على أحوال جلسائه وأصدقائه ، فاذا ما تأكد له أن أحدهم في ضيق فرج عنه وقضى حاجته

ولقد كان من حسن توفيقه أنه أنفق معظم حياته في أشبيلية وهي مدينه أفاء الله عليها من جمال الطبيعة ما لايكاد يوجد الا في قليل من المدن ، شبهها أكثر واصفيها بالقاهرة ، اذ كان نهرها شبيها بنهر النيل ، ولقد تغنى الشعراء به لما فيه من بهاء ورونق ، يقول ابن سفر :

شق النسيم عليه جيب قميصه
فانساب من شطيه يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها
هزءا فضم من الحياء ازاره

ولقد انتشرت فيها أشجار التين والزيتون ، والزهور والرياحين ، تكاد أشجارها وورودها ورياحينها تصد الشمس عنها لالتفافها ، وتأذن للنسيم بأن يرقص أغصانها ، أما قصورها الشاهقة وبيوتها الأنيقة فحدث عنها ولاحرج ، يعيش أهلها في غنى وترف لايسمعون الا تغريد الطيور وحفيف الأغصان وشدو الغواني بالالحان الرائعة ، واذا ما تذكرنا أن أديبنا يحيا



في قصور الخليفة عبد المؤمن ، عرفنا أي حياة تظل ذلك الأديب ، لهذا كله لا نعجب اذا وجدنا نفسه يملؤها حس مرهف يتمثل فيما بقي لنا من شعره ، على شاكلة قوله :

يا من يذكرني بعهد أحبتي
طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث على من جنباته
ان الحديث عن الحبيب حبيب
ملأ الضلوع وفاض عن أجنائها
قلب اذا ذكر الحبيب يذوب
ما زال يضرب خافقا بجناحه
ياليت شعري هل تطير قلوب

ومما يدل على موهبته الفنية ما أجمع عليه مؤرخوه من أنه انفرد بنظم الموشحات ، وهي لون من الشعر لو أردنا أن نوفيه حقه لخرجنا عن القصد ، وأشهر موشح اشتهر به هو هذا الموشح :

ما للموله ... من سكره لا يفيق ... ياله من سكران
من غير خمر ... ما للكئيب المشوق ... يندب الاوطان
هل تستعاد ... أيامنا بالخليج ... ولياليها
اذ يستفاد ... من النسيم الاريج ... مسك دارينا
واذ يكاد ... حسن المكان البهيج ... أن يحيينا
نهر أظله ... دوح عليه أنيق ... مؤنق فينان
والماء يجري ... وعائم وغريق ... من جنى الريحان

ولا أستبعد أن يتساءل القاريء المتأمل لهذا الموشح عن أي خليج يعنيه شاعرنا الطبيب في هذا الموشح ، ويأتي الجواب من خلال أبياته أنه يعني منطقة الخليج العربي ، بدليل انه ذكر « مسك دارين » وهي بلدة معروفة في المنطقة الشرقية من بعض أعمال القطيف الواقعة على الخليج العربي . وليس ابن زهر أول شاعر تغنى بمسك دارين ، فقد نوه بها عبد الرحمن بن عبدالله الملقب بأعشى همدان حيث يقول :

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم
ويرجعن من دارين بجر الحقائب

فالشاعر الأموي يبين لنا أن دارين كانت محجة للناس يذهبون اليها بحقائب خالية ، ويرجعون منها بحقائب ممتلئة بشتى أصناف البضائع الكريمة ، كالمسك الاذفر وغيره من أنواع الطيوب والحلي والجواهر النفيسة التي ترد اليها من أقاصي البلاد .

وليست مدينة دارين وحدها هي المدينة الوحيدة ، وانما يوجد لها أخوات بطبيعة الحال ، فليس من التكلف في شي اذا قلنا ان لهذه المنطقة شهرة ملأت المشرق ثم وصلت الى المغرب ، بل اني لا أظن بأن في هذه المنطقة رياضا غناء تنساب فيها موسيقا تتألف من خرير المياه وتغريد الاطيار ، وتعبق فيها روائح الورود بحيث تكون متنزها يجد فيه الانسان راحة لنفسه ، أو ربما توجد في هذه المنطقة أيام زاهرة ضاعت أخبارها عنا ، ذلك أمر ليس بمستبعد ، وينبغي أن يدفع الباحثين الى تقصي أخبار هذه المنطقة بكل الوسائل على قدر الامكان . □

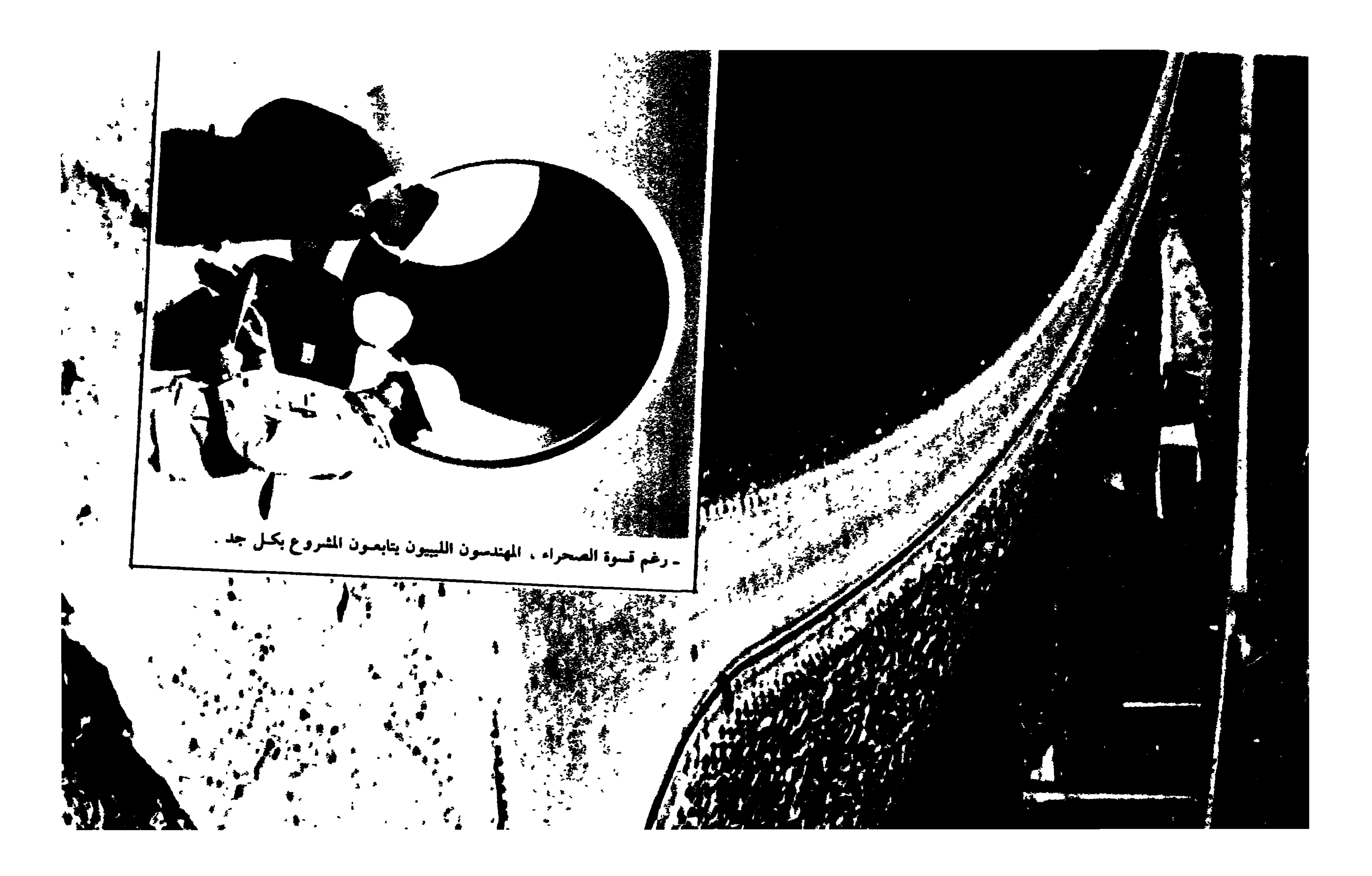


ليبيا تكتشف نهرا في الصحراء

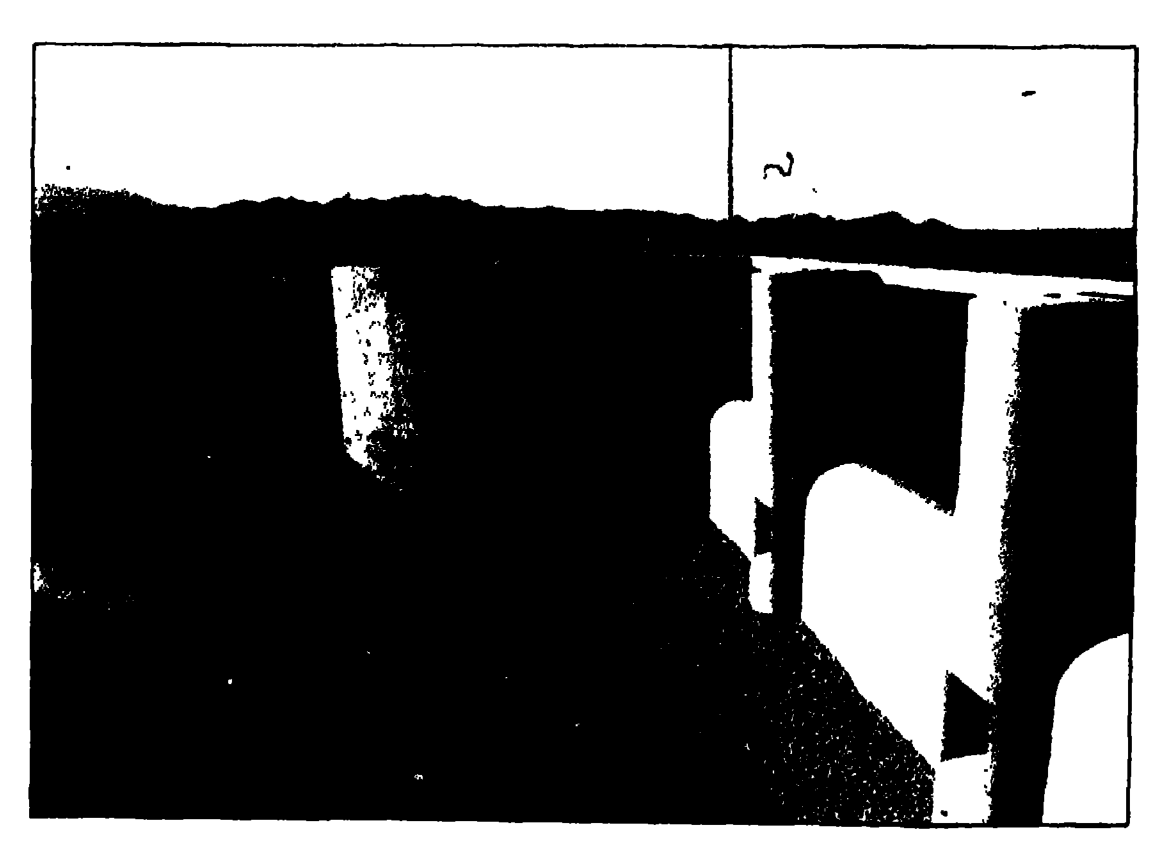
استطلاع : ريم الكيلانى

تصوير : صلاح آدم

ـ ليبيا تشيد السدود في وجه الأمطار الغزيرة ، سد وادي غان أحد أضخم السدود الموجودة في الجماهيرية .



- رغم قسوة الصحراء ، المهندسون الليبيون يتابعون المشروع بكل جد .



- انشأت السدود لحجب مياه الامطار لمنع انجراف التربة والمحافظة على خصوبتها .

****

اذا كان البترول - اكتشاف القرن العشرين - قد أثر على الحياة ، وأعطاها أبعادها وأشكالها الجديدة في كل العالم ، فان اكتشافات أخرى مازال بطن الأرض يفاجئنا بها في كل آن وحين . .

والنهر العظيم الذى تفجرت ينابيعه ، وبانت خطوطه في القطر الليبي ، هو اكتشاف آخر في هذا القرن يوازى في أهميته البترول . . .

فما هي قصة هذا النهر . . ؟ وما هي أهميته لمستقبل الحياة في الجماهيرية الليبية ؟ .

النهر . . . بين الحلم والحقيقة !

من أعماق الصحراء الليبية . . ومن قلب هذه الأرض المعطاء . . سيتدفق مياه النهر الصناعى عبر الجماهيرية لتروى الكثير من المزارع والبساتين . . والكثير الكثير من الأراضى . فلقد كان هذا المشروع حلماً من الاحلام . . فأصبح اليوم حقيقة واقعة لا تقبل نقاشا أو جدلا ، فعلى بعد عدة كيلومترات من بنغازى ، وفي المقر الرئيسى للجنة الشعبية لادارة مشروع النهر الصناعى ، التقينا بالسيد محمد المنقوشى الأمين العام لتنفيذ هذا المشروع الضخم . قال السيد المنقوشى وهو يحدثنا :

« ان قضية وجود كميات كبيرة من المياه العذبة في الصحراء حقيقة معروفة منذ أكثر من عشرين عاما ، حيث تم اكتشاف كميات المياه تلك ، أثناء عمليات التنقيب عن النفط في الصحراء الليبية .

ولكى نحافظ على هذه المياه ، فلا نهدر نعمة أنعم الله بها علينا ، فنجعلها عرقا حيا ينبض في أرضنا ،

قمنا باجراء عدد كبير من التجارب للتأكد من كمية ونوعية هذه المياه . وقد تم بالفعل العثور على كميات هائلة من المياه العذبة المتواجدة تحت الرمال ، والتي تساوي مقدار ما تصبه مياه نهر النيل في مائتي عام .

وكانت الخطوة التالية في البحوث هي التفكير في كيفية استغلال هذه المياه ، في نفس أماكن تواجدها ، لما فيه خير ومصلحة الجماهيرية ، ولما كانت هذه المناطق ذات أراض رملية غير قابلة للزراعة ، وعملية استزراعها أمر مكلف للغاية ، فقد كان لابد من توصيل المياه للأراضي ذات التربة الزراعية ، وهكذا وضعت خطة لتوصيل المياه الى المزارع الساحلية ، والأراضي الجافة . . فتنقل المياه من السرير وتازربو الى المنطقة الواقعة بين منطقتي بنغازي شرقا وسرت غربا ، حيث سيتم نقل مليوني ملم٣ في اليوم ، قد تصل الى ثلاثة ملايين ملم٣ بواسطة الأنابيب الخرسانية .

وفي المرحلة الثانية للمشروع تنقل المياه من حنوب طرابلس الى المنطقة الساحلية في غرب الجماهيرية .

وهذا الخط سيكون قابلا لنقل ما يتراوح بين مليون الى مليونى ملم٣ يوميا ، ويتضمن المشروع كذلك خط أنابيب ثالث لنقل المياه من أجدابيا الى طبرق ، وأخيرا سيتم ربط مدينة سرت بمدينة طرابلس ، ليغطي المشروع احتياجات كافة المناطق من المياه داخل الجماهيرية في مرحلته الأخيرة .

ان تحقيق مثل هذا المشروع يهدف الى توجيه المياه لاستغلال واستزراع الأراضي بغرض الاكتفاء الذاتي من المنتجات الزراعية والحيوانية .

ومن أجل ذلك ، ومن أجل انجاح الثروة الزراعية في ليبيا ، وتحقيق أقصى قدر من الانتاج الغذائي ، كان لابد من تحدى كافة الصعوبات ، وتذليل كل المعوقات التي تقف في سبيل تحقيق الرخاء والتقدم .

وقد قامت عدة هيئات استكشافية عالمية بعمليات المسح الجيولوجي للمنطقة ، وحفر آبار استكشافية وأخرى انتاجية بهدف الوقوف على الامكانيات المتوفرة من المياه ، مما قد يسهم في عمليات التنفيذ ، وتبلغ مساحة كل من أحواض الكفرة والسرير وتازربو ٢٥٠ ألف كم٢ ، بينما تبلغ مساحة حوض مرزق وجبل الحساونة ووادي الشاطىء ٧٢٠ ألف كم٢ .

ولتحقيق الغرض من هذه المياه ، سيتم نقلها بواسطة أنابيب خرسانية ضخمة تعتمد في نقل المياه على الجاذبية تبعا لشكلها الانسيابي ، وهذا من شأنه تقليل استهلاك الطاقة » .

ويضيف السيد المنقوشي في حديثه :

« ونظرا لضخامة هذه الأنابيب ، وما قد يسببه استيرادها جاهزة من الخارج من صعوبات وتكاليف باهظة ، فقد تقرر تصنيع هذه الأنابيب داخل الجماهيرية بواسطة مصنعين كبيرين أنشئا لهذه الغاية .

وقد صممت هذه الأنابيب لمقاومة مخاطر وعوارض القدم وعوامل الضغط والتآكل وتقلبات المناخ ، وذلك لضمان نقل المياه بطريقة سليمة ومنتظمة » .

وينتهي السيد المنقوشي من حديثه حول المشروع ومراحله ، ويدعونا لزيارة معسكر العمل والاطلاع على المشروع وكيفية سير الأمور ، ولمتابعة مراحل التنفيذ عن كثب .

في معسكر العمل

وتنقلنا طائرة المشروع الخاصة الى مدينة الكفرة ، على بعد ألف كم من مدينة بنغازي . وحين هبطنا في



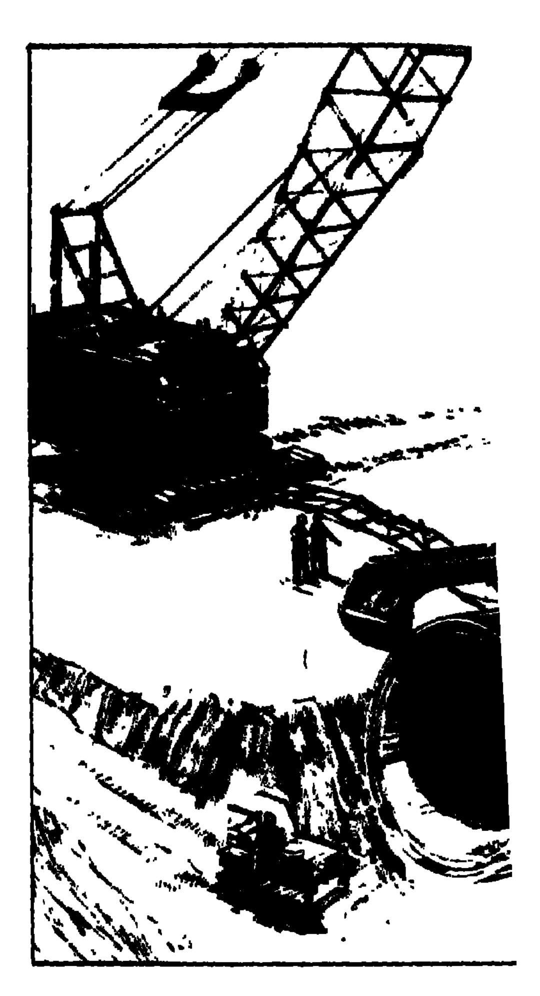
ـ السيد محمد المنقوش الامين العام لتنفيذ مشروع النهر الصناعي .

ـ الخندق ستنزل به أنابيب النهر الصناعي ويبلغ عمقه ٧ أمتار .

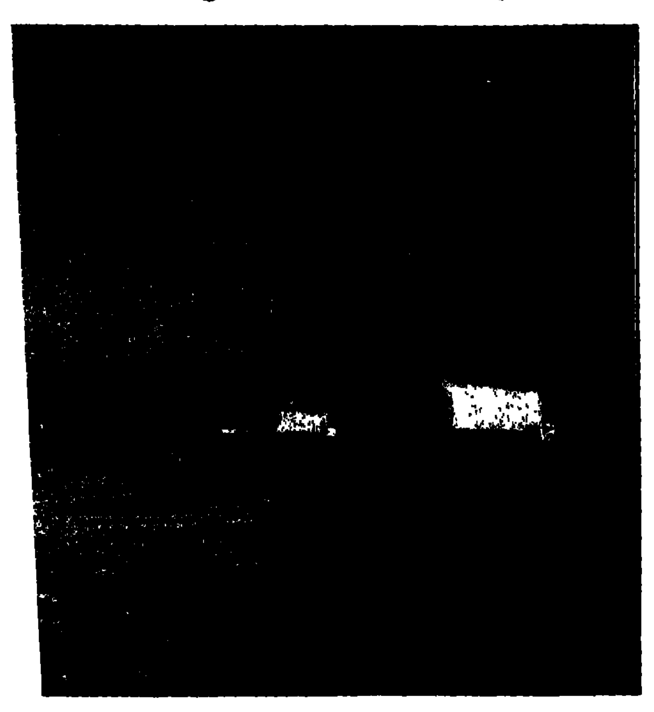
ـ الآلات والرافعات الموجودة في أرض المشروع استعدادا لمد الانابيب .

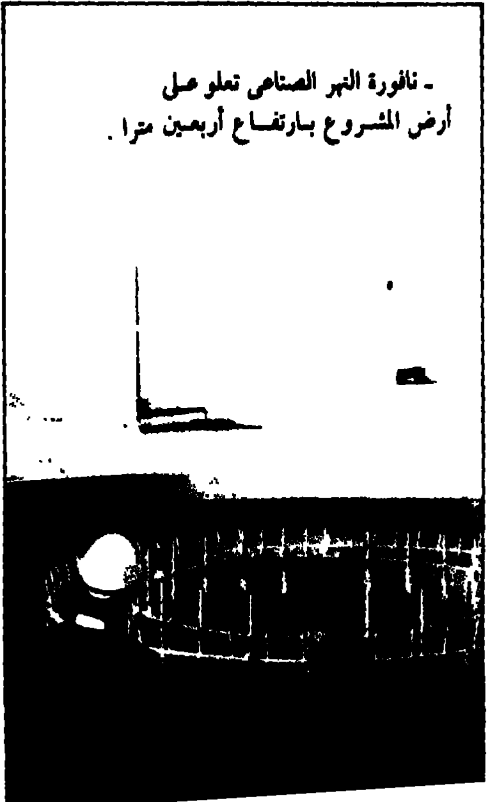






▲ ـ الأرض الخصبة .. تستعد لزراعة التفاح .





ـ نافورة النهر الصناعي تعلو على أرض المشروع بارتفاع أربعين مترا .

الكفرة شدت انتباهنا كمية المعدات والآلات الحديثة التي استوردت خصيصا لتنفيذ العمل ، وعدد كبير من المهندسين والعاملين المتواجدين في الموقع .

وقد تابعنا بأنفسنا سير العمل وطريقة تصنيع الأنابيب الخرسانية من البداية ، حين تكون مجرد رمال الى أن تصبح أنبوبة ضخمة جاهزة للتركيب . وفي ورشة تصنيع الاسطوانات ، تقطع وتلحم الصفائح الفولاذية لتشكل اسطوانة انبوبية كبيرة بالحجم وبالطول والقطر المطلوب ، وتشكل حلقتا نهايات الانبوب باتباع طريقة هندسية خاصة . وتلحم بطرفي الاسطوانة المفتوحين ، وتكون مجموعة الاسطوانة عند اكتمالها غشاء محكما ضد الخرسانة ، ويمنع تسرب المياه .

وتستعمل الأجهزة والآليات الخاصة دائما ، وأساليب المداولة وطرق النقل خلال جميع خطوات الانتاج لحماية الأنبوب من الضرر . وتخضع كل مجموعة اسطوانية للفحص بهدف اختبار مدى كفاءة تحكم سريان المياه بداخلها . ويخضع الجدار الداخلي للاسطوانة الى ضغط مائي لتحرى أصغر ثقب يمكن أن يكون ، ويتم لحم الثقوب الموجودة بطريقة محكمة ، وتعد الاسطوانة مرة ثانية لفحص جديد . ويوجد كذلك عدد من الأعمال المصاحبة لانشاء هذه المنظومة ، مثل الطرق ، وشبكات الكهرباء ، والتحكم ، وأعمال الحفر والردم ، وتطوير المحاجر لاستخراج الحصى ، وغير ذلك من الاعمال المتفرعة . ثم تهيأ الأنابيب الخرسانية الجاهزة للتنظيف والشحن بواسطة أطقم كبيرة من الشاحنات القادرة على السير في الأماكن الوعرة ، فقد تم انشاء ما يعادل ١٥٠٠ كم من الطرق الجديدة .

ويبلغ عمق الخندق الذي ستنزل فيه الأنابيب وتركب في المكان المناسب سبعة أمتار ، ويتطلب خمس فرق من العمال لمدة أربع سنوات بمعدل تركيب قطعة أنبوبية واحدة كل خمس عشرة دقيقة .

وتصل كلفة هذا المشروع الى ٢٧ مليار دولار ، ويستغرق تنفيذه حوالي عشر سنوات . سيقام في المرحلة الاولى مصنعان لانتاج أضخم الأنابيب الخرسانية في العالم تقريبا بقطر داخلي يساوي أربعة أمتار ، بينما يبلغ طول الانبوب سبعة أمتار ونصف ،



ـ السيد حسين الاسود ، المهندس بامانة الزراعة

بوزن ٨٠ طنا للماسورة الواحدة ، ويتكون مصنع السرير من ثلاثة خطوط انتاج ، بينما يتكون مصنع البريقة من خطي انتاج .

وسيتم كذلك تطوير حَقْلَي السرير وتازربو لحفر الآبار ، وتجميع المياه في أجدابيا ، وانشاء محطة كهربائية في السرير ، وتضم المرحلة الأولى من المشروع توفير كميات من المياه التي تحتاجها صناعة الأنابيب في مصنع البريقة ، الى جانب انشاء طرق صناعية للنقل الثقيل ، وستستغل المواد الخام المتاحة في تصنيع الأنابيب كالحصى والرمل والاسمنت ، فضلا عن اتاحة الفرص أمام الخبرات والكفاءات العربية للتدريب على العمل في هذه المصانع .

وسوف تبلغ الطاقة الانتاجية للمصنعين ٦٠٠ كم من الأنابيب سنويا ، ويبلغ الطول الاجمالي للأنابيب ٤٢٠٠ كم ، وسينشأ عدد من خزانات المياه التي تتسع لتخزين ٣٠٠ مليون م^{٣} من المياه ، لتنظيم مواسم الزراعة في مختلف فصول السنة .

ان هذا المشروع فيه الكثير من الطموح ، وفيه الكثير من وعود الخير والنمو والتطور ، وسيحقق للشعب الليبي الكثير الكثير من الآمال والأحلام والطموحات .

وهو عمل كبير وشاق ، يحتاج الى الصبر والمثابرة والامكانيات الكبيرة . ولأنه كذلك . . فان الآمال المعلقة عليه هي أيضا كبيرة وواسعة .

لكن ما هي أحوال الزراعة في القطر الليبي الآن ، قبل أن يساهم النهر الجديد في رفد الأرض بالخصب وفي رفد الانسان بالآمال والطموحات ؟ .

في الحاجة تكمن الحرية :

الارض دون الانسان لا تنبت قمحاً . هذا ما بدأ به حسين الأسود ـ المهندس الزراعي في أمانة الزراعة ، والمكلف بادارة المنطقة الزراعية الوسطى ـ حديثه في لقائنا به .

واضاف : لما كانت الزراعة هي العمود الفقري للاقتصاد الوطني ، فقد سخرت الحكومة كل الامكانيات لاستصلاح الأراضي ، وانشاء مزارع حديثة ، وبناء السدود لاستقبال مياه الأمطار وتجميعها ، بغية استعمالها في ري الأراضي والتحكم بالفيضانات ، وحماية المدن والقرى الزراعية ، وتغذية الخزانات الجوفية واستغلال كميات المياه المهدورة ، ومقاومة الانجراف ، واستزراع أراض جديدة ، وتوجد في الجماهيرية عدة سدود لهذا الغرض مثل سد وادي غان وسد وادي زارت . وتتركز وظيفة هذه السدود في تجميع مياه الأمطار التي تجري بغزارة خلال الفترة من سبتمبر الى مارس ، مسببة الفيضانات ، وتعمل بالتالي على انجراف التربة الخصبة ، وهذه السدود تساهم مساهمة فعالة في الاستفادة من المياه المهدورة وتحويلها للزراعة .

يقول السيد الأسود : نحن في ليبيا نؤمن بضرورة الاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية ، والوصول بالانتاج الزراعي الى أكبر قدر ممكن من الاكتفاء الذاتي ، وهذا يتضمن استصلاح واستكمال تنمية ما مساحته ٦٩٠٨٩ هكتاراً من الأراضي المروية ومساحة ٥٥٢٥٧٩ هكتاراً من الأراضي البعلية ، الى جانب استصلاح مساحات شاسعة أخرى من الأراضي للتنمية العلفية مما يكفل زيادة انتاج اللحوم .

ولما كان هدفنا الاول تأمين الانتاج الزراعي بما يحقق الكفاية الذاتية للجماهيرية ، فقد تضمنت خطة التنمية الزراعية زيادة انتاج كل من القمح والشعير والخضر والفاكهة من الحمضيات والتفاحيات (التفاح ـ الكمثري واللوز والفستق) وثمار الزيتون بما يكفل الموازنة الغذائية ويحقق الاكتفاء الاقتصادي .

ويستطرد السيد الأسود قائلا :

يوجد في الجماهيرية مشاريع زراعية انتاجية عديدة ، فمشروع النصر الزراعي مثلا هو أحد المشاريع العملاقة التي أخذت عل عاتقها عمليات التوسع الأفقي والراسي بزيادة الرقعة الزراعية ، وزراعة الغابات في الأراضي التي يصعب استغلالها ، بهدف المحافظة على التربة وانتاج الأخشاب في المستقبل ، أي أن المشروع سيغطي الأرض التي يشغلها بكساء أخضر .

وتعتمد عملية ري المساحات المزروعة على ثلاثة أنواع من الري :

نظام الري الدائري المعلق حيث يتم ضخ المياه بواسطة محطة الضخ التلقائية ، ثم نظام الري بالرش الثابت والمتحرك ، وأخيرا نظام الري بالتنقيط ، والذي يستعمل في ري مناطق الزراعة المحمية ، وسوف يساهم هذا المشروع في توفير الحبوب والاعلاف والخضروات والفاكهة والزيتون والحمضيات واللوز والعنب . ويتبع القائمون على هذا المشروع أسلوبا علميا في معالجة الأمراض والآفات التي قد تصيب النبات ، وتلجأ الى هذا الأسلوب فرق رش متخصصة تحت اشراف شعبة الوقاية بالمشروع .

ويدعونا السيد الأسود لزيارة مشروع غريان الزراعي للاطلاع على نوع آخر من المشاريع الزراعية الانتاجية ، فتوجهنا صبيحة اليوم التالي الى غريان ، حيث كان للطبيعة الخضراء ، والاراضي الممتدة المكسوة بالأشجار والنباتات المختلفة الانواع وقع طيب في نفوسنا . فأنت حين تجوب هذه المزارع ، وتسير في الغابات بين أشجار السرو والصنوبر ، لن يصيبك الوهن ولن تشعر بأدنى تعب ، فالطبيعة الخلابة تتكفل بازالة العناء ، وربما آنستك الحياة المدنية ولن يكون للغرابة مكان اذا ما شدتك هذه الأرض اليها وجذبتك لعبقها الطيب .

طرابلس
خليج سرت
بني وليد
سرت
بنغازي
طبرق
خزان التجميع الرئيسي باجدابيا
البريقة
جالو
حقول مياه فزان
حقل مياه السرير
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
حقل مياه تازربو
الكفرة

ـ من الصعب على الانسان أن يتخيل ضخامة هذا النهر العظيم الا بعد مقارنة مساحته بمساحة القارة الاوروبية .

أحدث أنواع الكسارات التي تعمل على طحن الحصى

جهد متواصل وعمل لا ينقطع في قلب الصحراء الليبية





الفلاح الليبي ، قوة لاتعرف الضعف بفأسه وايمانه ، يحرث الارض ، يحفرها ويغرسها ايمانا منه بأنه من الارض واليها .

غريان في حلتها الخضراء :

تقع غريان في منطقة الجبل الغربي ، حيث مشروع جندوبة الزراعي ، وهذا المشروع مخصص لزراعة ٥٠٠ هكتار من التفاح والكمثرى والزيتون ، وانتاج ما يعادل ٢٠ الف لتر سنويا من الزيت .

يشمل هذا المشروع حوالي ٥٥ ألف هكتار من مساحة الجبل الغربي ، وتزرع به ٢٠٠٩ شتلة تفاح وكمثرى على المرتفعات او المدرجات الزراعية التي صنعتها يد الفلاح الليبي ، لتقف في وجه الأمطار والسيول التي تجرف التربة وتشكل الوديان .

وعلى سفوح الجبل الغربي وفي مدينة غريان ، التقينا بالسيد حميدة عبدالكريم مدير مشروع غريان الزراعي حيث قال : نحن نأمل اولا وأخيرا تحقيق الاكتفاء الذاتي ، ولما كانت عملية الاستيراد ضرورية للقيام بمشروع ناجح ، كان لا بد من توفير الشتلة الأم تمهيدا لعمليات الزرع الذاتي والتطعيم التي ستوفر مستقبلا كميات كافية من الخضروات والفاكهة تسد حاجة الاستهلاك المحلي .

وهذا المشروع رراعي خالص ، تدخل معه بعض عمليات التوسيع في حالة هلاك او موت شجرة . وتعتمد عملية الري في البداية على الري بالسيارات ، ثم تصبح بعلية معتمدة على مياه الأمطار ، أو على المياه الجوفية المتواجدة في الآبار والخزانات .

ونوفر للعاملين في هذا المشروع الجرارات وآلات الحرث والتمشيط ، من أجل توسيع الرقعة الزراعية في هذه المنطقة . كما أن وجود بعض الأراضي الصخرية غير الصالحة للزراعة في المنطقة جعل الأهالي يتجهون الى زراعتها بالغابات ، في محاولة لتثبيت رمال المنطقة غير الثابتة ، وتقليل تطايرها مع الهواء ، مما قد يسبب فساد المحاصيل .

هذا وقد تعرفنا على كيفية سير الأمور ، وعلى الجهد المبذول في سبيل انجاح هذا المشروع الزراعي ، عندما زرنا موقع العمل ، فحين يمتد بصرك بين أشجار التفاح وشجيرات الكمثري واللوز ترى أروع منظر وأجمل آية صنعتها سواعد الانسان

هذا فلاح يحرث الأرض بكل ما أوتي من قوة ، وآخر يقلب التربة ، وثالث يغرسها . . وهاهي زوجاتهم من بعيد تساعدهم وتقدم لهم يد العون . . خلية واحدة واسرة مترابطة ، وعمل دؤوب ، وعزيمة لا تلين .

لقد أدركنا الوقت ، ونحن لا نزال نعجب بما نراه من جهد متواصل لا يعرف التعب أو الملل . . فلقد بدأت الشمس بالأفول . . وهاتيك الخيوط الذهبية تنثر ضوءها على شجر الزيتون المثمر ، وعلى كساء الأرض الأخضر ، فتبهر عينيك أنك ترى صورة آخاذة وفردوسا خلابا .

اتجهنا الى بنغازي وكلنا فضول ، ومنها الى البيضاء مرورا بالمرج في منطقة الجبل الأخضر ، حيث المشروع الزراعي ، والذي هو أحد أجزاء مشروع الفاتح الزراعي . ان ما وجدناه من انجازات عظيمة ونشاط وجهد خالصين ، أثار في أنفسنا رغبة صادقة للتعرف على المنطقة ،وزيارة المشاريع التابعة لها .

نحو آفاق جديدة :

وقد أثار اعجابي منظر المدرجات الجبلية التي كونتها الحركات الأرضية العمودية في الجبل الأخضر ، فهاتان سلسلتان من الفوالق موازيتان لشطر البحر ، وحين وصلنا القمة لم نر أمامنا سوى أشجار السرو والصنوبر تحيط بشجيرات التفاح والكمثرى ، وضوء الشمس يتخلل ـ بصعوبة ـ هذه الغابات الكثيفة . ولم نستطع رفض عرض قدمه لنا السيد عبد القادر التجوري مدير مشروع الجبل الأخضر في منطقة المرج للقيام بجولة في المنطقة بطائرة خاصة .

ومن بعيد . . ومن نافذه الطائرة لاحت لنا أشجار الزيتون ذات الخضرة النضرة . . ويشد انتباهنا التنسيق والترتيب الذي زرعت به الأشجار والشتلات ، والاسلوب المنمق في غرس أشجارالسنط والكازورينا ، بحيث جعلها تحيط بالمساحات المزروعة من كل الجوانب لتقف في وجه ريح الجنوب التي تهب على منطقة الجبل الاخضر .

ان غيرة السواعد على أرضها ، ورغبتها الصادقة في العطاء تدفعها لزراعة مصدات الرياح ، فتكون سياجا منيعا يحمي أزهار الأشجار من التساقط ، كما تساعد على تقليل درجة الحرارة والجفاف في

الصيف ، وتعمل أيضا على تخفيض نسبة البخر وتعرية التربة .

ان مشروع الجبل الاخضر الذي يتكون من ١٦٠٠ مزرعة تقريبا يضع كل مزرعة تحت يد مزارع ليبي ، وتخضع هذا الزراعة لعدة أنواع من أنظمة الري ، بعضها يروى تبعا لنظام الري الدائم ، والبعض الأخر يعتمد في ريه على المياه الجوفية ، كما صممت شبكة ري حديثة لبعض الأجزاء الأخرى .

ان الطبيعة المناسبة لمنطقة الجبل الأخضر حيث المناخ ملائم ، وطبيعة التربة تتميز بالخصوبة والمسامية ، فالأراضي هناك عميقة ذات تربة مسامية خالية من القطع الصخرية والأملاح ، أما المياه فمصدرها من الأمطار التي تسقط على المنطقة بكميات هائلة ، وتترسب خلال التشققات والتجاويف ذات التكوين الجيري ، فتتجمع مكونة أحواضا جوفية يرتفع منسوبها كلما توغلنا داخل الجبل .

ولما كانت الحاجة ماسة لزيادة كفاءة استغلال المصادر المائية المتاحة مع ضرورة توفير المياه بالكميات الكافية لتنفيذ برنامج الاستزراع ، فقد قامت الجماهيرية باجراء دراسات متنوعة لاقامة عدد من السدود والخزانات للاستفادة من كميات المياه التي تذهب في البحر ، وتهدر بلا فائدة ، واستخدامها في أغراض الري .

يوجد كذلك في المنطقة عدد من السدود التعويقية في مجاري الوديان ، بهدف تهدئة سرعة اندفاع المياه من أجل الحفاظ على التربة من الانجراف فقد حان الوقت للوقوف في وجه هذه السيول ، وقد تم وضع برنامج لحفر الآبار تبعا لطبيعة المنطقة الى جانب شبكات الري التي تتغذى من الآبار مباشرةً ، أو من خزانات تجميع المياه بواسطة محطات للضخ وفق نظام مدروس للري اما بالرش أو التنقيط .

من أجل كل هذا ، كان لا بد من اتباع الوسائل والطرق الزراعية المبنية على أساس مدروس ، وانشاء مزارع الفاكهة المختلفة ، واختبار الأنواع المناسبة من التربة والتي تتفق مع نوع الشتلة . . توجد كذلك أصناف تلائم البرودة وأخرى تحتمل الجفاف .

ان سياسة التنفيذ لهذا المشروع تسير على أساس اختيار مساحة عشرة هكتارات من كل مزرعة وتخصيصها لزراعة العنب ، بينما تزرع أشجار الفاكهة في مساحة تتراوح بين سبعة وثمانية هكتارات في كل مزرعة . ويتم اختيار الأصناف المراد زرعها طبقا لمعدلات الأمطار ونوعية التربة ، وغالبا ما يكون التركيز على الأصناف ذات الانتاجية العالية والملائمة للظروف البيئية ، والقادرة على مقاومة الأمراض والآفات وتحمل الظروف المناخية .

ويضيف السيد عبد القادر التجوري أمين المشروع في حديثه : (تتضمن العملية الزراعية الانشائية دراسة التربة ، وتحديد موقع الزراعة ، واستصلاح الأراضي والحراثة العميقة ، وزراعة المحاصيل الشتوية من القمح والشعير والشوفان والأعلاف ، والاستفادة منها في تنمية الثروة الحيوانية . وقد وضعنا نصب أعيننا ضرورة اتباع أسلوب زراعي مدروس ، وتخصيص دورات زراعية مناسبة للعناية بتجهيز الأرض وتغذيتها مما يزيد من خصوبتها وتحسين خواصها ، وبذلك تصبح منطقة الجبل الأخضر من أكثر المناطق انتاجا للحبوب في ليبيا ، ولتحقيق الفائدة المرجوة من هذا المشروع كان لا بد من انشاء



ـ داخل الصحراء الليبية وفي موقع العمل ، معسكر للعمال يتوجهون اليه طلبا للراحة .

ـ المهندس طاهر سيالة يشرح مراحل التنفيذ على الخريطة



ـ الأسواق الليبية تجربة جديدة لتسويق الانتاج المحلي



مصفاة للبذور على أحدث الوسائل الفنية ، لتصفيتها وتعقيمها ولاستخدامها في المواسم التالية لانتاج البذور .

ولما للخضروات من أهمية وضرورة ملحة في المجتمعات ، فقد تم افراد جانب لها ضمن هذا المشروع ، فخصصت مساحة نصف هكتار تقريبا لكل مزرعة ، كحديقة منزلية لانتاج الخضروات الشتوية البعلية ، التي تكفي الحاجة المحلية .

ولما كان أملنا هو توفير الخضروات الأساسية في غير مواسمها ، فقد اتجهت الهيئة المسئولة عن تنفيذ مشروع الجبل الأخضر لانشاء البيوت الزجاجية ، والتي تضم معدات آلية مختلفة للتحكم في درجات الحرارة ، ونسبة الرطوبة ، بحيث تتناسب مع الأنواع المختلفة من الخضروات المزروعة .

ويشمل المشروع أيضا غرس المساحات المفرزة بأشجار العنب والفاكهة المختلفة ، الأمر الذي يتطلب توفير الشتلات اللازمة ، وتقوم المشاتل بتوفير هذه الشتلات للتشجير ، وزراعة أصول جديدة من الفاكهة تلائم طبيعة الأرض وتقاوم الآفات .

وتوفر الحكومة لكل مزارع يفلح الأرض بساعديه ويحرثها بعزيمته بيتا عصريا كامل التجهيز ، وآلات للحراثة والحصاد ، وخزائن للمياه بعضها للري والآخر للاستعمال المنزلي ، وحظيرة للدواجن والأرانب ، وأخرى للأبقار ومظلة للآلات ، وكذلك تقوم الهيئة بتدريب الفلاح على كيفية استعمال الآلة وصيانتها ، وبذلك تكون الجماهيرية قد خلقت جيلا جديدا من المزارعين والمنتجين ، ووفرت مهارات فنية لازمة للتنمية الزراعية .

ويوجد في المنطقة أيضا مطار زراعي خاص بالأعمال المتعلقة بشئون الزراعة ، من نثر الأسمدة والبذور والري الى رش المبيدات الحشرية ، وذلك حفاظا من الهيئة العامة المنفذة لمشروع الجبل الأخضر على تلك الثروة ، والتي ستحقق في المستقبل القريب أمل ليبيا في الاكتفاء الذاتي .

ان هذا المشروع ، وغيره من المشاريع ما هو الا تعبير عن التقدم الذي أحرزته وتحرزه ليبيا ، بل هو ترجمة لخطوات واسعة خطتها في سبيل امتلاك ثروة أرضها الخضراء . □



- أمل وتطلع نحو مستقبل زاهر ، فتاة ليبية تنتظر تحقيق الحلم







معذرةً إذا بدأتُ أكتبُ القصائدَ المجرَّحةْ
وأستقيلُ من منابرِ الغناءْ
معذرةً إذا هجرتُ ذلك الميناءْ
فإنني فقدتُ في دوّامة الصّمتِ بريق الأسلحةْ

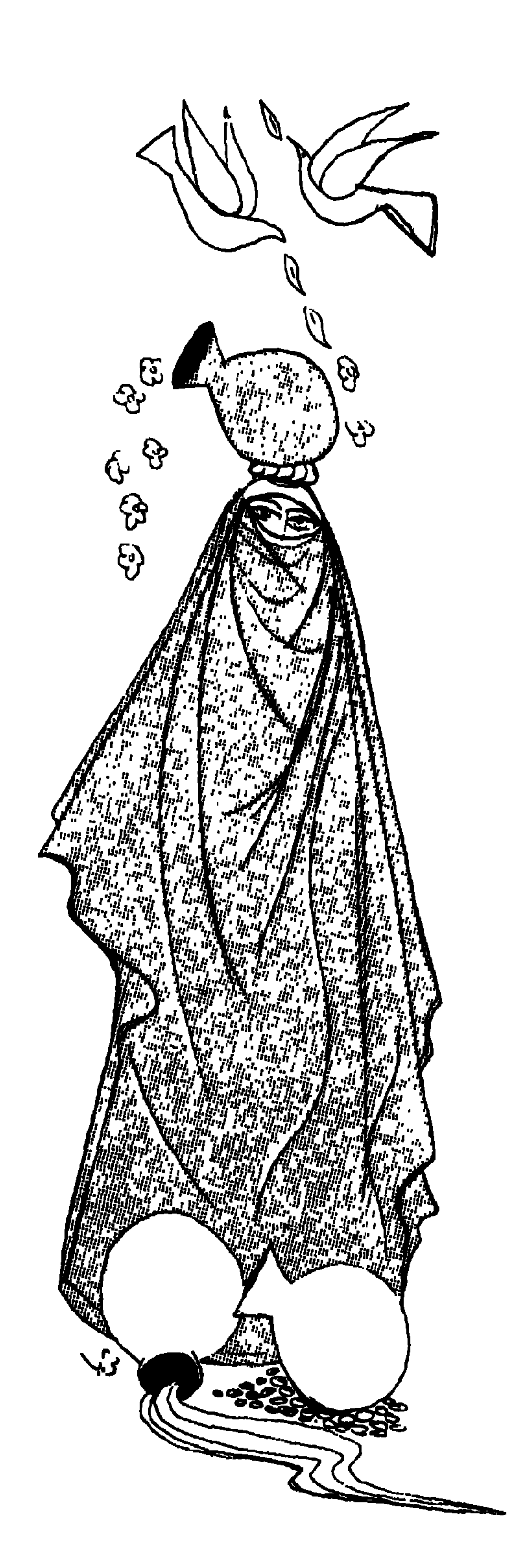
***

معذرة
فالقادم الجديد ينهب الفضاء
ليسقطَ المرحلة المسطحةْ
ويستعيد في زماننا العقيم نضرة الاشياء

***

لعلها رصاصة الخلاص قبل صرخة الميلاد
لعلها انتفاضة الجمرة في الرماد
فإنّ ذلكَ الجوادَ قادمٌ . . . .
وخلفهُ الجيادْ . . .
لا بدَّ لي من وقفةٍ على تُخومِ المجزرةْ

بقلم : محمود مفلح



لأقرأ الوجوهَ والسيوفْ .
لأستعيدَ صوتَ الحبيبَ من ضراوةِ الدفوفْ
وأجمعَ الروايةَ المبعثرةْ . .
وأُطلِق الصُّراخَ من جديدْ
لعلّني . . أُضِيءُ ليلَ المقبرةْ . .

***

أكادُ أُبصرُ الربيع فى ملاعب الصغارْ
أكادُ أُبصرُ المياهَ تزحم الأنهارْ
وأُبصرُ الغيد من الفرات
تملأُ الجرارْ
أكادُ أُبصرُ العيونَ تسكبُ الفرَحْ
وأُبصرُ الزمانَ يستديرْ
وأُبصر الجناحَ شامخاً
وهاهى النجوم من جديدْ
تتيهُ في السماءْ
تُكَحِّلُ العيونَ بعدَ ليلِها الطويلْ
تُعيدُ للأحداقِ سحرَها
وللورود عطرَها
وللحياةِ نبضَها الأصيلْ .

منذ اللحظة التي أعلن فيها الأطباء أن القلب الاصطناعي ينبض من جديد في صدر مريض جديد ، والدوائر العلمية والطبية تتابع هذا الانجاز . . ولقد خصصت المجلات والصحف العالمية ، حتى غير المتخصصة منها مساحات كبيرة تنقل فيها الى القراء التقدم الذي حققه الجراحون في زراعة القلوب الاصطناعية . . وفي هذا المقال الذي يكتبه للعربي أحد جراحي القلب العرب المعروفين قد نجد الكثير من الايضاحات للتساؤلات التي تدور في رؤوس الناس . هل ينجح الطب أخيرا في اعادة نبض الحياة الى جسد مريض نزعوا قلبه التالف ؟

مرة أخرى ..

نبض الحياة مع القلب الصناعي

بقلم : الدكتور هاني شحيبر

الذي لاشك فيه ونحن نخوض في الحديث عن أهم انجاز طبي خلال الأعوام الأخيرة ان المؤرخين سوف يضعون هذا القرن الذي أوشك على الانتهاء في مكانه من التاريخ ، بوصفه تلك الحقبة من الزمن التي تحققت فيها اهم الانجازات العلمية والطبية في تاريخ البشرية .

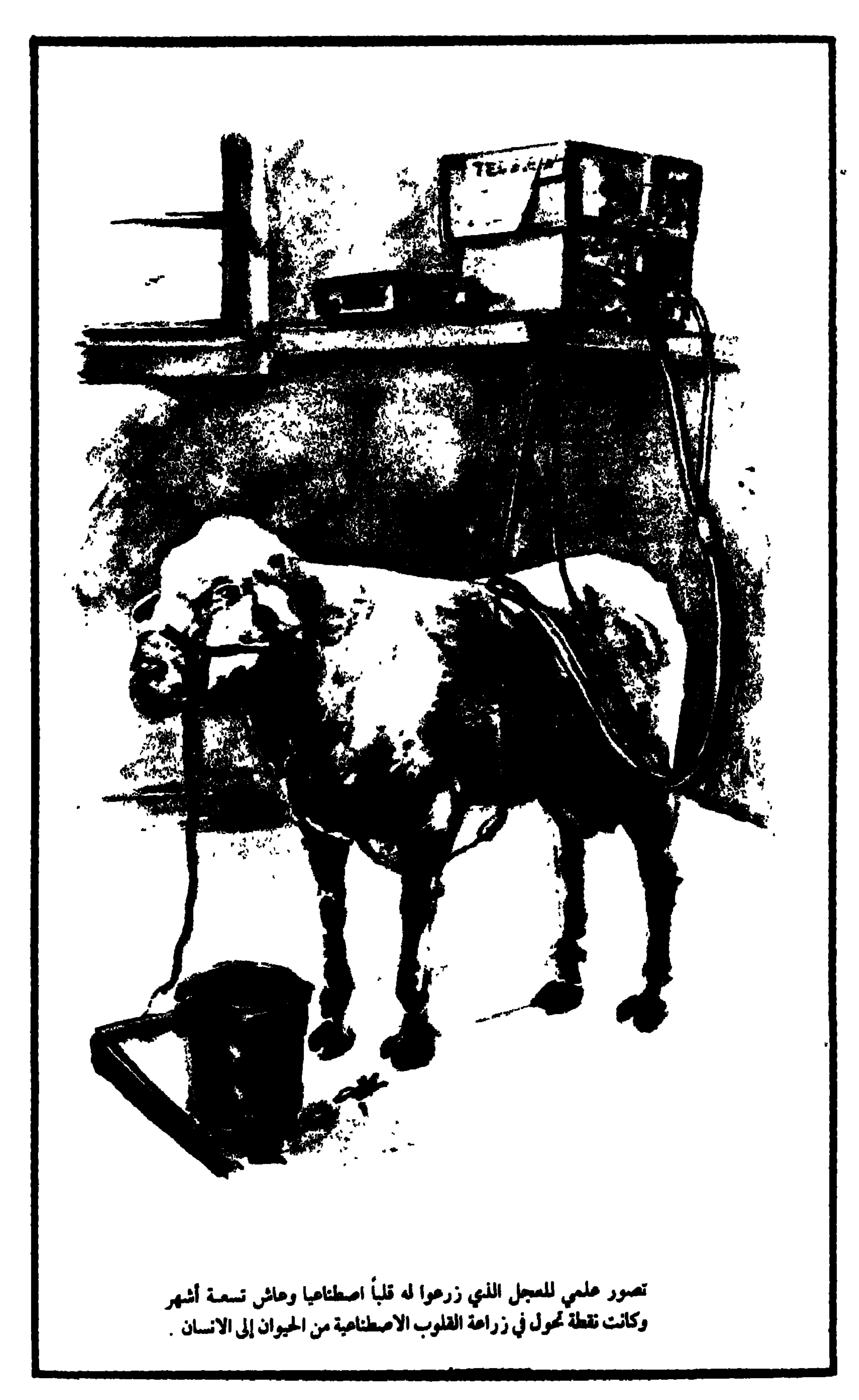
ولعل أعظم هذه الانجازات ما تحقق بالنسبة للانسان نفسه ، أثمن وأغلى ما في هذا الكون ، ففي خلال السنوات الأخيرة حقق الطب نجاحا ملموسا في زراعة الأعضاء في الجسم البشري ، ولاشك أن زراعة القلب ، تلك العضلة الحيوية القوية التي بدونها لا تكون هناك حياة ، كان أهم مجال استأثر باهتمام الجراحين في مختلف انحاء العالم .

ان زرع القلب الاصطناعي يعتبر تطورا هائلا في جراحة القلب . . ولا أريد أن أمضي في شرح أهمية الجراحات التي أجريت خلال السنوات الأخيرة لزرع قلوب بشرية جديدة أو اصلاح أجزاء من القلوب المريضة ، وهي التي قادت في النهاية الى زرع القلوب الاصطناعية التي كان آخرها حافزي الى الخوض في هذا التقدم الرائع الذي توصل إليه الطب . والذي تفوق أهميته هبوط الانسان على سطح القمر .

حياة . . بلا قلب

انها ، كما نعرف ، ليست المحاولة الأولى للابقاء على حياة انسان لا أمل في اصلاح قلبه التالف ، بواسطة زرع قلب اصطناعي في صدره ، يعمل بمحرك خارجي متصل به ، ويستمر في ضخ الدم الى مختلف أعضاء الجسم . . . فقد كانت المحاولة الأولى ، كما نذكر ، مع طبيب الأسنان المتقاعد بارني كلارك الذي بقي القلب الاصطناعي ينبض في صدره لمدة ١١٢ يوما فارق بعدها الحياة .

أما المحاولة الثانية التي نحن بصدد الحديث عنها اليوم تلك التي أثارت كل هذا الاهتمام من جانب الدوائر الطبية والعلمية والاقتصادية في شتى أنحاء



تصور علمي للعجل الذي زرعوا له قلباً اصطناعيا وعاش تسعة أشهر وكانت نقطة تحول في زراعة القلوب الاصطناعية من الحيوان إلى الانسان .

العالم ، فبطلها رجلان : الأول ، الجراح وليام ديفري الذي قام بزرع القلب الاصطناعي ، والثاني (شرويدر) المريض صاحب القلب التالف الذي انتزع من صدره ليفسح المجال للقيام بثاني أهم تجربة للإبقاء على حياة الانسان بدون قلب .

وقد كان ديفري ، هو نفسه الذي قام بالمحاولتين الأولى والثانية . .

ونتوقف هنا قليلا عند (شرويدر) . . من هو الرجل الذي رضي عن طيب خاطر ، بل برغبة لا تخلو من حماس ، لأن يكون حقل التجارب الثاني لهذه الجراحة الخطيرة ، ثم كيف كانت حالته قبل أن يستسلم لمبضع الجراح الذي قال له وهو يشد على يده : (انني اثق فيك ، فأنا ميت ميت ، من يدري فقد يكتب لي القدر حياة جديدة) .

من هو شرويدر

شرويدر (٥٢ سنة) كان له تاريخ مع قلبه المريض ، وقد بدأ حياته في سلاح الطيران حيث أمضى أكثر من خمسة عشر عاما ، ثم عاملا بسيطا ، ثم موظفا في إحدى الشركات ، ولكنه ما لبث أن ترك عمله بعد أن اضطربت حياته على أثر العملية الجراحية التي أجريت له في شهر يناير من عام ١٩٨٣ ، عندما زرعوا له شريانين في القلب ، وبعدها أصيب المريض بهبوط حاد في البطين الأيسر اضطره الى ملازمة فراشه دون القيام بأي نشاط لمدة عام على الأقل ، قبل أن يبدأ الجراح ديفري في اعداده لزرع القلب الاصطناعي . والى جانب هذا كله كان شرويدر يعاني ايضا من داء السكري ، كما اجريت له عملية لاستئصال المرارة بعد أن اكتشف الجراحون وجود حصيات فيها ، ثم اقتلعوا ستة ضروس من فكه الأسفل ، دفعة واحدة ، كجزء من الاعداد الدقيق الذي كان لابد منه قبل اجراء عملية زرع القلب الاصطناعي .

باختصار ، لم يكن شرويدر الرجل المثالي للخضوع لهذه التجربة الطبية الأخيرة ، ولكن كانت هناك عدة عوامل ساهمت في اقدام الجراح ديفري على هذه المغامرة ، من بينها رغبة المريض في البقاء وتعلقه بالحياة ، ثم يأس الأطباء من شفائه اذا تركوه بقلبه التالف ، الذي كان يزداد تلفا يوما بعد يوم ، حتى أصبحت أيام بقائه على قيد الحياة معدودة ، وأخيرا الشعور بالاحباط الذي كان قد بدأ يسيطر على ديفري ، وهو يبحث ويبحث عن مريض آخر بعد بارني كلارك ، يمكن أن يقبل اجراء هذه التجربة الخطيرة عليه .

أعدوه للموت قبل الحياة

وكان المريض شرويدر يعلم بخطورة حالته . . وكذلك زوجته وأبناؤه الستة ، الذين يبلغ أكبرهم الحادية والثلاثين ، وأصغرهم التاسعة عشرة . . وقد أعدوه فعلا للموت قبل أن يعدوه للحياة ، فقد زاره القس وصلى من أجله في الليلة السابقة لاجراء الجراحة !

ولكن أسرته بقيت تتعلق بهذا الخيط الرفيع من الأمل الذي يمسك الجراح ديفري بأحد طرفيه ، حتى بعد أن رفضت كل مراكز زراعة القلب البشري ، زرع قلب لشرويدر ، بسبب حالته الصحية السيئة من ناحية ، ولأنه قد تجاوز سن الخمسين ، وهذا شرط أساسي في اختيار مرضى القلب الذين يوافق الجراحون على زرع قلوب لهم انتزعوها من أجسام آخرين توفوا لأي سبب لا يكون متصلا بمرض في القلب .

المهم بعد هذا أن الجراحة اجريت للمرة الثانية في تاريخ زرع القلب الاصطناعي . وقد يعيش شرويدر لفترة تطول أو تقصر . . وقد يموت ، كما حدث لبارني كلارك . . ولكن ليست الحياة أو الموت في هذه المرحلة بالذات هي التي تستوقف الاطباء . . لاشك بطبيعة الحال أن الابقاء على حياة شرويدر لأطول فترة ممكنة ، هو هدف يسعى اليه الجراحون . . . ولكن ليس هو نهاية الرحلة . . ان النتائج التي ترتبت وسوف تترتب مستقبلا على اجراء هذه التجارب هي شغل جراحي القلب الشاغل .

أمراض القلب

ولكي نصل الى هذه النتائج ، لابد وأن نبحث في بداية تاريخ زرع القلب ، ولكن قبل النتائج



كاتب المقال :

* الجراح العربي المعروف هاني شحيبر .
* رئيس وحدة جراحة القلب بالمستشفى الصدري بالكويت .
* أجرى ما يقرب من الف عملية جراحية في القلب منذ بداية عمله في الكويت قبل خمس سنوات .
* تخرج في جامعة كنجز كوليج بجامعة لندن - وتخصص في جراحة القلب في مستشفى ناشيونال هارت بلندن وبابورث في كمبريدج .
* متزوج وأب لطفلين وهو في الأربعين من عمره .

والتاريخ ، لابد وأن ننوه بحقيقة ماثلة ومزعجة ، ألا وهي أن أمراض القلب قد أصبحت اليوم تشكل أهم وأكثر الأمراض شيوعا . فمرض القلب هو مرض العصر،نتيجة التوتر الذي أصبح طابع الحياة العصرية . . هذه الظاهرة لم تكن موجودة منذ نصف قرن مثلا ، عندما كانت الحياة بسيطة غير معقدة . . ولكن ظروف الحياة المعاصرة وما تسببه من ضغوط نفسية على الانسان ، هي في رأيي من الاسباب الرئيسية التي تؤدي الى مرض القلب ، بصورة لم يسبق لها مثيل . . حتى أننا نجد أنه كلما ازدادت المجتمعات تقدما ازدادت نسبة مرضى القلب فيها . . وأكبر دليل على ذلك ، أن في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي خمسين الف مريض بالقلب في حاجة الى عملية زرع قلب . . وقد بلغ عدد عمليات زرع القلب التي تجرى سنويا في امريكا أكثر من ١٧٠ عملية ، ونسبة نجاحها في السنة الأولى بعد زراعة القلب البشري ، تصل الى ٨٠٪ . . .

لابد أن يموت انسان

وقد كان من الممكن ان يرتفع عدد العمليات الجراحية التي تجرى لزرع قلب بشري لهؤلاء الذين ملأت اسماؤهم قوائم الانتظار ، لولا الصعوبات التي يواجهها الجراحون في العثور على القلوب البشرية التي تنتزع من صدور افراد حديثي الوفاة تبرعوا بأعضائهم قبل وفاتهم ، فلابد أن يموت انسان حتى يمكن انقاذ حياة انسان آخر . . . وما يقال عن القلب ، يقال أيضا بالنسبة للكبد والبنكرياس . اما الكلية فهي العضو الحيوي الوحيد الذي يمكن أن يشترك اثنان فيها ، فيتبرع الانسان السليم باحدى كليتيه لأخر في حاجة الى كلية نتيجة لتلف كلتا الكليتين عنده ، ويستمر الاثنان في الحياة بصورة طبيعية . . تماما كما في الرئتين ، فالانسان يستطيع أن يعيش برئة واحدة . .

واذا عدنا الى تاريخ زرع القلوب لوجدنا ، كما قد يذكر الكثيرون ، أن أول جراحة لزرع قلب أجريت في عام ١٩٦٧ ، وقد قام بها الجراح برنارد في جنوب افريقيا ، ولكن المريض مات بسبب رفض الجسم لقلب غريب . ثم كان الحدث المثير في جراحة الاعضاء في عام ١٩٨٠ عندما توصل العلماء الى اكتشاف عقار أسموه سيكلوسبورين « أ » Cyclos-porin "A" وقد استخدم فعلا في زراعة الأعضاء ، ومن خصائص هذا العقار انه يساعد العضو الغريب المزروع على البقاء في جسم المريض ويقلل من مقاومة الجسم له ورفضه ، وهو نفس العقار الذي استخدم في حالة المواطن العربي الذي يعيش بقلب مزروع في الكويت ، كما يستخدم أيضا



ديفري مع مريضه شرويدر وهو يحاول أن يسمعه دقات قلبه الاصطناعي الجديد

الجهاز الذي يتحكم في عمل القلب الاصطناعي وسرعة نبضه ، ويحمله المريض على كتفه عندمايتحرك بعيدا عن الجهاز الثابت .

في حالات زرع الكلية في المستشفيات العربية .

وبفضل استخدام هذا العقار ارتفعت نسبة نجاح عمليات زرع الاعضاء الى ٨٠٪ في السنة الأولى ، و٥٠٪ خلال السنوات الخمس التي تلي ذلك .

ديفري نشأ يتيم الأب

ونعود الى موضوعنا مع القلب الاصطناعي ، وقد يتوقف البعض عند الجراح الذي أجرى هذه العملية الخطيرة لرجل لم يكن هو على أية حال المريض النموذجي الذي يمكن ان يخضع لهذه التجربة العلمية ، للاسباب التي قدمناها . .

من هو الطبيب الجراح ديفري الذي تركزت عليه انظار العالم مرتين في أقل من عامين ؟

لقد وصفته الدوائر الطبية بأنه رجل لايؤمن بالأسلوب التقليدي في عمله ، ثم هو صريح وغير متردد . . ولد في حي بروكلين بمدينة نيويورك من أبوين هولنديين ، وكان ابوه طبيبا وأمه ممرضة ، ولكن أباه قتل في الحرب العالمية الثانية ، وكان مازال طفلا ، وانتقلت الأم حاملة طفلها لتعيش معه في مدينة أوجدن بولاية أوتا ، وهناك تعلم الصبي ثم التحق بكلية الطب بجامعة الولاية ، وفي الكلية،وقبل



الدكتور ديفري .

القلب الاصطناعي كما يتوقع العلماء أن يكون بعد خمس أو عشر سنوات ، وهو يعمل بجهاز الكمبيوتر كمصدر للطاقة داخل الجسم أو خارجه .

أن يكمل دراسته الجامعية ويتخرج.بدأ اهتمامه بالقلب الاصطناعي .. ثم كان لقاؤه بعد ذلك بالأستاذ الجراح المشهور (كولف) الذي اكتشف جهاز الكلية الاصطناعية ...

وديفري اليوم في الأربعين من عمره ، وهو أب لسبعة أطفال .

مليون يموتون بالقلب سنويا !

لماذا كان القلب الاصطناعي بالذات موضوع اهتمامه المبكر وهو مازال طالبا في كلية الطب ؟ ربما نجد في الارقام المخيفة عن حالات الوفيات بأمراض القلب في الولايات المتحدة الجواب على هذا التساؤل ، فالاحصائيات تقول ان هناك مليونا يموتون كل عام بمرض القلب ، في أمريكا ، وهو رقم كبير .

من هنا برزت الحاجة وفي أمريكا قبل غيرها من الدول التي حققت تقدما ملموسا في مجال الطب والعلاج ، الى البحث عن وسيلة آلية يمكن أن تؤدي هذا الدور الحيوي في جسم الانسان .. واتجه التفكير الى انتاج مضخة ميكانيكية .. ولكن كيف ؟

ان مثل هذا الجهاز الجديد الذي سيحل محل القلب التالف ويؤدي مهمته لا يمكن تصنيعه

والاعتماد على فعاليته دون المرور بسلسلة من الاختبارات والتجارب العديدة . . . ترى كيف كانت البداية اذن ؟

وأجد نفسي أذهب بعيدا مع البحوث والدراسات التي كانت موضوع المناقشة في الندوة العالمية التي عقدت في الولايات المتحدة الأمريكية منذ حوالي عامين تقريبا ، وكنت أحد الجراحين العرب الذين شاركوا فيها .

مراحل ابتكار القلب الاصطناعي

لقد تعرض الباحثون في الندوة من الجراحين والأطباء العالميين الى مراحل ابتكار القلب الاصطناعي ، وقد يكون من المناسب الإشارة اليها باختصار ونحن نمضي في الحديث عن البداية وعن الهدف الذي يأمل الجراحون أن يصلوا اليه من خلال التجارب الدقيقة والخطيرة التي تجري الآن ، وبصفة خاصة الجراحتين اللتين أجراهما ديفري لبارني كلارك ثم شرويدر .

- بدأت المحاولات في عام ١٩٣٤ عندما توصل الجراح (مايكل الدبغي) العربي الأصل ، والذي مازال يعمل حتى الآن في احد مستشفيات ولاية تكساس . فقد وصل مايكل الى فكرة تطوير جهاز لضخ الدم ، وهو نفس الجهاز الذي يستخدم حاليا في عمليات القلب المفتوح .
- وفي عام ١٩٣٧ ، اكتشف الدكتور جون جيبون الرئة الاصطناعية وهي أهم الأجهزة التي تستخدم الآن أيضا في جراحة القلب المفتوح .
- وفي عام ١٩٥٧ أي بعد هذا الاكتشاف الأخير بحوالي عشرين عاما ، تمكن وليام كولف ـ استاذ الجراح ديفري ـ من استعمال القلب الاصطناعي المصغر في احدى العمليات التي اجراها في (كليفلند كلينك) بولاية أوهايو .
- في عام ١٩٦٧ غادر كولف ولاية اوهايو الى مدينة سولت ليك وانضم الى جامعة يوتا ، حيث بدأت التجارب هناك على زرع القلب الاصطناعي في الحيوانات .
- في عام ١٩٧٢ ، تم بنجاح اجراء عملية زرع أول قلب اصطناعي في عجل صغير ، وعاش العجل فعلا لمدة اسبوعين ، وكانت هذه بداية نقطة التحول من الحيوان الى الانسان .

مع الانسان لأول مرة

ثم جاء عام ١٩٨١ عندما لجأ الجراح دانتون كولي الى استعمال القلب الاصطناعي في شاب هولندي في الأربعين من عمره ، كان قد اجريت له عملية زرع شرايين بالقلب . وفي اليوم التالي للجراحة اصيب المريض بجلطة حادة بالبطين الأيسر ، وهبوط كلي بالقلب ، الأمر الذي جعل الجراح يقف حائرا قبل أن يلجأ الى الحل الوحيد الذي تبقى أمامه ، والذي لا يخلو من خطورة ، ألا وهو استخدام القلب الاصطناعي لأول مرة في تاريخ جراحة القلب المفتوح .

وقد استخدم كولي بالفعل القلب الاصطناعي في هذا المريض لمدة ٢٧ ساعة كاملة في انتظار احتمال الحصول على قلب بشري ، وبالفعل عثروا على القلب الذي كانوا ينتظرونه ، وزرعوه في صدر المريض الذي عاش بعد هذه المغامرات الجراحية لمدة سبعة أيام ونصف . ثم توقف القلب المزروع عن النبض ومات المريض . ولكن التجربة كانت بداية نقطة تحول لها أهميتها الكبرى ، فقد كانت أول مرة يستخدم فيها القلب الاصطناعي في الانسان .

وتمضي السنون وينجح العالم الألماني روبرت جارفيك في تصميم اول جهاز قلب اصطناعي في حجم البرتقالة الكبيرة ، من الألمنيوم الرقيق ومادة قابلة للانقباض والاتساع وتعرف باسم بوليوريثين POLYURETHANE .

هذا القلب الذي سمي باسم مصممه جارفيك رقم ٣ (أنظر الرسم) ، هو الذي زرع بعد ذلك في صدر عجل صغير ، وعاش العجل مدة ٢٦٨ يوما ، اي حوالي تسعة اشهر تقريبا .

. . ثم جارفيك ٧

وقد شجعت هذه النتيجة الأخيرة مصمم القلب الاصطناعي جارفيك على اضافة عدة تحسينات جديدة على جارفيك ٧ ، حتى استطاع ان يتوصل الى القلب الاصطناعي الذي استخدم في الجراحتين



العالم الالماني روبرت جارفيك مصمم القلب الاصطناعي .

القلب الاصطناعي في موضعه بعد عملية زرعه في الصدر واتصاله بأنبوبتين تحت الجلد وتظهر في مستوى أعلى البطن حيث تتصل الانبوبتان بآلة الطاقة المحركة .

الاخيرتين مع بارني كلارك ثم شرويدر (انظر الرسم) .

وإحدى اهم مميزاته انه يحتوي على طبقة ناعمة داخل البطينين مصنوعة من شرائط البوليوريثين ، والتي تتميز بقدر اكبر من المرونة ، ثم ان البطينين في جارفيك ٧ يملآن بالدم عند تعرض الغشاء المرن لضغط اقل من الضغط الجوي داخل جهاز القلب الاصطناعي ، وعندما يرتفع الضغط الهوائي نتيجة لمؤثر خارجي متصل بموتور صغير ، يزداد الضغط في الداخل ومن ثم يرتفع الغشاء المرن ليضخ الدم الى الجسم عبر صمامات اصطناعية متطورة .

ويحتوي جارفيك ٧ على أربعة صمامات اصطناعية ، تم تطويرها مؤخرا في الجراحة التي اجراها ديفري على شرويدر ، ويتسع كل من البطينين لحوالي مائة سنتيمتر مكعب من الدم .

ترى ماذا عن سرعة النبض بعد ذلك ؟ ان نبض القلب على جانب كبير من الأهمية لأنه يتحكم في كمية الدم الذي يضخه القلب للأعضاء ، ويحمل معه الأوكسجين الى مختلف اعضاء الجسم ، وقد يتساءل المرء عن كمية الدم التي يحتاج اليها جسم الانسان في وقت الحركة ، لأنها تختلف عنها في حالة الراحة والاسترخاء .

وفي جارفيك ٧ نجد الاجابة عن هذا التساؤل ، فقد روعي في تصميم هذا القلب الاصطناعي ان تسرع نبضات القلب آليا بمؤثر من المريض نفسه ، فهو الذي يقوم (بتكييف سرعة النبض) طبقا للحالة التي يكون عليها في راحته وفي حركته .

جارفيك ٧ الثاني

وقد تميز جارفيك ٧ الثاني بعد تطويره وزرعه في صدر شرويدر بالصفات التالية :

* وزنه اقل من جارفيك ٧ الأول الذي زرع في صدر بارني كلارك ، فهو لا يزيد عن ثلاثة ارباع الرطل
* حجمه ايضا اقل ، ثم هو يعمل من خلال آلتين : الأولى ثابتة وهي التي تقوم بتشغيل القلب الاصطناعي عندما يكون المريض مستلقيا ، والثانية متحركة يضعها المريض على كتفه ويستخدمها عندما يريد ان يترك مكانه ويتحرك بعيدا عن الآلة الأولى الثابتة .

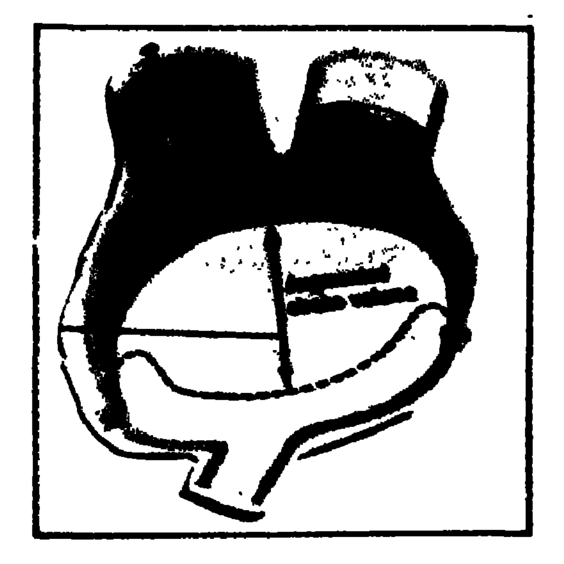
رسم ايضاحي يبين البطين في القلب الاصطناعي المتطور وفي أعلى الصور الثلاث يظهر مكان الصمامات التي يمر بها الدم باتجاه واحد . وفي أسفل الصور الثلاث يرى الغشاء المرن المصنوع من مادة بوليوريثين واسفله مباشرة الهواء المضغوط ايجابيا أو سلبيا .

القلب الاصطناعي اذن لا ينفعل ، ولا يستجيب لانفعال صاحبه . . والمريض نفسه هو الذي يقوم بتكييف سرعة نبض القلب لمواجهة الانفعالات التي يتعرض لها .

التوقعات بعد عشر سنوات

ترى كيف يرى الجراحون القلب الاصطناعي بعد خمس اوعشر سنوات أو أكثر أو أقل من التجارب التي يقومون بها الآن ؟ في الندوة التي شاركت فيها بالولايات المتحدة الأمريكية كان هناك تصور لهذا القلب الذي سيحل محل القلب الطبيعي ويبقى الانسان على الحياة . . . القلب الاصطناعي هو هو مثل (جارفيك٧) بعد التعديلات التي ادخلت عليه ، أو ربما تغير بعض الشيء . . ولكن المهم هو الآلة التي ستتولى تشغيله . . انها لن تكون في شكلها الحالي ، ثابتة في مكانها عندما يستلقي المريض على فراشه ، متحركة معه عندما يتحرك . . ان التوقعات الطبية تقول أن هذه الآلة سوف تتقلص كثيرا ولكن ربما تكون اكثر تعقيدا . . انها ستصبح جهازا صغيرا لكومبيوتر متصل بالقلب ، ويلتف حول وسط المريض ، كما لو كان حزاما صغيرا فوق الجسم أو داخله . . وسيتولى الكمبيوتر القيام بكل المهام التي يقوم بها الآن الجهازان الثابت والمتحرك .

هذا هو شكل القلب الاصطناعي في الغد القريب . ولكن هل انتهت القصة ؟ هل يتمكن الجراحون فعلا من انقاذ حياة الملايين من البشر الذين اصيبت قلوبهم بتلف لا يمكن اصلاحه ؟ انه أمل البشرية كلها . □





رسم ايضاحي يبين مراحل تركيب القلب الاصطناعي

صورة تبين شرايين القلب الرئيسية بعد استئصال القلب التالف .

من الذي يدفع فاتورة الحساب ؟

هناك نقطة هامة لم أتطرق اليها في هذا العرض السريع لجراحة زرع القلب الاصطناعي ، وأعني بها الناحية الاقتصادية ، وهي مثار جدل واسع اليوم ، فالسؤال المطروح هو من الذي يدفع فاتورة الحساب ؟ والسبب هو التكاليف الباهظة لعمليات زرع القلوب البشرية والاصطناعية ، ولو أن الثانية لم تخرج بعد عن طور التجارب .

فاذا علمنا طبقا للاحصائيات المتوفرة لدى الدوائر الطبية أن هناك خمسين الف مريض كما ذكرنا في حاجة الى عملية زرع قلب في أمريكا وأن كل عملية تكلف حوالي مائة ألف دولار ، فسوف نجد أن التكاليف الكلية لهذه العملية سوف تصل الى خمسة آلاف مليون دولار سنويا ، اذا افترضنا أن الجراحين سوف يمضون في اجرائها بصورة روتينية ، سواء باستخدام القلب الطبيعي أو القلب الاصطناعي .

والمبلغ ، كما نرى لا يستهان به ، ولكن اذا علمنا ان تكاليف الرعاية الصحية في الولايات المتحدة الامريكية تصل الى بليون دولار يوميا ، لوجدنا أن هذا المبلغ يمثل ١٠,٨٪ من اجمالي الدخل القومي الأمريكي .

من هنا برزت المشكلة التي تواجه جميع العاملين في ميدان الرعاية الصحية ، وهي ألا تكون المتطلبات أكثر مما هو متوفر فعلا . ومن أجل هذا بدأ أصحاب القرار الأخذ بمبدأ الترشيد في الانفاق الصحي ، الذي يعتبر على رأس الخدمات التي تقدمها الدول المتقدمة والدول الآخذة بأسباب التقدم . وبناء عليه فقد رأى المسؤولون إعطاء الاولوية في العلاج للمرضى الذين تقل أعمارهم عن الخمسين بشرط ألا يكونوا مصابين بأية أمراض أخرى كالسكري أو ضغط الدم أو السرطان أو أمراض الجهاز التنفسي .

ولكن تبقى بعد هذا الناحية الانسانية ، ترى أي طبيب هذا الذي يستطيع أن يرد مريضا في حاجة الى رعايته ؟ لقد قال شولوخوف الاديب الروسي يوما معلقا على الانجازات العلمية الهائلة التي تحققت في النصف الأخير من القرن العشرين : (وما قيمة هذا النجاح اذا لم يستفد منه الانسان نفسه . . ان حياة الانسان تبقى دائما أثمن وأعظم ما في الكون !) .

قاموس العربي

شوفينيه

اشتقت كلمة « شوفينيه » من اسم أحد جنود نابليون بونابرت « تيتو لاشوفان » الذي كان يضرب به المثل في تعصبه لوطنه وتفانيه ، ومع الأيام اتحد المصطلح معنى التعصب الأعمى والعداء للاجانب والترمت الوطني

وقد ساهم الفن بشكل غير مباشر في ارساء معنى المصطلح عندما قدم الفنانون الفرنسيون شخصية تيتو لاشوفان ببعديها.التعصب الوطني المغالى فيه ، والسذاجة المفرطة ، فقد قدمها الرسام الفرنسي شاليه بهذه الصورة ، ثم عاد الأخوان « كونيار » بتأكيد ذات الصفات عندما قدموا مسرحيتهم « الراية الثلاثية الألوان » على المسرح في عام ١٨٣١ .

ومنذ ذلك الحين استخدم المصطلح لوصف حالة التعصب الوطني الأعمى الضيق ، وكثر استخدام المصطلح في وصف الأفكار النازية والفاشية في اوروبا ، ومنها انتقل الى العالم للدلالة على ذات المعنى .

وابتكر السوفييت بعد ذلك ـ وتحديدا أثناء الحرب العالمية الأولى ـ تعبير شوفينيه اجتماعية وهو تعبير سياسي يقصد به وصف التيارات الاشتراكية الديمقراطية التي تعطي الأهمية الأولى للصراع القومي ومصالح الوطن قبل الصراع الطبقي . وقد جاء استخدام السوفييت لهذا المصطلح عندما وقف زعماء الأحزاب الاشتراكية الأوروبية بجانب حكوماتهم أثناء الحرب العالمية الاولى ، وتصويتهم في البرلمان لصالح مزيد من الاعتمادات العسكرية ، ودعوتهم الى تضامن أبناء الوطن الواحد (بطبقاته المختلفة) للدفاع عن الوطن قبل الدفاع على مصالح الطبقة . □

■ ■ ■

شعوبية

مصطلح آخر يعبر عن تيار سياسي وفكري يحمل داخله التعصب للقومية والوطن الأم . الا أنه فوق ذلك معاد للحضارة العربية محتقر لها

نشأ هذا التيار منذ صدر الاسلام ، وقيام الدولة الاسلامية الكبرى ، واتساع رقعتها ، فقد ضمت الدولة الاسلامية بجوار العرب أجناسا أخرى ليست بذات أصول عربية ، وكانت ترى في نفسها أنها صاحبة تاريخ حضاري عريق أرقى من العرب




نابليون

وتفاخر به ، بينما كان العرب يرون أنهم حملة راية الاسلام ودعاته وحماة الرسالة وناشروها ، وهذا وحده يكفيهم عزا وفخرا ومجدا .

ولقد ظلت الجدوتان بمثابة الجنين الكامن ، وذلك لأن وهج الدعوة بسماحتها وتعاليمها الواضحة كان مازال في الصدور (لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) وبسبب قوة الدولة ثم لضعف هذه الأقليات ، الا ان الشعوبية نمت في العصر الأموي ، عندما بدأت الدولة الاسلامية تنتقل الى فكرة الملك الدنيوي ، وتغلبت العصبية العربية لدى الأمويين ، وعاملوا الأقليات كطبقة أدنى ، ومن هنا فان « الموالي » كما اسماهم بنو أمية ، أسهموا اسهاما بالغا في الحركات المعارضة لبني أمية ، فكان منهم المختار الثقفي ، وابو مسلم الخراساني ، الذي يعود اليه الفضل في حسم الصراع بين الأمويين والعباسيين ، واسهم اسهاما بالغا في تأسيس الدولة العباسية .

الا ان نهايات القوميات كانت دائما مقترنة بالفواجع ، فقد قتل أبوجعفر المنصور ـ الخليفة العباسي الثاني ـ أبا مسلم الخراساني لأنه تطاول عليه بسبب أطماعه السياسية ، وظلت دماء أبي مسلم شبحا يثير القلاقل والمتاعب للعباسيين ، خاصة في خراسان ، والفاجعة الثانية كانت فاجعة البرامكة الذين أبادهم هارون الرشيد ، ويتفق معظم المؤرخين على أن الصراع على السلطة كان دائما هو السبب الذي يفجر هذه الفواجع .

وقد تجلى الصراع ليس على المستوى السياسي فقط بل على المستوى الأدبي أيضا ، فقد حفل تاريخ الأدب العربي بمساجلات بين دعاة للشعوبية أمثال بشار بن برد والحسن بن هانيء (أبي نواس) وابن المقفع وسعيد ابن حميد ، كما حفل بدفاعات عن العربية تزعمها ابن قتيبة وأبو حيان التوحيدي والجاحظ . أما في العصر الحديث فان التيار الشعوبي قد تجلى في دعوة بعض المفكرين وممثلي الحركات السياسية الذين أنكروا فكرة العروبة والوحدة العربية ، وقللوا من شأن الماضي العربي ، مكثفين الضوء على ماضي المنطقة العربية القديم في مرحلة ما قبل الاسلام . □

■ تستطيع القوة أن تنتصر . . ولكن انتصاراتها لا تدوم .

« لنكولن »

وجهاً لوجه





الدكتور
زكي نجيب محمود

و

الدكتور
عبد الغفار مكاوي

****

* معظم الأدب العربي الذي ينتج الآن سطحي .

* لا يوجد عندنا منظومة منسقة من الفكر الفلسفي .

* قطفنا ثمرة الحضارة ورفضنا أخذ الشجرة بجذورها .

* نحن في حياتنا الحضارية نرتدي ثوبا مرقعا .

****

كانت الجائزة التقديرية التي منحتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة للجامعة العربية في بداية هذا العام ، هي آخر الجوائز التي منحت للمفكر العربي زكي نجيب محمود ، الذي بلغ الثمانين من عمره المديد ، في الأول من فبراير الماضي ، سبقها منحه عدة جوائز تقديرية وتشجيعية ، وربما يلحقها ايضا غيرها .

هذا المفكر الذي له في مجال الفلسفة والفكر أكثر من خمسين كتابا مطبوعا ، وله الكثير من الاسهامات الثقافية في الدوريات والصحف العربية ، هو داعية عقل وعلم وايمان في نفس الوقت .

لنستمع اليه في « وجها لوجه » وهو يجيب على أسئلة الدكتور عبد الغفار مكاوي ، استاذ الفلسفة وتلميذ الدكتور زكي ، وصاحب الكثير من الترجمات والمؤلفات في المسرح والفكر ، والرواية والقصة . .

يقول الدكتور عبد الغفار مكاوي :

ها هو ذا المفكر الامين ، لا يتوقف منذ أكثر من خمسين سنة من حياته المنتجة عن الدعوة الى حضارة العلم ومنهجه ومنطقه ، علنا نقيم ثقافة العصر القائم على عمودي العقل والفعل ، دون اهمال لقيم تراثنا « المعقولة » التي لا يستغني عنها الوجدان والايمان . وها هو ذا في مقالاته التي نتابعها هذه الايام يجدد وعينا بحرية الانسان وقيمته وكرامته - على نحو ما فعل في مقالاته الفنية التي بدأ ينشرها في الأربعينيات . وها هو ذا يعيد نشر بعض جهوده العلمية التي كانت وما تزال علامات على طريق الفكر الفلسفي التحليلي والمنهجي الدقيق ، وأعود فأسأل نفسي - بعد نصف قرن من هذا العطاء الجاد المتجدد - ما بالنا اليوم لم نتقدم خطوة واحدة على درب العقل والمنهج والحرية ، لم لا نجتمع حتى اليوم على نظرية أو نظريات يمكن أن ننطلق منها للخروج من المحنة ، مع أن الرجل قد قدم « صيغة فلسفية تستحق الاهتمام مهما اختلفت حولها الآراء ؟ وما بال جهودنا الفلسفية تفتقر الى الأمانة والدقة وتنعدم فيها التجربة والقضية والمشكلة ؟

المقالة الأدبية

وبدأت الحوار بسؤال يتعلق بالمقالة الأدبية بوصفها الفن الذي انفرد به في حياتنا الأدبية وارتبط باسمه لدى الجمهور الواسع من القراء ، فلا أظن أن قارئا عربيا مثقفا لم يطلع على بعض هذه الدرر النادرة من أمثال : جنة العبيط ، تجويع النمر ، وبيضة الفيل ، وغيرها مما يزدهي به جبين الادب العربي الحديث .

فهلا حدثتمونا عن وجهة نظركم في المقالة الأدبية وتطور معالجتكم لها وأسباب ندرتها في حياتنا الأدبية ؟ .

د . زكي - المقالة الأدبية كأي جنس أدبي آخر من شعر ورواية وقصة ومسرحية لها شرط يجعلها مقالة أدبية . هذا الشرط المشترك بينها وبين كل ما يندرج تحت عنوان الفن التشكيلي أو التعبيري ، هو أن يكون هنالك شكل يحمل الفكرة المراد نقلها ، وبهذا تصبح الفكرة منقولة بطريق غير مباشر ، لان الذي سوف يتلقاه القارىء سيكون مجسداً أمامه ، وعليه أن يستخلص منه الفكرة المبثوثة فيه . والأديب يستعير الشكل المعين من أي جهة ليست مصدرا للفكرة نفسها ، انما يرى الأديب أن هنالك توازيا بين هذا الشكل المستعار وبين الفكرة التي يريد أن ينقلها ، ولتكن أسطورة أو حلما من الأحلام أو قطعة من التاريخ ، أو ما يشبه ذلك . والمهم الا تظهر الفكرة المنقولة أبدا على السطح ، بل تترك للناقد الأدبي

ليستخرجها فيها بعد . هذا هو شأن الأدب دائما على المستوى الرفيع ، فلا بد أن يقدم شكلا يضمر فيه فكرة ما قد لا يكون الاديب نفسه على بينة منها .

هذا هو الشرط في أي صورة أدبية كائنة ما كانت بما في ذلك المقالة الادبية . الا أنني لم أعرض الا قليلا من أمثال هذه المقالات الأدبية التي لا اشارة فيها الى الفكرة والتي تحتاج الى ناقد ليستخرج الفكرة من ثناياها . . كتبت بالطبع مقالات مثل التي تفضلت بذكر بعضها ، كجنة العبيط ، أو بيضة الفيل ، أو تجويع النمر ، أو قرصنة في بحر الثقافة . لكن مقالاتي لم تكن كلها من هذا النوع . ففي كثير من الأحيان كنت أجد نفسي مضطرا الى الايماء الواضح بالفكرة التي أريد نقلها ، لانني آخر الامر أريد القارىء أن يفهمني ، وقارئنا ليس لديه القدر الكافي من التأني والصبر والمعرفة ليقف عندما يقرأ ليرى ماذا يستطيع أن يتصيده من ورائه . وبهذه المناسبة أقول ان هذا هو بالضبط المعنى الذي نقصد اليه حين نقول ان معظم الادب العربي الذي ينتج الآن سطحي . فماذا نعني بقولنا انه سطحي ؟ نعني أنه يأخذ شكل الرواية أو شكل المسرحية أو شكل المقالة الأدبية أو غير ذلك . فاذا جاء ناقد وطرح شبكته التحليلية ليستخرج من القطعة الادبية مضمونا فإنه لا يجد شيئا . لأن الأديب كان مباشرا أكثر من اللازم ، ولم تكن له رؤية لحقيقة ما ، تكون مبثوثة ودفينة في القطعة الأدبية التي صورها .

ـ تسألني مرة أخرى عن غياب المقالة الأدبية أو ندرتها ؟

أولا المقالة الأدبية ليست جديدة في الأدب العربي ، وانما يجب أن نشير الى صور كثيرة لها في تاريخ الادب العربي ، وان تكن مختلفة عما نحاوله نحن الآن . فمثلا المقامات هي من قبيل المقالة الأدبية ، والرسائل هي من قبيل المقالة الأدبية ، فكلها تنطوي على ما نريد للادب أن يطويه في ثناياه . وغاية ما هناك أن الأشكال مختلفة . . وبالنسبة لي فإنني أتبع الاستعارة من مصدر آخر غير مصدر الفكرة التي أعرضها ، وكثيرا جدا ما ألجأ الى الأحلام ، ولكنها ليست بالضرورة أحلاما حقيقية ، وانما أحلام مصطنعة ، تماما كما أتصور حديثا دار بيني وبين آخرين ، والواقع أنه مثل هذا الحديث لم يقع ، وانما أنا استحدثت من أحدثه لأصب الفكرة في قالب معين . .

وقد حاولت المقالة الادبية في سن مبكرة ، لان أول مقالة أدبية في هذا المعنى كانت في أواسط الثلاثينيات في مجلة الثقافة عندما نشرت « البرتقالة الرخيصة » .

قصة نفس وقصة عقل

د . عبد الغفار ـ أحب أن أنتقل من المقالة الادبية الى السيرة الذاتية فقد قدمتم قبل حوالى العشرين سنة « قصة نفس » قبل أن تعيدوا صياغتها في طبعتها الثانية ، ومعها في الوقت نفسه على وجه التقريب « قصة عقل » والقصتان منفردتان في بنائهما وفي صدقهما وحرارة عاطفتهما ، بين الترجمات الذاتية التي عرفها أدبنا الحديث ، فهل تسلكون هاتين القصتين مع منظومة الترجمات الذاتية المعروفة في أدبنا العربي الحديث ؟ وهل توافقونني على أن العالم قد تدخل في بعض الأحيان في عمل الاديب ؟ .

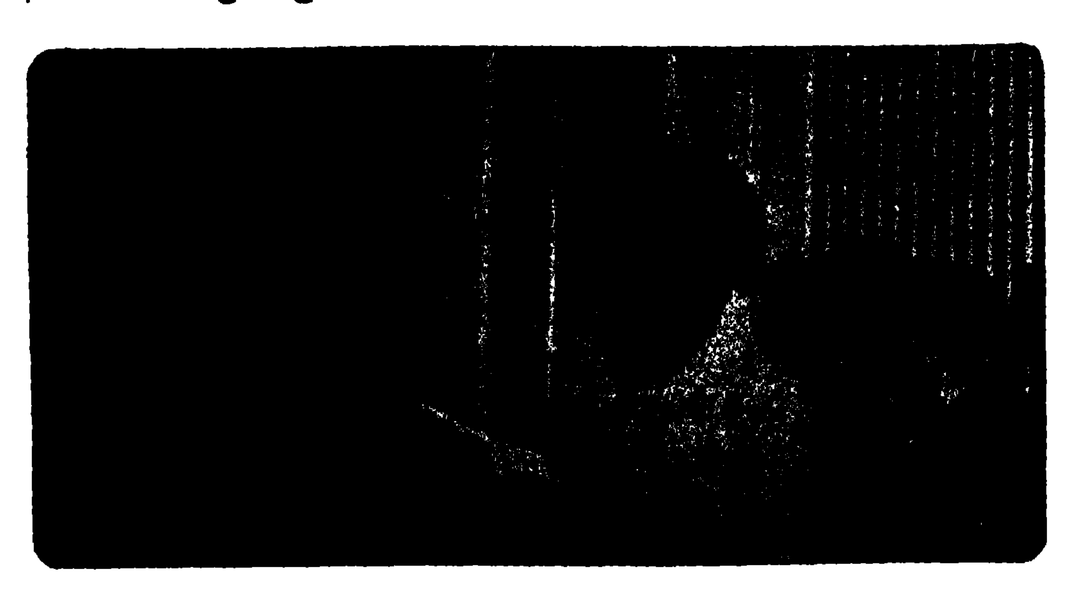
د . زكي ـ الواقع أنني صاحب قصة نفس وكاتبها ، ولكنني أعترف بأنني قلق جدا ازاء هذا النوع من الكتابة . فقد أخرجتها في الصورة الاولى سنة ١٩٦٤ . . وبعد عشرين عاما على وجه التقريب أخرجتها في صورة أخرى تختلف أختلافا كليا عن الصورة الأولى . فلماذا صنعت هذا ؟

الواقع أنني عندما فكرت في أن أكتب تاريخ حياتي في المرة الاولى وفي المرة الثانية صممت على أن تأتي كما يراها صاحبها من الداخل ؟ لا كما يراها الرائي من الخارج ، أو الباحث العلمي الذي يبحث في آثار الرجل ليكتب عن قصة حياته . . ذلك لان حياتي كما أراها ليست صوتا واحدا من الداخل انما هي عراك داخلي أحس به بأستمرار منذ طفولتي ، أرى شيئا بعاطفتي وأرى شيئا آخر بعقلي ، وأحس صراعا داخليا خفيا هو مكشوف لي بالطبع ، وان لم ينكشف للرائي الخارجي . وأنا أعتقد أن كل انسان هو عدة أشخاص في جلد واحد لانه عدة ميول واتجاهات ، ففيه عاطفة وفيه غريزة وفيه عقل . وربما الفرق بين شخص وشخص هو في الزوايا التي تفصل كل جانب من هذه الجوانب عن الجانبين الآخرين . لكن الزوايا

منفرجة جدا عندي،فالذي يرى جانبي العقلي لا يتصور أطلاقا غزارة الجانب العاطفي في حياتي . ومن يرى الجانبين لا يتصور اطلاقا مدى ألتزامي بالقوالب الاجتماعية التي أعيشها ولا أرضى أن أعيش غيرها ما دمت بين الناس .

وعندما شرعت في كتابة قصة نفس استحسنت الا ألجأ أبدا الى الاعتراف بأن هذه حقائق عن نفسي ، أو حتى أن أظهر نفسي بالاسم ، واكتفيت باشارات خفيفة أحيانا وواضحة احياناً ، يستشف منها القارىء أن أصحاب الأسماء التي أعطيتها للاشخاص الثلاثة الأعزاء من أقاربي [illegible] أسما : أحدهم أقترح زكي ، والآخر نجيب ، والثالث فوزي ، فلارضاء الجميع وضعنا أسمين في شهادة الميلاد واستبقينا الثالث ليكون هو الاسم المتداول في الاسرة .

بعد الطبعة الاولى أحسست أنني لم أكن موفقا ، وأن الرمز كان أكثف مما ينبغي ، وأنني وضعت انعكاسات أو اشعاعات رمزية قد يساء فهمها . وهكذا أخذت على نفسي في الطبعة الثانية أن أكون أقرب الى مراحل الواقع كما وقع،محتفظا أيضا بالرمز



□ د . زكي نجيب محمود يستمع الى أسئلة د . عبدالغفار مكاوي

الذين يؤلفون التفاعل في هذه القصة هم جوانب مختلفة من نفس واحدة . . فرياض عطا هو الأحدب ، والحدبة هنا حدبة نفسية وليست حدبة جسمية ، بدليل أنه عندما كان يستريح نفسياً كانت الحدبة تختفي عن الأنظار . . والطرف المقابل لهذا الانسان المنفعل هو الانسان العاقل ، والدارس ابراهيم الخولي نسبة الى قريتي التي ولدت فيها وهي قرية ميت الخولي . أما فوزي الراوي فهو الذي يروى ، وهو الذي ينخرط في القوالب الاجتماعية شأنه شأن سائر الناس . وقد كان فوزي هذا هو اسمي المنزلي الذي لم يعرف أبي وأمي ـ الى أن ماتا ـ أسما غيره . وقد سألت والدى مرة فيم هذه الأسماء كلها فقال : ماذا نصنع ؟ عند ولادتك زارنا ثلاثة من بعد تخفيفه ، ولكني مع ذلك ما زلت قلقا . .

أما عن قصة عقل فأنا لم أكن أنوي عملها أبدا لانها فعلا تسجيل للخط الفكري الذي سرت فيه منذ سنة ١٩٤٠ ، ولم أنحرف عنه مدة نصف قرن تقريباً . ولان الكثير جدا من انتاجي مقالات أدبية ، أو مقالات تعرض الفكرة عرضا مباشرا ، ومع هذا فان كثيرا جدا من القراء لم يستطع أن يستجمع لنفسه الخط المشترك . الذي أردته لنفسي هو أن أسير على خطين في حبل واحد : خط عقلي وخط وجداني ، لانني أراني لا أستطيع أن أستغني عن أحدهما . فهنالك مسائل عقلية لا ينبغي أن يشوبها وجدان ، وهنالك مسائل وجدانية لا ينبغي أن يشوبها عقل . والانسان مؤلف من هذين الجانبين .

الفلسفة العربية المعاصرة

ثم سألت الدكتور زكي : هل لدينا أو يمكن أن تكون لدينا اليوم فلسفة عربية ؟ .

قال وعلى فمه ظل ابتسامة :

د . زكي - لكي تكون الاجابة عن هذا السؤال واضحة للقارىء يجدر بنا أولا أن نلقي ضوءا على حقيقة الفلسفة قبل أن ندلي برأي في وجودها أو عدم وجودها في الأمة العربية اليوم

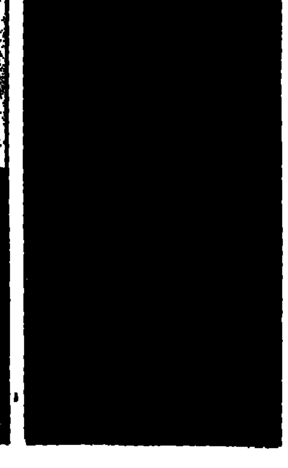
لكل عصر مناخه الثقافي الخاص الذي يدور حول محور الاهتمامات الفكرية أو الوجدانية التي تسود ذلك العصر ، ويمكن القول بأن اهتمامات العصر المعين الرئيسية انما تتبلور عادة في فكرة واحدة كبيرة ، أو في عدد قليل من الأفكار الأساسية . فمثلا كان اليونان الأقدمون يدبرون اهتماماتهم الفكرية حول الفكر والأخلاق ، بمعنى تحديد صورة السلوك التي منها تتألف الحياة الفاضلة . أو بعبارة أخرى كانت فكرة الخير الذي هو غاية الغايات في حياة الانسان من وجهة نظرهم - أقول كانت فكرة الخير هذه أساسا عميقا ومضمرا في كثير جدا من النشاط الفكري الذي يطلق عليه أسم الفلسفة اليونانية . ثم انتقل التاريخ الى العصر المسيحي والعصر الاسلامي من بعده ، فتغيرت الاهتمامات الرئيسية التي تشغل الناس ، والتي تنبع منها عوامل تكون المناخ العام للفكر والثقافة . وكانت تلك الاهتمامات الجديدة بالطبع هي أسس العقيدة في كلتا الحالتين في المرحلة المسيحية والمرحلة الاسلامية على السواء .

ولما كانت العقيدة الدينية تنزل من المؤمنين بها في أول الأمر منزلة الايمان الصرف الذي لا يحتاج الى تحليل عقلي للعناصر المكونة له ، فقد كانت من الطبيعي أن تمر فترة بعد كل ديانة منزلة يكون فيها ايمان بغير فلسفة . ولكن سرعان ما يقف الناس عند المفاهيم الرئيسية في ذلك الايمان ليوضحوها لانفسهم توضيحا يقتضي تحليلها الى عناصرها وارجاعها الى مبادئها الاولى . ومن مثل هذه التحليلات تكونت الفلسفة المسيحية ، وتكونت الفلسفة الاسلامية على السواء . ولنلاحظ هنا أن الفلاسفة المسلمين كان هدفهم بعد اطلاعهم على الفلسفة اليونانية هو أن يبحثوا ليعرفوا ان كان هنالك فرق بينها وبين ما نزل في الكتاب الكريم . وقد أصبحت الفلسفة هي أن تكتب الفلسفة اليونانية من منظور اسلامي .

اذا انتقلنا بعد هذا التوضيح الى عصرنا الحالي في الوطن العربي وجدنا أن المناخ الثقافي الذي يعيشه عدد كبير من المثقفين هو في صميمه شيء منقول . وهو منقول اما عن التراث الماضي أو عن ثقافة الغرب كما هي قائمة .

وفي كلتا الحالتين ليس هنالك أضافة كبيرة أضافها العربي المعاصر لعصره . فتأتي الفلسفة لتحلل هذا المناخ الثقافي كما هو شأنها دائما . فاذا بها اما أن تكون صورة من الفلسفة الاسلامية القديمة - وذلك اذا كان النظر منصبا على الجانب الثقافي بيننا - واما أن تكون فلسفة مأخوذة من فلاسفة الغرب - وذلك اذا كان النظر منصبا على الجانب الغربي من مناخنا الفكري . وبعبارة مختصرة نقول انه حتى اذا وجد العقل الفلسفي من حيث منهج التفكير في أبناء الامة العربية اليوم ، فلن يجد ذلك العقل موضعا لمنهجه يخرج منه شيئا جديدا، الا ما هو مأخوذ من التراث او مأخوذ من الغرب .

لكن اذا نحن قلنا أنه على ضوء ما أسلفناه لا تقوم بيننا فلسفة عربية مبتكرة الآن ، فلا بد أن نتحوط في هذا التعميم حتى لا يغيب عن أنظارنا كثير جدا مما ينتجه أصحاب العقل الفلسفي من جزئيات يبدعون فيها فكرا عربيا جديدا ، اذ يتناولون جوانب من هنا ومن هناك في حياتنا الفكرية ، لكن أحدا من هؤلاء لم يستطع حتى اليوم أن يقيم منظومة منسقة من الفكر الفلسفي نستطيع على ضوئها أن نقول هذه هي الحياة

برتراند رسل　　　جان بول سارتر

العقلية للامة العربية ، معبرا عنها بلغة الفلسفة ، كما نقول مثل دلك عن برتراند رسل في انحلترا أو جان بول سارتر في مرنسا أو حون ديوي في أمريكا وغيرهم وعيرهم

المنهج العقلي

د . عبد العمار مكاوي : دعوتم طوال أكثر من نصف قرن من حياتكم الخصبة المباركة الى الأخد بمنطق العلم ومنهجه وحضارته ، وكان ارتباطكم بالتجربة أو الوصعية المنطقية تأكيدا لهذه الدعوة التي أنبعث تخليص العقل العربي من الارتجال والانفعال والبعد عن الدقة،والانضباط في القول والفكر والعمل . فهل ترون اليوم أن هذه الدعوة المخلصة قد آتت بعض ثمارها ؟ هل تقدمنا على طريق التفكير العلمي والمنهجي في مواجهة مشكلاتنا وأزماتنا ؟

- يؤسفني أن أقرر أجابة عن هذا السؤال بأننا لم نتقدم لا كثيرا ولا قليلا في الطريق الذي نتحول به الى شعب يستخدم منطق العقل في المسائل التي هي بحاجة الى منطق عقلي . فعلى الرغم من كوننا نقلنا كثيرا من علوم الغرب وأجهزة الغرب ونظم الغرب ، الا أننا نقلناها نقلا دون أن نشرب المنهج العقلي الذي أدى الى انتاج تلك العلوم والنظم عند أصحابها . لقد قطفنا الثمرة ورفضنا أن نأخذ الشجرة بجذورها كي نزرعها نحن ونأخذ ثمرتها .

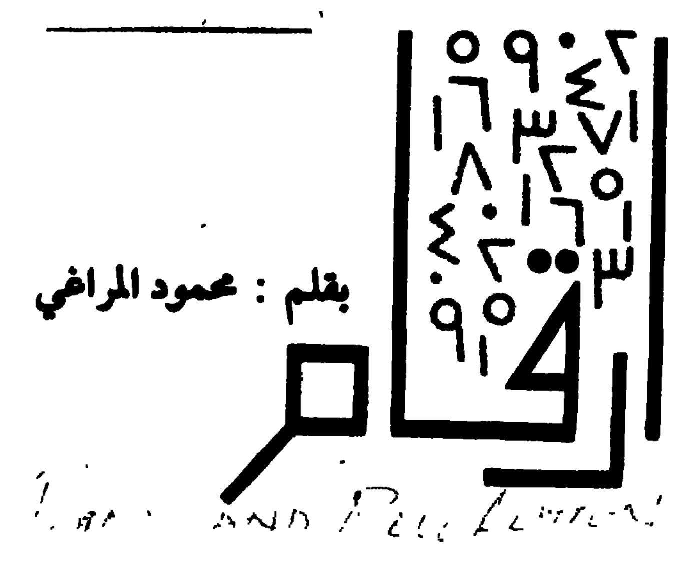
والسؤال هو : مالذي جعلنا نقبل العصر بثمراته ، وبرفضه من حيث المنهج العقلي الذي أنتج هذه الثمرات ؟

والجواب هو : أننا عندما رأينا أنفسنا خاصعين لمستعمر أجنبي أوروبي ، تصورنا أن النهضة لا تكون الا اذا استرددنا لانفسنا هويتها العربية الاسلامية . . ثم توهمنا أن هده الهوية الأصلية لن تتحقق لنا الا اذا رفضنا المستعمرين جسدا وروحا ، أي اذا رفضناهم سلاحا وفكرا ووجودا وحضارة .

من هنا نحد التعليل لما حدث في منتصف القرن التاسع وما بعده من حركات الثورة السياسية التي اتجهت كلها نحو أن تبدأ من احياء التراث ومن احياء الدين من ذلك التراث بصفة خاصة .

كل هذا كان لا غبار عليه ، بل ضرورة ملحة عند أي شعب يريد أن ينهض ، لولا أننا خلطنا بين أن نسترد هويتنا ، وبين أن نستبقي من ثقافة المستعمر ومن أصوله الحضاريه ما كان يمكن أن يشتد به عود الهوية التي نحن بصدد احيائها وحمايتها . ولكننا سرنا بالعكس تحت وهم أن استرداد الهوية يقتضي رفض الغرب . وعندما رأينا أنفسنا في الوقت نفسه مضطرين اضطرارا الى علوم الغرب وأسلحته وأجهزته ونظمه في التعليم والسياسة والاقتصاد وغيرها ، نقلناها من حيث الصورة ولم ننقلها من حيث الروح والمنهج،فنتج عن هذا كله الموقف الذي نحن فيه الآن من احياء للتراث ، وبجانبه قطوف قطفناها من ثقافة الغرب وحضارته . فأصبحنا في الواقع مثلا فريدا نستطيع أن نوضحه بالآية الكريمة التي تقول « كمثل الحمار يحمل أسفارا » . ولأزيد الوضوح أقول : أننا عندما أحيينا تراثنا بالصورة التي أحييناه بها ، وهي صورة من يحفظ هذا التراث حفظا أصم، كنا بالضرورة أمام ثقافة كلمة . أما حين نقلنا الغرب بغير منهج فقد نقلنا نوعا آخر من الثقافة أوجد الحضارة بالفعل لا بالكلمة . فلو كنا نقلنا الغرب بمنهجه لنتج لنا تطوير تراثنا في الوقت نفسه ، لاننا كنا سننقل محورا جديدا هو محور الفعل لا محور الكلمة .

من كل هذا نتج لنا الموقف الشاذ الذي نحياه اليوم . وهو مرة أخرى ، انسان يعيش في صميمه كلمات ، ويستخدم في حياته العملية نتائج نتجت عن حضارة فعل . فأصبحنا نرتدى ثوبا مرقعا . □



بقلم : محمود المراغي

النفط والانقلاب !

حين ارتفعت أسعار النفط عام ١٩٧٣ ، وحين استردت دول النفط ثرواتها وحريتها في اتخاذ القرار قلنا : ان قوة دولية جديدة تولد ، وان اعتماد العالم على نفط هذه الدول سوف يساعد على الاعتراف بهذه القوة . وقلنا : ان الأهمية الاستراتيجية للنفط ، والأهمية الاقتصادية لعوائده كفيلتان بتحقيق ذلك .

مع الوقت ، وبعد مرور عشر سنوات أو يزيد قليلا تبدلت الصورة ، وتعرضت الدول الرئيسية المنتجة للنفط كما تعرضت منظمتها المعروفة باسم « أوبك » لأزمة شديدة لم تهدد المكانة السياسية فقط لكنها هددت الموقف الاقتصادي لهذه الدول أيضا .

كيف حدث هذا ؟

السؤال يجيب عليه رقم واضح وحاسم يشير الى مفتاح الموقف .

الرقم يقول : لقد تراجعت الأهمية النسبية لما تقدمه الدول الاثنتا عشرة الرئيسية المنتجة للنفط . كانت هذه الدول تقدم عام ١٩٧٣ : (٥٢,٨) بالمائة من استهلاك العالم النفطي فأصبحت في عام ١٩٨٤ تقدم (٢٧,٣) بالمائة فقط . كانت تصدر (٢٩,٦) مليون برميل يوميا . . فأصبحت تصدر (١٦)مليون برميل يوميا . . أي نحو نصف ما كانت تصدره ، أو ما يقارب ذلك .

السؤال مازال مثارا : كيف حدث ذلك أيضا ؟ . . كيف تراجعت الأهمية النسبية لنفط هذه الدول بحيث عادت لاتقدم إلا ربع ما يحتاجه العالم ، وبما يعكسه ذلك بالضرورة على وزنها السياسي والاقتصادي والمالي ؟

هنا نلاحظ أن سياستين لكبار المستهلكين ـ أعني الدول الصناعية ـ قد طبقتا ازاء دول النفط .

السياسة الاولى كانت قبل ١٩٧٣ ، والسياسة الثانية كانت بعد ١٩٧٣ .

في المرحلة الاولى كان النفط رخيصا ، وكانت الشركات المنتجة مملوكة للغرب في معظمها ، وكانت قرارات الانتاج والتسعير تتخذ في الغرب ، وبالتالي كان الاعتماد كبيرا على نفط هذه الدول الواقعة في العالم الثالث .

في المرحلة الثانية ، زادت الاسعار ، وانتقلت ملكية الشركات الى السلطة الوطنية ، وانتقل مركز اتخاذ القرار النفطي من الغرب الى الخليج العربي وغيره من مراكز انتاج رئيسية . هنا نلاحظ أن الاعتماد على نفط هذه الدول قد قل حتى وصل الى ما أشرنا .

حدث ذلك بالتدريج . بدأ بتكتل للمستهلكين يواجه تكتل المنتجين ، وبدأ بخطة أميركية للتقشف في استخدام الطاقة وتبعتها خطط أوروبية . . ثم امتد الأمر الى تشجيع انتاج بدائل الطاقة وبرءوس أموال ضخمة كان من بينها على الأرجح رءوس أموال نفطية سبق تصديرها للغرب .

.. وهكذا تغير ـ وكما يقول التقرير السنوى الاقتصادي الأخير لصندوق النقد الدولي وهو صاحب هذه الارقام . « نمط انتاج وتجارة النفط في العالم

خاصة فى السنوات الاربع الأخيرة » .
كانت الخريطة الجديدة تشير الى العديد من التغيرات . . أولها : تأثر استخدام الطاقة بالركود الاقتصادى الذى ساد العالم للعديد من السنوات ، وبروز ما سمى بترشيد استخدام الطاقة بعد أن أصبحت عنصرا رئيسيا وباهظا فى تكلفة الانتاج . . وبالتالى كان الميل بشكل عام للحد من استخدام الطاقة ، وتقليل نسبة التزايد التى عبرت فى كثير من الاحيان عن حالة من الاسراف .

الظاهرة الثانية ـ ووسط ميل للحد من استهلاك الطاقة بشكل عام ـ هى تراجع الأهمية النسبية للنفط وسط مجموعة الطاقة الأولية المستخدمة فى العالم . . فبعد أن كان النفط يحتل (٥٣,٥) بالمائة من الطاقة الاولية المستهلكة عام ١٩٧٣ . . أصبح يحتل (٤٥) بالمائة فقط بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ أى عام ١٩٨٣ . وبكلمات أخرى : لقد زحفت بدائل الطاقة الاخرى من وقود نووى وكهرباء وفحم وغيرها لتحتل جزءا من المكان الذى احتله النفط لوقت طويل .

الظاهرة الثالثة التى تشير إليها الخريطة الجديدة ـ ووسط أهمية نسبية متراجعة للنفط هى : تراجع نصيب الدول الاثنى عشرة الرئيسية المنتجة للنفط . . فكما تم تنشيط بدائل عن النفط تم أيضا تنشيط بدائل عن انتاج دول النفط من حقول فى الدول الصناعية أو الدول النامية غير النفطية . . و . . خلال ذلك تم بالفعل زيادة انتاج الدول الصناعية ـ وهى أكبر المستهلكين ـ وقل اعتمادها على الاستيراد ، وبعد أن كانت تستورد ثلثى احتياجاتها النفطية عام ١٩٧٩ . . أصبحت تستورد النصف فقط عام ١٩٨٣ ، مما دفع صندوق النقد الدولى ليقول انها قد خفضت وارداتها النفطية بنسبة ٤٠٪ خلال السنوات الأخيرة .

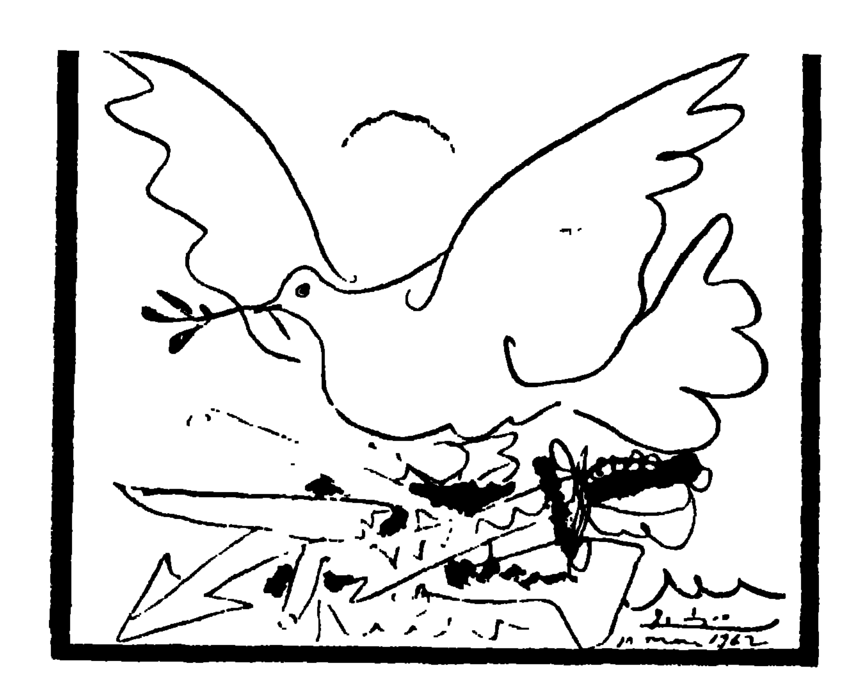
فى نفس الوقت ارتفع انتاج الدول النامية غير النفطية الى ما يزيد عن الضعف بين عامى ١٩٧٣ و١٩٨٠ . . وبعد أن كان ذلك الانتاج ٣, ٤ مليون برميل يوميا أصبح ٩,٦ مليون برميل يوميا .

وهكذا اختلفت كل الموازين . ميزان النفط ، وميزان الدول المنتجة للنفط من دول نفطية وصناعية ونامية وكانت المحصلة النهائية : تراجع الأهمية النسبية لدول النفط الرئيسية ، والتى انخفض انتاجها من (٣١,١) مليون برميل عام ١٩٧٣ . . الى(١٩,٥) مليون برميل يوميا عام ١٩٨٤ ، وفقا لتقديرات أولية لصندوق النقد تراجعت على الارجح فى الحساب الختامى للعام الى أقل من ذلك .

وبالطبع فقد انعكس ذلك على فوائض الدول النفطية فبعد أن كان فائض ما يسمى بحساب المعاملات الجارية لهذه الدول عام ١٩٨٤ : (٦٩) مليار دولار . . تحول الفائض الى عجز فى الأعوام الثلاثة الأخيرة .

هنا ، حدثت هزات مالية لهذه الدول التى بنت نمط انفاقها على أساس هيكل متوقع للموارد . . لكن هذا الهيكل قد اختلف كثيرا فهبطت العوائد ولم يكن بالامكان أن تهبط المصروفات بنفس النسبة والسرعة . . فحدث العجز وحدثت الأزمة وامتدت يد دول الأوبك الى أرصدتها القديمة ولجأ البعض للاقتراض .

اذن لقد حدث انقلاب فى سوق النفط خلال السنوات العشر التى تلت ثورة الأسعار عام ١٩٧٣ . . وهو انقلاب صامت جرى تدبيره باحكام وقادته الدول المستهلكة : دول الغرب فى الأساس . ومن غير المتوقع ـ رغم تزايد احتياج الدول النامية للنفط المستورد ـ ان تعود المعدلات الى ما كانت عليه من قبل . ربما يكون ذلك لسوء الحظ فى المدى القريب لكنه قد يكون لحسن الحظ في المدى البعيد ، فالثابت ان النفط في باطن الارض يعتبر ذخيرة كبيرة للمستقبل ، وتبديده على الصورة التي شهدها العالم في الثلث الماضي من هذا القرن كان لا بد ان يتوقف . □



أنظمة التحكم بواسطة الحيوانات

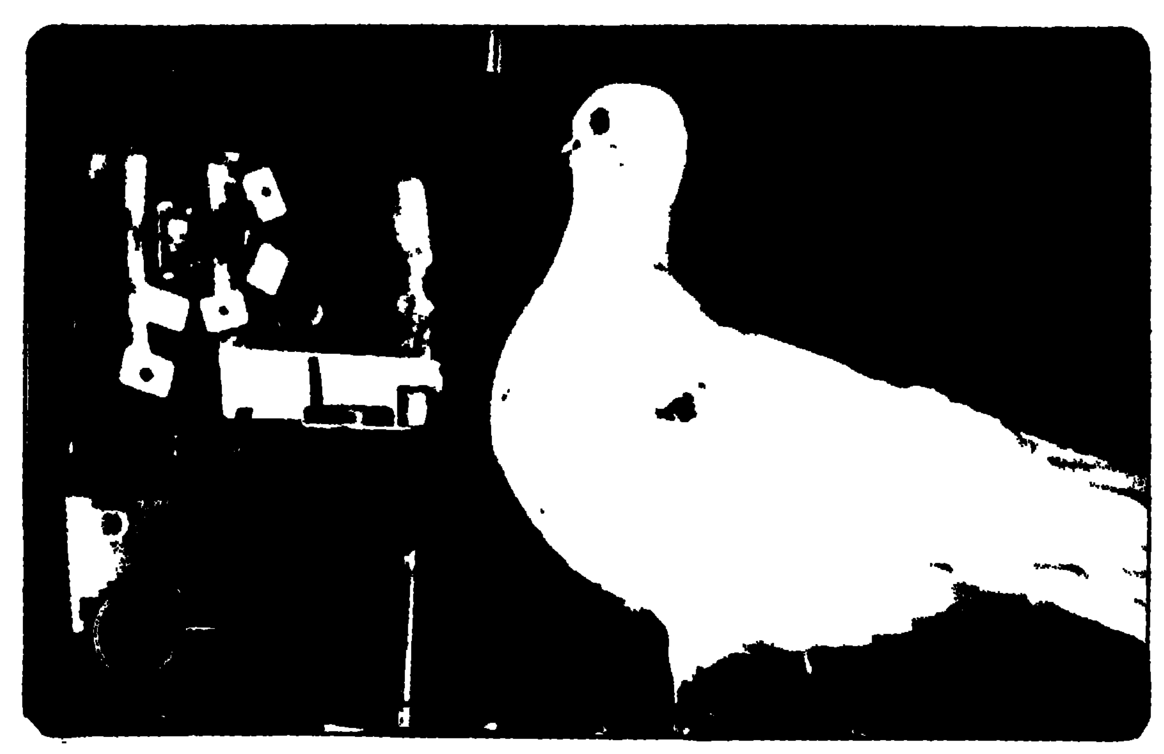
بقلم المهندس : وسيم عبدالله

« هل يأتي يوم توجه فيه الحمامة صاروخا ، وتقود القطة مركبة فضائية ، وتصبح الحرب النووية ـ ربما عن جدارة ـ حربا حيوانية ؟ . . » .

ليس تدريب الطيور والقطط على قيادة الصواريخ من نسج الخيال ، فمن المعروف أن أبحاثا عديدة جرت في الولايات المتحدة سعيا الى تحقيق امكانية ارسال الصواريخ النووية بقيادة « ملاحين » من الطيور لا يتأثرون بالاشارات اللاسلكية المضادة .

في دراسة قامت بها مؤسسة راند الأميركية Rand Corporation تحت عنوان « مراجعة للسيبرنيات السوفياتية » ادعت فيها ان السوفيات يدرسون امكانية تدريب القطط على قيادة صواريخ جو ـ جو واصابة الأهداف بدقة . أما السؤال الأخلاقي حول حق الانسان في استخدام المخلوقات الأقل ذكاء عمالا بدون أجر ، واعتبارهم أبطال حرب وشهداء قتال لا يسمع بهم احد ، فلم يلتفت اليه من قاموا بالتجارب الأولى التي جعلت سيناريو كهذا ممكنا . ولعل أشهر هؤلاء الدكتور

* ماجستير هندسة الكترونية ـ باحث علمي



الحمامة تستعد لتصبح صاروخا

ب . ف سكينر B.F. Skiner الاميركي الذي يعتبر مرجعا في حقل طرق وصيرورة التعلم عند الانسان والحيوان ، ومن كتبه المعروفة « ما بعد الحرية والكرامة » Beyond Freedom & Dignity الذي نشر أول مرة عام ١٩٧١ وحققت مبيعاته ارقاما قياسية مذهلة .

طريقة سكينر :

يمكن تدريب أي مخلوق ذي حواس في صندوق التدريب الذي طوره سكينر . ويضم هذا الصندوق (انظر الشكل رقم ١) حجرتين : الأولى للتدريب ، وهي في الحالة المبينة لحمامة ، أما الأخرى فتحتوي أنظمة الضبط المختلفة والاشارات ونظام الطعام الذي يستخدم لتقوية حس التعلم لدى الطائر الذي يجري تدريبه . وتبدأ عملية الترويض والتدريب على النحو التالي :

لا يعطى الطائر غير كمية قليلة من الطعام كل يوم الى ان ينخفض وزنه بمقدار ٢٠٪ ثم يوضع بعد ذلك في حجرة التدريب التي يوجد فيها دائما كمية كافية من الماء . ويبدأ التدريب أولا بومضة من احد الأضواء الموجودة خلف الفتحة التي تواجه منقار الطائر . وبعد فترة يضرب الطائر بمنقاره على المفتاح الذي يوصل التيار الى المرحِّل ، فيرفع صينية الطعام ، ويضيء في الوقت نفسه المصباح الموجود في أعلى فتحة حجرة الطعام . وهكذا يتعلم الطائر أن يربط بين الضوء بضرب منقاره والنتيجة السارة ، وهي مكافأته بالطعام .

وبعد أن يتعلم الطائر كيف يلعب دوره في مثل هذه العمليات البسيطة يمكن أن يبرمج صندوق سكينر ، إما بواسطة مدرب دائم أو بواسطة الكومبيوتر للقيام بمهمات أكثر تعقيدا . فمثلا يمكن تدريب الطير أن يضرب بمنقاره حين يومض الضوء الأحمر فقط ، أو أن يتوقع الحصول على الطعام بعد أن يدور على نفسه مرتين أو أكثر في الحجرة الخ . . .

ومع تصاعد عملية التدريب ، يبدأ الطير في تفهم معاني الاشارات الخاصة مثل صوت دقات ساعة ، أو أصوات خارجية أو اشارات صوتية الخ . . ويمكن هنا جعل داخل حجرة التدريب صامتا تماما بواسطة

بث ترددات معينة في مجال « الضجيج الأبيض » بواسطة مولد للترددات . كذلك ، عندما يخطيء الطير في عملية تحديد العلاقة بين اشارة ما وردّة الفعل المطلوبة ، فانه « يعاقب » باطفاء النور الأبيض داخل الحجرة ، وتسمى هذه العملية « نور الصدمة » .

ويبين الشكل رقم ٢ نظام تدريب يستعمل التلفزيون الذي تظهر على شاشته انواع المؤثرات الضوئية والأشكال المتحركة والصور المركبة ، وتستخدم افلام خاصة مع التسجيلات الصوتية الملائمة للوصول الى تكريس وتثبيت ردود الفعل التي تعلمها الطير . والجهاز المبين في الشكل من تصميم جورج لورنس George lawrence الذي عمل في هذا المجال ونشر عددا من الابحاث حول هذا الموضوع . ويستعمل هذا الجهاز عادة مع الحيوانات التي اجتازت امتحان التدريب في صندوق سكينر . وهو يركز كذلك على مبدأ المكافأة بواسطة الطعام للطائر الذي يضرب بمنقاره على المفتاح الصحيح .

وبناء على المباديء والأساليب التي عرضناها ، يتم تلقين الطائر مهارات عديدة فيصبح آلة حاسبة (كومبيوتر) بيولوجية يمكن الاعتماد عليها اعتمادا « كاملا » ولا يتجاوز ثمنها مع ذلك دولارين .

ومنذ حوالي ثلاثين عاما ، كانت احدى الاعتراضات الأساسية على استخدام الحيوانات لقيادة الصواريخ الموجهة هي صعوبة عملية الضبط الأوتوماتيكي باستخدام مبدأ التغذية المرتدة Feed Back Control . كذلك كان الاعتقاد السائد حينذاك ان الحيوان الموجود داخل الصاروخ لن يشعر بالارتياح اثناء معركة حية بل قد يشعر حتى بالدوار ، مما يشوش ردود فعله . ولكن اكثر هذه الاعتراضات لم يعد أساسيا ، اذ تم التغلب عليها . ففي فترة أواخر الحرب العالمية الثانية بدأ سكينر ومساعدوه برنامجا اسموه « مشروع الحمامة » وكان يقابله في أيام السلم مشروع آخر في مختبرات الأبحاث البحرية اسمه مشروع التحكم العضوي (أو البيولوجي) Organic Control وما زال المشروعان من الأسرار العسكرية ، ولذا لا تتوفر معلومات مفصلة عنهما ، ولكن يبدو أن الحل الذي اعتمد كان يقوم على مبدأ « تصويت الأغلبية » لتوجيه الصواريخ ضد السفن المعادية . فيوضع داخل الصاروخ المحمول جوا ثلاثة طيور . ولا ينفذ اي توجيه الا اذا اتفق عليه طائران على الاقل ، أي فقط اذا ضرب طائران على الأقل الزر او المفتاح ذاته على لوحة الأزرار المتماثلة التي يخصص لكل طير لوحة منها . ويقال أن هذا النظام لم يستعمل قط في حالة الحرب الحقيقية مع أن التجارب التي اجريت عليه كانت ناجحة جدا . ويعزو البعض ذلك الى ان بدء مشروع مانهاتن وصواريخه ذات الرؤوس النووية المتعددة الغى في ذلك الوقت الحاجة الى اصابة الصواريخ اهدافها بدقة عالية .

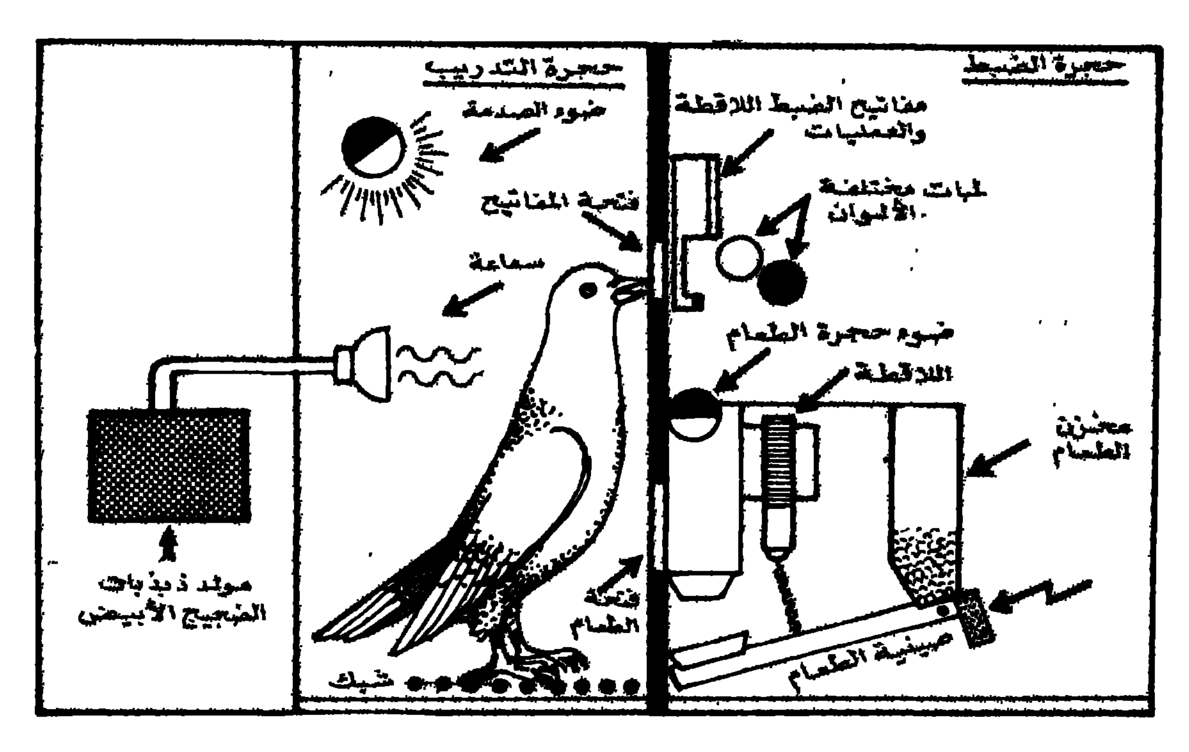
تبقى الاشارة الى أن توجيه الصواريخ باستخدام الطيور هي طريقة ذات عدلية مرتفعة جدا . اذ لا يتمكن التشويش الالكتروني المعادي ان يؤثر على مسار الصاروخ باتجاه هدفه ، فقائد الصاروخ ينتظر مكافأته بعد كل ضربة صحيحة بمنقاره غير آبه بما يحدث في الخارج ، خاصة وأن برنامج تدريبه لا يتضمن بالطبع اية معلومات عما سيحدث له عندما يصيب الصاروخ هدفه .

وقد أكد سكينر في تقاريره ان الحيوان يحتفظ بعد تدريبه بالمعلومات التي تعلمها الى درجة تثير الدهشة حتى انه يمكن ترك الحيوان طليقا خارج مختبرات التدريب ثم استرجاعه بعد فترة ليؤدي مهماته وكأن حبل خبرته لم ينقطع .

حرب صواريخ حيوانية :

يمكن ، بناء على التجارب السابقة ، تخيل حرب صواريخ متكاملة تدخل فيها عناصر أخرى مساعدة لتقدِّم للطائر ، قائد الصاروخ ، المعلومات اللازمة عن الهدف المراد اصابته . وبالطبع ستكون حرب كهذه عبر القارات ، ومن هنا فان المسافات الشاسعة التي تفصل بين محطة الاطلاق والهدف ، وكروية الأرض ، تجعل ضروريا عدم السماح للعدو بالتأثير على مسار الصاروخ الذي سيبتعد بسرعة عن مجال الرادارات التي توجهه خلال الفترة الأولى بعد اطلاقه ، ولا سيما عند اقترابه من المجالات التي تستطيع فيها رادارات العدو ان تشوش مساره .

شكل رقم (٢)



شكل رقم (١)

ولذا ، ما ان يبتعد الصاروخ عن مجال راداراته حتى تغلق اجهزة الاستقبال فيه جميعا ليقوم الطائر بعدها بعملية التوجيه الذي تم تدريبه عليها . ويوضح الشكل رقم ٣ نموذجا لنظام اطلاق صواريخ متكامل يتكون من عناصر ثلاثة اساسية هي :

- القمر الصناعي لتصوير المعلومات وجمعها .
- نظام الرادارات الأرضية .
- الصاروخ العابر للقارات ذو الدفع الذاتي ICBM الموجه بواسطة الحيوان .

ويتم جمع المعلومات عن الأهداف خلال فترة السلم ، وأحيانا خلال الحرب بواسطة الأقمار الصناعية التي تدور فوق أراضي « العدو » . ويتم تصوير الأهداف بواسطة تقنيات مختلفة ، مثل الأشعة ما دون الحمراء وطرق التصوير الأخرى واعداد فيلم عنها . وبعد ذلك يتم بواسطة الأساليب « السكينيرية » للتدريب تعويد الحيوان على كيفية معرفة الهدف والضرب بمنقاره على المفاتيح اللازمة لإبقاء الصاروخ في اتجاهه الصحيح . ويتعلم الطائر الطيار آن يميز الهدف ضمن الصور الأرضية الأخرى على الفيلم الذي يظهر أمامه على اللوحة . وهكذا يتعلم الطائر أن يضرب بمنقاره على المفاتيح اللازمة لكي يصل الى تطابق بين صورة الهدف نفسه وصورة الهدف على الأرض الذي تم تصويره وتحديده بواسطة القمر الصناعي . وهذا التطابق هو الذي يؤدي بأجهزة الضبط وتغيير الاتجاه في الصاروخ الى التوجه مباشرة الى الهدف . وحين يبدأ الصاروخ بالاقتراب من الهدف تتدخل أجهزة قياس الضغط الجوي لكي تخبر أجهزة الضبط عن المسافة الباقية فتعطي هذه الأخيرة بدورها الأمر الى التفاعلات الكيميائية وصواعق التفجير فتبدأ عملية التفاعل التفجيري في الرأس النووي .

استخدامات أخرى وأنظمة أخرى :

والواقع ان استخدام الحيوانات للقيام بالعديد من المهام ليس بالجديد .

فالكل يسمع عن الكلاب التي تقود العميان والكلاب البوليسية المدربة للقبض على اللصوص او اشتمام الديناميت او الحشيشة والهيروين وغيرها . وعليه فإن التوسع في هذه الاستخدامات يبدو - على الأقل

للبعض - طبيعيا . فمن المعروف مثلا أن العديد من الحيوانات البحرية وخاصة الدلافين الموصوفة بالذكاء والمهارة بالقيام بالحركات الصعبة والاستعراضية ، التي لا تخلو حديقة حيوانات منها ، قد تم تدريبها واستخدامها لكشف الغواصات المضادة . هذا فضلا عن اجراء الاختبارات الطبية التجريبية العديدة على الحيوانات ، والاستعمالات القديمة مثل الحمام الزاجل لنقل البريد وغيره . ويمكن استعمال الحيوانات للقيام بالعديد من الأعمال العادية والروتينية التي ستكون مكلفة اذا أريد استعمال الآلات لها ، أو مملة اذا قام بها الانسان . والواقع ان

قدرة الحيوانات على التدرب والتمييز بين العديد من الصور حتى المركبة والمعقدة منها كانت موضوع ابحاث عديدة . ففي عام ١٩٦٤ قام الدكتوران هيرينشتاين ولوفلاند R.J. Herrenstein & D.H.Loveland بتجارب عديدة لدراسة المفاهيم المرئية المعقدة لدى الحمام ، فتبين أن الحمام

يملك قدرة مميزة للتعرف وابداء ردود فعل معينة تجاه صور الأشخاص ، حتى لو كانت على شكل خيالات او تحجبها جزئيا عوائق كالسيارات او الشجر ، مما يدل على مستوى عال من القدرة الحيوانية على تكوين المفاهيم.

كذلك قام الدكتور فرهاف T. Verhave بتجارب ناجحة لاستخدام الحمام في مجالات لم تكن مطروحة . وكان فرهاف يعمل في شركة أدوية كبيرة متخصصة بالصيدلة النفسية Psycho-Pharmacology تضع حوالي ٢٠ مليون حبة من دواء معين في اليوم . وكانت احدى المشكلات الكبرى التي تواجهها الشركة فرز الحبوب الجيدة عن الحبوب المكسورة او المشققة . فعمد فرهاف الى تدريب الحمام على التعرف الى الحبوب التي لا يكون شكلها صحيحا (وكانت تشكل حوالي ١٠٪ من الانتاج الاجمالي) وذلك بتمرير الحبوب على شريط متحرك أمام الطائر ، وكلما رأى الطائر حبة غير صالحة التقطها بمنقاره ، وألقاها جانبا . وكلما قام بعدد معين من عمليات الانتقاء الصحيح حصل على مكافأته من الطعام . وأما الحركات الخاطئة التي يقوم بها ، مثل تمرير حبة فاسدة دون التقاطها ، أو التقاط حبة جيدة ، فيعاقب عليها بالتعتيم عليه مدة ٣٠ ثانية داخل حجرة التدريب .

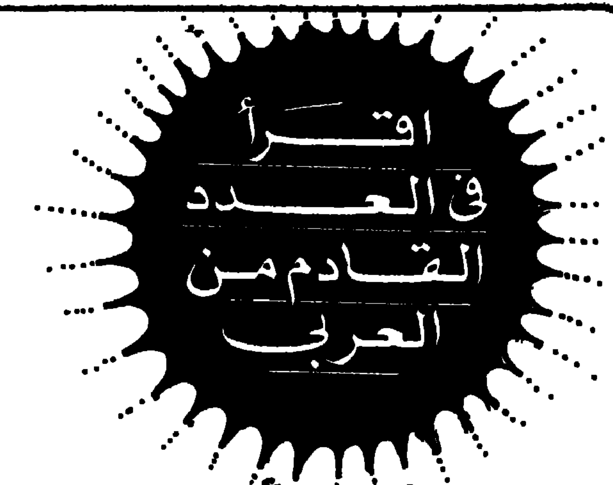
ويقال انه لم يتم استخدام الطيور ، بالرغم من نجاح التجربة ، لما كان سينجم عن ذلك من مردود اعلامي سيء لو صار الجمهور يتوقع او يتخيل أن الطيور تعبث بالحبوب بقوائمها ، وانها كذلك قد تتغوط بين فترة وأخرى ! □

●

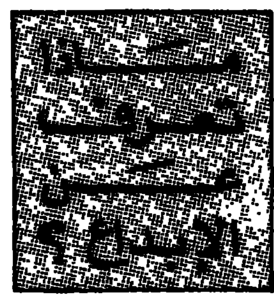
مداعبة الاطفال

يرجع اهتمام العرب الأقدمين بالغناء للأطفال ، وملاعبتهم ومداعبتهم وهدهدتهم وترقيصهم وتنويمهم ، والتسرية عنهم للمكانة الحميمة التى يحتلها الأطفال والأبناء فى النفس العربية .

فالابناء والاطفال هم الاكباد التى تمشى على الارض ، وهم ريح من ريح الجنة ، وهم زينة الحياة الدنيا وهم - فى المستقبل - حماة الحمى ورجاله وموضع فخره واعتزازه ، وكانت الوصية التى تتوارثها الاجيال العربية على مدى الازمان والعصور هى : لاتبت ابنك مغيظا ، وَدَلِّلْهُ وعلله بيعض ما يلهيه ويضحكه ويسليه ويشبعه ، وتغن له قبل ان ينام حتى ينام بعد ان تهيء له صفاء المزاج ، وارتياح القلب ، وهدوء الاعصاب ، وراحة البدن .



□ لأول مرة " العربي "
تستطلع صناعة السلاح في المملكة العربية السعودية
يوسف الشهاب

أسرار الطب النفسي الأسري		لغتنا العربية .. لماذا يحاربها البعض؟
د. عبدالرؤوف ثابت	د. ادريس سالم الحسن	د. عمر موسى باشا

□ ماذا تعرف عن ملقا ؟
قصة مدينة ... وصراع تحت الشمس
استطلاع ملون ـ سليمان مظهر

□ كيف يُظهرون المرأة العربية في السينما العالمية ؟
أحمد رأفت بهجت

□ البيت العربي .. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب :
د. محمد الرميحي - د. أحمد كمال أبوالمجد
فاروق شوشه - د. سيد حامد النساج - د. حكم المأمون - وغيرهم



وكيف نقرأ؟؟

بقلم عبد الله زكريا الانصاري

سؤال له اهميته الكبرى في ميدان الكلمة . . الاجابة عليه تحتاج الى مناقشة . . . وتحديد هدف للوصول الى ادراك معنى الحياة .

القراءة ثقافة وعلم ومعرفة وإدراك ، وهي لدى البعض متعة وتسلية واسترخاء ، أو ترف فكري ، ويختلف الذين يقرأون بحسب ما يقرأون ، وكيفية قراءتهم ، وبالهدف الذي ينشدونه من القراءة ، والناس ليسوا على حال سواء ، فالذي يقرأ هذا الكتاب غير الذي يقرأ ذلك الكتاب ، والذي يقرأ للمتعة غير الذي يقرأ للفهم والادراك . والذي يقرأ للعلم والمعرفة غير الذي يقرأ بلا هدف ولا غاية ، والذي يقرأ لنفسه يختلف عن الذي يقرأ للناس ، وهكذا .

إن الذي يقرأ للناس هو ذلك الذي يقرأ لنفسه ليفيد من قراءته الناس ، وليس الذي يقرأ لنفسه وحده ، ويختزن ما يقرأ دون أن يفيد منه الناس ، ولذلك نقول ، لا بد أن يأتي السؤال هكذا : لماذا نقرأ ؟ وإذا فهمنا لماذا نقرأ ؛ فعلينا أن نختار النوعية التي نقرؤها ، لأنك لا تستطيع أن تحدد الطريق الذي عليك أن تسلكه دون أن تحدد الغاية التي تسعى إليها .

هناك من يتخبط في قراءته ، فتراه يقرأ بغير هدى ولا بصيرة ، ليضيع وقته دون الحصول على فائدة

محددة واضحة ، وهذا هو الذي لا يعرف ماذا يقرأ ، لأنه لا يعرف لماذا يقرأ ، والذي لا يعرف لماذا يقرأ ، لا يعرف كيف يختار الكتاب الذي يقرؤه ، فيضيع بين يديه وقته ويتبدد ، وربما أدى به هذا الحال إلى بلبلة فكره ، أو ضياعه ، ومن ثم عدم التركيز على أمور الحياة التي تجري حوله وبين يديه .

لا بد أن يكون للقراءة هدف وغاية ، وبالتالي لا بد أن تكون الغاية هي فهم الحياة . ذلك أن الذين لا يفهمون الحياة لا يعرفون معناها ، ولا يدركون سموها ، ولا يفقهون غايتها ، ولا يقدرون قيمتها ، وهؤلاء لا يستطيعون أن يقدموا لها شيئاً ، لأنهم لم يستطيعوا أن يأخذوا منها ما يجب أخذه ، إذن فهم لا يخدمون الحياة ، وخدمة الحياة إنما هي خدمة الانسان الذي يعيش فيها ، ويستظل بظلها .

إن الذي يفهم الحياة ، ويدرك معناها ، ويقدر قيمتها هو ذلك الذي يقول :- « يجب عمل الفضيلة ، لأن الفضيلة تجلب السعادة » ، وهذا شأن أكثر الأقدمين ، فإنهم يعتبرون أنه يلزم عمل الخير ، لا خوفاً من شيء ، بل لأنه واجب ، وانه يلزم أن يخجل الانسان من نفسه لا من غيره ، فالحياة التي لا قلق فيها ولا غمّ أكبر سعادة في الأرض .

نعم هذا هو فهم الحياة ، والذي يدرك أن السعادة تكمن في الفضيلة هو الذي يدعو للفضيلة لتُظل الآخرين ، لا لتظله هو وحده ، فما هي قيمة الفضيلة إن لم تشع بين الناس ، وتظلهم بظلها ؟ ويقول هذا القائل إن هذا شأن أكثر الأقدمين ، ومن هم هؤلاء الأقدمون ؟ لا شك أنهم النخبة من المفكرين ، وإذا ما علمنا أن هذا القول قاله قائله ، منذ أربعمائة وخمسين عاماً قبل الميلاد أدركنا مدى التدهور الذي حل بالانسان ، وحل بفكره وعقيدته ، وحل بضميره وبإيمانه ، وأدى إلى ظهور الأنبياء والمرسلين ، وبروز المصلحين ليضعوا حداً للتدهور ، ويمنعوا سقوط الانسان في أوحال الرذيلة .

إنها قولة قالها « ديموقريط » ، بل إنها قولة من أقواله ، وهي جزء من أدبه الرفيع الذي يدعو فيه إلى عمل الخير ، لماذا ؟ يقول :«لأنه واجب ، أي يجب على الانسان أن يعمل الخير في حياته ، لا خوفاً من شيء ولا رجاء شيء آخر ، ولا خشية من أحد ، ولا طمعاً في شيء ، بل لأنه واجب ، أي عمل الخير من أجل الخير عامة». ويضيف في هذه القطعة الأدبية « أن على الانسان أن يخجل من نفسه لا من غيره»، وكأنه يقول : إن عليك أن تخجل من نفسك إن ارتكبت عملاً خاطئاً ، ولو لم يعرف الناس عنك شيئاً ، وهي دعوة حية لأولئك الذي يقترفون الذنوب ، ويأتون بالموبقات ، ويحللون الحرام ، ويحرمون الحلال ، ويرتكبون كل الأخطاء والجرائم فيمابينهم وبين أنفسهم ويظهرون أمام الناس مرتدين أثواب النفاق المطرزة بالغش والخداع والتضليل ، إنهم لا يخجلون من أنفسهم ، ويريدون أن يخجلوا من الناس ، وهؤلاء هم المفسدون في الأرض .

إن الذين لا يخجلون من أنفسهم في عمل المنكرات ويحاولون أن يخجلوا من الناس باظهار أنفسهم على غير حقيقتها أمامهم ، أولئك هم شر الناس وقد أخذوا يتكاثرون في هذا العصر ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ويعيثون في الأرض الفساد ، وكأنهم يقولون بأن الحياة هي الانحلال والانحطاط ، والكذب والخداع ، فهم على عكس هذا الانسان الذي طوته القرون ، ومرت على أدبه الحقب والأجيال ، وظل أدبه أدب الانسان الرفيع الذي يدرك معنى الحياة ويدرك سموها ، ويعرف قيمتها وقدرها ، بعيداً عن الرياء والنفاق وعن الزيف والضلال ، إنه يقول على طبعه وسجيته : « ان الحياة التي لا قلق فيها ولا غم ، أكبر سعادة في الأرض » .

وجاء الأنبياء والمرسلون ، وطلع المصلحون ، وقام العباقرة المخلصون ، ودوت أصواتهم ، وقلبوا الأوضاع الفاسدة ، وغيروا المفاهيم الخاطئة ، وأرسوا دعائم الاصلاح ، وخطوا أمام الناس طرق الحق والعدل ، ودلوهم على الفضيلة ، ثم ذهبوا فعاد الناس إلى غيهم وضلالهم ، ولم يعوا معنى الحياة ، ولم ينفذوا بأبصارهم وبصائرهم إلى حقيقتها ، ولم يدركوا غايتها ، ولم يصلوا بعقولهم إلى سموها ، وظلت قولة « ديموقريط » ضائعة مع الحق والحقيقة ، وعمل الخير لا وجود له ، وحل محله الخجل النفاق والرياء ، واختلف مفهوم الفضيلة عن مفهوم السعادة ، وطغى القلق والغم على سطح الحياة .

وتجرىء دعوة القراء بمفاهيمها المختلفة بين الناس من تحت أنقاض الحياة وفلول المفاهيم المتناقضة ، وهدير المطابع ، وضجيج الاعلام ، وصخب الكتب والمجلات البراقة اللامعة ، تغريك بجمالها الساطع ، وورقها اللامع ، وألوانها الزاهية ، فماذا تأخذ منها ، وماذا تدع ؟

هنا نقول : عندما نعرف جيداً لماذا نقرأ ، نصبح أعضاء نافعين ، ونستطيع أن نحدد المسار الذي نسير عليه في حياتنا الصعبة،ونعرف كيف نعالج أمور حياتنا المعقدة ، وربما توصلنا إلى حل مشاكلنا ومشاكل الآخرين ، ولا شك أن ذلك يتم عن طريق اختيارنا لنوعية الكتب التي نقرؤها ونطلع عليها ، ونستفيد منها ونفيد ، ولعل ذلك يؤدي بنا إلى متعة كبرى ، وقيمة هذه المتعة أنها تحقق أسمى هدف من أهداف الحياة ، وهي لا تختلف عن الفضيلة التي تجلب السعادة ، تلك التي نادى بها « ديموقريط » .

إن الذين يقرأون للمتعة وحدها إنما يقرأون لأنفسهم وحدهم ، وفي هذا الحال لا يستفيد منهم أحد ، والانسان في الواقع لا بد أن يكون عضواً نافعاً في الحياة .

ومن الناس من يعجبك انكبابه على القراءة ، وملاحقته ما تقذف به المطابع من صحف ومجلات ، وقصص وروايات ، دون اختيار الجديد منها والنافع ، وإذا سألته أجابك بأني أقرأ لنفسي وحدي ولمتعتها ولا يهمني الصادق منها والكاذب ، إني أختار المسلي والممتع ، فتأسف للوقت المهدور دون نفع أو فائدة عامة ، والسبب أن هؤلاء لا يعرفون ، ولعلهم لا يستطيعون أن يحددوا مسار قراءاتهم ، لأنهم لم يحددوا أولاً الغرض والغاية من قراءتهم .

ومن الناس من يقرأ للمتعة ، ومع ذلك تراه يكون لنفسه ثروة من المطالعة تفيض على الناس أيضاً ، أعني يستفيد منها الناس بسبب حضوره في مجتمعه ، واختلاطه بأفراده .

ليس كل الناس علماء ، والعلماء قلة اختطوا لأنفسهم طريقاً يسيرون عليه في الحياة ، وحددوا هدفاً يبغون الوصول إليه ، ورسموا غاية يسعون لادراكها ، إن هدفهم وغايتهم إنما هو الحفاظ على شرف العلم ، وشرف العلم إنما هو خدمة الانسان ، واصلاح المجتمع الذي يعيشون فيه .

أما كيف نقرأ فتلك حالة تخص الانسان ، وهي حالة تحددها طبيعته ، وطبائع الناس شتى ومختلفة ، والكيفية التي يقرأ بها هذا غير الكيفية التي يقرأ بها ذاك ؟

ومن عجب أن تجد قارئاً لا يستوعب ما يقرأ إلا بين ضجيج الناس وصراخهم ، وما زلت أتذكر أولئك الذين يأخذون كتبهم ويستقرون معها في احد المقاهي الكبرى في ميدان العتبة الخضراء في قلب القاهرة بين « شكشكة ألعاب النرد » وصراخ المنادين على طلباتهم ، من شاي وقهوة وشيشة وغير ذلك من الطلبات ، ودوي « الترام » وصخب سيارات النقل ، كبيرة وصغيرة ، وصفير أبواق السيارات وأزيزها . . . أتذكرهم وقد أخذوا مقاعدهم في إحدى الزوايا ، أو بين رواد المقهى الكبير ، وراحوا يقرأون ويقرأون ، ويسترسلون في قراءاتهم ، وتراهم بين آونة وأخرى ، يدونون عبارة أو جملة أو يؤشرون على كلمة أو سطر مما يدل على استيعابهم ما يقرأون .

ومن عجب أيضاً أن تجد من هؤلاء القراء من يقرأ وهو راكب في القطار أو « الترام » ، أو سيارة الركاب ، أو تراه يقرأ ماشياً في الشوارع أو الحدائق أو حتى الأسواق .

ومنهم من إذا حركت الريح الورقة التي يقرؤها، أو سمع صوتاً أي صوت ، تشوش فكره ، واضطربت قراءته ، ولم يعد يستوعب ما يقرأ ، وضاعت منه المعاني بين السطور .

ومنهم من تدمدم في فكره الأحداث ، وتجول في خاطره المشاكل ، وتدوي في نفسه هموم الحياة ، فلم يدرك ما يقرأ ، ولم يع ما يمر عليه من معان وصور .

وتلك من طبائع الناس ، ولكل انسان طبعه الذي ركب فيه ، وعادته التي اعتاد عليها .

وخلاصة القول أننا نقرأ لنفهم ولندرك معنى الحياة ، ومن ثم لنقدم لأنفسنا وللناس ما نستطيع تقديمه من خير ، ولنتجنب الشر الذي يتنافى وسعادة الانسان ، ولا يوصل إلى الفضيلة التي هي غاية الانسان في الحياة ، أو هكذا يجب أن تكون . □



حكايات شرق وغرب

ابنة ستالين ملت الحياة في الغرب .

● عندما عادت سفيتلانا ابنة الزعيم السوفيتي الراحل جوزيف ستالين الى بلادها التي كانت قد هجرتها منذ أكثر من سبعة عشر عاما . . تساءل الناس : لماذ ؟ ما الذي دفعها الى العودة الى الاتحاد السوفيتي ، بعد تلك الأعوام الطويلة التي عاشتها في الغرب ؟!

وفي البداية كان الصحفيون الغربيون لايكفون عن ملاحقتها بأسئلتهم :

(لماذا ؟ ما الذي دفعك الى اتخاذ هذا القرار المفاجىء ؟)

وكانت سفيتلانا تكتفي بالرد عليهم بابتسامة لاتلبث ان تضيف اليها :

(أليس من حق أي مواطن أن يعود الى البلد الذي نبت في أرضه ، بدافع من الحنين اليه ؟) .

ولكن ابنة الزعيم السوفيتي الكبير التي استقبلتها الولايات المتحدة الامريكية منذ سبعة عشر عاما مضت بدعاية ضخمة ضد النظام الاجتماعي في الاتحاد السوفيتي ، مالبثت أن تكلمت أخيرا ، قالت : (لقد عدت الى بلدي بعد أن شعرت بالملل وخيبة الأمل !) .

وفي المؤتمر الصحفي الذي ظهرت فيه سفيتلانا في موسكو ، وأشرفت على تنظيمه السلطات السوفيتية بناء على رغبتها ، وقفت سفيتلانا تشرح الأسباب التي أدت الى اصابتها بهذا الشعور ، قالت : (انه أسلوب



سفيتلانا

الحياة في الغرب . . لقد انقضت سنوات طويلة قبل أن اكتشف أنني اعيش في مجتمع غريب لم أستطع أن أتكيف معه . ربما يكون قرار عودتي قد استغرق وقتا أطول مما يجب ولكن كانت هناك عدة اعتبارات أضعها دائما في حسابي كلما فكرت في العودة !)

ولم تكن سفيتلانا بعد هذا في حاجة لان تشرح معنى هذا الكلام ، فقد كان مجلس السوفييت الأعلى قد قرر عقب سفرها الى أمريكا والاقامة بها ، اسقاط الجنسية السوفيتية عنها ، وخاصة بعد أن تزوجت للمرة الرابعة من أمريكي ، هو ويليام بيترز وانجبت منه طفلة أسمتها أولجا .

ولكنها مالبثت أن اكتشفت بعد ذلك ، ان

السلطات السوفيتية كانت ترحب دائما بعودتها بعد أن تأكدت من أن السبب الرئيسي الذي دفعها الى ترك بلادها هو أنها لم تحتمل الحياة وسط الأجواء التي كانت تحيط بها لمجرد أنها ابنة ستالين ، لقد كان شبح والدها يطاردها في كل مكان تذهب اليه بعد الحملة التي شنها زعماء الكرملين ضده عقب رحيله .

لقد ألفت سفيتلانا كتابين في الغربة ، ولكنها لم تحاول في أي منها أن تنال من سمعة بلادها ونظام الحكم فيها . . ومن أجل هذا سوف تعيش سفيتلانا كأي مواطنة عادية في بيت جديد ستقدمه الدولة هدية لها ، وفي هذا البيت سيكون لقاؤها بولديها جوزيف وكاترينا اللذين تركتهما وراءها عندما قررت الرحيل وحدها . . وقد رزقت بهما من زوجها الثاني .

يقول أصدقاؤها : (لقد عادت سفيتلانا في الوقت المناسب لتشارك في الاحتفالات التي ستقام هذا العام بمناسبة مرور أربعين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتصار الاتحاد السوفيتي ، بعد أن شاركت فعلا في المهرجان الذي أقيم في جورجيا مسقط رأس والدها ستالين بمناسبة مرور خمسة وتسعين عاما على مولده !)

حتى الموت لم يستطع أن يفرق بينهما

لم يكن الزوجان الحبيبان يفترقان لحظة واحدة . . . كانا دائما معا في كل مكان يذهب أحدهما اليه . .

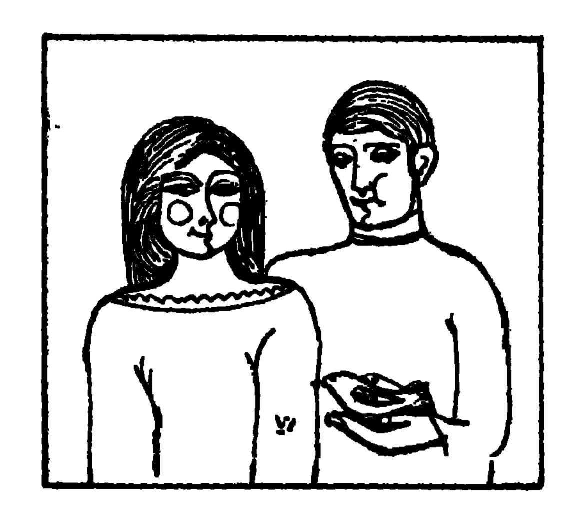
اسمها فلورانس ، وزوجها سالفاتوري ، اما قصة حياتهما فتبدأ عندما التقيا في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة في عام ١٩٣٢ ، وتحابا وتواعدا على الزواج .

ومرت الأعوام ، وصنعت بالزوجين السعيدين ماتصنعه بكل البشر . . لقد تقدم بهما العمر ، وأصيب الزوج سالفاتوري بنوبة قلبية حملوه على أثرها الى المستشفى للعلاج ، وكان قد جاوز السابعة والسبعين . .

وراحت فلورانس تزور زوجها الحبيب كل يوم ، وتقضي معظم ساعات النهار بجوار فراشه ، تخفف عنه آلامه وتؤنس وحدته . . ولكنها مالبثت أن أحست في أحد أيام زياراتها له أنها متعبة ، ونقلوها الى عيادة الطبيب .

وفجأة تدهورت حالة الزوج في نفس اللحظة التي كان الطبيب يقوم باجراء الفحوصات اللازمة للزوجة ، على بعد خطوات من الحجرة التي يرقد فيها زوجها . . ثم ازدادت حالة الزوج سوءا ، ومالبث أن فارق الحياة . .

ولم يشأ الأطباء ان ينقلوا الخبر الى الزوجة فلورانس اشفاقا عليها من الصدمة التي يمكن أن تسبب لها



مضاعفات خطيرة ، ولكن لم تكد تنقضي بضع دقائق على رحيل سالفاتوري ، حتى كانت فلورانس تعاني من صعوبة شديدة في التنفس ، ثم مالبثت بدورها أن أسلمت الروح .

ومات الزوجان دون أن يعرف أحدهما أن صاحبه قد تركه ورحل ! وقال الطبيب الذي كان يشرف على اسعاف فلورانس بالعلاج : (لقد أذهلتني المفاجأة . . . كانت مجرد نوبة قلبية بسيطة ، لايمكن أن تتسبب في موتها المفاجيء ولكن ثمة شيئا قد حدث . . في الساعة التاسعة وتسع دقائق بالضبط ، وجدتها تنظر الى في هدوء ثم ترفع السماعة عن صدرها ، وبعد أقل من دقيقتين توقف قلبها تماما .

وفي سجل الزوج المريض سالفاتوري ، قرأ الطبيب . . ساعة الوفاة ، التاسعة وسبع دقائق !

أم مونتجومري جعلت منه قائداً

● كثيرون هم الذين كانوا يكرهون الفيلد مارشال مونتجومري ، قائد الجيش الثامن الانجليزي الذي انتصر على قوات النازي بقيادة روميل في معركة العلمين ، التي غيرت مجرى الحرب في شمال افريقيا . فقد كانوا يتهمونه بالأنانية والقسوة والغيرة والبخل ، بل ذهب البعض الى أكثر من هذا فقالوا عنه انه كان مصابا بالجنون .

ومع هذا فقد قيل ان جنوده كانوا يعتبرونه واحدا من أعظم القواد العسكريين في العالم ، فقد كان دائما وسطهم في ميادين القتال يضحك معهم ، ويستمع الى شكاواهم ، ولاينام الليل اذا أصيب أحدهم وكانت اصابته بالغة .

وقد عاش مونتجومري ، أو « مونتي » الى مابعد الثمانين ، وكان عجوزا مرحا ، يجد متعة في الضحك من نفسه وعليها ، مع النكات التي يطلقها أصدقاؤه ومعارفه . روى يوما قصته مع التلميذ الصغير الذي رجاه أن يوصله بسيارته الى بيته بعد أن بلّلَتْ مياه المطر ملابسه ، وقال مونتجومري يسأل الصبي : (هل تعرف من أنا ؟)

وأجاب الصبي : (ليس لديّ أي فكرة . . كل ما أعرفه الآن أنك صاحب هذه السيارة التي ستوصلني بها الى البيت ، وتنقذني من المطر)

وقال مونتجومري : (سوف أساعدك قليلا ، سأذكر لك رتبتي ، وعليك بعد ذلك أن تفكر في الاسم الذي يأتي بعدها . . أنا (فيلد مارشال) وفيلد بالانجليزية تعني الحقل . وتهلل وجه الصبي فرحا وقال على الفور : (أرجوك أن تساعدني ، انني أبحث عن عمل في أي حقل خلال عطلة الصيف الطويلة . ولكن قل لي ماذا تفعل أنت بالضبط . . هل تقود الجرار الزراعي في الحقل ؟) .

واجاب مونتجومري : (لا انني أقتل الناس !!)

وأصيب الصبي بذعر شديد وصاح : (أوقف سيارتك على الفور ودعني أنزل . . انني أفضل أن أغرق تحت مياه المطر على أن تقتلني كما تفعل مع بقية الناس !!)



مونتجومري

وكان مونتجومري يفاخر دائما بقوله ان انتصاره في معركة العلمين هو الذي أنقذ ونستون تشرشل من السقوط كرئيس للوزراء ابان الحرب العالمية الثانية .

وكما كرهه الكثيرون ، كان هو أيضا يعرف الكثير عن نقائص السياسيين البريطانيين ، فهو يقول عن هارولد ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا الذي خلف انطوني ايدن بعد سقوطه اثر العدوان الثلاثي على مصر ، يقول مونتجومري : (لن أقبل أن أرافقه في رحلة الى الاحراش لأنه اذا كان لابد لواحد منا أن يخرج من هذه الغابة ، فلن أكون أنا على أية حال !)

ولكن ما مناسبة الحديث عن مونتجومري الآن ؟ انه الكتاب الجديد الذي صدر في بريطانيا بعنوان : (أحاديث مع مونتجومري) وهو يذكر فيه بين مايذكر ان أمه لم تكن تحبه كثيرا ، وقد ضبطته يوما يدخن سيجارة وهو صبي لم يتجاوز عامه التاسع . وعبثا حاول أن يستغفر ربه أمامها ، فهو ماكاد ينتهي من صلاته حتى فوجىء بها تنتظره وهي تحمل عصا غليظة انهالت بها ضربا على ساقيه .

ترى ماذا كان يحدث لو أن ام مونتجومري كانت أقل عنفا وأكثر حبا لابنها ، ويقول مؤلف الكتاب : (كان من الممكن أن يصبح مونتي شخصية أخرى غير ذلك القائد الشرس الذي عرفوه في ميادين القتال ، وربما كانت بريطانيا قد خسرت الحرب !)

وقتل الأب نفسه حزنا على ولد عاق !

ضاق الأب ذرعا بتصرفات ابنه ، الذي اعتاد السهر في الخارج حتى ساعة متأخرة من الليل كل يوم ، ضاربا بنصائح والده عرض الحائط . . وحار الأب اميليو امبينو في اصلاح حال ابنه الوحيد جيوفاني ، الذي أهمل دراسته ولم يعد يهتم بشيء ، ولايقيم وزنا للنصائح التي يسديها اليه والده . .

وللمرة الثالثة خلال أسبوع واحد ، كان جيوفاني يعود الى البيت في الساعة الثالثة صباحا . ولم يحتمل الأب أن يرى ابنه في هذه الحالة من الضياع وسط شوارع مدينة نابولي بايطاليا ، حيث تعود أن يقضي كل وقته مع رفقاء السوء . وحاول أن يتكلم ، أن يقول شيئا ، ولكن ثورة الغضب التي تملكته كانت أقوى من أن تدع له أية فرصة لمزيد من الحديث مع هذا الابن العاق . . ولم يشعر أميليو بشيء بعد هذا ، ولكنه عندما رأى ابنه يسقط على الأرض مغشيا عليه ، أدرك على الفور أن الضربة القوية التي وجهها الى رأسه قد افقدته وعيه .

وأصيب الأب بذعر هائل ، وهو يحاول أن يعيد ابنه الى وعيه ، فقد كان الفتى لايتحرك . . لقد مات . !

وأسرع اميليو الى بندقيته وهو يصرخ : (لقد قتلت ابني) ثم افرغ رصاصة في رأسه وسقط على الارض والدماء تنزف منه . . لقد مات الأب .

أما الابن جيوفاني ، فقد كان فقط يقوم بالدور الاخير من التمثيلية التي وضع زملاؤه فصولها . . قال لرجال الشرطة الذين جاءوا للتحقيق فيما حدث : (لقد تظاهرت بأنني ميت حتى لايتمادى والدي في ضربي !!) .

جياكومو . . وحكايته مع الفشل !

جياكومو ديرتوشيو ، شاب ايطالي يعيش في مدينة ميلانو ، ظل هو والفشل حليفين لايفترقان أبدا ، فعندما استطاع ان يحصل على وظيفة أخيرا وسط ازمة البطالة المتفاقمة ، وجد نفسه يدخل في معركة مع رئيسه بعد أيام قليلة من تسلمه لعمله الجديد ، ثم صدر قرار بفصله من العمل .

وعاد الى البيت والى زوجته (روزا) فوجدها تشكو بسبب العطل الذي أصاب غسالتها الكهربائية ، وحاول جياكومو أن يصلح الغسالة ولكنها احترقت وكادت تحرق البيت معها .

وفي اليوم التالي صرخت الزوجة وهي ترى المياه تغرق البيت من الثقوب التي امتلأ بها السقف ، وأسرع جياكومو يتسلق البيت ليسد الثقوب التي كانت تنفذ منها مياه الأمطار ، فاذا بها تتسع وتتسع وتغرق المياه البيت كله .

حتى التلفزيون الذي اختفت الصورة عن شاشته ، توقف عن العمل تماما عندما حاول جياكومو اصلاح الهوائي الذي تحطم في وجه الريح .

ولم تحتمل روزا مايحدث للبيت وهي تراه قد تحول الى حطام وسط مستنقع كبير فصرخت : (كل شيء تفعله يعود علينا بالدمار ، أنا لم أعد احتمل الحياة معك)

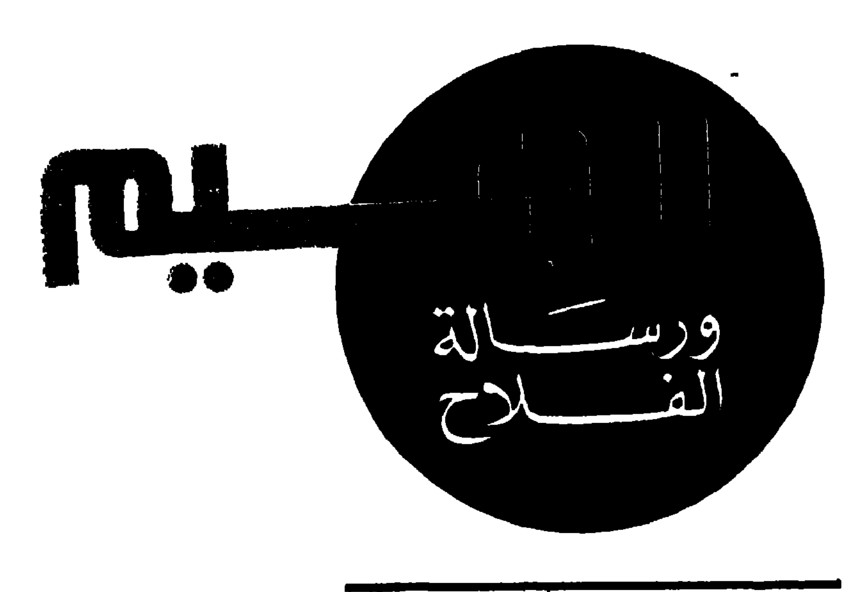
وكان جياكومو يحب زوجته روزا ، فلم يستسلم ، وانما راح يحاول من جديد ، غير ان محاولاته كلها باءت بالفشل .

وعندئذ فقط تأكد أنه فقد حب روزا له واعجابها به !

وقرر أن يفعل شيئا بنفسه ، ربما استطاع معه أن يستعيد حب زوجته ، فأمسك بموسى الحلاقة وقطع به شرايين معصمه . . وبدأت الدماء تسيل غزيرة . . ونقلوه الى المستشفى لاسعافه بالعلاج . . ولكن جياكومو مات .

انه لم يكن يريد أن يموت ، كان يحاول فقط أن يستدر عطف روزا ، ويستعيد حبها ، ولكنه فشل حتى في هذه المحاولة الأخيرة .

قصة من الأدب الأفريقي



للكاتب الأوغندي : نواستونجو

ترجمة : محمد عبد الواحد

المؤلف :

ولد هذا الكاتب في أوغندا عام ١٩٤٢ ، وحصل على درجة الليسانس عام ١٩٦٨ من جامعة ماكريري ، والتي مارس فيها نشاطه المسرحي . ولقد نشرت قصصه القصيرة وكذلك أشعاره في مطبوعات صدرت في شرق أفريقيا ، ثم أعيد نشرها في عدد من المنشورات الأدبية العالمية .

وقد حصل ستونجو من جامعة المتد على ماجستير في الفولكلور بعد دراسة استمرت عامين ، ثم اشتغل بتدريس مادة الاعلام في جامعة ماكريري بكمبالا ، وكان من حين لآخر يعمل في التمثيل والاخراج المسرحي .

ومن مسرحياته « بو الخفي » التي صدرت عن مؤسسة هاينمان . أما القصة التي بين أيدينا فقد نشرت عام ١٩٧١ بمناسبة مهرجان فنون ماكريري .

كان من المفروض أن يلقي الزعيم اليوم خطابا هاما ، وان لم يدر أحد من الناس ما المناسبة التي من أجلها سيلقي هذا الخطاب . ولكن الزعيم فيما يبدو ، وكما يظن غالبية الناس ، كان يشعر منذ عدة أيام بحالة من البهجة ، جعلته يود لو يشاركه فيها الآخرون . هذا الى أنه كوّن لدى الناس انطباعا بأن فترة حكمه ليست - ببساطة - سوى فترة مكدسة بالخطب . وعلى أية حال ، فقد استطاعت وسائل الاعلام أن تروج لهذه المناسبة الخاصة بالخطبة رواجا كبيرا بين الناس . وفي نفس الوقت انضم رجال البوليس الى شاحنات مذيعي النبأ ، يحذرون في شدة قائلين : « نحن نتوقع منكم جميعا أن تشاركوا في اللقاء الرسمي لفخامته ، ولكن لاتنسوا غلق بيوتكم عند مغادرتها . وأنتم ياأصحاب السيارات لاتنسوا غلق أبواب سياراتكم وعليكم الا تتركوا فيها مايغري باقتحامها ، فاللصوص - كما تعلمون - ينشطون تماما في مثل هذه المناسبات » .

وبهذا كانت الأمة على أهبة الاستعداد . ولقد اختار الزعيم لهذا الاجتماع الرسمي موقعا استراتيجيا ، موقعا يحتشد فيه سكان قريتين من أكثر

قرى الدولة عددا في السكان على الاطلاق ، كما يلتقي فيه أشد طريقين ازدحاما لحركة المرور . هذا فضلا عن أنه مكان تقليدي للاجتماعات منذ وقت طويل . ولهذا كان من المتوقع أن يحضره عدد كبير من الناس .

لن أصف لكم مقدار الزينات التي تعهد باقامتها السكان المحليون وغير المحليين قبل بدء الترتيبات لاضفاء البهجة على المناسبة أو على هذه الفوضى . فأنتم بالطبع تستطيعون تخيل هذه الاشياء قياسا على مايحدث في مثل هذه المناسبات .

ولقد كان يضايق الزعيم مايسود الأمة من فتور واضح ، يصحبها شك وريبة ، غير أن عامة الناس لم تكن تدري شيئا عن ذلك الشعور الذي يملأ نفس الزعيم . ولاحاجة للقول بأن حكومته عادة ماكانت تزعم أنها مهيمنة على الموقف ، فيما عدا انشغال الشرطة في صمت بالقبض على عدد لايحصى من المجرمين وغير المجرمين ، وماتركه المحامون في المحاكم من انطباع بأن مرتكبي الجرائم في الأمة ليسوا بشرا ، مطالبين موكليهم بانكار ما اقترفوه من جرائم . غير أن هذه الشرور الثلاثة .. الفتور والشك والريبة لم يفلت منها الزعيم . فقد كان دائما ينفي أن طاقته تتجاوز طاقة البشر ، لكن أنصاره الذين أرادوا تثبيت الفكرة ، كانوا يصرون على ادعاء هذه القوة له . ومن أجل هذا برم الزعيم بامتداح رفاقه أو غير رفاقه له ، وكان أن تملكه ابداعه القوى هذه المرة ، وقرر أن يقدم للجمهور مفاجأة ، ولكنه لم يتوقع نتائج تصرفه ، فهو لم يتصور مثلا أن فعلته ستسبب ذعرا واضطرابا .

لقد قرر في اللحظة الاخيرة أن يبدل مكان الاجتماع من الملتقى الشعبي المشهور الى احدى المدارس . انها مدرسة شهيرة نوعا ما ، ولكن ليس الى حد عقد اجتماعات سياسية بها . هذا الى أن الوصول اليها لم يكن سهلا . وصمم أن يذهب اليها وحيدا .. بلا سائق،بلا حراسة ، بلاحاشية . واصيب تلاميذ المدرسة (لن يذكر اسم المدرسة تجنبا للفضيحة ، أو لعلها اشاعه ،) بدهشة بالغة حين فوجئوا بشخص عاري الصدر مهوش الشعر مضطرب الهيئة قد دخل خلسة الى مسرح صالة طعامهم ، وأخذ يرقص رقصة السوينج ، معلنا أنه زعيم الأمة ، وأنه يود أن يتحدث اليهم . وسرعان ماعرفه التلاميذ ، فدقوا الطبول بانفعال .

وأقبل مزيد من التلاميذ ليستمعوا الى زعيمهم ، كما أقبل اناس آخرون ، مدرسون وأهالي من السوق القريب من المدرسة .

ولقد عانى الزعيم من مقاطعة حديثه مرارا بسبب تردد الناس على المسرح وبسبب التحذيرات التي كان يوجهها البعض لاصدقائه .. « هلا اغلقت بيتك ؟» .. هل أمنت دراجتك ؟ » .

واحد من الناس سأله صديق يذكره « رأيتك تضع على حامل دراجتك طعام الماتوك ،[1] وأراك الآن جالسا هنا .. فأين تركته ؟ » .

ـ تركته بالخارج فوق حامل الدراجة .

ـ الايجدر بك أن تذهب وتطمئن على وجوده هو والدراجة ؟ ...

وراح الرجل ليطمئن ، فوجد الماتوك قد اختفى . ولكنه كان سعيد الحظ الى حد كبير لأن دراجته لم تختف مع الطعام . وارتاب في الرجل الذي أطلق التحذير ، لكن لم يكن لديه برهان على ذلك .

وخرج رجل ليطمئن على دراجته ، فوجد المنفاخ مسروقا . كما وجد آخر دراجته سرقت ، الا أن اللص لم يترك المنفاخ وراءه ، كما أن المنفاخ لم يسقط عرضا من الدراجة . .

ـ أنت سعيد الحظ لأنك وجدت دراجتك .

ـ أجل .. الدراجة موجودة .. ولكن المنفاخ ثمنه أربعة شلنات ، ولاأستطيع شراء منفاخ آخر ، فليس معي نقود حاليا . ثم أنه لافائدة من هذه الدراجة .. ألا ترى ؟ لقد تأكدوا من خلو اطاراتها من الهواء وها أنت ذا تراها فارغة .

ـ نعم ، أرى ذلك .. ولكن لديك الاطر على الاقل ، ونستطيع اصلاح الداخلية منها دائما .

ماذا تقول ؟ . الاطر مليئة بالرقع . ولايمكن

---

(١) الماتوك موز مسلوق ومهروس يستخدم طعاما في أوغندة

وضع رقع فوق رقع . ثم أني لا أملك نقودا اشترى بها صمغا .

وبدأ الزعيم الذي يقف الآن وحده على مسرح المدرسة هادئا ، يواجه باعتداد جمهوره الذي ضم بعض المدرسين الذين تمكنوا من الحضور واختلطوا بالتلاميذ وقال :

« آسف لعدم اعدادي حديثا ألقيه عليكم في هذه المناسبة المشهورة : لقد أعد لي حديث ولكني خلفته ورائي .. ذلك أن سكرتيري الخاص أصرّ على الحضور حين القي الحديث . فهو يريد أن يربط مابين طريقتي في الالقاء ومابين رد فعل جمهور الحاضرين ، كما يريد الوقوف على الاجزاء التي ستكون موضع اهتمامه . ولقد أبلغني أنني لو القيت الخطبة التي أعدها ، فسيستدعي فريقا من الصحفيين والمصورين . فرغم أنهم لن يشيروا الى أنه هو مدبج الخطبة ، فسيشعر بالاعتزاز حين يقرأ ماكتبه بنفسه ، وقد نقلته الصحافة حرفيا .. حسن .. أعني كلمة كلمة .. أعني النص كاملا دون حذف شيء منه . ولهذا عندما قررت المجيء وحدي وأن أغير المكان ، كان على أن أترك الخطبة . انني مدرك على أية حال أنكم تتوقعون أن أحدثكم حديثا معقولا حتى لايقال انني لاأستطيع قول شيء معقول الا اذا كان مكتوبا . أجل سأحدثكم بشيء ، ولو أني لاأستطيع التنبؤ بمدى وقعه على نفوسكم لأنني شخصيا لاأعرف يقينا كيف يكون وقعه على نفسي » .

« ان معظمكم تلاميذ . حسن .. ولو أني أرى بين الحاضرين شيوخا .

على أية حال ، دعوني أتلو عليكم رسالة كتبها فلاح .. بالطبع لن أزيح النقاب عن اسمه أو عنوانه أو مكانه أو مقره . وسأتلو عليكم فقط ماأراه مناسبا .. نسيت أن أقول لكم ان هذه الرسالة موجهة لي بوصفي زعيما للامة . واليكم الان ماأريد تلاوته منها » .

(سيدي .. انني مزارع اكسب قوتي من فلاحة الارض .. ومنذ عشرين عاما وأنا مهتم بزراعة البن ، وقد زرعت منه قدرا كبيرا ، ولقد ظللت أفكر دوما في السعادة التي ستغمرني حين تغل الأرض محصول البن ، حيث أستطيع الحصول على بعض مال أسدد منه احتياجاتي . ولكن ويل لي .. وويل لكل مزارع ناجح . لقد بقيت طوال هذه العشرين عاما أرعى بني والأمل يمشعش في رأسي بأنه خلاصي الوحيد . وقد كان ..

سيدي .. ليس الامر أني أعرف طريقة حديثة من طرق الفلاحة ، أو أنني أرغب أو أحرص على معرفتها حتى لو أتيحت لي الفرصة . ولكنه أمر التطور الجديد ، وانه لأمر يفوق الحد يا سيدي .. ففي العام الماضي بعت محصولي كله دفعة واحدة ، وعدت الى داري منتفخ الجيب سعيدا ، وأدركت حينذاك أني أستطيع تسديد ضريبتي التصاعدية ، ومصروفات أولادي المدرسية ، ومرتبات الحمالين ، وشراء ثوب أو ثوبين لزوجي . ولكن في تلك الليلة هاجمني قطاع طرق وسلبوا كل نقودي . وكنا سعداء الحظ لنجاتنا الا من جروح بسيطة . ورفعت الامر للشرطة التي اشتدت همة رجالها . والقوا القبض سريعا على ثلاثة من المشبوهين ، واستدعوني لاتعرف عليهم ، وتم ذلك . ولكني أصبت بدهشة حين تم الافراج عن هؤلاء المجرمين بعد أسبوع واحد ، وقبل تقديمهم للقضاء . وحين ذهبت أشكو للشرطة ، طلبوا مني دفع الفي شلن اذا كنت ارغب في القاء القبض على المجرمين .

لم أستفسر عن الغرض الذي سيستخدم فيه هذا المبلغ . ولكني عدت الى بيتي واقترضت المبلغ ودفعته للشرطة ، وكان أن القت القبض على المجرمين .. ان الهدف من رسالتي هذه .. هو أن ....) .

وتلعثم الزعيم ثم سعل بعد أن ابتلع لعابه ، فأخرج منديله ليمسح شفتيه ، وظن الحاضرون أنه فرغ من خطابه ، فاندفعوا الى منصة المسرح يهنئونه ، وكل منهم يحرص على أن يراه الزعيم ، الا انهم لم يتبينوا أنه مغشي عليه .

انني لن أصف لكم الزعيم حين أغمى عليه ، أعني .. لاتتوقعوا أن أحدثكم بشيء كهذا عن الزعيم . لاتتوقعوا مثلا أن أقول ان عينيه بدتا وقد فقدتا الحياة تماما . أو أن ذلك اللعاب بدأ يكون زبدا حول فمه ، أو أنه كان فاغر الفم ، أو أنني تبينت



رائحة كريهة تنبعث منه وكأنه . . . على أية حال ، لقد أدرك رجل رقيق الحاشية خطورة الموقف ، فتولى بنفسه عملية الامن . . أزاح الجمهور بعيدا ، ومدد الزعيم على منصة المسرح الصلبة . وتقدم شخص آخر بفكرة لطيفة وهي وجوب حمل الزعيم الى غرفة صغيرة ووضعه على مقعد مريح أو سرير . وفي نفس الوقت أخذ معظم الناس يجرون مبتعدين . وكان من الواضح أنهم لايدرون تماما ماحدث . وحين أصبح نقله ضرورة ملحة ، وقعت مسئولية ذلك على عاتق خمسة رجال كانوا متخلفين خلف الجمع . بيد أنهم خافوا أن يحملوه خشية الاشتباه فيهم بمحاولة اغتياله . خشوا جميعا أن يصبحوا ضحايا . وهكذا

كان الزعيم يحتضر دون أن يقدم له أحد عونا ، أو يعتني به أحد ، أو يقوم على حراسته أحد ، الى أن واجه الفلاح ـ كاتب الرسالة ـ الموقف بشجاعة ، وحمل الزعيم الى قاعة نوم التلاميذ .

في نفس الوقت أراد السكرتير الخاص مشاورة رئيسه في أمور تتعلق بالخطبة ، كان يريد نصحه (حقيقة الامر ، السكرتير الخاص يفضل أن يطلق على هذا تعليمات لانصائح) بالوقوف والضغط على عبارات أو أسماء أو أفعال بعينها ، وبكيفية نطقها :

أدار قرص الهاتف وطلب بيت الزعيم فلم يجده . ولما طلب المكتب ، أخبرته السكرتيرة الشخصية أن الزعيم لابد وأن يكون في بيته . حينئذ طلب النادي الخاص الذي يلتقيان فيه عادة ، ولكنه لم يتلق ردا . فما ان كان منه الا أن طلب ادارة المباحث التي أعلنت عدم مسئوليتها وجهلها بالامر . وانتهى التفكير بالسكرتير الخاص الى أن الزعيم لابد وأن يكون قد اختفى . ولما كان الزعيم لايمكن أن يختفي بمحض ارادته ، فالامر اذن ينذر بالخطر . . ولو أن احتمال الموت لايمكن استبعاده تماما . ومن ثم ، ذهب السكرتير الخاص بنفسه الى المقر الرسمي للزعيم ليستوضح الامر من زوجة فخامته . وتبين أن الزوجة هي الاخرى لاتعلم متى اختفى زوجها ، بل انها لم تشعر بغيبته . وازدادوا ذعرا حين أيقنوا بعدم وجوده في أي مكان من أمكنته الخاصة . وكان حرسه الخاص مازال في انتظاره عند مقره . . ثم ان هذا الحرس لم يره يغادر المقر . . وسرعان ماوصلت شرذمة من المخبرين ورجال الامن بطريقة توحي بأنهم جاءوا في مهمة . وأقنعوا أنفسهم جميعا بأنه لايمكن أن يكون قد وقع عليه اعتداء خارج بيته ، حيث لاتوجد آثار تشير الى ذلك .

وفي مكان اللقاء المعهود تجمع الناس ، وقد زود المكان بقوة أمن شديدة . ولقد كان هؤلاء الناس تواقين للوقوف على الحديث الذي سيضطر الزعيم الى اعلانه ، هذا الى أنهم قد تعودوا على الحقائق السياسية الجديدة ، والتي تتعلق بمرحلة الحضارة الخطابية حيث تتوالى الخطب . . خطبة وراء أخرى .

بالطبع لافائدة من ذكر حجم الجمهور ، ذلك أنه بمقدور أي انسان الحصول من الصحافة على مثل هذه المعلومات بطريقة أكثر واقعية وحرفية . حتى حالة الجمهور النفسية ، وردود فعله ، واستجاباته وغيرها ، يمكن الوقوف عليها من تقارير الصحف بيد أنه كانت هناك واقعة بعينها لاتنسى . . فبينما وقف الجمهور ينتظر الزعيم في لهفة ، اذ بمزيد من شاحنات محملة برجال الأمن تصل الى المكان وتحيط به ، وقبل أن يدرك أي شخص مايجري حوله ، امتلأ الهواء بغاز مسيل للدموع . . وكل من حاول الفرار ضرب به رجال الأمن ، حتى أضطر كل الناس الى البقاء في اماكنهم . كان الموقف يحتاج الى طول أناة تتسم بالهدوء والحذر والذكاء .

وكان السكرتير الخاص قد أوصى بعدم اذاعة أي خبر عن اختفاء الزعيم ، لدرجة أنه في الوقت الذي القي فيه الغاز المسيل للدموع على الجمهور ، أعلن المذياع أن الزعيم سيؤم حشده التاريخي خلال دقائق . . ومضى النبأ يقول أن الزعيم لابد وأن يكون الان في طريقه الى مكان الحشد .

وضع الفلاح صاحب الرسالة الزعيم بعناية على سرير أحد التلاميذ . . بينما كان حائرا لايدري ماذا يفعل ، تذكر بضع نتف من قواعد الاسعافات الأولية ، وكان أن بدأ يعري الزعيم عن ملابسه ليتيح لجسده التعرض للهواء النقي . وفي نفس الوقت قام ناظر المدرسة بأبلاغ الشرطة هاتفيا وشرح لرجالها الامر ، فبدأت الشاحنات المحملة برجال الشرطة والمسلحين والمخبرين تتدفق على المدرسة وحاصروها ، واحتجزوا التلاميذ داخل المباني . وسرعان ماتم العثور على الزعيم . . صداره وبنطلونه متدليان الى منتصف الفخذين ، يبينان عن سرواله . ولم يكن معه في الغرفة سوى الفلاح كاتب الرسالة ، فقبض عليه في الحال واقتادته الشرطة . أما الزعيم فقد نقل في سيارة أمن الى المستشفى المركزي ، حيث تم استعراض قوى الامن مرة أخرى كما تؤدى عروض السيرك . وقبل أن يعود الى الزعيم وعيه تماما ، كان الفلاح صاحب الرسالة قد تحمل الكثير ، ثم اعترف بمؤامرة الاغتيال الكبرى التي أحسن تدبيرها ثم راح في سبات أبدي . . سبات لن يرى نور الحياة بعده أبدا . . □

منتدى العربي

تعقيبات

الرأي ، والرأي الآخر . . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية . .
حول قضية مستقبل الوطن العربي وقضية التسلح المنشور ـ بالعدد ٣١٤ يناير ١٩٨٥ نعرض هذه الآراء..

ملاحظات على أيديولوجية التسلح

قرأت باهتمام بالغ وشغف عظيم مقالة هامة للدكتور فؤاد زكريا بعنوان« ايديولوجية التسلح » وهي المقالة التي نشرتها مجلة العربي في عددها الممتاز رقم (٣١٤) لشهر يناير سنة ١٩٨٥ .

ولكن أود أولا أن أطرح تعديلا طفيفا على نقطة ذكرها الدكتور في مقالته حول فرص تشغيل العاطلين في النظام الرأسمالي ، اذ يقول : « ان النظام الرأسمالي ، يستطيع أن يتحمل دون عناء أعباء التسلح ونفقاته الباهظة . بل ان انتاج السلاح وتطويره وتجديده المستمر من أهم العوامل التي تساعد على استمرار هذا النظام في الحياة وازدهار اقتصاده وتشغيل مصانعه وايجاد فرص عمل للعاطلين فيه » .
واذ أتفق مع الدكتور فؤاد حول معظم ما ورد في الفقرة السالفة الا انني أختلف معه حول امكانية ايجاد فرص عمل للعاطلين في المجتمع الرأسمالي في ظل « ايديولوجية التسلح » التي تنتهجها الولايات المتحدة بصورة خاصة . الحقيقة أن العكس هو الصحيح ، فالمسألة ليست كم من العمال والمتخصصين والعلماء تهيأ لهم فرص للعمل في مصانع السلاح ، وانما كم من الأيدي العاملة والمتخصصة تتعطل بسببه تركيز الدولة على انتاج وسائل الدمار الجماعي ؟ فنسبة العاطلين عن العمل ـ وهذا ما أسفر عنه البرنامج الاقتصادي للرئيس ريغان ـ تفوق بكثير نسبة الذين تحققت لهم فرص العمل في مصانع السلاح ومختبرات الدمار الشامل . ولعل الصورة تتضح أكثر وأكثر لو سألنا أنفسنا هذاالسؤال : كم ميدانا جديدا ، وكم هي الفرص التي يمكن توفيرها للعاطلين عن العمل ،لو اننا رصدنا جزءا من ميزانية التسلح لاستحداث ميادين جديدةللانتاج والعمل المثمر الذي يخدم الانسان ؟

كان هذا تعديلا طفيفا أردت أن أدخله على نقطة ذكرها الدكتور فؤاد زكريا في مقالته السالفة الذكر ، وسبيل الآن الى عرض أبعاد جديدة أثارتها في ذهني أفكاره الهامة فأقول : ان أول تصور خطر ببالي حين

قرأت المقال هو اننا لا نعدم وجود أوجه شبه في حصيلة التركيز على صناعة السلاح في المجتمعين الاشتراكي والرأسمالي على حد سواء . أو قل ان هناك تماثلا هاما لا في الأهداف المرسومة عند المنظرين « لايديولوجية التسلح » في الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وانما في النتائج التي تترتب اما على تطوير السلاح أو محاولة اللحاق وخلق توازن في انتاج اسلحة الدمار . صحيح أن الاتحاد السوفيتي يعمل على اقتطاع جزء من لقمة العيش في أرضه لمسايرة التطور الرهيب في ابتكارات الغرب الرأسمالي لأسلحة الدمار وتطويرها ، وصحيح ايضا أن انكباب الدول الرأسمالية الغربية على اختراعات جديدة للسلاح وتطويره يستهدف دعم الاقتصاد الرأسمالي وزيادة فرص الاثراء الفاحش عند فئة قليلة من الناس ، أقول ان كل هذا صحيح ولكن يجب ألا نغفل عن حقيقة هامة وهي أن النتيجة على مستوى القاعدة العريضة من السكان واحدة في كلا المجتمعين . فالغرب الرأسمالي ايضا يقتطع جزءا من لقمة العيش من أفواه النسبة الغالبة من السكان في أرضه . . وحسبنا أن نعلم أن توجه الولايات المتحدة ولهفتها الدائمة على انتاج السلاح وتطويره لم ينعكس أثره السلبي على ارتفاع في نسبة البطالة بين الايدي العاملة فقط ، وانما ظهر الأثر واضحا في احالة اعداد هائلة على برنامج المعونات الاجتماعية ، بل على اقتطاع جزء من مخصصات المسنين لأجل اشباع نهم الحكومة والرأسماليين في التسلح . فالنتيجة اذن واحدة في المجتمعين ـ الرأسمالي والاشتراكي ـ من حيث اقتطاع كل منهما لجزء من لقمة العيش وتوظيفها في انتاج السلاح وتطويره . نعم ان الاختلاف كبير بين فلسفة الاقتصاد في المعسكر الرأسمالي ونظيرتها في المعسكر الاشتراكي ولكن النتيجة واحدة في كلا المعسكرين حين تتعلق بالقاعدة العريضة من السكان التي تقع ضحية « لأيديولوجية التسلح » .

وهناك فوق هذا تصور آخر أثارته مقالة الدكتور فؤاد في ذهني ، ذلك أنه اذا بات واضحا اليوم ما تنطوي عليه الأسلحة النووية من دمار شامل فان زيادة انتاج هذه الاسلحة وتطويرها صار يعطينا أبعادا جديدة . فالمخزون الحالي لأسلحة الدمار كاف لقتل البشر عشرات المرات ، وما السعي الحثيث الى زيادة انتاج السلاح وتطويره ـ من جانب الغرب الرأسمالي على الأقل ـ الا انعكاس لروح عدوانية متأصلة فيه ، فضلا عن تصور متهافت بامكانية انتصار طرف واحد في الحرب وهزيمة طرف آخر . فليت أسلحة الدمار هذه انحصرت في القنابل النووية الحرارية Ther-monuclear ، ولكن الروح العدوانية للغرب الرأسمالي في ايديولوجيته التسلحية قد جعلته يبتكر بين حين وآخر مخترعات حديدة لقتل البشر ، بل ويتفنن في كل دلك الى حد كبير . فعلى صعيد الذرة مثلا راياه يطرح منذ مدة مشروعا لانتاج قنبلة نيوترونية تستهدف قتل البشر عن طريق جرعات مكثفة من الاشعاع في الوقت الذي تبقى فيه المساكن والمدن وبعض نتاجات « الحضارة » الاخرى سالمة وصالحة . واما على صعيد الكيمياء فان الولايات المتحدة ، وبعدانقطاع دام بضع سنوات ، أعطت الضوء الاخضر لخبراء فن الحرب والدمار لممارسة عملهم من جديد بقصد انتاج اسلحة كيميائية أكثر فاعلية مما شهدته الحروب التقليدية السالفة . ان رصد ميزانية كبيرة في الولايات المتحدة لتطوير الاسلحة الكيميائية هي عملية « احياء » بقصد « القتل » مع سبق الاصرار والترصد ، وما الغازات السامة أو غازات الأعصاب الا بعض مظاهر « التلذذ » بقتل البشر .

أما على صعيد البيولوجيا فان المصيبة هنا لاتقل عن المصائب التي سلف ذكرها ان لم تكن أدهى وأمر . فعن طريق البيولوجيا الحديثة سوف يمكن للانسان ـ طال الزمان أو قصر ـ ان يتحكم في الصفات الجسمية والعقلية للمواليد الجدد . وما عليك الا أن تتصور شكل العالم ونزعة القهر والتسلط التي يمكن ان يمارسها الانسان على أخيه الانسان لو استغلت البيولوجيا في ميدان لايخدم البشر . دعونا نتصور حياة الناس والشعوب المستضعفة لو أن حاكما مستبدا هنا أو زعيما أرعن هناك أو رئيسا تغلب عليه *روح العنصرية حاول أن يسخر جماعة أو جيشا من هؤلاء « البشر العمالقة العباقرة » في تحقيق أهدافه العدوانية واشباع نزعته التسلطية . ان هذا المشرو[ع] شبيه الى حد كبير بمشروع حرب الكواكب وا[...] تحقيق المشروعين لايبدو مستحيلا في ضو[ء] [...] الحديث . الأمر الأكثر أهمية من كل هذا [...]*

كان المشروع « تخليق انسان جديد » يعتبر مشروعا طموحا فان صناعة اسلحة جرثومية أمر قائم بالفعل منذ سنوات . ولعلنا نتذكر أن تجربة الولايات المتحدة فى قتل الهنود الحمر بواسطة الأمراض والأوبئة كانت سابقة خطيرة في العصر الحديث . ان الاكتشافات الحديثة فى ميادين البيولوجيا وخاصة فى ميدان « هندسة الوراثة » تفرض علينا ان نفتح أعيننا جيدا على كل ما يدور فى مصانع الغرب الرأسمالي ومعامله ومختبراته خاصة اذا علمنا أن نزعته العدوانية هى المحرك الرئيسى لانتاج السلاح وتطويره . بل لعل الموقف الذى يتحتم علينا منذ الآن اتخاذه هو الا نكتفى برصد ما تتفتق عنه اسلحة الدمار من مبتكرات حديثة وانما فى اعلان احتجاجنا وسخطنا تجاه كل ما يجرى فى معامل الدمار الشامل . والحق انى اجعل مهمة اتخاذ موقف صارم تجاه انتاج اسلحة القتل الجماعى وتطويرها مسألة مقدسة وواجبا تفرضه علينا انسانيتنا وأخلاقنا وضميرنا بل حتى ديننا . ولعل ما يزيد من أهمية اتخاذ موقف واضح ومحدد من قضية السلاح وتطويره ، أن حياة البشر جميعا صارت اليوم فى كفة الميزان . وانني والله لأرجو صادقا ألا يأتى اليوم الذى نتحسر فيه على سلبيتنا من خطر « ايديولوجية التسلح » وذلك لان الندم لاينفع حين تحل الكارثة ● □

الدكتور عبدالله العمر

الإنسان والمستقبل والسلاح في الوطن العربي

أثارت « العربي » في (عددها الممتاز ـ كانون الثاني / يناير ١٩٨٥) مسألتين على مستوى كبير من الأهمية : الأولى وهي قضية مستقبل الوطن العربي ، والثانية وهي مسألة التسلح ، وسواءٌ كان تتابع هذين المحورين على صفحات عدد واحد أمر صدفة أو ترتيب ، فان هناك علاقة قوية بين المسألتين في الواقع العربي المعاصر .

الدكتور محمد الرميحي في « حديث الشهر » بعنوان « قراءة في مستقبل الوطن العربي » يثير أهمية تحول التعامل مع المستقبل من تنجيم أو تغافل الى علم ومتابعة ، فبالدراسات المستقبلية نستطيع اكتشاف الخطر قبل وقوعه ، لكي نستعد لمواجهته ، ويستعرض الدكتور الرميحي بعضا من الاخطار التي ت تهدد الامة العربية دولا وشعوبا وأفرادا ، وتنذر . يحمل مطلع القرن الواحد والعشرين الكوارث ... الامة اذا ما استمر التطور على ما هو سائر عليه .

والمخرج الوحيد من هذا المسار الحرج ليس النفط ولا المال وانما الانسان ، بقدراته المتطورة ، والمجتمع بمؤسساته وتنظيمه الاجتماعي الذي يستنهض قوى الانسان وفاعليته الخلاقة .

أما « محور التسلح » فيستهله الدكتور فؤاد زكريا بمقاله الموسوم « أيديولوجية التسلح » .

يربط الدكتور زكريا في مقاله بين التسلح وطبيعة النظام الاجتماعي ، ففي النظام الرأسمالي الذي يقوم على المصلحة الخاصة ، والذي يعتبر الربح الرأسمالي قوته الدافعة ، أصبح السلاح هذه الايام ـ صناعة وتجارة واستخداما ـ من أهم وسائل الحصول على الربح واقتناص الثروات واحتكار الامتيازات على النطاق الاجتماعي في الداخل وعلى النطاق العالمي . ولقد جرّت الدول الامبريالية العالم كله وراءها في سباق رهيب للتسلح بفعل سياساتها العدوانية والاستفزازية .

ومع تأييدنا لمجمل تحليل الدكتور زكريا لأيديولوجية التسلح ، الا أننا نرى في ثنايا مقاله بعض الافكار الاخرى التي تستحق النقاش .

يشير الدكتور زكريا الى تصاعد المقاومة الجماهيرية المنظمة والواعية للتسلح في جميع الدول الرأسمالية الكبرى . وهذا موقف يلفت النظر بتصاعده السريع واكتسابه لجماهير متزايدة يوما بعد يوم في تلك البلدان ، حتى أن الجماعات المناوئة للتسلح بدأت تتحول الى أحزاب شعبية ، كحزب « الخضر » الذي أصبح يشكل القوة الحزبية الثالثة في ألمانيا الغربية ، على المستوى الشعبي وفي داخل أروقة البرلمان الالماني . وفي بريطانيا والولايات المتحدة واليابان وغيرها لا تهدأ المظاهرات المناهضة لسباق التسلح وللاسلحة النووية .

لكن الدكتور زكريا يضع في مواجهة هذا الموقف ، موقف الانسان العربي « اللامبالي » تجاه نفس المسألة « التسلح » ، ويرجع الفرق بين تلك المقاومة المنظمة الواعية للشعوب الغربية للتسلح ، وهذه اللامبالاة عند شعبنا العربي ، الى الفارق بين « الوعي » و « انعدام الوعي » .

ويطرح الدكتور زكريا المسألة ببعدها الانساني الشامل ، كمسألة قيمة أخلاقية حيث يقول : « هذه معركة يوجد كل منا في ساحتها ، شأنه شأن أي فرد آخر من أفراد هذا الجنس الذي يسمي نفسه « عاقلا » والذي أوشك عقله وعلمه على أن يبعث به الى الجنون . . . انها معركتنا جميعا وعلينا أن نتصدى لها بنفس الشجاعة التي يواجهها بها نساء وأطفال وآباء مسالمون في مجتمعات تكشفت لها الحقيقة بكل ما فيها من بشاعة ومرارة . وهي معركة ينبغي ألا ينتصر فيها من يملكون أسلحة الدمار ، بل ينبغي أن يكون النصر النهائي لمن يؤمنون بالانسان » .

في الحقيقة ، ليس هناك عاقل يجادل في أفضلية العيش في ظروف السلام على العيش في ظروف الحرب . وتزداد القناعة لدى الناس في عصرنا الحاضر بامكانية العيش في سلام وعبر تنافس شريف بناء ، بخلاف ما كان عليه الامر على مدى العصور الماضية ، حيث كان القتال من أهم « وسائل الحياة » . والآن ، مع التقدم الهائل الذي حققته العلوم والمعارف الانسانية ، أصبح العقل وحده كفيلا بحل المعضلات التي تواجه الانسان والمجتمعات لو أحسن استخدامه وحيل دون انحرافه .

لكن هذه القناعة شيء والواقع السياسي الدولي ، وبالأخص في منطقتنا العربية وما حولها ، شيء آخر . ولقد كان الدكتور زكريا واضحا جدا في الكشف عن عدوانية بعض الأنظمة أو الدول التي مازالت لها السطوة على عالمنا المعاصر . فكيف يمكن بعد ذلك أن نطلب من الشعوب المستهدفة بصورة دائمة بالعدوان أن تلقى السلاح أو أن نطلب منها أن تتظاهر ، من أجل « نزع السلاح » ؟

ان الفرق جوهري بخصوص الموقف من التسلح بين شعب أو انسان يرى أن هذا التسلح يجري لمصلحة قلة من الاحتكاريين وعلى حساب مصالح مجموع الشعب ، ولأهداف عدوانية ضد الجنس البشري كله ، مما يجعل السلام مهددا في كل لحظة كما ترى اليوم الكثير من الفئات في الغرب ، وبين شعب أو انسان لم يستطع حتى الآن أن يكسب معركة التحرير والتحرر ، تحرير الارض من العدوان الجاثم فوقها وتحرر الارادة من القوى المتحكمة بها ، كما هو حال الشعب العربي والانسان العربي . وطالما أننا نتحدث عن « أيديولوجية التسلح » فإن هذه الايديولوجية لا بد أن تعبر عن واقع معين ، اذ لا توجد أيديولوجية مجردة تصلح لكل زمان ومكان ولكل مجتمع وانسان .

واذا كان الانسان العربي لا يتظاهر مثل الانسان الغربي ضد التسلح فلشعوره بأنه مهدد ككيان قومي اجتماعي ، وكوجود بشري وحضاري ، من قبل قوى خارجية ، امبريالية وصهيونية ، وهذا ما يجعله يقف موقفا ازدواجيا ، بحق ، من مسألة التسلح : انه يتعاطف ويتضامن بكل قوة وحماس مع حركات مقاومة التسلح في الغرب لانها حركات انسانية ضد النزعات العدوانية ، ويتمنى لو أنه في نفس ظروفها ليتظاهر معها ، ولكنه ، في الوقت نفسه ، يزداد تمسكا بضرورة امتلاك القوة لرد العدوان عن نفسه ، ذلك أن هذا العدوان ليس وهما ، كما هو بالنسبة للانسان الغربي ، وانما هو واقع قائم في المكان ومستمر عبر الزمان .

وفي جميع الأحوال ، فان هذا العدوان القائم

المتعاظم هو المبرر الذي يجعل الانسان العربي يرضخ ضرورة التسلح ، ويتحمل اعباءه الهائلة دون ان ينسى أن الكثير من التسلح العربي يخدم عكس الأهداف التي يفترض ان يتوجه اليها .

ويعبر عن هذه الضرورة الدكتور جورج طعمة في الحوار الذي أجري معه (في نفس العدد من العربي) اذ يقول :

« في أي استراتيجية شاملة ، ولا سيما اذا كنا نجابه ـ كما في الأمر الواقع ـ أعداء على حدودنا ، يصبح تصنيع السلاح ليس واجبا قوميا فحسب ، وانما في مرتبة واحدة مع الغذاء» .

ويردف الدكتور جورج طعمة : « ولكن صناعة السلاح وحدها لن تكفي ، ما لم يسبقها ويتوازن معها بناء وتحرير الانسان العربي » ، وهذه احدى التحديات الرئيسية التي تجابه الاستعداد للمستقبل العربي والتي أشار اليها الدكتور الرميحي في مقاله الافتتاحي .

الا أنه لا يمكن للمرء ، وهو بصدد الحديث عن التسلح ، الا أن يؤكد على ان الموقف من السلاح ـ صناعة او تجارة او تكديسا او استخداما ـ انما يتحدد بالاهداف التي يخدمها هذا السلاح . وتكمن المأساة في واقعنا العربي الراهن ان السلاح العربي ، بخلاف ما كان عليه الأمر منذ عشرين عاما ، لم يعد يهدف ، في الكثير من الأحيان ، الى خدمة الاهداف التحررية للأمة العربية . كان السلاح العربي يقدم لثورة الجزائر ، وثورة اليمن الجنوبي ، للتحرر من الاستعمارين الفرنسي والانكليزي ، كما يقدم للحركات الوطنية المناضلة في جميع القارات ، وبالأخص في افريقيا للتحرر من الاستعمار .

وكان يعبأ على حدود فلسطين بهدف التحرير (ولا يقلل من قيمة هذا التبرير ما آل اليه الحال ، فلذلك أسباب اخرى) . أما اليوم ، فإن صناعة السلاح وتجارته في الوطن العربي لم تعد في أغلب الاحيان موجهة ضد المحتلين الصهاينة ، ولا ضد الاستعمار ، ولا لمساعدة حركات التحرر ، او لدعم الدول ذات النزعات التحررية ، وانما على العكس ، اصبح يذهب الى الدول والحركات المرتبطة بخدمة خطط الامبريالية والاستعمار الجديد في اعادة السيطرة على الوطن العربي وافريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

بالأمس ، كنا نتفاخر بـ « البارودة » لأنها استطاعت ان تطرد الجيوش الاستعمارية من معظم اراضي الوطن العربي . اما الآن ، فلن نتفاخر حتى حين نرى في استطلاعات متتابعة مصورة ، صناعة القنبلة الذرية في الوطن العربي ، الا بعد أن تعود هذه الصناعة لتخدم النضال التحرري في الوطن العربي والعالم الثالث ، وتكف عن « حيادها » المزعوم والذي لا يعني حقيقة الا دعم القوى المعادية لحقوق الشعوب .

ان العلاقة بين المستقبل والسلاح علاقة قوية جدا ، فالمستقبل لا يبنى بغير سلاح طالما اننا نتحدث عن المستقبل المنشود الذي يحقق مطامح وآمال الشعوب ، والذي لا يمكن بناؤه بدون الاصطدام بالأعداء القائمين والمحتملين .

وللمستقبل الذي ترسمه الدوائر الاستعمارية والصهيونية لأمتنا أيضا ، وبالمقابل ، أسلحته المدمرة .

ومن حيث الشكل لا يختلف هذا السلاح عن ذاك . والمسألة ليست في كمية السلاح الذي نشتريه ونوعيته ، أو في قدراتنا على صنع السلاح ، وانما هي مسألة اختيار الهدف من امتلاك او تصنيع السلاح ، هل هو من أجل التحرر أم لمقاومة التحرر ؟

وذلك يتوقف ، قبل كل شيء ، على من الذي يحدد الهدف !

وفي هذا المقام أسترجع من ذاكرتي كلمات ذات مدلول عميق .. للاقتصادي السويدي الكبير ، الحائز على جائزة نوبل ، غونار ميردال ، كان ذلك أمام مؤتمر عقدته جمعية اقتصاديي العالم الثالث في هافانا عام ١٩٨١ . قال غونار ميردال :

« انني رجل سلم ، أقف ضد استخدام السلاح في النزاعات بين البشر ، ومن أجل حل جميع المشاكل بالوسائل السلمية . ولكنني ، وبعد اطلاعي على الأوضاع المأساوية التي تعيشها شعوب أمريكا اللاتينية ، والناتجة عن النهب الامبريالي الذي تمارسه الولايات المتحدة عليها ، وعن طبيعة الدكتاتوريات الفاشية التي تدعمها الامبريالية واحتكاراتها ، رغم أنها تنتهك حقوق الانسان بأبشع ما يكون الانتهاك يومياً ، فانني أقول الآن بأن شعوب أمريكا اللاتينية

تملك الحق الكامل في استخدام السلاح ، باعتباره الوسيلة الوحيدة ، التي بقيت أمامها للتحرر من الاستغلال الامبريالي ، ومن الدكتاتوريات العسكرية . ان استعمال السلاح في هذه الحالة هو الوسيلة الوحيدة المجدية في الدفاع عن الذات » .

وأعتقد أن أستاذنا الدكتور فؤاد زكريا يؤيد هذا الموقف بدون تحفظ .

وأخيرا ، فان كل تسلح لا يوجه ضد العدو المغتصب للأرض ، والمقيد للارادة ، هو تسلح لا يخدم المستقبل العربي ، وانما يكون على حساب حق الانسان العربي في الحياة وحقه في المستقبل الأفضل □

الدكتور عارف دليلة

التلفزيون.. قضية كل موسم

حول قضية « التلفزيون » ذلك الصندوق العجيب كما تحدث عنه فاروق عبد العزيز في عدد فبراير من العربي (٣١٥) .. وحول « مشاهد العنف في التلفزيون » كما جاء في العدد ٣١٤ (عدد يناير) أحب أن أطرح هذه الكلمة .

التلفزيون في البيت هو الخادم المطيع ، متأهب على الدوام للسيطرة على حركة الأولاد ، جهاز عمل لتسليتهم ولتحطيم أعصابهم .. جهاز عمل لأنه حين لا يعمل ذاتيا من خلال الأقنية الخارجية في فترة المساء ، يعمل منذ الصباح الباكر عبر جهاز الفيديو . ساعات تعقب ساعات يمكنه أن يشغل فراغ الطفل . والطفل من أعلى سنيه الثلاث أو الأربع ، بات يعرف جيدا - وأحيانا أفضل من أمه - كيف يدير آلة توليد الصور ، بل كذلك كيف يشغل جهاز الفيديو تقديما وتأخيرا وتحريكا ، وهو اذا كان يلهيه الفيلم أو البرنامج فانه لا تفوته الاعلانات التي كثيرا ما يستمتع بها بدرجة تفوق تصور الكبار .

فها هي ذي فتاة صغيرة تظهر على الشاشة الصغيرة تنقط الطعام على ثيابها . لا ضير فمبيِّض كذا جاهز لازالة البقع .. ويظهر فتى صغير يدلق المربى على بنطاله .. لا مانع ! فصابون الغسيل كذا يتكفل بالتنظيف التام .. !

ثم ان هناك الطفل الذي يغافل بطل الرياضة ويشرب زجاجة « المرطب » التي اؤتمن عليها .. والآخر الذي يتظاهر ، طربا منشدا ، مع عشرين طفلا آخر من سنه نفسها احتفاء بمقدم جبنة كذا . وأمثلة أخرى لا نهاية لها . الأطفال سعداء . أصحاء ، يتصرفون بحرية ، ويرتكبون بغير ما عقاب جميع الأمور التي تمنع منعا باتا على الأطفال الحقيقيين في حياتهم اليومية .

الطفل يولد استهلاكيا

تنشغل الام في المطبخ ، ويمد الاب يد المساعدة في مجال ترتيب البيت ، فثمة ضيوف قادمون . أسهل طريقة لاشغال الأطفال الهاؤهم بالتلفزيون . يجلس الطفل لاهيا عن كل ما حوله . لقد ولد « مشاهد تلفزة » . وخياله يتغذى بهذه المادة اليومية التي تقدم له . انه يولد اذن « استهلاكيا » . خاضعا لصنوف الدعايات اليومية . وكل ما تجهد لتعليمه اياه ، من مستوى الأمور الاخلاقية حتى أصغر قواعد الحياة وأيسرها ، يضعها موضع المقارنة والموازاة مع ما تقدمه الشاشة اللماعة السحرية .

الحق أن التلفزيون يلعب أحيانا دورا مؤذيا يسيء لى التوازن النفسي للأطفال ضمن العائلة الواحدة . عبر شاشة التلفزيون يظهر الأطفال على الدوام سعداء ، ظرفاء شديدي التهذيب ، وتظهر الأمهات جميلات مسترخيات دائما ، أما البيوت فحدث ولا حرج ، حيث فيها كل أسباب الراحة :

من الاثاث حتى البراد والغسالة الاوتوماتيك والسجاد البراق . كل شيء ميسر ، كل شيء متوفر ، ومن بعد ذلك مباشرة ، خلف كل فيلم وكل حلقة في مسلسل أو برنامج تتدفق صور الاعلانات والدعايات المغرية ، فتغرق الأطفال في بيتك ـ مثلهم مثل ملايين الأطفال الآخرين في وطنك العربي الكبير ـ في عالم من الرؤى والمشاهد الجذابة والمغرية التي تجعلهم يسقطون تحت سيطرة الاغراءات المادية ، أو يطيرون في عالم من الأحلام والمغامرات والرغبة الى الامتلاك والنجاح . وتكون المشكلة أكبر وأجل خطرا في مسلسلات العنف المبطن بالخيال ، حين يجلس الأولاد بكامل عفويتهم وقابليتهم للتلقي لمشاهدة حلقات من نوع « غراندايزر » على سبيل المثال ، فيسقط عليهم شلال من الصور المتلاحقة العاجة بالمواقف الحاسمة والشخصيات المتصارعة ، ضمن هدير لا ينتهي من الموسيقا الضاجة التي تضيف الى العنف عنفا والى التغريب تغريبا ، فلا يقوم الأولاد من كابوسها الا وقد أرهقت أعصابهم وانبهرت عيونهم وصُمّت آذانهم .

مسلسل وحيد للاطفال ـ افتح يا سمسم ! أخذ بعين الاعتبار حاجات ومتطلبات الطفل العربي ، ولعله أحرز نجاحا بالغا وصار شعاره الموسيقي يتردد على كل لسان . رغم ذلك لم تقل لنا أية دراسة ، في أى قطر عربي ، مقدار التأثير الفعلي للمسلسل في نفوس الأطفال ، ولم يخرج علينا أى باحث بروائز معينة تقوّم نتائجه التربوية . ولعله المسلسل الوحيد الذي كان الأهل يطمئنون اليه تمام الاطمئنان اذا ما تركوا أولادهم ينشغلون به ، في حين يتابعون هم تأدية واجباتهم البيتية والاجتماعية . ولكن « افتح يا سمسم » ! مر وانقضى كأنه النيزك ضمن العالم المتلفز للصغار . وكم ذا من مسلسل مغلق ـ غير افتح يا سمسم ـ يلتهم الاطفال .

هذه الدوامة الغربية

وتتحدث دعايات التلفزيون عن التأمين على الحياة ، وتقدم الاغراءات للمشاهدين . وفي غضون ذلك ينتابك أنت نفسك جانب من قلق . فهل ترانا نتخذ احتياطاتنا الكاملة ـ كأهل ـ من أجل أن نؤمن للاولاد أفضل مستقبل ممكن ؟

وقبل أن تخرج من دوامة أفكارك تكون الدعايات قد زاحمت الدعايات . وتلاحظ أن أولادك قادرون على ترديد أغنيات أنغام الدعايات بمعدل واحد من أصل عشرة على الأقل . فتراك تردد بينك وبين نفسك : التلفزيون يؤثر ويخلق منهم مستهلكين بالفطرة ولا حيلة لى في ذلك .

يجدر القول أن الطفل يزدرد صور التلفزيون بشره بالغ ، وبغير ما تمييز لم يتسلح له . وهو كلما كبر طالب بالمزيد . ولا أدري في ظروفنا كم ذا يمتص الطفل بين سن ٨ ـ ١٣ سنة على سبيل المثال من ساعات البث كل اسبوع ، في غياب الدارسات والدارسين ، والاحصاءات التي يمكن الاعتماد عليها . الا ان كل شيء يؤكد أن التلفزيون بالنسبة اليهم تسليتهم الاولى ، بل انه لمن الممكن القول أنه لدى اعداد كبيرة منهم وسيلتهم الوحيدة للتسلية ولتمضية أوقات الفراغ .

وقد يقول قائل : « وما حليتنا في ذلك ؟ التلفزيون نتاج الحضارة . انه جذاب مشوق ، ولا يسعني أن اغلق عليه بالمفتاح » كلا بالطبع ، ففيه يجد الطفل فرصته للتعلم ، للضحك ، للحلم ، لو ان مالا يزيد عن ١٠٪ فحسب من البرامج تحسب حساب طريقته في التفكير ورهافة مشاعره وحساسية روحه . ان الطفل بطبيعته انقيادي . انه يصدق ما يسمع وما يرى . وأنت كأب ـ وكذا الام بالطبع ـ الوحيد القادر على توعيته وتصحيح مساره الفكري ، وتعديل قناعاته ، وتكييف ذوقه ، بحيث لا يصبح في وقت مبكر ، وقبل سن النضج ، مجرد انسان مستهلك شره منفعل .

ومن أجل بلوغ هذه الغاية يتوجب على الأباء والامهات ـ ان يجعلوا من أنفسهم أحيانا شاشة « أو ستارة » بينهم وبين الشاشة الصغيرة . □

صلاح دهني

مرض حب الشباب

ليس حكراً على الشباب فقط !

************** بقلم الدكتور : محمد عبد الله المشاري* ******

انه المرض الذي يكره تألق الشباب وصفاء ملامحهم ووسامة قسماتهم في أجمل مايواجهون به هذا العالم .. وجوههم المشرقة ... فماهي الاسباب ... وما العلاج ؟

يعتبر حب الشباب مرضا مجهول السبب ، ولكن هناك نظريات كثيرة في هذا الصدد أهمها : ازدياد افراز الهرمونات المذكرة والمؤنثة أثناء فترة البلوغ ، وهي فترة ظهور المرض حيث تؤدي هذه الهرمونات الى زيادة في حجم وافراز الغدد الدهنية ، وتؤدي كذلك الى ضيق في القنوات الدهنية التي من خلالها تصل الافرازات الدهنية الى الجلد . فيؤدي ذلك الى تجمع الدهون وانتفاخ في الغدد الدهنية ، حيث تقوم البكتريا الجلدية بتحويل الدهون الثلاثية الى دهون أحادية وثنائية والى أحماض دهنية حرة . وهذه الأحماض الدهنية الحرة هي أحد أسباب التهاب الجلد ، وذلك بعد انفجار القناة الدهنية وانتشار هذه الأحماض في المنطقة المحيطة بالغدد الدهنية ، فتؤدي الى ظهور حب الشباب .

٣٠ بالمائة من النساء

هذا وقد وجد أن هناك علاقة بين استعمال وسائل المكياج من جانب المراة وانتشار حب الشباب لدى الجنس اللطيف ، حيث وجد أن ٣٠ بالمائة من النساء اللواتي يستعملن أدوات المكياج يصبن بحب الشباب ، وخصوصا في المنطقة السفلية من الوجه .

أما العلاقة بين حب الشباب وتناول أنواع معينة من الأكل فتتلخص بأن هناك نظرية قديمة مفادها أن الاكثار من المواد الدهنية كالشيكولاتة والقهوة والمكسرات يؤدي الى ظهور حب الشباب . ولكن اتضح حديثا بأن هذا غير صحيح ، حيث ظهرت نظرية حديثة تنفي بأن تكون هناك علاقة بين أنواع

* طبيب بقسم الأمراض الجلدية - المستشفى الاميري بالكويت : دكتوراه في الأمراض الجلدية .



من الطعام وحب الشباب التي تزداد بتناول المواد الدهنية ، وازدياد حب الشباب في هذه الحالات راجع للعامل النفسي . فقد ارتبط في ذهن المريض أن أكل المواد الدهنية يزيد من ظهور المرض ، ولا أحد يستطيع أن ينكر دور العامل النفسي في ظهور حب الشباب ، حيث تزداد الحالة عندما يتعرض الشخص لأزمات نفسية حادة .

فمن المعروف علميا أنه عندما يتعرض الانسان لازمات نفسية حادة تصاحب ذلك زيادة في افراز الهرمونات ، ومنها الكورتيزون . ومعروف علميا دور الكورتيزون في حب الشباب الكورتيزوني . لهذا لاتوجد علاقة بتاتا بين الأكل وحب الشباب فيستطيع المريض بحب الشباب أن يأكل مايشاء من الأطعمة .

الشمس والعلاج

هذا وقد وجد في معظم الحالات عند التعرض لجو حار وجاف ، حدوث تحسن في الحالة ، اذ لأشعة الشمس دور في ازالة الطبقة الكيراتينية العليا المسببة لضيق أو اغلاق القناة الدهنية ، وكذلك الأشعة فوق البنفسجية تؤدي الى قتل البكتريا الجلدية التي تلعب دورا رئيسيا في التهاب الجلد .

ولكن عندما يتعرض الانسان لجو حار ورطب ، فان هذا يؤدي الى ظهور نوع من أنواع حب الشباب . يسمى بحب الشباب الاستوائي .

وهناك مقولة خاطئة تزعم بأن حب الشباب يزول بعد الزواج ، فهذا غير صحيح بتاتا ، فليس لذلك أي مدلول علمي على الاطلاق وانما هي مجرد تكهنات .

الاطفال وحب الشباب

من الممكن ايضا أن يصيب مرض حب الشباب الاطفال الصغار خاصة في عمر ماقبل السنتين لاسيما في أول ثلاثة شهور ، وتكون منطقة الاصابة فقط في الوجه الا أن الصدر والظهر غير معرضين للاصابة بهذا النوع من حب الشباب . وعادة يختفي المرض حتى من غير علاج خلال سنة تقريبا .

وعادة فان الأطفال الذين يصابون بهذا النوع من حب الشباب يصابون عند فترة البلوغ بنوع شديد منه.

والسبب في اصابة الاطفال بهذا النوع من حب الشباب مجهول حتى الان ، لكن أقرب النظريات الى الواقع هي وصول هرمون الاندروجين من الام الى الطفل ومعروف علميا أن هذا الهرمون له دور في ظهور حب الشباب ، والمعروف ايضا أن حب

الشباب عادة يحدث مابين ١١ - ٢٥ سنة وهناك نوع من أنواع حب الشباب يصيب كبار السن ، وهو عادة مايصيب الرجل أكثر من المرأة ، ويظهر في منطقة الظهر بصفة خاصة ، ويبدأ في سن العشرين أو الثلاثين ، ويستمر الى الخمسين او الستين . وعادة يتحسن المريض صيفا ، والمصابون به لم يتعرضوا ، لحب الشباب عند الصغر ، ويطلق على هذا النوع حب شباب الكبار .

أنواع كثيرة

هناك عدة أنواع من حب الشباب ، منها نوع يسمى بحب الشباب الميكانيكي ، ويظهر في أماكن الضغط والاحتكاك في الجسم وقد يصيب من يستعمل بطلونا ضيقا وخصوصا أعلى الفخذ كما يصيب سائقي الشاحنات الكبيرة حيث يظل سائق الشاحنة وراء مقود السيارة لساعات طويلة ، فيصاب ظهره بحب الشباب وهناك نوع آخر من أنواع حب الشباب يسمى بحب الشباب الشحمي ، يصيب العمال والميكانيكيين الذين يتعاملون مع الدهون والشحوم في تصليح السيارات أو المصانع ، وهناك نوع يظهر عند تعاطي الأدوية ، ونوع شائع عند النساء يزداد بظهور الدورة الشهرية اضافة الى أنواع اخرى كثيرة

أيها أفضل ؟

وحول نوعية استعمال الصابون الطبي أو العادي وأيهما أفضل للاستعمال في حالة الاصابة بحب الشباب ، نجد أن الصابون يؤدي الى ازالة الطبقة الدهنية من الجلد ، وهذا بالتالي يؤدي الى جفاف هذه الطبقة من الجلد ، ويؤدي في النهاية الى تقشرها وسقوطها . وهذا بالتالي يساعد على فتح القنوات الدهنية الضيقة . ولاشك أن كثرة استعمال الصابون غير مطلوبة ، حيث يؤدي ذلك الى جفاف وتشققات في الجلد ، وهذا سوف يؤدي الى حرقة في الجلد عند استعمال الأدوية الموضعية .

وهناك أنواع من الصابون الطبي تحتوي على مواد مطهرة تساعد على قتل البكتريا الجلدية ، وقدرتها على تجفيف الجلد أكيدة . لذا ينصح باستعمالها عندما يكون الجلد دهنيا .

والحقيقة أن دور الصابون في علاج حب الشباب دور ثانوي ، حيث أن الدور الأساسي هو في استعمال الادوية

عدة علاجات

في السنوات القليلة الماضية ظهرت عدة انواع من الأدوية لعلاج حب الشباب ، لكن أهمها دواء جديد من مشتقات فيتامين (أ) الصناعية

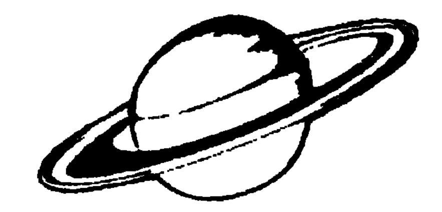
وقد تبين أن هذا الدواء له فعالية كبيرة في علاج أحد أنواع حب الشباب يسمى بحب الشباب الكيسي ، وهو نوع شديد ، يؤدي الى تشوهات في الجلد لكن يعاب على هذا الدواء الأعراض الجانبية ، اذ يؤدي الى اضطراب في الكبد والى جفاف وحكة في الجلد وتساقط الشعر مع آلام في المفاصل ولكن يمكن التحكم في هذه الأعراض الجانبية بتقليل جرعة الدواء وظهر دواء آخر في الأسواق منذ عدة سنوات يسمى بمضادات الاندروجين ، ومن اسمه يتضح انه يقلل من دور هرمون الاندروجين ، وهو الهرمون المذكر

ومعروف علميا أن هذا الهرمون يلعب دورا رئيسيا في حالات حب الشباب ، ويضاف الى هذا الدواء كذلك هرمون الاستروجين وهو الهرمون المؤنث ، حيث يستعمل لعلاج حالات حب الشباب وعلاج حالات الشعر الزائد والخشن،كما يستعمل كحبوب لمنع الحمل ، ويتضح من ذلك أن هذا الدواء يستعمل للمرأة دون الرجل .

هذه النصيحة

وأود أن أوجه نصيحة لمرضى حب الشباب حيث هناك بعض المرضى يكثرون من لمس مكان الاصابة ، والأخطر من ذلك هو فتح هذه الحبوب وعصرها حيث يؤدي ذلك الى انفجار الغدد الدهنية وازدياد التهاب الجلد ، والنتيجة هي ظهور ندب وتشوه فى الجلد . لذا يجب عدم لمس مكان الاصابة بتاتا واستعمال الدواء بانتظام مع استشارة الطبيب المختص . □

نظرة إلى زحل



أجمل الكواكب الشمسية

بقلم : الدكتور عبد القوي زكي عياد

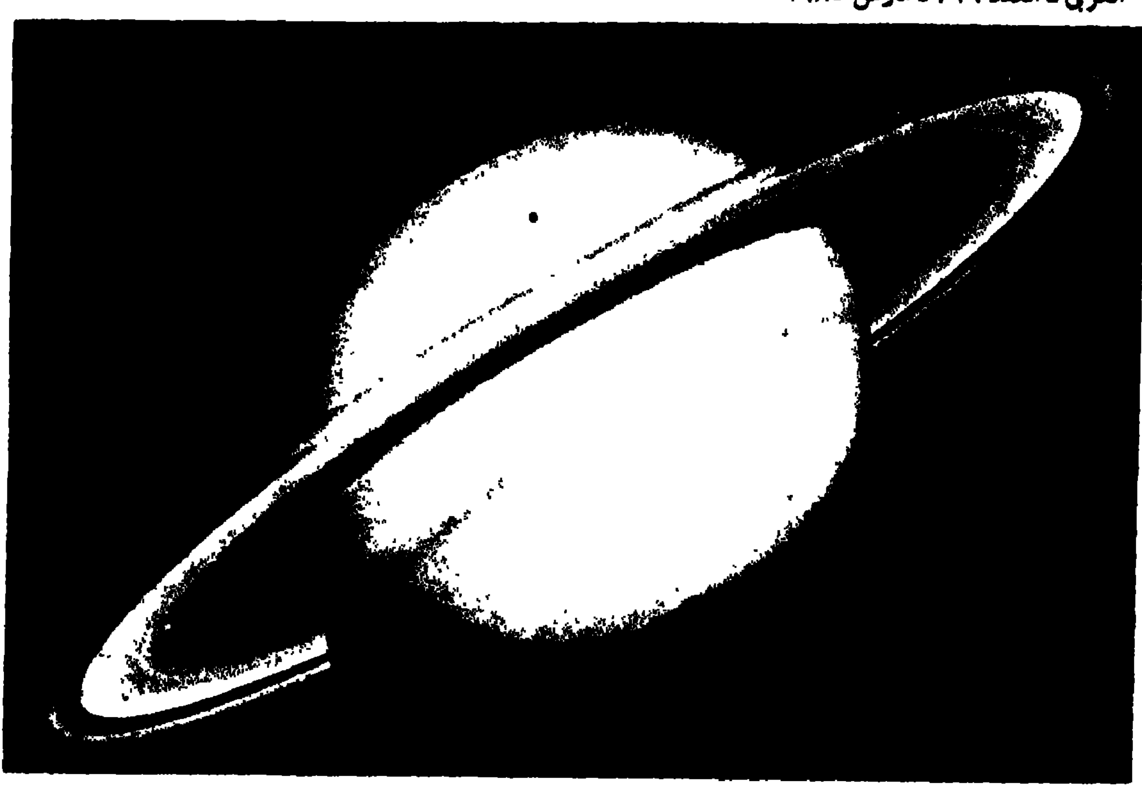
في ٢٥ أغسطس عام ١٩٨١ اقتربت سفينة الفضاء الأمريكية فويجر ٢ من كوكب زحل ، بعد أن قطعت مسافة ٢،٢٥ بليون كيلو متر ، منذ انطلاقها في ٢٠ أغسطس عام ١٩٧٧ من قاعدة كيب كانافيرال . وبواسطة مجساتها ومناظيرها ومولداتها الكهربائية وآلاتها التلفزيونية بثت أكثر من ١٨٠٠٠ صورة للكوكب العملاق ، مضيفة لنا معلومات جديدة عنه ، لكن لماذا هو اجمل الكواكب الشمسية ؟

يعد زحل العملاق بحلقاته العديدة وأقماره الكثيرة أشبه ما يكون بمجموعة كاملة تحكي ظروف نشأة وتطور المجموعة الشمسية كلها . وقد أضافت رحلات بيونير وفويجر إلى معلوماتنا عن هذا الكوكب ما لم يتح لنا في هذه الفترة عن أي كوكب آخر ، الأمر الذي يجعل هذه الرحلات من المعجزات الهامة في برامج غزو الفضاء . فقبلها كانت المسافة بيننا وبين زحل تمنعنا من فهمه بوضوح . ولم يكن بوسع أي عالم أو حتى شاعر أن يتخيل العدد الهائل من الحلقات التي تدور حول هذا الكوكب من هنا يمكن القول بأن اقتراب سفن الفضاء قد اكتشف عالما جديدا في زحل .

قبل ٤ بلايين سنة !

ان زحل هو سادس كواكب المجموعة الشمسية من حيث البعد عن الشمس ، وثانيها في الكبر . فهو يلي المشتري في الحجم ويشاركه الخواص الأساسية ، من تركيب كيماوي ، ودوران سريع ، ومجال مغناطيسي متوسط الشدة ، ومصادر ذاتية للطاقة . وكلا الكوكبين ينتمي الى مجموعة الكواكب العملاقة التي تضم أيضا يورانوس ونبتون .

وقطر زحل عند خط استوائه ١٢٠٦٦٠



صورة زحل كما ارسلتها فويجر ٢ من على بعد ٢١ مليون كيلو متر

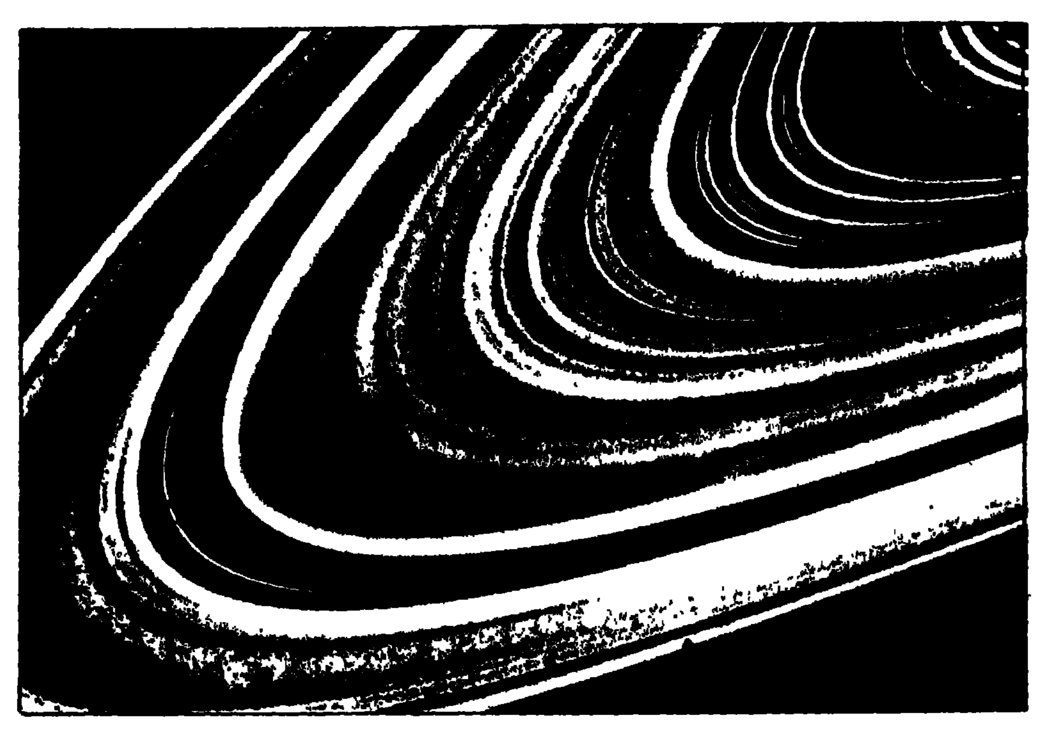
كيلو مترا ، بينما قطره القطبي يقل عن ذلك بمقدار ١٠٪ بسبب سرعة الدوران حول المحور ، والذي يتم فيها الكوكب دورة حول نفسه كل ١٠ ساعات و ٣٩ دقيقة و ١٠ ثوان . . وتبلغ كتلة الكوكب حوالي ٩٥ مرة مثل كتلة الأرض ، وكثافته المتوسطة ٧, جرام لكل سنتيمتر مكعب . وهذه أقل كثافة بين الكواكب مما يدل على أن معظم مادة زحل غازية .

وكتلة الكوكب الكبيرة ودرجة حرارته المنخفضة كفيلتان بالاحتفاظ بكل المكونات الكيماوية منذ نشأة المجموعة الشمسية ، قبل ٤,٦ بليون سنة . وأول العناصر شيوعا في الكوكب هو الهيدروجين الذي يكون ٨٠٪ من الوزن الكلي . يلي ذلك الهيليوم (حوالي ٢٠٪) . أما العناصر الأخرى فتكون معا أكثر قليلا من ٢٪،وأعظمها شيوعا الأكسجين (١٪) ، ثم الكربون (٤, ٠٪)،والحديد (٢, ٠٪) ، ويليه النيون (٢, ٠٪) ، ثم النيتروجين (١, ٠٪)،والسيليكون (١, ٠٪) .

وتتحد بعض تلك العناصر في غلاف الكوكب لتكون مركبات بسيطة مثل الماء (H_2O) والميثان والأمونيا (NH_3) .

وتتوقع النماذج النظرية وجود معظم السيليكون والحديد والعناصر الثقيلة الأخرى في قلب صغير مع معظم الماء والميثان داخل زحل ، وذلك تحت ضغط شديد ودرجة حرارة عالية ربما جعلتا هذا الجزء سائلا كثيفا . وحول هذا القلب وبامتداد يصل الى السطح يوجد نطاق من الهيدروجين السائل تحت غلاف من الهيدروجين الغازي في الجزء الخارجي .

وتؤكد ارصاد بيونير وفويجر في النطاق تحت الأحمر أن زحل أدفأ بكثير مما يوجبه التسخين وحده . ويتطلب الأمر وجود مصدر ذاتي لزحل تنتشر منه الطاقة الى السطح بقوة ١٠٠ يتراوات ، أي حوالي ٢,٥ مرة مثل ما يمتص الكوكب من أشعة الشمس . وهذا الناتج الحراري أكبر بكثير من مثيله للمشتري ، بالرغم من صغر كتلة وحجم زحل عن المشتري . يوحي ذلك باختلاف عمليات انتاج هذه الطاقة في الكوكبين . والاتجاه السائد حاليا هو تفسير تلك الطاقة في حالة زحل بانفصال الهليوم عن الهيدروجين



الآلاف من حلقات زحل بألوانها وفواصلها المختلفة من على بعد ٨,٩ مليون كيلو متر

وتساقطه كقطرات مطر تنتج طاقة بارتطامها على الطبقات السفلى . يؤيد هذا ما أظهرته مجسات الأشعة تحت الحمراء من وجود الطاقة الحرارية الزائدة حيث شيوع الهليوم ١١٪ ، أي أقل بكثير عن الشيوع العادي وهو (٢٠٪) في الكوكب .

الغلاف الجوي

بالرغم من كثافة الغلاف الجوي الداخلي لزحل وصعوبته أمام الارصاد ، الا أن مجسات الأشعة تحت الحمراء المحمولة على متن سفينة الفضاء قد أمدتنا بقياسات مباشرة للجزيئات الكيماوية في الجزء المرئي من الغلاف الجوي ، من ذلك تأكد ـ بالاضافة الى الهيدروجين والهليوم ـ وجود الأمونيا والميثان وآثار من الفوسفين ، والايثان ، والأسيتيلين ، والميثيل أسيتيلين ، والبروبان .

كما تم على ارتفاعات عليا رصد وهج انبعاثي من الهيدروجين والهليوم بواسطة مجسات الأشعة فوق البنفسجية ، وخصوصا حزام الوهج القطبي ، بين خطي عرض ٧٨ ، ٨٢ درجة شمالا ، والناشىء من اليكترونات الماجنيتوسفير المتصادمة مع الغلاف الجوي العلوي .

ومن التجارب الاشعاعية والاستتار الراديوي تبين ان الاستراتوسفير العلوي ، حيث الضغط الجوي ٠,١٪ من قيمته على سطح الأرض ، يعمل على امتصاص ضوء الشمس فتبلغ درجة الحرارة فيه (-١٣٠° م) وتقل بعد ذلك بالاتجاه نحو الكوكب لتصل (- ١٨٠° م) عند مستوى ضغط ٠,٠٧ بار * . ولا تستمر درجة الحرارة في النقصان بل ترتفع باتجاه الكوكب بعد أن تبلغ نهايتها الصغرى في الروبوسفير في طبقة تيارات الحمل ، وتصل الى (-١٤٠ م)عند مستوى واحد بارد . ومن هنا وبارتفاع يصل الى ١٠٠ كيلو متر تتجمع سحب من الأمونيا المتبلورة حتى قمة التروبوسفير . هذا

* البار هو مقدار الضغط على سطح الأرض عند مستوى سطح البحر . وتستعمل هذه الوحدة بديلا للكيلومتر للدلالة على الارتفاع ، حيث ان الضغط يقل بالارتفاع .

بالاضافة الى تجمعات سحابية أخرى على أعماق أكبر . وعلى عكس المشتري يندر ، أو لا يوجد على الاطلاق ، ثقوب في السحب العليا لزحل تسمح للاشعاع بالهروب من الطبقات الأعمق . ووجود تيارات الحمل دليل على زيادة درجة الحرارة نحو الكوكب ، لتصل مع الكثافة بالهيدروجين الى حالة السيولة على السطح .

الطقس فوق زحل

لما كانت المناظير الأرضية لا توضح أية معالم محددة على زحل ، فقد أتاحت لنا مركبات الفضاء الفرصة لرؤ ية العديد من التركيبات السحابية التي كان يتبعها من يوم لآخر عمل خريطة للرياح السائدة في الكوكب العملاق .

اتضح من ذلك وجود رياح شرقية وغربية تدور في عكس عقارب الساعة ، ومقصورة على أحزمة ضيقة من خطوط العرض ، أغلبها رياح غربية تتجاوز سرعاتها ١٥٠٠ كيلو متر لكل ساعة ، بما يزيد على أربعة أمثال السرعة على المشتري . وتقل سرعة الرياح مع زيادة خط العرض ، ولا يتغير اتجاهها على العكس من المشتري ، الا في العروض العليا . وحيث تنخفض سرعة الرياح تتحول تيارات الحمل الصاعدة الى عواصف دوامية يستمر أصغرها بضعة أيام ، وأكبرها لسنة أو أطول . وعند خط عرض ٤٧° شمالا ، يوجد تيار شريطي نفاث .

وعن التغييرات الفصلية ، الناتجة من ميل محور زحل على مستوى مداره حول الشمس بنحو ٢٧° ، لم تستطع المجسات أن توضح الكثير لسببين ، أولهما طول العام على زحل (٢٩,٤٦ سنة أرضية) ، وثانيهما الحجم الكبير للغلاف الجوي ، الذي يجعله غير سريع الانفعال لأي تغيير في ميل أشعة الشمس .

ولزحل مجال مغناطيسي متوسط استمده كما هو الحال للأرض والمشتري من دوران المعادن الساخنة في قلبه . والمجال المغناطيسي يعمل على اقتناص الجسيمات المشحونة القادمة من الرياح الشمسية ، مكونا بذلك طبقة الماجنيتوسفير . وهذه الطبقة تشابه في تركيبها ماجنيتوسفير الأرض ، من حيث وجود الأحزمة الاشعاعية وكثافة الجسيمات المشحونة ، التي تقل كثيرا عن مثيلاتها بالنسبة للمشتري .

أقمار زحل

وقبل رحلتي فويجر كان المعروف أن لزحل عشرة أقمار أصبحت سبعة عشر بنهاية رحلة فويجر ٢ . ويمكن تصنيف تلك الأقمار على النحو التالي :

أ ـ تيتان ذلك التابع العملاق بقطره البالغ ٥١٥٠ كيلو مترا والذي يشبه الأرض ، ويعد القمر الأوحد في المجموعة الشمسية الذي له غلاف جوي . ويعتقد بأن هذا الغلاف الجوي قد نشأ من تكوين هذا القمر في منطقة باردة من السحابة الأم للمجموعة الشمسية كلها . وبالتالي كانت مادة تيتان مليئة بثلوج أخذت تتبخر بسخونة القلب فانطلق منها الميثان في الغلاف الجوي ، بينما تفاعلت الأمونيا (NH_3) مع أشعة الشمس لتكون نيتروجين مع تطاير الهيدروجين . ثم كون النيتروجين والأمونيا مواد عضوية أكثر تعقيدا .

وضغط الغلاف الجوي يبلغ ١,٦ بار . ويقدر ما يحمله كل متر مربع من سطح تيتان بعشر مرات مثل ما تحمله نفس المساحة على سطح الأرض من كتلة غازية . وعلى سطح تيتان كثير من الميثان في درجة حرارة (ـ ١٨٢°م) ، أي بين حالة السيولة والغازية ، الأمر الذي يجعل للميثان فوق تيتان وضع الماء على سطح الأرض . فهناك محيطات ميثان في مناطق تيتان الاستوائية ومناطق ميثان متجمد في مناطقه القطبية . وبالاضافة الى ذلك توجد أمطار من المواد العضوية متساقطة من الغلاف الجوي العلوي تقدر الحسابات أنها كفيلة بتكوين طبقة بسمك ١٠٠ متر من مواد شبيهة بالقطران . وبهذا فان تيتان عالم عجيب وكوكب (أرضي) في ثلاجة عظيمة يمكن فيه دراسة نشأة المركبات العضوية المعقدة التي قد تكون بداية لنشأة حياة مماثلة لما بدأ على الأرض من حوالي ٤ بلايين عام . ومن هنا يحتل تيتان أهمية كبيرة في التخطيط لرحلات الفضاء القادمة .

ب ـ التوابع العملاقة الستة الأخرى وأقطارها من ٤٠٠ الى ١٥٠٠ كيلو متر وتتكون أساسا من الثلج ، وهذه الستة حسب تزايد بعدها عن الكوكب : ميماس ، وانكليدوس ، وتيثز ، وديون ، وريا ،

ويابيتوس . وجميعها تمت دراستها منذ سنين عديدة ، كما ثبت وجود الثلج عليها من الأرصاد الأرضيـة . وجميعها لها مـدارات منتظمـة ودائريـة تقريبـا حول المستوى الاستوائي للكـوكـب . والخمسة الـداخلية قريبة في مداراتها من بعضها البعض ، بينما يابيتوس بعيد جدا الى الخارج بجانب تيتان وهيبرون وفي مدار يميـل كثيرا وعـلى بعد ٥٩،٣ مرة مثل نصف قـطر الكوكب . وتنقسم هذه الأجسام من حيث الحجم الى ثلاث مجموعـات كل منهـا اثنان هي : ميمـاس وانكليـدوس بقطر من ٤٠٠ الى ٥٠٠ كيلو متر ثم تيثز و ديون بقطر حوالي ١٠٠٠ كيلو متر ويلي ذلك ريا ويابيتوس بقطر حوالي ١٥٠٠ كيلو متر

جـ ـ التـوابع (أو الأجسـام) الصغيرة وعـددها عشرة وتتراوح في حجمها من هيبرون بقطر ٣٠٠ كيلو متر الى **1980 S28** ** (أو ما يسمى بالحـلقة **A** شيرد) بقطر حوالي ٣٠ كيلو مترا . وتوحي مدارات هذا النوع من التوابع وأشكالها بأنها كويكبات مقتصة أو حطام لأقمار تصادمت .

ويمكن أن تكـون هناك أجسـام أخرى أصغـر لم تكتشف حتى الآن . ومعظم مدارات هذه الأجسام الصغيـرة لها خصـائص مميزة بـذاتها ، فغـوبي مثـلا يتحـرك تراجعيـا بينما **1980 S I** و **1980 S 3** يدوران في مدار واحد حول الكوكب . كما ان ثلاثة أخرى تشترك في المدار مع ديون وتيثز ويمكن القول بأنها أحجار وان كانت أغلبها ثلوجا .

أصل نظام زحل

اتضح من صور فويجر عن قرب ان حلقات زحل ليـسـت فـقط الـسـت الـمشـهـورة ، **E, F, A,B,C,D** والتي تعـد من أجمل المنـاظـر السماوية ، وأيضا أكثرها تحديا لمحاولات التفسير .

تمتد الحلقات الرئيسية بعـرض كلي قـدره حوالي ٧٤٠٠٠ كيلو متر ، من حوالي ٧٠٠٠ كيلو متر فوق الغلاف الجوي لزحل الى حلقة **F** . وفي هذا النطاق الهائل يتواجد نظام من الحلقات العديدة الضيقة ، كل منها بعرض متوسط حوالي ١٠٠ كيلو متر،وهناك حلقات يصل سمكها الى ١٠ كيلو مترات وربما كيلو متر واحد . ويمكن القول بعدم وجود فواصل خالية من المادة بين الحلقات وانما فواصل تقل فيها الكثافة فقط عما حولها . وعلى مسافات تقل عن ١٠٠ كيلو متر تظهر تضاريس مؤقتة على شكل موجات تجوب مادة الحلقات . ويمكن احصاء عشرات الآلاف من الحلقات . كما يوجد قليل من الفجوات الخالية تقريبا من الجسيمات ، تمثل فواصل طبيعية بين مساحات كبيرة من الحلقات . كما تبدو حواف واضحة حيث تتغير كثافة الجسيمات بصـورة كبيرة .

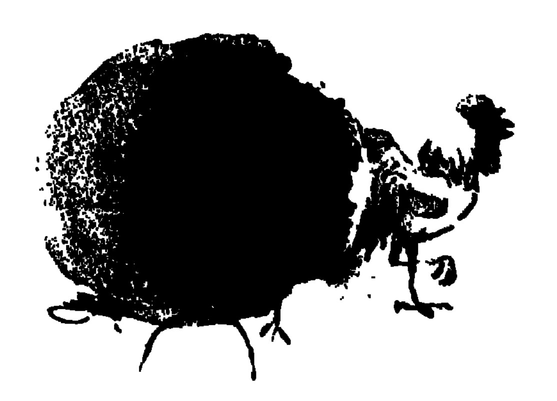
على ضوء مـا سبق أن يكون زحـل قد نشـأ مع نظامه ، وفي وقت واحد ، من تجمع المواد الصلبة التي تكاثفت عندما بردت سحابته قبل ٤،٦ بليون عام . ثم أمسكت قبضته جاذبية الكوكب الأولى المتكـون بالغازات الخفيفة المحيطة مثل الهيدروجين والهليوم ، وكذلك بجسيمات الغبار الصلبـة والأكثر كثـافة . وبانكماشـه سخن الكـوكب وربمـا حتى تبخـرت جسيمات الغبار الثلجية وكذلك أية جسيمات أخرى مجاورة . أما الأقمار فتكونت على مسافات بعيدة من الكوكب النشيط حراريا .

وليس من المقطوع به كيف نشأت الأقمار تفصيلا فربما نشأ كل منها في مداره من تجمع الغبار الـدقيق والجسيمات الصغيرة المتكثفة عندما انخفضت درجة حرارة السحابة الأولية . وقد تكون تلك الأقمار جيلا ثانيا لأقمار أولية أقطارها بضع مئات الكيلو مترات تصادمت مع بعضها فتحطم البعض وصغر حجمه واتحد البعض وازداد حجما . ومن الممكن أن يكون مصـدر الحلقات وكـذلك غـالبيـة الأقمـار العشـرة الصغيرة ناشئا عن حطام مثل هذا التصادم .

ان تحليل ما بثته أجهزة ومجسمات مركبة الفضاء في عدة أيام سوف يستغرق أعواما طويلة ، لكنه بلا شك سوف يكون خير عون في الترجيح بين تلك الخيارات واثارة أخرى تستحق رحلات فضاء جديدة لمزيد من فهم هذا الكون ومكاننا فيه . □

** بعد الاكتشافات العديدة تم الاتفاق على أن يسمى الجسم المكتشف ، بعد تأكيد وجوده ، بسنة الاكتشاف ورمز الكوكب Saturn-S وترتيب اكتشافه في سنة الاكتشاف .





شعر : محمد الفايز

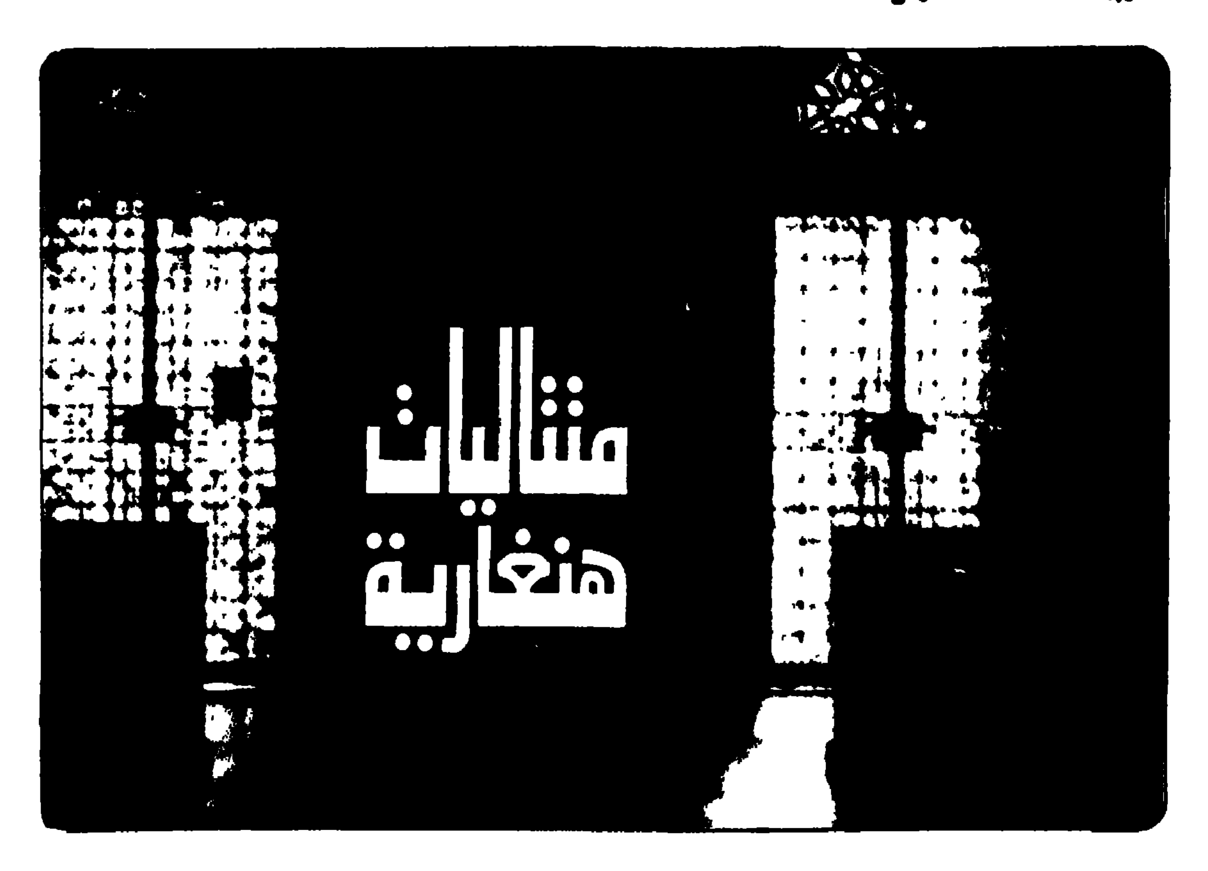
كـأنـك لم تـفـهـم ولم تـتـفـهـم
بمـا يختـبي تحت الـعيـان الملثم
لقـد زحفـوا من كـل صـوب وبعضهم
أتى مـن دماء راسبات وأعـظم
كـأن شـرور الأرض تـأوى لـبـعـضـهـا
وفي صـور شـتى تـلوذ وتحـتـمـي
ويجـمـعـهـا مـا يجـمـع الـطير عـنـدمـا
يحـوم عـلى أمـثـالـه ثـم يـرتمـي
الـيـك فـاني لم أغـالط سجـيـتي
ولا أنـتـمـي الا لهـا حـين أنـتـمـي
ألم تـر هـذا الـكـون يـنـمـو بـبـعـضـه
كـأن بـه روحـا ولم تـتـكـلم
يجـيش بـحـالات اذا مـا نـظرتهـا
نـظرت الى أعـضـاء جـسـم مجـسـم
وأرفـع كـفـي عـن انـاء تـسـمـمـت
مـطامـعـه أو أنـه كـالمـسـمـم
وفي غـفـلة يـأوى لهـا حـين لم يجـد
طـريـقـا يـؤدي نـحـو رأي مـصـمـم
يـؤانـسُـه مـن ضـده زخـرفـاتـه
فـيـقـتـاده قـود المـطيـع المـسـلم

****



أحاول جهدي أن أردُّ صوابه
وأرفع من صوتي له وتغمغمي
فلم أر فيه أذن صاغ لقائل
وليس به غوث الى المتظلم
به طرب للقول حين يجيئه
كما تبتغي فيه ظنون المرجم
يوافق لغوا تستريح شكوكه
عليه ويرضي حالة المتوهم
أراني اذا استجليته لم أجد به
سوى الحالتين الصامت المتجهم
أكرر فيه فكرتي كي أردها
الى أمد بين الموارد والظمى
أقول غدا يلقى الذي قد لقيته
فيعلم علمي أو يعاني تكتمي
يظل يعاني حزنه وهو صامت
وتشمخ فيه حالة المتألم
وما هذه الأيام الا منازل
ولكنها ان هدمت لم ترمم
وللأرض كالانسان فكر يقودها
على الرغم من بان بها ومهدم

****



■ ترميم المساجد في هنغاريا
■ الحمّامات التركية تعود إلى الحياة في بودابست

بقلم : جمال الغيطاني

****

.. منذ سنوات عديدة لم يتغير موعد الطائرة المنغارية ، من قبل عبرت هذا الطريق الفضائي مرتين ، في هذه المرة أقصد عاصمة الدانوب ، أتأمل الجبال المكللة بالثلوج البيضاء ، والغمامات البعيدة ، حيث يعبر الانسان الفراغ ، ولا يدع خلفه آثارا تدل عليه ..

****

.. ميعاد الوصول دائما في مطلع النهار ، حراس المطار في أزيائهم العسكرية ، يتدثرون لماس الثقيل ، الكل يرتدي المعاطف وأغطية رأس الثقيلة ، ترى كيف تكون درجة الحرارة تحت صفر ؟ مررت بصالة المطار الصغيرة ، نفس لرائحة التي نفذت الى أنفي منذ خمس سنوات عندما وطئت قدماي لأول مرة أرضا أوروبية ، مزيج من رائحة أخشاب مصقولة ، وعطور نساء مررن من هنا ، وقهوة تعد في البوفية .

يتفحص ضابط الجوازات أوراقي ، ثم يتأملني ، أواجهه بملامحي ، يختم الجواز وأفاجأ بالضابط الهنغاري يقول لي باللغة العربية . .

ـ أهلا وسهلا . .

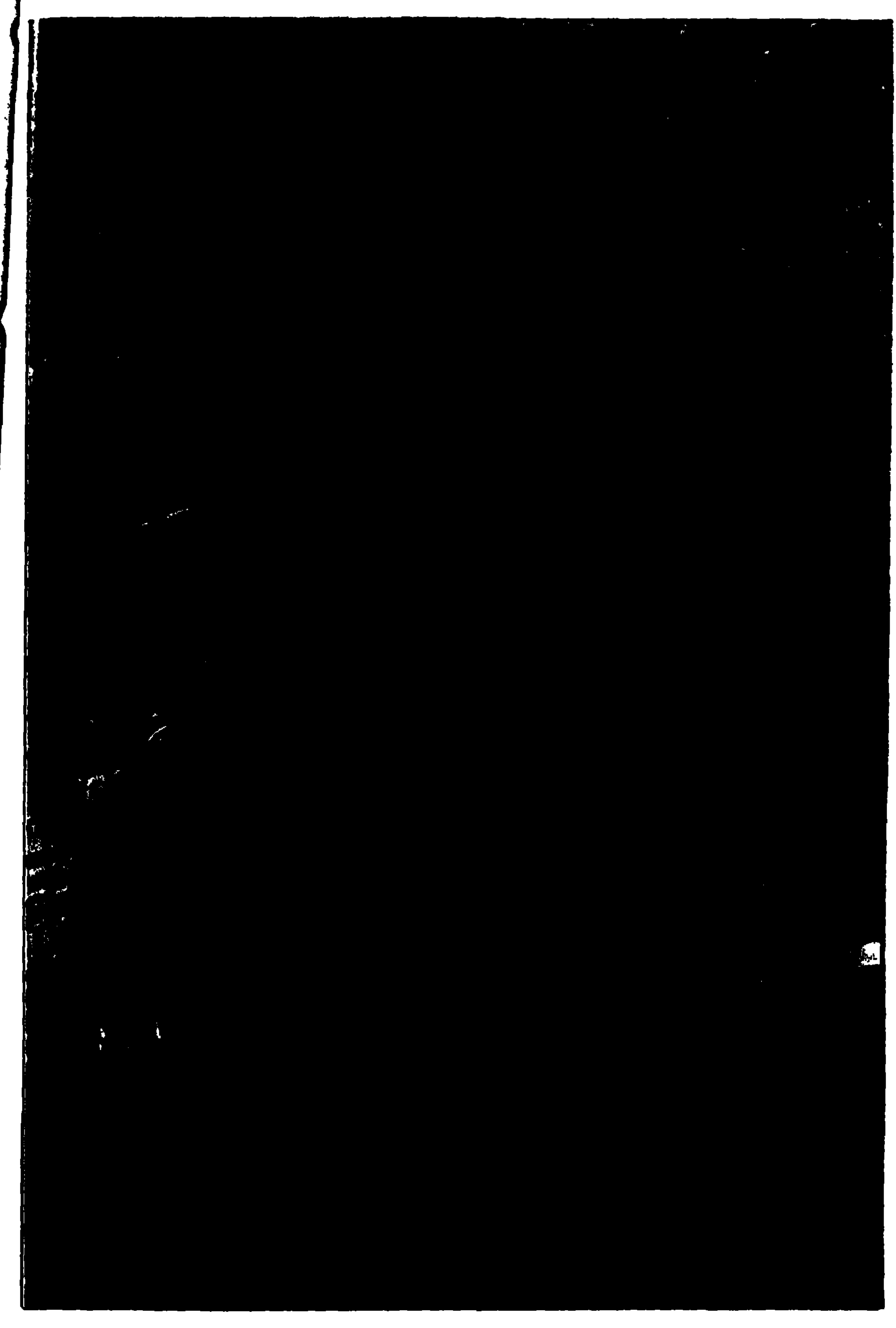
.. البرد ، الضباب ، يلفان المدينة في الصباح الباكر ، النوافذ كلها مغلقة ، والمارة فوق الأرصفة خطواتهم سريعة ، معظمهم يمشون منحنين الى الأمام ، وكأن أيديًا خفية تدفعهم ، وسرعان ما يذوبون في الضباب ، ليجيء غيرهم ، لا تتوقف الحركة ، الكل مسرع ، ومامن تسكع ، واذ أقترب من الأرصفة تبدو الملامح جادة ، بينما غصون الشجر كلها عارية ، تقترب السيارة من الدانوب ، أعبر كوبري اليزابيث والذي يصل شطري المدينة ، ـ بودابست وكانا في الأصل مدينتين الى أن توحدتا في منتصف القرن الماضي ، يؤدي كوبري اليزابيث الى سفح جبل جيلريت ، الذي عاش فوقه منذ قرون عديدة القديس (جيلريت) ثم ، أعدمه الرومان بطريقة بشعة ، وضعوه في برميل ملىء بالأسنة البارزة وألقوه من فوق الجبل متدحرجا حتى السفح ، ثم أطلق اسمه على الجبل . وهكذا يتم تكريم الانسان بعد فوات الأوان وبعد أن يصبح رمزا لا يدري شيئا ولا يعي ، ثم يفيق الضمير الانساني .

هذه الوحشة التي تحكم الانسان اثر الوصول الى بلد غريب عنه ، في الوطن يصبح السفر امنية ، كذلك يطول الحلم بالمدن البعيدة ، والغابات النائية وعند السفر يشتد الحنين الى الوطن ، وتكتسب أشد الأشياء بساطة قيمة كبرى ، ويهفو الانسان الى المقهى ، والى الناس الذين اعتاد رؤيتهم كل يوم ، مع أن الغيبة بالنسبة لي لا تطول عادة أكثر من أسبوعين ، ما بين حنينين تتحير المشاعر ، الحنين الى السفر ، والحنين الى العودة .

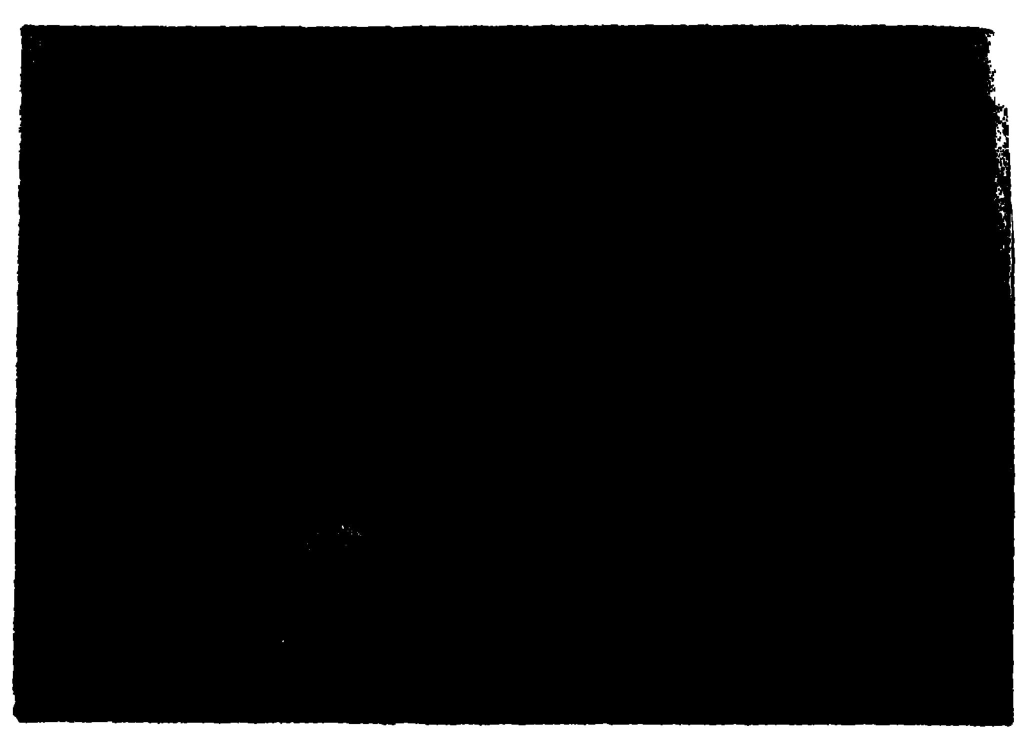
في قلب بودابست

البحث عن المعارف والأصدقاء ، في مساء اليوم الأول التقيت بالشاعر الفلسطيني الصديق مريد البرغوتي ، وزوجته الدكتورة رضوى عاشور الناقدة المعروفة واستاذة الأدب الانجليزي في جامعة عين شمس ، مريد هو المسئول الاعلامي عن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بودابست ، وكثير من الأصدقاء الحميمين أصبحت الآن لا ألتقي بهم الا في المدن الأوروبية والغربية ، بعد أن كانت مقاهي القاهرة تضج بنا .

الى مقهى هنغاري قديم ذهبنا ، مقهى البيلغاكس من عصر الامبراطورية الهنغارية ، بني في القرن الماضي ، ومازال مثقلا بالفخامة ، والروح الكلاسيكية ، وآثار هذا العصر الذي أطلق عليه صديق هنغاري « العصر الذهبي » ، في صالاته الفسيحة ، وزخارف سقفه الفنية ، ومرايا جدرانه العريضة أستطيع أن ألمح الأصل الواقعي للعديد من اللوحات الفنية الموجودة في متحف الفنون الجميلة ببودابست ، حيث النساء اللواتي يرتدين الفساتين الواسعة الفضفاضة ، والرجال بقبعاتهم العالية ، وعازف للبيانو في الركن الأقصى ، مع مريد ورضوى دبت الىّ الونسة ، تحدثت عن مصر وعن أمل عارم يسري في أفئدة الناس ، وأصغت رضوي ، كذلك أصغى إبنهما تميم الصغير الذي يتحدث الهنغارية بطلاقة ، وكان يتحدث الى الجرسونة الحسناء نيابة عنا ومترجما لنا . جاءت امرأة هنغارية عجوز ، راحت تداعب تميما ، للطفولة قدسيتها هنا ، وعندما عرفت أننا عرب مصريون قالت انها عاشت في الاسكندرية زمنا ، وراحت تتحدث عن الشاطبي والابراهيمية ، تسأل وتستقصي بحنين عظيم ، ثم انصرفت ملوّحة وعدنا الى الحديث عن القضية ، وعن الوطن ،



● بعض الزوار في انتظار فتح ابواب المسجد



● ضريح جولي علي بابا . أحد المشايخ الأتراك ببودابست

وعن أميل حبيبي ، وعن المستقبل ، عن الآمال والمخاوف .

الى القلعة

للمرة الثانية أرى شوارعها المبلطة بالحجارة العتيقة ، قلعة بودا ، أو كما يسمونها هنا قلعة الصيادين ، يتدرج الطريق في الارتفاع من ميدان موسكوفا حتى يستقر في الساحة التي تقع أمام كنيسة الماتياشي ، أجمل كنائس هنغاريا وأرقها ، حيث تقوم القلعة هنا منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وتبدو الأماكن التاريخية مجرد حجارة صماء اذا عزلت عن تاريخها وعن الأحداث التي مرت بها ، ففي هذا الموضع كان يحلو للامبراطور الروماني المشهور ماركوس أوريليوس التأمل ، ولا شك أنه ذواقة للجمال ، والتل ينحدر الى الدانوب مكسوا بالأشجار ، والنهر ينساب هادئا في وقار ، عريض لكنه أقل اتساعا من النيل ، معارك عديدة نشبت هنا ، وعندما استقر العثمانيون لمدة قرن ونصف في هذه البلاد كانت القلعة مقرا للحكم ، ومازال المكان يحمل آثار هذه الفترة ، في الملامح المعمارية حيث البيوت قديمة ، ذات مداخل فسيحة تذكرنا بالوكالات العتيقة في منطقة القاهرة القديمة ، كذلك النوافذ الخشبية ، والزخارف المعمارية التي حافظت عليها عمليات الترميم التي أجريت بدقة بالغة ، ويحمل النصب التذكاري لرجال الحرس الوطني ، أربع لوحات من البرونز ، صوّرت المعارك التي جرت بين الأتراك ، والجيوش الهنغارية ، وبجوار المتحف الحربي ، وعند أقصى الطرف الشمالي للقلعة ، حيث يطل الواقف على تلال مدينة بودا ، يقوم شاهد قبر رخامي ، تعلوه عمامة عثمانية منحوتة ، وتحت الشاهد لوحة من الرخام تحمل عبارات كتبت باللغة التركية ، آخرها سطر باللغة العربية « رحمة الله عليه » ، العبارات تعني أن هذه المقبرة لعبدالرحمن باشا ، آخر باشا عثماني حكم مقاطعة بودا قبل رحيل الأتراك عن هنغاريا ، توقفت طويلا عند القبر في العراء ، تحت درجة حرارة تصل الى خمس عشرة تحت الصفر ، هذ الباشا الذي لا أعرف ملامحه ، والذي دفن في مكان يشرف على المقاطعة بأكملها ، مهجور من قومه الآن وغدا مجرد أثر .

أعود للتجول في الشوارع الضيقة التي يجري الحفاظ على مبانيها بدقة بالغة ، حيث تمنع اقامة المباني الحديثة إلا وفقا للطراز السائد ، وعندما أقيم فندق الهيلتون بجوار كنيسة الماتياشي . صُمم طبقا لطراز العمارة السائد في منطقة القلعة ، حتى ان لون الأحجار جاء متوافقا مع نفس الألوان القديمة ، أما النوافذ المستطيلة للفندق فقد غطيت بزجاج قاتم يعكس الكنيسة ومباني القلعة المحيطة ، انه درس للدول الغنية بالآثار ، للمحافظة على المناطق القديمة التي يشوهها العمران الحديث .

في الطرف الآخر من القلعة يقوم القصر الملكي والذي يضم ثلاثة متاحف ، متحف لتاريخ مدينة بودابست ، والمتحف الوطني ، ومتحف للرسم والنحت الهنغاريين ، ومن القلعة يتحدد طريق يؤدي الى بودا ، طريق تتخللة درجات سلالم حجرية وممرات عبر الأشجار ، أما في الليل فتتعانق أضواء النيون وألوان الشجر ، وتبدو بعض نوافذ البيوت القائمة على السفح مجللة بالستائر السميكة والأسرار .

اخترقت هذا الطريق مرارا في زيارتي الأولى عام ١٩٧٩ ، وفي ساعات مختلفة من الليل ، وعلى الرغم من عدم وجود رجال البوليس المكثف الا أن الاحساس بالأمن متوفر ، في الغابة التي تغطي المنحدر ، كنت المح اثنين يتبادلان الهمسات ، أو فتاة تجلس وحيدة منطوية ، أو عجوزا غارقا في تأملاته وذكرياته البعيدة ، حيث الوحدة الانسانية ملمح من ملامح الحياة الأوروبية في شرق القارة أو غربها ، وعند الوصول الى السفح ، ومن أمام محطة الديلي ، حيث تقوم القطارات المؤدية الى الجنوب ، أتأمل القلعة ، وتبدو المباني عند القمة شبيهة جدا بمباني قلعة الجبل في الخضرة ، لكن الفارق هنا أن الأشجار والبرد تغطي السفح ، وفي القاهرة تقوم

لقلعة على صخور المقطم ، والدفء لا يتبدد أبدا . .

انهم يرممون المساجد

الطريق الى مدينة (بيتش) يمضي جنوبا ، ولأن الجنوب مرتبط في الذهن بالخشونة ، ومحدودية اللون الأخضر ، فقد كنت أتطلع مبهورا الى تلك الكثافة من الغابات الغارقة في ضباب كثيف القوام كاللبن ، تلوح خلاله الأشجار النحيلة الفارعة ، التي لم تكتس بعد بالأوراق الخضراء ، بينما الجليد يغطي جداول المياه الضيقة ، التي تتلوى عبر الجسور ، والجذوع ، ومازال الشتاء ممتدا بأيامه الباردة في هذه الأيام الأخيرة من فبراير ، في الطريق يتوقف الأوتوبيس بمقهى صغير ، أو بمعنى أدق « بار » ، اذ أن المقاهي بالنسبة لي تعني تلك المقاعد المتراصة فوق الأرصفة ، حيث يحلو لي متابعة حركة البشر ، وفي البلدان الأوروبية الباردة تختفي أرصفة المقاهي ، وتصبح مفتوحة على الداخل ، ثمة بيوت قليلة متناثرة في المنطقة المحيطة بالمقهى ، كل بيت محاط بحديقة صغيرة ، جميع النوافذ مغلقة على مئات الأسرار الصغيرة ، والحكايات التي لا تفصح عن نفسها .

أخيرا ، مدينة بيتش . .

زرتها في عام ١٩٧٩ ليوم واحد ، وتمر وتكر الأيام لتقع عيني عليها مرة أخرى ، كلما زرت بلدا نائيا ، قلت لنفسي وأنا أفارقه ، ترى هل سأراه مرة أخرى ؟ واذا حدث . . فمتى ، وكيف ؟

أعود الى بيتش ، وأرى مرة أخرى مسجد الغازي قاسم ، يتوسط المدينة ، يحتفظ بطابعه الأصلي على الرغم من تحويله الى كنيسة بعد انتهاء الاحتلال التركي للمجر في القرن السابع عشر ، نتجه الى فندق « بانونيا » الحديث ، حيث سيقيم الصحفيون والمخرجون والممثلون الذين سيحضرون المهرجان السينمائي للأفلام المنغارية ، والذي تنظمه في كل عام مؤسسة (هنغارو فيلم) ، فوجئت أن الفندق يقع في مواجهة مسجد « حسن ياكوفيل » ، أرقى المساجد التي رأيتهاخلال تعرفي الذي بدأ منذ سنوات طويلة على الآثار الاسلامية في مختلف انحاء العالم الاسلامي ، أرق المساجد وأغزرها حزنا ، بحجارته الرمادية ، ومئذنته الشاحبة ، وحجمه المحدود ، وزخارفه الدقيقة المقتصدة ، الجميلة ، حزين الطابع لانه مهجور ، بلا مسلمين ، لكن ثمة شيئاً ما في العمارة ، في أحد أيام القرن السادس عشر ، وقف هنا حسن باشا ياكوفيل ، وكما يدل اسمه فهو من بلدة في يوغسلافيا تحمل نفس الاسم « ياكوفيل » ،وقف وأشرف على أعمال البناء ، ثم صلى في يوم افتتاح المسجد ، وصلى معه دراويش طائفة المولوية الذين بنى لهم تكية ملحقة بالمسجد ، وقد ضاعت كل معالمها الآن ماعدا عددا ضئيلا من شواهد قبورهم التي لا تزال قائمة في الفناء الذي يقع خلف المسجد ، حيث يمكن رؤية المئذنة الملتصقة بالمسجد كاملة . كانت (بيتش) مدينة



● داخل مسجد الغازي قاسم



● الدكتور يوسف جوري في فناء مسجد حسن ياكوفيل ومعه الدكتور يوهاس المسئول عن العلاقات الثقافية

● مسجد الغازي قاسم (مدينة بيتش المجرية)

ـامة جدا في ذلك العصر وهي أول المدن هنغارية بعد اجتياز الحدود اليوغسلافية ، وحاليا ـي ثالث مدن هنغاريا ، أما في العصر التركي ـفقد كان تعدادها أربعة آلاف فقط .

ولم يكن مسجد حسن ياكوفيل وحيدا ، فهناك مسجد الغازي قاسم الذي يتوسط المدينة حتى الآن وتجد ظلاله سارية أينما ذهبت فيها يمنحها ذلك الظل الشرقي الأصيل حتى في مواجهة مبانيها العتيقة باروكية الطراز ، كنيسة الفرنسيسكان القائمة الآن كانت أصلا مسجدا ، وأكبر كنيسة في مدينة بيتش كانت أصلا مسجد السلطان سليمان ، وكان في المدينة سوق شرقي مغطى ، وعدد من الحمامات التركية يصل الى واحد وعشرين حماما،وكانت أبواب المدينة تقع في نهاية ، الشارع الرئيسي ، الباب الشرقي يؤدي الى بودا ، والتي تمثل الآن نصف العاصمة بودابست ، الباب الجنوبي يؤدي الى مدينة سيكلوشي ، وعلى مقربة منه الباب المؤدي الى سيجتغار ، تجاه هذا الباب تقع احدى الضواحي وكان فيها مسجد ومدرسة للمذاهب الاسلامية ، ثمة ضاحية أخرى على مقربة كانت تحتوي على جزء عثماني أيضا .

انتهى العصر العثماني لهنغاريا في نهاية القرن السابع عشر ، وتبقت منه هذه الأثار الاسلامية التي أعيد ترميمها بدقة كبيرة ، وعناية فائقة ، وأشرف على هذه العمليات البروفيسور يوسف جوري عالم الآثار الهنغاري ، المسلم ، والذي جاء من بودابست ليعرفني بأدق تفاصيل الآثار المتبقية في بيتش وسيجتغار . .

الآثار والحمامات التركية

تظل المباني الأثرية ، القديمة ، مجرد حجارة لا معنى لها ، الى أن أحاط العلماء بالتاريخ الممتد خلفها ، عندئذ تدفقت حياة بأكملها ، هكذا في طفولتي كنت أرى المساجد القديمة في الجمالية ، وفي القاهرة القديمة ، ولا أعرف عنها الا أسماءها ، كذلك أسماء الشوارع والطرقات ، حتى تقدم العمر ورحلت عبر التاريخ ، فتدفقت الحياة في الحجارة الرمادية ، وأصبح الوقوف أمام بقايا مبنى قديم يثير العديد من المعاني ، ويفجر القدرة على التأمل ، تذكرت ذلك وأنا في مدينة بيتش . كنت أمر يوميا في شارع ساليا ؛ بجوار مطعم غريب يقع تحت الأرض (مطعم المئذنة) بقايا بناء قديم يتوسطه كشك خشبي أحمر اللون ، وبدا لي غامضا ، بلا معنى ، حتى صحبني البروفيسور يوسف جوري عبر آثار بيتش الاسلامية ، واتجه بي الى شارع ساليا ، ثم توقف أمام هذه البقايا ، انه الحمام التركي الرئيسي للمدينة ، حمام ادريس بابا كما كان يعرف في العصر التركي للمدينة ، ومن بقايا الحمام القديم ، بدأ الحفر والكشف عن الخطوط العامة للبناء ، والمورد الرئيسي للمياه ، ثم الموقد حيث عملية التسخين ، والفتحات في الجدران حيث يتدفق الماء المغلي الى أحواض صغيرة ومنها يتصاعد البخار ، هذا نظام حمامات البخار ، ثمة نوع آخر من الحمامات كان مخصصا للاستحمام بالماء فقط ، والقاعة الرئيسية تختلف في كليهما اختلافا كبيرا ، في حمام البخار نجد مصاطب من الرخام ترتفع عن أرضية الحمام ، يجلس فوقها المستحمون ، في استسلام وتراخ لتدفق البخار ، أما في حمامات المياه فتوجد مغاطس مستطيلة الشكل ، محدودة المساحة ، ينزل فيها المستحم ، تجولت مع البروفيسور يوسف جوري والصديق يوهاس أرنو أحد تلاميذ المستشرق المجري الكبير عبدالكريم جرمانوس والمسئول عن العلاقات الثقافية الخارجية ، وعرفت أن هذا البناء الأحمر الذي كان يحيرني ما هو الا خزان الحمام الرئيسي للمياه المغلية ، وبجوار بقايا البناء متحف صغير يشرح نظم الحمامات ، ويعرض اللوحات التي رسمت في العصر العثماني للحمامات ، وجمالها الداخلي . في هنغاريا بقايا العديد من الحمامات التركية ، كحمام شازار ، وحمام كيرالي ، وحمام روداش ، وحمام راشي ، وحمام السلطان في ايجر ، وحتى الآن مازال حمام بودا في العاصمة بودابست

يعمل ، وفي مدينة شبكستغار يوجد حمام رستم باشا .

من مدينة بيتش ، ركبنا السيارة الى مدينة سيجتغار القريبة ، الطريق ممتد فوق بساط من الخضرة ، الى درجة أن لون الأسفلت الأسود يكاد لا يبدو ، من بعيد تلوح الكنيسة بطرازها السلافي ، تلك القبة المستوحى شكلها من ثمرة البصل ، والبرج النحيل ذو القمة المدببة ، الكنيسة أول بناء يطالع الانسان عند اقترابه من أي مدينة هنغارية ، سيجتمار مدينة صغيرة ، تخترق شارعها الرئيسي الى القلعة التي تقع خارجها ، نجتاز البوابة الضخمة التي تتخلل أسوارا ضخمة من الطوب الأحمر اللون ، في هذا المكان جرت أحداث بعيدة ، لا يدري عنها معظم العابرين شيئا ، حتى أولئك الذين يعملون ، وقضوا أعمارهم في دراستها مثل البروفيسور يوسف جوري ، فانهم يدرسون أو درسوا الخطوط العامة . . والتواريخ ذات الدلالة ، وربما تفاصيل المعارك ، لكن ملايين التفاصيل الانسانية اندثرت تماما ، كآلام جندي جرح هنا ، أو أشواق اصطرمت في صدور انسان ما ، وقد اتيح لي أن أعيش الفترتين ، والموقفين المتقاربين ، وكنت استدعيهما الى ذهني وأنا أمشي مع صديقتي الهنغارية من الأعوام الممتدة بين ١٩٦٨ ، و ١٩٧٠ ، عشت حرب الاستنزاف التي شنها الجيش المصري العظيم ضد اسرائيل ، في أكتوبر عشت الحرب يوما بيوم منذ يوم الأحد السابع منه ، في حرب الاستنزاف كان اقترابنا من مياه القناة لا يتم الا عند الغسق ، أو في الليل ، ويتم في صمت ، لأن أي صوت كان العدو يصوب الى مصدره ، وكان اذا أخبرني انسان ما انه زار الجبهة أسأله هل وصل الى القناة ، ومن الاجابة كنت أدري مدى جدية الزيارة ، في تلك الأيام نزفت جروح عديدة ، وتدفقت أحاسيس شتى ، وودعنا الفرق العابرة الى مواقع العدو نهارا أو ليلا ، وخفنا ، وقلقنا ، وسررنا ، وتحمسنا ، في أكتوبر ١٩٧٣ ، دار قتال ضار ، وهرست جنازير الدبابات الاسرائيلية اجسادا حية . . وأمسك أبراهيم زيدان بالعلم المصري ، وكما يقولون « مات عليه » ، لم يتركه وهو ينزف حتى أغمض عينيه الى الأبد ، فيما بعد ذلك بسنوات ، مررت بقناة السويس ، ورأيت بقايا حفر الجنود مغمورة بالمياه ، وسفنا عابرة ، ومنافذ جمركية الى المنطقة الجمركية في بورسعيد ، وتساءلت « من يذكر تلك الأيام ؟ من؟ » . . في هذا المكان النائي عن بلادي،المدثر بالشتاء ذكرت تلك الأيام ، فهي أيامي وأيام من أحببت ، وتساءلت من يدري انني ذكرتهم هنا ، أو من يدري أنني أذكرهم في نفس الموضع الذي استشهدوا به ، عدت الى لحظتي الحاضرة ، كان البروفيسور يوسف يشير بيده الى أحد أركان القلعة . . . كان يتحدث عن بطل هنغاري ظل يقاوم الأتراك حتى اللحظة الأخيرة ، لم أسمع اسمه ، اسم البطل ـ هو بطل في نظر قومه ، وكافر في نظر الأتراك ، المسائل نسبية ، والنتائج ، والحقائق العظمى أيضا . . أليس كذلك ؟

أين مدفن السلطان ؟

. . صعدنا سلما يؤدي الى أعلى سور القلعة .

في سبتمبر ١٥٦٦ ، استولى الأتراك عليها ، ازدحمت هذه السهول المحيطة بجيش السلطان العثماني العظيم سليمان القانوني ، لم ير سقوط هذه القلعة في نقطة ما ، في موضع مابين أشجار السرو هذه مات ، اغمض عينيه الى الأبد ، نتيجة جلطة في المخ ، وفي موضع ما دفن ومازال قبره مجهولا ، ربما في بقايا مسجده القائم في وسط القلعة ، أو في موضع ما قرر الوزير الأكبر سوكولي أن يخفي موت السلطان ، عن الجنود والضباط ، حتى لا تتأثر معنوياتهم ، يوجد مكان قريب اسمه توربيك والمرجح ـ كما يقول البروفيسور يوسف جوري ـ ان السلطان مدفون فيه ، لأن أصل الاسم تربة أي مدفن . وعندما استولى الأتراك على القلعة ، سرعان ما شيدوا في أركانها أربعة حصون ، وزودوها بأماكن لاطلاق المدافع ، والبنادق ، كما توسعوا في بناء مخازن العتاد ، والاسطبل ، ورأيت هذه المخازن الآن

مستغلة كفندق سياحي صغير ، بعد المعركة بحوالي مائة سنة ، إذ هاجم زريني الثاني - بطل هنغاري - المكان واستولى عليه بجيوشه ، وفي وسط الحديقة تمثال بالحجر الطبيعي لزريني يمتطي جوادا ، أقيم في عام ١٩٦٦ بمناسبة مرور اربعمائة سنة على المعركة ، ولنفس المناسبة أعيد ترميم القلعة ، والكشف عن أجزائها الداخلية ، كما أشار البروفيسور جوري الى جسر قديم يحتمل أن تكون بقايا الجيش المجري المتراجع قد عبرته أمام الأتراك .

من المحتمل أن بقايا الجيش المجري المتبقي بعد الهجوم الطويل خرج كدفعة واحدة من هذا الجسر أمام الأتراك . .

وقد أعيد بناء السور في القرن الثامن عشر ، وأضيف مبنى لسكنى الجنود ، في وسط القلعة وهو بناء محدب السقف ، يبرز منه برج ، وسرعان ما تكتشف بقايا المسجد في البناء ، البرج هو الجزء الأسفل من المئذنة ، النوافذ لا تزال تحتفظ بزخارفها ، أما الردهة الداخلية فهي قاعة الصلاة ، المقرنصات الجصية في أركان القاعة ، وفي الجنوب الشرقي بقايا المحراب ، وعلى الجدران كتابات باهتة قديمة ، كتابة عربية ، الله ، لا اله الا الله ، علي كرم الله وجهه ، الحسن ، الحسين ، وقفت وبي خشوع أمام الكتابة القديمة ، وأنا أحاول جاهدا أن أتخيل الأيدي الانسانية التي خطتها ، هؤلاء الذين انتسب اليهم بشكل أو بآخر ، لابد إنهم جنود عرب من مكان ما ، وثمة ظروف لم تعرف قط لأشد المدققين بحثا قادتهم الى الالتحاق بالجيش العثماني ، وخطوا فوق الجدران هذه الكلمات المقدسة . .

خرجنا من القلعة ، مشينا بجوار نهر أولماشي الذي يخترق المدينة ، مرة أخرى نتوقف أمام كنيسة كانت في الأصل مسجد حاجي ابراهيم ، ويشرف الآن البروفيسور جوري على أعمال ترميم لاستعادة هيئة المسجد الأصلي ، والملاحظ أنه طوال فترة الاحتلال التركي لم يقم المسلمون بتحويل أي كنيسة الى مسجد ، وبعد انتهاء الاحتلال ، تحولت المساجد الى كنائس ، ألا يدل ذلك على سماحة الاسلام وعظمته ؟

مهرجان الأفلام

بيتش مرة أخرى ، في الميادين الرئيسية لافتات تعلن عن أفلام المهرجان السينمائي السنوي ، يعقد خصيصا للأفلام الهنغارية ، وتتم دعوة أشهر نقاد السينما من العالم ، والكتاب وبعض المخرجين والممثلين ، حتى يتعرف العالم على السينما الهنغارية ، وهي سينما متميزة ، وقدمت أعمالا هامة ، آخرها فيلم (مانيغستو) الذى حصل على جائزة أوسكار عام ١٩٨٢ لأحسن فيلم أجنبي ، وفيلم (شونتغارى) عن حياة الرسام الهنغاري الكبير شو نتغاري الذي زار فلسطين والقاهرة في بداية القرن ، وسجل زياراته في لوحات ضخمة تحتل معرضا كبيرا في بيتش ، ويفاجىء الزائر العربي عند الدخول اليه بلوحة لمدينة القدس تبلغ أبعادها أربعة أمتار في سبعة أمتار ، وهناك العديد من الأفلام الأخرى الهامة ، عرض في المهرجان



● بقايا مسجد حاجي ابراهيم . . مدينة سيجتفار

عشرون فيلما ، وهذه الأفلام تحتاج الى دراسات عديدة ، ولكن يمكن القول ان مواضيعها تتناول عدة مداخل تاريخية مختلفة من التاريخ المنغاري والأوروبي ، ولكن هناك تركيز على المرحلة التي تقع بين الحرب العالمية الثانية وبين عام ١٩٥٦ ، أفلام أخرى تنقد الواقع المعاصر بشدة ، بل تكشفه وتعريه ، مثل فيلم (كابالا) اخراج يانوشي روزا ، ولقد كان مستوى الرؤ ية النقدية للواقع مفاجأة لي ، خاصة وان الدولة تنفق على هذه الأفلام وتنتجها ، وتتولى الدعاية لها ، خصصت ادارة المهرجان أربع قاعات للسينما تعرض نفس الأفلام ، ولكن في ترجمات انجليزية ، وايطالية ، والمانية ، وفرنسية ، كانت القاعة المخصصة للترجمة الانجليزية تقع في ضاحية ريفية من ضواحي مدينة بيتش ، هادئة ، أنيقة ، ذات بيوت صغيرة ، يحيط بكل منها حديقة ، والقاعة نفسها التي تعتبر سينما القرية قاعة مزودة بالآلات الحديثة ، من النظرة العابرة تبدو الحياة هادئة ، والاحتياجات الضرورية متوفرة ، لكن بعض الأفلام التي رأيتها تقدم وجها آخر ، وتذكرت فتاة مجرية على قدر عال من الثقافة ، كانت تحدثني في بودابست عن أمريكا بانبهار ، وقد تركزت حياتها حول حلم السفر والعيش هناك .

ويبدو أن الانسان لن يرضى ، ولن يهدأ ، هنا أو هناك !!

الهلال والصليب يتعانقان

من قاعة السينما المظلمة أخرج الى الريف المنغاري الجميل ، وأعود الى مدينة بيتش ، الى مسجد الغازي قاسم الذي حولوه الى كنيسة بعد انتهاء الاحتلال التركي ، ومازال الهلال والصليب يتعانقان فوق القبة ، وقد لاحظت الحارسة وهي امرأة تجاوزت الستين ترددي اليومي ، واسمها كوفاتاج فاندال ، جاءت الى المجر من ثلاثين سنة ، وذهب زوجها الى رومانيا في رحلة سياحية ، الى أقليم ترانسلفانيا الذي هو أصلا جزء من هنغاريا ، وبالمناسبة هناك أجزاء كبيرة من هنغاريا أكبر من مساحة هنغاريا نفسها ، تعتبر الآن أجزاء من رومانيا ، وتشيكوسلافيا،أقليم ترانسلفانيا في رومانيا ، وأقليم براتسلافا في تشيكوسلوفاكيا ، لا أحد يثير هذه القضية الآن ، فالكل دول اشتراكية ، لكن ألا يثير هذه التساؤلات العديدة حول مبدأ الأممية ، اذا كانت هذه الأقاليم هنغارية ، وسكانها هنغاريين ، ولغتهم هنغارية ، وقوميتهم هنغارية . فلماذا لا ينضمون الى البلد الأم هنغاريا ، ولماذا تثير هذه النقطة المشاكل اذا تحركت ، اذا كان مبدأ الأممية أحد الأسس الهامة في المبادىء التي تحكم تلك البلاد ؟ الا يتسرب الشك الى الأسس ؟ المهم .. ان الرجل المنغاري الذي ذهب سائحا الى ترانسلفانيا الرومانية عاد ومعه زوجة ، انها حارسة مسجد الغازي قاسم الآن ، لابد انها كانت جميلة ، هكذا تشي ملامحها العجوز ، وقد أنجبت منه ابنة واحدة ، والابنة انجبت ثلاثة أحفاد ، كانت تعمل سكرتيرة ، وبعد أن بلغت سن التقاعد عملت كحارسة في المسجد .

في مواجهة مسجد الغازي قاسم تمثال من نحاس للقديس هونياد يانوش ، كان قسيسا أسره الأتراك ، وأخذوه الى فهيرفار ، أو بلغراد ، أو القلعة البيضاء كما يعني الاسم ، وجرت العادت أن تقرع أجراس الكنائس في الساعة الثانية عشرة ظهرا في العديد من البلدان الأوروبية تحية لهونياد يانوش ، وفي مدينة بيتش معبد يهودي قديم أيضا ، وهي المدينة الأوروبية الوحيدة التي تتمثل في آثارها القديمة الأديان الثلاثة .

من مقهى النادور القديم يبدو بناء مقابل في الطرف الأخر من الميدان ، لون طلائه أخضر فاتح ، لقد بني في القرن الثامن عشر ، بني من أحجار مسجد تم هدمه بعد ذهاب الأتراك ..

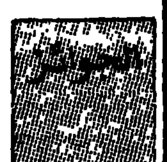
لا شيء يبقى مع الزمن ... □

مسابقة العربي للقصة القصيرة

تشجيعاً للهواة من كتاب القصة الموهوبين
في أقطار الوطن العربي والمهجر
وتوكيداً للعلاقة بين "العربي" وقرائها
فإنها تقيم مسابقة للقصة القصيرة



- يحق للهواة من القصاصين الاشتراك في هذه المسابقة .
- أن يكون موضوع القصة منسجما مع الاتجاهات القومية وألا يتعارض مع المبادىء والقيم الدينية والانسانية .
- أن تكون القصة موضوعة لا مترجمة ولا ملخصة ولا مقتبسة .
- ألا يتجاوز عدد كلماتها ١٥٠٠ كلمة .
- ألا يكون قد سبق نشرها من قبل .
- أن تكتب باللغة العربية الفصحى بخط واضح ، وعلى وجه واحد من الورق ، ويفضل أن تكتب على الآلة الكاتبة .
- أن يكون « للعربي » حق الأولوية في نشر القصص الفائزة بالجوائز .
- ألا تحمل القصة اسم كاتبها أو عنوانه ، بل يكتب اسم الكاتب وعنوانه وعنوان القصة ، على النموذج المرفق « الكوبون » في أسفل الصفحة ، بحيث يكون النموذج أو « الكوبون » في أسفل الصفحة هو المستند الوحيد الذي يؤكد ملكية صاحب القصة .
- آخر موعد لقبول القصص هو ٣٠ ابريل - نيسان - من سنة ١٩٨٥ ، ولا تدخل المسابقة أية قصة تصل بعد هذا التاريخ .
- تعلن نتائج المسابقة في بداية شهر أكتوبر - تشرين أول من سنة ١٩٨٥ .
- القصص التي تصل الى المجلة لا ترد الى أصحابها .
- يكتب على المظروف مسابقة القصة القصيرة .



- الجائزة الأولى : ٣٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثانية : ٢٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الثالثة : ١٥٠ دينارا كويتيا .
- الجائزة الرابعة : ١٠٠ دينار كويتي .
- الجائزة الخامسة : ٧٥ دينارا كويتيا .

- الجوائز من السادسة حتى العاشرة اشتراك مجاني لمدة عام في المجلة وكتاب العربي .

الاسم الثلاثي : ....

اسم القصة : ....

العنوان : ....



يسينين (١٨٩٥ - ١٩٢٥)

بقلم : الدكتورة مكارم الغمري

« انه شاعر روسي حقاً » بهذه الكلمات الموجزة عَبرَ الأديب الروسي المعروف مكسيم جوركي عن أهم سمة ميزت أشعار سيرجي يسينين ، ألا وهي الأصالة العميقة والارتباط الشديد بالجذور وبالأرض الأم : حبهُ الأعظم .

ولد سيرجي يسينين في قرية روسية صغيرة تدعى كونستانتينوف ، وهناك بين أحضان الطبيعة قضى يسينين الأربعة عشر عاماً الأولى من حياته . أحاط طفولة يسينين جو القرية الروسية بعبقه المتميز ومذاقه الخاص ، فالطبيعة غنية وفياضة تكسو القرية بأشجار البتولا ، والكنائس تصدح أجراسها في ربوع القرية ، والفلاح يكدح في الأرض ويترنم بأغنية الكد والشقاء . وعلى الرغم من أن يسينين لم يعرك بنفسه العمل الشاق للفلاح في الأرض - فقد كان جده الذي تربى في كنفه فلاحاً ميسور الحال - فانه وعى منذ طفولته المبكرة طبيعة العمل الشاق في الأرض وذلك من خلال احتكاكه بفلاحي قريته الذين عرفهم عن كثب،وخبر مكنون مشاعرهم وأحس بحبهم العميق للأرض وبارتباطهم الشديد بها ، فأخذ عنهم هذا الحب وهذا الارتباط ، وصارا فيما بعد لحناً مميزاً في كل انتاجه .

وكأقرانه من أبناء القرية تربى يسينين على الأسطورة الشعبية ، وكانت مربيته الفلاحة وجدته هما مصدره الرئيسي الذي تعرف من خلاله على التراث الشعبي ، وقد تذكر شاعرنا ذلك فيما بعد : « كانت مربيتي العجوز التي ترعاني ، تحكي لي الأساطير ، نفس تلك الأساطير التي كان يسمعها ويعرفها أبناء الفلاحين » .

تلقى يسينين تعليمه الأولى في المدرسة الكنائسية في

قريته ، وهي المدرسة التي جعلت مهمتها تربية أطفال القرية في روح من تعاليم الديانة المسيحية ، وهكذا ترعرعت طفولة يسينين في اطار التربية الدينية والمحافظة، وفي جو الحياة الفطرية للقرية التي أطلق لنفسه العنان بين أحضان طبيعتها ، وبقيت راسخة مع يسينين ذكريات تجاوبه وتفاعله مع هذه الطبيعة ، فهو يروي متذكراً : « أن حياتي في الشارع لم تكن تشبه حياتي في البيت ، كان الأولاد من أقراني مشاكسين ، وكنت أزحف معهم الى البساتين الخضراء القريبة،وكنت أركض ليومين أو لثلاثة بين المراعي ، حيث كنت أتغذى مع الصيادين على الأسماك التي نصطادها » .

أشعار يسينين المبكرة :

ومنذ الخطوات الأولى في عالم الشعر اتضحت معالم الموضوع الرئيسي والغالب في أشعار يسينين ، ألا وهو وصف الطبيعة ، طبيعة القرية بالذات ، فهي الطبيعة التي يعرفها حق المعرفة ، وبها ارتبطت انطباعاته الأولى عن الحياة ، وفي أحضانها عاشت الأساطير التي سمع عنها والتي أعطته الدفعة الأولى في الكتابة كما سنذكر فيما بعد : « بدأت قرض الشعر مبكراً ، أعطتني جدتي الدافع ، فقد كانت تحكي لي الأساطير ، وكان لبعض هذه الأساطير نهاية سيئة لم تكن تعجبني فكنت أغيرها بطريقتي » ونسوق هنا بضعة أبيات من احدى قصائده المبكرة التي يصف فيها الطبيعة في قريته :

ها هو المساء الندي
يتلألأ على القراص
أقف على الطريق
أنصت وأسترق السمع لشجر الصفصاف
ومن القمر يشع ضوء كبير
يستقيم ما على سطحنا
وفي مكان ما أغنية بلبل
أسمعها بعيدة
المكان طيب ودافيء
مثلما في الشتاء قرب الموقد
وتمتد أشجار البتولا
كشموع كبيرة

ومن خلال هذه الأبيات القليلة يمكن تحسس بعض سمات شعر الطبيعة عند يسينين ، فالصورة الشعرية في هذه الأبيات ناصعة تخلو من المبالغة في الوصف وتتسم بالبساطة والاخلاص في التعبير كما تنم عن متابعة الشاعر لمظاهر الطبيعة في الريف ، العزيزة على قلبه والتي تبعث بداخله الاحساس بالدفء والبهجة ، حيث تبدو له أشجار البتولا كالشموع الكبيرة .

وفي أشعاره المبكرة يعنى يسينين بالرمز الديني ، كما يوظف عناصر الفلكلور في تصوير الواقع الروحي والمعيشي للفلاح ، وينعكس من خلال ذلك الصراع الداخلي في نفس الفلاح بين التقاليد الموروثة وبين الجديد الوارد ، كما يتجسد الواقع الفقير لحياة الفلاح الروسي ، آنذاك .

غير أن أشعار يسينين المبكرة تجنبت التلميح بحلول للمشاكل الاجتماعية ، كما تجاهلت أحداثا تاريخية هامة معاصرة مثل اضطرابات الفلاحين في القرى الروسية في مطلع القرن الحالي ، وأيضاً أحداث الثورة الروسية الأولى (١٩٠٥ - ١٩٠٧) ويغلب على أشعار يسينين المبكرة - بشكل عام - مزاج متذبذب بين الاحساس بالسعادة والبهجة فيتراءى له الشقاء وهو « يغني » وشعور آخر - مناقض - بالتعاسة والفشل يظهر خاصة وهو يتطرق لموضوع الحب والصداقة ، وذلك كما في قصيدته « كانت تانيوشا طيبة . . . » .

يسينين والمدينة :

وينتقل يسينين في سنة ١٩١٢ الى موسكو بعد الانتهاء من الدراسة في مدرسة القرية ، وفي المدينة تبدأ رحلة العذاب النفسي لابن القرية ، ففي هذه الفترة تتوتر علاقته بأسرته ، فيستقل في معيشته ويشغل بالبحث عن مصدر للرزق ، وخلال بحثه عن لقمة العيش تتكشف له المدينة كعالم « بلا روح » ، أما أهل المدينة فيظهرون له « كالذئاب » ، فيسيطر على الشاعر إحساس بعدم الرضا والتناقض الروحي مع البيئة المحيطة ، وينعكس هذا الشعور بوضوح في أشعار يسينين في هذه الفترة ، اذ يتقهقر بها المنظر الطبيعي الزاهي الذي كان يتصدر أشعاره

المبكرة ، كما تتغلب في قصائده نغمات الحزن والملل والشعور باليأس . ونسوق هنا بضعة ابيات دالة على الحالة النفسية لشاعرنا في تلك الفترة :

أشعر بحزن .. وآلام روحية
تمزق وتقطع قلبي
أصوات مملة للوقت
لا تدعني حتى أتنهد
ترقد ، فالفكر المر
لا يبارح أبداً عقلك

ومع ذلك حافظ يسينين في المدينة على روح ابن القرية ، فلم تبارح مخيلته صورة قريته الحبيبة التي كان يهتز دائماً لها قلبه وقلمه . كما بقي يسينين بعيداً عن اضطرابات العمال التي كانت تموج بها المدينة الكبيرة والتي كان قريباً منها حيث كان يعمل في المطابع لكسب لقمة العيش ، غير أن المناخ العام النشيط في موسكو قد أثر بعض التأثير على انتاج شاعرنا ، اذ اتسعت نظرته للواقع ومشاكله واكتسبت أشعاره موضوعات جديدة وذلك كما يتضح من ملحمته الشعرية « مارفابوسادنيتا » التي يدين فيها يسينين حكم القيصر إيفان الثالث وأيضاً كما في قصيدتي « الزخارف » و « صلوات أم » اللتين يتطرق فيهما الى موضوع الحرب العالمية الأولى .

ويلتحق يسينين في موسكو بالجامعة للتزود بالدراسة الأكاديمية ، ويرتبط بالمنتديات الأدبية بها ، ويتعرف على شعرائها ، ولكنه سرعان ما يهجرها الى بطرسبرج وهي العاصمة وقتئذ (لينينجراد حالياً) . وفي بطرسبرج تتألق موهبة يسينين الشعرية وتشد اليه انتباه العاصمة ، فتتلقف صفحات الجرائد والمجلات قصائده ، ويغدو نجماً من نجوم الصالونات الأدبية بها .

وفي عام ١٩١٦ أي قبل الثورة السوفيتية بعام واحد يصدر أول كتاب يضم مجموعة من قصائد يسينين « الذكرى التأبينية » ، وقصائد هذه المجموعة تدور في فلك الموضوعات التي ميزت أشعاره المبكرة وهي الموضوعات الخاصة بوصف طبيعة القرية وحياة سكانها وتراثهم الروحي . وتبدو بعض قصائد هذه المجموعة ، متأثرة بشدة بالموضوع الديني وذلك مثل قصيدة « ميكولا » التي تصف القديس ميكولا الذي يجوب القرى ويصلي من أجل صحة أهلها . وقد عرف يسينين عن القديس ميكولا منذ طفولته ، ففي قريته يقام عيدان كبيران سنوياً للاحتفال بذكرى هذا القديس . وتؤكد قصائد هذه المجموعة ـ بشكل عام ـ رابطة الحب التي لا تتزعزع بين شاعرنا وقريته التي تثير الجزع على مصيرها « ناحيتي المهملة » . وتجدر الاشارة الى أن صورة القرية كانت تمتزج ـ عادة ـ في أشعار يسينين بصورة الوطن ، أما روسيا الحقيقة فقد كانت ـ وظلت ـ دائماً بالنسبة له روسيا الفلاحين ، ولذا نجد أن ترنيمة حب الوطن تعبر في أشعاره خلال ينبوع الحب الذي لا ينضب (القرية) . وهذه بضعة أبيات قليلة من قصيدته « روسيا » :

لكني أحبك ، يا وطني الوديع !
أما لماذا ـ لا أستطيع التفسير
ان بهجتك الوديعة مفرحة
بأغنيتها الربيعية المدوية فوق المروج
وأحب من فوق موقع الحصاد
سماع دندنة الناموس بالأمسيات
وما أن يصرخ الأولاد بالهارمونيا
تخرج الفتيات للرقص قرب المشاعل

لكن حبه لوطنه (قريته) كان مشوباً بالحزن والأسى على الأحوال السيئة التي تردت اليها قريته ، ومن ثم اكتست أشعاره بمسحة من الألم على حال القرية ، تظهر بوضوح في قصائده ، « ناحيتي المهملة » ، « الراعي » ، « أمات الجفاف الزرع » وغيرها . ولقد لفتت مسحة الحزن الغالبة في أشعار يسينين أنظار من سمعوها ، وكان من بينهم امبراطورة روسيا نفسها ، التي قرأ عليها أشعاره فعلقت عليها بأنها « أشعار جميلة » ، لكنها « حزينة جداً » ، فرد عليها شاعرنا « هكذا روسيا كلها » ، واستند الى الفقر والمناخ وغير ذلك . ولكن على الرغم من هذا الوعي وهذا الادراك بأحوال بلاده كانت لشاعرنا وقفة أخرى مع الأحداث . . . .

الشاعر والأحداث :

قد يكون من حسن حظ الأديب أو سوء حظه أن يعيش عصراً يموج بأحداث جسام ، فهو يجد نفسه مطالباً ـ بصفته حاملاً لواء الكلمة ـ بتحديد موقفه



عالم القرية والبيوت البسيطة الدافئة التي تحتضنها الأشجار هو الوطن

ازاء هذه الأحداث ، وشاعرنا كان في موقف لا يحسد عليه ، فقد عاصر أحداثاً بالغة الخطورة في تاريخ وطنه ، ففي البداية تطرق الحرب العالمية الأولى أبواب روسيا فيُستدعى يسينين الى الخدمة العسكرية عام ١٩١٥ ، وتمر الحرب دونما صدى يذكر في قصائده ، غير أن اتجاه شعره ينحرف نحو مسار جديد في أعقاب أحداث الثورة السوفيتية عام ١٩١٧ .

ويبدو أن رياح التغيير لم تأت بما تشتهي النفس فقد وقع يسينين فريسة للتيارات التجديدية التي ظهرت بعد الثورة السوفيتية والتي جاءت بمثابة رد الفعل السلبي على الأحداث . وكما هو معروف انقسمت صفوف الأدباء السوفييت في أعقاب الثورة السوفيتية ، فقد دافع عنها البعض ، ورفضها البعض الآخر ، وكان من بين الفريق الأخير شاعرنا سيرجي يسينين ، فقد كان بكل مكونات شخصيته وتفكيره ونبضات روحه ملتحماً بعالم القرية والفلاحين (الوطن والشعب) ، ولذا لم يستطع تقبل ثورة جاءت تنادي بسلطة العمال ، فهو لم يكن من أنصار الوصول الى



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة لغوية

ترد إلينا أحيانامن الاخوة القراء أسئلة لغوية ، ونحن نختار منها ما نرى في الاجابة عنه لجمهرة القراء فائدة عامة ،ونترك ما عداه ليسأل صاحبه عن جوابه بين العارفين بالعربية .

ارسل إلينا السيد/أحمد عبد الحميد الحمدان (الزرقاء ـ الاردن) رسالتين يعرض فى أولاهما سؤالا ، ويعرض فى الثانية ثلاثة أسئلة .

الرسالة الأولى :

ذكر فيها الآية الكريمة : « وإن هذه أمتكم أمة واحدة » ، مع إعراب كلماتها إعرابا صحيحا إلا كلمة (أمة) الثانية ، وهو يسأل عن سبب نصبها والجواب أنها (حال) منصوبة وواحدة نَعْتٌ لها منصوب . (وقد عرضنا قبل سنوات بحوثا أربعة فى موضوع الحال بكل أنواعها وأشكالها ، وقد حاولنا فيها تخليص هذا الباب من المشكلات التى أوقعها هناك النحاة ، والبحوث منشورة فى أعداد العربي الآتيةُ : (٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٢)

الرسالة الثانية :

نص السؤال الأول : «اذا عاد شخص الى المكان الذي أتى منه ، فما هو التعبير الأصح : « عاد من حيث أتى » أم « عاد الى حيث أتى ؟ »:

على أساس أن شبه الجملة (حيث أتى) تعني المكان الذي أتى منه الشخص ثم عاد إليه ، فالعودة هنا (إلى) وليست (من) فما رأيكم ؟ » .

ورأينا أن توضيح الأخ للمعنى يبين أن العبارة الأولى : « عاد من حيث أتى » هي الصحيحة لأن البداية كانت من المكان الأول الذي أتى منه ، فكلمة « من » متعلقة بكلمة « أتى » ، والمعنى : عاد إلى ما أتى منه ، ونستأنس هنا بالآية الكريمة في خطاب النبي : « ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام » فإنه في هجرته خرج من مكة التي هي البداية ، ونستأنس أيضاً بالآية « وأخرجوهم من

يث أخرجوكم » ، والآية : « فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا » ، والآية : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » ، والآية « وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون » ، والآية (أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) ، والمثل:(من مأمنه يؤتى الحذر) .

السؤال الثاني : تمر علينا كلمات ، مفردها مذكر ، وجمعها جمع مؤنث سالم ، مثل : كائن وكائنات ، مخلوق ومخلوقات ، حيوان وحيوانات ، والمعروف أن العدد من ٣ الى ١٠ يخالف المعدود في التذكير والتأنيث ، فكيف نعامل هذه الكلمات من حيث تذكير العدد وتأنيثه ، وأيها أصح : ثلاثة كائنات أم ثلاث كائنات ، وخمسة مخلوقات أم خمس مخلوقات . . .

والجواب : إذا كان المعدود جمع مؤنث سالماً وجاء بعد العدد المفرد (من ٣ الى ١٠) فكان تمييزاً له نظرنا إلى مفرد الجمع فإذا كان مذكراً أنثنا العدد ، فنقول في الأمثلة السابقة : ثلاثة كائنات وخمسة مخلوقات وسبعة حيوانات،لأن هذه الجموع ـ وهي مؤنثة ـ مفرداتها مذكرة (كائن ، مخلوق ، حيوان) ، وإذا كان مفرد الجمع مؤنثاً ذُكر العدد مثل : أربع صفحات ، وست فتيات ، وفي القرآن (سبع بقرات) .

ويصدق هذا أيضاً على جمع التكسير ، فيقال : ثلاثة أقلام ، وخمس محابر ، وفي القرآن : « سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما » .

ويشترط في كل هذه الحالات أن يجتمع الشرطان المشار إليهما هنا قبل ، وهما : أن يذكر المعدود بعد العدد فيكون تمييزاً للعدد ، كما في الأمثلة السابقة ، فإذا لم يجتمع هذان الشرطان بأن سبق المعدود العدد ، أو حذف المعدود ـ جاز تذكير العدد ،وتأنيثه، مثال سبق المعدود : سرت أميالاً خمساً أو خمسة ، ورأيت العجائب السبع أو السبعة ، ومثال حذف المعدود مع ملاحظته في المعنى قولنا : (طفت بالكعبة سبعاً أو سبعة) ، وقبّلت الأم طفلها أربعاً أو أربعة ، وكذلك قولنا : تفقدت أشجار الحديقة (أو شجراتها) وقلمت منها عشراً أو عشرة .

ولهذه التفرقة في تذكير العدد وتأنيثه دلالتها أحياناً في التفرقة بين المعاني ، ومع ذلك كنا نتمنى لو تطورت لغتنا في الترخص في جنس العدد تذكيراً وتأنيثاً حين يسبق المعدود كما ترخصت فيه حين يأتي بعده وعندئذ كان يمكن أن يقال : ثلاث أو ثلاثة كتب ، وأربع أو أربعة صحف ، كما جوزوا أن يقال : كتب ثلاث أو ثلاثة ، وصحف أربعة أو أربع ، وكذلك يقال في بقية الأعداد المركبة والمعطوفة ، ولو كان ذلك قد حدث لكان أيسر استعمالاً .

السؤال الثالث : أيها أصح : الحادي والعشرون أم الواحد والعشرون ؟

والجواب : كلاهما صحيح ، أو كلاهما صحيحان ، فالمعنى واحد ، ولا تخفى القرابة بينهما صوتياً ، أو هما في الأصل كلمة واحدة تقدمت الواو في إحداهما ، وتأخرت في الأخرى ، وهذا ما يسميه اللغويون (القلب والإعلال) وجذر الكلمة (و.ح.د) واسم الفاعل منها (الواحد) أو (ح د و) واسم الفاعل منه (الحادي) . □

في الصحبة والأصحاب

قيل لابراهيم بن أدهم : لم لاتصحب الناس ؟ فقال : الصحبة أصناف ، فان صحبت من هو دوني آذاني بجهله ، وان صحبت من هو فوقي تكبر علي وتجبر ، وان صحبت من هو مثلي حسدني ، فتركت تلك الصحبة ، واشتغلت بمن ليس في صحبته ملال ، ولا في وصله انقطاع ، ولا في الانس به وحشة .




جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

المؤنسة .. من شعر مجنون ليلى

قصص الحب المشهورة في التراث العربي بين الرجل والمرأة تعد بالعشرات ، ولكن ليس بينها ما يعادل قصة « مجنون ليلى » شهرة وأثرا ، وليلى اشهر اسم بين المعشوقات في تراثنا ، حتى أن كثيرا من شعرائنا يرمزون لعشيقاتهم باسم ليلى ستراً لهن ، ولم يكن صاحب ليلى يسمى « المجنون » ، ولكنه هام بحبها حتى أصابته لوثة فلقب « المجنون » وقد اختلف في اسمه ، فقيل : قيس ، وقيل : مهدي ، أو معاذ ، وأشهر اسمائه هو قيس بن الملوح العامري ، نسبة الى قبيلة بني عامر التي يُقال ان ليلى منها ايضا بل قيل انها كانت ابنة عمه ، كما قيل : إنه حين احبها شبَّب فيها بشعره ، حتى اشتهر أمرهما ، وكانت هي تحبه ايضا ، فلما طلب من ابيها ان يزوجه بها ، رفضه خوفا من العار ، اذ كانت العرب ترى عارا على الفتاة واهلها ان تزوجت ممن اشتهر بينهم بحبها ، اذ يظن انه كان على صلة بها قبل .

وقد انكر بعض الباحثين المحدثين وجود هذين الشخصين : قيس وليلى ، وقال انهما من اختراع الرواة ، ولكن ثبوت وجودهما راجح ، وان كان قد اختلف في اسم قيس واسم قبيلته ، وانكر كثير من اخباره واشعاره ثم حمل عليه شعر لم يقله ، وخبر لم يحدث منه .

ومهما يكن فان قصة قيس وليلى اعمق قصة غرام في الوجدان العربي ، وقد كانت محورا لاعمال ادبية كثيرة شعرا ونثرا في التراث العربي والفارسي ، والتركي ، وقد اخترنا هذه الابيات من قصيدة في ديوان مجنون ليلى تبلغ اكثر من سبعين بيتا ورتبناها على افضل صورة رأيناها .

تذكَّرتُ ليلى ، والسنينَ الخواليا ... وأيام لا أُعدى على الدَّهرِ عاديا

أعدُّ الليالي لَيلةً بعد ليلةٍ ... وقد عشتُ دهرا لا أعدُّ اللياليا

وانى لاستغشِي ، وما بىَ نَعْسَةٌ ... لعل خيالاً منك يَلقى خياليا

واخـرجُ مـن بـين البيـوت ، لعلني ... أحـدِّث عنك النفس ـ يا ليلُ ـ خاليا
وقـد يجمـعُ اللهُ الشتيتَـينْ بعـدمـا ... يـظُنَّـان كـلَّ الـظن أن لا تـلاقِيـا
أتهـجـرُ ليـلَى ، ثـم تـزعـمُ أنـنِي ... سلوتُ ؟ وهل يَخفى على الناس ما بيا ؟
واني لأستحْيِيـكِ ان تـعـرضِ المُنى ... لـوصلك ، أو أن تَعرضي في المُنَى ليـا
اذ اكتحلَتْ عَيني بعينـك لم تَـزَلْ ... بخـير ، وجلَّتْ غمـرةً عن فـؤاديـا
فـأنت التي إن شئتِ أشقَيْتِ عيشتى ... وانـتِ التي إن شئتِ أنعمتِ بَـالِيـا
وأنت التي مَـامِنْ صـديقٍ ولاعِـدًى ... يـرى طيفَ مـا أبقيتِ إلَّا رثى ليـا
اذا نـحن أدْلَجْـنَـا وأنـت أمـامَـنـا ... كفى لمطايـانـا بـذكـراك هـاديـا
ولم ار مـثلَيْـنـا خـليـلَيْ صـبـابـةٍ ... أشـدَّ عـلى رغم الأعـادى تَصـافيـا
خليلان لا نرجو اللقاء ، ولا تـرى ... خـليـلَيْن إلا يَـرْجُـوَانِ تـلاقـيـا
ذكت نـارُ شـوقي في فؤادِي فـأصبحتْ ... لهـا وهـجٌ مـسـتـضْـرَمٌ في فـؤاديـا
خليـليّ ، لا ، والله ، لا أملك الـذي ... قضى الله في ليـلى ، ولا مـاقضى لِيـا
قضى الله بـالمعـروف منهـا لغيـرهـا ... وبـالشـوق منِّي والـغـرامِ قضـى ليـا
قضـاهـا لغيـرى ، وابْتـلاني بحُبِّهـا ... فـهـلَّا بشـيءٍ غـير ليلى ابتـلانيـا
لقد كنت أعْلُو حبَّ ليلى ، فلم يـزَلْ ... بى الـنقضُ والابـرَامُ حتى عـلانِيـا
فيـارب سَـوِّ الحب بيني وبيـنهـا ... يكـون كفـافـا ، لا عـليَّ ، ولا ليـا
هى السِّحـرُ ، إلَّا أن للسحـر رُقْيـةً ... وانى لا ألـقَى لهـا الـدهَـر راقـيـا
أراني اذا صليت يَمَّمْتُ نحـوَهـا ... بـوجهى ، وان كـان المصـلَّى . ورائيا
ومـا بىَ إشـراكٌ ، ولـكـن حبَّـهـا ... وعِـظَمَ الجَوَى اعيا الـطبيب المداويا
فيـارب ، إذ صيَّـرت ليـلَى هي المُنَى ... فَـزِنِّى بـعينيهـا كـما زِنْتَهـا لـيـا
والا ، فـبـغِّـضْـهـا الىَّ وأهـلهـا ... فـإنى بليـلى قـد لقيت الـدواهِيـا

ثمن الجوار

حكى أن ابن أبى الجهم أراد أن يبيع داره لضائقة مالية حلت بة ، وكانت داره بجوار سعيد بن العاص ، فاعطاه المشترى فيها مائة الف درهم فقال للمشترى هذا ثمن الدار ، وبكم تشترى جوار سعيد بن العاص . فقال المشترى : والله ما رأيت جوارا يباع ؟ ولكن ماشأن جارك ؟ فقال ابن ابى الجهم : ان جارى سعيد بن العاص رجل يحب معاونتى ... ان غبت سأل عنى ، وان اتيت رحب بى ، وان سألته اعطانى ، وان لم اسأله ابتدأنى بالعطاء .

فلما بلغ ذلك سعيدا بعث اليه بالثمن وابقاه فى داره.



حين كشفت ألواح الطين

أخطر سرقة أدبية وحضارية في التاريخ

بقلم : محمد الأسعد

زيف ما يسمى « بالموروث اليهودي » وأصالة « التوراة » .. كشفت أسراره ألواح الطين الأثرية التي عثر عليها الأثريون ، بعد أن تأصل شبه اعتقاد في الثقافة الغربية يكاد يوحي بأن وجود الشعب العربي انما هو وجود طارىء على المنطقة .. وان الأصل هو ما يسمونه « الشعب اليهودي » . وهذا المقال يعرض تفاصيل أخطر سرقة أدبية وانتحال في التاريخ .

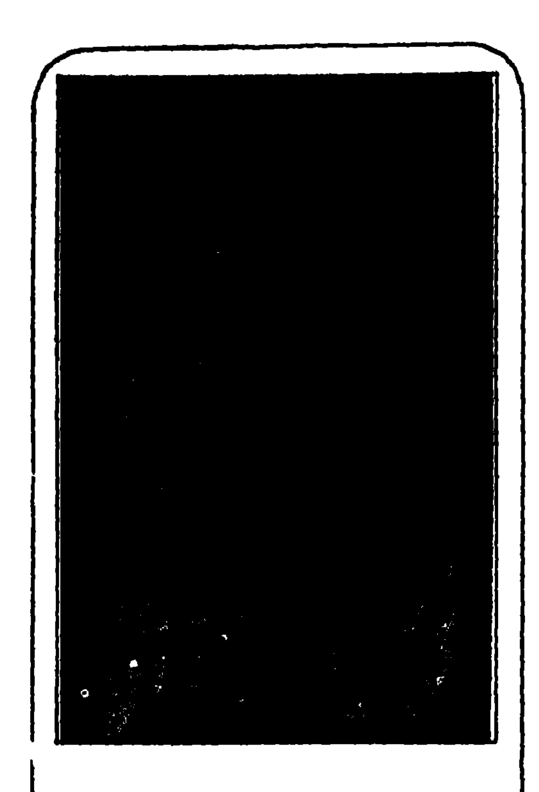
في هذا العام ١٩٨٥ يكون قد مر قرن وربع من الزمن على اكتشاف حقيقة علمية على جانب كبير من الخطورة . تلك هي أن غالبية أسفار التوراة اليهودية أو العهد القديم كما تسمى ليست الا نسخا وترجمة لروايات وحكم وأساطير عدد من شعوب المنطقة العربية مثل السومريين والبابليين والأشوريين والأكاديين والكنعانيين والمصريين القدماء الذين تعاقبوا على انشاء حضارات المنطقة طوال الأربعة

لاف عام قبل ميلاد المسيح ، والذين ترجع أصول غالبيتهم الى الجزيرة العربية ، مصدر الهجرات والتكوينات الحضارية فيما بين النهرين وساحل البحر المتوسط ووادي النيل .

ولم تكتشف هذه الحقيقة دفعة واحدة ، كما لم يتسن لعلماء الآثار واللغات القديمة الوصول اليها ظنا وتخمينا ، بل بدأ الكشف عنها شيئا فشيئا طوال ما يقارب قرنا ونصفاً ، وعلى أساس صلب من تحقيق وقراءة مئات آلاف الألواح الطينية التي أزال عنها المكتشفون تراب القرون . كانت التوراة اليهودية ولزمن طويل سبق هذه المكتشفات تتمتع بمكانة خرافية من حيث اعتبارها المصدر الوحيد المدون لتاريخ المنطقة العربية وشعوبها وحضاراتها ، والمصدر الوحيد الذي يعلي من شأن ما يسمى ، الحضارة اليهودية أو « العبقرية اليهودية » التي أنتجت تشريعات وآدابا وفنونا أصبحت أحد أحجار الأساس في بناء الحضارة المعاصرة .

وكان مقدرا لهذه المكانة الخرافية ، أن تتهاوى مع كل ضربة معول في خرائب وأنقاض المدن القديمة ، أور وبابل ونينوى وأوغاريت وأيبلا وأريحا وتل العمارنة ، وعشرات المدن القديمة ،

وكان مقدرا لما يسمى بالحضارة اليهودية أو العبقرية اليهودية أن تظهر كأكذوبة تاريخية من كل ترجمة للوح جديد وفك لرموز أبجدية مندثرة . وبدأ تركيب جديد للتاريخ على أساس الروايات (الأصل) التي تركها الأقدمون ممن سبقوا عهد التوراة ببضعة آلاف من السنوات ، وأعيد النظر في أصل كل شيء . فقد توافرت كما يقول د . أحمد سوسة « ثروة من المعلومات الأصلية وبلغاتها وحروفها الأصلية على عكس ما عهدناه في التوراة من تباعد في اللغة والعصر » . وأصبحت في متناول القراء والباحثين بعد ترجمتها الى اللغات الحديثة . ويقدر عدد هذه الوثائق الأصلية التي تناولت مختلف شؤون الحياة في تلك الأزمنة بأكثر من نصف مليون قطعة عثر عليها بين أطلال مدن حضارات الشرق المتوسط القديمة بمختلف اللغات والحروف . .



لوح من نفر في متحف الجامعة . وهو مدون بقصيدة « خلق الفأس » .

نسخ لاتفاعـــل . . !

بدأت الحكاية على يدي العالم البريطاني « جورج سمث » حيث قرأ في عام ١٨٦٢ في الألواح الأشورية المكتشفة في « نينوى » قصة الطوفان التوراتية بالحروف المسمارية . وهي جزء من ملحمة سومرية قديمة اسمها « ملحمة جلجامش » وجدت أجزاء منها في اللغة الحورية والحثية والكنعانية . وقد دونت هذه الترجمات على ألواح من الطين يرجع تاريخها الى الألف الثاني قبل الميلاد .

وقد أثار هذا الاكتشاف نشاطا مضاعفا بنتائج الحفريات الأثرية في وادي الرافدين وأرض كنعان ، كان من حصيلته - كما يقول عالم الأشوريات « صموئيل نوح كريم » - أن فتح أعيننا على تراث ثقافي وروحي لم نحلم به الأجيال السابقة . ومن بين أهم النتائج التي حققها ذلك النشاط أن ضوءا قويا

كاشفا قد سلط على أصل التوراة ومنشئها » .

ولم يقف الأمر عند حدود اكتشاف الأصل الأشوري لقصة الطوفان ، بل تعداه الى اكتشاف الأصل البابلي ثم السومري الأقدم عهدا من الاثنين .

وكذلك لم يقف الأمر عند حدود اكتشاف أصل سفر واحد من أسفار التوراة ، بل تعداه الى اكتشاف أصول عدد كبير من الأسفار مثل سفر التكوين ، وسفر أيوب وسفر الأمثال والمزامير والتشريعات التي تتضمنها عدة أسفار .

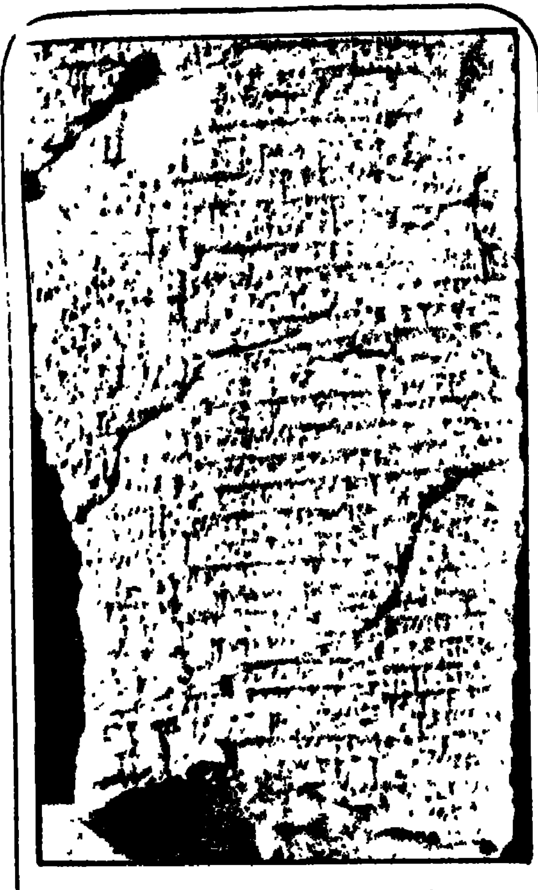
وفي ضوء المقارنات التي أجراها الباحثون تبين أن القضية لاتشبه ما يمكن أن يكون نتاج تفاعل حضاري بين دائرتين أو ثقافتين ، بل هي قضية ترجمة ونسخ وتبنٍ يكاد يكون كاملا لثقافة ومواقف وعقائد شعوب أخرى . أي (سرقة أدبية) بالمعنى الصريح .

فقد تبين مثلا في المقارنة التي أجرتها الباحثة العربية « بديعة أمين » بين « المزامير » و « أناشيد أخناتون » المكتشفة في تل العمارنة » وهي سابقة بعدة قرون للمزامير . . أن التباعد الذي يحدث أحيانا في التعبير اللغوي بين النصوص التوراتية ، ونصوص الأناشيد ، يماثل مانجده من تباعد بين ترجمتين لنفس النص الى لغتين مختلفتين ، وينطبق نفس الأمر على مقارنة نصوص التوراة بالنصوص السومرية والكنعانية والبابلية .

العلم يواجه الأسطورة

وكأي حقيقة علمية من الحقائق التي تهدم جملة من المعتقدات الخاطئة والقوية بسلطة العادة والتكرار ، مازالت هذه الحقيقة مبعدة عن العقلية الثقافية العامة في الغرب ، يتداولها أحيانا علماء الآثار ويتجاهلها المفكرون والفلاسفة .

ويلاحظ هبوط وتيرة النشاط البحثي في هذا المجال في السنوات الأخيرة بعد أن كان عالي الوتيرة في السنوات الأولى من القرن العشرين ، رغم أن ما أعطته الألواح المكتشفة لايشكل الا نسبة ضئيلة ، بالقياس لما يمكن أن تعطيه الكميات الهائلة التي تنتظر الباحثين في محفوظات المتاحف .



لوح من نفر مدون برسالة سومرية شعرية عن « العذاب البشري » .

والسبب في رأينا هو أن الحماس الكبير الذي لقيته هذه الأبحاث في البداية كان منطلقه الرغبة في تأكيد أصالة التوراة ، واضافة دليل من علم الآثار لايرقى اليه الشك الى مايسمى « الحضارة اليهودية » المزعومة . ولكن حينما جاءت كل النتائج لتعاكس هذه الرغبة وبأدلة دامغة ، ولتزيد من ظهور حقائق تنفي ما أقيم من مزاعم وأقاويل على أساس الرواية التوراتية ، بدأ المفكرون الغربيون بتجاهل « العلم » و « العقلانية » وظل معظمهم سادرا في تصوراته القديمة وكأن شيئا لم يحدث .

ورغم سطوع الحقيقة التي تقول بأن « منجزات التوراة ، وحضارة المنطقة المنسوبة لليهود القدماء هي منجزات شعوب أخرى ذات أصول عربية ، إلا أن عددا من هؤلاء ما زال يعتقد بأصالة ما يسمون « الموروث اليهودي »

ففي العام ١٩٢٦ أي بعد أربعة وستين عاما مرت على قراءة الألواح الأشورية ، كان « جون هرمان رندال » يكتب بثقة أنه « من مجموع هذه العناصر : العدالة العبرية والمحبة المسيحية والايمان الاغريقي بالفعل والتقشف الهيليني صاغ آباء الكنيسة القديمة وحدة عضوية كاملة » .

وفي العام ١٩٤٦ يكتب الفيلسوف البريطاني « برتراند راسل » في تاريخه للفلسفة الغربية أن « الكنيسة الكاثولوكيـة مستمدة من مصادر ثلاثة : فتاريخها المقدس يهودي ، ولاهوتها يوناني ، وحكومتها وقانونها على الأقل بطريق غير مباشر رومانيان » .

وفي كتاب نشره حديثا العالم البيولوجي « بول كولنفوكس » تحت عنوان « مصائر الأمم » - ١٩٨٣ - تأكيد على أن « كتابنا الأقدم - التوراة العبرية - يعطينا فكرة عن أهمية المجتمعات المنظمة . . . » وتحت وهم هذه النظرة وانسجاما معها لم يكن تاريخ المنطقة العربية وجغرافيتها ومصيرها يخرج عما وصفه الوارثون الذين كتبوا التوراة . أي كتاريخ وجغرافية ومصير معلق باليهودية . ولهذا السبب تأصل شبه اعتقاد في الثقافة الغربية يكاد يوحي بأن وجود الشعب العربي هو وجود طاري على المنطقة ، وأن الأصل هو ما يسمونه الشعب اليهودي .

أما العقلية الثقافية العربية ، فحتى الآن وعلى الرغم من ظهور كتاب « العرب واليهود في التاريخ » للدكتور أحمد سوسة - ١٩٧٢ - ورغم ظهور أبحاث متفرقة ، الا أن المثقف العربي ما زال بعيدا عن هذا المسرح ، حتى وان كان من أولئك الباحثين في الحضارات ، بل ان هذا المثقف ما زال يتبنى « حقائق » انكشف زيفها حول أصالة التوراة . ومزاعم الحضارة اليهودية بل يتجاوز البعض هذا الأمر الى الدفاع الحار عن خرافة « الحق التاريخي لليهود في فلسطين » واستمرارية وجود شعب اسمه « الشعب اليهودي » . وهي اطروحات نقضها باحثون غربيون ومنهم يهود حتى في السنوات الماضية ، بأبحاث ودراسات ليس أقلها قيمة بحث « أرثركوستلر » المنشور في العام ١٩٧٦ تحت عنوان « القبيلة الثالثة عشرة » .

لدينا هنا اذن جانبان حول هذه القضية : الأول هو:هنالك وجود حضاري أقامه الاسرائيليون الذين غزوا واحتلوا أجزاءً من فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

الثاني هو من أين جاءت هذه النصوص الأدبية والتشريعية والحكمية في التوراة اذا لم يكن وجود حضاري يسندها ؟

يجيب عالم الآثار الأمريكي « وليم أولبرايت » عن السؤال الأول في كتابه « علم الآثار الفلسطيني » - ١٩٤٤ - فيلاحظ أنه بعد مرور ثلاثة قرون على هذا الغزو واحتلال الأجزاء القاحلة من فلسطين ، ومع اقامة مملكتي اسرائيل ويهوذا - لم يستطع هؤلاء اقامة مجتمع حضاري يؤدي الى قيام ثقافة أو موروث حضاري . وما فعله هؤلاء طوال قرون الاحتلال بجزء من فلسطين هو تدمير ماكان قائما من أسس ومعالم حضارية كنعانية في المدن والأماكن التي استولوا عليها . وليس أقل هذه المعالم التي دمرت مدينة « أريحا » الموجودة منذ الألف السابع قبل الميلاد . وهذا ما يؤكده كتاب التوراة أنفسهم في سفري « يشوع » و « القضاة » حيث كان التدمير والحرق والابادة الجسدية للسكان ركائز أساسية لمشروع الغزو الى جانب الهبوط بما بقي قائما الى مستوى متخلف ومتدن .

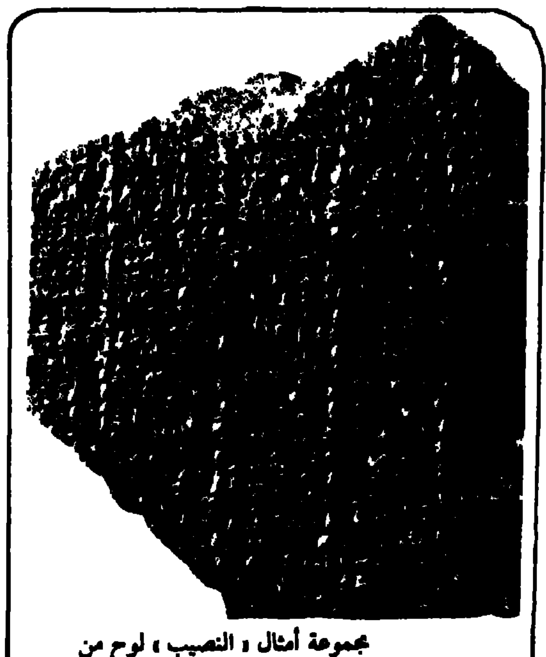
حقيقة النتاج الحضاري

ويلاحظ « أولبرايت » أيضا ، اننا اذا تقصينا آثار فترة « القضاة » لايسعنا الا أن ندهش بسبب انعدام الوضع الحضاري الذي نجده سائدا قبل ذلك بقرنين . ويظهر هذا بالتباين بين الأسس البعيدة الانشاء التي بناها الكنعانيون العرب وأنظمة تصريف المياه . وبين أكوام الحجارة الفجة التي حلت محلها في القرن الثاني عشر ، دون الاستفادة من نظام تصريف المياه الذي ما زالت شواهده ماثلة في آثار المدن الكنعانية .

هذه الملحوظات التي أقيمت على أساس متين من المكتشفات والمقارنات ، تتطابق مع الحقيقة التي أظهرتها ألواح الطين - حقيقة أصل النتاج « الحضاري » الوحيد الذي ينسب لليهود - أي

التوراة ـ في الأوضاع الحضارية التي أقامتها شعوب الحضارات فعلا لا انجازا ! .

ويلخص هذه النتيجة استاذ دراسات الشرق الأدنى في جامعة برانديز « سايروس غوردن » في كتابه « ما قبل الكتاب المقدس » ـ ١٩٦٢ ـ فيقول : ان الاكتشافات الأثرية في مواقع مثل أوغاريت تحول دون اعتبار « اليونان على انها المعجزة الأولمبية المحكمة الاغلاق ، واسرائيل على أنها معجزة سيناء المحاطة بوعاء مفرغ . . » .



مجموعة أمثال « النصيب » لوح من نفر عليه تسعة حقول من الكتابة محفوظ الآن بمتحف الجامعة . وأكثر ما عليه من كتابة يتعلق بأمثال عن النصيب وعن الحيوانات المختلفة .

حين تنطق الألــــواح

ليس من المبالغة القول ان ما تقدم يكشف عن أخطر انتحال حضاري في التاريخ ، تم في ظله وضع اليد على منجزات صانعي الحضارة في هذه المنطقة من العالم ، ونسبتها الى مجموعة أخرى لم يستطع وجودها الطارىء في أرض الكنعانية من اقامة أي وضع حضاري أو ما يشابهه . ولسنا هنا في معرض الحديث عن أسباب هذا الانتحال ، بل التعرض لشواهده الماثلة في المكتشفات الأثرية .

يقول الباحث « كريمر » أن من ضمن أقدم الأفكار المعروفة عن خلق الانسان هي تلك التي أوردها العبرانيون في « سفر التكوين » والبابليون في « ملحمة الخليقة » وقد ورد في قصة التوراة أن الانسان قد خلق من الطين لكي يسود عالم الحيوان ، أما الاسطورة البابلية فتقول بأن الانسان قد خلق من دم اله قتل بسبب ما أحدثه من اضطراب . وكانت الغاية من خلق الانسان القيام بخدمة الآلهة .

وتقول الاسطورة السومرية وهي أقدم من الروايتين العبرية والبابلية بما يزيد عن الف سنة ، بأن الانسان خلق من الطين كما تقول الرواية العبرية . أما الغاية من خلقه فهي القيام بخدمة الآلهة كما جاء في الرواية البابليـــة .

جاء في الاسطورة السومريـــــة :

« ان المخلوق الذي لفظت اسمه جاء الى الوجود
« امزجي لب الطين الموجود في أعلى المياه
« الصناع المهرة سيجعلون الطين مختمرا
« وأنت عليك أن تخلقي له الأعضاء
قدري مصيره كأنسان . . »

ولا تختلف رواية الخلق العامة عما ترويه الاسطورة السومرية عن وجود البحر الأول ، وهو السبب في وجود السماء والأرض متحدتين ، ثم بدأ الخلق كما جاء في مقدمة قصيدة « هبوط أنانا الى العالم الأسفل » هكذا :

« بعد أن ابتعدت السماء عن الأرض
« بعد أن انفصلت الأرض عن السماء
« بعد أن عين اسم الانسان . . »

وبعد أن تم اكتشاف وحل رموز اللوح الحادي عشر من ملحمة « جلجامش » منذ ما يزيد عن نصف قرن ، اتضح بأن قصة « الطوفان » التي وردت في التوراة لم تكن أصيلة ، وانما هي من المدونات السومرية التي اقتبسها البابليون ووضعوها في صيغة الطوفان البابلـــي .

ويتضمن القسم الأول من القصيــدة ـ حسب وصف « كريمر » موضوع خلق الانسان والحيوان والمدن الخمس التي وجدت قبل الطوفان ، ولسبب

لوح من نفر موجود في متحف الجامعة وهو مدون بجزء من القصيدة المعنونة « جلجامش وانكيدو والعالم الأسفل » . .

غير معروف قدر للجنس البشري الهلاك بوساطة الطوفان . ويظهر أن أحد الآلهة قد حزن لذلك ، فعقد العزم على ايجاد وسيلة ينقذ بها الجنس البشري . فتوجه الى الملك المتواضع وأخبره بقرار الآلهة المخيف ، ونصحه أن ينقذ نفسه ببناء سفينة كبيرة .

على أن الأكثر اثارة هو اكتشاف الأصل السومري لسفر « أيوب » الشهير ، وقد تحدث « كريمر » عن هذا الاكتشاف في جمعية « الآداب التوراتية » في عام ١٩٥٤ حين ألقى محاضرة بعنوان « الانسان وربه » رواية سومرية لفكرة قصة أيوب . . » .

وقد استند في محاضرته الى قصيدة شعرية تتألف من زهاء ١٣٥ سطرا . وتم جمعها من ستة ألواح من الطين عثرت عليها بعثة التنقيبات الأثرية في مدينة « نفر » الواقعة على مسافة مائة ميل ـ الى الجنوب من مدينة بغداد الحالية . ويرجع تاريخ هذه الالواح الى ألف عام قبل تدوين سفر أيوب .

الفكرة الاساسية التي يعرضها الشاعر السومري هي أنه في حالات العذاب والمصائب ليس للضحية المعذب ـ مهما تراءى له أنه لايستحق ما حل به ـ سوى سبيل واحد لائق يسلكه ، وذلك هو أن يمجد ربه دوماً . ويعرض الشاعر حالة خاصة لرجل لم يذكر اسمه كان غنيا موسرا ، حكيما وصالحا . وانه كان ينعم ببركة صفاء العيش مع الأصدقاء وذوي القربى .

وفيما هو كذلك أحدقت به ذات يوم المصائب

● حين كشفت الواح الطين اخطر سرقة ادبية

والاسقام . فهل ازدري القضاء الالهي ؟ وهل كفر وجدف ؟ انه لم يفعل ذلك ، بل توجه الى الهه بذلة وخضوع وسكب مكنون قلبه في الصلاة والتضرع . فسر بذلك الهه سرورا عظيما ، ورضي أن يشمله برحمته ، وأن يستجيب لصلواته ، فخلصه من بليته ومصائبه ، وأحال عذابه الى سرور . وهذه بعض أبيات قصيدة أيوب السومري :

« لقد غمرتني بالعذاب المستديم المتجدد
« أدخل البيت وأنا محمّل بالاحزان
« وأنا الرجل اذا ما ذهبت الى الشوارع أكون معذب القلب »
« لقد غضب على الهي العادل فهو ينظر الى نظرة الشر والعداء
« أنا الحكيم العاقل لماذا أقيد مع الأحداث والجهلة ؟
« أنا المدرك العاقل لماذا أحسب مع الجهال ؟
« الطعام وفير في كل مكان ولكن طعامي الجوع
« في اليوم الذي قسمت فيه الانصبة كان حقي المخصص لي العذاب والألم . . »
« لقد قال الحكماء حكمة صدق، وحق
« لم يولد لأم طفل بلا خطيئة
« ان الطفل البرىء لم يكن في الوجود منذ القدم . . » .

ولعل الأبيات الأخيرة أقدم نص يشير الى فكرة الخطيئة الأزلية التي نقلها كتاب التوراة لتفسير وضعية الانسان . ومن ثم تسربت الى المسيحية فيما بعد بفضل تعاليم « بطرس » الرسول حسب تحليل الفيلسوف الألماني « نيتشة » .

ان هذه النصوص ونصوصاً غيرها تتعلق بفكرة « الفردوس » ونصوص « المزامير » المنقولة عن كتابات فرعونية وكنعانية ، وتشريعات التوراة المستمدة من شرائع وادي الرافدين ، مثل شريعة « أور ـ نمو » وشريعة « حورابي » لتؤكد بأن كتابة « التوراة » في بابل بعد تشتيت الاسرائيليين الغزاة ، لم تكن الاحصيلة قراءات في تراث المنطقة العربية ومحاولة للاستيلاء عليه . . وبخاصة بعد أن بادت تلك الحضارات ورقدت الواحها الشاهدة تحت التراب ، فلم يعد ممكنا لبضعة آلاف من السنوات اكتشاف الحقيقة ، تلك التي وضع علماء الاثار واللغات أيديهم عليها ناصعة جلية في القرن العشرين بعد الميلاد . □

قصيدتان

شعر عصام ترشحاني

الطعنة .. الهوية

عربيٌّ ..
وجه هذا الجرحِ
مذ جاء الينا ...
عربيٌّ ..
انجبتهُ الطعنة الأولى
واعطتهُ الهوية ..
فتنامى .. مطرقاً في الحزنِ
يكويهِ ابتهال الارضِ
والارضُ .. كتابُ الموتِ
سحر الموتِ
قدّاس صلاة البندقية ...

* * *



ايها الجرح الذي
ينهض في العين نزفناك طويلا
ومراراً متّ فينا
نحن شيّعناك بالصمتِ
وودعناك طفلاً ..
كنت طفلاً ..
حينما الخوف ارتدانا
وحبيبا كنت لمّا
خلع النار علينا
ايها الجرح الذي
يوغل في القلب تمهّل ..
نحن لم نهمل وصاياكَ ،
اغانيكَ ،
هتاف الدم في الشريانِ
لكنْ ...
وحدهُ الذبح احتوانا
وخصنلر الابجدية

فاجعل البرق نزيفا
واحمل النار رغيفا للاغاني
ولترتّل غيمة الثأر على الشعبِ
ومن جذوتهِ ..
املأ الغبراء ياجرح القضية
واطلق النرجس نوراً ..
اطلق النرجس في
قوس شظية ..



انتظارات

اقف الان على ارض الخلايا المتعبة ..
اقف الان وظلي
في انتظار المركبة ..
لم اكن اعرف ان الريح ضدي
والمرايا القلقة ...
خرجت من معطف البحر
وصارت
في عيوني مشنقة ..

* * *

يحتويني الان مصباح الخرافة
يحتويني الليل والياس .. فابقى
في منافي الخوف
استاف المسافة ...
اتهجى باغترابى
لغة الوصل اغني
يا بلادي ..
حبنا الراحل في طوق الكآبة ..
سنلاقي وجهه الصابر محفورا
على لحم الشجر ...
سنلاقيه جميلا
وحزينا ينتظر ...

يا نبى البحر ما بال المرايا
تخطف الان حبيبى
وتعرينى من الحلم
ومن ظلّ حبيبى
يا نبى البحر
خلِ الريح تدرى والمرايا
ان لى وجها من الحب يصلى
في مظلات السفر ...
حاملا شوق خطوط الانتظار ...
وخيام النار ،
والدم ،
وشارات الخطر ...

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

هذه وسيلة جديدة لمنع الحمل .. انها غطاء لعنق الرحم وليست لولبا ..

والغطاء يصنع خصيصا لكل امرأة ليناسبها تماما من حيث القياس والابعاد ، بحيث لايتحرك الغطاء ولايتزحزح بعد تركيبه . وقد دلت التجارب المخبرية والميدانية العديدة على أنه لايسبب للمرأة أية التهابات ، ولايبعث أية رائحة كريهة .

ويعود الفضل في ابتكار هذا الغطاء وتطويره الى مخترعين استاذين(بروفسورين) في جامعة شيكاجو أحدهما أوفريز Uwe Freeseوهو طبيب أمراض نساء والآخر روبرت جوب Goopp وهو طبيب اسنان .

والخطوة الاولى في صنع الغطاء تكون بأخذ شكل عنق رحم المرأة بواسطة مادة السيليكون .. ثم بصنع قالب من البلاستر الباريسي (Positive Cast) ويصنع غطاء الرحم بعد ذلك وفق ذلك القالب .. وذلك بواسطة ماكينة سكب تعمل على أساس الفراغ .. أما المادة التي يصنع منها الغطاء فهي الكراتون Kraton .

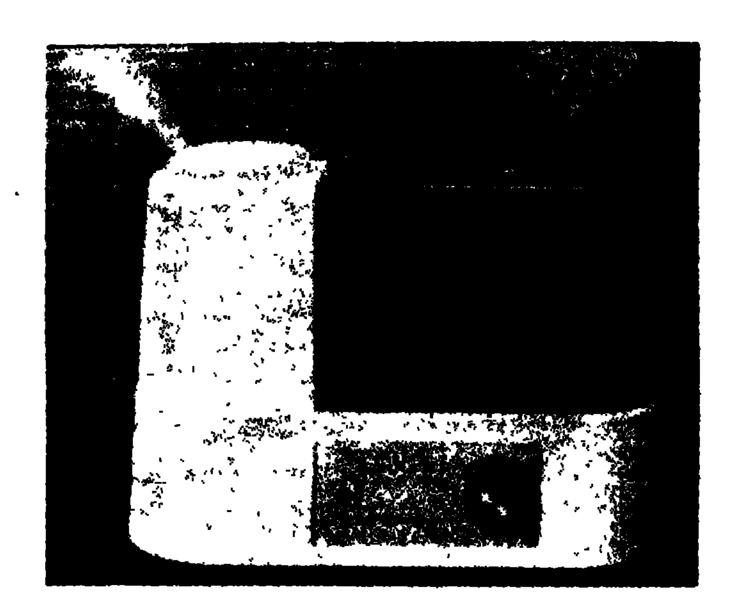
وغطاء عنق الرحم ذو طبقتين تفصل بينهما قناة رفيعة .. وهذه القناة هي التي تسمح للسوائل بالخروج وتمنع المني من الدخول .

وقد سجل الاختراع وأنشئت شركة خاصة لانتاجه واتخذت اسم الغطاء اسما لها (Contracap Ine) . □

يعنى الكثيرون بتبريد جو المنزل وتدفئته أكثر من عنايتهم بجفاف ذلك الجو ورطوبته .. ولعل الجفاف والرطوبة لاتقل خطورة عن الحرارة والبرودة .

ومن هنا كان الاهتمام الذى حظى به الجهاز الجديد الذى ابتكره العلماء فى ربيع هذه السنه (١٩٨٤) .. فهو جهاز تكييف .. تكييف الرطوبة والجفاف فى جو المنازل .. ويعمل هذا الجهاز بالموجات فوق الصوتية .. لا بالتسخين وتبخير الماء ، وهى الطريقة البدائية التي درج عليها الجميع ..

ولايخفى أن ذبذبات هذا الجهاز غير



مسموعة فهي فوق صوتية Ultra-sound وتتعدى حدود سمع الانسان والحيوان .. وتعمل هذه الذبذبات على تحطيم جزئيات الماء .. وفي الجهاز عنصر للنقل الالكتروني trans ducer يعمل بسرعته الفائقة على توليد الرذاذ أو الضباب الرقيق .. وتعمل مروحة الجهاز ، وهي الجزء الوحيد المتحرك منه ، على بث ذلك الرذاذ في جو الغرفة ..

فالجهاز اذن آمن من الطريقة البدائية وأسرع ... والرذاذ الذي يشعه بارد لا حار .. وهو مجهز في بعض طرزه بترموستات يضمن لك نسبة محددة من الرطوبة لا يتعداها .. □

تدل دراسات جادة قامت بها جامعة (M.I.T) الامريكية مؤخرا أن أحد الانزيمات المتخلفة واسمه (bilir-ubin oxidose) قد يكفل العلاج الأمن الفعال لمرض اليرقان الحاد في الاطفال ..

واليرقان jaundice مرض شائع بين الاطفال .. وغالبا ما يفضل الاطباء عدم معالجته بالعقاقير .. فلا يلبث أن يذهب من حيث أتى ... ولكن المرض يستعصي أحيانا ويستوجب العلاج .. في تلك الحال يعمد الطبيب الى استبدال دم الطفل ... على أن هذه الطريقة ليست بلا مخاطر ، ويأمل الاطباء في أن تحل طريقة المعالجة بالانزيم الذي ذكرنا ، علها .. فهي بلا ريب آمن وأضمن وأسهل .

وقوام هذه الطريقة الجديدة مصاف أو مرشحات تحتوي على انزيم (البيليروبين أو كسيديز) ويمرر دم الطفل عبر هذه المصافي .. فيعمل الانزيم على انحلال البيليروبين الموجود في دم الطفل فيشفيه من ذلك المرض ، مرض اليرقان .. المرتبط بالبيليروبين .. والمتلون بلونه الأصفر أحيانا .. ويعاد الدم بعد ذلك الى جسم الطفل .. وقد انحل البيليروبين فيه وتحول الى مواد أخرى غير ضارة . □

عشبة تشفي قروح مرضى السكر

ما زال التداوي بالاعشاب ينمو ويتقدم ويسترد المزيد من الثقة التي فقدها في القرنين الماضيين ... وما زال العلماء يكتشفون اعشابا جديدة ذات خصائص علاجية مدهشة .. أو خصائص جديدة لاعشاب قديمة ..

من ذلك العشبة الجديدة التي اكتشفها الباحثون في اسكتلندة والتي تشفي القروح الجلدية وعددا من آفات الجلد المزمنة المستعصية . وقد استكمل المختصون

تطوير العشبة أو تصنيعها بحيث تبلغ خصائصها العلاجية أقصى فاعليتها .. ثم قاموا بتجزئة العشبة المصنعة على نطاق واسع .. وذلك بشكل كمّادات على وجه التحديد .

جربوها على رجل مسن عانى من قرحة مزمنة في ساقه طوال سنوات وقد استعصت تلك القرحة على الاطباء .. ولكن العشبة الاسكتلندية نجحت حيث فشل الطب وحققت للرجل الشفاء التام في غضون اربعة أسابيع .. وجربوها أيضا على سيدة في التسعينيات من عمرها كانت طريحة الفراش عدة سنوات بسبب ما يعرف في الطب Bed Sores .. وشفيت المرأة تماما بسبب تناول العشبة التي لم يطل تناولها إياها أكثر من ١٨ يوما ..

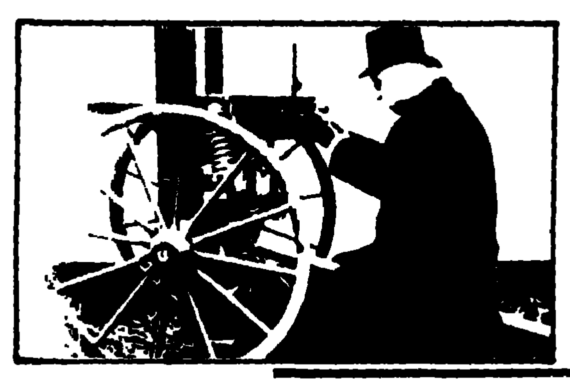
يقول الدكتور جِلْكرايست Gil-christ ، الاخصائي في الهندسة البيولوجية (انها لعشبة مدهشة حقا .. وحسبك أنها تحقق الشفاء التام في معالجة القروح الوريدية (veinous) وقروح مرضى السكري .

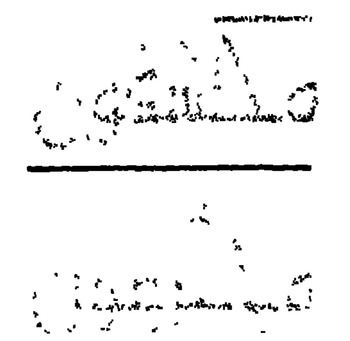
وتجدر الاشارة الى أن العشبة التي لم تعط أسما بعد تحتوي على الاحماض الاجينية (الطحلبية) .. □



ترى .. هل ينجح العلماء اليابان ، حيث فشل زملاؤهم الأمريكيون وغير الأمريكيين .. ؟ وهل يحرزون النصر الحاسم على الفئران في المعركة التي خاضها وما زال يخوضها ضدها بلا طائل بنو الانسان . يبدو ذلك ممكناً الآن وقد استكملوا تطوير المصيدة الالكترونية الجديدة في اليابان .

وقوام المصيدة أصوات حادة كالصرير تطلقها وتجتذب بها الفأر .. ولا يكاد هذا يقترب حتى تشفطه المصيدة شفطاً بفعل الفراغ الذي فيها .. ثم تبخه بغاز ثاني أكسيد الكربون وتعقمه وتغلفه في علبة من الكرتون يسهل القاؤها في القمامة دون حرج أو خوف من تلوث ... □







مخترع المدفع الرشاش

المدفع الرشاش سلاح متواضع جدا بالمقارنة مع اسلحة اليوم المتطورة .. الصواريخ والقنابل النووية وأسلحة الليزر الخ .. ولكن المدفع الرشاش كان سيد الأسلحة البرية جميعا في كلتا الحربين العالميتين .. أو على الأقل سيد معارك الخنادق بلا نزاع .. وهو بلا ريب السلاح الأول من حيث مجموع من فتك بهم حتى الآن .. وحسبك أن معركة سوم في الحرب العالمية الأولى شهدت سقوط ٦٠,٠٠٠ جندي بريطاني في وقت واحد .. وقد حصدتهم الرشاشات الألمانية حصدا ... !

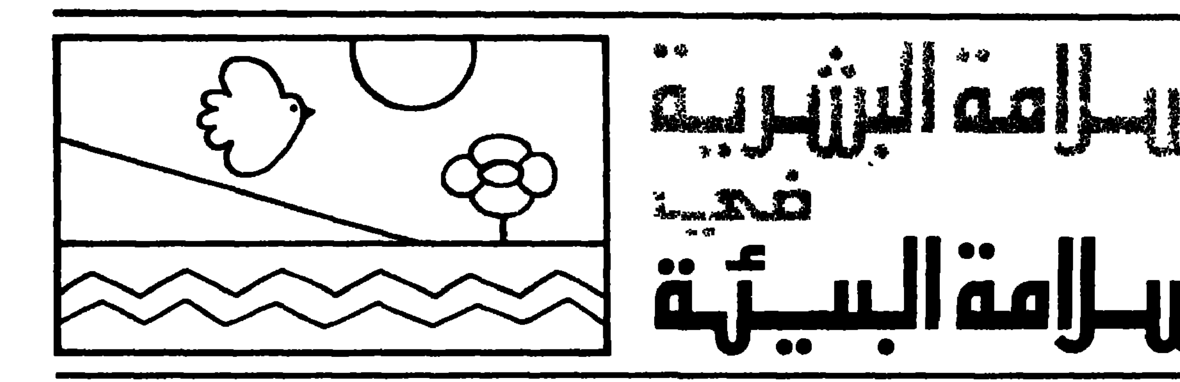
على أن المدفع الرشاش اختراع بريطاني أو أمريكي لا ألماني .. وكان السير هيرام مكسيم هو الذي اخترعه ، بل قل طوره ...

ذلك أن المدافع الرشاشة كانت معروفة ومستعملة منذ مطلع القرن الثامن عشر ، حين اخترع جيمس باكل (Puckle) أحد المحامين في لندن ، أول تلك المدافع ، وذلك سنة ١٧١٨ ... وكان هذا الرشاش الاول بدائيا ... وكان أشبه بمدافع الميدان ، وتحمله دواليب كبيرة ... وقفزت المدافع الرشاشة قفزة كبيرة سنة ١٨٦٢ على يد ريتشارد جاتنج ، وأصبحت تطلق بمعدل ٧٠٠ طلقة في الدقيقة .. علما بأن رشاش (باكل) لم يطلق أكثر من ٦٣ طلقة في الدقيقة . على أن العلة في كلا الرشاشين كانت الحجم الضخم والوزن الثقيل . لا عجب اذن ان كتبت الغلبة لرشاش مكسيم الاوتوماتكي ١٠٠٪ ..

كان هيرام مكسيم (١٨٤٠ - ١٩١٦) في باديء الأمر مواطنا أمريكيا بدأ الاهتمام بالاسلحة سنة ١٨٨١ ... وصنع رشاشه الأول مستغلا في صنعه قوة الارتداد (recoil) التي توجد فيه وفي كل المدافع والمسدسات الأخرى الشبيهة .. استغلها في (التعبئة والتفجير والاطلاق) في آن معا ، وعلى نحو متواصل، مادام الزند (trigger) مضغوطاً . وضمن لرشاشه التبريد المطلوب بواسطة ماء محفوظ في خزان خاص في الرشاش . واستكمل مكسيم تطوير مدفعه سنة ١٨٨٣ بحيث لم يجاوز وزنه ٤٠ رطلا ، ولم يجاوز عدد طلقاته ٦٥٠ في الدقيقة . وعرضه على وزارة الدفاع الامريكية فرفضته .. فتوجه الى انكلترا وعرضه على وزارة الحرب البريطانية ، وما أسرع ما قبلته واحتضنته .. وما لبث رشاش مكسيم أن اصبح من الأسلحة المعتمدة في الجيش البريطاني

واستعمل الجيش البريطاني رشاش مكسيم على نطاق واسع في حملاته العسكرية على السودان .. فأثبت من الفاعلية والقدرة على الفتك ما جعل الجنود الانجليز يتغنون به وينشدون : (مهما حدث ومهما صار .. فرشاش مكسيم كفيل بالانتصار)

بقي أن نذكر أن الانجليز منحوا هيرام مكسيم الجنسية البريطانية سنة ١٩٠٠ □



تيار في المحيط الهادي يدمر المرجان وشعابه

شهدت السنة الماضية ١٩٨٣ تقلبات جوية غريبة ومدمرة . . نذكر منها القيظ الشديد غير العادي الذي ساد السفوح الغربية من جبال روكي أثناء شهور الصيف . . ونذكر أيضا العواصف الطاغية التي هبت على هايتي . أما تاهيتي فقد تعرضت لأعنف ماعرفته في تاريخها من عواصف الهاريكين . .

وقل مثل ذلك في الريح العاتية والأمواج العملاقة التي حطمت شواطىء كاليفورنيا ومنشآتها في ذ عمل الشتاء الماضي . . أما استراليا وأندونيسيا والفلبين وسيلان وجنوب الهند وجنوب القارة الافريقية فقد نكبت بالجفاف والقحط . . ونذكر أخيرا البيرو التي تعتمد على صيد الاسماك اعتمادا كبيرا . . فقد فقدت هذه الدولة اللاتينية نصف صيدها في سنة الكوارث . . سنة ١٩٨٣

وانطلق العلماء والمختصون ، علماء الأرصاد الجوية وعلماء المحيطات بخاصة ، انطلقوا يبحثون عن العلة أو العلل التي تسببت بتلك الكوارث وما ترتب عليها من دمار وأضرار . واتجهت أنظار الكثيرين منهم الى السيد المسيح . . . والمقصود هنا ليس المسيح ابن مريم عليه السلام وانما التيار البحري الذي يسميه أهل البيرو (إل نينو) ويعني في الاسبانية (المسيح الطفل) .



ولعل التسمية لائقة في نظر الجغرافيين . . فالتيار المذكور يهب على غير انتظام في النصف الجنوبي من المحيط الهادي . . وينطلق كل أربع أو خمس سنوات في خليج بنما ويتجه جنوبا فيمر بالاكوادور فالبيرو . . . حتى يصل الى ليما عاصمة البيرو في ايام عطلة الميلاد . ولكن التسمية غير لائقة في نظر البيئيين . . فتيار (ال نينو) أبعد مايكون عن

السلام ، ولطالما عاث في البحر فسادا وأحدث في البيئة دمارا في كل مرة ظهر فيها . . نذكر من ذلك ثورته سنة ١٩٧٢ وثورته سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ ، أما ثورته السابقة التي شهدتها سنة ١٨٧٧ ـ ١٨٧٩ التي تسببت بطقس حار في فصل الشتاء في الولايات المتحدة كلها ، واقتحمت الفياضانات المخيفة شواطىء كاليفورنيا . . . فقد ضاهت ثورته الأخيرة ، أو كادت . .

ومهما يكن من أمر ، فان ثورة (إل نينو) في السنة الماضية تميزت بدمار بيئي لم يسبق له مثيل . . . ذلك هو التلف والخراب الذي ألحقه التيار بالشعاب المرجانية . . وبأكبر تجمع لها في الحاجز المرجاني العظيم في مياه استراليا . . فقد فتك بالحيوان المرجاني (البوليب) في تلك الشعاب على أوسع نطاق وبطش بأحيائها المائية دون تمييز . . . فاختل توازنها البيئي وأدى الى مزيد من فتك وبطش غير مباشرين . .

ذلك أن حرارة ماء التيار ، الدافئة أصلا ، ارتفعت ٧ درجات في بعض الجهات حتى بلغت ٨٥ درجة فهرنهيت . . وبلغ هذا الارتفاع في جهات



أخرى (١١) درجة . . وهو رقم قياسي على مدى المائة عام الماضية . . . ويفسر العلماء هذا الارتفاع في حرارة ماء التيار بالتفاوت بين الضغوط الجوية في شرق المحيط الهادي وغربه . . . وبضعف الرياح واشتدادها الى عكس اتجاهها تبعا لذلك . □

الكارثة التي حلت بالقارة الافريقية ، كارثة القحط والمجاعة ، أصبحت معروفة للجميع ، وفي غير حاجة الى مزيد من شرح أو تعليق . . فقد تناولتها شتى الصحف والمجلات وسائر أجهزة الاعلام والوكالات العالمية والمحلية ، بحيث لم يعد من السهل على المرء أن يأتي بجديد يضاف الى ماقيل في هذه الكارثة . .

ولعل أهم مايقال في هذا الصدد متصل بأسباب الكارثة . فالقحط أو الجفاف هو بلا ريب أهم تلك الأسباب . . انه السبب المباشر الذي بلغ من الاستفحال ماجعله أسوأ قحط عرفته القارة طوال ١٠٠ عام . . لاعجب اذن ان غفل الكثيرون عن الأسباب الاخرى للكارثة . . فهي غير مباشرة وأبعد عن الكاميرات ، كاميرات الصحافة والتلفزيون . . الا أنها أسباب هامة للغاية ، وجديرة بالنظر ، لاسيا في باب يتناول شؤون البيئة .

ونعتمد هنا على تقرير البنك العالمي الخاص بالعالم الثالث (صدر في مطلع شهر اكتوبر ١٩٨٤) . ونذكر من تلك الأسباب غير المباشرة التي أوردها التقرير الأزمات الاقتصادية العالمية . . . فقد كانت دول العالم جميعا تعاني من ركود اقتصادي مستفحل طوال السنوات الأخيرة . . وشمل هذا الركود دول العالم جميعا . . دول العالم الأول المتقدمة الغنية . . ودول العالم الثالث النامية الفقيرة . . وعانت هذه الدول الفقيرة ايضا من أزمة الديون المتراكمة ذات الفوائد المتزايدة . . وذلك بالاضافة الى أزمة الركود . . وقد بلغ مجموع ديون السودان على سبيل المثال ٧٠٠٠ مليون دولار ، أي مايعادل ٧ أضعاف مردود حاصلاتها في السنة الماضية . . ولايخفى مايترتب على هاتين الأزمتين من عجز عن تمويل

المشاريع الكبرى ، التي ظهرت مؤخرا في عدد من الدول الافريقية . . . ومن استيراد الاسمدة وما إليها مما تحتاجه زراعة القمح والذرة والشعير . . ومعنى هذا أن القحط الذي حل بالقارة انما أدى الى تفاقم الأحوال السيئة القائمة فيها أصلا . . .

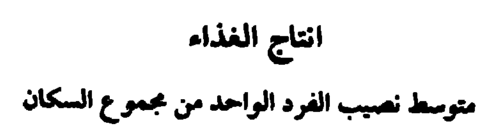
وزاد الطين بلة سوء الادارة . . فقد تكاثر عدد الموظفين حتى في الشركات الزراعية الكبيرة ، دون الأخذ بعين الاعتبار الخسائر الكبيرة التي منيت بها محاصيل تلك الشركات وايراداتها . . وهذا ماحدث فعلا في غانا وفي مجلس الكاكاو الحكومي فيها بالتحديد . .

وقل مثل ذلك في مشاريع الري الكبيرة التي تستهدف إصلاح أراضٍ بكر جديدة . . فقد دلت الاحصاءات على أن الأراضي المروية القديمة التي خسرها الافريقيون بسبب الاهمال وسوء الصيانة . . تفوق من حيث المساحة الأراضي البكر الجديدة التي نجحوا في استصلاحها وريها بواسطة تلك المشاريع الكبيرة . . .

ونذكر من تلك الأسباب غير المباشرة الحروب الطاحنة التي خاضتها الدول الافريقية في عهد الاستقلال . . فقد تكاثرت تلك الحروب وغلبت عليها الاطماع والمصالح الشخصية . . . وذلك على حساب البناء او الاصلاح الذي لاقيمة للاستقلال السياسي من بدونه . .

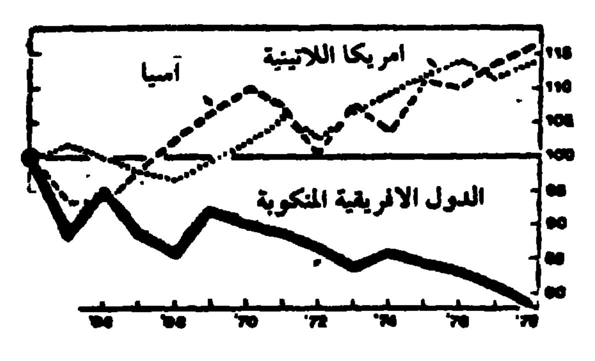
أضف الى ذلك كله الزيادة الكبيرة في عدد السكان . . وقد حطمت القارة الافريقية الأرقام القياسية العالمية كلها . . . وحسبك أن نسبة الزيادة السكانية في زمبابوي . . بلغت ٤٪ أو تزيد . . !

وترتب على تلك الاسباب هبوط كبير ومتواصل



انتاج الغذاء

متوسط نصيب الفرد الواحد من مجموع السكان



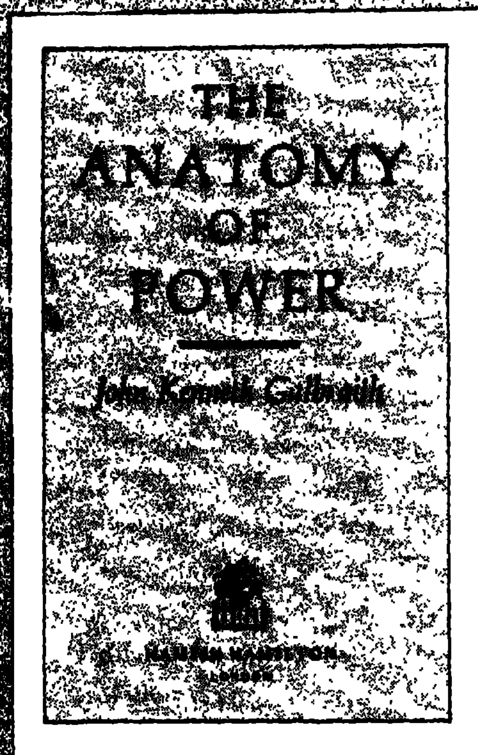
في الدخل القومي . . بما يضمن زيادة عدد الفقراء في القارة ككل . . فقد بلغت نسبة هؤلاء ٦٠٪ من السنة الماضية ١٩٨٣ وستصبح ٨٠٪ في السنوات القليلة القادمة . . .

وترتب عليها أيضا هبوط كبير في نصيب الفرد مما تنتجه القارة من مواد غذائية . . انظر ذلك في الرسم المرفق وقارنه بالزيادة الكبيرة التي طرأت على انتاج المواد الغذائية في القارتين الأخريين . . آسيا وأمريكا اللاتينية . .

لاعجب اذن أن بلغ عدد المهددين بالموت جوعا من الافريقيين ١٥٠ مليون نسمة . . نقول (مهددين) ومعنى ذلك أن انقاذهم مازال ممكنا . . على أن تبذل الجهود لغوثهم فوراً ، وقبل حلول شهر مارس المقبل . . وألاتقل قيمة المعونات عن ٢٠٠٠ مليون دولار سنويا . . وأن تستهدف تلك الجهود مساعدة القارة الافريقية على حل مشاكلها وزيادة انتاجها ومحاصيلها ، فلا تقتصر على تقديم الحسنات والتبرعات اليها . . . □

■ يبدو أن مدينة البندقية التي كانت تغرق في مياه البحر منذ عشرات السنين وتغرق أيضا في جدل بيزنطي حول انقاذها منذ عام ١٩٧٣ . . . يبدو أنها خلصت من غرقها الثاني وبدأت تخلص من غرقها الاول . . .

فقد أقر مجلس النواب في ٤/ ١٠/ ٨٤ مشروعا لانشاء بوابات تقف في وجه الفيضان ، وذلك عند مدخل البحيرة (lagoon) التي تقوم عليها المدينة . وسيكلف هذا المشروع ٣١٠ ملايين دولار ، وتتعاون على تنفيذه مجموعة مؤلفة من ٣١ شركة . . . وسيستغرق العمل فيه ١٠ سنوات على أقل تقدير . . □



المكونات الأساسية للسلطة

تأليف :

جون كينث جالبرث

عرض وتحليل : الدكتور فتحي أمين مجدلاوية

هل كان يمكن للبشرية أن تستمر بدون وجود سلطة بقوانينها ومؤسساتها ؟ قد يكون الجواب بالنفي . . لكن ما هو نوع السلطة الأنسب للناس ؟ وما هي أنواع السلطات وكيف شرّحها الكاتب ؟

كتاب الشهر

نتناول في عرضنا هذا كتابا حديثا وزاخرا بالمعلومات والتعريفات ، حيث انه يتناول السلطة من حيث مكوناتها الأساسية عن طريق التغلغل فيها وسبر غورها . ولا عجب أن يسمى الكتاب « بتشريح السلطة » أو التحليل البنيوي للسلطة . وقد نهج المؤلف البرفسور « جون كينث جالبريث » نهجا جديدا ومخالفا لما اعتاد عليه أقرانه من الكتاب في المجالين الاقتصادي والسياسي وخاصة أولئك الذين تناولوا موضوع القوة السياسية في كتابهم حيث انهم درجوا على الحديث والتعريف الظاهري للقوة بأشكالها الاقتصادية والعسكرية والسياسية والدينية . . . الخ . . ولقد كان هدف أصحاب السلطة من وراء هذا بالطبع محاولة فرض سلطاتهم واذعان الآخرين لأهدافهم الذاتية .

لقد استمد الكتاب أهميته وجديته من مؤلفه « جون كينث جالبريث » John Kenneth Galbraith / ذي الباع الطويل في المجالين الاقتصادي والسياسي ، فهو استاذ الاقتصاد في جامعة هارفارد والرئيس السابق لجمعية الاقتصاديين الامريكيين ، بالاضافة الى عمله السياسي السابق كسفير للولايات المتحدة الامريكية في الهند . هذا وقد انتخب مؤخرا رئيسا للاكاديمية الامريكية للفنون والآداب . فهو دون أدنى شك صاحب القلم العلمي . المتأدب ، وصاحب أكبر المؤلفات الاقتصادية الأمريكية ، ونخص بالذكر كتابه الذي نشر منذ أكثر من ثلاثين عاما (عام ١٩٥٢) حول « الرأسمالية الأمريكية ومفهوم القوة المتوازنة » .

يعتبر الكتاب حديث العهد ، حيث انه نشر لأول مرة عام ١٩٨٣ في أمريكا ، ثم أعيدت طباعته في بريطانيا عام ١٩٨٤ ، بعد التمهيد يبدأ المؤلف بالتعريف بالأساليب الثلاثة التي تستمد السلطة منها نفوذها وسيطرتها ، فاما اسلوب التهديد والوعيد والعقاب ، واما التعويض والتكافؤ أو اسلوب الاقتناع والتصديق . ثم يتناول المؤلف مصادر السلطة وأصولها الثابتة في الشخص والأفراد والمنظمات . وينتقل بعد ذلك للحديث عن ديناميكية القوة والتغيرات المستمرة التي اقترنت بها من حيث الرأسمالية والتنظيم الاقتصادي في المجتمعات المتقدمة ومنشآتها العسكرية . ويختتم المؤلف حديثه عن الوهم الكبير الذي يقع فيه كبار الاقتصاديين والسياسيين والاعلاميين وأساتذة الجامعات عندما يتوهمون بأنهم يمتلكون السلطة لتسخير الأفراد لطاعتهم والتشبع بآرائهم وتلبية رغباتهم وتحقيق أهدافهم .

ولن نتناول في هذا العرض فصول الكتاب جميعا بل سنكتفي بالاشارة الى النقاط الهامة ، وهناك بعض المآخذ عليه ، والتي نسوقها على سبيل المثال لا الحصر ، وخاصة عندما استرسل المؤلف المخضرم في شئون السياسة والاقتصاد - في سرد بعض الأحداث التاريخية لدرجة أن القارىء يجد نفسه فجأة أمام كتاب تاريخي . وموضوع كهذا بطبيعة الحال لايهم القراء المهتمين بالشئون السياسية . هذا بالاضافة الى تعمد المؤلف للتكرار سواء في رأس الموضوع أو المضمون . ولقد كان بالامكان أن يكون الكتاب أكثر فائدة وأصلب عودا وأسهل تناولا لو اقتصر على ثمانية فصول تقع في مائة وخمسين صفحة بعد حذف النوافل البعيدة عن الموضوع .

السلطة وكيفية الوصول اليها :

يسعى الأفراد والجماعات للسلطة عادة اما لتحسين وضعهم المادي أو لنشر معتقداتهم وأفكارهم الدينية والاجتماعية . وتعتبر ممارسة السلطة مرضا لدى الكثير من السياسيين البارزين حيث انهم يضحون بالغالي والنفيس للوصول الى السلطة وممارسة نفوذهم . فعلى سبيل المثال يحاول رجل الأعمال شراء طاعة وولاء العمال لتحقيق مكاسب اقتصادية ومادية . ويحاول رجل الدين اقناع الناس بآرائه ومعتقداته عبر وسائل الاعلام المختلفة ليصبح ذا سلطة ونفوذ . كما يعمل رجل السياسة جاهدا على كسب أصوات الناخبين للحصول على السلطة وتحقيق مكاسب مادية ومعنوية ، وذلك عن طريق اقناعهم بأنه سيكون نصيرا للفقراء والمحتاجين ويسعى لرفاهية المواطن . لقد كان للسلطة وقع خاص في نفوس ممارسيها منذ قديم الأزل ولغاية وقتنا الحاضر ، حيث انها تمنح ممارسها الثقة بالنفس والقوة وذلك من خلال الممارسات اليومية لها مثل شعائر الاحترام والتقدير واعجاب الجماهير ، وكلمات الاستحسان ، والظهور في المآدب والحفلات والسير في المواكب الرسمية والتحية العسكرية . . . الخ . وقد عبر عنها « وليام هازلت » بقوله : « ان حب السلطة هو حبنا لأنفسنا » . وكما قال : « دو جوفنيل » ان للسلطة مظهرين ، فهي ضرورة اجتماعية بالاضافة الى كونها خطرا اجتماعيا » .

السلطة بين الحق والباطل :

ان الفرق بين السلطة المعتدلة والسلطة الطاغية كالفرق بين الثواب والعقاب . فالأولى تسعى جاهدة لكسب الفرد بتقديم مكافأة مجزية وذلك من أجل تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة . أما السلطة الثانية (الطاغية) فانها تقوم بانزال أقصى العقوبة سواء الجسدية منها أو المعنوية وذلك لمنع الفرد من ممارسة أي نشاط شخصي غير مرغوب فيه من قبل السلطة . وبتعبير آخر فان السلطة المعتدلة تحاول جاهدة كسب ولاء الفرد عن طريق التعهد بتقديم العون والمساعدة . أما السلطة الطاغية فانها تحاول اغتصاب ولاء الفرد بالوعيد والتهديد والعقاب . وعليه فان الفرق واضح بين السلطة الطاغية والسلطة المعتدلة حيث تعتبر الثانية ، وخاصة في مواقف المجتمعات الحديثة تجاه أفرادها ، أكثر تحضرا ومحافظة على حرية وكرامة المواطن من السلطة الطاغية ، والتي تحاول ابتزاز المواطن بالتهديد والعقاب الجسدي الدموي .

ان المزج بين السلطتين الطاغية والمعتدلة خلق ما يسمى بالسلطة المتكيفة ، حيث انها تستمد قوتها عن طريق اذعان الأخرين لها والايمان بمبادئها والانصياع لأوامرها ، وذلك عن طريق الاقناع والتعليم . ان السلطة « المتكيفة » ليست وليدة الحاضر بل هي نتاج الماضي السحيق ، وذلك عندما اعتبرت سلطة الرجل على المرأة أساسا للحياة وسنة للكون،فكلمات مثل المحبة والشرف ارتبطت بالرجل بينما ارتبطت كلمات المحبة والطاعة بالمرأة . . ان مفاهيم كهذه بطبيعة الحال تعكس نوع التربية في المنزل والمدرسة والمجتمع وغيرها على المرأة في الأسرة ونوع التربية المطلوب منها القيام بها . ودليل على ذلك أن بعض الدراسات في الجامعات والكليات والمدارس تقتصر على المرأة دون الرجل ، كالتدبير المنزلي والادارة المنزلية وهذا يعود الى العادات والتقاليد وغيرهما .

يتضح مما سبق أن للسلطة المتكيفة جذورا راسخة بحيث انها انتشرت في جميع قطاعات المجتمع سواء المدنية منها أو العسكرية . وهذا ليس غريبا ، حيث أنها تستمد قوتها من قناعة الفرد التامة بأن كل ما يصدر عن السلطة واقعي وصادق ومسلم به . ومثال ذلك الصورة الواضحة للسلطة المتكيفة في المجتمعات الصناعية الحديثة وما يمارس عن طريق فن الدعاية والاعلان لمحاولة اقناع المشتري بأهداف ورغبات البائع ، وذلك بطريقة غير مباشرة وبنفس الطريقة التي تتبعها وسائل الاعلام المختلفة من تلفاز واذاعة وصحافة بتوصيل رسالة أو معلومة ما للمشاهدين والمستمعين والقراء دون المجاهرة بها . ولعل السبب الرئيسي للخلافات المستمرة التي تقع بين رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية ، وبين التلفاز والصحافة والاذاعة هو الصراع بين متطلبات وسائل الاعلام من جهة ورغبات الرؤساء من جهة أخرى .

كتاب الشهر

وللسلطة المتكيفة دور بارز في مجال التعليم . فالمدارس في جميع أنحاء العالم تعمل على غرس مبادىء الوطنية لدى الطلبة عن طريق تحية العلم في طابور الصباح وحفظ وترديد بعض الهتافات والأناشيد الوطنية . وهذا بدوره ذو أهمية كبرى لدعم أهداف السلطة وتعزيز دورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ويساعد على خلق الروح الوطنية لدى الشباب ، ويدعوهم للانخراط في الخدمة العسكرية للدفاع عن الوطن وحمايته .

مصادر السلطة :

أولا : الشخصية

ان الحديث عن أنواع السلطة لابد أن يصحبه الحديث عن الوسائل المختلفة لتنفيذ وممارسة السلطة كالشخصية والملكية والتنظيم . فعلى سبيل المثال نجد أن التنظيم مرتبط تماما بالسلطة المتكيفة . والملكية مرتبطة بالسلطة المعتدلة . أما بالنسبة للشخصية فجذورها راسخة قوية بالسلطة الطاغية منذ قديم الزمان . لقد ارتبطت الشخصية بالقوة الجسدية . فنجد مثلا أن رئيس القبيلة في السابق كان يمتاز بضخامة الجسم بحيث يستطيع أن يوقع العقوبة الجسدية على الخارجين عن ارادته . وللأسف الشديد مازال هذا المفهوم سائدا في وقتنا الحاضر وخاصة بين الشباب . حيث نجد أن الفتى ضخم الجثة يتزعم من الفتيان من هم أصغر منه حجما . ان الارتباط الكبير بين السلطة الطاغية والشخصية يؤثر في سلوك الفرد . ولقد شهد التاريخ أبطالا عظاما سخروا أجسامهم الضخمة لممارسة سلطاتهم ، أمثال هرقل وبيتر العظيم وغيرهما . وهذه ليست قاعدة ثابتة بالطبع ، حيث ان العديد من الشخصيات التاريخية والدينية المرموقة على مر العصور سيطرت وسادت بذكائها وحكمتها والتزامها بمبادئها وليس بضخامة أجسامها أمثال أرسطو وأفلاطون وكارل ماركس وغاندي . . . الخ . هذا وقد غايرت المجتمعات الحديثة ما كان سائدا في الماضي ، وأصبح الارتباط قويا بين السلطة المتكيفة والشخصية بمعناها المعنوي ، لا بين السلطة الطاغية والشخصية بمعناها الجسدي . فالشخصية القوية تحاول كسب ولاء الآخرين عن طريق الاقناع والقيادة الحكيمة ، وهذه بدورها تتطلب رجاحة العقل والدقة في اتخاذ القرارات ، والأمانة والصدق ، وروح الدعابة والفكاهة ، كما تتطلب أيضا الوقار والرزانة وحسن التعبير والتحدث بلغة فصيحة وأسلوب مقنع بليغ . ومع هذا فهنالك نزعة مبالغ فيها في المحافل الدولية السياسية لدور الشخصية في ممارسة السلطة . ولا عجب في ذلك أن هنالك عدة عناصر تضافرت لتسبب مثل هذا الخطأ الشائع ، مثال على ذلك الخلفية التاريخية للقائد ، الغرور ،والتملق ، والتصنع في أحاديثه ومقابلاته واجتماعاته .

وللتنظيم دور ايجابي وفعال في تكوين وتعزيز الشخصية . فعلى سبيل المثال يسعى رجل السياسة جاهدا للحصول على مركز مرموق في الحكومة . كما يحاول رئيس العمال تكوين اتحاد قوي ، بينما يعمل رجل الأعمال جاهدا لتأسيس مشروع ضخم ، أما رجل الدين فانه يتطلع الى رئاسة الكنيسة .

ثانيا : الملكية

تعتبر الملكية من أكثر مصادر السلطة وضوحا حيث انها تعطي صاحبها قوة لا مثيل لها عن طريق شراء ولاء وأصوات الآخرين . إن العلاقة وثيقة وقوية ومباشرة بين الملكية والسلطة المعتدلة لدرجة أنها اعتبرت في الماضي كلا متكاملا . فالاشتراكية على سبيل المثال تعتبرها المصدر الوحيد للسلطة ، أما الشيوعية فيمكن تلخيص نظريتها في عبارة « الغاء الملكية الخاصة » ، هذا وقد تناول الكاتب الأميركي « أدولف بيرلي » موضوع الملكية وعلاقتها بالسلطة في الولايات المتحدة الأمريكية بافاضة حين قال في كتابه (السلطة بدون ملكية) : « ان من وصل الى السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية هم الاداريون والتنظيمات المختلفة وليس أصحاب رؤ وس الأموال الحقيقيين » . وهذا بدوره مخالف لما كان عليه الوضع في نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن ، حيث ان صاحب رؤ وس الأموال هو الاقطاعي والمسيطر الوحيد على دقة الأمور . فكل ما يقوله أو يفعله أو يؤمن به الرجل الثري يفعله الآخرون ويؤمنون به كحقيقة واقعة دون جدال أو نقاش . وباختصار شديد فإن الملكية لم تصبح ذات أهمية كبرى كمصدر للسلطة . حيث أن السلطة المعتدلة تستطيع أن تكسب ولاء وجهد وثقة الملايين من العمال والمسئولين عن أكبر المؤسسات الاقتصادية والصناعية . ومع ذلك فلا نستطيع أن نتجاهل الدور الرئيسي الذي تلعبه الملكية في السلطة بالرغم من استسلامها لتنظيمات والمنظمات المختلفة .

ثالثا : التنظيم

لقد أصبح للمنظمات في وقتنا الحاضر أهمية كبرى فاقت في مستواها وتأثيرها كلا من الشخصية والملكية ، بل باتت المصدر الأساسي للسلطة كما عبر عنها بعض الخبراء والأساتذة السياسيين . لقد عُرف التنظيم بأنه مجموعة من الأشخاص أو المجموعات تتحد من أجل هدف أو عمل معين . ويهدف المشاركون في التنظيم الى كسب ولاء الآخرين وضمهم اليهم . وبهذا يكون الهدف مزدوجا داخليا وخارجيا . وبالتالي فإن الجيش يعتبر تنظيما حيث ان افراده يدينون بالولاء للدولة من جهة ، ويدافعون عن وطنهم من المعتدين والطامعين والغازين من جهة أخرى . وعليه يمكن اعتبار الأحزاب السياسية الأميركية والمؤسسات والحكومة تنظيمات ، حيث ان لكل منها أهدافا داخلية وخارجية مع الفارق في نوع الهدف ودرجته . بالاضافة الى ذلك هنالك ثلاث خصائص أخرى للتنظيم . أولها التناسق الشكلي المزدوج للتنظيم حيث انه يكسب ولاء الناس لأغراضه وأهدافه من الداخل والخارج . ثانيا ، ان قوة التنظيم تعتمد أساسا على مدى اتحاده مع المصادر الأخرى للسلطة من جهة والوصول الى وسائل وطرق التنفيذ من جهة أخرى . وأخيرا هنالك ارتباط قوي بين سلطة التنظيم وتعدد وتباعد أهدافه . فكلما اقتربت بعض الأهداف من بعضها الآخر قوي وتعزز التنظيم ، وعلى العكس من ذلك فكلما تباعدت الأهداف ضعف وتراخى وفقد ثقة وولاء الناس له .

السلطة : طبيعتها والقوى المحركة لها :

للسلطة وجهان مختلفان باختلاف وجهي العملة متوازنان بتوازن المجتمعات الحديثة يحمل الوجه الأول صورة ممارسي السلطة ويحمل الثاني صورة معارضيها . ان عدم الرضا عن بعض الممارسات الخاطئة للسلطة لا يعني بأي حال من الأحوال معارضتها ومواجهتها مجاهرة ، بل على العكس من ذلك فلابد من اتباع أساليب منطقية كبيان فسادها أو عدم شرعيتها ودستوريتها أو طغيانها من أجل الوصول الى حلها وابدالها بسلطة أخرى . فاذا كانت سلطة الحكومة قوية فاسدة فمن المستحسن أن نعمل على اضعافها ونحد من قوتها وجبروتها ونخفف من تدخلها .

ان مبدأ التماثل بين مصادر السلطة والاستجابات ذو جذور قديمة وخاصة في مجال العمل والعلاقات العمالية . وقد لوحظ هذا التماثل أيضا أثناء الحرب العالمية الثانية حين كانت المواجهة شخصية ومتماثلة بين أدولف هتلر من جهة وكل من تشرشل وروزفلت وستالين وديغول من جهة أخرى . وقد تكرر هذا التماثل في وقتنا الحاضر وخاصة في مجال تصنيع الأسلحة الذرية حيث ان تصنيع وتطوير الأسلحة

كتاب الشهر

للدرية من قبل قوة عظمى يواجه عادة بعمل مشابه من قبل قوة عظمى أخرى ، وهذا النوع من التساوي يسمى بالتماثل المشؤوم ، أو غير المرغوب فيه انسانيا .

مما سبق يتضح لنا أن هنالك قاعدة ثابتة للتساوي بين مصادر السلطة ووسائل التنفيذ المختلفة ، وقد عبر عنها الحكماء والفقهاء بالعديد من الحكم نسوق منها على سبيل المثال : « لا يفل الحديد الا الحديد » ، « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » ، « من يعش بالسيف لا يمت الا بالسيف » ، « العين بالعين والسن بالسن ومن قتل يقتل » . . . الخ .

الرأسمالية : قديمها وحديثها :

ان الحديث عن الرأسمالية يشد الى الفترة التي عاشتها أوروبا خاصة في القرن السادس عشر حيث لعبت الكنيسة دورا فعالا في ادارة سلطة الدولة وذلك مقابل أموال وأملاك تجنيها من الاقطاعيين وأصحاب رؤوس الأموال . وهذا بحد ذاته نوع خاص من السلطة المشروطة بحيث تشترط طاعة الناس للكنيسة والايمان بمعتقداتها الدينية والدنيوية . لقد شهدت الفترة ما بين القرن السادس عشر وبداية الثورة الصناعية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهور ما يسمى بالدولة القومية (دولة مؤلفة من قومية واحدة لا من قوميات متعددة) وخاصة في انجلترا وفرنسا ، مما أدى إلى ظهور ما يسمى بطبقة التجار والرأسمالية التجارية . وعليه فقد حدث تغيير في مفاهيم السلطة من حيث مصادرها والوسائل المتبعة في تنفيذها ، وخاصة بعد أن انتقلت السلطة من يد الكنيسة الى طبقة التجار ، وأصبح رأس المال وليس الأرض هو المصدر الرئيسي للسلطة . ونتيجة لذلك ضعف دور الشخصية الاقطاعية وحل محلها طبقة التجار . ولم يستمر الوضع طويلا ، فالرأسمالية التجارية ، التي وصلت الى أوجها في القرن الثامن عشر ، ما لبثت أن انهارت أمام الزحف الواسع الانتشار للثورة الصناعية ، وظهور الرأسمالية الصناعية والتي أحدثت تغييرا كبيرا في مصادر السلطة ووسائل تنفيذها ، باستثناء الملكية ، والتي احتفظت بمكانتها كمصدر رئيسي للسلطة ، وأصبح للمقاول دور بارز في المجال الاقتصادي ، حيث كان حلقة الوصل بين المنتج والمستهلك .

وخلاصة القول أن الرأسمالية الصناعية تدين بالكثير لمصادر السلطة الثلاثة : الملكية من حيث المصنع والآلات ورأس المال ، والتنظيم من حيث ارتباط العمال بالمصنع ، وأخيرا الشخصية الملتزمة . أما بالنسبة لوسائل التنفيذ فقد انهارت السلطة الطاغية أمام السلطة المعتدلة ، وأصبح للعامل حق يأخذه مقابل عمل ما . فكلما كثر العمل زاد الأجر ، والعكس صحيح .

عصر التنظيم :

لقد شهد العصر الحديث تغييرا كبيرا في مصادر السلطة وخاصة الصناعية منها . فقد اختفى العديد من الشخصيات البارزة المهيمنة على السلطة ، وأخذت مكانها مجموعات ادارية منظمة . وقد ظهر تأثير هذه المجموعات في العديد من المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وعليه فقد أصبح الانتقال المستمر للسلطة من يد الملاك الى يد المدراء - من الملكية الى التنظيم - السمة المميزة للتطور الصناعي منذ القرن الثامن عشر حتى وقتنا الحاضر .

ان الفرقة التي ظهرت بين أصحاب رؤوس

أ موال وخاصة عندما آلت الملكية الى ورثة غير قادرين على تصريف الأمور وادارة المؤسسات الصناعية بعد آبائهم وأجدادهم من ناحية ، والمهمات الصناعية التي أصبحت أكثر تعقيدا عما كانت عليه سابقا ، نتيجة لظهور التقنيات الصناعية الحديثة ، واتساع المؤسسات الصناعية كماً وكيفا ، وأصبحت الحاجة ماسة الى ادارة متخصصة ومهارات في تسويق المنتجات من جهة أخرى ساعد على انهيار الملكية (الرأسمالية) أمام جبروت الادارة البارعة . بالاضافة الى ذلك فقد بات للتنظيم والادارة أعمق الأثر على كل من المنافسة والاحتكار ، حيث أن الهدف الأساسي لكل المؤسسات الصناعية الكبرى ، واتحادات العمال والمزارعين والتجار ومنظمة الدول المصدرة للبترول هو العمل على ازالة ما يسمى بمنافسة الأسعار بحيث يبقى السعر موحدا وثابتا دون وجود بديل آخر . . وهذا بطبيعة الحال ما آل اليه الوضع في وقتنا الحاضر . حيث أصبحت الأسعار خاضعة لسلطة الجميع وليس حكرا على فرد أو مؤسسة فردية . وبهذا يكون التنظيم قد نجح في تجنب ما يسمى باتجاهات الحد من السلطة ومعارضتها .

السلطة العسكرية :

لقد حظيت المؤسسات العسكرية في جميع أنحاء العالم بنصيب الأسد من حيث استغلالها لمصادر السلطة الثلاثة : الملكية (كمصدر مالي) والتنظيم والشخصية وخاصة أيام الحرب . وقد ساعدت هذه المصادر السلطة العسكرية كثيرا ، وخاصة التنظيم حيث عن طريقه تمت السيطرة التامة على مجريات الأمور والمعلومات العسكرية السرية من خلال ما يسمى بالمخابرات العسكرية . . ان الاسلوب الذي اتبعته السلطة العسكرية الاميركية قد نجح كثيرا في دول صناعية متقدمة أخرى كالاتحاد السوفيتي وبعض دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية . وقد وجد بالدراسة والتمحيص أن من بين المائة والأربع والثلاثين(١٣٤) دولة مستقلة في العالم يوجد مالا يقل عن أربع وثلاثين (٣٤) دولة تحكمها الدكتاتورية العسكرية التي اتخذت من مصادر السلطة جميعها ووسائلها (عقاب وجزاء وتكافؤ) أسلوبا لتنفيذ أغراضها والحكم في البلاد . وعليه فقد ظهرت بعض الشخصيات العسكرية والجيوش الضعيفة منها والمكروهة لممارسة السلطة وتطبيق القوانين العسكرية ، المنافية للأخلاق والمبادىء والمثل الانسانية ، وكانت النتيجة أن السلطة العسكرية أصبحت تهدد أمن المواطن وتعيق تقدم الديمقراطية في العالم أجمع .

السلطة بين الدين والصحافة :

لقد أدى ضعف مصادر ووسائل السلطة الدينية في وقتنا الحاضر الى عزوف الناس عن ممارسة شعائرهم الدينية اليومية باستثناء البعض الذين يقومون بأداء المناسك الدينية الروتينية أيام الآحاد في مناسباتهم الشخصية كالزواج والطلاق والوفاة والتعميد الخ .

ان الشخصية القيادية الدينية مازالت متمثلة في بعض رجال الدين المعاصرين ولكن ليست بنفس القوة التي كان عليها أسلافهم من القساوسة والرهبان ورجال الدين . وعليه فقد انهارت أملاك الكنيسة كمصدر للسلطة بشكل أكبر . أما بالنسبة للتنظيم الديني المسيحي فقد تلاشى تماما في ظل التصدعات التي حدثت في الكنيسة المسيحية . فالتنظيم الديني الداخلي القوى الذي كانت عليه المسيحية في عهد الكنيسة الكاثوليكية قد انهار ، واتخذ أشكالا متعددة ومتنوعة . يعزي المؤلف هذا التصدع والانهيار في الكنيسة الى عدة أسباب أهمها : أن الكنيسة المسيحية عندما تقارن بالدين الاسلامي ذي الجذور الراسخة والنفوذ القوي والانتشار الواسع فانها تبدو في حالة يرثى لها ولن تقوم لها قائمة بعد الآن وخاصة أن الدين الاسلامي بالمقارنة يزداد انتشارا ويتعزز موقفه في كل لحظة .

هذا وقد صاحب النزاعات في مصادر السلطة اختلاف في وسائل التنفيذ أيضا بحيث اختفى ما يسمى بالعقاب واستخدامه كاسلوب تهديد في الآخرة ، كما اختفت أيضا السلطة التعويضية (شراء امتثال وخضوع الناس للكنيسة) في مقابل ذلك أصبح للسلطة المشروطة حتى في كسب ولاء الناس الديني .

أما الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة فانها تستمد

كتاب الشهر

قوتها من خلال التكيف الاجتماعي والتنظيم ان المعلومات التي تبث الى العامة عبر الاذاعة والتلفاز في وقتنا الحاضر انما تصدر ضمن تنظيم معين وليست محتكرة من قبل فرد معين أو شخصية بارزة كما كان يحصل في الماضي .

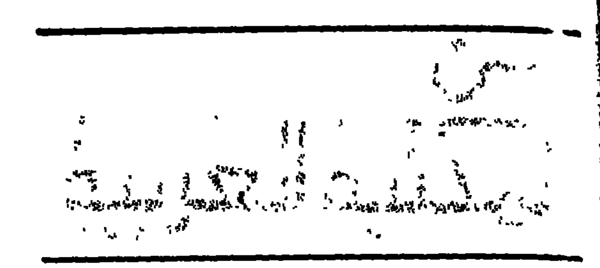
لقد كانت الصحافة في الماضي تمثل وجهة نظر معينة ، وتعتبر وسيلة للاقناع وليست وسيلة للمعارضة ، وخاصة لبعض الشخصيات البارزة . أما في وقتنا الحاضر فان مشاهدة التلفاز أو الاستماع للاذاعة أو قراءة الصحيفة اليومية لدليل واضح على حرية الصحافة ووسائل الاعلام . بالاضافة الى ذلك فانها تعتبر مرجعا لدى البعض للاستشهاد به وأمرا مسلماً به بالنسبة لآخرين . فكثيرا ما نسمع أقوالا مثل : « هذا ما قرأته في الصحيفة » أو « شاهدت موضوع كذا في التلفاز » كما أن العديد من الخطب السياسية والدينية تستشهد بعبارات مقتبسة أصلا مما يسمع بالاذاعة أو يشاهد بالتلفاز أو يقرأ بالصحف . ومع ذلك ، فمن الخطورة بمكان المبالغة في دور وسائل الاعلام المختلفة وقدرتها على السيطرة بما تتبعه من أساليب تجذب الرأي العام وتسلب اللب وخاصة أن ما كان يعتبر نجاحا للصحافة والاذاعة والتلفاز ومفروضا على القراء والمستمعين أصبح الآن يأخذ شكل الاقناع والحيلة .

وللصحافة دور بارز في اضفاء الراحة النفسية وتخفيف آلام العامة من الاحباطات السياسية التي يشهدونها بين الفينة والأخرى ، وذلك بالسماح لهم بكتابة رسائل ومقالات في الصحف والترحيب بهم في مقابلات تلفزيونية واذاعية . وأخيرا ، لا يستطيع أحد أن ينكر ما لوسائل الاعلام المختلفة من دور ايجابي وفعال في عملية التنظيم والتكيف الاجتماعي كعنصرين أساسيين للسلطة .

كلمة أخيرة :

بالمقارنة مع العصر الحديث فإن موضوع السلطه والنفوذ في العصور الوسطى كان مقتصرا على الملوك والامراء والأباطرة والكهنة . أما بالنسبة للمواطن بشكل عام فكان ولاؤه طبيعيا بل وراثيا للسلطة إذا صح التعبير ، فلم يكن أي فرد يتخيل أن يكون سلطة أو نفوذا في يوم من الأيام باستثناء سلطة الرجل على زوجته والأب على أبنائه الصغار . وقد استمر هذا الوضع الى ما بعد ظهور الرأسمالية ، حيث انتقلت السلطة من يد الحكومة الى الكنيسة بمساهمة التاجر وصاحب المصنع كمصدر تمويلي لرأس المال . أما العامل فلم يتميز وضعه بل استمر على ما كان عليه سابقا ، حيث انه سخر جزءا من حياته لخدمة وطاعة أوامر سيده ، والجزء الآخر لخدمة الدولة . ولكن وضعا كهذا لم يستمر طويلا ، وخاصة عندما بدأت التنظيمات الكبرى في عهد الثورة الصناعية تسيطر على الانتاج وتهيمن على الأنشطة الاقتصادية والتجارية ، وأصبحت تمتلك ثلثي انتاج الولايات المتحدة ونفس النسبة تقريبا في دول صناعية أخرى . هذا بطبيعة الحال يختلف عما كان عليه الوضع في السابق ، وخاصة في بداية عهد الرأسمالية التجارية حيث سيطرت القوة العسكرية على عناصر ووسائل السلطة المختلفة .

خلاصة القول أن السلطة (القوة) تعتبر من المواضيع الملحة والهامة في وقتنا الحاضر ، لا لكونها تمارس بفعالية أكثر من الماضي بل لأن الناس أصبحوا أكثر وعيا وتفهما لطرق وأساليب ممارستها وحقيقة أمرها . وعليه فقد أصبحت الواقعية الحديثة (الواقع الاجتماعي الحاضر) عبارة عن مزج متجانس من التنظيمات الكبرى ذات القوة والنفوذ ، ومساهمة فعالة من الأفراد . □



الرجـــل المناسبْ

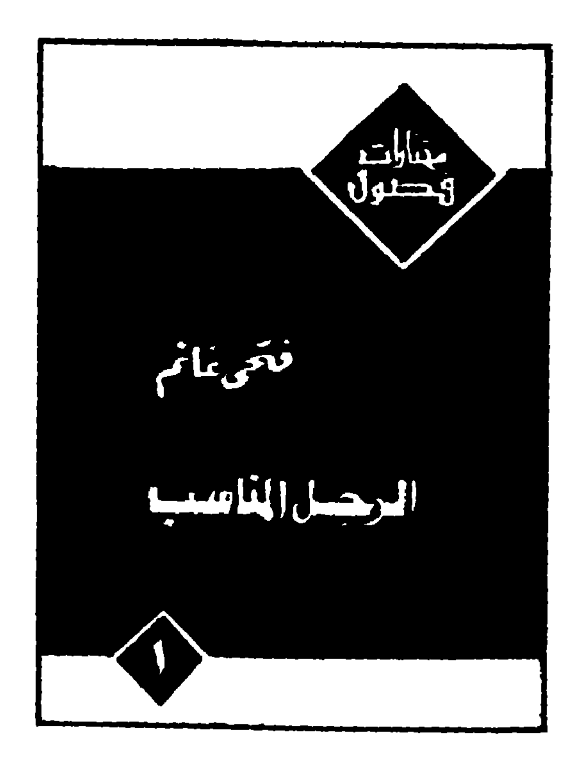
بقلم : فاروق خورشيد

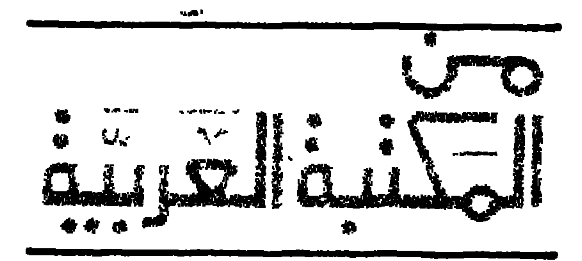
ثبتت سلسلة « مختارات فصول » القصصية أقدامها لأكثر من عام الآن،وقد جاءت هـذه السلسلة أستجابة طبيعية لعاملين : الأول هو تطلع المجتمـع الثقافي الى عـودة النبض والحياة الى أقـلام المبدعين على مختلف أجيالهم . . والثاني هو سد ثغرة واضحـة في مجال نشـر القصص والأعمال الـروائية بحيث خلا الميدان الا من حكايات التلفـزيون التي شغلت الناس وملأت الفـراغ الذي ظهـر باختفـاء السلاسل الروائية والقصصيـة واحجام معـظم دور النشر عن المغامرة باصدارها بشكل منتظم .

وقد كشفت الأعمال القصصية التي قدمت بهذه السلسلة حتى الآن عن استمرار المواهب القديمة في ابداعها بنفس التفـوق القديم ، وعن ظهـور أقلام حجبت في السبعينيات أو ابتعدت بنفسها عن مجالات النشر وبهذا أتاحت السلسلة فرصـة جديـدة لتعرف القارىء الجديد على الكُتاب القدماء وكذلك أتاحت الفرصة لأقـلام شابـة جديـدة ، ولعلها أيضـا تتيح الفرصة الى عودةالنبض الى حياتنا النقدية التى ستجد في المنشور من هذه السلسلة المنتظمة أكثر من مجال للرأى والمتابعة . والمـدهش أن ما صـدر من أعمال روائية يكشف النماذج المريضة في حقبة السبعينيات ، ومظهر الـدهشة هنـا أن السياج الـذى أحاط بهـذه الشخصيات طوال السبعينيات من الرقابة الصـارمة وحجب تناولها سقط بسقوط الحقبة كلها .

من كتب السلسلة

(الرجل المناسب) . هو عنوان أول كتاب في هذه السلسلة للكـاتب القصـاص الـذى أثـرى أواخــر الخمسينيات وأوائل الستينيـات بأعمـاله : الاستـاذ فتحى غانم . الذى توارى انتاجه في السبعينيات ، ولم يعد أحد يعرفه الا من خلال ما قدمه له التليفزيون من اعداد لاعماله القديمة التى رصدت رؤ ى نقدية لمجتمعه وما يحدث فيه من تغييرات تحت ظل الثورة التى تجتاحه وتغير كيانه وتجدث فيه من السلبيات قدر ما تحدث فيه من الايجابيات . . وبنفس هذه العين الناقدة تقدم لنا هذه المجموعة رؤ يا نقدية عالية القيمة





من الناحية الفنية لمجتمع السبعينيات ونماذجه البشرية التي سادت وجه الحياة أو سودته . . والمجموعة تضم ست قصص ، وفي كل قصة نموذج رئيسي تدور حوله الأحداث ، وتتحرك حوله باقي الشخصيات . وتسير خمسة منها على نفس النمط الفني في السرد ، بينما تنفرد القصة السادسة بنمط فني مغاير خاص بها . . فاذا نحن استثنينا قصة (الموت على طريقة فلفل) سنجد أن الشخصية المحورية في كل قصة من القصص الباقية تعرض لنا من الداخل ، اما عن طريق حديث الشخصية مباشرة عن نفسها ، واما بمزج هذا الحديث بتدخل مباشر من الراوي الذي يحكي عن الشخصية محاولا أيضا أن يكون هذا الحديث من الداخل . .

ونحن في أول قصص هذه المجموعة ، أمام شخصية أستاذ الفلسفة : الدكتور برهان جيل الذي صعد السلم من أوله ، فهو حفيد حلاق ، الا أنه وصل الى كل منابر النشر ، وفرض أسمه من حقبة الى حقبة ، فهو الأن قد جاوز الخمسين ، أي أنه استطاع أن يظل على السطح مع كل المتغيرات ، ليعد نفسه الأن لتولى منصب الوزارة . وهو أعزب لا يريد أن يتزوج حتى لا يعوق هذا طموحه . . وواضح أنه يعيش في داخله ، وأنه كوّن قوقعة ضخمة كمن داخلها ، محيطا نفسه بكل الاسلحة التي توصله الى القمة،فهو يعطي للناس نظريات الحياة التي يرتاحون اليها ، ويكرر الحديث عن مكارم الأخلاق ونساء مدنية الغرب القائمة على الانحلال . وكل هذا يجدي،أذ تأتيه الوزارة (تجرجر أذيالها) . . وهو عنوان هذه القصة . . التي تكشف أعماق هذه الشخصية المتسلقة النفعية المنغلقة على ذاتها . . والتي تكذب على المجتمع بما يرضيه ليرفعها المجتمع الى القمة فيه . . والنموذج مع هذا مريض ، فان الطموح الزائد قد عرضه للنوبات القلبية المتتالية ، فهو يعيش على المقويات والأدوية ، ويخفي مرضه تحت شعار القوة والصلابة الكاذبة . .

ونحن في القصة الثانية (الرجل المناسب) أمام . نموذج عرفناه في السبعينيات كل المعرفه . . نموذج المدير الفهلوي الذي يجمع السلطة كلها في يده ، ويدبر أموره بالرشوة ويحقق للشركة أرباحاً وهمية ، بينما هو غارق في صفقات مشبوهة ، وهو يغطي كل هذا بالملق للرئيس والوزير ، والملق لابناء الرئيس والوزير . هو معطر أنيق لبق ، وهذه أسلحة كافية ، وهو يعرف كيف يكون خدوما وموجودا في كل وقت لاداء الخدمات الصغيرة ، أما مسألة القواعد والأسس فهي شيء مكروه لا معنى له عنده . . فيكفي أن الشركة تربح في الظاهر وعلى الأوراق ، أما الدمار الذي يتم في وجود الشركة نفسه فهذا لا يهم . .

في القصة الثالثة (قضت المحكمة باحالة الأوراق الى المفتي) شخصية المستشار يوسف منصور الذي عاش حياة سوية كانسان وقاض يتحرج دائما من الحكم على متهم بالاعدام ، الى أن يتزوج فتاة تصغره ، فتغرقه في نزواتها ، وتبرز له عجزه الذي يتجسد له في أحلامه في شخصية العجيزي التي تؤرقه ، وعند مرحلة ما يتم الشرخ في الشخصية ، ويصدر حكمه الأول بالاعدام كتنفيس نفسي عن احساسه بالعجز ، وتصبح أحكامه دائما في قضاياه هي احالة الأوراق الى المفتي ، وقد نزعت مأساته الشخصية من نفسه كل معنى العدل أو الرحمة . .

في القصة الرابعة (بيروت يا عزيزتي . . هي بيروت) . . نحن أمام المستشار عبد الله الامير الذي بلغ الثالثة والستين من عمره ويعمل مستشارا في

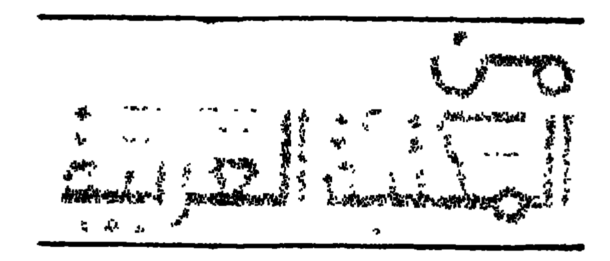
البلاد العربية حيث يكسب شهريا الاف الدنانير ، وهو ثرى وناجح ورب أسرة كبيرة ، ولكنه يعيش مراهقته الثانية بكل عنف ، فهو غارق فى ذاته وفى أحلامه الجنسية التى تدفعه الى الذهاب الى بيروت بحثا عن تحقيق حلمه الكبير . . والكاتب يشكك فى عراقة أصله اذ أن أباه تزوج عدة زيجات ، واحدة منهن كانت من خادمة ، ومن يدرى ربما كان هو ابن هذه الزوجة بالذات . . وحين يصل الى بيروت وهى تحت النيران يرفض أن يعترف بما تعانيه المدينة من عذاب ، وماله هو وكل هذا العبث ؟ هو ثرى على قمة الثراء ، وهو لا يرى في بيروت الا لياليها ومعاناتها ، أما الصراع حول الارض والوطن وخلافه ، فهذه مسائل لاعلاقة له بها . . هو يتجه من لحظة وصوله الى الفندق الى البار ليجمع حوله كل الفتيات البائسات المذعورات فى ليلة من ليالى هارون الرشيد ، وفى الصباح يرحل عن بيروت وهو لم ير منها الا الفتيات والبار ، ويصحب معه واحدة تريد أن تعود بأى ثمن الى بلدها ، وهى لا شك كانت خادمة فى أحد بيوت القاهرة قبل أن ترحل الى بيروت بحثا عن المال . . الشخصية هنا أيضا لا ترى الا ذاتها ولا تحس بقضية عامة ، ولا بمشكلة ما . . المهم هو أن تكون (بيروت يا عزيزتى هى بيروت) . .



فى قصة (تأملات كاتب مشهور فى أخر أيامه) يعرض لنا نموذج الصحفى المتسلق الى القمة فى السبعينيات ، وقد بلغ أخر مراحل العمر ، ومع هذا فهو يركع يقبل قدمى صحفية صغيرة يدفع لها ثمن جسدها « ريبورتاجات » صحفية يكتبها لها وتنشرها باسمها . وقد وصل هو الى مكان الصدارة لانه يأخذ موقفا ثابتا ضد الادباء وأصحاب الرأى،ويهمس بسمومه الى الوزراء والمسئولين ليطهروا الحياة الثقافية منهم ، ويزرع فى القراء التفائل الكاذب ، والتخدير المستمر بالاحلام الوردية وهو يقول : « إننا فى حاجة الى تطهير جونا الثقافى من هذه الأوبئة الأدبية والصحفية ، نتخلص من كل تلك الاتجاهات اليسارية التى تختفى وراءها عمالة سافرة أو مقنعة للشيوعية والأممية الدولية ، نتخلص من كل الكُتاب الانتهاريين والمنافقين الذين يبيعون أقلامهم لدولارات البترول وغير البترول،نتخلص من الكتاب الدين عاشوا على الحقد والارهاب خلال السنوات التى مضت وعانى فيها الشعب من افظع الوان البطش والطغيان . نتخلص من الكتاب المرضى الذين سقطوا فى براثن المرض وعجزوا عن التصدى له ، فانعكس اليأس فى كتاباتهم وتسربت المرارةالى أقلامهم » . . النموذج هنا صورة ممن تحدثنا عنهم من أصحاب النفوذ فى مجالات النشر والمهيمنين على مجال الاعلام فى هذه الحقبة ، نموذج منغلق أيضا على ذاته ، ولا يرى الا هذه الذات المتضخمة فيقول:« لا شك أنه من سوء حظ هذه الأمة أن تكون عقيمة من الكتاب الكبار والمفكرين الاحرار ، قليلون حدا ، بل هم أندر من النادر ، بل لعله لا يوجد كاتب واحد مشهور له قيمته وتأثيره غيرى أنا » . .

الكاتب يحاول فى كل هذه النماذج أن يعرض منطقها هى فى تسلقها الى القمة ، وفى الحرص على هذه القمة ، فى احساسها بالأنا ، ويحقق هذه الأنا وحدها فى الحياة والوجود ، وفى نسيانها للقضايا العامة ، أو تغيير المنظور الى هذه القضايا لتناسب موقفها هى . . وهذه النماذج التى ملأت وجه الحياة فى القاهرة ، هى نماذج حقبة الصمت والظلام . .

بقيت القصة السادسة التى تركتها حتى الآن وهى بعنوان (الموت على طريقة فلفل) وهى أحسن أعمال المجموعة من الناحيةالفنية ، وهى صوت متميز يجمع



بين النموذج التشيكوفي في (فلفل) والنموذج المتسلق في (صحاب البويك) . . وفلفل سايس في جراج عمارة في الاسكندرية ، عجوز تأكله الامراض ، ويعيش في جو مخدر وكسول ، وملىء بأحلام اليقظة ، ولكنه عالمه هو الذي ينسجه من وهمه وخدره على السواء ، فهو صديق المغنيين الكبار والفنانين العظام ، وهو يقود السيارات النادرة الفارهة بأقصى سرعة ، لا يفوقه أحد في قيادته ومهارته . . ولكنه لا يخشى الا البيك صاحب البويك الذي يسكن في العمارة ، والذي يرفض أن تقف أي سيارة في المكان المخصص لسيارته هو ، وهو يتجنب غضبة صاحب البويك بأن يحكي له عن أمجاده في القيادة ، وذات يوم يجيء له من يعرض عليه قيادة سيارة كبيرة بسرعة مخيفة ليخرج بها من الجمرك بمهارته التي حكى عنها ،

ويقبل فلفل ليحقق في الواقع مارسمه في الخيال ، ويقود السيارة المشبوهة التي يحس أن صاحبها المهرب هو نفسه صاحب البويك ، ولا يبالي فلفل بأعتراض رجال الشرطة لطريقه فيندفع بالسيارة عابرا حواجزهم التي أقاموها عند البوابات ، ثم تنقلب به السيارة ليموت . .

الكادح هنا حالم يعيش وهمه وخدره ، وقصصا ينشئها في أحلام يقظته ، والبيك الكبير هنا مهرب عريق لا يهمه قانون ولا قاعدة . . وقد نجح فتحي غانم في هذه القصة في أن يدخل (فلفل) السابق الى دنيا النماذج القصصية والروائية العالمية ، فقد رسمت الشخصية بمهارة وعناية ، وجاءت فاجعة ختامه نتيجة لفاجعة ضياعه في حياته نفسها . .

أما البيك فهو نفس النموذج المنغلق على ذاته ، والمسيطر على ارادة الحياة والموت ، الذي تكرر في قصص المجموعة كلها . .

والكتاب كله صورة تعكس أدب فتحي غانم الذي يتميز بالتمكن من الحرفية القصصية والقدرة على اتقان الحبكة في نفس الوقت الذي يغوص فيها قلم الكاتب الى أعماق النموذج القصصي الذي يقدمه ليكشف عن مواطن الضعف الذي هو مرض يتأصل داخل هذه الشخصية فتقتنع بذاتها وسلوكياتها ولا ترى العالم الا من خلال هذا التركيب المرضي . فتنعزل عن هموم الآخرين بل تكون هي مسببا لهذه الهموم وجزءاً فعالا من عوامل الهدم في كيان المجتمع كله .

وفتحي غانم كاتب متمكن من لغته وحواره فيضيف بهذه القدرة اللغوية عنصرا ثالثا يدفع به وبقصصه الى الصفوف الأولى في انتاجنا القصصي العربي المعاصر . □

فلسفة الحياة !

يقول جون ارسكين في كتابه (الحياة الكاملة) : (لقد اكتشف الانسان أن العناية بالحدائق هي من عمل الفلاسفة . . فإصلاح الأرض ونثر البذور وتسوية التربة تجعل من الرجل فيلسوفا ، فهي وقفة تأمل يرقب من خلالها مولد الحياة ونموها . . .

مختارات

مجلس التعاون لدول الخليج العربية

رؤية مستقبلية

الكاتب : د . يحيى حلمي رجب .
الناشر : مكتبة دار العروبة - الكويت .
سنة النشر : ١٩٨٣م
عدد الصفحات : ٥٢٩ صفحة من القطع المتوسط .

المعروف أن مجلس التعاون لدول الخليج العربي قد تم انشاؤه سنة ١٩٨١ وعقدت قمته الخامسة في نهاية شهر نوفمبر - تشرين الثاني من العام الماضي في دولة الكويت .

وقد تطرق المؤلف الى دراسة الوضع القانوني والسياسي والاقتصادي لهذا المجلس ، وبين الروابط التاريخية التي تجمع بين أقطاره ، والاعتبارات الجغرافية التي تساعد على توفير عوامل التعاون والوحدة ، وتابع المراحل والتطورات التاريخية التي تعاقبت على المنطقة ، وبيّن مراحل انشاء المجلس ونظامه القانوني ، ثم تطرق الى الأخطار المحدقة بأمن الخليج ووضعه ، ضمن الاستراتيجيات الدولية ، وربط هذا الأمن بالأمن العربي القومي الأشمل ، ثم تطرق الى أهمية التعاون الاقتصادي والمشروعات الاقتصادية ، التي تمت اقامتها بين اقطار المجلس ، وآفاق هذا التعاون ، ثم ضمن الكتاب الوثائق الخاصة بالمجلس ، والتي تتناول نظامه الداخلي والاتفاقية الاقتصادية ، واتفاقية مؤسسة الخليج للاستثمار وغيرها من وثائق .

الانسان الآلي

- الحاسب الآلي

-كوكب الارض

ترجمة رؤوف وصفي - مراجعة : د . عبدالله عمر الفرا .
الناشر : مؤسسة الكويت للتقدم العلمي - الكويت .
سنة النشر ١٩٨٤م

ضمن سلسلة المكتبة العلمية أصدرت المؤسسة ثلاثة كتب هي :

الأول : يتناول معلومات تتعلق بالانسان الآلي ، وتتضمن نظرة عامة الى (الروبوت) وتطوره ، وما نسجه خيال الأدباء حوله ، وتفصيل عمله ، وما يمكن أن يقدمه من مساعدة في الصناعة والفضاء ومجالات أخرى .

الثاني : يتعلق بالحاسب الآلي وتاريخ استعمالاته وتطوره ، وما يمكن أن يقدمه من مساعدات في مجالات الحياة المختلفة .

الثالث : يتعلق بكوكب الأرض ووضعه في الفضاء ،

مختارات

وتكوينه الصخري ، والهواء المحيط به ، وما يحتويه من محيطات وبحار وأنهار ، وكذلك ما اعترى هـذا الكوكب من تغيرات خلال ملايين السنين .

وقد أرفق كل كتاب بالصور الملونة الخاصة به ، وكانت الصورة هنا مادة ايضاحية مهمة ، لها اهميتها مثلما كان للكلام أهميته .

هذا وقد خلت السلسلة من أسماء المصادر التي استندت اليها الترجمة ، وخلت أيضا من أسماء المؤلفين الأصليين .



العنصرية الصهيونية في التوراة

الكاتب : أحمد السقاف .

الناشر : شركة الربيعان للنشر ـ الكويت .

سنة النشر : ١٩٨٤م .

عدد الصفحات : ١٢٨ صفحة من القطع الصغير .

هناك اعتقاد راسخ عند الكثيرين بأن التوراة المتداولة هي توراة ادخل عليها أحبار اليهود الكثير من أفكارهم ، ووجهوها الوجهة التي يريدون خاصة بعد الأسر البابلي .

والكتاب الذي بين أيدينا يناقش ويفند الكثير من المزاعم التي جاءت في التوراة .

يقول الكاتب : (وليس من الصعب أن يجد المتتبع لتاريخ اليهود أنهم حاولوا أن يستفيدوا شيئا من حضارة الأقوام الذين احتكوا بها في مصر وفلسطين والعراق ، بعد أن عاشوا بدوا بكل ما تحمل لفظة البداوة من تخلف . ولقد شعروا بهذا النقص فلجأوا الى الخيال المريض ، وثرثروا بما لا يصدقه العقل ويظهر من التأمل في حياة هؤلاء القوم أن احتقـ الشعوب لهم قد أزال من قلوبهم الرحمة ، فهم ؛ حروبهم ينطلقون كالذئاب المريضة يفتكون بالرجا والنساء والاطفال والعجزة باسم الهُهم (يهوه) هذ الاله الذي اختاروه إلها خاصا بهم ، واختارهم كـ يقولون شعبا مقدسا بين جميع الشعوب).

النصب والذئاب

قصتان طويلتان

الكاتب : فاسيل بيكوف ـ ترجمة : خيري الضامن .

الناشر : دار رادوغا ـ موسكو .

سنة النشر : ١٩٨٤ .

عدد الصفحات : ٢٤٧ من الحجم الصغير .

يقول الكاتب فاسيل بيكوف في احدى المقابلات التي اجريت معه مؤخرا : (لن تسلم من الشر اذا غضضت نظرك عنه فقط) .

وفي معرض اجابته عن استمراره في الكتابة عن أجواء الحرب وأهوالها حتى الآن أجاب :

(انا أتحدث عن الحرب لانني أكرهها وأكره كل ما له علاقة بها . وليس لي الحق في أن الزم الصمت عما عايشته ورأيته ، ما دام السلاح لم ينقرض من على وجه الارض ،وما دام الراغبون في استخدامه موجودين).

اذن وبالرغم من مضي عشرات السنين على آخر حرب عالمية ، فان بيكوف مازال يكتب عن ويلاتها ، والنصب والذئاب"القصتان اللتان يحتويهما الكتاب تنقلان أجواء الحرب ، وتغوصان في نفسيات المحاربين ، وتسجلان لبطولات دحر الفاشية والنازية .

يقول ناشر الكتاب عن مؤلفات بيكوف :

(مؤلفاته تستهدف الحاضر والمستقبل ، فتذكرنا عبر كل صورة وجملة بما ينبغي أن يكون عليه الانسان ، وبالقيم والسجايا التي يتحلى بها ، وبحقه في السعادة ، وتذكرنا بالمبادىء الاخلاقية التي يجب أن يتمسك بها في كل الملابسات والظروف).



مهرجان دمشق للفنون المسرحية

بقلم : وليد أبو بكر

تعتبر العودة الى مهرجان دمشق للفنون المسرحية في حد ذاتها حدثا ايجابيا ، لأن هذا المهرجان استطاع (خلال دوراته الثماني السابقة التي كانت الأخيرة منها عام ١٩٧٩) أن يساهم في تنشيط الحركة المسرحية العربية الى حد كبير .

■ مهرجان دمشق التاسع للفنون المسرحية أراد أن يعيد الى الحركة المسرحية نشاطها ، رغم بعض المعوقات التي أثرت على دوره ، والتي يقف على رأسها غياب عدد من المسرحيين العرب ، والفِرَق المسرحية العربية ، ومع ذلك ، كان عدد العروض المسرحية أكثر من أية دورة سابقة ، اذ قدم خلال المهرجان أكثر من عشرين عرضا ، قدمت تسع دول عربية منها أحد عشر عرضا ، وتكفلت المسارح السورية بالعروض الباقية .

ورغم كثافة هذه العروض ، سمح تنظيمها بنشاط كامل للمشاركين في المهرجان يتجه في ثلاثة ممرات : حضور العروض مساء ، ومناقشتها في صباح اليوم التالي ، والمشاركة في ندوة المهرجان الرئيسية حول وسائل الاتصال الحديثة وعلاقتها بالمسرح في الثلاثة أيام الأخيرة من أيام المهرجان .

وبالطبع كانت العروض هي المادة الرئيسية في المهرجان ، وقد شاركت في تقديم هذه العروض كل من : دولة الامارات العربية المتحدة ،دولة قطر ،

ذلك ، فقد كان المخرج مدركا لأهمية ربط التراث الذي يقدمه (في العرضين) بالعصر ، ولأهمية مشاركة الصالة في العرض ، وقد نجح في هاتين المهمتين تماما ، وقدم عرضين جميلين شكلا ، ناضجين مضمونا ، يحملان بصماته الواضحة كمخرج متمكن ، يطوع النص لأسلوبه ، فيبدو عرضا جديدا .

وهذا الاتجاه في سيادة المخرج للعمل واضح في عدد من العروض التي شهدها المهرجان ، خاصة في عروض المخرجين المعروفين مثل الطيب الصديقي المغربي ، وروجيه عساف اللبناني . كما أبرز المهرجان قدرات اخراجية جديدة تشارك فيه لأول مرة ، كان على رأسها التونسيان : المنجي بن ابراهيم وعبدالغني بن طارة ، والثاني منهما كان اخراجه لمسرحية (اسمع ياعبد السميع) بليغا جدا ، ومدهشا . فالمسرحية التي يمثلها رجل وامرأة في حوار بينهما أو في مونولوج طويل في بعض المشاهد ، هذه المسرحية ـ الذهنية النص ـ استطاعت بالاخراج أن تتحول الى عرض جمالي متماسك ، يشد الجمهور كل الوقت ، لأن الأدوات المسرحية فيها استطاعت أن تملأ فراغ المسرح وكادت أن تتحول الى شخوص من خلال توظيفها في العرض ، كما أن المخرج استطاع أن يملأ فضاء المسرح كله لاخشبته وحسب ـ من خلال احساس كلي بالمشهد . وهذا النجاح في الاخراج خدم النص الذهني ، الذي يقدم مشاهد درامية جيدة في بعض أجزائه ، ويتحول الى تلاعب لفظي باللغة في بعضها الآخر ، لكنه خلال العرض بدا متماسكا ، لان الاخراج استطاع أن يعوض كل نقص فيه ، فأثبت ـ مرة أخرى ـ من خلال التحكم في أداء الممثلين وتوظيف قطع الديكور ، والحيل المسرحية ، أن المخرج الجيد يستطيع أن يوقع العرض المسرحي باسمه وبابداعه ، وحتى حين يحاول المخرج أن يقدم عملا جماعيا ، فان لمساته لاتستطيع أن تغيب ، فالعمل الجماعي الذي قدمته فرقة مسرح الحكواتي اللبنانية بعنوان (أيام الخيام) كان واضحا أنه بحث مسرحي في الواقع ، شارك أفراد الفرقة كلهم في الوصول الى صيغته النهائية كنص وكعرض ، ولكن هذه الصيغة مرت ـ دون شك ـ بين يدي مخرج العرض روجيه عساف لتصبح قادرة على الوصول الى الناس ببساطة متناهية ، وليصبح الناس جزءا من هذا العرض ، لا على مستوى التفاعل وحسب ، وانما على مستوى المشاركة أيضا ، مما يؤكد نجاح العرض ، رغم صعوبته الأصلية كمسرح تسجيلي بالدرجة الاولى يروي حقائق عن الجنوب اللبناني ، ويدعو الناس لفهمها والمشاركة في خلق حقائق جديدة .

وفرقة الحكواتي تقدم نموذجا من نماذج التعامل من التراث . لقد اختارت الشكل لتضع في اطاره مادة معاصرة ، بينما اختارت بعض العروض الاخرى مادة تراثية ، ووضعتها في شكل مسرحي أقرب الى المعاصرة ، كما استطاعت عروض أخرى أن تضع المادة التراثية في شكل مسرحي تراثي ، وأن تقدمه الى الناس بفهم معاصر للتراث فبدت في العرض ـ وكأنها تحكي لهم عما يعيشونه وبذلك حققت قمة النجاح في العرض المسرحي .

عن الامتاع والمؤانسة

وهذا هو بالضبط ماحققه الطيب الصديقي في عرضه الامتاع والمؤانسة مؤلفا وممثلا ومخرجا ، ليكون هذا المسرح المغربي الكبير نموذجا صحيحا لرجل المسرح أو للمسرح الشامل .

الطيب الصديقي أخذ كتاب (الامتاع والمؤانسة) لأبي حيان التوحيدي وأخذ مصير أبي حيان ، كمرتكزين أساسيين لاعادة قراءة التراث الفكري العربي بوعي ، من خلال قارىء معاصر هضم هذا التراث ، وفهم الفكر المعاصر أيضا ، وهو في عرضه المتكامل نصا ، وأداء واخراجا ، ومضامين، يحاول أن يعيد لرموز التراث العربي ـ في الفكر ـ رد اعتبارهم الذي فقدوه عندما اتهموا بالزندقة ، وطال رقابهم سيف الجلاد . انه من خلال النظر في فكر التوحيدي ، وابن المقفع ، واخوان الصفا ، وغيرهم ، يرد الاعتبار كاملا لحرية الفكر ، ويدين اضطهاد المفكرين الأحرار ، ويعتبره سببا اساسيا في (سقوط الحضارة) وهو لايفعل ذلك بالحوار وحده ، ولكن بأدائه الذي يملأ أذن المشاهد وعينه وعقله ، وبأسلوبه الاخراجي الذي يملأ وقت العرض ،

ومساحته ، وجمالية تشكيلية وصوتية وفكرية ايضا ، خاصة وأنه يملك القدرة على « المفاجأة الاخراجية الجديدة » في كل مشهد ، ويبتكر حيلا اخراجية تؤكد طاقته الابداعية ، لافي التجميل وحسب ، وانما في تطويع التشكيل للتعبير عن المضمون ، كاضافة لما يقوله الحوار ، حتى يبدو المسرح عنده عرضا شاملا ، بكل تفاصيله ، التي تبدو مهمة لديه كأجزاء ، ومهمة أيضا وهي تندرج في الكل ، حتى يصبح مسرحه قادرا على مخاطبة كل المستويات التي تشاهده بما فيها الاجنبي الذي استجاب لهذا العرض في باريس .

ان اهمية الصديقي ، كرجل مسرح أنه يخلق التوازن كاملا بين كل مقومات العرض ، وهذا أمر يغيب عن بعض المسرحيين ، حين يهتمون بالنص على حساب الاخراج ، أوحين يقدمون اخراجا يفوق طاقة النص . في الاتجاه الاول كان عرض (المهرج) الذي بدا مخرجه وكأنه خائف من النص . وفي الاتجاه الثاني كان عرض (أنا الحادثة) الذي بذل فيه مخرجه جهدا أكبر مما يحتمله النص .

الرواية . . مسرحية

عرض (أنا الحادثة) يفتح الباب أمام ظاهرة مسرحية جديدة ، شهدتها الدورة التاسعة لمهرجان دمشق للفنون ، وهي ظاهرة تحويل الرواية العربية الى عمل مسرحي . وقد شهد المهرجان عرضين في هذا المجال ، العرض الاول عرض اليمن الديمقراطية ، وقد حمل اسم (نجران تحت الصفر) وهو اسم رواية الأديب الفلسطيني المعروف يحيى يخلف الذي أعد النص المسرحي عنها . أما العرض الثاني فكان عن رواية (ملف الحادثة ٦٧) للأديب الكويتي المعروف اسماعيل فهد اسماعيل .

(نجران تحت الصفر) احتاجت الى اعداد كامل قام به محمد الشاعر فاختار عددا من الشخصيات الرئيسية في الرواية ، وأعاد بناء أحداثها في نص مسرحي ، وقد حمل الاعداد الكثير من احداث الرواية ومضامينها ، وان كان سريعا في عرض التحول الذي أصاب بعض الشخصيات ، سلبا وايجابا ، خاصة شخصية (أبو شنان) التي تقاوم ، ثم يغريها التعاون مع العدو ، ثم تصحو فجأة لتعود الى المقاومة . أما على مستوى العرض ، فقد كان أضعف من النص بمراحل ، فتحول الى مايشبه عرض الهواة ، تمثيلا واخراجا . وبسبب تفاوت الأداء بين الممثلين ، اختلطت بعض الشخصيات ، واتضح بعضها على حساب الآخر ، وكان ذلك كله في غير صالح (الأم سمية) التي تعتبر الشخصية المركزية في الرواية وفي النص المسرحي ، ولكن أهميتها انحسرت في العرض بسبب ضعف الأداء ـ الحركي واللغوي ـ لصالح (ابو شنان) . لقد قدم المخرج جميل محفوظ عرضا متواضعا جدا بالنسبة لأهمية الرواية ، وهو الأمر الذي حدث نقيضه تماما في العرض المسرحي ـ الروائي الثاني ـ فرواية اسماعيل فهد اسماعيل رواية شخصية واحدة ، هي شخصية المتهم ظلما الذي يتعرض لكل وسائل التعذيب الجسدية والنفسية الحديثة حتى يعترف بجريمة لم يرتكبها ، وهي رواية حوارية في معظمها ، تتابع الأحداث النفسية للمتهم البريء متابعة دقيقة وعميقة ، حتى ترصد التحولات التي تقوده الى الاعتراف ، لتوحي بأن النظم التي تضطهد لاتستطيع أن تحقق نصرا ، ولتشير الى ان هذه النظم تبحث عن ضحية بريئة تحملها مسؤولية الهزيمة التي كانت وراءها .

المنجي بن ابراهيم لم يتصرف كثيرا بالرواية وهو يعدها للمسرح الوطني التونسي ، لقد الغى التاريخ الذي يربطها بهزيمة ١٩٦٧ ، واكد على شخصية بطلها المتهم البريء كفلسطيني يطارده الاضطهاد في منفاه . وحين قدم العرض ـ كمخرج ـ اختار ادوات مسرحية كثيرة وتقنيات عالية ، جعلت النص يصبح بسيطا أمامها ، فخلقت نوعا من الانفعال بين النص والعرض . واذا كان الاخراج المسرحي الحديث ، وبعض التشكيلات الرائعة ، قد حظيا بالاعجاب ، خاصة تلك التشكيلات التي استخدمت فيها الحبال ، والأكياس في وظائف متعددة ، فان هذا العرض للقوة الاخراجية كان على حساب النص ، كما كان سببا في تكرار المشاهد ، خاصة التعذيب .



ـ من مسرحية الامتاع والمؤانسة ـ المغرب

ـ من مسرحية الرجل الذي صار كلبا ـ الامارات العربية المتحدة



ـ من مسرحية نجران تحت الصفر ـ اليمن الديمقراطية



ـ من مسرحية رحلة العطش ـ المغرب

وقد استخدم المخرج أدواته اكثر من استخدامه لنصه ، وحين خرج النص من الادوات ـ صوت الاذاعة مثلا ـ تحول العرض الى الاشراق ، بينما لم يستطع أداء الممثل أن يصل الى الجمهور في زحمة ماحوله مما يخطف الانتباه في الوقت الذي وصل فيه أداء الممثلة ـ الزوجة ، الأم ـ بوضوح أكثر لأنها تجيء وقت هدوء الحركات الاخراجية .

ومع ذلك استطاع المتابع أن يلاحظ مدرسة الاداء الهادئة التي يتمتع بها الممثل التونسي عموما ، وهي مدرسة بعيدة عن التشنج أو تمثيل التمثيل ، وقد اتضح ذلك في العرضين التونسيين ، كما اتضح ايضا في عرض المغرب (مسرح الناس ـ الطيب الصديقي) وفي العرض الفردي الذي قدمه المغربي عبد الحق الزروالي في (رحلة العطش) كتابة وتمثيلا واخراجا ، ليبرز ظاهرة أخرى في اطار المهرجان ، هي ظاهرة المسرح الفردي وليحاول أن يؤكدها كظاهرة دائمة في المسرح العربي لاكظاهرة تجريبية .

واذا كان المسرح العربي قد شهد عدة محاولات في المسرح الفردي (المونودراما) ، فان تجربة الزروالي التي يصر عليها لاتوحي بأنه يتقدم ، فقد كان عرضه السابق (جنائزية الأعراس) أفضل من عرضه الأخير الذي يقدم من خلاله استطلاعا مسرحيا لواقع المجتمع العربي في بلدان عديدة من الوطن ، لكن « زياراته » لهذا المجتمع تبقى خارجية غير قادرة على الغوص في العمق ، حتى وان استطاع نصه أن يقدم بعض المفارقات الناجحة واللمحات الشاعرية .

الظواهر الاربع

ان الظواهر الأساسية التي نجح المهرجان في تأكيدها أربع ظواهر :قدرته على غرس الحماس في مسارح جديدة لتقدم عروضا مضيئة ، وقدرة بعض التجارب المسرحية على الاستفادة من التراث العربي شكلا ومضمونا ، وابرازه للطاقات الابداعية لعدد من المخرجين ، واخيرا فتحه لباب جديد يساهم في حل أزمة النص المسرحي العربي من خلال تحويل الروايات الناجحة الى نصوص مسرحية .

وفي كل هذا مايكفل لمهرجان دمشق للفنون المسرحية نجاحا يضاف الى المسرح . □

قصة قصيرة



المحطة التالية للصبر!

بقلم : محمد الشاذلي

الكلام معناه الموت ، واخراج حرف واحد من فمه كفيل باخراجه من الدنيا . غير مسموح له بأكثر من الصراخ والتأوهات ، حتى تضليل المحققين ليس له أن يمارسه . فمجرد المحاولة قد توقعه في المحظور . وحتى لا يتهم بادعاء البكم فله أن يجيب بـ « لا أعرف » وهو حر تماما في استخدامها ونطقها بأي طريقة يراها مناسبة ، ولمزيد من الحرية المسموح بها له أن يتبع « لا أعرف » هذه أو يسبقها بأي عدد من الأيمان الغليظة .

صوت وقع أقدام تأتي من بعيد فينتبه . أصبح منذ أن استقر في هذه الغرفة المظلمة يعتمد على أذنيه . اقترب الصوت مشيعا احساسا بالرهبة . وبخبرة الأيام القليلة الماضية عرف أنهما اثنان فقط . ثبتت الأقدام أمام زنزانته فانسحب وهو لا يزال جالسا حتى التصق ظهره بالجدار . فتح الباب فانتشر الضوء بغتة ، فرفع ابراهيم ذراعه الأيمن يحجب الضوء عن عينيه .

وامتد ظلان ابتلعا المساحة المضاءة ، عدا خيط من الضوء تسلل عبر الثغرة بين جسديهما ، ويسقط فوق رأسه مباشرة . . . وجد في النهوض السلام ، فوقف وظهره لم يفارق الجدار ، وذراعه بعد مرفوعة لتجنب الضوء . ولاتقاء دفعة مباغتة تحرك يسارا لبعض السنتيمترات ، وفتح عينيه بصعوبة ، وشاهد الرجلين ، توأم في التجهم والعبوس والنظرات النارية وفي تفاصيل الجسم ، أما القوة فهي مباراة بين جميع الأشقاء هنا . . . . . .

دفعاه أمامهما في الممر الضيق المترع بالأبواب الموصدة ، وعزفت الأحذية في ارتطامها بأرضية الممر الحديدية لحنا مرعبا . لا ينبس أي الرجلين بحرف ، ويخطوان بآلية رتيبة ، وما من صوت غير هذا اللحن الجنائزي . اجتازوا منعطفا أسلمهم لممر أعرض نسبيا واضاءته أشد . يسير ابراهيم مشدودا ، رافعا رأسه وباسطا ظهره ومبرزا صدره للامام ، تحسبا لضربة من الخلف ، وأعد نفسه ، هكذا كان قد عزم ، مع أول ضوء يصافحه أن ينظر لمواضع جروحه ، فخشي اشارتها ، واكتفى بتحسسها بيديه ، فلم يزد ما يعلمه عنها عما عرفه وهو في غرفته المعتمة . ثم التوقف للحظات أمام بوابتين متتابعتين ، وأفضى الممر لصالة واسعة بها حركة وحياة . تمثل الصالة شبه الدائرية مصبا آخر ـ لممرات

ثلاثة ـ غير الذي عبروه . أمسك أحدهما بذراعه فتوقف ، وسبقه الأخر بخطوة واسعة ، ودق برشاقة على باب خشبي مواجه للممر الذي خرج منه ، ثم مد يده وفتح الباب وأدى التحية العسكرية ، ودخل مغلقا الباب وراءه ولم تسمح الثواني التي تغيبها لابراهيم بالقاء نظرة على المكان . خرج الجندي بظهره ثم استدار ورمق ابراهيم بازدراء وأمره بالدخول . وبخطوة واحدة وجد نفسه داخل حجرة واسعة فيها دفء منزلي . وأحدث اغلاق الباب صوتا فالتفت خلفه تلقائيا ، تركاه . . وينتظرانه حتما في الخارج .

وتطلع الى وجه المحقق الذي أوصاهم به خيرا في المرة السابقة وانقبض قلبه . . ودعاه للجلوس ، فنظر ناحية الضابط الذي يقف بجوار النافذة ، أدار الضابط خدا حليقا وهز رأسه علامة الموافقة ، وعاد ينظر عبر النافذة الى فناء السجن .

جلس ابراهيم في مواجهة المحقق مباشرة ، حيث لا سبيل الى تفادي نظراته الفاحصة ، تسرع ضربات قلبه ، ويجاهد في تهدئة أنفاسه المنبهرة . يسأله المحقق :

ـ يبدو أنك لم تنم جيدا . .

ـ نعم .

ـ جو السجن لا يناسب من هم في مثل عودك . .

لا يرد ابراهيم ، الود يسبق العاصفة ، هكذا تلقى الاسئلة هنا ، وازداد قناعة بأن الأمر كله يتوقف على صبره وقدرته على الاحتمال . ـ يستطرد المحقق :

ـ خاصة الحبس الانفرادي . . . .

ـ نعم . .

ـ طالما الأمر كذلك ، فلماذا لا نتفق ؟

ـ قلت لسيادتك لا أعرف شيئا وليس لي صلة بأحد . .

استدار الضابط وتقدم نحوه ، فتوجس ابراهيم وفزع بنظراته الى المحقق مستنجدا ، فرفع المحقق يده مشيرا الى الضابط بالتوقف فامتثل في غيظ ، وعاد الى مكانه بجوار النافذة ، فقال المحقق بهمس ودود :

ـ ما رأيك في حل وسط ؟!

لَفَّتْ ابراهيم موجة من الأسى العارم ، مرة أخرى « حل وسط » لقد سيق الى هنا بسببه . ارتبط بهؤلاء الأوغاد لأنه ارتضى حلا وسطا ، قاده بدوره الى حل وسط آخر . . وهكذا ، حتى تورط . وأصبح من المحتم عليه أن يتكيف مع الوضع الجديد ، فقادته رغبته في التكيف الى الخضوع التام الذي أوصله الى هنا . . .

أضاف المحقق في نبرة مشجعة :

ـ لن أطلب منك أن تكون شاهدا في القضية ، ولن أسجل كلامك في المحضر . سأحتفظ بكل ما تقوله في الذاكرة ثم أفرج عنك وأحفظ التحقيق ، وبالتالي لا يشك فيك أصدقاؤك ، وبعد عام ، أقسم لك ـ ليس قبل عام بأكمله ـ سوف نلقي القبض على أحدهم ثم نأتي بهم تباعا وأنت معهم درءا للشك ، واثناء التحقيق نفرج عنك لعدم كفاية الأدلة . وبذلك لا ينالك أذى فسوف تكون في نظرهم مراوغا بارعا . لأن الجميع سيكونون واثقين من أن الذي اعترف هو الذي قبضنا عليه هذه المرة . . .

لم يرد ابراهيم ، فقال المحقق بلطف :

ـ أريد اجابة الآن . . تفضل يا أخ ابراهيم . . .

ـ قلت لسيادتك لا أعرف . . .

صرخ المحقق في وجهه قائلا :

ـ لا . . . لن أحقق معك العمر كله . . . تكلم .

نهض ابراهيم عند وقوف المحقق ، واقترب الضابط متجهما ، فقال له المحقق :

ـ انتظر الآن يا حضرة الضابط . . .

ثم وجه حديثه لابراهيم الذي زاغت عيناه بينهما :

ـ ما الذي تريده بالضبط ؟ هل يمنحونك وساما ؟ . لن تخرج من هنا أبدا الا اذا عاونتني .

وعاد الى اللهجة الودودة المخلوطة بتحذير خفي :

ـ ينعمون الآن بالحياة والحرية وترغب أنت في قضاء بقية عمرك هنا . الحل الذي عرضته عليك لم يعرض على أحد في التاريخ ، صدقني . . أجب تريحني وتستريح وننتهي من الأمر .

قبض بيده اليمنى على الهواء ثم بسطها ومسح بها نصف وجهه السفلي ومررها على عنقه كالمخنوق . عند هذا الحد ينبغي له أن يصمد أكثر . فهذه الكلمات التي تخاطب النفس هي الجسر المفضي الى الاعتراف . نظر الى المحقق فلمح مشروع ابتسامة على شفتيه ، ثم نظر الى الضابط المتظاهر باللامبالاة ،

ثم عاد الى وجه المحقق ، فاستند الرجل بمرفقيه على المكتب متخذا هيئة وسطا بين الوقوف والجلوس . ولكن ابراهيم عاد وأطرق في وجوم ، خبط المحقق المكتب بعنف ، ونهض ودار في الحجرة دورتين ، خلف المقعد الذي يجلس عليه ابراهيم ، ثم تقدم وواجهه ، وقال في ثقة :

- لابد ان تعرف انك سوف تعترف في يوم ما ، والمسألة مسألة وقت وهو في صالحي ، أما أنت فالوقت ليس في صالحك أبدا .

ثم خاطب الضابط :

- يكفي هذا اليوم .

تقدم الضابط من المكتب وضغط على زر مثبت به ، وسريعا ما حضر الرجلان ، ووصل الى أذنيه وهما يقودانه الى زنزانته صوت الضابط واضحا وعاليا ، كأن الخطاب له هو :

- تأكد سيادتك ، سيتكلم في المرة القادمة . أعرف كيف أجعله يصرخ بكل ما عنده .

في تلك الأيام التي كانت تشبه بعضها تاق لأيام لا تنسى ، نشد نهارا يختلف ، ولكن ليس الى هذا الحد . . يبدأ الألم دائما بعد انصرافهم من حجرته ، ولكنه ممزوج باحساس غريب بالراحة . في الفترة الزمنية التي يتقاذفون فيها جسده تلح عليه رغبة في التخيل وفي الانصراف بذهنه الى عالم الرؤى والاحلام الذي يعرف تضاريسه ، ربما أكثر من غيره ، والأمر اليوم كان أسهل من المرة السابقة رغم قسوتها المتزايدة ، وعليه أن يتقدم أكثر في المرات القادمة ، عليه أن يكون في عالم آخر غير عالمهم ، عليه أن يحلق بعيدا عن جسده المطلوب ، حتى لا يبدو له التسليم بالهزيمة كأمر لا مفر منه .

لم يعد في جسده مكان يتحمل تحسسه ، ندت عنه صرخة متهالكة وهو يعتدل بجسده ، ويستند برأسه على الجدار ، يريحه ترديد الآهات الضعيفة المنغمة . فتح عينيه وأدارهما في طبقات الظلام المخيمة على الزنزانة الضيقة ، لم يفقد حريته هنا ، وقت طويل عاشه مسلوب الارادة ، لقد وضعها في يد أولئك الأوغاد عندما قبل العمل معهم وفق طقوس بدت له مدهشة ، وتثأر الحياة لنفسها ممن يريد امتلاكها بالزيف ، اعتصره الندم وضغط جفنيه بأسى فانفرط عقدان من الدمع فوق وجنتين ملتهبتين . . وأجهش بالبكاء . . لم ينعم الا ثواني معدودة بهذه الحالة ، فقد انتبه الى أقدامهم تتوقف أمام زنزانته ، وصوت مفتاح حاد يعمل بالباب ، فانتفض وهز رأسه وتساءل في مرارة عن المحطة التالية للصبر . . .

***

تلتصق ذقن ابراهيم بصدره أو تكاد ، وتتلاشى المسافة بين الحاجبين ، وعيناه تحفران أرض الحجرة ، وبين الحين والحين يختلس النظر الى يدي المحقق اللتين تحمل احداهما سيجارة مشتعلة ، والثانية تدق بنظام على المكتب المعدني الذي يفصلهما ، وبين كل دقة والتي تليها يموت ويصحو . . الاضاءة مركزة بقوة على دائرة وسط المكتبة ، والمشهد كله معبأ بدوائر الدخان . . .

وتذكر أنه رأى ذلك من قبل ، في أحد الأفلام الأمريكية القديمة ، التي لم يتحمل فيها البطل فوشى بالآخرين الذين جاء ردهم أسرع مما يتوقع ، فقد



حطموا المنزل فوق جثث أطفاله ، واغتصبوا زوجته ، وهربوا الى ولاية أخرى . أشعل المحقق سيجارة ثانية ، وطغى الدخان على مساحة الضوء ، ولم يعد هناك شيء محدد الملامح . وبعد زمن جاء صوت المحقق وسط الدخان الكثيف :

ـ ليس لدينا وقت نضيعه ، سوف تتكلم اليوم بأية وسيلة ، تفضل ، انها فرصتك الأخيرة .

فترات التحقيق أوقات راحة تجدد صبره ، ومع الوقت سوف يخرج من هنا وتكون مجرد ذكرى ، والماضي لن يكون له لكمات تفسد الأسنان مثل الحاضر المؤلم . . شعر بحائط بشري يصطف خلفه فجأة ، فاقشعر بدنه وقاوم الرغبة في الاستدارة ، ورفع عينين متوسلتين الى المحقق ، وأيقن الكارثة القادمة عندما رد المحقق بعينين متوسلتين أيضا . فحدث نفسه : « لم يضرب من قبل أمام المحقق » . وخاب ظنه اذ جذبته مجموعة من الأيادي الغليظة من فوق الكرسي ، وسحبته الى أحد الأركان شبه المظلمة ، فاستنجد بالمحقق الذي استدار بكرسيه



وأعطى ظهره للمشهد . ثنى ابراهيم ركبتيه وجذب جسده الى أسفل ليحتمي بالبلاط ، وتذكر دون داع قانون الجاذبية الأرضية الذي اكتشفه نيوتن وهو جالس تحت شجرة تفاح ، والذي كان يفهمه جيدا ويجيب عن تمارينه المعقدة . لكن أيدي الرجال حالت دون تحقيق قانون الجاذبية . . فصرخ بأعلى صوت ولم يمسه أحد بعد ، ثم تلقى ركلة صلبة في مؤخرته فشد قامته ، تحيره دائما الضربة الأولى ثم يغمره شعور بالتناغم حيث تترى الضربات متزامنة مع صرخاته ، ولا يقلقه الا الضربة النشاز في هدفها أو في قوتها . . غلظت ضرباتهم وزادت لعناتهم وتمثل لـه الموت أو حتى مجرد الاغماء حلما مستحيلا . فحلول أحدهما ينهي عذابه ، وليفعلوا بجسده عندئذ ما يشاءون . توقف الرجال أثر كلمات لم يتبينها للمحقق ، وسادت لحظة صمت عندما نهض المحقق وتوجه الى الباب دون أن يلتفت لأحد ، وفتحه بعصبية وقال قبل أن يمضي :

- اذا تكلم فأنا في غرفة المدير ، ولأنه سيتكلم فأنا في انتظاركم لأي وقت . . وصفق الباب بعنف ، وفزع ابراهيم بعينيه الى الرجال مستدرا عطفا لا يملكونه . وعاد الصمت يرين على الحجرة ، واستعدوا لجولة جديدة من النزال . وفي غياب المحقق لم يتقيدوا بصلب عوده ، وتركوه يتمدد على الارض ويمتلك مدى أرحب ، البلاط كله ، واثر ضربة عنيفة أصطدم رأسه بقائم المكتب المعدني وظن أنه شج الى نصفين . ومد يده وأطبقها على القائم المعدني ، وتمنى لو يتحول الى عصا سحرية يشق بها الارض ويختفي داخلها ، أو يخترق بها الجدران ويمتشقها ليطير بها حيث يحط في مكان بعيد لا يصل اليه انس ولا جان . وتكون « كرامة » يتحدث بها الناس ، وعندما يظهر من جديد تسبقه شهرته فلا يجرؤ أحد على الاقتراب منه ، ويسرع الجميع الى تقديم الأسف له والاعتذار ، لأنه عوقب على جريمة لم يرتكبها . وأغمض ابراهيم عينيه في بطء ، ويبدأ يتكلم بدون صوت ، وسال من بين شفتيه خيط من الدم الكثيف . . لكن أحدهم يرغب في ايقاظه وتبديد نعاس طري يعانقه ، فضغط أعلى حاجبيه وشد جفنيه ، فتراءى له المحقق وأحد الاتباع ينظف حول شدقيه بقطعة من القطن الأبيض . وسمع المحقق يسأله المشورة فحرك ابراهيم شفتيه بكلام كثير ، ثم أسدل جفنيه وعاوده النعاس الطويل . . .

* * *

تسللت الى أذنيه بعض الأصوات ، وما لبثت أن استحالت الى جلبة وصخب ، فأيقن ابراهيم أن الأمر فوق طاقة الحلم . ففتح عينيه بصعوبة دون أن يرفع رأسه ، فسيطرت عليه الدهشة ، وركن الى عدم التصديق ، لقى نفسه مفترشا الارض في ركن من صالة واسعة تضم عددا كبيرا من النزلاء ، وأدرك أنها زنزانة جماعية وتصدعت نفسه .

اعتدل بصعوبة وجذب ساقيه ، وتكور بجوار الجدار ، وتحاشى نظرات الفضول التي سددت اليه ، ورد باقتضاب بعض التحيات التي ألقيت عليه . ودفن رأسه بين ركبتيه ، وغرق في بحار الخوف والألم والأسئلة . . لماذا أحضروه الى هنا ؟ هل أصابهم اليأس أم تراه اعترف ؟! . رفع رأسه وقد أخذه الذهول وتحركت شفتاه فيما يشبه الهمس ، ثم تحامل على نفسه وهب واقفا ، وأخذ يحدق في الرجال الذين تجمعوا حوله ، ثم أطلق صرخة هائلة قطعت الصمت الذي ساد الزنزانة منذ برهة قصيرة ، واستدار يسدد الضربات في عصبية بكفيه وبرأسه الى الجدار ، ويردد بأعلى صوت أنه لم يقل شيئا ولا يعرف شيئا . وبذل الرجال جهدا كبيرا في تهدئة ثورته . وعاد يتمتم بكلمات غير مسموعة ويتنفس بقوة ، ثم تكور من جديد بجوار الجدار ولم يفارقه الذهول بعد . . .

مضى النهار بطيئا متثاقلا . . وذهن ابراهيم مشتت ، لقد وجد الحماية الكافية طوال الأيام التي لم يحصها في زنزانته الضيقة ، والآن اذا كان قد اعترف فعلا فلن يشهد أبدا ساعة آمنة من ليل أو نهار . الآخرون يعرفون كل ما يدور هنا . والتصق بالحائط ، وثقلت مؤخرة رأسه ، وغلبه النوم بغير رغبة منه . وطول الليل انتابته حالات فزع شديدة ، قاومها في أول الليل مراعاة للنزلاء ، ولكن الأمر خرج عن سيطرته في أواسط الليل وآخره .

وفي الصباح حاول بعض النزلاء تبادل المداعبات معه دون جدوى ، وتناول الطعام لأول مرة ولكن



بحذر وبقدر يسير ، وبدأ يخشى الجميع هنا ، النزلاء والحراس ، وكلما مر يوم تفاقم هلعه وتيقن من أن بطء رد الفعل لا يعني أنه لم يعترف بقدر ما يعني أنهم يعدون له انتقاما مناسبا . أو أنهم ينتظرون الافراج عنه . ولم يطمئن الى هذا الاستنتاج ، فأيديهم أطول من أن تظل عاطلة حتى خروجه . ولكن لو أنه لم يصرح بشيء لتم استدعاؤه للتحقيق أو لأفرجوا عنه . وتعطل به الفكر في منتصف المسافة بين الشك واليقين ، ولم يعد واثقا من شيء ، أو قادرا على الاجابة عن سؤال وحيد لا يغادره : هل اعترف أم لا ؟

وذات ظهر وقبيل موعد الغداء . . فتح الحارس باب الزنزانة وزج بسجين جديد ، وتعلقت الانظار بالقادم ورحب به البعض ، ومن ركنه التفت ابراهيم اليه في اهتمام ثم دقق النظر في ملامحه ، واستجمع ما تبقى لديه من صور الماضي ، وغمرته حالة من القلق الطاغي . فقد رأى هذا الرجل من قبل ، بل وضمتهم حجرة واحدة ، هناك حيث كان يلتقي بهم . وحاول ابراهيم أن يتفادى بأجساد الرجال مواجهة سوف تحدث حتما ، ومع حركة البعض تمايل يسارا ويمينا ، ولكن حركتهم غير المنتظمة تفسد عليه خططه ، ولم يجد بدا من الاستدارة والتحديق في الحائط ، رفيقه الوحيد منذ أن وطئت قدماه أرض هذا السجن الفظيع . . .

في قاعة الطعام لمحه وأرتج ابراهيم ، وفي اللمحة السريعة برق لون الموت الاصفر وصبغ القاعة ، توقف عن تناول طعامه وتأكد أنه هو الرجل المنـر د به .

وما النظرة العابرة الا لخداعه ، والا لتأمله بامعان كدأب الجميع معه هنا ، ولم يتحرك قلبه ، يجدر به الحذر ، ودخل الزنزانة بعده ولم يستدر الا بعد أن اصطدم بالحائط ثم تكوم في مكانه المعتاد ، كثيرا ما تساءل منذ مجيئه الى السجن لماذا لا يمشي الانسان بظهره ؟

وبهبوط الليل بدأ يعد نفسه لحياة بلا نوم ، فمجرد لحظة نعاس واحدة تكلفه حياته . ثم لماذا اختار الرجل مكانا قريبا منه هكذا الا لكي يقتنص اللحظة المواتية ؟! مد ساقيه عن آخرهما في اتجاه الرجل ، فاذا ما هاجمه تعثر فيهما . وكلما صدر صوت من أحد النزلاء ، دفع باحدى يديه في الظلام ودار بها دورة كاملة حتى تصطدم بالرجل اذا ما اقترب منه ، وفي الصباح منى نفسه بنوم نهاري ثقيل في حراسة النزلاء ، ولكنه لم يستطع . . ففي غفلة من الجميع يستل الرجل سكينا ويذبحه ، ولا أحد يبلغ عن شيء هنا . وبعد وجبة الغداء اندفع الى أحد الحراس ، وطلب منه مقابلة مدير السجن ، غرق الحارس في نوبة من الضحك ومضى في طريقه ، أوقفه ابراهيم في ضعف وكرر طلبه ، فرد الحارس :

ـ المدير لا يقابل أمثالك .
ـ أريد مقابلة المسئول هنا .
ـ أنا المسئول هنا ، ماذا تريد ؟
ـ أريد أن أغير الزنزانة .

واهتز جسد الحارس في ضحك هيستيري وشاركه من تجمع حولهما من النزلاء ، ثم أمر الجميع بالدخول الى زنزاناتهم . وأدرك ابراهيم أكثر من أي وقت مضى أنه اقترب من النهاية . ومع الليل تملكه الرعب وخشي من أن تغلبه لحظة غفلة واحدة . تحجرت مقلته وجفت رموشه وانتابت نصف جسده الأعلى رغبة في الانكفاء على الأرض ، وكلما ثقل رأسه نهض واقفا ليطرد أشباح النعاس التي تناوشه ثم يجلس من جديد ، وفجأة قرر أن يغير هذا الركن العتيق الذي يحتله منذ مجيئه الى هنا . وتحرك في حيطة ليجوب الزنزانة بحثا عن مكان آمن . ومع أول خطوة اصطدمت قدمه برأس أحد الرجال ، الذي فزع واقفا ودفع يسراه وقبض على قميص ابراهيم وجذبه ثم سدد بقبضته اليمنى لكمة عنيفة أعادت ابراهيم الى ركنه وهو يصرخ بصوت مكتوم . نهره الرجال . . فكف عن الأنين واستراح الى البكاء الذي آلم عينيه . ومع خيوط الصباح الاولى لمح صائده ينام ملء جفنيه ، وفكر في أن يوقظه ويسأله ، ولكنه أحجم لأنه سيتلقى حتما اجابة مضللة .

وطول اليوم لم يتحرك من مكانه ، ولم تبدو عليه مظاهر حياة الا من عينيه اللتين تدوران في الزنزانة بلا هدف . وسيطرت على ابراهيم الرغبة في العودة الى الزنزانة الفردية ، التي وفرت له أياما من الأمان يتوق الى استعادته ، وحيره نقاش هامس بين قاتله وبعض الزملاء ، فهل يؤجر أحدهم للمهمة أم يؤجرهم جميعا ؟! ولاحت في ذهنه أشباحهم وهي تنكب فوقه وتكتم أنفاسه ، وتجسدت له الأشباح شخوصا ألفها في الأيام القليلة الماضية . فنهض وسار حتى منتصف الزنزانة وتوقف أمام مجموعة من الرجال ، وحرك شفتيه دون نطق ، وعندما اقترب أحدهم منه صرخ وهرول عائدا الى ركنه . وقرر أن يتحدى الجميع ويقيم الزنزانة الفردية هنا . وحذب البطانية الممزقة التي يتخذها فراشا ونفض عنها الأتربة وعلقها في مسمارين بارزين بالحائط ، واتخذ مجلسه تحتها وشعر بالارتياح وببعض الأمان ، ثم أخرج رأسه من بين خيوط البطانية ، ويداه معلقتان بمتاثلها ، وتأمل بعمق ما يحدث في الخارج . وأسعده رؤية ضحكات النزلاء ، وابتسم لهم ثم سحب رأسه ، وعاد يجلس القرفصاء ويتأمل عزلته . . ونغص عليه هذا الحد الأدنى من الأمان رصده لعدد فتحات البطانية ، حيث يمكن أن تمتد من بين خيوطها سكين تضع حدا لحياته .

وعرف أن عليه أن يظل يقظا ، وقضى ليلة مرعبة خلف بطانيته المتهرئة ، وفي الصباح صفعه أحد النزلاء وأمره بأن ينظف مكانه حيث تنبعث روائح كريهة . ولما لم يحر جوابا ، رفعه الرجل على كتفه ، وطاف به الزنزانة يعرض على الرجال سروال ابراهيم المبلل ! □

شباب . . وكهولة !

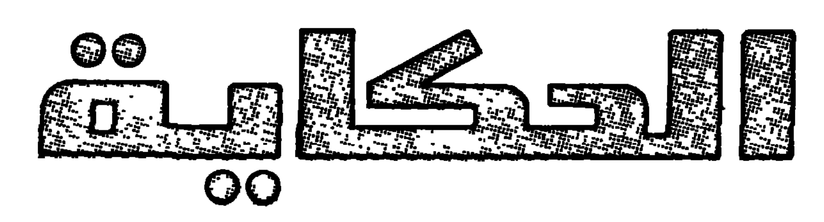
كتب ديوى جيل يقول : (كانت الأيام مليئة ورخيصة عندما كنت صغيرا . . تماما مثل قطع النقود الصغيرة التى كانت تملأ جيبى وأنفقها بلا حساب . . أما الآن فقد تضاءلت مواردى وأصبح لأيامى قيمة كبيرة . . كل يوم يمر تزداد قيمته . . أصبحت أقدس الساعات ، تماما كما يقدس المحبون اللحظات الحلوة التى يقضونها . فاذا انتهى الاسبوع أحسست أننى قد أضعت ثروة . . لم يعد اليوم مليئا طويلا . . لقد أصبح يمضى كما تمضى اللحظات . .

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع





مرآة سحرية يتعرف فيها صغيرك على الواقع

اعداد : وفاء طه ناجي

ما زالت في خيالنا رؤى رائعة . . وشخوص فيها السحر والبطولة والقوة ، ومازالت معاني الخير والشر والقبح والجمال والحق والفضيلة تقاس على ذلك المعيار القديم الذي صاغتة حكايةُ ما قبل النوم .

مازالت الحكاية القديمة هي العالم الأثير لدى الطفل . . انه يجد متعة سحرية في عالم الغابات الخضراء والورود الملونة ، وقصور الملوك القديمة . . ويكشف له أبطالها من الأرانب والثعالب وجنيات المصابيح عن شكل من أشكال العلاقات بين الكائنات والطبيعة ، والكائنات بعضها ببعض ، مما ينمي لديه القدرة على استيعاب الواقع من حوله .

ان البحث في العلاقات الوثيقة بين الحكايات القديمة ونفسية الصغار أمر غاية في الأهمية ، لما لتلك الحكايات من تأثير على معتقدات الصغير ونظراته للأمور في عالم الواقع الذي يعيشه مع والديه وأقرانه . . انه يتعلم من أبطالها . . ويرتاح للنهايات السعيدة . . ويضطرب لمعنى الفقدان والموت عندما تجسده الحكاية ، فما الذي يجب علينا ان نفعله حتى نحول عالم اللاواقع في الحكاية الى عالم ايجابي ، يتعلم منه الصغير قيم ومثل المجتمع الذي يعيش فيه ، ويتقبل الواقع ويواجه صعوباته . . ؟

حول هذا الموضوع كان لنا لقاء مع الدكتور محمد رفقي عيسى ـ الاستاذ بقسم علم النفس في كلية التربية بالكويت ـ قال : « لابد لنا عندما نتحدث عن الحكاية ان نشير الى ان بناء افضل المناهج التربوية ـ طريقة ومحتوى ـ يعتمد اعتمادا أساسيا على طبيعة اولئك الأفراد الذين سيتلقونه ، أو يهدف الى تربيتهم ، ولذا فان طريقة التربية التي يقوم بها الأهل تجاه صغارهم ، يجب ان تراعي الخصائص المرتبطة بكل عمر زمني ، ثم يضعون في اعتبارهم الخصائص الفردية عندما يتعاملون مع ابنائهم بالذات . وهذه الخصائص ترتبط بجوانب النمو ومجالاته المختلفة



بعض حكايات الجن يعتبرها البعض وسيلة للتاديب

فيجب التعرف على تلك الخصائص ثم تحليلها واستشفاف متطلباتها في التوجيه أو الإلغاء ، ثم الترجمة العملية للمضامين العامة والخاصة بها ».

والخيال غذاء الصغير لرؤيه الواقع

ويضيف الدكتور رفقي قائلا :

« ومن بين خصائص مرحلة الطفولة المبكرة لجوء الأطفال الى الخيال والاختراع ، وقد يؤدي ذلك الى وجود نوع من الصراع بين الحقيقة والخيال . فالأطفال يريدون ان يطلقوا لخيالهم العنان ، بينما يلجأ الكبار الى دفعهم للتعرف على الحقيقة والارتباط بالواقع . . ولكي نتجنب استمرارية هذا الصراع واحتمال نتائجه السلبية ، فإننا نلجأ الى ايجاد مواقف يجتمع فيها الإثنان ، الخيال والواقع ، ويتم التمييز بينهما بطريقة لا تلغي الخيال ، ومن ثم يمكن توجيهه الوجهة السليمة . مثال ذلك حكاية « عقلة الاصبع » التي تقول للصغير ان الأمور مهما بدت عسيرة ومعقدة فعليك ان تواجهها . . انك لن تكبر وتتعلم الا اذا خرجت من بيتك وجابهت الأخطار في العالم من حولك . والذي اعنيه هو ضرورة ان تنزكي لدى الصغير القدرة على التمييز بين الواقع والتخيل ، حتى لا يصل الأمر الى التسيب في مشكلات توافقية فيما بعد ».

تنمو قدرات الصغير بالحكاية :

ولكن هل يحتاج الطفل الى استخدام اسلوب الخيال حتى يتطور ، وتنمو لديه قدرة ابتكارية ؟ وألا يعد لذلك دوره في حجب الحقائق عن الصغير ؟

يجيب د . رفقي عيسى فيقول :

« بالنسبة لاستخدام اسلوب الخيال ودوره في « حجب الحقائق » عن عيون الصغار ، فإن المستوى العمري في النمو هو الذي يحدد نوعية هذه « الحقائق » فكثير من الخبرات التي يمكن ان نشير اليها في مستويات متقدمة لا تصلح لتقديمها للأطفال في المرحلة الأولى من العمر ، ومن ثم يكون استخدام الخيال وسيلة افضل لتقديم الخبرة لهم . ولعل اهم

هذه الاستخدامات يكون في القصص الخيالية التي ينسجها الكبار ، لتوافق أغراضهم ، أو ينسج بعضها الصغار ، إما تقليدا للكبار ، أو اسقاطا لما لديهم من تساؤلات او مخاوف . وتختلف استجابات الصغار لهذه القصص طبقا للثقافة التي ينشأون فيها ، وقد لا تخلو ثقافة من بعض القصص الخيالية المرتبطة بمخلوقات خيالية ».

الحكاية . . والتنشئة الاجتماعية :

واستطرد قائلا :

« وقد يكون بعض تلك القصص الخيالية وسيلة فعالة في عملية التنشئة الاجتماعية ، التي من بين وسائلها استخدام بعض الشخصيات الخيالية كوسائل فعالة في التأديب والتهذيب ، وبغض النظر عن الشطط فيها احيانا ، هذه الشخصيات التي تتمثل في قصص الغيلان والمردة والجن الشرير وغيرها » .

وقد تجسد من ناحية اخرى بعض هذه الشخصيات باستخدام بعض الاقنعة او اللفائف ، أو يسقط الأطفال بعضا من خصائصها على شخصيات واقعية مثل : العسكري الذي سيقبض عليه . ويضعه في غرفة مظلمة مليئة بالفئران الكثيرة ، وغيره من الشخصيات التي يمكن ان يراها الطفل فعلا ، ولكنه يجهل دورها الحقيقي ، ويصبح الخيال هنا سلبياً عندما يشاهد الصغير على شاشة التلفزيون مثلا دورا آخر للشرطي غير الذي جاء في الحكاية ، ويصبح محتارا بين ما يقوله الكبار في حكاياتهم وما يراه هو في الواقع » . .

قصص الردع :

ولكن هل يقتصر استخدام الوالدين للقصص الخيالية ذات الصبغة التخويفية على اعتبارها اداة للردع ، وتوجيه الأطفال للتوافق مع السلوك الاجتماعي المقبول ؟

يجيبنا الدكتور عيسى بقوله :

« ولا يمكن الجزم باجابة محددة ، سواء بنعم او لا ، ولكنهم احيانا يلجأون اليها لشغل وقت الفراغ عند الاطفال او الهائهم ، كما ان هناك احتمالا بأنهم يلجأون اليها كنوع من اسقاط ما لديهم من مخاوف في صورة قصص يحكونها لصغارهم .

ونخلص من ذلك الى ان القصص الخيالية في حد ذاتها ليست شرا مستطيرا ، وانما هي أمر لازم للطفولة ، وسوء التوجيه في الطريقة والمحتوى هو الذي يؤدي الى نتائج سلبية ، فاستخدام الحكايات المليئة بالشرور من جانب مخلوقات خيالية قد يؤدي الى اكساب الطفل مخاوف شديدة ، فالطفل يخاف من خطر حقيقي ، او خطر تعلمه من هذه الحكايات ، او خطر من ظواهر لا يفهمها ، مثل الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد او الموت . فاذا ما صاحب هذا المجهول خبرة تخويفية ادى ذلك الى اثر طويل المدى » .

حكايات الأقزام عالم يجذب الصغير ويبهره





احتطاف الأهل والأصدقاء في الحكايات يزعج الصغار

ضرورة قصص الخيال :

وينهي الدكتور محمد رفقي حديثه بقوله :

« واذا ما استبعدنا هذه القصص التخويفية ، فلا يعني ذلك ان نستبعد كافة القصص الخيالية ، ولا يمكن ان نلصق الشرور دائما بالجن والعفاريت ، فهناك قصص ارتبطت بشخصيات من الجن ، ولكنها لم ترتبط بشرور واقعة مثل جني مصباح علاء الدين . . كما ان لجوء الطفل الى تفسير الظواهر الطبيعية بأنها حدثت من اجل الانسان ، وبواسطة من هم على شاكلته من المردة ، يجعلنا لا نغفل استخدام مثل هذه القصص ، فقد سأل أحد علماء النفس المشهورين طفلته . . مَنْ حفرَ البحر ؟ . . فقالت له : مارد كبير على هيئة انسان ولذا كثيرا ما يتمثل الاطفال الجن على هيئة انسان ذي حواص متميزة وقدرات فائقة ، فالخيال ضروري وهو من الخصائص المميزة لحكايات الصغار »

الخصائص النفسية للحكاية :

ويحدثنا الأستاذ محمد محسن الصاوي ـ مدرس علم النفس بمعهد التربية للمعلمين والمعلمات ـ عن الخصائص النفسية للحكايات . . فيحكي لنا عن المعالم السيكولوجية التي تميز الأعمال الأدبية التي لاقت قبولا واسعا من الأطفال في مراحل عمرهم المبكرة فيقول :

« يقبل الصغار في زمن طفولتهم المبكرة على تلك القصص أو الحكايات التي تعبر عن فكرة الضياع او الفقدان والاستعارة ، وهي الفكرة الموجود اساسها في نظرية التحليل النفسي ، اذ يجد الطفل في فترة المهد غياب امه ثم عودتها اليه ، والأم بالنسبة للطفل هي الحماية المادية والعاطفية ، وتتكرر سعادة الطفل كلما عادت اليه الأم ، وتعزز رغبته في عودة الحماية ».

مواجهة الحياة الصعبة . .

ويتابع الاستاذ الصاوي قائلا :

« وتظل تلك الرغبة في عودة الحماية كامنة في اللاشعور لدى الصغير ، وتكبر معه على مدى حياته ، وتظهر في السعادة عند عودة شيء او شخص عزيز لديه .

ان خيال عودة الضائع من خيالات المرحلة الأوديبية لدى الطفل ،ولكن الا يعد فقدان الأهل وضياع الأطفال في قصص الجن والمردة امرا مزعجا للصغار ؟

يجيب الاستاذ محسن الصاوي قائلا : لاشك أن أكبر صعوبة يواجهها الصغير تكمن في تخلي أهله عنه على أية صورة كالموت أو الطلاق مثلا . وبعد البحث فان حكايات الجن تهتم كثيرا بآلام الصغار ومعاناتهم للحرمان .

واذا كان الموت شائعا قديما عند الولادة مما يتسبب في وجود اطفال يعانون اليتم ، فالطلاق في هذا الزمان ـ وهو أدنى من الموت مرتبة ـ يسبب للأطفال نوعا من مواجهة المصير المجهول . . والنتيجة تكاد تكون واحدة ، وهي معاناة الصغار من القلق .

ولكن حكايات الجن لا تلغي الصعوبة في تلك الأمور المصيرية لدى الأطفال ولا تقول لهم : « لا تهتموا للأمر ،ولكن هي تقول وتؤكد لهم ان الأمر رهيب وعظيم ، ولكن لا تيأسوا ، بل اخرجوا الى العالم وواجهوا مشاكله وسوف تنجحون في تخطي عقبات كثيرة ، في الاعتماد على انفسكم دون آبائكم . . رغم انكم طالما تشككتم في ذلك . . . انها تربطهم بالواقع بشكل سحري ».

كيف نكتب الحكاية . ؟

وينهي د . الصاوي حديثه بالتأكيد على نقطة هامة تتعلق بالأسلوب الذي يجب ان يتبعه الكاتب في ايصال فكرته فيقول :

« يجب أن تعرض الحكاية فكرة محددة ، أو موضوعا واحدا بسيطا ، يرتبط بخبرات الحياة اليومية ، ويعكس خيالا بسيطا ، كما يجب أن تتقدم القصة في مسار واحد دون أن تتضمن فرعيات ثانوية ، كما يجب أن يكون مسرح أحداث الحكاية مكانا محددا ، كغابة أو قصر كبير أو مدرسة . . ، كما أنه من الأفضل أن تكون مساحة الحكاية الزمنية قصيرة ، ويتم سرد التفاصيل الأخرى (التاريخية والجغرافية) في مقدمة سريعة . كما يفضل أن يكون عدد الشخصيات قليلا ، على أن تكون متميزة ومقنعة » .

يبقى أن نقول انه حين يحكي لكم الصغير حلما رآه ، أو ينبئكم بأنه يشعر بمعاناة نحو مشكلة ما تبدو شديدة الصعوبة بالنسبة اليه ، فلا ينبغي أن تحدثوه مباشرة في ذلك الأمر ولكن قولوا له : تعال . . سوف نحكي لك حكاية ! □

التخيل يساهم في تنمية ملكات الصغير





دور الحضانة
.. تعليم أم ترفيه ؟

بقلم : الدكتور غسان حتاحت

« مع إتساع قاعدة العمل للمرأة العربية أصبحت دور الحضانة أمراً لا غنى عنه ، ومع إزدياد أهميتها برز سؤال آخر .. هو: ماذا تقدم دور الحضانة ؟ هل تبدأ التعليم من سن مبكرة أم تكتفي بالترويح والترفيه ؟ ! »

مشكلة التضخم في العالم تشمل كل شيء ، فالتضخم المالي يكاد يصيب كل فرد وأمة ، والتضخم السكاني ، أو فلنسمه الانفجار السكاني ، ان سلم بعضنا من عنفه لم يسلم من شظاياه . والتضخم العلمي حقيقة واقعة ، فالعلم يتزايد كل يوم كما وكيفا ، وعلينا أن نلحق به لاهثين ، شئنا أو أبينا .

وهذا التضخم الثلاثي ، المالي والعلمي والسكاني يصيبنا في الصميم ، عندما يصيب أطفالنا وفلذات أكبادنا ، فيؤلمنا أشد الألم ويؤرقنا كل الأرق .

وأول ما يتجلى ذلك عندما يبحث الواحد منا عن دار للحضانة ليضع طفله فيها ، فهنا يلاقي الأمرّين حتى يعثر على الدار الجيدة المناسبة . وعندما يجد أن المحلات فيها محجوزة مسبقاً ، ولا بد للحصول على مكان فيها من التسجيل المبكر ، وفي أحيان كثيرة يتم اللجوء الى الوساطات والتوسل بشتى الطرق ، حتى يضمن المرء لطفله مكانا في الزحام .

وأعرف بعض دور الحضانة يحجز الأهل مكانا لطفلهم فيها - صدقوا أو لا تصدقوا - منذ يكون الطفل مضغة لمّا تتخلق بعد !!

ويدخل الطفل الحضانة فيواجه المشكلة الأكبر وهي ماذا تقدم له دار الحضانة وماذا ينبغي أن تقدم له ؟ .

إيداع أم تعليم ؟

في الماضي كانت الغاية من انشاء دور الحضانة هي ايداع الأطفال لساعات من النهار ، يمرح الأطفال فيها ويلعبون ويقضون الساعات المفروضة كيفما كان ، فالهدف أولا وأخيرا هو الاحتفاظ بالأطفال بعيدا عن البيت مما يتيح للوالدين التفرغ لأعمالها .

ومع تطور دور الحضانة أصبحت تقوم بتدريب الأطفال تدريبات يسيرة ، فتعلمهم الأغاني والاناشيد والرقصات ، وبعض آداب الطعام والحديث والتصرف،واستمر التطور ، حتى صرنا نجد اليوم بعض دور الحضانة تعطي الطفل واجبات مدرسية عليه أن يتمها في البيت ، ونجد دورا أخرى تجري سبرا لمعلومات الطفل لتقدير ما اذا كان يستحق الترفيع الى الصف الأعلى ، وأصبحت الدروس التي تشمل اليوم كله شيئا عاديا في دور حضانة أخرى .

وأخذ الأهل يصرون على أن يتعلم أطفالهم المواد الأساسية واللغات الأجنبية منذ البداية . فعندما يبلغ الطفل عامه الرابع يرسلونه الى المدارس التحضيرية التي تعلم القراءة والكتابة والحساب وربما اللغة الأجنبية ، ويطالب الأهل هذه المدارس بأن تقدم لهم الدليل المحسوس على أن الطفل قد تعلم حقا . ويسرون عندما يعود الطفل الى البيت وهو ينوء بحمل أكوام من الكراسات والكتب . ويحمل فوقها هموم الواجبات المدرسية ويأخذون بمساعدته في اتمام واجباته وهو يبكي ويشكو ولا من مجيب .

ولعل سبب اصرار الأهل على التعليم المبكر ، وسبب دعم دور الحضانة برامجها بالدروس التعليمية ، هو اعتقاد شائع أن التعلم خلال السنة الأولى من المدرسة هو الأساس المتين للتعلم في السنوات التالية وأن التحضير المبكر ضرورة لازمة .

ولقد قام بعض الباحثين باجراء دراسات مستقبلية عديدة بدأت في الستينيات في ولاية ميتشجان في الولايات المتحدة على (١٢٣) طفلا من الأطفال المحرومين ، من أوساط اجتماعية ومادية متدنية ، فوجدوا أن الذين تلقوا منهم تعليما جيدا ومبكرا في دور الحضانة والمدارس التحضيرية استطاعوا أن يتموا تعليمهم ويتخرجوا من الجامعة ويحصلوا على وظائف جيدة ومهن محترمة .

بينما كانت نسبة جنوح الذين لم يتلقوا تعليما مبكرا عالية نسبيا . وهكذا يكون التعليم المبكر قد ساعد هذا الفريق على تفادي الجنوح ومخالفة القانون ، والحصول على مكان مناسب في المجتمع ، وتوصل الباحثون الى أن التحضير المبكر للطفل (بدءاً من السنة الرابعة) أمر مفيد وجيد .

ويرى أصحاب الرأى المعاكس أن الطفل ذا السنوات الخمس غير مؤهل جسميا ونفسيا لقضاء يوم كامل في المدرسة ، ففي هذه السن يفضل البقاء في البيت مع أمه . ومن ناحية أخرى فان الدروس التي تعطيها المدارس التحضيرية ليست الا مقررات

السنة الاولى التي يجب أن تدرس عادة في سن أكبر . بحيث غدت أقلام الرصاص وكراسات الكتابة تطغى على أقلام التلوين والمكعبات ولعب الأطفال في دور الحضانة ، مما يسبب درجة عالية من الضغط على الاطفال ، ويؤدي الى نتائج سيئة ، أبرزها القضاء على ملكة الابداع والخيال لديهم . في الوقت الذي يجب أن تعمل فيه دور الحضانة والمدارس التحضيرية على تنشيط حوافز الطفل الغريزية وملكة الابداع والخيال لديه .

ما يجب أن يكون ؟

ان ما ينبغي أن تقوم به دور الحضانة والمدارس التحضيرية هو ببساطة احترام طاقات الطفل وحوافزه والتعايش معه بها ومن خلالها . وهذا الأمر غريزة طبيعية تعرفها كل أم . فعندما يبدأ الطفل مثلا بالمشي مشية متعثرة نجد أن الام تلجأ الى تصرف ممتاز وجيد تمليه عليها الغريزة والمنطق ، وهو ابعاد الاشياء عن طريقه ، فترفع ما يمكن أن يصطدم به وتبعد عنه ما يمكن أن يؤذيه . وتكون بالتالي قد احترمت حوافز طفلها الذاتية وطاقاته وأتاحت لها المجال الصحيح للنمو والتطور .

ان الطفل منذ ولادته في تعلم مستمر ، فالعلم من المهد الى اللحد لا محالة ، يتعلم الطفل عندما يرى ، وعندما يسمع ، وعندما يلعب وعندما يأكل وعندما يبكي أو يضحك،وهو اذ يكبر قليلا يبدأ بالأسئلة . . . أسئلة لا تنتهي لا يعلم الا الله مداها . . . وأجوبتها (واسألوا آباء الأطفال !) .

ان طاقات الطفل تنمو مع الزمن ، وقد تتأخر في النضج لدى بعض الأطفال ، وقد تبكر بالنضج لدى آخرين . لذلك فان الاعتماد على متوسط التطور واعتباره قضية مسلما بها خطأ كبيراً ، فلا بد من التكيف حسب كل طفل ، فكل طفل يختلف عن سواه .

وكي يستطيع الطفل التعليم لا بد له من الانتباه والتركيز ولا بد من معرفة الاشكال والتمييز بينها ، ومعرفة الوصفة والاتجاه ، وتذكر ذلك كله كي يستقيم التعلم . ولا بد لهذه القدرات من سن معينة تنضج فيها .

ان التعلم في سن مبكرة أمر لا شك جيد ، لكن هذا التعلم يجب أن يساير طاقات الطفل . فيمكن له أن يتم باستخدام لعبه أو أغنية أو قصة أو رقصة . ويجب أن نترك الفرصة للطفل كي يبدع ما شاء له الابداع ، وكي ينشط خياله ما ذهب به الخيال . فاذا أردنا من الطفل أن يرسم شكلا ما فلنترك له الحرية أن يرسم ما يريد ، لا أن نملي عليه أو نطلب منه أن ينسخ صورة ما لأن في ذلك قتلا للابداع أي قتل ، ألا يكفي أن التلفزيون قد أساء في هذا المجال أكبر اساءة ، فعندما يسمع الطفل مثلا قصة علاء الدين والفانوس السحري يرسم في خياله شخصيات ويعايشهم ويضع « الديكورات » و « السيناريو » ويقوم بالاخراج . أما عندما يرى الطفل هذه الأمور كلها جاهزة أمامه فلا داعي للخيال ولا حاجة للابداع .

لذلك لا نريد من دور الحضانة والمدارس التحضيرية أن تكمل ما بدأ التلفزيون بتخريبه في أطفالنا ، بل نريد منها على العكس من ذلك أن تنمي امكانات الطفل وتهيئه بصورة جيدة للانتقال فيما بعد الى المدارس العادية ، وما تقدمه من علوم أساسية . ويجب أن يقدم ذلك كله في حنان كحنان الأم . وحزم كحزم الأب ، مع احترام طاقات الطفل وحوافزه من جهة وزرع حب النظام في نفسه ، حتى ينشأ جيل جديد هو امتداد واستمرار لجيلنا وأفضل من جيلنا ، فكلنا نريد لأطفالنا أن يكونوا أفضل منا .

بقي أن أقول ان دور الحضانة والمدارس التحضيرية تكلف الكثير سواء بالنسبة للأفراد أو الدول ، لكن التضخم المالي هو آخر ما يجب أن نفكر فيه عندما نفكر بتربية أطفالنا وتعليمهم . فالتربية السليمة والتعليم الصحيح هما الاستثمار الأفضل والأحسن .

ولندع أطفالنا يعيشون طفولتهم بكل ما فيها من طفولة ، فمشاق الحياة آتية فيما بعد لا محالة ، ولننظر نأمل الى مستقبل مشرق نير نرجو أن يعيشوا فيه . □

هو ....

الرجل المدخنة

● حلقات الدخان تتصاعد متتالية ، تتحد لتتحول الى حبل طويل يلتف حول عنقي ، أشعر بالاحتناق فأعبر عن احتناقي بسعال متواصل ، حتى تحمر عيناي وتجحظان ، وهو يبتسم ويتأمل هذه الحلقات بحذر عجيب ، تتراقص امامه كما تتراقص جارية حسناء أمام سلطان بليد .. وكلما راد سعالي اتسعت مساحة ابتسامته ، وفي بعض الاحيان يغلقها بقهقهة سمجة وهو يردد ياعزيزتي متى تعتادين سجائري ودخانها ياقطتي الحلوة .. أيخنقك دخان سيجارة رفيعة صنعوها من أجل أن تفتح الابواب المغلقة في الطابق الاعلى ؟ وهنا يشير الى رأسه فينفد صبري وأثور ، وعندما تثور الانثى فأنها تغمض عينيها وتفتح فمها ، أحتج وأدعم احتجاجي بكل ما قرأته وسمعته عن مضار التدخين ، وأهدده بأنه سيموت شابا ، لان شبح مرض السرطان يجثم على رئته ، وانه سيخلف ارملة وأيتاما ، وهنا يقاطعني قائلا : اذا مت مبكرا كما تعتقدين واسعفك شبابك وجمالك بالعثور على زوج آخر ، فأرجوله بأن لايكون مدخنا حتى ينجو من الموت المحقق ، وهو واقع تحت مقصلة لسانك الذي لايهدأ في فمك !!

أتزوج ! ومرة أخرى ! العياذ بالله ، لقد فعلتها مرة واحدة وندمت ، كنت بلهاء أعجبت بشخصيته وخاصة سيجارته !!!

كنت أقول لصديقاتي ، انظرن الى الطريقة التي يدخن بها سيجارته ، انه يذكرني بممثلي السينما ، كنت أنظر اليه بعينين يقفز الاعجاب منهما بجنون ، وكلما انبعثت حلقات الدخان من سيجارته سارعت الى استنشاق رائحتها حتى انها كانت اكثر عبقا من العطور الباريسية ، وما ان وقع عقد الزواج وانتهت شهور عسله ودبسه حتى اكتشفت بأني أعيش مع منفضة كبيرة ، لها ساقان ، ورأس وأصبحت الرائحة - التتنة للدخان المستمر تلاحقني في كل مكان ، هو بكل مايحمله على جسده من ملابس ، وبكل مايلمسه ويستعمله . يذكرني بأني أعيش في مصنع للتبغ المتعمن،واشتدت حرب الدخان بيننا عندما أصيب زوجي بالالتهاب الرئوي ومنعه الطبيب من الاقتراب من تلك الملعونة ، التي مازلت العن الف مرة في اليوم مخترعها ومروجها وبائعها ، واضحى عصبيا لايطاق حملت اليه السكاكر والمكسرات لكي يتلهى بها عن سيجارته وينتهي عشقه القديم لها ، ولكنه رفض كل البدائل . أخفيت علب السجائر وأعواد الثقاب في اماكن لايصل اليها الجن الازرق ، وعندما طلب مني أن ابتاع له علبة اخترعت كذبة بيضاء وهي أن منظمة الصحة العالمية أعلنت اليوم حملة لمنع التدخين فقررت عدم بيع السجائر لمدة يوم واحد وذلك لتدعيم حملتها ضد التدخين .. ولكن ما أن تماثل للشفاء حتى عاد الى ولعه القديم شغوفا محبا ، احتضن علبة السجائر واشبعها تقبيلا وشعرت بالدم يصعد الى رأسي وأنا أقول له لو كانت أمرأة لما أحببتها هذا الحب ، ... فيجيب بخبث ليست هناك حواء على ظهر هذه البسيطة لها في قلبي من الحب ما لهذه الروائح التبغية ولتعلمي بأنك لو عدت للعبة القط والفأر . وخاصة فيما يتعلق بمحبوبتي السيجارة ، وحرمتني منها ، فأن النتيجة ستكون بأن تضعيني في خيار صعب لا اعرف نتيجته فأولى أن تتفهمي وتتعايشي .

هيا

هي....

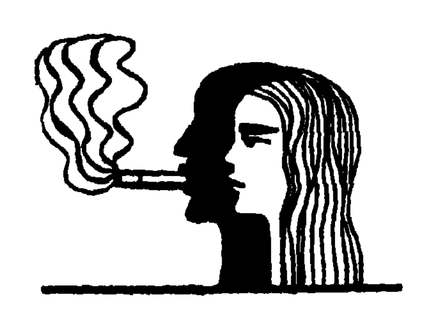
تسوية حساب

● لم اكذب عليها ، ولم أخدعها ، فمنذ أن التقينا أول يوم وهي تعلم انني أدخن ،ومنذ زواجنا والحملة العالمية للاقلاع عن التدخين تشتد يوما بعد يوم ، وشعاراتها تتعدد بدءا بـ « التدخين ضار بصحتك » ، ومرورا بسيجارة وحده تساوى يوما من عمرك ، وانتهاء بـ « التدخين سبب رئيسي لامراض القلب والشرايين والسرطان ، ولكنها ككل الزوجات تجيد فنون المراوغة والخداع ، ، ودهاء الأنثوي لاينتهي ، ولتكونوا شهودا معي أقرأوا التالي .

كانت في أيام الخطبة تسعد بي وأنا أدخن وتشعل لي سيجارتي ، وتظل ممسكة بعلبة الثقاب تحركها بين يديها ، وتسمع لي وتغمض عينيها وتحلم ، وكثيرا في أيام زواجنا الأولى ـ ما كنت أصحو من قيلولة الظهر ، فأجدها قد أعدت فنجان القهوة وبجواره علبة السجائر والثقاب ، وعندما كان النقاش يزداد حدة بيننا ، كانت تطلب مني دقيقة صمت ، وأشعل سيجارة كي أهدأ ، ثم نستأنف نقاشنا ، وكان يتضمن اختيار أنواع مختلفة من منافض السجائر . . وتنتقي الغريب من علب الثقاب المزينة بقطع الصدف . . وفيما بيننا كانت تمطرني بكلمات الأطراء والاعجاب بطريقة تدخيني وشكلي أثناء التدخين ، وكثيرا ماكنت أقول « لا » ان شكلي وطريقتي في التدخين ليست اداء تمثيليا بقدر ماهي طريقة سلوك عادية،لكنها كانت تصر على انني اثناء التدخين أبدو شديد الرجولة وأبدو ذلك الرجل الذي تحلم به .

وطالما أجهدت نفسي وأنا أشرح لها أن عادة التدخين واحدة من أسوأ عادات الانسان ، وأننا نحن البشر عبيد ما ألفنا وانني رجل لم تعد لي متع في الحياة سوى الاستمتاع بالتدخين ، وان ارتباطي بالسيجارة هو ارتباط الدم بنسبة من النيكوتين أعتاد عليها ، وهذا ـ باختصار وتبسيط ـ تفسير ادمان السجائر ، واعترف بانها كثيرا ما كانت تتفهم وجهة النظر هذه . . وكنت أقول لها دوما انني مع مرور الأيام وتقدم السن أقلل السجائر تدريجيا ، ولكنها فجأة . وفي السنة الأخيرة انقلبت رأسا على عقب . . وأصبحت السجائر لعنة ، ورائحة التدخين مصيبة . . و . . . و . . . ولم تنته المشاجرات اليومية وبقدر ما أزعجني كثرة الشجار . . بقدر ماكانت مفاجأتي عندما عرفت أسبابه الحقيقية ، فلم أعد اهتم به كثيرا ، ففي عقب كل طلب يرفض لها ، أو موضوع نختلف حوله ، أو شيء أطلب منها الامتناع عنه ، تبدأ في معركة لاتنتهي حول التدخين وأخطاره ورائحة الدخان وآثار السجائر . . ورأسي الذي صار منفضة ، وسيل لاينقطع من أوصاف المدخنين وأخطار السجائر ، ونظرا لاكتشاف حقيقة الاعتراضات ، فلم أعد أهتم . . وصارت بسمتي تثيرها أكثر فتزداد حدة . . وتزداد أعصابها انهيارا . . فأشعل أنا سيجارة أدخنها في صمت .

هو



من الحياة

يَوم وجَدت أمي !

بقلم : منير نصيف

كانت طفولته بلا أمومة ، فقد ماتت أمه بعد أن وهبته الحياة .. وحمله والده الى جدته العجوز الطيبة ... وهناك في البيت الريفي الصغير .. نفس البيت الذي قضت فيه الأم طفولتها... نشأ الأبن وكبر وسط الحب الذي كانت تغدقه عليه جدته . ولكنه لم يستطع أن ينسى أمه .. كانت جدته تحدثه عنها ، وكان كلما أنصت الى حديثها الحلو عن الأبنة والأم التي ذهبت ولن تعود ، إزداد شوقا الى معرفة المزيد عنها .. كيف كانت تبدو؟ هل كانت جميلة ؟ ماذا كانت تريد له أن يكون ؟ هل أتيحت لها فرصة رؤية طفلها قبل أن ترحل ؟

وكان يجد عند جدته بعض الاجابات على أسئلته الحائرة .. ولكنه كان يجد كل ما يريد أن يعرفه في الصورة الكبيرة التي تتوسط احدى جدران البيت .. انها صورة أمه بعد أن احتفلت بزواجها بأيام قليلة .. وكان يجلس على الأرض أمام صورة الأم التي لم يرها ، ويرفع رأسه وتتعلق عيناه بهذا الوجه الجميل .. وما أكثر اللحظات التي كان يشعر فيها بأن أمه تحدثه وتنصت الى كلماته ، وترد على أسئلته ، فاذا فرغ من مناجاته لها وحديثه معها أسرع الى غرفته ودفن رأسه في فراشه الصغير وانفجر يبكي .

وتمر الأيام .. ويصبح الطفل الصغير اليتيم رجلا .. لقد بلغ عامه العشرين ، عندما قرر والده أن يرسله الى المدينة ليلتحق بالجامعة ، ويعيش وسط صخبها وحده بعيدا عن البيت الذي احتضن طفولته ، والجدة التي سهرت على تربيته ورعايته ..

كان قد مضى عليه في حياته الجديدة مع الوحدة التي يعيشها بعيدا عن الجدة ، التي أعطته كل حبها وحنانها ، أكثر من عام كامل .. وكان يشعر بالضياع في هذه المدينة الكبيرة التي لا يعرف فيها أحدا ولا يعرفه أحد .. كان يكره عطلة نهاية الاسبوع التي يضطر فيها الى ترك غرفته الصغيرة في بيت الطلبة داخل الحرم الجامعي .. كان يرى زملاءه يعدون الأيام ويتعجلون مجيء العطلة ، ليذهبوا الى بيوتهم القريبة والبعيدة .. أما هو فقد كان يجد في الأيام التي تمر وتقترب به من نهاية الأسبوع رحلة قصيرة ينتقل بعدها الى حياة الوحدة التي كرهها ..

وكان يقنع في معظم العطلات بقضاء النهار وسط الحدائق العامة ، وتحت ظلال الشجر ، كان يجد بعض السلوى مع صفحات الكتاب الجديد الذي استعاره من مكتبة الجامعة .. ولكنه لم يستطع أبدا أن يطرد من رأسه صورة الأم التي كان يبحث عنها ... وما أكثر المرات التي خيل اليه فيها أنه يراها .. في وجوه بعض النساء اللواتي كن يعبرن الطريق أمامه كما

وفي يوم أشرقت فيه الشمس ، وعطلة الصيف الطويلة تقترب ، كان لقاؤه مع القدر . . مع المرأة التي قضى عشرين عاما من عمره يبحث عنها . . مع أمه التي خيل اليه أنه وجدها في هذه المرأة التي كانت تجلس وحيدة على المقعد الكبير في الحديقة العامة ، التي تعود أن يذهب اليها ، ويقرأ في كتبه تحت ظلال أشجارها . .

من بعيد . . أحس بشيء غريب يشده شدا اليها . . . حتى قبل أن يقترب منها ، ويتأمل ملامح وجهها الهادىء . . فلما أصبح على بعد خطوات من المكان الذي تجلس فيه ، شعر بقدميه تتسمران في الأرض ، وبالعرق يتصبب من وجهه ، وبضربات قلبه تتسارع ، وصوت يصرخ في داخله (يا الهي . . انها هي . . انها أمي) !

وسخر من نفسه ، ولكنه عاد يدقق النظر ، ويقارن بين صاحبة الوجه التي تجلس أمامه على بعد خطوات منه ، وبين الصورة التي لم تفارق جيب سترته لحظة واحدة . . . !

وأحست به ، ورمقته بنظرة تحمل بعض معاني الحنان والدفء ، التي توزعها على الأطفال الذين يأتون كل يوم الى الحديقة ، التي تعودت أن تأتي اليها ، وتنعم بدفء شمسها كلما انقشعت السحب .

وقال على الفور وهو يقترب منها : (أُسعدت صباحا ياسيدتي . . هل تسمحين لي بالجلوس معك . . انك تشبهين أمي شبها شديدا . . أنا لم أرها ، فقد رحلت أثناء ولادتي ، ولكنني أحمل صورتها دائما معي !)

ثم مد يده الى جيبه وأخرج الصورة ، وقدمها اليها . . .

- انها فتاة جميلة ، ولكنها في مثل سن ابنتي .

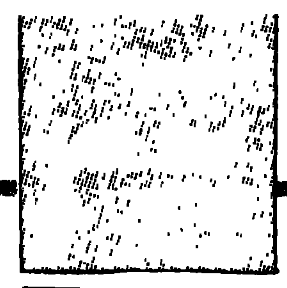
- انها صورتها منذ عشرين عاما وهي تعيش معي ولا تغيب عن مخيلتي لحظة واحدة . . . انني افتقدها ، ولا أظن أن هناك شيئا في هذه الدنيا يمكن أن ينسيني أمي . . .

انظري الى صورتها . . تأملي تقاطيع وجهها ، ألا ترين الشبه الشديد الذي رأيته أنا بينكما ، رغم فارق السن الكبير ؟



لو كن طيفا ، لايلبث أن يخبو ويختفي . . وفي المطعم الصغير الذي كان يقصده عندما يحين موعد الغداء . . وبين صفحات الكتاب وهو ماض في قراءته كلما استوقفته عبارة تذكره بشيء من الحرمان الذي عاشه في طفولته . . في كل مرة كان يخلو فيها الى نفسه ، كان يجدها معه ، ويخيل اليه أنها تحدثه . . وكان صوتها الذي لم يسمعه أبدا يملأ أذنيه وهي تخاطبه وتدعو له بالنجاح . .

فاذا انتهت رحلة اليوم وأقبل الليل ، عاد الى حجرته الصغيرة في بيت الطلبة ، وألقى بجسمه فوق فراشه ، وأغمض عينيه ، وأسلم نفسه للنوم مع أحلامه .





لماذا يتبول الأطفال رغماً عنهم؟





تتحكم بالتبول اللاارادي عند الأطفال عوامل عديدة تتعلق بالاسلوب والطريقة اللذين تنهجها الأم لتعليم طفلها كيفية التبول بالطريقة الصحيحة . وهذه العملية قد تبدو صعبة للبعض ، سهلة للبعض الآخر ولكن الاسلوب المتبع له-بلا أدنى شك-تأثير مباشر وقوي على شخصية هذا الطفل ، بل ان ما قد يتكون لديه من عُقَد تستمر معه حتى كبره .

من المعروف علميا لدى الاطباء أن التبول عند الاطفال ينتظم في سن سنتين ونصف السنة مع مراعاة عدم تخلفه عقلياً .

واستمرار التبول اللاارادي لدى الطفل بعد ذلك يعني بالضرورة وجود سبب عضوي أو ربما نفسي ، مما يسبب التبول النهاري .

ولذلك فاننا نجد أن ٣٠٪ من الأطفال في عمر الست سنوات يتبولون أثناء الليل ثم تنخفض هذه النسبة الى ١٪ حين يصل الى سن ١٨ سنة .

وسعة المثانة لدى الطفل هي أحد الأسباب العضوية الرئيسية التي تؤثر على حالة الطفل وتبوله .

عوامل عضوية :

فالمثانة الطبيعية لدى الطفل تتسع الى ١٠ ملم لكل كلغ واحد . أما في الشخص البالغ ، فتصل سعتها من ٣٥٠ ـ ٥٠٠سم٣ وبذلك فقد يرجع سبب عدم تحكم الطفل في عملية التبول الى ضيق المثانة،أو ربما لاسباب عضوية أخرى كالتهاب مجرى البول أو حدوث انسداد به . ونسبة الأطفال الذين يعانون ذلك لا تتعدى ١٪ .

وللطب النفسي رأي في هذا المجال ، الدكتور صالح الحلو طبيب استشاري بمستشفى الطب النفسي يقول : غالبية الأطفال يتحكمون بعملية التبول إراديا عندما يبلغون سن الثلاث سنوات من العمر . والتحكم النهاري عادة يسبق التحكم الليلي ، واستمرار الطفل في التبول على نفسه لاارادیا بعد هذه السن يعتبر أمراً غير طبيعي ، ويجب البحث عن أسبابه .

التبول اللاإرادي لدى الاطفال يقسم الى قسمين :

تبول لاارادي أولي حيث تبدو الحالة منذ الولادة ، وتبول لاارادي ثانوي وذلك عندما تبدأ الحالة بعد مضي سنة أو أكثر على تحكم الطفل بعملية التبول في السن المناسبة ولكن لسبب ما يفقد هذه القدرة على التحكم ، ويبدأ بالتبول على نفسه لاارادیا ، وربما

تمتد هذه الفترة - أي فترة التبول اللاارادي - حتى سنوات المراهقة المتأخرة ، وحتى بعد البلوغ .

أما من حيث توقيت التبول اللاارادي فهناك ثلاثة أنواع .

١ - التبول اللاارادي الليلي وهو الأكثر مستوى .
٢ - التبول اللاارادي النهاري .
٣ - الاثنان معا ، أي حدوث التبول في الفترتين معا .

وعوامل نفسية :

وعلى الرغم من شيوع وانتشار هذه المشكلة بين الاطفال ، وخاصة التلاميذ في سني الدراسة الاولى ، فلم يستدل حتى الآن على وجود سبب واحد معين ، وانما هناك عدة عوامل مهمة يمكن أن تساهم في التبول اللاارادي ويمكن تلخيصها بما يلي :

أولا : عوامل عضوية أو جسمية ، وهي الأمراض التي تصيب جهاز المسالك البولية فتسبب اضطراب وظيفته ، مثل التهاب مجرى البول والمثانة البولية خاصة في الاناث .

ثانيا : عوامل نفسية كالصرع ، وخاصة النوبات الصرعية الليلية حيث يتبول بعض المصابين بهذا المرض على أنفسهم لاارادياً اثناء النوبة الصرعية .

ثالثا : عوامل عضوية كالسكري وذلك لما يسببه من زيادة كبيرة في افراز البول . ولكن هذا لا يعني أن كل مصاب بمرض السكري يتبول على نفسه لاارادياً .

انه سبب عضوي

١ - أسباب وراثية : حيث يستدل على وجود أسباب وراثية في حوالي ٧٠٪ من حالات التبول اللاارادي . وتأخر في اكتمال نضوج الجهاز العصبي أو بعض أجزائه

ويجب التأكد هنا من أن الأسباب العضوية للتبول اللاارادي نادرة جدا .

وينتقل الدكتور الحلو للحديث عن أهم الأسباب والعوامل النفسية للتبول اللاارادي والتي تشتمل على :

١ - الاضطرابات والضغوط العاطفية والوجدانية خاصة في السنوات الأربع الاولى من حياة الطفل ، لأن هذه الفترة هي التي يكتسب فيها الطفل القدرة على التحكم في عملية التبول ، وكأمثلة على الاشياء التي يمكن أن تؤدي الى هذه الاضطرابات: الحروق الشديدة والعمليات الجراحية . ودخول المستشفى للعلاج خاصة للاطفال شديدي التعلق بأمهاتهم ، أو ولادة طفل جديد في العائلة ، أو انفصال الاب عن الام بشكل عام أو انفصال عن الأم بشكل خاص

ويجب ألا ننسى بأنه في بعض الأحيان يكون العكس هو الصحيح أي ان الاضطرابات العاطفية تكون ناتجة عن التبول اللاارادي وليس مسببا له .

٢ - اهمال الأهل لعملية تدريب الطفل على التبول الارادي في الوقت والمكان المناسبين ، واحيانا يبالغ الأهل في عملية التدريب هذه فيعاقبون الطفل بشدة اثناءها فيفقدون بهذا تعاون الطفل،ومن ثم ترتبط عملية التبول في ذهنه بالعقوبة الشديدة والألم ، مما ينتج آثاراً عكسية على عملية التبول نفسها ، ولذا نرى أن التبول اللاارادي أكثر انتشارا بين التلاميذ الذين تربوا ونشأوا في مؤسسات خاصة غير بيت العائلة كدار الايتام مثلا . .

٣ - التبول اللاارادي ممكن أن يكون أحد أعراض اضطراب السلوك عند الأطفال وخاصة في الاناث، كالكذب والعدوانية والسرقة والتغيب عن المدرسة بدون علم الأهل .

٤ - الحالة الاجتماعية والاقتصادية لعائلة الطفل يمكن أن يكون لها أثر في حدوث هذه المشكلة ، حيث وجد أن التبول اللاارادي يكثر في الطبقات الاجتماعية الدنيا والفقيرة خاصة وأن وجود طفل يعاني من التبول اللاارادي بين اخوته سيجعله في موقف حرج أمامهم خاصة اذا ظهر ضيقهم منه واضحا أمامه .

٥ - الظروف البيئية الخاصة في البيت كوجود علاقة سيئة بين الطفل وأهله وخاصة امه . حيث وجد أن بعض هؤلاء الأطفال لا يتبولون على أنفسهم

حين يذهبون لزيارة الاقارب أو الاصدقاء،في حين انه لا يستطيع التحكم بنفسه عندما ينام في منزل والديه .

طرق العلاج :

ان التبول اللاارادي يختلف من طفل لآخر تبعا لظروفه الخاصة . ولذا فان العلاج يعتمد على طبيعة حالة الطفل نفسه والعوامل المسببة للحالة . ولكن بشكل عام يمكن تلخيص أساليب وطرق العلاج فيما يلي :

١ - قبل ان نبدأ العلاج يجب ارسال عينات من بول الطفل الى المختبر لاجراء فحص البول الروتيني واجراء زراعة للبول في بعض الاحيان وعمل صورة أشعة لجهاز المسالك البولية اذا لزم الأمر .

٢ - يجب بالطبع علاج المرض العضوي المسبب ان وجد بالادوية والجراحات اللازمة .

٣ - علاج المرض النفسي ان وجد عن طريق البحث في الحالة وأسبابها .

٤ - يطلب من الطفل بأن يقوم هو شخصيا - أو أحد ذويه - بعمل جدول يبين الايام والتواريخ التي يتبول فيها على نفسه . ومن ثم نقوم بتشجيعه ومكافأته على الليالي الجافة ، أي التي لا يبول فيها سواء بالمديح المعنوي او بتقديم بعض الهدايا البسيطة كمكافأة له على التقدم وزيادة عدد الليالي الجافة .

٥ - اذا لم تنجح هذه الطريقة البسيطة يمكن أن نلجأ الى العلاج بالأدوية تحت اشراف الطبيب النفساني وارشاداته ، وذلك بجرعات تتناسب مع عمر ووزن الطفل . وفي الغالب تعطى جرعة واحدة فقط قبل النوم ليلا ، واذا لم تتحسن الحالة بعد مضي أربعة اسابيع على استعمال الأدوية يجب أن نوقف اعطاء الادوية أو نزيد جرعتها .

٦ - العلاج السلوكي ، وهو العلاج بجهاز يشبه جهاز الجرس الكهربائي،وهو جهاز بسيط جدا يتكون من صفحتين رقيقتين من المعدن احداهما فيها ثقوب صغيرة وبينهما قطعة قماش قطنية مثلا . وهذه جميعها متصلة بسلك وبطارية،وعند نزول أول نقطة من البول تغلق الدائرة الكهربائية فيرن الجرس ويستيقظ الطفل ليوقف الجهاز . عملية الاستيقاظ المفاجىء تساهم في قبض عضلات المثانة ، مما يجعل عملية ذهاب الطفل الى دورة المياه سهلة .

نسبة النجاح في استعمال هذا الجهاز تقارب ٨٠٪ أو أكثر ، ويجدر بالاهل وضع الجهاز بعيدا عن متناول يد الابن بحيث لا يستطيع ايقافه بيده وهو نائم في سريره فيغلب عليه الكسل ولا يذهب الى دورة المياه للتبول .

ومن الأشياء المهمة التي يجب أن يراعيها الأهل :

أولا : على الطفل أن لا يغلب عليه الخجل من هذه الحالة ، بل يجب على أهله مراجعة الطبيب بأسرع وقت ممكن واستشارته والاستماع الى إرشاداته وتنفيذها ، لأنه كلما كان العلاج مبكرا كانت النتائج افضل .

ثانيا : على الرغم من أن معظم الذين يعانون من حالة التبول اللاارادي يتوقفون عن ذلك عند الكبر ، الا ان هذا يجب أن لا يكون مبرراً لعدم العلاج في سن مبكرة ، لان استمرار الحالة لفترة طويلة يؤدي إلى مضاعفات نفسية عند الطفل أو الشاب .

ثالثا : بعض الأهل يمنعون أبناءهم الذين يعانون من حالة التبول اللاارادي من تناول المشروبات والسوائل خاصة قبل النوم ويوقظونهم من نومهم كي يذهبوا للتبول في دورة المياه في أوقات معينة ظنا منهم أن هذا هو العلاج الأمثل في هذه الحالات لذا يجب أن نذكر هؤلاء الأهل بأنه لم تثبت جدوى هذا التصرف في العلاج . ولذا يفضل الامتناع عنه واستشارة الطبيب المختص لاخذ العلاج اللازم

وعلى الام أن تشعر طفلها بأن هذا الأمر يخصه هو ، وعليه تقع المسئولية ، وهذا يولد لدى الطفل شعورا بالأهمية ورغبة منه باثبات الذات يساهم في عملية تحكمه في التبول بقناعة كاملة .

ان عملية التحكم في التبول لا تعتمد اعتمادا كليا على الام وحدها أو الطفل وحده بل هي عملية يساهم فيها جميع أفراد الاسرة في محاولة منهم لانهاء المشكلة دون ترك أي آثار جانبية قد تؤثر مستقبلا على شخصية ونفسية الطفل . □

طبيب الأسرة

كيف نتعامل مع .. طفل مريض بالسكر ؟

أكثر ما يبعث التوتر والقلق في منزل ما ، مرض أحد أفراده . فالمريض أيا كان نوع مرضه يحتاج الى رعاية خاصة لكي يسترد عافيته، ولكن ماذا لو كان هذا المريض طفلاً ؟ وكيف للام أو للطبيب التعامل مع المريض الطفل الذي لا يعرف للمرض معنى ، ولايفقه في أمور الحياة سوى اللعب والانطلاق ؟

كيف ستمنع الأم عن طفلها انواعا معينة من الطعام ، وكيف ستستطيع الزامه بالنوم وهو الذي اعتاد الحيوية والنشاط ؟ هذا القلق تعانيه كل أم يصاب طفلها بمرض السكر

الدكتور شاكر غنيمي اخصائي أمراض السكر في وزارة الصحة يقول : يختلف مرض السكر في الاطفال عنه في البالغين في نواح كثيرة ، حتى أن البعض قد ذهب الى الاعتقاد بأنهما مرضان مختلفان مع أنهما في الواقع ليسا سوى وجهين مختلفين لعملة واحدة

فمرض السكر قد يصيب الانسان في سني العمر الأولى ويسمى حينئذ سكر الاطفال ، وقد يصيبه بعد سن الاربعين ويسمى سكر البالغين .

يصاب الأطفال بمرض السكر عادة في سن تقل عن سن العاشرة أو عند البلوغ ، ونادرا ما يصابون في سن تقل عن الثانية ، وحتى الآن فنحن لا نعرف على وجه التأكيد لماذا يصاب الطفل بهذا المرض . ولكن هناك بعض الملاحظات ، ومنها أن بعض الأطفال يصابون بهذا المرض بعد اصابتهم بالتهابات فيروسية معينة كالتهاب الغدة النكافية أو النزلات البردية أو المعوية ، فقد لوحظ ظهور حالات جديدة لمرض السكر بين الأطفال بعد الاصابة بالنزلات البردية في الشتاء والنزلات المعوية في الصيف . كما أن اصابة الطفل بمرض السكر في سن البلوغ جعل البعض يعتقد بأن هرمون النمو قد يلعب دورا في اصابة الطفل بمرض السكر ، وأحيانا اخرى يسبب خللا في جهاز المناعة في جسمه ولعل هذه النظرية هي الأرجح حيث تتكون في دم الطفل مواد مضادة لخلايا البنكرياس التي تفرز الانسولين فتؤدي الى تلف هذه الخلايا فتصبح بذلك عاجزة عن افراز هذا الهرمون الضروري للحياة ، فيصاب الطفل حينئذ بمرض السكر

وقد تمكن العلماء من اثبات وجود هذه المواد المضادة في دم الكثير من الاطفال المصابين بمرض السكر ، ومرض السكر في الاطفال ليس وراثيا بالضرورة ، كما هو الحال في سكر البالغين .

أعراض المرض

تكون أعراض مرض السكر في الاطفال شديدة منذ البداية ، وتتداعى بسرعة على خلاف الحال في

سكر البالغين الذين قد لا يشعرون بأية اعراض اطلاقا ، أو يتعايشون مع الاعراض لمدة طويلة قبل اكتشاف المرض .

يبدو الطفل ذابلا كثير العطش وكثير التبول في النهار والليل . ومن الاعراض التي يجب أن تلفت انتباه الابوين عودة طفلهم الى التبول في فراشه ليلا بعد اقلاعه عن ذلك لفترة طويلة

يقل كذلك نشاط الطفل وتحصيله المدرسي ، واذا لم يتم التشخيص يستمر سكر الدم في الارتفاع فيزداد التبول ، ويكثر العطش ويصاب الطفل بالجفاف وينقص وزنه وقد يشكو من ألم في البطن ويتقيأ ، وقد ترتفع درجة حرارته وتظهر في دمه مواد حمضية كالاستون ما تلبث أن تتراكم وتبدأ الكلى في افرازها مع البول كما تخرج مع هواء الزفير أثناء التنفس فتكسبه رائحة الاستون الخاصة .

اذا استمر الحال كذلك دون علاج يفقد الطفل وعيه ويصاب بالغيبوبة المعروفة باسم غيبوبة ارتفاع السكر الحمضية .

ومن المؤسف أن جهل الاسرة باعراض هذا المرض يجعلهم لا يكتشفونه الا في مرحلته الأخيرة .

ويتم تشخيص المرض بتحليل الدم لمعرفة نسبة السكر فيه والتي تكون دائما مرتفعة كثيرا عن المعدلات الطبيعية ، كما يجب تحليل البول للسكر والاستون . وفي الأطفال صغار السن يمكن الكشف عن السكر في البول بلمس شريط التحليل الخاص بالكشف عن السكر بلفائف الطفل المبللة ببوله .

ويعالج الأطفال المصابون بمرض السكر بالانسولين ـ والذي يعتبر في هذه الحالة بديلا عن الانسولين الذي فقدته أجسامهم ، ولم يعودوا قادرين على صنعه . ويجب التأكد هنا أنه لا مجال لعلاج الأطفال بأدوية السكر التي تؤخذ عن طريق الفم كما هي الحال في المرضى البالغين .

دورك أيتها الأم

لا شك ان الألم يعتصر قلب هذه الأم التي تجد صعوبة في منع الطفل من تناول الأطباق التي تقدم لبقية أفراد العائلة .

فكيف لها أن تحرم الطفل من نوع معين من الفاكهة ، أو من مشاركته الاسرة في المناسبات بتناول الحلوى ؟

فكل طفل مصاب بداء السكر يعطى الانسولين بالحقن تحت الجلد صباحا قبل الافطار ، وقد يحتاج الطفل الى حقنه مرة ثانية في المساء قبل العشاء حتى يمكن التحكم بصورة أفضل في سكر الدم المرتفع وتخفيضه الى المعدلات الطبيعية .

ويجب أن تنتبه الأم كما يقول الدكتور غنيمي : الى نقص السكر في الدم دون المعدل الطبيعي ، وهذا أحد مضاعفات العلاج بالانسولين حيث يحدث هذا النقص اذا كانت جرعة الانسولين أكثر مما يحتاجه الطفل ، كما يحدث اذا تأخر الطفل عن تناول وجبات الطعام الأساسية او الاضافية في مواعيدها المحددة ، فالتنظيم أمر ضروري يجب أن تراعيه الأم لمنع تمادي المرض وسلبياته .

كما يجب عليها أن تحاول بشتى الوسائل الحد من نشاطات طفلها العضلية الزائدة كالرياضة بأنواعها .

ومن أعراض نقص السكر في الدم شعور المصاب بالجوع حيث يصبح لونه شاحبا ويتصبب عرقا ويشعر بالخفقان لازدياد ضربات القلب . وقد يشعر بتنميل في الفم والاصابع ، وتكون هذه الاعراض بمثابة الانذار بان نسبة السكر في الدم قد انخفضت وان على الام حينئذ المسارعة الى توفير النوعيات والكميات المناسبة من الطعام ، والا فان الاعراض تتتابع بسرعة فيصاب الطفل بالصداع ثم يفقد اترانه ، وقد تبدو منه بعض التصرفات الغريبة من تشنجات الى فقدان الوعي .

وكي تتجنب الأم حدوث مثل تلك الحالات ، عليها تنظيم وجبات الطعام ، وتقسيمها الى ثلاث وجبات أساسية واثنتين خفيفتين مثل الشطائر الى جانب تعويد الطفل القيام بتدريبات رياضية .

كما يستحسن تقليل جرعة الانسولين في الايام التي يمارس فيها الطفل نشاطا رياضية ملحوظا .

ولعلاج هبوط السكر ، على الام الاسراع بتقديم

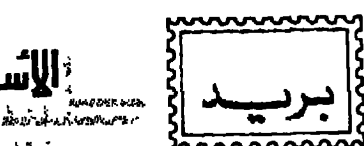
محلول سكري لطفلها كعصير البرتقال المحلى أو المياه الغازية أو بتناول قطعتين من السكر أو ملعقتين من المربى او قطعة من الحلوى ، هذا اذا كان الطفل واعيا .

أما اذا فقد الطفل وعيه فيكون العلاج حينئذ في المستشفى أو العيادة،وذلك بحقنة محلول السكر المركز في الوريد،ودور الأم هنا بالغ الأهمية ، فعليها ان تنتبه لمناسبة الغذاء لمتطلبات نمو الجسم ونشاطه ، كما يجب الا يشعر الطفل بالحرمان دون اخوانه .

وهنا يأتي الدور الفعلي لافراد الاسرة بالمحافظة على شعوره والاعتدال في منهاج الغذاء للاسرة ككل . مع محاولة تجنب المواد السكرية بوجه عام كالحلوى والمربى والمياه الغازية بأنواعها ، أما المواد النشوية فتؤخذ تبعا لحاجة الجسم ونشاط وعمر الطفل ، وكذلك المواد البروتينية التي تساعد على نمو الجسم ، ويفضل الابتعاد عن المواد الدهنية الغنية بالكلسترول كالدهون الحيوانية .

كما يجب مراعاة غنى الغذاء بالفيتامينات والاملاح المعدنية وهذه متوفرة في الخضار والفاكهة واللحوم بانواعها . □

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆



التطعيم ضد الجديري

❀ أصيب أحد أطفال الجيران بمرض جدرى الماء أو الجديري ، فهل يمكن حماية أطفالي باستعمال التطعيم ضد الجدرى ؟

س . ع دمشق

الحديث عن الجدرى يعتبر اليوم من أمور التاريخ ، بعد أن نجحت الأوساط الدولية فى القضاء عليه بفضل حملة التطعيم الشاملة التى قادتها منظمة الصحة العالمية على مدى عشر سنوات ، لدرجة أنه لم تسجل أية اصابة جديدة بالجدرى منذ بضع سنوات فى أى مكان من العالم ، والتطعيم ضد الجدرى الذى ابتكره الدكتور ادوارد جلنر فى القرن الثامن عشر هو نوعي ، بمعنى أنه يعطى مناعة ضد الجدرى فقط ، وهو عبارة عن فيروس حي مروض .

أما مرض الجديرى فهو مرض آخر مختلف ، يتسبب من فيروس خاص آخر لا علاقة له بفيروس الجدرى ، وربما تشابه الجديرى مع الجدرى فى بعض الأعراض ، ولكنه أقل خطرا وضررا ، لهذا حمل اسما مشابها هو الجدرى الكاذب ، أو الجديرى ، أو جدرى الماء ، ولكن التطعيم ضد الجدرى لا يعطى مناعة اطلاقا ضد الجديرى ، وانما الاصابة به تعطى مناعة أبدية ، ويقال ان الأوساط العلمية الدولية بصدد انتاج طعم خاص ضد الجديرى ، ولكنه لن يكون له ذات الأهمية التى نالها التطعيم ضد الجدرى ، ولا يتوقع له أن يشيع استعماله على نطاق واسع قبل مرور بضع سنوات ، كما لن يكون له ذلك الأثر والأهمية التى كانت للتطعيم ضد الجدرى . □

الزمع

❀ اعاني من وجود اصبع زائدة فى يدى مما يسبب لى حرجا شديدا بسبب فضول الناس . فما هو الخطر من وجود الأصبع الزائدة وما هو التصرف السليم ؟

خ . ى صنعاء

الزمع هو الاسم الذى يطلقونه على وجود أصبع زائدة فى اليد أو القدم ، بحيث تعد أصابع اليد

بريد طبيب الأسرة

أكثر من الأصابع الخمس المعتادة ، وهذا أمر لا خطر فيه ولا ضرر منه ، وانما هو أمر من أمور الوراثة

ويقال أن قبيلة عربية جاهلية كان أبناؤها يتميرون بالرمع ، لدرجة أن الشك كان يحوم حول صحة نسب الطفل الطبيعي اذا ما ولد طبيعيا بخمس أصابع فقط . والأمر كما قلنا لاخطر منه ولا ضرر فيه ، ويمكن تلافي الحرج بازالة الأصبع جراحيا دون أي أثر على صاحبه ، ولكن هذا لا يمنع أبدا توريث هذه الصفة الى الأجيال القادمة من الأبناء والأحفاد □

هرمون الغضب Adrenaline

■ قرأت فيما أقرأ عن هرمون يدعونه بهرمون الغضب . والحقيقة أنني بالرغم من شغفي بالقراءات الطبية لم أسمع بمثل هذا الهرمون ، ولا الى أية غدة ينتمي أو مفعوله في الجسم،فهل لي منكم ببعض المعلومات المفصلة؟ ولكم شكري وتقديري .

س . ي . ـ حمص ـ سوريا

تقع فوق الكلية غدة صماء تفرز عدة هرمونات ، وهذه الغدة التي يدعونها الغدة فوق الكلوية ، أو غدة الكظر ، تتكون من شقين :

الشق الأول هو الخارجي ويسمى بالقشرة Cortex أو اللحاء ، والشق الثاني هو الداخلي ويسمى باللب أو النخاع medulla .

ان نخاع الكظر يفرز هرمونات أهمها هرمون الادرنالين أو الابينفرين Adrenaline Or Epinephrine ، كما يفرز هرمونا آخر يدعى نورأدرنالين Noradrenaline ، وهذه الهرمونات التي تفرز في الأحوال الطبيعية للانسان بكميات قليلة لها تأثير يشبه تأثير العصب السمبثاوي Sympathatic ، الذي يدعى في العربية بالعصب الفردي ، أو العاطفي ، لأنه يستثار عند زيادة العاطفة كالخوف والغضب .

لهذا فان هرمون الأدرنالين يزداد افرازه لمواجهة المواقف العاطفية ، وأهمها الخوف والغضب ، ومن هنا حمل هذا الهرمون اسم هرمون الغضب مجازا ، لأن تأثيره على الجسم يتسم بالاعراض التي نلحظها عندما يستثار الانسان والحيوان ، أو عندما يغضب

وتأثير هذا الهرمون الذي نعزوه الجسم عند الاستثارة هو لاعداد الجسم وتهيئة أعصابه لمواجهة متطلبات الموقف الدفاعي أو الهجومي

ان الادرنالين يعتبر قابضا للاوعية الدمويه ، وخاصة في الجلد والانسجة المخاطية ، وأوعية الكلية والاحشاء ، باستثناء شرايين القلب التاجية ، وأوعية المخ والرئتين التي تتسع مع فرط الادرنالين ، كما تزيد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم ، وتتوتر العضلات وتبطىء الأمعاء والمثانة .

لهذا يستفاد من الأدرنالين وزميله النورادرنالين في عده مواقف ، استطبابية منها ايقاف النزيف في مواضع عدة ، كنزيف الرعاف من الأنف ، أو نزيف الأسنان بعد قلعها .

كما يستفاد منه في تقليل النزيف والألم اذا مزج بمخدر موضعي في العمليات الجراحية البسيطة مثل الجلد أو الأسنان وما اليه .

وقد وجدت له فوائد عامة أخرى أهمها معالجة مواقف الحساسية الشديدة كالربو الشعبي أو الارتيكاريا الجلدية ، وأحيانا يستعمل في حال توقف القلب كلية عن العمل .

ان النورأدرنالين يشبه زميله الادرنالين ولكنه أقوى منه في قبض الأوعية الدموية وأضعف منه في الحقول الأخرى □



الأم الأسيرة

منحتنا أغلى ما لديها ، عمرها . . صحتها وأعصابها . . دون أن تنتظر ثمنا أو تطالبنا بشيء،كنا عشرة أخوة ، سته من البنين وأربعا من البنات . الاب دائم الارتحال والسفر بين أقطار وبلدان شتى . وبقيت هي عمود البيت وسوره،تحملت من أمراضها وأوجاعها ، وعرف جسدها المرض مبكرا ، فصاحب أمراض السكر والكبد والدم والقلب وأخيرا أمراض العين وتحملت كل هذا وظلت صامدة تمنح وتعطى . . تصون وتحمي . تغرس وتعلم . . كانت في سماطتها شامخة نبيلة . ذات كبرياء وعظمة انسانية كعظمة ملايين الامهات في وطننا العربي اللاتي تظل معركتهن مع الحياة لا تنتهي من أجل أن يظل الموقد مشتعلا والاناء مليئا بالطعام والفراش مرتبا للاطفال . . هذه العظمة النبيلة البسيطة التي لا تبحث عن ضوء . ولا عن فلاش تصوير . . . ولا عن خبر في جريدة . . ولا عن لقطة في تلفاز

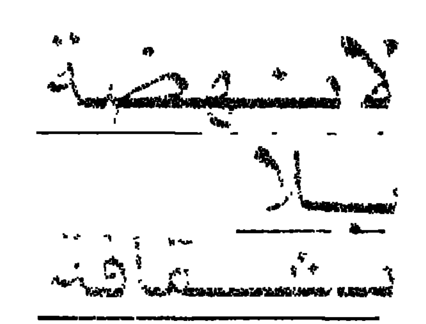
ولم تظل معركة أمهاتنا محصورة في نطاق هموم الحياة اليومية وما اكثرها ـ فقد اتسع نطاق المعركة وامتد ليشمل حماها وقلبها ويغرس في القلوب زهرة حزينة . ففي زمان التردي والهزيمة وسنوات الجمر والبحث عن مكان أفضل تحت الشمس . . كانت الام وقودا . . وعلى امتداد الخريطة العربية تتناثر بيوت تضم أمهات قدمن أبناءهن طعاما للسجون والمعتقلات وأخريات قدمن اكبادهن دفاعا عن الارض والشرف والوطن،وليس صدفة أن تتوالى أخبار أمهات عرضن صدورهن لرصاص الاحتلال وعصى الخونة .

ويتسع التاريخ كله لنماذج يومية حتى على مستوى البيت الصغير للحظات عطاء بلا حدود . . حتى يخيل الينا حينا أن العالم على اتساعه قد صغر حتى اختصر في الام أو انها ـ أى أم ـ قد كبرت حتى احتوت العالم . . فصارت هي الحنان والعطاء والجذر والسند . . والصدر والمغفرة والشرف والوطن ومعنى الحياه .

ومع بواكير الربيع . تتفتح في الارض زهرة . . تنمو مندندشة الاوراق عبقة العطر . . ويغنى الاطفال لامهاتهم . . ونغنى نحن للام الاسيرة . . الوطن والحرية . . . نحلم لهما بيوم الخلاص كى يصبح للحياة معنى وقيمة لاتزول . □

محمود عبدالوهاب

العربي العربي العربي
العربي العربي العربي
من ربع قرن



العدد السادس عشر مارس ١٩٦٠



ان التعريف الواضح المحدد لكلمة (ثقافة) في معناها البعيد الشامل ، لا يمكن أن يتأتى بالجمود على المدلول اللغوي للكلمة في معاجم اللغة ومظان التفسير .

وانما هى الوان لا حصر لها من المعرفة الدقيقة العميقة الشاملة التي تساعد على تفسير الظواهر المدركة بالحواس والتأملات الممعنة نفاذا الى أعماق التفكير ، في تجريد دقيق يوفي على الغاية من حيث جميع الظواهر والانفعالات ، ليمكن الوصول عن طريقها الى صقل القرائح والأذهان ، والتأثير في سير النتاج العقلي بكافة فروعه واتجاهاته .

وتثقيف الفرد هو الأساس في تثقيف الشعب لسبب بدهي بسيط ، هو أن الفرد خلية حية فاعلة في جسم الشعب ، وترابط الخلايا والتحامها وتفاعلها بشكل ملزم في الحياة اليومية وفي بناء الكيان التاريخي الاجتماعي للكائن الحي ، هو في حد ذاته عملية تشكيل شعبي على المعنى الوثيق الذي نفهمه اليوم .

وكما يحمل الفرد مسؤولية ضخمة تجاه الشعب في مجال التثقيف والمعرفة ، كذلك يحمل الشعب مسؤولية أكثر ضخامة في المجال ذاته ، تجاه نفسه أولا ، وتجاه الفرد ثانيا ، ثم تجاه الانسانية على المرمى القصي من الموضوع بالتالي .

فالثقافة ليست وقفا على أحد دون أحد ، ولا هي ملك قوم دون قوم ، انما هي ملك للجميع ، وينبوع ثرٌ في متناول الكافة ، وهي بعد ذلك حصيلة مراس فكري وتجريبي طويل ، تتركز في تقييمها كافة الخصائص التي تميز فردا من فرد وأمة من أمة .

ان الثقافة ، في تلونها وتنوعها ، حصيلة تأمل وتجربة وانتاج ، تترسب خصائصها عبر الزمن في أعماق التفكير العام لمجموعات الشعب وتكون التراث الفكري للأمة .

وهذا التراث ، بصرف النظر عما فيه من قيم مجردة ، هو في الواقع خميرة التكوين الفكري عند أي شعب حين تطرح خصائصه الثقافية على بساط البحث والتقييم .

ولعل من الخطأ أن نسبغ على التراث الفكري لشعب ما، صفة الاستقلال الذاتي، لأن هذا التراث نفسه، يخرج من نطاق الأهمية الفردية الضيقة، ليتنشر في نطاق المعرفة الانسانية الشاملة، فيصبح ملكا للكافة، وارثا للجميع، أي للانسانية كلها على تباعد الأمكنة والعصور.

فالنظريات الفلسفية، والآراء اللاهوتية، والمذاهب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ومناهج الرياضة وعلم النفس، وما تفرغ عنها كلها أو دخل في بابها مما نادى به أعلام وباحثون ونقاد من مختلف الأمم والأقوام والشعوب، قد غزت العقل البشري منذ وعى التفكير المنظم، وسوف لا تفتأ تغزوه وتؤثر فيه الى آخر الزمان دون تفريق بين شرق وغرب أو صعيد وصعيد، ولا سيما بعد أن تقدمت وسائل الطباعة والنشر والاذاعة، واستحدثت أسباب النقل الحي للحوادث والتجارب، وكادت تلغي مقاييس الزمان والمكان في مجال التحرك والانتقال على سطح هذا الكوكب الأرضي من أقصاه الى أقصاه.

نعم ان مناهج التثقيف تختلف بين أمة وأمة، وتدخل في تركيب بنيانها آثار وعوامل خصائصية متميزة، كالدين والمذهب والبيئة واللغة والمناخ وشروط العيش والعادات المتوارثة، ولكن الأصول الثقافية الخالصة تظل تنبع أبدا من ينبوع واحد ضخم مشترك، هو العقل الانساني في مختلف أدوار تطوره وارتقائه.

واذا كانت غاية التثقيف في ذاتها، تحويل الفرد من «لا انسان» في تصرفه وتدبيره، الى انسان في سمته ونهجه وتفكيره، فها هنا تتوضح الأهمية الكبرى لوضع المناهج الصحيحة لتثقيف الشعب على نطاق شامل.

وهنا يعرض لنا سؤال لا بد منه، لنحصر المرمى الدقيق الذي يترتب على تثقيف الشعب، وهو: ما هي الفروق المميزة بين شعب وشعب في مضمار التقدم والرقي والاكتفاء الذاتي لتخطيط المستوى العام؟

الجواب على ذلك لا يحتاج الى كبير عناء، فبصرف النظر عن سائر العوامل التي تتنازع حياة الشعب في المجالين السياسي والاقتصادي، فتدفعها الى امام أو تجذبها الى وراء، فان هناك قاسما مشتركا أعظم يوضح الجوهر البسيط الثمين لواقع تلك الفروق المميزة، وهو مقدار ما يتمتع به شعب ما من ثقافة صحيحة في وجهيها العام والاختصاصي، سواء في مضمار التلقي والأخذ أو في مضمار الانتاج والعطاء.

فسائر القيم التي ترتكز عليها المقومات العامة لشخصية الشعب، انما تتوضح في مقدار نصيبه من الثقافة، ذلك النصيب الذي تتركز فيه حتما كافة صنوف القدرة والنشاط التي تضبط موقف هذا الشعب أو ذاك من نفسه أولا، ثم من الشعوب الأخرى بالتالي.

والفرق بين شعب متعلم بصير، ملكت ثقافته أدوات التفوق والغلبة، وشعب جاهل ضرير لا حول له من ثقافة منظمة أو بصيرة نامية واعية، هو السلاح الاول من اسلحة الاستعمار.. قد يقال ان الفرق الجوهري بين شعب مستعمر وآخر مستعمر، هو واقع القوة والضعف بكل ما تنطوي عليه هاتان الصفتان من طاقات وقيم وحقائق راهنة، وقد يكون لهذا القول ظل من حقيقة، ولكنه مردود في النهاية الى أساس العلة وجوهر السبب، وهو ما بين الشعبين كليهما من فروق في المعرفة مكنت ذلك من امتلاك أسباب الغلبة والتفوق، وقعدت بهذا عن مجاراته ومحاكاته فلم يمكن من الوقوف في وجهه ورد عدوانه.

بل ما لنا نشق على أنفسنا في التماس البراهين من المنطق والقياس وأمامنا حقائق مجردة تنهض أدلة مقنعة على ما نقول؟

أفكان يمكن أن يتخلف الشعب العربي هذا التخلف المفزع المريع، أو أن يسيطر عليه الاستعمار هذه السيطرة الطويلة الظالمة لو نمت في تربته بذور العلم في تطوره وتقدمه، فمكنته من امتلاك أسباب قوته الذاتية واستغلال قدراته الهائلة؟ □

فؤاد الرفاعي ـ حلب

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ - ما الفرق في اللغة بين الحنيف والأحنف ؟

٢ - سيمون بوليفار (١٧٨٣ - ١٨٣٠) يسمونه المحرر .. لماذا . ؟

■ لأنه حرر بوليفيا ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة اليه .

■ لأنه حرر فنزويلا مسقط رأسه .

■ لأنه حرر كلتا الدولتين المذكورتين وحرر أيضا كولمبيا والاكوادور والبيرو .

٣ - الولايات المتحدة هي الدولة التي تملك أكبر رصيد (حكومي) من الذهب . ترى أي الشعوب يملك أفراده أكبر رصيد (شعبي) من الذهب ؟

■ شعب الولايات المتحدة .

■ شعب جنوب أفريقيا

■ الهنود .

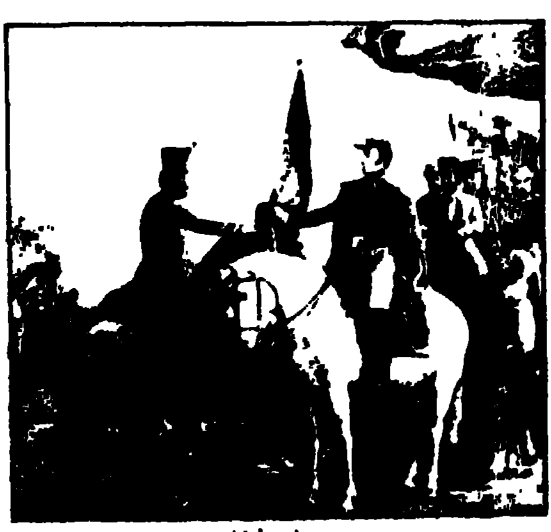
٤ - ماهي الشجرة التي أكل آدم وحواء - عليهما السلام - من ثمارها فكان ماكان .. ؟

■ شجرة تفاح أحمر .

■ شجرة تفاح أصفر .

■ لايعرف ان كانت شجرة تفاح أو غير تفاح .

٥ - لويس باستور وادوارد جنر . كلاهما اشتهر



سيمون بوليفار



لويس باستور

الثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٦ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول مايو ١٩٨٥ .

ـالتلقيح . . فـأي مـرض عـالجه كـل منهـما بالتلقيح . ؟

٦ ـ حلفنة الحديد هي طلاؤه بـالزنـك معا لتـآكله وتأكسده . . فما هي جلفنة المطاط ؟

٧ ـ جزيرة غينيا الجديدة تتقاسمها دولتان هما استراليا وبابوا وجزيرة هسبيولا من جزر الهند العربية تتقاسمها دولة هايتي ودولة الدوميك . فما هي الجزيرة التي تتقاسمها ثلاث دول وما هي تلك الدول علما بأن الجزيرة المقصودة تقع في جزر الهند الشرقية . . ؟

٨ ـ من المعروف أن فصل الصيف في نصف الكرة الشمالي يقابله فصل الشتاء في نصف الكرة الجنوبي . . ترى كم تبلغ الساعة في اتحاد جنوب افريقيا حين تبلغ الثانية عشرة ظهرا في فرنسا . . . !

٩ ـ سمِّ دولتين أو جزيرتين يمر بهما خط التوقيت الدولي . . . . ؟

١٠ ـ هوكايدو شيكوكو هونشو جوجتسو
كلمات يابانية متجانسة ماعدا واحدة . . فأيّ منها النشاز ؟

١١ ـ نقرأ في كتب السلف الصالح عن نهر الرها ونهر جيحون . . ترى ما الاسماء التي يعرف بها هذان النهران في الوقت الحاضر . . ؟

١٢ ـ لفظ أمجاد . . هل هو جمع مجد أم جمع مجيد . . . . ؟

العدد ٣١٦

مارس ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

٤ ـ . . . .

٥ ـ . . . .

٦ ـ . . . .

٧ ـ . . . .

٨ ـ . . . .

٩ ـ . . . .

١٠ ـ . . . .

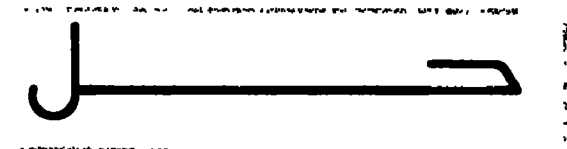
١١ ـ . . . .

١٢ ـ . . . .

الاسم : . . . .

العنوان : . . . .

مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي



١ - أول بئر بترول في التاريخ حفرت لأغراض تجاريه في بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في ٢٧ أغسطس سنة ١٨٥٩ .

٢ - يبلغ مجمل الاستهلاك العالمي من البترول = ١٠٠٠ مليون طن سنويا .

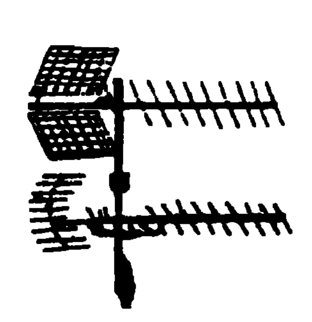
٣ - زيت الحوت هو الزيت الذي استعملوه للاضاءة قبل سنة ١٨٤٠ .

٤ - اللحمة هي مانسج من الثوب عرضا ، والسدى (أو السداة) ما مد خيوط الثوب طولا . . . وتعني اللحمة أيضا القرابة ، وتعني الأسدية (جمع سدى) الندى . والمقصود بقولهم « ما أنت بلحمة ولا سداة » أنك لاتضر ولاتنفع .

٥ - لفظ استاد يوناني أصلا . . وقد رمز الى وحدة قياس مسافة قدرها ٦٠٠ قدم (١٩٤ ياردة) ، ثم الى الملعب الذي تقام فيه المباريات التي تعتمد تلك المسافة

٦ - الايريال والانتين يؤديان نفس المعنى . . والفرق بينهما هو أن الاول شائع في أوروبا وسواها والثاني شائع في الولايات المتحدة .

٧ - الدين المقصود هو المعروف في أمريكا باسم (كريستشان سيانس) أو العلم المسيحي . . ويعود تأسيسه الى امرأة هي ماري باكر ادي M.B. Eddy وهو في الواقع مذهب من مذاهب الدين المسيحي ويقوم على الاعتقاد بامكانية الشفاء من



مسابقة العدد ٣١٣ ديسمبر ١٩٨٤

ـ الأمراض بلا دواء .

٨ ـ المرجان الأحمر الذي نعرف والذي نعتبره من الأحجار الكريمة وهو صنف واحد فقط من أصناف المرجان الكثيرة التي تعد بالآلاف والتي تضم فيما تضم المرجان الأسود والأبيض وغير ذلك . . . وهي لاتعتبر من الأحجار الكريمة .

٩ ـ عرف أهل الغرب الموز بواسطة العرب الذين نقلوا زراعته من موطنه الاصلي في الهند وأواسط آسيا الى حوض البحر المتوسط . . وسموه (بنانا) أسوة بالعرب الذين سموه بنان المور .

١٠ ـ فراخ الدجاج لاتحتاج الى أكل أو شرب في الفترة التي تعقب فقس بيضها لذلك كان حرص أصحاب المداجن على شحنها في اليوم الاول .

١١ ـ المدينة المفضلة للذين يشكون ارتفاع ضغط دمهم هي : أريحا . . فهي تقع دون مستوى البحر بخلاف القدس الجبلية . . فالضغط الجوي فيها إذن أقل مما هو على سطح البحر ومن شأنه أن يريد ضغط الدم ارتفاعا .

١٢ ـ صبغة اليود هي المادة المستخرجة من عشبة بحرية .

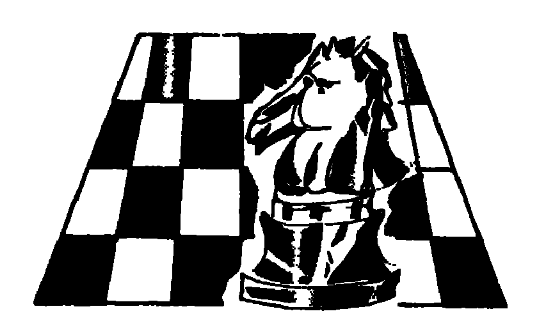
الفائزون في مسابقة العدد ٣١٣ ديسمبر

الجائزة الاولى : كمال أبو اليزيد شباره ـ كفر الزيات ـ جمهورية مصر العربية .
الجائزة الثانية : السماحي بوشتي ـ المصلحة البيطرية ـ الحسيمة ـ المملكة المغربية
الجائزة الثالثة : السيدة/ انعام محمود عمر أبو صافية ـ الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ ياسر غسان جميل ـ الكويت
٢ ـ حسن توفيق عودة ـ حسين داي ـ الجمهورية الجزائرية
٣ ـ السيدة/ سماح حسن عباس المهدي ـ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة .
٤ ـ علي بن سالم ـ قابس ـ الجمهورية التونسية .
٥ ـ محمد عثمان عبد الباري عثمان القدسي ـ جامعة صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية .
٦ ـ مصطفى عبد الله سعد ـ السودان ـ شرطة رفاعة .
٧ ـ محمد قاسم سومرو ـ البريد كمالديرو ـ نواب شاه ـ سند ـ باكستان .
٨ ـ وليد سليمان السلوم ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

معركة بلا سلاح



الشطرنج الآلي والانسان . . . لمن تكون الغلبة ؟

لن يمضي وقت طويل حتى يصبح الكومبيوتر المنزلي جزءاً أساسياً من أثاث كل منزل في العالم المتحضّر . . . ومع الكومبيوتر المنزلي يدخل الشطرنج الالي ويسهم مع غيره من أدوات التسلية المنزلية الأخرى في امتاع وتسليه جميع أفراد الأسرة . وفي الاسواق الآن العشرات من برامج الشطرنج التي تتفوق أو تدعي التفوق على كبار اللاعبين من بني البشر . . . والحق ان القليل والقليل جداً من البرامج قد تمكن من الوصول إلى مستوى استاذ دولي (دون ٢٥٠٠ نقطة) .

ويتوقع المبرمج الشطرنجي المشهور « مونتي نيوبورن » ان يتمكن الشطرنج الآلي من الوصول إلى مستوى استاذ كبير (فوق ٢٥٠٠ نقطة) قبل نهاية العام الحالي وأن يتفوق على أبطال العالم جميعاً من بني البشر في موعد أقصاه عام ١٩٩٢ وعش رجبا ترى عجبا .

وتقوم في بلاد الغرب حالياً مباريات منتظمة بين البرامج الآلية بعضها البعض وبينها وبين اللاعبين من بني البشر يشهدها الالوف من المتفرجين وتنفق على اعدادها عشرات الالوف من الدولارات .

وقد اخترنا لهذا العدد دوراً بين الكومبيوتر المعروف باسم chess 4.6 واللاعب البريطاني مايكل ستين الحامل للقب استاذ دولي كبير (٢٥٠٠ نقطة)

دفاع اوين

ابيض : (شطرنج آلي) اسود : مايكل ستين

١ ـ هـ ٤	ب ٦

لعبها « ستين » لتشويش الكومبيوتر وإبعاده عن

الافتتاحيات المدروسة

٢ ـ د ٤	ف - ب ٧
٣ ـ ح - جـ ٣	جـ ٥
٤ ـ د × جـ ٥	ب × جـ ٥
٥ ـ ف - هـ ٣	د ٦
٦ ـ ف - ب ٥ +	ح - د ٧
٧ ـ ح - و ٣	هـ ٦
٨ ـ ت	أ ٦
٩ ـ ف × د ٧ +	و × د ٧
١٠ ـ و - د ٣	ح - هـ ٧
١١ ـ ر أ. د ١	ر ـ د ٨
١٢ ـ و - جـ ٤	ح - ز ٦

لا يستطيع الاسود ان يلعب ١٣ ـ ف × جـ ٥ خوفا من ١٣ . . . . . و - جـ ٦

١٣ ـ ر و - هـ ١	ف - هـ ٧
١٤ ـ و - ب ٣	و - جـ ٦
١٥ ـ م - حـ ١	

نقلة تثير الشك فبالاضافة الى خسارة الوقت فانها تضع الملك على الوتر الذي يسيطر عليه وزير الخصم دون مبرر

١٥ ـ	ت
١٦ ـ ف - ز ٥	ف - أ ٨
١٧ ـ ف × هـ ٧	ح × هـ ٧
١٨ ـ أ ٤	ر - ب ٨
١٩ ـ و - أ ٢	ر - ب ٤
٢٠ ـ ب ٣	

حل المسألة رقم (٢٥)

١ ـ	و×ز ٢ +
٢ ـ م×ز ٢	ف ـ و ٣ +
٣ ـ م ـ ز ١	ح ـ حـ٣#

٢٠	و ٥
٢١ . ح ـ ز٥	و×هـ ٤
٢٢ . ح جـ×هـ ٤	ر×و٢

تبدو قوية لأول وهلة ولكن الكومبيوتر كان أبعد نظراً من خصمه

٢٣ . ر×د٦

وهنا يصبح الاستاذ « ستين » غاضباً : « يا لك من وحش آلي لعين ! » فقد أدرك أن خصمه الآلي يهدد بكش مات في النقلة التالية فيقرر التضحية بالوزير .

٢٣	و×د٦
٢٤ . ح×د٦	ر×ز٢

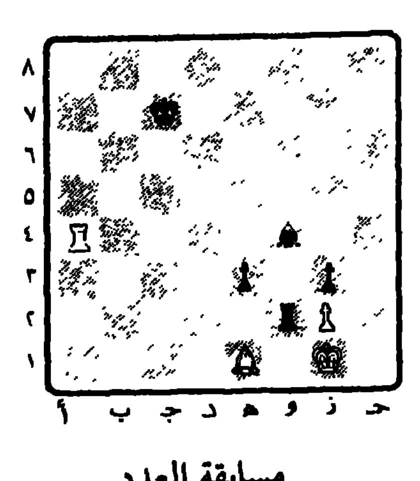
الاسود يهدد بأخذ الوزير بالكشف

٢٥ . ح ز ـ هـ ٤	ر ـ ز٤
٢٦ . جـ ٤	ح ـ و٥
٢٧ . حـ ٣ ! (رائعة)	

وهنا يصبح « ستين » رغماً عنه : « يا له من كمبيوتر عبقري ! » فقد كان يتوقع ان يأخذ بالحصان فيأخذ هو بالبيدق ويكسب بذلك الحصان المُسَمّر .

٢٧	ح ـ ز٣+
٢٨ . م ـ حـ ٢	ر×هـ ٤
٢٩ . و ـ و٢ !	مهدداً كش مات
٢٩	حـ ٦
٣٠ . ح×هـ ٤	و ـ و٣

فاستبدل الأبيض الرّخ بقطعتين وعندها لم يجد الاستاذ الكبير مَفَرّاً من الاقرار بالهزيمة لخصمه الآلي بعد أن أصبح يتفوق عليه تفوّقاً مادياً ملحوظاً .



مسابقة العدد
مسألة رقم ٢٧

الأسود يلعب ويكسب الدور

الفائزون بحل المسابقة رقم (٢٣)
عدد نوفمبر ٨٤

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ محمود عمران القاهرة / ج م ع
٢ ـ محمد الشربجي بيروت / لبنان
٣ ـ لطفية الشبعان المحرق / البحرين
٤ ـ نور الدين قضومي سيدي بوزيد / تونس
٥ ـ محمد طعمة دمشق / سوريا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ مهيد المتوكل الخرطوم / السودان
٢ ـ أحمد محي الدين الدمام / السعودية
٣ ـ أيمن خضر الصفاة / الكويت
٤ ـ محمد الشحات الزقازيق / ج م ع
٥ ـ محمد صلاح الدين مسقط / عمان

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

ساطع الحصري

● نقرأ كثيرا عن ساطع الحصري ، لكننا لم نعرف بالتحديد أصل هذا العالم ، فالبعض يقول أنه من مواليد سوريا ، وأن أصله من اليمن . والبعض الآخر يقول أن أصله وولادته كانت في سوريا ، وهذا الاختلاف في الأقوال دفعني الى أن أرسل لكم رسالتي هذه من أجل أن تفيدونا بالحقيقة جوابا عن سؤالي . .

نوال محمود ـ مشرف ـ الكويت

ساطع الحصري من مواليد اليمن ، وكان والده قاضيا فيها ، وهو من أصل سوري ، تلقى تعليمه في تركيا وفرنسا وسوريا ، وتقلد في تركيا وظائف ادارية وتربوية ، وهو أحد رواد الحركة العربية التي استهدفت وحدة الأمة العربية ، التحق بحكومة سوريا في عهد الأمير فيصل ورحل معه الى العراق .

له عدة مؤلفات منها « القومية العربية ودراسات عن مقدمه ابن خلدون » . .

الكويت نظامها ديمقراطي

● نقرأ كثيرا عن الكويت . . هذا البلد الذي يصدر مجلتنا « العربي » منذ أكثر من ٢٥ عاما . ورغم كل الذي قرأناه ونقرؤه فاننا لا نزال نبحث عن معلومات جديدة عن هذا البلد العربي الذي يلعب دورا بارزا في مسيرة الأمة العربية ، سواء من النواحي السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية ، وكم نتمنى ـ نحن طلبة المدارس الجزائرية ـ أن تعطونا بعض المعلومات عن الكويت ، من حيث السكان والحياة الديمقراطية والتعليمية فيها . .

حمادي عما
عنابة ـ الجزائر

كنا نتمنى أن يعرف القارىء العزيز ما أراد معرفته دون سؤال المجلة ، خاصة وأنه طالب على مقاعد الدراسة ، والمنهج لا يخلو من المعلومات التي يريدها ، ومع ذلك فنحن على استعداد أن نحقق له ما يريد بتركيز شديد .

فالكويت بلد عربي اسلامي ، مستقل منذ ٢٥ فبراير ١٩٦١ ، يبلغ تعداد السكان في (١٫٣٧٤٫٩٢١) نسمة حسب احصاء ١٩٨٠ م ، تتمتع الكويت بالحياة البرلمانية ، اذ يبلغ عدد النواب في مجلس الأمة ٥٠ نائبا ، ينتخبون من ٢٥ دائرة انتخابية ، وتتعدد المدارس في الكويت من رياض للأطفال الى الثانوية ، وفي الكويت جامعة تحوي معظم الدراسات الأدبية والعلمية ، ويلتحق بها من ينهي المرحلة الثانوية ويحصل على النسبة المطلوبة .

نشــر ملاحظــات وتعليقــات قرائهـا الأعزاء على ما ينشــر فيهامن آراء وتحقيقات

اعـــداد : يـــوسف الشهاب

الثقب . . والنجم الثاقب

● قرأت ما كتبه المهندس . . سمير صلاح الدين في عدد ديسمبر من مجلتنا العربي حول حقيقة « الثقب الأسود في السماء » والحقيقة أن تناول الكـاتب كان شيقا من حيث المضمون والصياغة . ومع هذا فقد ظلت هناك نقطة لم يشـر اليها كـاتب المقال ، وهي نقطة اشارة القرآن الكريم لهذه الظاهرة وعدم ربط هذا الموضوع بكتاب الله الذي لم يترك صغيـرة ولا كبيرة في هذا الكون الا أحصاها .

ففي سورة . . « الطارق » جاء ذكر النجم الثاقب حيث قال سبحانه وتعالى « والسماء والطارق ، ومـا أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب » . . والثاقب هنا لا يعني الثقب بمعناه الظاهري ، وانما هو جذب كل شيء يقترب منه . . واذا ما تأملنا قليلا نجد أن الأمر ليس هينا كما نتصور ، ففي الاكتشاف عزة وشموخ للقرآن الكريم ، المنزل من الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، خالق هذا الكون ومن عليه . .

محمد حسين محمد ـ القاهرة
جمهورية مصر العربية

الذي يتدبر في آيات القرآن الكريم ، يقف على كثير من نواحي الحياة التي تناولتها السور ، فخلق ، الانسان والبحار واليابسة والسـماء وما فيهـا والجنة والنار . . . كل هذه وغيرها جاء ذكرها في الكتاب المبين الذي لا يـأتيه البـاطل من بـين يديـه ولا من خلفه .

القناعة عند العرب

● امتـدت القناعـة عند العـرب ، فوصلت الى النواحي العاطفية والقلبية ، واذا كانت القـاعة تفيد في حال الأفراد ، فهل تفيد المناعة في حال الشعوب والأمم . . ؟

ولقد أخذت القناعة عندي معاني جميلة ، فقدمت بحثا فيها الى احدى الكليات الجامعية ، لكن هـذا البحث لم يقبل لأنني في مراحل الدراسة المتوسطة .

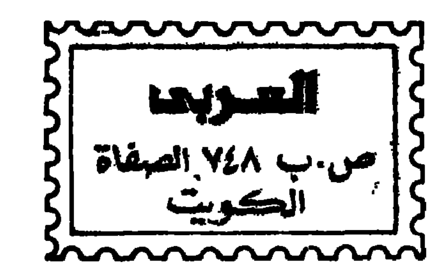
فما هو تفسيركم لهذا الرفض ؟ !

عبد الله عبد المطلب ـ المنصورة
مصر العربية

فيما يتعلق بالرفض للبحث الذي قـدمته ، فـان ذلك أمر اعتيادي ما دمت طالبا بالمرحلة المتوسطة ، والبحث الذي قدمته للجامعة للحصول على مؤهل دراسي ، والـطريق عادة يبـدأ بالخـطوة الاولى فلا تستعجل واقنع بما لديك . . فإنه كنز لا يفنى . .

مغالطــات

● ان تشبيه المخ البشري بالكمبيـوتر فيـه تجاوز كبير ، فمخ الانسان الذي اخترع آلاف النماذج من أجهزة الكمبيوتر بالغة التعقيد لا يعقل تشبيهه بأحد انجازاته ومخترعاته . ففرق كبـير بين الصـانع ومـا صنـع ، ومهما بلغنـا من التقـدم والتـطور ، ومهـما



حوار القراء

ارتفعت تكنولوجيا العصر الحديث ، ومهما كانت عبقرية الانسان . فانها تقف عاجزة حائرة أمام معجزات الخالق عز وجل ، ولا يزال الانسان في سعيه الدائب نحو التقدم يجهل الكثير عن الأرض التي تطؤها قدماه ، والسماء التي تظله ، والبحار والمحيطات التي تمخر عبابها سفنه ، بل انه يجهل الكثير عن جسمه هو نفسه . . ! وما يقال عن الكمبيوتر وتسميته بالعقل الالكتروني ، وما يقال عما يسمونه بالانسان الالي ، ينطوي في الواقع على مغالطات خطيرة ، فكلاهما قبل كل شيء آلة لا تحس ولا تنفعل ولا تتكلم ، ولا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ، ولا تدب فيها حياة ، ولا يمكن مقارنتها بالانسان الذي اخترعها ويسيطر عليها ولا تنفذ الا ما يمليه عليها وما يلقنها اياه ، ولا تتحرك الا بضغطة من أصابعه على زر هنا أو هناك .

الانسان أكرم مخلوقات الله ، يفيض بالمشاعر والأحاسيس ، وينبض بالحياة ، ولا يمكن أن يقارن بالات جامدة من صنع يديه . وهنا لا بد أن نحني رؤوسنا خشوعا للمولى عز وجل ، سبحانه وتعالى وهو الخلاق العظيم . .

أحمد محمد أحمد باذيب ـ عدن
اليمن الديمقراطية

لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نتجاهل عظمة الخالق في خلق الانسان وتسويته بأحسن صورة ـ قال تعالى « . . في أي صورة ما شاء ركبك » . واختراع الكمبيوتر لا يعني تجاهلا للعقل الانساني ، بل هو دليل آخر على قدرة هذا الانسان بصنع هذا الجهاز فيما حباه الله من عقل وعلم . .

ردود خاصة

● **الأخ جبار جاسم الشمري ـ من العراق** ـ ما طلبته من معلومات ومطبوعات اعلامية عن « كوالا لمبور » عاصمة ماليزيا . . في امكانك أن تكتب الى وزارة الاعلام الماليزيه ، وسوف تجد لديها كل ما تريد

● **القبول في جامعة الكويت** الذي تساءل عنه القارىء عبد الله خليل الحربي من سوريا . . نقول له ان الجامعة لا تقبل طلابا من خارج الكويت الا طلبة المنح الدراسية وأبناء الكويت والخليج ، بالاضافة الى غير الكويتيين الذين يأتون بنسب تحددها الجامعة كل عام . . وفي امكانك أن تكتب لعمادة شئون الطلبة في جامعة الكويت لمزيد من الاستفسار .

● **القارىء مصطفى محمد الكاتب . . ليبيا** ـ بخصوص ايجاد باب للتعارف في العربي ، يؤسفنا أن نعتذر عن تحقيق رغبتك ، لأن رسالة المجلة هي علمية وثقافية وأدبية . . والمجلات والصحف تغطي هذا الجانب الذي تريده وشكرا . .



من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر :
وزارة الإعلام - الكويت

١٨٦
أول مارس

ميديا

تأليف : بيير كورني
ترجمة وتقديم : ميخائيل بشاي
مراجعة : د. حماده ابراهيم


زهور
الاوركيد
مهرجان من
الالوان
في الكويت

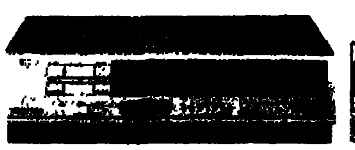
أوْجِد مَسْرحًا من البهْجة والذكريَات الجمُيلة لإسعَاد ج
أفرَاد العَائلة في منزلك.

عرّف عائلتك إلى عالم القيديو المثير واضمن لهم التجربة بوضع أسس تكوين شبكة ترا
بهم. تمتع بنظامي البث بال وسيكام واستقبل العديد من المحطات التلفزيونية التي تعة
UHF/VHF . سجّل البرامج التي لاترغب تفويتها وذلك بواسطة المؤقت المبرمج لتسجيل
٨ أيام. أما جهاز التحكم عن بعد - ١٠ وظائف فيقدّم تحكمًا دقيقًا يشمل إعادة البث ب
الثابتة مما يمكّنك من التوقف عند المشهد الذي تريده، البحث عن الصورة بالألو
الترجيع الاوتوماتيكي، عداد الشريط الرقمي والعديد غيرها من الميزات التي توفر
سهولة التحكم لمشاهدة العالم. إن العرض متواصل مع سانيو.





VTC R[illegible] PAL/SECAM/[illegible] video cassette recorder



VTC [illegible] PAL/SECAM/NTSC 3 58/NTSC 4 43 [illegible] video cassette recorder

العدد ٣١٧ — ابريل ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR.44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No. 317 Apr. 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهمًا
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسًا	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أوجنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشًا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

محتويات العدد

وجه مشرق لفتاة بين زهور الأوركيد (ص ٦٠)

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

● منتدى العربي :

● من مكتبة العربي :

المراسلات باسم رئيس التحرير . . والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العدد ٣١٧ ـ ابريل ١٩٨٥

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

الإنسان.. ذلك الهدف الأسمى

□ الديمقراطية حوار بين الحاكم والمحكوم يعترف فيه الطرفان بأنهما لا يملكان وحدهما كل الحقيقة.

□ التجربة الديمقراطية في الكويت اعتراف بإنسانية الإنسان وبأن له دورا حضاريا وإيجابيا في إحداث التغيير.

□ البرلمان ليس "مؤتمر سفراء" لمصالح متفاوتة ولكنه "جمعية تشاورية" لشعب واحد ومصلحة واحدة.

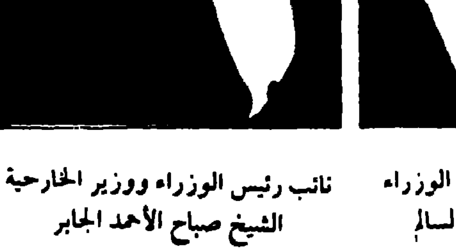
من الأمور التي نعاني منها نتيجة ظروف الطباعة والتجهيز في « العربي » (معضلة الوقت) . فنحن نقوم بتجهيز أعدادنا للطباعة قبل خمسة أسابيع على الأقل من وصولها الى يد القارىء .. وذلك عبء نتحمله ويفهمه أيضا قراؤنا ، حيث أن الأعداد الكبيرة المطلوبة من المجلة وظروف الطباعة نفسها تجبرنا على ذلك .



سمو أمير دولة الكويت
الشيخ جابر الأحمد الصباح



ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء
الشيخ سعد العبدالله السالم

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
الشيخ صباح الأحمد الجابر

من نتائج تلك الظروف-التي كثيرا ما تظهر ـ أننا نكتب عن موضوع حيوي ومهم ويأخذ طريقه الى المطبعة ، ثم نجد أن وسائل الاعلام الأسبوعية أو حتى اليومية قد تناولته . كما أنه من النتائج الاخرى أن يمر بنا موضوع حيوي آخر لا نستطيع تناوله الا بعد فترة من حدوثه . واذا كان الأمر الأول يؤدي الى شيء من الاحباط ، فإن الأمر الثاني ـ رغم سلبياته ـ قد يعطي الفرصة للتفكير والتحليل ، بعيدا عن فرح اللحظة أو حزنها .

●●●

ومناسبة حديثي هذا الشهر هي مناسبة فرحة بكل المقاييس : ليس لأصحابها فقط وإنما ـ في تقديري ـ لكل العرب .

المناسبة . . هي الانتخابات النيابية الكويتية التي جرت في العشرين من شهر فبراير الماضي لانتخاب ممثلين عن الشعب الكويتي في مجلس الأمة السادس .

ولم تقتصر متابعة تلك الانتخابات ونتائجها على الاعلام المحلي فقط ، بل تعدتها الى وسائل الاعلام العربية والعالمية ، كما تابعها كل المهتمين بالشئون السياسية في الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه ، وظهرت هذه المتابعة من خلال المقالات الكثيرة التي كتبت حولها في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية في الوطن العربي وخارجه .

ولقد أثبتت هذه الانتخابات أول ما أثبتت ، حكمة القيادة السياسية الكويتية وثاقب بصيرتها ، ففي هذا البلد الصغير بحجمه الكبير بأعماله

وممارساته ، تمت على أرضه - وللمرة السادسة من تاريخه - حملة انتخابية ناضجة ومؤثرة استقبلتها الأقلام العربية في كثير من أقطار الوطن العربي بحماس كبير . هذا الاستقبال له دلالته العميقة في المدى القصير والطويل .

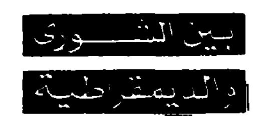
لقد تفجر المخزون الثقافي لدى الشعب الكويتي ، وظهر أكثر ما يكون صحة وحيوية في الحملة الانتخابية لمجلس الأمة السادس ، والتي بدأت رسميا قبل يوم الاقتراع في العشرين من فبراير الماضي بحوالي شهر ونصف .

وتسابق المرشحون يعرضون برامجهم الانتخابية كل بطريقته ، في جو سادته روح التنافس الأخوي والوعي بالمسئولية الوطنية ، وأحاطته الحرية التامة دون أي تدخل من أي جانب . وهكذا تحولت الكويت في أواخر يناير الماضي وجل فبراير إلى ساحة للحوار الكبير . . حوار حول السياسة الداخلية ، وكذلك حوار حول الوضع العربي العام .

تقليديا . . يقيم المرشحون في الكويت خياما لمقارهم الانتخابية في المناطق التي يرشحون أنفسهم فيها ، وتغص هذه الخيام كل ليلة بالناخبين - ليس من أبناء المنطقة الانتخابية فقط - ولكن من أبناء المناطق الانتخابية الأخرى من الراغبين في المشاركة . . بعض المرشحين يتولى بنفسه بسط وجهة نظره في الموضوعات المطروحة ، وطائفة أخرى من المرشحين يستعينون بمن يتوسمون فيهم حسن القيام بهذه المهمة من أبناء وطنهم . . وقليلون آخرون يكتفون باللقاءات الاجتماعية لابداء وجهة نظرهم .

ولكن ذلك كله على اختلاف ألوانه سمي في هذه الحملة الانتخابية (بالعرس الديمقراطي في الكويت) ولقد علق أحد الكتاب العرب بعد ظهور نتائج الانتخابات في الكويت مشيرا لأهميتها العربية بقوله : (قد لا تكون الانتخابات الأخيرة في الكويت أهم انتخابات في تاريخه . . ولكنها بالتأكيد أهم انتخابات بالنسبة إلينا نحن العرب في الظروف الحاضرة ونقول أيضا في الظروف القاهرة) .

لقد اشتاق العرب لرؤية صناديق الاقتراع ورؤية شعبهم يدلي بصوته دون ضغط ، هذا الاشتياق هو الذي جعل الجميع ينظر الى انتخابات الكويت ١٩٨٥ هذه النظرة الشمولية .



□ مجموعات أكثر وأكثر من المثقفين والمهتمين العرب يناقشون ويدعون للديمقراطية ، بعضهم من المهتمين بالشأن العربي العام يدعون للشورى من منطلق أن هذا المفهوم أقرب الى النزعة التراثية لنا كأمة عربية ومسلمة ، والبعض الآخر يدعو الى الديمقراطية كنظام متكامل للحكم . ومهما كانت الدعوة لهذه أو لتلك - واذا تخلصنا من سجن المفاهيم والمصطلحات - فان كثيرين من المفكرين أصبحوا يهتمون بالمحتوى بدلا من التمسك



لم تمنعه شيخوخته ومرضه فجاءه ليشارك في ابداء رأيه والتمسك بحقه الانتخابي

بالمصطلح ، وها هو مفكر إسلامي عربي هو خالد محمد خالد يكتب سلسلة مقالات في مجلة المصور بهذا المعنى ويبدأ مقالاته بالاحتجاج القوي حيث يقول :

(انه لأمر ينفي سكينة النفس ويثير غيظ الحليم أن يجد انسان نفسه مطالبا بتبرير الديمقراطية وتزيينها لقومه من عرب ومسلمين) .

وفي أي وقت كتب ذلك المفكر هذا الكلام ؟

يقول : (قبل سنوات قصار من بزوغ فجر القرن الواحد والعشرين وطلوع شمسه . . .) .

خالد محمد خالد ، وكتاب ومفكرون آخرون كثيرون ، لم تعد تعنيهم المصطلحات اذا كان هناك شبه اتفاق على المحتوى ، ولم ألتق بمفكر أو كاتب أو مهتم في الوطن العربي - مهما كانت اجتهاداته - إلا وافق على مبدأ الديمقراطية حيث يعيش المواطنون سادة أحرارا آمنين ، وحيث يحكم الحكام من خلال دستور متفق عليه . لقد اكتشف الكثيرون من المفكرين ذوي البصر والبصيرة التخوم الواسعة المشتركة بين الاسلام كدين ودولة ، وبين الديمقراطية كمنهج ونظام ، حيث يحث الاسلام على أن يكون الناس عبادا لا عبيدا .. وتؤكد الديمقراطية على المواطنة لا التبعية .

المجتهدون السياسيون والاجتماعيون العرب أيضاً يحشون على الديمقراطية ، بعضهم يضع تحفظا حول التطبيق الغربي للديمقراطية ، ربما من منطلق فهم محدود بأن هذا التطبيق بالضرورة هو نفسه الذي يمكن أن يطبق في بلادنا . . وذلك غير صحيح .

فالديمقراطية مثلها مثل عدد كبير من المصطلحات التي تشير الى ظواهر كلية وذات طبيعة شاملة ، ومن الخطأ طرحها على العقل العربي العام دون واقعية ملائمة . ومن هنا تكسب التجربة الكويتية أهميتها القصوى ، حيث أنها تطبيق لمفاهيم عامة تفاعلت مع الواقع المحلي ، ونجح هذا التفاعل الى درجة لفتت إليه الأنظار في كل أصقاع الوطن العربي . حيث أنه من الممكن لمؤيدي الديمقراطية النيابية ـ جميعهم أو معظمهم على الاقل ـ الاتفاق على المبدأ القائل بأن جوهر الحكم الديمقراطي هو محاسبة الحكومات والهيئات التشريعية أمام الناخبين . . ولكن الاختلاف يقع بعد ذلك عند مواجهة هذا السؤال المحدد : أي الطرق أفضل في التوصل الى ذلك ؟

الفرق ما بين القضيتين في تصوري . هو الفرق بين تحليل علمي للبنى السياسية والفلسفات في مجتمع ما ، وبين تبني موقف سياسي علمي يقود الى نتيجة ترضى عنها أغلبية الشعب



□ اذا اتفقنا أن القضية الجوهرية هي المعنى والمحتوى والتطبيق ، بصرف النظر عن المصطلحات والمفاهيم ، فان الديمقراطية كما توصل اليها الفكر البشري في حدها الأدنى ، نظام حكومة ومجموعة مؤسسات تلبي على الأقل حاجتين أساسيتين

الأولى أن تكون قادرة على أن تقف بأقصى قدر من الدقة على رأى أوسع قطاع من الشعب ، فيمن سيكون ممثلوهم الذين يراقبون ويشاركون في المسيرة السياسية لبلدهم . وهذا يعني حق الانتخاب العام وتنظيم انتخابات دورية حرة

والثانية - أن تتوافر الطرق والضمانات لقيام أولئك الممثلين الذين اختارهم الشعب لانجاز ما أراد الناخبون أن يقوموا به نيابة عنهم . وأن يخول للشعب استبدالهم اذا قصروا في ذلك

وبمعنى آخر أن الديمقراطية هي حوار بين الحاكم والمحكوم يعترف الطرفان فيه بأنهم وحدهم لا يملكون الحقيقة كاملة ، وأن الحقيقة هي الحصيلة العقلانية لهذا الحوار المقيد بضوابط دستورية وقانونية .

وقد حدثنا التاريخ ـ حتى في هذا النمط من التفاصيل ـ بأن الدكتاتور يمكن أن يحصل على السلطة باستخدام الآلة الانتخابية . ولعل المثل البارز في هذا المجال هو شخصية دكتاتورية مثل أدولف هتلر الذي نفذ ذلك !

ولكن دكتاتورا من ذلك النوع يكون بمقدوره أن يبقى في الحكم فقط .

إما باستمالة الرأي العام عن طريق دعاية إعلامية مركزة ـ وهذا الحبل قصير نسبيا ـ أو عن طريق الاستهانة بحرية الشعب في التعبير أو كبتها ، وذلك يسقط الديمقراطية من الأساس .

إذا أكدنا أن روح الديمقراطية هي الحوار بين الحاكم والمحكوم ، تبقى قضية أخرى هي : الى أي مدى يمكن أن يكون هذا الحوار مؤثرا .

ذلك يتوقف على العادات والظروف الاقتصادية والاجتماعية ، وعلى اقتناع السلطة السياسية بهذا الحوار وأهميته . وعلى الآلة التي يتحقق بها الاتصال

ومن هنا تأتي العودة الى أهمية التجربة الكويتية ، فقد قلنا أن الأسرة الحاكمة الكويتية قد وعت هذا الدور وتمسكت به ولقد أثبت الزمن والتجارب مدى حكمتها وبعد نظرها في كل ذلك . فلقد حرصت على أن تسير تجربة الحوار القديمة في تاريخ الكويت مسارها الحديث ، من خلال مؤسسات لها قواعد دستورية وقوانين محترمة من الجميع ، دفعت الشعب الكويتي الى الاعتزاز بالتجربة واحترامها والتشبث بها ، وحفزته الى التقدير والحب الصادق لدعاتها وحماتها

ولكن علماء السياسة السلوكيين ـ ينظرون الى تجارب العالم الثالث ـ في الممارسة الديمقراطية نظرة تشكك وريبة بسبب الفشل المتعدد للممارسة النيابية بأشكالها المختلفة ، وتقول دراساتهم أن شعوب العالم الثالث ـ لكثرة ما عانته من تزييف في رغبتها ـ تضطر الى الاذعان السلبي دون الموافقة الفعالة ومن المظاهر التي يعززون بها هذا القول ، قلة الاقبال على صناديق الاقتراع . أو التدخلات المباشرة وغير المباشرة للضغط على الناخبين والمرشحين وحرمان قطاعات منهم من ممارسة حقهم . . لذلك تتوجه هذه الدراسات الى القول بأن الديمقراطية في العالم الثالث غير واقعية وغير عصرية ولا تلائم هذه المجتمعات ، ولعل تجربة الكويت تثبت العكس تماما إذا صلحت النية واشتد العزم . فقد قام الناخب الكويتي الذي تبلور وعيه الانتخابي بأهمية الديمقراطية وفائدتها ، بالتوجه الى صناديق الاقتراع بنسبة كبيرة ، وصلت الى حوالي ٨٥٪ من المسجلين في كشوف الاقتراع ، وذلك أحد المؤشرات الهامة على نجاح تلك التجربة وتأصيلها ، وإذا كان من حق الانسان أن يقبل أو يعرض عن الادلاء بصوته ، فلا مناص له من الاسهام في الحوار بطريقة أو بأخرى .

الديمقراطية إذن هي ذاك الحوار الذي يجري بين المواطنين من خلال مؤسسات معترف بها ومناسبة للمجتمع ، من أجل تحقيق أهداف مجتمعية عامة ، والحفاظ على الوطن وحريه المواطن .

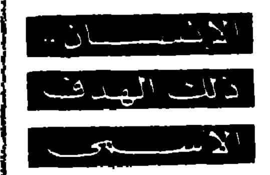
نقل النموذج الغربي بقضه وقضيضه ليس من شأنه أن يساعدنا على تحقيق أهداف بناء المجتمع ، على ألا يحول ذلك الرفض بيننا وبين التماس ديمقراطية ملائمة لنا حتى لا نعيش بدون ديمقراطية .



بكل حرية يمارس حقه الانتخابي

في وقت ما من تطورنا العربي المعاصر ، وضع البعض الديمقراطية بكلياتها في موقع التناقض للتقدم الاقتصادي والاجتماعي ، بل في مقام التناقض مع التقدم السياسي أيضا . وبعد تجربة طويلة نسبيا ، عاد الفكر العربي يطرق أبواب الديمقراطية بمعناها الحضاري ، وارتفعت صيحات المفكرين العرب تقول : أننا لا نبني المصانع غراما في المصانع ، ولا نبني السدود غراما في السدود ، ولا نعلم الناس غراما في التعليم بحد ذاته ، نحن لا نسعد الناس على الرغم من إرادتهم ، فلا بد أولا وقبل كل شيء أن تكون إرادتهم الوطنية حرة حتى في اختيار نوع السعادة التي يريدون !

إن ذلك يفسر السعادة الغامرة التي لفت شعب الكويت مساء فرز الأصوات ، وكذلك يفسر سعادة كل من كتب من المعلقين العرب على هذا الحدث التاريخي .



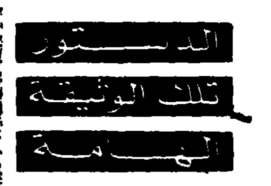
□ الاعتراف بالانسان كانسان ، في الديمقراطية قبل كل شيء ، لا يعتمد على الوسائل فقط ، بل على أساس الغايات الرئيسية التي يراد من هذه الوسائل أن تخدمها ، فهي ليست مؤسسات ولكنها روح وفلسفة . الديمقراطية ليست فقط أن تكون مصالح المواطن ممثلة ، أو أن يعود عليه عائد التنمية ، بل أن يكون له دور حضاري وإيجابي في إحداث ذلك التغيير ، وهكذا كانت القاعدة الرئيسية في الانتخابات الكويتية .. في مجتمع قرر أهله أن يؤمنوا للمواطنين جميعا العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، مؤكدين كرامة الفرد ووحدة الشعب .

كذلك فالديمقراطية الحقيقية تعنى بالوسائل عنايتها بالأهداف ، لذلك فان الحكومة الديمقراطية في عالم حقيقي لا مثالي ، تعترض طريقها عقبات من كل الأنواع ، انسانية وغير انسانية ، قومية ودولية ، فالحكم الديمقراطي أصعب أنواع الحكم جميعا كما أثبتت كل تجارب التاريخ والشعوب . وهناك أوهام كثيرة عن (الطبيعة السحرية) للديمقراطية .. وهي أوهام فقط ، أما الحقيقة فإن النظام الديمقراطي لا يعني حل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية لأمة ما أو لشعب ما حلا سريعا ونهائيا ، إلا أن نظام الحكم الديمقراطي يخلق مناخا أفضل لنمو ثقافة سياسية عقلانية تواجه الواقع كما هو لا كما يجب أن يكون .

لذلك فان الفلسفة التي اقتنع بها الحكم في الكويت منذ بزوغ فجر الاستقلال ، أن البرلمان ليس « مؤتمر سفراء » لمصالح مختلفة متفاوتة ، بل « جمعية تشاورية » لشعب واحد ومصلحة واحدة هي مصلحة الجميع ، ولا ريب أن التوزيع العملي لاختيار الاعضاء هو توزيع جغرافي فرضته ضرورة وميكانيكية العمل الديمقراطي ، ولكن عندما يختار العضو ، فإنه يكف عن اعتبار نفسه ممثلا لمنطقة .. بل يصبح عضوا في مجلس للكويتيين جميعا .



عرس الديمقراطية في الكويت والجميع يشاركون .

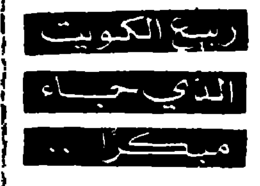


□ لقد حرص الآباء المؤسسون للعمل السياسي الحديث في الكويت أن يضعوا دستورا مرنا تمارس من خلاله العملية الديمقراطية . والدساتير كانت مرتبطة عموما بنشوء الديمقراطيات ، ولا توجد صيغة عامة ـ كما يقول الفقهاء القانونيون ـ للدستور الديمقراطي . . فقد تكون مكتوبة أو غير مكتوبة ، ملكية أو جمهورية ، برلمانية أو رئاسية ، مركزية أو فدرالية ، مرنة في التعديل أو صعبة ، طويلة ومعقدة أو قصيرة وواضحة ، ولكن المهم منها كلها أنها أكثر من كتاب قوانين . . لأن القصد منها أيضا أن تكون (شيئا مكتوبا) يطلع من خلالها الفرد في المجتمع على مكانته في الدولة ، وتؤكد وتحدد حقوق الافراد وواجباتهم ، وتوفر إطارا قانونيا يمكن أن يقام عليه نظام ثابت للسلوك السياسي ، ومعظم الدساتير في اقطار العالم الثالث ولدت في فترات عدم الاستقرار وقصد بها أن تكون أدوات لخلق الاستقرار السياسي .

دستور الكويت لم يكن كذلك ، فقد توفر له من الرجال والتصميم السياسي ما أعطاه من الثبوت والمرونة الشيء الكثير . فالاتجاهات الأساسية للدستور الكويتي تضعه في موقف الاعتدال والتوسط من قضايا كثيرة . ففي موقفه من الأنظمة الاقتصادية نجده مع النظام الفردي ، ولكنه مع إدخال فكرة العدالة الاجتماعية والاهتمام بنتيجة العمل ، كما أن الاتجاه الاسلامي والعربي في دستور الكويت اتجاه واضح للعيان في أكثر من مادة من موادة ، ولقد حدد حقوق المواطن السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما حدد كذلك الواجبات العامة . . وهو يقرر بالنسبة لها الأصل العام ويترك الضوابط والتفصيلات للقانون العادي الذي لا يجوز له أن يهدر أصل الحق ، كما قرر الحريات العامة وحدد رقابة الرأي العام على الشئون العامة .

ومهما تكن النصوص الدستورية في بلد ما جيدة ، ومهما يكن لرجال السياسة فيه من حكمة ، تظل هناك حدود لما يجب أن ينتظر من الدستور .

وإن أريد للدستور أن يؤثر تأثيرا سياسيا وحقيقيا طبق بروحه بصورة يفهمها المواطن العادي . ولقد جاء هذا التطبيق العملي في قمة وضوحه إبان حملة انتخابات ١٩٨٥ ، حين كان المشاهدون يتابعون التلفاز الكويتي وهو يذيع أولا بأول نتائج الانتخابات ، كما أن الحوار الشعبي الذي سبق كل ذلك كان تطبيقا عمليا لروح الدستور الكويتي .



□ لقد جاء ربيع الكويت مبكرا هذا العام ، ولقد كانت الطبيعة كريمة ، فجاء المطر والعشب ، ليكون مصدرا للسعادة ، كما كانت عملية الانتخابات والحوارات التي سبقتها مصدرا احر للسعادة . أستاذ العلوم السياسية في جامعة أكستر في بريطانيا ـ وهو واحد من عشرات المراقبين الأجانب ومئات المراقبين العرب الذين نظروا الى التجربة الكويتية لا على أنها تجربة محلية ولكن على أنها ظاهرة عربية ـ كتب يقول .

(توقعي الأساسي بالنسبة لظهور مؤسسات تمثيلية في الخليج هو أن الأفراد الأكثر وعيا سياسيا يمكنهم أن يسخروا هذه المؤسسات لاظهار الاهتمامات العربية الأوسع)

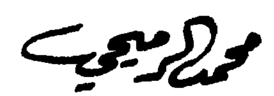
أما الصحافة العربية في منطقة الخليج العربي أولا ، وفي المنطقة العربية ككل ثانيا ، التي تابعت التجربة عن قرب ورصدتها بعين ثاقبة ، فقد قالت احدى صحفها (اذا كانت دولة الكويت قد عرفت في العصر الحديث كدولة نفطية ثرية ، فان من الانصاف القول أن ثراءها الحقيقي يتمثل بقيادتها وأبناء شعبها الذين استطاعوا أن يحولوا بلدهم بعد أربع وعشرين سنة من الاستقلال ـ وهو عمر قصير في حياة الشعوب ـ الى دولة ديمقراطية يمتلك شعبها ناصية تقدمه وتطوره) .

الصحفي العربي مصطفى أمين في الأحبار القاهرية ، والصحفي العربي كامل زهيري ، كذلك أحمد بهاء الدين ود عبد العظيم انيس وسليمان الفرزلي هم بعض من أعداد كبيرة من قادة الرأي والصحافة أشادوا بالتجربة الكويتية وايجابياتها ، لا على الصعيد المحلي ولكن على المستوى القومي .

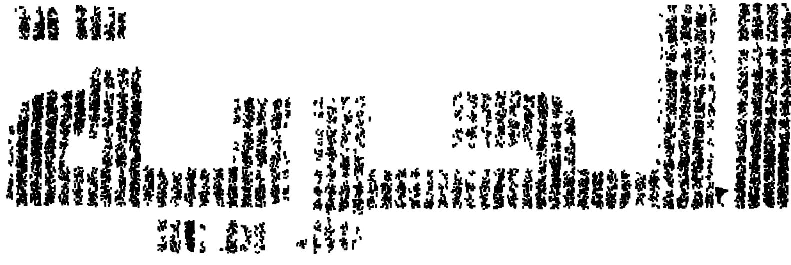
وفي وسط غياب (وبهوت) التجارب في العالم الثالث تقف التجربة الكويتية لتعزز حرية الوطن والمواطن . . ويصفها أحد الكتاب العرب بأنها تكاد تقترب من (اليوتوبيا) « المثالية » العربية .

هكذا كان عمق التجربة وشمولها

واذا كان أحد في النهاية يقصد الكويت بسوء ، فهو يقصد تجربتها الديمقراطية ووحدة شعبها ، وإذا كان الكويتيون مصممين على شيء . . فهم مصممون على رعاية المسيرة وحفظها في ظل السياسة الرشيدة المؤمنة .







بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

أكثر الكلمات والشعارات تداولا في العالم وخاصة في وطننا العربي هي الكلمات المتعلقة بالحرية والديمقراطية ..

فما هو موقعها في حياتنا ، وكيف نفهمها ونتعامل معها إن وجدت ؟

الحديث عن الحرية كثير في ثقافتنا العربية المعاصرة ، ولكن أكثره يدخل في نطاق « أدبيات السياسة » ، ويدور حول قضيتين اثنتين لا نكاد نجاوزهما . الأولى ، حرية الفرد في مخالفة « الحكومة » ونقد سياساتها والأخرى حق الجماعة في تقرير مصيرها السياسي بإرادتها المستقلة عن ضغوط الآخرين . ومع أن هاتين القضيتين تشكلان - بغير شك - جزءا مهما من أجزاء « الحرية » . فان انحصار البحث والاهتمام فيهما من شأنه أن يحرم قضايا أخرى لا تقل عنهما أهمية واتصالا بجوهر الحرية من أن تنال حظها الضروري من عناية الباحثين والكتاب ، ومن ثم عناية الرأي العام والمجتمع كله .

وفي تقديرنا أن هذا الانحصار يرجع الى أن وطننا العربي قد واجه خلال القرنين الأخيرين مشكلتين أساسيتين ، استغرقتا اهتمام مفكريه وساسته وحكامه الأولى ، مشكلة « تأسيس السلطة » ، بإقامة نظام دستوري ، تتحدد فيه سلطات الحكومات وحقوق المحكومين . ولذلك ارتبطت الدعوة الى « الحرية » ارتباطا وثيقا بالدعوة الى « وضع الدستور » والى احترامه والمشكلة الثانية مشكلة تحقيق الاستقلال ، وتثبيت السيادة الوطنية في مواجهة الاحتلال الأجنبي ، الذي خضعت له أكثر أجزاء الوطن العربي ، ولم يكتمل التحرير منه - شكليا على الأقل - الا في أعقاب الحرب العالمية الثانية ولهذا ارتبطت الحرية في العقل وفي الوجدان العربي ارتباطا وثيقا بتحقيق « الاستقلال الوطني » .

وقد ترتبت على ارتباط قضية « الحرية » بهذه الملابسات التاريخية ذات الطابع السياسي مجموعة من النتائج السلبية ، لا يزال واقعنا كله يعاني من آثارها .



النتيجة الأولى :

ان رؤية الكثيرين من مثقفينا والمشتغلين بالعمل السياسي في بلادنا للحرية قد صارت رؤية مجزأة ، لاتكاد تعنى بالبحث عن الاصول « الفلسفية » « والاخلاقية » لحرية الانسان .. ولذلك ظلت النظره السائدة للحرية في مجالاتها المختلفة ترى فيها جزءا من النظام السياسي ولا ترى فيها « قيمة أساسية » مرتبطة بالتصور الكلي للانسان وطبيعته وعلاقاته .. وفي ظل هذه النظرة يكون من السهل على الفرد أن يعتدى على حرية الآخرين .. أو أن يفرط في ممارسته لحريته هو نفسه .

وهذا الاعتداء على حريات الآخرين مسلك يتعرض للوقوع فيه « الحكام »«والمحكومون» على السواء .. فقلة من الحكام من يتردد في الجور على حريات الناس - ايمانا بأن هذا الجور لايجوز - وأن احترام هذه الحريات جزء أساسي من أجزاء الالتزام بالعقد الاجتماعي الذي يربط الحكام بالمحكومين ، وأنه فوق ذلك جزء من النظام الاخلاقي الأساسي للجماعة ..

وقلة من المحكومين من تتجاوز رؤيته للحرية، حريته هو أو حرية جماعته الصغيرة .. أو حزبه السياسي .. أو طبقته الاجتماعية .. وبذلك يغدو الدفاع عن « الحرية » عنده جزءا من تكتيك « الدفاع عن مصالحه الذاتية » ولايعدو توافقا مع القيم الأساسية للمجتمع . وهذا هو الذي يفسر مسلك كثير من الأفراد والجماعات في وطننا العربي حين يقيمون الدنيا ويقعدونها عندما تمس « حرياتهم » ، ثم لايختلج لهم جفن ولايسمع لهم صوت حين تمس حريات غيرهم ، أو تتعرض لأقسى أنواع المصادرة والاعتداء .. ان التفسير الوحيد لهذا « الفصام » السلوكي أن الحرية لم تدخل بعد في دائرة « القيم الأساسية » للفرد والمجتمع .

ان من النتائج المحزنة التي ينبغي - على الأقل - أن نملك شجاعة الاعتراف بها ، أن مشاركة العرب والمسلمين في الجهود العالمية لحماية الحقوق والحريات مشاركة محدودة ، لاتتناسب على الاطلاق مع جسامة ماتعرضوا له ، أفرادا وجماعات ودولا ، من اعتداءات متصلة الحلقات على حقوقهم وحرياتهم .. ان هذه الظاهرة تدعو - فوق ذلك للدهشة البالغة - اذا ذكرنا قيام التصور الاسلامي للانسان ، على أساس من تقديس حريته باعتبارها رمز انسانيته ، وأساس تميزه ، ومناط تكليفه ومسئوليته ..

ومما يفتح أبواب الأمل والرجاء - مع ذلك- أن السنوات الأخيرة قد أخذت تشهد بشائر اهتمام متزايد من جانب بعض المثقفين العرب، بالاسهام المنظم في حماية الحريات على المستويات القطرية والعربية والدولية.

النتيجة الثانية :

اسقاط الاهتمام بالحرية وممارستها خارج ساحة العمل السياسي والحياة السياسية. ولهذا يكثر بيننا من يعدون أنفسهم ويعدهم الناس من أبطال الحرية والمدافعين عنها في الحياة السياسية. ومع ذلك نراهم يتحدون أشد المواقف استهانة بالحرية، وتبريرا لمصادرتها، حين يتصل الأمر بالتربية، أو بالتعليم، أو بالعلاقات الأسرية والاجتماعية.. وهو تناقص لايتصور أن يقوم بمثل هذه الحدة الصارخة في أمة ترى في «الحرية» قيمة عامة ترتبط بتصورها الأساسي للانسان.. ان احترام حرية الانسان في أن يفكر لنفسه، ويقرر لنفسه، وأن يحدد - من خلال هذا الفكر وذلك التقرير - معالم شخصيته الذاتية داخل الأسرة، وفي حجرة الدراسة، وقاعات البحث، وساحات الحياة الاجتماعية، هذا الاحترام لايمكن أن ينفصل عن احترام الحق في «المخالفة السياسية» وتقرير المصير السياسي.. ان الذين يصرون على «قولبة» فكرة الطلاب والدارسين في قوالب من حديد يصنعها لهم «معلموهم»..

والذين يصرون على أن «الشباب» خارجون ومارقون وصائرون الى فساد عظيم اذا هم خالفوا جيل الكبار فيما كبر أو صغر من مناهج تفكيرهم، واسلوب حياتهم والذين لايرون في المرأة الا عورة ينبغي أن تستر، وناقصة عقل لاينبغي أن نسمع لها رأي، ويحتمل ضميرهم الانساني والديني أن يردوها الى موقع من الصغار والدونية لايكتمل بغيره احساسهم بالقدرة.[1] أولئك - جميعا - لايمكن أن يكونوا «مؤمنين» بالحرية فضلا عن أن يكونوا من أبطالها، مهما شقوا الحناجر دفاعا عن حرية «المعارضة السياسية» و«الاستقلال الوطني».

النتيجة الثالثة :

ان نظرة كثير من المدافعين عن الحرية في وطننا العربي لاتزال سطرة «رومانسية» حلقتها فترات الكفاح السياسي لاقامة حكومات دستورية، أو لاجلاء المحتل الأجنبي.. ولذلك غابت عنها رؤية الوظائف الحقيقية العديدة التي تؤديها الحرية في الحياتين السياسية والاجتماعية.. ولهذا السبب بالاضافة الى ما تقدم جميعه - نرى من أصحاب

---

(١) نقول هذا غير جاهلين بالنصوص القرآنية والنبوية التي أمرت النساء بالاحتشام وترك تبرج «الجاهلية الأولى» - ولكنا لانجد في تلك النصوص وما اشتملت عليه من آداب، ما يخدش أصل المساواة بين المرأة والرجل.. أو يبرر أن تدور النظرة الى المرأة حول فكرة «العورة» وحدها.. اذ معلوم من استقراء نصوص الشريعة واستقصاء مقاصدها أن هذه الأحكام كلها تدور في اطار «تنظيم العلاقة» بين الرجل والمرأة، وسد الذرائع المؤدية الى اضطرابها.. وهو اضطراب يتعرض له طرفا العلاقة جميعا، المرأة والرجل. ولهذا - على سبيل المثال - جاء الأمر القرآني بغض البصر موجها للمؤمنين والمؤمنات على سواء.

أما حديث النبي (ﷺ) عن نقص عقل المرأة فلا نخوض فيه هنا، وفي فهم معناه كلام كثير. اذ ان رواية «النص» لاتحسم الحوار... وانما الصحيح أن الحوار يبدأ بعد معرفة النص. والرواية كما يقول علماؤ نا - لاتغني عن الدراية..

أما أصل المساواة بين الرجل والمرأة فثابت عند من يتأملون قوله تعالى:

«يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء».

وفي قوله (ﷺ): «النساء شقائق الرجال».

وفي نصوص أخرى يحتاج شرح دلالاتها الى حديث مستقل.

السلطة ، في الجماعة كلها أو في الاسرة أو غيرهما ، من لايزال ينظر للحرية على أنها « شر لابد منه » وثمن يدفعه مضطرا ، درءا لشرور أكبر وأخطر . . دون أن يمتد بصره الى المنافع الايجابية الهائلة التي تحملها الحرية في ركابها . . مما اسماه البعض بحق : « نعم الحرية » . The Blessings of Liberty [٢]

ان استعراض «نعم الحرية» وثمراتها الطيبة المحققة لايتسع له حديث واحد مهما امتد . . ذلك أن هذه الثمرات تتنوع من ميدان الى ميدان وتتعدد من حرية الى حرية .

وحسبنا أن نقرر في ذلك أصلا عاما . . وأن نضرب - في ظله - عددا من الأمثلة . .

أما الأصل العام فهو أن الانسان المكبل الفكر ، والمقيد القول ، والمغلول عن الحركة ، والخائف من عواقب حريته في تلك الميادين كلها . لايمكن أن يعطي الوجود من حوله الا فتاتا ضئيلا خاليا من القيمة ، مجردا من الخصوبة ، مغموص الوجود

فالخائف لايحس التفكير . . ولايتجاسر على التعبير . . ولاتثبت له قدم في خطو أو حركة وهيهات هيهات أن يبدع في عطائه أو تتجلى فيما يقول ويفعل يد الحكمة والقدرة التي أودعها الله في بنائه . ونحن العرب . والمسلمين . أمم مسبوقة . . في العلم . . والصناعة . والزراعة وفن عمارة الكون . والتعامل مع سنن الله المودعة في أرجائه . . غذاؤنا لانزرعه ، وكساؤنا ودواؤنا وسلاحنا لانصنعه وعلاقتنا بكثير من قدرات الشعوب من حولنا علاقة المأخوذ بالدهشة والمقهور بالعجز .

فهل يتصور عاقل ، ونحن على هذا الحال . أن نعمد الى البقية الباقية من حرية الأحرار فينا فنحاصرها ونطوقها ونأخذ بخناقها من كل جانب . ونحيط حياة الجيل كله بألوان وفنون من الأغلال . فنغتال بذلك فرصة الابداع الذي ربما يستطيع وحده أن يختصر لنا بعض رحلة اللحاق . قل ألا يمكن اللحاق . . ؟؟

وهل يتصور عاقل - ونحن على هذا الحال - أن تظل نظمنا التعليمية والتربوية قائمة على الحفظ والتلقين« والطاعة العلمية » التي لامشاركة فيها ولا حوار . . فتضمر ملكات الابتكار . وتتراجع - تحت ركام المحفوظات - مواهب الكشف والابداع ؟ . . أم هل يتصور عاقل أن نقهر جيلا بأكمله من الشباب لانحن نعطيه القدوة ونقدم له المثال . ولانحن نحل له عشرات المشاكل الكبيرة التي نعلم - ويعلم - أنها تأخذ بخناقنا جميعا شبابا وغير شباب ولانحن - بعد ذلك كله - نسلم له بحق التجربة وممارسة الاجتهاد وانما نردد - في اطمئنان غريب مريب - قول شاعر عربي قديم كان يرى الفخر كل الفخر أن يقول .

« وينشأ ناشيء الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه »

ونسى في غمرة الضعف الوجداني أمام الشعر والسجع وايقاع الكلام أن الأب لم تعد حياته تتسع ليعودَ أبناءه ما كان هذا الشاعر - ان صدق - يعود أبناءه ونتجاهل أن ناشىء الفتيان في هذا الزمان تتناوله بالتنشئة أجهزة تعليم وأجهزة ثقافة وأجهزة اعلام ووسائل اتصال وتأثير طويل عريض وأن الجيل الجديد لو نشأ على ما عوده أبوه ، لايتجاوزه ولايعدوه . . لما تمت حركة . ولا وقع تطور ولاتحقق اصلاح

وهل يتصور - عاقل - في النهاية أن تعزل الشعوب عن قول رأيها فيما يجري هنا من طريق وما يتخذ - باسمها ولحسابها - من قرار وأن تنفرد بذلك كله « قلة » من أصحاب السلطة والنفوذ ؟

ألا ما أكثر فرص الرشد التي تضيع حين ينفرد واحد أو تنفرد قلة بكل قرار ، حين لاترى الجماعة - فيما يعرض لها من أمر - الا رأيا واحدا ، ولاتسمع الا نغمة واحدة . . وليت الذين يتحدثون - في حسن نية - عن حاجتنا الى المستبد العادل ، يذكرون أن الشورى ، في أصلها اللغوي العربي تعني استخراج العسل من خلاياه . . وهي أكثر ما تكون كثرة .

---

(٢) وهو اسم كتاب من الكتب الهامة في شرح وظائف الحرية ، وحرية التعبير بصفة خاصة ، مؤلفه الكاتب الأمريكي Zecharia Chaflee

، أن الشورى في جوهرها العلمي هي طلب الرشد عن طريق استخلاص الرأي من أصحابه ، وهم بالضرورة - كذلك - كثيرون . .

وليتهم يدركون أن حق الاقتراع واختيار الناخبين والتصويت على القوانين والقرارات يستحيل الى أشباح باهتة قريبة من العدم اذا لم يسبقها تعدد في الاراء وتسابق الى عقول الناس وقلوبهم بهذه الاراء . . أما التصويت على القوانين والقرارات في غيبة تعدد الاراء فانه يغدو - كما قيل نحو - أشبه بسباق بغير جياد

وفي ضوء هذه الرؤية لوظيفه حرية الفكر والتعبير عنه تبدو القيمة الهائلة لضمان تلك الحرية اذ بغير تلك الضمانات يتحول التعبير - بدوره - الى مظهر لا جوهر وراءه . وشكل لايعبر - بالضرورة - عما يعتمل في عقل صاحبه ونفسه من معنى ورأى .

ولطالما استوقفني . في هذا السياق قوله تعالى . « ولايضار كاتب ولاشهيد » تأمينا لحرية الكاتب وحرية الشاهد ، وضمانا لصدقهما فيما يقرران اذ يردف الاية هذا الحكم بقوله تعالى « وان تفعلوا فانه فسوق بكم » ، وليس من التعسف في التفسير - فيما أعتقد - أن نرى في هذه الاية الكريمة اشارة حكيمة الى مايحيق بالجماعة تصادر فيها حرية الكاتب والشاهد ، بحيث يضار هذا من كتابته ، ويضار ذاك من شهادته . ولأمر ما قال سبحانه فانه « فسوق بكم » اشارة الى سوء العاقبة التي تحل بالجماعة حين تضيع الحرية . ويسقط ضمانها . .

وبعد .

فليس هذا الحديث عن الحرية في حقيقته الا دعوة الى كتابنا ومثقفينا أن يعيدوا تقييم موقفهم من قضايا الحرية . واسلوب تناولهم لها . وأن يبدأوا رحلة جديدة تربط جزئيات قضية الحرية بأساسها الفلسفي والاخلاقي وتسلط أضواء جديدة على وظائف الحرية حتى لاتنمي في وجدان الجماهير . مجرد شعار رومانسي يمسون به عن ضيق الصدور . ثم لايلبثون أن يفرطوا فيه أو يضيقوا به عند أول بادرة لضغط أو اغراء فأمر الحرية - على ما رأينا - أكبر من ذلك كثيرا □

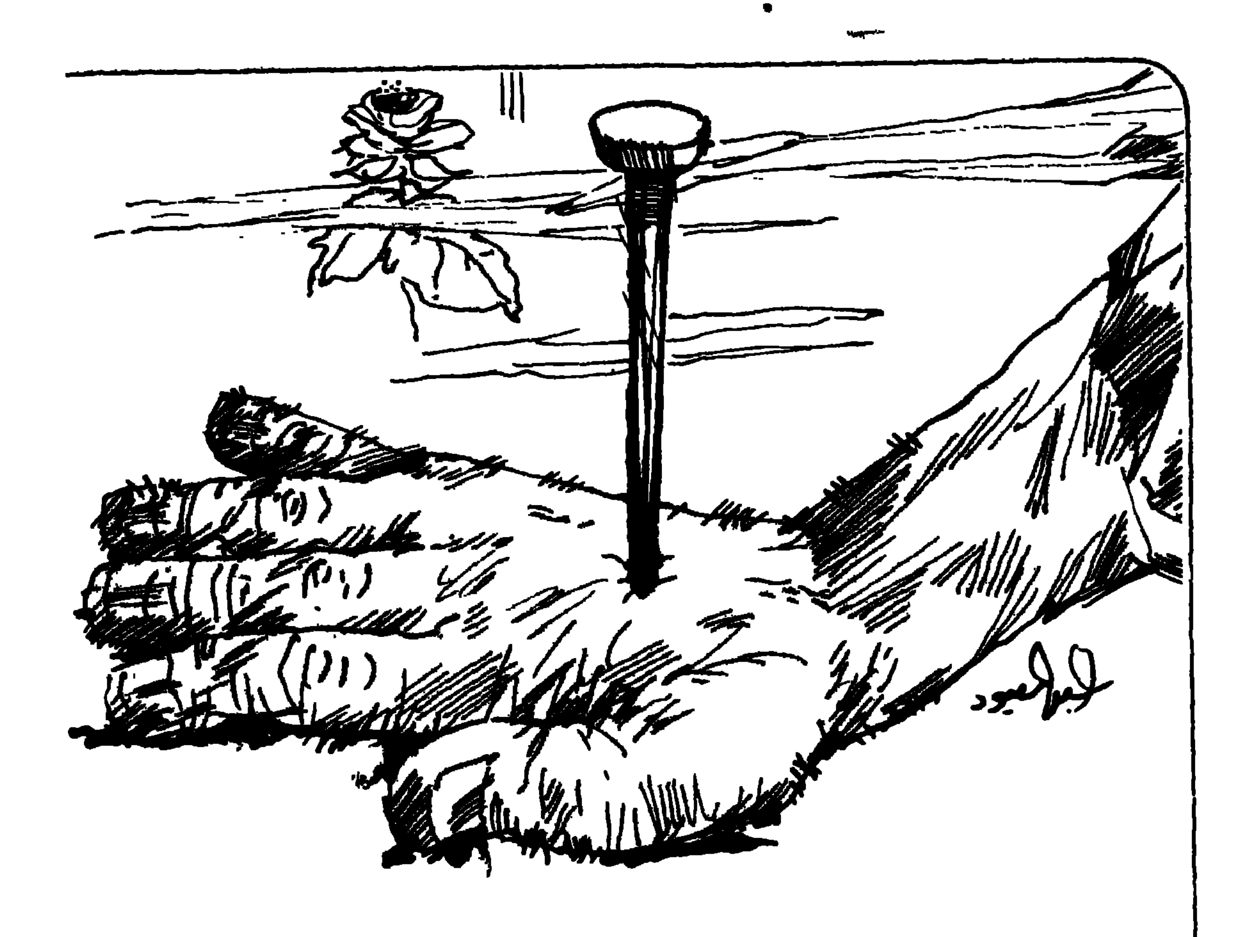
●

احلام الكاتب !

كان المؤلف الانجليزى المعروف « روبرت لويس ستيفنسون » يرى موضوعات قصصه فى أحلامه ، حتى اذا استيقظ من نومه فى الصباح سارع بالجلوس الى مكتبه ، وبدأ يكتب القصة التى شاهدها فى حلمه !

وقد روت زوجته فى مذكراتها : « صحوت من نومى فى احدى الليالى على صوت صرخة مزعجة أطلقها زوجى وهو نائم ، فتصورت أنه يعانى من كابوس ، وسارعت بايقاظه من نومه ! ولكنه ماكاد يفتح عينيه حتى صاح فى وجهى غاضبا : « لماذا فعلت ذلك ، لماذا ايقظتنى ؟ لقد كنت أرى فى حلمى قصة رائعة !

وقد كانت هذه القصة هى بداية روايته المشهورة« دكتور جيكل ومستر هايد » التى جسدت الصراع بين الخير والشر ! .



الموت الجديد

شعر : الدكتور

عبده بدوي

قد أصبحْنا ـ والمُلك لرب الكونْ
والأرض تدور كما دارت في جفن دمعةْ
لا نملك هذا اللون من الموت الفردي البائسْ
في وقت يمكننا فيه أن نقطع عرقا من رَقَبَةْ
أو عرْقاً مُرتجفاً من مصباحٍ أو شمعةْ
ونردُّ البابَ بإشفاقٍ من خلفِ جراحٍ مجتمعةْ
.. ونحط . الهدب على ليلٍ مسكينٍ عابسْ
وبقايا من موسيقا الّليلِ ، ومن خطوِ الحارسْ
ونغيب .. نغيب .. نغيب بلا هاجسْ
من غير تلامُس !

لما صرنا لا نلقاه
(هذا الملك المعزول النّاعس
هذا الورد المضموم على سرٍ عابس
هذا النور المترقرق من وجهٍ لملاك حارس)
فرداً . فرداً من بين نعوش من معدنْ
ونعوش أخرى من فكرٍ ذابلْ
وقصيدٍ مُتقعٍ قاحلْ
.. لما أصبحنا لا نمتلك النعش الواحدْ
والقبر الواحدْ
اصبحنا نلقاه في مجموعات ضخمةْ
في قاعات التوقيف ، وفي طابور الأسئلة الجهمةْ
في عين المخبر ، في كفِّ الشُرطي ، وتبليغٍ من أصْدق مَنْ تعرفْ
من طفلٍ ، أو من زوجٍ ، أو من معشوقٍ ، أو مما يعرف بالطابور الخامسْ

* * * *

لا يوجد في هذا الليل المملول العابس
من قد يتدلى منتحرا من سقف في الغرف الفخمةْ
بل يوجد صفٌ لا يدري أحدٌ طولَهْ
صف يتخطى مرتجفا هذا العالم في الليل الدامسْ
فاذا ما غاب يُرى صفٌ آخرْ
من غير رثاء من شاعرْ
من غير دفاعٍ من فارسْ

* * * *

ما أحوجنا في هذا العصر المرتجف القارسْ
(لمقابلة الملك المعزول الناعسْ
هذا الورد المضموم على سرٍّ عابسْ
هذا النور المترقرق من وجه لملاكٍ حارسْ)
لكنْ أصبحنا لا نلقى الموت القاسي فردا فردا
بل صفا صفا !
فالعصر وساوسُ بعد وساوسْ
والقاتل والمقتول سواء في الزمن المتردي والمتجانس !



العائق . ويظهر الاضطراب النفسي على الزوج (أو الزوجة) الذي كان يستمتع بحب وعطف ورعاية زوجته ، ويبادلها الحب ، وكان الاثنان مثل السمن والعسل قبل ظهور العائق .

سيشعر الزوج ، مثلا بالتعاسة عندما تصبح زوجته أما بميلاد طفلها لأنه في اعتقاده ، أصبح في المرتبة الثانية في الأسرة ، وقد حل طفله محله في الدرجة الأولى عند زوجته . في هذه الحالة يحقد الزوج (لا شعورياً) على زوجته ويصبح متوتراً ، مشاكسا ، ضيق الخلق ، أو يتحول الى سلوكيات لم يكن ليفعلها من قبل ، كشرب الخمر أو لعب الميسر ، أو اتخاذه لعشيقة ، أو اهماله لعمله ، مما يعرضه لتعاسة أكثر . ولا يدرك الزوج أنه أصبح كالطفل يغار على زوجته (وكأنها أمه) من طفلهما هذه العلاقة المشروطة أصلا بين الزوجين وقد اكتنفها الاضطراب يمكن تداركها وعلاجها بمساعدة الطبيب النفسي وعندما تتفتح شخصية الزوج ، ويدرك ادراكاً واعياً موقعه في الأسرة كزوج وأب ، واذا لم يتدارك الزوجان المشكلة بوضوح ، قد يستمر الخلاف بينهما ما دام هناك طفل (أو أطفال) يستحوذ على عناية الزوجة . وتبقى الأسرة غير سعيدة ومعرضة للتفكك .

المشكلة في الأسرة :

أي نظام ، كالنظام الأسري ، اذا وجد فيه فاعل فيجب ان يكون هناك مفعول به. فاذا وجد « مسيطر » في أسرة ما ، فلا بد أن يكون هناك « مستكين» يساند أو يساعد أو يشجع المسيطر على سيطرته . واذن فكلا للزوجين ، لا أحدهما فقط ، مسؤول عن وجود المشكلة في الأسرة . ولو تصورنا أننا - بعصا سحرية - رفعنا مشكلة السيطرة عن تلك الأسرة ، فانها قد تصاب بمشكلة أخرى وهي مشكلة الفراغ ، أو مشكلة المسيطر الذي لا يجد مستكيناً يسيطر عليه ، ومشكلة المستكين الذي لا يجد مسيطراً .

ويحدث غالباً أن يتدخل ثالث في هذه الأسرة ، كالحماة مثلاً ، لصالح أو في جانب المستكين . وهذا خطأ ، لأنه عادة ما يكون المسيطر إنساناً قلقاً ، يدفعه قلقه الى أخذ أمور الأسرة بين يديه ، ولهذا يبقى شريكه تحت سيطرته ، اعتقاداً منه انه يحافظ على كيان الأسرة . ومن الواجب في هذه الحالة أن تأخذ بيد المسيطر أولاً ، ليس لأنه المتسبب في المشكلة بل لأنه انسان قلق ، فاذا استطعنا علاج قلقه فانه قد يسمح لشريكه بتحمل جزء من المسئولية معه وبذلك نكون قد رفعنا السيطرة عن هذه الأسرة . ثم بعد ذلك نتحول الى المستكين لنعينه على التخلص من استكانته

حضر زوج لعيادة الأسرة يشكو من « سلبية زوجته » التي تزوجها منذ عشر سنوات ، مما ألقى بمسئوليات الأسرة كلها على عاتقه ، فهو الذي يدير ميزانية الأسرة ، ويشتري كل حاجات زوجته وأولاده من ملبس ومأكل ، ويقوم بتصريف جميع الأمور ولو لم يفعل ذلك أو جعل المسئولية مشاركة بينه وبين زوجته لاضطربت أحوال الاسرة ، بسبب ما وصف زوجته به من خمول وسلبية

وتبين أن الزوجة التي تحمل مؤهلا جامعيا ، وتشغل وظيفة محترمة ، قالت ان زوجها ، يحب ان يقوم بكل كبيرة وصغيرة في الأسرة وسعياً وراء محافظتها على كيان الأسرة اضطرت الى مسايرته ، لأنها لا تحب معارضته

وسئل الزوجان معا عن رأيهما في الحياة الزوجية ومضمونها ، فأسرع الزوج بقوله ، ان الزواج تآلف وتعاون ومشاركة بين الزوجين أما الزوجة فتطوعت بقولها ان دور الرجل هو إعالة وحماية الأسرة ، لذلك فمن واجب الزوجة إطاعة زوجها في كل شيء ، ولما سئلت اذا كانت ترغب في أن تشارك ببعض المسئولية ، أجابت ، ينبغي الا يكون للزوجة رأي فوق رأي زوجها . ثم بادرت باعتقادها أنها زوجة مثالية وعند ذلك لمح الطبيب نظرة الفوز في عيني الزوج .

وواضح من هذه الحالة أن الزوج لم يدرك أنه كان مسيطراً أو الزوجة كانت مستكينة . فقد حضر الزوج شاكياً من سلبية زوجته لا من استكانتها ، وعلى كل فقد أخذ علاج هذه الحالة حوالي ثلاثة أشهر . وابتدأ بالزوج الذي اعترف بأنه انسان قلق بطبعه ولما شفي من قلقه تم التوجه الى الزوجة لتبصيرها بواجباتها في الأسرة .

كشوف الحساب الأسري :

كل واحد منا يغادر أسرته ، حاملاً طابعه الأسري . وقد يخرج منها بقدر كاف من الحب والعطف والرعاية . . وفي هذه الحالة يعتبر « دائناً » أي دائناً للأسرة . أما اذا خرج منها بحرمان عاطفي

و فكري . ففي هذه الحالة يكون « مديناً » الى حد ما مديناً من أسرته . (ولا نقصد بالدائن والمدين المسرف والبخيل مادياً وإن تضمن ذلك أيضاً)

والأصح أن يغادر الانسان أسرته ودفتر حساباته صفر ، أي لا دائن ولا مدين . ولنتصور حالة الزوجة المدينة ، التي تزوجت زوجاً دائناً ، مهما أعطاها زوجها حناناً ورعاية وعطفاً . فإنها ستأخذ ولا تعطي ، وتستمر في طلب المزيد . بعكس زوجها الدائن ، فإنه انسان سخي يعطي ويأخذ بلا تكلف

وكثير من الخلافات الزوجية تحدث عادة نتيجة عدم « موازنة الدفاتر » عند أحد الزوجين أو كليهما . خذ مثلاً حالة الزوج المدين الذي يتزوج من زوجة مدينة ، فإنه لن يكفيه ما يأخذه داخل البيت ، وقد يطلب المزيد خارجه . وتحتمل الزوجة اجحاف زوجها لها بأن تأتي على نفسها بحرمانها من المصروف أو تصبر على غبنه أو خيانته لها كلما أعطته أخذ ولم يكتف . حتى ينفض بها الكيل وتبدأ في اللوم والشجار . ولكن بدلاً من رجوع الزوج عن سلوكه المعيب ، يدفعه شعوره بالذنب أو الندم الى التمادي في غيه ، ثم يحقد على زوجته التي لا تعطه الكفاية ، وقد يشكو أنها لا تهتم به ، ويدعي أنها لا ترضيه ، فيزيد من تماديه في غيه حتى يدب الشقاق بينهما

وتضطر الزوجة ـ وقد طفح بها الكيل ـ الى استثمار عواطفها المحبطة في أحد الأبناء . وتكون النتيجة انشغال الابن بحالة أمه وعلاقاتها بأبيه ، فيتعثر في الدراسة ، وقد يرسب في الامتحان . وهكذا تتعقد الأمور في الأسرة ، حيث يدور في حلقة مفرغة من العطاء والحرمان والشعور بالذنب والفشل ، وقد تتفكك الأسرة

ويمكننا أن نتصور حالة عدم « اتزان الدفاتر » وقد امتدت من جيل الى جيل . وقد تتعاقب الأجيال على دائن ومدين بقدر ما يأخذه الأبناء من الأب أو الأم وقد يحدث التسلسل التالي .

قد يكون عند الزوج (أو الزوجة) نصيرة بأنه مدين ، فيحاول أن « يعوض » ذلك بأن يتظاهر (يتطبع) بدور الدائن . وهذا ـ رد فعل ـ قد ينعكس على الأولاد ، فيشبون دائنين ، وبذلك يتغير الحال في الجيل التالي وهكذا .

العـــــلاج الأسري :

ينقسم العلاج الأسري الى نوعين أساسيين ، يكمل كل منهما الآخر :

١ ـ العلاج بالتحليل النفسي الأسري :

ولا ينتظر القارئ، أن أخوض معه في تفاصيل العلاج النفسي الأسري ، فهذا خارج عن نطاق هذا المقال المبسط . ولكني أوضحت فيما تقدم بعض الأسس والمبادئ التي يقوم عليها النظام الأسري ، مثل العلاقة بين الزوجين والنظام الأسري . وكما ذكرت ، يهتم الطبيب المعالج باشتراك أفراد الأسرة كلهم أو بعضهم في العلاج تبعاً لمبدأ مشاركة المسئولية . مستعيناً بمعلوماته الأسرية (التي سبق شرح بعض مبادئها) على فهم طبيعة التعامل بين أفراد الأسرة ، وما يعتمل في نفس كل فرد من أفرادها . وقد يهتم الطبيب بأحد أفراد الأسرة في وقت معين وبآخر في وقت آخر . ثم بالأسرة كلها .

وعلى المعالج أن يتغلب على المقاومة التي تبديها الأسرة أو بعض أفرادها للعلاج ، على ادعاء أن مريضهم هو المريض فقط ، وليسوا هم المرضى . ومن المعروف أنه في بعض الأحيان لا يشفى المريض الا باعتدال الأسرة كلها . ومن الملاحظ أيضاً أنه في بعض الحالات اذا شفي مريض في أسرة ، فإن عضواً آخر في هذه الأسرة قد يقع فريسة الاضطراب النفسي من نفس النوع أو الآخر ، وما يدعى بـ « التأرجح المرضي في الأسرة »

٢ ـ الحل العلمي :

أما العلاج العملي ، فإنه يأخذ شكل مفاوضات في العالم ، فهو مساندة للعلاج النفسي . ويسير جنباً الى جنب معه . وهو على بساطته أكثر واقعية وأسرع وقتاً من العلاج النفسي . ولكنه ليس إطلاقاً بديلاً عن العلاج النفسي

شكت زوجة من أن زوجها يبقى في البيت بعد عودته من عمله ، ولا يغادره الا في صباح اليوم التالي ، مما أوقع الأسرة في الارتباك والمعاناة من تسلط الزوج ، وعدم إمكان الزوجة تصريف أمورها والعناية بأطفالها ، لاستحواذه على كل وقتها . . ومشاكسة الأطفال أيضاً !

وكان الحل العملي في هذه المشكلة هو نصح الزوج بالبحث عن عمل إضافي في المساء ، ليبعده بعض الوقت عن البيت . وبذلك أمكن التقليل من مشكلة التعدي في الأسرة ، بالاضافة الى زيادة دخلها . □

العربي - العدد - ٣١٧ - ابريل ١٩٨٥

أرقام

بقلم : محمود المراغي

قمر عربي !

ينضم لرحلة اختصار الزمن والمسافة

الاتصال مشكلة انسانية قديمة . . وعندما استخدمت بعض المجموعات البشرية الحمام الزاجل لحمل الرسائل لم يكن ذلك بهدف تحقيق السرية فقط ، لكنه كان لتحقيق عنصر السرعة واختصار الزمن والمسافة في نفس الوقت .

كان الانسان يحس باستمرار أن حاجته للاتصال كبيرة ، لكن كفاءته محدودة ، ويحد منها فقر أدوات الاتصال . . . حتى كان القرن التاسع عشر والقرن العشرون ، حين توالت الاكتشافات : الهاتف - اللاسلكي - الراديو - التلفزيون . . ثم . . القمر الصناعي الذي زاد في كفاءة ذلك كله .

خلال هذه الرحلة أصبحت هذه الاكتشافات من أدوات الحضارة ، ومؤشرا من مؤشرات التقدم .

وخلال ذلك أيضا تم تطوير هذه الوسائل ، وتقدمت تقنياتها ، حتى أطلق على مرحلة منها . ثورة الترانزستور . وذلك حين تطورت الأساليب التقنية المستخدمة في واحدة منها وهي : المذياع الذي اختزل حجمه ، وزادت كفاءته ، وتغيرت النظريات التي تحكمه .

في مجال الهاتف كان الانتشار أقل من المذياع ، لكنه كان دائما أكثر التصاقا بتلبية الحاجات الشخصية ، بالاضافة لاستخدامه في الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

واذا أخذنا الهاتف كأحد المؤشرات في حياتنا العربية ، فاننا نجد للارقام معنى واضحا .

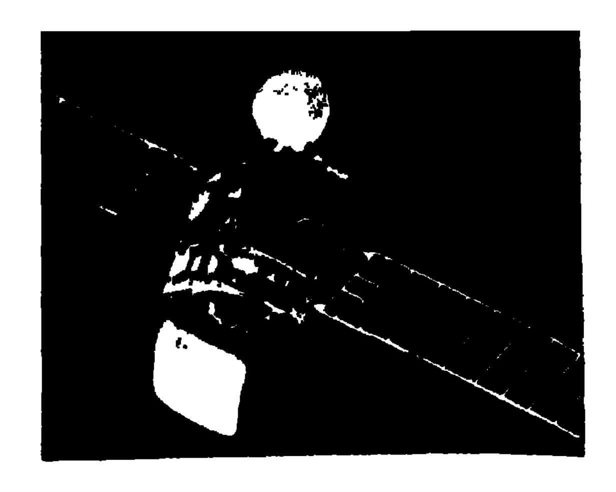
وطبقا لأخر تقرير اقتصادي عربي موحد ، وهو التقرير الذي تساهم فيه الجامعة العربية ، ومجموعة منظمات عربية ، فان الاحصاءات تشير الى أن مشتركي الهاتف عام ١٩٨١ بالوطن العربي قد بلغ عددهم (٣,٢ مليون) مشترك .

وهنا نلاحظ :

أولا : أن نسبة المشتركين لعدد السكان نسبة محدودة للغاية . انها تبلغ (١,٩) بالمائة فقط . . وهذا يعني أنه لكل خمسين من السكان - على وجه التقريب - هاتف واحد ، وهو معدل فقير دون شك ، ويقدم مؤشرا على مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ومستوى الدخل .

ثانيا : واذا انتقلنا بالمقارنة للمستوى الدولي ، فاننا نجد الحقيقة السابقة ، قد تأكدت ،والبون الشاسع - الذي يربطنا في مختلف المجالات مع العالم الأول - قد أصبح أكثر وضوحا . .

تقول الأرقام انه بينما بلغت الكثافة الهاتفية في



الوطن العربي جهازين تقريبا لكل مائة من سكان عام ١٩٨١ . . فانه في نفس العام بلغت تلك الكثافة ثمانين جهازا لكل مائة من السكان في السويد ، وخمسين جهازا لكل خمسين من السكان في المانيا الغربية .

البون اذن مازال شاسعا ، حتى اذا تمت المقارنة الدولية مع الدول العربية ذات الدخل المرتفع ، وهو ما تشير له الملاحظة الثالثة

ثالثا : تشير الأرقام الى أن أعلى كثافة هاتفية في دول النفط ، حيث أصبح ـ ووفقا لأرقام ١٩٨١ ـ لكل مائة من السكان في قطر خمسة وعشرون جهازا . . ولكل مائة من السكان في الكويت (١٧,٥) جهازا . . وذلك مقابل جهاز واحد لكل خمسمائة مواطن في موريتانيا ، وجهاز لكل (٣٣٣) مواطنا في الصومال والسودان .

البون اذن مازال شاسعا ، حتى على المستوى العربي ، ولكن بمتابعة مستوى النمو نجد أن الجميع ـ وبصرف النظر عن مستويات الدخل ـ يقفزون بخدماتهم الهاتفية ـ ففي خمس سنوات امتدت من عام ١٩٧٦ حتى عام ١٩٨١ كان معدل النمو السنوي في السعودية (٤١٪) وفي الامارات (٣٧٪) وفي قطر (٢٥٪) وليبيا (٢٢٪) . . ولكن في نفس الأعوام كان المعدل في دولتين ذات دخل متوسط ومنخفض معدلا مرتفعا أيضا . . حيث كان (١٧٪) في سوريا . . . و (١٦٪) في موريتانيا .

و . . يؤكد ذلك الحقيقة القائلة بأن الوطن العربي بشكل عام قد شهد اهتماما كبيرا بالبيئة الأساسية وشبكة المرافق في السنوات العشر الأخيرة . . واذا أخذنا مؤشرا آخر في انتشار الهواتف غير الكثافة ، فاننا نجد تعداد السكان وقد ترك بصماته بشكل أوضح . . بل نجد أن (٦٠) بالمائة على وجه التقريب من الهواتف قد تركزت في أربع دول ذات تعداد سكاني كبير نسبياً . . وبالترتيب فان في السعودية وحدها ما يقرب من ٢٣ بالمائة من الأجهزة أي (٧٤١) ألف جهاز . وتلاها في الأهمية النسبية مصر حيث أن فيها (٣٦٣) ألف جهاز ، وفي العراق (٣٢٤) ألف جهاز

الكثافة السكانية اذن لعبت دورها في تكثيف الخدمة ، كما لعب ارتفاع الدخل دوره ، وأصبحت الصورة بشكل عام خدمة هاتفية يتزايد حجمها وتتزايد أهميتها . ولكن البون مازال شاسعا مع العالم المتقدم .

السؤال : هل تتحسن هذه الصورة بعد تشغيل القمر الصناعي العربي الذي بدأ الاستعداد له عام ١٩٧٦ ، ودخل طور العمل عام ١٩٨٥ ؟

الأكيد أن قدرا من التحسن سوف ينال الاتصالات بعد دخول القمر الصناعي مجال التشغيل ، فالقمر ينقل موجات الاذاعة والتليفزيون ، كما ينقل المكالمات الهاتفية والتلكس . . وهو صيغة متفق عليها بين الدول العربية المنضمة للمشروع .

لقد كان الربط بين البلاد العربية هدفا لدى الكثيرين ، وفي السبعينيات تم تنفيذ المشروع الأول في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية العربية المشتركة لربط المغرب والجزائر بعدها ، تتابعت المشروعات ، وجاء المشروع الثاني لربط العراق بسوريا والأردن والسعودية ، والمشروع الثالث لربط السعودية وشطري اليمن وجيبوتي والصومال ، والرابع لربط المغرب والجزائر وتونس وليبيا . . ثم جاء المشروع الخامس الذي يهدف الى اقامة وتجهيز المحطات الأرضية الخاصة بالقطاع الأرضي من الشبكة الفضائية العربية ، وحين ينتهي المشروع ـ وكما يقول الخبراء ـ فان الشبكة الفضائية سوف تكون بديلة للشبكة الأرضية في حال تعطلها ، أيضا ، وحين ينتهي المشروع تماما ـ وقد أوشك ـ فان عدد مشتركي الهاتف والتلكس سوف يتزايد في الدول العربية المنضمة للمشروع . . كما أن خدمات اضافية سوف يؤديها القمر الصناعي من بينها : نقل الصور وبيانات الحاسبات الاكترونية . الدول العربية . .

والسؤال : ألا يطرح ذلك فكرة انشاء بنك عربي واحد للمعلومات ؟

أظن أن الوقت قد حان ، والقمر الصناعي العربي يقدم الامكانية لذلك . . . □



العربي تدخل مصانع السلاح السعودي

استطلاع / يوسف الشهاب

تصوير / فهد الكوح



... العـرب مصانـع إنتاج

السلاح في المملكة العربية السعودية .

وهذه هي الرحلة الثانية التي نلتقي بها

العربي مع السلاح العربي . كانت

... القطر المصرى . وفي

... نقدم صورة جديدة

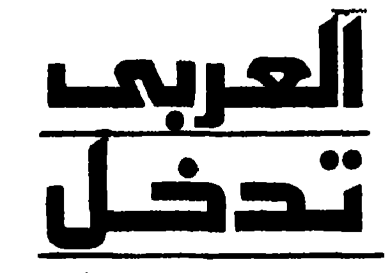
صور محاولاتنا الجادة لتحقيق ...

عن أرضنا العربية وسيادتنا .

كيف كان مولد صناعة ...

السعوديـة ...





العربي تدخل مصانع السلاح السعودي

استطلاع / يوسف الشهاب

تصوير / فهد الكوح

... العربي مصانع انتاج السلاح في المملكة العربية السعودية.

وهذه هي الرحلة الثانية التي نلتقي بها العرب مع السلاح العربي. كانت ... المصري. وفي ... تقدم صورة جديدة ... صور محاولاتنا الجادة لتحقيق ... عن أرضنا العربية وسيادتنا. كيف كان مولد صناعة ... السعودية وكيف ...



منذ فجر التاريخ عرف الانسان حاجته الى ما يدافع به عن نفسه ضد الاعداء ويزيد من سرعة حركته في الميدان حين يشتعل وطيس المعركة بين كر وفر .. فسلاح اليوم ليس سلاح الأمس ، وسلاح الغد ليس سلاح اليوم ، انه في تطور لا يتوقف ولا يهدأ منذ التاريخ الحربي القديم وحتى التاريخ الحديث ، فالفرس الذين غزوا اليونان عام « ٤٨٠ ق م » كانوا مسلحين بسهام أطرافها من الظران والرماح الخشبية والمقاليع ، وعرفوا آنذاك الحراب البرونزية والسيوف والدروع البرونزية ، ثم تألفت قبائل المقدونيين من المشاة المسلحين بالمزاريق ، كما عرف قدماء الاغريق الحرب الكيميائية التي كانت تحتوي عليها النار الاغريقية والتي هي في الأصل اختراع فنيقي ولم يقف تطور السلاح عند ذلك ، بل تطور مع الزمن ، واشتدت طموحات الانسان في اختراع كل جديد فيه .

واكتشف البارود .. ففجر ثورة في عالم التسليح العسكري ، واستعمل الهولنديون مدفعية الميدان في القرن ١٤ م ، ثم انتقلت الى العثمانيين والافريقيين ، أما « جوستافوس » فقد عمل على زيادة سرعة المدافع ، فجعل منها سلاحا بالغا في أهميته ، ثم عرف القنابل المحشوة بالمتفجرات ، وفي منتصف القرن السادس عشر ، ظهرت البندقية القصيرة التي كان يبلغ مرماها ٤٠٠ ياردة ، ولم يكتف العقل البشري بكل وسائل الفتك والدمار التي اخترعها ، بل راح يبحث عن جديد فيها ، فجاء بالطائرة والصاروخ بعد الدبابة والرشاش .

والمدافع التي تدخل في اطار هذه الصناعة الحربية محور هذا الاستطلاع .

سرية الخطوات :

وهي صناعة تحيط بها السرية في كافة خطواتها ، سواء أكانت هذه السرية داخل المصانع بين الآلات والأجهزة ، أم في الخارج ، حيث الحفاظ على طرق الصناعة بكل تفاصيلها ، ولو لم تكن هذه الصناعة تدخل تحت باب المحظورات بين دولة وأخرى ، لكانت الدول قد وقفت على دقائق هذه الصناعة فيما بينها ، ولما كان هناك أي سر في مثل هذا النوع من الصناعات .. وقد نتساءل عن أسباب هذا الحرص في سرية صناعة السلاح ؟ والجواب أن أمن الدول الكبرى يتوقف على هذه السرية ، حتى لا تكون صناعة السلاح لديها بين أيدي الدول الأخرى ، وتضيع بعدها هيبة الدولة وقوة السلاح .

السلاح العربي :

ومثل هذه الصناعة جديدة على وطننا العربي ، لظروف أوجدتها محدودية التقنية ، وأسرار هذه الصناعة ، وكذلك قلة الأيدي العربية ، القادرة على صناعة السلاح العربي في المصانع العربية . هذا الى جانب ندرة المواد الخام اللازمة .. وأمام هذا كله كان الوطن العربي يمد يده الى أسواق تجارة السلاح الأجنبية ، فتارة ترد هذه اليد دون شيء ، وتارة أخرى توضع أمامها الشروط المادية والفنية قبل تسليم السلاح ، وهذا ما كان يعانيه الوطن العربي في أسواق السلاح الأجنبية ، وهي معاناة دفعت الى الأخذ بمبدأ الاعتماد على النفس في توفير السلاح ، ليأتي عربي الصناعة أرضا ويدا ومالا ، ليقلل من الاعتماد



اللواء يوسف السلوم

ـلى السلاح الأجنبي الذي يتحكم تجاره بمصائر ـوطن العربي .

ـرهبة السلاح :

لكن هذه الصناعة لا تزال حديثة فوق الأرض العربية ، فطريق صناعة السلاح طويل ، ودوران الأيام يكشف لنا كل جديد في أسرار هذه الصناعة ، ويتطلب من أقطار وطننا العربي أن تقطعه بعزم وثبات لاعداد السلاح رهبة للاعداء ، مصداقا لقوله تعالى . . « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » فالاعداد هنا مطلوب ، كما أوصانا به القرآن الكريم ، وحين يكون هذا الاعداد قويا فان رهبة الأعداء تكون كبيرة .

الصناعة في المهد :

ولو ذهبنا لمعرفة مواقع هذه المصانع في أقطار الوطن العربي ، لرأينا أن قلة من الدول العربية قد أقيمت فيها الصناعة الحربية ، وهي ان وجدت فلا تزال في المهد تحبو ، ولذلك فان سلاح الوطن العربي لا يزال يدخل ضمن السلع المستوردة من الخارج ، التي تأخذ المال من الخزينة العربية بشراهة ونفس مفتوحة ، أما أقطار الصناعة الحربية على خارطة الوطن العربي فهي جمهورية مصر العربية ، والجمهورية العراقية ، والمملكة العربية السعودية التي هي مجال حديثنا في هذا الاستطلاع ، أضف اليها بعض صناعات الأسلحة الخفيفة في دول أخرى عربية ، لكن وجود هذه الصناعات لا يمثل أي اكتفاء ذاتي للجيوش العربية .

أول مجلة :

وقد تكون مكانة هذه المجلة في الميدان الصحفي وراء السماح لها بالدخول الى المصانع الحربية في المملكة العربية السعودية ، ولا أزال أتذكر حديث أحد المرافقين السعوديين لنا حين التفت نحوي قائلا . . انكم أول مجلة في العالم تدخلون مصانعنا الحربية . .

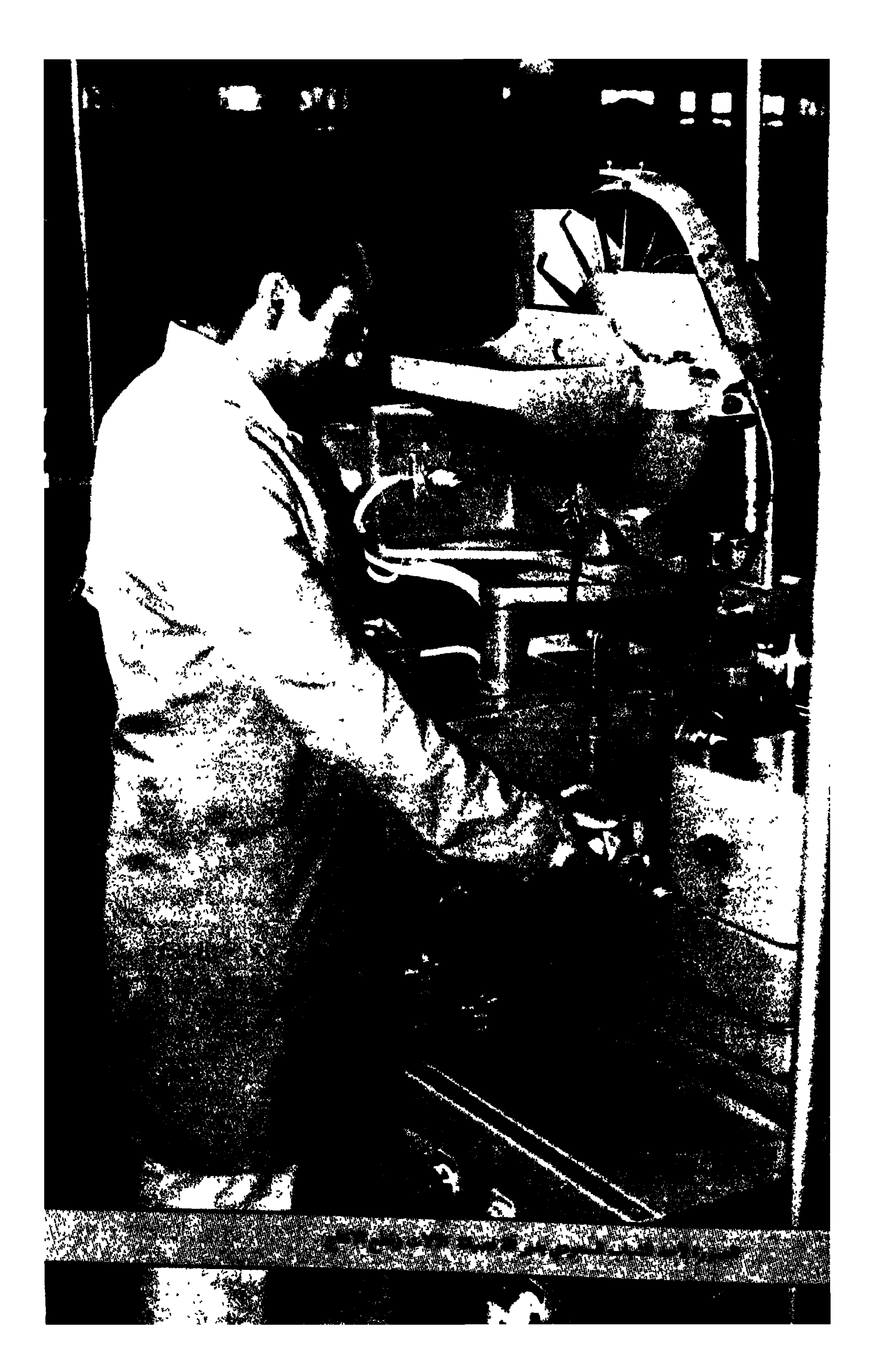
وقلت . . هذا تشريف لمجلة « العربي » ووسام تحمله على صدرها بين مجلات وصحف العالم الأخرى ، وتابعت معه الحديث . . ان هذه الصناعة ذات شكل خاص ، ولذا فان الحذر مطلوب في الكلمة والصورة ، كما هي العادة في كل صناعة ذات تأثير على الجانب العسكري أو الاقتصادي في أي دولة من الدول ، لكن سؤالا يخطر في الذهن حول هذا الحرص المعتاد في كل صناعة حربية ، ذلك أن البعض يرى أن تسليط الضوء على الصناعة وما تقدمه المصانع من عتاد عسكري ، فيه رهبة وتحذير للعدو ، بينما البعض الآخر يرى أن مثل هذه الصناعة تتطلب وضعها في مقدمة أسرار الدولة ، حفاظا على أمنها وسيادتها ، وكلا الرأيين على صواب . . لكن كيف



العقيد محمد الفيصل

تسير هذه الصناعة في المملكة العربية السعودية ، فالمصانع الحربية هناك تقع في مدينة تبعد عن الرياض العاصمة نحو ٦٠ كيلو مترا ـ ولذا فقد كان علينا أن نطوي هذا الطريق كل صباح من الرياض اليها ، وهي حاضرة الصناعة الحربية في المملكة لنقف على مجرى الحياة اليومية داخل « ورش » هذه المصانع .

* مدخل المصانع الحربية السعودية ، حيث الأمن والعين الساهرة لمراقبة الداخل والخارج .





يأحد الشباب السعودي دوره في صناعة السلاح ، كما في الصورة التي يبدو فيها أربعة منهم وقد راحوا يضعون علومهم في خدمة هذه الصناعة .

صناعة رجولة وحرب

وعند باب الدخول استوقفنا رجل الأمن العسكري ليسألنا عن طبيعة الزيارة وأسباب الدخول ، فبادر مرافقنا العسكري بالجواب والجهة الصحفية التي قدمنا منها . . فتملكت رجل الأمن الدهشة والاستغراب ، فبادرنا . . أنتم اذن صحافة ؟ قلنا: نعم ـ فقال ضاحكا ، لكن الصحافة لم تدخل في أي يوم من الأيام هذه المصانع ، واستمر الحوار الأخوي بيننا وبين رجل الأمن ثم قال . . حياكم الله وأنتم أهل الدار . . وتابعنا الطريق الى الداخل،كان في استقبالنا ملازم عسكري من العلاقات العامة في المصانع الحربية ، تابعنا الطريق معه الى مكتب اللواء يوسف السلوم مدير المصانع . دخلنا عليه وكانت حفاوته كبيرة بنا «و بالعربي» التي يحمل لها في قلبه كل تقدير . . ثم تابع الحديث قائلا : ان صناعة السلاح هي صناعة رجولة وحرب ، بل هي من مظاهر الاعتزاز بالقوة ، وبناء الجيش الذي يذود عن الأوطان والديار ، وهي فوق هذا كله مقرونة بالمقدسات الاسلامية والدعوة الاسلامية الى تجهيز العتاد لرهبة الأعداء ، ويضيف مدير المصانع الحربية فيقول : « ان الصناعات عادة تحتاج الى إيدٍ بشرية تستطيع ادارة الآلات داخل « الورش »وتحتاج الى سهولة مواصلات ، وتوفر المياه ،هذا الى جانب المواد الخام التى نأتي بها من داخل المملكة أو خارجها ، لكن اكتشاف المعادن في المملكة ، سوف يغنينا عن الاستيراد من الخارج مستقبلا ، أضف الى ذلك كله المال الذي يحرك المصانع،وكل هذه المقومات متوفرة عندنا والحمد لله .

لكن متى بدأت الصناعة الحربية في المملكة؟ يجيب اللواء يوسف السلوم فيقول :

البداية في الذخيرة :

كانت البداية في أواخر عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، في حوالي عام ١٣٧١ هـ (١٩٥١ م) ، حيث وقع رحمه الله أول اتفاق للتصنيع الحربي مع احدى الدول الأجنبية ، وكان هذا الاتفاق على

ساس المساعدة ، لكن مضمون هذه الاتفاقية انتهى الآن ، بعد تحول الانتاج الى يد أبناء المملكة ، فأصبحت هذه الصناعة « سعودية » في كل ما يرتبط من أيد عاملة فنية وادارية وغيرها .

ويضيف اللواء السلوم قائلا : أما بداية الانتاج فقد كانت مقتصرة على الذخائر ثم الاسلحة الصغيرة ، التي تشتمل على المنشآت والخدمات الصحية للانسان ، والمراكز الترفيهية والاسكان ، وبقية احتياجات الجيش ، ثم ان هذه الصناعة ليست حديدة علينا كمسلمين ، اذ كان المسلمون الأوائل يصنعون السيوف والنبال وكافة الأسلحة التي كانوا يستعملونها في فتوحاتهم ، ويواصل مدير المصانع الحربية حديثه فيقول : ان صناعة السلاح تتطور دائما ، ولا تقف عند نقطة معينة ، ثم ان أي سلاح حديث يظهر لدى الأعداء يتطلب منا أن نفكر في صناعة سلاح يواجه سلاح العدو ، ويفوقه في قوة تأثيره وأدائه . .

مركز للتدريب

ويتوقف الحوار مع اللواء يوسف السلوم مدير المصانع الحربية ، لنبدأ جولتنا في مختلف الورش التي تتألف منها المصانع ، فكانت البداية في مركز التدريب ، حيث اعداد الشباب السعودي وتأهيله ، ليأخذ دوره الى جانب آلة صنع السلاح والمركز ـ كما أخبرنا المسؤول عنه ـ يقبل الطلبة السعوديين فقط ، ومدة الدراسة فيه سنتان ، ويضيف محدثنا أن المركز افتتح عام ١٩٧٤ ، ويأخذ الطالب مكافأة شهرية ، أما نوعية الدراسة فهي نظرية وعملية على البرادة والميكانيكا ، وبعد انتهاء مدة الدراسة يلتحق الطالب باحدى ورش المصانع ، ليأخذ دوره الى جانب رفاقه داخل المصنع .

قطع الغيار

ولا فائدة لأي سلاح دون توفر قطع غيار له . . والمصانع الحربية تضع في أولوياتها عند صناعة السلاح. توفير مصانع لقطع غيار هذه الأسلحة ، وهكذا الحال مع مصانع الأسلحة السعودية ، اذ أوجدت مصنعا مستقلا لقطع غيار الأسلحة ،وزارت بعثة « العربي » هذا المصنع الذي أنشيء عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٦ م) ، وحدثنا مشرف المصنع عن طبيعته فقال : ان مصنع قطع الغيار ينتج القطع التي تحتاجها الاسلحة ، وهو يتمشى في صناعته مع تطور السلاح عندنا ، كما أن المصنع لا يعمل به الا الشباب السعودي ، ولذلك فان كافة من يديرون الآلة فيه هم من أبناء المملكة .

الرشاش والبندقية

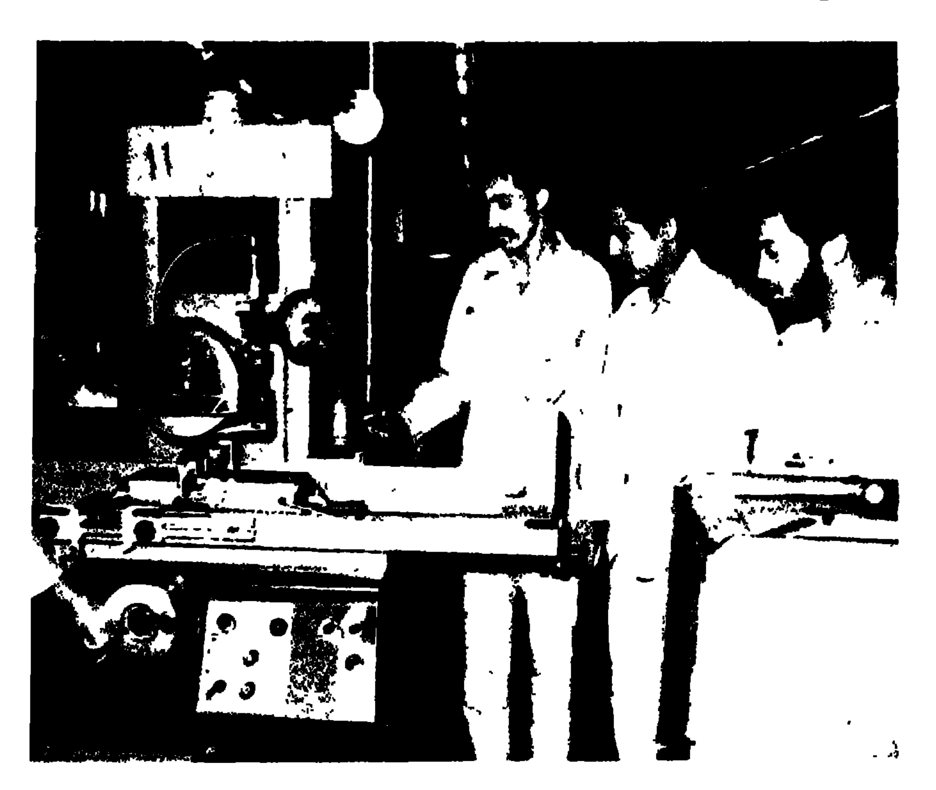
ثم زرنا مصنع البنادق المعروف بانتاجه لبندقية (ج ٣) ، وتجولنا بين أصوات المكائن فيه مع الرجل المسؤول عنه ، الذي وصف المصنع بأنه من المصانع المهمة في الانتاج ، إذ ان المصنع ينتج الأسلحة كالبنادق المعروفة ، وكذلك الأوتوماتيكية منها ، كما ينتج الرشاش ، وكافة العاملين فيه هم من أبناء المملكة الذين شعروا بضرورة خدمة بلادهم في هذا الجانب من الصناعة .

وتابعنا الجولة بين المصانع الحربية ، فزرنا مصنع ذخيرة الطائرات (عيار ٢٠ ملم)وقد تخصص هذا المصنع في انتاج ما تحتاجه الطائرات من قذائف وغيرها ، وقد زود بأحدث الآلات المتطورة في ميدان هذه الصناعة ، كما أن المصانع الحربية السعودية تضم بين مجموعة مصانعها مختبرا مركزيا لفحص كافة المواد الخام ، التي تستعمل في صناعة السلاح ، بالاضافة الى كافة الزيوت والمواد الكيماوية التي تدخل في هذه الصناعة .

٢٥٠٠ وجبة طعام

ومثل هذه المصانع تحتاج الى أيد عاملة كثيرة ومدربة ، والمصانع الحربية في المملكة العربية السعودية التي نقدمها للقارىء في هذا العدد ـ يعمل فيها ٢٥٠٠ مواطن سعودي ، بين عسكري اداري وفني وعامل في الساعة السادسة والنصف من كل صباح ، والكل يأخذ موقعه في العمل الى الساعة الثانية ظهرا ، يتخلل هذه الساعات فترة للصلاة

* ورشة قطع الغيار في المصانع الحربية السعودية حيث الآلة والانسان السعودي .



* يمر العامل السعودي في المصانع الحربية بفترة تدريب نظري وعملي كما في الصورة التي يبدو فيها بعض الشباب السعودي في مرحلة تدريب عملي . .

والغداء الذي توفره المصانع في مطاعمها بالمجان ، لكل من يعمل لديها ، كما أن هناك مشروعا اسكانيا للعاملين في المصانع ، سوف ينتهي العمل به في أوائل العام القادم .

صناعات جديدة

ونلتقي بالعقيد محمد الفيصل نائب مدير المصانع الحربية ، ونسأله عن مرحلة التطور في المصانع ويقول : « ان هذه المرحلة قد بدأت عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) ، ولقد كان اهتمامنا في تنفيذ هذه المرحلة هو توفير الأيدي البشرية السعودية ، كما أن مرحلة التطوير شملت أيضا ادخال صناعات جديدة تواكب تطور صناعة السلاح ، واستطعنا بعون الله أن نصل الى هذا المستوى الطيب الذي عليه المصانع عندنا ، سواء من حيث الانتاج أو من حيث توفر الأيدي الوطنية ، التي تدير المصانع على اختلاف أدوارها . ولدينا خطط ودراسات أخرى من أجل الاستمرار في هذا التطور .

معايير وضوابط

وبعد فقد أمضينا عدة أيام نتجول بين آلات المصانع الحربية في المملكة العربية السعودية ، وكانت فترة جولاتنا من الصباح الى المساء ، وكان بودنا أيضا أن نتناول كافة جوانب الحركة اليومية داخل هذه المصانع ، وخاصه الجوانب الدقيقة منها ، لكن هناك « معايير » وضوابط تدخل تحت ما يسمى بالأسرار العسكرية ، وهذه نحرص على عدم تسليط الأضواء عليها ، لأنها من أسرارنا ، كأمة عربية تسعى الى العمل والاعداد العسكري ، وهي تنطلق من حديث سيد الخلق عليه الصلاة والسلام . . « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » . . فالسرية مطلوبة هنا ، وما قدمناه هو الجانب الذي يباح تقديمه . .

وبعد عزيزي القارىء . . هذه لمحة عن جوانب معينة من صناعة السلاح في المملكة العربية السعودية ، وهي الجوانب التي أمكن الكتابة عنها . . . وهناك جوانب أخرى تدخل في اطار ليس كل ما يعرف يقال أو يكتب ! □



* أحد الشباب السعودي يقوم بفحص أجزاء السلاح داخل مختبر الفحص للمواد الصلبة والكيميائية (الصورة الى أعلى) ، كما يبدو في الصورة (الى أسفل) جهاز الكمبيوتر الذي يقوم بصيانة آلة السلاح كما ونوعا في المصانع الحربية



تقاطع الطرق بداية النهاية

بقلم : يوسف الشاروني

في أحد أيام الجمع خرج عمي ابراهيم على دراجته قاصدا جامع بركة الرطل كعادته . وانتظره أقاربه بالدور الخامس ليزوروهم زيارته الاسبوعية بعد الصلاة ، غير أن انتظارهم قد طال ، والذين صلوا منهم بالجامع نفسه قالوا انهم لم يلمحوه كما كان يحدث أحيانا . وانتظرت أمه عودته لكن دون جدوى ، ولم تكن لديها وسيلة للاتصال ببركة الرطل لتستطلع أنباءه . فظلت قابعة مهمومة لاتفعل الا الضروري ، كالذهاب الى عشش الدجاج والأرانب وحظيرة العنزة لتنظيفها ، ووضع الطعام والماء ، وجمع البيض وحلب اللبن .

البداية

وكان عمى ابراهيم عندما بلغ الخامسة والخمسين قد قدم استقالته من وظيفته الحكومية ، ليبدأ تحقيق حلمه الذي طالما راوده وهيأ نفسه له طوال سنوات عديدة بعد أن قدم استقالته . كان يحلم بالحرية ، حرية من الوظيفة ومن الناس ومن قيود المجتمع . فبالحرية كان يحلم وكانت وسيلته الى ذلك أن يشتري ـ بما اقتصده خلال عمله الوظيفي ـ قطعة أرض بعيدا عن زحمة الناس ، في منطقة ريفية تقع على ضواحي العاصمة وقتئذ ، حيث المزارع التي تمدها كل صباح بالخضراوات والزهور ، وأن يقيم فيها بناء بسيطا يكفيه هو وأمه العجوز التي فقدت بصرها منذ سنوات ، ثم يعد عششا للدواجن والأرانب ، وحظائر للبهائم التي يقوم على تربيتها والتي تؤدي أكثر من غرض .

فهي هواية تشغل وقت فراغه ، ورياضة يحرك بها عضلات جسمه ، ومصدر لبعض طعامه ، وما يفيض عنه يدر له دخلا يمكن أن يضاف الى معاشه المتواضع ، مما يضمن له معيشة في مستوى معقول لمطالبه المتواضعة . فقد كان يحلم بالحرية ، بعد أن قدم استقالته من حياته الوظيفية .

وكان مبدؤه أنه كلما اقترب من الطبيعة أكثر كانت سعادته أكبر وصحته أفضل . وكان يؤمن ايمانا يصل الى مستوى العقيدة بأن الطعام كلما تدخلت فيه يد الانسان أصبح أكثر ضررا . وكلما قل هذا التدخل أصبح أكثر فائدة . فالسكر الأحمر والخبز الأسمر واللبن الطازج والزبد أكثر فائدة أو أقل ضررا من السكر والدقيق الأبيض ومن السمن طبيعيا كان أو صناعيا ، بل كان يستخدم عسل النحل والعسل الأسود بدل السكر ، ولا يأكل النشويات كالخبز والأرز والمكرونة . ولا يستخدم الا اللبن المنزوع القشدة ، ولا يأكل الا اللحم الأبيض كلحم الدواجن والأسماك مشويا أو مسلوقا ، وطبقه الرئيسى على الغداء السلطة الخضراء ، وعشاؤه المفضل اللبن الزبادي والفاكهة ، فمبدؤه أن الطعام كلما اقترب من الطبيعة كان أكثر فائدة . فضلا عن أن أكله كان بحساب ، فشعاره « كل قليلا تعش طويلا » .

وكان عمي ابراهيم يفخر قائلا . « لقد وضعت لنفسي برنامجا لأعيش حتى المائة أو على الأقل لأعيش أيامي سليما وليس عالة على أحد » يقصد بذلك الا يصاب بشلل أو بفقدان احدى حواسه كالبصر أو السمع ، أما الموت فهو حق علينا جميعا . وكان الى جانب اتباع هذا النظام الدقيق في طعامه ، يحرص على القيام بتنقلاته على دراجة كلون من ألوان الرياضة ، كما كان يحرص على المواظبة على صلاة الجمعة في نفس الجامع الذي كان يصلي فيه أيام سكنه القديم ، وقبل أن يبني بيته الجديد على كورنيش النيل بطريق المعادي بعيدا عن زحمة العاصمة وقتئذ . وكان يخرج صباح كل يوم جمعة من بيته ويركب دراجته ويقطع عليها مسافة تزيد على الساعة في مثل هذه السن ، حتى يصل الى بركة الرطل بالفجالة ، وهناك يصلي في جامع الرحمن ، وبعدها يزورنا نحن أقرباءه الذين كنا نسكن وقتها بالدور الخامس بإحدى العمارات القديمة التي لم يكن بها مصعد ، فكنا نشاهده يصعد سلما كأنه ابن العشرين ، وأول ما نلمحه نصيح نحن الاطفال الصغار وقتئذ « عمو ابراهيم » . فقد كانت زيارته الأسبوعية كأنها جرس من النظام الملكي . وقد علمنا فيما بعد أنه لم يكن يشتري لنا الشيكولاته ـ كما كان يفعل بعض أقربائنا ـ لا لأنه يرى فيها أذية للصغار ، ولكن حتى لانتعود على مثل هذه المأكولات عندما نكبر ونصبح من المحظورات .

وكان يجلس وقتا لايزيد على نصف الساعة ، لابد أنه كان يعرف أثناءها أخبار الأسرة ويعرفون أخباره ، ويأخذ بريده القليل ان كان له بريد ، ويدعونه لتناول الغداء فيرفض ، لأن هناك أولا والدته تنتظره ليأكلا معا ، ثم لأنه لايوافق على طريقة طهوهم للطعام . . فقد كان يفضل الطعام نصف المطهو قليل الملح أو عديم الملح لأنه كان يؤمن أن الطعام كلما كان أكثر اقترابا من الطبيعة كان أكثر فائدة .

وهكذا احتاط لصحته بنظام طعامه ورياضة جسمه ونقاء موقع سكنه بعيدا عما يلوث المدينة من أدخنة وضوضاء وتزاحم الخلق وتنافسهم على رقعة أرض لاتكاد تتسع لهم ، فهو يؤمن أنه كلما اقترب هو أيضا من الطبيعة كان أكثر سعادة وأحسن صحة . فضلا عما يعود عليه ايمانه وعلاقته الصحية بربه من طمأنينة وراحة بال . لهذا كان رفيعا منتصبا كالعصا .

وكان يجد سعادته فيما يزرعه من خضراوات في حديقته الصغيرة الملحقة بيته ، وفيما يربيه من دجاج وأرانب (كان لايربي البط ولا الأوز ولا الحمام لأن من رأيه أن أكل هذه الدواجن غير صحي لكثرة ما بها من دهون) وان كان قد أصابها الوباء مرتين ، مرة قضى على معظم الدجاج ، ومرة أفنى الأرانب كلها . غير أنه سرعان ما تنبه وبدأ يتخذ وسائل الوقاية الطبية معها فيما يقدم لها من طعام ، وفي حقنها من حين لآخر بما يحميها من عوائل وباء آخر .

وهكذا كان يرى أن أعظم انجازاته في حياته انما حققه بعد أن استقال من وظيفته وحصل على حريته بعد سن الخامسة والخمسين ، حين استطاع أن يكون أكثر اقترابا من الطبيعة ، سواء بحصوله على قطعة أرض يملكها ـ وهو الذي لم يكن يملك حتى نفسه أيام الوظيفة ـ أو ببنائه هذا البيت ، ثم فرحه كلما بذر بذرة ورآها بعد شهور وهي تنضج ثمرة بعد ثمرة . (وكان يرى أن عمليات نقل الخضار والفاكهة تفقدها كثيرا من فوائدها الصحية) أو كلما فقست بيضة كتكوتا أو ولدت احدى أرانبه أو عنزته سعدته (بكسر السين) بدرت له لبنا يحلبه ويشربه طازجا دافئا « أنه أفضل الألبان عندي لأنه أقل أنواعها دسما ، ثم انه ثمرة جهدي وكدي » ، بينما صغارها يحومون حولها يأمنون بأصواتهم الخافتة ، وهو لايذكر أنه أحس يوما بثمرة عمله الكتابي أيام حياته الوظيفية على طولها « كنت أشعر أنني نقطة في بحر ، وجودي مثل عدمي وحضوري مثل غيابي . أؤدي عملا غير مميز يمكن أن يؤديه أي شخص آخر ، لهذا فرحوا يوم استقلت لأني سأحرك طابور الدرجات المنتظر بعدي » .

وهكذا حصل عمي ابراهيم على حريته يوم استقال من وظيفته ، واستطاع أن يحقق مبدأه بأنه كلما كان أكثر اقترابا من الطبيعة كان أكثر سعادة وأفضل صحة . وكانت أمه تأكل ، مثلما يأكل وتعيش في البيئة التي فيها يعيش ، لكنها لا تمارس من الرياضات والهوايات ما يمارس بسبب بصرها الذي كف منذ أكثر من عشر سنوات ، زحفت سحابة على احدى عينيها

تقاطع الطرق بداية النهاية

بقلم : يوسف الشاروني

في أحد أيام الجمع خرج عمي ابراهيم على دراجته قاصدا جامع بركة الرطل كعادته . وانتظره أقاربه بالدور الخامس ليزوروهم زيارته الاسبوعية بعد الصلاة ، غير أن انتظارهم قد طال ، والذين صلوا منهم بالجامع نفسه قالوا انهم لم يلمحوه كما كان يحدث أحيانا . وانتظرت أمه عودته لكن دون جدوى ، ولم تكن لديها وسيلة للاتصال ببركة الرطل لتستطلع أنباءه . فظلت قابعة مهمومة لاتفعل الا الضروري ، كالذهاب الى عشش الدجاج والأرانب وحظيرة العنزة لتنظيفها ، ووضع الطعام والماء ، وجمع البيض وحلب اللبن .

البداية

وكان عمي ابراهيم عندما بلغ الخامسة والخمسين قد قدم استقالته من وظيفته الحكومية ، ليبدأ تحقيق حلمه الذي طالما راوده وهيأ نفسه له طوال سنوات عديدة بعد أن قدم استقالته . كان يحلم بالحرية ، حرية من الوظيفة ومن الناس ومن قيود المجتمع . فبالحرية كان يحلم . وكانت وسيلته الى ذلك أن يشتري ـ بما اقتصده خلال عمله الوظيفي ـ قطعة أرض بعيدا عن زحمة الناس ، في منطقة ريفية تقع على ضواحي العاصمة وقتئذ ، حيث المزارع التي تمدها كل صباح بالخضراوات والزهور ، وأن يقيم فيها بناء بسيطا يكفيه هو وأمه العجوز التي فقدت بصرها منذ سنوات ، ثم يعد عششا للدواجن والأرانب ، وحظائر للبهائم التي يقوم على تربيتها والتي تؤدي أكثر من غرض .

فهي هواية تشغل وقت فراغه ، ورياضة يحرك بها عضلات حسمه ، ومصدر لبعض طعامه ، وما يفيض عنه يدر له دخلا يمكن أن يضاف الى معاشه المتواضع ، مما يضمن له معيشة في مستوى معقول لمطالبه المتواضعة . فقد كان يحلم بالحرية ، بعد أن قدم استقالته من حياته الوظيفية .

وكان مبدؤه أنه كلما اقترب من الطبيعة أكثر كانت سعادته أكبر وصحته أفضل . وكان يؤمن ايمانا يصل الى مستوى العقيدة بأن الطعام كلما تدخلت فيه يد الانسان أصبح أكثر ضررا . وكلما قل هذا التدخل أصبح أكثر فائدة . فالسكر الأحمر والخبز الأسمر واللبن الطازج والزبد أكثر فائدة أو أقل ضررا من السكر والدقيق الأبيض ومن السمن طبيعيا كان أو صناعيا ، بل كان يستخدم عسل النحل والعسل الأسود بدل السكر ، ولا يأكل النشويات كالخبز والأرز والمكرونة . ولا يستخدم الا اللبن المنزوع القشدة ، ولا يأكل الا اللحم الأبيض كلحم الدواجن والأسماك مشويا أو مسلوقا ، وطبقه الرئيسي على الغداء السلطة الخضراء ، وعشاؤه المفضل اللبن الزبادي والفاكهة ، فمبدؤه أن الطعام كلما اقترب من الطبيعة كان أكثر فائدة . فضلا عن أن أكله كان بحساب ، فشعاره « كل قليلا تعش طويلا » .

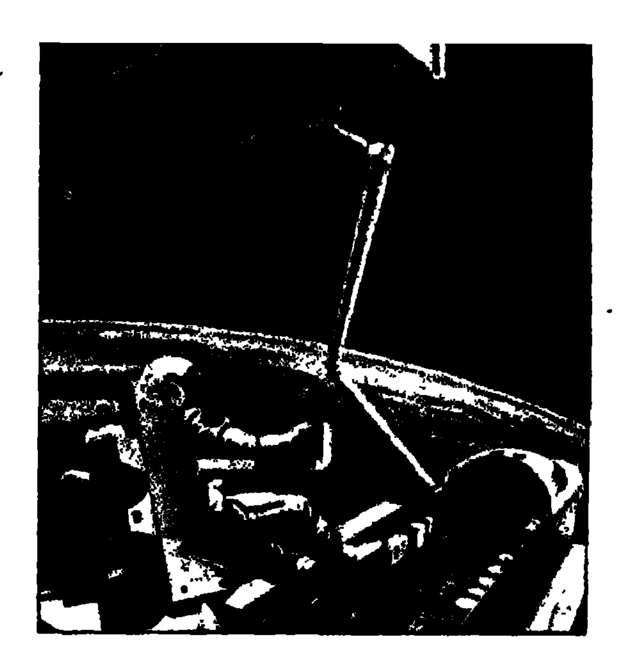
وكان عمي ابراهيم يفحر قائلا : « لقد وضعت لنفسي برنامجا لأعيش حتى المائة أو على الأقل لأعيش أيامي سليما وليس عالة على أحد » يقصد بذلك الا يصاب بشلل أو بفقدان احدى حواسه كالبصر أو السمع ، أما الموت فهو حق علينا جميعا فكان الى جانب اتباع هذا النظام الدقيق في طعامه ، يحرص على القيام بتنقلاته على دراجة كلون من ألوان الرياضة ، كما كان يحرص على المواظبة على صلاة الجمعة في نفس الجامع الذي كان يصلي فيه أيام سكنه القديم ، وقبل أن يبني بيته الجديد على كورنيش النيل بطريق المعادي بعيدا عن زحمة العاصمة وقتئذ . فكان يخرج صباح كل يوم جمعة من بيته ويركب دراجته ويقطع عليها مسافة تزيد على الساعة في مثل هذه السن ، حتى يصل الى بركة الرطل بالمحالة ، وهناك يصلي في جامع الرحمن ، وبعدها يزورنا نحن أقرباءه الذين كنا نسكن وقتها بالدور الخامس باحدى العمارات القديمة التي لم يكن بها مصعد ، فكنا نشاهده يصعد سلما كأنه ابن العشرين ، وأول ما نلمحه نصيح نحن الاطفال الصغار وقتئذ « عمو ابراهيم » . فقد كانت زيارته الأسبوعية كأنها جزء من النظام الفلكي . .وقد علمنا فيما بعد أنه لم يكن يشتري لنا الشيكولاته - كما كان يفعل بعض أقربائنا - لا لأنه يرى فيها أذية للصغار ، ولكن حتى لانتعود على مثل هذه المأكولات عندما نكبر وتصبح من المحظورات . وكان يجلس وقتا لايزيد على نصف الساعة ، لابد أنه كان يعرف أثناءها أخبار الأسرة ويعرفون أخباره ، ويأخذ بريده القليل ان كان له بريد ، ويدعونه لتناول الغداء فيرفض ، لأن هناك أولا والدته تنتظره ليأكلا معا ، ثم لأنه لايوافق على طريقة طهوهم للطعام . . فقد كان يفضل الطعام نصف المطهو قليل الملح أو عديم الملح لأنه كان يؤمن أن الطعام كلما كان أكثر اقترابا من الطبيعة كان أكثر فائدة .

وهكذا احتاط لصحته بنظام طعامه ورياضة جسمه ونقاء موقع سكنه بعيدا عما يلوث المدينة من أدخنة وضوضاء وتزاحم الخلق وتنافسهم على رقعة أرض لاتكاد تتسع لهم ، فهو يؤمن أنه كلما اقترب هو أيضا من الطبيعة كان أكثر سعادة وأحس صحة ، فضلا عما يعود عليه ايمانه وعلاقته الصحية بربه من طمأنينة وراحة بال لهذا كان رفيعا منتصبا كالعصا .

وكان يجد سعادته فيما يزرعه من خضراوات في حديقته الصغيرة الملحقة ببيته ، وفيما يربيه من دجاج وأرانب (كان لايربي البط ولا الأوز ولا الحمام لأن من رأيه أن أكل هذه الدواجن غير صحي لكثرة ما بها من دهون) . وان كان قد أصابها الوباء مرتين ، مرة قضى على معظم الدجاج ، ومرة أفنى الأرانب كلها . غير أنه سرعان ما تنبه وبدأ يتخذ وسائل الوقاية الطبيه معها فيما يقدم لها من طعام ، وفي حقنها من حين لاخر بما يحميها من غوائل وباء آخر .

وهكذا كان يرى أن أعظم انجازاته في حياته انما حققه بعد أن استقال من وظيفته وحصل على حريته بعد سن الخامسة والخمسين ، حين استطاع أن يكون أكثر اقترابا من الطبيعة ، سواء بحصوله على قطعة أرض يملكها - وهو الذي لم يكن يملك حتى نفسه أيام الوظيفة - أو ببنائه هذا البيت ، ثم فرحته كلما بذر بذرة ورآها بعد شهور وهي تنضج ثمرة بعد ثمرة . (وكان يرى أن عمليات نقل الخضار والفاكهة تفقدها كثيرا من فوائدها الصحية) أو كلما فقست بيضة كتكوتا أو ولدت احدى أرانبه أو عنزته بعده (نكسر السين) ودرت له لبنا يحلبه ويشربه طازجا دافئا « أنه أفضل الألبان عندي لأنه أقل أنواعها دسما ، ثم انه ثمرة جهدي وكدي » ، بينما صغارها يحومون حولها يأمنون بأصوانهم الخافتة ، وهو لايذكر أنه أحس يوما بثمرة عمله الكتابي أيام حياته الوظيفية على طولها « كنت أشعر أنني نقطة في بحر ، وجودي مثل عدمي وحضوري مثل غيابي أؤدي عملا غير مميز يمكن أن يؤديه أي شخص اخر ، لهذا فرحوا يوم استقلت لأني سأحرك طابور الدرجات المنتظر بعدي » .

وهكذا حصل عمي ابراهيم على حريته يوم استقال من وظيفته ، واستطاع أن يحقق مبدأه بأنه كلما كان أكثر اقترابا من الطبيعة كان أكثر سعادة وأفضل صحة ، وكانت أمه تأكل ، مثلما يأكل وتعيش في البيئة التي فيها يعيش ، لكنها لا تمارس من الرياضات والهوايات ما يمارس بسبب بصرها الذي كف منذ أكثر من عشر سنوات ، زحفت سحابة على احدى عينيها



رسم لمكوك طائر

أجيال المكوك الطائر

ظهر من المكوك حتى الآن ثلاثة أجيال تحمل ثلاثة أسماء مختلفة هي « كولومبيا » ، « وتشالنجر » ، « وديسكافوري » ، ولا توجد اختلافات كبيرة بين طراز وآخر في التصميم عدا في الطول أو سعة كابين الحمولات ولكن اجراءات الصيانة ، التي تجري على جسم المكوك وأجهزته تستلزم القيام بقياسات وعمليات ضبط خاصة للتأكد من سلامة طبقة العوازل التي تكسو السطح الخارجي لهيكل المكوك من أسفل لأنه يتعرض لدرجات حرارة عالية قد تصل الى ١٣٠٠°-١٥٠٠° درجة مئوية . الأمر الذي يجعل سطحه الخارجي وكأنه حجرة متقدة . وقد تعارف العلماء على اصطلاح أن المكوك يجتاز بذلك « حاجز الحرارة » بعد أن يجتاز « حاجز الصوت » لأنه في رحلة العودة يتحرك بسرعة تفوق سرعة الصوت ٢٥ مرة . وخلال رحلة العودة يتعرض المكوك للغوص في بئر من الأيونات السالبة ، التي تنجم عن الارتفاع الكبير في درجة الحرارة ، الأمر الذي يتسبب في تفكك ذرات الهواء المحيطة به . وينحدر المكوك في رحلة العودة من الفضاء ، ثم في الغلاف الجوي القريب من سطح الارض ، بزاوية انحدار حادة ، تعادل أحيانا سبعة أمثال زاوية انحدار الطائرات العادية .

وتقتضي عمليات التحكم في أجهزة قيادة المكوك ، وحواكم القيادة التي في قمرة الطيارين ، وسرعات الدوران والانحدار والاستواء والهبوط ، وجود عدد من الحواسب الالكترونية على متن المكوك . وفي الرحلة الأولى للطراز « كولومبيا » كان على متن المكوك خمسة حواسب اليكترونية ، كان كل منها قادرا على اجراء ٣٢٥,٠٠٠ عملية في الثانية بل كان كل منها قادرا على مراقبة عمل الحواسب الأخرى . ويقوم كل منها بتبليغ نتائج قياساته الى الحواسب الأربع الأخرى ، ويستقر الرأي فيما بينها على أكثر نتيجة تحوز على أكثر الأصوات عددا . ومن الطريف أنه حدث اختلاف فيما سجلته الحواسب الاليكترونية أثناء العد التنازلي للرحلة الأولى ، وقد أدى ذلك الى ايقاف عملية الاطلاق وتأجيلها لمدة ٤٨ ساعة . وتتحكم الحواسب الاليكترونية في حركة المكوك في كل مراحل الرحلة الفضائية ، منذ بدء العد التنازلي حتى لحظة الرسو على سطح القمر . بل تقوم بكل التفصيلات الدقيقة أثناء الرحلة كتنبيه الرواد لمواعيد النوم والاستيقاظ والأكل واجراء التجارب . كل ذلك يرسم صورة للتحكم الدقيق في كل الرحلة الفضائية .

تطور الحمولات

لم يكن يوجد على متن مكوك الفضاء في رحلته الاولى غير جهازين صغيرين لجمع المعلومات ، لكن الفراغ الموجود في هيكله يكفي لحمولات كبيرة يمكن أن يصل وزنها الى ٢٩,٠٠٠ كيلو جرام في قمرة طولها ١٨ مترا وعرضها ٤,٥ مترا . ولقد أعلنت وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية عن امكان حمل بعض الحمولات ، بالثمن للأغراض العلمية أو التجارية لأي دولة . بل لقد أعلنت عن امكان المعاونة في تصميم الأجهزة العلمية التي يراد حملها فوق المكوك لتحقيق قيامها بمهامها . ومن ثم يمكن أن تحقق حمولة المكوك ربحا تجاريا يبلغ ٣٥ مليون دولار لو امتلأت كابينة الحمولات على اخرها . ومع توالي رحلات المكوك بدأت تتطور الحمولات التي يتم الصعود بها الى الفضاء ، وبدأت الاستخدامات التجارية تتوالى معلنة عن حقبة جديدة في عصر الفضاء ، جعلت تكنولوجيا الفضاء تتقدم خطوات واسعة في مجالات التطبيق التى بدا بعضها مبهرا . ولكنها في كل ذلك

تشير الى تخطيط ممنهج لتحقيق تكامل سينتهي بالبشرية خلال عدد قليل من السنوات الى بناء المستعمرات الفضائية ، التي هي بمثابة الحلم الذي يداعب أفكار علماء عصر الفضاء . والغرض الواضح منها هو أنهم يخططون لتحقيق وجود الانسان لفترات طويلة في الفضاء متحركا داخل هذه المستعمرات ، أو مسيطرا على المجالات الفضائية منها بقدرات عسكرية متطورة يخطط لها العسكريون من الآن بغرض نقل ساحة الحرب في المستقبل من فوق سطح الأرض الى أغوار سحيقة في الفضاء .

ولقد كان من أروع حمولات المكوك ذلك المعمل الذي حمله في رحلته التاسعة ، والذي أطلق عليه اسم (مختبر الفضاء) Space lab ، فلقد تضافرت جهود سبع دول أوروبية على تصنيعه خلال أكثر من عشر سنوات ، وعمل على تشغيله أثناء الطيران في الفضاء عالمان أحدهما الماني والآخر أمريكي ، وكان يضم أجهزة علمية حديثة تتعلق باجراء قياسات في الفضاء عن الطقس والفيزياء الأرضية وحركة الكواكب والمجرات ولحام السبائك ، بالاضافة الى تجارب طبية وبيولوجية واشعاعية أخرى .

أول الحمولات التجارية

يحتوي مكوك الفضاء على ذراع طويل يمكن أن يبرز من هيكله ليمتد خارجه ويمسك بالأجسام القريبة من المكوك . اذ يبلغ طوله ١٦ مترا ، ويتكون من ثلاثة أجزاء مفصلية ليحاكي ذراع الانسان ، بينما ينتهي الجزء الأخير بمخلب يمكنه أن يقوم بعمل أصابع الانسان وفي الرحلة السابعة للمكوك التي تمت في يونيو ١٩٨٣ بدأ استخدام هذه الذراع الآلية ، وكانت تتحكم في تشغيلها رائدة الفضاء « سالي رايد » التي كانت أول رائدة فضاء أمريكية من الجنس اللطيف . ولقد كانت مهمتها تنحصر في التقاط حمولة تتمثل في صندوق وزنه (١٤٥٤) كيلو جراما أطلق عليه اسم (SPAS - 1) لصالح احدى الشركات الألمانية .

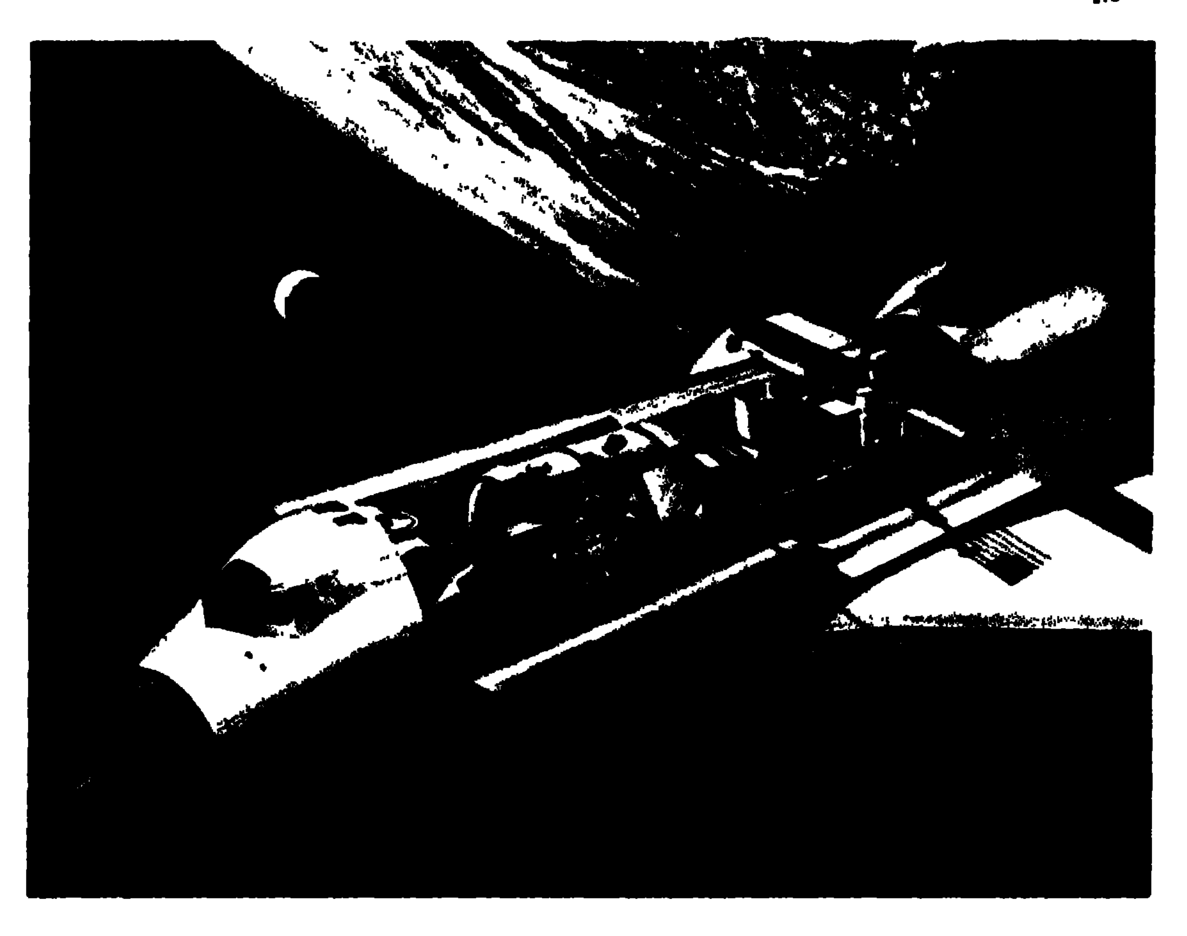
وكان الصندوق يحتوي على أجهزة علمية تتعلق بالتلوث ونشاط الميكروبات ، ولحام سبائك المعادن والخلايا الشمسية . ولقد سبق عملية تشغيل الذراع اخراج هذا الصندوق من المكوك وتركه ليطفو في الفضاء على بعد بلغ ٨٥٠ مترا من المكوك . وظل متابعا لحركة دوران المكوك مدة عشر ساعات ، حتى نجحت الرائدة الدكتورة سالي رايد في تشغيل الذراع الآلي واستعادت الصندوق الى داخل المكوك . وبذلك بدأت حقبة جديدة هي بمثابة الفاتحة في « عمليات الانقاذ الفضائية » .

تطوير مهام المكوك

أتى أول تطبيق عملي فعال في تطوير مهام المكوك باطلاق الأقمار الصناعية من فوقه ، وبذلك حل المكوك محل منصات الاطلاق الأرضية ، فأعطى بذلك بعدا جديدا لعمليات دفع الأقمار الصناعية الى المدارات العالية بتكاليف أقل . ولقد تحقق ذلك في الرحلة العاشرة للمكوك التي نفذت في فبراير ١٩٨٤ بدفع قمرين صناعيين للاتصالات ، كان أحدهما أندونيسي وأطلق عليه اسم « بالابا - ب ٢ » ، والثاني أمريكي وأطلق عليه اسم « وي ستار » . ولأن هذه التكنولوجيا كانت الأولى من نوعها فلم يستطع كلا القمرين بلوغ « المدار الثابت » الذي يجب أن تستقر عليه أقمار الاتصالات ، على ارتفاع (٣٥٨٨٠) كيلو مترا فوق خط الاستواء ، لكي تتزامن في سرعة دورانها مع سرعة دوران الأرض .

ولقد تناقلت بعض وسائل الاعلام هذا الخبر بشيء من التهويل والتحريف ، وقيل ان القمرين فقدا في الفضاء . وحقيقة الأمر أنهما لم يستطيعا بلوغ هذا الارتفاع ، واتخذا مدارين مخالفين للمدارين المطلوبين .

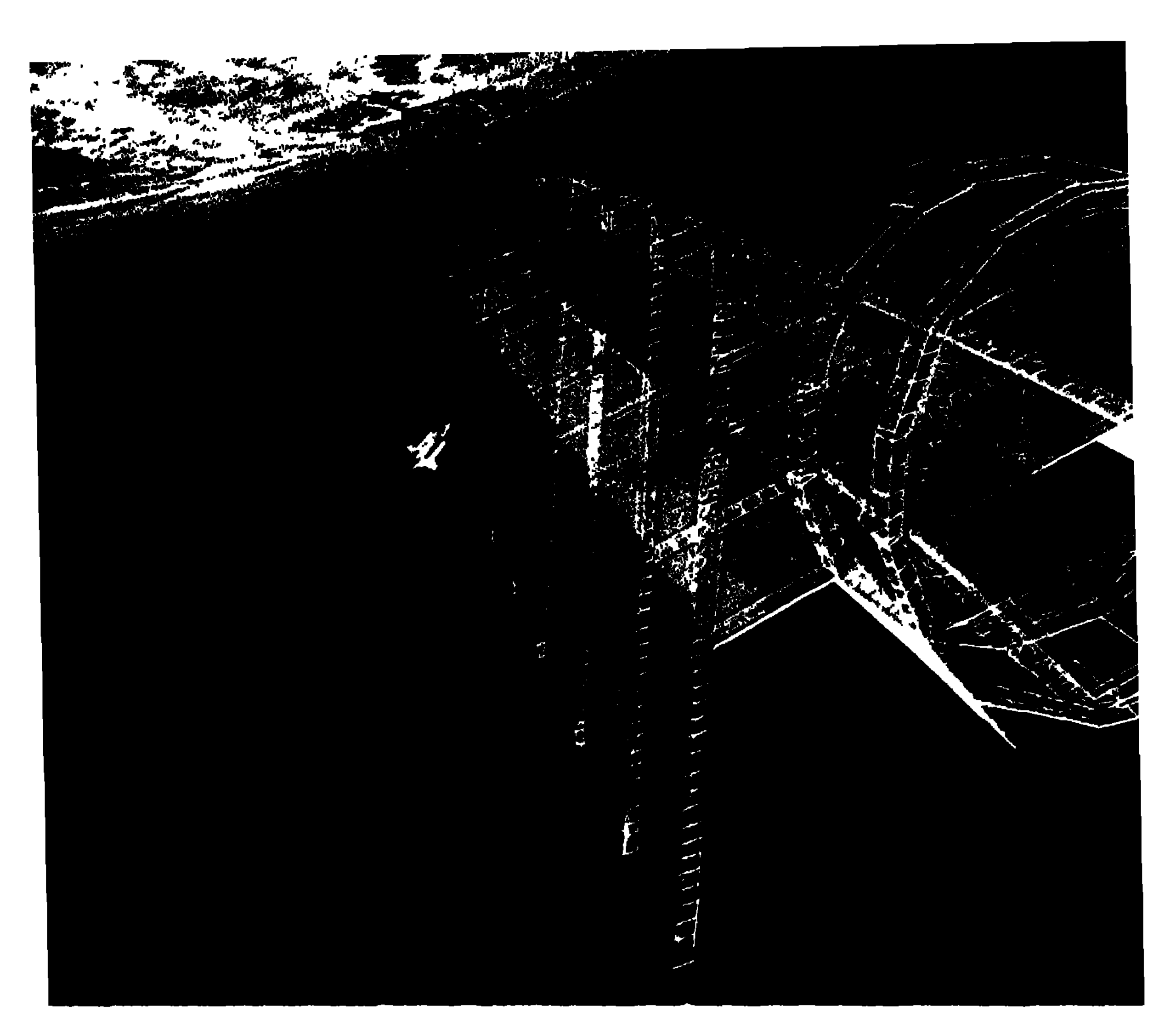
وقد أمكن رصدهما فيما بعد ،وتحقق أيضا انقاذهما بعملية انقاذ فضائية مستحدثة بعد ذلك بتسعة شهور . ورغم الاخفاق في استخدام المكوك كمنصة لاطلاق الأقمار الصناعية في أول مرة فقد نجحت هذه التكنولوجيا في رحلات تالية ، وأصبح في الفضاء أقمار اتخذت مداراتها في الفضاء من فوق المكوك فيما بعد ، أحدهما كندي وآخر بريطاني ، ورسخت عملية الاطلاق بهذا الاسلوب . وقد تتبعنا اطلاق القمر الصناعي العربي الى الفضاء بنفس الطريقة .



معمل الفضاء الأوروبي

انقاذ الأقمار المعطلة

لم تعرف البشرية قبل فبراير ١٩٨٤ مقعدا ثمنه غال مثل ثمن المقعد الذى استخدم فى رحلة مكوك الفضاء العاشرة ، اذ كان ثمنه يقرب من عشرة ملايين دولار . وقد استخدمه رائد فضاء كلف بالطيران خارج المكوك وهو جالس على هذا المقعد الذي كان يمكنه أن يتحكم في حركته بواسطة نفث غاز مضغوط في مستودع يمثل ظهر المقعد نفسه . ويمكن للرائد أن يتحكم في عملية النفث من ٢٤ فتحة ضيقة موزعة على ستة اتجاهات مختلفة ، ليدفع بالمقعد في أي اتجاه يريد فيزيد قربه أو بعده عن المكوك . وكان مستودع الغاز يحوي ٣٩ لترا من غاز النتروجين ، تكفي لكي يظل رائد الفضاء سابحا فوق مقعده خارج المكوك لمدة ست ساعات . وفوق أذرع المقعد النفاث وعلى حلة رائد الفضاء كان هناك ٢٤ جهازا وآلة وبطارية مثل كاميرات للتصوير ومسجلات للقياس وصناديق تحوي عددا وأدوات . وباستخدام هذا المقعد النفاث أمكن السباحة خارج المكوك مددا طويلة ، أعطت رواد الفضاء عامل المرونة وسرعة الحركة مع امكان الابتعاد عن المكوك مسافات كبيرة ، بعد أن كان ذلك متعذرا الا بربط رائد الفضاء الى هيكل سفينته بواسطة حبل متين ، كان يطلق عليه اسم « الحبل السري » . ومنذ مارس رواد الفضاء السباحة خارج سفنهم من عام ١٩٦٥ حتى ١٩٨٤ كان الحبل السري لازما خشية افلات رائد الفضاء وتعرضه للضياع في تيه لا يعرف أغواره الا الله ، وكل ما طرأ على الحبل السري أن زيد طوله من خمسة أمتار حتى بلغ عشرين مترا . ولكن استخدام الكرسي النفاث عام ١٩٨٤ كان الخطوة الفعالة ، التي سبقت الاقدام على عمليات تقوم بعمل بوليس نجدة فضائي لانقاذ الأقمار الصناعية المعطلة .



تصور لمستعمرة فضائية تجمع بواسطة المكوك

ولم يمض غير أقل من شهرين حتى كلف رواد الرحلة التالية للمكوك في ابريل ١٩٨٤ بالقيام بأول عملية انقاذ لقمر صناعي ، ظل معطلا عن أداء مهامه رغم استوائه على مداره في الفضاء منذ عام ١٩٨٠ ، وهو القمر الأمريكي (سولار ماكس) الذي كان مخصصا لدراسة نشاط الاشعاعات الشمسية .

وقصد العلماء من عملية الانقاذ اضافة عامل المرونة في الحركة الذي يحققه المقعد النفاث الى عامل القدرة الميكانيكية الذي يحققه الذراع الآلي الذي يبرز خارج المكوك مسافة ١٦ مترا ، لتحقيق الامساك بالقمر وقيام رائد فضاء باستبدال اجزاء سليمة بأخرى معطوبة فيه . ولقد تعاقب رائدان من رواد المكوك على القيام بالسباحة فوق المقعد النفاث والاقتراب به من القمر المعطل ، مددا بلغت ١٢ ساعة و ١٨ دقيقة أمضياها في محاولة ادارة محور القمر الذي كف عن الدوران ،واستبدال مجموعات تالفة في مكوناته الاليكترونية بأخرى صالحة .

ولكن لم يكن ذلك مهمة سهلة التحقيق ، فقام أحدهما بتشغيل الذراع الآلي وأمسك بالقمر وقام الرواد بجذبه بكامله الى قمرة الحمولات . واستبدال أجزائه المعطلة وهو بين أيديهم ، شأنهم في ذلك شأن أي مهندس يصلح آلة معطلة وهي في متناول يديه . وبعدما حققوا ما يريدون أعادوا القمر الى مداره بعد أن نفذوا أول عملية انقاذ في الفضاء .

إعادة قمر صناعي للأرض

وكان ذلك بمثابة تشجيع على « اعتقال » الأقمار الصناعية المعطلة ، والتي يستعصي اصلاحها في الفضاء والعودة بها الى الارض ، ليعاد اصلاحها ثم اطلاقها مرة أخرى . وكانت أول دولة استفادت من هذه التكنولوجيا هي أندونيسيا التي كان لها قمر

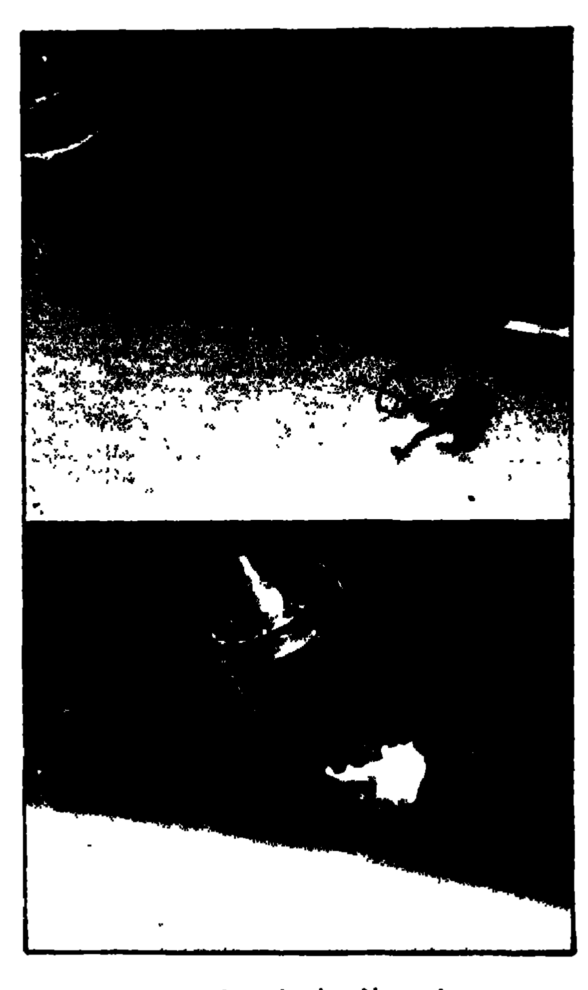
الاتصالات (بالابا ـ ب ٢) الذي سبق أن أشرنا اليه . فقد أمكن استعادته ، وكذلك القمر الامريكي (وي ـ ستار) داخل مكوك الفضاء ديسكوفري في الرحلة الرابعة عشرة للمكوك في نوفمبر ١٩٨٤ .

ولو تتبعنا الخطوات التي تم بها استعادة القمر لوضعه داخل المكوك فسيتأكد لنا أن تكنولوجيا جديدة قد طبقت في هذا المجال ، وسيكون لها عواقبها في المستقبل . فقبل بدء عملية الاعتقال عملت وسائل التحكم الأرضية على ارسال الاشارات اللاسلكية الى كل من القمرين ، للتقليل من سرعة دوران كل منهما من ٢٢ دورة في الدقيقة الى دورتين فقط . كما عملت أيضا على تغيير مدار كل منهما ليقترب من المدار الذي يدور عليه المكوك . وعندما بدأت عملية الاقتراب من القمر « بالابا » كان على بعد ١٢ مترا من المكوك ليكون في متناول الذراع الآلية .

وتعاون رائدان على الخروج بملابس السباحة خارج المكوك لوصله بخطاف يتصل بالذراع الآلية التي يبلغ طولها ١٦ مترا . ولم يكن هناك مناص من أن يقف واحد من الرائدين على طرف هذه الذراع للقيام بعملية تثبيت القمر الى الذراع ، وأن يمسك الآخر بهوائيات القمر نفسه لتمكين رائدة الفضاء التي أشرفت على تشغيل الذراع من جذبه الى كابين الحمولات . ولا شك أنه انتصار للتكنولوجيا ، ذلك العمل الذي تمثل في استعادة قمرين خلال سعيهما من الفضاء الى الارض ، بعد أن ظلا كذلك مدة تقرب من عشرة شهور . فقد أنقذت أندونيسيا بذلك ٧٥ مليون دولار كانت ستضيع هباء منثورا . وبنفس الأسلوب تخطط الولايات المتحدة لانقاذ قمر صناعي أمريكي معطل منذ يوليو ١٩٨٢ هو « لاندسات ـ ٤ » وكان مخصصا لتصوير الموارد الأرضية .

التصوير الراداري تحت الأرض

تعاظم شأن التصوير من الفضاء بعد اطلاق أقمار « لاندسات » أو أقمار الاستشعار من بعد . وتعددت استخدامات الصور الفضائية لأغراض التنمية سواء لأغراض الزراعة ، أو اكتشاف المعادن ، أو متابعة زحف الرمال في بطون الصحراوات ، أومتابعة ذوبان الثلوج وانسيابها الى مجاري الأنهار ، الأمر الذي جعل



خطوات الامساك بالقمر الصناعي

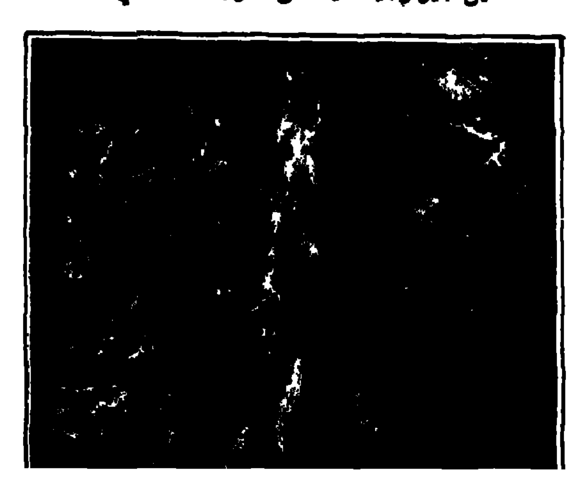
لدى رجال المسح الأرضي والجوي خرائط أكثر دقة وأكثر توضيحا لتفاصيل التضاريس الأرضية . ومن ثم أصبح كل مخطط في مجال الاسكان أو تعمير المدن أو الزراعة يحتاج للصور الفضائية لأنها غاية في الدقة . أضف الى ذلك عمليات تصوير السحب وما لها من فضل في عالم التنبؤات الجوية . لكن التصوير من الفضاء كان يتم بكاميرات ذات عدسات تعمل بضوء الشمس الساطع في النهار ، أو بالأشعة تحت الحمراء في ظلام الليل الحالك ، والتي تعتمد على التقاط هذه الأشعة التي تصدر عن الأجسام نتيجة لاختزانها حرارة الشمس بدرجات متفاوتة حسب طبيعتها وجودة توصيلها . غير أنه في رحلات مكوك الفضاء الأخيرة ، أمكن اجراء « التصوير الراداري » الذي يعتمد على وضع جهاز رادار في المكوك ، يرسل أشعة رادارية موجهة الى الأرض ، لتنعكس على

تضاريسها وترتد ثانية الى جهاز استقبال راداري في المكوك ، وعلى شاشة الرادار في المكوك يظهر التباين بين طبيعة السطوح التي مسحها شعاع الرادار . . وبمثل هذه الطريقة المستحدثة أمكن اكتشاف بعض المخبوء تحت سطح الأرض الى أعماق تقرب من عشرة أمتار . ولقد سجلت احدى رحلات المكوك عام ١٩٨٣ اكتشافا هاما بهذه الطريقة عن رافد من روافد نهر النيل القديمة في منطقة العوينات الصحراوية القاحلة على الحدود الفاصلة بين مصر والسودان . كما أمكن بنفس طريقة التصوير الراداري اكتشاف آثار قديمة مطمورة في بعض مدن أمريكا الجنوبية .

في جعبة المستقبل

لا شك أن النجاح الذي حققته عمليات انقاذ الأقمار الصناعية في الفضاء سواء باصلاحها واعادتها لأداء مهامها أو باستعادتها بكاملها الى الأرض لاعادة اطلاقها مرة أخرى ، أمر سيفتح آفاقا جديدة لا في مجال تطبيقات الأقمار الصناعية فحسب ، بل على تكنولوجيا الفضاء ككل . ذلك أن عنصر مرونة الحركة الذي حققه الذراع الآلي بالاضافة الى الكرسي النفاث سيلعبان في المستقبل دورا بارزا في بناء مستعمرات الفضاء . التي لا بد وأنها ستتكون من أجزاء منفصلة ستحتاج الى ربط أوصالها ببعضها البعض ، ولم يعد حلم المستعمرات الفضائية ببعيد ، لأن علماء الفضاء الأمريكيين قد تجاوزوا مرحلة التخطيط ، واستقروا على الشكل الذي ستكون عليه دول فضائية ستشهدها حقبة التسعينيات من قرننا .

تفاصيل جيولوجية دقيقة من صورة فضائية في الأردن



وبعد أن يتحقق هذا الحلم ، سيقدم العسكريون على استخدام هذه المنصات الفضائية لأغراض دفاعية ، بغرض وضع أسلحة اشعاعية عليها لتطل على الكرة الأرضية من عل ، ويكون في مقدرتها تعطيل الصواريخ العابرة للقارات ، قبل أن تصل الى أهدافها وتفجر رؤوسها الذرية أو النووية أو الكوبالتية . ولا شك أن هناك احتمالات قوية في أن يتحول استخدام هذه المستعمرات الفضائية الى الاغراض الهجومية ، فليس هناك ما يمنع من أن توجه منها أسلحة الدمار ، أو تكون بمثابة منصة لاطلاق هذه الاسلحة من المدارات الفضائية . ويمكن أن تدخل في تفكيرنا أن أنواعا جديدة من الأسلحة يمكن أن تحتل مكانها على هذه المنصات ، فهناك أفكار لم تصل الى مرحلة النضج بعد ، مثل أشعة الليزر المركزة التي يمكن أن تكون أشعة للموت الشامل بما لديها من قدرة عالية على اختراق الأجسام الصلبة عبر المسافات الشاسعة . وهناك أفكار عن « سلاح للصواعق » أو « شعاع الجسيمات » الذي يمكن أن يماثل ما تحدثه الصواعق الطبيعية من برق ورعد وتدمير للاجسام الصلبة لتوجه هذه الصواعق لتدمر الصواريخ وما تحمله من قنابل . وهناك أفكار عن سلاح المرايا العاكسة التي يمكن أن توضع على المستعمرات الفضائية لتنعكس عليها اشعاعات الليزر التي يمكن أن توجه اليها من الأرض .

كل هذه الأفكار ما زالت تداعب أفكار العسكريين ، ولم تصل الى مرحلة النضج ، ولكن وجود المستعمرات الفضائية لا شك سيعجل من عملية خروجها الى الوجود .

وعلى الجانب السلمي ما زالت تتراقص أفكار عن « السياحة الفضائية » . بل هناك مئات من الأماكن التي تم بالفعل دفع تكاليف حجزها لصعود المغامرين من المدنيين الأمريكيين الذين يريدون أن يستمتعوا برؤية الأرض من الفضاء ، وكيف يمكن أن يتجولوا بأبصارهم لمشاهدة معالم الكون المحيط بالكرة الأرضية من الارتفاعات الشاهقة . وهذا ما أبرزه اعلان الرئيس الامريكي ريجان . . « بأن حقبة التسعينيات لا بد أن تشهد صعود أول راكب فضائي ، وأوصى بأن يكون معلما ، اعترافا بفضل المعلم على البشرية » . □



- « خف الحسناء » مهرجان الوان .

زهرة الأوركيد

مهرجان من الألوان في الكويت

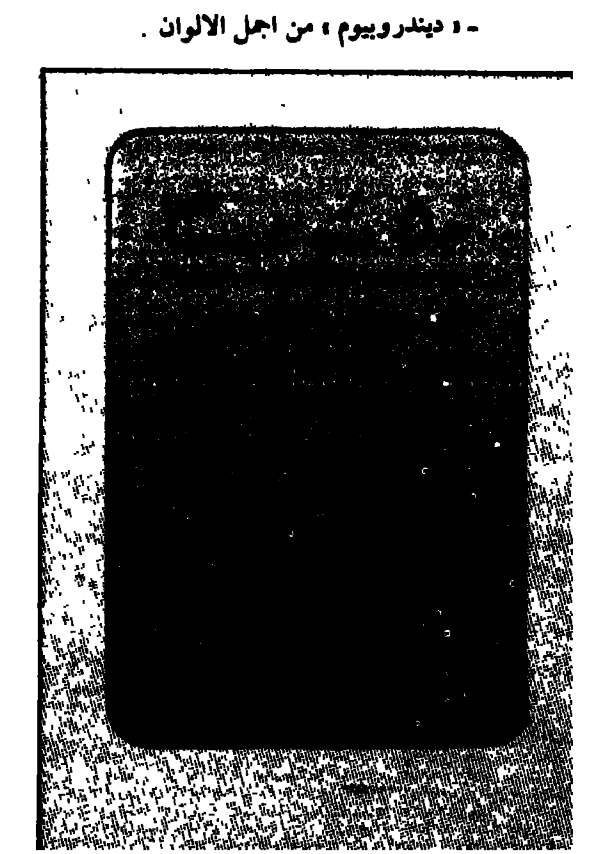
استطلاع : وفاء طه ناجى / تصوير : طالب الحسينى

نجحت الكويت فى زراعة أكثر من خمسين نوعا من زهور الأوركيد النادرة ، وهى تنمو الآن على استحياء داخل بيتها الزجاجى الدافىء فى ضاحية الجهراء جنوب المدينة ، ويزهر منها ربع مليون زهرة تصدرها الكويت الى قلب أوروبا .

ـ « ديندروبيوم » من اجمل الالوان .



ـ « سيمبيديوم » زهرة مدللة في الكويت .





ـ فولك ماتيسين في البيت الزجاجي للاوركيد .

لن ترى عند بائعي الزهور ماهو أبهى جمالا من زهرة الأوركيد الناعمة ، وهي فوق ذلك أطول الأزهار المقطوعة حياة فى أواني الزهور ، انها نوع من الزهور مولع بالتباهي والدلال ، حتى عندما لايهب أي نسيم ترى أوراق النبات الرقيقة الخصر تتراقص لتجذب انتباهك بألوانها الساحرة من الأبيض ، والأحمر القاني ، والأصفر ، والبرتقالي الموشى بحمرة داكنة ، وهي نادرا ما تنمو فى غير المناخ الدافىء الرطب ، وتلك هي المشكلة التي تغلب عليها الشيخ حمد صباح الأحمد مالك مزرعة الجهراء ، لتخرج قصة حبه لزهور الأوركيد الخجول من دائرة عشق الألوان التي تضج بالحياة ، وتتحول الهواية الى واقع آخر يعلن عن مولد أنواع جديدة من زهور الأوركيد فى تربة الكويت .

حكاية الأوركيد فى الكويت

وفى الجهراء تمتد جماعات الزهور الساحرة ، بعضها ناضج ينبض بالحياة ، والبعض الآخر يقف على حافة التضج ، ويحكى لنا الشيخ حمد حكايته مع الأوركيد فيقول : « ظل اهتمامي بالزهور النادرة هواية أحرص على اشباعها كلما اتيحت لي فرصة لذلك ، وكانت مجموعات الألوان المتميزة لزهور الأوركيد تجتذبني دائما ، وبخاصة كلما سافرت ورأيتها فى مكان من العالم . وفى كل مرة كانت تلهمني الألوان الفاتنة أن آتي بها الى الكويت ، وكانت الصعوبة كلها فى توفير مناخ دافىء رطب ، وهو ضروري لانباتها ونموها ، ولكن بالدراسة والاجادة تغلبنا على تلك العقبة ، وبدأ التنفيذ الفعلي لزراعة الأوركيد فى الكويت عام ١٩٧٩ . وفى الجهراء حيث أكبر موقع زراعي فى منطقة الخليج ، تم تخصيص بيت زجاجي بمساحة ١٢٥٠ متراً مربعاً لاحتضان البذرة الأولى للزهرة ، وتكاثرت البذور بعد ماألفت المناخ الدافىء الذي وفرناه لها صناعيا ، وبعد أربع سنوات منحتنا التربية الكويتية خمسين نوعا من الأوركيد .

ويستمر الشيخ حمد فى حديثه قائلا : ويمكنني القول انها بداية تكفي لأن يكون لعائلة الأوركيد العريقة فرع جديد فى الكويت ، اننا نحصل الآن على مايقرب من ربع مليون زهرة ، بعد أن كان انتاجنا لا يزيد عن عشرة آلاف زهرة فى العام الماضي ، اليس هذا رائعا ؟ ونحن نخوض الآن رحلة التصدير بخطوات تثبت يوما بعد يوم . . خاصة بعد تجربتنا الناجحة لبيع محصولنا فى سوق الزهور فى أمستردام ، وهي موطن أصلي لزهرة الأوركيد .

والكويت تفخر بأنها تصدر الآن جماعات من الأوركيد المدللة تزين صدر أوروبا ، وينهي الشيخ حمد صباح الأحمد حديثه قائلا : ويجري الآن بناء بيت زجاجي ليضم الأعداد المتزايدة من زهور الأوركيد التي تتضاعف يوما بعد يوم .

ان الفضل الكبير فى تشجيع الرواد يرجع الى الذين يدعمون مشروعات جديدة لاستقدام الفصائل النادرة من النباتات المختلفة لاستزراعها هنا فى الكويت ، بعدما تجاوزنا مرحلة الحلم ، وتكاثرت زهور الأوركيد الأثيرة فى زاوية جديدة من العالم الواسع .



البذرة الأولى تكمن فى حشرة

أما قصة المناخ الصناعي الذي تم اعداده للأوركيد



- « اونسيديوم نونا » الأبيض الساحر .

فى الكويت فيحدثنا عنها عالم النباتات الدغماركى (فولك ماتيسين) وهو المشرف على بيت الزهور فى مزرعة الجهراء فيقول : « قبل أن نتحدث عن كيفية التغلب على الصعوبات التى واجهتنا فى إنبات الأوركيد النادرة ، أحب أن يعرف القارىء نبذة عن زهور الأوركيد فى موطنها الأصلى ، هو الغابات الحارة والرطبة فى المناطق الاستوائية ، ويعيش كثيرا منها متعلقا بفروع الأشجار . والمشكلة التى تواجه أى نبات متعلق هى حصوله على الماء ، ولكن جذور الأوركيد المتعلقة ذات سطح اسفنجى يمكنها من امتصاص الماء الذى يسقط عليها امتصاصا سريعا ، أو أنها تستعين فى حل مشكلتها ببعض النباتات المطرية الأخرى ، التى لها خيوط تقوم بامتصاص الماء وتوصله الى جذورها . كما تقوم تلك الفطريات الحليفة بمعاونة الزهور الجديدة على أن تبدأ حياتها ، وذلك لأن بذور الأوركيد ضئيلة الحجم جدا ، حتى انك لاتستطيع رؤيتها دون الاستعانة بالمجهر (يبلغ وزن البذرة حوالى ٣ من المليون من الجرام) فتذروها الرياح هنا وهناك . ولكن لابد لها من أن تسقط حيث توجد أنواع الفطر المناسبة لها ، حتى تنبتها فى مكانها وتساعدها فى الحصول على الماء اللازم لانباتها ونموها .

ويستمر (ماتيسين) فى حديثه قائلا : ومع أن كثيراً من زهور الأوركيد تنمو متعلقة بالنباتات الأخرى ، الا أن بعضا منها ينمو على الأرض مثل زهرة « الموكاسين » وحذاء السيدة الذى يرجع سبب تسميته بهذا الاسم الى أن احدى بتلات الزهرة يشبه « الخف الصغير » وله مهمة خاصة ، فهو يحتفظ بالحشرات ولا يطلق سراحها الا بعد انتهاء عملية التلقيح . وهى تشبه أخواتها المتعلقة بالنباتات فى أنها تستعين بحلفاء من الفطريات ، ولذلك كان من الضرورى أن يدرس الانسان أنواع الفطريات الحليفة قبل الشروع فى تربية الأوركيد . ويستغرق نمو الأوركيد من البذرة الى أن يبلغ مرحلة الإزهار ما بين أربعة أعوام الى ثمانية . وعرف العالم أول زهرة صناعية سنة ١٨٥٦ . والآن هناك عشرة آلاف نوع جديد فى حاجة الى أسماء .



- « سميديوم » زهور على حافة النضج .

رطوبة .. ودفء اصطناعي

ويستطرد (فولك ماتيسين) حديثه فيقول : « وقد استطعنا في الكويت التغلب على تلك العقبات كلها ، وتم ترطيب الهواء في البيت الزجاجي من خلال وسائد مثقوبة ، لينتشر بعد ذلك ، ويغطي النباتات والارض بضباب خفيف ، كما استطعنا تخفيف حدة الشمس بانشاء غطاء رقيق من الفيبر جلاس ليخلق تأثيرا مشابها لتأثير أوراق الأشجار العريضة على أشعة الشمس . ولا تقدم التربة لزهرة الأوركيد ما يكفيها من الأوكسيجين ، ولذلك فنحن نساعدها بخليط من الكربون وقشور الصنوبر والبوليسترين . أما في فصل الشتاء حيث تنخفض درجة الحرارة الى الصفر ويكثر التجمد فتقوم المحركات الصناعية المنتشرة في داخل الحجرة الزجاجية بتأمين الدفء للزهور .

ان انتاجنا يحظى باقبال شديد في السوق المحلية ، خصوصا زهرة « بافيوبيدليوم - ليانوم » وهي أشهر أنواع الأوركيد في العالم .
وتتميز بلونها الأصفر المطعم بخليط من اللون البني والأحمر .

وينهي ماتيسين حديثه قائلا : والطريف أن زهر الأوركيد يزهر في كل أنحاء العالم في موسم الربيع ، أما هنا في الكويت ، فيتيح لنا التلقيح الصناعي الحصول عليها وقتما نشاء .

وبالمناسبة .. فان زهرة الأوركيد غير زهرة الاقحوان ذات الأوراق البيضاء الذهبية المتفرقة التي تنمو في المناخ الشمسي ، وللأوركيد عائلة نباتية أعرق من عائلة الأقحوان ، اذ ينتشر منها ٢٠ الف نوع في أنحاء العالم .

واذا كانت الزهور بجمالها رمزا للمحبة باركه الناس جميعا ، فان زهرة الأوركيد المدللة تحظى بالمكانة الاولى عند الحديث عن الجمال في الطبيعة . وليست تسمية أشهر أنواعها باسم .. خف إلهة الجمال ، الا من أصل اغريقي قديم هو « خف فينس » وفينس هو اسم إلهة الجمال عند اليونانين القدماء . □

جمال خالد !

سألوا سيدة تقدمت بها السن ، ولكنها ظلت محتفظة بجمالها : « مانوع مواد التجميل التي تستعملينها ؟ »
فقالت : « انني استخدم لشفتي الحق ، ولصوتي الصلاة ، ولعيني الرحمة ، وليدي الاحسان ، ولقوامي الاستقامة . واملأ قلبي بعد هذا بكل الحب ، لكل الناس !

وجهاً | لوجه



الدكتور مصطفى سويف و الدكتور شاكر عبد الحميد

* هناك خلل عام في القيم المتعلقة بالعمل .
* الأمة معرضة للخطر .. فكيف نتقي ذلك ؟
* النقل الآلي للأفكار آفة الكثير من المشتغلين بالفكر في وطننا العربي .
* أن نبدأ من آخر ما وصل اليه العلم هي مقولة فيها الصواب والخطأ .
* لا يمكن قيام نهضة علمية الا بوجود رأي عام متعلم .

العربي - العدد - ٣١٧ - ابريل ١٩٨٥

الحوار

هذه المرة بين جيلين من أجيال أساتذة علم النفس . . الدكتور مصطفى سويف . . والدكتور شاكر عبدالحميد . .

أما الدكتور الذي يجري الحوار فهو مدرس بقسم علم النفس بكلية الآداب جامعة القاهرة . . . صاحب العديد من الدراسات والمقالات المنشورة في علم النفس والنقد الأدبي . . وله دراسة واسعة عن « العملية الابداعية في القصة القصيره » ودراسة أخرى عن العملية الإبداعية في فن التصوير . . » .

وأما بطاقة التعريف بالدكتور مصطفى سويف فيقدمها عنه تلميذه قائلا :

هو أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية الاداب بجامعة القاهرة وخبير بهيئة الصحة العالمية .

له دراسات هامة ورائدة في علم النفس ، وخاصة في مجال الابداع والشخصية وعلم النفس الاجتماعي ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر « الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة » « والأسس النفسية للتكامل الاجتماعي » و « التطرف كاسلوب للاستجابة » و « مقدمة في علم النفس الاجتماعي » و « العبقرية في الفن » و « دراسات نفسية في الفن » وغيرها . كما أن له العديد من الدراسات والبحوث المنشورة بالانجليزية في مجال المخدرات عموما ، والختيش بصفة خاصة . .

أشرف على العديد من الرسائل والدراسات العلمية خاصة في مجال الابداع وعلم النفس الاكلينيكي وعلم النفس الاجتماعي .

الابداع الفني :

بدأت بسؤالي الأول :

○ ان قاريء أول بحث قمتم به في علم النفس ، وكان عن الابداع الفني في الشعر خاصة ، يلمس اهتماما واضحا لديكم بالنواحي الأدبية والفنية ، كذلك يرى اطلاعا واسعا وعميقا على الانتاج الفني والأدبي ، فكيف بزغت فكرة هذا البحث لديكم ؟ وهل كانت تسبقه محاولات أدبية أو فنية لكم في مطلع حياتكم ؟ .

د . سويف : كان لي بالفعل صلة بالعالم الأدبي قبل بدايتي في الدراسة وكانت الصلة متعددة الجوانب . فقد اهتممت وأحببت في شبابي المبكر القراءات الأدبية في الشعر بوجه خاص ، كما كانت لي محاولات في الابداع الأدبي في الشعر وفي القصة القصيرة ، لكنها كانت محاولات مبكرة في حوالي السادسة عشرة ، لكن الانتقال من هذه الكتابات الى التفكير في دراسة عملية الابداع نفسها ، وهذه العلاقة الحية بين الشخص والنشاط الأدبي احتاج الى صراعات كثيرة بين الاستمرار في النشاط الادبي الانتاجي أو عدم الاستمرار ، وأحد أسباب هذه الصراعات هو أنه لم يكن أمامي محك للاطمئنان الى ما أقوم به ، كانت مرحلة شك وقلق ، وأضيف عامل آخر هام بعد ذلك،وهو أنني عندما بدأت الاندماج في الدراسات الفلسفية متأثرا بحبي للأدب بدأت الاهتمام بدراسات فلسفة الجمال،وبدأت أعد نفسي - وكان ذلك حوالي عام ١٩٤٣ - للانتقال من التخصص والعمل في فلسفة الجمال،الى العمل في علم النفس ، ولكن في مشكلة تنتمي الى هذا المجال نفسه ، وشيئا فشيئا بدأ تيار التقدم يتضح لي ، وظهر لي أن نفس المشكلات الجمالية التي تشغلني ذهنيا وتأسرني وجدانيا يمكن لي دراستها من منظور علم النفس ، في وقت كانت الدراسة النفسية تستبد بي وتأسرني وتسيطر عليّ شيئا فشيئا ، ومن ثم فعند

تخرجي كان الهدف واضحاً أمامي : أن أدرس في مجال علم النفس وفيه أدرس الابداع الفني وفي هذا المجال أدرس الابداع في الشعر ، وقد كان لذلك كما قلت جذوره العميقة في الاتصال بالظاهرة الأدبية والنشاط الأدبي عن طريق التلقي ومحاولات الابداع ، وعندما قررت أن أدرس دراسة علمية قررت جعل هذه الدراسة مجال تفرغ ، وأعطيتها كل جهدي،وبناء على هذا لم يعد لدى تصور في الاستمرار في الابداع ، ولذلك قررت قرارا قد يقال عنه بأنه قرار تعسفي أو تحكمي،وهو أنني جمعت كتاباتي الأدبية وأحرقتها ، لقد كنت قد رسمت الخط ولم أرجع فيه

د . سويف : أعتقد أنه يوجد قدر معين من التكوين لهذه الرؤية ، وهي متأثرة بدراساتي في علم النفس لكنها ليست مقتصرة عليها ، فهناك دائما سعي دائم لديّ لأحداث نوع من التكامل بين دراساتي في مجال التخصص وبين اهتماماتي العامة ، والقنوات المختلفة المغذية والمنشطة لتفكيري ، وذلك كله - مع قراءاتي الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية - يمثل الروافد التي تتجمع بالمجهود الارادي الواعي لاحداث نوع من التغذية المتبادلة بينها بحيث يكون الناتج على درجة لا بأس بها من النضج أرضى عنها ، هذا من الناحية الشكلية ، أي الروافد التي قادت



دكتور مصطفى سويف يتحدث مع الدكتور شاكر عبد الحميد

الانسان العربي :

د . شاكر : لكم دراسات في علم نفس الطفل والتنشئة الاجتماعية وفي علم النفس الاجتماعي ودراسات عن الشخصية وعن المرض النفسي والعقلي وعن المرأة وعن الاستجابات المتطرفة ، وعن سلوك تعاطي العقاقير والمخدرات بالاضافة الى دراساتكم العديدة عن الابداع . . . فما هي رؤيتكم للانسان العربي في ضوء هذه الدراسات ؟ .

بالفعل الى تكوين قدر معين من الرؤية للانسان العربي .

د . شاكر . هذا يقودنا الى سؤال آخر مترتب على السؤال السابق الذي مازال في حاجة الى بعض الايضاحات من جانبكم ، ويتعلق السؤال الحالي بدراسات الشخصية القومية التي من الواضح أنها في الوطن العربي تعاني من الضمور الشديد ، والدراسات القليلة التي أجريت تتسم ببعض التسرع



والسطحية وعدم الولوج الى أعماق سلوك هذا الانسان وشخصيته لتحديد سماته المتميزة والشائعة ، فما هي رؤيتكم لكيفية اجراء مثل هذه الدراسات . . . وما هي النتائج التي يمكن توقعها ؟ . .

د . سويف : أعتقد أن مثل هذه المشكلة ليست وقفا على الدراسات النفسية أو على موضوع « الشخصية القومية » فالسطحية في الدراسة سمة تعاني منها مجالات متعددة ، وقد يكون وراء هذا جذور مشتركة ينبغي تحديدها ثم نتجه بعد ذلك لالقاء الضوء على الجذور النوعية التي تخص كل ميدان على حدة ، ومن أهم هذه الجذور المشتركة : التعجل الذي اصبح سمة رئيسية للكثيرين . وأيضا الجري وراء المكاسب المادية الأنانية بطريقة تقضي على مكاسب اخرى مفروض ألا نتخلى عنها ، ويضاف الى ذلك أيضا الاضطراب الشديد الذي حدث في موازين القيم لدينا ، فمثلا هناك خلل في القيم التي محورها العمل ، أي تلك القيم التي تتعلق بشعورك بالزهو وأنت تتقن عملا معينا أو أن تكون ملتزما في مواعيدك ومواقيت عملك وعلاقاتك بالآخرين ، هذا غير موجود الأن أو لم يعد موجودا بالصورة المطلوبة،هذه كلها جذور مشتركة وعميقة وخطيرة ولا تتعلق بالقيم والبحث العلمي فقط ، فنحن بصدد قلاقل في صميم حياتنا الاجتماعية الحضارية،وهي لابد تؤثر على شكل الحياة ككل ، ومن بينها بالضرورة الحياة العلمية والبحث العلمي .

أما كيف تدرس موضوعات معينة فأعتقد أن التساؤ ل المناسب هو كيف نصلح أحوال الأمة ؟ فهناك خطر يتهدد حياة الأمة لأجيال تالية وهو يحتاج لاصلاح على نطاق واسع .

الشخصية العربية :

د . شاكر : هل في ذهنكم تصور لوجود مشروع قومي عربي لدراسة الشخصية العربية لما في ذلك من فوائد هامة تقودنا الى فهم وتفسير سلوك الانسان العربي وكذلك استمراره بشكل افضل ، ولو كان ذلك ممكنا . . فما هي توقعاتكم بالنسبة لمثل هذا المشروع ؟

د . سويف : هناك في البداية عدة شروط كي يتم مثل هذا المشروع :

الشرط الأول : شرط سياسي حضاري فلابد أن يكون هناك ايمان بحرية الفكر وحرية الانسان ، لقد شاعت انواع من العادات السيئة جدا في السنوات الأخيرة ، منها عادات الارهاب الفكري ، وكمجتمع متمدين او مجتمع يصبو الى تحسين شكل ومضمون حياته ، وللأجيال المقبلة لابد من الايمان بحرية الفكر في كل الحدود والمجالات المعروفة والممكنة .

الشرط الثاني : هو ضرورة توفر العطاء والانفاق المالي الكافي كما يحدث في جميع انحاء العالم المتقدم ، فالعمل العلمي لم يعد الآن هواية تنفق عليها من جيبك ، فلابد من الانفاق بسخاء وان تكون جهات الأنفاق مؤمنة بأن هذا الانفاق له عائد ولو كان عائدا بعيدا .

الشرط الثالث : لابد من توفر مجموعة من الباحثين الأمناء ، فلا يكفي وجود مجموعة من الباحثين الذين يعرفون ، فالعنصر او العامل الأخلاقي شديد الاهمية في العلم ايضا ، لابد لهؤلاء الباحثين ان تكون لديهم القدرة على التفكير المبدع ، فنحن نعاني في حالات كثيرة من النقل المباشر من الفكر الاجنبي ، وبدءا من نقل المشكلة فكثيرا ما تطرح مشكلات ليست مشكلاتنا،وقد تطرح مشكلة لدينا على انها المشكلة الأولى رغم انها قد تكون العاشرة في قائمة مشكلاتنا ، لكنها تطرح لدينا على انها الأولى لأنها طرحت في الغرب على انها الأولى ، فمشكلة مثل مشكلة التدخين مثلا تطرح في ضوء منظور الصحة العامة ومشكلة التلوث الشائعة نتيجة لعادم السيارات والمصانع والقمامة التي في الشوارع وانفجار المجاري وغيرها بدلا من اعتبارها الخطر الأول وعزلها عن سياقها الحضاري والثقافي ، لابد للعلماء لدينا كنخبة ان تكون لديهم القدرة النقدية التي تمكنهم من التحرر من الفكر الاوروبي وليس تجاهله ، لابد من التعلم من نماذج هذا الفكر لكن بشرط ان لا نتعبد له او نقدسه او نخضع له او ننقل عنه نقلا آليا ، لابد ان نتعلم منه المنهج ثم نستخدم وعينا وبصيرتنا بعد ذلك

في مجتمعاتنا وبدءا من طرح المشكلة التي ستتم دراستها : الحرية وسخاء الانفاق وتوفر الباحثين المبدعين الأمناء هي الشروط الاساسية في رأيي لانجاح اي مشروع علمي قومي عربي .

الأصالة المعاصرة



د . شاكر : ما رأيكم في القضية التي أثيرت كثيرا من قبل واثيرت في الفترة الأخيرة بصوت اكثر ارتفاعا ، وهي قضية الاصالة والمعاصرة ؟

د . سويف : مثل هذه المشكلة مطروحة في كافة المجالات على المستوى الحضاري ، فإلى أي مدى نتجه الى التأصيل والى أي مدى نتجه الى مواكبة ما يحدث في العالم الآن . وهي مشكلة مطروحة ايضا في مجال الفنون والنشاط الفني والعلمي ايضا ، بالنسبة للنشاط العلمي هناك فكرة شائعة عن ضرورة الا تتجه الى الخلف وان تبدأ من آخر ما وصل اليه العلم ، وهذا قول فيه بعض الصواب وفيه بعض الخطأ ، والخطأ هنا هو في تجاهل العملية التي تحدث عندما ترجع الى الماضي حيث يتم اكتشاف جذور فكرية للمشكلة التي نبحثها ، مشكلات هامة طرحت ونسيت ، ويمكن للباحث ان يثري نفسه بتجميع ما سبق نسيانه ويمكن حينئذ ان يكتشف انها كانت مشحونة بلمحات لو كان البعض تابعها بالتنمية الواجبة لربما كان قد وصل الى حلول مختلفة وربما اكثر كفاءة من الحلول الموجودة ، هذا جانب ، والجانب الثاني هو انك عندما ترجع الى الماضي فيما يتعلق بتاريخ الفكر العلمي تستطيع ان تكون على وعي اكثر بمحركات الفكر على المستوى الاجتماعي لا على المستوى الفردي،خاصة اذا درست تاريخ الأفكار او الحركات الفكرية والعلمية في ظل سياق تاريخي معين ، هناك ثمة ابتكارات واكتشافات معينة انعكست في فترة معينة على فروع اخرى من المعرفة بطريقة او بأخرى،وهذا يمنحك بصيرة بالموقف الذي تكون فيه،وايضا يمنحك قدرات اكبر كموظف للعلم في خدمة المجتمع . هناك ايضا دوافع اخرى للرجوع للجذور ، وهي ما يمكن تسميتها بالدوافع القومية او الشعور القومي ، فيجب الا ننسى ان اي شخص منا مهما يكن تمكنه من لغة اجنبية فان قراءته بهذه اللغة تقيم نوعا من الحاجز يحد من قدراته الابداعية في وقت مبكر من العملية الفكرية ، وليس بالضرورة من العمر ، لو قرأت نفس المادة بلغتك القومية ، اللغة التي نحلم بها ، اللغة التي وانت صامت تسرح وتتخيل من خلالها فانه بدون شك يكون الواقع مختلفا وقدراتك على الانطلاق واللعب بالافكار بحريه أكثر من الحرية المتاحة لك . وانت تفعل ذلك بلغة اجنبية فانت لا يمكنك ان تلعب بالافكار بالانجليزية مادامت التنشئة التي مررت بها هي تنشئة عربية ، واللغة العربية تكون هي لغتك الداخلية التلقائية التي تحلم بها ومن خلالها تتخيل وبها تفكر واليها تتجه ، وليتنا الى جانب الكتابة بالعربية نقوم كأفراد أو كأجيال من الباحثين بالبحث والتنقيب في المخطوطات والكتابات العربية التي تحتوي على العديد من المواد الثمينة التي مازال أغلبها مجهولا حتى الان،والكثير منها يمس صميم البحوث النفسية ، كمخطوطات الفخر الرازي ، وأبو بكر زكريا الرازي وابن النفيس وغيرهم . لو تمت عملية الرجوع لهذا التراث بشكل جيد فقد نجد مشكلات هامة قد تكون في صورتها البسيطة بالمقارنة الى ما وصل اليه العلم الان ، ولكن هذه العملية قد تكون بالنسبة لنا ـ نحن الذين نتكلم ونحلم ونسرح بالعربية ـ البداية لان يتكون شيئا فشيئا وجدان قومي يغذي عملية البحث العلمي ، فعملية البحث العلمي لدينا لا تزال اشبه بالذرة المهجين ، (البحث العلمي مهجن) ولا تكفي عملية التعريب ونحت المصطلحات فلابد من التأصيل والبحث والنبش والكشف عن الجذور وتطويرها ، وعلى المدى الطويل ، فان التراكم سيترتب عليه كيان جديد هو ما يمكن ان نسميه بالكيان القومي وراء النشاط العلمي ، وهذه مسألة بالغة الاهمية والخطورة ، التأصيل هو ما يمكن ان يعطينا الدفعة للمعاصرة الحقيقية ويبعدنا عن المحاكاة السطحية .

دور المثقف :

د . شاكر : ما هو تصوركم لدور المثقف عموما ولعالم النفس خصوصا في الوطن العربي ؟

د . سويف : اعتقد ان دور المثقف عموما هو ان يقوم بدور الطليعة بالنسبة لمجتمعه ، هذا اذا كان المثقف مؤمنا بدوره الذي يقوم على الابتكار والاكتشاف ودفع جبهة المعرفة الشائعة نحو التقدم ، يتساوى في ذلك رواد العلم والمثقفون ، ولعلماء النفس هنا وكذلك علماء العلوم الانسانية كالاجتماع والحضارات وغيرهم ، دورهم الخطير جدا في العالم الحديث في توجيه حياة الانسان المعاصر بما يتناسب مع المعرفة التي تحققت في العلوم الطبيعية والانسانية ، فسلوك الفرد وسلوك الجماعة في الكثير من جوانبه لا يزال قائما على الكثير من الخرافات والترهات ودور علماء الانسانية ان يقوموا برفع مستوى معلوماتهم الى مستوى الوعي .



د . شاكر : يرتبط بما سبق ملحوظة ترد الى الذهن وهي قلة او ندرة ما يمكن تسميته بالنظريات العربية المتعلقة بالواقع والسلوك الانساني ، ففي علم النفس هناك محاكاة واضحة لنظريات بياجيه في الارتقاء ولانرنك وجيلفورد في الشخصية كما ان هناك ترحيبا شديدا بالتحليل النفسي ونظرية فرويد رغم عدم علميتها ، فما رأيكم في هذه القضية ؟

د . سويف : يرتبط ذلك بما سبق وأن قلناه في وصف الحالة الموجودة الآن ، الركود العلمي مرتبط بالركود العام ، وبالفقر السائد وضياع القيم ، ولا يتصور خروج نظريات كبيرة من مثل هذا المناخ ، ولا بأس من معرفة بياجيه معرفة جيدة ، ولكن لابد من معرفة نظريات اخرى هامة كنظريات فالون ، ولكن لان هناك موضة متمثلة الان في الاهتمام ببياجيه في الغرب فقد بدأ الاهتمام به لدينا ، ونظرية بياجيه شديدة الأهمية ولكن يجب عدم الاقتصار عليها ومن المهم ونحن نستفيد من احدى النظريات ان يكون ذلك من خلال الاطار الفكري المفتوح الذي يجعلك ترى ان نمط الطفولة في مجتمعاتنا تختلف عن نمط الطفولة التي عمل فيها بياجيه،وهذا يجعلك تكتشف نقاط الاختلاف وتحاول متابعتها لمعرفة حقيقتها وحجمها وأسبابها ومظاهرها ، ومع التراكم يمكن ان تتكون نظريات جديدة وهذا ما لم يتنبه اليه العلماء لدينا من قبل بشكل جيد .

المخدرات :

د . شاكر : ما هي الدلالات الثقافية والاجتماعية لدراساتكم في مجال المخدرات ؟

د . سويف : بدأت مع بعض الزملاء سنة ١٩٥٧ في اجراء بعض الدراسات وكانت منصبة على القنب او الحشيش ولم يكن العالم الغربي يهتم بهذا الموضوع ، وكانوا من علماء « الفارماكولوجي » وليسوا من علماء النفس ، وكانت هناك محاولة خافتة في امريكا سنة ١٩٤٣ لكنها انتهت بسرعة ، وبدأت محاولاتنا في مصر نتيجة لتقرير خبراء في المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية،وكان الهدف هو دراسة مشكلات المجتمع بشكل علمي ومنها مشكلة تعاطي الحشيش. وانا أقوم بهذه الدراسات تحت وطأة الشعور بالواجب القومي الكبير ، وقد اهتم العالم بهذه المشكلة في منتصف الستينيات نتيجة لظروف حرب فيتنام فبدأ العالم من خلال هيئة الصحة العالمية يطلب نتائج ابحاثنا وكلها لها اهميتها في عمليات التوظيف للعلم في خدمة المجتمع،ويمكن ان تكون مفيدة اذا عرفت كل الهيئات المعنية ما يمكن ان تستفيده من هذه النتائج وتوظفها في مشروعات تربوية وقائية علاجية فيما يتعلق بتعاطي المخدرات عموما وليس الحشيش فقط ؟

د . شاكر : ما هي اهم القضايا الشخصية العلمية والفكرية التي تشغلكم في الفترة الأخيرة ؟

هناك مشكلة شخصية تشغلني الآن وهي محاولة البحث عن وقت اضافي للقراءة والاطلاع خارج مجال التخصص ، وعلى المستوى الاجتماعي تشغلني قضية ضرورة النهوض بالبحث العلمي وتوفير العناصر التي تقوم بهذا ، ومحاولة اصلاح حال التعليم بجميع مستوياته ، وكذلك مشكلة الأمية الشائعة.ولا يمكن قيام نهضة علمية بدون رأي عام متعلم على مستوى المجتمع ، وهذه مشكلة مهددة لصميم وجودنا وليس لعملية تقدمنا فقط . □

منتدى العربي

الرأي ، والرأي الآخر . . والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر . . هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة . . وعندما تلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .

قضية

لماذا هذه الحرب .. على لغتنا الجميلة ؟

بقلم : الدكتور عمر موسى باشا

تجابه أمتنا العربية ولغتها المقدسة حربين ، والثانية لا تقل خطرا عن الاولى اذ تستهدف مقومات الأمة العربية .

لن أعود الى بواكير الحرب على اللغة العربية الخالدة وتصدى شاعر الشعب العربي ، شاعر النيل حافظ ابراهيم لها بقصيدته الدامغة (أنا البحر) والشاعر الكبير حليم دموس بقصيدته المشهورة (لغة الأجداد) والغريب أن تثار هذه الحرب من جديد ، وهدفها البعيد والقريب تمزيق شمل الامة العربية متخذة سبيلين .

أولهما : ايجاد أربع لغات عربية اقليمية منفصلة ، تتفرع عنها لهجات عامية محلية دارجة .

ثانيهما : تبني اللغات الدارجة المحكية في المسرحيات والتمثيليات والادب الشعبي لنفي الازدواجية اللغوية بين العربية الفصحى والدارجة العامية .

هذان هما السبيلان اللذان يكمن فيهما الخطر الذي يهدد وحدة لغتنا القومية وأمتنا العربية منذ عشرات السنين .

قد نستغرب هذه الحقيقة التي نتحدث عنها الآن ، وقد يتجاهلها بعضنا ، فمن الحق والواجب والوفاء ان يوضح ذلك كله ، لانه وقع في وقت واحد في كثير من الأقطار العربية .

بدأت هذه الحرب اللغوية من جديد في لبنان عند سعيد عقل الذي يؤمن بوجود لغة لبنانية محكية ، تستمد عناصرها اللغوية من الفنيقية والآرامية والسريانية ، والغريب أنه يضيف بعض المؤثرات اللاتينية وغيرها ، ولكنها بعثت من جديد على يد يوسف الخال ، كما ورد في مجلة (الكفاح العربي)

بشكل آخر ومنطق جديد ، فيقول : ان الحركة الشعرية العربية الحديثة اصطدمت بجدار اللغة ، ولا بد من وثبة جديدة في عملية الحداثة الحاصلة ، فكيف نكتب شعرا حديثا في لغة كلاسيكية أو على الأصح قديمة ؟ ان ثمة تطورا في اللغة ينبغي لنا القبض عليه ومحاربته ومن هنا أقول : (ان جدار اللغة هذا ينبغي أن يحطمه الشاعر)

وهو يزعم أن الغاء الازدواجية بين مانكتبه وما نتكلمه - حرصا على اللغة وعلى الابداع فيها - ضرورة لا بد منها لمستقبل اللغة والثقافة العربية . ولم يقتصر على تحطيم بنيان اللغة وهدم صرحها ، وانما يطلب أن نسقط حركات الاعراب جلة وتفصيلا ، وهو يرى ضرورة تخلص اللغة العربية من هذا العبء الثقيل ، وهو الاعراب ، واتخاذ مبدأ الوقف اسلوبا في النطق ، ويستشهد على ذلك بقوله : (يجب ان نقتنع بأن العربية الأم تطورت وتفرعت الى لغات عربية ، تفرعت عن اللغة الأم ، وذلك بحسب البيئات الجغرافية والثقافية التي يتألف منها الوطن العربي ، لدينا لغة المشرق العربي ، ولغة الجزيرة العربية ، ولغة وادي النيل ولغة المغرب) .

والغريب حقا بعد هذا كله أنه يعتقد أن الابداع في الادب العربي يكمن في هدم صرح اللغة العربية ، لان اللغة العامية هى الأصل ، كما يقول : (اللغة المحكية ليست منحطة ، بل يمكنها أن تنتج أدبا عظيما عندما يزول هذا الجدار القائم بيننا وبينها) .

العامية أم الفصحى ؟ :

وفي مجمع اللغة العربية الأردني دعوة مماثلة جديدة صرح بها أحد أعضائه عبد الرحمن بشناق ، اذ هو يدعو بمثل هذه الدعوة المريبة من وراء ستار ، خلال حديثه في ندوة مجمعية عن (واقع اللغة العربية ومواكبة النهضة الحديثة) فيقول في مسترسل محاضرة مجمعية مانصه : (كثيرا ما نحاول أن نقنع أنفسنا أن لغتنا هي اللغة العربية الفصحى ، أو الفصيحة على الأقل ، نقرؤها ونكتبها ، كما يقرأ الانجليزى لغته ويكتبها ، ولكن لغتنا الحقيقية الفعلية هي العربية العامية ، وليست الفصحى) . ولا يكتفي بذلك كله ، وانما يستطرد ليجرى مقارنة بينها وبين اللغة الانكليزية وغيرها ، ثم يتساءل قائلا : وما هي العامية التي نتقنها كما يتقن اليوناني ، أو الايطالي ، او الانكليزي لغته ؟)

ويجيب عن تساؤله هذا بقوله عنها : (انها الشكل الحقيقي للغة العرب في هذه المنطقة أو تلك ، يتحدثون بها ، ويفكرون بها ، ويحلمون بها ، كما يتحدث الأوروبي مثلا ، ويفكر ويحلم بلغته ، اننا لا نتحدث بالفصحى ، ولا نحلم بالفصحى ، لأنها ليست لغة حديثنا ، ولا لغة تفكيرنا ، ولا لغة أحلامنا) .

دعوة مشبوهة :

أثارت هذه الآراء المشبوهة مناقشة وجدالا حول حديثه عن اللغة العامية في المجمع المذكور ، وايراد بعض الألفاظ ، والعجيب أنه في رده على المعترضين يقول : (انه لم يقصد أن يدعو الى العامية مطلقا)

ان الغريب والعجيب أن يسمح بمثل هذا القول في مجمع أنشيء حديثا لحفظ اللغة العربية ، وصون تراثها من مثل هذه الدعاوي المريبة .

لم يقتصر الأمر على ذلك ، وانما نسمع صدى ذلك في بعض صحفنا العربية فبعض هؤلاء الصحفيين يشكك بالعربية الفصحى ، فيتساءل أحدهم في مقال صحفي بعنوان : (من يتكلم العربية دون خطأ ؟) وينحو فيه منحى سابقيه رمزا لا تصريحا ، ويقف عند لفظتي (الماجستير) و (الدكتوراة) وعجز اللغة العربية عن ايجاد البديل لهما ، ولكن يكفي أن أشير الى (الاجازات العلمية) وضروبها في تاريخنا الفكري والحضاري ، وحسبنا هذه .

كما اطلعت ايضا في مجلة العربي عدد ٣٠٤ الغراء على مقالين : الاول بعنوان : (قبل أن تموت العامية) للدكتور أحمد خطاب العمر ، فقد ناقش حقيقة العامية العربية لغويا ، وعدها منحدرة من لهجات عربية مختلفة ، تفاعلت مفرداتها وأساليبها فيما بينها ، فاختلطت وظلت سليمة ، وخلص بعد هذا العرض الى القول الخطير المريب : (ان عاميتنا امتداد لفصحى لغتنا ، حافظت على أساليب التعبير وفصاحة كلامها ، فهي عربية لوجه آخر . . وكأن

ليس لأمة في العالم كله غيرنا لغتان : لغة العامة ، ولغة الخاصة . . ان لنا لغة يتكلم بها العامة ، ولنا لغة يتكلم بها الخاصة ، ويتفاهمون ، والزمن كفيل بتعبيرها . .)

واختتم كلامه بقوله : (ندعو الى أن تسجل عامية كل قطر ، ويحتفظ بها في مكتبات صوتية ، فالزمن آت لان نحتاجها ، ونرجع اليها للتيسير في فهم كثير من تلك الظواهر التي قطع الزمن الطويل بيننا وبين عصر الفصاحة)

كانت مجلة العربي على حق حين تساءلت عما يعني الكاتب بدعوته الى الابقاء على العامية ، وهل هي دعوة الى الابعاد عن لغتنا العربيه الفصحى ؟

والجواب في نظري انها دعوة مشوهة مرحلية لتثبيت دعائم العامية بعد أن بدأت أركانها تتقوض ، نظرا لشيوع العلم وتعميم الثقافة العربية بين الجماهير الشعبيه ، وهذا أهم عامل يبطل بالضرورة تدريجيا استخدام اللغة العامية الدارجة والمحكية .

ومن هذا المنطلق القومي رأينا مجلة العربي عدد ٣١٢ تنشر المقالة الثانية عن واقع اللغة العربية وأهميتها وتطورها ، في مقالة هامة للدكتور حسين نصار بعنوان : (حتمية العناية باللغة العربية) . وقد وفى اللغة العربية حقها وبين أهميتها الدينية والقومية ، والاجتماعية والثقافية،وقد اختتم حديثه بذكر آراء الاذاعيين في تطور اللغة الفصحى ، وصنفهم في زمرتين) :

الاولى : تحرص على التمسك بالقواعد الموضوعة ، والاهتمام بالسلامة اللغوية .

الثانية : ترى أن اللغة في حركة وتغير دائمين ، كما يتفوه بها الناس ، ولكن الغريب أن نجد الزميل الكريم يعتمد على غير المختصين باللغة ، لرصد طبيعة اللغة وعلاقتها بالمجتمع والناس ، والأغرب من ذلك كله أن يتبنى مصطلحات المستويات الثلاثة التالية كما يراها هؤلاء على الشكل التالي :

١ ـ الفصحى : وهي العربية السليمة التي تستخدم في الكتابة أصلا مهما أدخل عليها من تبسيط .

٢ ـ الدارجة : وهي العربية القريبة من السابقة والمستخدمة في الحديث أصلا .

٣ ـ العامية : وهي اللغات العربية المحلية .

ان البحث العلمي يعتمد أصلا على ضرورة أخذ ذلك من المختصين لا الاذاعيين ، فليس في الواقع تثليث لغوى ، وانما هناك مستويان اثنان لا ثالث لهما ، وهما مستوى الفصحى العربية ، ومستوى الدارجة العامية ، ولسنا بحاجة لكى نوجد لغة دارجة ثالثةهي حلقة وسطى بينهما ، اذ يكفينا أن نحارب عامية واحدة لا عاميتين اثنتين .

ولكن المهم من ذلك كله قول هؤلاء كما أورده الدكتور نصار في ختام مقالته : (ان التجارب أثبتت أن الفصحى أطوع في التعبير من بقية المستويات ، وأدق في التصوير ، واقدر على التفنن في الأساليب)

الصدق مع النفس

أما الدكتور بدوي فقد ألقى محاضرة في اتحاد الكتاب العرب بدمشق عن مفهوم الحداثة في الأدب ، وقد تحدث عن حرية الأديب ، ولاسيما ما يختص باستخدام اللغة ، فأجاب بان المهم (أن يكون الأديب صادقا مع نفسه منتميا حقا للحظة التي يعيش فيها ، كما ذكر أن الشاعر المصري بيرم التونسي يبقى شاعرا من الدرجة الأولى ، على الرغم من أنه لا يُدرَّس في أقسام اللغة العربية ، بحجة استخدامه اللغة العامية المصرية) .

وخلص بعد هذا كله للقول : (ان للاديب الحرية الكاملة في استخدام هذه اللغة العامية المحكية).

بيد أننا لانقر الدكتور بدوي على حكمه بالنسبة لبيرم التونسي ، وتعريفه بأقسام اللغة العربية في الجامعات العربية ، كما أننا نعترض على اطلاق هذه الحرية ، ما دامت تصدع صرح اللغة القومية ، ذلك لان في هذه الحرية سجنا للغة العربية الفصحى المعتمدة والمعتبرة . فهل من العدل أن نظلم اللغة الأم ، ونكبلها لتتبنى عوضا منها اللغة العامية الهجينة ، فهذا الفعل مخالف لطبيعة الحياة ، لأن اللغة كائن حي يمثل وجدان الأمة منذ أقدم عصورها .

ولئن عق اللغة العربية بعض أبنائها ، فانها لم تعدم أنصارا من خير أبنائها ممن يقدسها ويصونها ، ويدعو الدول الاسلامية كلها لجعلها اللغة القومية لكل شعوبها ، وهذه الدعوة التي يدعو اليها تمثل أهميتها

على الصعيدين العربي والاسلامي ، والقومي والانساني .

نذكر من هؤلاء الدكتور ميرولي خان المسعودي ، فقد تقدم في شهر ايلول من هذا العام باقتراح في الندوة التي أقامها مؤتمر العالم الاسلامي في اسلام أباد، لجعل اللغة العربية اللغة الرسمية لجميع الدول الاسلامية ، ومما جاء في هذا الاقتراح قوله : (جعل اللغة العربية لغة رسمية وقومية للامة الاسلامية على جميع المستويات الحكومية والعلمية والثقافية ، بما فيها الندوات والمؤتمرات . . وتوضيحا لهذا فان اللغة العربية لغة القرآن والسنة والمصادر الاسلامية . فماذا يمنع المسلمين ان يتبنوا اللغة العربية ، وأن يجعلوها لغتهم الرسمية ، وهي لغة الاسلام ؟)

هل هو مخطط ؟

سنستنتج من هذه الاراء التي أوردناها ما يلي :

١ ـ هناك تخطيط لتحطيم اللغة العربية الفصحى ، لأنها ـ في نظر دعاة العامية ـ لغة سلفية ، قديمة صعبة ، غير صالحة للتعبير عن معطيات الحياة اليومية ، وعاجزة عن تصوير متطلبات الحضارة الحديثة ، واستيعاب التقنيات العلمية المستمدة .

٢ ـ التخطيط لايجاد أربع لغات عامية دارجة محكية ، أو أكثر من ذلك ، فحسب البيئات الجغرافية والاقليمية ، تتولد من اللغة العربية الفصحى وتتفرع عنها . في أقاليم المشرق والمغرب ، والجزيرة العربية ، ووادي النيل ، وتبنّي هذه اللغات المحكية، ولاشك أن الاستعمار والانفصال من وراء هذا التخطيط الذى ينسجم والتيارات السياسية والاستعمارية .

٣ ـ تفريع اللغات العامية والغاء حركات الاعراب ، واعتماد مبدأ الوقف ومبدأ التوسط بين الفصحى والعامية ، والغاء الازدواجية بين الفصحى المكتوبة والعامية المحكية ، زعما أنهم يعملون ذلك تيسيرا وتسهيلا أمام الشداة والناشئين والمتعلمين .

وهكذا يتضح لنا من هذه الأحوال الثلاثة الخطر الكبير الذي يتهدد مستقبل اللغة العربية الفصحى ، ويمكن أن نصنف دعوة العامية في ثلاث زمر .

تضم الزمرة الاولى الدعاة المخربين الذين يستهدفون تمزيق شمل الامة العربية بالاعتماد على هدم ركن اللغة العربية ، ووراء هذا الباعث عوامل داخلية وعوامل خارجية

وتضم الزمرة الثانية طائفة من الذين بهرتهم بعض الاتجاهات في العلوم اللسانية الحديثة ، فأرادوا دراستها وتطبيقها على اللهجات العامية في الأقطار المختلفة ، أما الآخرون من علماء اللسانيات فقد جعلوا اللغة الفصحى سبيلهم ، وهؤلاء هم الذين يعملون مخلصين لاستجلاء خصائص العربية الفصحى وبيان عبقرية اللغويين العرب الذين استطاعوا الوصول الى كثير من النظريات الحديثة

وتضم الزمرة الثالثة دعاة الأدب الشعبي ، من الشعر الشعبي ، والزجل الملحون ، وصاحب ألف وزن ليس بزجال ، كما يقال ، وليس من المصادفة أن تهتم بعض الاذاعات والصحف بالأزجال والأشعار الشعبية وغيرها من الفنون المستحدثة

وجدير بالذكر هنا أن هذا الضرب من الأدب كان غير مقبول في كتب اللغة والأدب المعتمدة ، كما كان القدماء لا يقبلون ادراجه في الكتب الموثقة والمجلدة .

ان الأمر على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، لأنه يستهدف مستقبل الأمة العربية كلها ، فيجب أن ننتبه لكل هذه الدعاوي التي تصدع صرح اللغة العربية الفصحى من الداخل والخارج . □

□ لايمكن أن يصبح العالم كله سعيدا ، الا اذا استعاض الناس عن محبة أنفسهم ، بمحبة الآخرين .

« تولستوى »



عندهم وعندنا!

بقلم : الدكتور محمود الذوادي

ان عبارة « الأمية الجديدة » اصطلاح حديث التداول وهو يعني باختصار عدم مقدرة متعلمي المستوى المتوسط والثانوي والجامعي على القراءة والكتابة والتحدث بقواعد اللغة التي يستعملونها في عمليتي التعليم والتعلم بالخصوص .

هل هي إذن أمية جديدة ؟ وماهي أوصافها ؟

نتناول أولا الأمية الجديدة على سبيل المثال في المجتمع الامريكي . فبينما كثرت الكتابات والتحليلات حول طبيعة وملامح هذه الظاهرة في المجتمعات المتقدمة منذ أكثر من عقد ، فإن الظاهرة تجد اهتماماً أقل في مجتمعات العالم الثالث . ففي المجتمع الأمريكي والكندي وصلت انعكاسات ظاهرة « الأمية الجديدة » الى التأثير على سياسة قبول بعض الجامعات للطلاب والطالبات فأصبح بعضها يشترط امتحانا لغويا لا بد أن ينجح فيه الطالب أو الطالبة كمعيار أساسي للقبول الرسمي بالجامعة . وأظهرت بعض الجامعات تسامحا أكبر . . فقد قررت مثلا جامعة كاليفورنيا ـ بيركلي ـ بعد قبول الطلاب والطالبات ـ اعطاءهم دروسا لتحسين مستوى انجليزيتهم . وتشمل هذه الدروس حوالي نصف

الطلبة المستجدين الذين هم من خيرة خريجي المدارس الثانوية . ان تقرير مجلة U·S and World Report عدد ١٩ (١٧/ ٥ -١٩٧٢) يشير الى أن ظاهرة الأمية الجامعية لا تقتصر فقط على طلبة السنة الأولى بل تتعداها الى طلبة الدراسات الجامعية العليا : « فكثير من طلبة الدراسات العليا الجامعية غير قادرين على كتابة جمل مفيدة وصحيحة » .

أما تفشي ظاهرة « الأمية الجديدة » بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية فالتقرير يصفها كالتالي : « ان كثيراً من طلاب الثانوية يتخرجون بمستوى قراءة وكتابة من هم في مستوى السنة السادسة الابتدائية » . ولا تنتهي ملامح ظاهرة « الأمية الجديدة » عند تدهور قدرة القراءة والكتابة عند الطلاب والطالبات ، بل تشمل أساتذة الجامعة والثانوية . فيتكلم التقرير عن الاستاذ الشاب (٢١ سنة) بالمدارس الثانوية الذي لا يقدر على بناء جمل سليمة ولا على فهم النحو ولا على وضع النقط والفواصل في مكانها الصحيح .

فمن خلال هذه الملاحظات يتضح أن قضية « الأمية الجديدة » تعد مشكلا يحدث قلقا متزايدا في الأوساط التعليمية وخاصة المؤسسات الجامعية بالمجتمع الأمريكي ،ويعطي التقرير المعطيات والمؤشرات التي يبنى عليها هذا التنبؤ بمستقبل الأمية في المجتمع الامريكي ، فعلى المستوى العام هناك اليوم ٢٣ مليون امريكي (٥/ ١ البالغين والكهول من الشعب الامريكي) لا يملكون القدرة على القراءة ولا على الكتابة التي تمكنهم من قضاء حاجاتهم اليومية . أما على المستوى التفصيلي فالتقرير يؤكد أن « كثيرا من طلاب وطالبات الدراسات الجامعية العليا لا يستطيعون كتابة جمل مفيدة صحيحة » وأن استاذ الثانوية البالغ من العمر ٢١ سنة لا يقدر على بناء الجمل وليس له أي فهم للنحو ولا للتنقيط ، وأن ١٣٪ من طلبة الثانوية يتخرجون بمستوى قراءة وكتابة لتلامذة السنة السادسة الابتدائية . . ونظرا لهذا التدهور في القراءة والكتابة فان كثيرا من كتب تعليم الجيش مثلا تحولت الى صور ولغة مبسطة كانت تستعمل مسبقا لمن يجدون صعوبة في القراءة . « وان حوالي نصف الطلبة المستجدين لجامعة كاليفورنيا بيركلي - الذين يعتبرون من القمة ثمن (٨/ ١) خريجي الثانوية - يطلب منهم اخذ دروس لتحسين تكوينهم اللغوي » . ويرجع التقرير اسباب هذا التدهور أساسا الى انتشار جهاز التلفزيون في المجتمع والى ضعف الضبط الاجتماعي والى الخلفية العائلية .

ومفتاح الخروج من هذه الكارثة - حسب التقرير - في المجتمع الامريكي المتقدم هو تعليم أفضل من الذي أصبح سائدا وشائعا في المعاهد والمؤسسات التعليمية والتربوية . « فبين ١٩٧٠ و ١٩٨٠ اصبح الطالب البالغ من السن ١٣ و ١٧ سنة أقل ميلا لمحاولة فهم وتفسير ما يقرؤه وبعبارة أخرى ان الذي حدث في هذه الحقبة هو ان مستوى العمل التحريري لطالب ١٧ سنة اصبح يساوي مستوى عمل الطالب البالغ من العمر ١٣ عاما

« الأمية الجديدة » عندنا :

ويمكن طرح قضية « الأمية الجديدة » في وطننا العربي كما تطرح اليوم بالمجتمع الأمريكي ، وبالتحديد يمكن النظر الى هذه القضية في المعاهد التربوية المتوسطة والثانوية والجامعية . ولكني سوف أهتم شخصيا في هذه الملاحظات بالمستوى الجامعي وذلك :

(١) لان احتكاكي ومعايشتي لظاهرة « الأمية الجديدة » في الوطن العربي اقتصرت أساسا على رحاب بعض الجامعات العربية .

(٢) لأن تفشي هذه الظاهرة بين اساتذة وطلاب وطالبات هذه الجامعات هو دليل قاطع على تدهور مستوى الفصحى في المعاهد والمدارس الثانوية والمتوسطة والابتدائية

في بعض الجامعات التي عملت بها ليس هناك غير قلة من أعضاء هيئة التدريس (بما في ذلك من يقوم بتدريس اللغة الفصحى نفسها) يبدو أنها لا تزال تدرس باللسان الفصيح . فأداة التدريس الشائعة في قاعات التدريس هي العامية المتنوعة من المشرق الى المغرب العربيين . ويصدق انتشار العاميات كوسائل تدريس خاصة على الكثير من الجامعات نظراً لشدة

حاجتها لاستجلاب هيئات التدريس من مجتمعات عربية مختلفة اللهجات

ومن ثم فاستعمال العاميات في التدريس اصبح سمة لغوية من سمات هذه الجامعات . ومن هذا الواقع اللغوي داخل المؤسسة الجامعية هل يبقى أي معنى للذين يرون أن للجامعة دورا مهما في « تفصيح » لغة المجتمع العربي المعاصر ؟ .

ويلاحظ المرء ملامح « الأمية الجديدة » خارج قاعات التدريس ، فمن النادر ان يتناول عضو هيئة التدريس الحديث ـ سواء كان في ندوة علمية او في اجتماع قسم او في مجلس الدفاع عن رسالة او اطروحة طلابية ـ ويتقيد في حديثه باللسان الفصيح . واذا لجأ الى قراءة كلمته او محاضرته بالفصحى المكتوبة (غير المشكولة) فينذر أن لا يلحن حتى ادا لاذ الى حيلة الوقوف على السكون تكرارا ومرارا ليسلم لسانه ظاهريا .

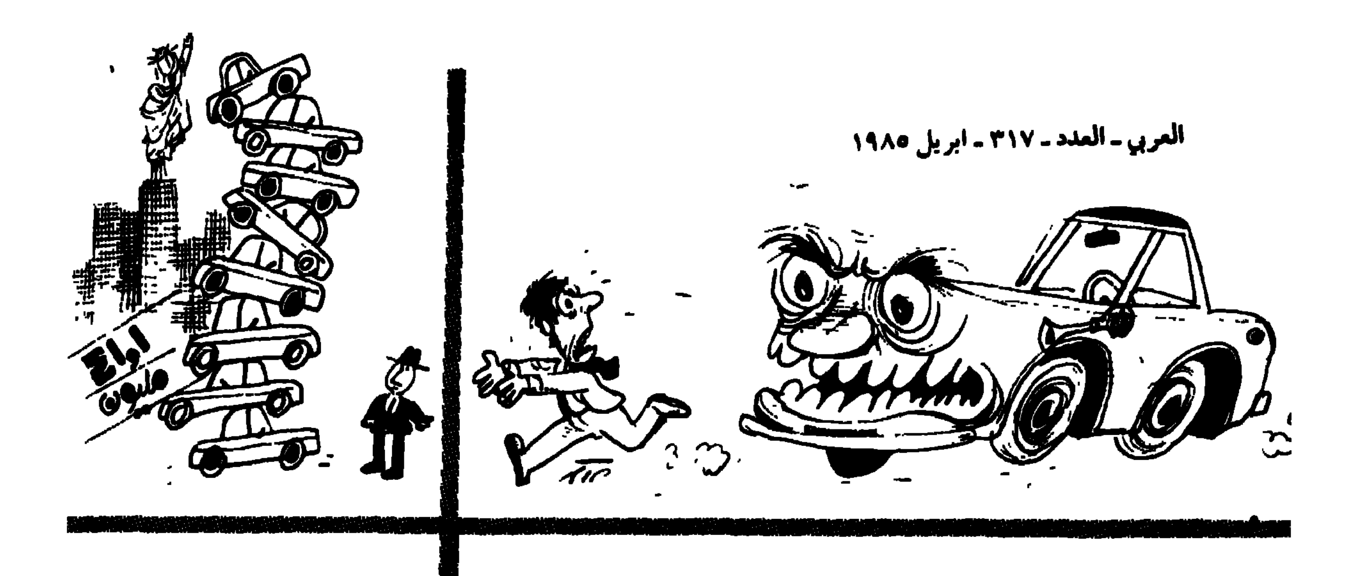
ملامح « الأمية.. » عند الطلبة العرب :

ان تدهور المستوى اللغوي بالجامعات العربية له ملامحه ومؤشراته عند الطالب العربي ، وهو يشبه بذلك الطالب الامريكي السابق الذكر . ولاختبار مدى المام الطلاب والطالبات بالفصحى عمدت شخصيا الى منهجية بسيطة ولكنها ذات مصداقية علمية . كنت أدعو طلبتي في بعض الجامعات بطريقة عشوائية الى قراءة فقرة او صفحة (غير مشكولة) من كتب أو مقتطفات المواد التى أدرسها لهم ، فأكدت تجربتي هذه ان طلبتي لا يستطيعون فعلا قراءة نص عربي فصيح (غير مشكول) بدون ارتكاب الأخطاء المتكررة نحوا وصرفا وحتى في نطق اواسط الكلمات وطالما يقابل اقتراحي على طلبتي التحدث بالفصحي بالتهكم والامتعاض ! .

وبخصوص ضعف الطالب في لغة الضاد فان ذلك يتضح من مشاهدات الباحثين في هذا الموضوع فالدكتور محمود كامل الناقد الباحث في القضايا اللغوية يرى ان ضعف الطالب في الفصحى يتمثل فى التالى : « الضعف الواضح فى مهارة الكلام والحديث أو مانسميه مصطلحا التعبير الشفوي . بل يصل الامر في كثير من الاحيان الى احجامه عن الحديث لعدم قدرته على ذلك . . . فالشكوى صادقة في عدم قدرة طلابنا حتى في التعليم الجامعي على قراءة فقرة قراءة صحيحة وفهمها فهما واعيا » .

أما الدكتور سليمان السديس فقد سرد أمثلة على تدهور مستوى الطالب بالفصحى « وخذ أيها القارىء العزيز أمثلة قليلة لمستوى كثير من الطلاب الجامعيين في اللغة العربية « لا يفرق كثير من الطلاب بين الفعل والاسم . فلو طلب من احدهم اعراب جملة « السور عال » مثلا فلا تفاجأ باجابته بأن « السور » فعل مضارع وان أوجعتك اجابته وجعاً شديدا . لكنك كظمت غيظك وطلبت منه اتمام الاعراب فمن الموجع ان يضيف قائلا « مرفوع بالفتحة » وقس على هذا . فالمفعول به لا يدرى امنصوب هو ام مرفوع ، وكذلك الفاعل وهو قد سمع بحروف الجر لكنه لا يجر ما بعدها بل ينصبه او يرفعه ، اما الجر بالاضافة فلا يعلمه ـ في رأيه ـ الا الله او الراسخون في العلم .

ومع الأسف فانه ليس هناك معطيات علمية عن وضعية الفصحى في بقية جامعات الوطن العربي . ولكن الذي يلاحظه المرء عن مستوى الفصحى عند خريجي بعض الجامعات العربية (من طلاب واساتذة) لا يبشر بأن لغة الضاد بخير حتى في المؤسسات العربية التعليمية العليا . وهكذا تشترك المجتمعات المتقدمة والنامية في ظاهرة « الأمية الجديدة » كما رأيناه.وبينما تقوم كثير من الجامعات الأمريكية بمحاولات جادة لايقاف انتشار هذه الظاهرة نجد صمتا مسترسلا حول هذه القضية في المؤسسات العربية الجامعية مشرقا ومغربا . إن صمْت مسؤولي ومثقفي الجامعات العربية عن مشكلة « الأمية الجديدة » في مجتمعات الوطن العربي هو قبول واقرار أيضا باستمرار « الأمية الفكرية » في هذه المجتمعات . وهل يمكن ان نسمح لأنفسنا بالتفاؤل في مستقبل امة تتفشى فيها هاتان الأميتان ؟ ! . □



السيّارة
نعمة أم نقمة ؟

بقلم : الدكتور محمد علي الفرا

السيارة إحدى وسائل النقل التي بات من غير الممكن الاستغناء عنها ، فهي إحدى سمات عصرنا الحاضر . فالسيارة نستخدمها كوسيلة نقل وانتقال ، ونسخرها في تدبير أمورنا ومتطلبات حياتنا وشؤوننا اليومية . وللسيارة بطبيعة الحال فوائد كثيرة ليست بخافية على أحد ، كما أن لها تأثيرها على التجمعات البشرية ، وأنماط الحياة فيها ، وأشكال المدن وبنيتها ، وانعكاس ذلك كله على الأنشطة الاقتصادية والحياة الاجتماعية في كافة أقاليم العالم .

مع تزايد اعداد السيارات بشكل مطّرد ظهرت مشاكل وأزمات كثيرة جعلت البعض يعتبر السيارة ليست نعمة خالصة وانما تخالطها النقمة في كثير من الحالات .

على الرغم من أن السيارة احد مبتكرات أواخر القرن الماضي وانجازاته ، الا أن عددها في مطلع هذا القرن لم يكن يتجاوز الالوف ، ولكن الزيادة كانت على شكل قفزات كبيرة ، فبناء على احصاءات الامم المتحدة بلغ عدد السيارات في العالم في عام ١٩٤٨ نحو ٥٦ مليون سيارة ، منها نحو ٤٣ مليون سيارة للركاب ، وحوالي ١٣ مليون عربة تجارية . وفي عام ١٩٦٠ قفز هذا العدد الى ١٢٧,٥ مليون سيارة ، منها نحو ٩٨ مليون سيارة ركاب و ٢٨,٨ مليون عربة تجارية . وفي عام ١٩٧٠ ارتفع عدد السيارات الى حوالي ٢٤٣,٢ مليون سيارة . أما في عام ١٩٨٠ فقد زاد عدد السيارات الى حوالي ٤٠٤ مليون سيارة منها نحو ٣١٦,٤ مليون سيارة ركاب وحوالي ٨٧,٣ مليون عربة تجارية .





ولو حاولنا تحليل هذه الأرقام لتبين لنا بأن أعداد السيارات قد شهدت قفزات كبيرة في فترات زمنية متقاربة . ففي الفترة ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٠ بلغت الزيادة نحو ثلاثة أضعاف (٢٨١٪). وفي الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٠ بلغت الزيادة مرة ونصف المرة (٥٤٪). وفي هذا العقد (١٩٧٠ ـ ١٩٨٠) كانت نسبة الزيادة ١٦٦٪. ولو تأملنا في نفس الأرقام لوجدنا بأن سيارات الركاب التي تشمل السيارات الخاصة حققت أكبر زيادة ، وأن نموها المتواصل كان المسؤول عن الزيادة الرهيبة للسيارات ، وسبب هذا يرجع الى شيوع ظاهرة ملكية السيارة عالمياً .

المستودع الأكبر للسيارات :

ولو ألقينا نظرة عامة على أعداد السيارات في أقطار العالم لتبين لنا بأن الولايات المتحدة الأمريكية تحظى بأعلى نسبة من مجموع السيارات في العالم . ففي عام ١٩٤٨ بلغ عدد السيارات المسجلة في الولايات المتحدة نحو ٤١,١ مليون سيارة ، أو حوالي ٧٣,٣٪ من جملة ما يمتلكه العالم من سيارات في ذلك العام . وصل العدد في عام ١٩٨٠ الى حوالي ١٥٢ مليون سيارة ، وتأتي أوروبا في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة من حيث اعداد السيارات .

وفي عام ١٩٨٠ بلغ عدد السيارات في أوروبا نحو ١٣٠ مليون سيارة ، أي ما يوازي ٣٢,١٪ من جملة سيارات العالم . وتدل هذه النسبة على زيادة اعداد السيارات في اوروبا اكثر من نظيرتها في الولايات المتحدة ، بحيث اصبحت نسبة مساهمة كل منها متقاربة ، وعلى أية حال بلغت نسبة اعداد السيارات في الولايات المتحدة واوروبا مجتمعتين نحو ٧٠٪ من مجموع العدد الكلي للسيارات في العالم .

الحياة قبل انتشار السيارة :

قد يتساءل المرء عن شكل الحياة قبل ظهور السيارة على المسرح ، وتزايدها على النحو الذي ذكرناه ، والبعض منا وبخاصة كبار السن الذين أدركوا الحياة يوم أن كانت أعداد السيارات قليلة ، يتمنون أن تعود بهم الحياة الى ما كانت عليه من بساطة وطمأنينة حال وراحة أعصاب . وهم يلقون بكثير من متاعب زماننا على السيارة التي أصبحت في نظرهم نقمة أكثر من كونها نعمة .

قبل اختراع السيارة وانتشارها كوسيلة من وسائل النقل العامة ، كانت أشكال المدن والقرى وسائر أنواع المستوطنات البشرية والوظائف التي تؤديها تختلف عما هي عليه الآن ، فالمستوطنة البشرية ـ سواء كانت مدينة أو قرية كانت مؤلفة من أحياء متجاورة ، يتخللها شوارع وأزقة ضيقة تقع على جوانبها الدور والمساكن المتقاربة . ولم تكن المستوطنات لتحتل الا مساحات بسيطة من الارض ، بحيث يمكن للسكان التحرك والانتقال فيها بيسر وسهولة ومشيا على الاقدام أو الدواب ، واحيانا بواسطة العربات التي تجرها الحيوانات . ولما ظهرت الصناعة ـ وكانت في أول عهدها خفيفة كالمنسوجات وصناعة الاغذية ـ تمركزت في قلب المدن أو على أطرافها لان تلك الصناعات لم تكن لتولد الكثير من الحركة وازدحام المرور الذي يؤدي الى تعطيل حركة السير في الشوارع والازقة ، ولهذا اشتمل قلب المدينة على مختلف

الفعاليات الهامة في المدينة من تجارة وصناعة ، وما يتبع ذلك من خدمات تتطلبها مثل تلك الانشطة والفعاليات .

وكانت الأحياء السكنية تحيط بقلب المدينة ، وغالبا ما تتخذ المدينة الشكل الدائري أو القريب منه . وعادة يتحدد الشكل العام للمدينة على ضوء مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية ، وهذه العوامل كانت المسؤولة عن توجيه الامتداد العمراني في الاتجاه الذي يحدد شكل المدينة وطابعها المميز .

ومما لاشك فيه بأن مدنا كهذه تتقارب مساكنها أو تتلاصق وتتجاور أحياؤها ويتصل بعضها ببعض ، وتضيق شوارعها وأزقتها مكونة حارات ذات سمات خاصة ، ساعدت على قيام أنماط معينة من الحياة الاجتماعية ، وظهرت معها أنواع محددة من السلوك البشري وتولدت عنها عادات وتقاليد ذات طابع محافظ . فعلى سبيل المثال كان المسكن الواحد يضم بين جدرانه وفنائه اسراً كبيرة الحجم ، وللاسرة آنذاك مفهوم مختلف عن مفهومها اليوم فلم تكن مقصورة على الاب والام وانحالها وانما تعدت ذلك لتشمل الجد والجدة والاحفاد مما قوى نظام السلطة الابوية ، وعزز أواصر الترابط الاسري والعائلي . وكان رب الاسرة يتمتع بسلطة كبيرة واحترام وتقدير شديدين ، وكلمته بمثابة قانون غير مكتوب .

وجاءت السيارة فتبدلت الاحوال :

لاشك أن للسيارة دوراً في تغيير اوضاع كثيرة من مجتمعاتنا ، وتخلي الكثير من الناس عن بعض قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا الموروثة ، التي كان الاجداد والاباء يحرصون على صيانتها والحفاظ عليها . وكان تأثير السيارة على الحياة الاجتماعية غير مباشر ومن خلال التغيرات التي أوجدتها على شكل المدينة وبنيتها . فالسيارة تطلبت شوارع واسعة مما أدى الى اعادة تخطيط المدينة حتى تتم فيها الحركة والسير بسهولة ويسر . ونتج عن هذا هدم الكثير من الاحياء السكنية القديمة ، وزوال أنماط المساكن القديمة وقيام فعاليات ونشاطات مختلفة ، وتعدد في أوجه استعمالات الأراضي داخل المدن وخارجها ، وظهور احياء شيدت على أنماط حديثة تنسجم مع استخدام السيارة . وكان من الطبيعي أن تتباعد الاحياء وتتناثر المساكن وتكثر الشوارع وتختفي الأزقة وتتسع الرقعة الأرضية التي تشغلها المدينة ، ولم تعد هناك حاجة لتركز الاسواق ومرافق الخدمات في وسط المدينة - كما كان في الماضي - طالما أن السيارة سهلت عملية الانتقال ، فأصبح البعيد قريبا ، وصار الشخص يبحث عن السكن المريح خارج المدينة ليتخلص من الضوضاء والضجيج والصخب ، فهو يريد أن يأوي الى مسكنه ليريح جسده المكدود ونفسه المتعبة .

وكان من نتيجة تناثر الأحياء السكنية وتباعد الدور والمساكن ، تفكك الحياة الاسرية وانفصام كثير من الروابط التي كانت تربط بعض أعضائها ببعض ، فالمسافة تفرق والقرب يجمع . وعن طريق السيارة وغيرها من وسائل النقل والمواصلات احتكت الامم والشعوب بغيرها مما ساعد على اختفاء الكثير من العادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع الواحد ، وضاعت السلطة الابوية أو ضعف مفعولها على الاقل

ومع نمو اعداد سكان المدن وارتفاع المداخيل وتحسن مستويات المعيشة التي رافقتها زيادة اعداد السيارات زاد الضغط على شوارع المدن فنشأت الاختناقات المرورية ، واشتدت أزمة السير داخل المدن مما استدعى اعادة النظر مرة ثانية في تخطيط المدن ، وظهور أنواع من الشوارع والطرق والجسور والأنفاق التي غيرت الكثير من عوالم سطح الارض ، وأثرت على أنماط الحياة في مجتمعاتنا المعاصرة ، وكان لابد من اجراء كثير من التعديلات على بنية المدن ، ووظائف احيائها فتم تفريغ المركز من أي نشاط صناعي طالما أن الصناعة تسهم في الازدحام وتعطيل السير علاوة على ما تسببه من تلوث ضار لسكان المدينة .

السيارة مصدر للتلوث :

وبزيادة أعداد السيارات برزت ظاهرة لم تكن على درجة كبيرة من الخطورة كما هي عليه اليوم ، ونعني بها ظاهرة التلوث . والتلوث مصادره كثيرة ولكن الصناعة والسيارات تشكل المصادر الرئيسية

للتلوث . فان كنا نستطيع أن نخطط المواقع الجديدة للصناعات ونبعدها عن المدن فليس بامكاننا أن نفصل السيارة عن المدينة . ومهما حاولنا ابتكار الوسائل التي تقلل من العوادم فلن نستطيع لأن التلوث الناجم عن السيارات لا يمكن التقليل من اخطاره وآثاره الضارة على الحياة . وعوادم السيارة الناتجة عن حرق الوقود ليست وحدها التي تسبب التلوث وانما هناك اشياء اخرى غيرها مثل الأبخرة المتصاعدة من ارتفاع حرارة زيوت السيارة ، وكذلك التلوث الناجم عن احتكاك العجلات الذي يظهر على شكل مواد مطاطية في غاية الدقة ، وتتسبب عوادم السيارات في رفع حرارة الجو ، والدخان المتصاعد في الجو الذي يحتوي على ملايين الذرات الكربونية التي تسبح في الجو وتختلط مع الاتربة والرطوبة المحمولة في الهواء فتجلب الاوساخ وتحدث التهيج في اجهزة الجسم فتصيبها بمختلف أمراض الحساسية التي لم يكتشف الطب الا القليل منها . وتسبب هذه الملوثات الأضرار للنباتات والثمار ومختلف أنواع الحيوان .

وتحتوي عوادم السيارات على غازات سامة ، أخطرها غاز أول اكسيد الكربون ، وقد ثبت بأن لهذا الغاز آثاراً في منتهى الخطورة على خلايا المخ فتدمرها وتصيب بعضها بالأذى الشديد .

حوادث المرور :

لو ألقينا نظرة على نشرات الوفيات لوجدنا بأن السيارة تسببت في رفع نسبة الوفاة في عصر تقدم فيه الطب وارتفعت مستويات الحياة ، مما ادى الى انخفاض كبير في نسبة الوفيات الناتجة عن الأمراض التي كانت تعصف بارواح البشر . ولاشك في أن هناك ارتباطا قويا بين زيادة اعداد السيارات وبين زيادة اعداد وفيات السيارات في العالم . ففي الكويت على سبيل المثال ـ كان مجموع السيارات المسجلة عام ١٩٧٣ نحو ١٩٨ الف سيارة من جميع الفئات والاحجام وحسب مختلف الاستعمالات ، وفي عام ١٩٨٢ قفز العدد الى نحو ٦٦٨ الف سيارة . أما وفيات السيارات المسجلة فقد كانت في عام ١٩٧٣ نحو ٢٣١ حالة وفاة . وفي عام ١٩٨٢ بلغت حوالي ٤٠٢ حالة .

وهل من حلول ؟

ليست هناك حلول جذرية جاهزة يمكن الاستعانة بها لحل جميع المشاكل الناجمة عن السيارات كالتلوث الهوائي والضوضاء وحوادث السير وغير ذلك من امور . وليس بالامكان الاستغناء عن السيارة كلية فقد اصبحت جزءاً من مقومات حياتنا وباتت ضرورة من ضرورات عصرنا . ويبدو أن جميع الوسائل التي تتبع حاليا والرامية الى تخفيف حدة بعض المشاكل الناجمة عن السيارة كالمرور واختناقاته والمتمثلة في شق الشوارع الواسعة ، وتعبيد الطرق السريعة واقامة الجسور والانفاق ونحوه لم تستطع أن تحل المشكلة، بل أوجدت مشاكل من نوع آخر نتج معظمها من جهل الناس بالنظم الواجب اتباعها اثناء السير والحركة على الطرق السريعة أو الاصرار على عدم التقيد بها .

ومع استحالة وجود الحلول الكاملة فانه لا بديل عن بذل كافة المساعي الرامية الى كبح زيادة عدد السيارات ان لم يكن تنقيصها . وطالما ان السيارات الخاصة تشكل اكبر نسبة من المجموع الكلي للسيارات ، وبما انها تتزايد سنويا بصورة رهيبة فانه لابد من اتباع وسائل تخفف من الاعتماد على السيارات الخاصة عن طريق تشجيع وسائل النقل الجماعي العام ـ كالحافلات مثلا ـ وادخال الكثير من التحسينات عليها ليزداد الاقبال عليها .

ويلحظ المرء منا الفرق الكبير بين حالة السير يوم افتتاح المدارس حيث يحرص كل ولي أمر على ايصال ابنه أو ابنته الى المدرسة مما ينتج عنه ازدحام شديد تستنفر له ادارة المرور جميع رجالها . وفي الايام التالية يخف السير ويقل الازدحام نتيجة تشغيل الحافلات المدرسية التي تسع الواحدة منها ما لا يقل عن ستين طالبا . ولو نظر الواحد منا الى السيارات في صباح يوم من الايام وحينما يذهب الناس لاعمالهم لرأى بأن السيارة الواحدة ليس فيها الا سائقها في اكثر الحالات ، وعليه فانه لو تصورنا بأن هؤلاء استخدموا الحافلات لكان بالامكان استعمال حافلة واحدة بدلا من ستين سيارة خاصة . وتبدو المشكلة واضحة في بلد كالكويت بلغت فيه اعداد السيارات الخاصة في عام ١٩٨٢ نحو ٤٦٩ الف سيارة اي حوالي ٧٠,٢٪ من مجموع كافة انواع السيارات . □

العربي العربي العربي من ربع قرن

مشاكل الاختصاص في التعليم الجامعي

العدد السابع عشر ابريل ١٩٦٠



بين المشكلات الرئيسية التي تواجهها اليوم الجامعات والمعاهد العليا ـ على اختلاف أجناسها وأشكالها وأوضاعها ـ مشكلة تثقيف الشباب الجامعي تثقيفا شاملا يؤهله لادراك الحياة بأوسع معانيها ، وليقوم أحسن قيام بوظائفه المتعددة في المجتمع .

ويجدر بنا ، ونحن نحاول ارساء قواعد التعليم الجامعي في البلاد العربية ورفع بنائه ، أن ننتبه الى هذه القضية ، والى مظاهرها الخاصة في مجتمعنا ، وأن نعمل على معالجتها بما يؤمن خير شباننا وسلامة بنائنا القومي والحضاري .

ان هذه المشكلة جذورها العديدة في الحياة الحديثة . على أن أهم هذه الجذور اثنان .

أولهما اتساع المعرفة الانسانية اتساعا مستمرا سريعا لقد عظمت سرعة هذا الاتساع في الأونة الاخيرة الى حد يبهر الأبصار ويسحر الألباب وما التجارب والنتائج الرائعة التي نشهدها في ارتياد الفضاء الفسيح ، أو في التحكم بالذرة وطاقتها ، سوى المظاهر البارزة لهذا التقدم ، بل لهذه الوثبات الجبارة التي يثبها العلم الحديث فان كل من يشارك في أية ناحية من نواحي المعرفة مشاركة حية فاعلة ليجد صعوبة هائلة في محاولة اللحاق بالركب ، ومجاراة مواكب البحث والكشف التي تطوى الميادين ، محطمة الحواجز واحدا اثر واحد

وقد كان من نتيجة هذا التوسع والتقدم الاقبال على الاختصاص بنواح محدودة من المعرفة الانسانية وكلما عررت نتائج العلم ، ازدادت الحاجة الى تضييق مجالات الاختصاص ، والى حصر دوائره ، حتى تعددت الاختصاصات في الحقل الواحد ، وغدت الحواجز والفوارق أعظم مما كانت عليه بين الحقول المختلفة في الأزمنه السابقة .

ولا تقتصر هذه الظاهرة على العلوم الطبيعية فحسب ، بل تتعداها الى العلوم الاجتماعية والانسانية .

.. أما الجذر الثاني فهو اهتمام الأقوام المختلفة في العصر الحديث باستكشاف موارد الطبيعة ، واندفاعهم لاستغلال هذه الموارد في سبيل سد

حاجاتهم المتزايدة ورفع مستوى عيشهم . ان هذا الاهتمام وهذا الاندفاع ، اللذين يشتدان ويتسعان يوما بعد يوم ، يوجهان الانظار والهمم الى الاختصاصات المهنية والتكنيكية ، ويغزوان ميادين العلوم النظرية والثقافات الانسانية التي تهدف الى المعرفة المجردة ، أو التي تتناول معاني الحياة وقيمها الأساسية

وانا لنجد لهذه الظاهرة آثارها العديدة : منها انجذاب العدد الوافر من ذوي المواهب الى المهن والصناعات والأعمال التكنيكية ، والتضاؤل النسبي في عدد الذين يتجهون الى العلوم والآداب الانسانية . ومنها أيضا ضعف كل من الفريقين في الاطلاع على ثقافة صاحبه ، وبالتالي بروز الحدود والحواجز بينهما ، فلا الأديب يجاري العلم في وثباته الجبارة . ولا العالم يجد من الوقت أو من الرغبة المتيقظة ما يسعفه في ارتياد مناهل الأدب أو الفن أو الفلسفة

لقد انعكست هذه المشكلة ، بمظاهرها المختلفة ، على التربية الجامعية التي يفترض فيها أن تهيء هذا الفرد الصالح للمجتمع ، فأبرزت للقائمين على هذه التربية مشكلات تربوية وتنظيمية تسترعي الاهتمام وتدعو الى المعالجة منها تضخم الكليات والاقسام العلمية والتطبيقية ، وطغيان الروح المهنية على اتجاهات التعليم العالي بوجه عام . ومنها كذلك ازدياد المعرفة وتوفر الاختصاص في هذه الفروع كلها ، كالطب والهندسة والزراعة وأمثالها ، مما لا يترك مجالا في برامجها لأية مواد غريبة عنها أو بعيدة الصلة بها . ومنها أيضا استيلاء الدراسات الفرعية الاختصاصية حتى على العلوم والآداب الانسانية ، بحيث لا يتمكن الطالب في هذه الأقسام من أن يخرج بسهولة من دائرته الضيقة الى الدوائر المتصلة به المشاركة لدراسته ، ناهيك بعجزه ـ الذي يكاد يكون تاما ـ عن أن يعبر حدود ميدانه الأدبي أو الاجتماعي الى ميدان العلم المنطلق ، الذي تحدث فيه اليوم أعظم الثورات وأبلغها أثرا في أساليب العيش ، وفي مذاهب الفكر والمعتقد .

ولعلنا لا نخطيء اذا وجهنا النظر الى ما نعتقد أنه المبدأ الاساسي في هذه القضية كلها . فاننا نرى أن الثقافة الانسانية التي تكون الانسان العاقل الفاضل ، الواعي لمشكلات الحياة في ترابطها ، السابر لأغوارها ، المدرك لقيمها ، العامل في سبيل تحقيق هذه القيم ـ هذه الثقافة ليست من حظ نوع معين من الدراسات والمواضيع . ليست هي مثلا ـ كما يعتقد الكثيرون ـ مقصورة على الدراسات التي عرفت تقليدا بـ « الدراسات الانسانية » . أي التي تشمل الآداب والفنون والفلسفة فان للعلوم الوضعية الاجتماعية ، والطبيعية ، مضامينها الثقافية الانسانية ولا نستطيع أن ننكر ما للروح العلمية من أثر في تحرير العقل وفي تدريب النفس ، بما تتطلبه وتنميه من المزايا العقلية والفضائل الخلقية وليس من الضروري أن يكون مؤرخ أو أديب أو فنان أوسع ثقافة وأدرك لمشكلات المجتمع أو لأسرار الحياة ، من عالم يستكشف خبايا الكون ويمد آفاق المعرفة النظرية ، أو حتى من مهندس أو صناعي أو طبيب اذا كانت تهيئته صحيحة وليس الأخصائي في أحد مسالك العلم ـ النظري أو التطبيقي ـ أهزل ثقافة وأقل خطرا من الأديب أو الفيلسوف المتجاهل هبة العلم وأثرها الجبار في كل وجه من وجوه الحياة .

كذلك نرى أن هذه المشكلة لا تعالج باضافة دروس ومواد على هذا أو ذاك من فروع الاختصاص ، كأن يطلب مثلا من طلاب الفروع العلمية دراسة بعض المواضيع الأدبية أو الفلسفية ، أو العكس . ان هذه الدروس ـ وقد استنبط العديد منها في الأونة الأخيرة ـ لها فائدتها ، كما أن ثمة فائدة لا تنكر من الأساليب الأخرى المتعددة التي اتبعت في معالجة هذه الناحية أو تلك ، من نواحي النقص أو التوزع في الثقافة الجامعية .

على أن الأمر الأساسي الذي يبدو لنا في هذه القضية هو أن معالجتها لا تتصل بمادة أو بمواد معينة ، وانما تقوم على الأسلوب والطريقة . فمهما كان الموضوع الذي يدرسه الطالب ، علميا أو أدبيا ، نظريا أو تطبيقيا ، فانه يمكن له أن يكون منطلقا لتكوين ثقافة انسانية غنية شاملة . □

د . قسطنطين زريق



ثمن السعادة مليون جنيه استرليني

● الفتريو فنياميس رجـل يونـاني بسيط ، لم يكن لديه ثروة في أي يوم من أيام حياته التي امتلأت بالعمل الجاد على مدى خمسين عاما أو يزيد . ولكنه كان يعيش دائما من أجل تحقيق أمل واحد ، هو أن يصبح صاحب رصيد في البنك يضمن له حياة مريحة في شيخوخته بعد أن يبلغ السبعين . .

لقد عاش الفتريو مع زوجته صوفيا وولديه في بداية حياتهما ، في ميناء بيريه ، وكان يعمل على السفن التي تبحر من الميناء حاملة صادرات بلاده وتعود اليـه بما تستورده من الخارج . . ولم يكن دخله يسمح بشراء أحذية أو ملابس جديدة لولديه ، كما لاتذكر الزوجة أنها اشترت يوما فستانا جاهزا . . فقد كانت تخيك ثيابها بنفسها .

أما هو فكان دائما يقول : (لم أكن أعرف شكل حياة الترف التي يتحدثون عنهـا ، فلم يكن عندي فـائض أستطيـع أن أنفقه في شـراء شيء أكـثر من ضروريات الحياة . . . شيء واحد كنت أحرص على أن أجرب حظي معه على مدى السنوات الطويلة التي كنت أعمل فيها وأكدح . . وهو شراء ورقة من أوراق (اليانصيب) .

ويشاء الحظ أن يضع في يده أخيرا مبلغـا يوازي مليون جنيه استرليني،فقد ربحت الورقة الأخيرة التي اشتراها في احدى الامسيات،وهو عائد الى بيته بعد يوم عمل طويل .



وتصور الفتريو أن كل متاعبه قد غرقت في مياه البحر الذي طالما ركبه في رحلاتـه . . الم يكن هذا هدفه وهو يشقي ويتعب طوال هذه السنين ؟ ولكن الرجل مالبث أن اكتشف أن متاعبه قد بدأت في نفس اللحظة التي دخلت فيها هـذه الثروة الكبيـرة جيبه الفقير . .

وبدأ الفتريو يفلسف الحياة : (لا . . لم يكن المال والرصيد الكبير هدفي في يوم من الأيام . . وحتى لو كنت أفكـر في أن يكـون لـدي ثـروة تـريحني في شيخوختي ، فقد غيرت رأيي الآن ، لانني اكتشفت ان الحياة مع المال لم يعد لها طعم ، وأنني أصبحت

عيش بلا أمل . أريـد أن أعـود فقيـرا (كما كنت !) .

وعاد الفتريو فقيرا . فقد جمع المليون جنيه وتبرع بها كلها للجمعيات الخيرية ، وقال وهو يقدم الثروة التي هبطت عليه من السماء (لم أعد أجد للحياة معنى مع هذا المال الوفير . نعم لقد كنت رجلا فقيرا ، ولكنني كنت سعيدا في فقري . . قد يثير هذا التصرف دهشة الناس ، ولكنني أريد أن أقول لهم انه كان بداية تعاستي ، وبدأت المعارك تحتدم بيني وبين زوجتي صوفيا . . انني أحب زوجتي ، ومن أجل الابقاء على هذا الحب لابد أن أتخلص من هذه الثروة، لقد ربيت ولدي وعلمتهما الأمانة والاخلاص في العمل ، وعندي الكثير من الاصدقاء الذين يحبونني ، لامن أجل مالي أو مركزي الاجتماعي ، ولكن لمجرد أنهم يجدون متعة في صحبتي .

ربما كانت صوفيا هي الوحيدة التي لم يسعدها هذا التصرف الغريب ، فقد كانت تحلم دائما بشراء فستان جاهز من أحد محال الأزياء الكبرى في اليونان

هل تبحث الصين عن وجه جديد لاسلوب الحياة فيها ؟ يقول المسؤولون عن رعاية الشباب في بكين . ان الذى يهمنا هو الجوهر ، وليس الشكل ! وفي إطار السياسة الجديدة التى تتبعها الصين مع الشباب أقيمت في مدينة كانتون أخيرا مسابقة « للجمال والمواهب » اشترك فيها الشباب من الجنسين

وعندما بدأ المتسابقون يمرون أمام أعضاء لجنة التحكيم : اتضحت الصورة أمامهم لأول مرة ، فقد كان اهتمام اللجنة كله مركزا على شخصية المتسابقين والمواهب التى يتمتعون بها ، ولياقتهم البدنية ، وقال أحد أعضاء اللجنة مفسرا اختيارها للفائزين بعد ان كثرت علامات الاستفهام على وجوه الحاضرين ، عندما راحوا يتطلعون اليها ، فلم يجدوا واحدا جميلا بالمعنى المألوف للجمال . . قال : « هذه هى مقومات الجمال الذى نبحث عنه . . أما جمال الوجه وحده فيأتى فى المرتبة الثانية . اننا لا نريد شابا يرتدى البنطلونات « الجينز » ويطلق شعره كما يفعل « الخنافس » فى الغرب !

دورين لاكيت طفلة فى الحادية عشرة من عمرها ، كانت تشكو ألما حادا فى معدتها لم يفارقها لحظة واحدة على مدى أسبوعين متصلين . ولم



يكن ممكنا أن يتجاهل والدا دورين شكوى ابنتهما ، فأسرعا يعرضانها على طبيب البلدة الصغيرة التى تقع فى دلتا نهر الميسيسبى بأمريكا . . ولكن الطبيب حار فى إيجاد تفسير واضح للألم الذى يمزق أحشاء دورين .

وأخيرا لم يجد الطبيب امامه الا الاستعانة بالأشعة التى أظهرت وجود جسم غريب فى معدة الطفلة . وقالت دورين وهى تحاول أن تساعد طبيبها فى الكشف عن هذا اللغز : « لقد ابتلعت كمية من مياه البحيرة الراكدة التى كنت أسبح فيها بالقرب من البيت الذى نعيش فيه ، ثم بدأت أشعر بالألم بعدها بيومين أو ثلاثة ! .

وقرر الأطباء اجراء جراحة عاجلة لدورين . وكانت المفاجأة المذهلة عندما اكتشفوا وجود ثعبان فى

معدة الفتاة الصغيرة . . ثعبان يبلغ طوله حوالى خمسة وعشرين سنتيمتراً ، وكان الثعبان حيا !

وحاول الجراح أن يخفي النبأ عنها ، لم يشأ أن يقول لها أن ثعبانا كان يسكن معدتها ، ويسبب لها الآلام المبرحة التي كانت تشعر بها ، ولكن شقيقها الأصغر الذى يهوى جمع الثعابين لم يستطع أن يكتم عنها سر علتها . .

المهم أن الأطباء ما زالوا فى حيرة ، فهم لا يستطيعون أن يجدوا تفسيرا لكيفية دخول الثعبان أحشاء دورين . وهو ليس دودة من أي نوع ولكنه ثعبان ومن النوع الخطر !

تجربة قاضي على المسرح

● لورد دننج أحد القضاة الانجليز الذين كان لهم دور فى القضاء البريطانى، وتاريخ حافل بالذكريات مع الكثير من القضايا التى كانت على اهتمام الرأى العام داخل البلاد وخارجها . وقد ترك القاضى كل هذا بعد أن تقدمت به السن ، وطلب الى المسؤولين اعفاءه من العبء الذى حمله على مدى أربعين عاما أو يزيد .

ولكن هل يترك لورد دننج نفسه للشيخوخة تزحف الى عقله وجسمه ، وتقعده حتى عن لقاء الناس فى حرية ، وهو ما كان يتوق اليه طوال اشتغاله بالقضاء ، وقرر أن ينزل الى الشارع ويبحث عن موضوع للمسرحية الجديدة التى ينوى أن يقدمها للناس . . وعاد الى مذكراته . . وسألوه : هل وجدتها ؟ هل عثرت على أحداث مسرحيتك الجديدة ؟ فقال : « لم أجد قضية اكثر اثارة من أحداث قصة كريستين كيلر وجون بروفيمو وزير الحرب البريطانى الذى انتحر بعد أن تكشفت حقيقة علاقته بالجاسوسة الانجليزية الحسناء فى عام ١٩٦٣ . فقد كنت أحد القضاة الذين شاركوا فى نظر هذه القضية التى أثارت اهتمام الرأى العام العالمى !»



ومع المسرحية الجديدة بدأ لورد دننج يضع اللمسات الأخيرة فى مؤلفه عن أشهر القضايا التى حكم فيها ، وأطلق على كتابه الجديد : علامات على طريق القانون ! وهو يقول : انه يفضل دائما الحقائق على الخيال ، « فلا تنسوا انى ما زلت رجل قانون » .

الخمر تقتل مليونا كل عام فى روسيا !

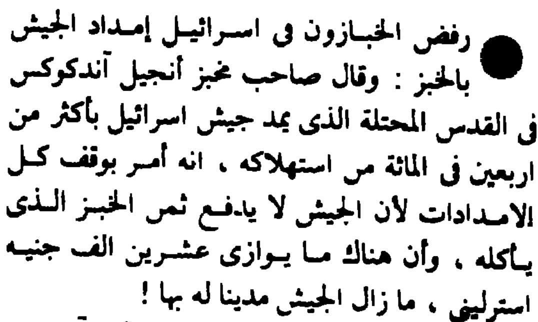
● اكتشف المسؤولون فى الاتحاد السوفيتى أن الادمان على الخمور أصبح مشكلة اجتماعية خطيرة ، تتزايد تفاقما بسرعة مخيفة ، وفى صحيفة ازفستيا كتب جودور أوجلوف الذى يعد واحدا من كبار أعضاء الاكاديمية السوفيتية للعلوم مقالا تضمن أرقاما أو حقائق مثيرة للفزع . قال أوجلوف ان الاحصائيات تقول ان عدد المدمنين على الخمر فى الاتحاد السوفيتى قد بلغ أربعين مليونا، وأن مليون شخص يموتون كل عام نتيجة هذا الادمان ، وان هناك طفلا بين كل ستة أطفال يولد مشوها ، نتيجة ادمان أحد الابوين أو كليهما على الخمر !

ويقول أوجلوف : « ان مشكلة الادمان تكلف

الدولة الملايين من ساعات العمل الضائعة كل عام ، الى جانب الحوادث التى تقع فى المصانع وهى فى ازدياد مستمر ، وقد امتلأت أسرة المستشفيات بضحايا هذه الحوادث ، فى وقت لا تجد فيه الحالات المستعجلة أسرة كافية للعلاج !

وفى نهاية حديثه يدعو العالم السوفيتى الى تحريم الخمور ثم يقول : « اذا لم نقدم على هذه الخطوة ، فلن يصبح لنا وجود كأمة ! .

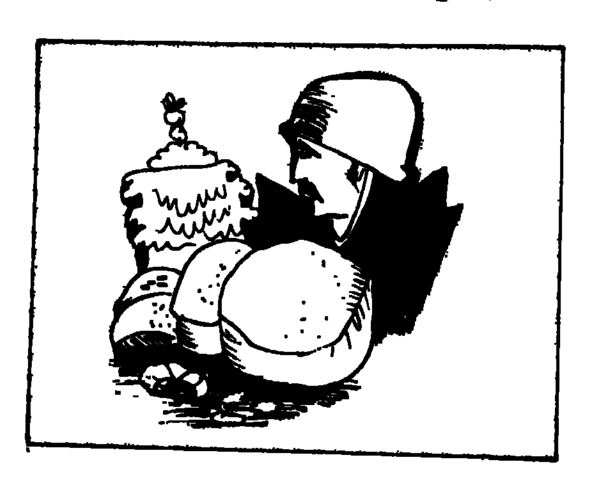
مارى أنطوانيت فى «اسرائيل» !



● رفض الخبازون فى اسرائيل إمداد الجيش بالخبز : وقال صاحب مخبز أنجيل آندكوكس فى القدس المحتلة الذى يمد جيش اسرائيل بأكثر من اربعين فى المائة من استهلاكه ، انه أمر بوقف كل الامدادات لأن الجيش لا يدفع ثمن الخبز الذى يأكله ، وأن هناك ما يوازى عشرين الف جنيه استرليني ، ما زال الجيش مدينا له بها !

وعندما ذاع خبر توقف « انجيل آندكوكس » عن امداد الجيش الاسرائيلي بالخبز ، سارعت ثلاثة مخابز أخرى ، وهى التى تتولى امداد الجيش ببقية احتياجاته بالتهديد بوقف الامداد بدورها اذا لم تسدد الفواتير التى تطالب بها ، وتبلغ فى مجموعها ثلاثين ألف جنيه استرليني !

وازاء هذا الموقف الذى يهدد الجيش الاسرائيلى بالجوع ، اتهمت السلطات الاسرائيلية اصحاب المخابز بالهرب من هذه « القضية القومية » وتعنى بها تغذية الجيش فى الأوقات العصيبة التى يمر بها !!



وسمع أحد أصحاب المخابز الاتهام ، فقال : لماذا لا يأكل الجيش (الجاتو) ؟

وقال آخر معلقا : « لقد قالوا لمارى انطوانيت ان الشعب لا يجد رغيف العيش ، وقالت الملكة : دعوهم يأكلون البسكويت » !! وبعدها قامت الثورة فى فرنسا !

اللقاء الأخير !

● قصة فيليب بوفارى وزوجته مونيك ، ظلت حديث الناس فى فرنسا لأسابيع طويلة .

والزوجان كانا يعيشان فى باريس العاصمة ، حياة هادئة دافئة رغم الثلوج التى كانت تتساقط فى الشتاء البارد والضباب الذى يملأ الجو ويحجب الرؤية .

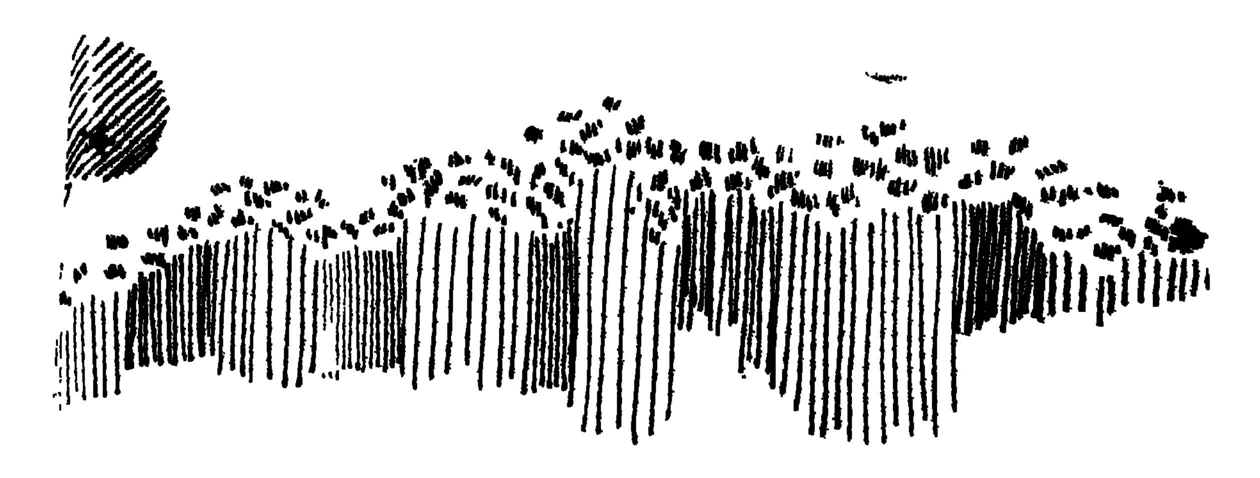
وفى مساء أحد الأيام الباردة عاد فيليب الى البيت مبكرا قليلا عن موعده ، وقال لزوجته:« أنا مدعو الليلة لتناول طعام العشاء مع بعض رجال الأعمال . انه عشاء عمل كما ترين ، ولا أظن أنه سيكون من المناسب أن أصطحبك معى ، فسوف تجدين الحديث مملا ! » .

وقالت مونيك : « سأنتهز الفرصة إذن وسأذهب لزيارة والدتى ! »

وخرج الزوجان . . كل منهما فى سيارته الخاصة . . وكان الضباب كثيفا وقال فيليب وهو يودع زوجته : « احذرى السرعة ! »

وانقضت بضع ساعات قبل أن يصحو أهل الحى القريب من الطريق السريع على صوت دوى هائل . . ماذا حدث ؟

لقد وقع حادث تصادم بين سيارتين على الطريق نتيجة للضباب الذى ازدادت كثافته وانعدمت معه الرؤية تماما . . وقتل سائقا السيارتين فى الحال . . وعندما تم نقل الجثتين وتعرف رجال الشرطة على شخصية كل منهما ، حدثت المفاجأة المذهلة . . فلم يكن القتيلان سوى فيليب بوفارى وزوجته مونيك ! . □



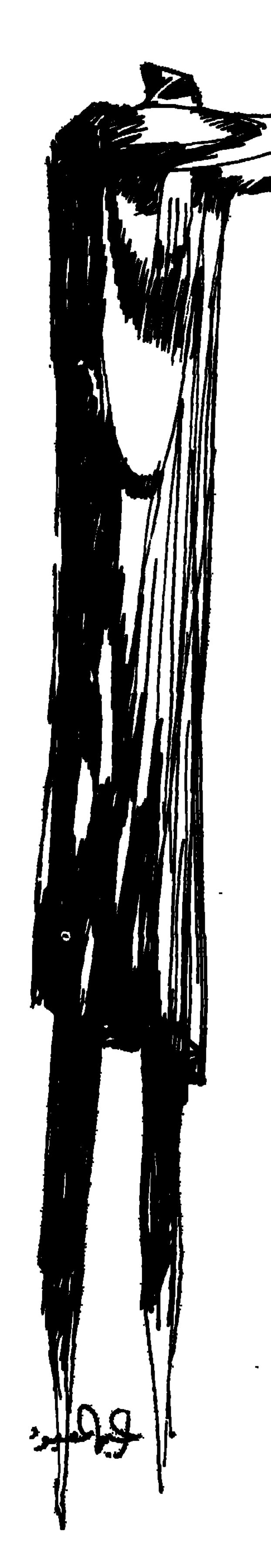
قصة انسان

شعر: راضي صدوق

وكنتُ على شفير النار
أُغنيَّةً ربيعيَّةً
دمي يبكي ، ولحنُ الحبِّ في القيثار
يسكُبُ ضوءَ أغنيَّةْ
كتبتُ على الرمال حكايتي بالماءِ
هبَّ الريحُ
جفَّ الماءُ
قيل حكايتي في التيه راحلةٌ
وقيلَ حكايتي في الغيب مطويةْ
عيونُ الأمسِ ما انطفأتْ
وأحداقُ الزُهورِ نديةُ الأجفانْ
وما زالَ العبيرُ يندُّ . .
مازال الصباحُ مورَّدَ الخدينْ
أنا وحدي الذي انطفأتْ رؤاهُ . . وذابَ في النسيانْ . .

* * *

رويت حكايتي للريح
أعولُ ، ثم أمطرُ دمعةً دمعةْ
وأغفي في قرار الصمت
مطويًا على الأحزانْ



أغثني أيها الانسانْ .
ليلي مُسملُ الأحداقِ لم ترعش به شمعةْ . .

* * *

دفنتُ حكايتي في التّيه
لم أحضن سوى جُرحي
ومزّقتُ الحروف ، كَسَرْتُ أقلامي العِجافَ
وكنتُ زرعتُ في سوقِ النخاسةِ كلَّ أوراقي . .
وأرضعتُ النجومَ نهارَ أحداقي
غداً أرخي على كتِفِ الحياةِ جَدائلَ الاحزانْ
وتحملني رياحُ اللّيلِ و النسيانْ
غداً آوي الى كهفٍ بلا دفءٍ ولا ظلٍّ
وليس لديَّ من صحبٍ سوى الديدانْ .
تمرُّ بيَ الدروبُ وتعبُرُ الركبانْ
وتضحكُ نجمةٌ عذراءُ سارحةٌ معَ الليل
هنا رَقدَتْ بقايا قصةِ الانسانْ
أكادُ أثورُ من تحتِ الترابِ . .
أكاد أصرخ من وراء الصمت :
ياويلي . . .
فتسعفني رياحُ الموت . .
تلطمني يدُ النسيانْ . .



قصة قصيرة

صالح أبو ستة أصابع

بقلم : عبد البارى عطوان

عندما كنا أطفالا . . كانت الرحلة الصباحية الى المدرسة التى تستغرق ما يقرب من الساعة مشيا على الأقدام الحافية . . مصدر نكد لنا جميعا . . ومثل كل الأطفال . . كنا نتمنى لو أن العطلة الصيفية تطول فتأكل العام الدراسى برمته ، أو نتواصع فى أحلامنا ونطلق الحبل لأمانينا بأن تصبح جميع أيام العرب والمسلمين أعيادا دينية وثورية ، حتى لا نذهب الى المدرسة ، ونتمتع بساعات نوم أطول فى الصباح ، ومساحة زمنية أكبر للعب مساء ، وعلاوة اضافية من الدراهم ، قد يجود بها أبو البنين .

صالح . . الشخص الوحيد بيننا الذى كانت حياته كلها عطل وأيامه كلها أعياد . . فقد أدار ظهره للتعليم . . وأعلن الاضراب عن الرحلة الصباحية للمدرسة منذ اليوم الأول ، وفشلت كل محاولات عقلاء أسرته فى انهاء هذا الاضراب ، سواء كانت هذه المحاولات بالضرب . . أو بالترغيب . . ولهذا السبب ، وبسبب هذه المواقف الاضرابية ، ولأسباب كثيرة سنذكرها فيما بعد ، ظل صالح موضع حسدنا جميعا .

اختلفت الأراء فى فهم شخصية صاحبنا ، وتناقضت التحليلات فى تشريح سلوكياته ، فطبيعة الحياة ، وأنماط السلوك التى اختارها لنفسه ، واصراره على التمسك بكل تصرفاته ، ومقاومة التغيير ، سواء كان بسبب السن أو الظروف ، كل هذا فرص الاختلاف ، وحتم الغموض .

كان صالح متميزا عن جميع أقرانه فى نواح كثيرة ، وأبرز مظاهر هذا التمايز ، أن الخالق أكرمه دون بقية أقرانه بأصبع زائدة فى كل قدم من قدميه ، وكل يد من يديه ، وكان طبيعيا أن يقترن هذا التمايز باسمه ، وكان ينادى عليه بصالح « أبو ستة » أصابع .

ومن صفات صاحبنا الأخرى أنه كان دائما ، مثل كل أبناء البادية مولعا بالخناجر ، يتفنن فى إبرازها من خلال حزام من الخرز والحرير الملون يزين به وسطه ، وكان متمردا حتى على البيوت والخيم ، ويهيم بالطبيعة وما توفره له من حرية وعطاء ، ولذلك اختار شجرة أثل فى حضن أحد الكثبان الرملية لتكون مقره الدائم .

الواحات الصغيرة التى تحيط بالمنطقة ، وما تحتويه من أشجار الفاكهة وأحواض الخضار ، كانت بمثابة « البوفيه » المفتوح طوال ساعات النهار والليل أمامه ، يتجول فيها وقتما يشاء ، ويعرف أطيب ثمارها ، وكل وافد جديد بين أروقتها ، حتى أن أصحاب هذه الواحات والبساتين كانوا يتباركون بزيارات هذا



الانسان المتمرد الرافض لتطور الحضارة البشرية وافرازاتها .

وكما أن « صالح » لم يعد ... الواجبات ، ولم يرتد أي حذاء في حياته ، لتعارض ذلك مع قيمه ومبادئه ، ولاستحالة وجود حذاء يناسب طبيعة قدمه المتميزة ، ولصعوبة ارتداء الأحذية بالنسبة لشخص يطوف بالكثبان الرملية عشرات المرات ليلا ونهارا كل يوم ، فان « صالح » أيضا لم يزر عيادة طبيب في حياته ، فالعيادة اليتيمة في المنطقة توجد في منطقة الحضر على بعد ساعة ونصف مشيا على الأقدام أو على ظهر دابة ، ثم أنه يؤمن بأن الخالق هو صاحب الشأن الأساسي ، وهو الشافي ، يبقى من يشاء ويأخذ الى جواره من يشاء ، وهو على كل شيء قدير .

كما قلنا في البداية ، الأراء اختلفت في تقييم وفهم شخصية هذا الانسان . . . البعض رأى فيه رجلا



صالحا من أولياء الله ، زاهدا في الدنيا منقطعا للحياة الآخرة مع طريقته الخاصة ، صلواته باطنية ، وفيه طيبة وبداوة ، وطهر الصالحين . . ورأى هؤلاء على أى حال لا يتناقض مع طبيعة منطقتنا ، فالمجانين عندنا يعاملون كعصافير الجنة ، وأحيانا يتبرك بهم أهل المنطقة، على إعتبار أن هؤلاء أعفاهم الله من الذنوب ، واختارهم الى الجنة ، وأكرمهم بمتع الدنيا وخيرات الآخرة .

المتعلمون . . من أبناء المنطقة ، الذين حسدوا « صالح » طفلا بسبب إضرابه عن التعليم ، رأوا فيه شخصا مختلا ، فيه مس من الجنون ، وليس له علاقة بأهل الصلاح . . ولكنهم في الوقت نفسه ، قبلوه كظاهرة حياتية لا يمكن نكران وجودها ، فهو على أى حال أصبح من رموز المنطقة ، وشخصياتها البارزة والمتميزة ، هذا اذا لم يكن أشهر شخصية بعد المختار ، وحلاق القرية الذى يفهم في كل المهن ابتداء من خلع الانسان ، ومرورا باصلاح الاحذية ، وانتهاء بتطبيب الحمير . . . حتى أنه في إحدى المرات حاول مزاحمة عرافة القرية في أكل عيشها ، ! عندما ادّعى مقدرته على قراءة الطالع ، ومعرفة البخت بوسائل عصرية ، ولكن هذه المحاولة العدوانية أحبطها أهل المنطقة ، وان كان صاحبنا ينتظر موت العرافة ، حتى يحظى بشرعية ممارسته لهذه المهنة .

عقلاء المنطقة رفضوا بشدة حذلقات المتعلمين ، وكذلك تفسيراتهم لسلوكيات صالح ، ولكنهم لم يقبلوا رأى البسطاء الذين أعتقدوا أنه من أولياء الله الصالحين ، واكتفوا باحتلال موقع الوسط ، وامتنعوا مثل كل العقلاء ، من اتخاذ مواقف محددة وصريحة حول هذه المسألة .

مسألة الحب والكره لم تكن واضحة عند صالح . . فلم يعرف عنه أنه كره أحدا ، كما أنه أيضا لم يظهر أى حب علني لأى أحد . . فهو على أى حال شخص قليل الكلام . . يؤمن بفضيلة الصمت . . وحتى وأن تكلم فان نفسه أولى بهذا الكلام . . أما الآخرون فليس لهم منه الا ابتسامة عريضة ، ولكنها ليست بلهاء على أى حال .

موقف صالح من المرأة كان مثل تمتماته . . غير مفهوم على الاطلاق . . ولم يعرف عنه أنه لاحق أيا من فاتنات المنطقة ، رغم أن البعض منهن لم يُخفِ اعجابه بعضلاته المفتولة ، وصدره العريض ، وشعره الطويل المتهدل على كتفيه في غير تأنث .

أما عن نظرته للوطن ، ومواقفه السياسية ، فلم تكن واضحة تماما ، وان كان دوما يظهر امتعاضه وكرهه الشديد كلما ترددت كلمة اليهود على ألسنة أهل المنطقة . . وكان - على ذمة أمه - يترحم دائما على روح والده ، فكل ما هو معروف أنه تسلل بعد نكبة عام ١٩٤٨ الى منزله القديم في الأرض المحتلة لاحضار بعض القمح من « الخوابي » ، ولكنه لم يعد حتى الآن .

بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، وقعت مملكة صالح تحت الاحتلال اليهودى ، ومع هذا الاحتلال بدأت كلمات وتعابير جديدة تدخل قاموس هذه المملكة ،

مثل حظر التجول ، والبحث عن المخربين ، وحملات اعتقال ، وبطاقات شخصية . . ورغم أن الجميع فى المنطقة قد تقيدوا بتعليمات الحاكم الجديد ، واستوعبوا مفاهيم هذه العبارات دون استخدام القواميس ، الا أن « صالح » ظل منفردا فى التمرد والرفض ، ولم يغير برنامج حياته اليومى فى التجوال بحرية وبدون أى أوراق ، وأقل القليل من الملابس .

تجوال صاحبنا الليلى أثار الهمسات فى أوساط مجالس المنطقة ، خصوصا بعد أن لاحظ البعض أن هناك مسدسا يتدلى من خاصرته بدلا من الخنجر . . وأدعى احدهم أنه شاهده فى احدى الليالى وهو يتقلد بندقيته من النوع الذى كان يتسلح به الجيش المصرى الذى كان يرابط فى المنطقة لحمايتها من العدوان ، وترك أكثر هذا السلاح بعد سقوطها فى يد اليهود .

هذا التطور المفاجىء فى حياة صالح أثار القلق والهمس فى جميع الأوساط . . القلق على حياته . . والهمس حول ما يمكن أن يفعله بهذه الاسلحة ، أو ما يمكن أن تسببه له اذا ما عرف الحاكم من خلال عيونه بأمرها .

اعتداءات الحاكم على عذرية منطقة صالح بدأت تتصاعد . . ولكنه لم يتصور أن تصل هذه الاعتداءات الى حدود مملكته الخاصة . . وتهدد باقتلاع مقره الدائم ، فقد قرر هذا الحاكم شق طريق ساحلى يخترق المنطقة ، ويسهل على العربات والدبابات عمليات مطاردة رجال المقاومة ، الذين بدأوا يتحركون وينفذون بعض الأعمال الفدائية ، ويلجأون للكثبان الرملية كقواعد آمنة .

ومن سوء حظ صالح أن هذا الطريق مر فوق شجرة أثله المفضلة التى رافقته فى رحلة العمر ، وشاركته معظم أسراره ، واطلعت على كل خفاياه ، واحتوت عند جذورها كل كنوزه من ودائع .

عندما وصلت الأشياء الى صالح عبر أهل الخير ، قال الرواة : انه أصيب بحالة هيستيريا لا يمكن وصفها ، وشوهد وهو يقبل أغصان أثلته غصنا غصنا ، ويبلل أوراقها المدببة بدموعه التى انهمرت وظهرت لأول مرة أمام البشر ، وقد هز هذا الموقف الحاضرين ، وأبكى كل نساء المنطقة وذوى القلوب الرقيقة من الرجال عندما سمعوا رواية الرواة عن الحادثة . فالجميع يعرفون حب صالح لهذه الشجرة ، بل أنها ربما كانت الحب الوحيد فى حياته .

فى فجر أحد الأيام التى تعد بالمزيد من المضايقات والقهر والاعتقالات ، أفاق أهل المنطقة على دوى انفجارات وطلقات رصاص تمزق السكون . . الانفجارات استمرت للحظات معدودة ، ساد بعدها صمت طويل قلق . . لم يجرؤ أحد من أهل المنطقة على استيضاح الأمر . . فالتجول محظور . . والسلطات لا ترحم .

مع الساعات الاولى لليوم المشمس بدأت ملامح الموقف تتضح . . عربة نقل عسكرية مدمرة ومحروقة تماما هى ومن فيها . . ومجنزرة أخرى معطوبة . . وبركة دماء .

على جانب الطريق كانت هناك جثة مشوهة لشاب عربى . . عارى الصدر . . كثيف شعر الرأس بغير تأنث . . وأصبع زائد فى كل قدم ويد . □

●

الأسود والأبيض !

فى الشعر الأفريقى نستطيع أن نلمس الحقيقة الطبيعية وهى أن الكثير من التعبيرات والمعانى تتناقض تماما مع ما نجده فى قصائد الشعر التى ينظمها الرجل الابيض . فاللون الاسود عندهم دليل السعادة والعاطفة والحب والصحة ، بينما ترى اللون الابيض وقد اقترن بالضعف والحزن والموت والقمع .

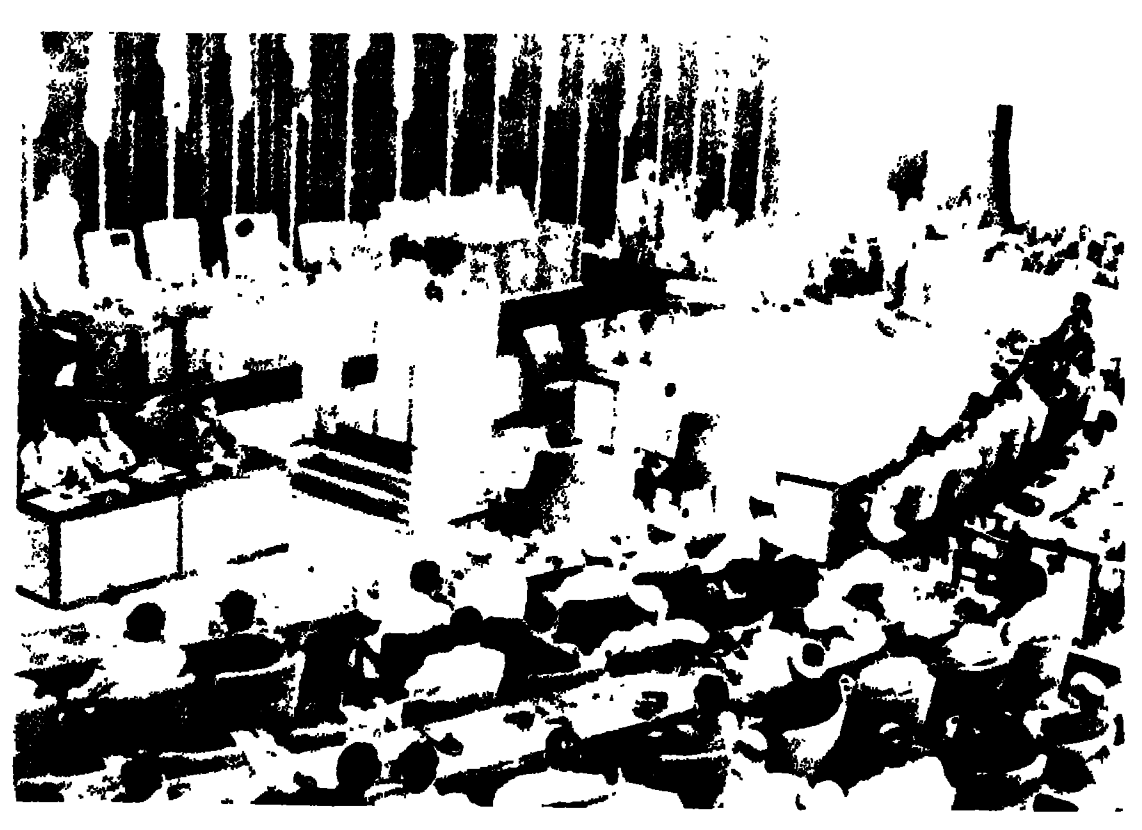
« اريك سلين »

باندونج ، مؤتمر «ابريل ١٩٥٥»

في الثامن عشر من هذا الشهر تمر ثلاثون سنة كاملة على انعقاد مؤتمر باندونج التاريخي ، الذى عقد في ذات المدينة التي يحمل اسمها في اندونيسيا ، وقد حضر المؤتمر ٢٩ دولة افريقية وآسيوية ، واستبعدت منه الدول الغربية ، وان كانت قد مثلت بمندوبين غير رسميين . وسيظل مؤتمر باندونج إحدى العلامات الأساسية والرئيسية في تاريخ الفكر السياسي ، ضمن ما يعرف بأهم أحداث عالم ما بعد الحرب العظمى الثانية ، فمنه تفرعت فكرة منظمة الدول الأفرو آسيوية ، وعرف العالم مجموعة دول عدم الانحياز ومبدأ الحياد الايجابي ، وعنه تبلورت أول فكرة لاجراء حوار بين الشمال والجنوب ، أو بين العالم الغنى والعالم الفقير ، وذلك لرفض الدول المشاركة في المؤتمر للنظام الاقتصادى والسياسى الذى أفرزته الحرب العالمية الثانية ، وادانة الإجحاف اللاحق باقتصاديات بلدان العالم الثالث واستغلال ثرواتها . وأسفر المؤتمر ضمن ما أسفر عن تعزيز نضال شعوب العالم الثالث ، من أجل الاستقلال وتصفية الاستعمار ، وفيه برزت الصين كقوة دولية تحريرية ، الأمر الذى قاد بعد ذلك ـ وفي وقت لاحق ـ الى اجراء أول محادثات صينية ـ أمريكية في جنيف ، وفي أروقة المؤتمر تم الاتفاق على أول صفقة سلاح من الصين الشعبية الى مصر . وعلى نفس مستوى الآثار والنتائج فقد كان لظهور كتلة المجموعة الافرو آسيوية في الأمم المتحدة ـ بما تمثله من نصف سكان العالم ، والتى تتكون من الأقطار التى استقلت وقتها ـ أثر بالغ في تغيير طبيعة العلاقات الدولية المعاصرة .

ولم يكن مؤتمر باندونج خطوة أولى لقادته (نهرو ـ تيتو ـ عبد الناصر ـ سوكارنو ـ شو اين لاى) بقدر ما كان خطوة على طريق طويل بدأ بالتحديد منذ عام ١٩٢٠ ، وحتى تبلورت في باندونج عام ١٩٥٥ ، وبين التاريخين مرت الفكرة بعدة خطوات ومراحل ، فعقب انتهاء الحرب العظمى الأولى وانتهاء أعمال مؤتمر الصلح بباريس واعادة توزيع مناطق النفوذ وغنائم الحرب عقد في العاصمة الفرنسية مؤتمر لممثلى « شعوب افريقيا وآسيا المضطهدة » ، وبعد هذا المؤتمر بثلاثة اعوام فقط عقد في لندن عام ١٩٢٣ مؤتمر لنفس الغرض ، وبذات الاسم ، وفي نفس الوقت كانت ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ أحد العوامل التى تساهم في زيادة التفاعل في المجتمع الدولى بمناهضة الاستعمار وتحرير شعوب العالم الثالث ، الأمر الذى أسفر في النهاية عن انشاء رابطة مناهضة الامبريالية عام « ١٩٢٤ » والتى بادرت الى عقد مؤتمر للشعوب المقهورة في موسكو .

وفي عام ١٩٢٧ عقد مؤتمر بروكسل الذى وصفه نهرو بأنه « أول تعبير حماسى لفكرة قدر لها أن تتحقق فيما بعد في مؤتمر باندونج . وبعد الحرب العظمى الثانية توالت الأحداث وتصاعدت حركات مناهضة الاستعمار لتدفع العجلة في اتجاه باندونج ، فكان



انشاء جامعة الدول العربية وانعقاد المؤتمر العربي بالقاهرة عام ١٩٤٤ ، ومؤتمر العلاقات الآسيوية فى نيودلهى عام ١٩٤٧ الذى حضره أكثر من ٢٥ بلدا آسيويا،ناقشوا فيه مسألة تصفية الاستعمار والتخلف ، وفى نفس الوقت تشكلت فى الأمم المتحدة كتلة من ١٢ بلدا ، أطلق عليها فى البداية اسم المجموعة العربية الآسيوية ، ثم بعد انضمام مصر واثيوبيا اليها سميت بالكتلة الافرو آسيوية ، وكانت هذه المجموعة تحاول أن تنهج سياسة محايدة بين الشرق الغرب .

كل هذه المقدمات أوصلت الى مؤتمر باندونج لذى عقد فى الفترة من (١٨ ـ ٢٥ ابريل ١٩٥٥) والذى كرس ولادة ما عرف بالمجموعة الأفروآسيوية كظاهرة معادية للاستعمار ، وفى عام ١٩٥٧ عقد مؤتمر القاهرة حيث حضره ٤٧ وفدا غير رسمى ، صدرت عنه مقررات أكثر جذرية وتصلبا ضد الغرب ، وفى سبتمبر ١٩٦١ عقد مؤتمر بلغراد بغياب الصين والاتحاد السوفيتى ، وتحددت فيه فكرة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وكان أبرز مشاركى المؤتمر (تيتو - عبد الناصر - نهرو) ، وفى عام ١٩٦٢ - ١٩٦٥ شهد العالم : استقلال كثير من الدول وانضمامها الى الأمم المتحدة ، وشيئا فشيئا أخذت تذوب فكرة تجمع البلدان الافرو آسيوية ، وتضيع فى فكرة عدم الانحياز ، ويبدو أن حصول بلدان افريقيا وآسيا على استقلالها قد أسقط الهدف التاريخى الذى كانت تتحرك نحوه ، فلم تستطيع أن تتجمع هذه البلدان حول قضايا النظام الاقتصادى العالمى ، وديون العالم الثالث واصلاح النظام النقدى ، مثلما كانت تتجمع وتتخذ المواقف نحو الاستقلال السياسى الذى رغم نيل غالبية البلدان له مازال لدى البعض ظاهريا ، ولم تستطيع بعد أن تخلص نفسها من دائرة التبعية ، وتتجمع فى موقف موحد ، مثلما كانت من ثلاثين عاما فقط .

اللثة
هذا الجهاز النبيل !

بقلم الدكتور : حكم المأمون

ما الذي تقدمه لنا اللثة من خدمات . . . ؟ وما هي الأمراض التي تصيبها ؟وكيف نتجنب تلك الأمراض ؟ وما هي عواقب الاهمال ؟

هذا النسيج الوردي اللامع الذي يحيط باسناننا والذي يتكون من بشرة سطحية ، وتحتها نسيج ليفي مرن ، ثم الياف غرائية تتصل بالطبقة العظمية للفك السفلي (Mandibular) وكذلك بالنسبة للفك العلوي (Maxillary) ، وتحوي شرايين صغيرة وأوردة صغيرة كذلك ، ونهايات عصبية وغدد لعابية صغيرة . فماذا يفيد هذا الجهاز النبيل ؟

اللثة وخدماتها

أ ـ تثبت الاسنان الى العظم ، وتلتف كالسوار حول كل الاسنان فتمنعها من التخلخل .

ب ـ تحتوى اللثة على غدد لعابية صغيرة تشاهد مجهريا ، ترطب الأسنان وتنظفها من فضلات الطعام بشكل غريزي ، وتنظف أيضا الفم واللسان بواسطة اللعاب الذي يحوي في تركيبه على ٩٠٪ من الماء .

جـ ـ تشكل جهازا مناعيا بما تفرزه من مضادات حيوية وبعض الأدوية المتناولة عن طريق الجهاز الهضمي ، والتي تفرز عن طريق اللثة مثل الاريثرومايسين ، مما يؤمن صيانة الفم وجهاز الهضم وحفظهما من الأمراض ، كما تساعد في ذلك اللوزتين كجهاز مناعي خلفي داخل البلعوم .

د ـ ان اللثة تشكل بالنسبة للطبيب المرآة الصادقة والصحيحة والمؤشر الأول والأكيد لكثير من أمراض الجسم العامة ، مثل اليرقان وعسر الهضم وداء السكر وفقر الدم واللوكيميا وغيرها من الأمراض الجلدية مثل الزهري . . . الخ . مما يساعد الطبيب على الكشف المبكر للمرض ومعالجته قبل أن يستفحل .

الأمراض التي تصيب اللثة

تنقسم امراض اللثة من الناحية الأكاديمية الى ثلاثة أقسام وهي :



اصابة اللثة بالضمور (Atrophy)
اصابتها بالاستحالة (Displasia)
اصابتها بالأورام السليمة (Benign) والخبيثة (Malignant)

وأشهر الأمراض اللثوية من الناحية السريرية (النساع) ، داء تخلخل الاسنان ، انه مرض لثوي عظمي ، ذو علاقة كبيرة بالأمراض العامة وليس بمرض سني . والمعالجة السنية فيه معالجة مرحلية ليس الا ، وسببه الباكتريود ، الذي اكتشفه ودرسه الطبيب الأمريكي ماك دونالد (١٩٠٥) وهو عبارة عن مزيج جرثومي طفيلي يتألف من المغزليات والخيطيات والعصيات وأحيانا المبيضات البيض ، حيث يتواجد في أمعاء المريض ويثبت نفسه في الجيوب اللثوية المرضية ، وهي عبارة عن مسافة واسعة بشكل كيس صغير جدا يفصل بين السن واللثة ، من جميع الجوانب قرب أعناق الاسنان .

واصابة اللثة بهذا المرض يدل الطبيب على مؤشرات كثيرة منها داء السكري وفقر الدم وغيره . . . الخ .

ومن أشهر الأمراض أيضا القلاع ، وهو معروف تماما لدى الناس ، بأنه بقعة صغيرة مؤلمة لونها أبيض مائل للاصفرار ، تظهر على باطن الشفة أو الخد أو في دهليز الفم ، بين اللثة وباطن الخد ، وهي مؤلمة جدا وسببها فيروسي ، ومعالجتها موضعيا بالكي بواسطة محلول نترات الفضة ١٪ . أما بقية أمراض اللثة فهي عرضية ان لم تكن ذات منشأ هضمي أو جهازي ، أي بسبب أمراض عامة مستوطنة أو أمراض وراثية . وهناك بعض التناذرات أي المتلازمات التي وصفها العلماء مثل ـ تناذر كوشر ، وتناذر خلوصي بهجت (آفات قلاعية اندفاعية على الجهاز التناسلي ، آفات اندفاعية على الملتحمة ، فرط نشاط الدرق وجحوظ في العينين) وداء باجيت وغيرها من الأمراض التي تتبدى اللثة فيها بضخامة غير طبيعية . وهناك ضخامة لثوية تنشأ من تناول بعض الأدوية ، مثل الديلانتين وهو دواء مضاد للصرع والسكوبولامين وغيره . . الخ .

وهناك أيضا مظاهر لثوية لمرضى بعض المهن مثل مهنة (عامل المطبعة) وعامل الدهان وكلها تصبغات لثوية ناتجة عن ترسبات لمواد كيماوية داخل اللثة مثل الزئبق ـ الرصاص ـ الزرنيخ . . الخ ، مما يؤدي الى تسمم هذا الجهاز النبيل وضموره وتأذي الخلايا الحية فيه وابعادها عن وظائفها الحيوية والفيزيولوجية . وهناك أيضا عقيدات بون وهي أورام سليمة بشرية

بشكل انتفاخات صغيرة بيضاء ، تظهر على الفك السفلي لدى الطفل الحديث الولادة ، وتزول تلقائيا وكذلك لآلىء ايبتسنين وتظهر في قبة الحنك . وهي من الأورام البشرية التطورية .

الاسقربوط

مرض قديم ومعروف ، سببه نقص فيتامين (C) له مظاهر لثوية مرضية معروفة ، أصيب به جنود نابليون بونابرت في غزواتهم البحرية في المحيط الاطلسي .

الطلاوة

وهي غشاوة رمادية مائلة الى اللون الفضي ، تظهر على اللثة أو اللسان أو الشفة أو باطن الخد ، وأحيانا على الأصابع ، ولها ميل كبير للتسرطن ، وسببها وبشكل رئيسي وأكيد ، التدخين بأنواعه

هذه بعض أمراض اللثة بشكل موجز ، لأن الخوض في هذا الموضوع لا يكفيه مجلدات عديدة .

فكيف نتجنب أمراض اللثة وعواقبها ؟

إن أول من يكتشف بعض الأمراض العامة التي لها تظاهرات خاصة بالفم مثل فقر الدم أو سرطان الدم أو الداء السكري ، هو طبيب الاسنان ، حيث يلاحظ لدى المريض لثة متورمة حمراء لماعة حليماتها منتبجة ونازفة - أو يلاحظ لثة كامدة تحوي على بقع سوداء وحليمات ضامرة باهتة خشنة الملمس .. الخ . يطلب الطبيب فورا من المريض اجراء بعض التحاليل الطبية ثم الباثولوجية ، ثم يقدم للمريض النصائح التالية :

- مراجعة طبيب الصحة العامة أو الطبيب الاخصائي لمعالجة مرض ما ، وابراز التحاليل ودراستها ، حيث تساعد الطبيب كثيرا في معرفة التشخيص المناسب .

- عدم وضع الأوساخ والعيدان الوسخة وأقلام الرصاص من قبل الأطفال داخل الفم ، وابطال عادة مص الأصبع ومص الشفتين وغيرها وهي من





اذا فقدت اللثة كيف تكون الحالة لدى الانسان الآدمي ؟

العادات السيئة لدى الصغار وتلاميذ المدرسة

- تنظيف الاسنان بشكل دوري كل سنة عند طبيب الأسنان ، وفحصها كل ستة أشهر ، واستعمال المسواك أو فرشاة الأسنان بعد كل طعام

- المحافظة على استعمال معاجين مزودة بالفلورايد ، والمحافظة على تناول فيتامين (C-D-B complex) بشكل مناسب، لأن نقص الفيتامينات كثيرا ما يؤذي اللثة ويجعلها شاحبة متورمة - محمرة - نازفة . . . ويؤدي أحيانا الى تخلخل الأسنان (الدرجة الرابعة) .

- المضمضة بسوائل مطهرة مثل (دانتول) - أو سائل بونان أو صبغة اليود بين فترة وأخرى حسب ارشاد الطبيب .

- عدم الافراط في وضع (الكوردون) نكاشة الأسنان بين الأسنان ، لأنها غالبا ما تحدث تهدما بالنسيج اللثوي وتقيحه ، اذ تنكسر بين الأسنان وتؤدي من جديد الى تراكم الأطعمة والالتهاب اللثوي والنخر .

- نخر الأسنان يؤدي الى اصابات لثوية مختلفة - احتقان - تواج - أكياس - خراجات - مراجل لثوية وغيرها ، لذلك يجب الاسراع الى ملء الاسنان النخرة بالمواد الحاشية الطبية المعروفة .

- عدم اللجوء الى باعة الأسنان المتجولين الذين يصنعون للناس تركيبات سيئة غير علمية وغير مدروسة . وبالتالي تؤدي الى نشوء خراجات لثوية وتقيحات نحن في غنى عنها في القرن العشرين .

- الابتعاد ما أمكن عن عادة التدخين بجميع أنواعه ، أو الاقلال منه ما أمكن ، لأنه يسبب الطلاوة في حالات متقدمة منه ، ويصاب بالطلاوة من الامريكيين في كل عام حوالي ٤٥٪ من المدخنين المتقدمين للفحوص عند أطباء الأسنان ، ٢٥٪ من هؤلاء تحولت الطلاوة لديهم الى سرطان شائك الخلايا في عام ١٩٦٨ .

- الاسراع في لقاح الأطفال ضد بعض الأمراض السارية ، مثل الحصبة والسل وحمى التيفوئيد



الورم الحملي

وغيرها ، لأنها ذات أعراض لثوية مزعجة عند الأطفال .

- اعتناء الأم الحامل بتنظيف أسنانها لأن الورم اللثوي الحملي ، سببه اهمال نظافة الأسنان لديها أو وجود نخر قديم ، وهو ورم سليم يزول بزوال السبب .

- المواظبة على تدليك اللثة بالاصبع المرطبة بالماء والنظيفة ، مما يؤمن تروية دموية جيدة للثة وباطن الخد .

نصائح الى فاقدي الأسنان

- غسل الوجبة (طقم الاسنان) جيدا بعد كل طعام بالماء والصابون وفرشاة الأسنان ، ثم وضعها بمحلول مطهر بعد العشاء حتى اليوم التالي .

- استعمال بعض المضامض المطهرة قبل النوم مثل محلول (أودول) أو سائل (Atorhinal) وتدليك اللثة بالاصبع المبللة بالماء .

- تغيير وجبات الاسنان اذا كانت قديمة وذات أسنان غير فعالة في القطع ، وذلك مما يقلل الارهاق اللثوي والخدوش والضغط السلبي على اللثة وبالتالي ارهاق عضلات المضغ ، مما يسبب بعض الآلام المزعجة للمريض .

ونصح المرضى بمراجعة اخصائيين في الغدد الصم اذا ما تعذر اكتشاف اسباب بعض الأورام اللثوية من قبل طبيب الاسنان ، لما لها من علاقة كبيرة بأمراض الغدد الصم مثل ضخامة الغدة الدرقية ، وضمور الفص الامامي للغدة النخامية . □





اهمال العناية بالاسنان عند الاطفال



... وصراع تحت الشمس

استطلاع : سليمان مظهر
تصوير : سليمان حيدر





ملقا . . اسم لمدينتين . . تبعد كل منهما عن الأخرى عشرات الآلاف من الأميال . . إحداهما في جنوب شرق آسيا . . والثانية في جنوب شرق أسبانيا . . ولكنهما تشتركان معا في أنهما كانتا نقطة انطلاق لانتشار الاسلام في البلاد التي تتبعها كل منهما . . واذا كانت ملقا الأسبانية غير مجهولة للكثيرين . . فماذا يمكن أن نعرف عن ملقا الأسيوية ؟

***

ماذا تقول عن مدينة . . عاشت طوال عمرها الذي يتجاوز ستمائة سنة ـ جميع أنواع الصراعات . . وهي قابعة على مداخل خليج ضيق ، تتصارع على صفحته مياه المحيط الهندي الصاخبة ، ومياه المضيق المخنوقة ، مع مياه النهر العذبة الهادئة . .

وطوال السنوات الستمائة ، ظلت الشمس تشهد ـ خلال المسيرة بين الشروق والغروب ـ مختلف الصراعات التي تجري على أرض ملقا . . صراع القراصنة . . صراع الأشقاء . . صراع الأصدقاء . . صراع شعب يبغي الحرية . . صراع المقاومة ضد الاستعمار . . صراع المستعمرين وجها لوجه . . ثم صراع القديم والجديد . . !

وكل ذلك . . ما تزال آثاره باقية في كل ركن وزاوية وشارع ومبنى . . تشم فيها كلها عبق التاريخ . . !

ومع أول خطواتك في شوارع المدينة ـ التي تعتبر أبرز المدن التاريخية في ماليزيا ـ تتنسم ريح أول الصراعات .

فهنا ـ كما في كل مكان من شبه جزيرة الملايو ـ تحكي ملامح الوجوه كيف تكون مزيج من الملايويين والبرتغاليين والهولنديين والصينيين والهنود والعرب والانجليز وأجناس أخرى كثيرة . . كما تحكي الأطلال التي مازال بعضها صامدا،كيف اختلطت المعابد الصينية والهندية بالقلاع البرتغالية والأسوار الهولندية والمباني الانجليزية والمساجد الاسلامية . . وخاصة حين كان الغزاة الأوربيون يلجأون لانشاء حصونهم ودفاعاتهم إلى هدم القبور والمساجد ليستخدموا حجارتها لتقوية مبانيهم . .

وحين تلتقي بالناس تجد أن أجيالا كثيرة تداخلت فيها العناصر الملايوية والصينية والبرتغالية . . وتعرف أن الصينيين الموجودين في مدينة ملقا يطلقون على

أنفسهم اسم « نيوتاس » و « وباباس » . بمعنى السيدات والسادة من السلالة الصينية . . وقد تميزوا بطريقتهم الخاصة في الحياة وبتقاليدهم وعاداتهم التي يتبعونها وفيها الخليط من العادات الملايوية الصينية . وتجد جماعات يتكلمون اللغة البرتغالية من أبناء الشعب . . ولكنهم يتكلمونها بلهجة خاصة تسمى « كريستاو » ويسميها البعض لغة البرتغاليين في القرن السادس عشر . وتدرك أن أصحاب هذه اللغة هم أحفاد البرتغاليين المستعمرين الأوائل . . وهم يقيمون في مجتمعات مستقرة في ملقا . . على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من وسط المدينة . . على شواطىء المضيق . . ويبلغ عددهم حوالي ٥٠٠ فرد أغلبهم من الصيادين .

عودة الى الماضي

على أن ملقا بالذات لم تظهر إلى الوجود كمدينة قوية الا مع أحداث قصة ارتبط بها الاسم الذي عرفت به بعد ذلك طوال التاريخ . .

فهناك . . في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة الملايو . . كانت جزيرة سنغافورة تتعرض باستمرار لهجمات متواصلة تشنها عليها امبراطورية « ماجاباهيت » الهندية في جاوة . وكانت الجزيرة في الأساس ـ تحت حكم ملكها « بارامزوارا » آخر ملوك تيماسيك الذين حكموا سنغافورة طوال قرنين ـ تتمتع بنفوذ وسلطان تجاري أثار أحقاد الجاويين . وكان لابد للهجوم المركز على الجزيرة أن يتيح النصر في النهاية للامبراطورية الهندية القوية ، وأن يضطر الملك للهرب ، ومعه ١٥٠٠ من أتباعه وأفراد أسرته ، حيث استقر بهم المقام على الساحل الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة عام ١٤٠٣ .

ويحكون أنه حدث يوما ـ بينما كان الملك الطريد يقوم برحلة صيد في الأرض الفسيحة القريبة من إحدى قرى صيادي السمك ـ أن شهد معركة ضارية بين أحد كلابه المدربة وغزال أصر على المقاومة بعنف حتى استطاع أن يفلت بحياته . وهتف الملك : ياله من غزال شجاع . . إن هذه الأرض التي تنجب مثل هذه الغزلان تثير إعجابي . . فحطوا هنا رحالنا .

ووقف الملك يتابع رجاله وهو يستظل بشجرة وارفة الظلال . ورفع بصره إليها يتأمل أغصانها وأوراقها . . إنها شجرة « ملاكا » . وإذن فلتكن ملاكا هي الاسم الذي يطلقه على مقره الجديد . وتحت حكم « بارامزوارا » من هذا المقر امتدت ملاكا ـ والتي تعرف الآن بملقا ـ لتصبح من أهم الثغور ومراكز التجارة في منطقة جنوب شرق آسيا .

يقول لنا مرافقنا « باشو » وهو يشير الى الشاطىء المقابل من النهر حيث تستلقي مجموعات من البيوت القائمة على أعمدة ترفعها عن سطح الماء وتتحرك بينها قوارب كالجندول :

ـ هنا كان أول لقاء بين « بارامزوارا » ومملكته الجديدة . . وحيث تلتقي مياه المضيق بمصب النهر ، التقى الملك ورجاله بالتجار العرب وصيادي الأسماك الذين أسعدهم أن يلتقوا بملك قادم من الجنوب .

ويعتقد بعض المؤرخين أن ملقا أو « ملاكا » محرفة من كلمة « ملاقاة » العربية للدلالة على أنها كانت موقعا يتلاقى فيه التجار من مختلف البلدان والشعوب منهم الهنود والفرس والعرب .

أهالي البلاد والاسلام :

يضيف الحاج باشو : الملك « بارامزوارا » هو نفسه السلطان محمد اسكندر شاه كما تسمى بعد أن اعتنق الاسلام .

فقد حدث يوما أن رست على شواطىء ملقا سفينة آتية من جدة ، يقودها سيدي عبدالعزيز . . أحد القضاة القادمين من بلاد العرب .

وأحسن الأهالي استقبال الرجل الذي كان يتحدث عن الاسلام وفضائله ، وحين سمع الملك عن وجود القاضي العربي في أرضه ، دعاه الى القصر .

وكانت فرصة مناسبة عرف سيدي عبدالعزيز خلالها ، كيف يملأ صدر الملك بالإيمان بالدين الجديد . وبعد أن أعلن الملك إسلامه ، دعاه الشيخ لأن يتخذ اسما جديدا يحمل اسم النبي العظيم . . . فتسمى بمحمد اسكندر . . ودعا أهالي البلاد إلى الهداية معه فاستجابوا له ، وقامت بذلك أول مملكة إسلامية في هذه البلاد . . ومنها أخذ الاسلام ينتشر في بقية أنحاء شبه الجزيرة .





مسجد « ترانكويراه » بمئذنته التاريخية مثال حي على تقدم الفن المعماري بجزيرة سومطره بأندونيسيا في ذلك الزمن .. أما المنبر حيث يلقي الامام حاجي رحمة شاه خطبة الجمعة فطرازه صيني مذهب وقد أقيم منذ ٢٥٠ سنة . والى اليمين مقرىء المسجد يتلو في كتاب الله .

على جســر ملقــا :

في عهد السلطان محمد الاسكندر شاه ازدهرت مملكة ملقا الاسلامية ، وامتد نفوذها واتساعها حتى أصبحت أقوى دولة في جنوب شرق آسيا . وبلغ عدد سكانها وهي في ذروة قوتها ، حوالى ٤٠ الف نسمة أغلبهم من الملاويين وبعضهم من المستوطنين الصينيين والهنود . وامتدت المدينة على جانبي النهر وانقسمت الى شطرين . . على الجانب الجنوبي قصر السلطان والقرى الملاوية . . وعلى الجانب الشمالي بيوت ومخازن التجار الذين يمثلون الثروة والرخاء واليد العاملة للمدينة .

ونقف على شاطىء نهر ملقا ونطل على الجسر الجديد الذي يربط بين الجانبين . . تماما كما كان مثله يربطهما قبل مئات السنين . .

زرافات من الناس تتحرك على الجسر حيث لجأ بعض التجار الى إقامة محلات صغيرة وأكشاك على جانبيه . وعربات « التريشو » ذات العجلات الثلاث تحمل الزوار ، ليشهدوا معالم المدينة بطرقاتها الضيقة ودكاكينها القديمة ومعابدها المتباينة ومساجدها التي تختلط فنون معمارها . ولا بأس من أن ينزلوا من «التريشو» عند بعض الأماكن ليتجولوا بين الخرائب والآثار .

هنا تبدو صورة التاريخ اكثر وضوحا . . فعلى الجانب الأيمن ، حيث تقوم مبان هي أدلة حية للمستعمرين الذين توالوا على ملقا ، كان مقر السلطان قبل مئات السنين يبدو بسيطا وهو يمثل عصب الحياة . وكان للفلاحين والصيادين والتجار والاشراف الحق في أن يتقدموا بمطالبهم الى السلطان في قاعة المظالم . . حيث كان يجلس فوق منصة عالية يحيط به رجال البلاط وأركان الحكم .

من ذلك القصر انطلق رجال السلطان يزرعون حبوبا جديدة لم يكن السكان من الصيادين يعرفونها من قبل . وبدأ عدد منهم يتحول إلى الفلاحة لاستثمار الأرض . واكتشف الرجال خلال حرثهم للأراضي الداخلية رواسب القصدير . وبالتدريج ـ ومع نمو المجتمع ـ بدأت السفن المارة بالمضيق تقف عند ملقا للتزود بالطعام وأنواع التجارة . وبدأت أخبار هذا الميناء الجديد تنتشر ليتسع من بعد بمركز تجاري هام ولتلتقى فيه تجارة الصين والهند والعرب ، ولتتدفق الأموال والثروات على المدينة من خلال الضرائب والمكوس التي كانت تفرض على البضائع الآتية إليها . . كل ذلك في الوقت الذي أصبحت فيه مركز اشعاع ودعوة للاسلام .

وفي الواقع أن ملقا لم تكتسب أهميتها فقط من وقوعها على الطريق التجاري الرئيسي الذي يربط الشرق بالصين ، والغرب بالهند وأوروبا ، ولكنها أيضا تتميز بأن الميناء عميق إلى الحد الذي يكفل سهولة الابحار والمرور ، كما أنه لا يتعرض للتيارات المائية أو الدوامات العنيفة ، أما الرياح الموسمية الشمالية الشرقية فتفتح الطريق أمام السفن الصينية والسيامية والجاوية ستة شهور في السنة . . وفي مايو تقبل السفن العربية والهندية مع الرياح الموسمية الجنوبية الغربية .

الصيــن والحمايــة :

في ذلك الوقت كان امبراطور الصين « مينج » يمد نشاطاته . وفي عام ١٤٠٩ أرسل قائده البحري الأميرال « شينج هو » لزيارة ملقا وإبلاغ حاكمها استعداده لأن يسبغ عليها الحماية لمواجهة المعتدين . وحمل الاميرال معه هدايا من البورسلين الصيني الملون لكسوة جدران وأسقف قصر السلطان .

واستقبل السلطان بسعادة بعثة « مينج » والعرض الذي حملته معها . فقد كان يأمل من وراء ذلك أن يضمن الحماية في مواجهة السياميين (التايلنديين) الذين كانوا قد أخذوا يتجهون جنوبا خلال شبه جزيرة الملايو باتجاه ملقا .

ومع استجابة السلطان للعرض الصيني ، أعلن الامبراطور أن مملكة ملقا تحت الحماية الصينية . وأكد ذلك بعهد مكتوب وعباءة حريرية ومظلة صفراء ، هي الرمز الملكي الذي ما زال قائما حتى الآن في ماليزيا .

وكان استعداد السلطان محمد اسكندر شاه لقبول الحماية الصينية خطوة دبلوماسية ذكية ، لأنها لم تسبغ الحماية في مواجهة السياميين فحسب ، بل لقد منحت أيضا قيمة واحتراماً لملقا ، وأتاحت لها الفرصة

...يد من الاهتمام بتجارتها وتنمية مواردها ودعم ...ركزها كميناء تجارى هام .

...إلى المعبد والتل الصينى :

تاريخ هذه العلاقات مع الصين ندركها ونحن نتجاوز مداخل المدينة عابرين الجسر الى طريق « جيلانجانج » . هنا نقف عند معبد « شنج هون تنج » أقدم المعابد الصينية فى المنطقة . والذى يعود الى الروّاد الأوائل من الصينيين حين زار الاميرال « شنج هو » ملقا موفداً من الامبراطور « مينج » .

المبنى يبدو مثلا رائعا لجمال العمارة والفن الصينى ، بسقفه المنحنى وزخارفه البارزة ، وتماثيل الأساطير والحيوانات والاقنعة والطيور والزهور المنقوشة بالزجاج الملون والبورسلين .

على بوابات المعبد التى تتصدرها رسوم التنين .. نقوش حفرت على الأحجار ذكرى للزيارة التى قام بها الاميرال الصينى .. أمّا داخل المعبد فممرات كالكهوف يتصدر كل ركن منها أحد التماثيل البوذية تتقدمها الشموع ويضوع حولها أريج البخور .

ويتحرك الرهبان البوذيون فى أرديتهم الصفراء بين الاعمدة .. بينما المتعبدون الصينيون برءوسهم المحنية يتنقلون بين تمثال وآخر ، من تماثيل بوذا وهم يحملون أعواد البخور فى أيديهم ، ينشرون ريحها ليعبق المكان .

ثم نتحرك الى التل الصينى فى الجهة الأخرى من المدينة . هذا التل يحمل أكثر من صورة من تاريخ العلاقات مع الصين .

والتل الصينى .. أو « بوكيت شينا » كما يحبون أن يسموه له قصة طريفة . . .

بين الإبر الذهبية وذرات الدقيق :

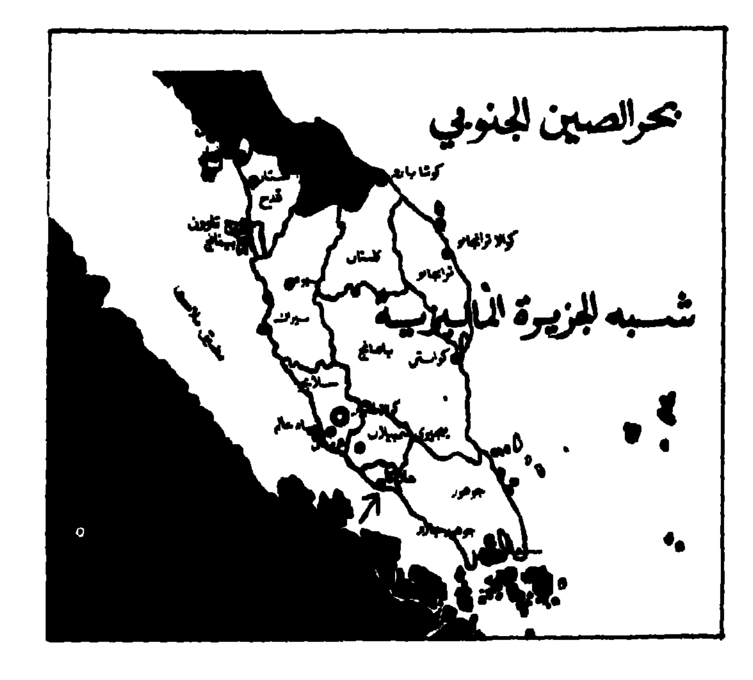
فالعلاقات الصينية مع سلطنة ملقا كانت قد توترت بعد أعوام من موت اسكندر شاه ، الذى ترك ميناء تجاريا مزدهرا ، ودولة بدأت تتوسع لتشتمل على الساحل الغربى لشبه جزيرة الملايو ، بما فى ذلك « ماهانج » وأغلب الساحل الشرقى لسومطرة ، وازدهر فيها الاسلام ازدهارا كبيرا .

وحوالى عام ١٤٦٠ عندما كان السلطان منصور شاه يحكم ملقا ، أبحرت سفينة صينية الى الميناء ومعها أوامر خاصة من « ابن السماء امبراطور الصين » . وكانت زينة السفينة تتدلى من زخارفها مسلات وإبر مصنوعة من الذهب . وكان قائد السفينة يحمل رسالة من ابن السماء إلى السلطان تقول :

« ان كل إبرة ذهبية يقابلها فرد من افراد شعبى ، فإذا استطعت أن تحصى عددها فستدرك مدى قوتى » .

وأحس السلطان بهزّة ولكنه لم يشعر بالخوف . وكان رده على الامبراطور أن أرسل سفينة مليئة بأكياس الدقيق ومعها رسالة تقول :

« إذا استطعت أن تحصى حبات الدقيق على هذه السفينة فربما استطعت ان تخمن عدد أبناء شعبى الذين يستطيعون المقاومة .. وستعرف عندها مقدار قوتى » .



تقع مدينة ملقا ـ وهى عاصمة ولاية ملقا احدى الولايات الثلاث عشرة التى يضمها اتحاد ماليزيا على بعد ١٥٥ كيلومترا من كوالالمبور العاصمة الاتحادية .. وهى تشرف على مضيق ملقا ـ طريق المرور الرئيسى للتجارة بين سواحل شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة ـ وهى فى الوقت نفسه تسمى (مدينة التاريخ الحى) والصلة الوثيقة بين الماضى والحاضر .

معبد (شونج هون تينج) . . وعند بواباته نقوش حفرت على الاحجار وزينت السقوف والحواف بالعديد من الصور والرسومات التي تصور الاساطير الصينية القديمة .

هكذا تستلقي التحف والمشغولات اليدوية على مداخل القلعة . . والباعة الصينيون في انتظار المغرمين بهذا النوع من المصنوعات الفنية .





عربة « التريشو » وسيلة الانتقال التي يتمتع بها الزوار والسياح في جولتهم لزيارة معالم ملقا التاريخية .



المبانى الهولندية التى مازال بعضها قائما بناها الهولنديون بأحجار وردية اللون أحضروها معهم من مدينة « زيلاند » فى هولندا ، ونقلوها الى ملقا فى السفن التجارية كأثقال توازن أحمال السفن . وفى ملقا تعتبر الأحجار الوردية اللون كدليل على تقدم الفن المعمارى الهولندى والمبنى الذى يظهر فى الصورة بنى بين عامى ١٦٤١ و ١٦٦٠ وهو الآن مبنى المجلس المحلى والمكاتب الحكومية



الشوارع الضيقة منذ العصور الوسطى والمبانى القديمة والمحلات الصينية تحكى عن ماضى يتجاوز ٣٠٠ سنة حين كانت ملقا من أكبر المراكز البحرية لتجارة الهند الشرقية ، ومركزا للصراعات بين عتاة المستعمرين للسيطرة عليها والاستيلاء على ثروتها الهائلة من التوابل والتحكم فى تجارة الحرير .

وأثار ذلك الرد اهتمام الامبراطور واعجابه . . فما كان منه إلا أن أرسل ابنته الاميرة « هونج ليم بو » للزواج بالسلطان منصور شاه . وذهب معها وفد يضم ٥٠٠ وصيفة كلهن غاية فى الجمال . وحين استقبل السلطان عروسه ووصيفاتها ، أصدر أمرا بتخصيص مكان لاقامتهن هو التل الذى سمى « بالتل الصينى » أو « بوكيت شينا » .

وأعلن أن هذه المنطقة تكون ملكا خاصا لهن لاتسترد منهن أبدا وحتى اليوم فان « بوكيت شينا » ملكية خاصة للمجتمع الصينى فى ملقا . وقد أصبحت أكبر المدافن الصينية خارج الصين وتغطى مساحة من الارض تقدر بحوالى ٦٥ فدانا . . وتاريخ معظم المقابر الموجودة بها يرجع الى عصر امبراطورية « مينج » .

ويأخذنا مرافقنا الى أسفل التل حيث بئر تحوطها الاسلاك من كل جانب . . . تسمى « بئر السلطان » .

البئر أقامها اتباع الأميرة « هونج ليم » . . وماؤها غاية فى العذوبة والنقاء لا يغيض أبدا حتى فى أيام الجفاف الشديد . .

وتوجد أسطورة مشهورة تقول ان من يشرب من بئر السلطان لابد أن يعود مرة اخرى إلى ملقا . وتحكى الأسطورة بأن الاميرال « شينج هو » الذى شرب من ماء ذلك البئر ، قد عاد فى أيامه الاخيرة اكثر من مرة إلى ملقا التى تعتبر مدينة الأساطير القديمة . .

وحول البئر رأينا الكثير من الصينيين والزوّار يقفون من وراء الأسلاك ويرمون فيه العملات المعدنية على أمل ان تتحقق رغباتهم بعد أن تحول بئر السلطان الى بئر أسطورى لتلبية الرغبات والأمنيات . .

صراع الأصدقـــــاء :

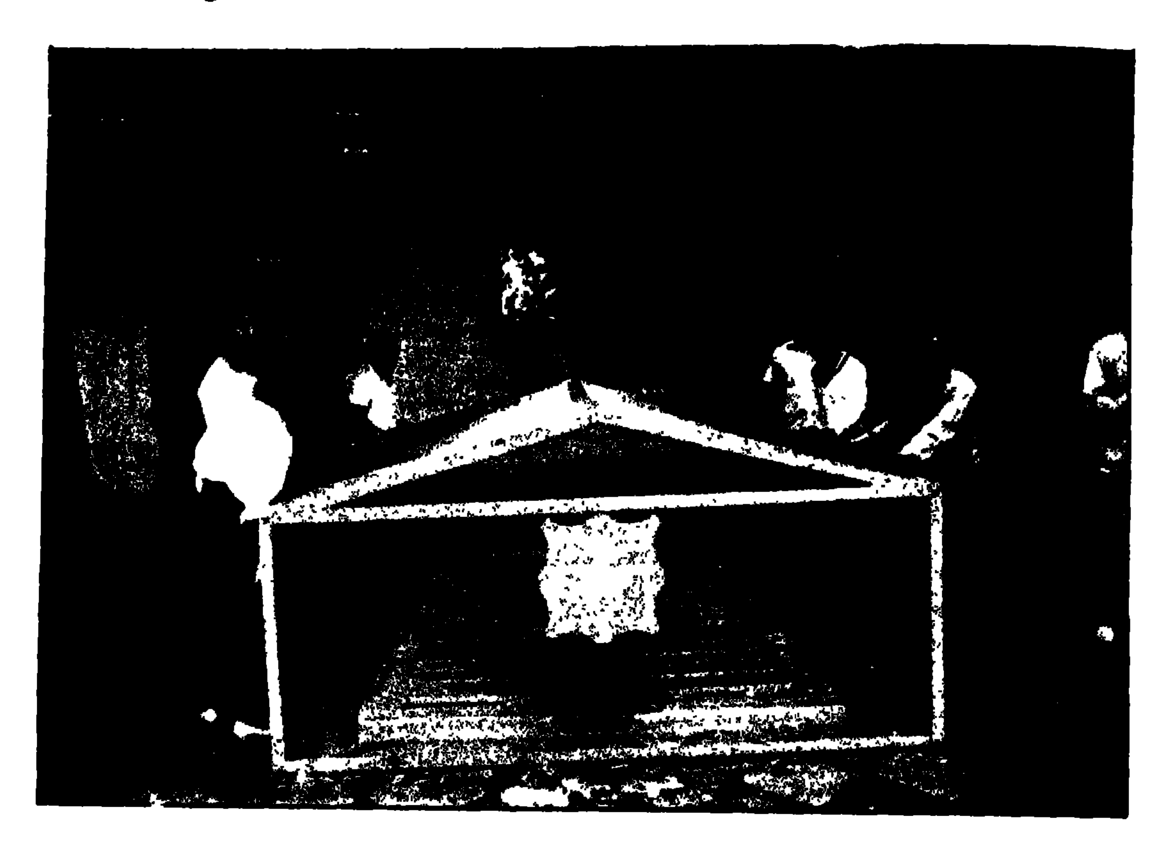
فى الطريق ونحن نترك بئر السلطان منصور شاه . . . يحكى لنا مرافقنا بعض ما كان يدور من أحداث فى القصر . .

فى ذلك الزمان كان الناس يؤمنون بالولاء المطلق للحاكم . لايستطيع أحد مخالفة أوامره ولا يجرؤ أحد من أبناء الشعب أيا كان على ارتداء اللون الأصفر لأنه اللون الملكى . . لا يرتديه الا السلطان والأمراء . . وكان ذلك الولاء الذى يدين به أبناء الشعب للسلطان قد برز خلال أيام الملك مظفر شاه الذى كانت أمه من عامة التاميل المسلمات . . والذى أعلن الاسلام ديناً رسمياً للدولة . وكان ملكاً قوياً سن أول دستور ومبادىء للقوانين . . لهذا حظى بولاء مطلق من الشعب . .

بل لقد كان الولاء أيضا مطلقا من رجال السلطان . . فذات يوم جاء رئيس الوزراء الى باب السلطان الذى لم يكن يغلق أبدا ، فلاحظ أن الباب كان مغلقا ولم يدر بخلده ان الباب قد يكون أغلق بفعل الريح . بل تصور ان السلطان هو الذي أغلق الباب فى وجهه غضبا عليه . واستدار رئيس الوزراء عائدا الى بيته ، وهناك قتل نفسه منتحرا بالسم . . !

وحين تولى « تون بيراك » رئاسة الوزارة فى عهد منصور شاه ، استطاع أن يثبت ولاءه للسلطان بمقاومته بنجاح لغزوة سيامية . . وقد كان « بيراك » وراء التوسع الكبير للدولة وسياستها حيث بلغت ملقا قمة مجدها . . وكان هذا المجد عائدا الى جهود بيراك وإخلاصه فى الولاء للسلطان ، حيث شيد قوة عسكرية كبيرة وأعد محاربين أشداء تحت اسم « الهانج » كانوا وسيلة للتوسع والانتصار على عدد كبير من الممالك المجاورة .

كان من بين رجال بيراك شاب اسمه « هانج توا » فتى بالغ الوسامة حتى لقد كان يدير الرءوس حيثما ذهب . . وحين انضم إلى بعثة مالقية كانت تزور « ماجاباهيت » فى جاوا ، وحظى باعجاب النساء هناك ، نسى مكانته واستسلم لغوايتهن ، مما أثار عليه غضب السلطان ، فأمر بأن يرسل إلى الموت جزاء فعلته . ولكن رئيس الوزراء العطوف اكتفى بوضعه فى السجن . وحدث يوما أن واحدا من أعز أصدقاء توا هو « هانج كاستورى » ضبط وهو على علاقة باحدى محظيات السلطان . وحوصر الفتى فى القصر ، ولكن أحدا لم يستطع أن يهاجمه لشجاعته وقوة شكيمته . . فقد كان على مستوى القوة التى يتمتع بها صديقه « توا » . وحين تذكر السلطان ذلك



بئر السلطان . . اسطورة ملقا التى تقول إن من يشرب من مائها لابد أن يعود الى المدينة مرة أخرى . . ويحيط الناس الآن بالبئر الذى أحيط بالاسلاك ويرمون فيه العملات المعدنية لتتحقق رغباتهم .

ندم على قراره بإعدام توا . . ولكن رئيس الوزراء أخبره بأنه لم يرسله الى الموت بل أبقاه فى السجن . وأنه مايزال حيا . واستدعى السلطان الفتى من سجنه وأمره بأن يقتل بنفسه صديقه كاستورى .

ودارت مبارزة عنيفة بين الفارسين الصديقين ، سمح كاستورى خلالها ثلاث مرات لصديقه توا أن يخلص خنجره حين انغرز بالجدار . ولكن توا رفض أن يمنح صديقه نفس الفرصة حين حدثت له . . فقد تظاهر بالتوقف عن القتال ودعاه لتخليص خنجره من الجدار . . وحين استدار كاستورى ليسترد الخنجر أسرع توا فغرس خنجره فى ظهر صاحبه . وفى لحظة الاحتضار هتف كاستورى « هل يوجد فارس شريف يتراجع عن كلمته مثلك » ؟ وأجابه توا فى برود :

« ومن الذى يحتاج إلى اللعب بعدالة معك . . وأنت الذى أدنت بالخيانة ؟» ثم غرس خنجره مرة أخرى فى قلب صديقه . . ليؤكد ولاءه للسلطان . . !

القلعة وبوابة سنتياجو :

والآن . . إلى قلعة « الفوموزا » .

المشهد الذى نراه أمامنا عبارة عن تل يشرف من أعلاه على كل مداخل الميناء باتساع مضيق ملقا . . وتحيط بالتل أطلال أسوار هى بقايا جدران الحصن التى يبدو واضحا أنها دمرت بعنف شديد . . وعلى مدخل ما كان ذات يوم قلعة قوية من أعظم ما عرف من القلاع فى بلاد الشرق . . وقفنا عند بوابة ماتزال قائمة هى « بوابة سنتياجو » وقد وضع عليها شعار « الشركة الهولندية للهند الشرقية » . أما البرج الحجرى الضخم فقد كان ذات يوم يعتبر رمزا يدل على سيطرة البرتغاليين على كل منطقة ملقا . .

الساحة المقابلة لبوابة سنتياجو كانت فى ذلك الوقت مسرحا لعرس صيفى . . حيث يحيط أهل العروسين بهما يغنون ويأخذون الصور التذكارية وهما بملابس العرس . . وهو تقليد يتبعه سكان ملقا من



وجه فتاة .. الملامح تؤكد مدى الامتزاج بين الأجناس المختلفة التي اختلطت لتصنع شعبا واحدا .



بوابة « سنتياجو » . . كل ما تبقى من قلعة « الفوموزا » التي بناها البرتغاليون في أوائل القرن ١٦ م . وأصبحت من أعظم القلاع الموجودة في بلاد الشرق

البرج الحجري الضخم على تل القلعة ما تزال بعض جدرانه قائمة كما يبدو في الصورة .





من تقاليد الزواج عند الأصول الصينية في ملقا أن يجري جزء بسيط من الاحتفال عند بوابة سنتياجو حيث يقف العروسان ليلتقط لهما الأهل الصور التذكارية ايذانا ببداية زواج يصمد على مدى الأيام والسنين في مواجهة التحديات والصراعات .

الأصول الصينية . فى كل فرح يقيمونه يحتفلون بالعروسين أمام بوابة سنتياجو . . المدخل الباقى من قلعة الفوموزا . .

القلعة كان يحيط بها من قبل خندق مائى كبير يمنع الوصول اليها . . والصعود الى أطلال القلعة والتل كانت تتحكم فيه البوابة والأسوار التى تعلوها المدافع الثقيلة التى كانت تصل الى أبعد مدى فى المضيق والميناء لضرب السفن المهاجمة . . والآن يمكن الوصول الى أعلى القلعة عن طريق درجات حجرية يصل عددها الى مائتى درجة . وحين تصعد الدرج وتقف حيث كانت المدافع منصوبة على الأسوار مسيطرة على المنطقة كلها . . تشعر وكأن هفيف الريح يحكي لك تفاصيل الصراع الطويل بين الشعب والغزاة ، كما تحكى احداث الصراعات على مدى قرون بين عتاة الاستعمار وجها لوجه فى محاولاتهم السيطرة على ملقا التى قال عنها الكاتب البرتغالى بارلوزا « ان من يملك ملقا يقبض بيده على عنق البندقية » .

وجاء البرتغاليون :

لقرون طويلة كانت ملقا ملتقى لكل دول أعالى البحار . . كلهم يتجهون الى الميناء بحثا عن الربح من خلال التجارة او النهب او القرصنة . . وبالمقابل ترك كل منهم بصماته في كل مكان من المدينة . وعلى قلعة الفوموزا كانت ابرز هذه البصمات .

ولقد كان ثراء ميناء ملقا - مفتاح تجارة التوابل - سبب صراع القوى الاستعمارية بين الشرق والغرب : وكانت البداية مع عصر الكشوف البرتغالية في القرن الخامس عشر . وكان البرتغاليون يستهدفون من وراء التوسع مد نفوذهم الى جميع اركان الأرض . . ليس فقط لمد حكم الصليب على المناطق الاسلامية بل ايضا للحصول على التوابل الأسيوية . . وكانت التوابل هي اهم اهداف التجارة الاوروبية بين اوروبا واسيا . وكان البرتغاليون يستهدفون انتزاع هذه التجارة من ايدى المسلمين من خلال تحويل الطريق التجارى حول افريقيا عبر رأس الرجاء الصالح . وكانت ملقا احد اهدافهم اذ انها مركز تجميع التوابل من جزر المولوكاس المعروفه بجزر التوابل . .

وذهب البرتغاليون الى ملقا يطلبون السماح لهم باقامة مركز تجارى لهم . ولكن قدومهم أثار الأهالي ووقف التجار المسلمون الهنود وراء رئيس الوزراء و محاولته لأسر قطع الاسطول البرتغالي . ولم تنجح المحاولة لان احدى النساء المالقيات حذرت قائد الاسطول فهرب بأسطوله ، ولكن بعد أن أسر المالقيون عشرين من رجاله . . وكان ذلك وراء عودة البرتغاليين لاستخدام القوة . .

وفى عام ١٥١١ وصل الى ملقا أسطول برتغالى ضخم بقيادة الفونسو البوكيرك . . وركز البرتغاليون هجومهم على الجسر الذى يربط بين جانبى المدينة ، كما شقت سفنهم الحربية طريقها فى النهر لاتمام الحصار . وقاوم المالقيون بشجاعة منقطعة النظير بقيادة السلطان محمود وولده اذ نزلوا الى خضم المعركة العنيفة ، راكبين الفيلة . ولكن عددا من غير الوطنيين كان يمالىء قوات العدو مما هز من صمود المقاومة . . وفشل الصراع من أجل البقاء . .

انهارت المقاومة وسقطت ملقا فى ايدي الغزاة . وهرب السلطان ورجاله الى المناطق الداخلية . وفقدت ملقا استقلالها ولم تسترد مجدها أبدا مع توالى سلسلة من عتاة المستعمرين .

كيف قامت الفوموزا :

عندما تم استعمار البرتغاليين لملقا كانوا قد قرروا ان يجعلوا منها اقوى مركز لهم فى الشرق .

وأمر البوكيرك فورا بانشاء القلعة الحصينة العجيبة التى سماها (الفوموزا) أى (المشهورة) .

مئات من العبيد والأسرى قاموا بالعمل ، واستخدمت حجارة المساجد الضخمة التى دمرتها المدافع لتقوية جدران القلعة ، وعندما تم بناؤها واقيمت المدافع على جدرانها ووقف الجنود حراسا عليها . بدت لأهالى المدينة كأنها مارد يثير الخوف والرهبة والاحترام .

فيما بعد جرى توسيع الفوموزا لتضم التل كله . وحول مساحة واسعة تحيط بها الأسوار اقيمت مدينة برتغالية كاملة . وأحاطت جدران المدينة بالقلعة . .



الساحة الرئيسية التي كانت ذات يوم داخل نطاق المدينة البرتغالية القديمة حول الحصن . . الآن تقوم على جوانبها المباني الحديثة وتسير « التريشو » جنباً لجنب مع السيارات والدراجات البخارية .

وقصرين رائعين . . وقاعة لمجلس الدولة البرتغالي . . ومبان تضم مكاتب ومنازل المستخدمين المدنيين من البرتغاليين . . الى جانب خمس كنائس . . اما باقي الأجناس فقد عاشوا خارج اسوار المدينة .

هذه القلعة صمدت في وجه الهجمات المضادة بحيث ان احدا من الاعداء لم يستطع أبدا هدم جدرانها طوال ١٥٠ سنة حتى دمرت في النهاية بأيدي الهولنديين .

المهم انه الى جانب الاستيلاء على تجارة التوابل جعل البرتغاليون من ملقا مركزا لأعمال البعثة التبشيرية الكاثوليكية . ولكن الكاثوليكية عجزت عن أن تجد لها مكانا في ملقا ، اذ جوبهت بكراهية شديدة ضدها وضد البرتغاليين معا .

اتجهت اطماع البرتغاليين الى الانفراد بتجارة التوابل والتضييق على بقية دول اوربا في الحصول عليها . وفرضوا على كل سفينة تعبر مضيق ملقا ان تحصل على اذن مرور منهم . كما فرضوا رسوما باهظة لدخول الميناء . واثار ذلك مشاعر الممالك الملايوية ودول اوربا كلها ضد البرتغال . . وتوالت الهجمات على ملقا . . وأثبتت الفوموزا انها طوق النجاة للبرتغاليين . .

. . . ثم جاء الهولنديون :

كان وصول الهولنديين والانجليز الى مياه جنوب شرق آسيا نتيجة احداث معينة في اوربا ، ففي عام ١٥٨٠ ضمت اسبانيا البرتغال . وفي عام ١٥٩٤ اغلق ميناء لشبونه في وجه التجار الانجليز والهولنديين ، وكان لابد لاوربا الشمالية ان تتجه بنفسها الى الشرق للحصول على التوابل والبضائع الأخرى .

واتحدت الشركات الهولندية لتشكل شركة اتحاد الهند الشرقية . وبرغم ان اهدافها الرئيسية تركزت على جزر التوابل ، الا انهم اعتبروا ان الاستيلاء على ملقا ذو اهمية كبيرة . . ليس فقط للأهمية

الاستراتيجية لمضايق ملقا ، بل ايضا لتدمير نفوذ البرتغاليين .

وفي يوليو ١٦٤٠ ، وبعد هجوم مركز على ملقا وضرب قلعة الفوموزا . . نزل الهولنديون على الساحل وحاصروا المدينة .

ومع استمرار الحصار اصبح افراد الحامية البرتغالية والناس المحاصرون عاجزين عن الحصول على ما يأكلونه . . فلجأوا الى أكل اى شيء يقع تحت انظارهم . . الفيران والكلاب والقطط والثعابين . . حتى لقد قيل ان احدى الأمهات اكلت جثة ولدها الميت . وأدت المجاعة الى انتشار الأوبئة من ملاريا وتيفوئيد وكوليرا . واخيرا في يناير ١٦٤١ وبعد حصار دام سبعة شهور ، انقض الهولنديون على الفوموزا وحاربوا حتى النصر . .

وسقطت الفوموزا . .

ولكن القلعة التى حارب الهولنديون من اجل الاستيلاء عليها لم تكن هى القلعة التى تمنوها بعد . . ولاكان الميناء الغنى المتألق هو الميناء الذى توقعوه . فالمدينة التى صارعوا طويلا لغزوها لم تعد اكثر من خرائب وجدران مهدمة ، والحصن الكبير قد دمر عن بكرة أبيه وتساقطت ابراجه . وحتى الكنائس سقطت جدرانها وأبراج أجراسها . . . كل شيء دمر تحت وقع المدافع الثقيلة . .

ولكن الهولنديين لم يقبلوا ان يستمر الحال على ما هو عليه . . فحالما سيطروا على المكان ودعموا موقفهم الحربى ، بدأوا فى إعادة بناء المدينة على النمط الهولندى ، وبدأت جدران القلعة تقوم من جديد . وتم حفر خندق حول جدران الحصن . واقيم جسر متحرك للوصول اليه . ونصبت المدافع ووسائل الدفاع فوق جدران الحصن . وخلال وقت قصير عادت ملقا الى سابق عهدها ميناء قويا محصنا .

واعتبرت الحكومة الهولندية ملقا بعد ذلك واجهة لضرب أى قوة معادية . واصبحت بعد ذلك مركزا هاما تابعا للامبراطورية الهولندية . .

وتبعهم الانجليز :

خلال هذه الفترة كان الانجليز يعملون لمد نفوذهم فى جنوب شرق آسيا . واستطاعوا ان يضعوا أيديهم على بينانج فى شبه جزيرة الملايو . . حيث بدأت مرحلة الوجود البريطانى .

ولكن الثورة الفرنسية مهدت بطريق غير مباشر للاحتلال الانجليزى لملقا . .

فقد انقضت جيوش الثورة الفرنسية على الأراضى الواطئة واكتسحت هولندا . ووقعت قواعد الاساطيل الهولندية تحت سيطرة الفرنسيين . وحتى لا يستخدم الفرنسيون هذه القواعد فقد اتفقت انجلترا مع الحكومة الهولندية فى المنفى على أن تتولى بريطانيا أمور الممتلكات الهولندية . . على أن تعيدها بعد انتهاء الحرب .

وكان هذا هو السبب فى أن تحولت ملقا إلى التبعية البريطانية عام ١٧٩٥ .

بيتت بريطانيا النية على أنه اذا عادت ملقا لهولندا فلن تجد فيها أى قيمة تذكر . وكانت الخطة هى تدمير قلعة الفوموزا .

وخلال حوالى سنة تم القضاء على القلعة التاريخية وجرى تفكيكها تماما . ولم يبق من ذلك الحصن سوى هذه الأطلال التى نشاهدها الآن . ونصعد اليها الدرج . . ثم بوابة سنتياجو تقف شامخة تحمل تاريخ ١٦٧٠ . . ثم تلك القلعة الصغيرة فوق قمة تل سانت جون . .

ولكن سخرية الأقدار أبت إلا أن تستمر ملقا . . وحين عادت إلى الهولنديين بعد الحرب لم تبق فى ايديهم أكثر من ستة أعوام جديدة عادت بعدها إلى الحكم الانجليزى الهولندى المشترك . . ليتم تسليمها فى النهاية الى الانجليز . .

الميدان الجديد القديم :

على بعد غير قليل من القلعة نجد أنفسنا وسط الميدان الرئيسى لمدينة ملقا . .

ساحة الميدان حديقة كبيرة يتوسطها برج الساعة . وعلى الجانب الأيمن المطل على النهر تقف عربات « التريشو » فى انتظار السياح والزوار لتدور بهم لمشاهدة المدينة ومناطقها الشهيرة وآثارها القديمة . وعلى يمين النهر يبدأ شارع جونكر حيث المحلات التى تبيع الآثار القديمة والمصنوعات اليدوية من النحاس او

الخزف كما تتناثر فى كل جوانبها التحف الفنية والكثير من الاشياء النفيسة ذات القيمة العالية .

وعلى الجانب الأيسر من الميدان يقوم أقدم مبنى هولندى فى الشرق . . تم بناؤه مابين عامى ١٦٤١ و١٦٦٠ . . إنه مبنى المعسكر الهولندى الذى مازال قائما بجدرانه وأسواره الحجرية الضخمة . ورغم مضى أكثر من ثلاثمائة سنة عليه فمازال يستخدم كمقر للحكومة المحلية حيث يجلس الموظفون فى غرف ذات زخرف فنى جميل وتتدلى مراوح كهربائية حديثة من الأسقف ذات الزينة والنقوش البالغة حد الروعة التى تعبر عن مهارة الهولنديين فى فنون العمارة . .

وأمام الجسر المواجه للساحة والمعسكر نجد ممرا ضيقا يقود الى رصيف الميناء على الشاطىء الشمالى للنهر . .

هنا مايزال التاريخ يحكى قصة الماضى عندما كان الميناء يضج بحركة الشحن والتفريغ . . والبحارة يروحون ويجيئون . . والسفن تقترب من الرصيف أو تبتعد . . ولكن الهدوء الآن يسيطر على المكان بعد أن كان نهر ملقا يختلف كثيرا ذات يوم عندما كان مجرى النهر عميقا مليئا بالسفن زاخرا بالحركة .

وبجانب قصر الحكومة يقوم مبنى هولندى ضخم عمره يتجاوز مائة وتسعين عاما يضم المتحف الوطنى حيث آثار تحكى تاريخ ملقا . . آثار ملايوية وصينية وبرتغالية وهولندية . . حتى الآثار البريطانية فى زمن الاستعمار الانجليزى . هنا نجد أيضا مجموعات من النقود القديمة والطوابع ومركبة الركشو ولوحات تبين عادات البرتغاليين خلال القرن السادس عشر . كما نشهد أسلحة الهولنديين ودروع الملايويين ومدافع الانجليز ومجموعات من المجوهرات الذهبية والفضية ولوحات وصور للسفن التجارية المستلقية على مداخل نهر ملقا . .

وحين نترك ساحة الميدان الرئيسى خلفنا ونأخذ طريق بنتاى الى كامبونج هولو نجد أنفسنا نسير فى شارع ضيق هو بعض معالم المدينة حيث كل لافتات المحلات مكتوبة باللغة الصينية . . والازدهار التجارى كله يقوم على أكتاف الصينيين . وقد تتناثر هنا وهناك بعض المحلات التى تحمل عناوين باللغة المالوية المكتوبه بالاحرف العربيه وهى التى ادخلها منصور شاه ، حين أعلن ان ملقا قد اصبحت مملكة تدين بالاسلام وتتبع شريعته واحكامه . . .

ونصل الى مسجد ترانكويراه :

المسجد أقيم منذ حوالى ٢٠٠ سنة مضت ويعتبر مثالا حيا على تقدم الفن المعمارى بجزيرة سومطرة بأندونيسيا فى تلك الفترة من الزمن . والمبنى من الخارج يحمل معالم الفن السومطرى المختلط بالفن الصينى . وعلى جدران المسجد من الداخل تقرأ الآية الكريمة (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) .

منبر المسجد مذهب وهو على الطراز الصينى . . ويرأس لجنة الاشراف عليه حاجى رحمة ساه بن على شاه خان . . وهو يفخر بأن المسجد هو أقدم مسجد فى البلاد حيث كان مركزا يشع منه الاسلام على المناطق المجاورة .

وفى الساحة الخارجية المجاورة للمسجد توجد مقبرة سلطان ولاية جوهور الذى منح جزيرة سنغافورة الى سير ستافورد رافلس فى عام ١٨٠٩ حيث قضى السلطان السنوات الاخيرة من حياته فى مدينه ملقا وكان يجد متنفسه الحقيقى فى مجلسه بين جدران مسجد (ترانكويراه) . .

وقبل أن نمضى يرسل حاجى رحمة شاه زفرة طويلة وهو يقول : « من خلال ملقا دخل الاسلام الى شبه جزيرة الملايو . . كل الملاويين اصبحوا يدينون بالاسلام مع الثلث الأخير من القرن الخامس عشر عندما نزل التجار الموريون المسلمون القادمون من سومطره فى ملقا . . ومن هنا راح الاسلام يشرق بشمسه على كل انحاء شبه الجزيرة . . ان شمس ملقا لن تغرب ابدا طالما ظل الاسلام يعمر قلوبنا . صحيح ان المستعمرين قد عاشوا طويلا فى هذه البلاد واستولوا على الارض والثروات . . ولكنهم لم يستطيعوا المساس بعقيدة الناس . . لأنها كانت تملأ قلوبهم . . وبقى الاسلام فى هذه البقاع وسيبقى مابقيت الحياة » . . □

رسالة القاهرة

متابعة مسرحية

الوزير العاشق في المسرح الحديث

بقلم : فاروق خورشيد



تميز الموسم المسرحي الحالي في القاهرة بظهور أكثر من عمل شعري يحاول أن يعود بالمسرح إلى لغته الشاعرة ، وايقاع كلماته من ناحية الجرس ، وأثر كلماته من ناحية ما للشعر من فعالية في هز النفوس ، وتطويق المعنى بالرمز ، والايحاءات والاسقاطات أيضا ، فأين هو موقع مسرحية « الوزير العاشق » في هذا الموسم ؟

رغم هزال النماذج المقدمة بصفة عامة ، الا أن المحاولة أمر واقع يرصدويؤكد نبرة العودة الى الجذور ، ومحاولة تأصيل العطاء المسرحي الجديد . وحديثنا هنا عن مسرحية الوزير العاشق التي قدمها المسرح الحديث من شعر الاستاذ فاروق جويدة وحاول مبدعا المسرح العربي(سميحة أيوب وعبد الله غيث)أن يرفعاها فوق كاهليهما .

اذا كان الشاعر فاروق جويدة قد أراد أن يرسم شخصية المثقف العربي الانتهازي الكاذب المعاصر في شخصية الوزير العاشق فقد نجح ، فالوزير منذ البدء انتهازي يسعى الى الحكم والسلطة والزعامة . . ورغم أن الشعر سلاحه الا أنه لايريد أن يشهر الا السيف ، سلاح السلطة ووسيلة الوصول اليها . . ورغم أن في الحب وجوده الا أنه لايريد الا الحب المؤدي الى الشرعية في دنيا السلطة ، والأحقية في العرش والصدارة ، والطريق مفروش عنده بأشعار الوحدة ، والاسلام ، والمجد الغابر ، والحاضر المخيف ، والمستقبل الذي تترصده المهاوي والمحاذير - ولكنها مجرد كلمات يصرخ بها ليحوز الصدارة ، وليكون الرافض المطلوب ، والقائد

الشهيد ، والزعيم المحروم من حقه في الزعامة .

تركيب الشخصيات

ان كان الشاعر فاروق جويدة قد أراد هذا فقد نجح ، والا فقد فشل في أن يقدم شخصية متماسكةلها موقف ، ولها رأي ، ولها منهج . فالشخصية متهاوية مترددة ، تملؤها الرغبة والحب ، وتملؤها الشهوة والطموح . . وقد وقف الممثل الرائع عبد الله غيث عند معاني النص وتصوره لهذه المعاني ، فقدم الحوار كما أزجي اليه ، ولكنه أضاف الى كل الكلمات موقفا متصلبا متشددا في الحق والمعنى ، ومن هنا لم يظهر ما في الشخصية من قلق واضطراب وخوف . لقد أعطى عبد الله غيث للشخصية فهما خاصا من عنده ، حتى لو كانت كلمات النص لا تسعفه في الوفاء بهذا الموقف . . فظهرت الشخصية صلبة متماسكة ، بينما كل كلماتها تحمل التردد والضعف والضياع . . ومن هنا أوقع المؤلف في حرج بالغ . . ولست أظن أن الخطأ هنا يعود الى كليهما : المؤلف والممثل وحدهما ، ولكنه قد يعود الى المخرج الاستاذ فهمي الخولي ، الذي كان عليه أن يلائم بين رؤية المؤلف ورؤية الممثل ، حتى لايصبح العمل المسرحي هو الضحية . . وان كان موقف الوزير قد سقط في هوة تردد المؤلف وعدم حسمه لابعاد الشخصية ، وبين صلابة الممثل القدير واصراره على النزعة البطولية في الشخصية التي يقدمها ، واصراره على أن يكون البطل نبيلا في بطولته رغم أنف النص ، وعدم حسم المخرج للموقف بين النص والأداء ، فقد كانت شخصية ولادة ـ الملكة المعزولة المحبوبة التي يطمح اليها الوزير ليعطي شرعية لمطالبته بالزعامة ، ويطمح اليها ربيعه ـ الخائن ـ ليحقق انتصاره على الأمة الاسلامية كلها ، بقهره لملكتها ورمز شرعية العرش فيها حين تصبح جارية في فراشه ، ويخاف منها ملك قرطبة لأنها تستطيع أن تنزع عنه شرعية حقه في الملك ـ أدت دور ولادة الاستاذة الكبيرة سميحة أيوب ـ ولادة هذه شخصية متكاملة صلبة ـ وهي هنا عكس شخصية الوزير العاشق تماما ، يخدم النص موقفها الشامخ الصلب ، ويخدمه صوتها المسرحي العالي والمتعالي ـ فهي تحدد موقفها وتعرفه ـ فهي ترفض الملك ، لأنه خيانة وكذب ، وهي ترفض العشق لأنه زيف ونفعية ، ولكنها تتقدم ضحية لتنقذ حياة من تحب ، أو لتنقذ الكلمة من أن تتعثر وتموت ، ثم تقف الى جوارها تسندها حين تتلقى طعنة القدر ، وتشدو بالأمل في الغد حين تلد الكلمة الميتة كلمة أخرى حرة باقية ـ ولادة هي أكثر شخصيات مسرحية الوزير العاشق تكاملا ونضجا ، ودرامية . ولست أدري هل تدخلت الفنانة سميحة أيوب في النص أم لا ؟ ولكني أحس أن تردد النص وتذبذبه عند باقي الشخصيات لم يستطع أن يقترب بهذا التذبذب والتردد من شخصية ولادة ـ فبقيت واضحة وجلية ، كما بقيت رمزا لصلابة العطاء والحب ، وصلابة التضحية ، ثم صلابة الأمل والبقاء ـ الا ان اجهاد المخرج للممثلين في التحرك في طول المسرح وعرضه ـ ربما لاخفاء ضعف الحركة الدرامية في النص ، قد قلل كثيرا من بروز الاداء الرائع لسميحة أيوب . . وان استطاعت في أحيان كثيرة أن تتغلب على الحركة الرياضية المفروضة عليها لتبرز عطاءها بقوة حضورها المسرحي . وروعة أدائها الصوتي والتعبيري . . وقد حاولت بعض الكلمات في المسرحية ، وبعض المشاهد أن توحي بأنها ترمز الى شخصية نسائية أو أخرى من الشخصيات النسائية العامة ، باستعمال بعض العبارات المأثورة عند هذه الشخصية دفاعا عنها وتبريرا لموقفها ، وما كان هذا ليفيد النص أو يفيد العمل المسرحي ، وقد استطاعت الاستاذة سميحة أيوب أن تطغى على هذه المحاولات بأدائها الذي جرد الشخصية تماما من كل محاولات المؤلف الايحاء بها ، والمؤلف حر في شعره ، والفنانة حرة في موقفهاالذي أنقذ المسرحية بالفعل من موقف الاستفزاز لمشاعر الجماهير ، أو جماهير المثقفين وهم مشاهدو الشعر ـ الى حد كبير . ولست هنا أقلل من عطاء المخرج الاستاذ فهمي الخولي الذي كان يستطيع الحسم في النص ليتكامل دون هذه المعارك ، فقد كان سيد العرض المسرحي بلا مراء ـ ولكني أحاول أن أبرز محاولاته لتعويض الفعل الدرامي على خشبة المسرح .

الغنائية الشعرية

وقد غلبت على النص الغنائية الشعرية بشكل كبير وواضح ، لقد واجه الممثل الأول الاستاذ عبد الله غيث الجمهور بظهره وهو يؤدي مقطعا غنائيا طويلا ، ربما ليثبت المخرج والممثل معا ، أن الكلمة الغنائية هي التي تلعب الدور الأول في العرض ، وقد عاد المخرج ليثبت هذا تماما بابراز دور المغنية المتفوقة الصاعدة عزة بلبع التي سيطرت بصوتها وأدائها المميز على معنى الايحاء الدرامي للمشاهد المقدمة ، وبصورة بارزة وواضحة من أول العرض الى آخره ـ وان كانت هذه المقاطع المعبرة باللحن والغناء ، وبالصوت المميز للمغنية ، تثبت شيئا آخر ، فهي تثبت تقطع النص وعدم وحدته ، وميله الى المشاهد المنفصلة ، والى القصيدة قبل الدراما ، ونجاحه في مجال العطاء الغنائي بشعره المميز في هذا المجال ، وافتقاده العطاء الدرامي الذي ما كان يحتاج كل هذه المقاطع الغنائية لو كانت قد اكتملت له الرؤية الدرامية . .

شخصيات أخرى

وعلى الرغم مما بين الشخصيتين الرئيسيتين في العمل المسرحي من تناقض في التأليف ، الا أن الشخصيات التالية لها قد حظيت برؤية درامية ومسرحية واضحة . . وقد أبرزت هذه الرؤية الواضحة قدرة الممثل القدير حسين الشربيني في دور ربيعة ـ الوزير الخائن المدلس العميل ، الذي يبدو في آخر المسرحية وكأنه ليس مسلما ولا عربيا من الأصل ، انما هو دسيسة افرنجية لهزيمة المسلمين من الداخل ، وانتصاره انتصار لمعنى هو يؤمن به . . وهذه هنة أخرى في النص والاخراج على السواء . . اذ هو يبدو أوضح شخصية في العمل المسرحي كله ، وأكثرها سواء وتكاملا ـ وقد نجح أداء حسين الشربيني وهو ممثل متمكن وقادر ، في أن يبتعد تماما عن سخط المتلقي ، بل وأن يلقى عطف المتلقي وتجاوبه في الحدود الكوميدية من أجزاء دوره المتعدد الجوانب والانعطافات . . فهو الصديق المتردد ، وهو الوزير المتمكن ، وهو المتآمر الذكي اللماح الساخر الضاحك الهازىء من كل الضعف والتردد ، وهو الانتهازي الذكي الذي يقفز على كل الغباء الكامل الذي يسود مجتمعا متفسخا منهارا ، ثم آخر الأمر هو العميل الذي يسوق البلاد الى الاستسلام لأنه ليس من أبناء هذه البلاد ، بل هو من الأصل دسيسة أفرنجية تنتقم لنفسها من نصر المسلمين عليها ـ وان لم يبرز المؤلف كل القسمات النفسية للشخصية فقد تولى الممثل البارز والقدير اعطاء كل الخلفيات بالحركة والايماء والاداء المتمكن ، فسجل حسين الشربيني لنفسه مكانا الى جوار العملاقين الكبيرين سميحة أيوب وعبد الله غيث ، وساعده المخرج كثيرا ببروز حواره وحركته ، وتركيز الضوء عليه فوق خشبة المسرح ـ وأحب أن أقرر أن هذه المسرحية قد أكسبتنا سطوعا واضحا لهذا الممثل القدير الذي أعطى أبعادا جديدة لدور الشرير فوق خشبة المسرح ، وخرج به عن الاداء التقليدي السخيف الذي تعودنا عليه ، ليعطي الانتهازي الذكي ، والعميل الذكي ، والجاسوس الذكي ، في خيط واحد متصل ، يحده سذاجة اشتهائه ولادة الذي لم يكن له مبرر ولا اضافة للشخصية نفسها ، كما يحده عدم تعميق الشخصية المسرحية من البداية ، وعدم وضوح الرؤية لها في النص وعند المخرج من اللحظات الأولى لظهورها ـ ولكن أداء حسين الشربيني غطى كل هذا حتى أنسى المتفرج المفاجآت المتعددة التي تظهر في شخصيته من مشهد الى مشهد ـ ونفس هذا القدر من السوء يظهر في شخصية الولاة الذين مر بهم الوزير في دعوته الى الوحدة ، وكلها تجمعت في شخصيته ، أداها ممثل واحد أثبت قدرته الفائقة على الاقناع والادهاش ، والاضحاك المندمج في صلب التأثير المسرحي ـ شخصية الزعيم المتهاوي الأناني الجاهل المنغلق على نفسه ورغباته ، ولقد نجح فاروق جويدة في تصوير هذه الشخصية ، وكما نجح في ابراز تناقضاتها وغبائها الكامل ، حتى لقد كاد ينسى المتلقي أن الحوار شعر ، فقد رق الحوار الشعري وشف حتى غدا الواقع نفسه ، والفعل الدرامي بذاته ـ انها لمحات تفوق تبرز عطاء الشاعر المؤلف ، وتنسينا الكثير من هناته الغنائية في مواقف متعددة أخرى .

الكل في واحد

الا ان ثنائية ظهور الممثل في شخصية واحدة أفقدت الدور معنى الاستمرارية ، فالثلاثية هنا تعني

الاستمرارية ، ولو أن مشهد الزعيم الأناني الأبله تكرر ثلاث مرات لأضاف هذا العمق ، خاصة وأن الممثل واحد ، يعني أن كل الزعماء واحد ، ولو قد كان ملك قرطبة هو نفس الممثل لما احتجنا الى حديث حول معنى الاستمرارية ، وقد كان المخرج يستطيع أن يؤكد المعنى لو كان أسند دور ملك قرطبة الى نفس الممثل الذي أعطى دور الوالي استمراريته ولكان قد نجح المعنى وظل بلا رتوش ، معنى بارزا عند المتلقي ، الذي سيجد أن كل الملوك والزعماء شيء واحد مكرر معاد ـ واذا كان هذا المعنى مطلوبا من المؤلف والمخرج ، فما المعنى وراء تكرار مجاميع الجند في كل المواقف ، فهي هي التي تحمي الوزير ، وهي التي تسجنه ، وهي نفسها التي تحيط بكل الولاة وتخدمهم ، بل يصبح أحدهم (ركوية) والٍ منهم . ثم هم أنفسهم جنود ربيعةالخائن الذي يأتي على رأسهم لاعلان انتصار الافرنج . . لست أظن أن المعنى المستفاد من هذا التكرار هو ما أراده المخرج ، والا سقط في خطأ سياسي وقومي كبير . .

ونفس المقولة تنطبق على تكرار مجاميع المدنيين ، فهم شعراء الوزير يقولون فيه الشعر مدحا له وطمعا في نواله . . وهم أنفسهم مهرجون للولاة وملك قرطبة . ثم هم في النهاية المستعبدون والمبتهلون . فهل يقصد المخرج أن يشرك الجميع في الجريمة ، وهل أراد المؤلف هذا في نصه ؟ سؤال سيضيع بين ما هو مطبوع وما هو ممثل . .

والحياة في قرطبة انحصرت في قصر ومخدع الملكة وسجن ومجالس الشعراء والولاة . . فأين المدينة وأين أسواقها ؟ وأين ناس المدينة الحقيقيون ؟ بمعنى أين الشعب الذي تدور حول حقوقه كل أحداث المسرحية ، والتي دارت حولها خطبها الرنانة وشعاراتها البليغة حتى لو تناقضت ، بل حتى لو كان هذا التناقض يتجه الى أقصى اليمين ثم يتجه الى أقصى اليسار استدرارا لتصفيق الجماهير ، وحتى يؤكد المؤلف أنه مع كل شيء يمكن أن يجعله واحدا من القوالين . والقول ليس مجرد كلمات وانما هو مواقف . . حتى ليبدو النص منطلقا من منطق الوزير . . أو من منطق الشاعر الذي يمثل مثقف العصر بكل متناقضاته وكل محاولة لركوب الكلمة دون موقف حقيقي . .

والشر في هذه المسرحية كلام يردد على ألسنة الابطال ، وليس نماذج متكررة ومعادة ومعروضة ، فليس الخطأ في السقوط هو خطأ القادة الخونة والملوك الضعاف والمثقفين الانتهازيين . . ولكن الخطأ هو خطأ ضعاف النفوس الذين يشكلون عمق الخطأ ويبرزونه ويجسدون عمق السقوط للمقولة . . ولكن النص تجاوز هذا العمق فظهر كل شيء مسطحا وعفويا وساذجا ـ الأبيض أمام الأسود ، والشر أمام الخير ، ولا تفاعل انساني هناك بين البعدين يبرر سواد الأسود ، أو بياض الأبيض . . خفف من كل هذا جهد المخرج في لوحاته الجمالية الفائقة الحسن ، من حيث التكوين والتنفيذ معا . الحراب ، والثياب السوداء وسياج السجن في مقابل الثياب الخضراء والملونة والمجاميع الفضفاضة المنسقة الحركة . ولكنها تقع في شرك الابيض والأسود ، أو في شرك الخير المطلق والشر المطلق . . وهذه الحدة في الألوان والاضاءة والملابس المتناقضة تبرز رأي المخرج وموقفه ولكنها تبرز في نفس الوقت تسطح النص ـ الا أن العمل استنقذ ببراعة ثلاثة مهندسين . .

التقنيات المنقذة

ونحن أمام اجتهادات مدروسة وواعية ـ فمهندس الديكور كان أمام عاملين : رؤيا الرمز ورؤيا الواقع ، فقدم الرمز في مرآة علوية تعكس الصور بصور شبحية وان لم تنجح تماما في رسالتها ، كما قدم الواقع في حركة الديكور الدائرية مع حركة الممثلين أنفسهم فزاد من عمق اللاواقعية في العرض . . وشتت المتفرج بحيث أسقط منه عنصر الأيمان بما أمامه من فعل مسرحي ـ ولكن في نفس الوقت جعل هذا الفعل وجودا حيا في اطار العرض نفسه ـ أما مهندس الصوت فقد تفوق تماما على كل العناصر الأخرى المساهمة في العمل ، ساعده صوت المغنية الشابة ، ولحن وموسيقا مدروسان ومعتنى بهما غلفا العمل المسرحي في اطار الايقاع الدرامي الحزين مرة ، والثائر مرة والمستسلم مرة ، والرافض مرة،لقد نجح في ايصال رسالة اللحن والموسيقا ، ونجح في ابراز صوت الاداء المتميز ليجعل منه بطلا في مثل هذا العمل المسرحي الذي كان ينبغي أن يكون العنصر

الصوتي فيه عنصرا ثانويا لاعنصرا بطلا ومميزا ، كما كان بالفعل . . وقد ساعدت جهوده النص ، فغطى ببراعته على ضعف الكلمات في أحيان كثيرة ، كما ساعدت براعته على ابراز قدرة الكلمات وروعتها في أحيان أخرى . .

أما مهندس الاضاءة . فقد أعطى الممثل اطاره وبروز مكانه تماما ، وفي كثير من المشاهد كانت سميحة أيوب تحت رحمة مهندسنا ، وكان على وفائه بدوره ، فابرزها في الاطار الواجب لها ، وكذا الأمر بالنسبة لعبد الله غيث وحسين الشربيني . . كانت الاضاءة هي الأقواس التي تحتوي الممثل لتبرز عطاءه الكامل فان نجحت نجح ، وان تهاوت فشل . . ولكني مع هذا فلا أحب أن أذكر مواطن فشل لعملاق من هؤلاء . وأضيف اليهم النجم الكوميدي المتمكن محمد الشويحي الذي أضاف الى نفسه والى هذا العمل نجاحا ملحوظا . .

لست أشك لحظة أن تميز فهمي الخولي وراء نجاح هذا العمل ، وهو أيضا وراء هنات هذا العمل ، ولكنه مخرج صاعد يشق طريقه في عطاء رائع وجميل ، ولست أحب لعمله أن يضار ، ولا لصوته أن يخفت ، فما قدم أكثر مما ينتظر منه في اطار العمل نفسه . . ولست أشك أن المؤلف لن تغضبه كلمة مخلصة ، تريد منه أن يستغل امكانيته في اعادة الثقة الى المسرح الشعري ، وان كنت في تجربته هذه أنحني احتراما لعلي الجارم وعبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور ، وأحس أن جهودهم الشعرية أثمرت من ناحية الاستمرار ، ومن ناحية التأثير الشعري والبصمات الواضحة .

ثم نحن نرى أن هذا العمل أيا كان الرأي فيه رأس حربة واعدة في دنيا الثمانينيات حيث صمت قبلها الصوت ، وخفتت أصداء الكلمة الى حد الموت ، ولهذا فنحن نقدر صوت هذا العمل العالي الذي يهتف باسم الاسلام في اصرار ، ويهتف باسم القومية في قوة ، ويهتف باسم اليقظة في عنف - نقدر الصوت العالي الخطابي لأن الأوان قد حان لنداء المؤذن بعد أن غاب الفجر - وليس من عذر للنغمة الحادة العالية ، الا هذا النداء بالوعد المنسي ، والدعوة الى احياء الصوت الصامت ، والايقاظ للموت الحزين - □

الايثار

الايثار خلق اسلامى نبيل ، حببه القرآن الى النفوس المؤمنة ، وفسح له بين الضمائر ، وجعل له قنوات تمده بالعطاء الدائم ، وترفده بالحياة المتجددة ، وما هذه القنوات الا الايمان والاخوة والرحمة والمودة والتعارف والتآلف .

ورد فى السيرة أن الناس على عهد أبى بكر اصابهم جهد ، فغدوا اليه شاكين ، فقال لهم : انى لأرجو ألا يأتى الليل الا ويفرج الله عنكم .

فلما كان المساء ، اقبلت عير وتجارة كبيرة من الشام لعثمان بن عفان ، فلما علم تجار المدينة بأمرها ، ذهبوا سراعا يطرقون باب عثمان ، ويعرضون عليه بيعها . فقال عثمان لتجار المدينة : كم تربحوننى ؟ قالوا : الدرهم بدرهمين . . . قال : لقد زادونى !! قالوا : الدرهم بأربعة !! قال : لقد زادونى ، قالوا له : يرحمك الله من زادك ونحن تجار المدينة ؟ لقد زادنى الله بكل درهم عشرة !! قالوا : فنحن لانستطيع ذلك . فقال عثمان : فانى اشهدكم الله يامعشر التجار ان كل ما ترونه من العير والتجارة صدقة على فقراء المدينة .



الرؤية الغربية للمرأة العربية

بين الدعاية والواقع والتزييف

بقلم : أحمد رأفت بهجت

من أجل الهجوم على الشخصية العربية .. يلجأ كثير من السينمائيين الى رفع سلاح خطر .. وهو تجسيد الواقع العربي في اطار قديم يتمثل في أن الجواري في قاعات الحريم العربية يمثلن ظاهرة ممتدة ، يتردد صداها عند تصوير المجتمع العربي في ماضيه وحاضره .. فما هي الحقيقة وراء الرؤية الغربية وتزييف الواقع ؟

الخطأ في نظرة السينمائيين الغربيين أنهم يرون الحاضر العربي يعيش في الماضي ، أو الماضي بكامله يعيش في الحاضر .. مما يجعلنا نفقد أمام العالم الكثير من ملامحنا الايجابية المعاصرة .. وهذا لا يعني أننا نتجاهل الظواهر السلبية في تاريخنا ، لأنها تعد جزءاً من وجداننا .. ولكننا في نفس الوقت أحوج ما نكون الى النظرة الموضوعية ، التي تجسد واقعنا المعاصر بأمانه ، وترى مشاكلنا بوضوح ، بعيدا عن منطق التصيد الذميم .

وداخل هذا الاطار السلبي ظهرت شخصية .. المرأة العربية ـ أحيانا في نطاق أجواء الجواري والحريم .. وأحيانا أخرى في نطاق علاقات متباينة بالرجل الأوروبي .. وهي علاقات تنشأ دائما في ظل براثن التخلف العربي ... أو الضغوط النفسية الناتجة عن معاناة المرأة العربية ، وهي في سبيل البحث عن طريقها الذاتية .

ملامح الدعاية السينمائية

وتعليقات الدعاية السينمائية الغربية التي ارتبطت بالمرأة العربية لها اعتبارها ، لأنها تقدم لنا ملمحا لطبيعة التعامل مع شخصيتها في السينما ... وتعد الدعاية التي واكبت ظهور الممثلة الامريكية « تيدابارا » نموذجا للدعاية المعتادة للشخصية

العربية .. فهذه الممثلة اعتبرها النقاد أولى فاتنات الاغراء في السينما العالمية .. وأول امرأة اظهرت الجاذبية الجنسية علنا على الشاشة .. ومع بداية ظهورها أفاضت دور النشر في هوليوود في الدعاية لها ، باعتبارها فتاة عربية الأصل .. وليدعموا زعمهم التقطوا لها كثيرا من الصور بين أشجار النخيل ، فبدت في غاية الجاذبية .. أو واقفة كالقطة المتوحشة ، والهياكل العظمية متناثرة عند قدميها .. ولو شوهدت هذه الصور اليوم ـ على حد تعبير الناقد الفرنسي موريس سبيد ـ لوجدت لها أوصافا جنسية لا يمكن نشرها !!

أما الناقد الأمريكي الكسندر ولكر فهو يضيف ملامح أخرى في كتابة الجنس في السينما ـ عندما يشير الى أنها ولدت في مصر بجانب ظلال الأهرام .. وكانت ابنة لشيخ وأميرة عربيين .. وأنها فطمت عن الرضاع بأكل لحم الثعابين وشرب الدماء .. ولقنت الحب من أبي الهول !! .. ويضيف الناقد اليهودي ايفرابيم كاتس الى هذه الرواية معلومة أخرى مؤداها أن رجال الصحافة عندما التقوا بتيدابارا في الصحراء العربية ، كانت ترتدي الملابس العربية ، ويحيط بها العبيد النوبيون ، بينما كانت الثعابين تمرح في خيمتها !!

ومن ناحية أخرى حدد الناقد الفرنسي روجر مانفيل الاطار العام لادوار تيدابارا المرأة ذات الأصل العربي بقوله : « كانت تيدابارا تمثل امرأة مغامرة مزجت عاطفتها بالموت ، وراحت تصنع فيلما وراء فيلم تنتزع فيها جميعا المواطنين الشرفاء من زوجاتهم وعائلاتهم ، ثم تتخلى في النهاية عنهم يائسين منهوكي القوى ، يهذون ويحاولون الامساك بذرات الهواء ، في خاتمة مؤثرة للفيلم .

ومع ان تيدا بارا كانت في واقع الأمر ابنة ضابط يهودي من سيسيناتي بولاية اوهايو الأمريكية .. وكان اسمها الحقيقي تيودسيا جودمان (١٨٩٠ ـ ١٩٥٥) .. الا أن الدعاية التي نشرها حولها وليام فوكس صاحب ستوديوهات فوكس الشهير . سلبت الشخصية العربية الكثير ..

واذا ما قلبنا النظر في الدعايات السينمائية الأخرى التي ارتبطت بالمرأة العربية ، متأملين مضامينها ،



● لقطة من فيلم « عرس الرمال »
لأندريه ذوبادا (١٩٤٩)

اتضح لنا أن هذه الدعايات تتفاوت في التعبير عن قيم متخلفة ، مازالت تحمل مبررات نشرها واشاعتها بين الناس .. ومن هذه الدعايات ما روج حول الممثلة المصرية السمراء كوكا » عندما اختارها المخرج الانجليزي ثورتون فريلاند ، لتلعب أول أدوارها السينمائية أمام المغني الامريكي الزنجي بول روبسوف ، في بيلم « جريتشو » المعروف باسم « تاجر الملح » فقد زعم المخرج أنه كان في رحلة الى أواسط افريقيا .. ووصل الى مقر قبيلة عربية كبيرة تسكن مدينة الفاشر ، فرأى ابنة أمير القبيلة ، فأعجب بها وأحس أنها تصلح كوجه جديد في السينما .. ولكن الأمير ـ والدها ـ رفض أن تعمل ابنته في السينما ، فأغرى الأميرة على الهرب الى لندن .. وأحضر لها اخصائيين لتعليمها أصول الأتيكيت وتقاليد المجتمع ، ثم اسند اليها دور البطولة .. وتناقلت الصحف هذه القصة .. وأشتهرت .. كوكا وأصبحت نجمة عالمية قبل أن تكون نجمة مصرية مشهورة .

معسكر الخائنات

مع بداية العشرينيات وجدت السينما الفرنسية أن المرأة العربية هي المفتاح الذي من خلاله تستطيع معالجة بعض الموضوعات داخل مجتمعات مستعمراتها في المغرب العربي . . وهي لا تدرك أن جهودها لبحث هذه الموضوعات كانت جهودا تغلبت فيها أنانيتها وفلسفاتها الاستعمارية على منطق الاشياء داخل هذه المجتمعات . . لقد ظهرت عشرات الأفلام تجسد العلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمع العربي ، ودور الرجل الاوروبي في حياة بعض النسوة العربيات اللواتي يحاولن التخلص من القيود التي تكبلهن .

فيخرج بعضهن . . أما البعض الآخر فيعود الى كمونه ، ليكيف نفسه وفقا لنظام الحياة العربية الجامدة . . وليعشن ضحايا للماضي بتقاليده التي تركت عليهن أثرا قويا لا يمكن محوه . . والحاضر بجموده . . للدرجة التي تجعلهن في النهاية يستمرئن العبودية . . والعبودية في هذه الافلام جزاء التقاليد الاجتماعية المتوارثة .

ولم تجازف السينما الغربية بتقييد نفسها بشخصية ـ هذين النموذجين للنساء العربيات . . ولكنها ستعملت النموذجين معا في محاولة لا يترك فيها شيءٌ، دون أن تستفيد منه في توضيح ما ترمي اليه من أهداف مختلفة .

وفي عام ١٩٢٢ أثار فيلم ـ دماء الله Lasng d'Ailsh الذي أخرجه الفرنسي لويس ـ مورا واشترك في كتابته مع الفريد فيركورده ضجة، باعتباره فيلما يعالج بصراحة مشاكل المرأة العربية في المغرب العربي . . ويجسد ملامح حضارتين وطريقتين في الفكر والحياة والقضايا الأخلاقية . . وفي هذا الفيلم نرى الحسناء العربية ـ ياسمينة ـ زوجة السلطان العربي الثائرة على نظام حياتها . . والمتمردة على الراحة والاستقرار في ظل حياة الحريم . والراغبة في الرحيل الى أبعد مكان . . وتجد عند الشاب الفرنسي هنري الشفاء العاجل . وعندما يكتشف زوجها خيانتها يأمر رجاله بوضعها في معسكر « الخائنات » !! . . ويحاول الحبيب الفرنسي الشهم انقاذها . . ولكنه يتعرض للمطاردات الشرسة من رجال السلطان . . وينتهي الفيلم بوفاة ياسمينة الزوجة الخائنة !!

استطاعت النغمة التي ترددت في دماء الله ـ حول « الخائنات وتهمة الزنا » أن تفرض نفسها على الكثير من الأفلام الأوروبية ، التي عجزت رؤيتها المضادة للاسلام عن التصدي للمشكلة بشكل ايجابي . ولقد ظهرت هذه الأفلام على فترات متفاوتة ، وفي ظل هيئات انتاجية مختلفة . . وفي حالة الانتقاء نستطيع التركيز على ثلاثة منها ، حاولت تجسيد شخصية المرأة العربية ، لتمثيل الصراع بين العواطف الطبيعية والمبادىء الداعية للكبت التي تنادي بها تقاليد المجتمعات العربية . . وهذه الأفلام هي : الفيلم الفرنسي الأمريكي المشترك « بارود » أو « حب في مراكش » الذي أخرجه المخرج الأمريكي ريكس انجرام في مراكش عام ١٩٣٢ ، وفيلم جحا (Goha) وهو انتاج فرنسي تونسي كتب له الحوار والسيناريو الأديب العربي الأصل جورج شحادة ، عن قصة « جحا البسيط » التي كتبها J. Josipo-vic, A. Ades وأخيرا الفيلم التلفزيوني الانجليزي ـ الأمريكي المشترك « موت أميرة » الذي آثار ضجة ضخمة عند عرضه في بداية الثمانينيات .

كان فيلم « بارود » دراسة مشوبة بالمغالطات رغم جديتها للمأساة التي تصيب الفتاة زينة ابنة أحد قادة القبائل البربرية في مراكش . . فهي فتاة عذراء رقيقة الطباع . . جيلة . بالغة التهذيب . . ولكنها تعاني من الكبت . ويبدو أن حياتها كانت محصورة بين مثاليات أبيها الصارمة ، ومبادىء الدين الاسلامي الذي تدين به . والذي يفرض عليها عدم الاستسلام لحب شخص ليس من دينها ، لأن هذا يعد « زنا » في حكم الدين . في الوقت الذي يسمح فيه أبوها لاخيها بحب فتاة أوروبية لا تنتمي لدينه .

وحاول فيلم ـ « جحا » تقديم شرائح عربية ، هي مزيج مركب مع غوغائية في الرمزية، فجحا الساذج (عمر الشريف) الروحاني يقع في غرام زوجة أكثر الناس حكمة وتمتعا بالاحترام في بلدة عربية . . ويعرف الناس هذا السر وتتحول سمعة الحكيم العجوز « أبو العلوم » وزوجته « فلّه » الى قصة يرددها العامة في أنحاء البلدة . . وطبقا لشريعة

القرآن يجب رجم الزوجة الخائنة بتهمة الزنا ويجب نفي جحا من المجتمع ويجد جحا نفسه مضطرا للهرب . .

يؤخذ « جحا » « بشخصية أبو العلوم » . . ولكنه أكثر تأثرا بقوة افكاره فهو يدرك حاجة البشر للعطف والفهم . وهما صفتان طبيعيتان كثيرا ما تعوقهما الفضيلة المتزمتة وغريزة التملك والسيطرة . . وفي مجموع هذه الصفات تتجمع في الافق سحب سامة تحاول مرة أخرى التشكيك في الاسلام وشرائعه . .

ثم جاء فيلم « موت أميرة » الذي صاحبته أكبر ضجة اعلامية عربية وعالمية . . ويعزي السبب في ذلك الى اسلوبه الدعائي الفج في تصوير حياةوموت أميرة عربية تدعى ماشال .

العربية المخلطة

كذلك تضم الافلام التي قدمت شخصية المرأة العربية قصصا عن الاضطراب النفسي الذي يصيب الفتاة العربية المخلطة . . أي التي ولدت من أب عربي وام اجنبية . . والعكس . . فهذه الفتاة تجري في شرايينها فصيلتان من الدم . . تقاليد متزمتة مقبضة تقود الى الحياة العربية المتخلفة ، ونقيضها المباشر : التقاليد الغربية التي تتمشى مع الحياة الحضارية والحرية الشخصية ! وفي الصراع الذي ينشب هنا نرى الفتاة العربية تنهي هذا التناقض باحدى الوسائل الآتية :

١ - التمرد على واقعها . . ومحاولة تعويض ما ضاع من عمرها مع رجل أوروبي ممتلىء بالحياة مشبوب العاطفة . . مخلوق بشري يرمز لمصدر الحياة وللقوة والرقة . . وهذا التمرد ينم عن أن هذه الفتاة تتمتع بعنفوان اكتسبته من دمائها الاوروبية ، يؤهلها للتمرد والسعي لحياة حرة طليقة . . وأكثر افلام هذا الاتجاه تحررا فيلم « ياسمينة » (١٩٢٦) . . فهو يصف الفتاة المخلطة ياسمينة التي تمردت على زوجها العربي الثري لترتمي في احضان طبيبها الفرنسي الذي كان صديقا سابقا لامها الفرنسية !! . . ومن الافلام التي لاقت نجاحا كبيرا في هذا الاتجاه فيلم « الريح » ١٩٣٣ الذي يروي قصة عائشة الفتاة التي ولدت من أب عربي وأم أسبانية وحققت تمردها على واقعها العربي بالحياة كعشيقة لطيفة للفرنسي لورنس الذي هجرته زوجته فقرر الذهاب الى الجزائر والاستقرار في جنوبها .

٢ - محاولة للاستمرار في الانتماء الاوروبي . . فالسلالة التي تنجم عن الزواج المختلط من فتاة عربية لاوروبي لا تنجو من رغبة عارمة من طرف الأب لتقرير مصيرها في ظل الاخلاقيات الاوربية . . ويبدو هذا واضحا في فيلم « فيلق الصحراء ١٩٥٣ » الذي يصف بعطف وادراك رغبة أمير قبيلة مدارا في زواج ابنته مرجانة من أحد ضباط الفرقة الاجنبية في شمال افريقيا . . ويرفض بل ويقاوم زواجها من القائد العربي عمر بن خليفة لاسباب يتقبلها المتفرج عن رضا كامل . . وفي نهاية الفيلم نكتشف أن هذا الأمير كان منذ سنوات طويلة ملازما فرنسيا في الفرقة الأجنبية . . وعندما قابل الفتاة العربية خديجة أعجب بها وتزوجها وانجب منها ابنته مرجانة . . وموقفه من زواج ابنته يعني أن مجموعة من الظروف والتجارب السابقة هي التي جعلته يقرر ربط مصير ابنته بشاب أوروبي وليس عربيا .

٣ - الارتباط بأكثر الرجال ايجابية وشرفا من بين أبناء قومها . . ويصف الفيلم الايطالي - المصري « الصقر » ١٩٤٩ في أسلوب متحذلق بعض الشيء مصير بطلته ليلى (سلفانا بمباني في النسخة الايطالية . . وسامية جمال في النسخة العربية) . . من منطلق كونها تمثل ثقافة عربية متحضرة . . ليس لأنها سليلة العائلات العريقة وابنة أحد الباشوات فحسب . . ولكن لأنها هاجرت من مصر في طفولتها وعاشت في باريس مع أمها الفرنسية . . لذلك فهي تختلف اختلافا تاما عن أفراد عائلتها كما انها أرق من أن تقوى على احتمال جو الدناءة والمؤامرات والانحلال الذي تفاجأ به بعد عودتها الى مصر . . ولا تلبث أن يحطمها الصراع بين ابن عمها الشرير ابراهيم بك وحبيبها راشد قائد القبيلة الشهم والشجاع . . ثم ينتهي الفيلم بانتصار راشد على الاشرار وتتويج هذا الانتصار بتلك الخاتمة الرومانسية التي تجمع بين راشد وليلى . .



● الفتاة ريماني « أسوار الطين » ١٩٧٠

الغانيـة

وظهـرت المرأة العـربية في أفـلام أخرى كتقليـد لبعض النماذج الشائعة الغانية « الصالون » في افلام رعاة البقر الامريكية .. وهذا النوع من النساء لابد من أن يتعامل مع رعاة البقر وسارقي الماشية والرماة المحترفين وجنود الشمال والجنوب .. نراهن داخل المقـاهي العربيـة .. أو الكباريهـات التي يـديـرهـا الاوروبيون يتعاملن مـع نماذج متشـابهة .. فهنـاك اللصـوص .. ورجال الفـرقة الأجنبيـة بجنسياتهم المختلفة .. والعملاء .. ورجال القبائل .. الخ .

وقد سارت المرأة العربية في هذه الأفلام على نهج الغانية الامـريكية في خلق عـالمها الخـاص .. فهما تتشابهان في ميلهما الى النفوس الضالة والشخصيات المنبوذة أو المتمردة .. كذلك تتشابهان في سعيهما وراء الشخصيات التي يصعب اقتحامها ..

وهذا الطراز من النساء العربيات تنزع اليه السينما الاوروبيـة مرارا وتكـرارا .. لأن من خلالـه يمكن تجسيـد مـلامـح شخصيـة احـاطت بهـا الـظروف فاضطرتها الى العيش في مجتمع يسوده التخلف .. أو في جحيم بلدة صغيـرة حيث يقضي التقـاعس أو الخمول والتعصب والشر على أي نوع من الاصالة أو على أي بادرة من الانسانية فيه .

القارة المفقودة

ألِفَ الكتـاب في الغرب أن يحـدثونـا كثيـرا عن « القارة المفقودة- اطلانطيس »ويـدهش من يتصفح المؤلفات الكثيرة التي كتبت عن هذه القارة مما يصادفه بـين جنبـاتهـا من ثـروة هــائلة من المـوضــوعـات والأجـواء .. وتستـرعي الانتبـاه عـلى الأخص تلك الرؤي المتباينة لهذه القارة المفقودة التي جاء ذكرها في محاورات افلاطـون حيث وصـف ما بهـا من حضارة متقدمة رفيعة المستوى أخـذت تزدهـر على أطـراف المحيط الاطلسي حتى أتى عليها بركان ثائر فدمرها .

ومن نفس المنطلق كتب الانجليـزي فـرانسيس بيكون « الاطلانطيس الجديد » ووصف منها عالما غير عالمنا الذي نعيش فيه .. ثم كتب سير آرثر كـونان دويـل روايته « في قـاع المحيط » من محاولـة وهميـة للبحث عن قـارة اطلانـطيس الضـائعـة في أعمـاق المحيط ..

وما يهمنا من حكايات القارة المفقودة ان هذه المحاولات التي استغلت نفس الأفكار الخيالية في قصص الاطلانطيس لوهم الشخصيات العربية والحضارات المرتبطة بالتاريخ العربي . ونخص بالذكر رواية « عائشة » للكاتب الانجليزي سير هـ . رايدر هجارد التي كتبها عام ١٩١٩ ورواية الاطلانطيس التي كتبها الفرنسي بيربينوا عام ١٩٢٠ . . والروايتان قدمتها السينما العالمية في كثير من الافلام التي تنتمي الى جنسيات مختلفة .

تدور أحداث رواية « عائشة » في بقعة مجهولة من سواحل افريقيا . . حيث يوجد شعب وحشي يعيش في كهوف فرعونية احيطت بمستنقعات كثيفة . . ويتكلم افراده احدى اللهجات العربية . . وتحكمه ملكة قوية لا ترى الا نادرا . . هذه الملكة هي « عائشة » التي أوتيت سر الحياة . . وعلما بكل شيء . . وسحرا نافذا فتاكا تأسر من خلاله ضحاياها من الرجال .

أما رواية «الأطلنطيس» فتدور احداثها في منطقة مجهولة من جبال الحجار بالصحراء الافريقية حيث توجد مدينة تحكمها الملكة « أنتينان » . . وهي امرأة بالغة الحس والقسوة . . لها كهنوتها الخاص . وتستعين بأحد الشيوخ العرب من قبائل الطوارق ليحضر لها ضحاياها من الرجال البيض الذين يقضون عمرهم وقوداً لشهواتها الطاغية .

المرأة . . وبعض الايجابية !!

والشيء المثير للالم هو اننا لو حاولنا احصاء الاقلام الغربية التي تعاملت مع المرأة العربية كوسيلة لمهاجمة الشخصية العربية فسيسهل علينا أن نحصي عددا من الأفلام يتجاوز المائة . . أما لو خطر ببالنا أن نحصي عدد الأفلام التي تعاملت مع المرأة العربية بشكل يدعو للتأمل حتى ولو اختلفنا معها فلن نستطيع للاسف أن نزيد على اصابع اليد الواحدة !!

ولقد كان أول دور هام يحرص على تقديم المرأة العربية بشكل يبعد عن الرؤية التقليدية المناهضة لها هو دور الفتاة « اتيتو » أبنة حامو منشىء المقاومة البربرية ضد الفرنسيين في جبال الاطلس . . فهذا الدور الذي قدمه المخرج جان بنوا ليفي في فيلم «إيتيتو» عام ١٩٣٤ يعكس خبرته بالبيئة التي يصورها باقتدار ومازال ينفرد به بالفعل على كثير من المخرجين الذين تعاملوا مع البيئة العربية . .

كانت اتيتو تمثل الصراع بين العواطف الطبيعية في ظل حياتها كزوجة تعيش مع زوجها واطفالها وخادمتها المخلصة « عائشة » . . والمبادىء الداعية الى مقاومة المستعمر الفرنسي التي ينادي بها أبوها . . فهي تبدو بشكل ما أمرأة متماسكة الاعصاب . . محددة المواقف . . صبورة . . رغم انها عاجزة عن التوفيق بين حياتها كامرأة . . والواقع الذي يفرض عليها الترحال في المناطق الجبلية الوعرة . . ورعاية عائلتها . . ثم الكفاح من أجل حرية وطنها . .

والفكرة العامة التي يخرج بها القارىء بعد أن يأتي على كتاب عائشة ـ هي انه في مواجهة أحداث تدور في منطقة افريقية قريبة من شاطىء افريقيا . . وان سكان مملكة (جور) التي تملكها عائشة يشبهون كما يصفهم سكان بلاد الصومال . . أما الفيلم الذي أخرجه داي فيعمد عن قصد الى تغيير مكان مملكة عائشة ويجعله الصحراء الفلسطينية . . ويصبح عرش عائشة على مقربة من ابواب اورشاليم (القدس) !!

والنظرة السريعة للدوافع وراء هذا التغيير تكشف الخبايا الدعائية في الفيلم وتهتك أستارها بسهولة . . فالفيلم في مقابل هذا التغيير يتنازل عن بعض المعطيات التي وردت في الرواية الأصلية ومنها موقف اليهود من عائشة في مدينة أورشاليم حين رجموها بالحجارة عندما حاولت تعليمهم حكمتها الشريرة وتقديمه بالشكل الذي يوحي بأن عائشة العربية أقامت مملكتها على الأراضي التي كان يملكها اليهود . . وأن التخلص في النهاية هو الحل الطبيعي الذي يعيد هذه الأراضي الى اهلها الأصليين !!

والمتفحص لهذه الأفلام لابد أن يلمح بعض العناصر المتقاربة والمتشابهة ، وفي هذا التشابه والتقارب ما يؤكد جذور الحس الاستعماري المتوغل في أعماق مخرجين من أمثال بنواليفي وزوبادا وبروتشيلي رغم محاولتهم احتضان شخصية المرأة العربية بما يشبه الحب . . وينعكس هذا التشابه في عنصرين :

١ ـ أن المرأة العربية في هذه الأفلام تنتمي دائما الى قبائل البربر والبربر بالنسبة للسينمائي الفرنسي كان لهم وضعهم الخاص سواء اثناء الاحتلال أو بعده . . ويرتبط ظهورهم على الشاشة بما عرف بالظهير البربري الذي أصدرته سلطات الاحتلال الفرنسي ويدعو الى تعزيز جانب البربر في شمال افريقيا . . ولا عجب في ان الشعب في أقطار المغرب العربي عربه وبربره فسر هذا الظهير على انه تدخل فرنسي في تعاليم الاسلام . . كما انه تصميم من جانب فرنسا على تفرقة المسلمين وفصل البربر عن العرب .

٢ ـ ورغم التعاطف مع الشخصية البربرية يجد السينمائي الغربي نفسه يدافع عن الاستعمار الفرنسي بشكل أو بآخر . . ففي فيلم « اتيتو » ينتشر الاحساس بعدم جدوى مقاومة الاستعمار،وفيلم أسوار الطين يدعي ان وضع أقطار المغرب العربي بعد استقلالها لا يختلف كثيرا عن وضعها اثناء الاستعمار . وسنجد برتوتشيلي يحلل ذلك بقوله « إن أسوار الطين هو أول عمل يتناول هذا الموضوع منذ الاستقلال الذي مضى عليه عشر سنوات . . فكل الأفلام التي انتجها الجزائريون والتونسيون حتى اليوم تجري أحداثها خلال فترة الاحتلال الفرنسي . . ومن ثم فمنذ عشر سنوات والناس يخدعون بعض الشيء



● اورسولا أندريس في دور « عائشة »

عن طريق اسدال ستار على الواقع التونسي أو الجزائري بعد الاستقلال . . ومن ثم فقد كانت تحدوني الرغبة في الكلام عن هذه المشكلة وأعود الى عبارة(قانون)التي وضعها في بداية الفيلم ، والتي تشير الى أن المرحلة البورجوازية في الدول النامية بعد مرحلة الاستعمار غير ضرورية على الاطلاق . . وأن الشعب بعد الاستقلال يعاني من نفس المشكلات . .

نماذج معاصرة

والمتناقضات التي ازدادت حدتها في العلاقة بين العرب والغرب على الاخص بعد ظهور المقاومة في المغرب العربي . . ودور البترول العربي في تشكيل ملامح الحياة العربية المعاصرة . . وخروج المقاومة الفلسطينية الى حيز الوجود . . كلها عناصر قد تعاونت على تغيير المفاهيم الخاصة بتصوير المرأة العربية على الشاشة العالمية . . ولكن دو ، أن تخرج هذه المفاهيم كثيرا عن الرؤية التقليدية . . كل ما في الأمر انها ربطت المرأة العربية بالأحداث السياسية . . فالمرضة ليلى . . « مادلين رو » تعاصر احدى ثورات الشباب العربي ضد حكامهم في « هروب من الظهران » لروناالدنيم ١٩٦٢ . . والفتاة « عائشة » كلوديا كاردينالي تختزن كل معوقات الحياة في ظل الصراع بين رجال الجيش الفرنسي والثوار الجزائريين في فيلم Lost command لمارك روبسون (١٩٦٦) والجاسوسة العربية المثيرة ـ ياسمين (صوفيا لورين) تلعب دورا في الايقاع بالعالم اليهودي دافيد في « ارابيك » لستانلي دونن ١٩٦٦ . . والفدائية الفلسطينية داليا هارت كلير تقدم كإرهابية مطاردة من العميل الاسرائيلي كابا روف في ـ يوم الأحد الأسود ـ لجون فرانكينهايمر ١٩٧٧ . . والفتاة العربية (سعاد حيدو) تساند المجرم الفرنسي الهارب الى المغرب في ـ الأخ الكبير ـ لفرانسيس جيرو ١٩٨٢ . . الخ .

كل هذه الافلام يغلب عليها طابع الحركة السريعة العنيفة التي برزت فيها مقدرة مخرجيها ـ وأغلبهم من اليهود ـ غير أن هذه المقدرة لم تقترن بنجاح مماثل في تصوير المرأة العربية ومشاعرها وانفعالاتها النفسية ودورها الحقيقي في الأحداث الاجتماعية والسياسية المعاصرة . . □



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الجُمَل .. ذوات المحل من الإعراب

ترد إلينا أحيانامن الاخوة القراء أسئلة لغوية ، ونحن نختار منها ما نرى في الاجابة عنه لجمهرة القراء فائدة عامة،ونترك ما عداه ليسأل صاحبه عن جوابه بين العارفين بالعربية .

من الأديب حمادي الأطير (بيلا ـ كفر الشيخ ـ مصر) جاءتنارسالة يذكر فيها هذا البيت :

ومن تكن العلياءُ همةَ نفسه
فكلُّ الذي يلقاه فيها محببُ

وقد أعربَ فيها الشطر الثاني إعرابا صحيحا ، ويشير الى أن جملة « يلقاه » صلة الموصول « الذي » لا محل لها من الإعراب ، ثم يسأل عن معنى قولهم « لا محل لها من الإعراب » .

ونشير في مقدمة جوابنا أن نحاتنا الأوّل كانوا أكثر اهتماما بوظيفة الكلمة أو علاقتها بغيرها في الجملة ، وعلاقة كل جملة بغيرها في الكلام ، وهذا ما ينبغي في دراسة النحو لأي لغة أو لهجة ، أو أجروميتها ، أي قواعدها النحوية سواء كانت ذات إعراب (في أواخر الكلمات) أو كانت خالية منه ، اذ لا تخلو لغة أو لهجة من قواعدها الخاصة سواء كانت أدبية أو عامية ، ذات إعراب كلغتنا الفصيحة أو خالية منه كلهجاتنا العامية وكثير من اللغات واللهجات الأجنبية .

ولكن نحاتنا المتأخرين فهموا الإعراب على أنه تغير أواخر الكلمات فحسب ، وكانت عنايتهم به أشد وأكثر من اهتمامهم بوظائف الكلمات والجمل ، أو علاقاتها بعضها ببعض ، مع أنهم يقولون : « إن الإعراب فرع المعنى » وهذا صحيح ، ولكنهم اهتموا بالفرع ، وكادوا يهملون الأصل ، ومن هنا رأى أكثرهم أن النحوَ علمُ الإعراب (في أواخر الكلمات) ، ومن إيغالهم في هذا الاتجاه تقسيمهم الجمل قسمين : جملا لها محل من الإعراب ، وجملا لا محل لها منه ، فإذا كانت الجملة

تحل محل اسم أو شبهه مرفوع اعتبروها في محل رفع ، وهكذا ، ومن أمثلة ذلك جملة « يرضعن » في قوله تعالى : « والوالدات يرضعن أولادهن » فإنها خبر مبتدأ فتكون مثله في محل رفع ، ولو قلنا « كانت الوالدات يرضعن أولادهن » كانت جملة « يرضعن » خبرا بعد كان ، فتكون في محل نصب .

ومن أمثلة الجمل التي لا محل لها من الإعراب عندهم جملة صلة الموصول كجملة « يلقاه » في بيت الشعر هنا ، ومن أمثلتها الجملة الابتدائية (في أول الكلام) ، والجملة المعطوفة عليها كما في قولنا ، « تشرق الشمس فتنير الدنيا » .

ولا نريد أن نستوعب البحث في هذه الجمل ، ونرى أنه لا حاجة إليه ، فحسبنا من دراسة الجمل أن نعرف علاقتها بغيرها من الكلمات والجمل ، وهذا البحث وأمثاله قد صعّب النحو على طلابه ، ونفرهم منه

[إنما]

وجاءتنا رسالة من الأخ صلاح آدم (أم درمان - السودان) يسأل فيها عن (انما) : معناها وتركيبها وطرق استعمالها .

والجواب : إنما تفيد الحصر أو القصر مع تقرير المعنى ، فتستعمل لقصر صفة على موصوف ، أو موصوف على صفة ، مثال قصر الصفة على الموصوف قوله تعالى : (انما يتذكر أولو الالباب) فقد قصرت صفة التذكر والاعتبار على أصحاب العقول ، وكقوله : (انما يخشى الله من عباده العلماء) فقد قصرت الخشية من الله على العلماء وكقولنا : (انما الكمالُ لله) أي أن صفة الكمال مقصورةٌ على الله وحده .

ومثال قصر الموصوف على الصفة قوله تعالى : (إنما هو إلهٌ واحد) فقد قصر الذاتُ الالهية على الوحدانية ، وقوله : (انما المشركون نجسٌ) فقد قصر المشركين على صفة النجاسة .

ونلاحظ هنا أن (انما) تدخل على الجملة الاسمية والفعلية .

وان هذه الأداة مركبة من (ان) التي تعني التوكيد ، و (ما) الزائدة الكافة لإنّ عن عملها ، وقد أحس أسلافنا حين وصلوهما لأنهما هنا كلمة واحدة لمعنى واحد هو القصر أو الحصر كما قدمنا ، وهذا وحده هو ما يعني عالم النحو ، الذي لا يهمه في الكلام الا معرفة وظيفة الكلمة في جملتها وعلاقتها بغيرها فيها ، ولا يعنيه تركيبها كما يعني ذلك الباحث في فقه اللغة PHilology . (وأنصح الأخ أن لا يتعب نفسه في البحث عن مثل هذه الدراسة الا اذا أراد التخصص في فقه اللغة .

كما نلاحظ أن قصر الموصوف على الصفة أمر اعتباري أو نسبي ، اذ ليس هناك موصوف ليس له الا صفة واحدة لا يتعداها ، فاذا قيل (انما المتنبي شاعر) فانما يقصد بذلك مثلا أنه لم يكن كاتبا و' خطيبا ولا معلما ولا واعظا ، لمن يظنه كذلك ، ولا ينفي ذلك أنه كان فارسا وشجاعا وعراقيا وكوفيا ، ونحو ذلك من عشرات الصفات التي يمكن أن يوصف بها .

والجملة المحصورة بالأداة ، (إنما) تدل بذاتها على القصر ، ولكن قد يلحقها أو يسبقها ما يزيدها توكيدا في القصر المقصود منها .

مثال اللاحق قوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » ومثال السابق قوله تعالى : « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين انما هو إلهٌ واحد » ، وقوله : « ما على المحسنين من سبيل ..... انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء » (التوبة) . وفي هذه الحالة تؤدي انما معنى الاستدراك ، مثل (لكن) كما في قولنا : « ليس النيل بحرا ، انما هو نهر » ، فكأننا قلنا « ليس النيل بحرا ، لكنه نهر » ، وقد تدل على الاضراب مثل (بل) فكأننا قلنا « ليس النيل بحرا ، بل هو نهر » ، ويجوز أن نقول : « إنما النيل نهر ، لا بحر » أو « انما النيل نهر ، وليس بحرا » . والله أعلم □

■ إن أسلوبي في المزاح هو أن أقول الحقيقة .. إنها أبدع نكات الارض . « جورج برناردشو »



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

كرم العرب

في الشعر العربي قصص نثرية وأخرى شعرية ، وهذه القصيدة إحداها ، فقد اجتمع لها كل ما ينبغي اجتماعه للقصة القصيرة إذ تعتمد على موقف تصوره بإيجاز ، مع الايحاء لسد فجواته ، وقد ، بدأت بحسن عرض الموقف ، ثم حبكة العقدة ، وختمت بحل سهل لها.

الحطيئة(١) لقبه ، واسمه جرول العبسي، ولد في الجاهلية في بادية بني عبس ولكنه كان معتل النسب ، وكان دميم الخلق رقيق الاسلام . نزل الكوفة بعد تمصيرها في عهد عمر بن الخطاب ، وكان متبرما بالناس كثير الهجاء لهم حتى من يحسنون اليه ، ولكنه لم يفحش بالعورات، وكان يجمع المال، ولكنه كان متلافا مع قلة الحاجة في السؤال ، وقد عاقبه عمر بالحبس لأهاجيه حين شكي اليه وتهدده بقطع لسانه ، فاستعطفه بقصيدة جيدة يذكر فيها صغاره ، ووعده بالتوبة ، وقد طال عمره فمات سنة ٥٩هـ . وله ديوان طبع عدة مرات ، وليس في عصره من يفوقه في جودة شعره .

وقد اخترنا هذه القصيدة التي تنسب اليه اذ ليس في عصره من هو أولى بها منه ، وهي تحكي قصة بدوي مستوحش في الصحراء مع زوجته العجوز وصغاره الثلاثة ، قدم عليه ضيف ولا طعام عندهم، فلما رأى ابنه حيرته طلب منه ذبحه ليقدمه لضيفه فرارا من تهمة البخل وهو من أقبح الأخلاق عند العرب ، ولكن المشكلة انحلت حين رأى قطيعا من حمر الوحش يتقدمها كبيرها نحو الماء لتروى ، فلما رويت اختار منها أتانا سمينة ذات ولد فأرداها بسهم ، وجرها فرحا الى منزله ، فشووها وأطعموا منها ضيفهم وأكلوا وباتوا بغبطة ، وكأن الضيف ابن للأبوين سرورا به .

وَطاوي ثلاثٍ ، عاصب البطنِ ، مُرمِلٍ ... بِبَيْداءَ لم يعرف بها ساكنٌ رَسْما[2]

أخي جفوةٍ ، فيه من الإنس وَحشةٌ ... يرى البؤس فيها ، من شراسَتِه نُعْمَى

وأفرد في شعب عجوزاً ، إزاءها ... ثلاثةُ أشباحٍ تخالُهم بَهْما[3]

حُفاةٌ ، عُراةٌ ما اغتذَوْا خُبْزَ مَلّةٍ ... ولا عرفوا للبُرِّ مُذْ خُلِقوا طَعْما

رأى شبحاً ، وسْط الظلامِ فراعَهُ ... فلمَّا بَدَا ضيفاً تشمَّر واهْتَمَّا

فقال ابنه ، لما رآه بحَيْرةٍ ... أيا أبتِ اذْبحْني ويسِّرْ له طُعْما

ولا تعتذرْ بالعُدْمِ ، علَّ الذي طرا ... يظنُّ لنا مالاً ، فيُوسِعنا ذَمَّا[4]

فروّى قليلاً ، ثم أحجم بُرهةً ... وإنْ هو لم يذبح فتاه فقد همَّا

وقال هيا رباهُ ، ضيفٌ ولا قرى ! ... بحقِّك ، لا تحرمه تا الليلة اللَّحْما

فبيناهُمُ ، عنَّت على البُعد عانةٌ ... قد انتظمتْ من خَلف مِسْحَلِها نَظْما[5]

عطاشاً تريدُ الماءَ ، فانساب نحوها ... على أنَّهُ منها إلى دمِها أظما

فأمهلها ، حتى تروَّت عطاشُها ... فأرسل فيها من كنانَتِه سهْما

فخرَّت نَحُوصٌ ، ذاتُ جحشٍ ، فتيَّةٌ ... قد اكتنزت لحما ، وقد طُبِّقت شحما[6]

فيا بشره ، إذ جرَّها نحو أهله ... ويا بِشْرهُمْ لمَّا رأوا كلْمها يَدْمَى ![7]

فباتوا كراماً قد قضَوْا حقَّ ضيفِهِمْ ... فلم يغرموا غُرْماً ، وقد غنموا غُنْما

وبات أبوهم من بشاشته أبا ... لضيفهم ، والأمّ من بِشْرها أُمّا

---

(١) الحطيئة: حطأ الرجل خصمه صرعه أو ضرب به الأرض أو ضربه بيده ، واسم المرة : الحطأة وتصغيره الحطيئة ، لقب بمعنى القصير أو الدميم

(٢) رجل محتاج أمضى ثلاث ليال صائماً يعصب بطنه بحزام ليخفف ألم الجوع ، في صحراء لا أثر فيها لساكن .

(٣) كان امام العجوز صغارها الثلاثة كصغار الحيوان

(٤) العدم : الفقر ـ طرا : طرأ وأتى ـ يوسعنا ذما : يشتد في ذمنا

(٥) العانة : قطيع الحمر الوحشية ـ ومسحلها : كبيرها

(٦) النحوص : الحمارة الوحشية وكان لها ولد

(٧) كلمها يدمى : جرحها يسيل منه الدم

كرامة العلم

القاضي أبو الحسن الجرجاني صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه »

يقولون لي : « فيك انقباضٌ » ، وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

اذا قيل « هذا منهلٌ » قلت : « قد أرى ... ولكن نفسَ الحر تحتمل الظما »

ولم أبتَذِل في خدمةِ العلم مُهجتي ... لأخدُم من لاقيتُ ، لكن لأُخْدَما

أأشقى به غَرْساً ، وأجنيه ذِلةً ... إذن فاتباعُ الجهلِ قد كان أحزما

ولو أن أهلَ العلم صانُوه صانهمْ ... ولو عظَّموهُ في النفوس لعُظِّما

ولكن أذلُّوهُ ، فهانَ ، ودنَّسوا ... مُحَيَّاهُ بالأطماع حتى تجهَّما

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الجديد في علاج مرض الايدز

(الإيدز) مرض فتاك اكتشفوه في أمريكا قبل خمس سنوات . . والاسم (AIDS) اختصار للتسمية الكاملة التي اطلقوها على هذا المرض ، وهي الآفة المكتسبة لعجز المناعة (Acquired Immune Deficiency Syndrome) ومما أسرع ما ظهر للأطباء العلماء أن المرض غالبا ما يصيب فئات معينة من السكان هي : فئة المدمنين على المخدرات وفئة اللوطيين وسكان جزيرة هايتي وفئة النعوريين . . (ذوي النزعة الوراثية للنزف الدموي) Hemophiliac.

واعتقد الباحثون أن مرضاً كهذا يفتك بأجهزة المناعة في الجسم ، وبالتالي في ذلك الجسم نفسه ، مرض عضال ولا ريب . . الا انهم واصلوا أبحاثهم وتجاربهم ودراساتهم لمرض الإيدز هذا . . حتى لاحت لهم بوارق تبعث على الأمل في معالجته ومكافحته . .

كان ذلك في مطلع شهر نوفمبر الماضي (١٩٨٤) ، وفي مركزين منفصلين للأبحاث الطبية : احدهما المعهد الوطني للسرطان (NCI) في بشدة (Bethesda) في الولايات المتحدة الأمريكية . . والآخر معهد باستور في باريس . . فقد اكتشف العلماء في هذين المركزين ، في آن معاً ، فيروساً ذا صلة وثيقة بالإيدز . . ولا يستبعد الباحثون أن يكون هذا الفيروس هو سبب المرض بالذات .

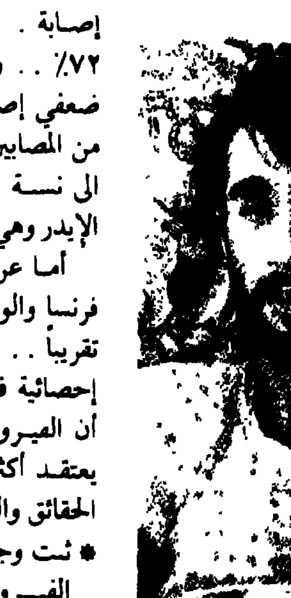
لا عجب اذن أن غمرت الفرحة جمهور العلماء والباحثين في كل مكان . . فقد (انتصر العلم على مرض مفزع مخيف - أو يوشك أن ينتصر) . . . كما قالت وزيرة الصحة الأمريكية مرجريت هكسلز ، ولا غرابة أن كان هذا الاكتشاف موضع النقاش في المؤتمر السنوي الذي تعقده رابطة بنوك الدم في سان انطونيو . . وكذلك في الاجتماعات التي تعقدها بين حين وآخر جماعات المهتمين بمرض الإيدز بالذات . . سواء في مدينة نيويورك أو في سان فرنسيسكو . . وقد استعرض المجتمعون حقيقة الفيروس الذي تم اكتشافه بشيء من التفصيل،واستعرضوا قبل ذلك بعض الاحصاءات العامة التي تجمعت عن مرض الإيدز في المدة الأخيرة . .

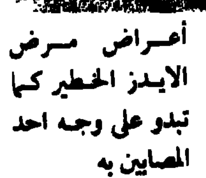
ومما يذكر عن تلك الاحصاءات تأكيدها أن المرض لا يصيب السكان بصورة عامة . . وانما فقط الفئات الأربع السالفة الذكر . . . وقد يستثنى من ذلك بعض الحالات (٨٦ حالة) ذات الصلة بعمليات نقل الدم . . الا أن هذه حالات قليلة نسبياً وقد يرى فيها البعض إثباتاً للقاعدة لا خروجاً عليها . .

ذلك أن مجموع الاصابات بمرض الإيدز التي سجلتها مراكز رقابة الأمراض في أطلنطا بولاية جورجيا بلغ ٦٥١٧



اخصائيون يعملون في أحد مختبرات مرض الايدز





أعراض مرض الايدز الخطير كما تبدو على وجه احد المصابين به

إصابة . كان نصيب اللوطيين منها ٧٢٪ . . وبلغت إصابات عام ١٩٨٤ ضعفي إصابات سنة ١٩٨٣ ومات ٥٠٪ من المصابين . . وهذا قليل جداً بالقياس الى نسبة الوفيات المعروفة عن مرض الإيدز وهي تبلغ ٩٠٪ من الاصابات .

أما عن الفيروس الذي اكتشفوه في فرنسا والولايات المتحدة في وقت واحد تقريباً . . وعن صلته بالمرض أهي صلة إحصائية فحسب ، أو صلة سببية.تؤكد أن الفيروس هو سبب المرض . . كما يعتقد أكثر الباحثين . . فإليك بعض الحقائق والشواهد . .

* ثبت وجود الأجسام المضادة لذلك الفيروس في دم المصابين بمرض الإيدز . . ولم يعثر على شيء من هذه الأجسام المضادة في أي من مجموع السكان بصفة عامة . .
* نجح الباحثون في التسبب بظهور تلك الأجسام المضادة . . وكذلك بعض أعراض مرض الإيدز في بعض القردة من فصيلة الشمبانزي . . وذلك بحقنها بالفيروس المكتشف أو بدم مأخوذ من مرضى الإيدز . . .
* أما الفيروس بالذات فقد تم اكتشافه لا في دم المصابين فحسب وانما في منيهم ولعابهم أيضاً . وهذا يعني الاعتقاد السابق بأن انتقال المرض يفترض تبادل أو اختلاط سوائل الأجسام،ويشترط لذلك اتصال تلك الأجسام عن طريق الشذوذ الجنسي أو بواسطة إبر التخدير التي يستعملها المدمنون الواحد بعد الآخر . . ويستدرك الباحثون ويطمئنون الكثيرين الذين ذعروا لذكر اللعاب بين الأوعية الناقلة للفيروس . . ويؤكدون لهم أن ذلك الاكتشاف لا يعني بالضرورة أن مرض الإيدز يمكن أن ينتقل من انسان الى آخر عن طريق التقبيل أو العطس . .

بقي أن نذكر أن الفيروس الذي يسبب مرض الإيدز في البعض قد لا يسببه في البعض الآخر . . وقد لا يسبب في هؤلاء سوى أعراض المرض الثانوية (ARC) التي تشبه أعراض الانفلونزا وتشمل فيما تشمل تورم الغدد ونقصان الوزن والضعف . . وقد لا يسبب لهم أية أعراض على الاطلاق . . ولكنهم ، رغم ذلك ، مصابون بالمرض . . وقادرون على نقله الى غيرهم .



الموقع الذي تلف من مخ محمد علي كلاي

بطل الملاكمة «الأعظم» يتماثل للشفاء

محمد علي كلاي .. بطل الملاكمة الشهير الذي طالما ملأنا دهشة واعجابا بجمعه بين اللكمات القاصيه والرقصات الرائعه . والذي احتفظ بطولة الوزن الثقيل طويلا ، والذي فقدها أحيانا ثم ما لبث ان استردها .

هذا البطل عاد فجأة الى مسرح الأحداث في المدة الأخيرة ولكنه عاد مريضا يخرج من مستشفى ليدخل غيره . بحثا عن التشخيص اليقيني للعلة التي يعاني منها

حقا ان الملاكمة هي المسؤولة عن تلك العلة ، وقد عرف ذلك الأطباء الذين فحصوه ، ورددته شتى الصحف ووكالات الأنباء في حينه . ولكن ماهي علته على وجه الدقة !! وما هو التلف الذي ألحقته الملاكمة بمخ محمد علي كلاي ... ؟ وهل هناك أمل في شفائه ... ؟ تلك هي الأسئلة التي يحرص الكثيرون على معرفة أجوبتها والتي لم يكن في الامكان الرد عليها ردا مرضيا قبل أن يصبح كلاي موضع عناية الدكتور ستانلي فان (S. Fahn) في مستشفى Golombia Presbyterian في نيويورك .

فقد ثبت لهذا الطبيب المتخصص أن علة محمد علي ليست مرض باركنسون ، وان كانت أعراضها تشبه أعراض هذا المرض ، وهي البطء في النطق والحركة والرجفة في اليدين والشعور المتواصل بالتعب .

وثبت له أيضا أن علته ليست تلفا في خارج المخ ، ولو كانت كذلك لما كان كلاي حاضر الذهن بالقدر الذي لاحظه الصغار والكبار

كذلك ثبت للدكتور (فان) أن علة كلاي ليست (سُكْر الملاكمه Punch drunk ولو كانت كذلك لفقد القدرة على التحكم بنفسه ، ولكان من الذين يكررون ما يقولون من حيث لايدرون ... ولكان يعاني من الارتباك في نطقه والاختلاط في كلماته .

ذلك أن العلة التي يعاني منها كلاي كما ثبت للطبيب المعالج انما هي في الشعيرات العصبية التي تقع في المخ الأوسط - مخ محمد علي طبعا - والتي تسمى في المصطلح الطبي (Substantia nigra)

فهذه الشعيرات اختلت كثيرا أو قليلا نتيجة الملاكمة وتلقي اللكمات التي تبلغ قوة الواحدة منها ١٠٠٠ رطل انكليزي أو

تـزيـد . . وبـالتـالي أصبحت تـلك الشعيرات غير قادرة على أداء وظيفتها كما يجب . . .

ولعـل أكبر دليـل عـلى صحـة هـذا التشخيص هو التحسن الكبير الذي طرأ على حالـة محمد عـلي كلاي تبعـا لتناول الأدوية التي وصفها الدكتور (فان) فقد وصف له العقارين التاليين

L-dopa Bromocryptine

وتجدر الاشارة الى المساعي الجادة التي تقـوم بها الهيئـات الـطبيـة في بريـطانيـا وأمريكا ، والتي تستهدف تحريم الملاكمة وحظرها نهائيا ، باعتبارها رياضة وحشية لاهدف منها الا البطش بالخصم . . وقتله إن أمكن . □

عقـاران جديـدان لعلاج الصرع

□ نشرت مجلة بيو انجلند الطبية نتائج الـدراسة الـواسعـة الـدقيقـة التي أجراهـا مستشفى كـبج كـولـج king college حول الصرع وبوبائه . فقد أثبتت هذه الدراسة التي استغرقت ٥ , ٥ سنوات ، أن في استطاعة ضحايا الصرع أن يتطلعوا الى الشفـاء منه ، لاسيـما اذا أمكن معـالجتهم بـأحـد العقـاريـن الجديدين ، في غضون السنتين الأوليين من اصابتهم بالمرض

فقد جرب العقاران على نطاق واسع فأثبتا فاعليتهما . . وقدرتهما على الشفاء من الصرع اذا استمرت المعالجة بالواحد منهما مدة سنتين وذلك بنسبة ٨٣ / ، أما العقـاران الجديـدان فهما .

Phentytoine

Carbamazepin. ولعلهـما قـديمـان بحد ذاتهما ، ولعل استعمالهما الفعال ضد الصرع هو الجديد . . □

غاز الميثان في الجو

□ من المعروف أن غاز ثـاني أكسيد الكربون آخذ في التكاثر في الغلاف الجوي الذي يلف الكرة الأرضية . . ومن المعروف أيضا أن سبب ذلك انما هو حرق البتـرول ومشتقاتـه واشتقاقـه من مصادر الـطاقـة الأحفـوريـة . . ومن المعـروف كذلك أن تكاثر هذا الغاز هـو المسؤول الأول عن الارتفاع الذي طرأ على حرارة سطح الأرض مسببا ما يعرف بأثر البيت الزجاجي Greenhous effect

ولكن العلماء اكتشفـوا مؤخـرا ـ في أواخر العام المـاضي ١٩٨٤ وفي جامعـة كاليفورنيا بالذات ـ أن غازا آخر آخذ في التكاثر في الجو وآخذ أيضا في الاسهام في رفع حرارة سطح الأرض،انه غـاز الميثان Methane وقد ثبت أن زيادته في جو الأرض كـانت بنسبة ١ , ١٪ بـالمتوسط سنويا وذلك منذ عام ١٩٧٧ .

أما المصادر التي يتصاعد منها غار الميثان هذا فهي ماشية المرعى التي تستطيع هضم السيلولوز . . وحقول الارز والمستنقعات حيث يتم التفاعل البيولوجي الذي يولد غاز الميثان أيضـا . ولا يخفى أن الماشيـة وحقـول الأرز كانت في تـزايـد في المـدة الأخيـرة . .

وقد اقترح أحد علماء نيوزيلندة طريقة لاستعمـال الفائض من غـاز الميثـان . . وذكر الدكتور دافيد لو Lowe فيما ذكر في المحاضرة التي القـاها في أحـد المؤتمرات الـذى عقـد مؤخـرا في والنجتـون العـاصمـة . . ان كميـة الغـازات التي تقذفها من باب بدنها غنمة واحدة في يوم واحد توفر الطاقة الكافيـة لتسيير سيـارة شحن صغيرة مسافة ٤٠ كيلومترا . □



مكتشفون ومخترعون

لادسلاو جوزيف بيرو Ladislao Biro

ولد سنة ١٩٠٠ -

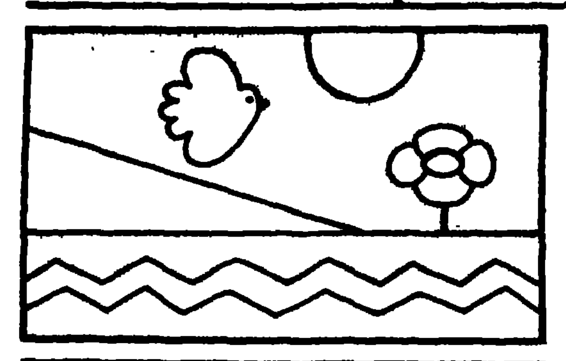
هذا هو مخترع قلم الحبر الجاف الذي انتشر استعماله وشاع في مشارق الارض ومغاربها . كان صحفيا وفنانا من المجر .. ويتردد على المطابع بحكم أعماله الصحفية . واسترعى انتباهه ذات يوم الحبر الذي تستعمله المطابع والسرعة التي يجف بها هذا الحبر .. وراح يفكر في كيفية استعمال مثل ذلك الحبر في أقلام الكتابة ..

ونجح بيرو في أواسط الثلاثينيات في ابتكار قلمه الجاف الاول الذي يكتب دون أن يلطخ الصفحة ببقع من حبره .. وبدأ معاملة تسجيل اختراعه رسميا سنة ١٩٣٨ . ولكن الحرب العالمية الثانية التي اندلعت سنة ١٩٣٩ حالت دون استكمال تلك المعاملة وحصول بيرو على براءة اختراعه .. وهجر العالم وطنه الى فرنسا فاسبانيا فالارجنتين ...

وفي مطلع الأربعينيات تعاون بيرو مع أخيه (جورج) الكيميائي على ما يمكن اجراؤه من تحسينات على قلمه .. ثم عهد لأحد المصانع في بوينس أيرس عاصمة الارجنتين بانتاج قلمه على نطاق واسع .. ولكن بيرو ما لبث أن باع حقوقه في اختراعه الى أحد مموليه .. وانطلق هذا في انتاج القلم الجاف بقصد توزيعه على أفراد القوات البريطانية والأمريكية .

وانتقلت ملكية قلم بيرو بعد ذلك الى الشركة الفرنسية الكبيرة بك Bic . وما أسرع ما مضت هذه الشركة في صنع القلم على أوسع نطاق ممكن وبيعه في شتى بلدان العالم حتى بلغ ما تنتجه الشركة الفرنسية من القلم الجاف ١٢ مليون قلم أو يزيد في اليوم الواحد . وأصبح الاسم الذي يعرف به القلم Bic لا بيرو ...

وانطوى ذكر المخترع كما انطمس اسمه .. ولا يعرف عنه الا أنه مازال يعيش في أمريكا الجنوبية وأنه يشعر بالحسرة والمرارة كلما ذكر اختراعه وذكر المردود الضئيل الذي عاد عليه به ... والأرباح الخيالية التي جنتها ومازالت تجنيها شركة Bic من قلمه الجاف .



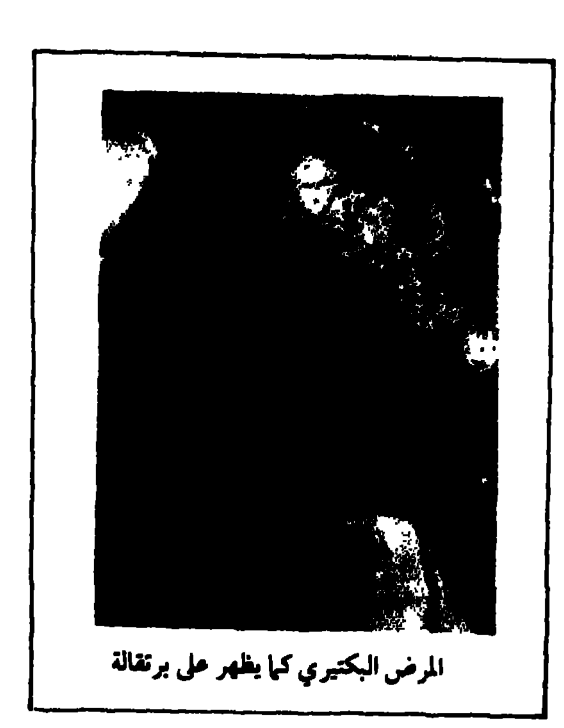
عصير البرتقال سترتفع أسعاره عما قريب

تعرضت زراعة البرتقال فى ولاية فلوريدا لمرض بكتيري خطير فى خريف العام الماضى - ١٩٨٤ يسمونه بالانكليزية كانكر Canker .
وأعراضه نقاط بنية تظهر على أوراق الشجر وثماره ، وتحيط بها حلقات صفراء . اما اسمه العلمى فهو Xanthomonas Campestries وهو كفيل بتجريد أشجار البرتقال من أوراقها ، وبالفتك بالأشجار نفسها بعد ذلك .

ومن أهم خصائص هذا المرض سرعة انتشاره ، فقد ظهر فى احد المشاتل فى فلوريدا ، ومالبث ان انتقل بسرعة مذهلة ، وظهر فى مشاتل أخرى تبعد عن الأولى مسافة ٢٥٠ كيلو مترا .. ويشبهونه فى ذلك بمرض الفم والقدم الذى يفتك بالماشية فتكا ذريعا وسريعا ..

أما السبب فى سرعة انتقال مرض الكانكر هذا فقابليته للانتقال بشتى الوسائل .. فهو يعلق بالملابس والجلد والادوات والمعدات .. وقد لا يحتاج لانتقاله الى اى من هذه الوسائل ، نظرا لانه يستطيع الانتقال بواسطة الريح ، ولو لمسافات قصيرة ..

وتعتبر ولاية فلوريدا فى طليعة الولايات المتحدة من حيث زراعة البرتقال وصناعته . فهى مصدر ٥٠٪ من عصير البرتقال الذى تصدره الولايات



المرض البكتيري كما يظهر على برتقالة

المتحدة و٩٠٪ من اللايم Lime و ٧٥٪ من عصير الجريب فروت .. وتدرك فلوريدا مدى الخسائر التى ستتكبدها لامحالة ، لانها ما زالت تذكر المرة السابقة التى بطش مرض الكانكر ببرتقالها وكان ذلك سنة ١٩١٣ وقد بلغت الخسائر التى تكبدتها بسببه آنذاك ٦ ملايين دولار أو ان شئت ٦٠ مليونا بسعر الدولار فى



مكافحة المرض بالحرق بالنار

الوقت الحاضر وهذه خسائر كبيرة ولاريب ، الا أنها تتضاءل لو قورنت بالخسائر الحالية ـ بل قل المرتقبة في فصل الشتاء القادم ـ ١٢٠٠ مليون دولار

هذا ومرض الكانكر مرض عصاي ويستعصى على المبيدات . . ولا سبيل الى مكافحته الا بالحرق بالنار . . لا عجب اذن ان أضرمت النار في المشتل الذى اكتشف فيه المرض أول ما اكتشف . . وأضرمت كذلك في شتى المزارع والمشاتل الأخرى التي اشترت اشتالا موبوءة . . ثم فرضت الكورنتنا على عدة مشاتل ومزارع أخرى .

وحكومة الولاية ـ ولاية فلوريدا ـ هى التى تقوم بأعباء مكافحته في مثل هذه الحالات (انظر الصورة) وهي تعتمد على عمال الموتين لاضرام النار حيث يسعى اضرامها ويرى بعض الخبراء أن أعمال مكافحته هذه مبالغ فيها بوع ما فهى لا تكتفى بحرق الأشجار والأشتال المصابة . ولكنها تحرق الأشجار والاشتال غير المصابة التى تقع على بعد ١٢٥ قدماً من تلك المصابة . وتعمد بعد ذلك الى تجديد الاشجار والأشتال التى لم تتلف من اوراقها ، ويجرى تجريدها من اوراقها بواسطه رش المستحضرات التى تحتوى على مركبات النحاس وهى مستحضرات غالية الثمن ☐

هل تريد الاقلاع عن التدخين ؟

☐ من المعروف أن الاقلاع عن التدخين مهمة شاقة للغاية وتتعذر على الكثيرين من المدخنين . ذلك أن التدخين ادمان . ومحتوياته من النيكوتين لاتلبث أن تتطلب المزيد لدى دخولها مجرى الدم مهما كانت قليلة

ولكن العلماء اكتشفوا ان في استطاعه عقار الكلونيدين Clonidinc مساعدة المدخنين ، بل قل الراغبين منهم في الاقلاع عن العادة الضارة المدمرة والعقار المذكور ليس حديثا . . وهو معروف منذ زمن ويستعمل في معالجة حالات ارتفاع ضغط الدم وقد استعملوه قبل حين في الحد من الادمان على الهيروين واثبت فاعليته في ذلك. أما العالم الذى اكتشف الاستعمال الجديد ضد التدخين فهو من علماء جامعة كولمبيا واسمه (Dr.A.Glassman) ☐

نباتات تبشر بتحقيق الأمن الغذائي

□ ما زالت مشكلة الأمن الغذائي تشغل بال العلماء علماء النبات والمهندسين الزراعيين . وتحظى بنصيب وافر من جهودهم وتجاربهم وهدفهم في ذلك انما هو تهجين أو تخليق صنوف جديدة من النباتات التي تتوفر فيها شروط معينة أهمها القيمة الغذائية العالية ، ووفرة المحصول ، والمناعة ضد الحشرات والأمراض .

بيد أن نبات أمرانث Amaranth ونبات كوينوا Quinua ليسا من النباتات الجديدة المختلفة ، بالرغم من أنهما مستوفيان للشروط التي ذكرنا ، ويبشران بمنافع كبيرة للبشرية وبالمساعدة على حل مشكلة المجاعات في الوقت الحاضر ومشكلة الانفجار السكاني في المستقبل فهما قديمان ولكنهما منسيان

ذلك أن كلا النباتين كانا جزءا هاما من طعام الهنود الحمر في أمريكا اللاتينية لقد أدركت قيمتهما حضارتا الانكا والأزتك ، وبلغ من تقديرها أن اعتقد الكثيرون من أفراد تلك القبائل بأن النباتين والكوينوا محصنة - انما هما من أطعمة الآلهة

نبات الامرانث أمل المستقبل



هذا بالرغم من قيمتها الغذائية الكبيرة . . فهي لا تقل عن قيمة الحليب . . وتمتاز على قيمة كل الحبوب المعروفة - بما في ذلك القمح والذرة - امتيازا مطلقا فالأمرانث والكوينوا يحتويان على نسبة عالية جدا من البروتينات ، وعلى الأحماض الأمينية المعروفة بتركيبات غريبة غير مألوفة . . أضف الى ذلك أن النباتين قابلان للزراعة والنمو في الأقاليم الحلية وغير الحلية ، ولا يحتاجان الى ري كثير . . ويقاومان الجفاف والتقلبات الجوية . وأن حبوبهما - وهي أقسى من القمح والذرة - قابلة للطحن والاستعمال كدقيق القمح ويصلحان أيضا للغلي والأكل كالأرز ، ناهيك بصلاحيها وصلاح نفاياتهما علفا للحيوانات ، وثمة ميزة أخرى . هي أن محاصيل النباتين لا تظهر في وقت واحد . ويمكن أن يستمر حصادهما شهورا عديدة . . ولكن هذه الميزة تنطوي على سيئة كبيرة في الوقت نفسه . اذ لا مفر من حصاد النباتين باليد مادام محصولهما لا ينضج في وقت واحد وانما في أوقات متفاوتة ومعنى هذا أن زراعة النباتين ما زالت بالغة التكاليف . وتزيد بنسبة (٢٠٪) على تكاليف القمح مثلا - والقمح يحصد ويدرس آليا - كما هو معروف .

ولعل هذه السيئة هي في طليعة ما يحظى بتركيز العلماء ومراكز البحث العلمي في الوقت الحاضر . . فالنباتان موضع دراسات وابحاث واسعة تجريها مراكز ومحطات علمية مختلفة في مشارق الأرض ومغاربها . . نذكر من هذه المراكز على سبيل المثال مركز رودل Rodale للابحاث في مدينة كوتز تاون Kutz-town في ولاية بنسلفانيا في أمريكا . . فقد رصد هذا المركز ٣ ملايين دولار ، ووضع برنامجا يستغرق ٧ سنوات لدراسة النباتين والعمل على تحسينهما وتهجينهما . .

ويعتقد بعض العلماء الأمل على تخطي السيئة السالفة الذكر وتهجين صنوف جديدة من الامرانث والكوينوا لتصبح في مستقبل غير بعيد النباتات السحرية الكفيلة بحل الكثير من مشاكل البشرية □

دعوة إلى التجريب

في أدب عز الدين المدني

بقلم : الدكتور سيد حامد النساج *

عز الدين المدني واحد من المثقفين العرب . أسهم اسهاما واضحا في الحياة الثقافية والادبية في تونس . وتحمّل مع عدد من رفاقه مسئولية الدعوة الى التجديد في الادب وفي الفكر . فقد جسدت كتاباته المتنوعة رغبة واضحة في الابتكار والتجديد اذ سرت فيها روح الثورة والحماس ، مما لفت اليه الانظار ، ودفع المجتمع الثقافي الى الالتفات الى تجاربه الادبية وآرائه النقدية .

حدث ذلك عندما أخذ عز الدين المدني ينشر جزءا من قصته « الا تذكرين ؟ » فقد كتبت بلغة غير مفهومة . وطريقة غير مألوفة . وجمل غير اعتيادية . وكلمات غريبة . وألفاظ شاذة لم تألف العين قراءتها . ثم ان بناء القصة ، أو شكلها الفني ، كان جديداً على القراء العرب في تونس . ولعل هذا هو السبب فيما أثير حول الكاتب ونتاجه من جدل ولغط عظيمين ، مما جعله يتوقف عن نشر باقي القصة . وظل على هذه الحال فترة . وجدير بالذكر أنه لم يكن ممن يلهثون وراء النشر السريع ، أو التدفق الغزير في الكتابة .

بعد ما يقرب من خمس سنوات ، نشر قصة أخرى بعنوان « الانسان الصفر » . وجاءت هي الاخرى في صورة أكثر غرابة من سابقتها . ولم يقف ضدها المثقفون التقليديون وحدهم . وانما التقى القراء العاديون ، مع المفكرين والادباء ، للوقوف في وجه هذه النزعة . فلم يكونوا - جميعا - على استعداد لتقبل ثورته التجديدية الادبية ، بصدر رحب . وقد اتهمه خصومه بالتخريب ، والتهديم ، لأنه يطالب بزلزلة مفاهيم ثقافية وفكرية وأدبية متوارثة ومعروفة !

لكن الشيء اللافت للنظر ، أن كتاباته تكشف عن نظرة هادئة ، وعن عدم تسرع في عرض

* الدكتور سيد حامد النساج استاذ ورئيس قسم اللغات والعلوم الاجتماعية بكلية التربية جامعة حلوان . وهو ناقد أدبي أسهم ببحوثه ومقالاته النقدية في اكثر من مجال . وقدم للمكتبة العربية عددا من المؤلفات والدراسات .

الأفكار ، وعن حرص شديد على أن يبتعد عن السفسطة والزعيق والصراخ والغوغائية ، رغم كونه يواجه بقوى رافضة كثيرة وقوية . وقد حاول مناقشة الوضع الثقافي في تونس . واجتهد في تصنيف المثقفين وفقا لأفكارهم ، واستنادا الى كتاباتهم ، فضلا عن اختلاطه بهم ، ومعرفة أبعادهم ودوافعهم ونواياهم .

الأدب التجريبي

وقد دعاه هذا الموقف المضاد من كتاباته الى أن يشرح تجربته الادبية الجديدة في ندوات خاصة . أو في مقالات نقدية متتابعة . أو فيما أسماه هو « البيانات ». ثم ما لبث أن جمع ذلك كله ، وضمنه كتابا أسماه (الادب التجريبي) الذي صدر عام ١٩٧٢ .

وفكرة التجريب والتجريبية عنده تختلف تماما عما نقرأوه في (القصة التجريبية) للكاتب الفرنسي المعروف اميل زولا . والكتاب في قسمين رئيسيين : الاول وضع له عنوان « نظريات ». والثاني اختار له عنوان « قراءات ». قدم لهما ببعض النقاط المتابعة التي اعتبرها هو بمثابة المدخل كما يعلن ذلك .

واذا كان القسم الاول الخاص بالنظريات يضم أهم الافكار التي تتصل بدعوته الى الأدب التجريبي ، فان ذلك يقف عند حدود صفحة ٤٤ ليس غير . وبالتحديد ، بعد حديثه عن الالتزام ، وقضية الشكل والمضمون بين الايديولوجيات ، ذلك أن الموضوعات الاخرى التي يتضمنها هذا القسم لا تسهم في بلورة رؤيته الخاصة ، ودعوته الى التجريب . مثال ذلك : هل تضمحل القصة في المجتمع السوفياتي ؟ من القصة التونسية المعاصرة ، رأى في فنية القصة العربية الشعبية ، القصة بحث ، وما شابه ذلك من موضوعات متفرقة .

كذلك فان القسم الثاني كله من الكتاب ، ينحو نحو التنوع في القضايا والموضوعات : اهمية الادب الشعبي وتأثيره في كتابتنا الحديثة ـ ملحمة بني هلال ـ القصة في القرآن ـ بين القصة التونسية الحديثة والقصة المصرية الجديدة ـ كيف نضع القصة ؟ ـ محاولة لدرس الفن القصصي عند علي الدوعاجي ـ عين غربية باردة ـ الحيرة والخلق ، وهكذا .

وعز الدين المدني يضع الواقع الادبي في تونس تحت المجهر . وينطلق في رؤيته الجديدة من دراسة واعية به . اذ يقدم للظاهرة الثقافية ، ولاسبابها ، ولموقف المثقفين التقليديين على نحو خاص ، ثم يقف عند النتائج التي قد تنجم عن هذه الظاهرة مستقبلا . وليس معنى هذا أنه صاحب نظرة محدودة ، أو موقف محلي اقليمي ، ولكن معناه المقبول أنه اتخذ موطنه منطلقا لدعوة عربية عامة ، لا تقف عند حدود بيئته المحلية . وهذا واضح في المقالات والموضوعات الاخرى . انها تكشف عن ثقافة عربية وأوربية قديمة وحديثة ، أو تراثية ومعاصرة ان صح التعبير .

تياران متناقضان

والكاتب صريح في نقمته على واقع الفكر المتخاذل ، العاجز عن التأثير الفعال والضروري في تطور أحوال المجتمع . وهو رافض لخضوع الواقع الادبي والفني في تونس لتيارين متعارضين : أحدهما الموروث ، وثانيهما المستسلم لأدب الغرب وفنونه . ومن ثم فهو يدعو الى نظرة جديدة الى التراث ، تستصفي منه الجوهر ، وتلغي مالا يتلاءم مع واقع التطور الفني والادبي في مجتمعه ، وواقع التقدم الاجتماعي في العالم المعاصر .

أما فيما يتعلق بموقفه من التيارات الثقافية الوافدة ، فانه يدعو الى المراقبة الصارمة للنماذج الثقافية والفكرية العامة الواردة من الغرب ، ومن فرنسا بخاصة وذلك حتى يترك المثقفون مالا ينسجم مع أسلوب النظر ، وطبيعة الشخصية العربية في تونس ، مع محاولة الاستفادة من أساليب التقنية الحديثة في الفنون والآداب الغربية .

يقول تحت عنوان « الطريق الثالثة » ص ١٠ : (وجب علينا أن نتأمل جديا في الادب والفن في تونس بعد الاستقلال ، وأن نغير الاتجاه جذريا ، بعد أن كان منحرفا عن المقاصد السليمة والدروب القويمة . وهذا الانحراف يتمثل في خطين متوازيين : الاول : الخط الخاضع للأدب والفن الموروثين من الماضي ، ويليه خط متفرع عنه ما زال خاضعا للتيارات العربية

المشرقية . الثاني : الخط المستسلم لادب وفن الغرب اليوم وفرنسا بالخصوص . أما الخط الثالث وهو خط الادب التجريبي فيعتمد في نظرياته العامة على جهده واجتهاده ، وعلى ما ينقذه من متاحف الماضي ، وما يقتبسه من نبراس الغرب اليوم من علوم انسانية وفلسفة وآداب وفنون وذلك تماشيا مع مقتضيات المعاصرة وليس مع متطلبات الماضي . والادب التجريبي يرادف في هذا المضمار العام التفتح واليناعة والخصوبة ، لكن لا تتحقق هذه الكلمات الا اذا كان الادب عملا يوميا متواصلا . ذلك أن انكم يؤثر جذريا في الكيف ويتفاعل معه .

ولكي تكون رؤيته واضحة ينبغي معرفة رأيه في الالتزام من ناحية ، والوقوف عند الاسس التي استندت اليها دعوته من ناحية أخرى . ذلك أنه أراد أن يكوّن رأياً مختلفا عن محمود المسعدي والشاذلي القليبي ، حيث يرى الاول أن الالتزام والوجودية شيء واحد ليس ثمة ما يفرق بينهما ، ولا بين القدماء والمحدثين ، لانهم جميعا يجهدون في أن يحصوا حقيقة المنزلة البشرية ، وأن يستوضحوا مصير الانسان ، وأن يقصوا المغامرة الوجودية . فالالتزام اذن لا يهتم بالانسان باعتباره عضوا عاملا في مجتمع محسن ، وانما يهتم به كذلك بوصفه مصيرا وحقيقة بشرية ومغامرة وجودية . ويضيف الشاذلي القليبي الى ذلك أن الادب ملتزم بطبعه حين يعبر عن الحياة الرحبة الواسعة .

الوعي التاريخي

ولقد أراد عز الدين المدني أن يبتعد عن التبعية في المناهج النقدية فهرب من القول بالالتزام الايديولوجي وحاول أن يضفي على الالتزام ظلا أكثر تجريدا وأرحب دلالة ، فأطلق عليه ما أسماه « الوعي التاريخي ». وهو : أن يشعر الانسان شعورا قويا حصيفا مدركا للحظة الزمانية التي يعيشها . وأن يحس احساسا بترابط أوصال الزمن من ماض وحاضر ومستقبل . وأن يعي الانسان نفسه دافعا يسير التاريخ ويكيّفه ويصنّفه حسب اختيارات ومبادىء ومقاييس ، وأن يندمج الانسان في الواقع الحاضر كل الاندماج حتى يتكلم باسمه فيكون الاتحاد التام بينهما .

وليس من شك في أنه هنا لم يخرج كثيرا عن تعاليم ومبادىء المدرسة الواقعية الاشتراكية في الادب والفن . وان بدت رحابة المصطلح عنده ظاهرية شكلية ، فانه الح على أمور هي من صميم الالتزام بمفهومه الايديولوجي . مثل ترابط الماضي والحاضر والمستقبل (الحركة التاريخية)، وعي الاديب لمركزه في صنع التاريخ وتكييفه ، الاندماج في الحاضر اندماجا يسمح له بأن يتكلم باسمه ، الدور الريادي للادب والفن) وكان قد اعتبر الادب التجريبي عملا يوميا متواصلا (واقعية اشتراكية) انه فقط أعطى للأديب حرية وأستقلالا لا يتيحهما له مفهوم الالتزام في اطار الواقعية الاشتراكية ، وهو ما تسمح به بعض المدارس الحديثة .

كما أننا نلاحظ أن الشاعر يحدد أبعاد الطريقة الثالثة الى الادب التجريبي ، تعرض للخضوع للتراث العربي وللتيارات العربية المشرقية ، واعتبر ذلك انحرافا عن المقاصد السليمة وقد وضع ذلك جنبا الى جنب مع الادب الغربي . بينما نراه يتيح للادب التجريبي الذي يدعو اليه فرصة الاقتباس من الغرب ، « علوم وآداب وفنون تمشيا مع المعاصرة » كذلك فاننا نراه يحاول انقاذ الصالح من التراث واستعماله أساسا من أسس النظرية

ولعل هذا الاضطراب في الضبط والتحديد قد جاء من رغبته في أن يكون للفكر وللأدب وللفن في تونس استقلال تامٌ ، بحيث لا يعتمد الادباء والمفكرون والفنانون في كل ما يصدر عنهم على مصادر خارجة عن اطار مجتمعهم وبيئتهم ، واساس هذا المجتمع وتلك البيئة . لذا جاءت صيحته الاولى بضرورة الابتعاد عن الموروث القديم ، وعن المشرق العربي ومفكريه وأدبائه ، وعن فرنسا بخاصة وأوروبا بعامة . انه رد فعل عكسي كما يقول علماء النفس وليس هذا طبيعيا . ذلك أنه بذلك يفصل الادب العربي في تونس عن حركة الثقافة العربية بعامة ، قديما وحديثا ، وعن حركة الادب العالمي . وان كانت ثمة ضرورة ، فلنبتعد عن الادب الفرنسي . لان فرنسا كانت مستعمرة لتونس .

ثم ما لبث أن عاد ـ كما رأينا ـ وحاول النظر في أسسه ومبادئه . لان التطبيق الفعلي على مستوى النتاج الادبي لم يساعده ولانه هو نفسه قد صدر في دعوته عن مجموعة الثقافات التي تقف نفسه بها عربية تقليديه ، ومعاصرة ، وأوربية ولا ننسى أن ثورته المستندة الى نقد وهدم القديم . وفي الارتباط بالواقع ، والى التحديد الذي على دعائمه محنة واقليمية ، كانت قد شاعت في كتابات المدرسة الحديثة في مصر في الربع الاول من هذا القرن وقد هيأت ظروف موضوعية لذلك كما أن الواقع الادبي أنبت ساحا ساعد على نمو وازدهار ذلك الفكر وتلك الدعوات . ومع أن زعماء هذه المدرسة قد رفضوا المحاكاة والتقليد ، فأنهم لم يرفضوا الاستفادة من التيارات الثقافية الاوربية المعاصرة ، وان رفضوا تقليدها ومحاكاتها . وهناك اشعاعات قويه من أفكار ومبادىء هذه المدرسة تسربت الى دعوته التجديدية !

مفهوم التجريب

ويؤكد هذا من بعض الوجوه ما يذكره الكاتب نفسه ، وهو يلخص مفهومه للتجريب بصفحتي ٢٨ ، ٢٩ : (الا أن التجريب الفني والادبي الذي نعنيه نحن . هو تلك العملية التي يقوم بها الفنان أو الاديب لرفض ما للثقافة والادب والفن والتقاليد الحضارية من عناصر متعفنة تنافي في جوهرها روح العصر ، وتطور المجتمع ، وحرية الفرد ، ولتفكيك تراكيبها ، وابراز هياكلها ، واظهار عيوبها ، ثم للدخول في مغامرة فنية وأدبية لخلق أدب وفكر وفن يضيف من الادراك ، وذلك اعتمادا على ما تقدمه العلوم الانسانية والفنون باختلافها من شتى الايرادات الايجابية ، ومعرفة دقيقة للاصول الجمالية الممكن استعمالها في أحد الانواع الادبية

فالتجريب في الفن والادب نابع من واقعنا الثقافي والحضاري والادبي والفني لا كما يعتقد البعض انه استظراف لعمليات التجريب في أوروبا أو تقليد لمثيله في الشرق العربي . والعدو الالد للتجريب الفني والادبي هو التقليد ، لا التقليد في ظاهر الانتاج من لفظ ومعنى وربما شكل ، بل المحاكاة في الاعماق والرواسب والارضية التي يحتضنها ذلك الانتاج ، ويسبح على منوالها كما أن التجريب الفني والادبي يعرض كل الاعراض عن « الموضات » الفكرية والادبية والفنية ، ويرفض تجاهاتها الثقافيه لانها تنبعث من واقع غير واقعه ، وذلك بعد أن يقوم بعملية فرز وانتقاء واصطفاء لما يرجع عليه بالفائدة ، إثراء له لا دوبانا ومسخا وتمزيقا . والتجريب الفني والادبي هو دعوة ملحة الى تبصير الكاتب بقضايا الثقافة والحضارة والفن تبصيرا كله رؤية ومعرفة جيدة بالاصول ، واطلاع واسع على العلوم الانسانية واتجاهات الفنون المعاصرة) .

دور الشابي

أبعد من هذا أننا لا يمكن لنا فصل هذه الدعوة عن سابقاتها في تونس نفسها ومعروف أن العقد الثاني من هذا القرن ، شهد تطورا ملحوظا في الادب العربي الحديث هناك ، وقد أسهم الشاعر الشاب أبو القاسم الشابي في بث دماء حديدة الى الادب هناك ، في عرض بعض القيم الفنية المتكررة ، وفي ربط الادب بالقضية الوطنية بشكل خاص ، والمسألة القومية بصفة عامة .

ويقال ان مجلة « العالم الادبي » التي كانت تصدر ـ آنداك ـ دعمت هذا التحديد ، وساعدت على اضفاء أبعاد عصرية للفكر العربي ، وللادب العربي الحديث في تونس ، حيث كان يعمل بها جنبا الى جنب أبو القاسم الشابي ، وعلى الدوعاجي ، وزين العابدين السنوسي ، الذي كان يرأس تحريرها ، وهو الذي حاول أن يجعل من مجلته ملتقى ، يلتقي على صفحاتها كل من يجد لديه القدرة على الابداع والخلق . فجمع حوله عددا من الشباب ، وكونوا ما يشبه المدرسة الفكرية المستقلة ، ذات الاهداف ، والاسس ، والغايات .

لكن هذه المجلة احتجبت في منتصف الثلاثينيات ، فتوارى معها جماعتها . وفي ١٩٣٥ ظهرت جماعة أخرى أطلقت على نفسها اسم جماعة « تحت السور » . ضمت كلا من : محمد العريبي ، محمود المسعدي ، محمد بكير ، عبدالوهاب بكير ، محمد زروق ، عبدالرازق كرباكه ، الصادق مازيغ

وعلى مشارف استقلال تونس، صدرت مجلة «الفكر» لتشكل هي الأخرى مدرسة خاصة ولتلعب دورا هاما في الحياة الادبية والثقافية. وفي ١٩٦٦ صدرت مجلة «قصص» التونسية، لتعمل كذلك على فتح باب التجديد والابتكار في شكل القصة القصيرة والرواية، ولتطالب بما يسمى «تونسة» الادب. وقد استجاب لدعاوي هذه المجلة عدد كبير من الكتاب الذين بدأوا الكتابة في الخمسينيات، وعدد آخر من شباب الكتاب الجدد، الذين وجدوا في تعاليم ومبادىء هذه المجلة صدى كبيرا لما كان يعتمل في نفوسهم. ولا شك أن عز الدين المدني واحد من هؤلاء الشباب.

الشكل الفني

اجتهد عز الدين المدني في أن يكون اضافة، وفي أن يفتن لما سبق أن أذيع من فكر وآراء. وفي أن يبلور ثورة سابقيه من خلال «نظريته» التي أطلق عليها «الادب التجريبي». وبدلا من الاستغراق الكلي في «الموضوع» وفي مضمون العمل الادبي، أتاح للشكل الفني أن يحتل منزلة خطيرة ومهمة في دعوته. اذ أنه يرى أن الاشكال الفنية هي روح العمل الادبي. وهي خلاصة نظرة الفنان والكاتب الى الحياة، والواقع والمجتمع. وهي اطار لذلك العمل، وهيكل حديدي يلفه من كل جانب كما يقول.

ولتحقيق ذلك - في نظره - يلزم التجريب المستمر، والبحث الدائب، والعمل اليومي المتواصل. للخروج من المعلوم الى المجهول. وللانصراف الكلي عن المعروف بعد اكتسابه. وللانطلاق بعيدا عن المألوف، والتمرد على المبتذل، وكسر المحنط، والدخول بكل جرأة في مجازفة أدبية، ومغامرة فنية بمعنى الدخول في مسير وجودي عميق، لا يعرف للاطمئنان بابا، ولا يعترف للسكينة بمنفذ، ولا يسقط في التبعية، ولا يتقيد بالاستسلام.

ثم تأتي أخيرا الاسس التي يستند اليها مفهومه للادب التجريبي، وهي على النحو التالي:

١ - توسيع ميدان النظريات الجمالية في الادب والفن وتطويره مع تعميق النظر في الانواع الادبية والفنية المختلفة من شعر وقصة ورواية ومسرحية وسينما وموسيقا ومسرح.

أ - تطوير مفهوم الكتابة الادبية والفنية بعد الاستفادة من أنواع الكتابة القديمة والاجنبية ان أمكن.

ب - النظر في الفنيات وانمائها من ذلك الحوار والسرد والاوزان والشكل.

جـ - النظر في العربية في مجال التعبير الادبي وتطويرها وتعصيرها بادخال اللغة اليومية ومراجعة الصيغ الصرفية والنحوية وتنميتها والغاء ما يعطل العربية في مواكبتها للعصر.

٢ - اكتساب نظرة نقدية صحيحة للتراث والانتاج الادبي، وذلك يهدف الى:

أ - انقاذ ما هو صالح من التراث واستعماله بطرق مرنة مع مراعاة عصرنا.

ب - تغذية تفكيرنا بما يمكن أن يكون صالحا لنا من الانتاج الاجنبي بكل حذر.

٣ - مزج الادب بالفن بعد الاستفادة من فنيات مختلف الفنون وادماج العلوم الانسانية وربما بعض العلوم الصحيحة في صلب الادب بكل ما في ذلك من نظريات وتطبيقات.

٤ - التسلح بالوعي التاريخي الذي يشمل مفاهيم المعاصرة والتقدم والاختيارات المصيرية الكبرى وربط عرى الزمان والحرية.

٥ - التسلح بالروح العلمية وخصوصا في مجال النقد.

٦ - العمل على ربط الاتصال الوثيق مع الشعب وبالخصوص مع المستويات الكادحة. والواقع أن هذه الرؤية لم تتح لها فرصة الذيوع على مستوى حركة الفكر والفن والادب في وطننا العربي، وذلك عندما صدرت في كتاب. اذ هي في حاجة الى أن يناقشها اللغويون، والبلاغيون، والتراثيون والفنانون التشكيليون، والسينمائيون، والادباء، مع اختلاف اتجاهاتهم ومدارسهم الفكرية.

ويبقى أن نشير الى أن «نظرية» عز الدين المدني، سوف تظل قابلة للمناقشة من الناحية النظرية البحتة. لكنها على المستوى التطبيقي العملي، يصعب تنفيذها الى حد كبير. □

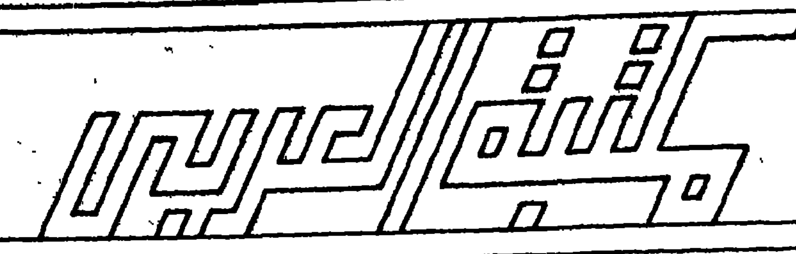
حول الفتح العربي الإسلامي (لما وراء النهر)

بقلم:

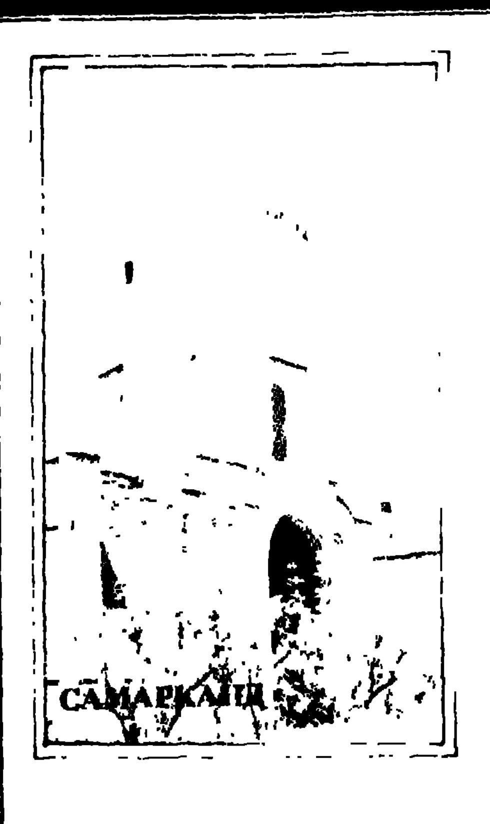
يوري الاسكيروف

عرض وتعليق: نادر خالد نصرة

قبل الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى لم يكن لدى شعوب تلك المنطقة ديانة واحدة مشتركة، فما هي الديانات التي كانت تسود تلك البقاع من العالم، وكيف تسنى للاسلام أن يحل محلها جميعا، وأن يؤلف بين قلوب الناس من أهلها؟



كتاب الشهر



حول الفتح العربي الإسلامي
(لما وراء النهر)

بقلم :

يوري الاسكيروف

عرض وتعليق : نادر خالد نصرة

قبل الفتح العربي ـ الاسلامي لآسيا الوسطى لم يكن لدى شعوب تلك المنطقة ديانة واحدة مشتركة ، فما هي الديانات التي كانت تسود تلك البقاع من العالم ، وكيف تسنى للاسلام أن يحل محلها جميعا ، وأن يؤلف بين قلوب الناس من أهلها ؟

كتاب الشهر

بعد عودتي من زيارة سياحية الى مدينتي بخارى وسمرقند ، وتحت تأثير ما رأيت من عظمة المعالم الحضارية العربية - الاسلامية في تلك النواحي ، توجهت الى المكتبة العامة في مدينة طشقند للاستزادة من أخبار العرب في آسيا الوسطى

من الكتب التي وقعت بين يدي كتاب للمؤرخ التتري السوفييتي بوري ن . الاسكيروف يحمل اسم (سمرقند - صفحة تاريخ) الصادر عن دار النشر في مدينة طشقند عام ١٩٦٧م يقع الكتاب في ٢١٦ صفحة من الحجم المتوسط ويتناول تاريخ آسيا الوسطى خلال مرحلة تاريخية طويلة (من القرن ٨ ق . م الى الستينيات من قرننا هذا)

بعد مطالعتي للكتاب المذكور ، وجدت انه من واجبي أن أطلع القارىء العربي على معلومات مخالفة للواقع وردت في هذا الكتاب وهذا ما سنفعله على مدى الصفحات القادمة .

أجزاء الكتاب

قسم الكتاب الى خمسة أجزاء هي : من خلال القرون ، مع روسيا الكبرى ، تأثير الثورة الروسية الاولى على سمرقند ، بين ثورتين ، الراية الحمراء فوق الرابع . وعلى الرغم من هذا التقسيم الذي اختاره المؤلف فالكتاب مقسم الى أربعة أقسام تمثل المحطات الرئيسية لشعوب هذه المنطقة :

- الاحتلال المكدوني - اليوناني لآسيا الوسطى عام ٣٢٩ ق . م .
- الفتح العربي - الاسلامي عام ٧١٢م .
- اجتياح تيمورلنك لآسيا الوسطى عام ١٢١٢م .
- الاستعمار الروسي لتركستان عام ١٨٦٨م .

ما يهمنا هنا هو الفتح العربي الاسلامي لآسيا الوسطى وما تبعه من تمازج حضاري ، ومدى تأثير الحضارة العربية التي وصلت الى هناك مع الفتح العربي على شعوب تلك المنطقة

يعالج الكاتب الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى ، ونتائجه في الجزء الاول من كتابه الذي يتكون من ١٠٤ صفحات موزعة كالتالي : ٤٣ صفحة - للاحتلال المكدوني ، سيطرة الخاقانات والقبائل التركية الرحالة ٨ صفحات - الفتح العربي الاسلامي ٥٣ صفحة - الاحتلال المغولي - التتري

قبل أن نبدأ بشكل مباشر مناقشة تفاصيل الفتح العربي الاسلامي لآسيا الوسطى ، نود بشكل مختصر أن نقف على المنعطفات الرئيسية في تاريخ آسيا الوسطى قبل الفتح العربي - الاسلامي لها

أول إشارة الى الشعوب والقبائل التي قطنت أراضي آسيا الوسطى ترد في الكتاب المقدس للايرانيين القدماء أقدم الدول التي تشكلت على أراضي آسيا الوسطى تعود للفترة ما بين القرنين ٨ - ٧ ق . م وهذه الدول هي : بكتيريا ، خوارزم وسغد . واشتملت الاخيرة على سهل الزرفشان والمدينة الرئيسية لها - مركند (سمرقند لاحقا) ويجدر بالذكر ان اسم سغد ورد بشكل مختصر وغامض جدا في الكتب والمراجع التاريخية

الفتوحات الأولى

في بداية القرن السادس وبعد حروب دامية سيطر الايرانيون بقيادة كيرم على أراضي آسيا الوسطى ، واستمر حكم الفرس ٢٠٠ عام . شهدت شعوب تلك المنطقة آنذاك أفظع صور العذاب والقتل .

سمرقند .

في ربيع ٣٢٩ ق . م . اكتسحت الجيوش المكدونية - اليونانية بقيادة الاسكندر ذي القرنين خلال ١٥ يوما أراضي آسيا الوسطى واعمل المكدونيون السيف في السكان المحليين ، وحرق مدنهم ودمر أسوارها ، وشرد أهلها واجبرهم على العيش على سفوح جبال وعرة . ذكر تعامل جيوش الاسكندر المكدوني بالسكان الأصليين والتدمير الذي لحق من نكبة أليمة . ان الاحتلال الاغريقي لآسيا الوسطى ، فتحت طرق القوافل بين الصين وأوروبا ، ويعرف بطريق الحرير الكبرى

وبعد القرن الاول ق . م وقعت سغد وبكتيريا تحت سيطرة دولة العبودية الكبرى (الخاقانات) وفي فترة هيمنة هذه الدولة القوية حتى القرن الرابع الميلادي وأثناء حكم الخاقانات توطدت علاقة سكان سغد وبكتيريا مع الهند والصين ، وقد أصيبت الامبراطورية الخاقانية بالركود ، وضعفت تدريجيا وسقطت تحت ضربات القبائل المقاتلة التركية الرحالة (الافتاليون) وهؤلاء بدورهم أحكموا السيطرة على آسيا الوسطى وفي القرن السادس الميلادي أبيد الافتاليون على أيدي قبائل تركية أخرى عرفت باسم الكاغات ، وفرضت سلطتها على السكان المحليين

قبل الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى لم يكن لدى شعوب تلك المنطقة ديانة مشتركة ، والمعلومات العلمية التاريخية تؤكد أن ، كان لتلك المنطقة أديانا ديانات مختلفة ، منها البوذية والمسيحية ، وكذلك انتشرت الزرادشتية بشكل واسع

ما وراء النهر

يبدأ الاسكيروف بصنع سرده عن أحداث الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى تحت عنوان عريض (ما وراء النهر في نيران)

في الربع الثاني من القرن السابع اندفع المحتلون العرب الأشد بطشا إلى آسيا الوسطى ، سنترك هذه الفقرة الآن ، نعود اليها فيما بعد ، يتابع الكاتب : (قبل فتحه آسيا الوسطى أسس العرب دولة قوية - الخلافة - في عام ٦٥١م الجيوش العربية سيطرت على ميروم التي كانت تابعة للساسانيين ، وجعلتها نقطة انطلاق لاحتلال آسيا الوسطى ، من هنا قام العرب بحملات متتالية على الاراضي القريبة من نهر أمو - داريا أطلقوا اسم ما وراء النهر على هذه المنطقة

يتابع المؤلف (في بداية القرن الثامن بعث الحجاج والي العراق ، قائد الجيوش العربية قتيبة بن مسلم الخبيث ، الفاسد ، والسياسي القاسي الى آسيا

كتاب الشهر

بعد عودتي من زيارة سياحية الى مدينتي بخارى وسمرقند، وتحت تأثير ما رأيت من عظمة المعالم الحضارية العربية - الاسلامية في تلك النواحي، توجهت الى المكتبة العامة في مدينة طشقند للاستزادة من أخبار العرب في آسيا الوسطى

من الكتب التي وقعت بين يدي كتاب للمؤرخ التتري السوفييتي يوري ن. الاسكيروف تحمل اسم (سمرقند - صفحة تاريخ) الصادر عن دار النشر في مدينة طشقند عام ١٩٦٧م ويقع الكتاب في ٢١٦ صفحة من الحجم المتوسط ويتناول تاريخ آسيا الوسطى خلال مرحلة تاريخية طويلة (من القرن ٨ ق . م الى الستينات من قرننا هذا)

بعد مطالعتي للكتاب المذكور، وجدت انه من واجبي أن أطلع القارئ العربي على معلومات مخالفة للواقع وردت في هذا الكتاب وهذا ما سنفعله على مدى الصفحات القادمة .

أجزاء الكتاب

قسم الكتاب الى خمسة أجزاء هي . من خلال القرون ، مع روسيا الكبرى ، تأثير الثورة الروسية الاولى على سمرقند ، بين ثورتين ، الراية الحمراء فوق الرابع . وعلى الرغم من هذا التقسيم الذي اختاره المؤلف فالكتاب مقسم الى أربعة أقسام تمثل المحطات الرئيسية لشعوب هذه المنطقة :

- الاحتلال المكدوني - اليوناني لآسيا الوسطى عام ٣٢٩ ق . م .
- الفتح العربي - الاسلامي عام ٧١٢م .
- اجتياح تيمورلنك لآسيا الوسطى عام ١٢١٢م .
- الاستعمار الروسي لتركستان عام ١٨٦٨م .

ما يهمنا هنا هو الفتح العربي الاسلامي لآسيا الوسطى وما تبعه من تمازج حضاري ، ومدى تأثير الحضارة العربية التي وصلت الى هناك مع الفتح العربي على شعوب تلك المنطقة

يعالج الكاتب الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى ، ونتائجه في الجزء الأول من كتابه الذي يتكون من ١٠٤ صفحات موزعة كالتالي : ٤٣ صفحة - للاحتلال المكدوني ، سيطرة الخاقانات والقبائل التركية الرحالة ٨ صفحات - الفتح العربي الاسلامي ٥٣ صفحة - الاحتلال المغولي - التتري

قبل أن نبدأ بشكل مباشر مناقشة تفاصيل الفتح العربي الاسلامي لآسيا الوسطى ، أود بشكل مختصر أن أقف على المنعطفات الرئيسية في تاريخ آسيا الوسطى قبل الفتح العربي - الاسلامي هنا

أول إشارة الى الشعوب والقبائل التي قطنت أراضي آسيا الوسطى ترد في الكتاب المقدس للايرانيين القدماء أقدم الدول التي تشكلت على أراضي آسيا الوسطى تعود للفترة ما بين القرنين ٨ - ٧ ق م وهذه الدول هي : بكتيريا ، خوارزم وسغد . واشتملت الأخيرة على سهل الزرفشان والمدينة الرئيسية لها - مركند (سمرقند لاحقا) ويجدر بالذكر ان اسم سغد ورد بشكل مختصر وغامض جدا في الكتب والمراجع التاريخية

الفتوحات الأولى

في بداية القرن السادس وبعد حروب دامية سيطر الايرانيون بقيادة كيرم على أراضي آسيا الوسطى ، واستمر حكم الفرس ٢٠٠ عام . شهدت شعوب تلك المنطقة آنذاك أفظع صور العذاب والقتل .

سمرقند.

في ربيع ٣٢٩ ق . م . اكتسحت الجيوش المكدونية - اليونانية بقيادة الاسكندر ذي القرنين خلال ١٥ يوما أراضي آسيا الوسطى واعمل المكدوني السيف في السكان المحليين ، وحرق مدنها ودمر أسوارها . وشرد أهلها وأرغمهم على الهرب بحثا عن سفوح جبال ... نكر ... جيوش الاسكندر المكدوني بالسكان الأمنيين ... الاحتلال الاغريقي لآسيا الوسطى ، فتحت طرق القوافل بين الصين وأوروبا ، وعرف بطريق الحرير الكبرى

ومنذ القرن الأول ق . م وقعت سغد و ... تحت سيطرة دولة العبودية الكبرى (الخاقانات) وخلال فترة هيمنة هذه الدولة القوية حتى القرن الرابع الميلادي وأثناء حكم الخاقانات توطدت علاقة سكان سغد وبكتيريا مع الهند والصين ، وقد أصيبت الامبراطورية الخاقانية بالركود ، وضعفت تدريجيا وسقطت تحت ضربات القبائل المقاتلة التركية الرحالة (الافتاليون) وهؤلاء بدورهم أحكموا السيطرة على اسيا الوسطى وفي القرن السادس الميلادي أبيد الافتاليون على أيدي قبائل تركية أخرى عرفت باسم الكاغات ، وفرضت سلطتها على السكان المحليين

قبل الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى لم يكن لدى شعوب تلك المنطقة ديانة مشتركة ، والمعلومات العلمية التاريخية تؤكد أن سكان تلك المنطقة اعتنقوا ديانات مختلفة ، منها البوذية والمسيحية ، وكذلك انتشرت الزرادشتية بشكل واسع

ما وراء النهر

يبدأ ... الاسكيروف يضع سرده عن أحداث الفتح العربي - الاسلامي لآسيا الوسطى تحت عنوان عريض (ما وراء النهر في نيران)

في الربع الثاني من القرن السابع اندفع المحتلون العرب الأشد عطشا إلى آسيا الوسطى ، سنترك هذه الفقرة الآن . سنعود اليها فيما بعد ، يتابع الكاتب (قبل فتحه آسيا الوسطى أسس العرب دولة قوية - الخلافة . في عام ٦٥١م الجيوش العربية سيطرت على ميروم التي كانت تابعة للساسانيين ، وجعلتها نقطة انطلاق لاحتلال آسيا الوسطى ، من هنا قام العرب بحملات متتالية على الأراضي القريبة من نهر أمو - داريا أطلقوا اسم ما وراء النهر على هذه المنطقة

يتابع المؤلف (في بداية القرن الثامن بعث الحجاج والي العراق ، قائد الجيوش العربية قتيبة بن مسلم الخبيث ، الفاسد ، والسامي القاسي الى آسيا

كتاب الشهر

الوسطى).

سنقف هنا ، ونرجع بصفحات الكتاب الى الوراء . في الجزء الأول منه ، ليتحدث الكاتب عن وقائع الاجتياح المكدوني ـ اليوناني لأراضي آسيا الوسطى عن حرقهم للمدن وقتلهم للنساء والأطفال ، وابادتهم لمدن كاملة عن وجه الأرض (واستنادا الى المؤرخ اليوناني ثيودر الصقلي ، فإن الاسكندر بملاحقته للسغديين قتل أكثر من ١٢٠ الف انسان).

بعد سرد الكاتب لهذه الفظائع ، لا نجد أي كلمة أو تعبير يذم الاسكندر ذا القرنين ، أو حتى اتهامه بالبطش والقتل ، بل على العكس من ذلك فهو يشيد معبقرية الاسكندر المكدوني العسكرية ، ولتأكيد ذلك يستشهد بانجلز :

(عندما احتلت جيوش الاسكندر المكدوني شواطيء سير ـ داريا ، انتفضت ضده ٧ مدن ، ولقد وقع الاسكندر المكدوني الذي وصفه ف . انجلز بأنه أبرز القادة المنتصرين في جميع العصور) وقع في موقف حرج ، ولكنه قرر التمركز على ضفاف النهر مهما كلف الأمر).

أما عن حنكة القائد اليوناني السياسية فيروي الكاتب عدة وقائع بلغة سهلة ومشوقة . . منها : (في الأسر وقع الكثير من النساء والأطفال ، وكانت بين النساء ابنة اكسيرادنا ، فتاة رائعة الحسن اسمها دكسانا ، رآها الاسكندر فأحبها ، ولم يعاملها كأسيرة ، ولكنه اتخذها زوجة ، وبهذه الخطوة التي اتخذها الاسكندر يظهر المغزى السياسي ـ فهو يأمل في أن يضم الى جانبه السكان المحليين .

ولكي تكتمل الصورة ، نترك الاسكندر المكدوني ، وننتقل الى سيرة قائد آخر ، وهو تيمور لنك . ينقل الكاتب ذلك على عدة صفحات ، فيقول :

(وبعد ثلاث حملات (١٣٨٩ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥) وتحت ضربات تيمورلنك سقطت سراي بركي ، هذه العاصمة تحرق وتدمر).

(عام ١٣٩٩ ـ اخترق القفقاس ، أخضع جورجيا ، وفي عام ١٤٠١ ـ أخضع سوريا ، وفي عام ١٤٠٠ بدأ بالحرب ضد آسيا الصغرى وأسر بايزيد الأول ، واعترفت مصر بسلطة تيمور دون قتال).

يمكن أن نورد المزيد من النصوص ونذكر العديد من جرائم تيمور لنك ولكن نكتفي بهذا القدر .

دعونا نرى الآن كيف يعرف الكاتب الاسكيروف تيمور لنك :

(تيمور (١٣٣٦ ـ ١٤٠٥) أتيح له لاحقا السيطرة على بلدان عديدة . والده بيك غير ثري ولكنه ذو شهرة ، تيمور يمتلك امكانيات تنظيمية وعسكرية لانفاذ لها ، شهم معتز ، تمنى أن يصل الى قمة السلطة بشتى الأساليب).

(عندما أصبح تيمور قائد جيوش لامعا لم يعرف الهزيمة ، أدخل الكثير من التحديث على الفن العسكري ، وهكذا يغض المؤلف الطرف عن كل ما فعله الاسكندر المقدوني وتيمور لنك ، ويصفهما بأوصاف تنم عن اعجاب ، في حين ينعت قتيبة بالقاسي والفاسد والخبيث).

أحوال البلاد قبل الفتح

قبل أن ندخل بشكل مباشر في حيثيات الفتح العربي ـ الاسلامي لما وراء النهر ، نذكر بعض العوامل الداخلية والخارجية لتلك المنطقة قبيل الفتح الاسلامي فنقول : ان التناقضات الداخلية وصلت الى أوجها ، فخلال الفترة السابقة للفتح الاسلامي لآسيا الوسطى ينتقل الحكم عدة مرات من يد الى

يد ، وتشهد البلاد صراعا وتنافسا شديـدين . بين حكام المناطق والمدن .

ثم تتعرض الى خطر خارجي شديد تمثله قبائل الدعاة التركية المقاتلة ، التي لم تتوقف هجماتها على الفلاحين .

وكذلك تعاني من غياب دولة مركزية واحدة ، ومن تعدد الديانات والمعتقدات .

وقد كانت الأحواء الداخلية مهيأة لاستقبال العرب المسلمين والديانة الاسلامية ، ودلك لانتشار الدين الاسلامي والحصارة العربية في الأنحاء المحيطة لأسيا الوسطى ، فمن الثابت أن الدين الاسلامي واللغة العربية قد وصلا بطرق متعددة الى منطقة ما وراء النهر قبل الفتح الاسلامي لها بعدة سنوات . ومما يؤكد هذا ـ النقوش والكتابات الموحودة على ضريح أسامة بن زيد رضي الله عنه في سمرقند

وقد أدى كل دلك الى عرقلة تطور البلاد الاقتصادي واعاقة الحياة الطبيعية لما وراء النهر .

هذا فضلا عن أن دولة الخلافة العربية كانت في أوج عظمتها وقوتها ، سواء في السياسة أو في التنظيم ، أو في النواحي العسكرية والحضارية ، كالعلوم ، والآداب ، والفنون ، فقد كانت في حالة انتعاش وازدهار كبيرين

القائد العربي قتيبة

ولنعد الآن الى أحداث الفتح العربي الاسلامي لاسيا الوسطى ، ولنرجع الى الفقرة الأولى التي ابتدأ بها ي ن . الاسكيروف بحثه عن الفتح العربي لما وراء النهر : (في الربع الثاني من القرن الثامن اندفع الأشد بطشا ـ المحتلون العرب ـ الى آسيا الوسطى)

وتقدمت الجيوش العربية في عام ٧٠٦ الى أراضي ما وراء النهر ، بهدف نشر العقيدة الاسلامية ، وكان في طليعة هذه الجيوش القائد العربي المسلم قتيبة بن مسلم ـ العسكري والسياسي المحنك وفتحت أراضي ما وراء النهر ، المنطقة تلو الأخرى دون اهدار للدماء باعتناق السكان للاسلام .

كيف يكتب المؤلف عن ذلك ؟ :

(المحتلون العرب استخدموا سياسة فرق تسد ، كذلك استغلوا التناقضات ما بين الفلاحين والقبائل التركية الرحالة ، وخضعت لهم المنطقة تلو الأخرى)

اذن هكذا أخضعت المناطق الواحدة تلو الأخرى دون قتال وإراقة دماء .

ألهذا ينعت الكاتب العرب بالبطش ، وسفك الدماء ؟!

(وحلال عام . وصل قتيبة الى بخارى ، على رأس جيش ضخم بعد معركة دامية) . ولا نجد ـ عدا هذه الجملة ـ أي اشارة أخرى حول (المعركة الدامية) . هل هذه المعركة حصلت داخل أم خارج بخارى ؟ كم استمرت ؟ كيف تصرف العرب آنذاك ؟ لا جواب ! من الواضح أن الكاتب لا يرغب في الاسترسال بالحديث عن ذلك ـ عن عدد القتلى ولو بصورة تقريبية ـ لأن مغالطة كهذه تفوق الحد وتكلفه كثيرا .

(يطلق عليها ملجأ الاسلام ومعقله الأخير) ومن المضحك أن الكاتب يتناسى ما كتبه حول (المعارك الدامية) ويذكر في نفس الصفحة أنه (في تعداد الجيش الرئيسي ، وبالاضافة الى العرب فقد شارك مقاتلون من حوارزم وبخارى) :

وفي عام ٧١١م تم توقيع معاهدة سلام مع شاه خوارزم ، الذي أرسل الى قتيبة مفاتيح المدن الذهبية . ويكتب المؤلف عن ذلك بالشكل التالي :

(اشتعلت انتفاضة شعبية في خوارزم)

ومن قاد هذه الانتفاضة ؟

(بقيادة هيراراد شقيق الشاه)

اذن من الواضح أن هذه الحركة لم تكن انتفاضة شعبية ، وانما فتنة عادية من أجل الاستيلاء على الحكم .

(شاه خوارزم استدعى قتيبة لقمع الانتفاضة ، وأرسل له مفاتيح المدن الذهبية) .

وهكذا نرى أن الخوارزميين اعتنقوا الاسلام دون التوجه الى سمرقند .

وأعتقد أن أي انسان عادي يطلع على تلك الأحداث لا يجد في مجرياتها بطشا او اهدارا للدماء .

دخول سمرقند

أخذت الجيوش العربية بالتحضير للتوجه الى عاصمة سغد ـ سمرقند ـ المركز الديني والاقتصادي

كتاب الشهر

لتلك المنطقة و (قبيل تحرك الجيوش العربية الى تلك المنطقة تمت وحدة سياسية بين الحكام المتنافسين) وفي عام ٧١٢م وباتجاه سمرقند ارسل قتيبة ٢٠ ألف مقاتل كطليعة لجيشه تحت إمرة أخيه عبدالرحمن ، للتفاوض مع السمرقنديين حول تسليم المدينة سلميا أما هو واسمه بريسبي من الجيش العربي فقد حط على مقربة من المدينة (اسغديو) تحت زعامة حاكمهم غوراك صبوا للقاء المحتلين لاقوا العدو على مشارف المدينة ، وتلاقت السيوف في البداية كان النجاح حليف السغديين ، وتقهقر العرب ، ولكن بعد صدمة الهزيمة أخذوا يدفعونهم الى أسوار المدينة)

وبعد أن أحكمت الجيوش العربية حصارها على المدينة ، كتب حاكم المدينة رسالة الى الامبراطور الصيني جاء فيها ما يلي (فاند داشا - أي العرب - هو الأمر فيه ، على رأس جيوش كثيرة ، انهالت تتقدم إلينا ، أرسلنا بعدونا حسانا فذبحه . ولكن تسلط لنا ابطالنا قتل وجرحى استحسنا أن داخل الأسوار ، ولكن العرب استخدموا أدوات حديدية ، وضربوا أسوار القلعة ، وأحدثوا بها ثغرا)

لم يختر فيه الحل العسكري حقنا للدماء ، وفضل الانتظار على الرغم من (صلابة جيوشه) ومن (حورته على أدوات حديدية) ، وبعد شهر من حصار المدينة (بعث السمرقنديون يرتقبون من خاقان ، يطلبون المساعدة من خاقان ترکی شاشا ومن فرغانه) وقد لبى هؤلاء نداء السمرقنديين ، وارسلوا كتائب مختارة من المقاتلين المحليين لقتال العرب ، وعندما عرف العرب بذلك - عن طريق عيونهم - حركوا قتيبة جيشه وأباد الكتائب المرسلة بعد ذلك شدد العرب الحصار على المدينة الداعية ، فضربوها بالمجنيقات وحطموا أسوارها) .

نتائج الفتح

بعد أن أطلعنا الكاتب على التفاصيل التي اختارها من أحداث الفتح العربي - الاسلامي لاسيا الوسطى ، يتحدث الآن عن نتائج هذا الفتح ، ونتائج سقوطه

(المدن التي اشتهرت بمدنها حرقها قتيبة ، (سيران المسجدية العربية ، دمر فيها كثيرا من الكنوز الادبية لخوارزم وما وراء النهر)

(استطيع البربري العربي عام ٧١٢م للثقافة الموروثة لشعوب اسيا الوسطى كتب بشكل مؤثر من مؤرخي ذلك العصر)

(طمست أروع صور للفن والأدب للشعوب المحلية ، تماما ، وتوجت صوغ الفنون المحدة عن الانتاج)

(السيطرة العربية كانت قاتلة لسمرقند ، فالمدينة تداعت وباتت آيلة للسقوط ، وهجرت)

قبل أن نبدأ المناقشة أود أن اتي بفقرة اخرى من كتاب المؤلف

(العلماء البرجوازيون والقائمون على الدعاية يحاولون اظهار شعوب اسيا الوسطى بشكل سلبي - كهف للسادة الغزاة هم يتناسون أن شعوب اسيا الوسطى لم تمتلك حضارة مستقلة ، وأن حضارتهم كانت نسخة لحضارة اليونانية فالعربية فالايرانية)

بعد هذه الفقرة نستطيع أن نفهم لماذا كل هذا العويل ، وهذا السيل من دموع التماسيح

ولكن . هل يعتقد الكاتب انه بهذا الأسلوب ، أي نعت العرب بالهمجية والبربرية والقسوة سيفند زعم البرجوازيين وأصحاب الدعاية ؟ وسيثبت أن لشعوب اسيا الوسطى حضارة مستقلة تماما ؟!

لماذا لم نجد هذا (الحرص) عند تعرضه لفترة السيطرة اليونانية على اسيا الوسطى حيث ، يكتب في



بخارى

مؤلف حر
(في المرحلة الاغريقية سقطت عبر اسيا الوسطى حركة تجارية واسعة بين الشرق والغرب . ومن خلال مدن سغد مرت القوافل وسميت هذه الطريق - بطريق الحرير الكبرى)

(في فترة السيطرة اليونانية تطورت المعارف الزراعية . ونمت العلاقات الاجتماعية ، وتأسست مدن جديدة وانتشرت محاصيل زراعية لم تكن معروفة سابقا ، وتوطدت العلاقات بين البلدان الواقعة تحت سيطرة اليونان ، وخاصة مع بلدان البحر الأبيض المتوسط) .

وفي كتابه (أعوام تعادل قرون) عن أوضاع اسيا الوسطى أثناء هيمنة دولة الخاقانات الكبرى كتب ما يلي

(كانت فترة نهوض كبير . في هذه المرحلة ، انتعشت الحياة في المدن ، وتوسعت العلاقات التجارية مع الهند والصين) أما كيف يتعامل الكاتب مع نتائج احتلال تيمور لبلاد السغد فهو كما يلي :

(أنجزت مشاريع ري كبيرة . وشقت الطرق ، وانتشر العمران والتعمير في شهربات وغيرها من المدن وقد كرس تيمور اهتمامه الأكبر لسمرقند)

● حول الفتح العربي الاسلامي

وعندما حدث من اكتساح جيوش القيصر الروسي لأراضي اسيا الوسطى عد معارك دفاعية مع جيوش الامراء . لكن سرده هذه الأحداث يتخذ شكلا مغايرا تماما عن (الاحتلال) العربي لأسيا الوسطى

غايات الكاتب

أصبح واضحا الآن أن الكاتب عندما يتحدث عن الفتح العربي على اسيا الوسطى شتى الأساليب . نظريا . بل هو يحاول بكل ما أوتي من قدرة النيل من الحضارة العربية والتقليل من اهميتها ولكن هل من الممكن أن نغير التاريخ بتحريفه وتشويهه ؟

هل يمكنه أن يتجاهل معالم العالم الحضارية الخالدة من مساجد ومدارس ومبان لا تزال شامخة في سماء سمرقند وبخارى . . . . هل بإمكانه فصلها عن حضارة وأمجاد عربية ؟ هل يستطيع (سطفن) لغة هذا البلد من الأسماء والمصطلحات العربية ؟ وهل يستطيع أن يغير حدائق وتقاسيم هذا البلد ؟ هل يمكنه أن يلغي الاف الكتب والمخطوطات في الشرق ؟

إن التهم التي أوردها ويمكن أن نحصرها في النقاط الرئيسية التالية

حرق العرب للهياكل والمعابد والمباني وتدميرهم الزخارف والنقوش والأعمال الفنية وتبديدهم للكنوز العلمية والأدبية والفنية وتعويض القوى المنتجة

أما في مجال فن العمران والعمارة والزخرفة (فقد اعتبر المؤرخون الوثائقيون العرب الذين سردوا وقائع الحملات العربية على سغد في بداية القرن الثامن سهل الزرفشان في زمانهم جوهرة الخلافة ، وحديقة رحبة للخلفاء وبعد ٢٠٠ من السنين ذهل الجغرافيون العرب الذين وصفوا كل مناطق الشرق التي عرفوها ، من حسن سمرقند ومدن سغد الأخرى ، ومن حدائقها الخضراء ، ووفرة مياهها ، ونظافة الطرقات والساحات ، ومن العلاقات التجارية الواسعة ، ومن ثراء الأسواق ، والمحبة وكرم السكان)

وأما عن ازدهار مدينة بخارى في المرحلة الأولى من

كتاب الشهر

القرون الوسطى فقد كتب الكثير من العلماء بين القرنين العاشر والثاني عشر .

حيوه ـ المدينة الوحيدة التي بقيت محفوظة بكاملها في آسيا الوسطى ، وهي أقدم واحة ثقافية في شمال ازبكستان (خوارزم) وقد نشأت المدينة في بداية القرن العاشر وأعيد بناؤها عدة مرات

(الزخارف البنائية والهندسية تتألف من الكتابات العربية ، حيث نجد بين النصوص الدينية معلومات عن العمارة ، وعن أسماء المعلمين والمزخرفين) والمعماريون كانوا يستمدون كوادرهم من طبقات الحرفيين والتجار من سكان المدن والآن أصبح من المؤكد تماما أن معماريي العصور الوسطى كانوا يتلقون تعليما متوسطا واختصاصيا ، وأنهم كانوا متمكنين من نظرية العمران التي حظيت بالشرق بمعالجة راقية ، وكانت متاحة للحرفيين على شكل رسائل ووسائل تعليمية تطبيقية ، وفي بخارى كان هناك بضع مئات من المساجد (في بداية القرن العاشر) ومن أقدم هذه المساجد ـ مساجد الساحات ذات الردهة الواسعة المحاطة بسواتر ، عندما بدأ العمل من أجل وضع خارطة طبوغرافية لبخارى في القرنين التاسع عشر والعشرين ، كان العلماء مضطرين للرجوع الى الخرائط الموضوعة في القدم ، من قبل العلماء العرب المشهورين ومن هؤلاء : الطبري ، والمقدسي ، وابن الأثير ، والواصفي وغيرهم .

ليس هناك امكانية لدراسة الأقواس في فترة تسبق الفترة التي بني بها ضريح السمانيين فيما بين القرنين التاسع والعاشر).

ومن المباني السكنية (خان القوافل) في منطقة خوارزم ، وهو مستمد من الاستحكامات العسكرية التي كانت معروفة في القرون الأولى للاسلام . وكانت تدعى الرباط ، وبدأت الأضرحة تقام في العالم الاسلامي بأعداد كبيرة ، وان أبسط أشكال الأضرحة هو المكعب المسقوف بقبة ، أو المكعب بشكل راسخ ـ الارض ـ القبة ـ السماء اتحادهما شبيه بالكون).

بعد هذه الاستشهادات لا حاجة للتأكيد على الدور الايجابي والخلاق للفتح العربي ـ الاسلامي لآسيا الوسطى في مجال العمارة وهندسة المدن والزخرفة . فقد شهدت مدن تلك المنطقة نهضة عمرانية لا مثيل لها . أتيحت الفرصة للمهرة والحرفيين للاطلاع والتعلم من التقاليد العمرانية العربية المزدهرة . هذا بالاضافه الى مشاركة مباشرة للعلماء والحرفيين العرب في حركة الاعمار والبناء ومازالت هذه المباني الى يومنا هذا تدهشنا بروعة بنائها .

العلوم والفنون والآداب

في تاريخ سمرقند ، وكذلك عموم آسيا الوسطى ، توصف الفترة الممتدة بين القرنين التاسع والعاشر بعصر النهوض الكبير للعلوم ، والفنون والأدب)

(ان أول اشارة الى مدارس اسيا الوسطى في المراجع التاريخية تعود الى القرن العاشر وان مدارس خوارزم في العصر ما قبل المنغولي مشهورة في اورغنتيش . وهذا ما يخبرنا به النسوي فيقول ان العالم الفقيه شهاب الدين الحيوائي كان يدرس في خمس مدارس دفعة واحدة . وفي القرون الأولى للاسلام ، لم تكن المساجد مخصصة للصلاة وحدها دون استثناء ، كان المسجد بمثابة مقر شعبي عام يسلط فيه الضوء على جميع مراحل الحياة الانسانية . وهذا التخصص ظل مناطا بمساجد الأحياء التي تبنى في لحة التجمعات السكنية . وأصبحت اللغة العربية لغة مشتركة لجميع الشعوب ذات اللغات المتعددة ، ولم

تكن فقط لغة دولة ولكن لغة علم وأدب . وقد أخذ علماء وأدباء آسيا الوسطى يكتبون مؤلفاتهم باللغة العربية ، وظهرت الكتب التالية : تاريخ تركستان ـ لمجيد الدين ادمان . كتاب حول الأمثال الشعبية التركية لأبي القاسم الزمخشري . الخ وفي تلك الفترة قدمت شعوب اسيا الوسطى للعالم أعاظم الشعراء والعلماء ، منهم أبو القاسم الفردوسي (٩٨٤ ـ ١٠٢٥) وأبو علي ابن سينا (٩٨٨ ـ ١٠٣٧)، البيروني (٩٧٣ ـ ١٠٤٨) واعداد كبيرة أخرى من العلماء والأدباء ، لم تكن أوروبا القرون الوسطى على معرفة بأشكال الخدمات الطبية المعمول بها في بلدان الشرق العربي . ففي سوريا ومصر مثلا كانت المرافق الصحية المتضمنة أقساما صحية عيادية ودائمة موجودة منذ القرن الثامن . وكان بناؤها أحد أشكال الاحسان المفروضة على المسلمين . وقد أشاد رشيد الدين برسالة الى ابنه الوالي قائلا : ان (حلال المباني الخيرية مثل المدارس والمشافي يعود الى تلك الأعمال التي لا يجوز اهمالها) وفي حيوه لم يحتفظ بأي واحد من تلك المشافي التقليدية المعروفة بدور الشفاء).

قوى الانتاج

في سمرقند وبخارى وغيرها من المدن عملت أعداد كبيرة من الحرفيين والصناع ، وبنيت قصور باهرة الحسن ، ومدارس ومساجد ، وتطورت صناعة الحرير ، وقامت صناعات أخرى مثل تصنيع العظم ، والبرونز والمعادن الثمينة والخشب .

وفي النصف الثاني من القرن الثامن أدى انتعاش الصلات التجارية بين بلدان الخلافة الى نهوض اقتصادي عام والى بناء المدن .

استنادا لكل ما ورد من نصوص ومداخلات ، تصبح لدينا قناعة راسخة أن مؤلف الكتاب ي . ن . الاسكيروف يحاول أن يتجاوز مرحلة هامة ونوعية في تاريخ شعوب آسيا الوسطى . فيوجز مرحلة مليئة بالأحداث والمعطيات الجديدة بثماني صفحات ، بينما يغطي أحداثا تاريخية أقل أهمية وأقصر مدة بتوسع واهتمام ودقة أكبر . والكاتب يسمح لنفسه باستخدام كافة الأساليب غير اللائقة من أجل الدعاية ضد العرب ، فهو يستخدم نصوصا غير كاملة ومشوهة ، ويلتف حول أوضح البديهيات التاريخية ، ويضخم بعض الأحداث الهامشية ، فيبرزها ويجعل منها أحكاما عامة .

كان أولى بالمؤلف السيد الاسكيروف أن يولي اهتمامه وجهوده الى قضايا أكثر نفعا من اظهار دور العرب والمسلمين ، وتبديد طاقاته في اختلاق الحجج والبراهين لطمس التأثير الحضاري العربي الاسلامي على آسيا الوسطى . فهناك جوانب عديدة من التراث الحضاري المختلط لشعوب آسيا الوسطى ، لا تزال غير مدروسة ومجهولة ، ودراستها بحاجة الى جهود كبيرة ، يقول المؤرخ السوفييتي ميلن ان مكاتب بخارى تعرضت لتلف شديد في عصر نصر الله ، ولكن حسب معلومات مجلة (الشورى) ـ ارنبوع ١٩١٦ في بخارى بلغ عدد المكتبات آنذاك أحدى عشرة مكتبة كبيرة . .

فقدت أكثر المخطوطات قيمة في هذه المكتبات منذ زمن بعيد بعد سقوط الامارة . . ففي الفترة الأولى أهملت هذه المكتبات ، ويمكن القول ان الاهتمام بها تلاشى نهائيا ، ويرجع ذلك الى الحركة المعادية للدين ، والى تغيير الأحرف العربية الى لاتينية ، مما أدى الى فقدان الأحرف العربية لقيمتها . .

وفي المساجد المهجورة أتيحت لي الفرصة لمشاهدة المخطوطات مبعثرة هنا وهناك ، ومن هذه الأعداد الهائلة من المخطوطات ، أعددت كشفا بأسماء المخطوطات الطبية المؤلفة في القرن الثاني عشر ، ومجموعة كبيرة من المنظومات الشعرية الرائعة التي تعود الى الجزء الأول من القرن الرابع عشر . .

ولحسن الحظ فإن أمثال السيد ي . ن . الاسكيروف قلائل هنا في الاتحاد السوفييتي ، وان اغلبية العلماء والباحثين يتناولون موضوع التراث الحضاري العربي ـ الاسلامي في آسيا الوسطى بموضوعية ، مبرزين ايجابيات العنصر العربي على التراث الوطني لشعوب آسيا الوسطى .

ان ما يدفع الاسكيروف ، ومن هم على شاكلته ، الى التمادي في التهجم على الحضارة العربية بشكل عام ، وعلى دورها وتأثيرها بشكل خاص ، هو ضعف تغطية وسائل الاعلام العربية لجانب هام من جوانب تراثنا الحضاري في آسيا الوسطى . □

من المكتبة العربية

أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين

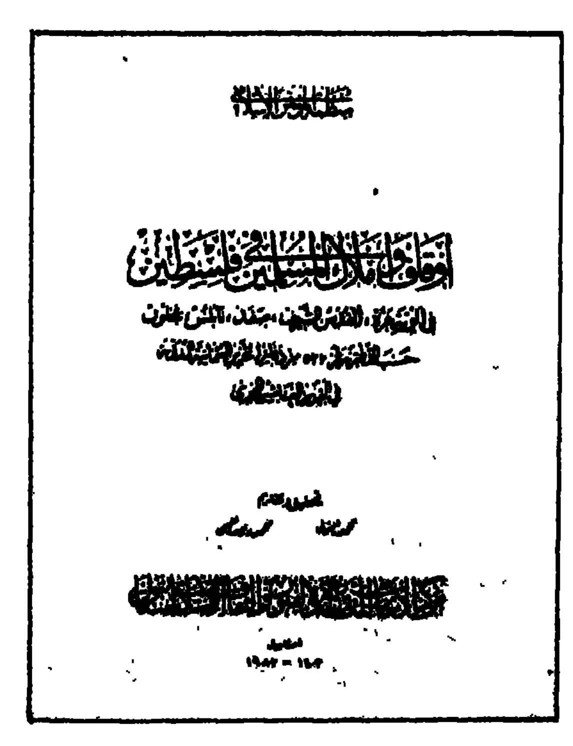
عرض : محمود بيومي

قام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول بتحقيق وثيقة تاريخية هامة تلقى الضوء على الكثير من الحقائق الاساسية الخاصة بحقوق المسلمين في فلسطين وتقدم شواهد لا تنكر على أملاكهم وأوقافهم وتسوق الأدلة القاطعة على الجانب الاساسي لنظام الوقف الاسلامي في رعايته لجميع طبقات المجتمع بغض النظر عن اجناسهم وألوانهم واديانهم فماذا جاء في هذه الوثيقة ؟

تم تدوين الوثيقة في القرن العاشر الهجري بعد الفتح العثماني لفلسطين وظلت محفوظة حتى اليوم في الأرشيف العثماني باستانبول .. وهي تشتمل على معلومات بالغة الاهمية حول أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين خاصة في عهد الأيوبيين والمماليك وبداية عهد العثمانيين .

كما ان هذه الوثيقة تقدم المعلومات الوافية للتاريخ الاجتماعي والثقافي لهذه الأرض العزيزة من العالم الاسلامي .

وقد كلف مركز الابحاث التركي الدكتور محمد ابشرلي والاستاذ محمد داود التميمي بحث وتحقيق الوثيقة خدمة لقضية فلسطين ولتكون دليلا تاريخيا قاطعا في مواجهة ادعاءات حكومة الكيان الصهيوني . وتعطي للفلسطينيين الحق لاسترداد املاكهم واوقافهم التي اغتصبت منهم



أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين

تسجيل أراضي فلسطين :

انضمت فلسطين الى أراضي الدولة العثمانية عام ٩٢٢ هجرية في عهد السلطان سليم الأول . . وطبقا لسجلات القرن السادس عشر الميلادي كانت فلسطين مكونة من مناطق : القدس وغزة ونابلس وصفد والسلط وعجلون .

وقد جرت العادة في الدولة العثمانية على تسجيل المناطق التابعة لها . . من مختلف النواحي : السكان

واملاكهم واوقافهم وعمرهم واحوالهم [illegible] ومهنهم ويدونون ذلك في دفتر مفصل [illegible] على الطبعة كل ثلاثين عاما [illegible] حصر [illegible] الجدد [illegible] والتعاقب ملكية او الاستحقاق في الاوقاف

[illegible]

في فلسطين

الوثيقة الأولى برقم ٥٢٢

وهي تحتوي على ٦٠ صفحة [illegible] سجلت في غزة والقدس وصفد ونابلس والخليل [illegible] حسب ملاكيهم

وقد خصصت الوثيقة ٢٣٣ [illegible] ٨٩٠ [illegible] ١٠٨ املاك

وقد بلغ عدد الوقفيات في غزة ٥٥ وقفا وبالقدس ٩٠ [illegible] وصفد ٦٤ وقفا ونابلس ٢٣ وقفا والخليل [illegible] وبلغ عدد الأملاك في [illegible] ٩ املاك والقدس ١١ ملك وصفد ٦٥ ملك ونابلس ٣ املاك والخليل ٤ املاك

[illegible] بلغ عدد [illegible] في [illegible] ٢٣٠ والقدس ٣٤٤ وصفد ١٧٤ ونابلس ١٤١ والخليل ١

[illegible] عدد [illegible] الاملاك في غزة ١٠ والقدس ١٧ وصفد ٧٣ ونابلس ٤ والخليل ٤

[illegible] هذه الوثيقة لا تحتوي على [illegible] املاك واوقاف المسلمين في فلسطين [illegible] بتاريخ ٩٥٣ هجرية [illegible] الوثيقة

الوثيقة الثانية

وهي برقم ٦٠٢ وتضم ٤٩٥ صفحة وتشتمل على الأوقاف والأملاك في فلسطين ويرجع تاريخ أقدم وقفية مسجلة في هذه الوثيقة الى عام ٩٤٠ هجرية وتعتبر من أقدم الوثائق التي عثر عليها

الوثيقة الثالثة .

وهي برقم ٣١٢ وتضم ١٣٣ صفحة وتحتوي على الأوقاف والأملاك في صفد ونابلس وغزة والرملة

وقد خصصت على ٢٩٠ [illegible] ١٢٥ ملك [illegible] أقدم [illegible] ٩٦٤ هجرية

الوثيقة الرابعة

وهي برقم ٣٤٢ [illegible] هذه الوثيقة الأوقاف والأملاك [illegible] ٣٣ [illegible] ٩٥ [illegible] ٥٢ [illegible] ٩٧ [illegible] والأملاك

[illegible] للأملاك [illegible]

[illegible] في هذه [illegible] الى عهود [illegible] في عهد [illegible] الداري [illegible]

[illegible] الأوقاف [illegible] الملك الناصر صلاح الدين [illegible] عام ٥٨٩ هجرية [illegible] القدس [illegible] صلاح الدين الايوبي [illegible] في غزة والقدس وصفد

أوقاف بفلسطين لصالح دول أخرى :

وقد أقام العديد من السلاطين امثال السلطان قايتباي وقنصوه الغوري وبرقوق . الكثير من الأوقاف في القدس وذلك لقداستها وفي غزة لقربها من مصر التي كانت مقر حكمهم . وقد خصص هؤلاء السلاطين قسما كبيرا من اوقافهم ليصرف ريعها على أوقافهم الأخرى في مصر . ومن ذلك ما اوقفه السلطان ابو سعيد قنصوه من قرى ومزارع في غزة على مسجده ومدفنه في مصر . . وما أوقفه السلطان برقوق

من المكتبة العربية

من بعض قرى فلسطين على مدرسته الموجودة في مصر أيضا .

كما نشاهد أن العديد من رجال الدين والدولة وأفراد المسلمين ـ رجالا ونساء ـ قد أقاموا الأوقاف في فلسطين لمصالح خيرية مختلفة .

• أوقاف الأنبياء :

تضمنت هذه الوثائق العديد من الأوقاف بأسماء بعض الأنبياء مثل موسى وابراهيم ويحيى وزكريا عليهم السلام . . ممن عاشوا قبل الاسلام بعدة قرون . . الا أنه من المؤكد أن هذه الأوقاف لم تقم بمعرفة هؤلاء الأنبياء وانما وقفت بعدهم بمعرفة أصحاب الخيرات من المسلمين لانفاقها على مقامات وأضرحة هؤلاء الأنبياء .

وهناك العديد من الأوقاف التي خصص ريعها لاحياء الجوامع والمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة وما الى ذلك دون ذكر أسماء الواقفين .

أوقاف الذرية والخيرات العامة :

ويوجد الكثير من الأوقاف على ذرية الواقفين وتتشابه هذه الأوقاف في شروط انفاق ريعها ـ بعد انقطاع ذرية الواقف ـ وذلك على الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة أولا ثم على المسجد الأقصى الشريف بالقدس والحرم الابراهيمي بالخليل وعلى المساجد والمدارس والزوايا والمؤسسات الخيرية .

وهناك أيضا أوقاف مخصصة ـ من البداية ـ لصالح الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى المبارك والحرم الابراهيمي والجوامع والمساجد والأضرحة والروابط والتكايا والمدارس والمستشفيات ومياه الشرب والانفاق على القائمين على خدمة هذه المؤسسات

كما توجد أوقاف مخصصة لرعاية المرضى والأسرى والمساجين وطلبة العلم والصوفية والفقراء والمساكين والمجاورين بالحرمين الشريفين .

وقد دونت هذه الوثيقة بلغة عربية ليست بالفصحى وتحمل بصمات العهد الذي كتبت فيه ويرجع ذلك الى حرص الكتاب الذين دونوها على تسجيل المعلومات أكثر من حرصهم على سلامة اللغه كما أن بعضهم لم يكن من اهالي البلاد وقد نقلت هذه الوثيقة عن السجلات الشرعية المحلية ومن نصوص قديمة أخرى

وقف الرسول عليه الصلاة والسلام :

تضمنت الوثيقة تسجيلا لأول وقف في الاسلام وهو الوقف الذي اوقفه الرسول ﷺ على تميم الداري الأنصاري رضي الله عنه ونصها :

وقف سيد المرسلين وحبيب رب العالمين سيد العرب والعجم وامام مكة والحرم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن هاشم عليه أفضل الصلاة وأكمل التحيات ، على تميم الداري الأنصاري رضي الله عنه وعلى أولاده وأولادهم وذريتهم وأنسالهم واعقابهم بموجب الانطاي الشريف وبموجب دفتر أوقاف علي بك .

وقد اشتمل وقف الرسول عليه الصلاة والسلام على الأعيان التاليه :

- قريه بيت عينون تابع خليل الرحمن - تماما
- أرض مدينه خليل الرحمن - تعرف بحبرون وحبرا وبيت ابراهيم - تماما
- مزرعة مرطوم - الان تعرف بالزيجية - تابع خليل الرحمن - تماما
- دكاكين في سوق مدينه خليل الرحمن تعرف بوقف تميم في أرض بيت ابراهيم ٦٥٠ باب

ولا يتسع المجال هنا لعرض ما جاء بالوثيقه من أوقاف صلاح الدين الايوبي . فله العديد من الأوقاف بالقدس

١٥٧١ وقفا وملكا بفلسطين :

بلغ عدد حجج الأوقاف والأملاك الواردة بالوثيقة ١٥٧١ وقفا وملكا . . تشتمل على الاف العقارات والأفدنة . اذا ما قمنا باحصاء البيانات الواردة في هذه الحجج

وهذه ليست مهمتنا انما مهمة الأجهزة الاسلامية المسئولة لتقوم بدورها بالمطالبة بحقوق المسلمين في فلسطين . لدى المنظمات الدولية المختصة استنادا الى هذه الوثائق الموجودة لدى منظمة المؤتمر الاسلامي .

وهكذا تكف اسرائيل عن ادعاءاتها التي طالما رددتها باعتبار املاك الفلسطينيين مجرد املاك غائبين يحق لها الاستيلاء عليها . كما نطالب الاجهزة الاسلامية في مصر والدول الأخرى ان تطالب بريع الأوقاف المخصص انفاقها على المؤسسات الخيرية في بلادها

وأعود مره اخرى لأردد أن فكرة الوقف قد انقذت الكثير من الأراضي الواقعة تحت الاحتلال مما يثبت الحكمة في هذه الفكرة ومدى صلاحيتها لحماية أموال المسلمين وتراثهم الاسلامي □

●

شولوخوف والناس !

كان خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي الأسبق حريصا على أن يصطحب واحدا أو اكثر من الكتاب السوفيت الكبار في رحلاته الى الخارج ، وخاصة اذا كانت رحلته الى احدى الدول « الراسمالية » ، فقد كان يحب دائما أن يستمع الى الانطباعات التي تركتها الرحلة في رؤوسهم ، ويقرأ تأثيرها على كتاباتهم ، الى أن جاء الدور اخيرا على كاتب روسيا الكبير شولوخوف صاحب « الدون الهاديء » وكان خروشوف يستعد لزيارة الولايات المتحدة الامريكية ، وفي العالم الجديد البعيد استوقف شولوخوف فريق من الصحفيين الأمريكيين وسألوه : « كيف رأيت أمريكا ؟ » فقال : « هنا يلمس المرء عظمة الانسان وتفاهته . . ففي نفس اللحظة التي اتوقف فيها متأملا الانجازات الضخمة التي حققتموها خلال عمر بلادكم القصير ، أصعد الى الطابق الثلاثين بعد المائة في ناطحات السحاب ، فلا أرى من تحتي سوى « حشرات » صغيرة بالكاد تتحرك ، أنا اكره لقاء الناس من هذا الارتفاع الشاهق !!

مكتبة العربي
مختارات

الفكر السياسي :
عند أبي الحسن الماوردي

الكاتب : د . أحمد مبارك البغدادي
الناشر : مؤسسة الشراع للنشر - الكويت
سنة النشر : ١٩٨٤ م
عدد الصفحات . ١٨٦ صفحة من القطع المتوسط

من المعروف أن فترة الحكم الأموى هى الفترة التى تحول فيها الحكم من نظام يقوم على البيعة لانتخاب خليفة المسلمين ، الى نظام قائم على التوارث العائلى للسلطة

وعلى الرغم من حدوث هذا التطور ، فان المؤلف يقول :

« لم يحاول الفقهاء المسلمون شرح - أو على الاقل التعرض - لنظرية الامامة أو الخلافة ، ودراستها من منظور اسلامى صرف ، لا من حيث كيف يجب أن تكون (أى الخلافة) ، ولا من حيث صورتها كما كانت على أرض الواقع . ويعتبر كتاب أبي الحسن الماوردى » « الاحكام السلطانية » وغيره من كتب محاولة للاجتهاد فى هذا الموضوع . فدرس الكاتب الفكر السياسى لابى الحسن الماوردى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى وكتب اجتهاداته فى ظل الدولة العباسية .

وقد قسم الكاتب كتابه الى أربعة فصول هى :
الفصل الاول تناول فيه كتابات الماوردى السياسية فى الفكر السياسى الاسلامى ، الخلفية التاريخية لفكر الماوردى ، ومنهجه الفكرى خاصة

الفصل الثانى تناول فيه نصائح الملوك ، كنصيحة الملوك وتسهيل النظر ، وتعجيل الظفر ، وكتاب الوزارة

الفصل الثالث تناول فيه الانسان والمجتمع فى كتاب « أدب الدنيا والدين » والعقل ، والانسان والمجتمع ، ثم المجتمع المثالى والانسان المثالى

أما الفصل الرابع فقد درس فيه تطور الفكر السياسى عند الماوردى ، وصدور كتابه « الأحكام السلطانية »



أدب الاختلاف فى الاسلام

الكاتب : د . طه جابر فياض العلوانى
الناشر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية - قطر
سنة النشر : ١٩٨٤م .
عدد الصفحات والحجم . ٦٨ صفحة من القطع الصغير .

ضمن سلسلة « كتاب الامة » صدر هذا الكتاب الذى حمل الرقم التاسع فى السلسلة الفصلية التى تصدر فى دولة قطر . ويعالج حدود وحقيقة وضوابط وادب الاختلاف فى الاسلام . وبما ان الكثير من القضايا الاسلامية وضعت تحت مجاهر النقد

والنقاش فى الفترة الأخيرة ، وطرحت حولها وجهات نظر متعددة ، وبما أن بعض هذا النقاش وصل الى حدود الشطط والمهاترات ، لذلك فان هذا الكتاب جاء كى يضع تحت أعين القراء نماذج من الحوارات والنقاشات حول الكثير من القضايا التى شغلت المسلمين الاوائل ، واختلفوا حولها ، ونمط الحوار الذى دار بينهم وطريقة ادارته

يقول المؤلف :

« لا مفر من أن يكون هناك اختلاف له ضوابطه وحدوده وقواعده وأدبه ، والا يؤثر على وحدة فكر الأمة ومواقفها من القضايا الأساسية الكبرى »



تأملات حرة

فى الدين والفلسفة والادب والفن

الكاتب محمد خليفة التونسي

الناشر مكتبة وهبة ـ القاهرة

سنة النشر ١٩٨٣م

عدد الصفحات والحجم ١٦٠ صفحة من القطع المتوسط

يجمع الكتاب مجموعة من التأملات والاجتهادات فى المجالات الوارد ذكرها فى العنوان .

ويتميز بعضها بتحليل ما تنطوى عليه النفس من نوازع وتراكيب وتضمن بعضها الآخر تراجم لحياة بعض الادباء والفنانين كالمنفلوطى وجبران ، وشارلى شابلن ، وديوجين اليونانى الذى جاءت شهرته من خلال مصباحه الذى كان كما يقال يحمله فى رابعة النهار . كتعبير ساخر عن فقدان الحقيقة ، والحض للبحث عنها .

يقول الكاتب عنه :

« قد تكون السخرية طبيعة فى صديقنا ديوجين ، أو ملكة اكتسبها عقله من طول تأمله فى الأحوال العصبية التى كان يقاسيها الناس حوله .

وسخرية ديوجين تعبير عن ثورة نفس حرة أبية ، تحاذر مغالة الأحوال العصبية التى تعذبه ، وتعذب جميع اليونانيين حوله والاحتجاج عليها » .



الحوار الأخير قبل مقتل العصفور بدقائق

الكاتب ابراهيم نصر الله

الناشر دار الشروق ـ عمان

سنة النشر ١٩٨٤ م

عدد الصفحات والحجم ٩٤ صفحة من القطع الصغير

فى ١٣ نيسان ـ ابريل من سنة ١٩٨٤ صعد أربعة شبان فلسطينيين باصا اسرائيليا كان متوجها من تل ابيب الى جنوب فلسطين

وعندما وصل الى عسقلان أمر الشبان السائق بالتوجه الى العريش فى مصر ، وقبل وصول الباص الى الحدود بعشرة كيلومترات ، هاجمه الجنود الصهاينة ، وبعد معركة غير متكافئة قتل فيها شابان واعتقل الاخران ثم قلعت عيونهم من محاجرها ، وضربا حتى الموت بالعصى وأعقاب البنادق

هذا الحدث حرك قريحة الشعر عند الشاعر الشاب ابراهيم نصر الله ، فكتب قصيدته ـ الكتاب ـ . التى رصد وجسد فيها معاناة الشبان الفلسطينيين مع أهاليهم تحت نير الاحتلال . . . وما دار من « مونولوج » داخلى اثناء رحلة الاختطاف .

وهذا مقطع من القصيدة الطويلة :

لست أمضى الى الموت مبتسما .
بين هذى الرصاصة والشمس أرفع اغنية
راية للحياة
أحب الصغار كثيرا ، وإن لم أكن ذات يوم
هناك صغيرا يلاحق . . .
سر الاعاصير
والموج حين تثور المياه
كل اسئلتى انتشرت فىّ موجا



لمسجد السلطان حسن

بقلم : عبد الغني محمد عبد الله

على بعد أمتار قليلة من قلعة صلاح الدين الأيوبي . . . في مدينة القاهرة يربض مسجد . . يحاكي القلعة ضخامة ودوراً في التاريخ .

انه مسجد السلطان حسن . . فما هي حكايته عبر الزمان . . وما الذي تم ويتم بالنسبة لهذا الأثر الضخم ؟

التقيت شيخ الغطاسين في مصر والوطن العربي (كامل أبو السعادات) . . . أشهر غواص باحث عن الآثار في قاع البحر . . كان ذلك للمرة الثالثة صيف العام الماضي . . لم أكن أتصور أن ذلك اللقاء . . كان الأخير . . فقد ذهب الى لقاء ربه بعد ذلك بأيام ، قالوا انه قتل ، غرق ، دفع من القاع الى السطح بسرعة لم يحتملها قلبه ، أو . . أو . . فمات ، قال تقرير طبي انه مات غرقاً ، وتقرير آخر قال أن قلبه توقف طبيعياً . . وأنه لا شبهة في ذلك . . تقارير وحكايات واتهامات . . وشد وجذب . . ورحم الله « كامل أبو السعادات » . . فقد قبضه الله اليه قبل ان يحقق حلم عمره ، وهو اخراج أسطول نابليون حيث كان هو أول من أشار الى موقعه من الخليج ، وكان هو الذي اكتشف تمثال

الآلهة ايزيس الغارق في الميناء الشرقي للاسكندرية ، ويبلغ وزن هذا التمثال حوالي ٢٥ طناً ، وطوله حوالي ٧ أمتار . وهو أيضاً الذي اكتشف منار الاسكندرية القديم ـ أحد عجائب الدنيا السبع ـ حيث كان يرقد في أعماق المياه أمام قلعة قايتباي بالاسكندرية .

أبو السعادات والسلطان حسن :

وكان لقائي مع كامل أبو السعادات من أجل سؤال محدد : هل وجدتم الواجهة النحاسية للباب الخشبي لصحن جامع ومدرسة السلطان حسن ؟ والمقصود هو تلك الواجهة النحاسية رائعة الزخرفة الاسلامية التي سرقها نابليون بونابرت من جامع ومدرسة السلطان حسن بالقاهرة ابان الحملة الفرنسية ، ثم أرسل بها لتصبح خبيئة ببطن سفينة القيادة الفرنسية (أورينت) التي كانت راسية في (البحر الميت) قبالة مدينة (أبي قير) في شمال مصر ، ثم غرقت تلك السفينة ويقال انها انفجرت بفعل قنابل الاميرال (نلسون) الانجليزي وأسطوله في معركة (أبي قير البحرية) .. غرقت (أورينت) .. وغرق معها ما في بطنها من تحف وكنوز ، ومن بين ما غرق تلك الواجهة النحاسية التى سبقت الاشارة اليها .. وفي العامين الأخيرين بدأت مصلحة الآثار المصرية بالتعاون مع بعثة فرنسية في تعويم (أسطول نابليون) ، فوقف رجال الآثار الاسلامية ومعهم صحيفة اتهام ضد (بونابرت) ، يدَّعون عليه فيها بالسرقة ، ولكنها لن تقدم للنيابة ، بسبب أن الدعوى انقضت بوفاته .. وبمضي المدة .

(كامل أبو السعادات) .. رد في تواضع جم (ان شاء الله تخرج للنور وتعود لمكانها) وتَمنيت ذلك . ومرت الأيام وقرأت خبر وفاته المشكوك فيها في الصحف .. ولم تكن تلك الواجهة قد خرجت بعد من قاع البحر .

ترابط آخر :

والواجهة النحاسية عبارة عن قطعة فنية اسلامية من مدينة القاهرة ترقد الآن في بطن سفينة حربية فرنسية غارقة بسبب قنابل انجليزية .... في قاع مياه مصرية ... وهكذا .

أما سبب الاهتمام في طلبها ـ فهو أن الآثار الاسلامية في مدينة القاهرة تشهد في الوقت الحاضر حركة ترميم ضخمة ترتبط باسم (الدكتور أحمد قدري) رئيس هيئة الآثار المصرية .. فقد جمع شباب الجامعات المصرية ، ودفع بهم الى تلك العمائر يزيلون عنها أثر الزمن ، وغبار الماضي .. فعاد الرخام الى لونه الطبيعي ، وأصبح لون النحاس أصفر وكسيت الجدران واستبدلت الأحجار بمثيل لها .

ذاك الرجل من الكويت :

ومن الكويت جاء رجل الخير ـ محمد الشارخ ـ بعرض كبير .. لترميم جامع ومدرسة السلطان حسن .. وهو أمر ليس بالهين ، فهو عمارة ضخمة شاهقة بجدران مرتفعة ومدخل مهيب . أو كما قال الكونت (جوبينو) حينما اطل على القاهرة من فوق القلعة (ينفسح تحت أقدامنا ميدان عريض تتصدره مدرسة السلطان حسن ... حصن على هيئة مسجد ، لا يقل مناعة عن قلعة صلاح الدين المواجهة له) . أو كما وصفها المقريزي (فلا يعرف في بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها) .

وكان محمد الشارخ قَدَّر التحدي العظيم .. والعجيب أن رجال هيئة الآثار المصرية رفضوا ـ وباصرار ـ الافصاح عن أية بيانات عنه .. حتى يمكن اللقاء معه .. وقالوا بالحرف الواحد (رجل يحب الخير .. كويتي .. عربي النزعة .. مسلم غيور) فقط .

وبدأ الدكتور (عبد الرحمن عبد التواب) .. عالم الآثار الاسلامية المعروف في بحث أمر الترميم .. وانكب مهندسو الهيئة على المصادر والمراجع والرسومات والتصاوير .. وانتاج المستشرقين الفني وكتاباتهم .. وهي كثيرة ومتعددة .. وبدأوا بعد ذلك في رسم خطة للترميم .. ثم اتضح لهم أن (نابليون) .. قائد الحملة الفرنسية على مصر ـ وامبراطور فرنسا بعد ذلك .. قد استولى لنفسه على

مسجد السلطان حسن والى يساره مسجد الرفاعي



المدخل الرئيسي عند الطرف الغربي للواجهة البحرية .



ـ المدخل الرئيسي والجدران الشاهقة ـ من جهة القلعة .



ـ السلطان حسن من خلف
زهور ميدان القلعة .

واجهة نحاسية ، وهي التي سبقت الاشارة اليها . . وتوافق ذلك مع أعمال البحث عن (أسطول نابليون) . . ووقف المرممون بالمرصاد لأسطول نابليون . .

وجذب (كامل أبو السعادات) الخيط وبدأ - وهو البارع في البحث عن الآثار في قاع البحر - بدأ يبحث عن الواجهة النحاسية . . والتقيت به مرات ثلاث لسؤاله عنها . . وآخر مرة قال (ان شاء الله تخرج . . . .) ومن هنا ارتبط اسم الكويت بواحد من أهم الأحداث المثيرة . . ليس في الوطن العربي فقط بل في العالم كله . .

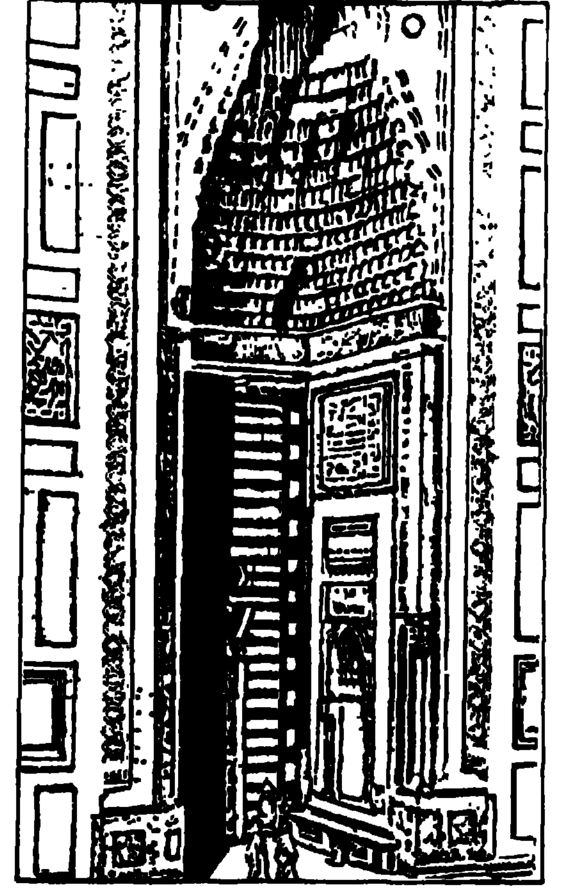
جامع ومدرسة (السلطان حسن) بحي القلعة بالقاهرة . . أحد أعظم وأعرق الآثار الاسلامية قاطبة . شيده (السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن بن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاون) وذلك حسبما تقول لوحة الانشاء ، وكان ذلك في عام ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) حينما جلس على دست سلطنة المماليك ، وعمره لا يتجاوز ١٣ سنة .

وقد جاءت نهاية السلطان حسن على يد (يلبغا الخاصكي) بعد مهاجمته للقلعة أثر خلاف حاد مع السلطان حسن في عام ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) ، واضطر السلطان الى الفرار ، الا أنه وقع في قبضة (يلبغا) بجهة (المطرية) فخنقه ورمى بجثته في البحر ، كقول أغلب المؤرخين ، وكان ذلك آخر العهد به ، ولم يعرف له قبر ، وان كان (المقريزي) قد نوه بأنه دفن في مصطبة في داره بجهة (قلعة الكبش) ، وهناك قول آخر بأنه دفن في (كيمان الفسطاط) ، ومعروف أن الفسطاط تحولت الى كيمان (أكوام) بعد حرقها في نهاية العصر الفاطمي .

الى الجامع والمدرسة :

قام بناء مسجد ومدرسة السلطان حسن في موقع عرف قديماً باسم سوق الخيل ، وكان في هذا الموقع قصران من أجمل القصور ، كان قد أمر بانشائهما السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون منذ عام ٧٣٨هـ (= م) ، وذلك لسكن الأميرين (يلبغا اليحياوي) و (الطنبغا الماردانى) ، وظل القصران في موضعهما حتى عام ٧٥٧هـ (= ١٣٥٦م) ، حينما أمر (السلطان حسن) بهدمهما ليبني في محلهما مسجده ومدرسته .

اعتنى (السلطان حسن) بعمارته عناية شديدة ، واستمرت تجري مع الصرف عليها بسخاء بالغ ، حتى انها قد ابتلعت خراج مصر كاملاً لعدة سنوات ، ويقال ان القالب الحجري الذي بني عليه ذلك القبو الهائل الذي يشكل ايوان الصلاة قد استنفد وحده خراج مصر كاملاً مدة سبع سنوات ، وبمناسبة ارتفاع تكاليفه ، جاءت رواية نسب فيها الطواشي (مقبل الشامي) الى (السلطان حسن) تبرمه من كثرة المصاريف حين قال (لولا أن يقال ان ملك مصر عجز عن اتمام بناء بناه ، لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرفت عليه) . ولا يستبعد ذلك بسبب شموخ البناء وضخامته واتساعه ، وهو أمر يدل على الفخامة



- مدخل السلطان حسن كما رسمه (بريس دافن)

والمقدرة الفنية والمعمارية ، وبالتالي فذلك يتطلب الكثير من النفقات .

سارت عمارة السلطان حسن سيراً حسناً حتى جمادي الأولى من عام ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) وهو نفس العام الذي قتل فيه (السلطان حسن) ، وكان البناء قد اكتمل عدا بعض الأعمال القليلة ، فاستكمل الطواشي (بشير الجمدار) معظمها ، ومن بينها أعمال الرخام بالوزرات ، والأرضيات ، وقبة الفسقية الموجودة بالصحن ، والباب الكبير ، (وهذا الباب نقل من مكانه ليصبح باباً لجامع المؤيد بجوار باب زويلة (ويقال له جامع المتولي) . وكان السلطان حسن قد افتتح الجامع والمدرسة قبل مصرعه ، وصلى فيها الجمعة ، وأنعم على البنائين والمهندسين ، وأقام بها الدروس في حياته ، وحرر لها وقفية للصرف عليها ، وعين بها الموظفين والقراء ، وعلق بها وسائل للانارة (مشكاوات) . وألحق بعمارته مساكن للطلبة .

المدارس الاسلامية في مصر :

الوزير (رضوان بن ولخشي) . . أنشأ مدرسة في مدينة الاسكندرية عام ٥٣٢هـ (١١٣٧م) ، وازداد عدد هذه المدارس بعد ذهاب صلاح الدين لمصر ، فصارت مؤسسات عامة .

كانت المدرسة عبارة عن ايوان واحد لتدريس مذهب واحد . . وهذا الايوان كان من جهة القبلة ، وقد رتب لنا البروفيسور (كريزويل) هذه المدارس ترتيباً زمنياً ، وتبين له أن المدارس الأولى كانت ذات ايوان واحد مخصصة لمذهب واحد ، وأول مدرسة خصصت لمذهبين هي المدرسة (الفاضلية) التي أسسها (صلاح الدين) عام ٥٨٠هـ (١١٨٤م) ، وتخصصت في تدريس المذهبين (الشافعي والمالكي) ، ثم جاءت المدرسة (الكاملية) التي بناها الملك الكامل عام ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) ، ثم المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٥٩هـ (١٢٦١ م) ، لتدريس أربعة مذاهب ، وهي كما قال (المقريزي) أول مدرسة بمصر تحتوي على أربعة ايوانات . وقد عدد لنا (المقريزي) عدد المدارس بمصر في القرن ١٥ الميلادي بـ ٦٢ مدرسة .

الوصف المعماري :

يقع المسقط الأفقي في شكل متعدد الأضلاع - وتبلغ المساحة حوالي ٧٩٠٦ متر مربع ، وامتداد أكبر أطوال هذه الأضلاع ١٥٠ متراً وأطوال عروضها ٦٨ متراً ، ولها أربع واجهات : الشرقية وبها قبة ومنارتان . المنارة القبلية هي الأقدم وترتفع عن أرضية صحن المسجد ٨١٫٦٠ متراً ، والمنارة الأخرى ليست الأصلية ، ولكنها مجددة بواسطة ابراهيم باشا عام ١٠٨٢هـ (١٧٦١ م) ، بعد سقوط الأصلية عام ١٠٧٠هـ (١٦٥٩ م) .

والواجهة القبلية تشتمل على نوافذ مدرستي الحنابلة والحنفية . أما الواجهة الغربية فتحتها دورة المياه ، وأمامها الساقية التي كانت توصل المياه الى المدارس والمسجد . أما الواجهة البحرية فهي الواجهة العمومية ، ويبلغ ارتفاعها حوالي ٣٧٫٧٠ متراً ، ويجيء الباب الرئيسي عند الطرف الغربي ، ويعد هذا الباب على حد قول الأستاذ (حسن عبد الوهاب) (طرفة أثرية) وهو من أعظم المداخل في العالم الاسلامي وأكثرها ارتفاعاً وشموخاً ، وقد حلي جانباه بزخارف متنوعة تمتد الى أعلى ، وهناك أجزاء كثيرة كان مزمعاً تلبيسها بالرخام ، ولكن ذلك لم يتم بسبب الظروف السياسية وقتئذ ، وهناك حنيتان - (الحنية هي التجويف في الحائط ويكون من الداخل ملفوفاً وقد تغطى بنصف قبة مثل حنية المحراب) - وقد تم تلبيسها برخام أخضر بأشكال زخرفية هندسية ، وكتب في أعلاهما بالخط الكوفي المزهر (إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ليغفر لك الله)-وتعلوها تربيعتان كتب باحداهما بالخط الكوفي اليابس (لا اله الا الله محمد رسول الله) وفي التربيعة الأخرى (أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي) .

ومن المدخل مباشرة الى قاعة مربعة الشكل تغطيها تشكيلات زخرفية بارزة تنتهي في الوسط بقبة ، وبصدد هذا المدخل زخارف رخامية ملونة وملبسة في الحجر الأبيض ، ونافذة جصية مخرمة ولا تقل زخارفها دقة عن أعظم أعمال ذلك الزمان . .

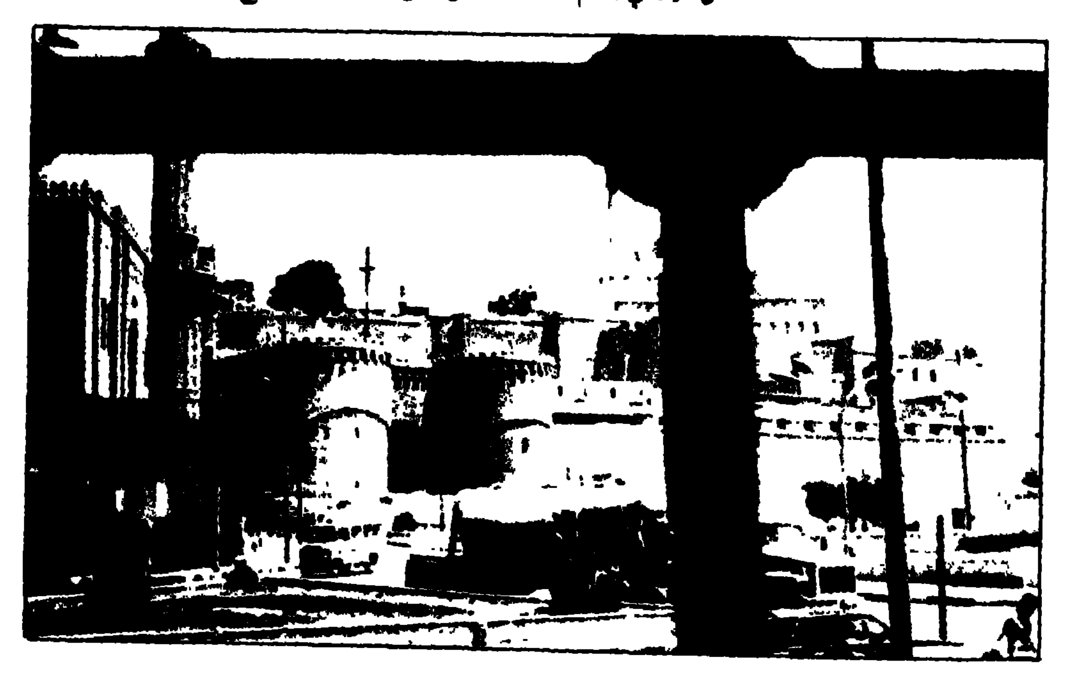
ـ المحراب الرائع والمنبر الرخامي يقعان في صدر ايوان الصلاة .



ـ الدكة الرخامية للمبلغ تقف على أعمدة رخامية ملبسة برخام ملون .



ـ المدخل الرئيسي يتقدم السلطان حسن ـ من جهة سوق السلاح .



ـ باب العزب والقلعة من إحدى نوافذ السلطان حسن .



مسجد ـ السلطان حسن ـ من خمسين عاماً .

وبواسطة خمس درجات سلم يمكن الوصول الى دهليز ينثني الى اليسار بثنية حادة يقود الى الصحن ، وللعلم ليس ذلك هو الدهليز الوحيد . . بل هناك عدة دهاليز أخرى .

الصحن وايوان القبلة :

ينتهي ذلك الدهليز الى الصحن ٦٠ر٣٤×٣٢م٢ ، وهو مكشوف تتوسطه سقيفة (فوارة) مخصصة للوضوء ، تعلوها قبة خشبية تشكل جوسقاً محمولاً على ثمانية أعمدة رشيقة ، وقد نقش على دائرها آية الكرسي وتاريخ الانتهاء من بناء الفسقية والجوسق وتاريخ عمارة اخرى أجريت بها عام ١٠٨٨هـ (الجوسق هو القبة المحمولة على أعمدة) .

وعلى جوانب الصحن أربعة ايوانات ، أكبرها الايوان الشرقي الذي يضم المحراب والمنبر الرخامي ودكة المُبلِّغ الرخامية ، وهذا الايوان الكبير لا نظير له في العالم الاسلامي كله من حيث ضخامته وسعته وارتفاعه ، وتبلغ فتحته ٢٠ر١٩ متراً ، ويحيط به افريز نادر ورائع من الجص ، يحتوي على شريط من الكتابة على أرضية زخرفية جميلة ، ويحتوي هذا الشريط الكتابي على ما نصه من ـ « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » ـ الى قوله تعالى ـ « فوزاً عظيماً » .

الدكة الرخامية التي تقف على أعمدة رخامية ملبسة برخام ملون من نواصيها ، وتمت زخرفتها بعناصر زخرفية نباتية عبارة عن أوراق العنب وثماره (العناقيد) .

ويقع المحراب الرئيسي للجامع والمدرسة في صدر ايوان القبلة ، وهو عبارة عن حنية عظيمة ، يشتمل على مجموعة رائعة من العناصر الزخرفية المتعددة الألوان ، وبجواره منبر رخامي بباب نحاسي مخرم ، يكتنفه من اليمين واليسار بابان ، أحدهما نحاسي مكفت بالذهب ، يقودان الى غرفة الضريح من خلف المحراب .

ويقع الضريح في حجرة كبيرة مربعة تغطيها قبة بارتفاع ٤٨ متراً . . وتضم محراباً رخامياً تمت زخرفة حنيته بزخارف دقيقة ، وبها وزرة ترتفع عن الأرض بثمانية أمتار ، وعند مرحلة الانتقال بين أركان الغرفة

المربعة وبداية دوران القبة ينشأ فراغ في الأركان تمت المعالجة لهذه الفراغات بمقرنصات أشبه بخلايا النحل ، وهي من الخشب الملون والمذهب . وقد سبق أن سقطت القبة الأصلية عام ١٠٧١هـ (١٦٦٠ م) ، وجددها ابراهيم باشا في عمارته للمسجد عام ١٠٨٢هـ ، وهذه الأخيرة محاطة من الخارج بدعامات اسطوانية ، وكانت في الأصل مغطاة من الخارج بالرصاص . . أعتاب نوافذ القبة محلاة بعقود ومقرنصات ، وتم تطعيمها بأشرطة من القاشاني والكتابات الكوفية .

والايوان : هو المساحة المحاطة بما يعزلها عن البيئة الخارجية ، ويغطيها سقف مقبى أي (قبو) .

ودكة المبلّغ : عنصر معماري يتواجد بالمسجد ليجلس فوقه القراء ، أو جوق المنشدين . . وكذلك يصلي فوقها المنادي الذي ينادي خلف الامام حتى يسمع باقي المصلين .

والمقرنص : والجمع مقرنصات وهو عنصر معماري يسد الفراغات بين مستويين ، أو بين مربع ومستدير ، أو من تغير مستوى الأسطح . . وتراه دائما في الأركان أسفل القبات أو على المآذن أسفل الشرفات .

وعلى يمين الصحن ويساره وخلفه ثلاثة ايوانات في كل جهة واحد منها . . وهي جميعاً أقل في سعتها وعمقها من ايوان القبلة ، وان كانت متساوية معه في الارتفاع ، وخصص كل واحد لتدريس واحد من المذاهب الأربعة ، أكبر هذه الايوانات هو الذي كان مخصصاً للمدرسة الحنفية ، وتبلغ مساحته ٨٩٨ متراً .

كان من المقرر في مشروع البناء إقامة أربع مآذن ـ تم الفراغ من ثلاث منها . . اثنتان تكتنفان القبة وواحدة على الكتف الأيمن للباب الرئيسي . . سقطت يوم السبت الموافق ٦ من ربيع الأول عام ٧٦٢هـ ، فأمر (السلطان حسن) بوقف بناء المنارة الرابعة اكتفاء بالمنارتين ، وان كان يقال ان الرابعة كانت موجودة . وكان سقوط الثالثة محل تشاؤم من المعاصرين ، وجاء اغتيال السلطان حسن بعد ذلك بفترة قصيرة .

المهندس المعماري :

لم يكن هذا المهندس معروفاً . . فقد كانت تلك العمارة (التي ليس لها نظير في الدنيا) كما قال المؤرخ غرس الدين بن خليل بن شاهين الظاهري الذي أضاف بأن الملك (الناصر حسن) لما أمر بعمارتها طلب مهندسين من أقطار الأرض ، وأمرهم بعمارة مدرسة لم يعمر أعلى منها ، وهي عجيبة من عجائب الدنيا حتى ان ابن تغري بردي الأتابكي من كتاب النجوم الزاهرة ، قد ذهب مذهب (غرس الدين) وقال (ان هذه المدرسة ومئذنتها وقبتها من عجائب الدنيا ، وهي أحسن بناء مبني في الاسلام) .

واستمر هذا المهندس المعماري مجهولاً حتى اكتشفه العالم الأثري المرحوم (حسن عبد الوهاب) يوم ١٤ نوفمبر عام ١٩٤٤ ، حينما عثر في المدرسة الحنفية على نص مكتوب في طراز جصي (والطراز شريط كتابي) ونصه بسم الله الرحمن الرحيم إن المتقين في جنات وعيون . . . . . » ثم اللهم يا دائم لا (يفنى) يا من نعمه لا (تحصى) أدِم العر والتمكين والنصر والفتح المبين يا من أيدت به الاسلام والمسلمين و أحييت . . . حسن (ابن) مولانا الـ . . . عنه ما وليته وخلده في ذريته كتبه (تحمو) دولته وشاد عمارته محمد بن بيليك المحسني) .

ووقف جابريل شارم . . وهو من علماء تاريخ الفن ، وقف كثيراً أمام مسجد (السلطان حسن) وقال (ان باب المسجد تحفة فنية من أكمل الألطاف العربية ، علوه شاهق يتناسب مع اتساعه ويعلوه نصف قبة مقسمة على هيئة مقرنصات في تجويف عميق ، ينتهي بباب الدخول المصفح بالبرونز المزركش ، وداخل المسجد أعظم ، فالصحن وما فيه من الفسقية محاط بعقود توصل الى ايوان القبلة كتابات كوفية محفورة في الحائط ، مكونة من حروف حجمها غير شائع تزينها فروع نباتية ، ثم يدخل المرء الى حجرة القبو . . . قبته تبدو أكثر ارتفاعاً من قبة البانيثون بباريس وأوسع منها مرات) .

وانتهى كلام (جابريل شارم) عن هذا الجزء من عمارة السلطان حسن ، وان كان غيره لم يتوقف عن الكلام . .

(جاستون فيت) قال (أنه لأبدع آثار القاهرة وأكثرها تجانساً وتماسكاً وكمالاً ووحدة) .

(الورتلاني) الرحالة المغربي قال انه (مسجد لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من البلاد في فخامة البناء والارتفاع وأحكام اتساع حناياه وسعة مدخله ، فكأنه جبال منحوتة ، تصفق فيها الرياح كما تفعل في شواهق الجبال) .

وعنه أيضاً قال الأثري الشهير المرحوم الاستاذ حسن عبد الوهاب « إن حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهرامها . فان لمصر الاسلامية ان تتيه عجباً بمدرسة السلطان حسن التي لا يعادلها آخر في الشرق بأجمعه ، فقد جمعت شتى الفنون فيها » .

الترميمـــــــات :

جامع ومدرسة (السلطان حسن) تأثر بالزمن الذي رحل خلاله فتعرت بعض جدرانه ، وتآكلت بعض أحجاره ، وسقطت قبته ، وغير ذلك من تأثيرات الزمن .

ووجد المبنى من الجميع اهتماماً بالغاً ، فتعرض للترميم أكثر من مرة ، وفي كل مرة كان يتجدد فيها شبابه ، وكان يعود مرة أخرى الى نفس عمارته التي أقيم على نمطها . . وهي عمارة مملوكية تتبع المدرسة الفنية الاسلامية المملوكية .

أهم الترميمات هي التي أمر بها ابراهيم باشا عام ١٠٨٢هـ (١٦٧١م) ، وتم فيها تجديد القبة وإعادة بنائها بعد أن سقطت ، الى جانب بعض الترميمات الأخرى .

قامت لجنة حفظ الآثار العربية بترميم المبنى مرة أخرى في بداية القرن الحالي ، وبذلت في اصلاحها وترميم عمارتها وتجديد زخارفها جهوداً عظيمة ، وكان ذلك تحت إشراف كبير مهندسي اللجنة وقتئذ (هرتس باشا) فأعادت مرة أخرى بناء المنارة التي سقطت وأصلحت الأخشاب والأبواب وباقي أعمال النجارة ، وأعادت فرش الأرضيات المتآكلة . . فعادت عمارة الجامع الى رونقها بعد أن صرفت تلك اللجنة ما يقرب من ٤٠ الف جنيه مصري - وهو مبلغ كبير بالنسبة لذلك الوقت - وانتهت ترميمات هرتس باشا عام ١٩١٥م .

والمبنى جميعه في الوقت الحاضر يتعرض لعملية ترميم شاملة وكاملة ، بواسطة هيئة الآثار المصرية ، ضمن المخطط الشامل لترميم الآثار الاسلامية في مصر . . . ويشترك في التمويل أحد رجال الكويت (محمد الشارخ) الذي تعهد باتمام الترميم . . وبالفعل فقد استعد المبنى لمواجهة عملية التجديد ، ونلاحظ ذلك في الصور المرافقة ، حيث ترتفع السقالات على حوائطه ، وتتدلى الحبال من سطحه . . . وفعلاً لقد تم في البداية انهاء بعض الأعمال البسيطة المرتبطة بالترميم ، التي لا تحتاج الى جهد كبير ، مثل باطنية القبة التي فوق الفسقية والواقعة في منتصف الصحن ، وكذلك بعض الأعمال الخاصة بتلميع المشغولات النحاسية ، وكشف الأعمال الرخامية حتى تعود الى ألوانها الطبيعية ، التي كانت في متناول يد المشتغلين بأعمال الترميم .

والعديد من الحكايات تدور حول مبنى جامع ومدرسة السلطان حسن ، باعتباره أنه كان وقت عمارته - الحادث والحديث ، وباعتباره واحداً من أهم العمائر الاسلامية في مدينة القاهرة .

ويوم وقفنا نحن طلاب الدراسات العليا بكلية الآثار أمام القبو الهائل لايوان القبلة . . قال لنا الفنان الكبير (صلاح طاهر) . أحد الشوامخ الفنية من المعاصرين : -

(لا أملك ما أقوله الا أنني أمام شيء جليل) .
هذا هو مسجد السلطان حسن . . المبنى العملاق بجدرانه الشاهقة . . . ومدخله الاسطوري شاهق الارتفاع . . رائع الزخرفة . وهو المبنى العملاق المملوكي الكبير . . أحد روائع حضارة المسلمين . .

وهو فوق ذلك ثبت مجيد . . يحكي لنا مجد المسلمين وتاريخهم . □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع





بقلم : راجي عنايت

« في زمن مضى . . كان الثوب عربياً والحلية عربية والأثاث عربياً وطراز البناء عربياً ، ولم تكن كل مفردات الحياة هذه عربية التنفيذ فقط ، بل كان الأمر أبعد من ذلك . . فقد كان الابداع العربي يمتد من العلوم إلى تفاصيل الحياة اليومية » .

ظاهرة جديدة تستحق أن نقف عندها قليلاً ، تتصل بالتحول الذي يجري على ذوق الانسان العربي ، عما كان يستهويه من فنون الغرب ، الى كل ما هو مستمد من الأصول العربية والاسلامية . ينعكس هذا التحول على اختيارات الانسان العربي في الطرز المعمارية وأساليب التأثيث الداخلي ، وفي اقتناء النسيج والبسط والأثاث والحلي .

ولظروف تاريخية واجتماعية تتعلق بتواجد الاستعمار الغربي بثقافاته وتأثرنا بمفردات الذوق الغربي للحضارة الغربية فقد تخلينا عن الكثير من أصولنا الحضارية . وبالطبع تباينت درجة ابتعاد المجتمعات العربية عن الطابع العربي والتراث الاسلامي في اختيارات الحياة اليومية . وفي جميع الأحوال ، يضع هذا على عاتق الفنان والحرفي مهمة شاقة ، تقتضي منه خلق النماذج التي تعيد للذوق العربي مساره السليم ، والتي تتوافق مع احتياجات العصر ، حتى تقنع المواطن العربي ، وتوقظ فيه حسه الأصيل .

وهذا هو بالضبط ما فعلته الفنانة عزة فهمي ، عندما قدمت للمرأة العربية نماذج متطورة من الحلي ، تعتمد على الأصول العربية والاسلامية ، وتناسب الذوق والاستخدام المعاصر .

خلال سنوات عملها في مجال الحلي ،

استطاعت عزة فهمي أن تضع بصماتها على زينة المرأة العربية في أنحاء مختلفة من الوطن العربي . وأصبح معرضها الدائم بالقاهرة وجهة النساء العربيات ، بالاضافة الى الأجنبيات اللاتي شممن في انتاجها عطر الأصالة والتفرد . وقد حققت نجاحا ملفتا بين أبناء الجالية العربية والجمهور الأجنبي في عرض الحلي الذي قدمته في معرض فرانكفورت للحرفيين عام ١٩٧٥ ، وفي مهرجان « مصر اليوم » بواشنطن ، عندما تضمن المهرجان عرضاً خاصاً لاعمالها ، بالاضافة الى المعارض الأخرى التي أقيمت بالمتحف الافريقي بواشنطن ، ومعرض الحضارة بهيوستون ، وفي لوس أنجيلوس .

وتأكد ذلك التحول في ذوق المواطن العربي ، بعد المعرضين الناجحين اللذين أقامتهما في الكويت (عام ١٩٨٢) ، ابوظبي (عام ١٩٨٤) .

بداية القصة :

ولكن .. دعنا نتأمل القصة من بدايتها ، قصة صحوة الفنان العربي المعاصر ، وتفتح عينيه على تراثه رغم اغراء الأنماط الأوروبية ، التي تتدفق على وجدانه في محاولة لاستلابه .

تخرجت عزة فهمي في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٦٥ . وشأنها شأن غيرها من الخريجات ، لم تكن لديها خطة جاهزة بطبيعة النشاط الفني الذي يمكن أن تجد نفسها فيه . بدأت عملها في هيئة الاستعلامات بمصر ، وراحت في نفس الوقت تبحث عن دور لها في تصميم الكتاب وفي رسوم الأطفال ، وفي انتاج الخزف ، ورغم القبول الذي لقيته تجاربها في هذه الميادين ، الا أنها لم تشعر أنها قد وضعت يدها على اللحن الحقيقي في حياتها .

وكان الانقلاب الحقيقي في حياتها ، يوم أن التقت بالمعلم رمضان . . .

والمعلم رمضان ، هو أحد الحرفيين التقليديين



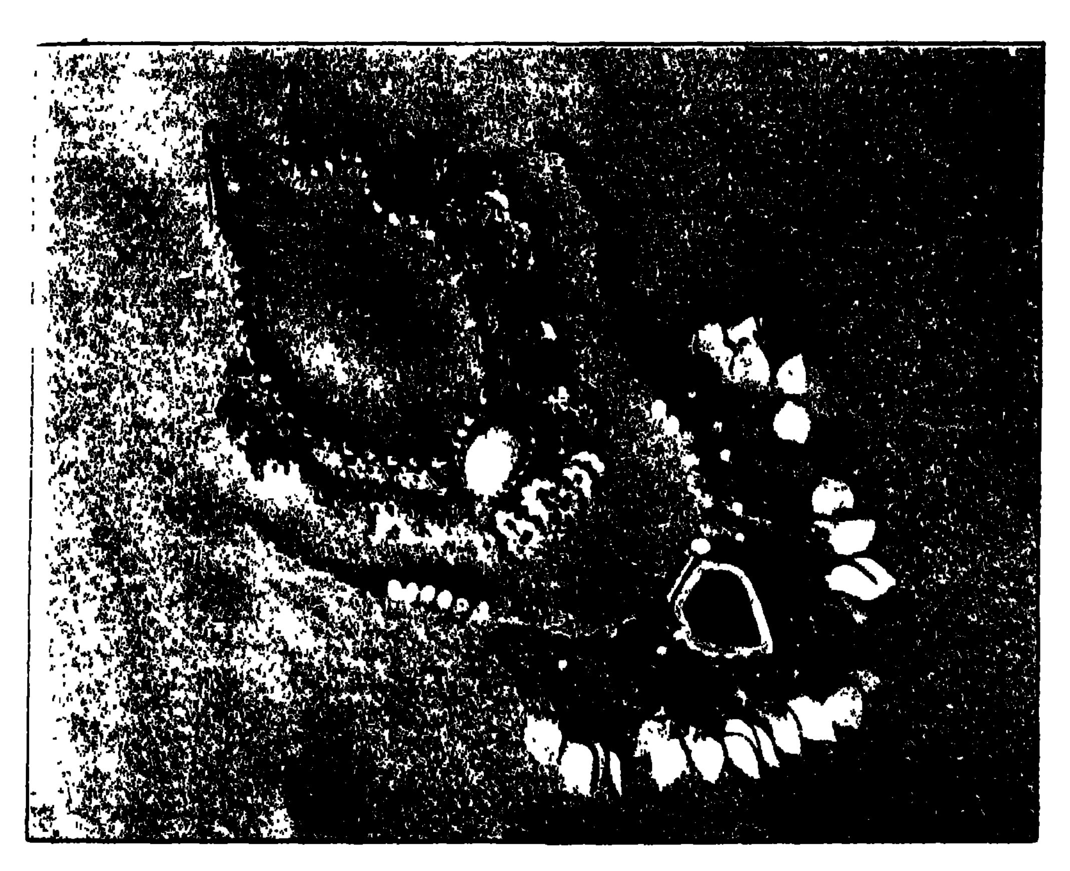
الفنانة عزه فهمي تفكر في تركيبة جديدة لعقد

في حي الصاغة بخان الخليلي في القاهرة . له ورشة صغيرة يصنع فيها الحلى الفضية والذهبية التقليدية .

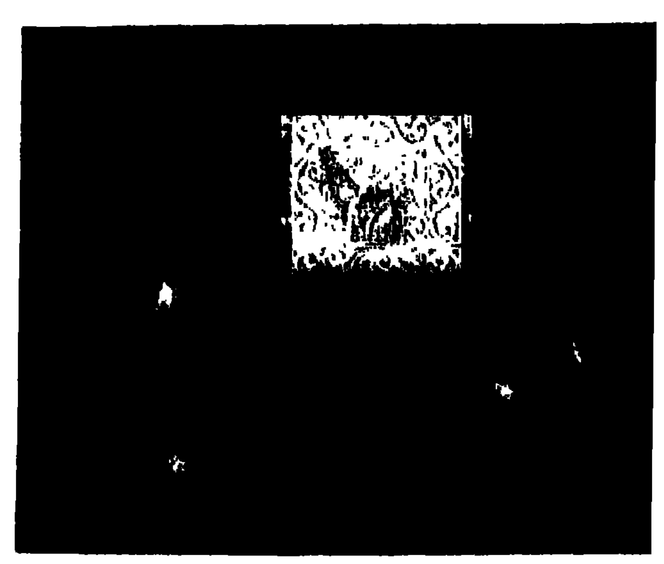
عندما دخلت عزة ورشة المعلم رمضان الصغيرة ، وعرضت عليه أن تعمل كصبي من صبيانه ، وافق الرجل ، وان ظل في داخله الشك في جدية طلبها . فهي فتاة ، ثم هي جامعية . ورغم شك الرجل في أن الأمر لن يعدو أن يكون نزوة طارئة ، الا أنه في مواجهة حماسها المتدفق ، لم يجد مناصا من الموافقة .

ولادة جديدة :

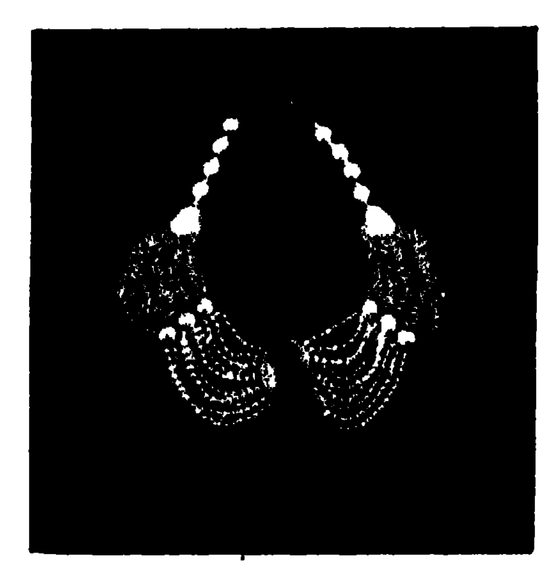
ومنذ اليوم الأول الذي جلست فيه عزة فهمي أمام « التزجة » ، وهي منضدة صائغ الحلي ،



العقد الأعلى مستوحى من أصول بدوية ، والاضافة الخاصة هي استخدام ثلاث نوعيات من الذهب (١٨ ، ٢١ ، وأبيض) بالاضافة الى استخدام الفيـروز . والعقد الأسفـل مستوحى من حـلي شمال أفريقيا .



حقيبة سهرة من الفضة ، مستوحاة من الحقيبة التي يحفظ بها القرآن الكريم بالمغرب



عقد به تركيبات يمنية يعتمد على المرجان والفيروز ، وبعض الاضافات الموريتانية .



نموذج حديث يوضح الطبيعة الفنية لانتاج الفنانة عزة فهمي ، حيث تتجمع في العمل الواحد عدة عناصر من المصادر المختلفة للحلي العربية . في هذا العقد نجد استيحاء للحلي اليمنية والمغربية والتأثيرات التركية .

الكرات الثلاث الكبيرة مستوحاة من تصميمات الحلي اليمنية ، وهي تزين في الأصل اليمني بوشي من الأسلاك والتحبيب على سطحها . في الكرة الوسطى أضافت الفنانة بعض العناصر المتأثرة بالفن التركي ، مثل الهلال والنجمة والقلب والوردة .

المثلثان قرب طرفي العقد مستوحيان أيضا من الحلي اليمنية ، مع نفس الاضافات التي نجدها على الكرة الوسطى ، أما المجموعات الأربع من التشكيلات الخرزية فمصدرها حلي بربر المغرب . أما نهاية العقد التي تكون في الأصول التقليدية من الخيط أو الجلد ، فقد صنعتها الفنانة من عناصر تعتمد على شكل الكرة لترديد العناصر الأساسية في العقد .

الخامات المستخدمة في العقد تختلف عن الخامات التقليدية في مثل هذا الطراز . وهي هنا مكونة من الفضة والكهرمان والمرجان الأسود ، ثم أضافت اليها ، باجتهاد شخصي ، مزج الفضة بالذهب ، أو الفضة المطلية بالذهب .

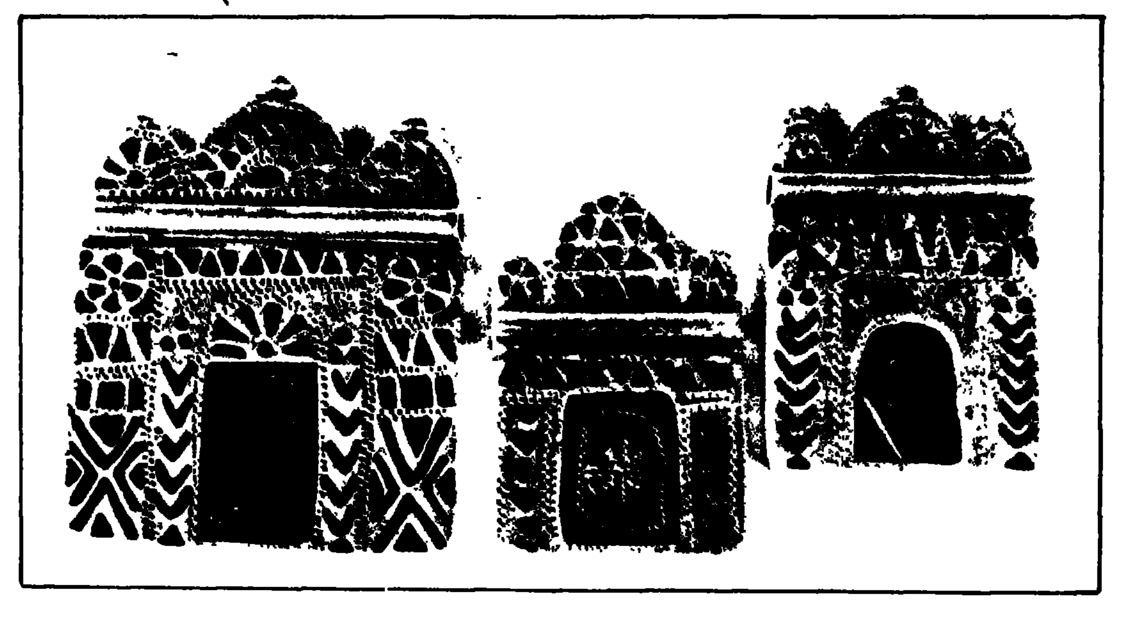
وهذا العقد يدخل ضمن المرحلة الجديدة من انتاج الفنانة ، والتي تتمثل في عدم التقيد بالتسطيح التقليدي في الحلي ، واستيحاء التجسيم الجريء الذي تتميز به حلي بربر المغرب .

وترى الفنانة أن أفضل استخدام للعقد ، هو أن يستقر على الجسم ، أو على نسيج رداء بلون محايد ، وبلا نقوش .

وأمسكت الأدوات بيديها ، حتى أدركت أنها قد توصلت الى حلم حياتها الحقيقي كفنانة تصمم وتنفذ الحلي .

تحكي عن ذلك اليوم ، فتقول « خرجت من ورشة المعلم رمضان أتقافز في الطريق شاعرة وكأنه قد نبت لي جناحان . . الشوارع التي عبرتها من قبل عشرات المرات ، بدت لي مختلفة ، زاهية ، متراقصة بالألوان البراقة . . كنت أشعر كما لو أنني قد ولدت من جديد . . »

على مدى عامين ، ظلت عزة تقطع المسافة بين هيئة الاستعلامات وحي الصاغة سيرا على



دلايات تستفيد من زخارف واجهات البيوت النوبية وهي من الفضة التي استخدم فيها النشر للتشكيل .

الأقدام ، بعد نهاية ساعات العمل الحكومي ، ومع هذا ، كانت تعايش شعورا بالسعادة الغامرة . . سعادة اكتشاف دقائق الحرفة ، وقد بدأت تتضح أمامها آفاق عالم كامل ، زاخر بالاحتمالات .

عندما توفر لها القليل من المال ، اشترت عدة جرامات من الفضة ، وبدأت عملها في بيتها عام ١٩٧٠ ، بعد أن اكتسبت خبرة الحرفيين التقليديين في صناعة الحلي . وكان من الطبيعي ألا تقتصر في عملها على الأشكال والتصميمات السائدة ، التي لا يخرج عنها الحرفيون ، ولكن ، أيُّ اشكال تسعى الى تقديمها ؟ . . لم تكن تعرف بعد . . أو بمعنى أدق لم تكن بعد قد عرفت هذا بشكل شعوري .

المعرض الأول :

أقامت عزة فهمي ، في عام ١٩٧٤ ، أول معرض لانتاجها في بيتها ، رفعت الأثاث القليل من حجرتين متصلتين ، ووزعت على الحوائط نماذجها من الحلي ، التي صاغتها على مدى أربع سنوات . منذ أن بدأت عملها في البيت . وفي اليوم الأول من ذلك المعرض بيعت معظم قطع الحلي المعروضة . . هل كان ذلك مجاملة من معارفها أم تشجيعا من الأصدقاء ؟ أم أن جمهور المعرض قد اكتشف شيئا خاصا في انتاجها ، جعله يقبل على اقتنائه ؟ . .

رغم عدم الوضوح الكامل للطريق أمام الفنانة ، فقد قدمت في معرضها الأول ارهاصات للخط الذي أنتجته فيا بعد . لم تقتصر على تقليد الأعمال التي رأتها في حي الصاغة ، ولم تعمد الى تقليد قطع الحلي الأوروبية التي كانت شائعة بين النساء . . لقد استوحت تصميماتها من الفن الاسلامي الفاطمي ، ومن فنون الخط العربي والفنون الشعبية المصرية .

من بين ما استوحته في معرضها الاول ، قطع من الحلي تستفيد من النقشات المتنوعة (لشباك القلة) الذي يعود الى العصر الفاطمي . وفي بعض الأعمال الأخرى استوحت عناصر من الخط العربي . ومن بين ما ضمه ذلك المعرض عقد يستوحي في تكوينه مشهدا تقليديا في احتفالات الموالد في شوارع القاهرة القديمة ، التعليقات التي تمتد بعرض الشارع ، يتوسطها الفانوس الشعبي الملون ، تحف به من الجانبين الأعلام ذات الأشكال والألوان المختلفة .

وتوالت بعد ذلك معارضها الناجحة بشكل منتظم كل عام . الى أن بدأت تشعر بأزمة تزحف عليها ، ويتزايد ضغطها يوما بعد يوم .

التناقض بين الخيال والحرفة :

لقد تضاعف شعورها بأن رؤيتها الفنية والتصميمات التي تتخيلها للحلي ، أعلى بكثير من صنعتها ، أو حرفتها التي تعلمتها في حي الصاغة . وكم هو مؤلم للفنان أن يشعر بأن يده أضعف من خياله الفني . . يرى بعقله التشكيلات والتصميمات الجديدة ، ولا يستطيع أن يجسدها .

وقبل أن تتفاقم هذه الأزمة ، فتؤثر على انتاجها ، اتيحت لها فرصة ذهبية ، على شكل منحة دراسية في حرفة صياغة الحلي بلندن ، وبالتحديد في معهد « سيتي أوف لندن بوليتيكنيك » . وهكذا وصلت عزة الى لندن . كانت مدة المنحة ثلاثة أشهر فقط ، لكنها استطاعت خلال ذلك أن تستوعب دراسة سنة كاملة ، فقد كانت تعمل تسع ساعات في اليوم ، مضاعفة بذلك فترة العمل العادية .

وقد ساعدها في دراستها بلندن المعلمون والمدربون الذين أشرفوا عليها بالمعهد الذين انتقلت اليهم عدوى حماسها ، بعد أن لمسوا فيها جدية واقبالا على التعلم ، لم يصادفوه عند أي من تلامذتهم . فكانوا يفتحون لها أبواب محترفاتهم ، ويجيبون على أية تساؤلات تخطر على بالها ، ويتيحون لها تجريب كل ما تسعى لتجريبه .

وهكذا ، عادت عزة الى القاهرة وقد وجدت حلا مقنعا لأزمتها .

تشابك الألحان :

وكما يحدث للمقطوعة السيمفونية الناجحة ، عندما تتشابك ألحانها المختلفة في تزامن وتوافق لتحقق لها كمالها . وجدت عزة فهمي أن مجموعتها من الحلي العربية والاسلامية قد تكاملت الى حد بعيد ، وفي نفس الوقت الذي نضجت فيه حرفتها .

لقد أخذت صديقاتها العربيات في تزويدها بنماذج من الحلي التقليدية ، من تونس والمغرب والجزائر والسعودية واليمن والسودان . كما تجمعت لديها في نفس الوقت عدة مراجع هامة عن الحلي في أفريقيا وآسيا وأوروبا . . وهكذا وجدت حولها كل ما يتيح لها أن تستوحي وتتأمل وتتخيل ، كما وجدت يدها قادرة على تجسيد ما يمدها به خيالها من تشكيلات .

وتلاحقت الأفكار الفنية ، فلم يعد عملها بالبيت يسعفها ، حتى بعد أن استعانت بعامل أو اثنين من الحرفيين ، وهكذا استأجرت مكانا في أحد الأحياء الشعبية ، بولاق الدكرور ، وأقامت ورشتها الخاصة ، واستخدمت فيها عددا من الحرفيين المهرة ، القادرين على تنفيذ ما توكله اليهم ، حتى يمكن لها أن تحقق مستوى وكمّ الانتاج المطلوب . وكذلك حرصت في نفس



الوحدة الأساسية في هذا العقد هي « يد فاطمة » الشائعة في المغرب العربي .

الوقت على أن تضم الى ورشتها عددا من الشباب الجامعي المثقف ، بهدف توسيع قاعدة هذا النشاط ، والارتفاع بمستواه .

وعندما شعرت بأن البيت لم يعد مكانا مناسبا لاقامة معارضها ، أنشأت مع غيرها من الفنانين والفنانات الذين يشتركون معها في نفس التوجه الفني ، معرضا دائما لانتاجهم ، أطلقوا عليه اسم « العين » .

تجربة من الهند :

واليوم تحتل الفنانة عزة فهمي مكان الصدارة بين فناني الحلي العرب . وتسعى الى اقتناء أعمالها النساء من معظم أنحاء العالم العربي ، مما ساعد على انتشار التوجه الجديد في الذوق العربي ، نحو مصادر الأصالة والتراث .

المشكلة التي تلح على خاطر الفنانة حاليا ، والتي لم تجد لها حلاً حتى الآن ،مشكلة سعر قطعة الحلي التي تقدمها للجمهور . . انها تحلم بأن تحقق المعادلة الصعبة فتقدم انتاجا متميزا ، يكون في نفس الوقت في نطاق القدرة الشرائية لأوسع جمهور من المستهلكين . .

لقد حاولت حل هذه المشكلة بتقديم نماذج منخفضة السعر من انتاجها ، من النحاس والفضة . . فأصبح في امكان الطالبات اقتناء بعض أعمالها . الا أن جهد الصياغة اليدوية والوقت الضائع فيه يرفع ثمن الواحدة ويقلل من شيوعها .

وهي تعد عدتها الآن للقيام برحلة دراسية الى الهند لبحث التجربة التي تمت هناك ، لاستنساخ الحلي بشكل غير تجاري ، أي دون أن تفقد قيمتها وجمالها .

لقد توصلت الهند الى طريقة عملية في انتاج الحلي ، ما بين الميكنة والانتاج اليدوي ، وبشكل أدق ، ميكنة العناصر التي تتكون منها وحدات الحلي ، وترك هامش للابداع اليدوي والتنوع من خلال الذوق الشخصي في تشكيل وتجميع هذه العناصر مما يساعد على خفض أسعار قطع الحلي ، حتى تتمكن قواعد أوسع من اقتنائها . □



أبناؤنا فى

والتلفزيون هو السبب

اعداد : ريم الكيلانى

فى تقرير لمنظمة اليونسكو جملة تثير الانتباه والخوف ، تقول الجملة ان الأطفال فى البلاد العربية ما بين سن السادسة والسادسة عشرة يقضون ما بين اثنى عشرة ساعة وأربع وعشرين ساعة اسبوعيا أمام التلفزيون !!

يلقبونه (بالوالد الثالث) والذي يحتل مرتبة في الأسرة تلي مرتبة الأب والأم ، ليس ضيفا دائما فقط ، بل هو مشارك في مسئولية اعداد وتربية ابنائنا ، فمع تعقد الحياة وازدياد همومها ، ومع تطور المجتمعات وخروج المرأة للعمل ، أصبح أمرا مألوفا أن يشترى الآباء سكوت أبنائهم وسكونهم بالبحث على مشاهدة التلفزيون ، وما أن يعرف الأطفال طريق هذا الجهاز حتى يبهرهم بعالمه السحرى وشخوصه العجيبة .

ولأن العقل الانسانى فى بدايته يبدأ طريق المعرفة بالاندهاش ، فان دهشة الأطفال بهذا الصندوق الذى يقدم لهم حياة أخرى كاملة لا تنتهى ، ومع استمرار الدهشة والانبهار .. يتقدم عقل الطفل الى مراحل المحاكاة والتقليد والتلقين والتعلم .. الى أن نجد الطفل فى النهاية قد تشكلت شخصيته وثقافته ، والتلفزيون هو العامل الرئيسى فى هذا التكوين .

وأكثر ما يوضح خطورة أثر التلفزيون هذه الأرقام ، والتى هى فى النهاية أصدق من أى كلمات ، لانها شديدة الوضوح والصراحة ، يقول تقرير اليونسكو رقم ٣٣ عن وسائل الاتصال والاعلام فى العالم الثالث : كان متوسط عدد أجهزة التلفزيون فى البلاد العربية فى عام ١٩٧١ مليونى جهاز ، قفز الى ثلاثة ملايين ونصف فى عام ١٩٧٥ ، ثم الى اثنى عشر مليون جهاز فى عام ١٩٨٠ .

وتتراوح نسبة المواد الأجنبية المذاعة فى تلفزيونات البلاد العربية من ٤٠ الى ١٠٠ بالمائة .

ويقول نفس التقرير ان الأطفال من سن السادسة الى سن السادسة عشرة يقضون ما بين اثنتى عشرة ساعة واربع وعشرين ساعة أمام التلفزيون أسبوعيا ، وأن سن الخامسة حتى السابعة هى الفترة التى يبدى فيها الطفل أقصى اهتمام بمشاهدة التلفزيون ، وفى المرحلة التى تسبق هذه الفترة فإن الطفل فى سن الثلاث سنوات يقضى ٤٥ دقيقة يوميا أمام التلفزيون وفى سن ٤ سنوات ينفق ساعة ونصفا ، ولكن أى المواد التلفزيونية أكثر انتشارا وقابلية لدى الأطفال ؟

يجيب عن هذا احصاء لمنظمة شبكات التلفزيون الأمريكية ، فى تقرير عن تسويق المواد الاعلامية ، فنجد أن ٦٣٪ من الأطفال يبدون اعجابا لا ينتهى بالاعلانات ، و ٢٨ بالمائة بالمواد الأخرى من مسلسلات وأفلام كارتون ، وكما يقول تقرير اليونسكو نفسه فان اجابات العينات التى شملها الاحصاء تم الحصول عليها من أولياء أمور الأطفال أنفسهم ، وذلك بسؤالهم عن أى المواد التلفزيونية أكثر جاذبية لأطفالهم وأكثرهم تعلقا بذاكرتهم .

الاعلانات لماذا ؟

لاسباب كثيرة مازال الاعلام العربى غير قادر على تقديم البرنامج الجيد الجذاب المشوق ، والذى يحقق له مكانا ينافس به البرنامج الأجنبى المستورد ، ويظل هذا العجز ليس على مستوى الكيف فقط بل الكم أيضا .

ومهما كانت دقة وصرامة ووعى ادارات الرقابة الا أنها فى النهاية تصبح عاجزة امام تسلل قيم مجتمع بأكمله يختلف عن قيم وأخلاق المجتمع العربى .. فلنفتح جهاز التلفزيون ولنر .. اعلان عن طفل يعطيه شقيقه زجاجة مياه غازية يحتفظ له بها ويحذره من شربها .. وما أن يستدير الأخ حتى يشربها الطفل الصغير وعندما يعود أخوه ليسأله يجيبه ببساطة أنها تبخرت .. اى اخلاق وقيم يعلمها اعلان مثل هذا ، اعلان آخر يبدأ بانفجار حاد ثم صوت يقول لك : انسف حمامك القديم واستبدل به حماما آخر من .. اعلان ثالث عن اكتمال الرجولة بعطر كذا ، وبهجة الأنوثة لو استخدمت صابون .

وسيل من الاعلانات والمسلسلات ،

وكلها تبث وترسى قيم مجتمع يختلف عنا ، فقيم الفردية ، ووحدة الفرد وذاتيته ، والمنافسة ، والاستهلاك ، ودرجة التحرير ، كل هذه قيم مجتمع غربي وصل فيه تعقد المصالح الاقتصادية درجة أملت عليه أن يرسى قيما جديدة ، تتفق مع مصالحه الاقتصادية .

ولكى نفهم هذا جيدا فان مسلسلات وأفلام التلفزيونات الأجنبية يتم تمويلها من شركات كبرى ، تشترى المسلسل لحسابها ، مقابل أن تسبقه باعلان ، وان يتخلل اذاعته اعلان .

وفى ظل شبح الكساد والركود الاقتصادى الذى يعاني منه العالم الآن فانه ينطلق فى سيل الاعلانات ليغرق بها سوق العالم الثالث ، حيث يجد الأمل فى رواج أكبر وأفضل للسلع التى ينتجها ، ومن هنا فانه يتفنن فى تقديم الاعلان الشيق الجذاب ، ليدفع بالأسر والأفراد الى السوق ، ضاربا عرض الحائط بكل القيم والمبادىء ، فعند صراع المصالح تتوارى القيم كثيرا فى مجتمع لا يرحم أحدا من قسوته .

وللعلم رأى :

حول هذا كان للبيت العربي لقاء مع أساتذة علم النفس والتربية ، للفهم والتحليل واثراء القضية .



الدكتور محمد عودة استاذ علم النفس التربوى بجامعة الكويت يقول : لمناقشة هذا الموضوع لا بد من الانطلاق من الحقائق التالية :

ـ ان جهاز التلفاز يعتبر أخطر انجازات هذا العصر ، فبدخوله معظم البيوت ، وبنقله للمعلومات المتعددة والمتنوعة عبر الشاشة الصغيرة ، قد قلص المسافات ، ووفر الوقت فى نشر الثقافة ، واستجاب بالتالى لروح العصر التى تمتاز بالسرعة فى كل ايقاعاتها .

ـ ان هذا الجهاز راح يزاحم المؤسسات التربوية التقليدية كالاسرة والمدرسة فى توجيه النشىء وخلق اتجاهات معينة لديهم .

ـ فى وطننا العربي يعمل التلفاز باشراف وتوجيه من السلطات الرسمية ، التى استطاعت توجيه الرأى العام ، وخلق الاتجاهات التربوية .

ـ اثبت هذا الجهاز باستخدامه للوسيلتين السمعية والبصرية أثره الفعال ، سواء لدى الكبار أو لدى الصغار ، حتى صار رفيق افراد الأسرة ، كما دخل الى المدارس ليكون وسيلة ايضاح مقبولة لدى التلاميذ .

وانطلاقا من كل هذه الحقائق لنا أن نتساءل عن الآثار السلبية للافلام الكرتونية والاعلانات التجارية على أخلاق الأطفال ؟ ان الاجابة عن هذا السؤال لا يمكن أن تكون علمية ما لم تتوفر لدينا دراسة علمية مبنية على الاحصائيات عما يقدمه التلفزيون من برامج من هذا القبيل ، وتحليل لمحتوى هذه الأفلام،ودراسة حالات متعددة من الأطفال ، للبحث عما تكون لديهم من اتجاهات ، يمكن أن تعزى لما يقدمه التلفزيون .

هذا من جهة أما من جهة أخرى ، فان بعض برامج التلفزيون نتاج ثقافات مغايرة لثقافتنا ، كما أننا نجد فيها التوجيهات الأخلاقية التى قد تتعارض أحيانا مع اخلاقيات مجتمعنا .

ولكن ، الى أى حد يكون هذا التعارض خطرا بحيث نخشى منه على أطفالنا ؟

اذا كانت البرامج التى نتحكم فيها حاليا ، ونختار منها ما نشاء ، ونحذف منها ما نشاء ومع

ذلك نرى فيها بعض الخطورة ، فما سيكون عليه الموقف بعد اطلاق القمر الصناعي العربي ، والذي سيتيح الفرص لالتقاط محطات العالم المختلفة . فهل سنغلق سماءنا ونمنع أجهزة التلفزيون من الاستقبال ؟

يضيف الدكتور محمد : أن المهم في هذه الحالة معرفة ما اذا كان التلفزيون وسيلة للمحافظة على القديم ، شأن المؤسسات التربوية التقليدية ، أم هو وسيلة للتغير ؟

اذا كان الأول فاننا نهضم التلفاز حقه ونشل قدراته ، ونضيع عليه فرصة احداث التغيير المطلوب ، علّنا نستطيع التقليل من الاغتراب الذي نعانيه .

وأخيرا ، يقول الدكتور محمد : التلفزيون من خلال برامجه ـ بشكل عام ـ لا بد أن ينقل الحياة بكل ما فيها من خير وشر وقبح وجمال ، فلا يلتقط الأطفال الرديء بقدر ما يلتقطون الخيرات والفضائل .

الاعلانات والطفل :

وعن أثر اعلانات التلفزيون في عادات الأطفال الغذائية كأول تغيير ملموس في تكوينهم تقول الدكتورة عالية الشادي الاستاذة بجامعة الكويت :

لقد تغيرت عادات الشعوب الغذائية تغيرا كبيرا خلال الثلاثين سنة الماضية ، ولعبت الاعلانات والدعاية دورا مهما في عملية التغير هذه ، وفي الواقع يظهر أن أصحاب الشركات الغذائية هم أكثر نجاحا من المثقفين ومسئولي التربية الغذائية في تغيير الأنماط والعادات الغذائية ، وتؤكد الدراسات أن الجانب الوجداني نحو الطعام يتنبه اكثر من الجانب الذهني لدى الكثير من الناس ، وقد أدرك هذه الحقيقة أصحاب مصانع الأغذية اكثر من مسئولي التربية الغذائية . ولما كان هدف الفئة الأولى الأساسي الربح المادي ، فقد أجادوا في توظيف المثيرات العاطفية نحو الطعام ، بطريقة تضمن لهم استجابات فورية وايجابية ، فنجحوا في تغيير العادات الغذائية لدى المستهلكين ، في حين أخفق المختصون في التربية الغذائية في تحقيق ذلك بنفس الفترة الزمنية . لذا نلاحظ أن معظم الاعلانات التلفزيونية التجارية تؤكد على النواحي الممتعة من الطعام ، مثل النكهة واللون والترفيه ، وكل ما من شأنه أن يحقق اشباعا نفسيا . فعلى سبيل المثال يقول هناك اعلان (الدنيا حلوى كثير مع . . . مشروب . . .) أو (شارك الملايين متعتهم في نكهة . .) بدلا من القول (أنها الأفضل لصحتك) .

وتستعين مصانع الأغذية والمؤسسات الاعلانية بخدمات ودراسات اخصائيي علم النفس المتعلقة بالعوامل التي تدفع المستهلك للشراء . ومن الأمثلة على ذلك . . نصح أحد المختصين بعلم النفس احدى شركات الاعلان بمساعدة المستهلكين للتغلب على عقدة الذنب بسبب تناولهم الأطعمة ذات السعرات الكثيرة ، مثل الحلوى والمشروبات الكاربونية ، وذلك بواسطة شعار (كافىء نفسك ، انت تستحق ذلك ، وأنت مدين لنفسك بذلك) ويكون ذلك على صورة مجموعة من العمال يشتغلون بأعمال شاقة ، ثم بعد الانتهاء من العمل يحاول أحدهم ان يستريح ويأكل قطعة شوكولاته ، أو يشرب مشروبا كاربونيا ، كان ذلك مكافأة له بعد العمل المضني . ومن الوسائل الأخرى التي يلجأ اليها المعلنون تأكيد الابداع والشعور بالانجاز واشباع الذات ، كأن تقوم ربة البيت بعمل كعكة من خليط جاهز تم تزيينها بمهارة ، وبعدها تكافىء بفرح وتقدير أفراد أسرتها .

أما اعلانات التلفزيون الغذائية ضمن برامج الأطفال فلقد كانت ـ ولا تزال ـ هدف نقد اخصائيي التغذية والآباء والامهات والمهتمين بصحة الطفل وثقافته .

ان الطفل في المرحلة الحرجة من عمره (مرحلة قبل المدرسة) التي يكتسب فيها الكثير من القيم

والعادات ، ولا يملك النضج الكافى لتقييم المعلومات المقدمة اليه ، يمكن اقناعه بسهولة من خلال اللون والصورة المشوقة ، واللحن الجميل والحركة ، واثارة رغبته فى طلب تناول اصناف معينة من الأطعمة المحدودة القيمة الغذائية ، لارتباطها ببرنامج تلفزيونى ، أو شخصية تلفزيونية .

وتمتاز مرحلة نمو الطفل قبل المدرسة بسرعة تعلمه ، وبتطور عاداته الغذائية وسلوكه الغذائى . ومما لا شك فيه أن للاعلانات التلفزيونية المتعلقة بالطعام تأثيرا مباشرا على اختيار غذائه اليومي ، وعلى عاداته الغذائية ، وبالتالي حالته الغذائية وصحته . وان الهدف الأساسى من تغذية الطفل تكوين نمط غذائى ايجابي ، وتعليمه أن يتناول ويتمتع بأغذية متعددة الأنواع . ولكن الدراسات المتعددة التى أجريت فى الولايات المتحدة تشير الى أن الاعلانات التلفزيونية الموجهة للطفل تؤكد على أنواع معينة ومحددة من المغذيات ، التى تحتوى على نسبة عالية من السكر والسعرات الحرارية والملح والكولسترول . وفى احدى تلك الدراسات التى شملت أربع محطات تلفزيونية فى مدينة شيكاغو ، وجد أن ٧٠٪ من اعلانات التلفزيون فى أيام الاسبوع و ٨٥٪ من اعلانات عطلة نهاية الاسبوع ، تشجع على أطعمة يعتبر الاكثار من تناولها خطرا على الصحة ، مثل الكولسترول والسعرات الكثيرة والملح والسكر .

ودراسة اخرى اجريت على المحطات التلفزيونية الرئيسية فى أمريكا (NBC , ABC , CBS) لتقييم ٣٨٨ اعلانا تلفزيونيا خلال ٢٩ ساعة من برامج الأطفال ، وجد أن ٨٢٪ من هذه الاعلانات حول الأطعمة ، و ٤٠٪ منها عن أطعمة الفطور الجاهزة ، المضاف اليها السكر ، و١٧٪ منها عن البسكويت والحلوى واللبان والذرة ، و ٨٪ منها عن المشروبات الكاربونية ، و ١٥٪ عن حبوب الفيتامينات ٢ .

ودل بحث آخر مشابه للدراسة السابقة أجرى عام ١٩٧٦ لتقييم ٨٥ اعلانا تجاريا خلال ٢٧ ساعة من البث التلفزيونى ، أن الاعلانات التى تدور حول الطعام تبلغ ٦٩٪ من برامج الاطفال و ٤٠٪ من برامج المرأة ، و ٢٨٪ من البرامج المسائية .

ويمكن ان نستخلص من الدراسات السابقة أن الاعلانات التلفزيونية الخاصة بالطعام والموجهة للاطفال لا توصل رسالة تثقيفية ، وانها لا تساعد على اكتساب العادات الغذائية الجيدة .

ومما يثير الاهتمام أن الطفل العربي يتعرض لنفس المؤثرات من الاعلانات التلفزيونية المتعلقة بالطعام والشراب ، بل قد يكون تأثيرها سيئاً ، لانها لا تمثل عاداتنا وتقاليدنا الغذائية ، وانما هى عادات وافدة يعانى منها الغرب ويحاول التخلص منها . لذلك نحن فى حاجة ماسة الى التوسع فى اجراء الدراسات فى مجال العادات الغذائية ، للتعرف على مواطن الضعف ولتوجيه برامج الثقافة الغذائية ، نحو تحسينها والتمسك بالعادات الجيدة منها . ولا بد من اجراء مسح كامل للاعلانات التلفزيونية المتعلقة بالأغذية وتقييمها تقييما دقيقا . كما يجب الاهتمام ببرامج التثقيف الاستهلاكي للافراد ، وتوعيتهم لتمييز الاعلانات الخادعة . ولا بد من توجيه دعوة الى الشركات والمؤسسات الصناعية المساهمة بصورة فعالة وايجابية بالثقافة الغذائية للمستهلك .

مطلوب الانتباه :

ويبقى أن هذا الضيف المقيم أو الوالد الثالث . . أصبح يفوق تأثيرنا على تربية الأطفال واعدادهم . . . وأيا كان الاختلاف حول حجم التأثير الا أن هناك اتفاقا على مداه . . وأن الأمر أصبح يمثل خطرا على نصف المستقبل وكل الحاضر وهم أطفالنا . . فهل ننتبه . ؟ □

هو....

الطبع يغلب التطبع

● مضى على زواجنا قرابة ثمانية أعوام . وزوجي يزداد في كل يوم هياما بالسخط والسخط ، والنظر بعين النكد والغضب لكل كبيرة وصغيرة ، وبمرارة ومبالغة ينتقد أي تغيير في نظام البيت ، التليفزيون هنا غير مناسب .. انه مؤذ للعين ، وقد يؤدي لاصابة صغارنا بالحول ...، ... هذا الركن تشرق فيه الشمس الحارقة ، فلا أجد أي داع لوضع الكنبات التي نجلس عليها فيه .. هذه هنا خطأ .. وتلك غير محببة للنفس ، كان يجب أن لا تفعلي ولا تذهبي لهؤلاء ، ما الداعي لوجود الزرع أو نباتات الظل داخل البيت .. انها تسرق منا الهواء ، رئاتنا نحن والأولاد أولى به .. و .. الخ ..

ولم يفلح معي ايماني العميق بأن لكل داء دواء ، ولكن كنت أقول لنفسي في كل يوم ، غدا يستسلم أمام اصراري على التناول البسيط لأزمات الحياة ، ومحاولات التكيف مع المستعصي منها ، ولكن بلا فائدة .

وعندما بدأت استشعر زحف أعراض « الانفلاق » عليّ وتأثيرها على مزاجي ، وتزحزح نظرتي للأمور عن الصواب ، قررت أن أخصص يوما من أيام الأسبوع لا أحتق فيه أبدا .. مهما أثارني غرام زوجي بالنكد .

استيقظت صباح أحد أيام الاجازة قبل موعدي المعتاد بنصف ساعة .. جهزت الافطار . نهض زوجي فلمحني بجوار طاولة المائدة ، قال بصوت لا بأس به صباح الخير ، فرددت على الفور صباح الخير والنور ، وبيني وبين نفسي كنت أقول .. يبدو أن نشاطي اليوم قد فك عقدة لسانه ، فهو لم ينطق هذه الكلمة الساحرة « صباح الخير » منذ مدة طويلة بهذه الرقة .

لا أخفي على أحد .. استبشرت خيرا ، فاقترحت عليه أن نأخذ صغارنا ونخرج في نزهة نتناول طعام غدائنا على البحر ، ونمضي بقية اليوم في اللعب على الشاطيء .. ووافق الجميع على الفكرة .

في المطعم قضينا وقتا ممتعا .. وعلى الشاطيء لعب زوجي مع أولاده بنصف رضا . المهم أنه كان ينظر الي مبتسما أحيانا .. ولم أكن أصدق عيني .. فخشيت أن تصيبه سهام حسدي فينطلق لسانه بما لا أحب سماعه اليوم وأضطر لتغيير اصراري على السعادة ، فما كان مني الا أن أخذت أشكر الله وأسبح بحمده على هذه النعمة التي أفاض بها علينا اليوم .

قاربت الشمس على المغيب .. لملمنا أشياءنا وعدنا الى منزلنا السعيد ، وبمجرد أن دخلنا من الباب وقع نظر زوجي على « بيجامته التي خلعها هو قبل خروجنا - على طرف أحد المقاعد ، فانتفخت أوداجه وصاح في عصبية .. ألم أقل لك ألف مرة انني لا أحب مثل هذه الأمور .. انها تضايقني .. تسبب ازعاجي .. يبدو أنه لا فائدة .. وخيرا تعمل شرا تلقى .. وتركني مشدوهة واختفى تحت غطاء السرير ، فلم أعد أميز رأسه من قدمه .

المهم أن يومنا انتهى على ما درجنا عليه منذ زواجنا ، ولم أستسلم ، واعتبرتها نهاية للنكد السعيد !!

هدى

هي....

المجـــادلة

● ثماني سنوات ولا فائدة ، هي في واد وأنا في واد ، مهما حاولت ان اشرح وأوضح وأفسر وأناقش وأقنع ، فكل هذا يذهب أدراج الرياح .

في البداية كنت أحاول دوما أن أبدأ بالسؤال ، وانتهي بالمناقشة محاولا الوصول الى الاقناع ، ولم يكن هذا مقصورا على شئون الحياة وحدها ، بل كان نقاشا ممتدا يتسع ليشمل كل أمور الحياة ، بما فيها طريقة ترتيب الأثاث ، وطالما أضعت وقتي أناقش فيه لماذا نضع هذا المقعد هنا وليس هناك .. وأمسكت مترا لأقيس لها المساحات وكيف أن هذا الوضع يتيح مساحة أكبر وأفسح ، واذا أرادت تبديل أو تغيير الترتيب فان البدائل هي كذا وكيت وكيت ..

وكانت نقاشات في بدايتها ممتعة .. عندما كنا نجلس لنقرر هل نوثق علاقتنا بهذه العائلة أم لا ؟ نتجاهل تلك الدعوة أم نلبيها ؟ وكنا نسمي جلساتنا تلك بجلسات الاستنتاج والرياضة العقلية ، كان كل شيء يخضع للنقاش ولا ننتهي منه إلا بعد اقتناع ، وظللت كثيرا أؤمل خيرا ، ولكن كان كل يوم يحمل لي مفاجأة .. ننتهي من مناقشة موضوع ونتخذ فيه قرارا بعد اقتناع ، وأفاجأ بأنها تنسى كل ما اتفقنا عليه ، نقر نظاما وطريقة لتربية الصغار والتعامل معهم فأجد عكسها يطبق ، نقرر عدم تبادل الزيارات مع جارة لها .. فأعود من العمل أسأل عنها فأجد أنها عند ذات الجارة ... ثماني سنوات طويلة على نفس المنوال والوتيرة ، وكنت أسجل اعتراضي في البداية بجملة عابرة ، أو تنبيه صغير أو دعابة ضاحكة ، ولكنها كانت تستقبل كل هذا بتجاهل شديد ، وعندما صعّدت طريقة لفت النظر الى مستوى النقاش العابر كانت تثور وتحتد ، وتلقي بكثير من التبريرات وتنتقل الى مستوى عبارات الخطب والبيانات من عينة احترام حريتي وتقديري للمسئولية ، وأنا لست جارية تؤمر فتطاع ، وأن هناك ظروفا خارج ارادة الانسان عليه احترامها وتقديرها ، وأن روح المشاركة تقتضي فهما أكثر .. وحقيقة أنت لا تفهمني (.. و ..)

وتستمر المجادلة والمغالطة والثورة حتى تختمها بالبكاء ، ولكي أنقذ نفسي من احتراق أعصابي غيرت كل شيء ، وبدلت الطريق .. وهو كوني اكتشفت أنه أيسر وأجدى ، يكفي أن يكفهر وجهي وألقي بأمر ما أو ملاحظة ما حتى تهرع الى التنفيذ ، يكفي ان أسأل سؤالاً مرة واحدة ، وبجملة مقتضبة ، حتى أسمع ما يرضيني من الاجابة ، بل ذهب الأمر الى أبعد من ذلك ، انها صارت تسأل وتشاور وتطلب الرأي في الشيء الذي تفكر فيه قبل أن تفعله ، صارت ارادتي صائبة دائما وطلباتي أوامر ورغباتي شيئا فوق أي اعتبار .. تماما كجدنا خالد الذكر هارون الرشيد ، وأعترف رغم متعة هذا وراحة أعصابي من مجادلاتها السابقة وطرق « النصب » في الحديث واختلاق المبررات ، الا ان هذه حياة لم أكن أحلم بها ، ولم أكن أريدها .. وإنها هي التي دفعتني لهذا ، ولم يكلفني الأمر كثيرا ، فقد بدأت بشجار كبير ارتفع فيه صوتي الى أعلى حد ، ومكثت أسبوعا لا أحادثها .. هي تتصور أنني غاضب ، ولكن الحقيقة أن أحبالي الصوتية كانت عاجزة عن النطق بعد كل الصراخ الذي صرخته .

هـو

رسـالـة .. إلى ابنـتي !

بقلم : منير نصيف

طالت وقفتها وراء زجاج نافذة الغرفة الصغيرة ، التي كانت بالأمس تحتضن أعز وأغلى ما تملك كل أم ... إبنتها التي كبرت وتخرجت في الجامعة ، وأصبحت زوجة للرجل الذي اختارها دون سائر النساء لتشاركه حياته .. ودمعت عيناها . !

بالأمس كانت تخطر في ثوب زفافها الأبيض الجميل ، كانت رائعة .. وسخرت من نفسها وهي تجفف دموعها بمنديلها الصغير . .

أليست هذه هي الأمنية التي عاشت من أجلها .. أمنية كل أم ؟. أليس هذا هو حلمها الكبير في أن ترى ابنتها عروسا تعيش مع رجل يحميها ويرعاها ؟

وأحست بسعادة تغمرها ، ولكنها لم تستطع أن تقاوم الشعور الغريب الذي احتواها في نفس اللحظة ، وهي تتأمل الشارع الذي خلا من المارة في تلك الساعة المبكرة من الصباح .. الشعور بهذه اليد الغريبة .. يد الشاب الذي حمل ابنتها وذهب بها بعيدا ، وكأنه ينتزع قلبها من بين ضلوعها !

لقد حدث كل شيء بسرعة .. الخطوبة والزواج والرحيل عن البيت الذي رعاها طفلة وصبية وشابة .. فقد كان زميلها في الجامعة .. وتحابا .. ثم جاء يطلب يدها من والدها ، ويبارك الأب الزواج .. لم يستغرق كل هذا أكثر من شهرين .. كانت إبنتها خلالهما مشغولة دائما بدراستها التي لم يبق على اتمامها سوى بضعة أسابيع تخرجت بعدها . وحملت شهادتها لتبدأ بها حياة جديدة مع زوجها الطبيب الشاب .. انها لم تستطع ان تجد أبدا الفرصة التي تحرص عليها كل أم قبل أن تبدأ ابنتها تجربتها الجديدة .. كانت تريد أن تجلس اليها وتتحدث معها ! وتملأ اذنيها بنصائحها ، وهي تستعد للقيام برحلتها مع زوجها ، تلك الرحلة الصعبة المليئة بالأشواك والزهور .

ربما كانت من أجل هذا أيضا تبكي .. ولكن لا .. انها لم تنم طوال ليلة الأمس بعد أن وقفت تودع ابنتها وتضمها الى صدرها ، وتهمس في أذنيها :

« سوف أفتقدك يا حبيبتي .. ولكن أرجو أن



تتذكري دائماً أن سعادتي في أن أسمع أنك سعيدة . . عندئذ فقط سوف أشعر أنك لم تتركي بيتك لحظة واحدة ».
ترى هل تستطيع أن تفعل الآن ما فاتها أن تفعله ؟

* * *

وجلست الى المكتب الصغير في غرفة نوم ابنتها . . نفس المكتب الذي طالما جلست اليه صغيرتها تقرأ وتبحث في بطون الكتب عن العلم والمعرفة . . وأمسكت القلم وراحت تكتب :

« ابنتي . .

« اكتب اليك هذه الرسالة من غرفة نومك . . لا أدري بماذا أصف لك مشاعري يا صغيرتي . . لقد قضيت الليلة الأولى لفراقك ساهرة أتأمل صورتك » إن كل شيء من حولي يذكرني بك . . فراشك الذي كنت تنامين عليه . . ملابسك الصغيرة التي بقيت تذكرني بك عندما كنت طفلة تحبو . . مكتبتك التي طالما أمضيت فيها الساعات الطوال وحدك مع الكتب . . انني أراك في كل شيء حولي . أسمع صوتك يملأ أذني في كل لحظة في صحوي ونومي . أنت معي دائما ياحبيبتي ، وأنا معك بقلبي وروحي ، وان بعدت المسافة بيننا ، اكتبي لي ولا تضني علي بالكتابة ، أما أنا فسوف أكتب وأكتب ، ولن أمل الكتابة اليك أبدا . .

« ولكن فيم اكتب يا ترى ؟ ما رأيك لو رويت لك جانبا من تجربتي مع الرجل الكريم الذي أحبني وتزوجني ، وأصبحت شريكة لحياته ، وأما لأطفاله منذ أكثر من ثلاثين عاما مضت ؟ على أية حال انها قصة جديدة لم تسمعيها من قبل . . هل تذكرين ؟ لقد كنت دائما تذكرينني بأن كل قصصي قديمة وكنت أنسى ، وأعود اليها لأرويها لك ولأخوتك الصغار قبل النوم . ولكن ما حيلتي وقد نفذ ما عندي ، ولم أعد أجد الوقت لأقرأ المزيد ، وسط مشاغل البيت ومسئوليات الحياة ؟

« لقد عشت أنا يا ابنتي في زمان غير زمانك . . تربيت وكبرت في بيئة تختلف عن البيئة التي نشأت أنت فيها ، وتفتحت عيناك عليها وسط والديك وأخوتك وزملائك واساتذتك في المدرسة ثم في الجامعة . فأنا لم أتمتع بالحرية التي نعمت انت بها ، الا بمقدار ما كانت تسمح به تقاليد المجتمع الذي كنا نعيش فيه في ذلك الوقت . . لقد كان جدك رجلا محافظا وكذلك كانت جدتك ، شأنهما في ذلك شأن كل الآباء من الجيل الذي انتمي اليه . ولعل هذا هو السبب في أنني لم أكمل تعليمي الجامعي ، فلم يكن التحاق الفتاة بالجامعة شيئا مستحبا ولا مألوفا في ذلك الوقت .

« ولكنني كنت فتاة ذكية مثلك الآن تماما ، رغم انني لم أكن أعرف عن حقائق الحياة شيئا الا بقدر ما كانت تحكيه لي أمي ، والذي لم أجد الفرصة لأنقله اليك ، قبل أن تبدئي أعظم تجربة في حياة المرأة يا ابنتي . .

« صحيح أن جدتك لم تكن تعرف القراءة ولا الكتابة ، ولكنها كانت طيبة القلب ، أحسنت تربيتنا وسهرت على راحتنا وسعادتنا ، فنشأنا نشأة محافظة ، وتعلمنا منها كيف نفرق دائما بين الخير والشر والخطأ والصواب . شيء واحد كان يثيرني ويبعث الضيق في نفسي . . هو بقائي في البيت في انتظار ذلك القادم الغريب الذي سيقدمه لي أبي ويصبح زوجا لي .

« وكان مجرد تفكيري في الزواج بهذه الطريقة ، ومن رجل لا أعرفه يجعلني أنفر من الحياة الجديدة التي كانت أمي تعدني بها . . وربما كان هذا من بين الأسباب التي جعلتني لا أستجيب كثيرا الى الدروس اليومية التي كانت أمي تلقنني اياها في الطهي والحياكة والعناية بشئون البيت . . ولكنني كنت أحاول ولا أكف عن المحاولة من أجلها هي . . من أجل أمي التي كان تفكيرها في حياتي وفي مستقبلي مع زوجي هو شغلها الشاغل ، فكنت أرقبها وهي تطهو الطعام لوالدي ، وأعاونها في أعمال البيت ، وأجلس لاتعلم منها كيف تحيك الملابس وترفو الجوارب ، وتصنع اطباق الحلوى اللذيذة التي يحبها أبي .

* * *

« كانت أمي بالنسبة لي مدرسة ، وأنا التلميذة الوحيدة فيها ، ولكنني تلميذة خائبة ، احتوتها الحيرة وتوقف عقلها عن التفكير . . ثم جاء اليوم الذي ظلت أمي تنتظره طويلا ، وتقدم والدك لخطبتي ، ورضيت به زوجا بطبيعة الحال . فلم يكن أمام أي فتاة أن تفعل غير ما فعلت . . وبدأت أتعلم كيف أسعد هذا الرجل ، لكي ترضى عني أمي على الأقل .

« ومرت الأيام الأولى على زواجنا ، كما تمر بكل عروس ، وانتهى شهر العسل ، وبدأ زوجي يستعد للعودة الى عمله ، وتلفت حولي فإذا بي أجد نفسي أعيش وسط دوامة ، وأنا أقف وحيدة وسط هذه المملكة الجديدة . . ماذا أفعل ؟

وكان لابد لي أن أبدأ ، فهناك عمل كبير ينتظرني ، ولكن كيف أبدأ ومن أين ؟ ولم تستمر حيرتي طويلا . . فقد طالعتني صورة أمي ، وتذكرت ما كانت تقوله لي :

« يجب أن تتعلمي يا ابنتي دائما أن أقصر طريق الى قلب الرجل هو معدته . احرصي دائما على أن تعدي له الأطباق الشهية التي يحبها »!

* * *

« وشمرت عن ساعدي وأسرعت الى المطبخ . . من هنا يجب ان أبدأ واستوعبني العمل بين أواني الطعام وحرارة الموقد . . ولا أذكر ماذا صنعت ، ولا كيف بدأت ، ولكنني فقط لم أنس أنني في ذلك اليوم أحسست بأنني قد أصبحت زوجة ، وأنني قد حققت أمنية أمي . . ووددت لو أنها كانت بجانبي لترى ماذا صنعت بي نصائحها . . وماذا صنع الزواج بابنتها في مملكتها الصغيرة الجديدة .

وكانت لحظة عودة والدك من عمله قد حانت فأسرعت أعد المائدة التي ملأتها بالأطباق التي

يحبها ، ودعوته لتناول طعام الغداء .. ولكنني لم أذق من الطعام الذي أعددته بيديّ شيئاً .. لقد كنت مشغولة عنه بشيء آخر أهم .. كنت أرقب الأثر الذي سيتركه مذاق الطعام على وجه زوجي .. وأحسست بسعادة كبيرة وأنا أراه يأكل بشهية ، حتى اذا فرغ من تناول الغداء ، قال لي :

« لم أكن أعلم أنك أيضا طاهية ماهرة »!

« ومضت الأيام ، وجاءت أمي تزورني في بيتي الجديد ، ولكنها ما كادت تدخل البيت حتى وجدتها تقف مشدوهة .. انها لم تصدق أن هذا البيت الجميل الذي وضع فيه كل شيء بنظام ، هو بيت ابنتها التي كانت تخاف عليها من الفشل !.

« قلت أحدثها : « انني أحب زوجي يا أمي ، رغم أنني لم أعرفه قبل الزواج .. وهو أيضا يحبني ، وأنا أفعل كل ما في وسعي لاسعاده . لقد اقتصدت مبلغا من المال من نفقات البيت ، ولكن زوجي لم يعلم به الآن ، سوف يكون مفاجأة له عندما نذهب معا لدفع القسط الأول من البيت الصغير ، الذي قررنا أن نشتريه في نهاية العام الحالي »!

« هكذا كانت بداية حياتي مع والدك يا ابنتي .. كانت حياة مليئة بالعمل والكفاح .. كان يعمل كثيرا ، ولكنه لم ينس يوما واجباته نحو بيته وأطفاله .. الزواج شركة يا ابنتي ، وقد كنت شريكا مخلصا أمينا ، وقفت بجانبه أساعده واشجعه ، وهو يصعد السلم الى النجاح ..

« ولكن ليس معنى هذا أن أيامنا كلها كانت عسلا .. لقد اختلفنا كثيرا وتشاجرنا كثيرا ، ولكننا لم نكن نسمح بانقضاء اليوم قبل أن ننهي ما كان بيننا من خلاف ، ولم نكن نسمح لأحد بأن يتدخل في حياتنا الخاصة مهما كانت علاقته بنا ..

« وكان يحترم عملي في البيت . كان يقول لي : « اذا كنت أنا الذي أكسب ثمن الخبز ، فأنت الخبز نفسه .. وأموال الدنيا كلها لا تستطيع ان تعوضني عنك ! أنت ملكة في بيتك »!

« وكنت بدوري أفهمه ، وأعرف مزاجه ، وأقدر احساسيه ومشاعره .. كنت احترم صمته ، وأضحك لضحكاته ، وأبكي لآلامه ومتاعبه ، ثم أحاول بعد هذا أن أخفف عنه .. لم أحاول مرة أن أفرض رأيا أو أتمسك بموقف .. وكان هو أيضا لا يتخذ قراراً قبل أن يرجع الي ويأخذ بمشورتي ، فاذا اختلفنا أرجأناه لنعود اليه في وقت آخر ..»..

« لم أجعل زوجي يشعر يوما بأنني رقيبة على تصرفاته ، بل كنت أجعله فقط يحس بأنني موجودة وقريبة منه .. وكان يخجل من نفسه في كثير من الأحيان عندما كان يفترض موافقتي على كل خطوة يقدم عليها ، وكان يعود وحده ليعتذر عندما يكتشف أنه أخطأ حين انفرد بالقرار وحده ..

« ولم أكن أنتظر منه أن يعتذر ، فأنا لا أذكر ان قلت له مرة واحدة « أنت مخطىء » فيما فعلت أو أقدمت عليه .. بالعكس لقد كنت أتركه حتى ينتهي من شرح وجهة نظره ، ثم أبدأ حديثي معه بأن أؤيده فيما ذهب اليه ، حتى لو كنت أرى أنه الخطأ بعينه .. ثم لا ألبث بعد ذلك أن أشرح له وجهة نظري ، وكثيرا ما كان يأخذ بها عندما يكتشف أين كان الخطأ »!.

* * *

« هذه رسالتي يا ابنتي ، وأنا أراك تبتعدين عني لتعيشي حياتك الجديدة مع زوجك ومع المستقبل الذي ينتظرك .. وهذه كانت حياتي مع والدك .. واذا كان هذا هو مسلك زوجة لم تنل من التعليم الا نصيبا متواضعا ، فكيف يكون مسلك زوجة أتمت تعليمها الجامعي ؟ تذكري دائما يا ابنتي أن التعليم هو بداية رحلة الحياة ، وأن الحياة وحدها هي أكبر مدرسة يتعلم فيها الشباب أشياء لا يمكن أن يجدوها في الكتب . وقد علمتني الحياة أن الزواج هو أعظم تجربة يمر بها الانسان ، رجلا كان أو امرأة ..» □

الأسـرة

متى نقدمها في المنزل .. ومتى نلجأ إلى الطبيب ؟

تتعرض الأمهات دوما الى كثير من المواقف الحرجة ، التي يتسبب فيها سوء تصرف الأطفال عن عدم وعي بالطبع ، وبعض الأمهات يدركن قواعد وطرق الاسعافات الاولية المطلوبة على شكلها الصحيح ، والبعض الآخر يقدمن الاسعافات من باب الاجتهاد والخبرة الشعبية المتوارثة ، التي قد يكون بعضها صحيحا وصحيا ، وغالبا ما يؤدي أكثرها الى مضاعفات خطيرة . الدكتور محمد فايز بدوي يقدم لك عزيزتي الأم - بعض قواعد الاسعافات الاولية :

يجب الاحتياط وعدم وضع الأشياء التالية في متناول يد الطفل :

* كل شيء في متناول يد الطفل ، يصلح للبلع : النقود ، الأزرار ، الدبابيس .. وخاصة الطفل في عامه الأول الذي يتذوق كل شيء . وهذه الأشياء قد تسد الأعضاء التنفسية للطفل ، مسببة اختناقه ، وفي هذه الأحوال لا تترددي في قلب الطفل رأسا على عقب ، وجعل رأسه لأسفل ، واضربي بقوة على ظهره ، فاذا استمر بالاختناق وتحول لونه للازرق ، فيجب نقله الى أقرب مستشفى .

واذا كان ما ابتلعه الطفل مادة سامة ، فأهم ما يقوم به الأهل هو حمل الطفل الى اقرب طبيب فورا - ويستحب تحريض التقيؤ عند الطفل بدغدغة بلعومه في كثير من الحالات ، الا اذا كانت المادة المبتلعة كاوية ، لأن أضرارها ستزداد اذا حملنا الطفل على التقيؤ . ومن أهم المواد التي لا يجوز فيها تحريض التقيؤ : المواد الحامضة ، المنظفات المنزلية ، مبيدات الحشرات ، البنزين .

* عندما يصاب الطفل بالتواء مفصلي فان أفضل ما يمكن عمله هو رفع قدم الطفل على وسادة ، مما يحفظ النزف الداخلي العميق والتورم في أقل حد ممكن - وعندما يترافق الالتواء بتورم لا بد من استشارة الطبيب خوفا من وجود كسر أو اصابة في الغضاريف ، وخاصة في حالات اصابة الركبة ، مما قد يسبب عسرة في نمو عظام الطفل .

عندما يشك بحدوث الكسر ، أي عندما يكون الطرف ملتوياً ومشوها مقارنة بنظيره ، فانه لا يجوز تحريك الطرف بعنف ، أو محاولة رده الى شكله الطبيعي ، بل ينقل فورا الى المستشفى ، مستعملين جبائر عادية ، أو قطعة خشبية تحول دون تحرك العظام المكسورة .

* ومن المشكلات الهامة هي اصابات الرأس ورضوضه ، وهي غالبا طفيفة ، ولكن في بعض الحالات قد تحدث اصابة دماغية تظهر في القيء ، وفقد الشهية للطعام ، ويصاب الطفل بالشحوب الشديد والصداع وينام بسهولة ، كما قد يفقد وعيه

بعد السقوط مباشرة ، وفى هذه الحالات لا بـد من المراجعة الفورية للطبيب وعمل الفحوص اللازمة . أما التورم الذى يحدث فى الرأس بعد السقوط مباشرة فهو غير خطر ، لأنه عبارة عن نزف خفيف تحت الجلد مباشرة .

* الرعاف أو النزف الأنفي هو حالةكثيرة الحدوث ، أهم اسباب المرض ، وضع الاصبع بـالأنف ، والبرد ، والالتهابات ، وبعض الأمراض الدموية .

يتم الاسعاف الأولى بابقاء الطفل سكانـا بدون حركة لعدة دقائق ، بحيث يستلقى وجانب رأسه على الوسادة ، وأنفه مائل قليلا الى الأمام ، على أن لاندع الطفل ينفخ أنفه أو يعصره أو يضغطه ، كما أن تعريض الرأس للكمادات الباردة أو استعمال الثلج يؤدى الى تقلص الأوعية الدموية مما يوقف النزف ، ويتم ذلك بوضع مـاء الثلج أو الثلج نفسه عـلى ظهر العنق او الجبين أو الشفة العليا .

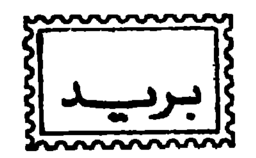
اما اذا استمر النـزف أكثر من عشـر دقائق ، أو تكـرر حـدوث النـزف الأنفى دون اسبـاب مرضية واضحة ، فيجب أن نبحث عن مسبباته .

* ان خـير علاج للخـدوش والجروح الصغيـرة هو غسلها بالمـاء والصابـون ، ثم وضع المـواد المطهـرة المتوفرة ، ويجدر التنويه الى أن جروح الوجه تحتاج الى أخصائى ، إذ أنها قد تترك آثارا دميمة ، كذلك فإن جـرح اليد والـرسغ تحمـل فى طياتهـا خطورة عـلى الشرايين والأعصاب والأوتار مما يحبذ عـرضها عـلى الاخصائى .

- ان الجروح الملوثة بأقذار الشارع والتراب ، وتلك الحادثة بأشياء مدببة كالمسامير ، والجروح المصحوبة بألم واحرار وخفقـان كلها تـدعو لاستشـارة الطبيب لاعطاء العلاجات والمصول الملائمة .

- اثناء وضع الضمـادات والأربطة عـلى الأطراف ، يجب الانتباه الى مدى تأثر الأوردة والشرايين ، لان الشد على الأوردة قد يعيق سريان الـدم فيها ، ممـا يحدث تورما فى الطرف ، وتغيرا فى لونه ، فيحيله الى الزرقة والسـواد ، وهذا وحده يشير الى سوء استعمال الاربطة . □

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆



بريد الأسرة

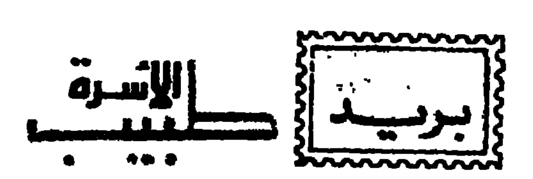
بنك العيون

انى مصاب فى عينى بحيث فقدت البصـر ، وقد سمعت عن بنك العيون ، فهل يمكن لهذا البنك أن يزرع عيناً سليمة بدل عينى التالفة ، وأين يوجد هذا البنك ؟

ع . ف
مصر

بنك العيون هو تسمية للمؤسسة الطبية ، حيث تحفظ العيون التى يتبرع بها أصحابها بعد وفـاتهم ، لاستعمـالهـا فى عـلاج الآخـرين من المصـابـين فى عيونهم ، ممن هم بحاجة لعمليات ترقيع القرنية ، أو للقيام بدراسات طبية على العيون ، لتقصى أسباب مرضها ، والتغيرات المرضية التى تطرأ عليها .

والمتبرع باحدى عينيه أو كلتيهما بعد وفاته ، لا بد من أن يكتب اقرارا موثقا ، وبشهادة شاهدين،عـلى أن يكون بالغا عاقلا (فى الكويت) بحيث يسمح بأخذ العين خلال ساعة من الوفاة ، ولا تزيد المدة عن أربع ساعـات والا فسدت العـين وتلفت ، ولم تعد



صالحة للأغراض العلاجية ، أو الدراسات العلمية .

أن أول بنك قام لحفظ العيون على هذا النحو كان عام ١٩٤٤ في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، كما تعتبر عمليات ترقيع القرنية التي بدأها طبيب روسي يدعونه فيلاتوف عام ١٩٢٤ من أنجح عمليات نقل الأعضاء ، وهي تفيد في اعادة البصر لمريض من بين خمسة وعشرين أصيبوا بعتامة في قرنيتهم نتيجة مرض أو اصابة .

ولكن بنك العيون لا يعني - كما يتوهم البعض - بأن يقوم على استبدال عين سليمة بعين مصابة أو زرع عين سليمة مكان عين تالفة فهذا أمر محال ، لان العين تعتبر نسيجا عصبيا لم ينجح الأطباء في زرعه ، وانما الأمر يقتصر على استئصال الجزء المعتم من عين الانسان المريض ، ثم زرع قطعة بديلة من قرنية شفافة سليمة ، علما بأن القرنية هي الجزء الشفاف من غلاف العين أمام البؤبؤ ، حيث ينفذ الضوء ويرى الانسان ما حوله .

سن زائدة في الفم

■ أعاني من وجود سن تبرز في غير وضعها الطبيعي ، اذ أنها تتجه الى جانب الفك ، وليس الى أعلى ، كما هي بقية الأسنان ، مما يسبب لي الحرج والقلق معا ، خوفا من أن تكون لها مضاعفات ، فما هي هذه السن ، وماهي أسبابها ، وهل لها من علاج ؟

س . ر
حلب

ليس غريبا أن تظهر احدى الاسنان ، وتنمو جانبا في الفك السفلي أو العلوي ، مما يثير الانتباه ، أو قد يؤدي الى الحرج ، بل ربما أثار القلق دون أي مبرر .

والواقع أن لمثل هذه الظاهرة أسبابا شتى أهمها :

أولا : فشل السن الدائمة من طرد السن اللبنية أو المؤقتة ، المفروض أن تستبدل بعد سن السادسة ، علما بأن الأسنان اللبنية أو المؤقتة - وعددها عشرون - تبدأ في الظهور في الشهر السادس تقريبا ، وتبقى حتى سن السنة السادسة ، حين تبدأ الأسنان الدائمة وعددها ٣٢ في طرد الأسنان اللبنية لتحل محلها .

ثانيا : ظهور سن زائدة حقيقية عن عدد ٣٢ الطبيعي ، فلا تجد لها موضعا في الفك مما يدفع بها الى الاندفاع جانبا .

ثالثا : ضمور خلقي في حجم الفك بحيث لا يتسع للعدد الطبيعي للاسنان ، فتتزاحم فيما بينها مما لا تتخذ معه أحد الأسنان موقعا طبيعيا .

والعلاج في كافة الأحوال يستوجب مراجعة اخصائي تقويم الأسنان ، لاستجلاء السبب ومعالجته سواء بالخلع أو التقويم . □

ردود سريعة :

○ القارىء : خليل م . ن .
تجد إجابة عن إستفسارك في العدد ٢٩٨ الصادر في سبتمبر ١٩٨٣ .

○ القارىء : ح . م . ع .
الدواء الذي تسأل عنه لم يطرح تجارياً ، ومازال في مرحلة التجريب العلمي .

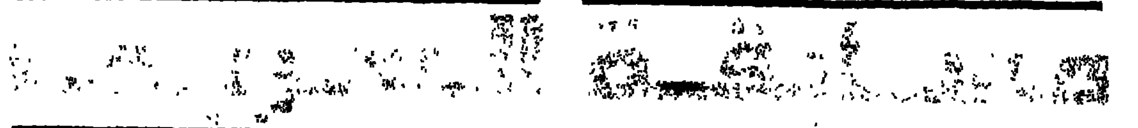
مساحة ود

ابـنـة الجـنـرال

كان ذلك من ربع قرن ، فور تخرجه من أحدى الكليات العسكرية ، تزوج ابنة خاله وفوجيء الاثنان أنهما بعد عام من الزواج قد رزقا بمولودة صغيرة ، وأنه أصبح أباً وهو فى التاسعة عشرة من عمره ،وزوجته قد صارت أماً وهى فى السابعة عشرة ، وصاحبت الابنة سنوات الرجولة والشباب . . وسنى الاحلام والأمانى . . وكان العصر والزمان غير عصرنا هذا وزماننا هذا ، فقد كان عصر الحلم العربي والأمل العربي . .

وفى هذا المناخ أخذ هو ابنته واصطحبها فى رحلة عمرو . . صارت الصاحب والاخ والصديق والابنة ، وكبرت معه . . وحملتهم خطواتها المحمولة فى بحار الزمن الى أيام كان يسير فيها بالطريق معها فيظنها الناس زوجته ، وكانت الابنة على خير ما يحلم . . عذبة . . رقيقة . . حنون ودود . . وفى أربع سنوات حدث انقلاب فى حياة الرجل ، فقد قدم استقالته بعد أن وصل الى رتبة الجنرال ، لان المؤسسة التى ينتمى اليها لم تعد كما كانت . وجاءت اليه ابنته عصر يوم وأخبرته باختصار شديد ودموعها تنهمر انها ترتبط بشخص، وانه يريد أن يحدد موعدا لمقابلته ، وبعد فترة انقطاع ذهبتُ لزيارة الرجل فى بيته ففوجئت به قد كبر عشرين عاما وعرف القلق والتوتر الطريق اليه . . كأنما السلام قد سرق منه . . وبدأت الشعيرات البيضاء تتناثر فى شعره الذى كان يزهو بلونه رغم السن ، وعندما سألته ماذا حدث للجنرال ؟ استعاد تاريخ الأربع سنوات التى مضت منذ أخبرته ابنته بأمر ذلك الشاب . . وكيف قابله . . وكيف خطبت . . وكيف عقد قرانها ، وليلة زفافها وكيف كانت . . حتى بعد أن أخذها زوجها وسافر ضمن أفواج الهجرة العربية الداخلية ، فمازال البيت يمتليء بصورها وبقايا أشيائها . . وعروسة صغيرة كان قد اشتراها لها . . ومقعد أثير كانا يجلسان عليه و . . . ملايين التفاصيل والذكريات . . وعندما نبهته الى أنه يتكلم كمن يرثى وليس بفرحة أب نظر اليّ طويلاً وقال . . نعم أنا أرثى عمرى الذى سرقته ابنتى وأخذته معها ومضت . . فهى شاهد على العمر والاحلام والمبادىء والافكار والرؤى ، كانت الحلم والحب الذى لاينتهى . كنت أودعها الأمانى كل الأمانى ، كانت تختصر وتكثف رحلة العمر ، ولست أدرى لماذا فجر زواجها وسفرها ـ رغم أنه حدث يومى فى كل البيوت ـ الاحساس بأن كل ما كان يربطنى بأيام مضت لها زهوها ومعناها ووقعها وتاريخها قد مضى معها ولم تترك لي إلا كثيراً من الذكريات وبعض الزهور وكثيرا من الاسى والحسرة

محمود عبدالوهاب



جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

١ - هل توجد جبال شاهقة على سطح القمر .. ؟

٢ - من القائل وما المناسبة : « رجائي هو أن تذهب فلا تحجب الشمس عني .. »

٣ - أي الدول الآسيوية اتخذت من الانجليزية لغة رسمية ثانية لها ، بالاضافة الى لغتها الأهلية .. ؟

٤ - ما المسافة التي تفصل بين فورموزا وتايوان ... ؟

٥ - ما هي البوابة الذهبية وأين تقع .. ؟

■ انها بوابة معبد السيخ الذهبي الذي يقع في مدينة امريتسار في ولاية البنجاب في الهند .

■ انها المدخل أو الممر البحري الى استامبول حيث يوجد القرن الذهبي .

■ انها المضيق الضيق الذي يقع في خليج سان فرانسيسكو .

٦ - ايهما أصح : قولك نقه المريض نقاهة أم نقه المريض نقها .. ؟

٧ - بهارات هو الاسم الثاني للهند .. وهلفسيا هو الاسم الثاني لسويسرة .. فما هو الاسم الثاني لدولة (سومن تاسافلتا) ؟

■ فنلندة

■ الولايات المتحدة

■ بريطانيا

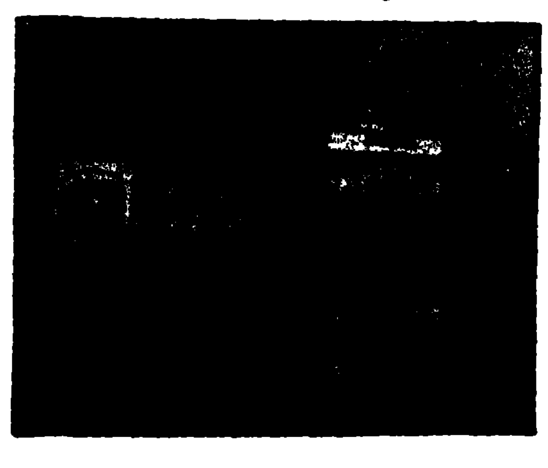
٨ - أستهتر فلان بالشيء .. أي اتبع هواه فلا يبالي بما يفعل ....

فما معنى استُهتِرَ فلان بالشيء .... ؟

٩ - لماذا لا نرى من القمر الا وجها واحدا ... !

■ لانه ثابت في مكانه ولا يدور حول نفسه .





الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٧ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يونيو ١٩٨٥ .

■ لانه يدور حول نفسه كما يدور حول الكرة الارضية ، ويستغرق في كلتا دورتيه نفس المدة أى ٢٧ ١/٣ يوما بالتقريب .
■ السؤال خطأ أصلا فنحن نرى القمر في وجوهه المختلفة في اوقات مختلفة .

١٠ ـ تبلغ سرعة الضوء ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية تقريبا فكم تبلغ سرعة الصوت ؟
■ ٣٠ كيلو مترا في الثانية .
■ ٣٠٠ كيلو متر في الثانية .
■ ١/٣ (ثلث) كيلو متر في الثانية .

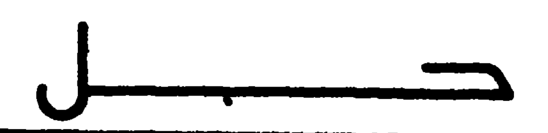
١١ ـ جلد الشموا . . الجلد المخملي المعروف لماذا يسمونه شمواه . .
■ نسبة الى البلدة الفرنسية التي ابتكرت فيها اساليب دباغة الجلد المخملي .
■ لفظ شموا لفظ فرنسي ومعناه المخمل .
■ نسبة الى أحد الوعول الذي له جلد مخملي بطبيعته . . وقد نجحوا في تقليده بالدباغة ، فسموا الجلد المخملي المدبوغ شموا .

١٢ ـ حلبة الملاكمة النظامية : كم تبلغ مساحتها . . ؟
■ ٢٥ ـ ٢٧ قدما مربعا
■ ١٨ ـ ٢٠ قدما مربعا
■ ٢٨ ـ ٣٠ قدما مربعا

ابريل ١٩٨٥

اكتب الحلول على هذه الورقة وأرسلها إلى عنوان المجلة

مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي
الثقافية مسابقة
العربي الثقافية
مسابقة العربي



١ ـ البكتريا نبات ينتمي الى الفطريات .. وهي ذات بنية بسيطة ، وكل واحدة منها خلية واحدة فقط .. على أنها تختلف عن أكثر النبات نظرا لأنها بلا خضرة .

٢ ـ النعام والطاووس والديناصور .. تبيض وتتكاثر ، فهي اذن متجانسة .. اما الوطواط فيتكاثر بالولادة فهو اذن الناشز ..

٣ ـ لفظ (الموسلين) أجنبي واصله العربي موصلي نسبة الى الموصل

لفظ (شك) أجنبي وأصله العربي صك .

لفظ (كابل) اجنبي وأصله العربي حبل .

٤ ـ الرئيس المقصود هو هواري بومدين .. رحمه الله .

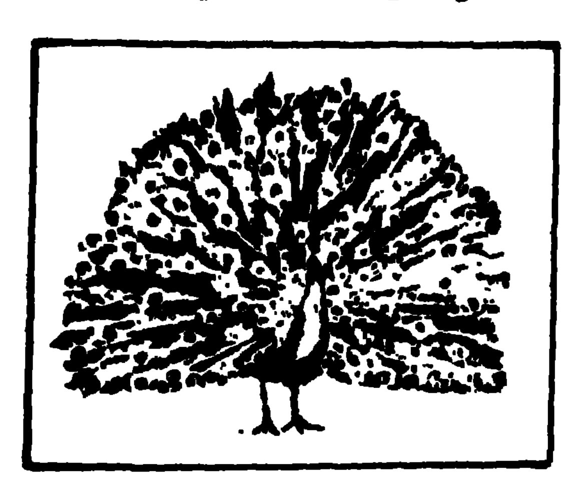
٥ ـ الأصح قولك تعس الحظ (تعسا) لاتعيس الحظ (تعاسة) .

٦ ـ التعبير الصحيح هو استقل الطائرة .

ذلك أن لفظ استقل هنا انما يعني ارتفع لاانفرد بالشيء كما قد يظن البعض ، فانت تقول استقل الطائر في طيرانه (راجع المنجد) .

٧ ـ يبلغ عمر الكون حسب التقويم العبري حوالي ٦٠٠٠ سنة ...

٨ ـ يحتفل الناس في الغرب باليوبيل الياقوتي الأزرق



مسابقة العدد ٣١٤ يناير ١٩٨٥

واليوبيل البلاتيني عند مضي ٦٥ سنة و ٧٠ سنة بالتوالي على الشيء المحتفل به .

٩ ـ جرى تفجير القنبلة الذرية على جزيرة بكيني المرجانية .. وكان التفجير ذا أثر مدمر الى أقصى الحدود .. ولما كان مايوه السباحة الجديد مثل أثر تلك القنبلة المدمر على الحشمة والحياء ، بادروا الى تسميته بكيني .. وكأنه القنبلة الذرية ..

١٠ ـ (دعو دوائري ولاتعبثوا بها) هي العبارة التي قالها أرخميدس مخاطبا بها جنود الرومان ، وذلك عقب سقوط مدينة العالم اليوناني سيراكوز في صقلية بعد حصار دام نحو سنتين .. ولعل تلك العبارة كانت آخر ماتفوه به العالم الشهير .. فقد قتله الرومان بعدها ..

١١ ـ الاسم (مكاو) يطلق أيضا على ببغاء .. موطنها الأصلي أمريكا الجنوبية ، وهي في طليعة ببغاوات العالم روعة وجمال ألوان ومن حيث الحجم أيضا ..

١٢ ـ العبارة صواب : السيارة الكهربائية .. ظهرت وانتشرت في مطلع القرن العشرين حتى بلغ مجموعها في مدن نيويورك ويوسطن وشيكاجو نصف عدد السيارات التي تسير بالبنزين ، الا أن سيارات البنزين مالبثت أن طغت على السيارات الكهربائية الأولى .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٤ يناير ١٩٨٥

الجائزة الاولى : وفاء أمين الشيخ ـ كفر الزيات ـ مصر

الجائزة الثانية : عبدالقادر عثمان البنا ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية

الجائزة الثالثة : عبدالرحيم رشيد يوسف ـ الزرقاء ـ المملكة الاردنية الهاشمية

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ بنجلون محسن ـ طريق الحبشة ـ فاس ـ المغرب

٢ ـ أسمهان جودت مراش ـ دمشق ـ الجمهورية العربية السورية .

٣ ـ محمد الوجيه بن أحمد ـ ثانوية طرابلس ـ حلب ـ الجمهورية العربية السورية .

٤ ـ عبدالمجيد الشماخي ـ وادي الزبيب ـ جربة ـ الجمهورية التونسية .

٥ ـ قاسم قاسم ـ تونس العاصمة ـ الجمهورية التونسية .

٦ ـ ناصر شريف مهوس ـ ضاحية صباح السالم ـ المركز العقاري التجاري الكويتي ـ دولة الكويت .

٧ ـ مروة حسن عباس المهدي ـ الامارات العربية المتحدة ـ الشارقة

٨ ـ سميحة محمد حسن ـ عمان ـ الاشرفية ـ الأردن

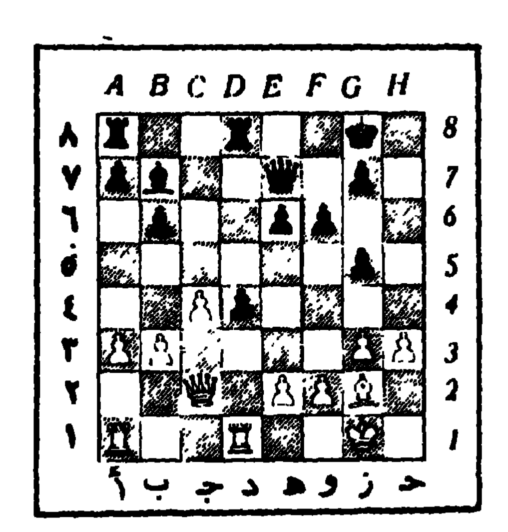
بطولة العالم للسيدات

جرت المباراة على بطولة العالم في الشطرنج للسيدات في مدينة قوبلجوجراد في الاتحاد السوفييتي فيما بين الحادي عشر من سبتمبر ١٩٨٤ والحادي عشر من اكتوبر من نفس العام بين حاملة اللقب الروسية مايا شيبوردانذز من جيورجيا ومنافستها على اللقب مواطنتها ايرينا ليفيتينا من لينتغراد ، وقد تألفت هذه المباراة من ستة عشر دوراً ، انعقد فيها النصر لبطلة العالم الحالية .

ويجمع النقاد على ان هذه الأدوار كانت من أفضل أدوار هذا العام ولكن أحداث بطولة العالم بين بطل العالم الحالي أناتولي كاربوف ومتحديه جاري كاسباروف والتي لا تزال محتدمة حتى كتابة هذه السطور قد طغت على أخبار بطولة العالم للسيدات .

وقد سبق ان اوردنا احد اهم الأدوار بين كاربوف وكاسباروف في عدد شهر فبراير من هذا العام وفيما يلي احد الادوار الحاسمة التي جرت بين البطلتين السوفييتيتين ،ونظراً لطول الدور فقد رأينا ان نبدأه من النقلة ٢٣ .

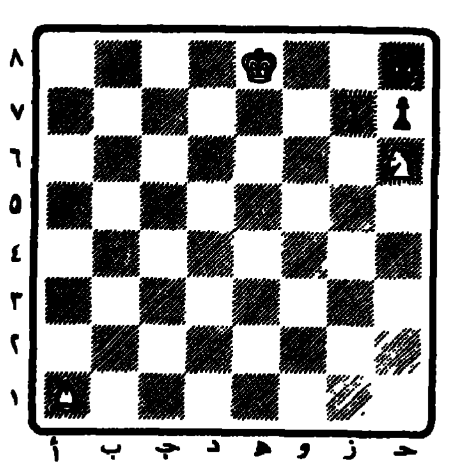
ليفيتينا (أبيض)	شيبوردانذز (أسود)
٢٣ . فـ×ب٧	و×ب٧
٢٤ . ر-د٣	هـ ٥
٢٥ . ر(أ)-د١	م -و٧
٢٦ . ز٤	ر - حـ ٨



٢٧ . ر-ز٣	ر(أ)-د٨
٢٨ . هـ ٣	ر (حـ)-هـ ٨
٢٩ . ب٤	ر-هـ ٦
٣٠ . هـ ×د٤	هـ ×د٤
٣١ . ر(ز)-د٣	ر(د)- هـ ٨

مهدداً بالكش من السطر(١)

٣٢ . و- جـ ١	ر-هـ ٢
٣٣ . جـ ٥	م - و٨
٣٤ . جـ ٦	و- جـ ٧
٣٥ . ر-و١	أ ٦
٣٦ . ر×د٤	ر (٨)- هـ ٣



مسابقة العدد

مسألة رقم (٢٨)

مهداة من القاريء محمد عبدالرحمن

الأبيض يلعب ويميت الشاه في ثلاث نقلات

الأبيض لا يستطيع أخذ الرخ بـالبيدق خشيـة كش مات بالوزير

٣٧ . ر-د٨ +　　　و× د٨

٣٨ . و(٢)×هـ ٣ ؟

كان هذا خطأً كبيراً فلو لعب

الأبيض ٣٨ . جـ ٧　　　ر- ز٣+

٣٩ . م - حـ ٢　　　لفاز بالدور

٣٨ . . . .　　　و- جـ ٧

٣٩ . ر- و٤　　　ز×و٤

٤٠ . تستسلم لأن الأسود يتفوق عليها تفوقاً مادياً ساحقاً.

حل مسألة فبراير ٨٥

١ . ح - جـ ٧+　　　ح×جـ ٧

٢ . ر×هـ ٧+　　　م×هـ ٧

٣ . و- و٦+　　　م - هـ ٨

٤ . وزير أو رخ - د٨ ‡

الفائزون بحل مسألة ديسمبر ٨٤

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ بنمادة مليكه ـ البيضاء / المغرب .

٢ ـ جمال رضا ـ القاهرة / ج . م . ع

٣ ـ محمد بوستة ـ الكاف / تونس

٤ ـ التيجاني ابو زيد ـ تعز / اليمن

٥ ـ يحيى ابراهيم ـ دمشق / سوريا

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ منير أبو عيطة ـ الصفاة / الكويت

٢ ـ عيسى محفوظ ـ توبلي / البحرين

٣ ـ فليل مسعود ـ غرداية / الجزائر

٤ ـ عباسي خضر ـ بربر / السودان

٥ ـ ريما محمد ـ العين / ابو ظبي

الفائزون بحل مسابقة يناير ٨٥

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ فاطمه خميس ـ الأسكندرية / ج م ع

٢ ـ خالد سعد الله ـ القادسية / الكويت

٣ ـ عماد الحراري ـ طرابلس / ليبيا

٤ ـ محمد زعيزع ـ صويلح / الاردن

٥ ـ عصام صبحي ـ بيروت / لبنان

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ محمود زكريا ـ الرياض / السعودية

٢ ـ خير الدين المسعودي ـ تونس

٣ ـ محمد الجندي ـ حمص / سوريا

٤ ـ محمود داود ـ الموصل / العراق

٥ ـ وسيم النمري ـ عمان / الاردن

فينا

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء

كلمة

الصحافة غث وسمين

يزخر الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه بالكثير من الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية أيضا .

وتختلف اتجاهات القراء بين صحيفة وأخرى ، كما هو اختلاف المادة في هذه الصحف ، وهو اختلاف يتفاوت بين التخصص في المادة الصحفية وبين التنوع فيها ، ومنها ما يخدم القارىء ويساهم في تنمية مداركه ، ومنها ما يهدم أخلاقه وسلوكه . .

يقولون .. الصحافة كالسلاح في يد الجندي ، فإن أدرك كيفية الحرب به انتصر ، وان لم يعرف فقد ساقه هذا السلاح الى الهزيمة .. وهو قول ينطبق على سلعة الصحافة التي فيها الغث وفيها السمين . .

المحرر

أرض العروبة .. مفككة

● الذي ينظر الى واقع الأمة العربية يصاب بشيء من الألم يعتصر قلبه ، اذا ما قارن هذا الوضع مع الوضع الذي عليه أعداء أمتنا العربية . . فالأعداء استطاعوا أن يستثمروا أراضينا المحتلة ، ويوفروا لأنفسهم المياه والكهرباء بالطرق العلمية ، رغم أنهم عصابات تجمعت من معظم أقطار العالم الأجنبي .

أما نحن فلدينا الموارد البشرية والمائية والاقتصادية والعلمية ، لكننا - للأسف - لم نزل نعيش في خلافاتنا وتفككنا دون النظر الى بناء الأرض العربية علميا ، حتى نستطيع الوصول فيها الى مصاف الدول ذات المراكز الأولى في عالم التطور والحضارة ، وكم نتمنى أن نرى أرض العروبة وقد اهتمت بالبناء أكثر من الاهتمام بالخلافات ، . . هذه أمنية كل عربي غيور على عروبته . .

نبيه حامد ابراهيم - قها -
مصر العربية

العربي

أمنيتنا كما هي أمنية كل عربي أن يرى شمس التعاون والوفاق والتآخي قد أشرقت على أرض العروبة من محيطها الى خليجها .. لكن الأماني لا تأتي كما تريد أشرعة السفن . . والأمل كبير في عودة هذه الأمة الى سابق عصورها الزاهرة ، وما ذلك على الله ببعيد . .

ينشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

اعداد : يوسف الشهاب

الأخوة الانسانية

● طرحت الفلسفة الرواقية فكرة الأخوة الانسانية كبديل للتمييز العنصري . وهذه الفكرة كانت بدورها تعبيرا عن الانكسار العسكري اليوناني أمام الفرس . والفكرة كانت تعبيرا عن ظروف اجتماعية وسياسية معينة عاشها المجتمع اليوناني . لقد تعرضت الكبرياء القومية اليونانية الى محنة عنيفة نتيجة الانكسار العسكري أمام الفرس في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ـ غير أن اليونانيين سرعان ما استجمعوا قواهم وحولوا هزيمتهم الفادحة الى نصر ساحق ، ولازمتهم نشوة المجد زمنا طويلا ، وما كان لفكرة الأخوة البشرية أن تطرح في ظل هذا الاحساس بالمجد ، وهو احساس لم يكن يمد بصره أبعد من أن يحالف مجموعة من المدن ـ وكان لا بد أن تطرأ تغييرات سياسية معينة تقضي على هذا النموذج ، لكي تكون ايذانا بنشوء فلسفة جديدة تدعو الى الحب الشامل وهو ما تكفلت به الرواقية .

نصار عبد الله ـ أسيوط ـ
مصر العربية

في سجن أبي العلاء

● قرأت باعجاب مقال الأستاذ عبد الله زكريا الانصاري تحت عنوان ـ في سجن أبي العلاء الرابع الذي نشر في العدد (٣١٣) في مجلتنا العربي ـ وقد كان المقال رائعا ، نظرا لما تناوله الأستاذ عبد الله الانصاري من حالة أمتنا العربية من تمزق وخلافات ـ ثم ما ردده مع أبي العلاء ـ

يا أمة من شياه لا حلوم لها
ما أنت الا كضأن غاب راعيها

ان أصوات الخير التي ترتفع في عالمنا العربي منادية بوحدة شعوبنا وتناسي الخلافات تريد من يسمعها ، حتى تعود هذه الأمة الى ماضيها العريق ، وهي الأمة التي قال عنها الخالق سبحانه (. . كنتم خير أمة أخرجت للناس . .) وقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) ان جمع صفوف الأمة العربية أمل يراود كل أبناء العروبة فمتى يتحقق هذا الحلم ؟

الهادي بن ابراهيم ـ تونس

العروبة

وحدة الأمة العربية حلم يتمناه كل أبناء العروبة . . والحال الذي عليه هذه الأمة هو نتيجة عدم توحيد الصف والكلمة . .

ابن دريد

● نسمع في بعض الأحيان عن (ابن دريد) حين يأتي الحديث عن اعلام التراث العربي ، ولقد اختلفت مع مجموعة من الأصدقاء حول حقيقة هذا الرجل ، وموقعه بين أعلام العرب القدماء . . ولذا فاني أكتب لكم لكي تخبرونا عن (ابن دريد) الرجل الذي ترك لنا تراثا عربيا واسعا . .

أحمد محمد المطيع ـ صنعاء ـ اليمن

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

العربي

ولد ابن دريد في البصرة بالعراق عام (٢٢٣ هـ وتوفي عام ٣٢١ هـ) وهو أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي العماني - ولقد شهد له شعراء ذاك العصر في قدرته على الابداع الفني اللغوي والشعري، وهو من فحول الشعراء كأبي تمام وابن الرومي والبحتري وغيرهم - ولقد عاش ابن دريد في عصر الدولة العباسية ، وتنقل في حياته بين أكثر من أرض ، مثل عمان وبلاد فارس ، وقد تعددت ثقافة (ابن دريد) بين العالم الواسع واللغة البارعة ، فصار من مشاهير عصره في هذه العلوم العربية . . كما أنه حفظ القرآن الكريم في بداية حياته ، وانعكس ذلك على اتساع ثقافته ومداركه . .

قوة السود في الولايات المتحدة

قرأت مقال السيد يوسف الحسن « العدد ٣١٣ ديسمبر ٨٤) بعنوان « حق لاتضيع الفرصة » . . أرجو أن أصحح المعلومات التالية :

١ - عدد السود في الولايات المتحدة ٢٨ مليون نسمة بدلا من ٣٥ مليونا .

٢ - زيادة القوة العددية للسود في المدن الكبرى ومنها العاصمة واشنطن حيث تصل نسبتهم لحوالي ٧١ ٪ من سكانها .

٣ - رئيس بلدية مدينة نيويورك يهودي صهيوني وليس أسود واسمه ادوارد كوتش .

محمد عبد الحميد

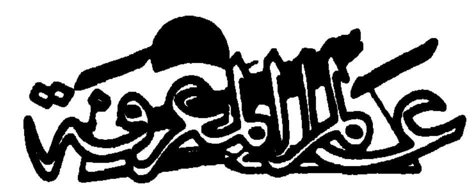
واشنطن

ردود خاصة

* الى القارىء مشقال فرح - سوريا . . بخصوص اقتراحك تخصيص زاوية للبحث في علم الفضاء الكوني ، فان المجلة تقدم في معظم أعدادها مقالات وأخبارا حول أي بحث في هذا الميدان - أما سؤالك عن (مثلث برمودا) فانه يمكنك مراجعة الأعداد القليلة الماضية (باب موسوعة العربي) ، وسوف تجد ما تريد معرفته . .

* قرأنا ما جاء في رسالة القارىء عثمان محمد من غانا - التي تضمنت حاجته الى مجلات وكتب ترسلها (العربي) له . . ونود أن نلبي رغبته لكننا لا نعرف أي الكتب يريد ، وفي امكانه أن يراسل أي دار للنشر لترسل له حاجته . .

* القارىء عبد الله عبد الرزاق ، يقترح في رسالته تغيير نوعية غلاف المجلة ليكون أكثر صلابة حفاظا على المجلة - ونقول له - ان العربي مجلة ، ومن عادة المجلات والصحف أن لا تكون أغلفتها من نوع الكرتون ، لكون ذلك يستعمل للكتب ، والفرق واضح بين المجلة والكتاب . .



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

ابريل ١٩٨٥م

الميكروبات والإنسان

ترجمة : د. عزت شعلان

مراجعة : د. سمير رضوان

٥٠٠ فلس

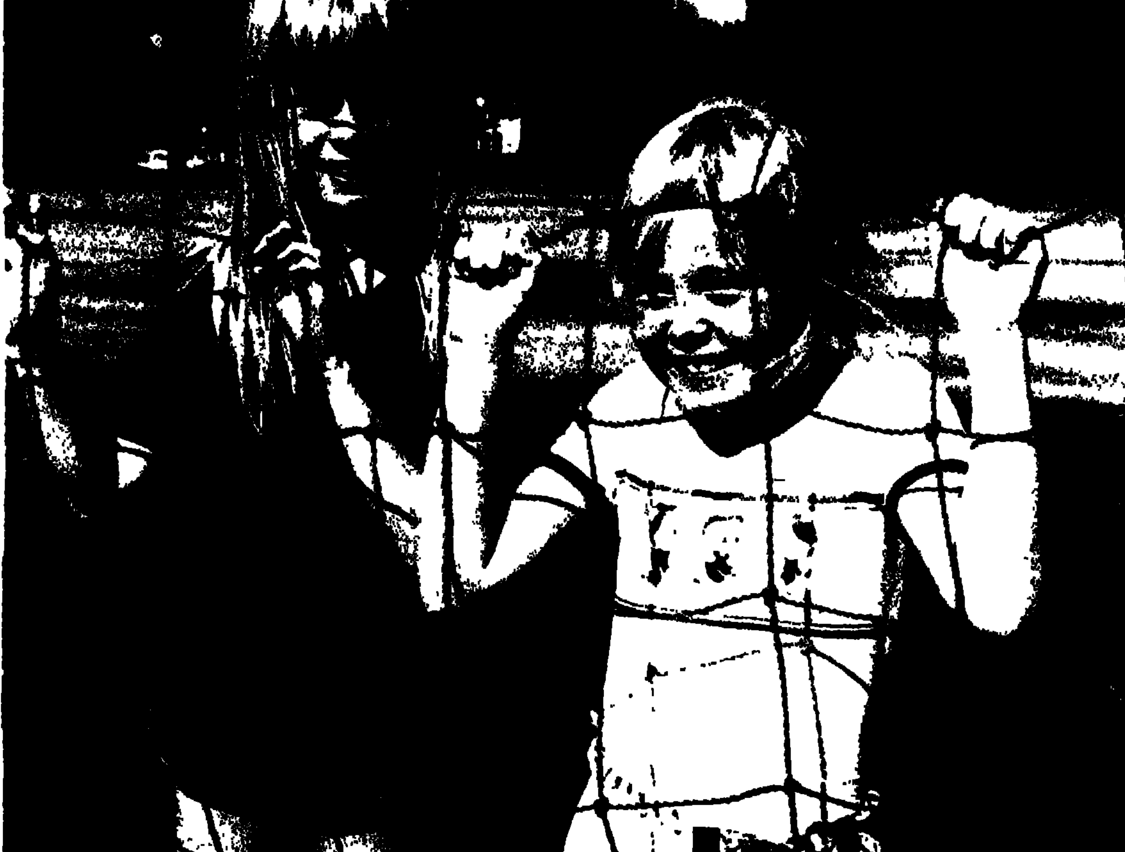
الكتاب الثامن والثمانون

المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

شعبان ١٤٠٥هـ - مايو (أيار) ١٩٨٥

العربي







المياه العربية: وصراع الوجود

System
5500W

في عام ١٩٣٧، خطرت على بال رجل إسمه أفيري فيشر فكرة عظيمة. فقد إخترع أول نظام صوت هاي فاي في العالم. هذه الفكرة وغيرها من الأفكار التي تبعتها بدأت تقليد الأفكار العظيمة التي مازالت تتتابع حتى اليوم في شركة فيشر التي أنشأها.

مثال عظيم على ذلك، نظام فيشر السمعي المركب الكامل التوازن المبين أعلاه. داخل مضخمات الصوت ذات القوة المدهشة ١٨٠+١٨٠ واط*. إعتمد فيشر محوّلاً للتيار فائق الأداء يوفر مصدرًا متوازنًا للطاقة حتى عند الإستماع العالي جدًا كذلك إعتمد نظام مكبر صوت ووفر مزدوج. وهكذا فإن المضخم ومكبرات الصوت يبثان صوتًا غنيًا جدًا واسع المجال وخال تمامًا من التشويش. لقد صُمّمت مكبرات الصوت هذه خصيصًا للإستعمال في الأنظمة المرئية - السمعية، وهي أيضًا تخلصك من التشويش المغناطيسي الذي تستحثه المكبرات أحيانًا والذي قد تسمعه في أجهزة التلفزيون القريبة.

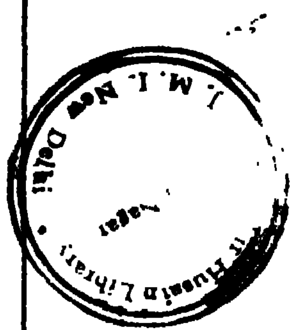
إن أفكارًا عظيمة كهذه هي التي تمكّن فيشر تبوء ٤٠٪ من حقل أنظمة الأجهزة السمعية المركبة في الولايات المتحدة. فلا تقبل بالأقل وقدّم لنفسك فكرة عظيمة. قدّم لنفسك فيشر.

* طاقة إخراج RMS مع ٠٫٠٠٩٪ THD عند 1KHz.

فيشر



العـــــدد ٣١٨ مــــايو ١٩٨٥



العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

AL-ARABI
Issue No. 318 Mey. 1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041KT
المراسلات باسم رئيس التحرير

الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

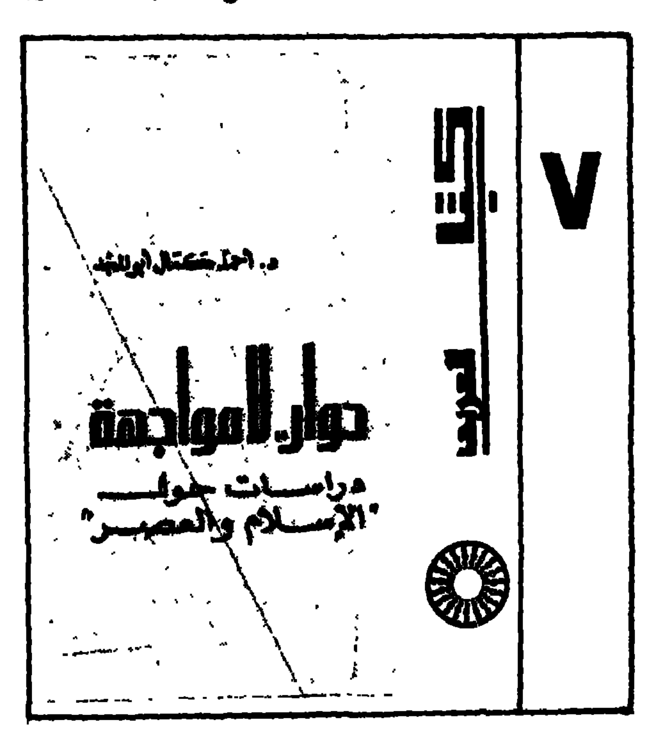
الاشتراكات: ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

صدر حديثاً

كتاب العربي



« ان ما استقر عليه الكثير من علمائنا من أنه لا اجتهاد مع وجود النص ينبغي أن يوضع فى اطاره الصحيح ، فوجود النص (بمعنى الدليل الجزئى النقلى ، من آية أو حديث) لا يلغي - بالضرورة - دور العقل والاجتهاد ، اذ أن فهم مراد الشارع وتحديد مدلولات الألفاظ ، والترجيح بين النصوص المتعددة التى يوحي ظاهرها بالتعارض ، كل ذلك اجتهاد لا يحول دونه ورود الدليل النقلى » .

هذا جزء من اجتهادات الدكتور احمد كمال ابو المجد في الكثير من المسائل والقضايا الاسلامية المطروحة في عصرنا ، والتى شاع الاجتهاد والنقاش فيها وحولها في الكثير من دورياتنا وصحافتنا ومنتدياتنا وفرقنا . وهى اجتهادات نأمل أن تضيف جديدا لما هو مطروح . وأن تفتح آفاقاً جديدة في هذا المجال .

عزيزي القارئ

هذا الشهر متميز في تاريخنا العربي المعاصر ، فهو الشهر الذي تستعاد في منتصفه ذكرى أليمة على قلب كل عربي ، انها ذكرى اغتصاب فلسطين . ومع مرور كل هذه السنوات منذ ذلك اليوم في سنة ١٩٤٨ فان أملنا المعقود على المقاومة مايفتأ يقوى ، ويحدو جميع العرب والمخلصين من أبناء دول كثيرة لمسوا ماحاق بأبناء فلسطين من تعسف وايلام وقهر ، فهبوا يناصرونهم ويضمدون جروحهم ، كل بطريقته الخاصة .

وجدير بنا ألا يتتابنا فتور في المثابرة ، فنؤكد القول من جديد بأن سلسلة الاغتصاب الاجرامية مازالت تمتد بحلقاتها الثقيلة على ربوع تلك المنطقة الغالية من وطننا العربي،وانّنا في أمسّ الحاجة الى القوى التي تتصدى لها وتردعها . .

ولقد قدمنا للقارىء في هذا العدد استطلاعا مصورا عن المياه العربية والأخطار التي تحدق بها ، وبجانب هذا الاستطلاع فان « العربي » عودت قراءها دائما أن تطلعهم على المفيد والجديد في آفاق الثقافة والتربية والفكر والعلوم والتراث .

كما أن المسابقة في القصة القصيرة التي أعلنا عنها في مطلع هذا العام قد أقفل بابها ، بعد أن أصبح لدينا مايربو على ألفين من قصص المتسابقين .

وقد شرعت لجان القراءة في تقويم هذه القصص وتصنيفها تأهبا لتحديد الفائزين الذين سنعلن عنهم في عدد أكتوبر القادم ـ ان شاء الله ـ وفاء بوعدنا للقراء .

واذا كان هذا العدد الذي بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ متميزا بالثراء والتنوع ، فان التزامنا بتقديم عدد ممتاز في الشهر القادم خبر يسعدنا أن نزفه اليك ، فهو عدد رمضان السنوى الذي يتألق بما فيه من نفحات رمضانية وتراثية ، هذا الى جانب المواد الأخرى التي أبدعها كبار الكتاب العرب ، فضلا عن الاستطلاعات وغيرها من الأبواب ، وهكذا دأب « العربي » وطابعه تقديم كل ماهو قيّم ومتطوّر ، والى لقاء متجدد .

□

المحرر

محتويات العدد

آمال وبراءة على وجوه أطفال فلندا . . بلد الالوان والانغام « اقرأ ص ١٠٠ »

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير . . والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العدد ٣١٨ - مايو ١٩٨٥



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

بقلم الدكتور محمد الرميحي

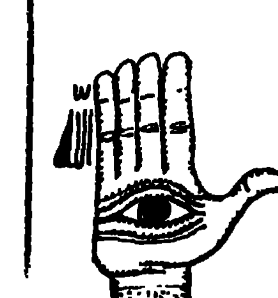
الموروثات الشعبية

كم فيها من ثابت وكم فيها من متغير ؟

■ تغير دلالات الأمثال العربية دليل على تغير الأزمان والحاجات .

■ وضع المثل والحكمة في سياقهما التاريخي أدعى إلى الصحة والتصرف السليم .

■ لا تقطع بالسكين ما تستطيع قطعه بالأصابع .



قال لي صديق ذات مرة : هل فكرت في الكتابة عن الموروثات الشعبية (الفولكلور) لما فيها من تشابك بين ماضينا وحاضرنا العربي اليوم ، ولما لها من تأثير نتداوله وننقله نقلا ونردده دون أن نتبين وقعه على حياتنا المعاصرة .

قلت له : اضرب لي مثلاً .

قال : ما يردده الناس في الأمثال السائرة : خالف تعرف ، أو خالف تربح ، أو العين لا تقاوم المخرز ، أو أحب أهل الكلب اليه خانقه . الخ

قلت : لقد فهمتك الآن ، إن لى وجهة نظر في هـذا الموضـوع ، والأمثلة التى ذكرتها قد تكون مدخلا جيدا لمناقشة الموضوع برمته .

***

ومنذ حديث الصديق اختمرت الفكرة في ذهنى وبدأت أقرأ حولها ما تيسر لى من مصادر . فوجدت أن موضوع « المأثورات الشعبية » طويل عريض ، له علاقة بموقفنا من كل ما هو منقول عن السلف من جهة ، ومن جهة أخرى له علاقة بحياة الشعوب وخبراتها وتجاربها . وأنا اليوم أحاول الكتابة عن جزئية منه هي « الأمثال والحكم » .

تشابه الخبرات والأمثال :

□ والأمثال والحكم هي سلسلة طويلة من تراكم الخبرات مضغوطة في كلمات قليلة ، وهي ليست مقتصرة على شعب دون آخر ، بل إننا نجد في بعض الأوقات أنها مشتركة بين ثقافات وشعوب متعددة ، بالرغم من اختلاف بيئاتها وتجاربها وبعد المسافة بينها ، ذلك لأنها تعبر عن معانى انسانية مقترنة بالوجود البشرى العام .

فالمثل العربي القائل « كحامل التمر إلى هجر » ويضرب في الشخص الذى يحمل بضاعة إلى بلدة هي صانعتها أو منتجتها ، تجد له مثلا مشابها في الثقافة « الانجلو سكسونية » هو (كحامل الفحم إلى نيوكاسل) ، ومن المعروف أن نيوكاسل هي المنطقة الأكثر شهرة في انتاج الفحم الحجرى ، كما هي هجر (منطقة شرق الجزيرة العربية كما تسمى في التاريخ) منطقة إنتاج شهيرة للتمر !

من هنا يأتى القول بأن قدرا كبيرا من الأمثال والحكم المتداولة هي ملك للانسانية جميعها ، وهي مشتركة بين شعوب كثيرة بالرغم من اختلاف صورها وصياغتها ، مع ذلك فإن معناها متشابه ، وبعض الكتب تضع فارقا بين المثل والحكمة فتخصص المثل بما له مورد ومضرب ، أى له حدث واقع قيل فيه ، ثم صار صالحا لأن يضرب فيما يشبه هذا الأصل وينطبق عليه ، أما الحكمة فهي القول الذى يطلقه صاحبه من حصاد خبراته وتجاربه ، وبعض الكتاب يغلب « لفظ » المثل فيطلقه على الحكمة أيضا .

الفرق بين المثل والحكمة :

□ وحين نناقش الفرق بين المثل وبين الحكمة بتفصيل أكثر ، فسنجد أن كليهما قول وجيز رصين ، ولكن المثل قول جرى في موقف معين حقيقي أو متخيل ، تعبيرا عن حادثة ما لشخص أو أكثر ، فإذا تكرر مثل هذا الموقف ذكر القول السابق ، لما بين الموقفين من التشابه ، ومن هنا سمى هذا القول بالمثل ، ومن الحكمة ما يجري مجرى المثل كقول المتنبى « الجوع يغرى الأسود بالجيف » ، فالمعروف أن الأسد لا يأكل الرمم فضلا عن الجيف ، بل يصطاد لنفسه فيأكل مما اصطاده طازجا ، ولكنه حين يجوع فلا يجد ما

يصطاده من الحيوانات ، ولا يجد إلا جيفة فإنه يأكل منها ليدفع عن نفسه الموت .

واذا وجد مثل هذا الموقف ـ وكثيرا ما يوجد ـ قيل هذا القول ، ولو لم يكن في الموقف أسد ولا جيفة ، لأن الضرورات تنزل الانسان على حكمها ، كما اذا رأينا شريفا يرضى بما لا يليق به ، فيما امتنع عنه ، والحياة كما نعلم ملأى بالضرورات .

ويلتقي هذا المثل الجاري مجرى الحكمة مع محض حكمة معروفة هي قولهم « الضرورات تبيح المحظورات » ويتكرر قول هـذه الحكمة كلما حدثت ضرورة تضيق على صاحبها فتلزمه ان يقدم على ما هو ممنوع ، فرارا من الضيق الى السعة ، في سبيل مصلحة أكبر .

والمثل أشد توضيحا في ابراز المعنى وتبسيطه من التعبير عن هذا المعنى نفسه بعبارة عادية ، لأنه يصور المعنى صورة حسية ، والمحسوسات أيسر فهما ، لأنها تدخل من الحواس ، فيتلقاها الذهن شاخصة متميزة ، وهو يعتمد على التشبيه أو الاستعارة أو الكناية من وسائل البيان .

ولذلك يلجأ المعلمون إلى المثل أو الأمثال في تبليغ ما يريدون ابلاغه الى من دونهم فهما ، وفي القرآن الكريم « ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما ، بعوضة فما فوقها » وتذكر الاناجيل ـ وهي تروى قصة السيد المسيح مع حوارييه ـ أنـه عليه السـلام « كان يكلمهم بـأمثال ، وبغير أمثال لم يكن يكلمهم » .

ولكل مثل في الغالب قصة ، واقعيـة أو خياليـة ، بحسب الحادثـة المفترض انه جرى فيها ، ومما تمتاز به امثالنا العربية جملة أن الكتب التي تعنى بجمع الأمثال حين تذكر المثل تذكر معه قصته الواقعية ، أو تتخيل له قصة ملائمة ، واما كتب الأمثال في اللغات الاخرى فالغالب انها تورد الأمثال مجردة .

وقد لا تكون للمثل قصة كقولهم : « أكرم من حاتم » و « أظلم من الحجاج » و « أخف من فراشة » و « أثقل من جبل » فيكفي في المثلين الأولين ان نعرف أن حاتما كان رجلا كريما ، وأن الحجاج كان حاكما ظالما ، ويكفي في المثلين الأخيرين أن نعرف خفة وزن الفراشة ، وثقل وزن الجبل .

والحكمة تعتمد على الواقع ونفاذ العقل الى أسرار الطبيعة أو الحياة ولاسيما النفس الانسانية وطبائعها أو امزجتها ، ومن ذلك أمثالنا العـربية الاتية : ـ « مقتل الرحل بين فكيه » و « ذكاء المرء محسوب عليه » . ومن الحكم في الانجليزية : « لأن يموت المرء حـرا خير من أن يمـوت عبدا » و « لا تقطع بالسكين ما تستطيع أن تقطعه بـالأصابع » و « الشحاذون لا يخشون اللصوص » و « كل امرىء يلقى اخطاءه على زمانه » .

الامثلة والحكم قد تكون انسـانية عـامة أو تكـون قوميـة أو وطنية خاصة . . فمن العامة المثل الروسي : « اذا لم يكن مفر من الغرق ، فالبحر





اللجي خير من البركة الآسنة » وآخر « من الحياة نخاف ، لا من الموت » ، ومن الأمثال القومية أو الوطنية « زوجي سيء اخافه ، ولكن اذا كنت معه لم اخف غيره » و « ما أسعد الفرنسي بغراب » والأخير هنا يعود الى أن جنود نابليون بعد خيبتهم في غزو روسيا وندرة الأقوات ، كانوا يصطادون الغربان . ومن الأمثلة الصينية الساخرة « بائع البطيخ يقول إنه حلو » وهو يقابل المثل المصرى « من يشهد للعروس الا أمها » .

***

وفي تراثنا العربي كثير من كتب الامثال والحكم ، وقد ألفت فيها كتب خاصة ، وهي تسمى « كتب الأمثال » ويجب أن نلاحظ أن الامثال والحكم أكثر شيوعا في الأوساط الأمية .

ويقول العرب ان مواصفات المثل الجيد هي الايجاز واصابة المعنى وحسن التشبيه وقد عنوا على مر العصور بجمع الأمثال وتصنيفها ، الا أن الدراسات التحليلية الاجتماعية لهذه الأمثال قليلة بل نادرة . وبما أن الأمثال ينعكس فيها شعور الشعوب وتفكيرها وعاداتها وتقاليدها وخبراتها ، كما تعبر عن الفئات الاجتماعية التى تنطقها بما تريد ان تقول أو تضمنها مواقفها ومصالحها . . لذلك فقد أصبحت أحد المصادر المناسبة والمهمة لمعرفة نفسية أى شعب وتطوره الفكرى والحضارى ، وهذا النوع من الدراسات يمكنه أن يكشف الحياة الفعلية والحضارية للأمة ، ولا تستطيع أية مصادر اخرى - كالنقوش والتدوينات - أن تقدم ما تقدمه الأمثال من ثروة حقيقية للدراسة ، وكمصدر لاكتشاف تلك الحياة وتحليلها في واقعها وربما في احتمالاتها المستقبلية ، وأصبحت الأمثال اليوم هي المصدر للدراسات العلمية الاجتماعية الكثيفة . لكن بالرغم من هذه الأهمية التى يعول عليها بالنسبة للأمثال والحكم الا أن ما ندعو اليه هو النظر بمنظار النقد والغربلة لها .

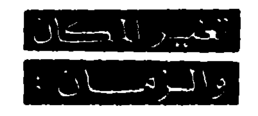
النقد والغربلة :

☐ اذا أردنا أن نقف موقف الدارس والناقد لما وصلنا من أمثال وحكم من قبل الأسلاف فلابد لنا من التمحيص في القيمة الحضارية لبعض أمثالنا وحكمنا ، ولا يضيرنا أن نضيف الشعبى والمستحدث منها الى الفصيح والموروث .

فالأمثال التى ضربها صديقنا في صدر هذا الكلام مثل : « خالف تعرف » وغيره ، تنطوى على موقف ضمني معارض للتجديد والابتكار . وكل من يأتي بجديد لا يؤخذ بالجدية الكاملة في حد ذاته ، فهو مجرد شخص يريد أن يعرف أو يشترى دعاية واعلانا - حسب أقوالنا اليوم - بالمجان دون أن يضيف جديدا ، لذلك فإن النظرة اليه هي نظرة استخفاف لا غير .

وأمثلة أخرى لابد أن نقف عندها طويلا وهي وإن شكلت خبرة لشخص ما في مكان وزمان محددين ، فإنه يجب ألا نأخذها على علاتها وبصورة ملزمة ومطلقة - مثل قولنا : « اتق شر من أحسنت اليه » أو « أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة » أو « أن آخر الدواء الكى » . . . الخ .

ففى عصرنا هذا لا يمكن أن نقبل التحريض على الاحسان الى الناس بسبب أن أحدا في ظروف معينة اساء لمن أحسن اليه ، كذلك لا يمكن أن نقبل أن يكون التقدم في السن وحده عاملا أساسيا من عوامل التقدم في العلم والمعرفة ! أو أن آخر الدواء الكى في الوقت الذى تقدمت فيه علوم الطب ! واذا كانت تلك الأمثال وغيرها تضرب في بعض الأحيان لأجل معناها الضمنى ، فإنها مهما اختلفت صيغتها تعبر تعبيرا واضحا عن مواقف اجتماعية وفكرية يجب أن نعيد النظر فيها من جديد .



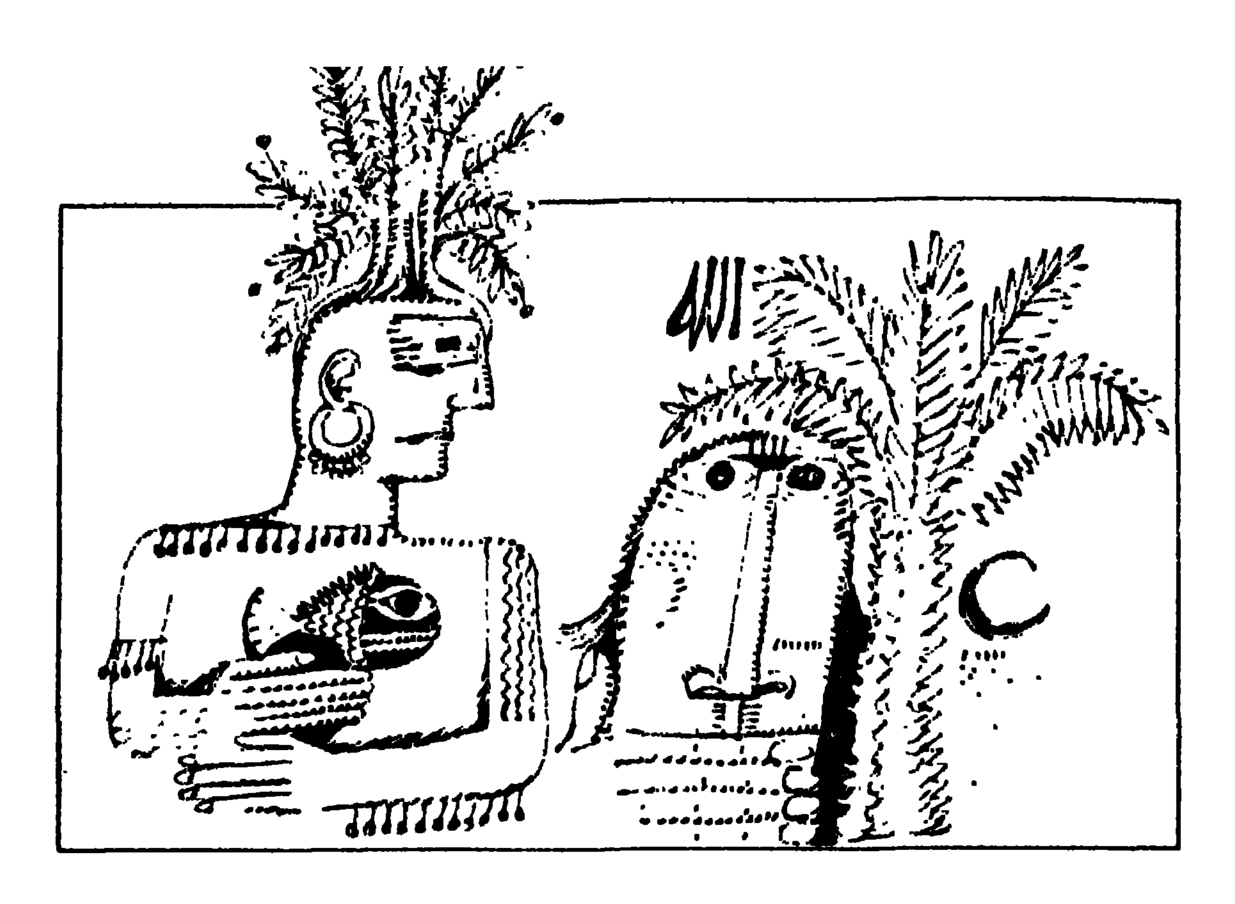
□ يقودنا كل ذلك الى القول بأنه ليس كل ما قاله أجدادنا في العصور السابقة - حتى لو كانت خبرتهم عنه حقيقية في ذلك الوقت - يصلح بالضرورة والحتم لزماننا ، أو انه يمكن أن يخدم حياتنا الحاضرة - ولا أجد أن ذلك بذاته يعتبر موقفا جديدا ، فالموقف من التقليد والنقل انتقده الكثيرون في عصرنا من منطلق موقف فكرى عام . ولكن ما نعتقد أنه جديد هو النقد واعادة النظر في أمثالنا السيارة ، والتى يجرى تداولها كثيرا على شفاه الناس ، ومعظمهم يتعامل معها بتسليم مطلق دون تمحيصها أو اخضاعها لمحك التجربة .

ضمن هذا الإطار لابد من بذل جهد ثقافى لإيجاد وعى جديد يسلم بأن التغيرات التقنية من جهة والاجتماعية من جهة أخرى تفرض التغيير حتى فى أمثالنا وحكمنا . . فهى ليست ثابته ولايجوز أن ننظر اليها كذلك ، صحيح أن بعضها يمكن قبوله اليوم ، لا لأنه حكمة قديمة ومثال سائر ، ولكن لأنه مازال ينطبق على الخبرة الانسانية اليوم ، ويمكنه أن يتواءم مع مجريات الحياة والواقع ، كقولنا مثلا : « الخطأ زاد العَجول » أو كقولنا : « رب أخ لك لم تلده أمك » أو « أعط القوس باريها » أو « أسمع جعجعة ولا أرى طِحنا » أو « السيفان لا يجتمعان فى قراب واحد » أو « ما ضاع حق وراءه مطالب » . . . الخ . أما بعضها الآخر الذى لا يتناسب مع حقائق العصر فلابد من اعادة النظر فيه .

تجربة خلاص الأمم من الموروث الجامد المعطل للتغيير تقول لنا ان هذا الخلاص يبدأ بخطوة أولية ومهمة هى نقد الموروث وبيان سلبياته ، والاعتراف بأن بعض هذا الموروث من « أمثال وحكم » لم تعد ملائمة فى عالم اليوم .

فمع التقدم المتزايد فى الوعى وادراك حقائق العلم والحياة والمجتمع فإننا نحس بالارتباك والقصور والتقصير فيما لو حبسنا تجربتنا فى اطار تجارب





الآخرين وخبراتهم الخاصة فى زمان وظروف كانت لصيقة بهم . ومن خلال اعمال النقد واخضاع الحكم والأمثال لمحكات الواقع فإننا لا نفتأ نكتشف فداحة الخطأ الذى نقع فيه عندما نؤسس احكامنا فى قضايا كثيرة على خبرة الآخرين ، أو على حكم وأمثال موروثة منقولة من الماضى ، واغفال الخطأ فى هذا الموروث يورث أخطاء أخرى للأبناء أيضا ، مما يتراكم ويزيد من الاخطاء التى قد تعطل مسيرة الأحفاد وتدخلهم فى نطاق المقلدين بدلا من أن يكونوا مبتكرين .

الحالة الذهنية لعصرنا هى حالة صراع وشد وجذب تتسابق فيها الأمم للوصول الى التقدم من أجل سعادة الانسان ، هذه الحالة تحتم علينا نقد الموروث وتحديد سلطانه علينا حيث يقف البعض بعناد فى وجه كل تغيير مما يجعل الاصلاح المنشود فى مثل هذا الموقف هو اصلاح للماضى لا اصلاح للمستقبل الذى يطرق أبوابنا ويتحدانا ويطالبنا بالتأهب له .

قد يرى البعض أن العودة الى الماضى والتشبث به تعنى جزئيا هروبا سهلا ومريحا من مواجهة الحاضر والمستقبل ، وبمعنى آخر التوجه الى بساطة الثقافة الماضية هروبا من مواجهة تعقد الثقافة المعاصرة ، لذلك يبدو لنا أن التشبث بتجارب الماضي المحدودة في طبيعتها هو في حقيقة الامر حركة تقليص واسترخاء تريد تجميد حدود التجربة الانسانية .. ولكن الحقيقة الظاهرة للعيان أن التجربة الانسانية تتسع كل يوم ، بل كل ساعة ..

الخط الفاصل بين الفهم « لإحياء الموروث » وبين « تجاوزه » تكمن

فى فهمنا الواضح بأن صلب القضية لا يقوم على احياء تجارب السابقين كى نقلدهم ، بل يقوم على الاستفادة من تجاربهم حتى نبدع واقعنا وحياتنا تماما كما صاغوا هم تجاربهم وحياتهم حسب واقعهم . القضية بشكل آخر هى ألا نتبلد ولكن أن نتصرف مثلهم فى ظل ظروف اقتصادية وسياسية وتقنية واجتماعية متغيرة .

الأمثال بين الحكمة والتجارب :

☐ عادة ما تصنف الأمثال السيارة ـ سواء كانت مصوغة بلغة عربية أو بلهجة محلية فى شتى أقطارنا العربية ـ على أنها صنفان :

صنف يحمل الحكمة ، وصنف آخر مبنى على حوادث وقعت لأشخاص حقيقيين أو متخيلين فى مجمل الموروث الشعبى . ومن هنا تنبع ضرورة اعادة النظر فى مثل هذه الأمثال ، فإن كانت من النوع الاول ، أى الحكمة ، وجب قياسها على مجريات الحياة والواقع ، فإن وجدنا انها ما زالت تملك صلاحيتها وصحتها وتخدم البشر فى حاضرهم . . فإن ذلك أدعى الى التمسك بها والأخذ بمضمونها ، والا أعيد النظر فيها ، اما اذا كان المثل نابعا من تجربة شخصية ، فلا بد من قراءة تلك التجربة واستنطاق الجوهرى فيها واقتباس ما يمكن أن يغنى حياتنا ويضيف اليها . ولقد أقنعتنا دراسات أمثال الشعوب وحكمها بأن لها علاقة بالروح العام للشعب في مراحل معينة ، فإن نبعت الأمثال فى مرحلة انتصار وثقة بالنفس انتشرت الأمثال المجسدة لذلك التوجه ، وان كانت الشعوب فى مراحل تقهقر وانحسار انتشرت بينها الأمثال والحكم المتقاعسة والمفضية الى التقوقع وترك ما لقيصر لقيصر .

ولعل هذه القضية قد خبرناها نحن العرب فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة من هذا القرن على أقل تقدير . فعندما كانت حركة التحرير العربية سائرة فى طريقها الصاعد تكسب المعارك مع الأجنبى ، كان فهمنا لأنفسنا من خلال ما نطلقه من حكم وأمثال يتوافق مع طبيعة المرحلة ويستجيب لها ، ولكن فى مرحلة أخرى وأحسبها الخمس عشرة سنة الماضية نجد أن أمثالا وحكما وتعابير شعبية مصورة للتخاذل ، هى التى انتشرت فى بيئة التراجع والانحسار .

وقد يساق المثل دون ذكر صاحبه فيوصف بأنه قول كثيرين ، وقد يكون من أطلقه فردا واحدا امتاز بالفطنة وفهم الواقع واستخلصه من تجربته وتجارب غيره ، مما يرجح احتسابه ضمن ما يمكن ان يعبر عن شعور الجماعة واحساسها وخبراتها .

اللغة والألفاظ :

☐ دراسة الأمثال ـ بجانب كونها مصدرا مهما لدراسة الحياة العقلية والحضارية للأمة ـ مصدر آخر لدراسة تطور اللغة وانتقال دلالات الالفاظ ، فبعض الألفاظ والجمل اليوم تعنى لنا شيئا محددا ولكنها فى وقت



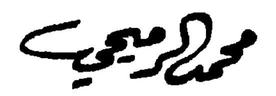
مضى كانت تعنى شيئا آخر كالقول : « ثلاثة لا يستشارون : معلم الصبيان وراعى الجديان ـ صغار الماعز ـ ومجالس النسوان » . ومعلم الصبيان على سبيل المثال كان ساقط العدالة ولا تقبل شهادته فى رأى بعض فقهاء المذهب الحنفى قديما . أما معلم (الصبيان) الآن فهو كغيره من المواطنين له حقوقه وواجباته ويؤدى رسالة وواجبا وطنيا يستوجب لقاءهما كل تقدير واحترام . واذا نظرنا الى أمثالنا العربية حسب هذا المنظور فاننا نحصل على دليل آخر على قدرة لغتنا العربية على التطور والمرونة التى استمرت بها لغة حية كل هذه القرون الطويلة .

لقد كثرت فى لغتنا العربية الأمثال التى تذم الجبن والبخل والغدر وغير ذلك من الصفات السلبية ، كما كثرت الأمثال التى تمجد الشجاعة والكرم والحكم والعقل والوفاء والعفة . . الخ من القيم الاجتماعية الايجابية مثل : « الصدق أنجى » ، « من لم يعلم لم يسلم » « دولة الجاهل عبرة العاقل » « الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل » . . . الخ ، ولكننا نجد أمثالا تأخذ مسارا عكسيا ـ ولو أنها قليلة ـ فتذم القيم الايجابية وتعظم القيم السلبية مثل : « الكذب ملح الرجال » ، أو كما ورد في بداية هذا المقال : « أحب أهل الكلب إليه خانقه » ، « أو العين لا تقاوم المخرز » ، ولقد كان ذلك مدخلا لبعض المستشرقين للطعن في الحضارة العربية .

كما أن المرأة نالها نصيب الأسد في الحط من شأنها من خلال بعض الأمثال العربية مثل : « أجهل من امرأة » ، أو « من كانت تجارته نسوان فهو الى خسران مهما طال الزمان » ، أو « ثلاث لا أمان لهم : المال ولو كثر ، والسلطان ولو قرب ، والمرأة ولو طالت عشرتها » ، أو المثل الذى سبق ذكره ، وبدايته « ثلاثة لا يستشارون . .الخ »

ويأخذ البعض كل ذلك كأنه أمر مسلم به على دونية وضع المرأة عند العرب ، كما أن البعض الآخر يأخذ على الامثال العربية صيغة المبالغة الظاهرة ، كما ان المثالية المطلقة البعيدة عن الواقعية هي أيضا احد المآخذ الأخرى .

الامثال تفشى اسرارا كثيرة عن عقلية الشعوب ومجريات حياتها ، وتحدد الوضع الاقتصادى والاجتماعى لشرائحها المتعددة ، كما تسجل حكمتها واعتزازها بنفسها من جهة ، وسلبيتها واستسلامها من جهة أخرى . وبما أنها نابعة ومعبرة عن مجموعة عريضة من الناس ولا تعبر عن النخبة فقط كما هي في حال الشعر أو النثر أو أية فنون أخرى ، لذلك فإنها اقرب الى التعبير عن المجتمع بكل أفراده على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم .





بقلم : الدكتور عبدالله عبدالدايم

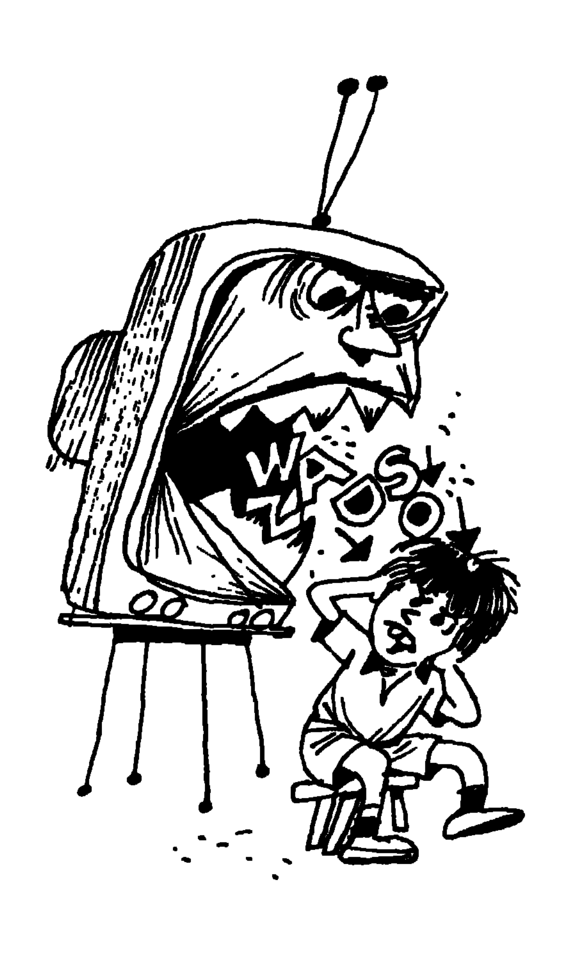
مع بداية العقد الماضي توقف المثقفون ليتساءلوا عن مصير الثقافة ، مادة نشاطهم الأساسية في زمن السيطرة شبه التامة للتقنيات الحديثة ، فقد ظهر الى الوجود مصطلح « الصناعات الثقافية » وحققت الآلة انتصارا على أرض جديدة .

في هذا المقال خروج من دائرة الحذر الى دائرة البحث وطرح الأسئلة ووضع التصورات .

الصناعة - التي أخذت تكف عن أن تكون مجرد صناعة ، وذلك بعد الانتقال الى مرحلة الثورة الصناعية الثانية أو الموجة الثالثة (توفلر) أو مرحلة ما بعد الصناعة ، تزحف مغذة الخطا الى جوانب شتى من حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، دون أن نتبين في كثير من الأحيان أبعاد ذلك الزحف ونتائجه ، ودون أن ندرك بوضوح أصنيع هو أم مجرد تحويل لكل ما في الحياة الى لغة الآلة وحركة الدمى .

الصناعات التربوية :

منذ عقود قليلة من السنوات ذاع وشاع مصطلح « الصناعة التربوية » وحملت بعض الكتب والدراسات هذا العنوان الذي بدا مفاجئا ، وقيل عن



التربية ونظامها أنها صناعة كبرى . وتحدث المخططون الاقتصاديون ومن بعدهم المخططون التربويون عن العائدات الاقتصادية لتلك الصناعة، وعن « مدخلاتها » « ومخرجاتها » وعن « مردودها الداخلى » « ومردودها الخارجى » وعن الهدر والضياع فيها . وجربوا فى الجملة أن يكون شأنهم معها شأن من يحلل واحدة من كبريات الصناعات ، تحليلا يدخل الى التربية للمرة الأولى أساليب الدراسة الصناعية ومناهج البحث الاقتصادى . ثم كانت ردة وكانت تلك الموجة الثانية التى بينت حدود مثل هذه المقاربة ـ وأعيدت الى التربية بعض أساليبها الذاتية فى البحث والتقويم،ووقف القوم عند أهمية الجوانب النوعية فى التربية ، وحملوا على التحليل الكمى المحض ، وعلى الاسقاطات الرياضية الخالصة ، وانتهوا الى موقف متوازن فى أمر التخطيط التربوى ، وبينوا حدود القول بمعالجة التربية جملة معالجة صناعة من الصناعات . على ان« صناعة التربية »أو « الصناعة فى التربية » شقت طريقها على أية حال فى بعض المجالات الخاصة بوسائل التربية وطرائقها ، وبالادارة التربوية والأبنية المدرسية وسوى ذلك . وظهرت « تقنية التربية » وما يتبعها من استخدام الوسائل السمعية البصرية ، واستخدام الحاسبات الالكترونية . وانتشرت الطرق الحديثة فى الادارة والتسيير ، واستخدمت فى ميدان التربية كما استخدمت فى سواه . وههنا أيضا ظهر تطور وتعديل ، وقام فى نهاية الأمر توازن جديد وذلك حين فرق القوم بين « التقنية فى التربية » أى ادخال الآلة الى التربية ، وبين « تقنية التربية » أى ادخال التقنيات الحديثة فى التربية سواء تمت عن طريق الآلة أو بدونها .

الثقافة والغزو التقنى :

غير أن ثمة مجالا آخر هاما خالطته الصناعة وكادت تسيطر عليه فى غفلة من الناس ، هو ميدان الثقافة ، حيث غدونا أمام دمج مولد محدث بين الصناعة والثقافة،أين منه المعنى الذى قصد اليه أبو هلال العسكرى فى كتابه « كتاب الصناعتين » ورغم أن غزو الصناعة للثقافة ظاهرة تجار أمام الأعين ، فان تحليل نتائجها السلبية والايجابية لم يلق بعد كل ما يستحقه من اهتمام ، لاسيما فى بلداننا العربية . صحيح أن منتجات الصناعة والتقنية تنسل الى حياتنا كلها ، وتدخل حمانا دون استئذان وتجعلنا نحيا فى كل شىء حياة المجتمع المستهلك،لما تقذفه به عجلة التقنية المخيفة . وصحيح أن لهذا الغزو الشامل مخاطره التى تستلزم منا الكثير من التحليل والتدبير . غير أن غزو الصناعة والتقنية الثقافية يظل أدهى وأمر ، ونتائجه الايجابية والسلبية لابد أن تدرس دراسة دقيقة ، اذا نحن أردنا حفاظا على ذاتنا وهويتنا الثقافية ، واذا نحن عزمنا على أن يكون لنا فى صنع مستقبلنا شأن ونصيب .

الصناعات الثقافية والوسائل التقليدية

ومن هنا نسائل أول ما نسائل : ما هي تلك« الصناعات الثقافية » وما أمرها ؟ أما المصطلح فقد ظهر منذ عام ١٩٤٧ ، على يد باحثين ألمانيين هما« آدورنو » و« هوركايمر » غير أنه لم يثر اهتمام الباحثين ، الى أن جدد صاحباه الاشارة اليه ، والى أهمية الصناعات الثقافية ، وذلك عام ١٩٧٢ .

والحق أن هذا العناد - عناد المسؤولين وأولي القلم والفن فيما يتصل بالشأن القمين بهذا المصطلح الجديد ومضمونه - ظاهرة ماتزال تثير الدهشة حتى اليوم . وهي في الحق وراء ما دفعنا الى كتابة هذه الكلمة . فما يزال مخططو الثقافة وواضعو السياسة الثقافية في كثير من بلدان العالم ، يحسبون أن التخطيط لها يتم عن طريق مجرد العناية بمؤسساتها الرسمية وحدها ، من وزارات للثقافة أو مراكز ثقافية أو مؤسسات حكومية تعنى بجوانب الثقافة المختلفة من أدب وفكر وفن . وماتزال السياسات الثقافية المرسومة من قبل الكثرة من الدول تعمل كأن شيئا لم يكن ، متناسية ذلك الخضم الزاخر من النتاج الثقافي الذي يصل الى الملايين ، عن طريق صناعة الكتاب والتلفزيون والمذياع والسينما والفيديو . لقد أحصى أحدهم عدد الذين استمعوا الى السيمفونية التاسعة لبتهوفن التي أدتها اوركسترا برلين خلال شهر شباط / فبراير عام ١٩٧٨ ، فوجد أنهم بلغوا ١٢٠ مليون مستمع في أوروبا وحدها . فكم عدد الملايين الذين شاهدوا ويشاهدون ذلك المسلسل التلفزيوني الأميركي«دالاس»ومن بعده المسلسل « ديناستي » ؟ أي خطة ثقافية رسمية تستطيع أن تضاهي هذا السيل العرم من مبدعات الأدب والفكر والفن الذي تقذف به ملايين الملايين من الاسطوانات الموسيقية ، ومن أشرطة التسجيل ، ومن كتب الجيب ، والكتب الجماهيرية ، ومن الأفلام السينمائية ، ومن برامج التلفزيون والاذاعة ؟ وأين الناشئة من هذا كله ، وأين الأهداف الثقافية القومية والوطنية ، وأين جهد النملة الذي تقوم به المدرسة البائسة ، أمام هذه « المدرسة الموازية » الكبرى ، مدرسة وسائل الثقافة الجماهيرية التي تكمن وراءها الصناعات الثقافية بكل ما تحمله من أغراض اقتصادية وسياسية وأحيانا ثقافية ؟ حقا اننا في كل هذا مانزال نواجه عصر الصناعة والتقنية بصناعاتنا الحرفية اليدوية ، ونعمل بالمطرقة والسندان حين يعمل القوم بالألكترون والمعلوماتية !

بعض المكتسبات

ولكي ندرك أن المسألة في حاجة الى تحليل سديد قبل أي خطة توضع لمعالجتها ، لنتبين بعض العوامل التي رافقت دخول الصناعات الثقافية الى عالمنا ، وبعض سماتها الواقعية التي جعلت منها بالتالي قدرا لا يتغير بحرة قلم ، بل بخطة كاملة مقابلة :

١ - ديمقراطية الثقافة وايصالها الى الكثرة الكاثرة من الجماهير كانت وماتزال هدف السياسات الثقافية في بلدان العالم . هذا الهدف تحققه الصناعات الثقافية ، على شاكلتها ، على أوسع نطاق ممكن . حسبنا دليلا على ذلك أن نرى العدد المحدود من الأشخاص الذين يرتادون المسارح ، المسارح التي أنشأتها الدولة ، أو المسارح الخاصة ، في مقابل العدد الضخم لأولئك الذين يشاهدون المسرحيات التي تعرض عن طريق التلفزيون . لقد بين احصاء حديث أن ٦٠٪ من السكان في بولونيا وفي بريطانيا يشاهدون في منازلهم مسرحيات من طراز رفيع ، بينما لا يعدو عدد الذين يحضرون مسرحية من المسرحيات في دور المسارح أكثر من ١٥٪ من السكان في العالم كله على أفضل تقدير . وقل مثل هذا في المبدعات الثقافية الاخرى .

٢ - واذا هجرنا الجانب الكمي الذي قد لا يشفي تطلعات المحللين في هذا الميدان ، ونظرنا الى الجانب النوعي الكيفي ، ألفينا أيضا أن الغلبة ههنا في كثير من الأحيان للصناعات الثقافية ولوسائل الثقافة الجماهيرية . فلقد بين تحليل السياسات الثقافية في عدد من البلدان أن الجهود الثقافية التي بذلت وتبذل من قبل المؤسسات الرسمية لنقل الرسالة الثقافية في شكلها الرفيع ، لاتلقى ما تستحقه من تجاوب لدى

الجماهير ، بل تلقى الكثير من المقاومة ، ولاسيما لدى القطاعات الشعبية من الجماهير (وهو القطاع الذى تتجه اليه نظريا) فى حين أن هذه القطاعات الشعبية والجماهيرية عامة تتلقى بكثير من الانفتاح الرسالة المتصلة بأنماط الحياة وبالاستهلاك والادب والفن وسوى ذلك ، تلك الرسالة التى تقدمها لها وسائل البث الجماهيرية ، والتى هى فى غالب الأمر رسالة مجلوبة دخيلة .

٣ ـ من الأمور التى غدت معروفة أن المسارح وقاعات الاوبرا والموسيقا تعانى من أزمة أهم جوانبها الأزمة الاقتصادية . ان تكاليفها بوجيز العبارة تفوق دخلها ، والمساعدات الكريمة التى تقدم لها لا تسد هذا العجز غالبا ، ومن هنا تبدو الاستعانة بالصناعات الثقافية أمرا محتوما من أجل معالجة هذه الأزمة : فعن طريق التزاوج بين هذه المسارح والدور وبين التلفزيون يمكن مثلا تحقيق ربح كبير للاولى ، كما يمكن ايصال نتاجها الى أكبر عدد ممكن من المشاهدين .

العجز عن تحقيق اللامركزية

٤ ـ ويتخذ مثل هذا التدبير شأنا خاصا ، اذا ذكرنا أزمة أخرى مرافقة تعانى منها المسارح والدور الموسيقية الفنية ، نعنى العجز عن تحقيق اللامركزية ، أى العجز عن تقديم نتاج رفيع من المسرحيات ومن القطع الغنائية والفلوكلورية والمعارض الفنية وسواها ، الى جماهير المناطق البعيدة عن العاصمة أو عن المدن الكبرى . الأمر الذى يقيم تفاوتا نوعيا كبيرا بين مستوى العطاء المسرحى فى العواصم ، ومستوى العطاء المسرحى الذى يمكن أن تقدمه فرق محلية ، لاسيما أن عدد الفنيين المؤهلين العاملين فى هذا القطاع لا يكاد يكفى لسد حاجاته فى العاصمة ، بله الأرياف والقرى . هنا تهرع الصناعات الثقافية ، ومرة أخرى لتقدم خدماتها ولتأتى بالحل : تعميم النتاج المسرحى والغنائى الفلوكلورى وسواه . وتقديم مستوى واحد منه للقاصى والدانى ، بفضل بثه عن طريق التلفزيون أو سواه من وسائل الصورة المرئية .

٥ ـ والفنانون ـ بعد ذلك بل قبل ذلك ـ العاملون فى شتى ميادين الانتاج الفنى ، يجدون لانفسهم ويجد المجتمع لهم بعد ذيوع الصناعات الثقافية ، مكانة لم تقيض لهم من قبل ، يوم كانت النظرة الى الفنان هى الى حد بعيد النظرة الى مبدع حسبه جزاء وعطاء ان ينشر ابداعه وأن يعرفه الناس ، ويوم كان الناس يرددون قول من قال « أكل العلماء خبز وماء » . وحتى اذا جاوزنا هذه النظرة التى قد تكون مغالية يظل من الصحيح أن الابداع الثقافى ظل ردحا من الزمن وما يزال عملا لايقدر حق قدره ولايمنح قيمته الحقيقية ، شأنه شأن النفط خلال عقود طويلة من هذا القرن (حتى عام ١٩٧٣) كما بين ذلك « جان سرفان شريبر » فى كتابه « التحدى العالمى » . وبفضل الصناعات الثقافية ووسائل الثقافة الجماهيرية أخذ الفنان يحتل مكانته المعنوية وينتزع حقوقه المادية وغدا منتجا يقوم انتاجه كما يقوّم أى انتاج ، بل يربو انتاجه عطاء وأجرا على كثير من ضروب الانتاج المادية .

٦ ـ وما دمنا نتحدث عن شهرة الفنان وصيته يوم كانا طعامه وشرابه ، لنذكر أن الصناعات الثقافية قدمت أيضا لتلك الشهرة وهذا الصيت مرتعا جديدا ، مرتعا عالميا ممرعا . فبفضلها أخذت شهرة المبدعين الثقافيين تخترق الحدود .

وغدت سوق المبدع المعنوية والمادية سوقا عالمية . ولاتقدم الصناعات الثقافية بذلك عونا وشأنا للمبدع الثقافى نفسه فقط ، بل تفسح المجال أيضا عن طريقه لانتشار الثقافات القومية الخاصة انتشارا عالميا ، وتتيح لكل أمة أن تشع بثقافتها ، وأن تعقد حوارا دائما مع الثقافات الأخرى .

مخاطر ومزالق :

هذه الظواهر المختلفة التى أتينا على ذكرها أشرنا اليها لا من أجل أن نرفع من شأن الصناعات الثقافية ونبرئها من الآفات والعلل ، بل لعلنا حين عرضنا بعض الأسباب والنتائج التى رافقت ظهور الصناعات الثقافية قد أومأنا ـ دون أن نفصح ـ الى المخاطر الثاوية فى قلب تلك الأسباب والنتائج . فجوانب القوة التى

وصفنا بها الصناعات الثقافية هي في الوقت نفسه مصدر خطرها وخطورتها . انها تبين أننا أمام ظاهرة لاتغالب بيسر ولا يجدى أمامها العمل الحرفي البطيء العتيق للمؤسسات الثقافية التقليدية ولاسيما الرسمية . بل ان كل ماذكرنا من جوانب القدرة التي تملكها الوسائل الثقافية الجماهيرية تشير ـ من حيث ندرك أو لاندرك ـ الى ما وراءها من قدرة اقتصادية هائلة تغذيها ، تلتقي في النهاية ، ككل قوة اقتصادية مع مصالح الشركات الكبرى ، ومع اغراض الشركات المتعددة الجنسية ، كما تلتقي مع أغراض بعض الدول الكبرى وسياستها الثقافية ، التي تكون جزءا لا يتجزأ من سياستها العامة .

والحق أن وسائل الثقافة الجماهيرية ، وما وراءها من صناعات ثقافية تخفي وراءها ما تخفي من أهداف اقتصادية وسياسية ، تقع بين قطبي الرحى ، أو هي في منزلة واصلت بين عالمين : أولهما عالم الخلق والابداع الذي تطور وتغير ولم يعد صنيع الفرد أو الأفراد ، بل أصبح نتاجا يسهم فيه الكثيرون ممن يعرفون الميدان وممن لا يعرفون ، والذي ظل ـ مع ذلك ورغم ذلك ـ الصلة الأساسية بين المبدع والمشاهد . وثانيهما عالم النشر الواسع والاستنساخ والتكثير والبث الجماهيري ، الذي يتطور تطورا مذهلا بفضل الوسائل التقنية ، وهو عالم تتولاه وتسوس أمره الشركات والمؤسسات الاقتصادية التي تستطيع بفضله أن تصل الى ملايين الناس . وهذا الزواج السعيد القلق بين الابداع ونشر الابداع ، هو الذي أتاح في شتى العصور انبجاس الفن في المجتمع . غير أن العلاقة تطورت تطورا جذريا في العقود الأخيرة ، وأصبحت سيطرة النشر على الابداع سيطرة لا تخلو من مخاطر كبرى ان لم نضبط أمرها ، وأصبح الابداع بسبب ذلك أمام قيود وحدود وسدود ، تهدده حتى في جوهره الذي هو الابداع المتحرر من اختيار المتاجرين به .

ومن هنا لاحاجة الى القول ، ان الصناعات الثقافية ، ليست عملا حياديا ، بل هي محملة في النهاية بأيديولوجية معينة ، مادامت مرتبطة بجملة النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتجها ، وما دامت تحمل معها طراز الحياة ، بل النمط الثقافي للبلد الذي ينتجها . حتى ليصح هنا أن نعيد ما قاله بعض المربين عن نظام التربية حين رأوا فيه مجرد أداة للحفاظ على قيم المجتمع الذي خلقه ، وبالتالي لاعادة توليد النظام الاجتماعي نفسه .

وهكذا يصح أن نقول ان الثقافة التي تنقلها أدوات الثقافة الجماهيرية في الغرب خاصة ، ثقافة تهدف عن قصد أو غير قصد الى اعادة توليد النمط الثقافي (بالمعنى الواسع) للبلدان التي انتجتها ، أو الى توليده من جديد في البلدان الأخرى .

سيطرة النموذج الاميركي :

ولسنا هنا في معرض الحديث عن الغربة الثقافية والاستلاب الثقافي ، وحسبنا في هذا المقام أن نشير عابرين الى ما شكت منه البلدان المتقدمة نفسها من سيطرة النموذج الثقافي الأميركي .حسبنا أن نرد من أحبّ الزيادة الى ذلك الكتاب الخطير الذي صدر منذ عامين عن « غزو العقول » وفيه يشير صاحبه ايف أود



الى الطاقة التصديرية للولايات المتحدة فى ميدان الثقافة ،ويبين كيف يصدر هذا البلد ذاته،وكيف يبغى « أمركة العالم » وكيف يرتبط لديه فى هذا المجال السلطان الثقافى والسلطان السياسى . بل يذهب الى أبعد من هذا حين يشير الى الدور الثقافى لجهاز المخابرات المركزية الأميركية ، والى ارتباط هذا الدور السياسى فى العالم . كما أنه يشير فيما يشير الى مقاومة الولايات المتحدة لأى جهد دولي فى سبيل اقامة نظام عالمى ثقافى واعلامى جديد ، ابقاء على سيطرتها الوحيدة الواحدة . على أننا حتى اذا تناسينا هذا الدور السياسى للغزو الثقافى الأميركى لابد مدركون ما في هذا الدور من تنميط واحد للثقافة العالمية ، ومن تشكيل لها على غرار النموذج الأميركى وحده ، ومن تسطيح للثقافات كما قيل . بحيث لاتكون هنالك ثقافات متعددة تتحاور وتتفاعل ، بل تكون ثقافة واحدة وحيدة تعدو نحوها سائر الشعوب .

أين السبيل؟

هذا كله قليل من كثير فى موضوع لاتجزىء فيه هذه العجالة ولاهو قصدنا هنا . والقصد عندنا أن نرى وراء هذا كله وأمام تحدى الصناعات الثقافية وماخلفها ، ما العمل والى أين السبيل ؟

لقد كان أحد أغراض هذا البحث أن نبين أن سفينة الصناعات الثقافية قد أبحرت ، وأنها رحلت وفتحت وغزت . والتقنية الثقافية شأن التقنية كلها لا تقاوم اذن برفضها وانكارها . ولاسيما أن لها دوما جوانبها الايجابية الكبرى ، فضلا عن أنها أغذت فى السير ، وأوغلت فى اعماق حياة المجتمعات فى كل مصر ، وموقفنا منها هو موقفنا من التقنية جملة : أن نمتلكها وأن نضبطها ضبطا نستقيه من ثقافتنا وقيمنا ومشروعنا الحضارى الموعود .

وهذا المطلب الكبير يستلزم فى نظرنا أمورا عدة أهمها :

١ ـ لابد أن نشارك فى الصناعات الثقافية ، أي لابد أن يكون فى صلب سياستنا التربوية أن نصنع براجحنا الثقافية المتميزة فى شتى ميادين الثقافة من أدب وفكر وفن ، وأن ننتجها ونبثها بوسائل البث الجماهيرية الشائعة (من تلفزيون وأفلام وأشرطة تسجيل وحاسبات الكترونية وكتاب وسوى ذلك) وأن تكون لنا مؤسساتنا الاقتصادية التى تيسر هذا الانتاج ، والبث على أكبر نطاق ممكن محليا واقليميا وعالميا .

٢ ـ غير أن هذه المهمة ـ مهمة انشاء صناعات ثقافية خاصة بنا ـ جهد ثقافى واقتصادى لايقوى عليه أى بلد عربى منفردا ، ولابد فيه من اجتماع القدرات والطاقات العربية البشرية والمالية . وهنا أيضا نلمس جانبا من جوانب التكامل والتكافل العربى الذى هو سبيلنا اللازب المحتوم لاى تقدم حضارى ننشده .

٣ ـ هذا العمل العربى المشترك من أجل انشاء صناعات ثقافية تحمل طابع الثقافة العربية ومرتجياتها ، يحتاج بدوره الى اتفاق الرأى حول معالم ومقومات المشروع الثقافى والحضارى العربى المنشود . وفى رأينا أن البلدان العربية تشهد مخاضا فكريا يشير الى أن بواكير مثل هذا المشروع الحضارى قد آذنت بالظهور .

٤ ـ من المطالب الرئيسية ، عند بناء هذه الصناعات الثقافية ، ان تكون أداة لتوليد حرية المبدع والمنتج العربى ، لاطلاق المجال للابداع من أجل أن يعبر عن أصالة الوجود العربى وسماته الذاتية . ويعنى هذا الا تخضع هذه الصناعات الثقافية لسيطرة الحكومات ، بل ان تكون مؤسسات ثقافية مستقلة ، لها جهازها المستقل المتخصص والمعبر عن تطلعات الثقافة العربية . وهذا لايعنى الا تخضع هذه المؤسسات الثقافية المستقلة للاتجاهات الكبرى للحكومات ، بل يعنى أن تترك لها الحرية فى ترجمة تلك التوجهات ترجمة عملية ثقافية مبدعة .

٥ ـ وكخطوات أولى على الدرب يمكن أن يقوم تعاون بين بعض المؤسسات الثقافية التقليدية ، حكومية كانت أو شعبية ، وبين وسائل الثقافة الجماهيريةوعلى رأسها التلفزيون والمذياع والسينما والكتاب ، من أجل إغناء الجانبين ، نعنى المؤسسات الثقافية التقليدية ووسائل الثقافة الجماهيرية ، ومن أجل التفاعل بينهما تفاعلا خلاقا ومجديا ، يؤدى الى حل أزمات المؤسسات الثقافية التقليدية ، كما سبق

أن أشرنا ، والى تصحيح مسيرة وسائل الثقافة الجماهيرية .

ومن الأمثلة المفيدة التي قامت من أجل التعاون بين الدولة وبين المؤسسات المعنية بالصناعات الثقافية ، ما حدث في فرنسا خلال شهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٨٤ ، حين أصدر وزير الثقافة الفرنسي قرارا يقضي بانشاء معهد تمويل السينما والصناعات الثقافية ، وهو قرار جدير بالدراسة والتمحيص .

وبعد .. لايتسع المجال للحديث عن سائر أبعاد هذه المسألة وهي كثيرة . وحسبنا أننا حاولنا الاشارة اشارة برقية خاطفة الى مسألة كثيرا ما تلوكها الألسن ، وقلما تتجاوز اللسان الى الاذهان والاعيان .. مسألة الصناعات الثقافية وموقف البلاد العربية تجاهها .

وفي ظننا أن هذه المسألة جديرة بأن يتريث عندها الباحثون العرب وان يولوها شأنا خاصا . ولاشك أن القائمين على وضع الاستراتيجية الثقافة للبلاد العربية (الكويت والمنظمة العربية للتربية الثقافية والعلوم) معنيون بهذا الأمر عناية خاصة ، لعل هذه الاستراتيجية تقدم لنا بعض الرؤى الجديدة وترسم بعض الخطوات الأولى في هذا المجال . ومن البوادر الجيدة ما تم أخيرا من تعاون بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واليونسكو والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعيةمن أجل القيام بمشروع حول الصناعات التربوية .. غير أن ماهو أهم وأبعد أثرا وأشد الحافا أن يقوم مشروع مماثل من أجل انتاج الصناعات الثقافية .

المشروع الحضاري العربي

والحق أن حديثنا عن الصناعات الثقافية وضرورة وعينا لها كيما نضعها في الاطار السليم من حياتنا ، يصدر عن اقتناع أشمل لدينا ، قوامه أن الحضارة الجديدة التي نطمح الى بنائها لا يمكن أن يتم وضع مشروعها إلا اذا كان أحد العناصر الأساسية في العمل له وفي بنائه أن نعي عصرنا وندرك التغيرات الكبرى التي تحدث فيه ، وأن نجري بعد ذلك التفاعل العضوي اللازم بين وعي هذا العصر من جهة ، وبين وعي ذاتنا وتراثنا وواقعنا من جهة ثانية ، بالاضافة الى وعي مستقبلنا ومستقبل العالم .

ولانظلم أنفسنا إن قلنا اننا في كثير من الميادين ـ ومن بينها ميدان الثقافة ـ مانزال نعمل كأن شيئا لم يكن ، جاهلين أو متجاهلين الحركة المائجة الهائجة للعصر وللعلم والتقنية ، ضامنين أن الأصالة هي في مجرد العودة الى ذاتنا ، والتقوقع حولها غير آمنين ولامطمئنين ، بدلا من أن نفهم الأصالة مركبا كيماويا جديدا يخرج من لقاء الذات مع السوى،من لقاء « الأنا » تراثا وواقعا مع العصر بتغيراته المذهلة وبمكاسبه ومثالبه . أجل .. الأصالة عندنا هي في أصالة عملية البناء الجديد ، أي أن نصنع بناءنا بأيدينا وإن تكن مواد هذا البناء متعددة المظان .

رسالة العرب الحضارية

ونرى لزاما علينا في خاتمة هذه الكلمة أن نذكر بأهمية هذا الجهد الشامل الذي يتوجب القيام به ، جهد التأليف والتركيب بين ذاتنا وبين العصر ، وأن نذكر خاصة بأهمية هذا الجهد في ميدان الصناعات الثقافية . فالرسالة الثقافية المتميزة القومية والانسانية معا ، التي نقوى على بثها بفضل مثل هذه الصناعات الثقافية الذاتية المبتكرة ، هي خير لغة نخاطب بها العالم ، وخير ما يجعل لنا في حلبة السياسة الدولية نفسها دورا وشأنا . فالرسالة الثقافية بطبعها محملة بالقدرة على التسلل الى شغاف النفوس ، وقادرة على تحقيق انفتاح تلك النفوس على شؤون الأمة العربية وشجونها عن طريق انفتاحها على ثقافتها وحضارتها . والصناعات الثقافية تمدنا بطاقة هائلة في هذا الميدان ان نحن احسنا الافادة منها . عند ذلك يحمل الالكترون ويحمل الأثير عبر المساحات الشاسعة ووسط الملايين من الناس ، ما نحتاج الى مئات الأعوام ان نحن نقلناه بوسائلنا الحرفية التقليدية . أو ليس هذا من صلب عملنا لحضارتنا وتراثنا ؟ أو ليس السعي التقني والسعي لاستخدام الصناعة والآلة والتقنيات الحديثة من أجل تجديد دورنا الحضاري العالمي ، سعيا ينبغي أن نعتبره جزءا اساسيا من احترام حضارتنا وتراثنا ، فضلا عن بناء مستقبلنا الحضاري المرجو ؟ □

الى الشاعر أبي القاسم الشابي الطائر المحترق والروح المتوقدة فى ذكراه الخمسين

ندخل العصر صقورًا

شعر : مصطفى أحمد النجار



وترُ الشّعر بصدري ما انقطعْ
يتغذّى مِنْ شذى الكونِ ويعطى للصغار
لحمامات النهار
لجيادٍ هدّها القيدُ نشيدًا
ونشيدا
تعتريه الآن أو بعد غدٍ . .
مثلما الأمس كوابيسُ الدمار
ويَغَصُّ تحت سكّينٍ وسكّينٍ عنيدا
يحسبونَه .
آه ماذا يحسبونه ؟
ظنّه الناسُ سعيدًا مسْتزيدا ؟
وتر الشعر بصدرى ما انقطعْ
غير أنَّ العمر يمضى بخطاهُ المسرعهْ
غير أنَّ الليلَ يشتدُّ فتهوي . .
فى قرارِ الحزنِ أشجارُ الحروفِ المترعهْ
غير أن الحزنَ لا يُبقي لنا . .
لطيور الشعرِ بيتا أو ظلالا . . .
غيرَ قضبانٍ وصمتٍ
ونزيفٍ فى الحنايا الموجعهْ
وتَرُ الشعرِ بصدري ما انقطع . .
فتعال الآنَ أسمِعْكَ غنائي . .
أو فحيحَ المعمعة . .
ودع « الغرانق » . .
أحلام الوَدَعْ . .
وَتَغَشّى تحتَ وقعِ الريحِ
فالريح تُدارى . .
حين نبقى . .
دارسين



بقلم : الدكتور فهمي جدعان

هل هناك في التراث ثوابت حية نستطيع بعثها متى شئنا ، أم أن ما يمكننا فعله هو إحياءات زمنية لهذا العصر أو ذاك ؟ ان أجزاء من التراث تسقط على جنبات التاريخ وان ما يبقى منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً أو يعبر عن حاجة . ألا يجدر بنا الالتفات الى هذه الحقائق ونحن نبحث في وظيفة التراث ؟

يقتضي النظر في وظيفة التراث ، الالماع بادىء ذي بدء ، الى زاويتين للنظر ، هما طرفان متباعدان مترافعان : الأولى تعبر عن سلفية مطلقة ، والثانية تعبر عن ليبيرالية لا تعرف حداً . الأولى تريد أن تقول إن حضارة متكاملة قد تشكلت وآتت ثمارها ، هي الحضارة العربية الاسلامية . وان هذه الحضارة ، بمضمونها التراثي ، ليست مجرد إنجازات عادية عارضة - على الرغم مما فيها من عارض - وإنما هي في صميمها « روح » ونمط في التفكير والفعل والعيش ، قد أثبتت ، بلا نزاع ، جدارتها ، وأنها خير حضارة أبدعها الإنسان .

والثانية تذهب إلى القول إن طاقات الإنسان الخلاقة قد عطلت في التراث السالف وفي « التقليد » ، وأن الإنسان لم ينته أمره عند الحدود التي انتهى إليها في العصور التي مضت والحقب التي درست ، وأن من الضروري ، ومن الممكن ، تفجير هذه الطاقات بعملية تجاوز كامل للماضي ، وبناء جديد للإنسان ، بتحريره من قيود القديم والتقليد ، وإطلاق قدراته الكامنة المبدعة كي يتسنى له تحقيق كل ما ينتظر منه مما لم يخطر في بال القدماء ولا في بال أحد .

١) إحياء التراث :

وإحياء التراث هو في الحقيقة صورة من صور تجسيد الفهم السلفي للتراث . وهو يعني أن معرفتنا

بوجودنا التاريخي ـ الثقافي هي معرفة غير مكتملة ، وأن بعث وجوه التراث المختلفة ، من مخطوطات ووثائق ونصوص ومبدعات فنية أو صنعية أو أثرية أو أدبية أو علمية ، من شأنه أن يوضح ويجلو صورتنا التاريخية ، وأن يساعدنا على تجسيدها في حياتنا الراهنة . وذلك يكون بـ « تثقف » هذا التراث وتتميم وجودنا به ، أي بتحويله إلى جوهر ثقافتنا وبنيتها الصميمية . بيد أن عملية التثقف هذه ، على الرغم من جهود الإحياء العظيمة التي بذلت ، قد ظلت فقيرة للغاية . فالأكاديميون المحترفون من قراء النصوص ومحققيها ينكبّون على إخراج النصوص والوثائق بلا كلل ، بيد أن الذين يمكن أن يفيدوا مما يخرج لا يدرون ماذا يختارون وماذا يدعون . لأن الأكاديميين لا يبينون لهم السبيل إلى ذلك . فهم يتعاملون مع مادة التراث على المستوى التقني الخالص . ويبدو أنهم لا يعتبرون أن لهم مهمة أخرى غير إخراج الوثائق على نحو يسلم من سهام النقد الجارحة التي يمكن أن يوجهها إلى عملهم النقاد الهواة أو المحترفون . ولعل لهذا الوضع سبباً آخر وجيهاً يعطيهم بعض الحق ويعذرهم ، وهو أنهم يشتغلون في « العلم » لا في « الثقافة » . وفي كل الأحوال تكون النتيجة الماثلة ، الغياب الصريح لحالة التثقيف العام ، و « تعطيل التراث » . ومعنى ذلك أن عملية « الاحياء » ليست عملية إحياء ، وأن الغاية التي من أجلها يراد بعث التراث بعيدة عن التحقق . ومع ذلك فان وسائل الاتصال الحديثة هي من التنوع والتعدد بحيث أننا نستطيع لو بذلنا الجهود المناسبة أن نوصل محتوى التراث الذي نبعثه إلى دوائر أوسع بكثير من دوائر الأكاديميين وتلامذتهم التي تكاد تكون مغلقة .

معيار إحياء التراث

وعوداً الى أصل القضية لا بد من القول إن المقصود ليس أبداً النزول عند رغبة عشاق التراث، واخراج جميع الوثائق والنصوص إلى دائرة الضوء والنور الساطع . لا شك أن حفظها جميعها من الضياع والتشتت هو أمر لا يجوز التخاذل عنده . لكن عملية الإحياء الحقيقية ، أي نقل التراث إلى حالة « التثقف » العام ، ينبغي أن يكون لها شأن آخر . وهذا الشأن يكمن على وجه التحديد في القول إن معيار إحياء التراث الرئيسي هو استكمال العلم بالتراث ، وانه لا « يُبعث » إلا ما كان يضيف إلى علمنا بالتراث علماً جديداً ، وأنه لا « يبعث » إلا ما كان مفيداً ذا جدوى ، وأن ما يبعث لا يبعث إلا من أجل أن يتحول إلى حالة تثقيف عام . وبعد ذلك كله ليس لنا أن نتوهم إلا ما هو واقعي ، أي أن التراث « تاريخي » يعرفنا بصورة صانعيه وأحوالهم قبل أن يعرفنا بأي شيء آخر . ومن يظن أن التراث سيقدم له مفتاح جميع الأبواب المغلقة هو بكل تأكيد إنسان حالم . لكن من المؤكد أنه سيكون هناك « تراث حي » يتبلور بعملية التثقف،ويمكن إدماجه في منظومة الحاضر وعيشه على نحو غير قسريّ . وهذا يلزم بإعادة تأكيد ما سبق أن تقرر،وهو أنه لا مفر من تحويل التراث الذي يعكف الأكاديميون والمختصون على اخراجه الى « ثقافة » معاشة ، أي أنه لا بد من إخراج التراث من « حلقات الصفوة » والانتقال إلى المرحلة الأهم ، مرحلة التثقف التراثي العام .

٢) استلهام التـــراث :

لا شك أن أقوى الأطروحات التراثية المتداولة الآن هي تلك التي يذهب أصحابها إلى أن الموقف من التراث ينبغي أن يؤسس على الجمع بين ما يسمى من جهة أولى « التراث » ، وبين ما يسمى من جهة ثانية « المعاصرة » . وهذا يعني أن نستلهم من التراث مواقف أو أفكاراً أو قيماً ندمجها في أحوالنا الراهنة التي أسهم العالم الحديث في تشكيلها إسهاماً حاسماً . وذلك يكون بأن نتقي من التراث جملة المواقف والمفاهيم التي تصلح لأن تسهم في تدبير حياتنا وأمورنا ، ونجعلها نمطاً سلوكياً أو ذهنياً لنا في تفكرنا وفي فعلنا . فنحن ، على سبيل المثال ، نستلهم ، لحياتنا ، من التراث ، موقف العقلانية الذي ساد مع المعتزلة ، والمتفلسفة المسلمين ، أو مفهوم العدالة التي جسدها بعض الخلفاء ، أو جملة الفضائل الخلقية التي صاغها فلاسفة الأخلاق وبعض المتصوفة ، أو قيمة الحرية التي تعلقت بها بعض الحركات الثائرة على استبداد بعض العصور والأنظمة ، أو قيمة الديمقراطية التي تمثلت في (الشورى) الإسلامية ، أو المساواة التي أقرها الدين وانعكست في سياسة هذا الحاكم أو ذاك . . الخ .

وبحسب منطق « الاستلهام » نحن حين ندعو إلى قيم العقل والثورة والديموقراطية والعدالة فإننا لا نفعل شيئاً أكثر من بعث قيم تراثية خالدة . وهذا ،

صورياً ، صحيح . بيد أنه في حقيقة الأمر ليس كذلك . فالواقع أن عملية « الاستلهام » ، بيست إلا عملية « تسويغ » لقيم الحاضر ، بإسقاط غطاء تراثي عليها . والذي يحدث عملياً أن الحاضر هو الذي يفرض قيمه ويلزم بها .

صحيح أننا نبدع أحياناً القيم ، لكن هذه القيم تتداعى إن لم تجد استجابة على أرض الواقع ، أو أنها تظل تدور في قالب من المثالية الجوفاء . والواقع أننا مثلاً لا نؤمن بالحرية لأن (الخوارج) آمنوا بها وجسدوها ، وإنما لأن نظام الاستبداد الذي نرزح تحت وطأته على نحو مباشر هو الذي يولد فينا الحاجة إلى الحرية والعمل من أجل تحقيقها . ونحن لا نؤمن بالعقلانية لأن (المعتزلة وابن رشد) كانوا عقلانيين أو لأن العقلانية شيء جميل ، ولكن لأن أوضاع الفوضى والوهم والخرافة والعقم التي تلفنا على نحو مباشر تفرض علينا ، للخلاص ، نمطاً عقلانياً في الإدراك والسلوك . ونحن لا نؤمن بالمساواة أو بالعدل أو بأية قيمة أخرى مشابهة إلا لأن معطيات الوجود المباشرة ، تفرض ذلك وتلزم به . أما حضور هذه القيم في التاريخ فلا يعني شيئاً لحياتنا « هنا . . الآن » ، دليل ذلك أننا لا نلقي بالاً إلى القيم والمفاهيم التي نجمت في التراث مما ليس له رجع في حياتنا أو صدى مباشر مشخص . وفضلاً عن ذلك فإن ظهور هذه القيم نفسها في التاريخ هو في حد ذاته « تاريخي » ، أي أنه مرهون بشروط يمكن للباحث المدقق الكشف عنها وبيان حدودها .

المعتزلة والعقلانية

وعلى سبيل المثال : ما الذي حدا بالمعتزلة لأن يكونوا عقلانيين ؟ اننا بكل تأكيد لانستطيع أن نزعم أن عقلانيتهم كانت مجرد « اختيار » رائع مطلق من أي قيد ، إذ الحقيقة أن عقلانيتهم لم تكن إلا نتيجة لتعاظم النظرة الغنوصية في ق ٢ هـ ولأن الدفاع عن الإسلام بالأدلة النقلية لم يعد أمراً ممكناً ، ولأن الجدل مع المخالفين بات يفرض أرضاً مشتركة يجري عليها جدل متكافيء ـ ولم تكن تلك الأرض إلا أرض العقل . فإذن لا العقل كان مطلوباً لذاته بإطلاق ، ولا الكشف كان مطلوباً لذاته بإطلاق ، والنظر نفسه يصدق في أية قيمة رئيسة أخرى . فالعدل لا يرقى الى مستوى القيمة المطلوبة إلا اذا كان الظلم هو السائد . والمساواة لاترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان التفاوت الاجتماعي الجائر هو السيد . والحرية لا ترقى إلى مستوى القيمة المطلوبة إلا إذا كان الاستبداد هو الجاثم . . وهكذا . ومعنى ذلك كله أن عملية الاستلهام هي أصلاً وابتداء عملية صورية مصطنعة ، أو تسويغية نلجأ إليها ذرّاً للرماد في العيون ، وإيهاماً للمتعصبين من التراثيين بأننا نوقر التراث ونأخذ منه ، أي « نستلهمه » ، بينما نحن في الحقيقة نتبنى ما تفرض أوضاعنا التاريخية المباشرة الأخذ به ، ثم نقوم بعد ذلك بعملية التسويغ التي نسميها الاستلهام التراثي .

٣) إعادة قراءة التراث :

وهذا النهج هو من غير شك من أكبر دعاوي العصر الثقافية . فنحن ، لكي نجعل التراث حيّاً راهناً أو لكي نجعله يستجيب لحاجات ذات طابع عقلي أو عملي ملح ، نقوم بإعادة قراءته بحسب هذا المنهج أو ذاك ، مما نختار من مناهج راهنة معاصرة ، فيبدو التراث ، مع ذلك ، أو بذلك ، معايشاً لنا ولأحوالنا ، ويبدو جزءاً طبيعياً من الحياة الحديثة . وهذا التوجه شائع عند المثقفين الذين مارسوا خبرة ما بمناهج العلوم الإنسانية الحديثة وبالفلسفات المعاصرة الغربية . والمبدأ هنا هو اختيار منهج محدد واطار مرجعي محدد ثم قراءة التراث ، أي فهمه وتفسيره وتوجيهه ، بحسب هذا المنهج أو هذا الاطار المرجعي . وقد خضع التراث العربي الاسلامي ، مثلما خضع غيره ، لهذا النمط من المعالجة . فكان من ذلك قراءة ، « لسانية » ، و « بنيوية » ، و « عقلانية » ، و « مادية » ، ويصعب القول ان المستقبل لن يحمل لنا قراءات أخرى . وبطبيعة الحال فإن كل قراءة من هذه القراءات هي قراءة متفردة تخص نفسها بالكلمة الأخيرة الفاصلة في فهم التراث . وكل قراءة منها توجه التراث توجيهاً « قبْلياً » واضحاً ، وتريد أن توظف التراث لقضايا العصر وهمومه وأغراضه . فهي اذن ، واجمالاً ، ليست مجرد قراءة للفهم فحسب ، وانما للفعل والتأثير أيضاً ، لا بل أن بعضها لا ينشد التغيير فحسب ، وانما « التثوير » أيضا . وهكذا نجد من يريد أن ينطلق من التراث الى الثورة أو « من العقيدة الى

ثورة » أو ما أشبه ذلك من مواقف « تؤدلج »[1] التراث ، أي تلوي عنقه وتعريه تماماً من شروطه الموضوعية ، ومن ظروفه « المعرفية » الثقافية - التاريخية الخاصة به . والحقيقة أن هذه « الأدلجة » لم تكن تعني في نهاية التحليل إلا شيئاً واحداً ، هو أن الحاضر عاجز ، بإمكاناته وقدراته الكامنة والصريحة ، عن إحداث التغيير المنشود ، وان التراث الذى يشد الناس اليه هو الذى يملك القوة السحرية على التغيير ، بيد انه فات « مثوّرى » التراث الطفيليين أن الشروط الاجتماعية - السياسية المحافظة أو الرجعية نفسها هي في ذاتها التي تولد نقيضها ، وأن الثورة لن تحدث أبداً إن لم تدع الظروف المشخصة المباشرة إلى قيامها . فليس مطلوباً من التراث أن يحدث الثورة ، ولا هو أصلاً قائم على أساس أنه « مشروع ثورة » أو أنه يمكن أن يتحول الى مشروع من هذا النوع . ذلك أنه محيط واسع تتلاطم فيه الأمواج ، يقبل بعض وجوهه التوجه في مسار الثورة ، مثلما يقبل بعضها الآخر التوجه في المسار المعاكس تماماً . والقراءة التي تستطيع أن تكشف لنا عن الشروط الاجتماعية الثقافية « المعرفية » الخاصة بالتراث هي القراءة التي يمكن أن تحمل إلينا فائدة حقيقية .

وإذا كانت إعادة قراءة التراث أمراً لا طائل وراءه ، فإن إعادة قراءة الحقيقة - الأصل ، أي الوحي ، هي أمر لا مفر منه ، لأن الوحي يتوجه إلى الإنسان في كل زمان ، كما أن الإنسان ، في كل زمان ومكان ، يتوجه بدوره إلى الوحي ويستنطقه ليحياه ويجسده ، وينجز « تراثا » لزمنه مفعماً بمضامين العصر ، ومتأثراً بمتطلباته وتوجهاته . وهذا الوضع يقتضي « قراءة » للوحي ليست هي بالضرورة قراءة العصور الأخرى له .

فاذا كان الأمر على هذا النحو ، أي اذا كانت محاولات توظيف التراث ، بإحيائه أو استلهامه أو إعادة قراءته ، تحمل من القصور والمحاذير والصعوبات ما تحمل ، فماذا تكون اذن وظيفة التراث ، إن كانت له وظيفة ؟

وظائف التراث

الحق أننا ، عند النظر ، نستطيع أن نتبين بوضوح ثلاث وظائف أو أربعاً للتراث .

الأولى نفسية : فالتراث هو تراث أمة . وهذه الأمة ذات دور مرموق ومكانة بارزة في التاريخ ، تاريخها ارتقى بها إلى قمم من المجد عالية ، لكنه ما لبث أن أنتهى إلى فاجعة ، أثرها قائم مستمر ، ولا بد من آليات دفاع نفسية لمجابهته والنضال في وجهه . والتسلح بإرث حضاري عريق ضخم من شأنه أن يشكل سنداً معنوياً لإرادة مهزومة مغلوبة ، وأن يحجّم عقدة النقص التي خلفها في النفوس فعل التعاظم الأوروبي الحديث .

ويتعزز هذا التعويض بإدراك واقعة مهمة ، هي أن الحضارة الغربية الغالبة ذات مرتكزات عربية إسلامية ، يساعد الكشف عنها والإقرار بها على التحرر من عقدة المغلوب ، وعلى الاندفاع في تيار الحياة من جديد ، وعقد العزم على إنجاز أفعال تحضيرية جديدة ، وعلى احتلال مكانة فاعلة على الساحة الكونية . ولقد أدرك مفكرو عصر النهضة العرب هذا الوجه من المشكلة ، فألحوا عليه إلحاحاً شديداً ، كما أن الخطاب العربي المعاصر حافل به على نحو بارز . وعند هذا الحد من القضية تتخذ الوظيفة النفسية للتراث بعداً قومياً يتمثل في حافز التحرر من ذل الهزيمة القومية التاريخية ، والعمل من أجل تجاوز تحديات العصر القومية ، والاندفاع في درب الحياة من جديد . وبهذا المعنى يمكن الكلام على وظيفة قومية للتراث .

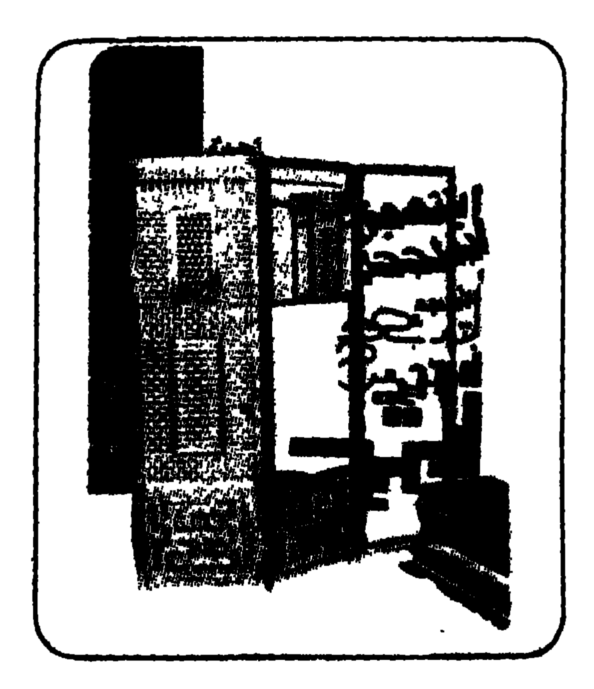
الثانية جمالية : فليس بالأمر الجديد القول ان حقولاً واسعة من التراث الأدبي والفني والثقافي والعلمي تتضمن عناصر جمالية قوية لم تفقد مع مرور الزمن طلاوتها وسحرها وروعتها ، واننا نستطيع اليوم ، مثلما كنا بالأمس ، أن نتذوق معلقات الجاهلين ونعجب بشعر « عمر بن أبي ربيعة والبحتري وأبي تمام والمتنبي وابن الرومي والمعري وابن الفارض وابن زيدون » ، مثلما نعجب بأدب « الجاحظ والتوحيدي وابن المقفع وابن قتيبة

---

(١) هذا تعريف طريف لكلمة « ايديولوجية » الأجنبية ، وهي تعني : علم البحوث التصورية ، أو مجموع النظريات والغايات التى تشكل برنامجا سياسيا واجتماعيا معينا يصح أن تسمى في مجموعها مذهبا . « العربي » .

وغيرهم » . ونحن نقرأ لهؤلاء جميعاً وغيرهم فنستمتع ونفيد ، تماماً مثلما نستمتع ونفيد لقراءة أي أديب أو شاعر معاصر مبدع ، عربي أو غير عربي . وليس ثمة شك في أن الحساسية الجمالية التي يثيرها الأدب بالذات تعتبر من أرسخ مقومات الوحدة النفسية الانسانية ، وقد يمكن القول ان أعمق التحام بالتراث ، وأفضل مدخل اليه ، يمكن أن يتم بالأدب ، بمعناه الواسع . ويدخل في هذا الباب المصنوعات الفنية والموسيقا والأثريات . فانها فضلاً عما تنطوي عليه من عنصر الامتاع والفائدة تساعد على تشكيل تجانس ذهني وروحي انساني يمد جذوره في الحساسية الجمالية نفسها . وهي ، بصفتها هذه ، تعكس الجانب الخالد من التراث .

الثالثة عملية ، وهي ما أسميه بـ (الجدوى) . فمن الثابت أن التراث يشتمل على عناصر ذات جدوى ، أي عناصر يمكن استخدامها في الزمن الحاضر . وهذه العناصر منبثة في جل أرجاء التراث : في علوم العقيدة ، وفي فقه المعاملات ، وفي العلوم النظرية والعملية . ومن بين جميع قطاعات التراث يبدو قطاع العلوم التطبيقية أكثرها تأثراً اذ أن التقدم العلمي الحديث قد تخطى الدرجة التي نجدها لهذه العلوم في التراث . أما في قضايا العقيدة ـ أي علوم العقيدة ، لا الوحي نفسه ـ فانه ما يزال بامكاننا الرجوع الى كتب علم الكلام واستخدام عناصر منها ، قليلة بغير شك لكنها قد تكون مهمة . وفي مؤلفات أصول الفقه ومصنفات الفقه اجتهادات

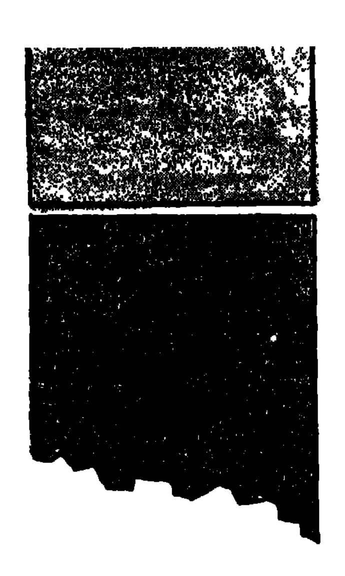


وأحكام يمكن تبينها . وفي كتب (الخراج) و (الأحكام السلطانية) ـ على قصر باعها اذا ما قورنت بعلوم الاقتصاد والسياسة الحديثة ـ عناصر يفيد الالتفات اليها ويمكن تجريب استخدامها . . وهكذاومع أننا لا نستطيع أن نعول كثيراً على مصنفات القدماء في الأمور التي تهم قضايا عصرنا النوعية ، الا أنه يمكن الاستئناس بآراء القدماء في القضية نفسها ويمكن « استخدام » مواقف أو حلول أو أحكام محددة واضحة بشأن قضية مطروحة نبحث لها عن حكم أو عن حل . والقضية هنا هي على وجه التحديد قضية « استخدام » لا « استلهام » أو شيء آخر سواه . وبهذا الاعتبار لا بد من القول ان الاطلاع على التراث أمر مفيد في اغناء المصادر التي نمتح منها من أجل معالجة قضايانا الحديثة أو الراهنة .

ما يبقى من التراث

فيتقرر على هذا النحو أن التراث ليس مما يصح التهاون في أمره أو التقليل من شأنه، وأن الدور الذي يؤديه أو يمكن أن يؤديه في حياة الأفراد والأمة جد خطير . فهو ليس دوراً هامشياً ، وانما هو دور مركزي يدخل في المركب الحي الذي يشكل الأفراد والأمم نفسياً واجتماعياً وقومياً .

بيد أنه ليس كل التراث يدخل في هذا المركب . اذ أن أجزاء منه تسقط على جنبات التاريخ . والذي « يتبقى » منه هو ذاك الجزء الذي يؤدي غرضاً ، أو يعبر عن حاجة . لكن ما تمس اليه الحاجة ليس هو الشيء عينه في جميع الأزمنة والظروف والأمكنة . لذا كان الكلام على « ثوابت » في التراث حية على الدوام أو خالدة ، أمراً عسير التحقيق . وما نستطيع أن نتكلم عليه ، بثقة مؤكدة ، هو « إحياءات » زمنية لهذا العنصر أو ذاك من التراث . وهذه الاحياءات المحددة مرهونة بالأوضاع والظروف المتغيرة . وما « يتبقى » منه في النهاية يضاف أو يدمج في الجديد الذي يتم انجازه ويستمر معه ، لأن الحقيقة هي أن صنع التراث لا يتوقف . فنحن على الدوام ، وفي كل العصور نصنع عناصر تراثية جديدة ونورثها لمن يأتي من بعدنا . وموقفنا الطبيعي هو أننا في الوقت الذي نتلقى تراثاً فاننا نصنع تراثاً آخر جديداً ، يغني التراث الذي تلقيناه أو ورثناه . بحيث يصح القول ان مهمتنا لا تنحصر فقط في تلقي التراث وتمثله ، وانما أيضاً ، وربما بقدر أكبر ، في « ابداع التراث » . □



ظواهر شعبية

بقلم : فاروق خورشيد

اذا كانت ميزة الفن الشعبي أنه يخاطب الغالبية العظمى من الطبقات الشعبية فان بقاءه رهن بمواكبة التطور الذي يطرأ على هذه الطبقات . فالشعب هو الشعب لكن الظروف غير الظروف . فهل يعني ذلك اندثار الفن الشعبي ؟ رسالة القاهرة تجيب بالنفي عبر رصدها لأشكال جديدة من الفن الشعبي أفرزتها الحياة الجديدة والتطور المستمر .

ظاهرة جديدة مهمة تملأ حياة القاهرة من مدة طويلة ، وتبرز تماما في حياتها اليوم . . فأنت لم تعد تسمع الراديو في المقاهي أو في المحلات العامة ، أو في دكاكين الحرفيين ، أو في عربات التاكسي أو الاتوبيس . . وإنما أنت تسمع بصورة دائمة وفي كل مكان . . « الكاسيت » . .

غدا « الكاسيت » الآن هو الصوت الأعلى في جو القاهرة ، يطغى على صوت الراديو ويطغى على برامج التليفزيون ، بل ربما يطغى أيضا على « الفيديو » ـ الوحش الجديد المخيف القادم إلى حياتنا أيضا . .

والظاهرة الفريدة ليست في الكاسيت نفسه ، فهذا أمر قديم تعودنا عليه ، ولكن الظاهرة الفريدة تتمثل في اللون الذي يسود ما ينشره الكاسيت من عطاء فني . . فنحن لسنا أمام تسجيلات لكبار المطربين والمطربات ، أو لأصحاب الفكاهة والمنولوج ، أو حتى المسرحيات الناجحة أو فصول منها . . وقد اجتاحت هذه كلها حياتنا فترة عن طريق الكاسيت . . كما أننا لسنا أمام الأغنيات العبثية اللغة والمعنى واللحن والأداء التي تمثلت في مجموعة من المغنين ملئوا ملاهي القاهرة وطغوا على الأفلام والمسلسلات التليفزيونية فترة طويلة ، ومازال أمرهم قائما حتى اليوم الى حد كبير . .

لسنا أمام هذا أو ذاك ، بل نحن أمام شيء جديد قديم . . أما أنه جديد فلأنه شيء وافد على مجتمع القاهرة ولم يعرفه من قبل إلا في أطر محدودة جدا ومن خلال مناسبات الموالد ، وشوادر حي الحسين في رمضان . . وأما أنه قديم فلأنه شيء قديم قدم السامر في ريف مصر ، حيث كان المغني الشعبي يحيي الليالي الطويلة بغناء وأداء وتمثيل قصة (يس وبهية) و (حسن ونعيمة) و (شفيقة ومتولي) و (أدهم الشرقاوي) و (الفتى مهران) وغيرها من القصص الغنائية الشعبية

ولكننا لسنا هنا أمام سامر الريف ، وإنما نحن أمام كاسيت ينتشر في شوارع القاهرة ومحالها ومقاهيها وسياراتها الخاصة والعامة على السواء ، وإن كان من الواضح أن هذه الأغنيات قد سجلت من سهرات ريفية شهدها جمهور غفير يتعلق بها ، ويحب تردادها.

أما وقد استلفتتنا الظاهرة فينبغي أن نرصد أيضا

عدة ظواهر مميزة لها :

الظاهرة الاولى : أن المغنى تصاحبه فرقة موسيقية كاملة بآلات التخت الشرقي المتعارف عليها من قانون وعود وكمان وفلوت وإيقاع ، بزيادة المزمار ، وباستعمال الكمان في أحيان كثيرة بطريقة تقربه من الربابة . فلسنا أمام الآلات الموسيقية البسيطة التي كانت تصاحب المغنى الشعبي المتعارف عليه ، فقد كانت أدواته محصورة في المزمار والايقاع ، أو في الربابة وحدها ، أو في الدفوف وما يصاحبها من صنج وايقاع .

وهذا الحشد الجديد من الآلات يتيح خلفية موسيقية تعين المغني على الاداء التطريبي بصورته الشائعة في الدور ، وتجعل من قصته المغناة وصلة غنائية كاملة على الشكل الذي شاع في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، وما زال ممارسا في الكثير من الحفلات الغنائية العامة ، وعند بعض المطربين الذين ما زالت امكاناتهم الصوتية تعينهم على أداء هذه الوصلات . وهو يتيح للفرقة أن تتقدم وحدها لتشغل بعزفها جزءا من الترديد النغمي الملحن لما غناه هو ، أو لتقدم لحنا معزوفا من أغنية مشهورة يهتز لها المتلقون ويسترجعون وحدهم الجو النفسي والعاطفي الذي تثيره الأغنية،ويستدعيه لحنها المعروف وسط فقرات القصة فتغني عن الكلمات ، وتثبت الشحنة الوجدانية المطلوبة في مرحلة ما من القصة . . وفي مراحل معينة من السرد الغنائي للقصة يصمت الراوي أو المغني ، ويصمت التخت كله لينفرد بالعزف عازف الناي وحده ، أو عازف العود وحده ، أو عازف الكمان وحده ، أو عازف القانون وحده ، أو ضابط الايقاع وحده . . ويستمر في عزفه المنفرد حتى يتجاوب الجمهور معه ، وينفعل لعزفه ، ويصبح صوت آلته هو الصوت البطل ، أو الصوت المقابل لصوت المغني ، يحكي نفس الفقرة التي وقف عندها المغني ، ويرددها مرة أخرى ولكنها مؤداة بهذه الآلة المنفردة وحدها . . فالتخت الكامل هنا لا يلعب دور الخلفية الموسيقية وحسب . . وإنما يؤدي متجمعا أو منفردا أدوارا رئيسية في عملية القصص الشعري الغنائي الروائي النغمي المتكامل . . وهذه الظاهرة وان أبعدتنا عن الصورة الشعبية القديمة للقصاص الشعبي ، أو المغني الشعبي ، الا أنها إضافة مستفيدة من تطور فني فرضه العصر ، بحيث لا يقلل في شيء من عملية الارتجال التي هي سمة رئيسية غالبة [على] الأداء الشعبي الموروث . . والارتجال محكوم دا[ئما] بالنص الاصلي للحكاية الشعبية ، فالمؤدي الشعب[ي] حر في ارتجاله الوقتي الذي تفرضه ظروف البيئ[ة] وطبيعة المستمعين ، وما يرتهن به جو الحفل م[ن] إبداعات إضافية على القصة الأصلية . . وكذلك فالارتجال عنصر متحرك يسمح للمغني أن يتلاحم مع جمهوره ، وأن يربط هذا الجمهور بجزئيات القصة ومواقفها المتعددة ربطا أثريا من ناحية ، وربطا وجدانيا من ناحية أخرى . . وقد يحدث في أحيان كثيرة أن يدور حوار بين التخت أو الآلة المنفردة وبين المغني ، فكأن أحدهما يقول شيئا ، والثاني يرد عليه . أو كأن أحدهما يطرح سؤالا والثاني يجيب عنه ، دون أن يفقد السرد القصصي استمرليته وتماسكه .

الظاهرة الثانية المميزة في هذه الحكايات هي نوع البطل وشخصيته . فنحن لسنا أمام أبطال الحكايات الشعبية العربية القديمة ، من أبطال السير الشعبية كعنترة بن شداد وأبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن والظاهر بيبرس وعلي الزيبق ممن احتكرت حكاياتهم وسيرهم جهد القصاصين المغنين زمنا طويلا . . كما أننا لسنا أمام الأبطال المحليين الذين استولوا على وجدان الشعب المصري ، وخرجت حكاياتهم صدى لأحداث تأثر بها الريف المصري ، وخلق حولها أخبارا وحكايات تتناقل ، إلى أن تناولها القاص الشعبي بفنه ، وقدمها بطريقته الفذة في الابداع الشعبي ، من أمثال شفيقة ومتولي ، وبهية ويس ، وحسن ونعيمة وأدهم الشرقاوي والفتى مهران . . وحفظ الضمير الشعبي المصري هؤلاء الأبطال وحكاياتهم ذات الأصول الحقيقية المصاحبة للأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بمصر ، وكان هؤلاء الأبطال تجسيدا لها في مجتمع الريف والقرية . .

لسنا أمام هؤلاء الأبطال ولسنا أمام أولئك ، ولكننا أمام أبطال من نوع جديد ومغاير تماما . . فالأبطال في هذه الحكايات الجديدة ليسوا من أبطال السير الشعبية المعروفين ، وليسوا من أبطال الأحداث الاجتماعية والسياسية الذين فرضوا وجودهم بحكم كونهم تجسيدا لقلق اجتماعي أو لحدث سياسي حقيقي ، وإنما هم أبطال جدد تماما إذ لا يمثلون بطولة

ملحمية ، ولا يمثلون بطولة واقعية ،وانما هم أفراد عاديون يعيشون في أحداث عادية من أحداث الحياة اليومية في مجتمع متغير معاصر تماما . . ولعل أسماء الابطال وهي نفسها أسماء الحكايات تكشف عن حقيقة هذه الظاهرة ، فمن أكثر هذه القصص شيوعا عند المغنين الشعبيين الجدد ، قصص حمدي وأفكار رؤوف ورئيفة وعبلة ومختار ، وأيوب ورحمي ، وخيري ووجنات ، وشلبي وشلبباية ، وماهر ومهران ، وصابر وصابرة ، ونبيلة ومجدي ، والمحسن المجهول وأم البنات . . وهي أسماء ـ كما ترى ـ لا تعني بذاتها شيئا مميزا ، ولا تشير إلى ملحمة معروفة ، ولا تنبيء بواقعة لها شهرتها أو تميزها . . وانما هي مجرد أسماء لشخصيات يمكن أن يحل كل اسم منها محل الآخر دون أن يجرح هذا تأهب المستمع أو تقبله النفسي للقصة ، كما أنها يمكن أن يستبدل بها أسماء أخرى دون حرج أو دون جرح لموروث المتلقي من العطاء القصصي أو الشعبي المسبق . .

وهذا يعنى أننا لسنا أمام شخصيات نمطية ، وانما نحن أمام نماذج حية ومتفاعلة داخل المجتمع ، وتعكس بعض الظواهر التى يرى صاحب الحكاية أنها تسوق الى المتلقى متعة بذاتها أو تجربة معينة يريد أن يقدمها له . . والمدقق فى اختيار الاسماء يحس أنها أقرب الى ذوق المدينة واختياراتها منها الى ذوق القرية واختياراتها فى الأسماء . . وقد تعود القرويون أن ينظروا الى أمثال هذه الأسماء باعتبارها أسماء توحي بالترقيق والتدليل ، وكانوا ينفرون منها لما كانت تصِم به صاحبها من علامات بعيدة عن معنى الخشونة والتقشف التى هى من سمات أهل الريف

وقد يكون الامر أن هذه الهوة السابقة بين القرية والمدينة قد تلاشت أو أوشكت على التلاشى . وقد يكون الأمر أنَّ تطلُّع أهل القرية الى حياة الدعة أصبح مشروعا بعد أن أحدثت هجرات العمل والعودة بالثروات النسبية فعلها الأكيد فى تغيير بنية مجتمع القرية ، ونوع التطلعات التى يحلم بها أبناء القرية . . ومنذ البدء والأساطير المصرية القديمة توحى بهذه القداسة يحسها الفلاح المصرى تجاه أرضه ، فعبدها وعبد كل ما يزيد خيرها وثراءها ، عبد الشمس ، ورصدها وعرف منها فصول السنة ، وأثَّر هذا التغير الفصلى على زراعة الأرض وغرسها ، ثم العناية بها ، ثم حصادها البِّر . . وعبد النيل واحتفى به كل الاحتفاء ، وقدم له القرابين ليزيد ماؤه ويعم خيره أرضه الطيبة . . ولكن الوضع الآن يختلف اذ بدأ الفلاح يهجر أرضه ، ويهاجر من دنيا هذه الأرض الى دنيا رحبة من تطلعات الثراء والمتعة التى لا ترتبط بالأرض ولا بجذوره الضاربة فى أعماقها . . فلم يكن غريبا أن تنتشر اذن أسماء مجدى وعبلة ورؤوف ووجنات وماهر وخيرى ورحمى ونبيلة بدلا من الأسماء القروية التقليدية القديمة . فهذه الاختيارات اشارة الى حق القرية فى رفاهية المدينة ، واشارة الى سقوط الحواجز الاجتماعية بين المجتمعين . . وسنلاحظ أن الابطال جميعا من تلاميذ الجامعة ، وأن معظمهم طلبة فى كلية الطب ، كما سنلاحظ أن حق البنت فى التعليم قضية تحتضنها أكثر من قصة ، وأن حق ابن القرية فى أن يكون مهندسا أو طبيبا مسألة مسلم بها لا تحتاج الى نقاش . كما سنلاحظ أيضا أن الأحداث تدور دائما حول صراع الخير المستسلم الطيب الضعيف ، وبين الشر الضارى الخبيث القوى . . ولا ينتصر الخير الا بعد أن يلاقى الأهوال والصعاب ، ولكن التمسك بمعانى الشرف والوفاء والعلم هى أسلحة الخير التى توصله دائما الى بر الأمان . والأبطال يتحركون فى هده الدائرة ، التى لا تعرف الا الشر المطلق والخير المطلق . فالقصاص الشعبي لا يعرف من الألوان الا الأبيض والأسود . والشر منتصر أول الأمر ، لا يعرف الهزيمة لانه يستخدم كل الوسائل التى توصله الى الانتصار ، بينما الخير لا ينتصر الا فى نهاية الأمر ، وانتصاره اما حقيقى بأن يفوز البطل بالفتاة التى يحبها بعد نجاحه فى حصوله على الشهادة الجامعية ، وتفوقه فى عمله ، واقرار عمه الشرير بحقه فى اقترانه بابنته ، وفى المكان البارز من المجتمع وفى ارثه المغتصب ، وأما الرمز فى ذلك الانتقام الالهي الذى يحل بالشرير فيذهب ماله وصحته ، ويصيبه بالفشل والعجز ، ثم الموت فى النهاية . .

وفى خلال هذا الخط الرئيس تظهر خطوط فرعية متنوعة ، فرؤوف يقاوم اغراء أبى رئيفة له أن يتركها مقابل مبلغ ضخم من المال ، وتسمع رئيفة حبيبها وهو يرفض أن يتركها مقابل المال فتسعد لانه يحبها

فى عصرنا هذا وفق انطباعاتهم ، فلا أحد لديه وقت للتفكير الطويل لتكوين الاقتناع ! وبعد هذه الدقائق الخمس قد تأتى التلقائية بكل ما يمكن أن تحمل من مخاطر ومغبات !!

وله أيضا مكان مفضل ، فهو يؤثر تلك المساحة الضيقة والوعرة قرب القمة ، تلك المساحة التى تفصل بين عشرات الرجال من ذوى السلطة والنفوذ الذين يحتلون المراكز العليا ، وبين مئات الرجال من أصحاب المواهب والقدرة على الانجاز ، الذين يقبعون فى ظلال المركز الثالث فى مختلف مجالات الفكر والعمل !!

ودائما يتحرك فى رشاقة العصفور ـ ومهما يكن وزنه ـ بين هؤلاء وأولئك ، واذا كان قد أدرك نقاط القوة والضعف لدى من هم دونه ، فهو بحكم موقعه وتعامله يدرك أيضا نقاط القوة والضعف لدى من هم فوقه ، وبحكم هذا الموقع أيضا يمسك فى يديه بكثير من الخيوط الصاعدة والنازلة ، ويرى المشهد من فوق ضروراته ومحظوراته ، ويراه من تحت ، طبيعته وخصائص العاملين فيه ، ومن هذا كله يدرك أنه لا توجد لغة مشتركة كافية بين هؤلاء وأولئك ، وأن من مصادر قوته أنه هو وحده الذى يصح عارفا وصانعا لهذه اللغة المشتركة ، وأنه بدونه تتشابك الخيوط الصاعدة والنازلة ، وأن هذه الخيوط تمسك به بقدر ما يمسك بها ، ويكثر حديثه عن ضرورة اللغة المشتركة والرؤية المشتركة ، بقدر ما يعمق شعوره بصعوبة ذلك ، ومع هذا التوحد والترابط بينه وبين من هم فوقه ومن هم دونه يزداد شعوره بأنه الواحد المتعدد ، ويؤكد لمن هم دونه أنه واحد منهم مقاتل من طرازهم ، له فى الحقيقة نفس أهدافهم ، ولولا دوره التاريخى لأسعده أن يكون مثلهم ، يغبر يديه فيما يغبرون فيه أيديهم وجباههم من فكر وعمل ، وهو يختار من عمل هؤلاء المبدعين ما يناسب تماما ما يطلبه رجال الصف الأول ، يعرف كيف يقدمه فى الوقت المناسب ، وبالطريقة التى تقنعهم بأنه هو تماما ما يلبى احتياجاتهم .

وكثيرا ما يبدو فى وقت واحد فى صورة المنتصر والمنهزم ، البطل والضحية ، فهو يحقق لمن هم دونه بعض أحلامهم ، ولمن هم فوقه كل ما يمسك به فوق مكانه المفضل !! وذلك جزء من أسلوب دفاعه العظيم !!

تتغير أمامه الوجوه من فوق ، حيث تهب العواصف الجامحة عند القمة ، ومن تحت ، حيث يثور أحيانا بعض هؤلاء المبدعين ، أو يدركهم التعب واليأس ، حيث يمر الوقت دون أن يحدث التغيير ، بينما تتسع المسافة بين واقعهم وأحلامهم ، ويبقى هو فى مكانه الأثير ، فالقادمون الجدد عند القمة يحتاجون الى دليل الى قاعدة الهرم الذى يتربعون فوقه ، بينما هو قادر على أن يجتذب البدائل لاولئك الذين ثاروا أو تركوا مواقعهم ، وما أكثر البدائل على منحدر الجبل . . ! انه هو وحده الذى يعرف مواقعهم ولغتهم ، وهو يعرف كيف يجدهم هناك متعبين قابلين رغم ذكائهم ، لان يعانقوا السراب والوهم ، لا أحد مثله يعرف هذا النوع من البشر ، الذين يبدون خارج نطاق نبوغهم ومواهبهم كالأطفال ، هم دائما ينشدون الحماية والأمن ، ليتفرغوا لما يعتقدون أنه مهمتهم الوحيدة فى الحياة ، والتى يمارسونها بنفس البراءة والحيوية التى يمارس بها الأطفال ألعابهم !

انه يصطادهم فى هذه الدقائق الخمس التى هى معجزته الحقة ، والتى تصبح دون أن يدرى هى كل حياته !

امتيازه أو مأساته أنه وهو يحدثهم عن أحلامهم فى التغيير يبدو حقا وكأنه يتحدث عن أحلامه هو ، هو نفسه لم يعد يعرف عدد الأشخاص الذين يتحدثون بداخله ، يخيفه بقدر ما يرضيه أنه يبقى فى مكانه وسط كل هذه المتغيرات ، قدرته على التذكر لا يعادلها الا قدرته على النسيان !!

لا حديث له الا عن ضرورة التغيير ، ولكنه هو بدوره ، بموقعه ، بأسلوب تعامله ، يبدو نموذجا رائعا لما يتغير !

له سمات العباقرة دون أن يكون له انجازهم وابداعهم ، يستخدم كل الكلمات التى فى قاموس الحب والكراهية والثورة والتمرد ، ولكنه بهدوئه وتماسكه واستمراريته لا يعرف الحب ولا الكراهية ، ويمارس صلحا مذهلا بين كل المتناقضات لصالح بقائه فى موقعه !

لا يخاف شيئا مثلما يخاف لحظة فراغ ، تستدرجه

الى التفكير لحظة فيما يجرى من حوله ، فى هؤلاء الذين خدمهم أو استخدمهم ! ولذلك فهو يحيا فى العمل أو يموت فيه ، ويصبح ذلك (ربما دون قصد) من رصيد قوته وبقائه فى موقعه ! دائرة معارفة تتسع لمئات الأسماء والشخصيات من كل الطبقات والجنسيات والتخصصات ، وطبعا لا يعرف شيئا واحدا عن أى واحد من هؤلاء خارج ما يتصل بعملهم معه !

يبدو أنه يملك كل شىء ، ولكنه لا يكاد يملك حتى حياته التى تختصر أخيرا فى هذه الدقائق الخمس !·

وهو يعرف قيمة هذه الدقائق ، حين يلتقى مصادفة بواحد ممن عملوا معه أو عمل معهم . . لسنين قصيرة أو طويلة . . . ان أشياء غامضة تتحرك فى داخله . . عواطف كالزلازل أو البراكين . . . أشياء تنذر بما لا قبل له به ، و آنذاك يبدو تدريب الدقائق الخمس العظيم ، تأتى الابتسامة المحسوبة ، والكلمات المحسوبة ، كل الأسلحة التى تختصر المعركة فى دقائق ، دون أن تسمح بالتورط فى احساس واحد بالأسى ، أو بالندم ، أو بالحب ، أو بالكراهية ، أو بالشفقة على نفسه أو على غيره !!

يقول بعض من يعرفونه ، انه لا غنى عنه ، فهو موجود فى كل العصور وفى كل بلاد الدنيا ، وانه من صلبه ينحدر كل رجال الادارة العظام ، الذين هم سادة المستقبل دون ريب ، حيث العمل والنظام الاجتماعى كله أكثر تعقيدا وأكثر حاجة الى أمثاله ، وان التغيير الوحيد الممكن هو ما قد يمس أسلوب أدائه لهذا الدور !

بينما يقول البعض الاخر : ان وجوده بهذه الصورة هو مرحلة من مراحل التطور الانسانى ، وسيأتى يوم لا محالة يتطور فيه رجال الصف الثالث ، يحطمون شعورهم الزائف بالعجز والحاجة الى الحماية ، يعنون بتنمية ذواتهم بقدر ما يعنون بتنمية مواهبهم وقدراتهم ، يجمعون بين القدرة على الابداع والقدرة على توظيف هذا الابداع فى وقته ومكانه .

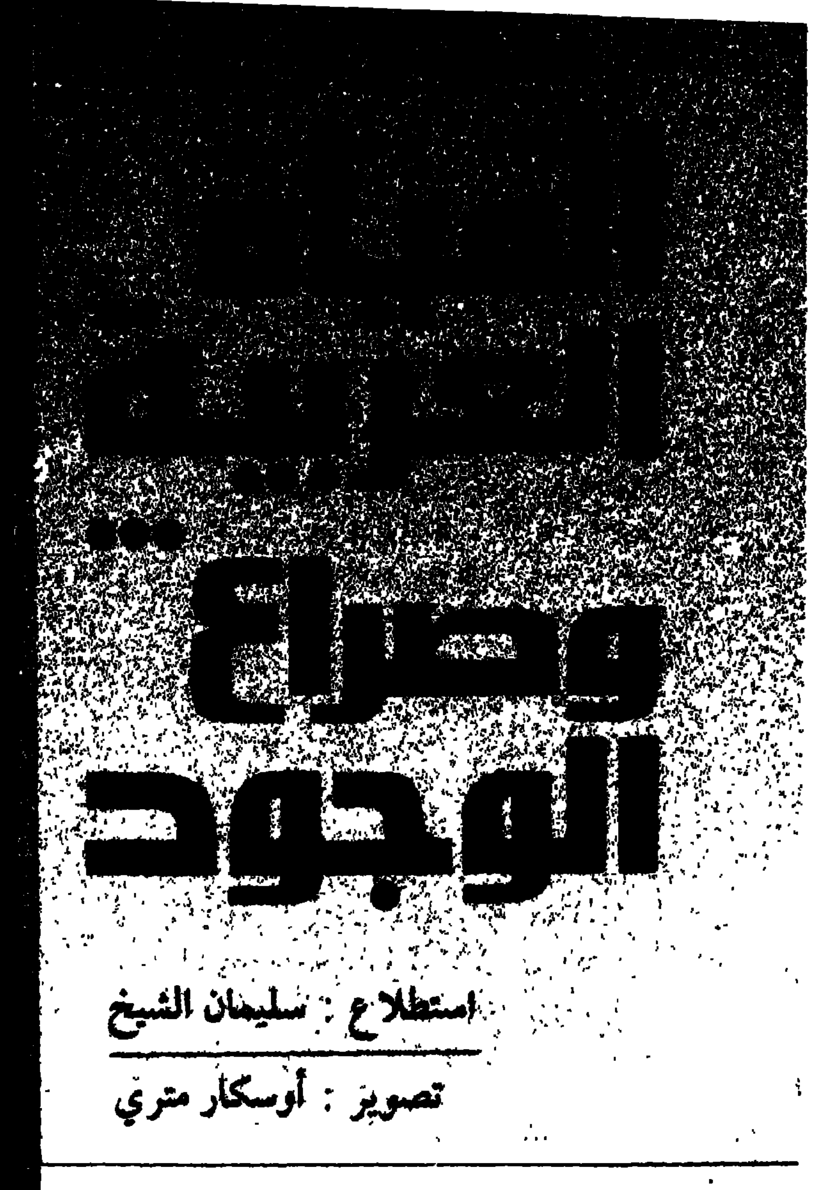
وآنذاك يتغير رجال الصف الأول أنفسهم ، فلن تكون هناك سوى لغة واحدة يتكلمها كل الرجال ، وآنذاك قد تتغير الحياة كلها !

والى أن يحدث ذلك أولا يحدث ، فسيبقى هذا الوجه فى المرآة جديرا بكل ما نملك من آسى ومحبة ، ورغبة فى التفهم ، ورغبة فى المواجهة والتغيير !! □

●

الروح والجسد !

كتب مارتن لوثر كنج الزعيم الزنجي الذي أمضى حياته مدافعا عن الحقوق المدنية لابناء جلده . . كتب يوما يروي قصة السيدة الزنجية العجوز التي جاوزت العام الثاني والسبعين من عمرها ، وكيف كانت تقطع كل يوم مسافة طويلة سيرا على الاقدام من بيتها الى حيث يقيم أبناؤها وأحفادها ، اثناء مقاطعة الزنوج لوسائل المواصلات العامة التي حرم عليهم البيض استخدامها ، حتى اذا استبد بها التعب يوما ، اقترب منها رجل أبيض وقال : « لماذا تمضين اذن في تأييدك لهذه المقاطعة التي لاجدوى منها ؟ » وقالت السيدة وهي تستند بذراعها الى الحائط : « ربما تكون قدماي قد انهكهما التعب . . ولكن المهم هو الروح ، وأنا أشعر بروحي هناك تحلق مستريحة في سماء الأرض التي تحتضن المسحوقين . »



استطلاع : سليمان الشيخ

تصوير : أوسكار متري



خضراوات الأغوار . . في طريقها لأسواق الاستهلاك .





عناصر أساسية للوجود ، ان فقدت فقد الشعب الكثير من مقومات وجوده ، وان اعتدى عليها . . فانها الحرب لا محالة !

لنأخذ المياه على سبيل المثال . . انها مفتاح باب حضارة الاستقرار منذ أن عُرف العالم .

اذ لولا النيل ، والفرات ودجلة . . والسند وغيرها من الأنهار لما قامت حضارات مستقرة يعود تاريخ قيامها الى الانسان الأول . حتى يومنا هذا فان أكبر وأوسع المدن والحواضر مازالت مركزة على جانبي تلك الأنهار وغيرها .

إنها المياه التي جعل الله منها كل شيء حي .

قصتنا نحن العرب منذ أوائل هذا القرن وخاصة في الأربعين سنة الأخيرة مع المياه قصة تروى ، لأن فيها - قصة - حياتنا ومستقبلنا ووجودنا .

لنتمعن - مجرد تمعن - في منظر مازال أمام بؤرة عين من يرى ، منذ عشرين عاماً .

المثلث الخطر :

كنا مع الشمس في سباق وتحد ، هي تركض نحو أفق المغيب ، ونحن بودنا أن نركب مراكب الهواء كي نصل الى هدفنا . . وهدفنا كان « المثلث الخطر » أي مكان التقاء الحدود الأردنية ، السورية ، الفلسطينية المحتلة .

جبل الجولان أصبح على يمين التلة التي ارتقيناها ، والمياه على الجانب الأيسر تلمع بوجوهنا من جراء مغازلة الشمس لها . . وبساتين وسهول ووهاد مكسوة بالأشجار والخضراوات على مد النظر .

يقول مرافقنا : أترون أشجار السرو . . هناك ؟ انها الحدود الفاصلة بين ما هو تابع لنا ، وما أصبح يتبع عدونا .

نمر على مراكز الجيش الأردني واحداً إثر الآخر . . ثم نرتقي جبلاً . . يخفق القلب ، وترتعش الأوصال . . طبيعة مكسوة بجمال حكت عنه الأساطير « أرض اللبن والعسل » بقايا نهر الأردن تلمع على يسارنا مع فيض من جمال البساتين والحقول على الجانبين الأردني والفلسطيني المحتل .-

والبحيرة . . سادرة في مكانها . . تلمع زرقة مياهها من بعيد ، وبيوت بيضاء تحتل التلال التي تحيط بها . . .

أهي طبريا ؟

انه الوطن ، حلم العمر كله ، يتكرر في المنام واليقظة .

كبرت الغصة في كل ذرات البدن ، وتجمع الحزن - الفرح في تقاطيع الوجه . . ووقف الدمع يتشاور في المآقي .

الشمس كعادتها عجول . . . ونحن نتقافر مع الكاميرا من مكان الى آخر . . . نصطاد لقطات قد تجود بها الفرصة ثانية وقد لا تجود .

لم يكن صراعنا مع الشمس العجول فقط ، بل كان أيضاً مع الخوف من رصاصات قد تأتي من المرصد الاسرائيلي الذي يواجهنا على الجبل المقابل .

كانت لحظات من القفز والركض والخوف والتوتر والاكتشاف ، اطلعنا فيها على محور اليرموك الذي يمثل عصب المياه المتفجر في المنطقة .

نهر اليرموك يغسل أقدام الجبل الذي نرتقيه . . . ونهر الأردن يلمع على بعد مئات من الأمتار القليلة ، وبحيرة طبريا خزان الماء الذي تلتقي فيه أهم أنهار بلاد الشام تتماوج من بعيد .

وقناة الغور الشرقية بمحاذاة الجبل مازال الماء يتدفق

ـ شريانها ليضيف الى شرايين الناس والحيوانات الشجر الحياة والنضرة والاخضرار . . . الجولان . . . تحول الى مرصد للعدو .

نتابع توغلنا قليلاً ، بدت السيارات التي ترتقي هضبة الجولان واضحة لنا كل الوضوح . . أشار مرافقنا الى جسر مقصوف ومدمر . . قال : انه جسر خط سكة الحديد الذي كان يصل بين فلسطين وغيرها من الأقطار العربية .

ثم نقرأ لافتة « الحمة » انها الحمة السورية المحتلة ، . . مساحة خضراء واطئة بين جبلين . . لو رميت حجراً لاصاب الصبي الراكض أمام مسجدها ، . ولو رميت حجراً آخر لأثرت دوائر كثيرة في برك المياه الدافئة والساخنة التي تحيط بها .

ثم نصل الى الحمة الأردنية التي تبعد عن الحمة السورية بضعة أمتار . نرتقي جبلاً آخر . . هدفنا كان موقع ما سمي بسد المخيبة « خالد بن الوليد » ، بدا الأفق يكتسي بحمرة الغروب ، وأصبح الصمت تسبيحة حوف تنشك في القلوب . . ثم فجأة . . . مرصد آخر للعدو . . . عندها أوقف مرافقنا المهندس السيارة . . . وأشار الى أسفل الوادي وقال انه وادي نهر اليرموك ، . أنظروا !

مجموعة من الآلات والمكائن المعطوبة . . كانت في قعر الوادي . . .

ثم أشار الى يميننا . . وقال : أنظروا أيضاً نفق طولي تم شقه بين حافتي الجبلين اللذين يخترقهما نهر اليرموك بين الأردن وسوريا . . . ثم تراءت على رؤوس التلال مكاتب الشركات التي كانت قد بدأت تنفيذ . . المشروع . . . الأمل مشروع سد المخيبة أو سد خالد بن الوليد .

لقد قصف العدو الصهيوني المكاتب والآلات ومراكز التحويل ، اعتباراً من سنة ١٩٦٤ ، وتم الهجوم على مراكز التحويل عدة مرات ، آخرها سنة ١٩٦٧ أثناء حرب حزيران . ومازالت الآلات رابضة في أماكنها اشارة ورمزاً على محاولة تحقيق الأماني والأحلام . .

فهل هو العجز الذي يختزله وضع الآلات المعطوبة ، أو المكاتب المهجورة ، أو النفق الذي بقي مجرد حرث طولي بين الصخور ؟

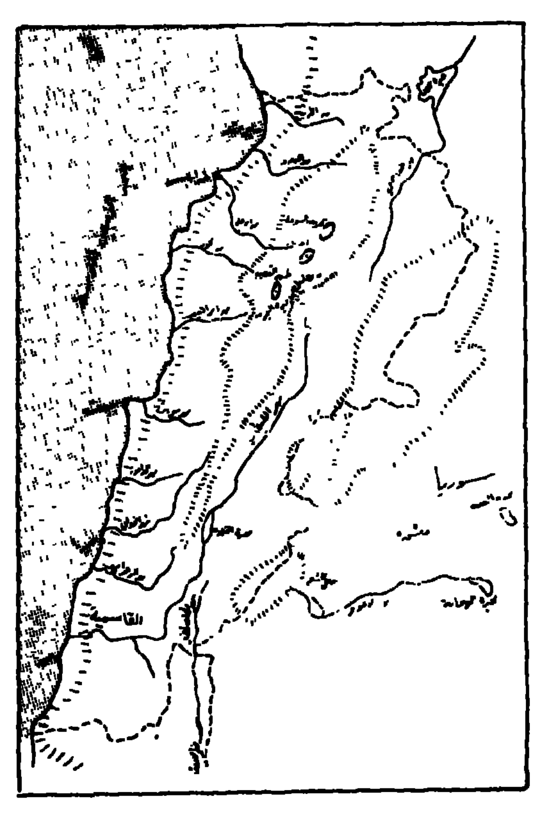
تحبك النكتة المرة معنا فنقول : بناء سد المخيبة تحول الى خيبة ! نعم هو ذلك !

الدور البريطاني :

لكن . . قبل المضي في نقل المشاهدات والانطباعات ، دعنا ننقل لك عزيزي القارىء . . بعض أطراف الحكاية من أولها . . . .

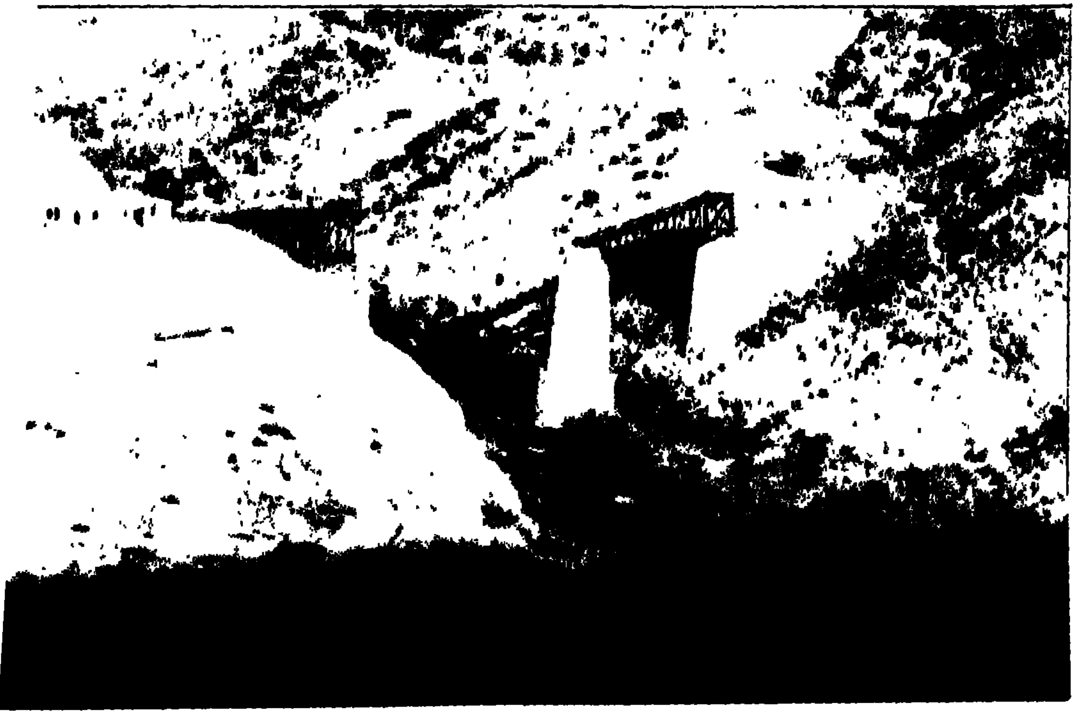
. . كان . . يا مكان . . . ـ نهزل بمرارة ـ عدواً يرسم على الورق مخططاته ومشاريعه . . . فأصبحت أحلامه حقائق ، وأوهامه مشاريع ، تشق قلب الحياة في أقطار أمتنا . وتحولت حقائقنا الى أحلام وأماني ! . .

من المؤكد أن بداية مسيرة المأساة « الدرامية » للمياه ومصادرها في منطقة بلاد الشام لم تقم بعد خطاب رئيس الوزراء الاسرائيلي ديفيد بن غوريون سنة ١٩٥٥ :



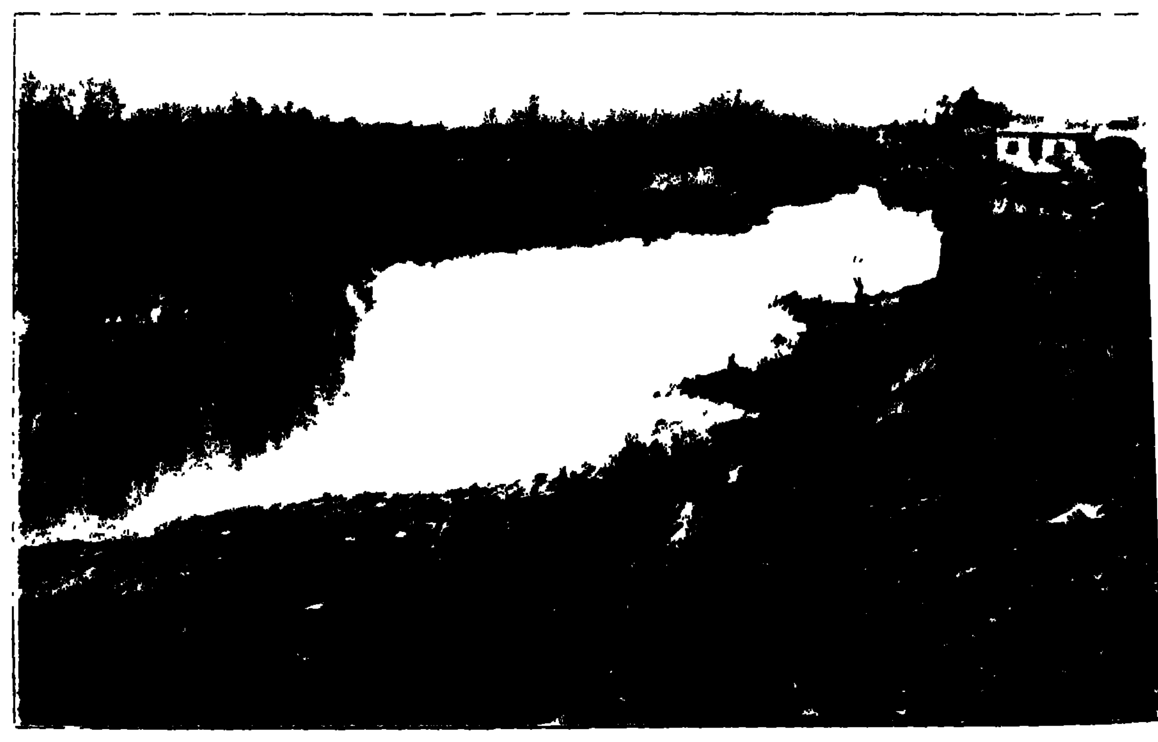
خريطة الجمهورية اللبنانية تظهر الانهار المهمة فيها ومنها الليطاني (عن كتاب « اسرائيل » والمياه العربية) لعفيف البزري .

بحيرة طبريا   مصب أهم أنهار بلاد الشام   لاحظ مدينة طبريا في عمق الصورة



جسر ـ الوصل ـ المضروب على نهر اليرموك   يقع عند أخطر نقطة في الحدود السورية الاردنية الفلسطينية

قناة الغور الشرقية   عليها تقوم الحياة والزراعة في منطقة الاغوار بالاردن



نهر الليطاني   أثناء مروره بقرية المرج البقاعية   قبل أن يلتقي بمياه الاخرى

«ان اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير « اسرائيل » واذا لم ننجح في هذه المعركة فاننا لن نكون في فلسطين » .

« اذ انه من الثابت ـ وقبل القآء هذا الخطاب ـ أن عدة مشروعات تم انجازها على الأرض ، ومخططات تم تقديمها الى الهيئات الدولية من قبل المنظمات الصهيونية ، يقول المهندس صبحي كحالة ـ أحد أهم الكفاءات التي تعاملت مع موضوع المياه ، اشرافاً ، ومسؤولية وادارة ـ في كتابه « المشكلة المائية في (اسرائيل) وانعكاساتها على الصراع العربي الاسرائيلي : « البحث في المشكلة المائية في فلسطين قديم قدم نشوء الحركة الصهيونية نفسها ، فمنذ أن بدأ حلم استعادة أرض صهيون يراود مخيلة قادتها حوالي منتصف القرن الماضي ، أدرك هؤلاء القادة أن تحقيق أهدافهم في تهجير ملايين اليهود الى فلسطين ، لن يتم الا بالتوسع في السيطرة على أرضها ، وان التوسع في استغلال الأرض لن يتم الا بتأمين كميات كافية من المياه لاروائها ، وبالهيمنة الكاملة على مصادرها »

ويضيف المهندس كحالة :

« ومنذ عام ١٨٧٣ ، تجلى التعاون الكامل بين الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية الناشئة وقتذاك ، حين أوفدت الجمعية العلمية البريطانية بعثة من الخبراء والمهندسين الى فلسطين ، لتقصي ما فيها من موارد طبيعية ومنها المياه .

وقد كان في التقرير الذي نشرته هذه البعثة عام ١٨٧٥ ، أول اشارة الى الدعوى اليهودية القائلة بامكان اتساع فلسطين والنقب لاسكان الملايين من البشر ، وبأن من الممكن ري صحاري الجنوب اذا أمكن نقل بعض كميات المياه الموفورة في شمالي فلسطين الى جنوبها تحقيقاً لهذا الغرض » .

لذلك فان إقامة أول مستعمرة صهيونية في نهاية القرن الماضي في شمال فلسطين بالقرب من مصادر المياه . لم تكن حالة « اعتباطية » بل جاءت جزءاً من التوجه الصهيوني العام الذي استمر في محاولات التسلل الى الأرض ، وتقديم مشروعات متتالية للهيئات الدولية . .

فقد تقدمت المنظمات الصهيونية الى مؤتمر الصلح المنعقد اثر الحرب العالمية الأولى بتاريخ ١٩١٩/٢/٣ ، بمطالب مهمة تتعلق بتخطيط حدود فلسطين ، جاء فيها :

« أن حدود فلسطين يجب ان تسير وفقا للخطوط العامة التي تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطيء البحر الأبيض المتوسط ، بجوار مدينة صيدا ، وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان ، حتى تصل الى جسر القرعون ، فتتجه الى البيرة ـ قرية في البقاع اللبناني ـ متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ـ في لبنان ـ ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ ، حتى تقترب من الخط الحديدي الحجازي الى الغرب منه . وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية ، وفي الغرب البحر الأبيض المتوسط » .



المهندس صبحي كحالة

واضح في رسم هذه الحدود انها لم تتضمن السيطرة على انهار منطقة بلاد الشام فحسب ، بل السيطرة على منابعها ايضا .

الا أن اختلاف مصالح الاستعماريين الفرنسي والانكليزي اللذين اقتسما بلاد الشام بينهما ، عطل جزءاً من المشروع الصهيوني . لأن بعض منابع ومسارات بعض الأنهار كانت تقع في « الحصة » الفرنسية .

ومع ذلك فان المنظمات الصهيونية والت جهودها لاقتناص أية فرصة للحصول على ما يمكن الحصول عليه .

وهكذا فان شركة روتنبرغ اليهودية حصلت سنة ١٩٢٦ على امتياز لاستثمار مياه نهري الأردن واليرموك عند نقطة تلاقيهما عند جسر المجامع الأردني ومستعمرة نهاريم اليهودية ، لتوليد الطاقة الكهربائية لمدة سبعين سنة ، مما وضع قيودا على الأردن ، وحد من حريته في استغلال مياه نهر اليرموك لأغراض السقاية وغيرها .

وبذلت سلطات الانتداب البريطاني كل مساعدة ممكنة للمنظمات الصهيونية ، كي تسيطر على امتياز شركة بحيرة الحولة وتجففها وتستثمر اراضيها اعتبارا من سنة ١٩٣٤ . وقد نفد المشروع اعتبارا من سنة ١٩٥١م .

وقد ساهمت سلطات الانتداب البريطانية قبل وعد بلفور سنة ١٩١٧ وبعده بتسهيل تسليم فلسطين الى الصهاينة .

من الفرات الى النيل :

وقام الكيان الصهيوني سنة ١٩٤٨ ، الا ان أطماع هذا الكيان بالمياه العربية المحيطة بقيت كما كانت عليه قبل نشوء الكيان ، بل ان الالحاح على تأمين المياه أصبح من الأمور المهمة جدا لسد احتياجات سيل المهاجرين ، الذي اخذ يزداد يوما بعد يوم . وهكذا توالت حروب السيطرة على المياه .

« أن يحدد الكيان الصهيوني في بعض أدبياته حدود امتداده من الفرات الى النيل . . فان هذا يعني ان هناك رغبة اكيدة في الاستئثار بالمياه . . بل ان تعريف الأرض بالانهار . . ما هو الا دلالة اكيدة على طبيعة التوجه . . والخطر المحدق بالنهرين وبالمنطقة الممتدة بينهما » .

هكذا قال لنا السيد ميشيل حمارنة وكيل وزارة الاعلام الاردنية عندما التقيناه في عمان .

فهل آن أوان الخطر على هذين النهرين ؟

قال لنا المهندس صبحي كحالة ـ مهندس الكثير من مشروعات المياه في الأردن وسوريا ومنها مشروع سد خالد بن الوليد المضروب .

« ان مصادر المياه المتاحة داخل فلسطين المحتلة قد تم الكشف عنها وتم استغلالها ، ولذلك فان الزيادة في عدد السكان ، واستصلاح اراض للزراعة ونمو الصناعة تحتاج كلها الى مصادر جديدة للمياه ، فاذا عرفنا ان اكثر من ٩٥٪ من مصادر المياه قد تم استغلالها ، فهذا يعني أن الكيان الصهيوني يبحث عن مصادر جديدة . . ومع انه استعمل كل ما هو متاح من مصادر :

ـ كتحلية المياه المالحة واعادة استعمال مياه المجاري والمصانع بعد تصفيتها .

ـ محاولة وقف التبخر من بحيرة طبريا واستمطار الغيوم وحجز مياه السيول والتخزين الجوفي لمياه الشتاء ، ومزج المياه المالحة بالعذبة ، والاقتصاد والحد من استعمالات المياه . . كل ذلك جربه العدو الصهيوني . .

والنتائج ؟

ـ « فيما عدا عمليتي تحلية مياه البحر وتكريرها (امكاناتها محدودة) فان العدو استنفذ كل الوسائل المتاحة له داخليا ، ووصلت كميات المياه المنتجة والمتاحة الى حدودها القصوى » .

والحل ؟

ـ اننا وجها لوجه امام السؤال الملح : من أين سيأتي العدو الصهيوني بالمياه كي تستجيب لمشاريعه الاستيطانية والتوسعية المستمرة ؟

عزيزي القارىء . . قبل ان نجيب عن هذا السؤال فانه يحسن بنا متابعة الخطوات التي اتخذها العدو للسيطرة على مصادر المياه القريبة من حدود الأراضي التي احتلها سنة ١٩٤٨ ، وأخذ يقضم غيرها بعد هذا التاريخ :

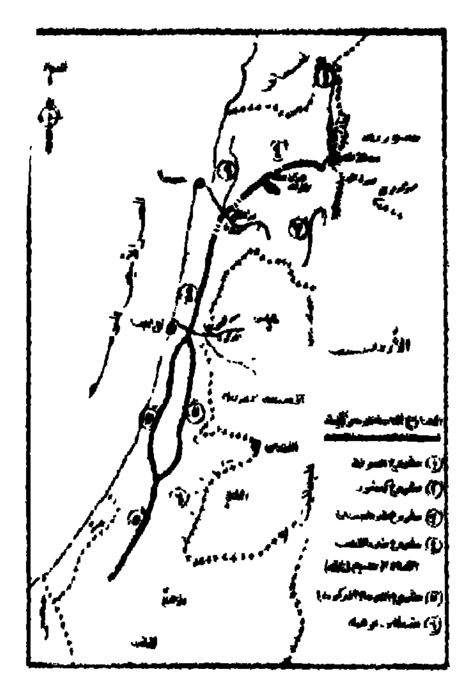
خزان المياه :

يقول عفيف البزري في كتابه « اسرائيل والمياه العربية » .

« يشكل الحرمون ـ جبل الشيخ ـ الذي يزيد ارتفاعه على ألفين وثمانمائة متر عن سطح البحر مع هضبة الجولان ، خزان مياه المناطق الجنوبية لبلاد الشام . فمليارات أطنان الثلوج التي تتساقط على قمم جبل الشيخ ، والأمطار الغزيرة التي تنهمر على



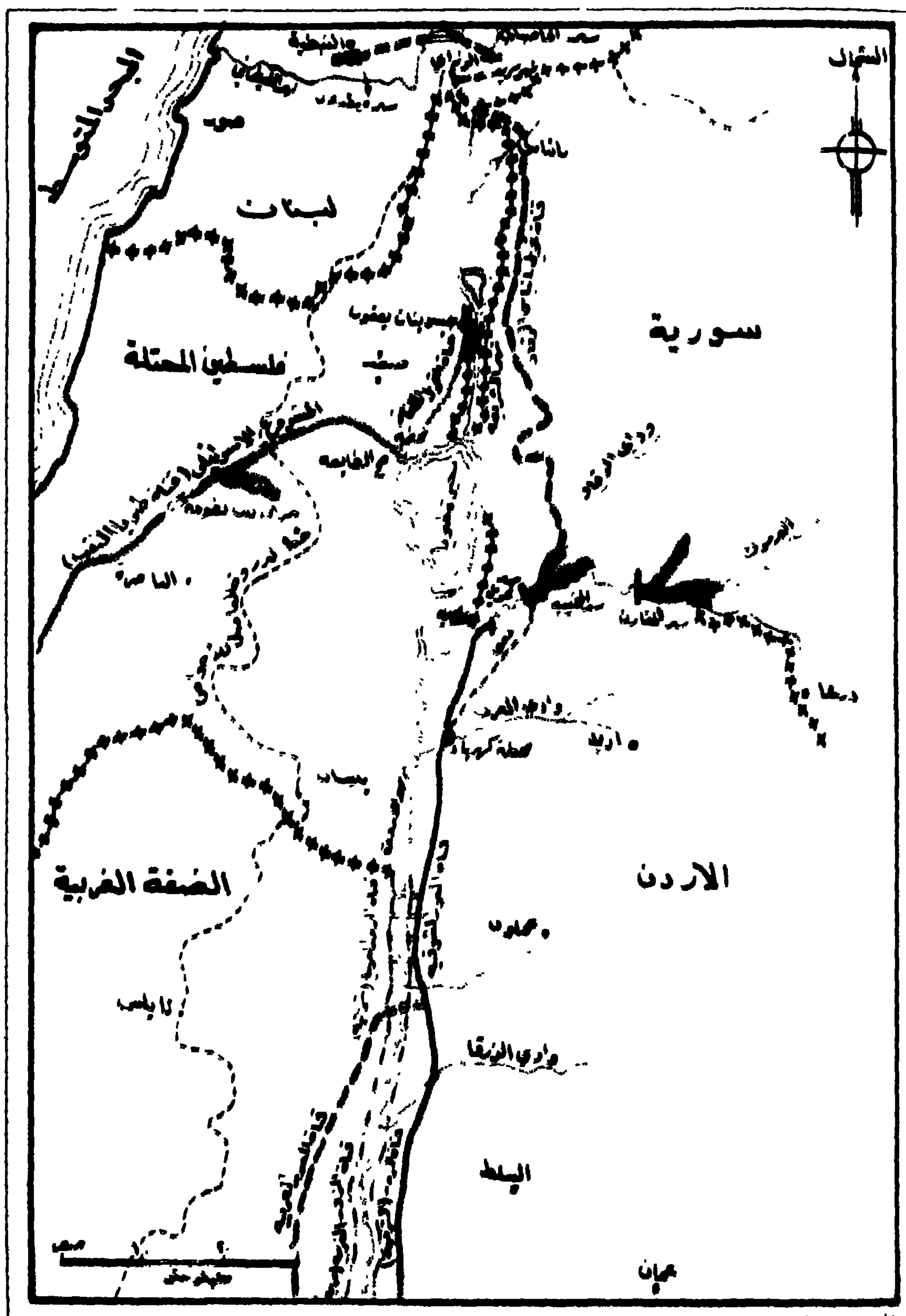
مياه الأردن الأسفل أملح من الدموع حتى السمك لا يعيش فيها !



المشاريع المائية الاسرائيلية . .
تم تنفيذها قبل حرب ١٩٦٧ وبعدها (عن كتاب « المشكلة المائية في « اسرائيل » وانعكاساتها على الصراع العربي - الاسرائيلي) للمهندس صبحي كحالة .



جسر الملك حسين أو جسر اللنبي سابقا ، بوابة الى قسم من الوطن أصبح تحت الاحتلال



المشـروع العربي لتحـويل روافـد نهر الاردن سنة ١٩٦٤ - (عن كتـاب « المشكلة المائيـة في « اسـرائيـل » وانعكاساتها على الصراع العربي - الاسرائيلي) للمهندس صبحي كحالة

سفوحه وعلى هضبة الجولان ، والتي تتجاوز الألف وثلاثمائة مليمتر سنويا ، تتسرب كميات كبيرة منها بعد تغذية مياه السطح ، بعيدا في أعماق الأرض لتشكل المياه والأنهار الجوفية التي تغذي ينابيع نهري الأردن واليرموك وفروعهما وجداولهما (بانياس ، الحاصباني ، دان ، الوزاني ، الرقاد وغيرها) » .

والنقطة ـ القاتلة ـ في هذه الانهار انها تقع على ما يسمى بالحدود المشتركة الأردنية السورية الفلسطينية المحتلة . بعضها يصب في بحيرة طبرية مباشرة كالحاصباني والوزاني ودان والأردن الأعلى ، وبعضها يصب في مجرى نهر الأردن الأسفل ، أي اثر خروجه من بحيرة طبريا ، كنهر اليرموك (يلتقي بالأردن الأسفل بعد مسافة حوالي عشرة كيلومترات من البحيرة).

ان وضع هذه الأنهار وجريانها في مجار مشتركة ، جعلها عرضة للخلافات والتعدي على « حقوق » معروفة ومنصوص عليها في القانون الدولي .

وبما أن العدو الصهيوني اقام كيانه من منطلق الاغتصاب ، وتجميع اكبر عدد من اليهود في مساحة من الأرض محدودة في المساحة والموارد ، لذلك فانه سيلجأ الى متابعة حالات الاغتصاب بين الحين والآخر ، وذلك كي يستجيب الى الحاجات المتزايدة لمستوطنيه ارضا وماء .

وهكذا اصدرت السلطات الصهيونية منذ عام ١٩٤٩ تشريعا يؤمم المياه ، ويقنن استثمارها ، ويعتبرها كملك عام من حق الدولة فقط أن تتصرف فيها ، ملغيا كل حق للأفراد عليها .

ثم انشأت شركة « تاهال » لتخطيط ودراسة وتصميم كل ما يتعلق بالمياه ومصادرها اضافة الى شركة « ميكوروت » التي كانت قائمة من قبل ، وتولت الشركتان تنفيذ كل ما يتعلق بمشروعات المياه ومصادرها المتاحة داخل فلسطين المحتلة .

الا أن ذلك لم يلب أو يف بالأطماع الصهيونية . فتم وضع المخططات « لسرقة » مياه نهر الأردن وفروعه .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه :

« فبعد أن ثبت عجز الآبار المحفورة في مستعمرات النقب ـ صحراء في جنوب فلسطين ـ عن تأمين حاجة



السيد ميشيل حمارنة .

المنطقة من المياه ، تقرر عام ١٩٥٤ البدء بتنفيذ نقل مياه نهر العوجا ـ ينبع من جبال نابلس ويصب في البحر شرقي مدينة تل ابيب ـ والينابيع التي تغذيه الى النقب الشمالي لارواء أراضيه الخصبة ، وصُمم المشروع بحيث يشكل حلقة اساسية متكاملة ، مع انشاء القناة الرئيسية المقررة لنقل مياه نهر الأردن وروافده من الشمال الى اراضي النقب في الجنوب » .

عند هذه « العقدة » بدأت نذر الاصطدامات تتوالى . . لقد جفف الاسرائيليون بحيرة الحولة قبل ذلك ـ سنة ١٩٥١ ـ ومع أن سوريا حاولت ايقاف العمل . . تارة بواسطة القوة العسكرية ، وأخرى بواسطة الشكاوي الى الأمم المتحدة . الا ان الغاصب الصهيوني المحتل أنجز المهمة ، وانتقل الى غيرها . .

مشروع جونستون :

حدثت صدامات أخرى خاصة عندما بدأ العمل الجدي بتحويل الأردن ، فتحركت أميركا وأرسلت جونستون الى المنطقة سنة ١٩٥٣ ، ثم تكررت الزيارة لاربع مرات آخرها كان سنة ١٩٥٥ هدفت الى :

« محاولة اقناع الأطراف بالموافقة على اقامة مشروع

استثماري موحد للموارد المائية في حوض وادي الأردن . .

وقد قدر المشروع كميات مياه حوض الاردن بـ ١٢١٣ مليون متر مكعب . تم الاقتراح بتوزيعها بالشكل التالي :

- ٧٧٤ مليون متر مكعب للاردن .
- ٤٥ مليون متر مكعب لسورية .
- ٣٩٤ مليون متر مكعب للكيان الصهيوني .
- لاشيء للبنـــان .
- اقامة سدود على الحاصباني واليرموك ، وانشاء عدة اقنية في المنطقة . وقد رفض العرب المشروع ، لكونه :

اهمل تخصيص أية كمية من المياه للبنان ، واكتفى بتخصيص كمية رمزية لسورية ، بالرغم من انها يغذيان النهر باكبر قسط من المياه ، ولم يخصص للاردن ما يكفيه ، واعطى العدو الصهيوني اكثر مما يستحق . اضافة الى ان المشروع كان يتضمن تحويل مياه اليرموك الى بحيرة طبرية مما يجعل الكيان الصهيوني هو المتحكم بتزويد الاردن وسوريا بحصتيهما .

ورفض الكيان الصهيوني المشروع ايضا وطالب بـ ١٢٩٠ مليون متر مكعب من المياه ، بل وأصر على ادخال مياه الليطاني في المشروع - مع ان الليطاني نهر لبناني صرف منبعا ومصبا - وطالب بـ ٤٠٠ مليون متر مكعب حصة له منه .

واضح ان الكيان الصهيوني كان يطرح شروطا تعجيزية لافشال المشروع من أساسه . . كي يستكمل مشروعاته الخاصة القاضية بالسيطرة على كامل مياه النهر .

ويمكن الاشارة الى ان المشروع الأميركي لم يخف وجهه السياسي الواضح الأبعاد الملاصق للوجه الاقتصادي .

تذكر الباحثة ليزلي شميدا في كتابها « الصراع على المياه » النص التالي الذي جاء على لسان جونستون نفسه سنة ١٩٥٤ في جامعة كورنيل الأميركية :

« لقد وضعنا برنامجا شاملا متكاملا لتطوير حوض الأردن ، سوف يعتبر على الأقل بداية لحل عملي بناء وطويل الأجل لمشكلة اللاجئين ، وبالتالي يساعد في القضاء على جو المرارة والاستياء في المنطقة » .

وقد تنبهت الباحثة شميدا وغيرها من الباحثين الى هذا الهدف ، فأنكرته كحل « اقتصادي » لمسألة سياسية . . . فقالت :

« ١ - انه من غير الملائم او المناسب أن تسوى مشكلة سياسية بصفة جوهرية بوسيلة اقتصادية .

٢ - ان سياسات المياه في الكيان الصهيوني عكست التطلعات السياسية غير القابلة للتفاوض ، كما ان الاسرائيليين لم يكونوا راغبين ابدا في الزام انفسهم بأسس وقواعد لاستغلال المياه ، يمكن أن تؤدي الى تقييد حريتهم في القيام بأي عمل من جانب واحد » .

تحويل نهر الأردن :

استأنف العدو الصهيوني العمل في تحويل نهر الأردن الى النقب اعتبارا من ربيع سنة ١٩٥٦ واعتمد التصميمات التالية :

١ - اعتماد بحيرة طبرية كمركز لتخزين مياه الفيضانات .

٢ - تأمين كامل الكميات المطلوبة للمشروع من المياه بضخها مباشرة من بحيرة طبريا .

- تنبه العرب بعدها لما يقوم به العدو الغاصب ، فدعت الجامعة العربية سنة ١٩٦٠م الى تحويل روافد الأردن اذا ما استمر العدو في مخططات تحويل النهر .
- وفي سنة ١٩٦٤ اعلن الاسرائيليون انهم على وشك الانتهاء من انجاز المرحلة الأولى من ايصال مياه الأردن الى النقب .

وردا على ذلك دعا الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى مؤتمر القمة الأول سنة ١٩٦٤ الذي عقد في القاهرة .

وكان من نتائجه :

- قرار تحويل روافد الأردن ، وتشكيل هيئة سميت باسم « هيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده » تتولى مهمة وضع التصاميم والاشراف على تنفيذ سلسلة من العمليات الهندسية في لبنان وسورية والأردن برئاسة المهندس صبحي كحالة .

ويتلخص المشروع العربي بالتالي :

- تحويل مياه ينابيع الحاصباني الى حوض الليطاني .



شلالات . . . تل شهاب في سوريا .



أطفال يلعبون في احدى قرى الأغوار .



الجبال محتلة . . . وزراعات الاغوار العربية يمكن تهديدها في أية لحظة !



الحمة السورية المحتلة . . . لاحظ ينابيع المياه التي تحيط بها .

ـ تنفيذ ما يلزم من انشاءات لاستثمار ينابيع الوزاني وبانياس .
ـ انشاء سد في موقع المخيبة في الأردن على نهر اليرموك لاقتسام المياه بين الأردن وسوريا وتوليد طاقة كهربائية منه .
ـ تعلية قناة الغور الشرقية لمضاعفة تصريفها من ١٠ الى ٢٠ مترا مكعبا في الثانية .

وعندما جد العرب وبدأوا بتنفيذ مشروع المخيبة . . . توالت التهديدات الاسرائيلية لسوريا ولبنان والأردن ، ثم حدثت اعتداءات عسكرية على مراكز وورش تحويل الأنهار في سورية والأردن ـ منها موقع المخيبة الذي ذكرناه في بداية هذا الاستطلاع ـ وهكذا حصل التقطع وعدم الثبات والاستمرارية في مشاريع تحويل روافد الأنهار . . الى أن شن العدو الصهيوني حرب عام ١٩٦٧ فقضى على كل المنشآت التي كانت قائمة لتحويل روافد نهر الأردن ، وتم احتلال الضفة الغربية والجولان وسيناء أيضا .

وبذلك تخلص الاسرائيليون من « مضايقات » السوريين والاردنيين الى حين ، وأصبحوا مطلقي الأيدي في التصرف بطبريا وحوض نهر الاردن الأعلى بكامله .

وقد قال ايغال ألون نائب رئيس الوزراء الاسرائيلي ومنظر حزب العمل المعروف في تلك المرحلة :

« ان لهضبة الجولان ولمنحدر جبل الشيخ اهمية حيوية ، لا من أجل الدفاع عن مستوطنات وادي الحولة ضد الرمايات السورية فحسب ، وانما ايضا لحاجات « اسرائيل » الاستراتيجية الشاملة في الاشراف على الجولان . فهذا الأمر يتعلق بالدفاع عن الموارد الأساسية لمياهنا ، وبالدفاع عن الجليل الأعلى والأسفل ، وبالدفاع عن الأردن الأعلى والأوسط (ـ وادي الحولة وبحيرة طبريا والوديان المحيطة بها ، ووادي بيسان) .

نتائج التحويل :

هكذا . . . انتهى الأمر بتحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب ، وتم نقل ما يزيد على ٥٠٠ مليون متر مكعب من المياه بواسطة قناة تمتد من الحدود الشمالية لبحيرة طبريا ، ثم تتعرج ناحية الغرب لتمر بخزان بيت نطوفة ، ثم تتابع انحدارها نحو الجنوب الغربي لتلتقي بمشروعات : نهر المقطع ـ كيشون ـ القريب من حيفا ، ونهر العوجا ـ اليركون ـ قرب تل أبيب وشبكات أخرى فرعية . . وصولا الى النقب .

وقد نتج عن تحويل نهر الأردن الأعلى ما يلي :
ـ زيادة الملوحة في بقايا النهر بعد خروجه من بحيرة طبرية وسيره بين الضفتين الشرقية والغربية وصولا الى البحر الميت .
ـ كي تتغلب « اسرائيل » ـ على ملوحة المياه ، خاصة وأن بيسان تحتاج الى المياه العذبة ـ فانها أنشأت قناة طبريا ـ بيسان لنقل المياه العذبة أو المنقاة من الملوحة .
ـ انخفاض مستوى الماء في البحر الميت ـ وصل الى ٣٩٤ مترا تحت سطح البحر ـ مما سيؤثر على المشروعات الصناعية الأردنية المقامة عليه .
ـ حرمان ١٥ كيلومترا مربعا من الأراضي السورية من السقاية المناسبة .

ـ حرمان حوالي ٤٠ ألف دونم في الأردن من امدادات المياه العذبة ، والحيلولة دون تطوير ٨٠ ألف دونم أخرى .
ـ استبدال المياه المالحة في حوض الأردن الأسفل ـ المتجة من طبريا الى البحر الميت ـ والاعتماد على مياه نهر اليرموك المنقولة بواسطة قناة الغور الشرقية .

هذا وقد لجأت سوريا والأردن اثر حرب عام ١٩٦٧م الى استغلال السيول والأنهار الفرعية التي تصب في نهر اليرموك وأقامتا سدودا صغيرة عليها . بعد أن جمدت الخلافات بينهما مشروع اقامة سد نهر المقارن على مجرى نهر اليرموك الفاصل بين القطرين . خاصة وأن « اسرائيل » تطالب برفع نصيبها منه في حال انجاز السد من ١٧ مليون متر مكعب الى ٤٠ مليونا ، وتطالب بتخصيص ١٤٠ مليون متر مكعب اخرى بدعوى انها تريدها للضفة الغربية .

يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه المشار اليه سابقا :

« قام القطر العربي السوري خلال العشر سنين الأخيرة ، ومازال يقوم ، بتنفيذ العديد من المشاريع الزراعية في منطقة حوران ، واستعان لتأمين المياه لريها بانشاء عدد من السدود السطحية الصغيرة لحجز مياه الوديان والينابيع ، واستثمارها في هذه الينابيع

..ريريب (اقيم سد صغير على بحيرة المزيريب منذ ..ة ١٩٤٣) تل شهاب ، جلين ، زيزون ، الشيخ ..كين وغيرها - ، الأمر الذي أدى الى تعديل ..اهمة اراضي القطر العربي السوري في تغذية مياه ..نهر من معدل ٤٠٠ مليون متر مكعب الى معدل ٢٢٠ مليون متر مكعب سنويا » .

وقال المهندس محمد بني هاني نائب رئيس سلطة وادي الأردن .. الذي قابلناه في عمان : « لاشك ان الأردن هو المتضرر الأساسي من تحويل نهر الأردن الأعلى الى النقب . لذلك فاننا لجأنا الى عدة اجراءات كي نقلل من المصائب التي نزلت على فلاحينا وأراضينا ومياهنا الوطنية ، منها :

- استغلال جميع مصادر المياه المتوفرة بأعلى كفاءة ، كاستعمال بعض شبكات المياه المدفونة بدلا من المفتوحة ، واستعمال الباطون للارضية ، واستخدام وسائل التنقيط للري ، والاستعانة بالأنابيب المضغوطة ، واستعمال البيوت البلاستيكية .
- استغلال الأودية والأنهار الجانبية المتبقية ، واقامة سدود صغيرة عليها ، كسد وادي العرب ، وسد على نهر الزرقاء ، (سد الملك طلال) ، وسد الكفرين ، وسد وادي شعيب وشرحبيل بن حسنة وغيرها .
- مد مياه الأغوار الشرقية حوالي ١٤ كيلو (يصبح طولها حوالي ١١٠ كيلوات) أي انها اصبحت تغطي المنطقة الممتدة من مثلث اليرموك القريب من بحيرة طبرية الى طريق القدس القديم القريب من البحر الميت .
- تم التنقيب عن المياه الجوفية في المنطقة ، وتوصلنا الى بعض النتائج الجيدة ، خاصة في المخيبة وبالقرب من وادي العرب .
- تفتيت الملكيات الزراعية الكبيرة ، وجعل سقف الملكية في الأغوار حوالي ٢٠٠ دونم ، وذلك لربط الفلاحين بالأرض . ونتائج ما بذلناه تمثلت في زيادة الرقعة الزراعية المروية ، وزيادة الكثافة السكانية التي نأمل ان تصل الى مائة ألف .

مياه الضفة الغربية :

ذكرنا في فقرة سابقة ان السلطات الصهيونية طالبت « بحقوق » الضفة الغربية المحتلة من مياه اليرموك .. فما الذي تم بالنسبة لمصادر المياه فيها ؟

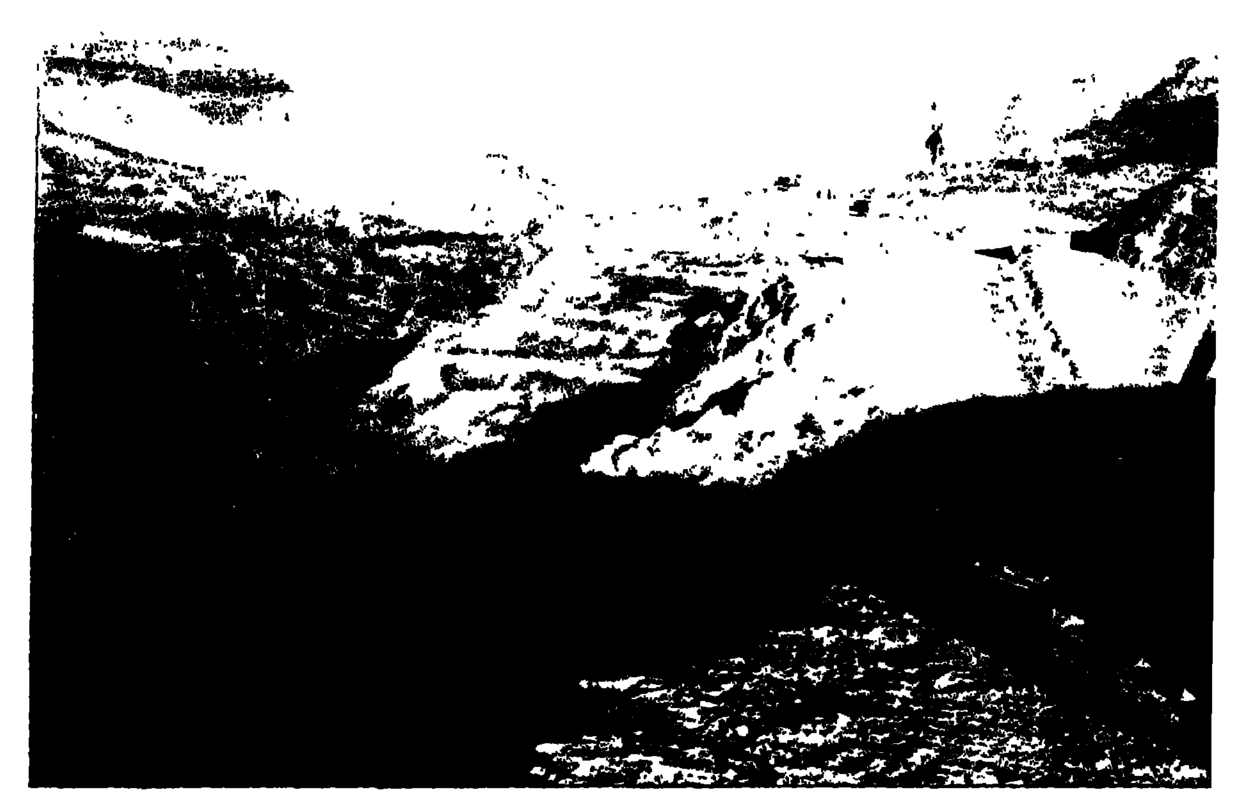
تقول الباحثة ليزلي شميدا في كتابها « الصراع على المياه » : « الحقيقة أن ثلث استهلاك « اسرائيل » من المياه قبل عام ١٩٦٧م والبالغ بليون وستمائة مليون متر مكعب جاء من الضفة الغربية ، بعد ان قامت بحفر آبار على جانب خط الهدنة مباشرة .

وقد تراوح حجم المياه العربية السنوي الذي تسيطر عليه « اسرائيل » منذ عام ١٩٦٧ بين ستمائة الى سبعمائة مليون متر مكعب (مياه جوفية في معظمها) ، أي ما يساوي تقريبا مجموع الزيادة في استهلاك « اسرائيل » من المياه منذ اواسط الستينيات . وبمعنى آخر فان توسيع المستوطنات الاسرائيلية والزيادة في انتاجها الزراعي منذ ذلك الوقت انجز في الحقيقة بمياه الضفة الغربية وأعلى نهر الاردن » .



د. محمد بني هاني .

وتضيف الباحثة : ان النوايا والأهداف الاسرائيلية في سياستها المائية في الضفة الغربية يمكن توضيحها بنشاطات حفر الآبار فحتى أغسطس - آب سنة ١٩٨٢ قامت « اسرائيل » بحفر ٣٢ بئراً جديدة على الأقل في المنطقة ، تستغل من قبل الاسرائيليين فقط ، في حين ان الفلسطينيين حصلوا على الاذن بحفر ٧ آبار جديدة فقط للاستهلاك المنزلي ، ولم يحصلوا على أي تصريح لحفر أي بئر يمكن استعمالها للري .



في هذا الموقع كان من المفترض انشاء سد المخيبة - خالد بن الوليد

اضافة الى ذلك فان الآبار الاسرائيلية أعمق ، وبالتالي تضخ مياها اكثر من الآبار العربية . ففي عام ١٩٧٧م ضخت ١٧ بئرا اسرائيلية في وادي الأردن ما مجموعه ١٤ مليون متر مكعب من المياه ، بينما ضخت ١٠٦ آبار عربية ١٢ مليون متر مكعب فقط . وقد أصبحت هذه مشكلة رئيسية بالنسبة للفلسطينيين ، لأن الكثير من الآبار الاسرائيلية حفرت على مقربة من الآبار والينابيع العربية ، وكانت نتائج ذلك في أغلب الأحيان مدمرة ، مما زاد الملوحة فيها » .

اليرموك :

تساءلنا في صفحة سابقة عن مصادر المياه التي يمكنها أن تلبي مشروعات الاستيطان الصهيونية ، والزيادة السكانية المرفودة بهجرات اليهود من شتى أنحاء العالم . . وترجيحات الخبراء والمختصين انصبت على مصدرين :

الأول : مصادر داخلية ذكرنا امكاناتها وآفاقها .

الثاني : مصادر خارجية تتمثل في نهري اليرموك ، والليطاني .

بالنسبة لنهر اليرموك (طوله من منبعه حتى مصبه حوالي ٥٧ كيلومترا) فانه مصدر حيوي واساسي حتى لمياه « الشفة » الشرب للأردن وسوريا ، وكان من المؤمل انشاء سدين عليه هما : المخيبة أو خالد بن الوليد ، الذي دمر العدو الصهيوني منشآته في حرب عام ١٩٦٧م وقبلها . وسد المقارن الذي وضعت كل الدراسات لانجازه ، بل تم اعتماد التمويل اللازم لهذا الغرض ، وكان يمكن له لو انجز ان يحجز حوالي ٤٠٠ مليون متر مكعب يمكنها الاستجابة الى كل المتطلبات الزراعية وسد الحاجات الأخرى ، كمياه الشرب او المساهمة في مخططات الصناعة وغيرها في الاردن .

الا ان مطالب الكيان الصهيوني المغالية في حقه بمياه اليرموك (يمر اليرموك في الاراضي العربية المحتلة عدة كيلومترات لا يستحق عليها العدو كما قدر ذلك الكثير من خبراء الري الا ١٧ مليون متر مكعب فقط) ، وسيطرة العدو الصهيوني على هضبة الجولان أعاقا أية محاولة لاقامة سد على الحدود أو بالقرب منها ، اضافة الى عدم وجود اجواء عربية مناسبة ذكرناها من قبل .

فهل يكون اليرموك هدفا للعدو . . اذا ما وجد ان كل مصادر المياه المتاحة له لا تستجيب الى طلبات الأرض والسكان المتزايدة على المياه ؟

وما هي علاقة الليطاني بالكيان الصهيوني ؟ . . مع

علم بأن كل المسافة التي يقطعها النهر من منبعه بالقرب من بعلبك في منطقة البقاع اللبنانية الى مصبه في منطقة القاسمية في البحر الأبيض المتوسط هي مناطق لبنانية كاملة (طول النهر حوالي ١٤٥ كيلومترا) .

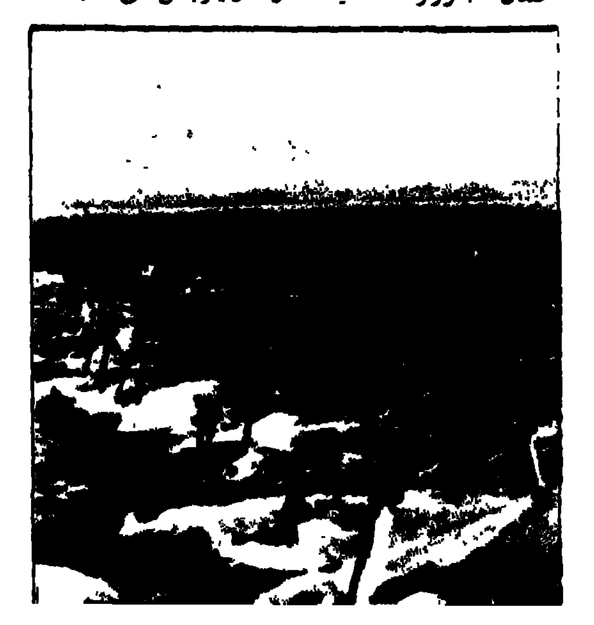
يقول المهندس صبحي كحالة في كتابه : « ان مشكلة المياه في « اسرائيل » مازالت قائمة ، وانفراجها خلال سني السبعينيات اثر استيلائها على مصادر المياه العربية وتصرفها دون رادع ، هو انفراج مؤقت . ومن المؤكد ان ازمتها المائية ستزداد في العقود القادمة ـ صدر الكتاب سنة ١٩٨٠ ـ مادامت سياستها التوسعية مستمرة ، ومادام اصرارها على توطين المزيد من ملايين المهجرين اليهود في ارض فلسطين مسيطرا » .

وقال لنا المهندس كحالة نفسه عندما قابلناه في دمشق (١٧/١٢/١٩٨٤) : « باعتقادي أن أزمة المياه ستبرز واضحة في الكيان الصهيوني في عقد التسعينيات » .

وتقول الباحثة شميدا في كتابها « في عام ١٩٩٠ سوف تحتاج « اسرائيل » الى ما بين أربعمائة الى أربعمائة وخمسين مليون متر مكعب اضافية من الماء لمواجهة الاستهلاك المنزلي فقط ، مما يعني أنه يتوجب على « اسرائيل » مضاعفة استهلاكها الكلي من الماء ، اذا كانت تريد تجنب انخفاض مستوى المعيشة والانخفاض في نموها الاقتصادي » .

فما هو المصدر الأقرب الى عيون المراصد والمصالح الاسرائيلية ؟

عمال . وزراعة محمية وعدو يتربص على الجبال



اليرموك . . أو الليطاني . . هما الهدف . . فهل نعي ذلك . . ونتخذ الاجراءات اللازمة قبل أن يتم وضعنا أمام الأمر الواقع ؟

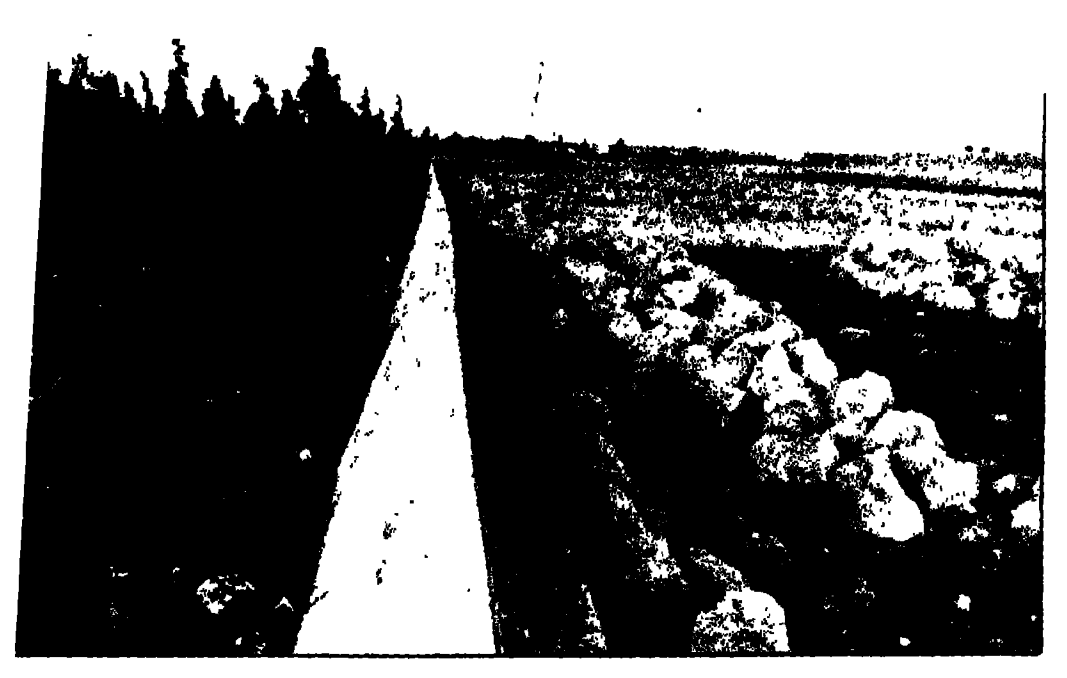
الليطاني :

انهدام بين جبلين يأخذ مسارا طوليا يمتد من الحدود السورية جنوبي سهل حمص ليحاذي حدود فلسطين الشمالية . . يعتمد عليه لبنان في تموينه بمعظم خضراواته ، . انه سهل البقاع الذي يقع بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية ، اللتين تكتسيان بالثلج في الكثير من أشهر السنة . كان الثلج قريبا من حواف الطرق في بعض المناطق النقاعية التي زرناها (٢٠/١٢/١٩٨٤) .

كان جلال الشيب الذي يحيطنا من طرفي الجبلين يفرض علينا لحيظات من التأمل والتمعن . . وفجأة دوت طلقات المدفعية وظهرت خطوط بيضاء في السماء . . لقد كانت الطائرات الاسرائيلية وهي توالي طلعاتها الاستكشافية . . تقابلها طلقات المقاومين الذين مازالوا على عهد المقاومة .

هذه الوفرة في الثلوج واستمرارها لأشهر معدودة من السنة ، من الطبيعي ان ينتج عنها وجود عدة ينابيع وأنهار في المنطقة : البردوني (يصب في الليطاني) والعاصي (ينبع بالقرب من قرية اللبوة) الذي عصى طبيعة مسار الأنهار ، فاتجه شمالا ليدخل الأراضي السورية ، والليطاني . . تتجمع ينابيعه من بحيرة اليمونة وينابيع العليق والعسل واللبن وغيرها ، ويتجه جنوبا فيمر بالقرى البقاعية . . ثم يتعرج . . ليصل الى منطقة الجنوب اللبناني ، فيسمى بالقرب من الساحل باسم نهر القاسمية ، اقيمت عليه بحيرة القرعون ـ بالقرب من قرية القرعون البقاعية ـ التي وفرت طاقة كهربائية لمعظم المناطق اللبنانية . . . وارتوت من مياهه العديد من القرى والبساتين خاصة في الجنوب ، (بساتين القاسمية الغنية بالحمضيات التي تصل مساحتها الى ٥٠ ألف دونم تقريبا) .

ذكرنا أن الأطماع الصهيونية في مياه نهر الليطاني قديمة . . قدم الحلم باقامة الكيان الصهيوني . . وقد جاء في مذكرة الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن المقدمة بتاريخ ٣٠/١٠/١٩٢٠ الى وزير الخارجية البريطاني



سد صغير بالقرب من قرية الشيخ مسكين بسوريا

انذاك . « اني متأكد من أن سيادتكم تدركون أهمية الليطاني الكبرى لفلسطين ، فلو تأمنت لها جميع مياه الأردن واليرموك لن تفي بحاجاتها ، ان الليطاني هو المصدر الذي يمكنه ان يؤمن المياه لري الجليل الأعلى ولتوليد الطاقة الكهربائية لاحياء الصناعة » .

وفي سنة ١٩٥٤ قدم الكيان الصهيوني مشروعه البديل للمبعوث الأميركي جونستون ، حول موضوع الأنهار ، وتضمن المشروع المطالبة بحصة من مياه الليطاني تصل الى ٤٠٠ مليون متر مكعب ، ليبقى للبنان صاحب النهر منبعا ومجرى ومصبا ٣٠٠ مليون متر مكعب فقط !!

لم يكف العدو الصهيوني عن المطالبة واستنساح الفرص المناسبة للسيطرة على مياه الليطاني ، فغزا لبنان سنة ١٩٧٨ وسمى عملية الغزو « بالليطاني » واحتل أجزاء منه ، وتعاون مع مجموعات مسلحة سماها « جيش لبنان الجنوبي » كي تحافظ له على أمن مستعمراته في شمال فلسطين .

ثم غزا الكيان الصهيوني لبنان في صيف عام ١٩٨٢ ، بحجة اخراج الفدائيين الفلسطينيين من جنوب لبنان ، فأصبح الليطاني تحت السيطرة الاسرائيلية . . وقد ذكرت مصادر كثيرة ان « اسرائيل » أقامت منشآت عديدة لتحويل الليطاني والسيطرة على مياه الوزاني والحاصباني .

ذكرت ليزلي شميدا في كتابها : « لقد أجرى المهندسون الاسرائيليون عدة مسارات للتحويل ، وقد اكتملت خطة التحويل الرئيسية لهذا النهر منذ عدة سنوات ، وتتكون من مجموعة من القنوات وقنوات الجر والسيفونات والانفاق التي ستحمل مياه نهر الليطاني من جنوب لبنان الى بيت ناتوفا ـ البحيرة الاصطناعية القريبة من بحيرة طبريا ـ حيث تفرغ هناك في خط المياه الذي يمتد الى النقب »

ويقول الدكتور كمال حمدان في دراسة له نشرتها جريدة السفير اللبنانية بتاريخ ١٩٨٤/١/٦ مايلي :
« كانت الشكوى اللبنانية المقدمة الى مجلس الأمن في آب ـ اغسطس من سنة ١٩٨٤ قد أكدت وجود حفريات بين قريتي كفركلا ودير ميماس اللبنانيتين الواقعتين على اقصر خط نظري بين الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية ومجرى نهر الليطاني » وذلك لتحويل النهر .

كما ان مجرى نهري الوزاني والحاصباني (يصبان في نهر الاردن قبل وصوله الى بحيرة طبريا) يتعرضان لخطر التحويل الكامل والسيطرة الكاملة على مياههما (طاقة تصريف النهرين من المياه تصل الى حوالي ١٣٥ مليون متر مكعب سنويا)

وبالرغم من انسحاب « اسرائيل » من بعض اجزاء الجنوب اللبناني (انتهت المرحلة الأولى بتاريخ ١٩٨٥/٢/١٨) فإن الخطوط الجديدة لوجود القوات الصهيونية تم تثبيتها على نهر القاسمية بالذات ، ومع أن العدو الصهيوني أعلن أنه سينسحب الى خطوط الهدنة المثبتة اعتبارا من سنة ١٩٤٨م بينه وبين لبنان في

مراحل لاحقة ـ سميت بالحدود الدولية ـ . فان مياه الليطاني والوراني والحاصباني بل والأراضي اللبنانية كلها تبقى ضمن الأطماع الصهيونية المعلنة مرارا وتكرارا ، . وان الانكفاء الحاصل ما هو الا ترصد وكُمون الانتظار للفرص المناسبة !

جسور الأحزان :

وبعد عزيزي القارئ . . كانت السماء ملبدة بالغيوم ، وكانت نقط المطر تعانق الأرض العطشى برقة وتؤدة . . البحر الميت تسمع حفيف أمواجه كأنها أوراق ناعمة ، وأريحا تنزوي على الطرف الآخر مزنرة بالمستعمرات التي تحيط بها . . وجبال القدس تظهر عليها مباني العيزرية البيضاء كنقط صغيرة (تبعد جبال القدس حوالي ٣٠ كيلومترا عن الحد الجنوبي من البحر الميت) .

مررنا بعدة قرى تزرع الحمضيات والموز والخضراوات المحمية بالبلاستيك ، قرى شهدت تاريخا من المعارك القديمة ، (الكثير من مقامات الصحابة كضرار بن الأزور ، ومعاذ بن جبل ، وسعد ابن ابي وقاص ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم مازالت قائمة في العديد من قرى الأغوار) ، والحديثة . . معركة الكرامة وغيرها من معارك سنة ١٩٦٨ بين الكيان الصهيوني من جهة والفدائيين الفلسطينيين والجيش الأردني من جهة اخرى . ثم اتجهنا الى قرية الشونة الجنوبية . وتوغلنا لعدة كيلومترات (حوالي خمسة) . . . وفجأة برز العلم الاسرائيلي واضحا في وجوهنا . .

كان الموقع هو جسر الملك حسين (اللنبي سابقا) ، لا يزيد طوله على ٥٠ مترا وعرضه حوالي خمسة امتار ، نقطة الفصل بين حدي الحدود مجرد برميلين تنكيين على عرض الجسر . . سألت :

* هل تحادثونهم سيدي الضابط ؟

ـ وهل يحادث الانسان عدوا . . أجابني ضابط نقطة الحدود وهو يحمل جهاز اللاسلكي بيده ويخابر عمان . .

الكمين الاسرائيلي على بعد امتار قليلة ، يرصد كل حركة على الجسر . . والجنود الاسرائيليون على الطرف المقابل يصل حديثهم الى المسامع واضحا ، اقف على حافة الجسر واتمعن الحافلات المغادرة بانشداده الى الضفة الغربية أو الاتية منها هم أهلنا الذين مازالوا في قلب دائرة الحصار . . والمقاومة . التفت الى يساري فأرى جسر اللنبي ركاما مكوما منذ حرب عام ١٩٦٧ . .

وأتمعن بالمياه المعكرة المنسربة تحت الجسر . . انها مياه نهر الأردن الأسفل . . بعد خروجه من بحيرة طبريا . . سألت :

* ألا تصلح للزراعة ؟

ـ انها مالحة الى درجة ان السمك الذي يسير معها من بحيرة طبريا يعافها ويقذف نفسه منتحرا على جانبي النهر . (تصل الملوحة الى ٢٥٪) .

* هل هذا ما تبقى من نهر الأردن ؟

ـ يجيب مرافقنا المهندس . . هذا هو . . مياه مالحة لا تصلح للزراعة ، اضافة الى انها منخفضة عن سطح البحر حوالي ٢٠٠ متر .

* الا يوجد حل لملوحة المياه هذه ؟

ـ الحل هو بخلطها بمياه عذبة . . لكن من اين نأتي بالمياه العذبة ؟

* ألم تتأثر الزراعة والابار في المنطقة ؟

ـ لقد تأثرت كثيرا ، ونحن بصدد محاولة معالجة الأمر من خلال مشروع قناة الأغوار الشرقية .

* هل يمكن تلبية الحاجة تماما ؟

ـ علينا ان نحاول !

* والبحر الميت ألم يتأثر بانخفاض منسوب مياه نهر الأردن ؟

ـ لقد ازدادت ملوحته وانخفض منسوب المياه فيه . . وهناك مشروع لانشاء قناة البحرين ، اي لنقل مياه البحر المتوسط الى البحر الميت تسعى السلطات الصهيونية لانشائه ، . . وهو يمثل خطراً كبيراً على المصانع والمنشآت الأردنية المقامة عليه .

تمعنت المنطقة مليا ، كان المطر مازال يهمي خفيفا . . وكان نهر الأردن المالح يسير متئدا . . والكمين الاسرائيلي يرصد حركتنا ، وجسر اللنبي مازال مكوما مقصوفا ، . . وأريحا ارى ملامح وجهها وراء نقطة الحدود مكسوة بغلالة حزن الأسر ، ومزنرة بطوق المستعمرات الاسرائيلية التي تحيط بها . حينئذ تذكرت قول من قال : ان صراعنا مع العدو الصهيوني هو صراع وجود ! . . □



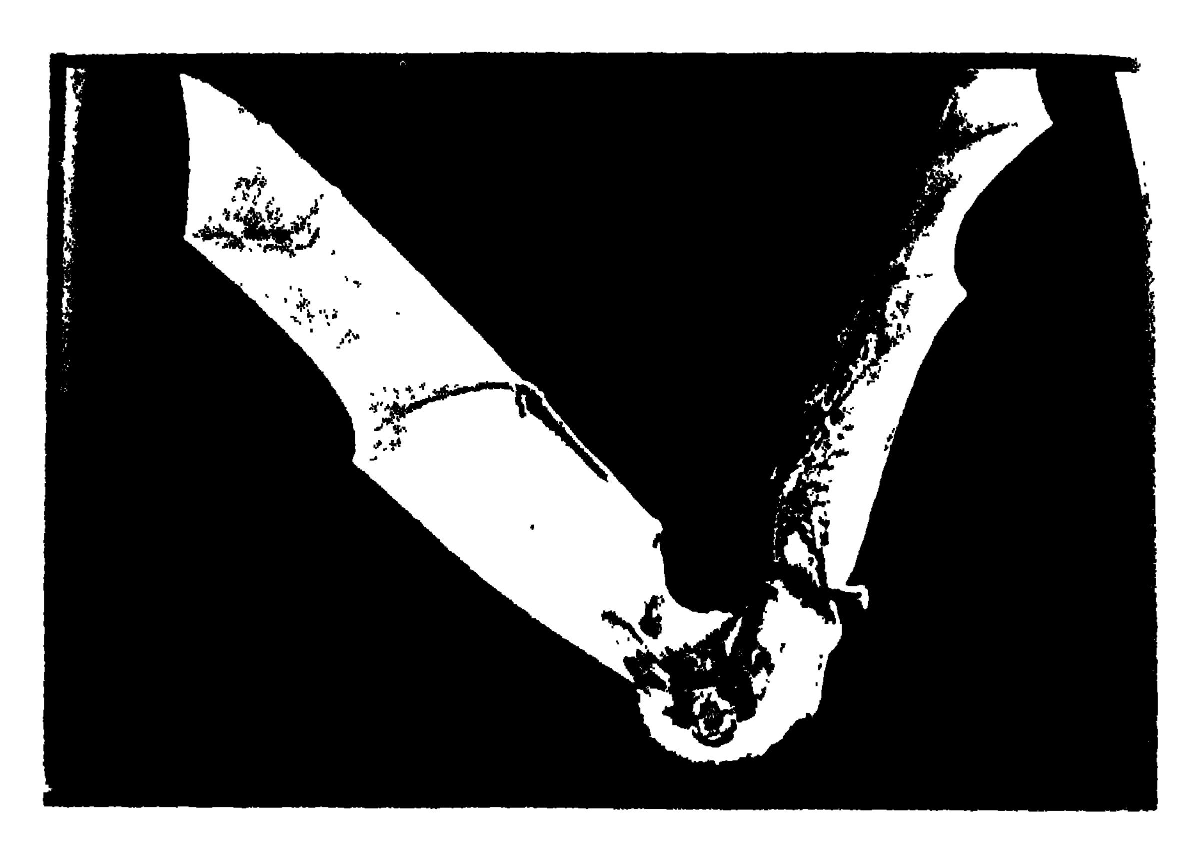
شارة تكريم للمتفوقين من البشر في استخدام تكنولوجيا الحرب الحديثة ، وعلى الشارة تحتل حشرة مركز الصدارة ، وذلك لأسباب أوردناها في المقال .

حرب خفية.. بتقنية غير بشرية

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

تقنية البشر المتقدمة هي صورة أخرى عن تقنية أكثر دقة واكثر تعقيدا هي تقنية الحشرات . وقبل أن يكتشف الانسان جهاز الرادار وأجهزة الانذار المبكر كانت الخفافيش والفراشات وغيرها من الحشرات تستخدمها في صراعها الرهيب من أجل البقاء . وهذا المقال يروى قصة الاكتشاف المثير في عالم اكثر اثارة .

تعتمد ادارة التدريب المشترك لكل من القوات البحرية والجوية بالولايات المتحدة الأمريكية ، شارة خاصة تمنح للذين يجتازون الامتحان النهائي للتدريب على استخدام الموجات والموجات المضادة المستخدمة في الهجوم والدفاع عن طريق الأجهزة الرادارية والالكترونية المتطورة ، ولو ألقيت نظرة سريعة على هذه الشارة (شكل ١) ، لوجدتها تحمل صورة حشرة ، أو بالتحديد فراشة اسمها العلمي



شكل (٢) الخفاش يطير بجناحين ، وليس له منقار او ريش ، بل شعاه وانياب واذان طويلة . وهذا ما حير الناس ، فحاكوا حوله الأساطير

« ميليز لوداميا » Melese laodamia وهي نوع واحد من عائلة تضم ستة آلاف نوع وتنتشر انتشارا واسعا في القارات الخمس .

وطبيعي أن لهذا الاختيار الغريب ما يبرره ، اذ أن هذه الحشرة - مع غيرها - قد ظلت تستخدم « تكتيك » الدفاع والمناورة مع الخفافيش ، مستعينة على ذلك بتقنية الموجات والموجات المضادة منذ عشرات الملايين من السنين ، ومن أجل هذا احتلت موقع الصدارة على الشارة ، وكأنما هى تشير الى أن الانسان ليس هو مخترع تلك التقنية الحربية ، ومن هنا كان التكريم - ليس للفراشة بالتحديد ، بل لفكرة سابقة دالة على بديع الصنع ، وروعة التدبير ، بدليل ان الفكرة قد استغلت وصمدت كل هذه الملايين من السنين !



شكل (٣) غابة من الأنابيب الرفيعة التي تشكل متاهات متداخلة لتمرق الخفافيش خلالها ، ودون ان تصطدم بها ، ويرجع ذلك الى كفاءة استخدامها لموجاتها ، وكأنما هي ترى بآذانها في الظلام .

ولا يحسبن الانسان نفسه - بعد ذلك - أنه صاحب الافكار المبتكرة ، والتصميمات المذهلة ، والأجهزة المتطورة ، ووسائل التخاطب والاتصالات والتشييدات المتباينة . . الى آخر هذه القائمة الطويلة

التى يباهى بها ويفاخر ، اذ لو عاد الى الطبيعة ودرس أسرارها ، واستوضح مكنوناتها ، وعرف نواميسها ، واستلهم قوانينها ، لخرج من ذلك بحصيلة علمية هائلة توضح له أنه « لا جديد تحت الشمس » كما يقولون ، فكل فكرة للانسان ، انما جاءت على أساس فكرة فى الخلق سابقة ، ولا يعرف ذلك الا العلماء الذين درسوا اسرار الطبيعة وألغازها .

اكتشاف مثير

كان لبداية الكشف عن سر الحرب التى تستخدم فيها الموجات فوق الصوتية قصة واقعية حدثت فى شرفة منزل العالم الأمريكى دكتور كينيث رويدر ـ أستاذ علم الحيوان بجامعة « تفتس » بولاية ماساشوسيتس ــ ففى ليلة صيف دافئة من عام ١٩٥٦ جلس هو وبعض زملائه يتسامرون فى شرفة المنزل ، وبالصدفة أمسك أحدهم بغطاء زجاجة من الفلين وحركه بضغط شديد على حافة كوب زجاجى ، فانطلق منه صوت حاد ، والى هنا يبدو الأمر عاديا تماما ، لكنه لم يكن كذلك حقا ، اذ ان ما حدث بعد ذلك كان ملفتا للنظر ، فلقد قامت الفراشات ـ التى كانت تحوم حول المصباح الكهربى المضىء ـ بعملية هبوط مفاجىء على أرضية الشرفة ، وكأنما قد أصابها الشلل بغتة !

لم تمر هذه الملاحظة المتواضعة مرورا عابرا ، بل جذبت انتباه الحاضرين ، وعلى رأسهم بروفيسور رويدر . ولقد ظن بعضهم ـ بادىء الامر ـ أن هذا الهبوط الفجائى ربما كان بسبب شلل عارض فى الجهاز العصبي للفراشات ، نتيجة لذلك الصوت الحاد ، إذ أحيانا ما يحدث الشىء نفسه لبعض الكائنات عندما تتعرض لضوضاء شديدة تفقدها وعيها لفترة غير قصيرة .

لكن الفراشات التى هبطت فجأة ، بدأت تتحرك هنا وهناك بسرعة ، وظلت هكذا ـ فى حركتها ـ مضطربة ، كأنما تخشى من بلاء قادم . ثم ما لبث أن حلقت فى الهواء ، وانطلقت الى غير رجعة ، وكأنها تتجنب كارثة محققة ، ومن أجل هذا عقد العلماء العزم على تحرى أسباب هذه الظاهرة المثيرة . وفى معامل الجامعة تعاون كل من رويدر وزميله دكتور اشر تريت فى دراسة سلوك هذه الفراشات ، واستمر البحث سنوات ، فتمخض عن حقائق مذهلة لم تكن لتطرأ على بال احد، فهناك الآن قائمة بأكثر من خمسمائة بحث منشور عن تقنية الموجات فوق الصوتية القائمة بين الخفافيش والحشرات ، ومع ذلك فقد كشف العلماء عن اسرار ، وبقيت أسرار أخرى كثيرة تستوجب كشف غموضها ، ومعرفة ألغازها ، لأن المعرفة هنا قد تفيدنا فى تطوير أفكارنا ، وصقل أجهزتنا ، أو قد نسيطر بها على انتشار تلك الحشرات ، ومعظمها ضار بالزرع والضرع .

مشاكل تقنية معقدة

العلماء الذين يتعاملون مع النظم البديعة الموزعة بين المخلوقات يعلمون قبل غيرهم أنهم يقفون أمام آيات فى الخلق قدرت تقديرا مذهلا ، وأنها قد وصلت الى درجات من الاتقان والكفاءة التى يصعب هضمها بعقولنا . . مثل أجهزة ارسال الموجات فوق الصوتية ، وأجهزة استقبال الموجات المرتدة التى تحدد بها الخفافيش أهدافها بدقة تامة ، حتى لو كان هذا الهدف فراشة صغيرة أو حتى بعوضة محلقة . . وقد تبدو هذه المشكلة هينة لينة ، لكن الذين يدرسون علوم الفيزياء عامة ، والموجات فوق الصوتية خاصة ، يدركون تماما أن الأمر ينطوى على شىء أشبه بالمعجزة !

دعنا نبسط هذه المسألة . لتتصور مثلا انك تجلس فى قاعة بها موسيقا صاخبة ، ممتزجة بأصوات بشرية عالية ، تحجب كل صوت هامس ، ثم زعم صديق يجلس بجوارك فى هذا الوسط الضوضائى الصاخب أنه يسمع طنين ذبابة أو بعوضة يأتيه من مسافة مترين أو ثلاثة ، عندئذ لن تصدقه أنت ، ولن يصدقه أحد ، لأن التموجات الصوتية الضعيفة تحجبها التموجات القوية ، كما يحجب ضوء مصباح قوى ضوء شمعة ملاصقة له ، او كما يحجب ضوء الشمس الساطع ضوء المصباح الكهربى .

ضع هذه الأمور فى الحسبان مع أخذك فى الاعتبار ما يعترض الخفاش من مشاكل مشابهة ، فالخفاش يطلق موجات فوق صوتية ذات ترددات عالية ومزعجة ، ولنتصور سربا يتكون من مئات وآلاف

الخفافيش ألتى تطلق موجاتها القصيرة وغير المسموعة للآذان البشرية ، لكنها بالنسبة لهذه الكائنات ضوضاء عالية تستقبلها اذانها رغما عنها ، لكن اذانها ـ مع ذلك ـ تستطيع أن « ترشح » الصدى الصوتى الواهن المرتد من بعوضة أو فراشة . . ومع أن هذا الصدى أضعف بنحو ألفى مرة من الضوضاء التى يطلقها الخفاش ، الا أنه يستطيع أن يلتقطها ويحدد مصدرها من بين « غابة » كثيفة من فوضى الاصوات التى تطلقها آلاف الخفافيش . لكن أحدا من العلماء لم يستطع أن يعرف الكيفية التى يتغلب بها الخفاش على هذه المشكلة التقنية المعقدة !

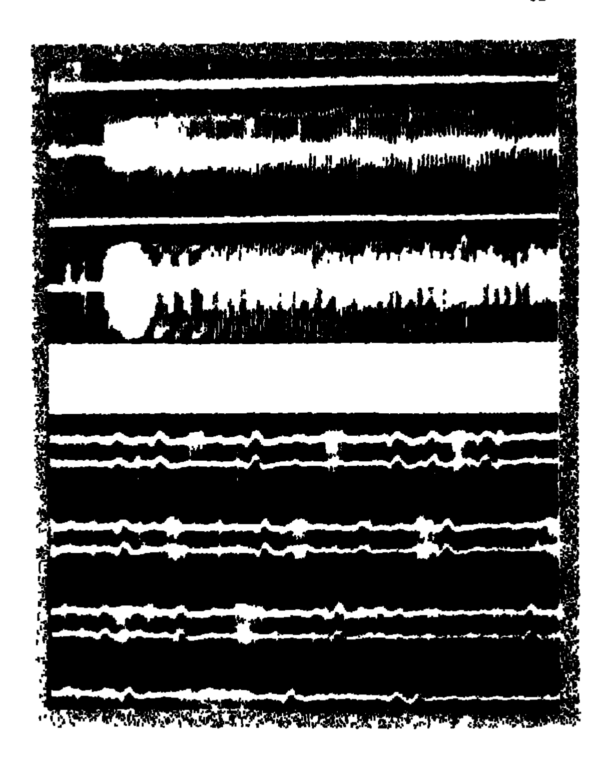
ولكى يتأكد العلماء من هذه الحقيقة ، قاموا باجراء تجارب مثيرة ، منها ـ على سبيل المثال انهم سلطوا على الخفافيش موجات فوق صوتية ، وبنفس أطوال موجاتها ، وذلك بغرض تداخل هذه مع تلك ، وابطال مفعولها ، لكن الخفافيش ـ مع ذلك ـ استطاعت أن « ترشح » موجاتها المرتدة من بين هذا الضجيج ، وسلكت سبلها بسلام ، ودون أن تصطدم بالعوائق التى وضعت فى طريقها . ليس ذلك فحسب ، بل زيدت الضوضاء الى ألفى ضعف مما تطلقه الخفافيش . ولم يغير ذلك فى الأمر شيئا ، أما كيف توصلت الخفافيش الى حل هذه المشكلة ، فلا أحد يعرف ذلك يقينا .

نعود لنقول : لو أن الاذن البشرية قدر لها سماع صيحات الخفافيش ، لأصبح الخلاء الذى تنطلق فيه مصدر ضوضاء مزعجة ومقلقة ، لكن عدم سماعنا لها ، أو احتجابها عنا ، ليس من قبيل الرحمة بنا ، عندما نلجأ الى فراشنا ، بل يرجع ذلك الى مبدأ علمى عرفه الانسان حديثا جدا ، وسبقته به الخفافيش منذ ملايين السنين . . فالموجات فوق الصوتية تتميز بترددات عالية ، أى أن موجاتها أشد ، وأصواتها أحد ، وانعكاساتها من الأهداف أكثر تحديدا لمواقع هذه الأهداف وأحجامها ، حتى لو كان ذلك على هيئة سلك رفيع ممتد ، او بعوضة محلقة ، وكأنما ارتداد الموجات فوق الصوتية من الهدف بمثابة شعاع الضوء الذى ينعكس من الشىء الى العين فتراه ، لكن لا مانع من تقنية بيولوجية متقدمة تهيىء للخفاش من أمره رشدا ، « فيرى » الأشياء بأذنيه لا بعينيه ؟

قديما وصف الجاحظ غذاء الخفاش فى كتابه « الحيوان » بقوله « لا يجوز ان يكون طعمه الا من البعوض ، وقوته من الفراش ، ثم لا يصيده الا فى وقت طيرانه فى الهواء » . . وعن سلوك الخفاش وابصاره يذكر « ومن أعاجيبه انه لا يطير فى ضوء ولا فى ظلمة ، وهو طائر ضعيف ، قوى البصر ، قليل شعاع العين الواصل من الناظر ، ولذلك لا يظهر فى الظلمة ، لأنها تكون عامرة لضياء بصره ، عامرة لمقدار شعاع ناظره . . » الخ .

وما ذكره الجاحظ عن طريقة غذاء الخفاش ، وسبل صيده ، فهو صحيح ، لكن قلة شعاع العين مزعم خاطىء ، اذ ظن الاقدمون أن العين تبصر عن طريق شعاع خفى يخرج منها لترى به الاشياء ، ولقد كان أول من صحح هذا المفهوم الخاطىء العالم العربي الحسن بن الهيثم ، اذ قرر ان الضوء او الشعاع هو الذى يسقط على الشىء ، فينعكس منه الى العين لتراه ، وليس العكس صحيحا أضف الى ذلك أن الخفاش ليس قوى البصر . كما انه يستطيع التحليق فى الظلام الحالك ، لأنه يعتمد على موجاته فوق الصوتية التى ترتد الى أذنيه ، فترسم له خريطة للمجال الذى يطير فيه حتى ولو لفه الظلام .

وطبيعى أن للجاحظ عذره ، اذ لم يكن زمانه يعرف العلوم التجريبية ، وظل الخفاش محاطا بالاساطير ، الى ان جاء العالم الايطالى سبالانزانى فى عام ١٧٩٤ ، وكان يعتقد مع غيره أن الخفاش يمتلك حاسة خفية غير الحواس المعروفة . لكن سبالانزانى لم يعرف طبيعتها ، وتحدى من يستطيع إكتشافها ، وقبل المدعو لودفيج جورين السويسرى تحدى الايطالى ، وقرر أن السر يكمن فى اذنى الخفاش لا فى عينيه ، بدليل أن الخفاش سوف يتخبط على غير هدى لو حل بأذنيه أذى ، وتعجب سبالانزانى من هذا الاستنتاج ، لكنه لم يقف عند حد التعجب ، بل تخطاه أيضا الى مرحلة التجربة ، فقام باجراء عدة تجارب رائدة على الخفافيش ، واتضح أنها لا تستخدم عيونها فى الصيد ليلا ، فلو طمستها ، فسوف تضل مسارها ، لكن طمس الاذنين سوف « يعميها » ، والى هذه الحدود لم يستطع أحد أن يضيف جديدا ، وظل الأمر محيرا بعد ذلك لحوالي ١٥٠ عاما ، ولم يتضح الا فى حوالى منتصف القرن العشرين ، فالخفاش يطلق دفقات



شكل (٤) لغة حشرة نوع واحد سجلها العلماء على أجهزتهم الحساسة من خلال ما يحس به جهاز الاستقبال عند الحشرة . وشرح هذه اللغة الموجية يطول ، لكن ما تراه هنا ليس الا ترجمة لما تستقبله الحشرة من موجات صوتية من خفاش ، وتحت ظروف متغيرة ، فتغير ما بها ، حتى تفلت بجلدها .

بين الصيد والصياد

لكن الجانب التطبيقي او التقني لهـ . التصميمات البيولوجية يتضح أكثر عندما تظهر مـ مسرح الأحداث بعض أنواع خاصة من الفراشا التي تلعب مع الخفافيش لعبة خطرة من العاب المو والحياة .

والواقع ان العلماء قد سجلوا الحرب الدائرة بير الخفافيش المحلقة ، والحشرات الهائمة بالموجه والصوت والصورة (شكل ٤) . . وبعمليات تشريح دقيقة . وتعرفوا على محطات البث والاستقبال في الخفافيش ، وعلى أجهزة التنصت الحية التي تمتلكها بعض الحشرات ، لتتسمع على الموجات ونحن لا نستطيع أن نتعرض لتفاصيل هذه التكنولوجيا البيولوجية هنا ، فالحديث فيها يتشعب ويطول والمجال ضيق ، لكن يكفي أن نذكر ان الخفافيش تبث موجاتها فوق الصوتية باندفاع الهواء من « صناديق قوية حية » فيمر بضغط كبير من خلال حناجرها الى أفواهها على هيئة تموجات سريعة تصل شدتها الى ما بين ٤٥ الف الى ٩٠ ألف تردد أو اهتزازه في الثانية الواحدة ، وهذه لا نسمعها ، لأن الاذن البشرية تسمع في حدود ترددات تقع ما بين ٢٠ ، ٣٠ الف تردد في الثانية ، وكلما كان التردد أشد كان الصوت أحد ، ثم يصبح أكثر حدة في الموجات فوق الصوتية التي لا نسمعها ، لكن الفراشات تستطيع ذلك .

ولا شك أن هناك مشاكل تقنية عويصة بين الصيد والصياد ، لكن الخفاش متكفل بحل مشاكله ، ويعرف تماما كيف يغير من « تكتيكه » ، وهذا التكتيك مؤسس على مبادىء علمية هامة يعرفها العلماء حق المعرفة ، وعليها نؤسس أجهزتنا في تطبيقات لا نحصيها عدا لكن الخفاش قد عرفها ، أو هي قد أوحيت في تكوينه وحيا جميلا ، لكن يكفي أن نذكر مثالا واحدا نوضح به ما قدمنا فاوجزنا .

خذ على سبيل المثال حشرة ضئيلة محلقة مثل ذبابة الفاكهة التي لا يتجاوز طولها ملليمترين ونصف ، ووزنها جزء من الف من الجرام ، ورغم هذه الضآلة وزنا وحجما ، الا أنها كافية لأن تعكس الموجات فوق سريعة من الموجات فوق الصوتية ، لتصطدم بالهدف ، ثم يرتد صداها الى أذنيه ـ كما سبق أن ذكرنا .

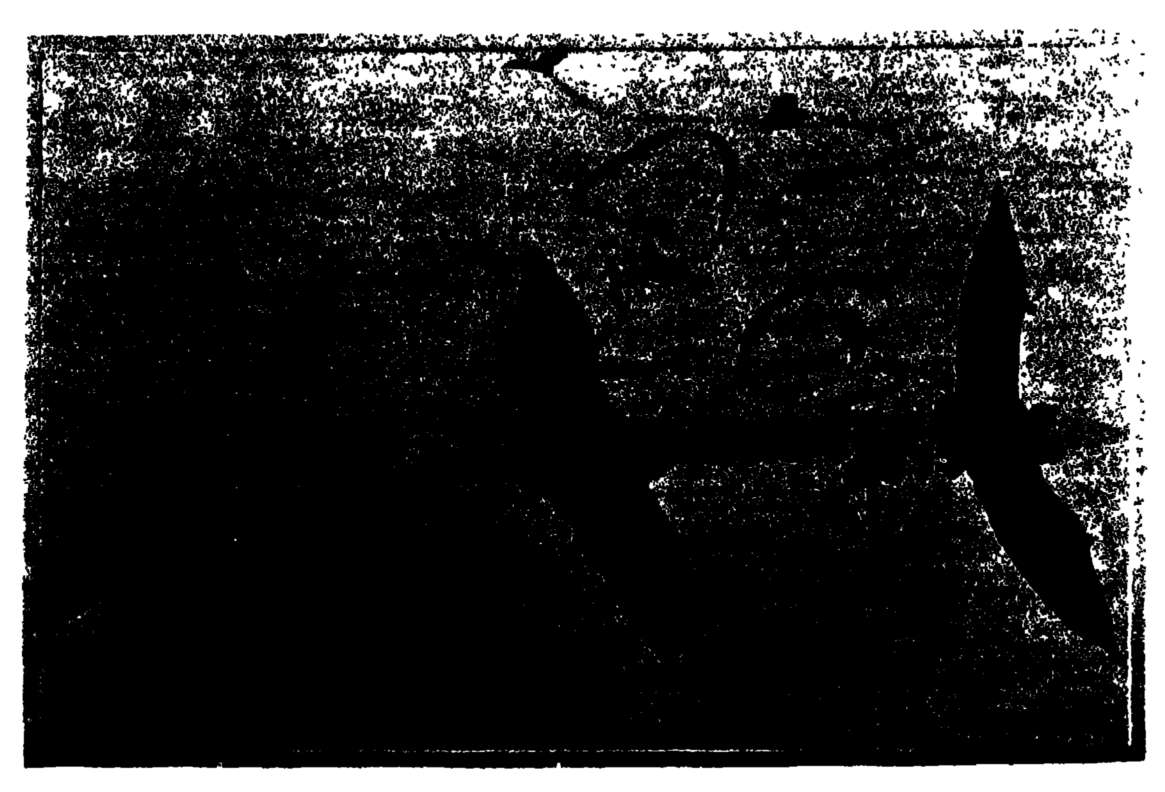
والتجارب الكثيرة والمثيرة التي أجراها العلماء على الأنواع المختلفة من الخفافيش توضح بحق أنها تمتلك تصميمات بيولوجية مذهلة ، ثم انها تستخدمها ببراعة فائقة ، ولقد وضعوا في طريقها عوائق على هيئة انابيب دقيقة تتداخل وتتشابك في متاهات من الحلقات التي تسمح بتحليق الخفافيش من خلالها في صالة كبيرة مغلقة ومظلمة (شكل ٣) واستمر تسجيل طيران الخفاش لست ساعات كاملة ، دون أن يصطدم بواحدة . واعتبر العلماء هذه المناورات المتقنة بمثابة واحدة من معجزات الخلق المحيرة ، وكأنما لسان حالهم كان يقول كما قال الجاحظ من قبل في وصف رشاقة الخفاش في كتاب الحيوان !

ـوتية الى أذني الخفاش فيشعر بها وهو على مسافة ا تقدر بنصف المتر ، وفي جزء من الف جزء من انية ، أو بعد أن يكون قد قطع عشرة سنتيمترات ط من استقبال الموجات ، يقوم بحركة التفاف رعة ، وفي الوقت ذاته تنطلق منه موجات أكثر ، عدد من الترددات أكبر ، وبأطوال أقصر ، لتكون كفاءة في الرصد اتقن ، وكل هذا نزول على قوانين معادلات الفيزياء التي يطبقها الخفاش بكفاءة « وذكاء » .

والخفاش لا شك صياد بارع ، اذ يستطيع ان يرصد ويصطاد ويلتهم عددا كبيرا من الحشرات . ولقد أحصى له العلماء ما اصطاده ـ وهو ينطلق بين سرب من البعوض ـ بخمسة آلاف بعوضة خلال ساعة واحدة . . ولقد اتضح أنه لا يصطادها بفمه ، بل يحويها بطرف جناحه ، وبسرعة خاطفة يحولها الى فمه !

تكتيك وتكتيك مضاد :

والخفاش يطلق صيحاته فوق الصوتية ، فتنتشر في الهواء كما ينتشر الضوء من مصباح سيارة ، وكلما ابتعد الضوء عن المصدر ، زاد اتساعا وانتشارا وضعفا ، وكذلك الموجات الخفاشية التي اصبحت بدورها بمثابة « كشاف » صوتي يكشف له الافق الممتد امامه ، ويوضح له ما قد يعترض تلك الموجات من بعوضة محلقة ، او حشرة هائمة ، او عوائق معترضة ، لكنه ـ وبسرعة فائقة يحدد الغث فيتجنبه . اما السمين فينجذب اليه بدقة قذيفة موجهة ، فاذا بالصيد ـ في لحظة خاطفة ـ يصبح لقمة سائغة . . لكن ليس كل ما يهواه الصياد يدركه ، وكذلك الأمر مع الخفافيش اذ توجد اجهزة تنصت دقيقة ترصد موجات العدو ، وتحدد سرعته واتجاهه ، لتقوم بعمليات توجيه ومناورة سريعة ، فتفوت على المهاجم فرصته (شكل ٥)



شكل (٥) يوضح كيف يندفع الخفاش الى فراشة بعد ان تنعكس موجات منها اليه ، لكنها ـ في الوقت ذاته ـ ترصد بسرعة فائقة حركته واتجاهه ، وتقوم بمناورات سريعة تغير فيها اتجاهاتها بمهارة مذهلة ، واحيانا تضطر الى عملية هبوط فجائية نحو الأرض (حيث يشير السهم) علها تنجو بحياتها .

ويعود من محاولاته ـ في أغلب الأحيان ـ بخفي حنين !

ولاشك ان اجهزة التنصت على موجات العدو ليست في الأصل فكرة بشرية، بل هي اساسا « حشرية » . لكن الأجهزة الحشرية تعتبر ادق واكفأ وأصغر اجهزة يمكن ان تتعامل مع الموجات فوق الصوتية . . وبالطبع فان التنصت يختلف باختلاف النوع عند الصيد والصياد ، فهناك مثلا حوالي ٧٠٠ نوع من الخفافيش تعيش على الحشرات ، ولكل نوع محطة بث تذيع على موجات يمكن بها تحديد هويته ، ويوجد ايضا نحو ٤٥ ألف نوع من الحشرات لها اجهزة تنصت ، لكن دعنا نختصر كل ذلك ونختار جهازا بسيطا ، تتجسد فيه الكفاءة ، وتتجلى العظمة . . ولنأخذ جهاز التنصت عند فراشة « ميليز » ـ رمز الشارة الشرفية التي اوردناها في بداية الدراسة ، فلهذه الفراشة اذنان على جانبي صدرها ، وكل اذن تتكون من غشاء رقيق (بمثابة طبلة) وعلى هذا الغشاء ترتكز نهايتا خليتين عصبيتين ، كما ترتكز الابرة على اسطوانة جراموفون ، وتحت « الطبلة » يوجد نسيج خفيف به اكياس هوائية ، وفي هذا النسيج تنتشر ثلاث خلايا عصبية لاغير ، اثنان منها ينقلان اهتزازة الطبلة خلال خيط او خط حي ، مرورا بكل خلية ، وانتهاء ـ من خلال خيط عصبي من نفس الخلية ـ بمخ الحشرة البدائي (مجرد عقدة عصبية) . . اما الخلية الثالثة ، فلا احد يعرف وظيفتها حتى الان ، لكن لاشك انها لم تخلق عبثا ، ويوم نعرف رسالتها ، فقد نرى منها عجبا !

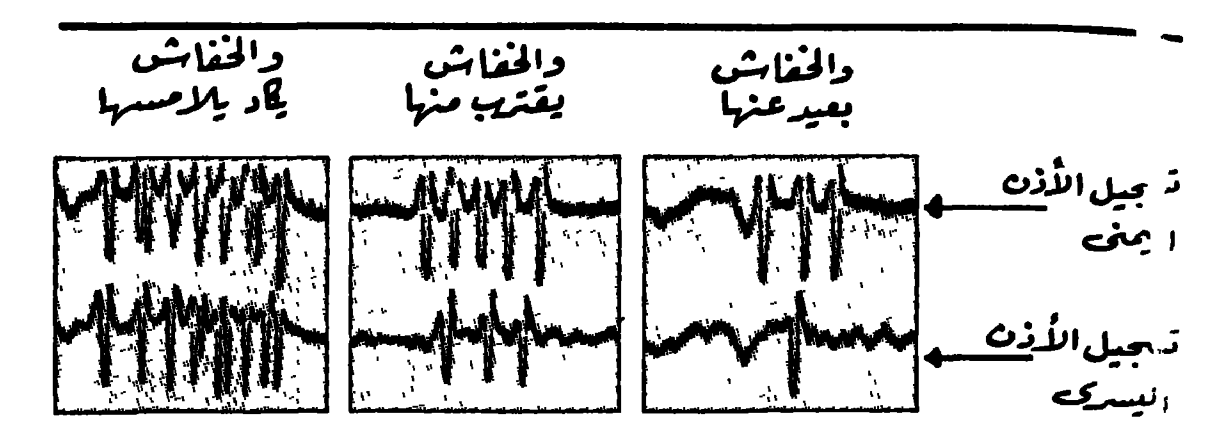
لكن العجب قد اكتشفه العلماء عندما اوصلوا كلا من الخليتين على جهاز رسم النبضات العصبية ليعرفوا كيف تتفاعلان اذا ما سمعت الفراشة الموجات فوق الصوتية لخفاش من زوايا مختلفة ، وعلى مسافات متباينة ، من ذلك مثلا ان الخفاش لو جاء الفراشة من يمينها ، وكان يبعد عنها حوالي ٢٥ مترا ، فان الخلية العصبية رقم ١ في الأذن اليمنى تسجل ثلاث نبضات ، والتي في اليسرى تسجل واحدة ، فاذا اقترب أكثر ، زادت الثلاثة الى خمسة ، والواحدة الى ثلاثة ، وفي حالة مروره فوقها او تحتها او قريبا جدا منها ، تسجل الخليتان في الاذنين عددا متساويا من النبضات العصبية (شكل ٦) .

لكن . . ما المصير ؟ . . أي كيف تتصرف الفراشة مع هذا الخطر الداهم ؟ ليس هناك من مفر الا عمل مناورة فجائية لحركات نحسبها اعتباطية ، وفيها تنحرف الحشرة انحرافات موجهة حسبما تمليه الاشارات المرصودة عن اتجاهات العدو ، فان اتجه نحوها يمينا انحرفت بغتة يسارا وفي زوايا هابطة صاعدة بغرض تجنب « القذيفة » الحية الموجهة . . والذين سجلوا مثل هذه المعارك على افلام حساسة ، ثم عرضوها عرضا بطيئا ، ذكروا ان المناورات تتسم ببراعة فائقة ، قد لا يصدقها عقل بشر ، ولاشك ان التوقيت والمباغتة وخفة الحركة وسرعة المناورة تلعب ادوارا هامة في حسم المعركة . . إما لصالح الخفاش ، او لصالح الحشرة ، وغالبا ما تسلك هذه طريق السلامة ، فتطوي جناحيها ، وتهبط اضطراريا الى الأرض ، حيث تسعى لتبحث لها عن مخبأ يحميها .

جهاز الانذار المبكر ! :

لكن الخفافيش قد تكف احيانا عن بث موجاتها ، حتى لا يتنبه لذلك صيدها ، وهنا تبرز المشكلة : اذ كيف يهتدي الى موقعها مادامت « كشافاته » الصوتية ، قد أغلقت ؟

الحل ان يشتغل على موجات الصيد ذاته ، اي يصبح الخفاش مستقبلا لا مرسلا ، خاصة في حالات الحشرات التي تصدر صوتا او طنينا اثناء الطيران (مثل البعوض والذباب) وفي مثل هذه المواقف ، تكون قد « جنت على نفسها براقش » ، ولابد ـ والحال كذلك ـ ان يهتدي اليها الخفاش بموجاتها لا موجاته ، فاما ان يتوجه ليحصل على الغنيمة ، او يبتعد عن تلك المصيبة ، اذ كثيرا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي سفن الخفافيش ، فقد تكون الحشرة الهائمة ذات طعم رديء ، او قد يكون فيها السم الزعاف ، وطبيعي ان الخفاش لا يقتل لكي يتذوق ، ولا يضيع وقته وجهده فيما يعود عليه بالأذى ، اذ هو خبير بالصالح والطالح ، ولديه ذاكرة قوية بما تبثه الاذاعة الحشرية ، ومن البث ما يجد هوى في نفسه ، ومنه ما يفزعه ، وكأنما الحشرة او الفراشة تطلق صيحاتها



شكل (٦) تسجيلات خلية عصبية في جهاز التنصت عند الفراشة ، وبها تستطيع تحديد موقفها من الخفاش الذي يتجه صوبها ، فالتسجيل الأيمن (الى اعلى) يوضح ان الخفاش يأتي من جهة الأذن اليمنى (ولهذا فالنبضات اكثر نسبيا) لكنه لا يزال بعيدا ، فاذا اقترب منها اكثر ، زادت النبضات ترددا ، حتى اذا اصبح قريبا جدا منها اشتغل جهاز التنصت الأيمن والأيسر بنفس الكفاءة مع نبضات اسرع واكثر .

هكذا « خذ حذرك ، فمذاقي مقزز ، وطعمي مقبض » . .

وقد يبدو ذلك من شطحات الخيال ، لكنها حقيقة لم تنبع من فراغ ، اذ اوضحته لنا الدكتورة دوروثي دانتج (وهي من تلاميذ البروفيسور رويدر الذي سبقت الاشارة اليه) من خلال تجارب رائدة ، وملخصها انها كانت تطلق انواعا من الديدان التي تهواها الخفافيش من بندقية خاصة ، فتنتشر في الهواء ، وفي الوقت ذاته تطلق عددا من الخفافيش في صالة مغلقة وتصطاد الديدان من الهواء بكفاءة نادرة ، وفي احدى هذه التجارب احضرت جهاز تسجيل كانت قد سجلت عليه طنين انواع خاصة من الفراشات ، وما ان بدأ الصوت ينطلق حتى بدأت الخفافيش المنطلقة وراء الديدان تتراجع عن اهدافها ، وكأنما اصابتها صدمة !

ان تعليل ذلك لا يخفي على لبيب ، فهذا التسجيل المذاع هو لجنس معين من الفراشات (اسمه اركتيدي) ، وانواع هذا الجنس تمتلك جهازا صغيرا تنطلق منه موجات فوق صوتية ، وبها تنذر الخفاش مبكرا بانها رديئة الطعم ، حتى لا يبدأ الهجوم ، وطبيعي ان الخفافيش لا تعرف اجهزة التسجيل ، ولا خداع البشر ، لكنها عرفت معنى « الانذار المبكر » قبل ان يعرفه البشر بعشرات الملايين من السنين !

وقد يبرز هنا استفسار اخير : ولماذا كل هذه « التكتيكات » بين خفافيش وحشرات ؟ . . وهذا سؤال كبير جدا ، والاجابة عنه تحتاج لمجلة كاملة ، لأن الموضوع اشمل من ذلك واعم ، ولأن حياة المخلوقات جميعا تحكمها شرائع عامة ، ومن شرائعها انها قامت على اساس ان هناك دائما يوجد آكل ومأكول . . صيد وصياد . . وكل هذا يسير في سلسلة معقدة ، ذات حلقات متشابكة ، لتدور الحياة بموازين مقدرة ، فلا تطغى ذرية نوع على ذرية نوع آخر . . وطبيعي ان لكل نوع ذريته وافراده ، لكن الذرية لا تأتي وكأنما هي نسخة كربونية من بعضها ، بل لابد من اختلاف في القدرات او الكفاءات . . والقدرات تتجلى في عوامل كثيرة ، بمعنى ان الحشرة او الفراشة التي تتميز عن اترابها في النوع الواحد بامتلاك جهاز تنصت اكثر اتقانا ، وتقوم بمناورات اسرع ، وتكون متيقظة لمصيرها اكثر ، فسوف تكون فرصتها في الافلات من الخفاش اكبر ، لكن ما دون ذلك يصبح سهل المنال ، لأنه ـ بضعفه التكتيكي ـ لا يستطيع ان يجابه الحياة ، وهكذا شاءت شريعة الله !

كذلك الحال مع الخفاش ، خاصة اذا حدثت ازمة في الطعام ، وعندئذ يفوز الخفاش الاقوى بنصيب الاسد ، وعلى الأضعف ان يتوارى ، وسر على ذلك مع كل المخلوقات !

انها القوة ، ولاشيء غير القوة . . فأفيقوا يرحمكم الله . □

وجهاً لوجه

الدكتور
عبدالسلام العجيلي

و

المهندس
خالد الجويشي

☐ نظرة المرأة المتحضرة الى الرجل الريفي نظرة فوقية !

☐ تطورنا الاجتماعي قاصر عن اللحاق بتطورنا الثقافي والتعليمي .

☐ حياتي مقسمة بين الريف والمدينة .

☐ الهواية تبقى لذة في حين يتحول الاحتراف الى واجب قد يكون ثقيلا !

حوار جديد . . ولقاء جديد . . وجها لوجه . . اللقاء يجمع بين الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي وبين المهندس خالد سلامة الجويشي ، ولعل مما يلفت النظر أنهما أديبان بالهواية ، ولكل منهما ـ بعد ذلك ـ مهنته الخاصة . .

الأديب القاص الدكتور عبدالسلام العجيلي غني عن التعريف ، فقد مضى عليه أكثر من ربع قرن وهو يرفد المكتبة العربية بنتاجه الأصيل الخصب ، ولكن بعضا من أوجه نشاطه يعرفها البعض ولا يعرفها الكل ، فهو يكتب الشعر والرواية والمقامة والمقالة ، وله حتى الان خمسة وعشرون كتابا أغلبها في القصة .

لقد ظل عبدالسلام العجيلي أديبا هاويا لم يحترف صناعة الأدب ، على الرغم مما أصاب فيه من شهرة ، وظل طبيبا في قرية متواضعة يمارس عمله اليومي مع أهل الريف ، لم تبهره أضواء المدينة ، ولم تقتلعه من جذوره عند شاطىء الفرات أبقى على صلات الود مع الناس الذين أحبهم واتخذ منهم شخصيات تبعث الحياة في قصصه ورواياته ، منهم مزارعون يغتسلون بماء الفرات ، وينتشرون في أرض الجزيرة مثل سنابل القمح ، انك عندما تراهم ، لا يخامرك شك في أنك تعرفهم ، وأنت تعرفهم حقا ، فهم أنفسهم الذين كنت تعيش تجاربهم وأنت تقرأ قصة كتبها عبدالسلام العجيلي .

الدرب الى عبدالسلام قصير وطويل في آن واحد ، انها مهابة الآتي الى النهر لينهل من شاطئه ، لكنه لا يدري أي تيارات تدوم فيه ، وأي طعم لمائه . مهابة الجدول اذ يصب في نهر مايزال يتدفق منذ أربعين عاما .

في العيادة يتحرك مثل أي طالب طب يعشق هذه المهنة ، يتعامل مع أبناء القرى البعيدة ومع البدو القادمين من عمق الجزيرة ، مثلما يتعامل مع أبناء المدينة.يسأل ويجيب ويستفهم ويشرح ببساطة آسرة تجعل الانسان يؤمن حقا أن المثل ليست كلاما يكتب فقط ، وانما هي المزاوجة بين الفعل والقول ، وأن البساطة لا تعني بالضرورة الهبوط بل الصعود الهادىء والحقيقي نحو القمة .

هاهو عبدالسلام الطبيب ، وهاهو عبدالسلام المحدث الأديب ، وهاهو عبدالسلام الانسان بلحمه ودمه ، لا يطل من برج عاجي ، أو يحدث من قمة عالية ، هو كالفرات لا حاجة به لأن يذكر الآخرين بعطائه ، فحسبه ان يسقي الشاطئين .

المدينة والريف

● **لن أسألك أسئلة تقليدية أو شخصية ، ففي كتابك « أشياء شخصية » رد يكاد يكون شاملا على مثل تلك الأسئلة . أريد أن أسألك عن الرواية والقصة ، وبالتحديد « باسمة بين الدموع » و « رصيف العذراء السوداء » و « المغمورون » ، اذ أنني أكاد الحظ برغم تباعد الزمن بين الثلاث ، أن هناك خيطا لا يرى يربط بين الرجال الثلاثة ، وخيطا يربط بين النسوة الثلاث ، فالرجال أبناء ريف والنساء بنات مدينة . فهل حاولت تحقيق مزاوجة بين الريف ـ الرجل . . . والمدينة ـ المرأة ؟**

ـ كلٌ يعمل على شاكلته . وكل منا ينفق مما عنده . حياتي مقسمة ، ليس مناصفة بين الريف والمدينة بل بعوامل تختلف مع الظروف والفترات الزمنية .

والعلاقات الاجتماعية والعاطفية عندي كريفي في أصله وعيشه لابد أن تكون من وجهة نظر الريفي الرجل . لو كنت رجلا بتكوين نفسي انثوي وهناك كثيرون يتصفون بهده الصفة بين الأدباء وعامة الناس لكان ممكنا أن أكتب عن علاقة المرأة الريفية بالرجل المدني ، ولما كان ذلك عيبا من الناحية الفنية . فثمة كتاب وشعراء في كل اللغات أحسنوا التعبير عن نفسية المرأة وهم رجال . غير أني لست كذلك ، ولهذا

● في القصة الطويلة « رصيف العذراء السوداء » تحقق «المرأة - المدينة » انتصارها من خلال التحاقها في الدير لتموت في الحياة ، أو لتبحث عن براءة لم تجدها . أما الرجل فان الانتصار الذي خيل اليه أنه حققه في باسمة ، هذا الانتصار يظل مكسورا . فهاهو وحيد على الرصيف لعله ينتظر امرأة اخرى .
أكنت تريد أن تقول ان عملية المزاوجة هنا بين الريف والمدينة ممكنة لحظة الدهشة والانبهار لكنها مستحيلة عند تكشف الحقائق أو أنها قد تحدث يوما ؟

- البطل في قصة « رصيف العذراء السوداء » من بغداد ، والبطلة من ستوكهولم ، كلاهما ابن مدينة كبيرة . وأنت تعتبر بغداد هنا ريفا وتعتبر ستوكهولم مدينة . ربما كان الحق معك في هذا الاعتبار . على أن القصة هنا تعالج موضوعا فكريا فلسفيا وان بدت كمعالجة لعلاقة عاطفية بين رجل شرقي وامرأة غربية .

مرة أخرى يكون الجاذب هنا بين البطلين جاذب النقيض الى نقيضه . الا أن هذا الجاذب لا يفعل فعله الا في لحظة واحدة في ليلة واحدة ، ثم يسير كل بطل الى الغاية المضادة لغاية انطلاقه ، ظانا أنه يصل الى الحقيقة حين يصل الى هذه الغاية الجديدة . المرأة هنا أكثر تصميما أيضا وأصدق عملا بما تعتقده ، سواء كانت مخطئة فيما تعتقد أو مصيبة .

لعل هذه القصة تعبر ، دون قصد مني ، عن عجز الانسان ، رجلا كان أو امرأة ، عن وعي الحقيقة كاملة ، حين يعتقد بأفكار معينة ، ثم يتعرض في يوم من الأيام الى تجربة تفتح عينيه على أن هذه الأفكار لا تمثل الحقيقة بكل وجوهها ، فيهرب الى الأفكار المناقضة . والصحيح ان كلا منا يدرك طرفا من الحقيقة ، ولا يدركها كلها .

وخير لنا أن نعرف هذا ونعمل جهدنا بأن نقيم توازنا بين المنازع المختلفة التي تتجاذب تفكيرنا دون أن نقف عن السعي لاستكمال معارفنا ، واستكشاف مجهولات الحياة والكون ، وان أيقنا أن استكشافها التام مستحيل على امكانياتنا البشرية

التقاليد والأعراف

● في رواية « المغمورون » تقوم ذات العلاقة ، لكن الأحداث تقع هنا في قلب الريف حيث « المرأة - المدينة » قادمة لتصنع شكلا جديدا من الحياة على ضفاف النهر . النهاية هنا موجعة ، إذ بينما تعود المرأة الى مدينتها لتؤكد انتماءها بقوة من خلال زواجها بفتى غني في المدينة يبدو « الرجل - الريف » أكثر صدقا ونبلا رغم سقوطه في هذا الاحباط ، فالنهر يغمر أرضه والدموع عينيه . هل هي خيبة أمل كبرى باستحالة المزاوجة . . ؟

- الرجل الريفي في رواية « المغمورون » أصدق سلوكا وأنصع صورة منه في رواية « باسمة بين الدموع » ، ربما لأنه ظل أمينا على نوازعه الأساسية وطبقته التي ينتمي اليها فلم يقبل بالانتقال الى طبقة أخرى ، أرفع ظاهريا ، لأنها تكلفه خسارة في أخلاقه ومعتقداته . على أن « المرأة - المدينة » في هذه الرواية نفسها أعني « المغمورون » ليست سيئة وان كانت فشلت في تحقيق ما طمحت إليه وهو ارتباطها برجل ريفي دونها مرتبة اجتماعية وثقافية ، ولكنه لا يقل عنها أو يفوقها بقوة الشخصية والتفتح الفكري والذكاء . عودة ندى بطلة « المغمورون » الى طبقتها راجع الى أن مجتمعاتنا لم تبلغ من النضج ما يجعلها قادرة على كسر طوق التقاليد والأعراف المتبعة . نحن قد تطورنا ثقافيا وتعليميا ، ولكننا لم نستطع أن نساير هذا التطور الثقافي والتعليمي بتطور اجتماعي مماثل وهنا تقع المرأة والرجل في الريف والمدينة معا تحت كوابح تمنعهم من أن يسلكوا في الحياة المسار الذي يرونه من الناحية العلمية مسارا صحيحا . أما الذين يحاولون كسر الطوق فكثيرا ما ينتهون الى النهايات الموجعة التي انتهى اليها بطلا « المغمورون » . نحن بانتظار المستقبل الذي يجعل المزاوجة ممكنة بدون نهايات موجعة ، وذلك حين يواكب التطور الاجتماعي تطورنا العلمي أو التعليمي .

● هل يمكن أن نقول ان الريف من خلال الرجال الثلاثة قد ازداد تمسكا بمثله ، وأن

المدينة أيضا قد تمسكت بمثلها . والنتيجة في الصـراع أن المدينـة هي المنتصـر الأخير .

ـ لا أعتقد أن الريف في بلادنا ، وفي عصرنا ، قد ابتعد عن جسده لحساب روحه . كل ريف يطمح الى أن يكـون مدينـة غير حـاسب حسـابـا لمكـاسبـه أو خسائره . هناك أفراد ينعون على المدينة مـاديتها ، ولكن قلّ من زهد منهم بالمدينة التي أمّها ورجع الى ريفه مفضلا قيم الريف على المدينة .

ليس هناك صراع بين المدينة والريف ليكون منتصر هناك ومخذول ، وانما هناك احتواء وهيمنة ، والى أن يجتاح عالمنا طوفان جديد فان المدينة هي المحتوية وهي المهيمنة . .

● لعلك تستغـرب أني اخترت من بين كتاباتك كلها هذه الكتب الثلاثة . ولكني أتصور أن فكر عبدالسلام العجيلي يتمثل فيها خير تمثيل . ما رأيكم ؟

ـ الكتب الثلاثة التي اخترتها من مؤلفاتي الروائية تمثل حقا جوانب مهمة من فكري ، ولكنها لا تمثل فكري كله . انها ثلاثة كتب من خمسة وعشرين كتابا ظهرت لي . وفي كل من كتبي الأخرى جوانب من فكري قد لا أكون تطرقت اليها في هذه الكتب الثلاثة . ذلك أني أسعى الى أن الا أكرر نفسي ، والى أن أعالج في كل كتاب جديد أو قصة جديدة مواضيع غير التي سبق وعالجتها فيما كتبته سابقا .

الطب والأدب

● أنت طبيب وأديب أيضـا ، كيف تمكنت من المزاوجة بين الاثنين ، رغم أنها ليست حالة نـادرة في الدنيـا ، لكن للتجربة الخصوصية مذاقها . أنت ترى الأدب هواية . وأنـا أرى ـ والكثيرون يرون ـ أنه على المستوى العالمي وعلى المستوى العربي والـوطني تكـاد صـورة الـطبيب أن تختفي تمـامـا وراء صـورة الأديب .

ـ اذا كنت طبيبـا وداويت مائـة مريض يـوميا ، أي داويتهم بنجاح ، فإن عارفي منزلتك الطبية لا يتعدون الثلاثين ألف انسان في عام كامل . واذا كنت أديبا ، كاتبا أو شاعرا ، وكتبت كلمة موفقة فانها قادرة على أن تجعل عارفيك مئات الآلاف في يوم واحد . هذا هو الفرق في الشهرة بين الأديب والطبيب بصورة عامة ، وفي كل الأزمان ، وعند مختلف الأمم .

وأنا طبيب بحكم عملي الـذي نذرت لـه نفسي والذي يؤمن لي عيشي ، والذي تهيأت له بالدراسة والعمل الدؤوب . أما الأدب فقد ظل هواية كانت بداياتها موهبة ، ولكن لم أتهيأ له بدراسة متعمدة ولا أعـطيتـه من وقتي إلا مـا فضـل عن عمـلي الـطبي واهتماماتي الأخرى . وأظل أديبا هاويا على الرغم من كثـرة انتاجي الأدبي ، وتغلـب شهـرتي كأديب عنـد أناس يقيمون خارج المنطقة التي أمارس فيها الطب ، على شهرتي كطبيب . . وما أظنني سأتحول من هاوٍ الى محترف في مجال الأدب ، حتى لو انقطعت لسبب أو لآخر عن ممارسة الطب . الهواية تبقى لذة ، في حين يحـولها الاحتـراف الى واجب ربما يكـون ثقيلا عـلى النفس ، وأنا أحب أن التذ بالأدب ، فهذه لذة رفيعة سامية أحاول أن أجنبها الاثقال على النفس .

● تتحـدث مـع أعـلى المستـويـات الاجتماعية المثقفة في كافة أقطار الدنيا ، وتتحدث أيضا مع أبسط الناس القادمين من البادية . كيف أمسكت بخيوط هذه اللغة ؟

ـ يبدو أن هذه هبة مولودة في نفسي ، اذ أني لم أتعلمها في كتاب لأقول أنها مكتسبة . في بعض بلاد العالم مدارس تلقن تلاميذها أصول الحديث أو طريقة القاء الخطب ، وهي مدارس لا توجد في بلادنا . ولا شك أن الهبة أو الموهبة تزداد تمكنا بالتجربة والاطلاع .

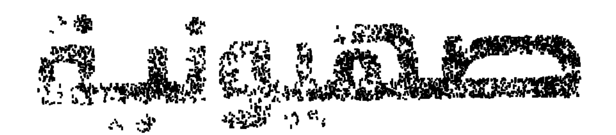
وأنا بطبعي طلق ، كثير الفضول ، كثير المعارف ، كثير البحث وراء المجاهيل .

وهذا ما زودني بروافد من المعلومات وبأسـاليب أصل بها الى أفهام الآخرين ، انها صفة أو خاصة لم أقصد الوصول اليها ، ولكن ظروف حياتي ومخالطاتي ودراساتي ، الى جـانب الهبة المـولـودة ، أوصلتني اليها . □

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي





حركة ودعوة دينية - عنصرية استيطانية تطالب بتوطين وتجميع اليهود في دولةخاصة بهم على أرض فلسطين كحل للمسألة اليهودية ، مستبيحة في ذلك كل الوسائل بدءا بالهجرة ومرورا بالغزو والعنف .. الكلمة مشتقة من اسم جبل صهيون ،

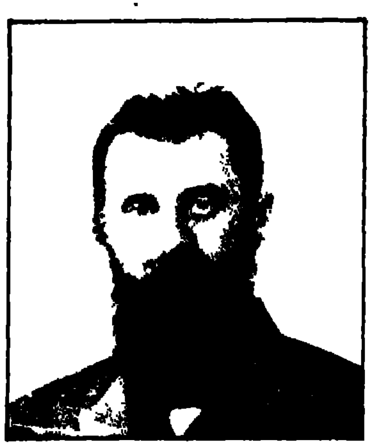
الذي يقع جنوب غرب مدينة القدس ، وفق تعاليم الديانة اليهودية ، فالجبل يعد مزارا ومكان حج لليهود ، يزورونه هاتفين « رنموا للرب الساكن في صهيون » وأول من اشتق الكلمة كان « ناتان برنبادم » في عام (١٨٩٠) ليصف بها تحول تعلق اليهود بجبل صهيون وأرض فلسطين من مجرد تعلق ديني الى برنامج سياسي استعماري ، يهدف الى توطين الشعب اليهودي بفلسطين .

وتعود نشأة الصهيونية الى جذور سياسية واقتصادية متفاوتة ، فأول من دعا الى تهجير اليهود الى فلسطين هو « بالمرستون » رئيس وزراء بريطانيا (١٨٤٠) وذلك بقصد ايجاد حاجز بشري غريب يمنع قيام دولة موحدة بين مصر والمشرق العربي ، وذلك عقب أن استوعب الغرب تجربة محمد علي في مصر وسوريا ، وتهديده لمصالح الدول الامبريالية ، وتبنى كبار الساسة الاستعماريين البريطانيين الفكرة

بعد ذلك ، إلا أن الصهيونية لم تبرز كفكرة محددة المعالم وكبرنامج سياسي وتنظيم الاعقب عام (١٨٩٧) ، عندما تمكن تيودور هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا وأعلن عن قيام المنظمة الصهيونية العالمية والثابت تاريخيا أن الحركة الصهيونية بذاتها كانت عاجزة عن الاستمرار ، بل مهددة بالتلاشي ، لولا دعم الدول الغربية ومؤسساتها وكبار رجال النظام الرأسمالي فيها ، فقد كان اليهود داخل المجتمع الأوروبي يمثلون عبئا شديدا عليه ، فاليهود يقفون خارج المجتمع دينيا واقتصاديا ، فهم أقليّة دينية متزمتة ، وهم خارج التنظيم الاقتصادي يقصرون نشاطاتهم في مجال التجارة وأعمال المال والربا ، حيث لم يسلم من مراباتهم أحد ، مما جعل للرأسماليين الأوروبيين مصلحة حقيقية في تهجير اليهود الى خارج أوروبا ، لتجنب منافسة اليهود للبرجوازية الصغيرة في أوروبا ، وتجنب عواقب البطالة ، وكسر احتكار سوق التجارة والمال .

وتتضح أهمية هذه الأسباب اذا نظرنا اليها في سياق المجتمع الاوروبي بمقاييس ذلك الوقت (منتصف القرن التاسع عشر) حيث كانت أوروبا تتحول من نظام اقطاعي الى نظام رأسمالي ، بما يعنيه ذلك من

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



تيودور هرتزل

تغير في اشكال التنظيم الاقتصادية والاجتماعية ، من تنظيم اقتصادي ديني الى تنظيم اقتصادي اجتماعي في هذا المناخ من الدعم والرعة في مساعدة اليهود من أجل ترك أوروبا ، جاء مؤتمر بال الذي أسفر عن تحديد أهداف الحركة الصهيونية ، وانشاء « المنظمة الصهيونية العالمية » ، لتكون بمثابة الأداة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج . وقد حدد المؤتمر هدفه العام وهدف الحركة الصهيونية في خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين بواسطة الهجرة ، مع العمل على ربط يهود العالم بهذا البرنامج ، والتعاون مع الدول الأوروبية لتحقيق ذلك . .

عقب ذلك حاول السياسيون الصهاينة الحصول على تأييد السلطان العثماني للفكرة ، الذي رفضها لأسباب تتعلق بالحفاظ على مملكته والخوف من تمزيقها ، بينما نشط فريق آخر من الصهاينة يتزعمه وايزمان في العمل على خلق حقائق جديدة ، وأمر واقع جديد فوق أرض فلسطين ، وذلك بخلق وجود استيطاني من خلال الهجرة ، وبناء المؤسسات والمستوطنات الصهيونية ، وبالفعل ظهرت الى الوجود مؤسسات كاتحاد العمال والجامعة العبرية ومؤسسة الجيش ، وبذلك تكون الفكرة الصهيونية سابقة لوجود الدولة وممهدة لها ، ففي ذلك الوقت كان هناك اتحاد عمال ولم يكن هناك عمال ، وجامعة بدون اساتذه وطلاب ، ومؤسسة جيش بدون جيش .

وقد كان من الممكن أن تظل هذه المحاولات في حجمها ، وقابلة للانهيار ، لولا التحالف الأوروبي اليهودي أثناء الحرب العظمى الاولى ، الذي تبلور في صورة وعد بلفور ، والتزمت بريطانيا بموجبه بالمساعدة على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

وتشكل العقيدة الصهيونية وجذورها التاريخية الزائفة الاطار الفكري للكيان الاسرائيلي ، الذي تقوم فيه الدولة والسلطة السياسية على أساس ديني ، وقد انعكس هذا الاطار وتمثل في النظم الاجتماعية القائمة على التمييز بين كل من هو يهودي وغير يهودي ، وظهر ذلك في التشريعات والقوانين ، وأوضح مثال لها قانون العودة ، الذي يحق بمقتضاه لكل يهودي في العالم حمل الجنسية الاسرائيلية ، وأن أرض فلسطين هي أرض الميعاد وملك لليهود بأقدمية التاريخ ، الى آخر الأفكار والغيبيّات الدينية .

إلا أنه من الخطأ النظر الآن الى الصهيونية في ذلك الاطار فقط ، أو فهم العداء التاريخي بينها وبين العرب من خلال هذه النظرة الضيقة ، فواقع الحال لاينفصل الكيان الصهيوني الآن عن كل المحاولات الامبريالية الغربية استغلال المنطقة العربية وتبعيتها له سياسيا واقتصاديا ، ليتحول الأمر في النهاية من سلب للأرض الى سلب للارادة . □

ملوثات الهواء وطرق معالجتها

بقلم : الدكتور فاضل حسن

■ التلوث هو التقليل من نقاء الجو والماء . . . والارض بواسطة المواد الضارة بالصحة والنفايات . أي انه تركيز للمواد الضارة المؤثرة على الانسان ومحيطه .

فماذا تعرف عن ملوثات الهواء ؟ !

ان اهم ملوثات الهواء هى المواد الدقيقة ، وثاني اكسيد الكبريت ، وأول أوكسيد الكربون ، واكاسيد النيتروجين ، والاوزون ، والهيدروكاربونات ، وكبريتيد الهيدروجين ، والفلوريد والمواد المسببة للحساسية .

تنتج المواد الدقيقة عن العواصف الرملية في المناطق الصحراوية ، والتي تؤثر على جهاز التنفس ، والمواد الدقيقة المنبعثة من المصانع مثل الرصاص والمنغنيز والاسبست والنحاس والقصدير ، وكذلك المبيدات المختلفة كالمبيدات الزراعية ومبيدات الحشرات التي تنتشر في الهواء ، والمحتوية على مواد دقيقة ملوثة تؤثر على بعض أعضاء الجسم .

أما ثاني أوكسيد الكبريت فينتج عن احتراق الفحم والزيت في وحدات التدفئة المنزلية ، أو محطات الطاقة ، وهو أحد نواتج مصانع الورق والتعدين والبترول . ان الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز تتراوح بين (٣ ـ ١٠ جزء / بالمليون) حيث تعتمد على زمن التعرض .

وينتج أول أكسيد الكربون عن التدخين والتدفئة المنزلية ومكائن احتراق المركبات ، ويكثر بشكل خاص في المدن المزدحمة بالمواصلات . وهو خطر جدا لانه لا يُرى ولا تشم له رائحة . ان تركيز الغاز نتيجة

المواصلات المزدحمة يتراوح بين ٥٠ ـ ١٠٠ جزء بالمليون ، بينما معدل تركيزه نتيجة التدخين يبلغ ٤٠٠ جزء بالمليون .

وتبلغ الحدود العظمى التي يسمح بها لتركيز الغاز ١٠٠ ـ ٣٠٠ جزء بالمليون ، واذا فحصنا أكاسيد النيتروجين ، نجد أن أهم هذه المركبات هي أول وثاني أوكسيد النيتروجين . وأهم مصادرها هي ما تقذفه وسائط النقل المختلفة . وأول أوكسيد النيتروجين يمكن أن يتحول بوجود الضوء الى ثاني أوكسيد النيتروجين .

ان بخار الماء الموجود في الهواء يتحد مع ثاني أوكسيد النيتروجين مكونا حامض النتريك ، الذي يعمل على تآكل البنايات ، ويؤثر على المزروعات . وتبلغ الحدود المسموحة العظمى لتركيز هذه الأكاسيد ٣ ـ ١٠/جزء بالمليون.

وينتج الاوزون عن تأثير ضوء الشمس على ثاني أوكسيد النيتروجين والاوكسجين ، ويؤثر الاوزون على العين والقصبات الهوائية . وتكون رائحة الغاز واضحة عند ازدياد تركيزه . وتتراوح الحدود المسموحة لتركيزه بين ٠,٥ ـ ١,٥ جزء بالمليون .

أما الهيدروكاربونات : وهي مركبات الكربون والهيدروجين فتشكل معظم المواد الكيماوية في الكازولين والمنتجات البترولية الأخرى ، ولها تأثير على الصحة . وبوجود ضوء الشمس يتفاعل ثاني أوكسيد النيتروجين مع الهيدروكاربونات ، لتنتج تفاعلات معقدة جدا وسامة ، ومعظم الهيدروكاربونات تنتج عن احتراق وقود المركبات ومصافي النفط وبعض المصانع الكيماوية . ومن الهيدروكاربونات ما هو خطر جدا على شكل مواد دقيقة معلقة .

ويتكون كبريتيد الهيدروجين : من تجمع الفضلات الصناعية في ماء راكد ، وخاصة الصناعات النفطية ، ويكثر في محطات تصفية ماء الصرف ، وهو ذو رائحة كريهة ، وتظهر رائحته عندما يتراوح تركيزه بين ١,٠ ـ ١ جزء بالمليون .

وأما الفلوريد فهو المادة التي تنتج عن تفاعل الفلورين وعنصر آخر . ان أخطر مركبات الفلوريد هو فلوريد الهيدروجين . وتركيز الفلوريد النموذجي في الجو يبلغ ٠,٠٥ ملغم / م^{٣} .

وهناك أخيرا المواد المسببة للحساسية : وهي المواد العضوية النباتية أو الحيوانية ، والمواد الصناعية التي تنتقل في الهواء ، والمسببة للحساسية ، وخاصة للاشخاص الذين يسكنون المناطق الزراعية والصناعية .

السيطرة على تلوث الهواء :

تصنف ملوثات الهواء الى نوعين رئيسيين هما : - ملوثات غازية وملوثات ناعمة . لذلك من الضروري دراسة حجم الجزئية وتصنيف الجزئيات مع تركيزها وسرعة سقوط الجزئية ، وكذلك دراسة المؤثرات على انتقال الغازات .

يقاس حجم الجزئية بالمايكرون ، وتتراوح الجزئيات بين المرئية بالعين المجردة ، والتي هي أكبر من ٥٠ مايكرون ، الى أصغر من ٠,٠٠٥ مايكرون ، والتي لا ترى الا بالمجهر الألكتروني . ان تركيز الجزئيات يتغير من ١٠^{٦} ملغم / م^{٣} كتركيز الهواء الموجود فوق المحيطات الى ١٠^{٦} ملغم / م^{٣} وكهواء العواصف الترابية . ويصنف تركيز الغبار الى خفيف ووسط ومعتدل وكثيف

وتصنف الجزئيات حسب حجم الجزئية ، الى ناعم جدا وناعم ومعتدل وخشن .



وهنالك قوى مؤثرة على الجزئية الساقطة . فهنالك قوة اتجاه نحو الأسفل نتيجة للجاذبية ، تسمى قوة الجاذبية ، وقوتان مقاومتان نحو الأعلى هما القوة الطافية وقوة المقاومة . وتسقط الجزئية عندما تكون قوة الجاذبية أعلى من القوتين المقاومتين ، وتطفو الجزئية عندما تتساوى قوة الجاذبية مع القوتين المقاومتين ، وترتفع الجزئية عندما تكون قوة الجاذبية دون القوتين المقاومتين .

وللسيطرة على الغازات الناقلة للملوثات ، يجب دراسة الضغط ، ودرجة الحرارة والكثافة ومعدل جريان الغاز .

وتصنف نظم السيطرة على تلوث الهواء حسب تركيز الجزئيات الى : ترشيح الهواء الاعتيادي وترشيح هواء المصانع ، وترشيح الغبار . يتضح مما سبق ذكره أن السيطرة على التلوث تعتمد بشكل أساسي على خصائص كحجم وتركيز الجزئيات ، بينها لا تعتمد كثيراً على النوعية الكيماوية للملوثات ، الا في حالة الأجهزة المعقدة في المصانع ذات التلوث الكيماوي الخطير .

أما عن مرشحات الهواء وهي الأجهزة المستخدمة لازالة التركيز المنخفض في الهواء الجوي وهواء المباني . فهناك ثلاثة أنواع أساسية لمرشحات الهواء ، هي التصادم اللزج ، والمرشحات الجافة ، والمرشحات الالكترونية

ان مرشحات التصادم اللزج تكون على شكل ألياف مصنوعة من مواد مختلفة ، تعمل كمصدات ، حيث تلتصق جزئيات الغبار بهذه الألياف . أما المرشحات الجافة فهي مشابهة لمرشحات التصادم اللزج ، ولكنها أكثر كفاءة بسبب نعومة اليافها .

أما المرشحات الالكترونية فانها تستخدم الشحن الكهربائي لترسيب الجزئيات من الهواء .

منظفات الهواء الصناعي :

ان تركيز الهواء الصناعي أكثر من تركيز الهواء الاعتيادي (١٠٠ ـ ٢٠٠٠٠ مرة) فالمنظفات تصمم على شكل مجمعات لازالة الغبار الكثيف من المراحل الصناعية ، باستخدام أجهزة التفريغ ، أو مدخنة الفضلات الغازية . وهنالك أنواع مختلفة من المنظفات منها : غرفة الترسيب ، والمجمع الذي يستخدم القوة المركزية ، والمجمعات الرطبة ، والمجمعات النسيجية ، والمرسبات الالكتروستاتيكية ، وطريقة الامتصاص والحرق .

ان غرفة الترسيب بالجاذبية هي أبسط وأقدم الطرق لجمع الغبار الصناعي ، وهي ذات فعالية لازالة الجزئيات الكبيرة الحجم نسبيا ، وخاصة في معامل الطابوق التي تستخدم الزيت كوقود . أما المجمعات التي تستخدم القوة المركزية فانها تشبه الاسطوانة ، حيث تنقذف الجزئيات نحو الجدار خلال دوران الاسطوانة ، وتترسب نحو الأسفل ، ويخرج الهواء النقي من أعلى الاسطوانة . وأما النوع الثالث من المنظفات فانها المجمعات الرطبة ، ومن أهمها برج الرش ، حيث يرش الماء بشكل رذاذ من الأعلى ، ويدخل الهواء الملوث من الأسفل ، فتلتصق الجزئيات الملوثة مع جزئيات الماء ، وتترسب مع الماء ، ويخرج ماء ملوث من فتحة أسفل البرج .

اما الهواء النقي نسبيا فيخرج من الأعلى ، ومن فوائد هذه الطريقة بساطة الانشاء وكلفتها القليلة .

ويتم فصل الجزئيات عن الغاز خلال مرورها بالمجمعات النسيجية التي تتكون من ألياف بحجم كبير . وفائدة هذه الطريقة أن فعاليتها عالية . وتستخدم القوى الكهربائية لفصل الجزئيات المعلقة من الغازات في حالة المرسات الالكتروستاتيكية . ويستخدم البرج المحشو بمادة قابلة للامتصاص للجزئيات الملوثة . ان الامتصاص هو عملية فصل الغاز باذابته أو تجانسه مع سائل ، أو داخل جسم صلب ، أما الامتصاص فهو فصل الغاز باذابته أو تجمعه على سطح الجسم . وتستخدم طريقة الحرق عادة في حالة الملوثات السامة ذات الرائحة ، مثل الهيدروكاربونات .

وتستخدم المدخنة لابعاد الملوثات لمسافات بعيدة عن مصدر التلوث ، حيث ان تركيز الملوثات في الجو يعتمد على المعدل الحجمي للملوثات المنبعثة ، وعلى سرعة الريح والارتفاع الصافي للمدخنة ، بالاضافة الى الظروف الجوية مثل درجة الحرارة والرطوبة .

وهنالك طرق للازالة تعتمد على النوعية الكيماوية للملوثات ، حيث تضاف مواد كيماوية للتفاعل مع الملوثات . ويخرج هواء نقي نسبيا بعد التفاعل .

أصابعك علاج



بقلم : الدكتور نبيل سليم علي

« الصداع » ألم يصيب كل البشر . . فى كل الاعمار والاجناس ، ولم يصل الطب حتى الآن الى علاج ناجع له .

ولكن قبل أن نعرف العلاج يجب أن نعلم أولا حقيقة الصداع وأنواعه لكى يتيسر لنا فهم وتنفيذ العلاج . وهو ما يعرضه هذا المقال .

من أبرز أنواع الصداع ذلك الذى ينشأ من تقلص وتمدد مفاجىء ووقتى وعابر بشرايين الدماغ ، وهذا التمدد العابر ما هو إلا نتيجة لارتفاع بعض الهرمونات العصبية فى الدم ، وهو يختفى دائما بعد فترة إستهلاك هذه الهرمونات .

وعندما تكشفت للطب حديثا أسرار كيمياء الألم حدثت ثورة جديدة فى علاج الصداع ، فمثلا ثبت وجود ما يسمى بـ « الاندورفينات » Endor-phines أو الأفيون الطبيعى فى الجهاز العصبى للانسان والحيوان ، وهى مادة تشبه المورفين ، مسئولة عن حماية الانسان من الألم وخاصة الصداع ، وقد رزق الله بها عباده بدرجات متفاوتة ، واتضح أنها موجودة بكثرة فى الجمال والأفيال ، ولذلك عرف عنها الاحتمال الشديد للألم . أما البشر فهم يختلفون ـ فيما

بينهم ـ في درجة ما حباهم الله به من هذا الأفيون . فتحد احتمال بعضهم للألم مرتفعا ، وذلك لارتفاع نسبة ما يحتويه جهازه العصبي من هذه الاندورفينات الطبيعية ، وقليل من الناس حرمهم الله من كمية معقولة من الأفيون الطبيعي فأصبحوا نهبا للآلام .

لذلك تجرى الأبحاث اليوم على قدم وساق لحل مشكلة هذه الأقلية بتنشيط الأفيون الطبيعي لديهم ، فلم يعد هناك أدنى شك في أن الألم والمتعة والانفعال ، لها إتصال بعمل الاندورفينات ، وعلى ذلك فإن القدرة على تحمل الألم العظيم قد تكون نتيجة لزيادة كمية الاندورفينات عما هي موجودة في الشخص العادي ، وكان أن تم منذ عام اكتشاف عائلة بأكملها من الاندورفينات أو المورفين الداخلي ، كما أمكن تركيبها خارج جسم الانسان ، ولكن بتكاليف باهظة ، حيث أن الجرام الواحد يكلف ثلاثمائة ألف دولار . وفي تقدم آخر لفهم طبيعة عمليات الشعور بالألم والصداع وضع الأطباء أيديهم على مفتاح جديد . . فعند عبور الألم من مصادره الأولى في أعضاء الجسم إلى المراكز العليا في الجهاز العصبي يمر الألم أو الصداع ببوابات متعددة . وهذه البوابات تسمح بأقدار متفاوتة من الألم حسب إتساعها ، فإذا كانت مغلقة خف الصداع أو الألم ، واذا كانت مفتوحة على مصراعيها زاد الصداع .

ويتحكم في فتح البوابات وغلقها أنظمة مراقبة وتقدير داخلية تراعي مصلحة الانسان ككل ، فمثلا تفتح بوابات الألم على مصراعيها للألم الذي يهدد حياة الانسان ـ مثل الذبحة الصدرية أو التي تتطلب إجراء سريعا .

وهناك درجة من السيطرة يمكن أن يمارسها الانسان على بوابات الألم لديه ، ومن الأمثلة الصارخة التي يمكننا أن نقدمها في ذلك المجال ، ما يقوم به فقراء الهنود عند المشي على المسامير ، وما يقوم به الجنود في المعارك .

ان « الصداع » . . هذا الاحساس المزعج الذي يداهمنا ، يتم التعبير عنه من خلال جهازنا العصبي والنفسي ، وحيث الدماغ ـ كما نعرف ـ منطقة متسعة من الجسم ، وهي تحتوي على أعضاء كثيرة مثل المخ والأذنين والعيون وعظام الجمجمة وعضلات الوجه ، وقد اصطلح على أن أي ألم يصدر من هذه الأعضاء يسمى صداعا . . كما أنه يمكن أن يصدر عن مرض أو خلل في الضروس ، أو النظر أو التهاب الجيوب الأنفية أو غيرها ، وفي مثل هذه الحالات يختفي الصداع بعلاج الأسباب لأنه كان عرضا وليس مرضا .

أما إذا أصيب الأنسان بصداع لا يوجد له سبب واضح ، فإن الطبيب عادة يصنف هذا الصداع على أنه صداع نفسي ، أي أنه مرتبط باضطرابات نفسية . والواقع أن طب الأمراض النفسية والعصبية تصدى لهذا النوع من انواع الصداع مستخدما المناهج العلمية السليمة ، وتوصل إلى بعض النتائج التي يقول بعضها : ان هناك أعضاء في الدماغ ، وبالذات في عضلات الرقبة والجبهة والوجه تعتبر مصدرا للصداع نتيجة لتوترها الشديد لفترة طويلة ، وهذه العضلات تعتبر من أدوات التعبير الوجداني ، ولذلك فهي دائمة التوتر ، كما أن توتر هذه العضلات مسئول عن الصداع الذي يحس به كل منا بعد فترة من الانفعال الشديد ، وغالبا ما يتبدد هذا الصداع بعد فترة من الاسترخاء أو النوم . . ولكنه يعتبر مشكلة للذين لا يجدون وقتا للاسترخاء ، حيث أنهم يتزايدون بصفة مستمرة في مجتمعاتنا التي تتسم بالانفعال الدائم واليقظة العالية وقلة فرص الراحة أو الاسترخاء ، إلا أنه أمكن الاستعانة ببعض التمرينات المعينة للاسترخاء كالهروب المنتظم الى المناطق الخلوية الهادئة والخضراء ، كما أن التأمل الروحي في الكون والصلوات تخفف كثيرا من نوبات هذا المرض .

الصداع النصفي

أما النوع الثالث من أنواع الصداع هو الصداع النصفي « الشقيقة » وهو مرض قديم قدم الحضارة ، فقد جاء ذكره في لوحة مصرية يعود تاريخها إلى سنة ١٢٠٠ ق . م ، كذلك وصفه « أبو قراط » ولكن كان أول وصف شامل لهذا المرض قد تم في عام



١٣٠ م ، فقد جاء فى تقرير وصفه « أنه ألم يتركز فى قسم واحد من الرأس ، مع إعتلال ، ودوار ، وانزعاج شديد من الضوء وشعور شديد بالغثيان قد يصاحب حدوث النوبة » .

وبعد نصف قرن من الزمن ، استخدم « جالين » الكلمة الاغريقية (Hemicania) التى تعنى (نصف الجمجمة) لوصف الصداع النصفى ثم تحولت فيما بعد الى (Migraine) وهى الكلمة المستخدمة حاليا .

ويعانى نحو ستة ملايين أو أكثر من البريطانيين - أى بما يعادل عُشر السكان هناك - من ويلات الصداع النصفى الذى يدوم أحيانا بضع ساعات وأحيانا بضعة أيام ، كما يعانى عشرات الملايين من الأشخاص فى العالم من هذا المرض ، ففى أمريكا وحدها يوجد أكثر من سبعة ملايين من السكان يعانون من الصداع النصفى ، ويلاحظ أن عدد النساء المصابات يعادل ضعف عدد الرجال خاصة أيام الحيض ، وهناك نوع واحد غير مألوف من المرض وهو الصداع النصفى العصبى يكاد يقتصر على الرجال . كما يصاب الأطفال من كلا الجنسين بهذا المرض وبنفس النسبة ، وتزداد الأصابة به عند الفتيان بعد سن البلوغ .

ونوبات الصداع النصفى تأتى عادة دون سابق إنذار ، وتسبب فى بعض الاحيان صحو النائم من نومه ، إلا أن لدى البعض حاسة تدلهم على حلول نوبة الصداع ، إذ يشعرون مثلا بدوخة أو اضطراب بصرى ، أو يشعرون بالجوع ، أو الرغبة الشديدة فى أكل الحلويات وما شابه ذلك .

وتثير نوبات الصداع أسباب كثيرة ، منها التدخين ، وهبوب العواصف والأضواء الساطعة والأصوات المزعجة ، أو الضوضاء والروائح الشديدة ، أو تغيير الطقس ، أو التأخر عن وجبات الطعام أو شدة حرارة ماء الاستحمام ، أو كثرة الهموم

أما النساء فإن كثيرا منهن يعانين من الصداع أيام الحيض وعند استعمال أقراص منع الحمل . ويحدث الصداع أيضا من جراء تعاطى بعض العقاقير الكيماوية إما فى الأدوية أو فى الأغذية ، فالعناصر الأمينية الموجودة فى الشيكولاتة والجبن وبعض المشروبات من العوامل التى تؤدى الى إثارة الصداع النصفى .

أما أساليب معالجة الصداع فاهمها تجنب العوامل التى تسبب حدوثها ، واستعمال الأدوية أو العقاقير التى تخفف حدة الألم فور الشعور بحلول النوبة ، من جراء ظهور الأعراض كالاصابة بدوخة واضطراب أو هذيان ، أو إدرار البول أو الجوع غير العادى ، أو النشاط أو الكسل غير الطبيعى وخلاف ذلك ، ويجب على الذى يصاب بنوبات متكررة أن يحمل معه مسكنات الألم ويخلد الى الهدوء فى غرفة هادئة وشبه مظلمة . وهناك عدة عقاقير يمكن تناولها ، وهى التى تحتوى على مادة « الأيرجوتامين » ، فهذا العقار يؤثر على قطر الأوعية الدموية بصورة عامة وفى الدماغ أو الجمجمة بصورة خاصة . وله أيضا تأثير على مستويات « الجيروتونين » العالية فى الدم والتى يعتقد أن لها علاقة بنوبات المرض .

ومن العقاقير التى تحتوى على هذه المادة : ميجريل ، افرجوت ، كافيرجون ، وفيمرجين .

ولا يؤثر هذا الدواء إلا قليلا على الأعراض التحذيرية التى تنبىء عن قدوم النوبة . هذه الأعراض التى تنجلى تلقائيا خلال ٣٠ - ٦٠ دقيقة

ولكن هذه العقاقير إذا استعملت بكثرة قد تؤدى إلى حالة (تسمم) فى بعض الحالات .

علاج الصداع فى « أصابعك »

والآن نأتى إلى العلاج الجديد للصداع . ونظرا لأهمية هذا المرض وخطورته على المجتمع . . أصدرت الجمعية البريطانية لأبحاث الصداع كتابا جديدا عن أسباب وأنواع الصداع وكيفية وطرق علاجه ، لما له من منغصات العيش لعشرات الملايين من الناس كما ذكرت مسبقا ، كما أن أحد علماء الطب النفسى بجامعة الينوى بالولايات المتحدة يقول ان للأسبرين أضرارا جانبية منها قرحة المعدة ، وسيولة الدم ، ورغم ذلك فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستهلك مائة طن أسبرين يوميا .

لذا فقد بدأنا بإجراء تجربة جديدة على ١٢ مريضا من الأطباء ، وتم شفاؤهم جميعا ، وذلك من خلال الضغط على أربعة أماكن فى الجسم ، ولكن يجب أن يكون لدينا إقتناع بأننا سوف نحصل على نتائج إيجابية .



المنطقة الاولى :

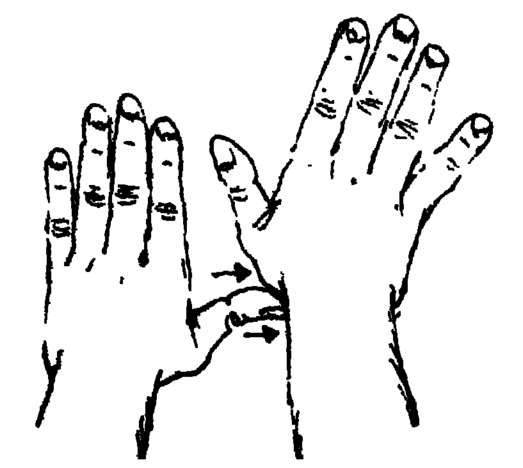
عند التقاء الحاجب بطرف العين ستشعر بوجود عظمة تكون الجدار الخارجي لتجويف مقلة العين . . أخرج عن هذه النقطة في اتجاه أذنك مسافة نصف سنتميتر أو سنتيمتر وابدأ الضغط ، ستشعر بأن الضغط على هذه النقطة بالذات يسبب لك ألما أكثر من الضغط على أي نقطة أخرى مجاورة . اضغط بالابهام حوالي دقيقة واحدة ضغطا مستمرا وبالضع على الناحيتين .

المنطقة الثانية :

ـ عند خلف الرقبة إتجه داخليا على العظمة الموجودة خلف الأذن وعندما تجد تجويفا بسيطا تحت أصبعك تكون قد وصلت إلى النقطة المطلوبة . إصغط بشده على هذه النقطة لمدة دقيقة واحدة .

المنطقة الثالثة :

وهي ضغط الابهام بالابهام لمدة دقيقة واحدة ايضا .



المنطقة الرابعة :

الضغط على جانب الرسغ تحت نهاية الأصبع الكبير (الابهام) .

ولكن هناك شروطا للضغط . . وهي أن يكون الضغط بطرف الأصبع وليس بجزء كبير منه وذلك لكي يكون الضغط بأصغر سطح من الأصبع :

ـ أن يكون الابهام الضاغط مشيا بزاوية قائمة .

ـ اضغط بشدة ولا تنزعج لهذا الألم لأنه لن يستمر طويلا .

ـ ابدأ التجربة بالضغط لمدة نصف دقيقة ثم استطر قليلا ، ثم أكمل الضغط مدة الدقيقة . وذلك لانك لن تستطيع أن تضغط منذ اللحظة الأولى دقيقة كاملة من شدة الألم ، لكن بعد ذلك سوف تتحمل الضغط مدة دقيقة كاملة . ويمكنك ممارسة الضغط على اليدين فقط لمعالجة الصداع أثناء جلوسك في مجتمع ما دون أن يشعر بك أحد . إذا احتجت الى جرعة إسعاف سريعة لصداع طارىء اجعل كفيك متشابكين واضغط بالابهامين على نقطتي حافتي العين . واذا اصبحت خبيرا في عملية الضغط هذه يمكن بعد ذلك ان تستخدم اليدين فقط في علاج الصداع وذلك بأن « تقرصها » بشدة وهي منقبضة .

فلنجرب هذا العلاج يا عزيزي القارىء وليكن لكل منا حكماً من خلال تجربته لهذا العلاج ، خاصة وأن العلاج الكامل والناجع للصداع ما زال بعيدا عن التحقيق . □



حكايات شرق وغرب

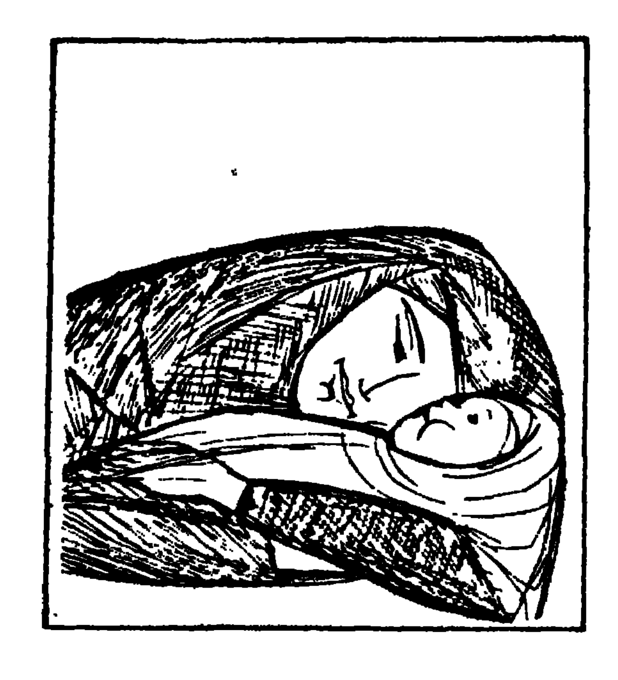
حكاية أم

● كانت باتريشيا مارشال قد بلغت عامها الثامن عشر عندما رزقت بطفلها الأول بعد زواج قصير انتهى برحيل والد الطفل بعد ولادته ببضعة أشهر

وتقدم أحد شبان المدينة الصغيرة بولاية الينوى الأمريكية يطلب الزواج من الأرملة الشابة ، ولكنه كان يحمل مع رغبته فى الزواج بها شرطا قاسيا « لا بد أن تبحث الأم عن أسرة تتبنى الطفل الصغير لانه يريد أن يرى أطفاله هو عندما يجيئون ، ولا يريد أن يرى بينهم طفلا غريبا عليهم » .

وقبلت باتريشيا أن تفترق عن طفلها ، فقد كانت حياتها مليئة بالفقر والحرمان بعد رحيل زوجها الأول ، وكان لا بد لها أن تتزوج لتعيش ، ووقفت تودع طفلها الصغير وهى تبكى وتتوسل الى الوالدين اللذين تبنياه ان يرعياه ويعطياه كل الحب والحنان

ومضت الأعوام ، والأم تنتقل مع زوجها سريان ماكدرموت من بلد الى بلد حتى استقر بهما الأمر فى النهاية فى احدى المدن الكبيرة فى ولاية أخرى تبعد مئات الأميال عن المكان الذى شهد بداية قصتها مع المأساة التى بدأت تعيشها .. فلم ترزق باتريشيا بأطفال من زوجها الثانى رغم مرور عدة سنوات على زواجهما ، وبدأ الحنين الى طفلها الذى تخلت عنه يعذبها ويؤرقها .. ترى أين هو الآن ؟ كيف يعيش .. هل مازال يذكرها .؟ لقد افترقت عنه وهو طفل لم يتجاوز شهره التاسع ، وكانت تسخر من نفسها وهى تقف عند هذه الهواجس التى باتت تسيطر على كل تفكيرها .



وكان شعورها بالألم والعذاب يتصاعف ، كلما قصدت المتجر الصغير الذى تشترى منه ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، فقد كان مدير المخزن ويدعى (جيرى) يذكرها بابنها .. كان جيرى شابا فى السادسة والعشرين ، نفس السن تقريبا التى بلغها طفلها الصغير الآن .. وكانت تجد السعادة فى تلك اللحظات القصيرة التى تقضيها فى الحديث اليه وهى تدفع ثمن ما اشترته من متجره وتعود الى بيتها الذى يقع قريبا من المتجر !

الى أن جاء يوم ذهبت فيه الأم الى المتجر كعادتها ولم تجد جيرى ، واستبد بها القلق .. ترى ماذا حدث له ؟ وقررت ألا تعود الى هذا المتجر ثانية قبل أن يعود

هل تتحقق الاحلام ؟

● روى البروفسور اناتولي جروميكو بن اندريه جروميكو وزير خارجية الاتحاد السوفيتي ، تفاصيل المغامرة التي رآها في حلمه ، وكان بطلها رجلا يشبه الى حد كبير رونالد ريجان رئيس الولايات المتحدة الامريكية !

قال البروفسور اناتولي ، وهو دبلوماسي سابق محدثا أعضاء معهد البحوث الدولي للسلام في استوكهلم ، انه رأى في الحلم انه كان بين ركاب سفينة فضاء يقودها قبطان يحمل مسدسين في جيبي سترته ، وهي الصورة الكاريكاتير التي تنشرها الصحف السوفيتية للرئيس الأمريكي ريجان .

ومضى اناتولي يكمل ما شاهده في حلمه قال « ان السفينة كانت (كوكب الارض) وكانت متجهة بسرعة الى أحد النيازك الذي يحمل اسم (سباق التسلح) ، واسرعنا ـ مجموعة من ركاب السفينة ، وأنا ـ الى مقدمة الطائرة حيث يجلس القبطان لنحذره من احتمال اصطدام سفينتنا بالنيزك .

ولكن القبطان كان رجلا غريب الأطوار ، انه لم يصدقنا ، كما هي عادة جميع القباطنة الذين يعتدون برأيهم ، ويعرفون كل شيء ! فما كان منه الا أن ابتسم في أدب ولم يتحرك من مقعده حيث كان يجلس وقد تدلى المسدسان اللذان يحملهما من جيبه ! »

ثم قال اناتولي : «ولكن يبدو أنه ادرك اخيرا حقيقة الموقف . واستطاع بمساعدة بعض القباطنة الذين كانوا معه أن يغيروا مسار سفينتنا قبل فوات الأوان»

وينهي ابن وزير الخارجية السوفيتي حديثه عن حلمه بقوله . « لقد آمنت بعد هذا بأن الأحلام لا بد أن تتحول الى حقيقة . . لا بد من انقاذ السفينة ! »

الرحلة الاخيرة !

● قال له الاطباء في مستشفى (هوستون) بولاية تكساس : « لقد زال الخطر تماما وتحسنت صحتك وتستطيع أن تغادر المستشفى في أي وقت تشاء » . وبدأ ادوارد هيل ـ وهذا اسمه ـ يجمع ملابسه ويستعد لترك فراشه الذي أمضى ثلاثة اسابيع راقدا عليه تحت العلاج من نوبة قلبية اصابته وهو يقترب في رحلة الحياة من عامه الستين . .

وحمل هيل حقيبته الصغيرة وراح يهبط الدرج مسرعا وقد أحس أنه ولد من جديد . . وكانت وجهته الغرفة الصغيرة التي يسدد فيها النزلاء نفقات علاجهم واقامتهم وقدم له الموظف المسئول فاتورة الحساب . . وما كاد الرجل يلقي نظرة سريعة عليها حتى سقط على الارض مغشيا عليه . . وجاء الطبيب مسرعا لاسعافه بالعلاج ، ولكنه ما كاد يقترب من صدره ليفحص دقات قلبه ، حتى ارتد مذعورا . . لقد مات ادوارد هيل . . مات من الصدمة ، والقى نظرة سريعة على الفاتورة التي كانت لا تزال بين اصابعه ، فاذا به يقرأ : (٣٨ ألف دولار مجموع نفقات العلاج والاقامة بالمستشفى) .

●

الزوج المثالي

الرجل الأصلع زوج مثالي ! هذه هي نتيجة الاستفتاء الذي قام به عالم النفس المجري الدكتور استفان بوكر لأكثر من ثمانمائة زوجة على مدى خمس سنوات كاملة . فقد أجمع ثلاثون في المائة من الزوجات على إنهن يعتبرن أنفسهن أسعد زوجات في العالم ، وعندما التقى بوكر بازواجهن الذين نجحوا في اسعادهن ، وجد أنهم جميعا قد فقدوا شعر رؤوسهم . . !



قصة : جار النبي الحلو

عندما انفتح الباب نفثت الشقة رائحة زمن قديم ، وأنفاسا محبوسة ، فاح عبقها المخزون مع هواء عطن ، وضعت السيدة ذات الشال يدها على أنفها الدقيق ، وقالت الأخرى العجوز بينما تدير وجهها نحو الشارع الضيق :

ـ زمن طويل يا أختي

وتهدج صوتها ، ثم قالت :

ـ الله يرحمك يا بابا .

قالت السيدة ذات الشال بصوت مسموع يصطنع الحزن:

ـ الله يرحمك يا بابا .

بينما تقدم الشاب بتؤدة ، عدل رباط عنقه ذا الدبوس المذهب ، واندهش لأنه لم يتذكر المكان أبدا .

في سيارة الأجرة قالت أمه ـ السيدة ذات الشال ـ والتي يشبهها تماما ما عدا شعره المجعد :

ـ كم لعبت بذلك المنزل وأنت صغير ، وكنت تقعد على حجر جدك حتى تنام ، ويشيلك الله يرحمه حتى السرير ، ويلفك بالروب الحرير . وتنزل ستائر (الدانتلا) عليك فتبدو كملاك سرل حالا من السماء .

صرخت العجوز وهي تمسح شعرها :

ـ يا ساتر . العناكب تفرش السقف والاركان ، انظري السجفة

كان المكان مظلما تماما ، رطبا ، تقدم الشاب ، فتح الشباك بصعوبة ، فأحس باندفاع هواء جديد .

قالت خالته العجوز :

ـ الأن نفتح كل النوافذ ، ثم نبدأ في التفتيش .

فتح الشاب النافذتين الوحيدتين في الصالة والحجرة المطلة على الشارع ، وسعل ، وحين هم بالجلوس ، نظرت له الأم مشيرة للخالة ، وأحس في عيني أمه قسوة ، كان المقصود هو متابعة الخالة حتى تتم قسمة الاشياء مناصفة ، ان لم تكن هي الفائزة .

الصالة واسعة عالية الجدران ، لها مائدة طويلة وكراس من النوع القديم ، وكنبة مبطنة ومنجدة بالقطن ذات تلبيسة من القطيفة الحمراء . لم يتذكر المكان أبدا .

لم يحك له أبوه عن بيت جده ، كان يقول انه تزوج بأمه من بيت خاله الكبير ، الذي توفي بعد زواجهما بشهر ونصف ، لم يحك ، وهو على الأرجح لم يأت لهذا المكان أبدا .

- في العيد كنت تلبس البدلة الضباطي والكاب وتذهب لجدك فيعطيك العيدية ورقة بخمسة جنيهات ، وتظل عنده يوم العيد الأول لتأكل الديوك الرومية والبط ، واللوز والجوز .

لم يتذكر أبدا ، عندما مات جده كان صغيرا لا يتذكر سوى البكاء ، والسرادق الفخم الذي سد الشارع ، وأن أباه كان يأخذه الى المطبخ ليأكلا - بين الحين والآخر - دون ان يراهما أحد .

أقسمت أمه أن البيت ذا الطابق الواحد لن يباع مدى الحياة ، لأنه الذكرى الباقية لأبيهما الذي رباهما أحسن تربية .

كانت خالته تقول :

- بابا الله يرحمه اشترى لي من باريس حذاء أبيض وشمسية بيضاء . . ولكن الزمن الأغبر . .

وضعت أمه الشال على كرسي متسخ ، فبان القرط والخواتم والعقود الفالصو ، وكانت تبرق ، وضعت ساقا فوق ساق ، قالت الأخت الكبرى .

- كما قلت قبل ان نأتي : النجف . . النجف من نصيبي .

حين سأل الشاب امه الليلة الماضية :

- لماذا قررتما بيع البيت ؟

قالت وكانت تقلب مجلة بعصبية :

- ان العقارات ارتفع ثمنها ، ومن سيشتريه سيحوله لعمارة . . هذا مكسبنا . . ثم . . ان الحي أبقى من الميت .

ورمت المجلة .

كانتا تتفاخران في الماضي بأنهما لن تبيعا البيت ، ويتردد دائما في الأحاديث والجلسات :

- بيت بابا .

وظل بالفعل شاهدا على أنهما ليستا في حاجة له ، وأنهما لا تطمحان في ارث . . . كانت هي تحكي :

- لما مات بابا وجدوا في جيب بيجامته ورقة بمائة جنيه ، وأعددنا له (عتاقة) لم يشهدها الشارع ، وأحيا تلك الليلة الشيخ محمد رفعت .

خلع الشاب الجاكته ، ووقف فرأى في منتصف الصالة صورة جده في اطار من الخشب لونه بني غامق ، اقترب فرآه برأسه الاصلع واسنانه المكسرة ، وكانت ابتسامة حقيقية تشع من وجهه العجوز .

أخرج الشاب منديله الابيض ومسح الصورة من تراب السنين ، فاتسعت ابتسامة جده .

صرخت ذات الشال :

- يا بابا .

قالت العجوز وهي تغلق عينيها بجفنين مترهلين :

- كفى يا أختي . . زمن بعيد . . هيا .

ونهضت وفتحت باب الحجرة الكبيرة . . زيق الباب ، وكانت الظلمة ، تقدم الشاب مسرعا وأضاء الحجرة مصباح مترب ، فرأى السرير وعرف أنها حجرة النوم ، ورأى أنها حجرة بسيطة ، وليس فيها ما يبهر ، همس :

- حجرة عادية .

سمعته أمه ، التفتت في حدة ، قالت خالته بلا اكتراث ، وهي تنظر لأمه معاتبة :

- ألم أقل لك .

قالت أمه بهمس كالفحيح :

- أنت لا تعرف شيئا . . كانت أفخم حجرة نوم . . بابا الله يرحمه اشتراها من اسطنبول .

تصوره دائما - كان - لبيت جده أنه ذو بوابة ضخمة ودرجات سلم عالية . ولكن الباب الخشبي والهواء العطن والظلمة جعلوه لا يفهم ، وتوتر .

صاحت خالته :

- لا تفضحنا ياباش مهندس ، انتظرنا كل هذه السنوات ، قافلين على باب أبينا سره وسرنا .

استندت الأم بيدين معروقتين على شبك السرير الخشبي وقالت :



ـ مات أبوك وكانت أمنيته أن يرى بيت جدك . . فاهم . . اياك ان تتلفظ .

لما عرف بحكاية بيع البيت وأن أمه وخالته اختارتاه من بين جميع الأهل ليذهب معهما لأخذ الاشياء الثمينة قبل البيع ، كان في حلم وشوق لرؤ ية المرايا التي تزين الجدران ، والسجاجيد العجمية ، والزجاج الملون ، والنجف الكريستال ، والكنبة ذات الكنوز .

انحنى ولمس بيده السجادة المفروشة على الارض . . من النوع العادي . . ولا تبدو نقوشها واضحة .

كانت أمه تقول عندما تزعل مع أبيه :

ـ أنا من عائلة ، لو دخلت بيت بابا الله يرحمه كنت تتكسف من نفسك .

اندفعتا تفتشان في الدولاب وتجذبان المراتب ، رمت الأم الوسادة ذات الزهرة على الجانب الآخر ، والبطانية المؤطرة بـ (البستان) رمتها الخالة من الباب الى الصالة ، وتحدثت بهمس ومرارة :

ـ شفتي يا أختي البطانية التي اشتراها زوجي من بورسعيد الأسبوع الفائت . . أو البطانية التي أهداها لنا (سلفي) وهو عائد من السعودية . . حاجة تهوس !!

غمزتها الأم قائلة :

ـ الدنيا تغيرت ، هل تريدين زمن أبيك كزمن بورسعيد ؟ الدنيا تغيرت ياأختي . في أعياد الميلاد والافراح ، وفي استقبال الراجعين من السعودية ، وفي كل المناسبات كانتا تتكلمان عن بيت الأب المغلق بالمفتاح ، عن طوابقه وأشجاره وأثاثه ومن كنوزه ينبهر السامعون ، هو نفسه كان مبهورا ، وبعد أن أصبح مهندسا مدنيا أفضى لأمه بشوقه لرؤ ية بيت جده ، قالت :

ـ لا تكن فضوليا مثل أبيك ـ . هذا كنزنا الذي نعيش به .

اتجه الى الحائط حيث شماعة خشبية عليها بيجامة مقلمة ، متسخة قليلا (عندما مات وجدوا في جيبه . .)

ارتفع صوتاهما مختلفا على بعض الجلابيب والبيجامات وملاءتين للسرير . قالت الخالة :

ـ خذي ما تريدين . . سآخذ النجف .

خرج مسرعا للصالة ، لم تكن سوى نجفة واحدة من الزجاج الهادىء اللون .

كانت هي تحكي :

ـ عند بابا نجف كريستال .

ـ عند بابا ثلاث فازات من الصين أيام كان يطوف العالم .

بالنجفة الزجاجية ثلاثة مصابيح .

خرجتا من الحجرة ، قالت الخالة :

ـ سآخذ النجفة وأبيعها في أول محل ، وخذي ما تريدين على شرط بيعه قبل وصولك للبيت

اتجه الشاب الى الكنبة ذات القطيفة الحمراء الأنيقة ، وكانت ببابين صغيرين ، جاهد في فتحهما وهو يركز على ركبتيه . قالت له أمه :

ـ مادا تفعل ؟ ربما تفزعك الفيران

اندهش كثيرا . . هي ليست كنبة الكنوز اذن ! حاول مرة اخرى فتح الباب ، حتى انفتح عنوه مد يده يتحسس ، قال لخالته :

ـ أضيء النجفة من فضلك ياحالتي

قالت : النجفة لا تضيء يا روحي .

مد يده بتوجس وقلق ، تحسس كتبا ، عبث بيده ليتأكد ، ثم أخذ يخرجها كتابا كتابا

لا يتذكر أن أمه قالت على جده انه كان يقرأ الجريدة ، رغم انها في كل صباح تنادي على بائع الصحف وتقول ـ وهي ما تزال بقميص النوم ـ الجورنال بسرعة .

جلس على الأرض تماما كتب في الأدب والموسيقا . كتب ضخمة وصغيرة ومجلدة ومنزوعة الجلد

قالت الأم وهي تتنهد :

ـ قم . . بلاهم .

امتلأت الصالة بالكتب التي تخرج منها رائحة قديمة نفاذة ، تصور للحظة أن يشتري مكتبة ويضعها في صالة بيتهم ، ويجلس بجوارها كلما زارهم أحد ، وتصور نفسه أيضا وفي يده (بايب) وكلما تحدث يشير به للمكتبة .

قام متلهفا الى أمه التي كانت تتناقش مع خالته عن : من سيدفع أجرة العربة التي ستحمل هذا الكوم من العفش والهدوم القديمة .

ـ أمي سآخذ الكتب .

زعقت فيه :

ـ ولد . . لا تفضحنا . قلنا لك هذا سرنا الذي به عشنا . . لن نعرض زبالتنا على الناس .

نهضت الخالة ، مسحت وجهها العجوز بمنديل صغير ، وقالت لأمه :

ـ كوني عاقلة . سأذهب وأعود برجل يشتري ما في الشقة ، ونخرج بالمفتاح ، وبعد ذلك تتم عملية البيع بسهولة ، ولا تنسي أن تحطمي الاطار وتحتفظي بصورة أبيك .

وخرجت .

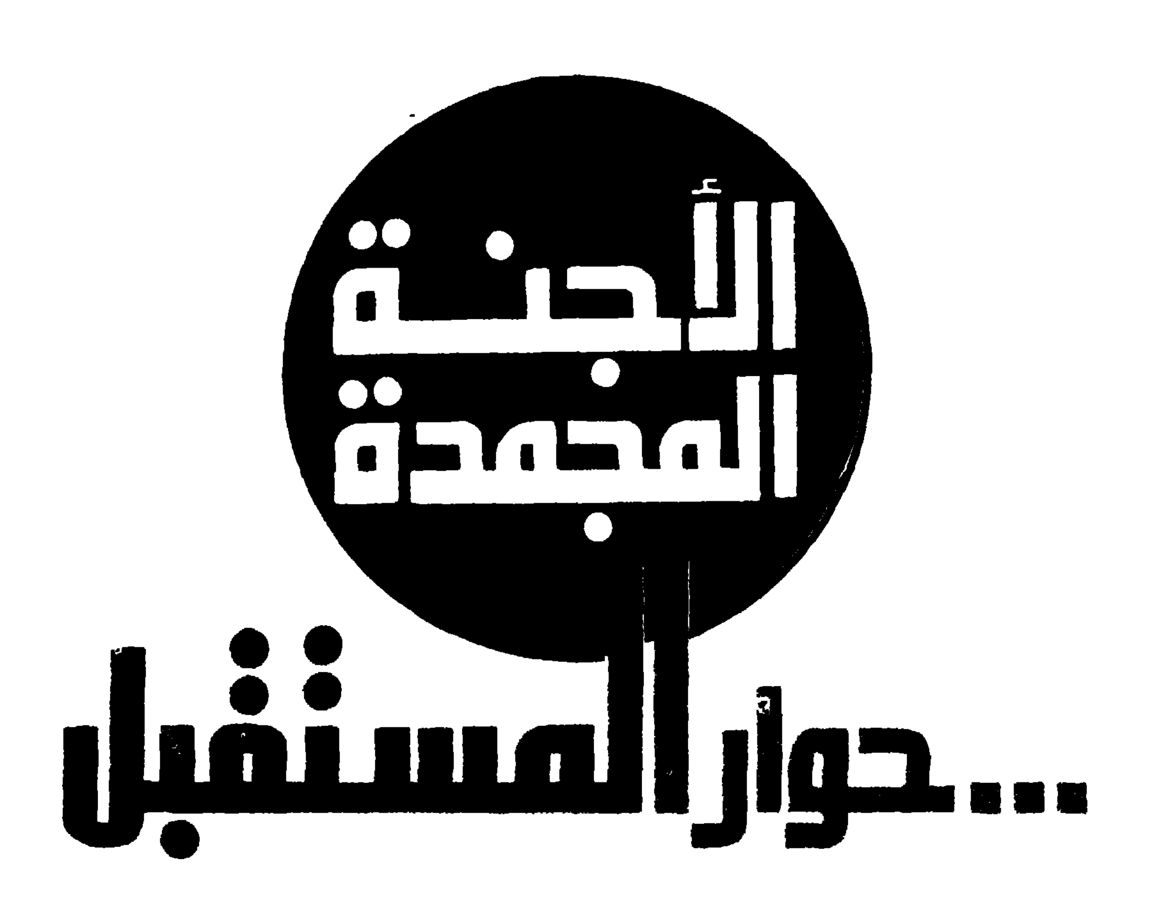
اتسخ قميص الشاب وسطلونه من زحفه وراء الكتب التي لم يرها في حياته ، هو يشتري مجلة السينما ومجلة الشبكة ، وبنات عمه وبنات خالته وبنات العمارة . كلهن يعولن عليه في شراء أشرطة أفلام الفيديو . لكن ولع ما أصابه هذه اللحظة من هول الكتب جعله ينهض على مهل . وقال مشيرا لحجرة معلقة

ـ وهذه الحجرة !

قالت بلا اكتراث وهي تدعك جبهتها بإصبعين مرتعشتين :

ـ افتحها لن تجد فيها شيئا . . كانت حجرة جدك وأصحابه

فتحها بشغف فوجدها مفروشة بالحصر ، وفي الركن مكتب صغير بثلاثة أدراج ، وفوق المكتب ما جعله يفزع حقا ، اذ رأى (عودا) اقترب منه . . حمله . . أزاح عنه التراب بمنديله ، مسحه جيدا . . داخله احساس غريب بالمكان والجد والعود ، فتح النافذة الصغيرة فأطلت شمس باهتة صفراء ، جلس على الحصيرة ، واحتضن العود لمست أصابعه الأوتار فاهتزت ، وحاول . . حاول عبثا أن يخرج نغمة صحيحة . ☐



بقلم : الدكتور عامر هشام جعفر

منذ ولدت طفلة الأنابيب الأولى قبل أكثر من ست سنوات تفتحت آفاق جديدة أمام علوم الطب والوراثة والأجنة .

عن امكانية الاخصاب خارج الجسم ، وعن الأجنة المجمدة ، وعن آفاق المستقبل . . اقرأ هذا المقال .

مما لاشك فيه ، أن تطورات عظيمة قد حصلت في مجالات الطب المختلفة في سنواتنا هذه (بدايات العقد الثامن من القرن العشرين) ، وخاصة علوم التشخيص والعلاج لأمراض الانسان . ويظل التطور سمة الحياة . . وسنة الطب في حاضر الانسان .

وضمن التطور ماهو متميز ، ونقصد بذلك تطورات الطب في علوم الولادة والتوليد ، وقبل ذلك في علم اخصاب البويضة ومعالجات العقم عند أي من الزوجين .

وإذا كان القارىء الكريم قد سمع عن أطفال الانابيب (الأنابيب : تعبير يقصد به أنبوب الاختبار ، وهو أداة يكثر استعمالها في المختبرات العلمية) ، ويعرف أن الطفلة البريطانية لويز براون هي أول طفلة أنبوب ، ولدت في يوم ٢٥ تموز ١٩٧٨ حيث احتفلت بعيد ميلادها السادس في تموز من العام الماضي ، فإنه دون شك يعرف أن هناك اليوم مئات من الأطفال الذين ولدوا بعد تخصيب بويضات أمهاتهم في الأنابيب ، حيث كن هناك ١٣٨ طفلا من هؤلاء الأطفال في بريطانيا وحدها حتى بداية عام ١٩٨٤ .

إخصاب البويضة

وللطب تفسير لتخصيب بويضة الأنثى في أنبوب الاختبار . فكما هو معروف ، هناك حالات مرضية عديدة تمنع اخصاب الانثى داخليا ، فقد تكون أنابيب مبيض الأنثى مسدودة ، مثلا نتيجة الاصابة بحالة مرضية معينة أدت الى حدوث ضيق في قطر قناة المبيض ، مما يمنع مسار (حيامن) الذكر خلال هذه القناة فيستحيل الاخصاب ، ويستحيل بالتالي تكون جنين .

وإذا كانت الانثى تحمل في تجويف جهازها التناسلي أجساما مضادة (لحيامن) الذكر ، استحال الاخصاب كذلك . وهو يصعب إذا كانت نسبة معينة من (حيامن) الذكر غير فعالة أو خاملة .

وقد تغلب الطب على كل هذه الحالات بواسطة اخصاب البويضة خارج الجسم (أي في أنبوبة الاختيار) ، وفي ذلك معنى . . وفي ذلك فائدة .

لقد استطاع اطباء التوليد في العديد من المراكز العلمية العالمية استعمال المنظار الداخلي الخاص ، وهو عبارة عن ألياف ضوئية مزودة بعدسات للرؤية ، لغرض إدخاله عبر التجويف البطني للانثى ، وفحص مبيضها ، واستخلاص بويضة واحدة أو أكثر من المبيض ، وفي وقت محدد ، لغرض اخصاب هذه البويضة بعد وضعها في أنبوبة اختبار وفي وسط حياتي متوازن ، يحافظ على حيوية البويضة الأنثوية ، حتى إذا خصبت البويضة في الأنبوب ، أرجعت بجهد الاطباء مرة أخرى الى تجويف رحم الأنثى التي تستلقي براحة لعدة أيام حتى تساعد على ثبات البويضة المخصبة في تجويف الرحم لتبدأ عملية الانقسام الخلوي فيتكون الجنين . . وتستمر الحياة .

وقد وصل الى الاسماع في نهاية عام ١٩٨٣ أن أول طفلين من أطفال الانابيب قد ولدا في الصين ، وذلك في مقاطعة هونان الوسطى ، حيث كان أول الطفلين بنتا تزن ٣٫١ كغم في حين كان الطفل الثاني يزن ٣٫٤ كغم . وفي الصين وفرة بشر لاتعدلها وفرة في أي بلد آخر ، ولكنه تقدم العلم ، أراد أن يستدل عليه الصينيون ففعلوا . !

التجميد

ومادام التطور سنة ، فان أمر الاخصاب خارج الجسم لم يتوقف عند هذا الحد ، فقد رأى خبراء الطب أن القليل ممن خصبت بويضاتهن في الأنبوبة قد ثبت عندهن الجنين بعد ارجاعه الى ارحامهن . فكان ذلك مبرراً لأن تنطلق فكرة تجميد الجنين بعد اخصاب البويضة في أنبوبة الاختبار .

إذن ، فهي عملية حفظ وخزن للاجنة تحت درجة حرارة تقرب من ٢٠٠ درجة مئوية تحت الصفر ، وفي غاز نيتروجين مسيّل يضمن هذه الدرجة الباردة جدا ، فيحفظ الحياة لبويضة مخصبة لأشهر ، بل لسنوات ، تكون خلالها محفوظة بأمان لتزرع في زمن يعينه الطب في رحم الوالدة،فينمو طفلا بعد أن كان حلية مجمدة . .

وهكذا سمعنا في العام الماضي ، ١٩٨٤ ، ومن ملبورن في استراليا عن مولد أول طفل أنابيب في العالم بعد أن كان جنينا مجمدا لمدة شهرين . حيث ولدت



في البداية لاتزيد نطفة الانسان عن ١٣ مليمترا ويبدو الحوض حيث ستخرج منه القدمان .

* حيامن اختصار لكلمتي الحيوان المنوي .



هنا تم تكوين الجنين وأصبح
مخلوقا او انسانا متكاملا في الشهر
السادس وهو داخل المحيط،
يتنفس ويبتلع سائل الامينيوتك
الذي يسبح فيه !

الطفلة (زوني) في المركز الطبي في ملبورن بعملية قيصرية ، وبوزن ٥ر٢ كغم ، وبحالة صحية جيدة ، بعد أن ظل والدا الطفلة يحاولان دون جدوى ولعدة أعوام انجاب طفل ، حتى لقيا العون في احد مستشفيات استراليا ، فخصبت بويضة من الأم ، بحيامن الأب ، في أنبوبة اختبار ليحفظ الجنين بعد ذلك ، ولمدة شهرين ، في النيتروجين السائل وتحت درجة حرارة ١٩٦م تحت الصفر قبل أن يزرع في رحم الأم . .

وفي آب الماضي وضعت امرأة استرالية أيضا ثاني طفل أنابيب في العالم من جنين مجمد ، وعرف حينها ، أن هذا المركز قد قام حتى ذلك التاريخ بتجميد ٢٣٠ جنينا في برنامج خاص بموضوع الاخصاب الخارجي للبويضات ، وضعت في جدوله قرابة ٢٠٠٠ امرأة استرالية لايستطعن الحمل بصورة طبيعية ، أو أن أزواجهن مصابون بالعقم .

وقد حاول الطب الحصول على أكثر من سويضة أنثوية واحدة من مبيض المرأة من خلال استخدام عقاقير تحتوي على هرمونات معينة ، تزيد من انتاج البويضات مما يتيح خزن بويضات مخصبة أكثر ، عن طريق التجميد ، اضافة الى ان تجميد الأجنة أتاح الفرصة الكبرى لدراسة أمراض الأجنة ، وهي خلايا في طور الحياة الأول لدرء المرض قبل حصوله واستفحاله . .

ومن متابعة مجريات هذا الموضوع علم أن هنا خمس سيدات أخريات يحملن حاليا أجنة مجمد وينتظرن الوضع بعد عدة أشهر . .

إلا أن مشاكل برزت من جراء الزراعـ والتجميد . . فقد يتوفى والدا الجنين المحفوء بالتجميد ، وقد ينفصلان ، فمن سيكون المسئول عن الأطفال في هذه الحالة ؟

وإن كان الطب قد حفظ بالتجميد حياة جنين فهو لايمكن أن يحفظ الحياة بتجميد ولا بغيره . .

ومن هنا كان لابد لرجال القانون والطب والفكر من إعمال الذهن وإيجاد الطرق الأصولية لحل ما قد يترتب على ذلك من مشكلات ، فيحافظ العلم على ماحققه من تطور لخدمة البشرية ، كما يكون ذلك طريقا لتجاوز مشكلات وتعقيدات يظل الانسان في غنى عنها .

ومنذ بدايات العام الماضي بدأ فكر الغرب بالاستعداد لمشاكل الأجنة المجمدة . ومازال الحوار محتدما في المراكز الطبية العالمية . وهم على حق . . فهل يكون لنا نصيب في حوار الحاضر ؟ وهل يكون لنا نصيب في حوار المستقبل ؟

لقد ظهرت بدايات في بعض أقطار العروبة . . ولكل طريق بداية . . □

العودة !

كلنا يحمل في عروقه نسبة معينة من الملح في الدم . . في دموعنا عندما نبكي ، وفي عرقنا عندما نبذل جهدا . . اننا جميعا مرتبطون بالبحر . . وعندما نذهب الى مياهه لنسبح فيها أو نبحر فوق صفحتها أو حتى نقترب منها لنتأمل الأمواج الصاخبة ، ينتابنا هذا الشعور الغريب بأننا قد عدنا الى نفس المكان الذي جئنا منه !

(جون كنيدي)

منتدى العربي

قد يستغرب البعض كيف أن متخصصا في ميدان التاريخ يكتب عن المستقبل ، بينما المعروف أن التاريخ يتعامل مع الماضي ، وقد يغالي بعض المهتمين بالتاريخ في نقد كاتب هذا المقال ، من منطلق فهم التاريخ على أنه يتعامل مع الزمن الماضي وأحداثه وفكره ، ومن ثم تكون دراسته عن طريق مصادره ووثائقه بينما المستقبل ليس له وقائع أو وثائق . .

قضية

تاريخ المستقبل

بقلم : الدكتور عبد المالك خلف التميمي

الاهتمام بالمستقبل اهتمام حديث ، وهو لا يعني المتخصصين أو العاملين في حقل التاريخ فحسب ، ولكنه يعني كل من لديه حس وطني ويؤمن بتطور المجتمع وتنميته ، وضمان استقراره وأمنه وبنائه في الحاضر والمستقبل ، أي يعني المختصين والمثقفين ، وكذلك الانسان العادي صانع التاريخ الحقيقي . ونعود الى سؤالنا : هل يمكن للمؤرخ أن ينظر الى المستقبل ؟ واذا لم يكن من حقه ذلك فلماذا تخصص في التاريخ ؟ هل ليعمل حفارا للقبور ويقدم لنا قصصا ومواعظ ، أم ليحلل التجارب التاريخية ويستنتج منها ما يفيد المجتمع في الحاضر والمستقبل ؟

هذه الاسئلة وغيرها نحاول في هذه المقالة الاجابة عنها كمدخل لحوار في هذا الموضوع ، خدمة لوطننا ومجتمعنا العربي الذي يتلمس طريقه نحو المستقبل ، وسط ركام هائل من التخلف والارث التاريخي المجيد والمريض معا .

التفكير الجاد بالمستقبل

لقد بدأت الدول المتقدمة الاهتمام بالمستقبل والتفكير الجدي به بعد الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن تتفاوت نظرة المفكرين والمجتمعات والحكومات الى المستقبل حسب طبيعة النظام الاجتماعي السائد ، أو الفكر الايديولوجي . وبدون شك فان المجتمعات ـ أيا كان النظام السائد فيها رأسماليا أو اشتراكيا أو ناميا ـ لديها تطلعات مستقبلية وتساؤلات منهجية ومشروعة عن مصيرها ، ومحاولات التفكير والاعداد للغد تتراوح ما بين جادة وواضحة للبعض ، وقلقة وغامضة للبعض الآخر ، وربما معدومة أو شبه معدومة لطرف ثالث ، لكنها في مجملها تحمل دلالة على أن الاهتمام بالمستقبل أخذ يحتل مكانه في نفوس وفكر الافراد والجماعات البشرية المعاصرة . ولربما يعود ذلك الى ضغط ظروف

لـواقـع الاجتمـاعي والاقتصـادي والسيـاسي العلمي . وهذا الاهتمام لا يمكن أن يحدث بدون تطور في الوعي لدى عامة الناس ، سواء كان ذلك بسبب انتشار التعليم أو ضغط ظروف الـواقع عـلى الانسـان المعاصـر أو نتيجة لـدراسة عميقـة لبعض تجارب الماضي أو لأي سبب آخر .

قد يرى البعض ونحن بصدد الحديث عن تاريخ المستقبل أن هذا التفكير يتناقض مع فهمنا للتـاريخ على أنه علم المتغيرات التي حدثت في الماضي ، وهذا يتطلب منا أن نوضح بأن أي تصور أو كتابة للمستقبل لا يمكن أن تكون كاملة ودقيقة بكل معالمها ودقائقها ، ولكنها تضع ملامح صورة المستقبل وتحـدد أبعادهـا واطـارهـا التقـريبي ، وتتـرك مجـالا للمستجـدات والمتغيرات التي هي حتمية في المستقبل . كما أن تصور المستقبـل والاعداد لـه لا يتناقض مـع التعامـل مع المـاضي لأن أصـول المستقبـل تكمن في المـاضي والحاضر ، وأن المستقبل في يوم من الايـام سيصبح حاضرا وماضيا .

ان تاريخ المستقبل يعبر عنـه اليوم بـالتخطيط . فنحن عندما نخطط لمستقبلنا نـرسم خطوط تـاريخنا المقبل ونكتبه مقدما . فعندما نضع خطة خمسيـة أو عشرية مثلا في مجال من المجالات فنحن بذلك نكتب تاريخ المستقبل في هذا المجال أو ذاك ، أو بمعنى آخر نرسم المسار الذي ينبغي لنا أن نتبعـه . وعلى هـذا يمكن أن يقال ان الصحافة بجهودهـا اليوم تسجـل تاريخنا . وان دراسات مراكز التخطيط وجهود الافراد في هـذا المجال انمـا هي سجلات تـاريخ المستقبـل ووثـائقـه ، بغض النـظر عن الأخـذ بهـا أو عـدم تطبيقها .

ان أحـداث الماضي والحـاضر وتجـاربـه تضـطر الانسان وتدفعه للتفكير بالمستقبل . فالثورة الصناعية في أوروبـا أدت مع غيـرهـا من أسبـاب الى نشـوء الاستعمـار الـذي بـادر الى نهب المـواد الخـام في مستعمـراتـه وجعلهـا سـوقـا لتصـريف المنتجـات المصنعـة ، وأخـذ في استغـلال الأيـدي العـاملة واحتكارها ، كما أن تقلص نفوذ الاستعمار التقليدي أدى الى التفكير في المستقبل ، فقاد الى نشوء ظاهرة الاستعمار الجديـد بجوانبـه الاقتصادية والسياسيـة والثقـافية . وإن أهـوال الحربين العـالميتـين الاولى والثـانية جعلت الشعـوب تفكـر بقلق في مستقبلهـا وكيفية تأمين السـلام لها ولاجيالها القادمة ، وان تطور الاسلحة النووية جعل أطرافا أخرى تتسابق في هذا المجال لتحدي التـوازن في صناعـة هذا النـوع من الاسلحة في المستقبل . وهـو توازن خـطر ، كما أن للنفط دورا هاما في حياة الشعوب المنتجة والمستهلكة في وقتنا الحاضر ، ولكن مهما طال عمره فان الدول المتقدمة تفكر جديا في توفير بدائل عنه في المستقبل ان هذا التفكير جاء نتيجة تجارب الماضي وظـروف الحاضر ، ولم يعد مجرد تفكير بما هو آت ولكنه أيضا تخطيط وبرمجة وإعداد .

الضريبة المكلفة

ان المجتمعات المتقدمة اليوم سعيـدة بتقدمهـا ، ولكنها مع غيرها من المجتمعات الاخرى تدفع ضريبة هامة ومكلفة نتيجة هذا التقدم العسمي ، تتمثل في البطالة بسبب تطور الآلة ، واهدار الموارد الطبيعية ، وغـلاء المعيشة وفي تلويث البيئـة ، وتضخم المـدن وتقلص الريف ، وزيادة هـائلة في عدد السكـان ، ونقص خطير في المياه العذبة ، وظهور أمراض تسمى أمـراض المدنيـة المعاصـرة ، اضافـة الى خطر قيـام الحروب الاقليمية والعالمية المـدمرة ، التي أصبحت تهدد الانسان أكثر من أي وقت مضى .

ان المعرفة المتدفقة والسريعة تزداد وتتطور ، وتكاد تكون ثورة علمية في حاضرنا ، وسنشهد المزيد منها في المستقبل ، فهل تفكيرنا بالمستقبل هو في اتجاه اللحاق بذلك التقدم والاستفادة منـه أم بالمشـاركة في هـذا التقدم ؟ و بمعنى آخر هل سنتحرر من التبعية للدول المتقدمة بتقدمنا الحضاري على كل المستويات أم أن الفجوة بيننا وبينهم كبيرة وشاسعة لا يمكن ردمها أو القفـز عليها ، ولـذلـك كتب علينـا أن نلهث وراء الآخرين ، وقد نلحق بهم ، وقد لا يتسنى لنا ذلك ؟ ان هناك فجوة تفصل بين شعـوبنا النـامية والـدول المتقـدمـة ، وان عمليـة اللحـاق بتلك الـدول مـع الاحتفاظ بشخصيتنا الحضارية واستقلالنا الحقيقي لا يمكن أن تتم بـدون تطور شـامل أسـاسـه الحـريـة والديمقراطية ، والتفكير العلمي على هذا النهـج لن يتحقق بـدون الاستقلال الحقيقي لشعـوبنـا ، لأن

التبعية للدول المتقدمة لا تسمح بتطور نوعي حقيقي للبلدان النامية ، ولأن جزءا هاما من تطور البلدان المتقدمة يقوم على تخلف وتبعية أقطارنا النامية .

ان القلق والاغتراب الذي نعيشه اليوم يمكن أن يكون بداية الوعي بالواقع والتفكير العلمي به وبالمستقبل ، ويبدو لنا أن نقطة البداية هي في التوجه الصحيح لاصلاح التربية والتعليم اذا أردنا أن نبني مستقبلا حضاريا متقدما لهذه الامة ، وعملية الاصلاح هذه يجب أن تنطلق من نظرة جديدة للتربية والتعليم تقوم على التحرر من عملية حشر المعلومات في عقول الناشئة وحفظها ، فهذه المهمة أصبحت تقوم بها الآلة والكمبيوتر ، بل يجب أن يتجه التعليم الى التحليل والاستنتاج ، الى الخلق والابداع . ان وقف تدهور التربية والتعليم في أقطارنا من أولويات التفكير بالمستقبل ، ولا يقتصر دورنا عند هذا الحد بل يتعداه الى عملية الاصلاح الحقيقي لهذا المجال الحيوي في حياة شعوبنا .

بناء الانسان

ان بناء المستقبل يتوقف على بناء الانسان اليوم ، وهذه مهمة التربية والتعليم في الدرجة الاولى ، وان اصلاح هذا المجال في الحاضر هو اصلاح لهذه الامة في المستقبل ، وهي صناعة حقيقية لتاريخ أمتنا في المستقبل . ان التعليم في أقطارنا لا يتجه الى بناء الانسان ، بل الى توظيف الانسان كي تتوفر له مستلزمات المعيشة فقط ، وليس هذا هو الدور الحقيقي والاساسي للتعليم والتعلم .

كما أنه لا يمكن اقامة المؤسسات ولا بناء مستقبل أمة بدون اقامة مجتمع المؤسسات الديمقراطية .

كما أن آفة الفردية هي احدى آفات المجتمع العربي وأن تطور المجتمعات وضغط تحديات العصر أثبتا ضرورة قيام مجتمع المؤسسات الديمقراطية لأن تلك المؤسسات ضمانة لقوة وتماسك وتطور المجتمع ، وهي أقدر من الافراد على التفكير والابداع والانتاج ، وخلق التطور . ويتساءل البعض لماذا لا يستطيع العرب التغلب على اسرائيل على الرغم من أن عد[د] العرب يبلغ مائة وستين مليونا في الوقت الذي يبلغ [فيه] عدد سكان فلسطين المحتلة ثلاثة ملايين فقط ؟ ! ! [ان] المشكلة تكمن في أسباب عديدة منها التبعية للغرب والتخلف الذي تعيشه أمتنا الى جانب سبب هام ه[و] أننا مجتمع أو مجتمعات تقوم على الفردية . ولا يمك[ن] أن نتقدم ونتخلص من التخلف والتبعية والتجزئة الا باقامة المؤسسات الديمقراطية على كل المستويات ، وهذا لا يتأتى الا بخلق رأي عام مستنير وضاغط . تبقى قضية لا بد من الاشارة اليها ، وهي أن هناك خطر يواجه التفكير المستقبلي ، يتمثل في ضغط الظروف والاحداث القائمة بحيث يتجه تفكيرنا أساسا لمواجهة هذه الظروف والاحداث المتسارعة والمتلاحقة مما يستنزف طاقتنا ، ويصدنا عن التفكير الاستراتيجي المستقبلي ، ونورد هنا مثلا قضية فلسطين . . . وبمواجهة هذه القضية علينا أن نقرر بوضوح ، هل يجب أن تعود فلسطين عربية كاملة الى الوطن العربي ، ويعود أهلها لها ؟ اذا أصبح هذا قرارنا فان علينا أن نضع استراتيجية عربية ثابتة لا تؤثر فيها الظروف الآنية القائمة مهما كانت وأيا كانت ، هكذا فكرت الحركة الصهيونية بالمستقبل وهكذا فهمته في نهاية القرن التاسع عشر عندما وضعت استراتيجيتها باقامة الوطن القومي في مؤتمرها الاول ، وهي اليوم تفكر بالمستقبل وللمستقبل بنفس العقلية .

ان اهتمامنا بالماضي يجب ألا يغرقنا في تفاصيله الى درجة الادمان والابتعاد عن الحاضر والمستقبل . يجب أن نختار من الماضي ما يفيد الحاضر والمستقبل ، ونؤمن بعدم تجزئة التاريخ ، ونؤكد التواصل الزمني بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فاذا كنا نحلم بنهضة حقيقية في الوطن العربي في بداية القرن الواحد والعشرين ، فان من متطلبات تحقيقها ونجاحها التفكير بها الآن ، بل كان يجب التفكير بها قبل الآن والاعداد لها ، وذلك بتركز الاهتمام على الانسان وبنائه باعتباره وسيلة وغاية للنهضة والتطور الحقيقي لمستقبل هذه الامة ، وليس من سبيل للحكم على المستقبل الا في ضوء الماضي والحاضر . □

معسكر السلام في الكيان الصهيوني

بقلم : توفيق أبو بكر

كلما ازداد سقوط الضحايا فى صفوف الاسرائيليين ، فان معسكر السلام يكبر ويتوسع في الكيان الصهيوني .
فأي حجم يحتله الان هذا المعسكر ؟ وما هى القوى التى وراءه ، وماهي احتمالات المستقبل ؟؟

يكثر الجدل عادة فى الأوساط السياسية العربية والفلسطينية والدوليه ، حول حجم معسكر السلام فى اسرائيل ، ومدى فاعليته فى اللحظة الراهنة والأمد المنظور ، ومدى استجابته للحد الأدنى من الحقوق الوطنية الفلسطينية . وهذا الجدل ليس ترفا نظريا ، بل هو جدل هام ، لأن نتائجه تدخل فى حساب التكتيكات الكفاحية الوطنية للفلسطينيين والعرب ، وتدخل فى حساب الاستراتيجية المرحلية لهذا الكفاح على الصعيدين الوطني والقومى . لذلك فان الخطأ فى قراءة تضاريس خارطة ما يعرف بمعسكر السلام فى اسرائيل ، سواء باتجاه الاغراق فى التفاؤل ، أو الانسياق وراء التشاؤم ، يؤدى بالقطع الى خلل فى الحسابات .

أحزاب وقوى عديدة

يضم معسكر السلام فى اسرائيل العديد من القوى والاحزاب واللجان المتناثرة ، التى تتفق على خط عام عنوانه ضرورة التوصل لسلام مع العرب والفلسطينيين ، وعبث الاستمرار فى استخدام السلاح والعنف ، لحل هذا الصراع . وفيما عدا هذا العنوان العام ، فان غالبية هذه القوى والاحزاب واللجان تختلف كثيرا فى برامجها تجاه هذا السلام بخطوطه العامة ، وتختلف في مدى استجابتها للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، كما تتفاوت فى مدى اعتناقها للصهيونية كايديولوجية وحركة تحرر وطنى ، كما يزعمون . فبعض هذه القوى معادية للصهيونية فكرا وممارسة ، مثل حزب (راكاح) ، وبعضها قوى صهيونية مثل حركة السلام الآن ومجلس السلام الاسرائيلى الفلسطيني ، الذى يتزعمه يورى أفنيرى ، والجنرال المتقاعد متياهو بيليد وغيرهم والذى لم يعد له وجود فى انتخابات الكنيست الأخيرة فى صيف ١٩٨٤ .

ان حجم تأثير هذا المعسكر السلامى ، مازال محدودا فى المجتمع الصهيونى ، فالقوة الاولى فى هذا المعسكر ، والتى تتبنى برنامجا يدعو للاعتراف بمنظمة التحرير ، ولاقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، لها أربعة نواب فى الكنيست من أصل مائة وعشرين عضوا يتكون منهم البرلمان الصهيونى ، أقصد الجبهة الديمقراطية للسلام

والمساواة . وقد راوحت فى عشر دورات برلمانية منذ انشاء الكيان الصهيونى بين ٤ - ٦ نواب فقط .

والنقطة الثانية المهمة أن غالبية أعضاء وأنصار هذه الجبهة هم من العرب ، مما يعطى مؤشرا على ضعف تأثير هذه الجبهة على الجماهير اليهودية . والقوتان الثانية والثالثة فى هذا المعسكر ، لم يكن لهما أى عضو فى الكنيست (العاشر) وحركة « شلى » المعروفة باسم المجلس الاسرائيلى الفلسطينى للسلام ، كانت القوة المتماسكة رقم ٢ فى هذا المعسكر وكل أعضائها من اليهود ، لكنها تضم الشريحة العليا من بعض أبناء الطبقة الوسطى والانتلجنسيا اليهودية . هذه الحركة ترفع شعار : شعبان ودولتان أى : دولتان فى فلسطين للشعبين : الفلسطينى والاسرائيلى ، ولذلك يرتسم العلمان : الفلسطينى والاسرائيلى على شعارها . وهذه الحركة صهيونية على رؤوس الاشهاد ، وتقول فى النقطة الاولى من برنامجها أن الصهيونية هى حركة التحرر الوطنى للشعب اليهودى .

كانت هذه الحركة قد فازت بعضو أو اثنين فى دورات الكنيست السابقة ، لكنها فى الكنيست العاشر فشلت فى الفوز بأى عضو . وهى تتعرض الآن لانقسامات عديدة . وقد ظهرت فى ثوب جديد فى انتخابات الكنيست الحادى عشر (٢٣ يوليو ١٩٨٤م) ، متحالفة مع بعض الشخصيات العربية من داخل الكيان الصهيونى ، فى اطار الحركة التقدمية للسلام التى فازت بمقعدين فى الانتخابات .

السلام الآن

أما القوة الثالثة فهى حركة السلام الآن . وهى حركة ذات طابع جماهيرى عام ، تستطيع تحريك المظاهرات كما فعلت اثناء الغزو الاسرائيلى للبنان ، حيث شاركت بفعالية فى مظاهرة المائة ألف احتجاجا على الغزو ، وفى مظاهرة الاربعمائة ألف احتجاجا على مذابح صبرا وشاتيلا . لكنها حركة غير متماسكة ، ولا تملك برنامجا واضحا للسلام ، وليس لها موقف واضح من حقوق الفلسطينيين ، سوى بعض الاشارات العامة ، حديثا ، حول حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى .

ثمة ملاحظة جوهرية ومحورية تتعلق بمسار تطور معسكر السلام فى اسرائيل . هذه الملاحظة الهامة تقول إن حجم هذا المعسكر يتناسب طرديا مع سقوط الخسائر فى صفوف الاسرائيليين . فكلما تعرض هذا المجتمع الاستيطانى للضربات ، أفاق ببطء شديد وبالتدريج من أحلامه العدوانية المعاكسة لحركة التاريخ .

الحقائق تقول انه بعد حرب أكتوبر مباشرة ، حيث سقط آلاف الاسرائيليين قتلى وجرحى ، نمت بعض لجان البحث عن السلام فى اسرائيل ، وبعد غزو لبنان ، حيث تكبد الكيان الصهيونى خسائر فادحة . ولايزال العديد من اللجان التى تبحث عن السلام مثل « لجان الاهل ضد الصمت والجنود ضد الصمت ، والأمهات ضد الصمت ، ولجان الشجاعة من أجل السلام ، وحركة « ياش غفول » أى الحد الاقصى لحدود اسرئيل تعارض الغزو وتدين البحث عن السلام من فوهات البنادق .

حتى غلاة الصهاينة والمتطرفين من حركة « غوش ايمونيم » الذين يدعون صراحة لطرد الفلسطينيين من أرض اسرائيل التاريخية والكاملة ، حسب زعمهم ، هؤلاء المتطرفون غيّر بعضهم رأيه فى الحل العسكرى ، فقط حين دخل الدبابة واكتوى بنيران الصواريخ الفدائية أثناء غزو لبنان .

قال جنود من غوش ايمونيم لصحيفة معاريف (١٩٨٣/٨/٢٧) :

« ان الآراء لدينا تغيرت حين رأينا الدماء والالام والاهوال ، وأصبحنا أكثر اعتدالا ، فالاحاديث حول الاحتفاظ بالمناطق بأى ثمن (وهو موقف الحركة) لم نتذكرها ولم نذكرها أثناء القتال ، فمن خلال الدبابة أنت ترى الامور بمنظار يختلف عن منظار البيت » .

وبالمقابل ، فقد نمت وترعرعت وازدهرت كل الحركات الارهابية اليهودية الرافضة للسلام ، والعاملة بالفعل على ارهاب العرب الفلسطينيين وانتزاعهم من وطنهم ، فى فترة اللاحرب واللاسلم ، وقد عكست نتائج انتخابات الكنيست الأخيرة ، درجة نمو وازدهار هذه الحركات ، حيث نجح الارهابى مائير كاهانا ، ونال ١,١٪ من اصوات اليهود ، وتتوقع له استطلاعات الرأي أن يفوز فى



السلاح والسلام هل يتفقان ؟!

الانتحابات القادمة بسبة ٢,٢٪ من الاصوات . وحصلت حركة هاتحيا - النهضة - اليمينية المتطرفة التى انضم اليها الجنرال روفائيل ايتان على خمسة مقاعد فى الكنيست ، وهو حجم كبير لم تحصل عليه قوائم راسخة تخوض الانتخابات منذ عقود من الزمن ، وتقدمت الحركات الدينية اليهودية ، والحركات العرقية المقاومة لامانى الفلسطينيين فى تلك الانتخابات ، بينما فشل زعيم معتدل هو أريبه الياف ، فى دخول الكنيست رغم أنه سكرتير عام سابق لحزب العمل ، وله حضور سياسى قوى .

مرحلتان من اللاحرب واللاسلم

وفترة اللاحرب واللاسلم تنقسم الى مرحلتين ! المرحلة الاولى مابين حرب حزيران ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والمرحلة الثانية تمتد من زيارة الرئيس السادات للقدس المحتلة فى نوفمبر ١٩٧٧م ، حتى الغزو الصهيونى لبنان فى حزيران ، يونيو ١٩٨٢م . وهى ، بشكل ما ، مرحلة مستمرة حتى الآن اذا استثنينا القتال الفدائى فى الجنوب اللبنانى .

علام يدل ذلك ؟ وما الدرس السياسى الهام الذى سنستنتجه منه ؟

انه يدل على ان المجتمعات الفاشية ، المشبعة بالافكار الرجعية والعدوانية ، لا يمكن لها ان تراجع أطروحاتها ، فقط بالحوار المجرد وبالحجة المقنعة ، وباظهار الاعتدال والحمائمية من الطرف الآخر . بل يحدث هذا التراجع حين يتوافق ويتزايد طرح أفكار السلام العادل مع حوار الرصاص والضربات الصبورة المتتالية . هكذا تقول التجربة الملموسة المباشرة ، وليس التحليل النظرى المجرد . وهكذا تقول التجارب التاريخية المعاصرة فى دحر الفاشية والنازية . فقد حاول الاوروبيون فى المراحل الاولى لتوسع النازية العدوانية ، حوارها بالعقل والمنطق ، ولكن ذلك أدى الى تسعير نار عدوانيتها أكثر ، وفتح من شهيتها التوسعية . بعد أن أخطأ الاوروبيون وقدموا تشيكوسلوفاكيا قربانا للطوفان النازى لعلهم يوقفونه ، فاندفع كالسيل العارم يجتاح كل بلدان اوروبا .

ان الصراع مع العدو - أى عدو - يستهدف فى النهاية دفعه للتخلى عن أفكاره وخططه العدوانية ، ويستهدف دفعه للعقلانية والاعتدال ، وتغذية روح السلام فى صفوف قواعده ، التى تضللها قياداتها لتحقيق أهداف معينة . ولذلك ، لاغبار اطلاقا على محاولات تعزيز وتنمية معسكر السلام فى اسرائيل ، شريطة ان يتم ذلك بأساليب تؤدى لتعزيزه فعلا ، ضمن السياق الذى طرحناه ، والا كانت النتيجة معاكسة للرغبات تماما .

وعلينا أن نعترف بأن حجم معسكر الفاشية والعدوان فى المجتمع الصهيونى ، مازال قويا الى درجة كاسحة ، معسكر السلام ينمو فى الجهة المقابلة ببطء شديد ، ويتعرض للتقدم والتراجع والانتكاسات المتعددة ، ويتعرض للتنكيل من القوى الفاشية الصهيونية ، كما حدث عند القاء القنابل من المتطرفين الصهاينة على مظاهرة « حركة السلام الآن » المطالبة باستقالة شارون فى القدس المحتلة . والذى سقط فيها عضو الحركة أميل جرسن قتيلا . ويبقى الحاسم فى النهاية الفعل العربى والفلسطينى قبل أى شىء وبعده ، فهو الذى يدفع بهذا المعسكر نحو التقدم للأمام ، بمقدار ما يستطيع أن يثبت للاسرائيليين استحالة الاعتماد على السيف الى أمد غير منظور . □

منتدى العربي

تعقيبات

الحوار الحر .. وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما تلتقى الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية .. وحول الجامعة العالمية الاسلامية نعرض هذا الرأى ..

الجامعة الإسلامية في ماليزيا

لا أغالى اذا قلت انى قرأت مقال (كوالالمبور نقطة اللقاء بين المتناقضات) فى عدد العربى ٣١٣ (ديسمبر ١٩٨٤) بغاية الاستمتاع خاصة وانى قمت بزيارة خاصة للجامعة الاسلامية العالمية فى ماليزيا لأسباب عديدة ، منها أنى كنت ولا أزال أدعو لاقامة جامعة إسلامية عالمية فى بريطانيا منذ أوائل السبعينيات ، ولكننا لم نستطع حتى الآن ـ لأسباب مادية بحتة ـ إلا اقامة دورات للدبلوما فى الدراسات الاسلامية ، ومع ذلك لانزال دائبين جاهدين لتحقيق حلمنا الأسمى وهو إنشاء جامعة عالمية فى بريطانيا .

ان أنظمة التربية والتعليم السائدة فى بعض الأقطار الاسلامية اليوم مستقاة من الأنظمة الغربية . وهى أنظمة علمانية تضع حدا فاصلا بين مظاهر الروحانية والمادية ، ، جاعلة موضوعات العلوم والانسانيات خالية من قيمها الاخلاقية المتصلة بالدين ، وقد يدرس موضوع الدين مستقلا عن الموضوعات الأخرى من دون إقامة وشائج بينه وبين الموضوعات العلمانية ، وحيثما يدرس علم الأخلاق يهمل فيه ذكر البارى عز وجل . وهذا سر الصراع القائم بين المجلس الاسلامى الأعلى للتربية والتعليم والثقافة فى المملكة المتحدة وايرلندا ، وبين مختلف الجامعات والمؤسسات التعليمية فى بريطانيا ، فالبحوث تدرس بمعزل عن بعضها البعض خلافا لما كانت عليه فى الجامعات الاسلامية كبيت الحكمة (فى القرن التاسع) والنظامية (فى القرن الحادى عشر) والمستنصرية (فى القرن الثالث عشر) بل ذهب الأمر فى تدريس موضوع الدين فى المدارس البريطانية اليوم الى أنه أصبح موضوعا عاما فى تدريس علم الأخلاق ، مشوبا بعلم الأديان المقارن مع حشر مذاهب سياسية وفلسفية لاتعترف بالله ضمن موضوع الأديان .

ومن مساوىء النظام العلمانى الجامعى المخالف للنظام الجامعى الاسلامى فى القرون الوسيطة أنه يرمي الى تجزئة العلم الذى يجب أن يكون وحدة كاملة موسوعية متصلة بالحقيقة الكونية العظمى التى تشير الى أن المظاهر العلمانية مترابطة تحت تأثير قوة هائلة خلاقة ، لذلك فقد أساءت التجزئة الاكاديمية الى وحدة تفكيرنا الأسلامى ، بحيث غدت بعض قضايانا مشوهة فى موضعها بالنسبة الى قضايانا الأخرى ، وهى خلاف التفكير الاسلامى الذى يعتمد النسبة والتناسب والانسجام والتوافق موازين عادلة فى التفكير ، وقد جاءت الطريقة العلمانية

نتيجة لتضخم (الأنا) وانعكاسها الجنونى فى الكون ، مما جعل الكثيرين يعتقدون أن كل مانراه هو نتاج ظواهر طبيعية ليس غير ، وعندما ينتقل مثل هذا التفكير من العلوم الطبيعية الى الاجتماعية تحل المشاكل بدعوى الحرية الفردية التى لاتحدها سلطة كونية عليا ، اذ يصبح الانسان سيد مصيره لايعبأ الابالقيم المادية المتمركزة حول متطلباته الفردية ومكاسبه الشخصية ، وازاء هذه المخاطر لابد من العودة الى الفلسفة الاسلامية فى التربية القائمة على التوحيد فى كل شىء ، والتخلى عن الثنائية فى التفكير والقيم ، وجعل العلم والتقنية الحديثة اللذين يسيطران على الحضارة المعاصرة أداتين محكومتين لاحاكمتين فى تطوير الحضارة الاسلامية .

لذلك ينبغى لنا فى هذه الصحوة الاسلامية الأخيرة أن نغير فلسفتنا الجامعية الاكاديمية بتأثير من فكرة التوحيد وسلطانها المبدع ، فالعلم هبة آلهية وأمانة يجب ألا يساء التصرف فيها ، بل يعد ضربا من العبادة ، والجامعة الاسلامية العالمية التى أقيمت بماليزيا ، تعد محاولة رائعة فى هذا الاتجاه التربوى المتطور ، وقد قامت فلسفة هذه الجامعة على أسس من توصيات المؤتمر الاسلامى التربوى الأول الذى عقد فى مكة المكرمة سنة ١٩٧٦ .

ولقد كان الخوف عند بعضهم أن مثل هذه الجامعة قد تعانى تصادما بين ماهو طبيعى وبين ماهو روحانى ، والواقع خلاف ذلك ، لأن الاسلام دين طبيعى يجمع بين الماديات والمعنويات ، وكذلك بين الماديات والروحانيات ، فبوسع الجامعة الاسلامية العالمية اذن أن تقدم لطلابها جميع صنوف المعرفة من علوم وانسانيات وتقنيات ، غير أن الأسلوب سيكون اسلاميا ، ليس معنى ذلك مسخ مفاهيم الذرة والالكترون والحجيرات والكروموسومات لخلق رأى اسلامى جديد فكل هذه قد أشير اليها بشكل ظاهر أو ضمنت فى القرآن الكريم .

الدكتور صفاء خلوصى

●

أعظم مخترع فى العالم

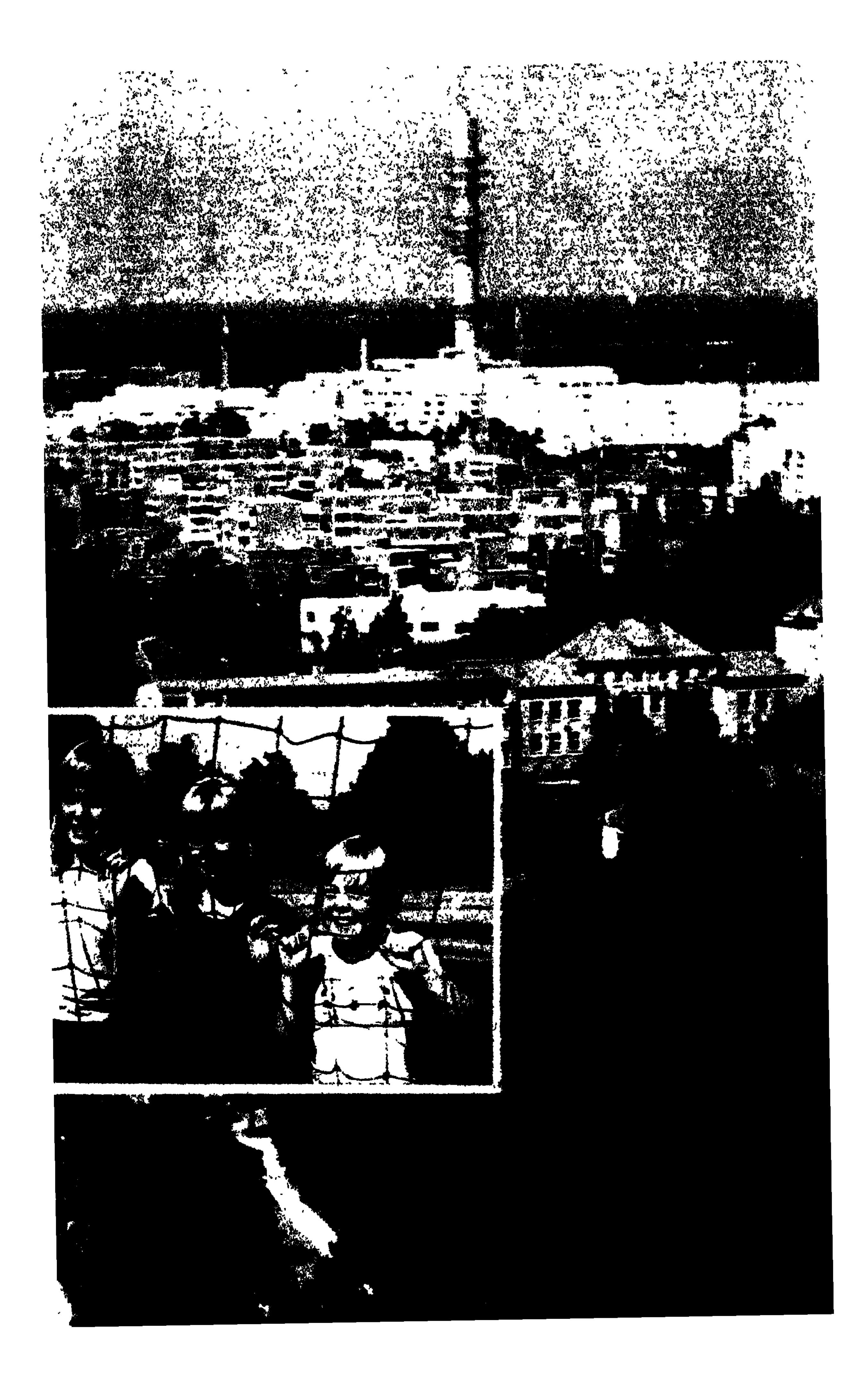
كان توماس اديسون المخترع الأمريكى يجلس فى احدى حدائق فينا ، عندما رآه صحفى شاب واقترب منه محاولا أن يحصل على حديث صحفى من الرجل الذى قدم للبشرية أكثر من ألف اختراع !

ولكن أديسون رفض أن يتكلم ، وقام من جلسته ليكمل رحلته فى الحديقة ويعود الى بيته . وعاد الصحفى الشاب بدوره الى مكتبه ، وجلس يكتب حديثا طويلا زعم أنه قام باجرائه مع المخترع الكبير ! ونشرت الصحيفة الحديث تحت عنوان « أعظم مخترع فى العالم ! »

وعندما قرأ اديسون الحديث سارع بارسال برقية الى الصحفى قال فيها : « لقد أصبح واضحا الآن أن أعظم مخترع فى العالم ليس أنا ، وانما أنت ! » .



الألوان والأنغام



عائد من اخر ركن في العالم ..

قادم من ارض البحيرات والغابات ، بلاد الضياء والجليد ، من فنلندا بلد الذهب الاخضر وملكات الجمال ، التي تمد اغلب الصحف بالورق ..

والتي تردد اسمها عندما ساهمت في قوات حفظ السلام ، وقدمت الجنرال سيلاسفو قائدا لهذه القوات ..

ماهي حكايتها ؟ وكيف قدمت الكاميرا صمت الطبيعة وجمالها ؟ ..

هلسنكي عاصمة فنلندا ، مدينة صغيرة ولكنها جميلة ، برزت بين أشجار الغابة العذراء مثل مدينة الاحلام ، كل مساكنها اقيمت بعيدا عن الطرق العامة ..

في شوارع هلسنكي تلاحظ انها تشبه احدى عواصم اوروبا الشرقية ، المباني القديمة ، والشوارع والميادين الواسعة ، الغنى يغلب الضخامة ، والمباني جزء من البيئة الحية المحيطة بها ، وتلمس حرصا واضحا على اقتراب الشعب الفنلندي من الطبيعة ، عندما تتداخل الغابة مع الكثير من انحاء العاصمة ، وترى لمسات الفن في كل مكان ، في العمارة وواجهات المحال ، حتى في الاثاث وآنية الطعام .

وتوقفت طويلا عند الكاتدرائية القديمة ، وفي المزج بين القديم والحديث الذي يظهر واضحا في كنيسة تايفا لاهتى المنحوتة وسط الصخر ،

ورغم علامات القدم التي تظهر في المباني الرئيسية مثل جامعة هلسنكي ، وفي مبنى البرلمان ، الا انه لم يمض سوى أربعة قرون على انشاء هلسنكي ..

تنتشر التماثيل في ميادين ، وفي قلب المدينة نصب تذكاري ضخم تخليدا لمن لحن مقطوعة فنلندا ، الملحن سيباليوس ، والتمثال يمثل صورة انابيب من الفولاذ صهرت ثم لحمت ، وعلى جانب منها وجه الموسيقي الكبير ..

ومازالت بعض احياء العاصمة تعود بيوتها الى القرن التاسع عشر ، عندما لم يكن يستخدم في بنائها سوى الخشب ، والذي عدل عنه نتيجة الحرائق .

وتقع هلسنكي على بحر البلطيق ، وبجوار قلعة سيومي التي كانت خط دفاع قوى عن العاصمة ، كما ان مياه بحر البلطيق لاتتجمد ولاتشل الحياة ، وميناء هلسنكي آخر ميناء يصل اليه تيار المكسيك الدافىء ، والذي يبقي الملاحة قائمة على مدار العام ..

وأمسيات هلسنكى تمتلىء بلمسات الفن والجمال ، فالفن مقدس في حياة شعبها ، والرحلة الى فنلندا رحلة الى عالم جميل ومثير ، يطلق عليها بلاد الف لون ولون ، وعرفت فنلندا بملكات الجمال التي قدمتهن للعالم ، وهي ارض بكر مازالت فيها الطبيعة كما هى ، والهواء نقياً والماء لم يتلوث ..

والفنلندي طيب ، رغم الجهامة التي تظهر على وجهه نتيجة قتامة المناخ ، وان كنا محظوظين عندما زرناها في أفضل ايام العام ، والفنلندي ينكفىء على داخله ، ويميل الى الانطواء ولايفتح قلبه بسهولة للغرباء ، ولكن اذا نشأت صداقة بينه وبين احد ، فهي تتسم بالصدق والعطاء ، وهو منضبط كأنه ترس في آلة ، ولعل هذه الصفات هي نتاج العزلة الطويلة الناتجة عن المناخ ، ففنلندا لم تكن يوما منطقة عبور وتقع في آخر ركن في العالم .. وشعبها شعب يتسم بالخجل ، ويصدق على الفور كل ما يقال له ..

دعوة على العشاء

وتلقينا في اليوم الاول لوصولنا دعوة على العشاء في قلعة سيومي ، وجه الدعوة جمعية الصداقة

الفلسطينية الفنلندية . ووصلنا الى القلعة عن طريق زورق بحرى لنصل الى جزيرة تقوم فوقها القلعة ، ورأينا القلعة التي كانت تغلق خليج فنلندا وتحول دون اقتحامها من الأعداء ، أما اليوم فقد تحولت الى قلعة يقصدها السياح ، تضم قاعة للطعام ، الذي يقدم على ضوء الشموع ، بعد أن تحول كل ركن منها الى عمل فني راق ، وأدهشني الاهتمام الواضح بالقضايا العربية ، والمعرفة الدقيقة بالسياسات القائمة في المنطقة العربية .

وفي اليوم التالي ، قال مرافقي : اكرام الضيف عندنا . . حمام ساخن جدا . .

ولم افهم ، ثم تبينت أنه يعني حمام السونا ، تلك العادة الفنلندية التي انتشرت من فنلندا الى جميع أنحاء العالم فلايوجد بيت في فنلندا ليس به حمام الساونا الشهير ، وأضاف مرافقي : للساونا تقاليد وطقوس ومواصفات خاصة ، ويتكون الساونا من الصخر الفنلندي وليس الفحم ، فجمرات الصخر الفنلندي تمتص الرطوبة ، وتعكس الحرارة ، وقد بدأت هذه العادة على حواف البحيرات ، ويخرج الفنلندي من غرفة الساونا الساخنة ، ليلقي بنفسه في البحيرة الباردة ، وبذلك يتجنبون الانفلونزا

وعاد مرافقي يقول : لابد أن تجرب الساونا ولو مرة واحدة . ودخلت في حجرة خشبية درجة حرارتها تصل الى ٩٠ مئوية . وبدأ العرق يتصبب من كل مسام جسمي واستمر الأمر بين خمس وعشر دقائق . . أما الخروج بعد ذلك فليس الى البحيرة كما كان في الماضي ولكن الى حمام السباحة البارد في الفندق . .

وبعد الانتهاء من حمام السونا شعرت بحالة من النعاس والخمول سرعان ماتحولت الى شعور قوي بالنشاط والحيوية . ويرددون هنا مئات المزايا لحمام الساونا أقلها أنه ينشط الدورة الدموية ، لذلك يقيم الفنلنديون حمام السونا قبل اقامة البيت . ولحمام الساونا تقاليد ، فلا يجوز ان يتبادل افراد الاسرة الحديث خلال الاستحمام فهي فترة خصصت للتأمل واعادة الحسابات .

ويضيف مرافقي بأسى : لقد تحول حمام الساونا في الكثير من الفنادق الى فرصة لعقد الصفقات . واصبح حمام الساونا جهازا يعمل بالكهرباء وليس من صخر فنلندا المشهور .

مؤتمر الغجر

وحول البيوت الخشبية القديمة ، وفي الاسواق ، وفي المهرجانات ، شاهدنا الغجر بلباسهم المميز وروحهم العالية ، ترتدي النساء ملابس تشبه الملابس العربية ،وأحجامهن تميل الى البدانة وترتدي الفستان الطويل الغني بالدانتيلا ، والحلق الواسع في الاذنين ، والحلي ذات الطابع الشرقي ، والعيون السود والشعر الاسود . . انهم ينتشرون في كل مكان ، لايعرف أحد عددهم ، لاحظت انهم لايقبلون التصوير بسهولة ، ولقد رأيتهم في المجر وفي بلغاريا وفي العديد من الدول الاوروبية ويطلقون عليهم في الهند (البنجارا) ، ولهم اسلوب حياتهم المميز والغني بالفلكلور ، يحترفون مهنا خاصة تجدهم في الموالد في الشرق وفي المهرجانات والاسواق في الغرب .

وعلمت انهم عقدوا مؤخرا مؤتمرا في فرانكفورت للبحث حول أصلهم وحكايتهم ولماذا يتوزعون على العديد من بلدان العالم ، وأعلنوا أن الدراسات قد بينت أنهم يعودون الى بلاد الرافدين مسقط رأسهم . . !

الصراط المستقيم

وحان وقت التأمل . . وتلاحقت اللقاءات مع اساتذة جامعيين وصحفيين ورجال اعمال ، كما التقينا وزير خارجية فنلندا .

وكان موضوع هذه اللقاءات سؤالا يلح عليّ ، وهو كيف استطاعت فنلندا البلد الصغير والتي تجاور الاتحاد السوفيتي أن تحافظ على توازنها ؟ ثم . . كيف استطاعت أن تحقق علاقات وطيدة وفي نفس الوقت تحافظ على نظامها الديمقراطي واقتصادها الحر . . ؟ حتى أصبح في علم السياسة مايمكن أن يطلق عليه (الفنلدة) اي النمط الفنلندي . . ؟

تقع فنلندا في الركن الشمالي الغربي للاتحاد السوفيتي ، ولايتجاوز عدد سكانها خمسة ملايين مما كان له اكبر الاثر على اختيارات فنلندا السياسية ، فهي مع الاتحاد السوفيتي في الارض والبحر ، وتطل على لينتجراد التي لاتفصلها عنها سوى بضعة اميال ،

- بائعة الزهور في كوبيو . . كم هو مقيد عمرها . . عمر الزهور طبعا ! انها هناك مع ساعات الفجر الاولى كل صباح تبيع زهورها قبل أن يقتلها الصقيع !

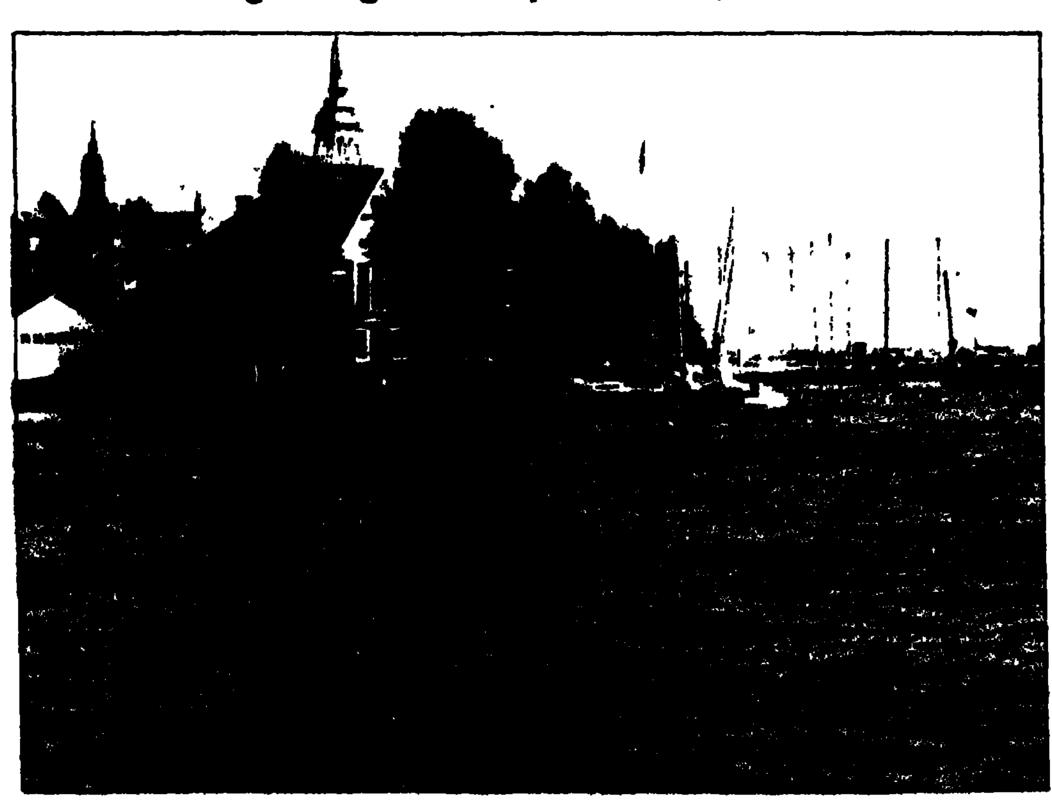


- غجرية تدفع عربة حفيدها في أحد شوارع مدينة كوبيو . . هربت من العدسة عدة مرات . . ولكن مصور العربي استطاع أن يختلس هذه الصورة للجدة والحفيد بملابسهما الفولكلورية !





- بحر البلطيق الذي تشرف عليه هلسنكي   القوارب تسبح بأصحابها مع أشهر الدفء



- تشتهر فنلندا بقلاعها القديمة ، ويرجع تاريخ هذه القلعة وتسمى « فيابوري » ، الى القرن الثامن عشر .

والى الغرب تلتحم مع ارض السويد ، ثم النرويج ، وتقوم عند الممر العريض عند القطب الشمالي ، وهي اقصى دولة في الشمال بعد ايسلندا ، وجنوبها مباشرة مركز حلف وارسو ، وفوق رأسها واحدة من دول الناتو هي النرويج . . فكيف اختارت طريقها ؟

استطاعت فنلندا ان تخرج من هذا المأزق الجغرافي ، وقدمت درسا مفيدا لكل الدول الصغيرة التي تجدف في بحر السياسة الدولية الهائج . .

وتمكنت من الحفاظ على نظام اقتصادي حر كجزء من العالم الغربي . يقوم اقتصادها على المشروعات الخاصة ، حتى أن ثماني عائلات يملكون اهم المنشآت الاقتصادية،وفي نفس الوقت للدولة نصيب كبير في بعض فروع الصناعة ، واصبح لذلك ترجمته السياسية المتمثلة في تعدد الاحزاب والحياة الديمقراطية على الطريقة الغربية ، ومن جانب آخر لاتتجاوز فنلندا في سياستها الخارجية والأمنية الموقف السوفيتي .

وقد وصلت الى هذه الصيغة بعد معاناة طويلة . .

فعقب ثورة ١٩١٧ في روسيا ، عندما كانت فنلندا جزءاً من الامبراطورية القيصرية شهدت هلسنكي معارك بين الحمر الذين يؤيدون الثورة وبين البيض الذين يعارضونها،وانتهت العلاقات مع روسيا الى حرب قصيرة سميت حرب الشتاء ، دامت ثلاثة أشهر ونصف تمكن الاتحاد السوفيتي من الاستيلاء على جزء من آراضي فنلندا ، وعندما جاءت الحرب العالمية الثانية لم تتمكن فنلندا من تجنبها . .

وعلى ضوء التجارب القاسية التي عاشتها ، وصلت الى صيغة للعلاقات مع الجار القوى ، ولم تتوقف عند المشاكل القديمة ، ولا عند الاراضي التي استولى عليها السوفييت ووقعت معاهدة مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٤٨ ، مقابل ضمان حياد فنلندا والتزامها بمنع استخدام أراضيها في العدوان على الاتحاد السوفيتي من أطراف ثالثة . .

وتبنى هذه السياسة وقدم لها الدعم الرئيس السابق كيكنين ، والذي بقي في منصب الرئاسة خمسة وعشرين عاما ، والذي مازال يحظى بمكانة كبيرة بعد أن اصبح كهلا وبعد أن نجح في السير على الصراط المستقيم بين الشرق والغرب . .وتقدم فنلندا درسا آخر في علاقاتها بالدول الاسكندنافية ، فرغم تباين المواقف السياسية فهي جزء من هذه الدول ، وهي احدى دول (التورديك) أي اتحاد دول الشمال ، والذي يضم فنلندا والسويد والدنمرك والنرويج ، وهو اتحاد يتعاون اعضاؤه في المصالح المشتركة ، ورغم ارتباط كل دولة على حدة ، فنجد بينها من اختار الحياد ومن اختار الانضمام الى الحلف الاطلنطي ، الا أن التعاون مستمر في المجالات الاقتصادية والثقافية والفنية،وهو درس على الدول العربية أن تستوعبه فرغم أن اللغة في فنلندا أحد العوامل التي تفرقها عن جيرانها ـ بعكس الدول العربية فاللغة الفنلندية تكون مع بعض لغات شمال الاتحاد السوفيتي فرعا للغات قائمة بذاتها بما فيها اللغة المجرية . .

ولفنلندا علاقات خاصة بالسويد . فحوالي ٦٪ من تعدادها سويديو الأصل واللغة،وجانب من الشعب الفنلندي مازال يتكلم اللغة السويدية ، وهي تعتبر لغة رسمية ثانية ، ولاينسون أنهم كانوا جزءا لايتجزأ من مملكة السويد ، حتى وقعت الحرب بين السويد وروسيا عام ١٨٠٩ ، وكانت فنلندا من بين الغنائم التي كسبتها روسيا فأصبحت تابعة للقيصر حتى قيام الثورة الروسية .

وأدي هذا الوضع السياسي الى زيادة التعاون الاقتصادي مع دول الشمال ومع الاتحاد السوفيتي ، وأصبحت فنلندا بالنسبة للاتحاد السوفيتي تشبه ماكانت عليه هونج كونج بالنسبة للصين ، فكما أن هونج كونج كانت احد مصادر الصين في القطع النادر ، اصبحت فنلندا مصدرا للتقنية الحديثة بالنسبة للاتحاد السوفيتي ، وأصبح الاتحاد السوفيتي اكبر شريك تجاري لفنلندا ، وتستورد فنلندا من السوفييت الغاز الطبيعي عبر الانابيب التي أقيمت في بداية السبعينات ، كما تستورد من السوفييت ثلثي احتياجاتها من النفط الخام .

كانت فنلندا تعاني من الهجرة الى الخارج ، فمستوى الاجور في السويد كان إعلى من فنلندا ، وفي الماضي حدثت هجرة فنلندية الى امريكا في مطلع هذا القرن ، وهاجر حوالي ٦٠ ألف نسمة سكنوا الشمال الامريكي في مينسوتا وميتشجان التي تتمتع بظروف مناخية مشابهة لفنلندا . .

الصقيع والظلام

وخرجنا من هلسنكي الى اراضي فنلندا الواسعة ، فزرنا اهم مدينة في الشمال هي كوبيو ، وزرنا ضيعة وعددا من المصانع،فمن رأى ليس كمن سمع ، وأبحرنا في عالم الغابة والبحيرات والجزر ، وتتميز فنلندا بقلة مدنها والتي لاتتجاوز ٤٧ مدينة يقع نصفها على الساحل . .

ان الجغرافيا هي الحقيقة الاولى التي تهيمن على حياة أهالي فنلندا ، وهي التي تلقي بظلها على النشاطات الاقتصادية وتؤثر على العادات والتقاليد، فهي أرض الصقيع والظلام،تقضي أجزاء كبيرة من البلاد حوالي ستة اشهر في ظلام دامس ولاترى الضياء ، ينامون ويستيقظون في الظلام ، ويذهب العاملون الى اعمالهم في الظلام،ويستمر الليل مدة تصل الى ٧٠ يوما في بعض المناطق .

وتعيش اجزاء اخرى ستة أشهر في نهار ساطع ، وفي أقصى الشمال لايوجدظلام في الليل على الاطلاق لهذا أطلق على الشمال أرض الحقائق الساطعة ، عندما يكون لحفيف الشجر مغزى خاص . . انه فعل الأيام الطويلة الدافئة التي تتنوع فيها الالوان والضياء . .

وفي بلاد اللاب (اللابلاند) لايذوب الجليد على مدار العام ، وتغطي الثلوج هذه المنطقة سبعة أشهر في العام ، وعندما يأتي الصيف ويذوب الجليد في الجنوب تكون صحوة الحياة .

ورغم تلك الظروف القاسية ، ترى في فنلندا اجمل الغابات ، فأكثر من ٧١٪ من أرضها تغطيها الغابات الجميلة الباسقة ، اشجار الصنوبر والسنديان والبلوط والبتولا التي تمد اخشابها الفلاح بالدفء .

فالغابة هبة الله ورأس مال فنلندا الاساسي ، وهي التي تعوض القتامة التي تسري مع الصقيع والظلام . .

ويعتبر مشهد الجذوع القائمة فوق المياه منظرا مألوفا ، واصبح منظر الانسان الآلي الذي يقوم بدور الحطاب فيقطع الاشجار وينحني لالتقاط جذوعها ويقطعها ويعدها للاسواق منظرا متكررا .

ويأتي بعد الغابة اجمل وأمتع ماتشاهده ، وهو البحيرات التي تحيطك في كل مكان ، والتي من كثرتها ليس لها أسماء ، وليست محددة العدد ، وتكتفي الاطالس بذكر انها الاف البحيرات ، يصل البعض بعددها الى ٦٠ ألف بحيرة ، وهي بحيرات عذبة تستمد مياهها من ذوبان الجليد ، وتغطي المياه مايزيد عن خمس اليابسة في مساحات لامتناهية من البحيرات والانهار التي تصب في البحر ، ولهذه البحيرات ألوان متعددة تختلف مع تغير المكان واختلاف البيئة ، وهي توصف بأنها العيون الزرقاء في البشرة البيضاء . .

وتتولد من البحيرات الجزر التي تصل الى ٣٥٠ ألف جزيرة ، ووسط البحيرات التي تحيطها الغابات ترى جزيرة لاتزيد مساحتها عن كيلومتر واحد ، وفوقها بيت تسكنه الاسرة ، والجزيرة والبيت فوقها هو حلم كل مواطن في فنلندا ، والجزيرة تتمتع بنوع من الاكتفاء الذاتي ، مولد الكهرباء وزورق بحري هو أداة الانتقال وتليفون هو أداة الاتصال وحياة هادئة يحيطها الجمال من كل جانب .

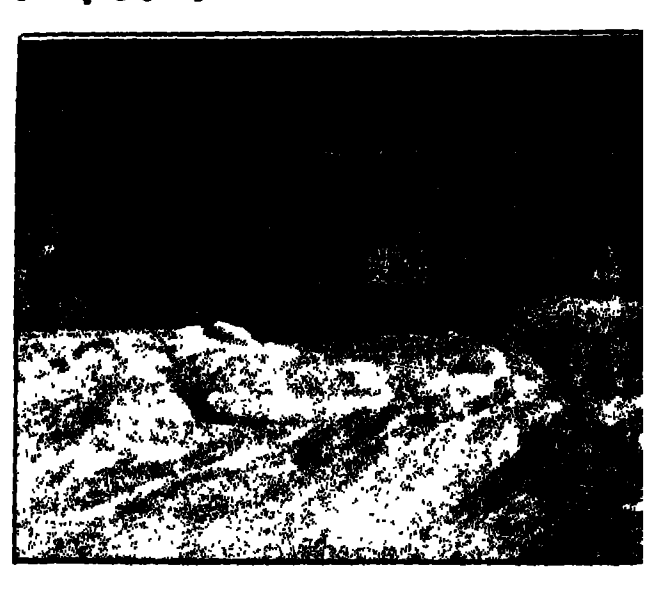
ومع البحيرات والجزر تزدهر رياضة البحر والتزلج والسباحة وسباق اليخوت،وفي الشتاء تبدأ الجزر الواقعة جنوب شرقي هلسنكي في استقبال آلاف الطيور البحرية المهاجرة،وتعيش فيها حتى نهاية شهر مايو ، وتبدأ رحلتها العكسية متجهة نحو أقصى الشمال . .

ومع هذا الجمال وتلك العزلة،ومع الطبيعة القاسية تشكلت رموز هذا المجتمع ومفاهيمه الخاصة،فمثلا اذا شوهدت البومة تبني عشها فمعناه صيف جميل ، واذا امتنعت عن حضانة بيضها فينذر ذلك بموسم قاس ، واذا تشبث حام الثلج بجذع شجرة ، فلا بد لمن يسير في الطريق من أن يتقي العاصفة ويبحث عن مخبأ لتفاديها . .

كوبيو

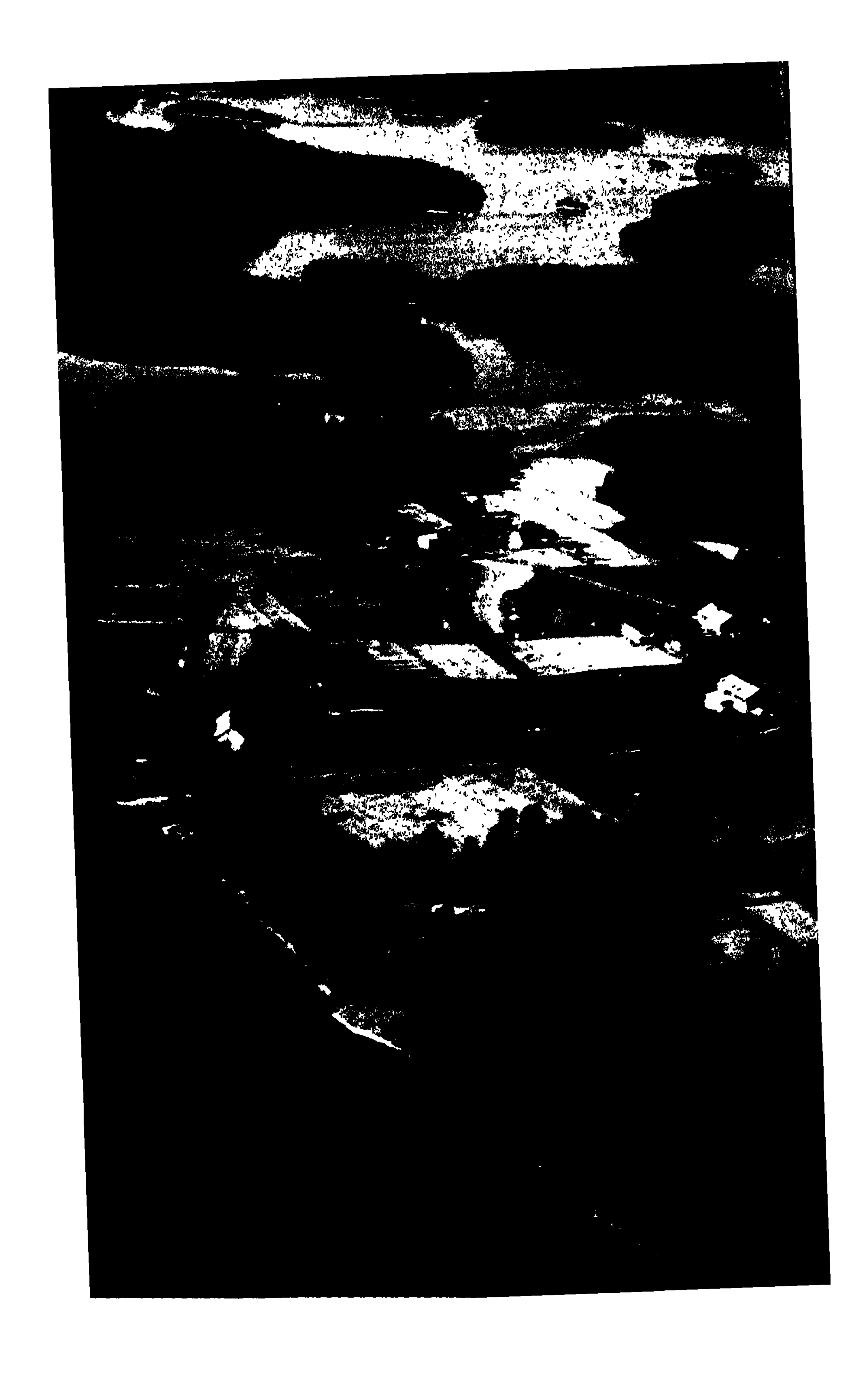
وعندما وصلنا الى كوبيو في الشمال قضينا اجمل الايام ، مدينة هادئة جميلة وسط الغابات والبحيرات ، وهي في حالة مهرجان دائم،مهرجان للزهور وآخر للحصاد وثالث للرقص ، يشربون ويغنون ويرقصون ويعزفون الموسيقا في الميادين العامة ، تظهر على وجوههم النضرة سعادة غامرة

ـ سوق الزهور في احدى أجمل مدن فنلندا . مدينة كوبيو .



ـ كاسحات الجليد في بلد تكسوه الثلوج في الشتاء .. وباعة الصحف بملابسهم التقليدية في شوارع هلسنكي .. انها مدينة البحيرات والغابات الكثيفة التي احترقت مرتين وأحرقت معها العاصمة ثم أعيد بناؤها ...





وحب حقيقي للحياة . .

وما أشد غرابة مانسمع ، فأهم وأجمل مكان في كوبيو مصحة للامراض النفسية والتي تنتشر في البلاد ، من القتامة التي تسري من الصقيع والظلام ، او حتى من الضياء المستمر،فاكتشف الاطباء ان النهار بلا ليل والليل بلا نهار ، يؤدي الى الاختلال النفسي وأمراض الاكتئاب وكثيرا مايؤدي الى الانتحار . .

ووصل الاطباء الى ضرورة اضاءة المصانع في الايام المظلمة لتصبح كالنهار ، وتسدل الستائر في أيام النهار المتصل حتى تبدو كالليل ، ومازالت هذه الظاهرة تقلق المجتمع الفنلندي . .

حفارات بحر الشمال

ورغم كل هذه الظروف القاسية استطاعت فنلندا ان تشق طريقها في الصخر ، وأقامت في ظروف مناخية صعبة وفي ارض صخرية ، اقتصاداً قويا واصبحت جمهورية الغابة دولة متقدمة صناعيا ، قادرة على صنع سفن حديثة وكاسحات ثلوج معقدة وآلات صناعية متقدمة ، وسيارات نقل وجرارات ومصاعد ومنازل جاهزة ، علاوة على الورق والاثاث . وخلال عشرين عاما تحول العجز الى فائض وأصبحت اكثر الدول الاسكندنافية انتاجا . .

وفي المصانع التي زرناها ، رأينا كيف قطعت الصناعة خطوات متقدمة،وأصبحت تستخدم الطاقة الرخيصة ، وأدخلت مصانعها التحكم الآلي عن طريق الكمبيوتر مما يسد نقص العمالة . . ويعتز أهالي فنلندا بأنهم تخصصوا في عدد من الصناعات الدقيقة ، وأنهم صنعوا حفارات بحر الشمال لبريطانيا . .

وأثبت هذا الشعب رغم قلة عدده أنه قادر على أن يصل الى مقدمة الشعوب ، بدون قوة عسكرية وبدون العمل في تجارة أسلحة الدماء .

في الضيعة

اليوم موعدنا لزيارة ضيعة فنلندية قريبة من كوبيو ، الطريق الى الضيعة خلاب يمر بين البحيرات والغابات والالوان ، وصلنا الى بيت ريفي يطل على البحيرة ، وتمتد امامه ارض الضيعة ومنشآتها ، البيوت الريفية تتشابه في كل مكان ، وان اختلفت لمسات الذوق والنظافة ، وهو عالم يحن اليه ويحلم به أبناء المدن الصاخبة استقبلنا صاحب الضيعة واسرته على فنجان قهوة في بهو يشبه بهو الكنيسة ، وتعلق على جدرانه صورة السيدة العذراء والسيد المسيح ، التقينا بالجد والاب والابنين والزوجة والام والبنات ، الكل يعمل في الضيعة بعد أن تنازل الجد لابنه عن الضيعة . .

العلاقات العائلية حميمة مثل الريف في كل مكان ، الضيعة وحدة انتاجية متكاملة ولكنها جزء من المجتمع ، اذا قطعت اشجار الغابة فلابد أن تزرع غابة بديلة على ذات المساحة ، الواحد والكل في تناغم ظاهر ، هنا تتنوع المحاصيل وترى الماشية والطيور ، وتعمل الفتيات على التراكتور في وقت الحصاد ولكل دوره . .

حام الساونا على البحيرة كما كان في الماضي ، فالريف بحق هو مستودع العادات والتقاليد القديمة ، ولكنه أخذ بكل حديث في البذور والتطعيم وتربية العجول وقطع الاشجار ونقلها .

الشرق والغرب

ألحت على ذهني خلال جولتي تلك العلاقة القديمة بين الشرق والغرب ، التي تبرز عند المقارنة بين حالنا وحالهم ، بين أوضاع الشرق وأوضاع الغرب . . فحيثما ذهبت تجد كل شيء منظما وترى وجه الدولة ، ليس في صورة التعليمات بل في العناية التي تقدمها ، وفي القواعد التي تجعل حياة الناس اسهل وأجمل ، ترى الدولة في اقصى الغابة او في جزيرة معزولة في صورة الخدمات التي تقدم للسكان ، وفي تنظيم المباني وفي اعداد مواقف السيارات ، وفي وضع نظام للصيد وفي الحفاظ على الغابة . . وحتى في علامات الطريق .

وتتداعى الافكار وتتلاحق الصور . قديما كان الشرق ينظر الى الغرب على أنه مصدر الهمجية والمادية ، واليوم يتغير الحال ، وعلى مر الايام تراوحت العلاقات بين الشرق والغرب في صور التعاون احيانا

والمواجهة أحيانا ، وفي كل الاحوال كان الاخذ والعطاء . . . وعلى الرغم من أن فنلندا بلد غربي صغير . . ويقع في آخر ركن في العالم الا أن تدفق تيار المعرفة بينه وبين الشرق العربي متصل وثري ، فالعرب هم أول من كتب عن « الفايكنج » السكان الاصليين الاوائل لأراضي فنلندا،بل هم المصدر التاريخي الموثق الوحيد عن حياة أهل الشمال ، وعلى الجانب الاخر فان تراث وأعمال المستشرقين الفنلنديين تزخر بها جامعة هلسنكي وجمعية المستشرقين . ويحفل هذا التيار من التواصل المعرفي بحقائق واهتمامات تثير الذهن وتنشط الخيال .

يعود اهتمام فنلندا بالشرق الى بداية القرن التاسع عشر ، عندما قرر المستشرق الفنلندي « جورج أوجست فاين » الرحيل الى الشرق بعد أن درس اللغة العربية في جامعة بطرسبرج على يد الشيخ المصري محمد عياد الطنطاوي . وبالفعل وصل الى مصر عام ١٨٤٤ ، في هذه الفترة كان اهتمام العالم كله بالشرق يتكثف ويزداد ، ويضغط على نخاع أعصاب مصالح العالم ، وبالطبع لم تسلم من هذا الالحاح فنلندا التي كانت ضمن الامبراطورية القيصرية الروسية،ففي هذه الاونة كانت أوروبا وروسيا القيصرية تضع أنظارها على الشرق في انتظار انهيار الامبراطورية العثمانية وتقسيم تركة الرجل المريض ، روسيا بمصالحها في ممرات المياه التركية وتأمين فنائها الخلفي ، وأوروبا بمصالحها في الشرق وثرواته ومحالكه ، كان هذا المناخ السياسي كفيلا بأن يسمح العالم بالشرق ويزداد اهتمامه به خاصة عقب أن وصلت جيوش الشرق الى أراضي اليونان وجزر الموره، والحرب التي خاضتها أوربا ضد محمد على . في هذه الفترة وصل أول مستشرق فنلندي فمكث في مصر عامين أتقن خلالها اللغة العربية وارتدي الزي العربي وأطلق على نفسه اسم الشيخ عبد المولي . ومن مصر انطلق الى القصيم ثم الجوف ، وكتب عن مدينة حائل في الجزيرة العربية كما زار العراق ، وترك فاين مذكراته الشخصية وانطباعاته العامة ودراساته المتخصصة في مجموعة كتب تحتفظ بها جامعة هلسنكي ، في قسم دراسات اللغة العربية والاسلامية الذي يرأسه البروفسير « هايكي بالنا » الحاصل على درجة الدكتوراة في اللغة العربية وصاحب عدة أبحاث في لغة تراث البدو،ويرأس بالاضافة الى ذلك جمعية المستشرقين الفنلندية .

ويقول د . بالفي« كان المستشرق فاين صاحب أول اتصال ثقافي بحضارة الشرق في العصر الحديث» وتعد كتاباته ـ سواء منها الانطباعات أو الدراسات ـ بمثابة رصد حي لحياة المنطقة وسكانها وعاداتهم . فمثلا يقول « فاين » وهو يصف الطريق بين القاهرة والسويس أن « البدو يتخوفون من الافرنج الذين يقومون بمد خطوط السكك الحديدية»ويصفونهم بالبخل والحسد لانهم ـ من وجهة نظر البدو طبعا ـ يحرمونهم من المكسب الزهيد ومصدر دخلهم الذي يعتمد على النقل بالجمال » وعلى غرار هذه الملاحظات والانطباعات التي تتميز بسعة رؤ ية كتب فاين عن البدو والقبائل وتحالفاتها وغير ذلك من موضوعات .

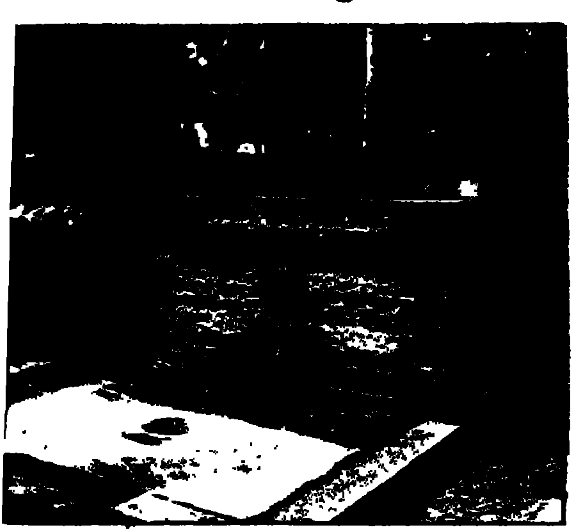
وفي الوقت الحالي فان قسم دراسات اللغة العربية وجمعية المستشرقين ترعي الاهتمام بثقافات الشرق وآدابه ، فتمت ترجمات أدبية كثيرة منها مثلا ما قام به البروفسير « يوسي آرو » أستاذ اللغات الشرقية الذي ترجم كتاب الايام لطه حسين،كما أن هناك ترجمة لكتاب « النبي » لجبران خليل جبران ، ورواية للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني،وترجمة من الفرنسية لرواية للكاتب الجزائري محمد ديب ، كما قدم الاديب الفنلندي « ميكافالتارك » الى الادب العالمي رواية استمد وقائعها وتاريخها من قصة « سنوحي » المصري والتي سجل فيها تاريخ مصر في عهد الفراعنة .

مازال الريف منطقة جذب للشعب الفنلندي ، ومازالت نسبة كبيرة من الفنلنديين تفضل الحياة في الريف.





ـ مبنى الكاتدرائية الكبرى في أكبر ميادين العاصمة . . كل شيء في الميدان الذي تشرف عليه الكاتدرائية يحمل ذكرى الاسكندر الثاني قيصر روسيا ، حتى التمثال الذي شيد في قلب الميدان الفسيح !



ـ مسلم يقرأ الفاتحة في مقابر المسلمين التي تتوسط غابة في احدى غابات هلسنكي الجميلة (فوق) .



ـ في شقة في الطابق الخامس من هذا المبنى الذي يقع في قلب مدينة هلسنكي ، أقيم المسجد الذي يصلي فيه المسلمون السنيون العرب والفنلنديون .

ـ جانب من غابات العاصمة (الى اليسار) .

ـ جانب من ميناء هلسنكي . . هنا يجد أهل المدينة فرصة لصيد السمك والقراءة على رصيف الميناء تحت الشمس الدافئة في عطلة نهاية الأسبوع .





ـ في قلب العاصمة هلسنكي ،
تخرج ربات البيوت لشراء
الخضراوات والفواكه بأنواعها
من السوق الذي أقيم فوق
عربات وأكشاك صغيرة . .
انها رحلة كل يوم .



فنلندا كلها غابة من الاشجار التي تلف المباني والمدن والحقول . . ومن لب هذه الاشجار ـ التي تعتبر كلها الثروة القومية الاولى ـ يصنعون الورق ، أما الأشجار نفسها فيستخرجون منها أجود أنواع الأخشاب .

الوثيقة :

قلنا ان تيار المعرفة بين فنلندا والشرق العربي متصل وثري ، وهذه حقيقة فالاصل الوحيد المتاح والتاريخ المكتوب الدقيق لسكان الشمال كتبه الرحالة العربي ابن فضلان منذ مايزيد عن ألف سنة .

ولاتقتصر أهمية رسالة ابن فضلان على أهميتها التاريخية والعلمية كمصدر أول لكل دول الشمال الاوربي في زمن لم تكن تعرف فيه هذه الدول القراءة والكتابة ، بل تجاوزت الرسالة كل ذلك وصارت واحدة من مصادر كثير من الاعمال الفنية والادبية ، لعل أكثرها شهرة ماقدمه الروائي الامريكي « مايكل كرتشون » في روايته « أكلة الموتى » التى اعتمدت على تفاصيل ماكتبه ابن فضلان في رسالته عن أهل الشمال .

ولكن ماذا كتب ابن فضلان في وثيقته وكيف وصل الى آخر ركن في الدنيا؟كان ذلك في عام « ٩٢١م » في عهد الخليفة العباسي « المقتدر بالله » الذى وصل اليه رسول من ملك الصقالبة « بلاد الروس » يطلب باسم مليكه ايفاد بعثة « لكي تفقهه في الدين وتعرفه شرائع الاسلام وتبني له مسجدا وتقيم له حصنا ضد ملوك الخزر من اليهود والذين كانوا يعتدون على قومه ويفرضون عليهم الضرائب ، ويتزوج ملوك الخزر من يريدون من بنات ملوك الصقالبة غصباً » .

وبالفعل استجاب الخليفة العباسي وأرسل وفدا على رأسه ابن فضلان .

رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩هـ (٢١ يونيو ٩٢١م) فعبر نهر جيحون ووصل بخاري ثم أوغل حتى وصل نهر الفولجا يوم الاحد (١٢ محرم ٣١٠ هـ) استغرقت رحلة ابن فضلان احد عشر شهرا ، وكتب ابن فضلان رحلته هذه بكل تفاصيلها ووقائعها . . ووصف فيها كل مامر به وصفا شيقا بارعا . وأكثر مراحل الرحلة اثارة هو ما هدته الصدفة ، ففي الطريق اختطفه جماعة من الفايكنج سكان « اسكندنافيا » فأخذوه معهم وأجبروه على أن يحيا حياتهم ويشترك في معاركهم . هذه الصدفة ـ التي لايمكن لاحد أن يزعم ان ابن فضلان سعى اليها ـ منحته أعظم ما يتوق اليه رحالة أو مكتشف في كل العصور ، فقد كتب ابن فضلان اسمه في التاريخ كصاحب أقدم تسجيل كتبه شاهد عيان عن حياة

الفـاتينج ومجتمعهم،وانـه صاحب الـوثيقة الـوحيدة الفريدة في التـاريخ المكتـوب عن حياة سكـان هذه المناطق .

ووصف ابن فضلان الفترة التي قضاها مع الفاتينج بدءا من الدهشـة والاستغراب من مـظاهر الـطبيعة وانتهاء بالحياة والاجتماعية ، فهو يسجل ويحكي عن حيرته الشديدة في تحديد موعد صلاة المغرب في أيام النهار الممتد ويروي عن عذابه في انتظار صلاة الفجر مع الليل الـذي لاينتهي ، ويحكي قصص الصراع الدموي بين الممالك،ويصف القتال ووحشيته وكيف يصل العداء الى أكل لحوم القتلى وكيف تمزق الجثث ويؤكل لحمها الطري ، وكيف تعلق الرؤوس شواهد على الطرق دليلا على البطش والقسوة . حياة كاملة لصراع دموي يـرصده ابن فضـلان ويشارك فيـه ، وبالطبع لم يدرك ابن فضلان وهو يكتب هذا انه يقدم تحليلا اقتصاديـا وتاريخيـا للمجتمعات ، يـطرح فيه منهجا جديدا لم يكن العالم بعد قد سمـع به ، ففي مجتمعـات فقيرة وطبيعـة قاسيـة مع مصـادر للطعام محدودة جدا يصبح الصراع هنا صراعا دمويا لان ثمن الاسترخاء والضعف هو فقدان الحياة جوعا وبردا ، فكما يقول ابن فضلان : « كان الناس يأكلون لحم الـدواب ويستعملون زيت السمـك ، ثم كـانـوا لايجدون مكانا يحفظون فيه الطعام فيحفرون الارض ويضعونه في باطنها » ، هذه السطور عـلى بساطتهـا تساهم في فهم وتخيل كيف كانت الحياة هنا من ألف عام فقط .

حتى على مستوى الحياة الاجتماعية لم يغفل ابن فضلان أن يرصد واحدة من العقـوبات التي تحـدد شكـل القـانـون الاجتمـاعي السـائـد فيقـول ابن فضلان :

ان عقوبة الزنا كانت شديدة فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبته حتى فخذيه ، في نفس الوقت فان حياتهم الزوجية عجيبة لاحياء فيها ولا عار » . هكذا يضع ابن فضلان يـده على مفـاتيح هـامة للتحليـل الاجتماعي من شكل هذه المجتمعات ، الامر الذي يحتاج الى دراسة انثروبولوجية كاملة عن حياة وطبائع وكنه السكان الاصليين لذلك المكان البعيد القابع في ركن الدنيا .

المسجد . . . في الطابق الخامس :

وبعد ابن فضلان جـاء الاسلام الى هـذه البلاد يحمله التجار ، الذين كانوا يجـوبون روسيـا ووصل نشاطهم الى فنلندا ، وفي المتحف الوطني نقود عربية عثر عليها في فنلندا ، وقد اكتشفت في أماكن مختلفة وخاصة في الاولاند ويقال أنه حملها الفيكانج أثنـاء سفراتهم في القرن الثامن . .

وفي فنلندا أقلية اسلامية ، تعرفت عليهم عندما زرت الجمعية الاسلامية في الطابق الخامس من احدى العمارات الكبيرة في أحد شوارع هلسنكي ، والتي تضم مسجدا ومدرسة تدرس الاسلام ، ويبلغ عدد المسلمين ألف وخمسمائة مسلم ، ورغم قلة عددهم الا أنهم أقلية نشيطة ومنظمة . .

وأغلب هؤلاء المسلمين من الترك والتتار ، ٤٠٪ منهم يسكنـون هلسنكي ، وما زال الكثيـرون منهم يتجـرون في الفـراء والمـاس ، ولـديهم مقبـرتهم الخاصة ، حيث يدفن موتاهم في صناديق خشبية ، والتقيت في الجمعية بالسيـد عبدالله رئيس الجمعيـة الاسلامية ، وصاحب أحد محلات الفراء ، وكـان عائدا من جولة لكل من العراق وتركيا وليبيا وتونس والجزائر ، ولاحظت أنه الى جانب الدين الاسلامي يدرس التاريخ القومي فهنـا أقلية اسـلامية امتـزج داخلها التاريخ القومي مع العقيدة الاسلامية حتى أنه يتعذر على الجمعية قبول أعضاء جددا من المسلمين الذين يعيشون في فنلندا سواء للدراسة أو العمل . .

وتقيم الجمعية شعائر صلاة الجمعة التي يحضرها حوالي مائة مسلم . . كما تحتفل بالاعياد والمناسبات الاسلامية المختلفة . .

وطوال الطريق الى المطار . . وعيناي تلهثان من شجـرة الى شجرة . . وأسـأل نفسي بقدريـة : أي الاشجار هذه سأكتب عليها يوما ، وَلِمَ لم يفكر أحد أن يكتب عن الورق الذي يخرج من هنا . . فيـطوف العالم . . بعد أن يملؤه الكتاب والصحفيون بسواد الحبر وألوان الصور ، وقطع سيل التساؤلات رجاء زميل الرحلة وهو يرجو السائق أن يقف لحظة لتلتقط الكاميرا آخر منظر في بلاد الغابات والاشجار والجليد والضياء . . . آخر ركن في العالم . . □

الواقعية النقدية في عالم محمد عبدالملك القصصي

بقلم : أحمد محمد عطيه

البحر ورحلات الغوص على اللؤلؤ ، الحركة الوطنية ، الأحياء الشعبية بالمنامة ، القرية ، التحولات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية التي صاحبت ظهور النفط في البحرين . . هذه هي المجالات التي تمتزج وتكون عالم محمد عبدالملك القصصي أليس فيها غنى وتنوع ؟

تعكس الصور الفنية للكاتب التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي حدث في المجتمع البحريني ، من جراء تحوله من تجارة اللؤلؤ وحياة الغوص والصيد والتجارة البحرية الى حياة النفط وتصنيع الألومونيوم والتروكيماويات والتجارة الرأسمالية ورأسمالية المال والبنوك وزحف التقنية على الحياة المدنية ، وغزو العمالة الاسيوية والثقافة الأجنبية ، وما صاحب ذلك من فترات كساد وصعود وهبوط دفعت حياة الانسان العادي البسيط في البحرين الى المعاناة والألم والعذاب في مرحلتي اللؤلؤ والنفط على السواء .

فشخصيات محمد عبدالملك من صغار الناس ، من الفقراء المعذبين في الأرض ، شخصيات كادحة لبحارة وغواصين وصيادين وعمال وباعة وحمالين وعاطلين وفلاحين . وهي شخصيات مسحوقة تعاني الفقر والظلم والقهر والاضطهاد والغربة . . شخصيات معذبة ماديا وروحيا ، ولكنها شخصيات ايجابية صلبة مقاومة ، تتحدى واقعها وتطمح للتغيير والتقدم نحو الأفضل .

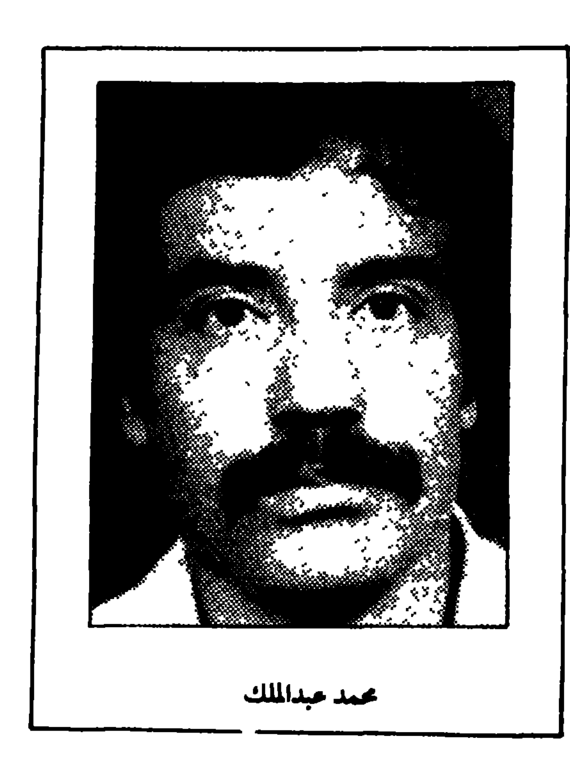
الواقعية والريادة

ومحمد عبدالملك هو رائد الواقعية في القصة البحرينية ، كما يجمع نقاد الأدب العربي في البحرين ، فـ « هو البداية الفعلية للقصة الواقعية »

كما يقول الناقد البحريني احمد المفاعي في دراسته عن الحركه الأدبية في البحرين ، ويصفه الباحث البحريني ابراهيم عبدالله علوم ، في كتابه « القصة والمجتمع في الخليج ـ البحرين والكويت » بانه «أكثر كتاب القصة القصيرة تأصيلا للمقولات الجمالية في الواقعية النقدية » وكتب الشاعر البحريني قاسم حداد ، في دراسته عن واقع القصة الواقعية الجديدة في البحرين » قائلا . « ان محمد عبدالملك هو اول من كتب القصة الواقعية الجديدة في البحرين » وأضاف قاسم حداد : « ومحمد عبدالملك يعتبر من أنشط كتاب القصة ، وفي البحرين اكثرهم قلقا في مجال الفن الذي يمارسه .

الواقعية النقدية

وقد تقدم محمد عبدالملك بالقصة البحرينية من الحكاية التقليدية والوعظية والخطابية والسرد التقريري والرومانسية الى الواقعية النقدية والتعبيرية والرمزية فالرغم من البداية المبكرة للقصة القصيرة في البحرين ، سنة ١٩٣٩ ، مع ظهور الصحافة وانتشار المدارس ، اضافة الى الوضع الجغرافي والحضاري المتميز للبحرين ، بوقوعها على ممر مائي دولي يتيح لها الاحتكاك الحضاري والثقافي ، الا ان قصص جيل الرواد ، احمد سلمان كمال وفاضل خلف وعلي سيار وسواهم ، حملت عثرات البدايات المعتادة في الفن القصصي ، من حيث تغلب اسلوب المقالة الاصلاحية والصورة والخاطرة مع قصص التسلية واحاديث الحب والغرام . « ربما كان اكثر من عني بابراز الدافع الاجتماعي والانساني في سقوط بطل القصة القصيرة هو احمد سلمان كمال ، الذي نشر مجموعة من القصص بمجلة « صوت البحرين » . كما افتقدت قصص البدايات الأسس الفنية للقصة القصيرة ، ولعل اهمها الزمن المحدود والحدث المحدود . ثم توقف جيل الرواد عن كتابة القصة القصيرة ، إما بسبب الأحداث السياسية والتحولات الاجتماعية ، أو لتوجههم الى اعمال اخرى . حتى جاء محمد عبدالملك في مقدمة جيل الستينيات ، الذي ازدهرت على يديه القصة القصيرة واكتسبت شعبيتها ، ليرتبط بالحركة الوطنية والتراث



محمد عبدالملك

الشعبي والواقع الاجتماعي المتغير ، وليؤسس القصة البحرينية الحديثة على اسس واقعية نقدية تقدمية فمحمد عبدالملك هو « اكثر كتاب القصة القصيرة رعاية وتأصيلا لتقاليد الواقعية النقدية ، واحلالا لتصورها الايديولوجي في المجتمع » كما كتب ابراهيم غلوم . وقد تطورت واقعيته النقدية من الواقعية التقليدية في مجموعاته القصصية الأولى الى الواقعية الحديثة والتعبيرية في احدث مجموعاته القصصية .

غزارة انتاج

ومحمد عبدالملك هو اغزر ادباء البحرين المحدثين انتاجا في مجاله القصصي ، فله خمس مجموعات قصصية ، تشكل عالمه القصصي المتميز ، هي : « موت صاحب العربة » (١٩٧٢) ، « نحن نحب الشمس » (١٩٧٥) ، « ثقوب في رئة المدينة » (١٩٧٩) ، « السياج » (١٩٨٢) ، و« النهر يجري » (١٩٨٤) ، مع رواية « الجذور » (١٩٨٠) ، بالاضافة الى عدد كبير من الدراسات النقدية والمقالات الأدبية نشرت بالصحف الخليجية والدوريات العربية .

وسأقتصر في هذه الدراسة على عالمه القصصي كما تجسد في مجموعاته القصصية .

بدأ محمد عبدالملك الكتابة في اعقاب احداث الحركة الوطنية في البحرين سنة ١٩٦٥ ، لذا فانه انطلق من اتونها . وصورت اولى قصص مجموعته الأولى « موت صاحب العربة »(١٩٧٢) ، المعنونة بـ « زمن » احدى مظاهرات الحركة الوطنية من خلال انسياب تيار الوعي لدى شخصية بطلها « الحاج مظلوم » ، البحار القديم الصلب الذي انتهى به الحال الى بيع الخضراوات بعد كساد تجارة اللؤلؤ ، والذي يحاول منع ابنه من المشاركة في المظاهرات الهاتفة بسقوط الاستعمار وسقوط الشركة ، الا انه لم يستطع كبح جماح نفسه ، فاندفع مشاركا في المظاهرة هاتفا ضد الظلم والجوع ، فـ « الظلم هو الجوع » ، وينضم ابنه بدوره الى صفوف المتظاهرين ، ويستشهد مصابا بالرصاص ويجلس الأب « الحاج مظلوم » - والأسماء لها دلالة في قصص عبدالملك - صامتا يدخن النارجيلة ، ويردد كلمة وحيدة بتعجب وألم : « زمن » ؟!

عالم البحـر

ويجمع أسلوب محمد عبدالملك الفني في هذه القصة بين تقطيع الزمن وتداخل الأزمنة والأمكنة ، والتداعي ، وتيار الوعي ، والصور البحرية ، والتراث الشعبي دون افتعال . فعندما يسمع الأب بطل القصة هتاف « يسقط الظلم » فان « الحاج مظلوم تذكر عاشوراء والحسين » ، فتحركه الذكرى للمشاركة في المظاهرة بالهتاف : « الظلم هو الجوع . . قالها الحاج مظلوم . . يسقط الظلم » . ومن تراث البحر ومفردات عالمه يصف عبدالملك حركة بطله البحار القديم : « اندفع كالفيل ورفع شراع يده : « يسقط الظلم ! » غير أن القصة ، بسبب موضوعها السياسي ، ولأنها من اعمال البدايات حملت بعض العبارات الخطابية والحماسية المباشرة ، كتكرار عبارة « الشعب غاضب » وغيرها من العبارات التقديرية ، اضافة الى الحوار السياسي الذي لا يتحمله قالب القصة القصيرة المحدود والمكثف .

كما تغص بعض قصص مجموعة عبدالملك الأولى بالسرد التقريري والوصف الخارجي والشخصيات المسطحة ، غير انها تجمع بين واقعية الحدث والتعبير عن الشخصيات المعذبة والمطحونة والمهانة والمسحوقة ، والتي تتطلع الى تغيير واقع حياتها البائس والمظلم الى حياة افضل ، وتستعين على ذلك بقواها الايجابية وتراثها الشعبي .

ويمزج محمد عبدالملك في قصته « آخر سفينة » بين معاناة بطله البحّار التي دامت ثلاثين عاما في الغوص على اللؤلؤ ، وبين معاناته في عمله الجديد بمعمل تكرير النفط بعد كساد اللؤلؤ وهجرة عالم البحر ، عندما يشبه رئيسه في العمل « بالنوخذا » (ربان السفينة) حين أبلغه بأمر فصله من العمل . واذا كانت القصة تستعيد عبر مونولوج بطلها العاطل المعذب صور حياة العمل في البحر وأغنيات « النهام » (مغني السفينة) وحياة العرى الشاقة بحثا عن اللؤلؤ ، الا انها تصف غربة بطلها في حياته الجديدة بين آلات معمل التكرير بأكثر الالفاظ تقريرية ومباشرة : « هنا عرفت الغربة ، عرفت الضياع بين آلات رابضة كالموت من حولي . . » .
وتختتم القصة بعبارة تقريرية ايضا قائلة : « فزمن الغوص انتهى ، وتوقفت آخر سفينة » ولكن معاناة الانسان استمرت بالرغم من ظهور النفط .

موت صاحب العربة

أما قصة « موت صاحب العربة » التي منحت مجموعته الأولى عنوانها ، فهي قصة مأساوية تصور عذاب حمال عجوز وحيد ومعاناته الأليمة في عمله الشاق ، ومخاطبته لسقف حجرته ، عن وحدته وفقره وضعفه واضطراره لمواصلة العمل طوال يومه دون راحة ، على نحو يذكرنا بحوذي « تشيكوف » الوحيد الذي كان يحادث حصانه عن مأساة فقده لابنه الوحيد . وتمزج القصة بين المونولوج الداخلي والحلم في تصوير معاناة البطل الأليمة وتطلعاته وأشواقه لحياة افضل ، غير أنها تختتم بوفاته وحيدا في كوخه ، حتى تأكله الديدان ، وتفوح منه رائحة العفن .
هكذا يموت صاحب العربة بعد أن أيقن بأنه « لاراحة هنا . . الراحة في القبر . . الراحة في



علاف المجموعة القصصية الأولى

علاف المجموعة القصصية الثانية

القبر . . » تلك الراحة هي حلمه السعيد الذي ظل يحلم به . أما الاطفال الذين تمكنوا اخيرا من الاستيلاء على عربته واللعب بها فانهم « لم يشعروا بسعادة » . فلا سعادة لدى شخصيات محمد عبدالملك المعذبة التعسة .

وقد حدثني محمد عبدالملك عن هذه القصة حديثا ممتعا اجابة عن سؤال لي عن تجربته الأدبية . وانقل هنا فقرة من هذا الحديث لانها تلقى أضواء كاشفة على الينابيع الواقعية التي تتدفق منها ابداعات هذا الفنان الواقعي الدؤوب .

فبعد ان تحدث عن اكتشافه لرغبة عارمة في الكتابة والتعبير والبوح قال لي : « لقد وجدت هذه الرغبة في نفسي مثل الآخرين ، واعتقدت في البداية ـ وانا اكتب قصتين في وقت واحد ، ذات مساء حار وحزين ـ بأنني امارس نوعا من الألم والتألق على الطريقة البوذية ، والاغتسال والتطهر . هناك اشياء أعرفها ولا يعرفها الآخرون ، هناك تجارب وخيالات اريد ان يشاركني الآخرون في الاستماع اليها او التحدث عنها ، مثلا : « حكاية عبدالله صاحب العربة ، وكنا نسميه عبدالله (حبيان) لضيق عينيه ، كان رجلا عظيما ، وهو يقود عربة كبيرة من الحارة التي أقطنها الى قلب السوق في برد الشتاء وحر الصيف ، وكان طيبا ، ذا كبرياء ، وقد مات موتتين ، مرة حين هده العمر فمد للناس يده فتألمت ، ومرة حين وجدناه جثة نتنة في بيته المصنوع من سعف النخيل في « حي لبنان » ، هكذا كنا نسميه تهكما في الطفولة ، لم نكن نعلم ان لبنان سيصيبه الدمار اكثر من هذا الحي في عام ١٩٨٢ . . كنت اريد ان احكي حكاية عبدالله للناس ، وقد حاولت وانا عديم الثقة في نفسي ، ولكن ردود الفعل جاءت مشجعة ، ومع ردود الفعل المستمرة من الناس وجدت الثقة في نفسي . » هذه هي روافد الواقعية في عالم محمد عبدالملك القصصي » .

الناطور

تلح القضايا الوطنية والاجتماعية على قلم محمد عبدالملك ، وتنعكس بقوة في عالمه القصصي منذ بداياته الأولى . واذا كان قد صور اضرابات الحركة

العمالية في قصصه فانه يصور اضرابات الطلبة ايضا ، الذين نتابعهم من خلال رؤية « احمد الناطور » حارس بوابة المدرسة الثانوية الذي اعطى القصة عنوانها ، والذي اثرت فيه هتافات الطلبة ضد امريكا والمطالبة بالمساواة الاجتماعية ، فاندفع خلفهم يهتف معهم بدلا من ان يغلق البوابة في وجوههم ويمنعهم من الاضراب ، فيفصل من عمله لقاء ذلك ، في حين يمزج عبدالملك بين الطلبة وبين مفردات عالم البحر ايماء الى قوتهم قائلا : « انهم يبدون كأسماك كبيرة في عرض البحر ، يحومون هنا وهناك ضاربين بأيديهم في الهواء كما يفعل سمك القرش تماما ! انهم لا يقلون عنه شراسة هؤلاء الصغار الطيبون . وفي اللحظات الحاسمة لن يوقفهم هذا الجدار ، ولا بوابة العم احمد التي استدلت بأخشابها الحديد ،وتموج الساحة امام عينيه . باللهول انظر . . اه . . صاح بارتياح . . كيف تتجمع الحلقات البشرية ، وهاهم كتلة امواج عاتية . صاخبة ، عارمة ، عنيفة الوجه في اصواتهم التي تشق طريقها بلا توقف » انها شخصيات ايجابية تؤثر في سواها من الأجيال السابقة ، لأنها شخصيات من الشباب ، تمثل الغد والمستقبل ، وتلوح بقدرتها على صياغته وصنعه وابداعه ، واذا كان العمال ، في قصص عبدالملك ، يهتفون ضد الجوع والظلم ، والطلبة ينددون بأمريكا ويطالبون بالمساواة الاجتماعية ، فان عمال البناء في قصة « حمارة الجرذان » يهتفون أيضا « يسقط المقاولون » ويتحدثون عن سائهم للعمارات وخروجهم صفر الايدي .

وتشع قصص محمد عبدالملك الواقعية الأولى بدفء الواقع في أحياء « المنامة » الشعبية التي نشأ وتكوّن فيها ، ومن هذه الأحياء ينتقي الأديب الواقعي شخصياته الشعبية ، من عمال وحمالين وباعة وبحارة وعاطلين وسجناء ومنفيين وأطفال وطلبة ، فيصور حياتهم التي يخيم عليها الجوع والبؤس والحرمان وتتصاعد منها نغمات الاحساس بالظلم والتوق للعدل والحلم بمستقبل افضل . فهو يحرص على الا يدع اليأس يسد منافذ الأمل بالرغم من قسوة الصور الواقعية المنتقاة بمهارة ، لتعبر عن موقف الأديب الفنان من هذا الواقع .

نحن نحب الشمس

وفي مجموعته القصصية الثانية « نحن نحب الشمس » تقدم محمد عبدالملك بشخصياته النابعة من حارات وأزقة احياء المنامة الشعبية صوب الهموم النفسية والروحية ، ومن ثم تقلصت مساحة الوصف الخارجي والسرد التقريري في بعض القصص ، التي لجأ فيها الكاتب الى استبطان شخصياته والدخول في اعماقها . وهي شخصيات معذبة ايضا ولكن عذابها روحي ونفسي ومعنوي ، كعذاب بطل قصته « الانتظار » الذي يعاني الوحدة بعد وفاة زوجته واعتقال ابنه الوحيد ، غير ان الكاتب لم يتخل تماما عن تدخله بالتعليقات المباشرة كقوله : « عجبت اي حزن مدمر يعيشه منذ حادث الاعتقال »

غير ان المباشرة وافتقاد الزمن المحدود ظلا يلازمان معظم قصص مجموعته الثانية « نحن نحب الشمس » وخاصة في القصص السياسية المضمون مثل قصة « مطر يعيد الحياة » التي تستعرض هموم الوطن العربي كله ، من انقلابات وثورات وانكسارات في عبارات سياسية مباشرة ، تتدفق على قلم بطلها وهو يدون مذكراته . او كالاسلوب التقريري المباشر الذي يقدم به الكاتب تجربة التعذيب في السجن في قصة « الزنزانة ٥ » ، وتجربة النفي في قصة « سند » وهي قصص سياسية مباشرة تقترب من اسلوب المقالات السياسية وتحاول ان تصور الصراع السياسي والاجتماعي . او كقصة « النافذة » التي تتناول حياة الفتاة العانس « سارة » وهمومها ، دون مراعاة لمحدودية الزمن الاساسية في فن القصة القصيرة .

وفي هذه المجموعة القصصية الثانية تتقدم موضوعات قصص محمد عبدالملك نحو الثقافة والسياسة ، واذا كانت موضوعات السجن والاعتقال والنفي هي الغالبة في قصص هذه المجموعة ، فاننا نطالع اسماء « جيفارا » و « جوركي » جنبا الى جنب مع الأحاديث المباشرة عن القومية العربية ، وحكم العسكر والبورجوازية ، والاستغلال الطبقي من تجار اللؤلؤ والنواخذة الى المقاولين وشركات النفط . والى جوار الشخصيات الشعبية ظهرت شخصيات المثقفين في قصص هذه المجموعة الثانية . □

رؤيا

شعر : عبد الفتاح الصبحي



أيا مهرة الليل هيا خذيني
ولا تتركيني لهذا الصقيع
● ● ●
مُعنّى هو القلب وسط الفيافي
فما عاد يسكن عش الضلوع
● ● ●
ويخنقه القمع والدمع حينا
فإن لاح وجهك طاب الخشوع

***

تبارك حلم بجفنيك يغفو
كمشتل ورد وفل يضوع
● ● ●
تبارك فجر بعينيك يصحو
فيرقص صيف ويشدو ربيع
● ● ●
تبارك نهر بكفيك يسخو
فيطعمنا بعد خوف وجوع

***

أحدق في الأفق والنجم يزهو
ولم يبق في الليل الا هزيع
● ● ●
فألمح طيفك في الريح يعدو
على شجر حملته الجموع
● ● ●
أناديك : يا عروس روحي .. خذيني
طريق الهوى ما به من رجوع !



الجوع وأثره على جسم الإنسان

بقلم : الدكتورة فاطمة الغرباوي

رأينا وقرأنا أخبارا كثيرة عن الجفاف في المناطق الافريقية ، ومايتنتج عنه من المجاعات ، وأفزعتنا الضحايا التي سقطت نتيجة لها ، والأخرى التي تنتظر . فما أثر الجوع على جسم الانسان ؟ وكيف يؤدي الى الوفاة ؟

يمكن إجمال أنسجة الجسم في ثلاثة أنواع : الأنسجة الدهنية،والبروتينية ونسيج الكبد النشوي . وعندما يقل مايحصل عليه الجسم من الغذاء الكافي والسعرات الحرارية اللازمة ، بدرجة كبيرة عن المعدل الطبيعي لاحتياجاته اليومية ، تتحرك ميكانيكية التمثيل الغذائي للتوفيق بين أمرين ، إما بالاقلال من النشاط الجسماني ، أوبالسحب من الاحتياطي المختزن في أنسجة الجسم المختلفة .

والجلوكوز ، أوالسكر الاحادي ، هو العنصر الأساسي والمطلوب أبدا للاحتراق واستنباط الطاقة اللازمة ، خاصة للمخ - الذي يتطلب لحيويته ٨٥٪ من الجلوكوز من الدم ، وللأنسجة الأخرى بدرجة أقل من ذلك .

وفي الجسم العادي مخزون قليل من المواد النشوية ، يحتاج صيام ليلة واحدة ليحترق كله . وحتى بين الوجبات ، عندما ينخفض معدل الجلوكوز في الدم يحاول الجسم انتاج الجديد منه بطريقة أو بأخرى ، ليكون معدله في حدود كافية ـ بين ٥٠ الى ١٥٠ مللجم ـ وهي المعدلات التي يتعطل فيها المخ عن عمله اذا قلت عنها ، وتزدحم الكلى في التخلص منها اذا زادت عن ذلك .

أما إذا صام المرء مدة طويلة فعلى الكبد أن يبدأ انتاج الجلوكوز ، وانتاج هذه المادة في الجسم أسهل وأكثر مباشرة في البروتينات منها في الدهون . لذا يستخدم الجسم عضلاته في انتاج الطاقة ، لتذوب رويدا رويدا بالرغم من وفرة الدهون فيه . تتكسر بروتينات العضلات الى أحماض أمينية ، وهذه تصل الى الكبد عن طريق الدم ، ليتكون منها النشا ، وهذا بدوره يتكسر الى جلوكوز .

أما اذا طالت مدة الحرمان كالحال في المجاعات أو في معسكرات الاعتقال ، فإن الجسم يعزف عن استخدام البروتينات في انتاج الطاقة ، ويبدأ في استخدام الدهون المختزنة ، وذلك باستخلاص الأحماض الدهنية ، وكل ذلك لصالح نشاط الجهاز العصبي في الدرجة الأولى . وبانتهاء المخزون في الدهون يحس الانسان بالوهن ، ويفقد القدرة على التفكير ويعزف عن الطموح ، ويهبط ضغط دمه ، ويغمى عليه ، وينتهي به الأمر الى الوفاة اذا استمر الحرمان من الغذاء .

ويذوبان الدهن والعضل يبدأ الجسم في التورم . فالجلد في القدمين والساقين يصبح مثل كيس ملء بالماء ، لأن الأنسجة الذائبة تكون قد تركت فراغا خلويا مكانها ، وكذلك يكبر بطن المصاب لامتلاء تجويفه بالماء ، وتنتفخ جفونه ويغور خداه .

ولعل هناك أسبابا أخرى لهذا التورم غير ذوبان الأنسجة ، مثل انخفاض معدل الزلال في الدم مما يقلل الضغط الأسموزي في الأوعية الدموية ، ويساعد على الارتشاح الى الأنسجة الخلوية . كما يؤدي الى انخفاض ضغط الدم ، اذ يقل اندفاع الدم الى القلب ، ويقل بالتالي معدل ضخه في الكلى، ليقل بذلك معدل افراز البول ، فيحتفظ الجسم



عندما يدوب الدهن والعضل في الجسم بعد طول حرمان من الغذاء ، يكبر بطن المصاب لامتلاء تجويفه بالماء .

بالأملاح ، وأهمها عنصر الصوديوم في الأنسجة مما يتطلب امتصاص الماء من الدورة الدموية الى تلك الأنسجة .

الحرمان الغذائي

إن النتائج الوخيمة - وآخرها الوفاة-للحرمان الغذائي متوقعة تماما اذا ما فقد الجسم ثلث أو نصف مخزون البروتينات منه .

ومن النتائج الأخرى المترتبة على المجاعة ضعف المقاومة للأمراض المزمنة ، وذلك عند من يقل وزنهم

عن المعدل الطبيعي وتتوزع احتياطيات جسم الانسان الذي يزن ٧٠ كجم ، وهو المتوسط الطبيعي كما يلي :

١٥ ـ ٢٥٪ دهون
١٢ ـ ١٧٪ بروتين في شكل عضلات
٣٪ نشويات في هيئة نشا الكبد ونشا العضلات وسكر الدم .

والدهون هي الخطوط الأمامية للدفاع عن استنزاف طاقة الجسم حيث يولد كل جرام منها مايوازي ٩ كيلو/كالورى ، أما جرام البروتين فيولد ٤ كيلو/كالورى .

واختزان الدهون في الجسم غني عن التعريف ، فالسمنة أو زيادة الوزن كلمتان مترادفتان لمعنى واحد ، فهي تعني زيادة الدهون في الجسم وهي لاتعني أي زيادة فعلية في البروتينات أو النشويات في الجسم . .

فزيادة الوزن بمقدار ٢٥٪ تعني مضاعفة وزن الدهن فيه. وعلى العكس من ذلك فان نقصان الوزن كما يحدث في المجاعات والأمراض المزمنة تعني هدما ملحوظا في كمية البروتين على السواء .

وأعود لأؤكد أن المخ يستهلك حوالي ١٠٠ ـ ١٥٠ جراما من الجلوكوز يوميا ، ويحرقها الى ثاني أوكسيد الكربون . والماء والأنسجة الأخرى مثل محتويات الدم وخلايا الكلى وخلايا العضلات تستخدم كميات أقل من تلك المادة ، بين ٥٠ ـ ٧٥ جراما يوميا . ونسيج العضلات هو المستهلك الأكبر للطاقة في الجسم ، أما القلب والأمعاء فلاتعتمد على الجلوكوز سواء في حالات الشبع أوالحرمان ، بل هي تعتمد على أكسدة الأحماض الدهنية من النسيج الدهني المختزن ، وكذلك من الكيتونات التي تتكون في الكبد أثناء أكسدة الدهون .

عندما ينشط الكبد في استخدام الأحماض الأمينية التي وصلته من العضلات لتحويلها الى جلوكوز ، يفقد الجسم بهذه الطريقة حوالي ٦٠ ـ ٧٠ جم يوميا من البروتين ، وهذه تنتج حوالى ١٠ ـ ١٢ جم من النيتروجين في البول . وبما أن الماء يكون ٧٥ ـ ٨٠٪ من وزن العضلات فان الجسم بهذه الطريقة ، يفقد يوميا حوالي ٢٠٠ ـ ٣٠٠ جم من وزنه الاجمالي في كل يوم من أيام الحرمان .

واذا كان معدل نقص الوزن أكثر من هذا ، يكون السبب إما ازدياد ادرار البول ، اوزيادة تحطم الأنسجة بزيادة معدل التمثيل الغذائي عن المعدل الطبيعي .

هناك هرمونان اثنان يتحكمان في عملية التمثيل الغذائي للجلوكوز ، الأنسولين والجلوكاجون ، وهما متضادان تماما ، فعندما يصوم المرء ، ينخفض الأنسولين ، الذي يحرق الجلوكوز ، ويزداد الجلوكاجون ، الذي يساعد على استنباط الجلوكوز ، وهنا تنشط في الصائم عملية تكسير الدهون وينشط انتاج الجلوكوز في الكبد .

الصيام الطويل

ويختلف الحال عند الصيام لمدة طويلة لأكثر من عدة أيام ، فللجسم حينئذ طرق متعددة للتكيف حتى لايهدم كثيرا من البروتينات . اذ يقل استعمال المخ للجلوكوز ، ويبدأ باستعمال بعض مشتقات الدهنيات والكيتونات كبديل له . ويتبع ذلك انخفاض معدل تكسير العضلات الى أحماض أمينية ، ويقل مايحتويه البول من مواد نيتروجينية الى حوالي ٣ جم يوميا ، مما يعكس تكسير حوالي ٢٠ جراما من البروتين ونقص مايقل عن ١٠٠ جرام في وزن الجسم الحقيقي يوميا . وبذلك يتحول انتاج حوالي ٩٥٪ من الطاقة المطلوبة من المخزونات الدهنية في الجسم . ويمكن وصف الانسان وقتها بأنه يتعيش على غذاء داخلي ذاتي عالي الدسم .

تعتمد كل العمليات السابقة على أن جسم الصائم كان سليما معافى عند بداية صيامه . أما اذا كان مريضا أصلا بمرض حاد أو مزمن مثل الالتهابات أو الحروق أوالاصابات وما يتبعها من عمليات جراحية ، فاستجابة الجسم عندها تكون بزيادة في تكسير البروتينات ، وهي تتناسب وكمية الطاقة اللازمة للجسم . فمثلا ، الحمى ، تتطلب استخدام كمية أكبر من الاوكسجين ـ بمقدار ١٥٪ زيادة لكل درجة حرارة واحدة ارتفاعا .



نقصان الوزن يعنى هدما ملحوظا فى كمية البروتين . . وزيادة فى تحطيم انسجة الجسم



عدم التوازن في الغذاء يعطل النمو ونضج التفكير ويظهر اعراض الانيميا وفقر الدم .

ولاتتطلب العمليات الجراحية غير الفجائية ، زيادة في الحاجة للأوكسجين . وعلى العكس من ذلك فان الكسور المضاعفة ، والالتهابات الشديدة مثل التهاب الغشاء البروتوني في البطن ، تتطلب زيادة قد تصل الى ٥٠٪ من الحاجة للاوكسجين .

وتحتاج الحروق الكبيرة الى زيادة بنسبة ١٠٠٪ من الأوكسجين . ومع هذه المتطلبات العالية للطاقة يتحتم تكسير البروتينات المختزنة وبسرعة ، لذا يحتوي البول وقتها على مشتقات النيتروجين التي قد تصل الى ٢٥ جراما يوميا ، وهومعدل أكثر من ضعف الكمية التي يحتويها البول عند الصائمين المحرومين . وهي أيضا كمية تعكس تكسير حوالي ١٥٠ جراما في البروتين يوميا ، أي مايعادل فقدان رطل من وزن الجسم الاجمالي يوميا ، ولذا يبدو هزال المصابين واضحا خلال فترة قصيرة .

انخفاض المناعة

ان سوء التغذية عموما هو صورة من صور الحرمان الغذائي ، فاذا كانت التغذية غير متوازية انتشرت الالتهابات والأمراض المزمنة ، خاصة حالات الاسهال والتهابات الجهاز التنفسي . فنجد ارتفاعا ملحوظا في نسبة وفيات الاطفال دون سن السادسة في البلاد النامية أعلى منها في العالم المتقدم ، والسبب سوء التغذية . فمقاومتهم ضعيفة والأسباب معروفة فنقص البروتين وفيتامين أ ، ج وجميع مشتقات الفيتامين ب تحول دون انتاج الجسم للمواد التي تقيه من عدوى الأمراض .

ولقد أعطى بعض المتطوعين مواد مضادة لبعض الفيتامينات ، فانخفضت نسبة المواد المناعية في دمائهم .

ولوحظ أن الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية وانخفضت في دمائهم نسبة المواد المناعية ولكن بدرجة قليلة ، كان عدم التوازن في الغذاء كافيا لتعطيل نموهم ونضج تفكيرهم .

والأسرى في المعتقلات ، الذين ينعدم التوازن في غذائهم تكثر اصابتهم بمرض « البري بري » لأن مادة الثيامين تنقصهم وتكثر بينهم الاصابة بنزلات الأمراض الميكروبية المختلفة . واذا ماأصيب أحد قرود التجارب بنوبة برد فقط ، ظهرت أعراض الأنيميا وفقر الدم اذا كان غذاؤه لايحتوي على مادة حامض الفوليك .

وعند الاصابة بالأمراض الميكروبية يزيد افراز فيتامين ج في البول ويقل معدله في الجسم ، وتلك ظاهرة ملحوظة عند الأطفال المصابين بسوء التغذية ، ويعانون من التهابات الأذن الوسطى ، والتيفود أو الإلتهاب الرئوي وبعد التطعيم ضد الجدري ، فهم أرض خصبة لمرض الاسقربوط ونقص فيتامين ج .

ولنقص المواد الغذائية من الغذاء دور هام وعلاقة وثيقة ببعض الأمراض . فالأمراض الميكروبية تقلل نسبة الحديد والزنك . والاصابة الشديدة بالديدان الشريطية كافية لأن يصاب المرء بأنيميا خطيرة حتى لو كان غذاؤه غنيا بالحديد ، وهذا يذكرنا باصابة الفلاحين في مصر بدودة البلهارسيا ، حيث يفقد المصاب عنصر الحديد أثناء النزف الطويل في الجهاز البولي والأمعاء .

ومرضى الدرن ، يفقدون عنصري الكالسيوم والفوسفور . والمرضى المصابون باسهال ميكروبي ،

يفقدون الكثير من الصوديوم والكلورايد والبوتاسيوم والفوسفور بدرجات متفاوتة قد تكون شديدة لدرجة مميتة .

المدمنون

ولاستكمال بحث موضوع الحرمان الغذائي أجدني مضطرة لذكر موضوع حيوي وهام . وهو عن المدمنين على المشروبات المسكرة . فبعد أن يثقلوا في الشراب وتتخم المعدة ، يتقيئون ماشربوا وما أكلوا ويعتبرون في عداد المحرومين غذائيا . وهنا يتفاعل الجسم بأن يزيد من هدم البروتينات وترتفع نسبة الكيتونات في الدم ، بعكس من يصوم وجسمه سليم ، الذي تتفاعل أنسجته وتزيد من انتاج الجلوكوز ولاتزيد عندهم نسبة الكيتونات . وحتى لو صاموا عدة أيام أو عدة أسابيع يستمر معدل الجلوكوز عندهم لأكثر من ٥٠ مللجم . .

وعندما ترتفع نسبة الكيتونات عند المدمنين ، تقل نسبة الجلوكوز عن ٥٠ مللجم فيصاب المرء بالاغماء ، أو يبقى في حالة اعياء شديد ويصبح تنفسه سريعا وعميقا . والسر في ذلك هو زيادةمعدل هدم الدهون ، وربما اختلال طرق الاكسدة في خلايا الجسم نفسها عندما يتم الاجهاز على مخزون النشا في الكبد تماما بفعل القيء المستمر أو عدم الغذاء لعدة أيام . والكحول بذاتها حائل دون انتاج الجلوكوز في الكبد بالاضافة إلى تليفها ، مما يحرم خلايا المخ من مصدر الطاقة والعمل والحياة والحيوية .

ويتسبب الادمان أيضا في حرمان الجسم من عنصر المغنسيوم وذلك بعكس الحرمان عند الشخص العادي ، حيث الكلى حريصة تماما على تنظيم افراز تلك المادة ، أما الكلى عند المدمن فخلاياها غير قادرة على الاحتفاظ بها أو منع افرازها .

ان للمغنسيوم وظيفة هامة في الجسم ، وهي المساعدة على الحفاظ على مستوى الكالسيوم في الدم . كما أن له علاقة وثيقة بالغدة فوق الدرقية . لذا نجد المدمن وقد اعترته رجفة وتشنجات عضلية ، وهو سهل الاثارة من أقل شيء ، وغير قادر عموما على التحكم في تصرفاته باتزان .



المرضى المصابون باسهال ميكروبي يفقدون الكثير من الصوديوم والبوتاسيوم وقد يؤدي الامر الى الموت .

العلاج

ويتطلب علاج حالات الجوع والحرمان الغذائي حرصا شديدا . فيجب أن يكون استرجاع الاستطعام والتغذية تدريجيا وببطء شديد جدا . فلقد أصيب الأسرى في الحرب العالمية الثانية ، ممن عادوا الى بلادهم ، باغماء وصدمات عصبية (Shock) عندما أكلوا بشراهة . وتوفي عدد كبير منهم عندما تناولوا أغذية غنية على عجل .

والحال نفسه ينسحب على المرضى بأمراض أخرى غير ضحايا المجاعات والاعتقالات ، مثل مرضى سرطان المريء الذين لايتمكنون من التغذية الطبيعية ، فهؤلاء عندما تعمل لهم فتحات جانبية في المعدة لتناول غذائهم عن طريقها ، قد يصابون بصدمة مفاجئة تنتهي بهم الى الوفاة اذا ماشحنت المعدة بغذاء غني في وقت قصير . □

أرقام

بقلم : محمود المراغى

مائة عام مرت على أول سيارة فى العالم تعمل بالمحركات التى تخضع للنظريات الحديثة . قبلها كانت هناك سيارة فرنسية تجتاح شوارع باريس ، لكنها تعمل بالبخار وتسير بسرعة خمسة كيلومترات فى الساعة . و . . قبلها تطورت وسائل الانتقال بشكل بطىء رغم أن مصادر المعرفة القديمة تقول إن صناعة وسيلة للنقل كانت سابقة لصناعة المساكن ، فحاجة الانسان الى الانتقال وحمل الاثقال كانت تنافس حاجته لمسكن صناعى يؤويه .

بدلاً من النقل بالدواب

فى البدء : كانت جذوع الأشجار الطافية فوق ماء النهر أو البحر وسيلة للانتقال . وفى البدء : كانت الطاقة المحركة لوسائل النقل البدائية تعتمد جميعها على قوى الطبيعة وعضلات الانسان ، تدفق الأنهار ، حركة الرياح . . و . . كان ذلك كفيلا بتوليد الحركة .

وعندما اخترع المصرى القديم السفينة الشراعية كان ذلك فى وقت قريب لا يتعدى عام (٢٥٠٠) ق . م أيضا ، وعندما استخدم هنود أمريكا الشمالية العربات البدائية كان ذلك فى تاريخ أقرب . لكن القفزة الكبرى فى وسائل النقل كانت باختراع المحركات والقوة الميكانيكية والتى بدأت فى القرن التاسع عشر . ولان الحاجة أم الاختراع فقد سارت الامور بعد ذلك بأسرع مما نتصور ، وتعددت أشكال وسائل النقل والاتصال من باخرة الى سيارة وطائرة وصاروخ ومركب فضائى وقمر صناعى .

فى عام ١٩٦١ وصل الانسان ـ ومن خلال رحلة جاجارين ـ الى الفضاء الخارجى لأول مرة . . ولكن بين رحلة جاجارين والنقل بالاخشاب والدواب وعضلات الانسان رحلة طويلة ، تأكدت خلالها باستمرار أهمية ما ندعوه الآن « صناعة النقل » . . فالطريق والسيارة والقطار والباخرة والطائرة ليست من زخارف الحضارة ، لكنها فى الأساس عملية اقتصادية يتحقق من خلالها التبادل ، وينمو الانتاج .

وبمعنى آخر يمكننا القول أن حجم ماتملكه الدولة من طرق ووسائل نقل واتصال يحدد بصورة ما درجة التقدم والنمو الاقتصادى والاجتماعى . والأكيد أن المسافة بين من ينقلون سلعهم بالدواب ومن ينقلون المعلومات بالأقمار الصناعية مسافة بعيدة . . والسؤال : أين نحن العرب من هذه الرحلة الطويلة ؟ . . ماذا نملك من وسائل نقل واتصال ؟ . . وماهو موقع ما نملكه من رحلة التطور والاقتراب من العالم المتقدم ؟

تقول الأرقام ، التى أوردها آخر تقرير اقتصادى عربى موحد : أن قفزة قد حدثت في السنوات الأخيرة ، فيما يسمى الاهتمام بالمرافق أو البنية الأساسية . وان قطاعات النقل والتخزين والمواصلات والكهرباء والماء والغاز قد احتلت ربع الاستثمارات المستهدفة فى النصف الاول من

ثمانينيات ، وبما يزيد عن كل ما انجز فى مجال البنية الأساسية خلال حقبة السبعينيات . . ولكن . . ووفقا لنفس الأرقام فان معظم التطور كان فى دول النفط والتى احتلت وحدها ٥٩٪ من الاستثمارات فى هذه المجالات ، فاذا أخذنا النقل بمفرده وجدنا نفس المعدل المرتفع من التطور ، ومع ذلك نجد أن الهوة مازالت واسعة بين الدول العربية والدول المتقدمة .

واذا كان الطريق البري هو المعبر الذى تسير عليه السيارة ـ كأداة نقل رئيسية ـ فان الوطن العربى فقير فى طرقه ، ولا يملك منها ـ غير (٤٤٩) ألف كيلو متر ، بينها (١٧٦) ألفا فقط تم تغطيتها بالاسفلت وبطريقة أخرى فى الحساب فإن كل ألف من السكان عام ١٩٨١ كان يقابلهم (٢،٦) من الكيلومتر ، وهى نسبة صغيرة بالقياس لمساحة هذا الوطن الذى يمتد من الخليج الى المحيط ، ويهبط الى أعماق افريقيا ويصعد الى حدود تقترب من أوروبا ويحتل جزءا من آسيا .

وبتحليل أكثر نجد أن ثلثى الطرق العربية فى افريقيا . . لكن الطرق الاكثر تعبيدا وتمهيدا يقع معظمها فى آسيا حيث دول النفط الاكثر قدرة ، أما الطرق العربية المشتركة التى تصل بين أكثر من بلد عربى فتقتصر نسبتها على ١٨٪ فقط من جملة الطرق .

و . . فوق هذه الطرق ـ ووفقا لاحصاءات وتقديرات عام ١٩٨٣ ـ يجرى أكثر من (٧) ملايين سيارة معظمها سيارات خاصة ، وأقلها سيارات شحن ونقل للافراد (باصات) ، وبترتيب النسب تحتل السيارات الخاصة (٧٠٪) من عدد السيارات ، والشاحنات ٢٦٪ ، والباصات ٤٪ فقط ، وفى المتوسط العام نجد لكل ثلاثين عربيا سيارة . . ولكن فى التفاصيل يرتفع الرقم الى خمسمائة سيارة لكل ألف من السكان فى قطر ، ينخفض الى ثلاث سيارات فى الصومال ، وسبع سيارات فى السودان ، وتسع سيارات فى موريتانيا . . لكل الف من السكان . .

وتعكس الأرقام على هذا النحو الحقيقة الأساسية الاولى وهى أن الجزء الأعظم من سياراتنا لا يرتبط بالنشاط الاقتصادى بشكل مباشر ، لكنه يكاد يدخل مجال السلعة الاستهلاكية ، وهو ما تترجمه حقيقة أن لكل شخصين أو لكل ثلاثة فى بعض الدول سيارة ، ولكل سيارة مساحة فى الطريق واحتياجات من الطاقة والفنيين اللازمين للصيانة .

و . . ربما يكون القطار أكثر تعبيرا عن الارتباط بين مرفق النقل والمرافق الانتاجية ، فهو القادر على أن يحمل أكثر وبتكلفة أقل ، ومع ذلك فان استخدام القطار يقتصر على نصف الوطن العربى (١١ دولة) وشبكاته لاتزيد أطوالها عن ٢٢ الف كيلومتر ، فى مطلع الثمانينيات . . منها تسعة آلاف فى مصر والسودان ، وثمانية آلاف فى الجزائر وتونس والمغرب وموريتانيا ، وخمسة آلاف فى بقية أنحاء الوطن العربى .

وفى أكثر من بلد يقتصر استخدام القطار على نقل بعض الخامات مثل خام الحديد .

القطار هو الوسيلة الأرخص للنقل ومع ذلك فان مصر ـ التى تملك أكبر شبكة للسكك الحديدية ـ ظلت نحو ربع قرن لاتضيف لشبكتها شيئا ، ولكن عندما اكتشف خام الحديد ، واقيمت مصانع الصلب واعتمدت على فحم مستورد ، أنشئت خطوط تنقل سنويا بمقدار كل ماكانت تنقله خطوط السكك الحديدية حينذاك . . واخترقت الخطوط الصحراء من الواحات البحرية الى حلوان والاسكندرية ، فى أطول رحلة احتاجها مشروع صناعى مصرى .

التطور الاقتصادى اذن لصيق بتطور وسيلة النقل ، وهو ماعكس نفسه على النقل البحرى فى دول النفط ، وان كان الاعتماد على الناقلات غير العربية كبيرا .

و . . مع ذلك فان توقعات الخبراء تقول إن نسبة النمو فى السيارات سوف تكون فى الثمانينيات والتسعينيات أقل من ذي قبل ، بعد أن بلغ البعض حد التشبع ، وضاقت طرق البعض الآخر فى وجه المركبات ، واصبحت مشكلة الطريق تفوق مشكلة وسيلة النقل ، وفى هذا المجال يضيف خبراء النقل قائلين : لكن أرخص وسائل النقل لاتستخدم على الوجه الأمثل ، ومن قال ان القاهرة ـ أكبر المدن العربية ـ لاتستطيع نقل الملايين على سطح طريق مناسب اسمه : نهر النيل ؟ . . و . . النوذج متكرر ، فنحن فى صناعة النقل نطلب الأحدث لا الأرخص ، وفى الأحدث كثيرا ما تطفو رغبات الافراد وليست حاجات الاقتصاد ! □



صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

مازال ولا زال

يخلط كثير بين (مازال) و (لازال) في الكلام فيستعملونها بمعنى واحد ويضعون كلا منهما مكان الآخر ، مع أن لكل منهما استعماله تبعا لمعناه ، وإن كان النحاة يعدون (زال) فعلا ناقصا ، من أخوات كان ، وكلها نواسخ تدخل على الجملة الاسمية المكونة من مبتدأ وخبر ، فيبقى المبتدأ بعدها مرفوعا كما هو في الأصل ، ولكن الخبر اذا كان اسما او نحوه معربا يصير منصوبا ، ولا يتم معنى الجملة على كل حال إلا بذكر الخبر أيًّا كان .

وندع الكلام هنا فيما إذا كانت هذه النواسخ أفعالا أو أدوات ، لفقدها الفعلية مع التطور وبقاء دلالتها على الزمن فحسب ، وأي كلمة ـ كما حدد النحاة ـ لا تسمى فعلا إلا إذا دلت على حدث وزمن معا .

و (زال) فعل ماض ، له ثلاثة أفعال مضارعة لكل منها معناه على حسب صيغته ، وكذلك مصدره .

١ ـ يقال (زال يزيل زيلا) مثل باع يبيع بيعا ، أي ميَّز وفَصَّل ، فنقول : (زال الراعي غنمه يزيلها زيلا) أي ميَّزها وفَصَّلها عن غيرها ، ومنه زيَّل كما في الآية : (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم ، وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون) أي فصلنا بعضهم عن بعض . ومنه (تَزَيَّل) كما في الآية : (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرَّة بغير علم ، ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيَّلوا لعذَّبْنَا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أي لو انفردوا بعيدا عن المؤمنين والمؤمنات لحلت بهم النقمة .

٢ ـ ويقال (زال يزول زوالا) بمعنى ذهب أو انتقل أو هلك ، كقوله تعالى : (إن الله يمسك السماء والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، إنه كان حليما غفورا) ، ومنه وقت الزوال حين تزول الشمس عن وسط السماء نحو الغروب ظهرا .

وهذان الفعلان تامَّان أي يكتفيان بالفاعل لتمام المعنى .

٣ ـ ويقال (زال يزال) وليس هناك مصدر مستعمل له ، والكلمة تدل على النفي فإذا سبقتها أداة نفي أو نحوه دلت الجملة على الاثبات ، لأن نفي النفي إثبات ، أو سلب السلب إيجاب كما يقول أهل

المنطق والنحو والبلاغة ، ولهذا يرى ابن الأنبارى في كتابه (الانصاف) في كلامه على (مازال) ، إن (ما) هنا حرف نفى (بدليل أنا لو قدرنا زوال النفى عنها لما كان الكلام إيجابا) . « وزال » هنا مع أداة النفى قبلها هي التي تعد من الأفعال الناقصة التي تدخل على المبتدأ أو الخبر ، ولايتم معنى الجملة معها إلا بذكر الخبر أيًّا كان نوعه ، فلابد من ذكر معموليها معا لتفيد الاستمرار مع الديمومة كقولنا : (مازال الله سميعا بصيرا) ، و (مازال الشجر ذا جذور) ، وقد تفيد الاستمرار حتى وقت الكلام ثم بعده إلى زمن طويل أو قصير ، كقول عنترة العبسي يصف اقدام حصانه عند قتال أعدائه .

مازلت أرميهم بثغرة نحره
وَلَبَانِه حتى تَسَرْبَل بالدَّمِ

وكقوله تعالى من وصف قوم ظالمين : (فمازالت تلك دعواهم ، حتى جعلناهم حصيدا خامدين) وكقول المتنبى يصف أسدا في قتاله مع أحد الفوارس :

مازال يجمع جسمه في زَوْرِه
حتى حسبت العرض منه الطولا

ويجيز بعض النحاة تقدم الخبر على «مازال» كقولنا : (ساهرا مازال الحارس) . «ومازال» في كل الجمل السابقة إخبارية ، لأن الجمل معها أخبار بدأ حدوثها في الماضى .

ولكن إذا قلنا : « لازال حظك ميمونا ، أو لازلتم في سعادة ، أو لازلتما متحابين في الله » فكل هذه الجمل تفيد الدعاء ، ولازال فيها دعائية ، فإذا أردنا الاخبار قلنا (مازال) .

وقد قدمنا أن مضارع «زال» هذه هو «يزال» وهذا المضارع تدخل عليه « لا » فتفيد الجملة الاثبات ، لأن (لا) تفيد النفى سواء كانت نافية أو ناهية ، و «تزال» تفيد النفى أيضا ، ونفى النفى إثبات كقوله تعالى في بعض المنافقين : (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة في قلوبهم ، إلا أن تَقَطَّع قلوبهم والله عليم حكيم) ، وكقوله في بنى إسرائيل مخاطبا النبى (ولاتزال تَطَّلِع على خائنة منهم إلا قليلا منهم ، فاعْفُ عنهم واصْفَح ، إن الله يحب المحسنين) ، وكقوله : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين . إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وكقول الشاعر :

وَرَجِّ الفَتَى للخير ما إنْ رأيتَهُ
عَلَى السِّنِّ خَيْرا لايزال يزيد

ويجيز النحاة هنا أيضا تقدم الخبر ، كما في قولنا : « سابقا لايزال محمد بين المتسابقين » وكل هذه الجمل خبرية .

وقد يأتى المضارع مع لا الناهية مع قصد النهى حقيقة ، كقولنا : (لا تزلْ ساعيا إلى المعالى ، مترفعا عن الدنايا) ، وقد تفيد الدعاء عند قصده ، وإن كان ظاهرها النهى ، كقولنا : (لاتزل في نعمة من الله وفضل) ، وكثير من الأفعال المضارعة تدخل عليها (لا) الناهية فتكون للدعاء كما في قول مالك بن الريب التميمى من شعراء العصر الأموى :

يقولون لا تَبْعَدْ وهم يدفنوننى
وأين مكان البعد إلا مكانيا

وهكذا كان العرب يدعون لكل عزيز عليهم « لا تبعد » عند شدائد الاحتضار .

وقد تدخل لا النافية على أى فعل ماض وتكون للدعاء أيضا ، كما في قول النبى (ﷺ) وهو يدعو للنابغة الجعدى بعد أن سمع له قصيدة رائية جيدة في مدحه ومدح الاسلام ، « لا فُضَّ فوكَ » ، أو « لا فضَّ الله فاكَ » ، وكقول شوقي في أبيات من قصيدته (نهج البردة » وتغنيها أم كلثوم رحمها الله :

يا ناعس الطرف لا ذُقْتَ الهوى أبدا
أَضْنَيْتَ جَفْنَيْكَ في حِفْظِ الْهَوَى فَنَمِ

وقد لا تتكرر (لا) مع الفعل الماضى كما في الأمثلة السابقة أو تتكرر كما في قولنا : (لازلت ساعيا في الخير فلا خابت مساعيك ، ولا جُعِلَتْ حَاجَتُكَ إلاَّ إلى كريم) ومن تحصيل الحاصل أن نقول : إن كل الجمل الدعائية إنشائية ، وإن الفعل الماضى في الجملة الدعائية إنما هو ماض صرفيا ، ولكنه للمستقبل نحويا ، أى ماض في صيغته ، ولكنه في معناه للمستقبل . □

راجع (الانصاف في مسائل الخلاف) لأبى البركات بن الأنبارى جـ ١ : المسألة ١٧ ، « ومغنى اللبيب » لا بن هشام المصرى : فصل (لا) ، وفصل (ما) .



صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

لامية العجم في شكوى الزمان للطغرائي

هو مؤيد الدين (٤٥٥ - ٥١٣ هـ) ولد ونشأ في اصبهان فنسب اليها ، وانتقل الى العراق ، وأتم تعليمه فيها وكان من ائمة عصره شعرا ونثرا ولقبه الاستاذ وتقدمت به الحال حتى ولي الوزارة في مدينة أربيل لاحد صغار السلاطين السلاجقة بالموصل ، ودفعته مآزق السياسة الى التدخل بين هذا السلطان وأخيه فانهزم السلطان ، ومات الطغرائي قتيلا في سوق بغداد ، متهما بالالحاد ، وله ديوان شعر من أجوده هذه القصيدة ، التي اشتهرت باسم « لامية العجم » ، لان صاحبها أعجمي ، مقابلة لقصيدة للشنفرى احد صعاليك العرب من اجمل الشعر في وصف حياة أمثاله المستوحشة في بيئته البدوية ، تسمى « لامية العرب » ومطلعها :

أقيمـوا بـني أمّي صـدورَ مـطيّكم
فـاني الى قـوم سـواكـم لأميـلُ

نظم الطغرائي هذه القصيدة في بغداد سنة ٥٠٥ هـ وقد ساءت حاله ، ومن هنا شكواه ، وله ديوان ، وللاديب العراقي الاستاذ علي جواد الطاهر كتاب مستقل في ترجمة حياته ومجالات نبوغه .

الطغرائي نسبة الى الطغراء (الطرة) وهي العلامة التي كانت ترسم على المسكوكات والرسائل السلطانية .

أصالةُ الرأي صانَتْني عن الخَطَلِ … وحِليةُ الفَضْلِ زانَتْني لدى العَطَلِ(١)
فيمَ الاقامةُ بالزوراءِ ، لاسكَني … بها ، ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي(٢)
ناءٍ عن الأهلِ صِفْرُ الكَفِّ منفردٌ … كالسيف عُرِّيَ متناهُ من الخِلَلِ(٣)
فلا صديقَ اليه مُشتكى حَزَني … ولا أنيسَ اليه مُنتهى جَذَلي
أريد بَسْطةَ عيشٍ أستعين بها … على قضاءِ حقوقٍ للعُلا قِبَلي(٤)
حبُّ السلامةِ يَثني عَزمَ صاحبه … عن المعالي ، ويُغْري المرءَ بالكسلِ(٥)
فإن جَنَحتَ اليه فاتَّخذْ نَفَقًا … في الأرضِ ، أو سُلَّمًا في الجوِّ ، فاعتزلِ(٦)

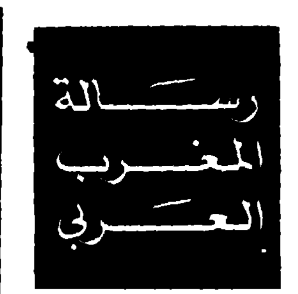
ودع غِمارَ العُلاَ للمُقيمين على   رُكوبِها ، واقتَنِع منهنّ بالبِلَل[7]
يرضَى الذليلُ بخفضِ العيش مَسْكنةً   والعزُّ عند رسيم الأينُق الذُلل[8]
إن العُلا حدَّثتنى . وهى صادقةٌ   فيما تحدِّثُ - أنّ العِزَّ فى النُقَل[9]
اهبْتُ بالحظِّ لو ناديتُ مستَمِعًا   والحظُّ عنَّى بالجُهَّال فى شُغُل
لعلّهُ - إن بدَا فضلى ونقصُهمُ   لعينه - نام عنهُمْ ، أو تنبَّه لي
عاليَ بنَفْسِيَ عِرفان بقيمتِها   فصُنْتها عن رخيصِ القدر مُبتَذَل[10]
اعلّلُ النفس بالآمال أرقبُها   ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمل !
لم أرتضِ العيشَ والايامُ مقبلة   فكيف أرضَى ، وقد ولَّتْ على عَجَل ؟
أعدى عدوِّك أدنى من وَثِقتَ بهِ   فحاذرِ الناس ، واصحَبْهم على دَخَل[11]
وإنما رجلُ الدنيا وواحدُها   من لا يعوِّلُ فى الدنيا على رجل
غاض الوفاءُ ، وفاض الغَدْرُ ، وانفرجت   مسافةُ الخُلف بينَ القولِ والعمل[12]
وحسنُ ظنِّكَ بالأيامِ معجزةٌ   فظن شرا وكن منها على وجل
وشان صدقَك عند الناسِ كذبُهم   وهل يُطابَق معوجٌ بمعتدِل
يا واردًا سؤرَ عيشٍ كلُّه كدرٌ   أنفقتَ عمرَك فى أيامك الأول
فيم اعتراضك لُجَّ البحر تركبه   وأنت يكفيك منه مَصّةُ الوَشَل[13]
ترجو البقاءَ بدارٍ لاثبات لها   فهل سمعت بظلٍّ غيرِ منتقل
ويا خبيرًا على الأسرار مطّلعا   أنصت ، ففى الصمت منجاةٌ من الزَّلل
قد رشّحوكَ لأمر ان فَطِنتَ له   فاربأ بنفسك أن ترْعَى مع الهَمَل[14]

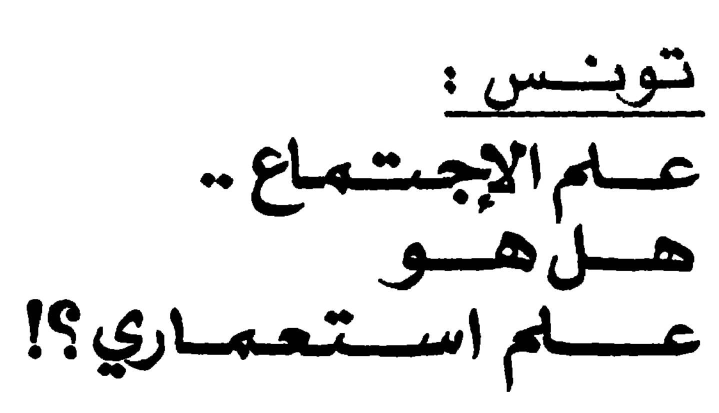
---

(١) الخطل : الحماقة . العطل : التجرد من الزينة (٢) الزوراء : بغداد (٣) صفر : فارغ . الخلل : غمد السيف (٤) بسطة : سعة قبلي : امامي (٥) يثني : يلوي (٦) جنحت : ملت (٧) غمار : واحدها غمرة : الماء الغزير (٨) الأينق الذلل : النياق السهلة الركوب ورسيمها : سيرها (٩) النقل : الانتقالات (١٠) عالي بنفسي : رفع قدري في نفسي (١١) دخل : مكر ودهاء (١٢) غاض : نقص ، أو ذهب (١٣) اللجة : الماء الغزير . والوشل : الماء القليل (١٤) الهمل : من لا راعي لهم

من لامية العرب للشنفري في الاباء

أقيموا بَني أمّي ، صُدورَ مطيّكم   فإني الى قوم سِواكُم لأميلُ
وفي الأرضِ منأى للكريمِ عن الأذى   وفيها لِمَنْ خاف القِلَى متحوَّل
لعمرُك ما بالارضِ ضيقٌ على امريءٍ   سَرى راغباً أو راهبا وهو يَعقِل
(هنا يذكر الشاعر الشريد أن أصدقاءه من وحوش الصحراء ولكنها تكتم سره ولا تخذله) .
وإن مُدَّت الأيدي إلى الزادِ لم أكن   بأعجلهمْ ، إذ أجشعُ القومِ أعجلُ
وماذاك الابسطةً عن تفضُّلٍ   عليهِمْ ، وكان الافضلَ المتفضل
أديمُ مِطالَ الجوع حتى أميتَه   وأضربُ عنه الذِّكْرَ صَفحا فأذهل
وأستفُّ تُرْبَ الارض كي لا يُرَى لهُ   عليَّ من الطَّوْل امرؤ متطوِّل
ولولا اجتنابُ الذام لم يُلْفَ مَشربٌ   يعاش به الا لدَيَّ ومأكلُ
ولكنَّ نفساً مُرَّةً لا تُقيم بي   على الضَّيمِ الا رَيْثَما اتحوَّل
(اخترنا هذه الابيات لانها مأنوسة الالفاظ والمعاني ، والقصيدة تزيد على الخمسين بيتا)





الجزائر :
زيادة تعميم "العربية" في قطاعات جديدة .

بقلم : رشيد خشانة

نحرص في « العربي » على ان يكون كتّابنا من جميع اقطار الوطن العربي . . لهذا فاننا نرجو ان تكون هذه الرسالة الاولى من مراسلنا في تونس الذي يقوم بتغطية النشاطات الثقافية في اقطار المغرب العربي ، فاتحة خير لانتاج متواصل من تلك الاقطار .

تونس

ندوة من أجل : علم اجتماع عربي

كان أهم حدث ثقافي شهدته تونس في شهر كانون الثاني (يناير)هو ندوة(من أجل علم اجتماع عربي) نظمها المعهد العالي للتنشيط الثقافي بالتعاون مع المجلس القومي للثقافة العربية ، ومركز دراسات الوحدة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وحضرها نحو أربعين من علماء الاجتماع العرب . .

وتمت الندوة في أجواء البحث عن أدوات معرفية عربية في ميدان العلوم الاجتماعية حتى أن أحد المشاركين ذكّر بقول اميل دوركايم في مجلته عام ١٩١٥ . (كما أن نهر السين يفصل باريس الى باريس شمالية وباريس جنوبية ، فإن البحر الابيض المتوسط يفصل فرنسا الشمالية عن فرنسا الجنوبية وذلك تدليلا على أن علم الاجتماع ولد ونما كعلم استعماري) وانه من واجب العرب تخليصه من هذه الخلفية الاستعمارية العنصرية لاستخدامه في تنمية المجتمع العربي . وبلغ الامر بأحد علماء الاجتماع الى حد التساؤل عن جدوى بقاء علم الاجتماع (فنحن ان ألغيناه تماما لن يؤثر ذلك على المجتمع بأي وجه من الوجوه) . . .

الا أن الرأي الذي ساد في الندوة انتهى الى فكرة ايجابية تقول بأن أدوات المعرفة ، وتقنيات العمل في علم الاجتماع هي تقريبا واحدة في المجتمعات العالمية كلها ، ولكن مجال بناء علم اجتماع عربي يكمن في وضع اشكاليات تنبع من صميم همومنا القومية .

مجاميع شعرية جديدة

محمد العوني : مملكة القرنفل

صدرت للشاعر التونسي محمد العوني في (دار

ديميتير للنشر) مجموعة شعرية بعنوان (مملكة القرنفل) قدم لها الشاعر الفلسطيني عزالدين المناصرة . والعوني من شعراء الحركة الجديدة في تونس التي تعلن انتماءها للهموم العربية مع استمرار التصاقها بالهموم المحلية . ويتميز الشاعر في قصائد المجموعة السبع بنضج التجربة الفنية و (النضج الموسيقى) كما قال المناصرة . . .

وتشكل فلسطين و (الحرية) موضوعين رئيسيين في المجموعة ، وخصوصا قصيدتي (مملكة القرنفل) و (مروان الحاج موسى) التي كتبها الشاعر على إثر استشهاد صديقه مروان (الطالب الفلسطيني في الهندسة) الذي تطوع للدفاع عن المقاومة في لبنان .

سوف عبيد : - امرأة الفسيفساء

- نوارة الملح

وصدرت أيضا للشاعر سوف عبيد - وهو من الشعراء الذين برزوا في السبعينيات - مجموعتان شعريتان هما : (امرأة الفسيسفاء)الصادرة عن دار الرياح الاربع ، و (نوارة الملح) الصادرةعن دار ديميتير .

وفي كلتا المجموعتين يضع الشاعر قدما ثابتة في مجال الابداع والتفرد ، ويصوغ لغته الشعرية المميزة فيتخطى التجربة الغضة التى ضمنها مجموعته الاولى (الأرض عطشى) . . .

ومن أبرز خصائص الكتابة الشعرية عند سوف عبيد حضور الارث الشعري العربي في قصائده ، بشكل يجعله منصهرا في الحداثة ، فهو يستخدم ألفاظا وصورا قديمة ويلبسها ثوبا حديثا ويدمجها في سياق شعري معاصر . .

علي دب : تعجلت الفرح

علي دب من الشعراء التونسيين الذين نضجت تجربتهم منذ السبعينيات ، وهو في كل دراساته النقدية وقصائده الشعرية يمتاز عن سائر الشعراء بتوهج النفس القومي المنساب في ثنايا شعره ، وخصوصا قصائد (شمعة للقتيل) و (مرثية القمر) و (صولة البار) . .

وفي مجموعته الجديدة (تعجلت الفرح) الصادرة عن دار الرياح الاربع يؤكد علي دب مجددا انتماءه العربي ، ويمضي مرسخا تجربته الابداعية باحثا عن التجديد الجمالي . .

الجزائر

تصوير الفيلم التلفزيوني

(آثار وفنون اسلامية)

تم خلال الاسابيع الأخيرة تصوير الجزء الخاص بالجزائر من العمل التلفزيوني الجديد (آثار وفنون اسلامية) في مدينة تلمسان ، وهذا العمل مستمد من فكرة المخرج الاردني عدنان أحمد الرعمي الذي أخرج عدة مسلسلات منها (الحقيقة والخيال) . ويتناول الجزء الخاص بالجزائر من هذا العمل ثلاثة مواضيع رئيسية هي دخول الاسلام الى الجزائر ، وفتراته الزاهية في عصور الحماديين والمرابطين والموحدين والزيانيين ، ومكانة تلمسان باعتبارها عاصمة قديمة للمغرب الاسلامي ، وأخيرا تاريخ مدينة الجزائر . . .

ومعلوم أن هذا العمل التلفزيوني « آثار وفنون اسلامية » هو إنتاج عربي سيتم تصويره في ١٦ بلدا عربيا واسلاميا وسيضم ٦٠ ساعة من التسجيلات ، ومن المنتظر أن يعرض في ٢٢ مؤسسة ومحطة تلفزيون عربية . . .

إحكام خطة التعريب

تستمر جهود التعريب في الجزائر ، وتعد سنة ١٩٨٥ سنة واعدة بتعميم استخدام اللغة العربية في قطاعات جديدة ، ويشرف على تنسيق حملة التعريب وتخطيطها جهاز وطنى هو (المجلس الاعلى للغة الوطنية) وقد عقد المجلس أخيرا اجتماعا مهما للمسئولين عن تعميم استخدام اللغة العربية في القطاعات الرئيسية ، وذلك لمزيد الاحكام والتنسيق في خطة التعريب الوطنية . كما عقد المجلس الاعلى للغة الوطنية اجتماعا مشتركا مع وزارة الداخلية لتقويم عملية تعميم استخدام اللغة العربية في الوزارة واعداد خطة العمل في هذا المجال لسنة ١٩٨٥ ، ويعد هذا الاجتماع الاول من نوعه ، ستتلوه اجتماعات مشتركة مماثلة مع بقية الوزارات ، مما

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

الصناعات .. في الفضاء

العلم والخيال العلمي في تقارب مستمر متواصل ، وقد تداخلا في المدة الأخيرة جتى أصبحا شيئا واحدا أو كادا . . . وليس أدل على ذلك من حرب النجوم التي مازالت الموضوع المحبب لهواة أشرطة الفيديو من الفتيان والاطفال ، وقد أصبحت هذه الحرب الهدف المحبب للرئيس ريجان ، بل قل البرنامج الباهظ التكاليف الذي أحتضنته وزارة الدفاع الامريكية ، ورصدت له المخصصات الضخمة . . . ويصدق هذا أيضا على مصانع الفضاء . . . المنشآت الصناعية التي تقام في الفضاء ، حيث ينعدم الوزن تقريبا ، وحيث يتيسر انتاج بعض السلع بقدر من الأثقال يتعذر على سطح الأرض حيث الجاذبية والوزن . .

وتأتي العقاقير على رأس تلك السلع . . .
عقاقير لمعالجة السرطان بخاصة . . وتبلغ الرساميل التي رصدتها الشركات المتخصصة لانشاء مصانع الفضاء التي تنتج مثل تلك العقاقير حوالي ٢٧٠٠٠ مليون دولار . .

أما المصانع التي ستقام في الفضاء لانتاج الزجاج النقي الصافي الخاص بالبصريات فقد رصدوا لها ١١٥٠٠ مليون دولار . . وقل مثل ذلك في مصانع المنتجات التي تتطلبها صناعة الالكترونيات ، وقد بلغ مجموع رساميلها ٣١٠٠ مليون دولار . . . والمقرر أن يتم انشاء هذه المصانع جميعا في الثمانينيات والتسعينيات وقبل حلول عام ٢٠٠٠ على كل حال . وغني عن البيان أن الشركات المعنية لايمكن أن ترصد الرساميل الضخمة التي ذكرنا ، مالم تكن قد فرغت من مرحلة التجارب ، وأيقنت من جدوى الصناعة التي تعتزم انشاءها في الفضاء . .

ولعل أولى تلك التجارب هي الكرات الصغيرة التي لايزيد حجمها على حجم كرات الدم الحمراء الا قليلا ، التي عمدوا الى صنعها في الفضاء على سبيل التجربة ، وذلك على متن المكوك شالنجر ، في احدى رحلاته في شهر ابريل سنة ١٩٨٣ ، فقد صنعوا ١٠٠٠ كرة تقريبا ، ويبلغ قطر الواحدة منها ١٠ ميكرونات بالضبط . . وطرحت العينات في الأسواق ، فثبتت كفاءتها على الأجهزة العلمية والطبية ، وعلى قتل خلايا السرطان في كثير من الحالات .. لاعجب اذ أصبحت كرات الفضاء هذه تصنع حاليا على نطاق واسع ، ولأغراض البيع في الأسواق . . وسيبلغ ثمن الكرة الواحدة منها ـ ٣٥٠ـ ٤٠٠دولار !

ونذكر من تلك التجارب التجربة التي أجريت على متن المكوك دسكفر في رحلته التي قام بها في أواسط شهر نوفمبر الماضي . . . ١٩٨٤ . . . وذلك لصالح شركة مينوسوتا للتعدين والانتاج ،



بعض علماء شركة ٣ م يجهّزون المعامل الكيماوي الـذي حمله مكوك دسكفري الى الفضاء في شهر نوفمبر ١٩٨٤

الشهيرة باسم MS 3 وقوام تلك التجربة ٦ كرات من الفولاذ الـذي لايصدأ وبحجم كرات القدم ... وكانت تلك الكرات تحمل من المواد الكيمياوية ما أعد للاتحاد الكيماوي في الفضاء ، وحيث تنعدم الجاذبية ، وذلك بقصد انتاج كريستالات صافية لاسبيل الى مضاهاة نقائها على سطح الأرض .. وتنوي الشركة المذكورة اجراء ٧٢ تجربة في ذلك القبيل حتى أواسط التسعينيات ، وذلك بتكاليف كبيرة رصدت لها الشركة ٨٠٠٠ مليون دولار .

ونذكر أيضا التجارب التي تقوم بها شركة ماكدونالد دوجلاس ـ المختصة بمنتجات الفضاء ـ بالتعاون مع شركة جونسون الشهيرة بالصناعات الطبية .. والأمل معقود على أن تتكلل هذه التجارب الأخيرة بالنجاح ، في صنع خلايا قادرة على صنع الأنسولين ، وذلك في مستقبل قريب جدا .. في السنة القادمة ١٩٨٦. □

المدمنون جنسيا

طالما ركز العلماء والاطباء جهودهم على الذين يعانون من البرود أو الضعف الجنسي من النساء والرجال ، وأهملوا الذين يعانون من طغيان الغريزة الجنسية وسيطرتها على حياتهم كلها ..

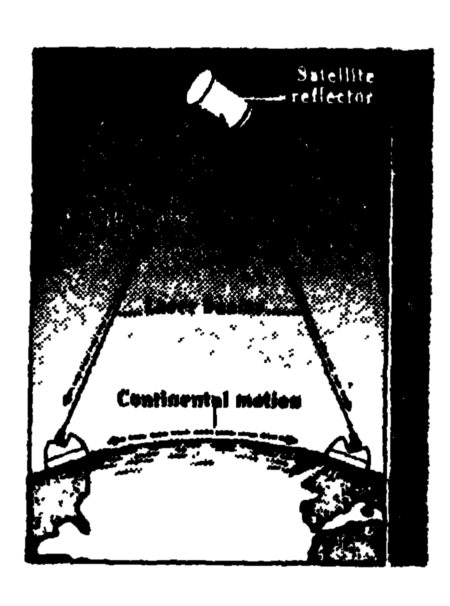
وقد تبين للدكتور باترك كارنز Carnes من علماء النفس في جامعة مينا بوليس ، أن الكثيرين من ضحايا الغريزة الجنسية انما هم من المدمنين .. أي أن الادمان ليس وقفا على النيكوتين والهيروين الخ . وانه في مجال الممارسات الجنسية أيضا . فالمدمنون الجنسيون يجدون الراحة النفسية في تلك الممارسات ، ويستمدون الشعور بالقيمة الذاتية والاحساس بالسكينة .. ولكن هذه المشاعر لاتلبث أن تعود اليهم عقب فراغهم من الممارسات فيعودوا بدورهم الى الممارسات وهكذا دواليك ..

الانجراف القاري

المشكلة في بعض النظريات العلمية هي في أنك مضطر للتسليم بها ، بالرغم من عدم توافر الأدلة التي تثبتها .. ولأنك لا تملك دليلا أو نظرية ضدها .. ويصدق ذلك بخاصة على نظرية زحزحة القارات أو انجرافها ... وهي النظرية المعروفة والتي نشطت من جديد في السنوات الأخيرة ..

على أن التطورات العلمية الحديثة أفسحت المجال لاقامة الدليل على صحة هذه النظرية .. بل دليلين اثنين لادليلا واحدا ..

الأول بواسطة أشعة الراديو التي التقطها تلسكوبان فلكيان من تلسكوبات الراديو .. موجهان الى كوزار واحد معين .. فقد اكتشف العلماء العاملون في مركز جودارد التابع لناسا (Nosa) اكتشفوا أن الفارق الزمني في وصول اشارات الراديو الى كل من التلسكوبين المقامين في شمال أمريكا وشمال أوروبا هذا الفارق يختلف على مر السنين .. وأثبتت لهم الحسابات التي أجروها أن

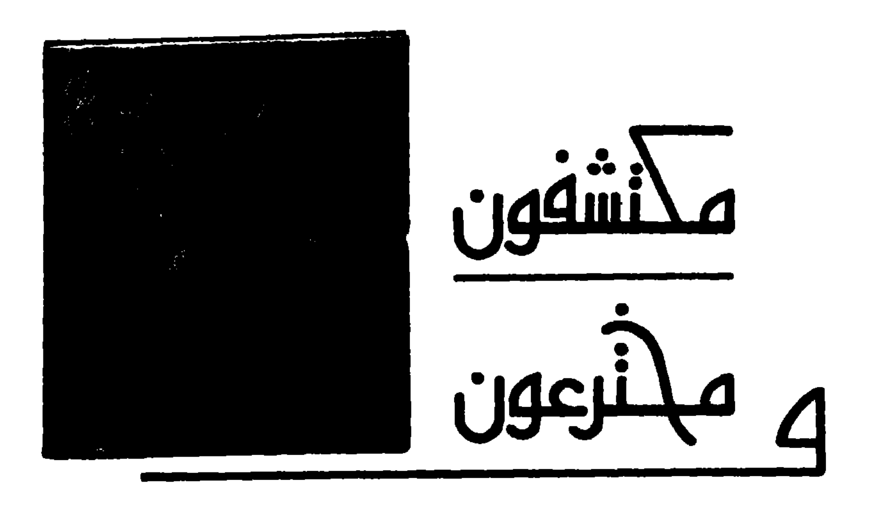


القارتين تتباعدان بمعدل ٠,٦ في البوصة كل سنة .

أما الدليل الثاني فيعتمد على أشعة الليزر التي أطلقت من قمر صناعي في الفضاء الى نقطة معينة في استراليا وفي جزر هواي .. وأجروا الحسابات فثبت لهم أن هذه الجزر والقارة المذكورة تتقاربان بمعدل ٢,٧ بوصة سنويا .. ولكنهما تبتعدان بدورهما وفي الوقت نفسه عن أمريكا الجنوبية . □

رموش طولها ٢ سم

اكتشف الطبيبان أن رموش اثنين من نزلاء مستشفى لاجونا بيتش Lagune Beach في كاليفورنيا ، تطول وتمتد باستمرار حتى اضطروا الى قص تلك الرموش وقد بلغ طول بعضها ٥ , ٦ سنتميتر . ويبلغ من سرعة نمو تلك الرموش انهم اضطروا لقصها مرة كل اسبوعين .. والغريب ان تلك الرموش لم تكن بالغة النمو فحسب ... ولكنها كانت مجعدة وسميكة .. وبحث الطبيبان في سر تلك الظاهرة فاكتشفا ان المريضين يعانيا من اورام سرطانية معينة .. ويتناولان أحد انواع الانترفرون هو (Leukocyte Ainterferon) علاجا لتلك الاورام وتحت اشراف الطبيبين الدقيق .. وثبت للدكتور كنت فون Foon والدكتور جرارد دوفرDoupher أن الانترفرون المذكور هو سبب تلك الظاهرة المباشر .. وتداركا لما قد يترتب على اكتشافهما هذا من نتائج في صناعة التجميل فقد قالا أنّ المريضين يتناولان الانترفرون بمقادير كبيرة .. وتكلف المستشفى مبالغ هائلة .. ولولا ذلك لما كانت الظاهرة □



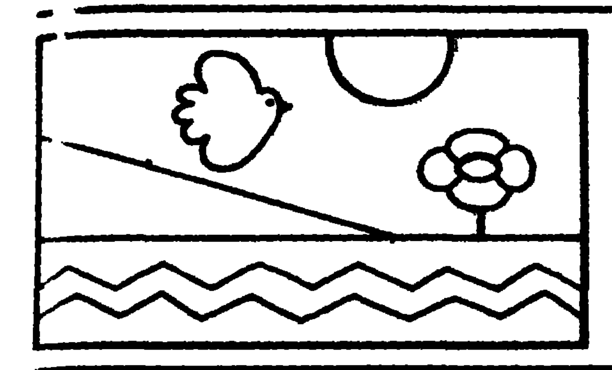
كريستوفر شولز (Sholes)
مخترع الآلة الكاتبة ١٨١٩ - ١٨٩٠

بدأت قصة الآلة الكاتبة في بريطانيا سنة ١٧١٤ ، حين منحت الملكة آن براءة اختراع آلة كاتبة لرجل انجليزي يدعى هنري مِلْ . . الا أن ذلك الاختراع بقي طي المجهول ولا يعرف عنه شيء . . . ومضت مائة عام أو تزيد قبل أن تمنح البراءة الثانية سنة ١٨٢٩ لمساح أمريكي اسمه وليم أوستن برت . . ولكن برت هذا عجز عن تطوير اختراعه بسبب عدم توفر المال . . ومضت أربعة أعوام على ذلك حين نجح الفرنسي (زافير بروجان) في صنع آلة كاتبة تستطيع على حد قوله : « مضاهاة الخطاطين من حيث سرعة الكتابة . . . . ! » . . على أن تلك الآلات جميعا لم تعد كونها محاولات بدائية لم يكتب لها البقاء . . فالآلة الكاتبة التي نعرفها في الوقت الحاضر انما ابتكرت وطورت في الولايات المتحدة . . فهي اختراع أمريكي صميم ، يعود الفضل الأكبر في استكماله الى كريستوفر شولز .

وكانت نقطة البدء في أواسط القرن الماضي وفي دار الجريدة التي أمتلكتها شولز وشريكه سوله . . . فقد فكر الرجلان في صنع آلة ترقيم للجريدة ومضيا يجريان المحاولة بعد الأخرى . . حتى رآهما رجل ثالث هو جلدين (Glidden) فشجعهما على مواصلة مساعيهما وعلى محاولة صنع آلة كاتبة بدلا من آلة ترقيم . . واستجاب الرجلان وتكررت محاولاتهما حتى بلغت ٥٢ محاولة . . ولم يكتب لهما النجاح الا في المحاولة الثانية والخمسين وذلك سنة ١٨٦٧ . . ثم سجلا اختراعهما في السنة التالية . . ولكن سوله وجلدين ما لبثا أن تخليا عن المشروع ، مشروع تطوير الاختراع واستثماره .

ومضى شولز في العمل على تحسين اختراعه . . ومضى في ذلك بضع سنوات . . . ثم اتفق مع توماس اديسون بقصد تطوير آلته لتصلح للاستعمال في التلغراف . . . . ولما عجز شولز عن احراز ترجمة مورس (شيفرة التلغراف) بالسرعة المطلوبة ، عمد الى بيع اختراعه الى رمنجتون وذلك سنة ١٨٧٣ مقابل (١٢٠٠٠) دولار . . وما لبث رمنجتون أن باع الآلة الى مؤسسات صناعية مستقلة . . نظرا لقلة موارده وبالتالي لفشله في صنع الآلة على نطاق واسع . . كان ذلك سنة ١٨٨٦ . . أي قبل نجاح تلك المؤسسات في مهمتها بنحو ربع قرن . . ذلك ان استكمال الآلة الكاتبة وانتاجها على نطاق تجاري وتصديرها الى الخارج لم يبدأ الا سنة ١٩٠٩ .

وتجدر الاشارة الى أن العقبة التي عرقلت تطوير الآلة الكاتبة كانت في ترتيب الحروف . . فلطالما تشابكت الحروف وتشابكت القضبان التي تحملها . . وتوقفت الآلة عن العمل ، ووجدوا الحل لتلك المشكلة في تحديد الحروف الأكثر استعمالا وابعادها بعضها عن بعض ما أمكن ، وهكذا ظهر ترتيب كورتي (QWERTY) للحروف الانجليزية . □



سلامة البشرية في سلامة البيئة



الحيتان . . . هل تنتحر أم ماذا ؟

من الظواهر التى حيرت العلماء ظاهرة انتحار الحيتان . . فلطالما اقدمت جموع كبيرة منها على الخروج من أعماق البحار الى الشواطىء الضحلة التى يتعذر عليها العوم فيها . . فتصطدم بقاع الشاطىء ويضغط وزنها الثقيل على صدرها بحيث يستحيل عليها التنفس . . فتنفق . . فكيف تضل الحيتان سبيلها فى البحار . . وهل هى تسعى الى حتفها طواعية كما يظن البعض . . ؟

لاشىء من ذلك . . فهى تضل سبيلها مكرهة غير مختارة . . ذلك انها مقطورة على مجس بيومغناطيسى . . يوجهها وهى تمخر عباب البحر ويحسن توجيهها . . فهو يجنبها على الاقل السباحة فى مياه الشواطىء الضحلة . . ولكن بعض الشواطىء تقذف موجات مغناطيسية شاذة . . ومن شأن هذه الموجات أن تعطل عمل المجس الموجود فى الحوت .

ذلك هى النتيجة التى توصل اليها العلماء فى معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا . . وذلك بعد دراسة ٢١٢ حادثة من حوادث ضلال الحيتان . . وقدر رفع تقرير بهذه الدراسات الى الاتحاد الجيوميترانى الامريكى فى مؤتمره فى مطلع ديسمبر سنة ١٩٨٤ . □

قبرص . . تتلف البيئة العالمية

اشتهرت قبرص فى الماضى القريب بتصدير الخمير . . واشتهرت فى الحاضر بمصايفها التى يؤمها الكثيرون طلبا للراحة والاستجمام . . . ولكن لجزيرة قبرص شهرة أخرى ، ومن نوع آخر ، أخذت تكتسبها فى السنوات الأخيرة وفى منأى عن الأنظار . . . تلك هى القضاء على صنوف من الطيور بكاملها والعمل على اتلاف البيئة . . البيئة العالمية ككل . . لقد تم ذلك عن غير قصد ، ولا ريب . . وصدر عن المواطنين ـ لا عن الحكومة . . ولكن المسؤولية انما تقع على الحكومة القبرصية بلا شك ، مادامت قبرص تفتقر الى القوانين والنظم البيئية الكفيلة بوضع حد لتمادى الصيادين فى ممارسة هوايتهم وانقاذ عالم الطيور من الدمار الذى يتهدده . .

ذلك أن قبرص هى احدى محطات ثلاث تقف فيها الطيور المهاجرة القادمة من أوروبا الى أفريقيا . . والعائدة من القارة السوداء الى الشمال . . تقف فيها ملايين الطيور كما تقف فى المحطتين الأخيرتين : بحر قزوين والبحيرات العظيمة عند الحبشة . . ولا تلبث تلك الطيور أن تستأنف طيرانها بسلام فى المحطتين الأخيرتين . . ولكنها تعجز عن ذلك فى قبرص . . . حيث تلقى حتفها على يد الصيادين لدى هبوطها على أرض الجزيرة . .

وبنادق الصيد هى الطريقة المألوفة فى صيد تلك الطيور . . ولكنها لم تعد الطريقة المفضلة فى قبرص . . فقد وجد صيادو الجزيرة فى طلاء أغصان الأشجار بالمواد اللاصقة الطريقة الأسهل والأرخص والأكثر مردودا . . . ووجدوا ـ فيما يسمونه بالشباك الضبابية (Mist Nets) الطريقة المثلى الكفيلة بصيد تلك الطيور على نطاق واسع ، بل قل حصدها حصدا والحكم على الكثير من صنوفها بالفناء . ويقدر عدد الطيور التى يجرى صيدها فى قبرص بالطريقتين



الاوليين بخمسة ملايين طير فى السنة أما عدد ما يجرى حصده منها بالاسلوب الثالث فقد ارتفع الى ٢٠ مليونا سنويا فى الأعوام الأخيرة . وقد ترتب على ذلك انقراض بعض صنوف الطيور . . . نذكر منها فصيلة (القبعة السوداء) على سبيل المثال ، وطيور القبعة السوداء هذه طيور سويدية صغيرة . . . يروق للقبارصة أكل لحمها .

ويعجب المرء أكثر ما يعجب للشباك الضبابية ، التى انتشرت فى شتى مناطق قبرص ، حتى بلغ عددها ٤٠٫٠٠٠ فى منطقة بارالمنى وحدها . . . ويبلغ طول الشبكة الواحدة منها ١٠ ـ١٢ مترا . . ولا تصنع هذه الشباك فى الجزيرة . . فهى مستوردة ، وقد بلغ ما استورده القبارصة منها ٢٠ ميلا . . .

ويؤكد علماء الطيور القبارصة أن نسبة ما يجرى صيده من الطيور المهاجرة عبر قبرص تبلغ ٥٠ ـ٧٥٪ من تلك الطيور . وقد جاء فى التقرير الذى أعده فرع الطيور المهاجرة التابع لمجلس حماية الطيور . . وهو من المجالس التابعة للمنظمة الدولية . . جاء فى هذا التقرير أن قبرص تحتفظ بالرقم القياسى بين بلدان البحر المتوسط قاطبة . . من حيث مجموع ما تصيده من الطيور المهاجرة فى الميل المربع الواحد . . .

وقد صدرت تقارير ودراسات أخرى عديدة . . دولية وقبرصية . . وحذرت كلها ودون استثناء من مغبة استمرار المأساة البيئية الخطيرة فى قبرص . . ولكنها لم تلق اذنا مصغية من الحكومة القبرصية . . . فقد استمرت هذه على منح رخص الصيد كالسابق ومنح رخص استيراد الشباك الضبابية ـ كالسابق أيضا . . . علما بأن اتفاقية بيرن لحماية الحياة البرية تحظر استعمال الشباك المذكورة . . . وان حكومة قبرص وعدت مجلس أوروبا بتحريم استعمال تلك الشباك . . . ولكن دون تنفيذ .

لاعجب اذن إن أقدم المجلس الدولى لحماية الطيور على حث شتى الحكومات ووكالات السياحة (أعضاء هذه الوكالات = ٤ ملايين عضو فى أوروبا وحدها) . . حثها على مقاطعة قبرص سياحيا . . بقى أن نذكر أن منطقة بارالمنى ، وهى المنطقة الأولى فى حصد الطيور المهاجرة ـ طيور ألمانيا واسكندنافيا بالذات ـ هى أيضا المنطقة السياحية الأولى فى قبرص . . □

هل حاولت الاقلاع عن التدخين ، وفشلت . . ؟
وهل ترغب فى مواصلة التدخين وترغب حقا فى تجنب ما يمكن تجنبه من اضراره ومخاطره ؟
عليك إذن بالتخلّى عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة . . بذلك تضمن تفادى الكثير من تلك الاضرار والمخاطر ، دون الشعور بأية خسارة أو تضحية . .



١ ـ الجزء الأول من السيجارة يكاد يكون عديم الضرر . . ذلك أن معظم محتوياته الضارة . . من نكوتين وقطران وغاز أول اكسيد الكربون الخ . . لاتصل الى رئتيك بل تعلق فى تبغ السيجارة والفلتر .

٢ ـ ويبدأ الأذى لدى مباشرتك تدخين الجزء الثانى من السيجارة . . إذ تبدأ تلك المحتويات المؤذية فى التسرب الى رئتيك . . ولكنها لا تتسرب كلها بل يبقى بعضها عالقا فى الجزء الاخير من السيجارة .

٣ ـ وهكذا يصبح الثلث أو الربع الأخير من السيجارة مشبعا بالضرر والأذى . . تتكثف فيه محتويات الجزئين الأول والثانى من نكوتين وقطران وأول اكسيد الكربون وما الى ذلك ، وتتراكم فيه تلك السموم وتتكدس فوق ما يخصه منها أصلا .

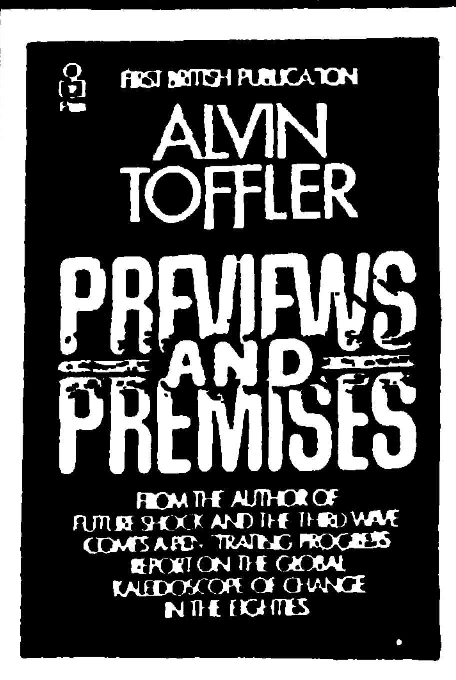
إذن : تخل عن الثلث أو الربع الأخير من السيجارة تتجنب الكثير من اضرارها .

غرامة ١٠٠ دولار يدفعها المدخن

لعله الفندق الوحيد من نوعه فى العالم كله . . فهو يرفض استقبال النزلاء اذا كانوا من المدخنين . . ويطالبهم على كل حال بالتعهد بعدم التدخين أثناء اقامتهم فى الفندق . . ويدفع غرامة ١٠٠ دولار اذا هم أخلوا بتعهدهم لسبب أو لآخر . . .

ويقع هذا الفندق بالقرب من مدينة دالاس فى ولاية تكساس . . وهو صغير الحجم بالمقاييس الأمريكية ، وهو موتيل لااوتيل ، ولا يزيد عدد غرفه على ١٣٤ غرفة . . الا أنه فندق معروف(ومحبب الى الذين نزلوا فيه طوال الثلاث سنوات التى مضت على تأسيسه ، وقد جاوز عددهم ٥٠,٠٠٠ نزيل . . . لقد أنشأه المدعو لندون ساندرز (٥٥ سنة) الذى يعد من ألد أعداء التدخين ، ذلك أن التبغ قضى على أبيه ، وفتك بعدد من أعز أصدقائه . . .

وبلغ من اقبال الناس على هذا الفندق أن حذت حذوه موتيلات أخرى فى شتى مدن الولايات المتحدة ، الا أنها لم تحظر التدخين فى كافة غرفها وقاعاتها ، وانما فى بعضها وحسب . □



المؤسسات الاجتماعية وحاجات العصر

تأليف : آلفن توفلر

عرض : الدكتور أمين العيوطي

أصبح للتقنيات الحديثة دورها الواضح والأساسي في حياة الانسان . . .
لكن هل من الممكن أن يبقى أمر التعامل مع هذه التقنيات ضمن صيغته البريئة والخارجية دون أن يصل الى تضاعيف الحياة الاجتماعية ويتغلغل في مفاصلها الاساسية ؟
عن هذا السؤال وغيره يجيبنا صاحب كتاب « الموجة الثالثة » . . .

كتاب الشهر

في هذا الكتاب يتناول (آلفن ترفلر) بالتحليل والنقد سرعة التغير الاجتماعي واتجاهاته ، معتمدا على معلومات مستقاة من علم النفس والاقتصاد والتكنولوجيا والسياسة والسياسة الصناعية وفلسفة التاريخ . وهو يبدأ بافتراض ان المؤسسات الاجتماعية الحالية لا تلائم احتياجات العصر ، وضرورة تغييرها حتى تتجاوز الأزمنة المضطربة التي تنتظرنا .

ويجيب عن أسئلة حول امكانية بقاء المجتمع الانساني على أساس عدم المساواة والاستغلال ومستقبل العمالة والبطالة ، واستراتيجيات الدول الصناعية في مواجهة انهيار المجتمع الصناعي ، ومستقبل الرأسمالية والاشتراكية . وفي الاجابة عن هذه الأسئلة يثير (توفلر) أمورا تتعلق بالملكية والطبقية والسلطة السياسية والعنصرية في المجتمع المعاصر وفي مجتمع المستقبل .

الكتاب في الواقع استمرار لكتاب الصدمة المستقبلية (١٩٧٠) والموجة الثالثة (١٩٨٠) حيث تناول (توفلر) تزايد سرعة التغير الاجتماعي والتكنولوجي الذي جعل من العسير على الأفراد والمنظمات والمؤسسات ملاحقة وطرح فكرة أن الثورة الزراعية منذ عشرة آلاف سنة خلقت موجة من التغيير في المجتمع الانساني ، وأن الثورة الصناعية منذ ثلاثمائة سنة جلبت معها صراعا اجتماعيا وسياسيا ، وخلقت بذلك موجة ثانية من التغيير ، وأننا الآن نمر بمرحلة انتقالية جديدة صوب أشكال وعلاقات اجتماعية جديدة ، تقوم على أساس من اقتصاديات التكنولوجيا ، وهي ما يسميه بالموجة الثالثة . وهو لهذا يرى أن المؤسسات الاجتماعية الحالية قد عفا عليها الزمن ، وأننا بحاجة الى ثورة في أساليب تفكيرنا وتعاملنا مع السياسة والاقتصاد ، بل والحياة العائلية ، لأن نظم الأحزاب السياسية والمؤسسات الحكومية ومحور اليمين واليسار في السياسة أصبحت أمورا بالية في الأمم المتقدمة تكنولوجيا .

الانقلاب الاقتصادي :

لا يشخص (توفلر) الأزمة الاقتصادية الحالية على أنها أزمة اعادة توزيع الثروة ، أو ارتفاع معدلات الانتاج وانخفاضها ، أو مسئولية الدول العربية النفطية ، أو هجرة العمالة أو سوء الادارة ، أو عدم كفاية الاستثمارات ، أو غلبة الواردات اليابانية ، أو معدلات الفائدة ، مثل هذه التشخيصات لا تطابق الحقائق المعاصرة ، فاذا كان الكساد الاقتصادي الحالي ، شأن كساد الثلاثينيات ، قد ضرب الصناعات الأساسية ، مثل السيارات والصلب والنسيج والمطاط ، الا أنه قد صاحبه انفجار في صناعة الاليكترونيات والصناعات الفضائية والطاقات البديلة ، والتوازن الجغرافي السياسي والاتجاه نحو اللامركزية . ان ما يحدث هو اعادة بناء الأساس التقني الاقتصادي للمجتمع ، مما يدمر أسلوب الحياة الصناعية التقليدية ، ويحتاج الى نموذج اقتصادي جديد يحدد هوية العلاقات المتغيرة . فنحن نعيد بناء الاقتصاد لاننا نعيد بناء الحضارة ذاتها .

والأمة تتمثل في الاتجاه الى الاقليمية ، ففي حين اتجهت الثورة الصناعية من العمل على نطاق محدود لخدمة المجتمعات المحلية الى شركات تعمل على نطاق قومي الى مؤسسات عالمية الجنسيات الى انتاج عالمي لأسواق متعددة الجنسيات ، نرى اليوم الاتجاه الى الانتاج الاقليمي لاسواق محلية في كيوشو في اليابان وفي اسكتلندا وكويبك وتكساس ، هربا من الأنماط الاقتصادية القومية ، ومن القوانين واللوائح والضرائب واجراءات البنوك التي وجدت التطبيق على المستوى القومي ، مما يعني ان ادارة اقتصاديات هذه الأقاليم من العواصم سيصبح أكثر صعوبة .

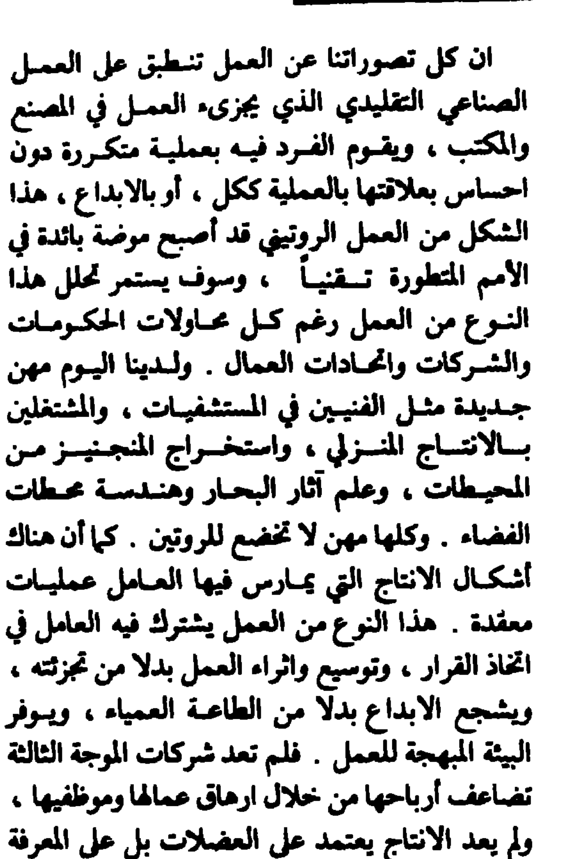
فالأزمة في حقيقتها تنطوي على تحول شامل من عصر الانتاج بالجملة : الى تحول المستهلك الى انتاج منتجات للاستهلاك الشخصي ، بحيث تتحول



علاقات المنتج والمستهلك الى علاقة المستهلك بنفسه ، أو بجماعات صغيرة تخدم نفسها ، مما يؤدي الى اقتصاد يقوم على منتجين غير منظورين ، يعملون من بيوتهم ، ويهددون النظام الاقتصادي الحالي . وسوف تؤدي هذه الأكواخ الالكترونية بالضرورة الى تنظيم شبكات جديدة ، وارتباطات مهنية جديدة ، وأشكال جديدة من الجماعات التي تدير أمورها وتحمي نفسها . وفي حين أن الانتاج داخل المصنع قد دمر الروابط الانسانية ، فإن الانتاج المنزلي سوف يشجع الانخراط في الأنشطة الاجتماعية والاتصالات الانسانية بعد أن يفرغ المنتج من عمله في المساء . كما سيتيح هذا النوع من الانتاج الفرصة للمعوقين والعجائز والنساء الذين يفرض عليهم المجتمع أن يكونوا غير منتجين . وسيؤدي هذا كله الى تغيرات اجتماعية قوية .

ومما يشجع هذا الاتجاه تزايد تكاليف الطاقة والمواصلات والضرائب الباهظة ، وتكاليف الصيانة والأجور التي يدفعها صاحب العمل ، وضياع الوقت والجهد المنتج في المواصلات والوقود اللازم لها . فالتكاليف في صناعات الموجة الثالثة أقل ، والحياة العائلية أكثر استقرارا وارتباطا .

مستقبل العمالة :



ان كل تصوراتنا عن العمل تنطبق على العمل الصناعي التقليدي الذي يجزىء العمل في المصنع والمكتب ، ويقوم الفرد فيه بعملية متكررة دون احساس بعلاقتها بالعملية ككل ، أو بالابداع ، هذا الشكل من العمل الروتيني قد أصبح موضة بائدة في الأمم المتطورة تقنياً ، وسوف يستمر تحلل هذا النوع من العمل رغم كل محاولات الحكومات والشركات واتحادات العمال . ولدينا اليوم مهن جديدة مثل الفنيين في المستشفيات ، والمشتغلين بالانتاج المنزلي ، واستخراج المنجنيز من المحيطات ، وعلم آثار البحار وهندسة محطات الفضاء . وكلها مهن لا تخضع للروتين . كما أن هناك أشكال الانتاج التي يمارس فيها العامل عمليات معقدة . هذا النوع من العمل يشترك فيه العامل في اتخاذ القرار ، وتوسيع واثراء العمل بدلا من تجزئته ، ويشجع الابداع بدلا من الطاعة العمياء ، ويوفر البيئة المبهجة للعمل . فلم تعد شركات الموجة الثالثة تضاعف أرباحها من خلال ارهاق عمالها وموظفيها ، ولم يعد الانتاج يعتمد على العضلات بل على المعرفة والخيال . لقد تغير طابع العمل ونوع العامل .

فعامل الموجة الثالثة أكثر استقلالا وتطوعا في المهارات ، يتمتع بمعرفة متخصصة تقنية تتفق مع المتغيرات ، هو عامل ذهني يمتلك وسائل الانتاج بشكل لم يكن متاحا لعمال المصانع غير المهرة . وهو يميل الى نظام عمل مرن غير روتيني ، مما يتطلب أشكالا تنظيمية جديدة قد تأخذ شكل الجمعيات التعاونية الالكترونية ، أو مجموعات العمل العائلية ، أو الأعمال التي يديرها العمال بأنفسهم ، لا الأشكال التقليدية مثل الشركات الخاصة أو الأعمال التي تديرها الحكومة .

وسوف تتطلب الموجة الثالثة نوعين من العمال، عمالا مبتكرين مبدعين متعلمين منفردين يخلقون أشكال التنظيم الخاصة بهم ، ويفرضون تغيرات هامة في اتحادات العمال وايديولوجيتها ، وعمالا لا تعتمد مهاراتهم على المعرفة فقط بل على الحساسية الجمالية ، بحيث تجزىء بعض المهارات أكثر من

كتاب الشهر

غيرها ، وسوف تتجه المجتمعات التقنية الى اقرار حد أدنى للدخل لمن يسهم في الانتاج ، والا تعرضت لانفجارات الصراعات الاجتماعية .

ثم ينتقل (توفلر) الى مناقشة مشكلة البطالة الحالية ، أسبابها وطرق علاجها فيقول ان اسبابها متعددة . هناك أولا البطالة التي تنشأ عن التحول عن صناعات الموجة الثانية الى صناعات الموجة الثالثة . واحدى نتائج هذا الانقلاب هو اشتداد حدة ضغوط التجارة الدولية ، والتنافس ، واختلال توازن السوق العالمية ، مما يخلق بطالة مرتبطة بالتجارة . وهناك بطالة التقنية ، فكلما تطورت التقنية قلت الحاجة الى العمال . ثم هناك البطالة التي تنشأ من أسباب محلية ، مثل زيادة الانتاج المحلي ، وتغير اختيارات المستهلكين . وهناك بطالة الذين يتحولون من وظيفة الى أخرى ، ويرتبط بهذا النوع بطالة تنشأ من أنه كلما أصبح توزيع العمل أكثر دقة قل عدد الوظائف التي يمكن التحول اليها . وهناك أخيرا البطالة التي تنشأ عن سياسات الحكومة الغبية التي تهدف الى تزايد البطالة . فالبطالة اذن ليست مشكلة واحدة ، بل عدة مشكلات متداخلة ومعقدة . ولذلك فليس لها علاج واحد .

وقد كان الحل الرأسمالي لها هو التنمية أو زيادة عدد الوظائف ، لكن مشكلة البطالة أصبحت تعتمد لا على كم الوظائف بل على نوعية الوظائف ونوعية شاغليها . والحل مشكلة صناعات الموجة الثالثة لابد من اعادة تدريب العاطلين ، سواء من خلال القطاع الخاص ، أو نظام التعليم ، أو وسائل الاعلام أو الجيش ، أو كل هؤلاء مجتمعين ، خاصة وأن مثل هذا التدريب يُعد قفزة نوعية من مستوى من المهارات الى مستوى أكثر تفوقا يمثل قفزة ثقافية . كذلك تجب مواجهة هذه المشكلة بتشجيع المنتج المستهلك بتوفير أدوات ودعم اجتماعي وسياسي ومادي له . ومن ناحية أخرى يجب اطلاق رصاصة الرحمة على الصناعات التي تلفظ أنفاسها الأخيرة ، بعد منحها فرصة خمس سنوات حتى لا ندمر منطقة بأكملها ، مع الابقاء على صناعة الصلب حتى تلبي الاحتياجات القومية ، وتشجيع الصناعات على التحول من تقنياتها الحالية الى تقنيات ومنتجات جديدة ، مع اعادة تدريب عمالها ومديريها واعادة بنائها تنظيميا . .

خرافة اليابان وغيرها :

أصبحت اليابان منافسا قويا للغرب في صناعاتها وربما كانت صناعات السيارات اليابانية وأجهزة الاستقبال والصلب أكثر سرعة وأقل تكلفة ، وكان النظام يحمي الكثيرين ضد التقلبات الاقتصادية ، مما يساعد على تزايد سرعة التغير التقني ، وتقبل العمال لأحدث الابتكارات التكنولوجية ، واليابان تمتلك ميزة تقبل التقنية المتطورة والوعي بالمستقبل ، على العكس من انجلترا التي لا تزال تندب امبراطوريتها الضائعة ، وتعيش في الماضي مما يخلق مقاومة للابتكار وصناعات الموجة الثالثة ، والتشبث بصناعات الموجة الثانية التي أوجدتها بريطانيا نفسها . وهذا هو سر بقاء اليابان . لكن اليابان أقل كفاءة في انتاج الالمونيوم والمواد الطبية والكيماوية والغذائية والنسيج - كما أنها أقل كفاءة اداريا وتنظيميا . كما أن بيوت الأعمال الصغيرة لا توفر عمالة مضمونة دائمة وخاصة للنساء والشباب .

أما الفرنسيون فقد أبدوا اهتماما بوسائل الاتصال الحاسبة ، لكن فرنسا مازالت مترددة بين تطوير التقنية الحديثة وبين تراجعها عن مشروعاتها التقنية . كذلك تتمثل أوجه ضعف فرنسا في تكنوقراطيتها وتأكيدها على التأميم . ورغم ذلك فقد بدأت فرنسا تدرك أنها لا تستطيع اعادة بناء اقتصادها على أساس الصناعات القديمة .

وفي ألمانيا ما بعد الحرب أعيد بناء ألمانيا على أساس النموذج الصناعي ، فأصبحت مثالا لمجتمع الانتاج والاستهلاك بالجملة ، ولهذا فانها من جانب لا تزال تحتفظ بصناعات الموجة الثانية ، والتركيب التكنولوجي والاجتماعي القديم ، ومن جانب آخر لا يزال الشباب يتعلق بالماضي الذي يمثل الموجة الأولى ، فلم تحفل ألمانيا بخلق قطاع صناعي يتمشى مع الموجة الثالثة ، لأنها ليس لديها فهم واضح للامكانيات الجديدة .

ومن الناحية الأخرى لا تزال روسيا ، كما يقول المؤلف ، تحافظ على النظام الذي يخنق القدرات الابداعية ويعوق التطوير التقنى . فهي مثال على الموقف الثوري الذي تعوق فيه علاقات الانتاج الاجتماعية نمو قوى الانتاج ، وفي المقابل تتمتع أمريكا بمواردها الطبيعية واللامركزية ، وشعبها المتعلم ، ووسائل اتصالاتها المتقدمة ، مما يمكنها من الخروج من العصر الصناعي التقليدي . وفي حين أن امريكا تعيد بناء نظمها الاقتصادية ، فانها تعيد أيضا بناء علاقتها الجغرافية السياسية في العالم كله . فقد برز المحيط الهادي كقوة اقتصادية ، وانهار تركيب التحالفات في أوروبا ما بعد الحرب ، وهناك دول متعددة ذات تقنية متطورة وكل منها يراقب زوال صناعاتها التقليدية ، وظهور صناعات جديدة وتكنولوجيات وترتيبات اقتصادية ، وأشكال اجتماعية وسياسية جديدة . وحتى تتبلور الأبنية العالمية الجديدة فسنظل نعيش عدة عقود من عدم الاستقرار .



فيما وراء الرأسمالية والاشتراكية :

والعالم ليس مشتبكا في أزمة اقتصادية وسياسية فحسب ، بل أيديولوجية أيضا . والأحداث تتجاوز الآن كل الأيديولوجيات الرأسمالية والاشتراكية والليبرالية ونظريات العالم الثالث . وربما كان الانهيار الأيديولوجي خطوة ضرورية تمهيدا لظهور أيديولوجيات جديدة أكثر شمولية ، فعبارتا اليمين واليسار صيغتان لتوزيع الثروة والسلطة في النظام الصناعي الذي يخرج منه العالم الآن . وقد ظهر الآن صراع آخر أكبر تتضاءل بجانبه كل الأيديولوجيات - وهو الصراع بين الموجة الثانية والموجة الثالثة . ولابد من اعادة تقييم الأيديولوجيات ، لأن النظام ينهار ، لا النظام الرأسمالي أو الاشتراكي ، ولكن النظام الصناعي الذي يضم الاثنين معا .

فالنظامان من انتاج الثورة الصناعية . كلاهما يعتمد على وقود الحفريات والانتاج والتوزيع والتعليم بالجملة ، ووسائل الاتصال والتسلية الجماعية ، وكلاهما يجعل من العائلة النووية الفردية نموذجا للمجتمع ، ويقوم على أساس المدن الكبرى ودولة الأمة . وحتى التوترات بينهما فهي نتاج العصر الصناعي .

وبالنسبة للمجتمع الاشتراكي ، ففي عالم الغد الذي لا يقوم على الانتاج بالجملة ، ويعتمد على تقنية معقدة ، ويختفي فيه السوق المركزي ونظام التوزيع الحالي ، وتختفي منه وسائل الاتصالات الحالية ليحل محلها اذاعات مباشرة من الأقمار الصناعية والكاسيت وشبكات الارسال لمجموعات صغيرة ، وتحل فيه الآلات الحاسبة في كل مطبخ بدلا من بنوك المعلومات ، لن يخضع هذا المجتمع للتخطيط المركزي والادارة المركزية وهذا ما تفعله الموجة الثالثة . فالمخططون المركزيون يتعاملون مع الاتجاهات العريضة . لكنهم لا يستطيعون التعامل مع ظروف محلية قصيرة المدى . ولهذا سيكون اتخاذ القرارات من شأن الناس العلويين الذين يعيشون في موقع معين ويعرفون كل دقائقه . والتخطيط القائم على الديموقراطية والمشاركة ممكنان فقط على مستوى ضيق في مجتمع الموجة الثالثة . وهذا يعني أن اتخاذ

كتاب الشهر

القرار سوف ينتقل الى أسفل بحيث يتحقق حكم ذاتي محلي .

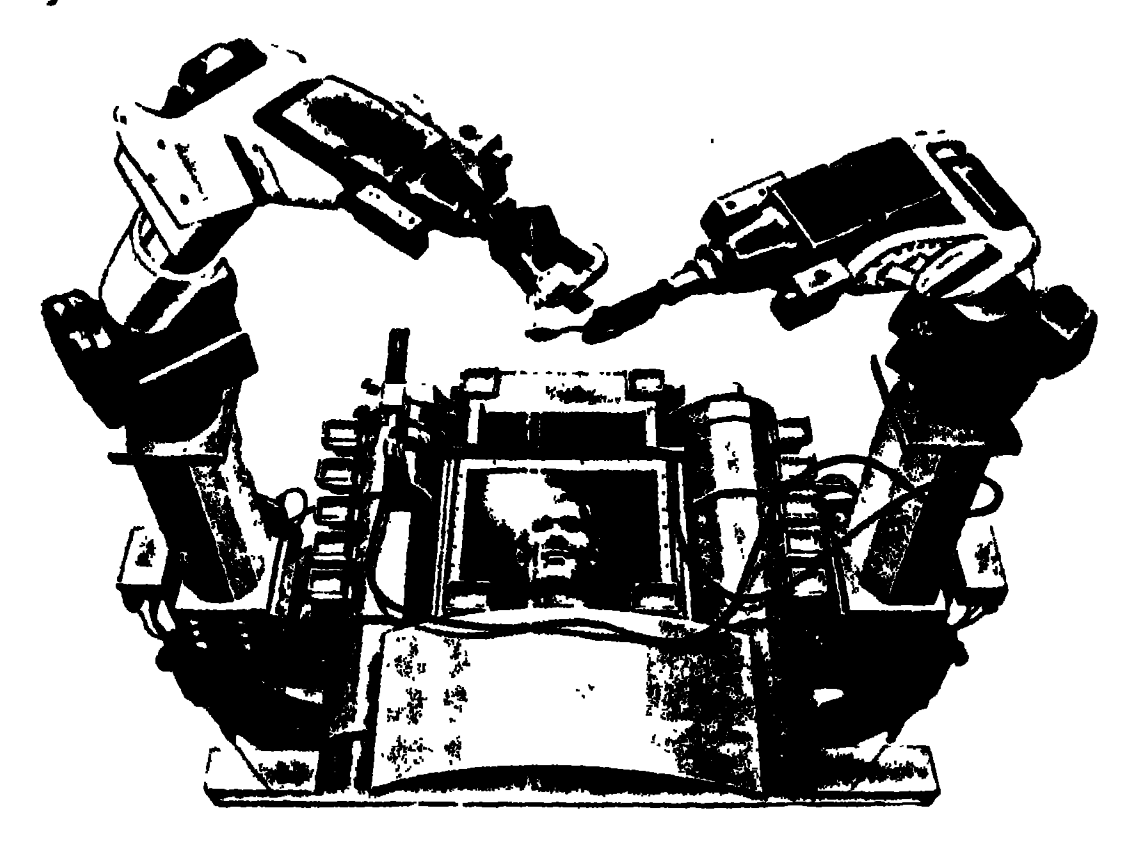
أما بالنسبة للرأسمالية فان التناقض يكمن في مفهوم الملكية ، فليس من يملك الانتاج هو الذي يسيطر على المجتمعات الرأسمالية ، بل المديرون التنفيذيون الذين يتحكمون في وسائل التكامل ، وبيروقراطيو الحكومة الذين يقررون الى أي المناطق توجه الاستثمارات . لقد أصبحت القدرة على اتخاذ القرار أهم من الملكية ، أما في مجتمع الموجة الثالثة فان الملكية الأساسية تصبح المعلومات ، وهذا تحول ثوري لأنه شكل من أشكال التملك غير مادي لا حدود له . فعندما امتلك سهما في شركة فأنا لا أهتم بمبانيها أو آلاتها ، كل ما يهمني هو المعلومات المنظمة التي تتحكم فيها . هكذا تتحول الملكية من ملكية رمزية (ورقة) الى ملكية غير محددة ، ويصبح مفهوم الملكية في الرأسمالية نفسها مفهوما بائدا .

دور المعلومات في حياتنا السياسية :

لقد أدت سرعة التغير الى زيادة حجم المعلومات المطلوب التعامل معها لنصل الى قرارات تلائم الظروف . فلو أنك نظرت الى العمالة في المجتمعات الصناعية لوجدت هبوطا في العمل اليدوي وارتفاعا في الأعمال الادارية منذ منتصف الخمسينيات . لقد تعقد النظام وتزايدت متطلبات المعلومات حتى وصلت الى نقطة أزمة ، فتزايدت متطلبات العمل والتنسيق والاجتماعات والقرارات اللازمة لانجاز عمل ما . وقد استجاب النظام لهذا الضغط تقنيا ، فدخلت الآلات الحاسبة مجال الأعمال الادارية . كذلك لم يعد نظام الهواتف يفي بالغرض فدخل نظام الكمبيوتر . هكذا دخلت أنظمة اتصال جديدة وتقنية جديدة لاختزان المعلومات ، مثل الميكروفيلم والماسحات البصرية لتخفيف حمل المعلومات ، فالتنوع والتغير يساوي معلومات أكثر تساوي تكنولوجيات أعقد . وديناميكية ثورة المعلومات التي بدأت تمحو المجتمع الصناعي جزء من موجة التغير . وفوق ذلك فكلما زادت المعلومات فإننا نعمق فهمنا العلمي للطبيعة بحيث نغير عمليات الانتاج . فبدلا من استخدام التجميع اليدوي لآلة التصوير مثلا ، أو لجهاز التليفزيون ، فإننا نستخدم معلومات أكبر ومعرفة أعمق لتقليص عدد الأجزاء ، أي أننا نحقن الآلات نفسها بمعلومات أكبر ، بما يؤثر في الثقافة والاقتصاد .

وفي العصر الصناعي كان الاهتمام ينصب على كيفية صنع الأشياء . أما الآن فإنه ينصب على ادارة الأشياء ، وتحليل المشكلات ومشكلات الثقافة والايديولوجيات . وفي السياسة تصبح قضايا التحكم في المعلومات ، والسرية ، وادارة انسياب المعلومات مسألة تقنية . وبعض التقنيات يهدد الديمقراطية ، وبعضها يضاعف من قوة الفرد ضد الدولة ، في العصر الصناعي مثلا كانت الدولة والشركات تتحكم في وسائل الاعلام من المركز . أما الآن فان المستهلك يستطيع استخدام المسجل لارسال رسائل وتداولها واعادة نسخها كما فعل أعداء الشاه . والمسجل لا يمكن التحكم فيه من المركز . وهكذا في مجال الآلات الحاسبة وكل الالكترونيات الحديثة في مجالات المعلومات والاتصالات التي تقلل من التحكم المركزي في حياتنا .

وسوف يؤثر هذا في علاقات الطبقات . فالثورة الصناعية أوجدت الرأسمالية والعمال ، والثورة التكنولوجية أوجدت التكنوقراطيين من مهنيين ومديرين وعلماء . الذين يتزايد حجمهم وتتزايد احتمالات احتكارهم للقوة . وهم « طبقة » تمتلك المعلومات المنظمة والخيال والثقافة اللازمة للانتاج ، وتملك القدرة على المساومة أكثر من طبقة العمال . لكن هذه « الطبقة » طبقة مثقفة أكثر منها طبقة



اقتصادية ، وبالتالي لا تتصرف ككتلة موحدة ، غير أنها تشترك في صنع القرار .

ففي المجتمعات الزراعية كانت الأقلية تشترك في صنع القرارات السياسية أو الاقتصادية . وفي المجتمعات الصناعية حدثت انفجارات ديمقراطية أدت الى توسيع قاعدة الاشتراك في صنع القرار ، نتيجة لتداخل الاقتصاد وضرورة التنسيق بين أنشطة مختلفة ، وأدى هذا الى زيادة المشتركين في مجالات العمل والسياسة والمجتمع .

وانتظمت هذه المجموعة في شكل هرمي من الصفوة ومن دون الصفوة ، ممن يشكلون العمود الفقري للطبقة الوسطى ، مع استبعاد العمال والفلاحين الذين لم يكن لهم الا حق التصويت . هذه ديمقراطية جزئية . وفي مجتمع الموجة الثالثة ستؤثر ثلاثة أشياء في المستقبل السياسي : تزايد العمالة الذهنية ، تزايد عبء القرار ، الآلة الحاسبة ، وهذا يعني دخول العمال في اتخاذ القرار والادارة وتزايد اشتراك الجماهير ، وتوسيع قاعدة الديمقراطية .

والحاسب الآلي له تأثيره على النظام السياسي . فقد أحدث تغييرا أساسيا في التوازن الاستراتيجي العسكري والاقتراع السياسي ، وطريقة تحديد القرارات السياسية . وهنا نجد أنه بدلا من بضع حاسبات آلية هائلة تتحكم فيها السلطات العليا ، ظهرت ملايين الحاسبات في طول المجتمع وعرضه وفي البيوت والمدارس والكنائس والكراجات ، بعيدا عن تحكم الحاسبات المركزية ، مما يعني تزايد نسبة من يتخذون القرارات السياسية والعسكرية .

المرأة والحياة السياسية :

في المجتمع الزراعي والصناعي كانت أشكال العمل تعتمد على قوة الرجل العضلية ، رغم الاعتماد أيضا على عمل المرأة الجسماني . الا أن المرأة ظل مكانها في البيت مع الأطفال . هكذا أبقت الثورة الصناعية على عدم المساواة بين الجنسين ، وفي المجتمع الزراعي كانت العائلة كبيرة تعمل أجيال منها معا في وحدة انتاج واحدة ، وتعيش تحت سقف

كتاب الشهر

واحد . أما في الموجة الثانية فقد تزايدت أهمية المصنع والمكتب ، وتقلصت أهمية البيت وظلت المرأة فيه . وقد ساعدت وسائل الاعلام على تعميم هذه النظرية ، والتأكيد على انعدام قدرات المرأة حتى تبقى في عالمها المغلق ، وحتى من شارك منهن في العمل كان يوكل اليهن أعمال أقل أجرا وسلطة .

وخلال الحرب العالمية أصبحت النساء قوة عمل احتياطية ، ثم فقدت المرأة هذا الدور . وفي منتصف الستينيات كان الاقتصاد مزدهرا فاحتاج الى عمالة أكبر . وبدأت الموجة الثالثة بتفوق العمالة المكتبية على العمالة المصنعية ، كذلك دخلت عوامل أخرى مثل حركات الاستقلال وحبوب منع الحمل ، والأقمار الصناعية . . . وبدأت التساؤلات حول الأدوار القديمة التي فرضها التصنيع . كان هذا جزءا من حركة تاريخية تحملنا فيها وراء العالم الصناعي التقليدي ، وتشير الى مجتمع بديل .

وسوف تشهد الفترة القادمة ظهور أبنية اجتماعية جديدة قد تكون وحدة من الأم والأب والابن يعملون معا في كوخ الكتروني صغير ، أو في(كوميون)،مما سيخلق علاقات مختلفة بين الجنسين غير تقليدية ، لأن المرأة ستشارك في الانتاج من خلال عملها في البيت . فالثورة في الأدوار جزء من الموجة الثالثة التي يقف الدفع الأساسي للتغيير فيها في وصف مساواة الجنسين ، بفضل ظهور قيم جديدة مع الترتيبات التقنية والاقتصادية الجديدة .

العرق ، القوة ، الثقافة

ومن الخطأ أن نعتقد أن السيطرة ستظل للرجل الأبيض في الحضارة الجديدة . فليست سيطرة الرجل الأبيض الا تطورا تاريخيا حديثا منذ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ سنة ، عندما اكتشف القارة الأمريكية ، وطرق التجارة في الهند ، ووسع المستعمرات وتجارة العبيد ، وأنشأ سلسلة من المجتمعات تفتح له الطعام والطاقة والمواد الخام . لكن فيما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ حصلت معظم المستعمرات على استقلالها ، فحدث تغير في التوزيع العرقي للقوة في العالم ، فظهر العرب كقوة مالية وسياسية ، وظهرت اليابان وتايوان وهونج كونج وسنغافورة وكوريا الجنوبية كقوة اقتصادية تنمو بسرعة ، وسوف يصبح هؤلاء شركاء مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وأوروبا في النفوذ العالمي . وكلما توغلت الآلات الحاسبة في آسيا ، ونقلت الأقمار الصناعية المعلومات من والى المحيط الهادي الذي كان معزولا فيما مضى ، سوف تنتقل المؤثرات المالية والثقافية من الشرق الى الغرب ، فقد بدأ تحرك مركز التأثير الثقافي والاقتصادي في العالم .

وهناك عوامل أخرى تؤثر في توزيع القوة في العالم ، أحدها تغير توزيع السلاح فيه . فحتى الدول الصغيرة يمكن أن يكون لديها اليوم أسلحة فتاكة ، مما يغير موازين القوى في العالم . ثم لا يزال النظام الحالي يعتمد على مصادر الطاقة والمعادن بكميات هائلة . ولكن عندما تنتشر وسائل التصنيع الفردية ، ويصبح الانتاج لامركزيا ، فسوف تستخدم مصادر متنوعة بكميات أقل ، مما يعني اعادة توزيع القوة الاقتصادية في العالم .

هكذا نشهد اعادة توزيع تاريخية للنفوذ والسلطة على كل المستويات . ولن تقتصر الموجة الثالثة على أجزاء دون غيرها . فهي موجة تنتمي الى كل الأجناس ، وسوف تصبح سيطرة البيض سيطرة متعددة الأطراف ، وسوف يتعود السوفييت والأمريكيون في العقود القادمة على توزيع السلطة في العالم ، كما تعودت بريطانيا وفرنسا فقدان امبراطوريتهما .

صدارة الثقافة

أما عن احتمال أن تؤدي الاقتصاديات التقنية الى مضاعفة حجم الطبقات الدنيا ، فان (توفلر) يرى أن هذه مسألة سياسية اجتماعية لا

ـ قنية . فالهدوء السياسي الحالي لن يدوم اذا سقط عبء التغييرات على ظهور الأقل استعدادا له . وكبار السياسيين وأصحاب الأعمال لا يدركون أن الاضطرابات لن تكون مثل اضطرابات الثلاثينيات ، بل ستكون أكثر لامركزية بحيث يصعب تحديد مداها أو قمعها . وسوف يعتمد التخطيط للفترة الانتقالية على مدى ذكاء الحكومة وأصحاب الأعمال .

ولهذا فان الاستراتيجيات القائمة على التمسك باجراءات الموجة الثانية ، مثل ايجاد وظائف في صناعات تحتضر ، ليست كافية ، ومن الأسهل أن نحقق مكاسب في برامج التدريب في قطاع الموجة الثالثة ، وهذا يعني اعادة دراسة البنى الخفية ، التي تحدث في الدول المتقدمة تقنيا ، أي معرفة التحول البعيد المدى الذي يحدث باتجاه الانتاج الاقليمي اللامركزي والتوزيع ، وخلق وظائف الموجة الثالثة حيث يعيش العاطلون بالفعل ، وكذلك البحث عن أشكال جديدة من العمل المنزلي باستخدام التقنية الحديثة ، وعن خدمات وسلع جديدة وايجاد الأسواق لها . كما يعني أيضا برامج تدريب وتعليم للأطفال ، ومواجهة المستقبل لا الماضي .

فنحن نواجه حضارة جديدة لا تتمثل فقط في الآلات الحاسبة وأجهزة الفيديو ، بل في مواد جديدة تجاه العمل والجنس والأمة والسلطة وأوقات الفراغ . ففي الموجة الثالثة ليست هناك ثقافة واحدة ، بل ثقافات متنوعة ومتغيرة ، وكلما تحركنا باتجاه الموجة الثالثة زادت أهمية الثقافة ، ومعظم المهن الجديدة في هذه الصناعات تعتمد على الثقافة ، ولم يعد الأمر مجرد الاعتماد على المواظبة ، وطاعة السلطة المركزية ، وفهم كيفية عمل البيروقراطية ، والخضوع للعمل المتكرر المحفوظ . وسوف يكون اقتصاد الموجة الثالثة مجزيا للقادرين على التغير ، والعمل واكتساب الخبرة في أكثر من مجال ، وتوسيع مجال الخيال للتلاؤم مع ثقافات الموجة المستقبلية . وليست هناك جماعة عرقية واحدة تحتكر هذه الصفات . فكل ثقافة شرقية أو غربية ، سوف تأتي الى الموجة الثالثة وقد تطورت طبيعتها الاجتماعية . فنحن ندخل عصرا جديدا تلعب الثقافة فيه دورا مهما . وسوف تستوعب الحضارة الجديدة عدة ثقافات ، ولم يعد الماضي كافيا لمواجهة المستقبل .

كلمة أخيرة

بهذا يطرح (توفلر) رؤية مستقبلية حول تأثير الثورة التقنية في مستقبل المجتمع الانساني . لكنه في كل هذا يبدو كما لو كان يؤمن بقدرة التغيرات التقنية وحدها على تغيير العالم . فهو في تناوله لهذه التأثيرات يدور في فلك محاولات تفسير نظرية داروين ـ التفسيرات الاجتماعية التي ظهرت في القرن ١٩ ـ مع توسيع مجال هذه التفسيرات بما يتلاءم مع متغيرات العصر . فهو ينظر الى المجتمع الصناعي على أنه متجانس ، والى المجتمع التقني على أنه متنوع ، بنفس الاسلوب الذي رأى به منظرو البرجوازية في القرن ١٩ المجتمع الزراعي على أنه مجتمع متجانس ، والمجتمع الصناعي مجتمعا متنوعا . ولذلك فانه يؤكد على مزيد من التجزؤ أو التنوع ، لا على مزيد من الترابط .

ولعله لهذا السبب ذاته ، حين يشير مستقبل الرأسمالية والاشتراكية فانه لا يرى في مدلول الاشتراكية الا مركزية نظامها ، في حين أن مركزية النظام ليست أمرا مقصورا على الاشتراكية ، بل هي موجودة بالفعل في كل أنظمة العالم الثالث ، بل وداخل النظم الغربية ذاتها ، كما يشير هو نفسه الى هذا . وكذلك فانه حين يحاول تحديد مفهوم الملكية في المستقبل فأنه يتكلم عن « مفهوم » الملكية لكنه يغفل « فكرة » الملكية في حد ذاتها ، واضافة الى هذا فان حديثه عن « طبقة » التكنوقراط لا يحدد لحساب من يعمل هؤلاء ، ولا مع من ترتبط مصالحهم ، كما أنه في حديثه عن علاقات الانتاج الجديدة ، مثل علاقة المنتج المستهلك بنفسه ، لا يشير الى من سيوفر لهذا المنتج المستهلك أدواته الخام وآلاته ومعداته التقنية ، مما يشير الى أن علاقات الانتاج الحالية سوف تؤكد ذاتها مرة أخرى في مجتمع المستقبل .

ان (توفلر) يجيب عن تساؤلات عديدة ، لكنه يثير تساؤلات أخرى أكثر . وربما كان هذا لأن « نظريته » لا تعدو أن تكون « نظرية » فرضية ما زال (توفلر) يعمل على استجلاء كثير من جوانبها . لكنها تظل رغم هذا « نظرية » مشوقة مثيرة تستحق منا أن نتأملها بمزيد من العناية والاهتمام ؟ □

من المكتبة العربية

ممرات في دفاتر الطفولة

بقلم : فاضل خلف



صدرت حديثا المجموعة القصصية « ممرات في دفاتر الطفولة » للأديب العراقي أحمد محمد أمين ، احتوت على ١٣ قصة قصيرة .

فهل هي عن الطفولة بعامة ؟ - أو هي عنها كمرحلة عاشها الكاتب ، وأخذ بعد ذلك بعض أجوائها وتفصيلاتها ؟ وصبها في قوالب فنية قصصية ؟

عالم أحمد محمد أمين مزيج من الرؤى ذات الدلالات الانسانية التي تتفاوت بين الرمز .. الرمز المغلق أحيانا .. والواقعية النقدية يحلق بها على جناح لغة شفيفة ترقى الى مستوى الشعر .. وتزويقات استعارها من الطفولة والحلم .. وتكاد الطبيعة بكل ما فيها من تألق وحركة ، وعبر لقطات في غاية الدقة ، أن تكون هي المحور الرئيسي والشخصية التي تتحرك فوق المساحات القصصية - كما أن المضامين الانسانية التي يطرحها داخل قصصه ترتكز على وعي عميق بالحياة .. وادراك صادق لما يدور في عالم الذات ، ورواية متقدمة في النقد ، ورصد ذكي لسلوك الانسان تجيء جميع هذه المعطيات في طرح فني جاد دون الوقوع في مزالق المباشرة .. فليست قصصه لافتات هشة تعرض محتوياتها للقارىء وانما هي عميقة الغور في دروب الواقع .. اذن نحن أمام رؤية قصصية ، ينبغي أن تكون لدينا كل معطيات الثقافة اذا أردنا أن نغوص فيها ، فهو قد عبر من خلالها عن كل رؤاه الفنية والثقافية .

لقد حملني المؤلف الى أجواء السحر والحلم والواقع المر الذي كان يحاصر طفولتنا . انه يختار عدته الكتابية من جميع المدارس الفنية .. وهو أقرب الى الفنان التشكيلي الذي تتراوح فرشاته بين العديد من المدارس الفنية - التعبيرية والانطباعية والسريالية والخيالية الابداعية وحتى الكاريكاتورية .

انه لا يصرخ : ان جيلنا كان مضطهدا للطفولة كاتما لانفاسها ، وقاتلا لحريتها .. لكن الطفولة كالمارد ، كانت واعية لما يدور حولها ، حريصة على التعلم ، وتلقي الدروس من الحياة ، ويمكن ملاحظة ذلك في قصص « عربة الملك ، الفرح ، ضجة في القلب ، وحتى في اللوحة الأخيرة » .

دخول في التفاصيل

ان القضايا المطروحة في القصص ، هي قضايا ساعة ، قضايا الانسان ومعاناته ونضاله . ولو أردنا التفصيل فاننا نضع هذه الاشارات :

١ ـ في قصة « الصحو والحلم » نقف حيال المرأة واضطهاد الرجل لها ، وظروفها التعسة في عالم سيطرته المطلقة ، لذلك فهي تلوذ بالحلم ، ولا تكاد تضع أولى خطواتها في دائرة تحقيق رغبتها ـ رغم سذاجة هذه الرغبة ـ حتى يكون زوجها قد عكر عليها عالمها ، وحطم بمطرقته كل شيء . . وتكون هي أيضا ضحية تتكسر مثل اناء زجاجي . .

والملاحظ أن رغبة المرأة جاءت سقيمة في الحلم . . وأظن أن المؤلف كان منتبها ويقظا في جعل تصرفها صبيانيا . لأن الحرية التي تفهمها بعض النساء تكون باهتة أحيانا !

٢ - «رحيل المساء الحجري» . . وهي قصة عن موظف يعيش حلم اليقظة ، ويدور داخل الأوهام . . انه مضطهد ، ومحاط في العمل بالرتابة والتعب وعدم التقدير لاخلاصه ، ومضطهد في البيت من قبل زوجته . هذه المرأة التي تمثل كل النماذج المسيطرة والضحلة من نسائنا . . فالبيت في نظر الرجل مزدحم بالروتين والعلاقات الرتيبة المهترئة مثل الوظيفة تماما ، لذلك نراه يهرب من واقعه ويخلق لنفسه عالما خاصا : عالمه هو . . يتحدث مع التلفزيون ، ويضرب موعدا مع طبيبة ، ثم تكون النتيجة الفشل المر . . وبعدها تكون الصحوة .

القصة رغم منحاها الخيالي ممتلئة بالوصف الواقعي للطفولة ، يسترجعها ليؤكد لنفسه على الاقل أن أوهامه ترتكز على أرضية من الواقع . . والذكريات التي تزخر بها ذاكرته . . والقصة بعد ذلك نقد للحياة أينما كان المرء . . في البيت ، في المؤسسة التي يعمل فيها ، في الشارع ، في الأماكن العامة . . وهي تشبه الأولى في كون البطل يحلم ، ويهرب ويصطدم بسور الواقع القاسي .

٣ ـ « ممرات في دفاتر الطفولة » . . هذه القصة مستلة من الطبيعة ، كأنما غمس « فان جوخ » ، أو « سيزان » ، أو أي فنان تشكيلي متقدم ، فرشاته في الالوان ، وجسد لنا هذه الطبيعة التي تتفاوت وتتحرك في دائرة الضوء ، والقتامة ، والرهبة ، والممرات الغامضة ، انها الحياة المتشابكة ، ومتاهاتها ، وما نحن الا كائنات نناضل . . وقد نضيع فيها الى الابد ، وقد نخرج الى خير منها .

القصة عن الخرافة وأثرها فينا ، فالمجتمع في أيامنا هذه وهو يعيش في دائرة العلم ومعطياته يرفض أن يقع تحت طائلة التخلف والأفكار البدائية ، والأساليب غير التربوية التي حشا الآباء رؤوسنا بها .

وهذه القصة في نظري من القصص الجميلة . . أداتها لغة في غاية الشاعرية وهي مليئة بوصف تفصيلات الطبيعة ، ويمكن أن يقال فيها الشيء الكثير من الاحكام والتأويل .

٤ـ«بعيدا عن الايام القائظة» . . هي أيضا قصة ممتعة ، مصوغة بعناية تتحدث عن قوة الانسان النابعة من الذات حيال البطش والاضطهاد اللذين يسودان العالم وتستند الى ثلاثة محاور . . التلال والمذبحة ، العرس والفرح ، ولقاء الطفولة بالطفولة . . طفولة كهلة وطفولة في ميعة البراءة .

انها معقدة ، مليئة بالرموز المغلقة ، لكن اللغة فيها جميلة ويعني الوصف فيها بالتفصيلات ، مما جعلها أنيسة لا تثير فينا الملل والاستياء .

زمن الاحزان المنسية

٥ـ«زمن الأحزان المنسية» . . عن الهروب في ظروف سياسية ونفسية صعبة . والفتى الهارب يجد في الغربة منفى آخر . . تحاك ضده مؤامرة أخطبوطية ، ويعود الى الوطن الذي يكتشف فيه لأول مرة مثواه ، والأرض التي يمكن الاطمئنان اليها : « اذا كنت تحبها حقا فامنحها كل دمك » .

ولست أجافي الحقيقة عندما أقول : ان هذه القصة من أحسن النماذج الجديدة التي قرأتها . يوجد في القصة عدة محاور لكل محور ضمير خاص ، يتحدث به البطل ـ ضمير المخاطب في المحور الأول ، وضمير المتكلم في المحور الثاني والثالث ، وضمير الغائب في المحور الأخير ـ ورغم أن القصة تضج بالأشخاص والوجوه فان الشط والنخيل وملايين الذرات الضوئية المتراقصة فوقه وصور الطبيعة من داخل القطار . .

تبقى هي شخوص القصة ، التي تستوي فوقها معاناة الانسان ، أمام الظروف غير الطبيعية .

٦ـ«السفر داخل العيون الأليفة» . . عالم زاخر بالرموز التي تتحرك في عدة محاور : المراوح والناس الذين ينظرون الى السماء ، الحديقة والانتظار ، والاختبار القاسي للاشخاص الثلاثة مع الوردة ثم المستشفى والبحث عن الفتاة . . الشخوص الثلاثة يمثلون في نظري ثلاثة اتجاهات سياسية ، وكل يحاول بوسيلته احتواء الوطن (الفتاة) والقصة بلا نهاية ، لان النضال سيظل قائما ما دام الاستغلال سائدا يعشش في نفوس الناس ، ورغم الغموض الذي يكتنف هذه القصة فانها لا تخلو من لمسات فنية بارعة أضاءها القاص في أجوائها وحناياها .

٧ـأما القصتان «الفرح» و « ضجة في القلب » فتنتميان الى القصص الواقعي الذي لا يخلو من رمز . . الحية الاولى رمز للعدوان والقوى الشريرة التي تريد استلابنا وسرقة ممتلكاتنا . والمهر رمز القوة والحياة الجديدة .

قصتان تعتبران نموذجين متقدمين للقصة الواقعية الجميلة التي تقوم على بناء وصفي رصين ، وتكون فيها الطفولة في حالة من الوعي المسئول .

الهروب الى مدن الشمس

٨ـ«الهروب الى مدن الشمس» . . رصد وتجسيد وادانة لعدم المبالاة التي يتذرع بها الناس ـ وكأنما الاحياء قد استحالوا الى تماثيل حجرية أمام مسئولياتهم . . فلجأ القاص الى استقدام حوروابي الملك المتحضر ومنحه فرصة لأن يعود انسانا . . انسانا عاديا يلمس وجه الحياة . . يعمل ويكد مثل الناس . ان تمرد حوروابي ليس سوى ادانة صارخة للاحياء متحجري الأحاسيس . . المجردين من الشعور بالمسئولية تجاه ما يدور حولهم . . وعلى أرض الواقع . القصة برمتها استنهاض للانسان ، وتحريض له على أن يكون متحضرا في موقعه المسؤ ول ، بعيدا عن الجمود والاسترخاء .

٩ـ«البحر في النافذة» أشبه بقصة « زمن الأحزان



المنسية » التي يعود فيها البطل من المنفى الى الوطن ، وهنا يهرب من واقع مريض آسن مليء بالحقد والملاحقة وتجريد الانسان من انسانيته ، الى واقع يعبق بالصفاء والطهر .

ورغم أن القصة لا تنتمي الى زمان ومكان ومجردة من الثرثرة اللفظية ، لكنها زاخرة بالمواقف الانسانية ، تؤكد لنا معنى الحرية التي يناضل الانسان ويضحي من أجلها . وقد تكون تلك المدينة التي تراءت له من بعيد ، وهي تستلقي في أحضان البحر والضوء والسماح ، هي مدينته الفاضلة .

١٠ ـ « عربة الملك » يبقى لها موقع خاص في النفس ، انها لمحة مضيئة من الأداء . وملاحقة صادقة للطفولة المعذبة ووأد أمانيها . . تحفل بالصور والالوان والمشاعر الحبيسة في الذات ، وهي بمجملها ـ وبكل ما فيها من تصوير فني عال ، ووصف جميل من خلال عيني طفل ـ احدى القصص الواقعية التي تظل تضيء في الذاكرة .

١١ـ«عائدة من أقاصي النسيان» . . وهي من النمط القصصي الخيالي المتعب ، أضاف اليها المؤلف هوامش مكملة للقصة ، وهي تحكي قصة امرأة عادت الى الحياة بعد عشر سنوات من النسيان عن طريق امرأة عجوز تمارس السحر والشعوذة ،

لاعادة الوئام الى الاهل ، ورأب الصدع بينهم ، لكنها تفشل لأنها تتعثر بأخطاء تجاوزها الزمن ، ومع ذلك تترك لدينا حافزا الى العمل والتضامن والتصافح .

والقصة تلاحق مسألة الشعوذة ، وعدم قدرتها على اضاءة حياتنا بالأماني والآمال ، لأنها أساسا تستند الى العقم والخواء .

١٢ـ«ثماني لوحات مائية»، وهي عن الشاعر الراحل بدر شاكر السياب ، أراد المؤلف من خلالها أن يسهم في تمجيد هذا الشاعر العربي الكبير ، فصور حياته المأساوية عبر ثماني لوحات أنيقة ، لا تخلو من اللمحة القصصية البارعة .

حقائق

وأخيرا يمكن أن نخرج من خلال هذه المجموعة القصصية بالحقائق التالية .

أ ـ استعمال«تكنيك»مبتكر في صياغة القصص ، واعتماد السرد والتداعيات والمنولوج الداخلي . . تبدأ القصة أحيانا من النهاية مثل القصة الأولى ، وأحيانا يحشر في القصة لوحة قد تبدو لأول وهلة أن لا صلة لها بها ، لكنها امتداد لها . مثل لوحة من زمن الطفولة في قصة « رحيل المساء الحجري » حيث مزج بين عالمين باقتدار عال ، عالم الخيال ، وعالم الواقع .

ب ـ الوصف الجميل للطبيعة والحياة واستخدام التـزويقات (أو التـزاويق) الفنية المتقدمة ، والاستفادة من المعطيات الفنية كالسينما والفن التشكيلي والحلم ومزج الألوان والتصوير الجميل للماء «لقد استطعنا أن نلمح المطر والغيم في عدة لقطات . في القصة الاولى والثانية ، وضجة في القلب وثماني لوحات مائية » كما أن فيها أجواء قصصية غريبة جدا ، وحين ندخلها كأنما ندخل في حلم جميل أو نرتاد عالما من الخيال الفضفاض .

ج ـ جاءت اللغة عذبة وشاعرية ، وكأنى به يكتب شعرا في بعض القصص ، وأحس أن اللغة المتألقة غير العادية ضرورية لكتابة القصة الجديدة ، وهي مكملة للشروط الفنية الأخرى .

د ـ كل قصة حملت همًا انسانيا خاصا ، وعالجت مسألة معينة تشغل بالنا في كل لحظة .

اذن نحن أمام ثلاث عشرة قصة ذوات مضامين انسانية ، ترتفع في لغة مترفعة عن الابتذال والهشاشة والسذاجة . . تجيء أحيانا واضحة وأحيانا رمزية فيها عذوبة وشاعرية ، وكتبت بصيغة متقدمة ومتطورة.□

أين جمال المرأة

ما أجمل مافي المرأة ؟ حاولت مجلة « رومان » أى المرأة ان تبحث عن أجابة لهذا السؤال ، فأجرت استفتاء بين مجموعة من الرجال ، قال البعض إن أجمل مافى المرأة غموضها ، وقال البعض الآخر ان سر ابتعادهم عن المرأة هو أنهم لايفهمونها ، وبمعنى آخر ان غموضها يحيرهم !

وقال فريق ثالث إنهم يفضلون المرأة الجميلة بشرط الاتكون ذكية ، لان ذكاء المرأة يزعج الرجل !

مكتبة العربي

مختارات

الاسلوب والاسلوبية .

ترجمة : كاظم سعد الدين
الناشر : دار آفاق عربية ـ بغداد
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات والحجم : ١١٥ صفحة من القطع المتوسط .

هذا هو الكتاب الأول ضمن سلسلة كتب (آفاق) الشهرية التي صدرت في بغداد عن دار آفاق عربية التي تصدر عنها المجلة الشهرية التي تحمل نفس الاسم والتي يرأس تحريرها محسن جاسم الموسوي .

والكتاب من تأليف الكاتب الانكليزي غراهام هوف .

جاء في تعريف احد الكتاب للاسلوب بأنه الرجل ، فما الذي يقوله غراهام عن الاسلوب والاسلوبية ؟

جاء في تمهيده للكتاب ما يلي :ـ

(الغرض من هذه المقالة اعطاء وصف موجز عن الدراسة الحديثة للاسلوب الأدبي ، وقد نشأت دراسة الاسلوب من الالسنية في الغالب ، ومن منطلقات اخرى احيانا ، ولا ريب أن الأسلوبية هي دراسة اللغة مهما كان منشؤها ، وان موضع النقاش الوحيد هو كيفية دراسة اللغة الأدبية ، وقد أصبحت الالسنية اليوم فرعا عظيما مستقلا عن فروع المعرفة ، وعلاقاتها بالدراسات الادبية ليست أمرا يسيرا ، وكثير من اهتماماتها لاصلة له بالأدب ، وبعض من طرقها لا يروق لاغلب طلاب الأدب ، ومع ذلك فهي في نهاية الأمر لا يمكن أن تكون مجردة من هذه العلاقة ، وان دراسة اللغة ودراسة الادب ، كما هو واضح ، لهما حدود مشتركة ، وبهذا تكون الاسلوبية المنطقة الفاصلة بينهما) .

وقد استعرض المؤلف مدارس عديدة أدلت بدلوها في الاسلوب والاسلوبية .

■

نازك الملائكة ـ دراسات في الشعر والشاعرة



بقلم واعداد وتقديم : د . عبدالله المهنا ونخبة من اساتذة الجامعات
الناشر : شركة الربيعان للنشر ـ الكويت
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات والحجم : ٩٠٠ صفحة من القطع المتوسط .

منذ أربعينيات هذا القرن والشاعرة الناقدة نازك الملائكة تحتل مكانة مرموقة ورائدة في حياتنا الادبية العربية . .

فهي ممن أسهموا اسهاما بارزا في ارساء موجة الشعر الحديث ـ ومازالت حتى الآن ترفد هذه الموجة بالرغم من الملاحظات التي يمكن تسجيلها على تجربتها في المرحلة الاخيرة . اضافة الى ذلك فانها من المنظرين للشعر ، وكتابها (قضايا الشعر المعاصر) يعتبر مرجعا مهما في هذا المجال . . يقول الدكتور عبدالله مهنا في مقدمته للكتاب : (لايمكن التأريخ للشعر المعاصر الا انطلاقا منها ومن آخرين ، فمن هذه الكوكبة كان

البدء الحقيقي للشعر المعاصر الذي يضرب بجذوره في حياتنا الآن) . وحول صدور الكتاب يقول الدكتور مهنا : (انطلاقا من ظاهرة الوفاء لشاعرة حفرت اسمها بعمق في الحياة الادبية ، ولاستاذة جامعية علمت الكثير والكثيرات في عدد من الجامعات العربية) انطلقت فكرة اصدار الكتاب الذي احتوى على ثلاثة فصول هي : نازك مع الشعر والحياة ، نازك والادوات الفنية ، نازك ناقدة ، واحتوى كل فصل على مجموعة من الدراسات لمجموعة من الدارسين . . . .

محاضرات في نشوء الفكرة القومية

الكاتب : ساطع الحصري

الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت

سنة النشر : ١٩٨٥

عدد الصفحات : ١٧١ صفحة من الحجم المتوسط

بدأ مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت بتجميع واعادة نشر مؤلفات وكتابات المفكر العربي : ساطع الحصري (أبوخلدون) الذي وقف حياته على الدعوة الى الوحدة العربية ، ونشر الفكرة القومية العربية ، وقد سجل المركز ١٧ كتابا ينوي نشرها لهذا الكاتب ، والكتاب الذي نعرض له هو الكتاب الخامس في سلسلة كتب (الأعمال القومية) للكاتب .

أما محتوى الكتاب فهو ست محاضرات تناولت نشوء الفكرة القومية والحركات التي دعت لها ومسيرتها في : المانيا ، وبلاد البلقان ، وتركيا ، والاقطار العربية . اضافة الى تغطية عامة لمجمل الحركات القومية في أوروبا منذ أوائل القرن التاسع عشر . وقد جاء في الكتاب عن مستقبل القومية العربية مايلي : « يجب أن نلاحظ أن العصر الذي نعيش فيه أصبح خليقا بالتسمية بعصر التكتلات ، لأن التطورات التي حدثت في الحياة الاقتصادية وفي الوسائل الحربية صارت تحمل الامم على التكتل ، ولو كانت متباينة اللغة والتاريخ والتقاليد ، فليس من المعقول أن نترك شعوب الامة الواحدة منفصلة ومتفرقة »



المؤامرة !

الناشر : دار صبرا للدراسات ـ دمشق .

سنة النشر : ١٩٨٤

تقديم : د . أحمد أبومطر .

عدد الصفحات والحجم : ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط .

في عصر يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر مايو ـ آيار سنة ١٩٨١ ، دوى الرصاص في مدينة الفاتيكان في روما ، وسقط البابا يوحنا بولس الثاني مضرجا بدمائه . . وتم اعتقال التركي محمد علي أغجا بتهمة اطلاق النار ، ومع أن أغجا اعترف باطلاق النار وحكم عليه بالسجن مدى الحياة ، الا أن الامر لم يقف عند هذا الحد . فأقوال أغجا المتناقضة وتاريخ حياته ومسار تنقلاته ، وحصوله على المال والسلاح ، وهروبه من السجن في تركيا قبل ذلك ، بعد أن كان محكوما عليه بالاعدام فيها ، أثار الكثير من التساؤلات والشكوك بألا يكون باعث الاغتيال فرديا .

وهكذا وبعد عام واحد من صدور الحكم أعيد فتح ملف القضية . . وتم توجيه مسارها للزج بأسماء وجهات أخرى ، وتوجيه الاتهام لها بأنها هي التي تقف وراء العملية . . .

فمن هي تلك الجهات . . . ولماذا تم توجيه الاتهام اليها بالذات ؟ هذا مايجيب عليه هذا الكاتب . . . .

قصة مترجمة

الشرطي والنشيد

بقلم الكاتب الأميركي أو هنري

ترجمة : حسن محمود عباس

تحرك سوبي من على مقعده بتثاقل في ميدان ماديسون ،فعندما يرتفع صوت الاوز البري في عتمة الليل ، وعندما تأخذ النساء اللواتي لايمتلكن معاطف الفرو الفخمة في التودد الى أزواجهن، وعندما يغادر سوبي مقعده في الميدان متثاقلا : يمكنك حينئذ أن تتكهن بأن فصل الشتاء على الأبواب .

لقد سقطت ورقة شجر في حضن سوبي وكانت هذه الورقة بمثابة المؤشر الى قدوم الصقيع . ومن رأفة الصقيع بنزلاء ميدان ماديسون المنتظمين ، أنه يعلمهم بمجيئه في كل عام . فعلى كل ناصية من النواصي الأربع التي تلتقي عند تقاطع الشوارع ، يلوح الصقيع بريح الشمال منذرا منازل المشردين كافة،لعل هؤلاء النزلاء يعدون العدة ويأخذون الحذر .

لقد بات سوبي على علم بأن الوقت قد حان لأن ينخرط في جمعية تؤمن له وسيلة العيش ، وتصد عنه هذا العنف القادم ، لذلك قام متثاقلا عن مقعده في الميدان .

لم تكن تطلعات سوبي الى مأوى مفرطة في الطموح . فلم يضع في حسابه مثلا ، جولات في حوض البحر الأبيض المتوسط ، أو رحلات الى خليج ميزوفا . كل ما كانت تتوق اليه نفسه هو ثلاثة أشهر في الجزيرة المنشودة سجينا .ثلاثة أشهر يتوافر له فيها الطعام والشراب والمأوى والامن ، محترزا من ريح الشمال ومن عيون رجال الشرطة . كان ذلك يبدو له وكأنه غاية المرام .

كان بلاك ويلز المضياف - لسنين عديدة - مأواه الشتوي . وقد أعد سوبي عدته المتواضعة لهجرته السنوية الى الجزيرة ، تماما كما يفعل مواطنوه النيويوركيون الأوفرحظا ، عندما يبتاعون تذاكر السفر ، ويتجهون الى مشتاهم في (بالم بيتش والريفيرا) كل عام .

والآن حان الوقت . ففي الليلة الماضية لم تفلح ثلاث صحف افترش احداها والتحف بأخرى وأحاط رسغيه بالثالثة ، لم تفلح هذه الصحف في صد البرد عنه ، بينما كان نائما على مقعده بالقرب من النبع المتدفق في الميدان القديم . لذلك بدت الجزيرة في مخيلته كبيرة ومناسبة . كان ينظر بازدراء الى المعونات التي تقدم الى أمثاله من سكان المدن باسم الإحسان .

كان القانون في نظر سوبي أكثر رحمة من الانسانية ، كان هناك العديد من المؤسسات الخيرية والمجالس البلدية التي يستطيع الاعتماد عليها في الحصول على مايحتاجه لحياة بسيطة من طعام ولباس . لكن نفس سوبي الشديدة الأنفة تزدري الصدقات ،



وتنظر اليها على أنها عبء ثقيل . فهو يعتقد أن المرء اذا لم يدفع مقابلاً ثمنا لما يأخذه من صدقات المحسنين فانه لامحالة ، دافع الثمن من كبريائه وكرامته . لذلك فانه خير للمرء أن يكون ضيفا على القانون . ورغم انه محدود بقواعد وأصول الا أنه لايتدخل في أمور الانسان الخاصة .

وما أن قرر سوبي الذهاب الى الجزيرة حتى شرع في بلوغ هذه الرغبة . فقد كانت أمامه عدة سبل سهلة يرتادها . أما أكثرها مجلبة للسرور فهي : أن يدخل أحد المطاعم الراقية ، ويطلب وجبة عشاء دسمة . وبعد أن يفرغ من الأكل ويعلن عن عجزه عن سداد الثمن يقتاد بهدوء الى رجل شرطة ، ثم يترك الباقي الى قاض لطيف .

نهض سوبي عن مقعده وغادر الميدان متمشيا ثم عبر الشارع عند التقاء شارع برودواي بالشارع الخامس . وفي أعلى برودواي التفت وتوقف أمام مقهى متألق باهر حيث يجتمع فيه ليليا ، نخبة من خاصة الناس ، بملابسهم الفاخرة الانيقة ، وأمام كل منهم ما يشتهي من سائغ الشراب ولذيذ الطعام . وكان لسوبي ثقة عظيمة بنفسه ابتداء من الزر الأسفل في صدريته فصاعدا . كان حليق الذقن يرتدي معطفا مناسبا وربطة عنق سوداء أنيقة ، كانت قد أتت بها اليه سيدة ارسالية في يوم عيد الشكر . فاذا استطاع الوصول الى احدى موائد الطعام فلاشك أنه نجح . ذلك ان نصفه الأعلى - بعد أن يجلس الى المائدة - لن يثير ريبة النادل . وأخذت أصناف الطعام تترى في مخيلته . قال سوبي في نفسه : بطة محمرة لابد من أن تكون مقنعة ، ومعها كمية من الجبن الفرنسي أيضا وفنجان قهوة وسيجار . أما السيجار فيكفيه دولار واحد ، ولن يكون مجموع التكاليف مرتفعا الى الحد الذي يجلب معه رغبة الادارة في الانتقام ، هذا فضلا عن أن اللحم سيشبعه ويجعله سعيدا في رحلته الى مهجره الشتوي .

ولكن بينما كان سوبيُ يخطو خطواته الاولى داخل المطعم ، وقعت عينا كبير الخدم على سرواله المهترىء وحذائه المنحط . ومالبث أن وجد يدا قوية تمسك بكتفه وتشده الى الوراء ، لتوصله بهدوء الى الشارع ، وتحول بينه وبين البطة المحمرة الفاخرة .

وغادر سوبي شارع برودو'ي ، بعد أن بدا له أن سبيله الى الجزيرة المرجوة لن يكون شهوانيا ، وأن عليه أن يفكر في وسيلة أخرى لبلوغ السجن . وفي احدى زوايا الشارع السادس رأى مجموعة من السلع المعروضة بدهاء ، خلف واجهة زجاجية وشعاع المصابيح ينعكس عليها . كانت مجموعة السلع هذه جميلة رائعة . فتناول سوبي حجرا وقذف به الواجهة الزجاجية ، فتدافع الناس نحو زاوية الشارع ، وكان في مقدمتهم واحد من رجال الشرطة . ظل سوبي واقفا ويداه في جيبيه ، وقد ابتسم مسرورا برؤية الأزرار النحاسية الصفراء .

سأله الضابط بحنق : « أين الرجل الذي فعل هذا ؟ »

ألا تعتقد انه يمكن أن أكون ضالعا في هذا الذي جرى ؟

أجاب سوبي بشيء من التهكم ، ولكن بتودد كما لوكان يبادله التحية . وانصرف تفكير الشرطي عن سوبي انصرافا تاما ، ولم يرض به أن يكون مجرد دليل أو مفتاحا للموقف . ان الذين يكسرون واجهات العرض لايمكثون ليتبادلوا الحوار مع ممثلي القانون . انهم عادة يلوذون بالفرار . ووقعت عينا الشرطي على رجل في الطرف الآخر من العمارة ، يركض جاهدا آملا في اللحاق بسيارة أجرة ، فأمسك بهراوته

وانهمك في مطاردته . أما سوبي فقد سار في الطريق متسكعا حائر النفس مشمئزا ، بعد أن أخفق مرتين .

وعلى الرصيف المقابل من الشارع رأى مطعما تبدو عليه البساطة نوعا ما ، وهذا المطعم يقدم أطعمة شهية لاتكلف كثيرا ، ففي أجوائه العامة لاتجد الذوق الرفيع ، ولا في مفارش الموائد أيضا . حتى الأواني الخزفية فيه والحساء من النوع الخفيف الرقيق .

في هذا المكان دخل سوبي بحذائه اللعين وسرواله المهترىء ، وأخذ مكانا حول احدى الموائد ، ثم طلب لحما مشويا ، وكعكة بالبيض ، وكعكة أخرى محلاة ، وفطيرة . وأخيرا أشار الى النادل وأخبره بأنه لايملك من النقود أقلها . وقال :

- « الآن تستطيع أن تتصرف وتدعو شرطيا ، اذ لاداعي لأن تترك رجلا مهذبا مثلي ينتظر » .

- « لست بحاجة الى شرطي »قالها النادل بصوت فيه



ناشة الكعك وعين تشبه توت مانهاتن . وصاح : هاي كون ! » فامسك به اثنان من عمال المطعم طرحاه أرضا على الرصيف الصلب . ونهض سوبي ويدا رويدا كما تفتح مسطرة النجار ، ونفض الغبار عن ملابسه . و بدا له السجن وكأنه حلم وردي ، وكذلك لاحت له الجزيرة على البعد البعيد . أما الشرطي الواقف على بعد أمتار من أمام مخزن أدوية ، فقد ضحك واستدار متخذا سبيله على امتداد الطريق .

وسار سوبي على طول خمس بنايات أخرى ، قبل أن تسعفه شجاعته في طلب السجن ثانية . أما الفرصة التي أتيحت له هذه المرة فهي من النوع الذي اصطلح مع نفسه على تسميته بـ « الضمانة » ، فهذه امرأة شابة في زي جميل معتدل تقف أمام واجهة عرض ، وتنظر في اهتمام بالغ الى المعروضات من آلات الحلاقة وأدوات الكتابة ، وعلى بعد مترين منها تنتصب قامة مديدة ضخمة لأحد رجال الشرطة من ذوي المسلك الخشن ، وقد اتكأ على ماسورة ماء .

وكانت خطة سوبي تتلخص في أن يقوم بدور العاشق البغيض . وقد شجعه مظهر ضحيته الأنيق ، واقتراب الشرطي اليقظ منها ، على الاعتقاد بأنه سوف يستشعر في الحال ، قبضة هذا الرجل المرجوة وقد حطت على ذراعه لتؤمن مأواه الشتوي على تلك الجزيرة الصغيرة العزيزة المنال .

واتخذ وضع استعداد . فباشر في تسوية الربطة التي كانت قد منحته اياها إحدى سيدات الارسالية ، وسحب الأزرار المنكمشة تحت سترته لتبدو جلية واضحة . وأمال قبعته إمالة تسترعي الانتباه ، واتجه نحو السيدة الشابة . فصوب اليها نظراته وعزز تلك النظرات بصوت هو بين السعال والنحنحة ، وتكلف الابتسام وبدأ - بوقاحة - يقوم بدوره الشائن كعاشق أحمق .

ولم يفته أن يقتنص النظر الى الشرطي ، فوجده يراقب الموقف عن كثب . لكن السيدة ابتعدت بضع خطوات وصبت اهتمامها كله على أدوات الحلاقة وتبعها سوبي . ثم دنا منها بجسده ورفع قبعته وقال : « آه بيداليا : ألا تودين المجيء معي واللعب في فناء بيتي ؟ » .

هذا والشرطي ما زال يراقب الموقف . وما كان ينبغي للسيدة - وهي عرضة للمضايقة - الا أن تشير بأصبعها ليُقتاد سوبي فعلا الى الجزيرة المأوى . وأدارت المرأة وجهها اليه ومدت يدها وأمسكت بكم معطفه جذلة وهي تقول :

- « بالتأكيد يا مايك كنت سأكلمك لو أن الشرطي لم يكن يراقبنا » وفيما كانت المرأة تلعب لعبة النبات المتسلق على شجرة البلوط ، سار سوبي وإياها متجاوزا الشرطي وقد انتصر انتصارا كئيبا . وبدا وكأن الحرية قد قدرت عليه بالرغم منه .

وفي الزاوية الأخرى من الشارع أفلت سوبي من صديقته وولى هاربا ، ولكنه توقف في إحدى المناطق حيث تكون الشوارع ليلا قليلة الاضاءة ، وحيث توجد القلوب والنذور وتتجاوب أصداء الاوبرا . في هذا المكان ، تروح وتغدو نساء يرتدين الفراء ، ورجال يلبسون المعاطف العسيمة ، وهم جميعا يستمتعون بهواء الشتاء .

لكن خوفا مفاجئا استولى عليه ظناً منه أن سحرا رهيبا قد جعله آمنا وحال بينه وبين أن يسجن . فجلبت له هذه الفكرة شيئا من الرعب . وبينما هو يمر برجل آخر من رجال الشرطة ، يتمشى على مهل أمام أحد المسارح الفخمة ، خطرت له بسرعة فكرة التعلق بقشة « السلوك السيء » .

وعلى جانب من الشارع رفع سوبي عقيرته وأخذ بكل ما في صوته من نُكر ، يصرخ ويغني . واستمر على حاله يرقص ويهذي ويصرخ الى أن أزعج المارة . وما كان من الشرطي الا أن لوح بعصاه ثم أدار ظهره الى سوبي وأخذ يشرح لاحد المواطنين من المارة : « انه واحد منهم . أولاد من ييل يحتفلون باهداء بيضة الأوزة الى كلية هارتفورد . انهم مقلقون ولكن لا [illegible]شي منهم أذى . لدينا تعليمات بأن نتركهم [illegible] » .

[illegible] سوبي من صوته ، وتوقف عن [illegible] الجلبة [illegible] . أليس من شرطي يلقي عليه [illegible] ؟ [illegible]ت الجزيرة في مخيلته [illegible]

سيجارة عند ضوء متأرجح ، وقد وضع مظلته الحريرية عند مدخل الباب ، فاقترب سوبي من المدخل واختطف المظلة ، وسار بها في الشارع ببطء شديد . فتبعه الرجل صاحب السيجار مسرعا وصاح « مظلتي إنها لي »

أجاب سوبي بازدراء مضيفا تهمة الاهانة الى هذه السرقة الطريفة واستطرد :

ـ « لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ أنا أخذتها ! مظلتك ؟ لماذا لا تنادي على الشرطي ؟ هناك عند الزاوية يقف شرطي » .

وأبطأ صاحب المظلة في مشيته . وكذلك فعل سوبي وفي دخيلته شعور بأن الحظ سيخذله مرة أخرى . ونظر الشرطي الى الرجلين باستغراب . قال صاحب المظلة : « طبعا ـ هذه ـ حسنا : أنت تعرف كيف ترتكب مثل هذه الاخطاء ـ أنا ـ اذا كانت هذه مظلتك فأرجو المعذرة ـ كنت قد أخذتها هذا الصباح من أحد المطاعم ـ فاذا أيقنت أنها لك أرجو أن . . »

وقاطعه سوبي بشدة : « نعم انها لي » وتراجع صاحب المظلة . وأسرع الشرطي عبر الشارع ليقدم العون الى شقراء طويلة بلباس الاوبرا .

توجه سوبي شرقا في أحد الشوارع المحفورة لغرض الاصلاح ، وفي إحدى الحفر ألقى بالمظلة ، وتمتم بكلمات شتم فيها الرجال الذين يلبسون الخوذ ويحملون الهراوات . لقد بدا وكأنهم يقدرونه أعظم القدر كما لو كان ملكا مبرأ من العيب والخطأ ، هذا في الوقت الذي كان بأمس الحاجة لأن يلقوا عليه القبض .

وفي النهاية وصل سوبي الى أحد الشوارع شرقا ، حيث قد خفت الضوء والضجيج ، واتجه ببصره نحو ميدان ماديسون ، ذلك أن غريزة الاقامة والميل اليها يبقيان حتى لو كان البيت مجرد مقعد خشبي في حديقة .

وعند زاوية هادئة هدوءا غير عادي توقف سوبي توقفا تاما . هنا تنتصب أمامه كنيسة مخروطية الشكل من الطراز القديم . كان النور الخافت يشع من إحدى النوافذ ، حيث يمارس عازف الأرغن التدريب على نشيد الأحد القادم . لقد تسرب صوت موسيقى شجي الى أذنيه ، جعله يتسمر في مكانه متكئا على السياج ذي اللفائف المعدنية .

كان القمر من فوقه ساطعا قويا ووقورا . وكانت حركة المشاة ووسائط النقل قد قلت . والطيور التي على أغصانها كانت تزقزق ناعسة في السماء . ذلك أن هذا المنظر الذي أمامه ربما تحول بعد ساعات الى دور في فناء كنيسة . والنشيد الذي كان يعزفه عازف الأرغن هو الذي جعل سوبي يلتصق بالسياج المعدني ، لأنه سبق أن سمعه أيام كانت حياته تحتوي على أشياء كالأمهات والطموح والزهور والأصدقاء والأفكار النقية .

ان الرابط بين حالته الذهنية المتفتحة والمؤثرات التي أحاطت بالكنيسة القديمة صنعت تحولا مفاجئا ومدهشا في نفسه . لقد اتضحت أمام بصيرته وبسرعة رهيبة الهوة السحيقة التي وقع فيها ، والأيام التعسة التي يحياها ، والرغبات التافهة والآمال المريضة والقدرات المحطمة والدوافع الدنيئة التي كان يقوم عليها وجوده .

لقد تفتح قلبه واستجاب لهذا النمط الجديد من التفكير . هكذا تحركت في نفسه دوافع سريعة مفاجئة وقوية ، ليعلن الحرب على حظه التعس . سوف ينتشل ذاته من الوحل . سوف يقهر الشيطان الذي إستوطن روحه . وفي عمره متسع لذلك . فهو ما زال شابا الى حد ماسيبعث طموحاته من جديد وسيسعى الى تحقيقها دون تردد . لقد زرعت نغمات الارغن الهادئة العذبة بذور الثورة في نفسه . وغداً سوف يذهب الى المدينة الصاخبة الحافلة بالحياة ليبحث عن عمل .

كان أحد مستوردي الفراء قد عرض عليه ذات يوم أن يعمل سائقا . سيجدّ في البحث عنه غداً للحصول على تلك الوظيفة . لابد أن يكون شيئاً ما في هذا العالم .

ولسوف . . .

وأحس سوبي بيد تحط على كتفه . واستدار بسرعة ليجد نفسه وجها لوجه مع واحد من رجال الشرطة .

سأله الشرطي : « ماذا تفعل هنا » ؟

أجاب : لاشيء .

قال الشرطي : « اتبعني اذن » .

وفي اليوم الثاني قال قاضي محكمة الشرطة : « حكمت عليك المحكمة بالسجن ثلاثة أشهر تقضيها في الجزيرة »! □

رحلة الخراساني إلى الموت

بقلم : الدكتور محمد المنسي قنديل

كان أبو مسلم الخراساني سيف الدعوة العباسية البتار . وحين تم للعباسيين الانتصار ، رأى المنصور أن ثمن اكتمال الخلافة له لا يتم الا بمواجهة عنيفة ضد الخراساني .

وكان بين الاثنين بحر من المرارة والعداء . وهذه هي قصة اللقاء الاخير بين الخراساني والمنصور في « الرومية » ، تلك الخيمة التي شهدت مصرع الخراساني .

عندما حانت ساعة الرحيل قال له « ينزك » : ان كان لا بدمن ذهابك الى الخليفة فافعل شيئا واحدا ولا تفعل غيره . . اذا دخلت عليه فاقتله .

همس أبو مسلم في ذهول :

ـ أقتل الخليفة ! ؟

ـ والله ان لم تفعل فلن تخرج من عنده على قدميك . .

كأن ينزك كان يقرأ ذات نفسه . يرى روحه المتعبة القلقة التي تشعر بالخوف للمرة الاولى ، وتوشك أن تقوده الى الانتحار . كان أبو مسلم قد خاض عشرات المعارك وقتل آلاف الناس ، وكان يؤمن أنه لا يوجد سوط للعقاب الا السيف ، ولا يوجد سجن غير القبر . فهل يجرؤ على رفع سيفه في وجه الخليفة أبي جعفر المنصور ؟ . .

الكلمات العذبة . . الفخ الأول . .

كيف استدار الزمن هذه الدورة . . وتحول أخلص القواد الى فأر مذعور يراد له أن يساق الى المصيدة . منذ أن حضر رسول الخليفة اليه وهو عاجز عن النوم . وعاجز عن اتخاذ القرار . . قبل ذلك كان يعتقد أنه قادر على مغالبة الدنيا كلها .

في البداية تحدث إليه الرسول بكلمات لينة عذبة . . ولكن أبا مسلم كان قد رأى ما يكفي من الدماء حتى لا تخدعه بلاغة الكلمات .

. . وهتف بالرسول :

ـ ارجع الى صاحبك فلست أريد لقاءه . .

وقال الرسول حميد في هدوء :

ـ أو قد عزمت على مخالفته . . ؟ لا تفعل .

كانت هناك رسالة أخرى أبقاها الرسول حتى اللحظة الأخيرة . . حتى لحظة اليأس من الموافقة الطائعة لأبي مسلم . . قال :

ـ فان الخليفة يبلغك أنه بريء من محمد ان أبيت أن تأتي اليه أو عصيته .

ولن يألو في طلبك وقتالك بنفسه ، ولو خضت البحر لخاضه ، ولو اقتحمت النار لاقتحمها حتى يقتلك بك . . أو يموت دون ذلك .

ووجم أبو مسلم . كانت هذه هي المرة الاولى التي يتلقى فيها تهديدا بهذه الحدة . وهمس :

ـ هو بنفسه . . قال لك هذه الكلمات . ؟

وأومأ حميد في صمت وانصرف . . تاركا أبا مسلم في حالة غريبة . . وظل طوال الليل يفكر في حدة هذه الكلمات ، ويقارنها بعذوبة كلمات الرسالة الأولى . . ويحاول أن يجد لنفسه بينهما مخرجا . تذكر المرات التي تقابل فيها مع الخليفة أبي جعفر المنصور . . كما تتقابل النصال .

في كل مرة يتولد جرح جديد لا يصيب مقتله . فهل حان وقت الاجهاز . . ؟

النبوءات الغامضة . . الفخ الثاني

بدأ الرحيل عن خراسان في قافلة طويلة محملة بالهدايا لعل الخليفة يرضى . محفوفة بالفرسان لعله يرتدع . . وأبو مسلم في المقدمة صامت الوجه . . يردد في داخله بيتا من الشعر . .

ما للرجال مع القضاء محالة
ذهب القضاء بحيلة الأقوام . .

وكان الطريق الى مدينة الري طويلا . وأحاط به فرسانه فأحس ببعض الأمان . وأراد أن يطمئن نفسه أكثر ، فأخذ يتذكر كل انتصاراته السابقة . كان يمر بكل القرى التي غزاها . . والمدن التي اقتنصها من أيدي ولاة بني أمية . كان ما يزال شابا صغيرا عندما قابل الامام العباسي ابراهيم بن محمد وكانت الدعوة سرية أشبه بحلم غامض من أحلام الخلاص . ومنذ المقابلة الأولى اكتشف الامام الشخصية الطاغية لهذا الفتى وجعله يحتل مركزا هاما في الدعوة وهتف به الوفود :

ـ أبو مسلم منا نحن آل العباس . أطيعوه . تطيعونا . .

وبدأت رحلته الفريدة تحت الراية السوداء . يظهر ويختبيء ، ويستغل ثغرات بني أمية وخلافاتهم ، وجشع الولاة ، وتوق الناس للتغيير . وأصبحت فارس عجينة طيعة في يديه يشكلها كما يشاء ، ولا يراجعه فيها أحد . وقتل الخليفة الأموي مروان بن محمد الامام وتولى بعده أبو العباس ، ثم ظهر أبو جعفر المنصور . . وتغير كل شيء . .

في الظهيرة توقفت القافلة للراحة ، وجاء أحد العرافين الى خيمة أبي مسلم . قالوا له ان هذا العراف ماهر في التنبؤ بالمستقبل ، فسأله في سخرية مريرة :

ـ هل يمكن أن تخبرني أين سأموت ؟ . .

نظر العراف اليه بعينيه النافذتين ثم قال في تأكيد :

ـ تموت في بلاد الروم . .

وضحك أبو مسلم في انشراح . كان من المقرر أن يتقابل مع الخليفة في المدائن . . وهمس كأنه يحدث نفسه :

ـ ما أبعد المدائن عن أرض الروم . .

وأعطاه عطاء جزيلا رغم أنه لم يصدقه كثيرا .

في خراسان تقابلا للمرة الأولى بعد أن سقطت دولة بني أمية ، وأعلن أبو العباس نفسه خليفة للمسلمين وأبا جعفر وليا للعهد . كان أبو جعفر طوال هذا الصراع الدامي معتكفا في قرية « الحميمة » يدرس الفقه والتفسير . وخرج فجأة من هذه العزلة لكي يتصدر الدولة . وقف في وجه القائد الذي نهضت هذه الدولة على حد سيفه في معقله بخراسان ، ليأخذ البيعة لاخيه ثم له من بعده . ثم أفضى بشكوكه حول تصرفات أبي سلمة ، داعيتهم الأول في فارس ، وصديق أبي مسلم ، عندما تباطأ في أخذ البيعة ، وتناثرت الأقوال الى أنه يميل للعلويين ، وأراد أبو مسلم أن يبين لهذا الفقيه الخارج من عمق الصحراء كيف يتصرف القائد الحازم عندما لا يأبه بعواطفه الشخصية ، فأسرع باستدعاء صديقه القديم ولم يسأله . ولم يترك له فرصة لتوضيح أي



شيء ، ولكن قتله على الفور أمام عيني الفقيه المذهول . . الذي هتف به لحظتها :

ـ حدثوني كثيرا عن شدتك . . لكنني لم أتصورها لهذه الدرجة .

وقال أبو مسلم في سخرية خفية :

ـ لو بحثنا عن فتوى لكل قتلة ما قامت الدولة .

كان مقدرا لهما أن يلتقيا للمرة الثانية في موسم الحج . كتب أبو مسلم يستأذن الخليفة أبا العباس في أن يخرج للحج . وكان يريد أن يكون هو قائد الموسم ، وأن يعطي لنفسه نوعا من الشرعية الدينية غير شرعية السيف . ولكن أبا جعفر كتب هو أيضا للخليفة . وأصبح أبو جعفر أميرا للحج ، ربما كان ذلك بفعل المصادفة ، وربما كان تدبيرا عباسيا محكما ، حتى لا يُعطى أبو مسلم أكثر مما أخذ ، ولكنه شعر بالغيظ الشديد . . وهتف وهو يلقي كتاب الخليفة :

أما وجد أبو مسلم عاما يحج فيه غير هذا . .

وسمح له الخليفة أن يخرج في رفقة خمسمائة من أتباعه ، فخرج في عشرة آلاف . كأنه أراد أن يؤكد من طرف خفي أن للقوة نفس سطوة الامارة . وسار في الصحراء يفتحها من جديد . أغمد سيفه وبسط يده ، فحفر الآبار ، وكسا الأعراب ، وأقام الموائد ، وأجزل العطايا ، ووصل الشعراء ، وترك أبا جعفر على الجانب الآخر قابعا في الظل ، يتأمل كل شيء ، ولا يغيب عن ذهنه شيء . لم يكن في هذه اللحظة

رجلا قويا يأتمر الرجال بأمره ولم يكن سخيا ، ولم يكن يحب الشعراء أو يميل لغناء الجواري . وكان يعتقد ان الآبار الموجودة في الصحراء كافية ، ولكن الشيء الذي تأكد له بعد هذه الرحلة انه لا أخوه على عرشه في بغداد ، ولا هو على امارة الحج يملكان شيئا بقدر ما يملك هذا الرجل .

وعندما انتهى الموسم واصل أبو مسلم لامبالاته به . كان يصر دائما على أن يتقدمه على الطريق ، وأن يتركه دائما خلفه ، يشرب من الماء العكر . وتأكل دوابه من بقايا العشب ، ويتأمل عبيده آثار الولائم ، ولكن في منتصف الطريق جاءت الانباء من بغداد بأن الخليفة قد مات .

وأصبح ذلك الفقيه المتأخر هو الخليفة . . وبدأت وفود الناس تبايعه ، ولكن أبا مسلم لم يرجع حتى يلقاه . ولم يتوقف حتى يلحق به . أرسل فقط رسالة باهتة يعزيه فيها بموت الخليفة ، ولا يهنئه بالخلافة . وللمرة الاولى ثار الفقيه الذي أصبح خليفة . أرسل له رسالة غليظة أن ينتظر في « الانبار » ولا يتزحزح خطوة واحدة حتى يأتي اليه . ورفع أبو مسلم حاجبيه في سخرية ، وجاء الخليفة اليه . أخذ بيعته وهو يشعر أنه محاصر بجنود لا يكنون له أي ولاء وأمرٌ من ذلك أن جروح القرابة القديمة بدأت في النزف مرة أخرى . فقد استيقظ أولاد العم من العلويين ، وبدأ زعيمهم عبد الله بن علي يطالب بالخلافة لنفسه . وكان من العسير على أي خليفة أن يبدأ عصره بمحاربة عمه . ومرة أخرى كانت الحاجة ملحة لأبي مسلم وجنوده من خراسان ، ولكنه قال في استخفاف :

ـ عبد الله بن علي أمره هين وجنوده قليلون ، وأمر الخوارج على أطراف خراسان أهم وأخطر .

كان كل منهما يفهم جيدا . لذا فقد أصرَّ الخليفة على ذهابه . ولم يجد أبو مسلم بدا من الذهاب . وهناك كان موعد آخر . كان مقدرا له أن يرى الشيء الذي زلزل حياته المليئة بالقسوة والدم ، والشيء الذي ملأه بالمرارة والشفقة والحزن والحنين . . كان مقدرا له أن يرى عيني أمينة بنت علي .

الحب المستحيل . . الفخ الثالث

على أبواب « الري » كان أشراف بني العباس في انتظاره ، في ثيابهم الرسمية . والرايات ترفرف فوق الاسوار . كانوا جميعا قد تركوا بغداد والبصرة والكوفة ، وهرعوا ليكونوا في انتظاره . . حتى الخليفة أيضا سار اليه حتى منتصف المسافة وجلس ينتظره في « المدائن » . . هل كان الامر يستحق كل هذا ؟

لم ينس الخليفة شيئا . . فبين أشراف بني العباس كان عيسى بن موسى خال الخليفة وصديق أبي مسلم . وسأله أبو مسلم في قلق .

ـ يا عيسى . . أترى الخليفة يغدر بي ؟ . .

قال عيسى في استنكار

ـ ما هذا . . أو قد غدر بأحد من قبل . . ! ؟ على أي حال لا تخش شيئا . . وسوف أكون معك في مجلسه . .

واطمأن أبو مسلم بعض الشيء . . وتناول الطعام لأول مرة منذ أن غادر خراسان . وأوى الى فراشه لعله يستطيع النوم . . استلقى وسيفه في خاصرته ، وغفا قليلا ، ولكنه استيقظ مفزوعا وأحد الحراس يخبره . . ان هناك امرأة تطلب رؤيته . .

امرأة . أهو فخ آخر . !؟ ظل جالسا حتى دخلت . . ورفعت النقاب عن وجهها . لا بد وأنه كان يحلم . كانت هي أمينة بنت علي . يالله !! كيف تداخلت الأزمنة . وتفتحت شقائق النعمان من الجروح القديمة ، وتحول السيف الى سنبلة ، ولحظة الخوف الى ارتعاشة من العشق . ظل مبهورا بدخولها المفاجيء حتى قالت :

ـ لم يبق لك الا بضعة فراسخ على الموت .

وأحنى أبو مسلم رأسه في مرارة وهو يقول :

ـ أنت أيضا تتمنين موتي ؟

قالت بصوت بارد :

ـ ليس وحدك . وددت لو كان موتكما معا . . أنت والخليفة .

ـ حسبت أنك آتية لتحذيري .

ـ هل ستقتله لو حذرتك ؟ كلا . . أنت لست سوى سيف . . والسيوف عمياء .

ـ لست أعمى . لقد أحببتك ، وأرسلت الى الخليفة أطلب الزواج بك .

ـ أتراه كان الحب ؟ أم كان الطموح القاتل يا أبا مسلم ؟

الخيمة الغريبة .. الفخ الأخير

في ظهيرة يوم مشرق صاف دخل أبو مسلم الخراساني « المدائن » من بوابتها الشرقية . وكانت المدينة كلها في انتظاره . الأعلام على الأسوار ، والزهور تفرش الطرقات . وكان أبو أيوب وزير الخليفة في انتظاره . أخذه بالأحضان وهو يهتف به :

ـ الخليفة في شوق غامر لاستقبالك

وقاده الى حيث يقيم ، لم ينزل في قصر من قصور المدائن . كان الفقيه الرابض في داخله ينزع عنه الراحة اذا أقام في قصور الأكاسرة . لذا فقد نصب خيمة ضخمة غريبة حمراء اللون متعددة الجوانب في وسط ساحة المدينة . وتوقف أبو مسلم مستغربا وهو يهتف :

ـ يالها من خيمة غريبة لم أر مثلها من قبل .

قال أبو أيوب :

ـ لقد صنعت خصيصا للخليفة في بلاد الروم .. لذلك فقد أطلق عليها « الرومية » ..

وخطا أبو مسلم خطوته الأولى فوق طنافس « الرومية » ووقف قادته وفرسانه في الخارج ، أحاطوا بالخيمة بصورة لا يخطىء أحد دلالتها . وكان أبو مسلم يجتاز الأروقة ، ويدوس فوق البسط الحمراء التي بدت كأنما أعدت خصيصا لاخفاء آثار الدم .

ثم وصلا الى حيث يقيم الخليفة .. حاول الحارس الواقف على الباب أن يأخذ سيفه منه فأبى ، وأشار أبو أيوب للحارس فتراجع . ودخل أبو مسلم . كانت يده تحت العباءة ممسكة بمقبض السيف ، والخليفة واقف في مواجهته . لا واجما ولا مبتسما . كانت تفصل بينهما مسافات طويلة من الحقد والمرارة ، ولم يكن أحد يدري كيف يمكن تخطيها ، وفكر أبو مسلم أنه لو خطا نحوه خطوة واحدة فسوف يقتله ، ولكن الخليفة لم يخط .. ابتسم .. ضغط على عضلات وجهه حتى ابتسم . وقال :

ـ لعلك متعب من سفرك الطويل . اذهب فأرح نفسك .. وادخل الحمام .. وسوف أراك في الغد ان شاء الله .

وانتهت المقابلة الاولى ببساطة آسرة . ووجد أبو مسلم نفسه يحني رأسه وهو يتنهد في ارتياح . وعبر كل الابسطة ، وخرج من « الرومية » حيث كانت الشمس وأصحابه في انتظاره . أحسوا جميعا فجأة أن الخليفة لن يقتل أبا مسلم .. لأنه غير قادر على قتله .

وفي الصباح الباكر توجه الوزير أبو أيوب الى خيمة الخليفة فوجده مستيقظا . عيناه محاطتان بالسواد وهتف به فور أن رآه .

يابن اللخناء . أنت منعتني أمس من قتله ، والله ما غمض لي الليلة جفن . وحاول أبو أيوب أن يبرر خطئه . كان يريد أن يكسر حلقة التوتر والتأهب حتى لا تحدث مأساة . ولكن الخليفة لم يكن يتصور أن أبا مسلم ما زال قائما على قدميه . يتساءل ، كيف ارتضى كل هذه السنوات أن يكون نصف خليفة بنصف بيعة .. وصرخ في الوزير :

ـ هيا ، ادع لي رئيس الحرس عثمان بن نهيك .

وحضر رئيس الحرس . كان رجلا ضخما يليق بمنصبه . وسأله الخليفة :

ـ كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ ..

قال في حماس :

ـ انما أنا عبدك ، والله لو أمرتني أن أتكىء على هذا السيف حتى يخرج من بطني لفعلت .

قال أبو جعفر وهو يتأمل وجهه في امعان :

ـ كيف أنت اذا أمرتك بقتل ابي مسلم .

ووجم عثمان . تبخر حماسه وغرق في الصمت ، وحين رأى ملامح الغضب قد تجمعت على وجه الخليفة قال في صوت ضعيف :

ـ أقتله يا مولاي .

وصاح الخليفة في غيظ :

لو لم تقتله لقتلتك ، هيا ، اذهب وأتني بأربعة حراس أشداء .

وعندما خرج أبو مسلم من منزله في أول الصباح كان كل شيء قد تم . كان نصف جنوده سكارى ، والنصف الثاني قبض ما يكفي من الدنانير . وكان بعض الذين يسيرون خلفه . يسيرون فقط حفاظا للهيبة . وكانت عيون الخليفة ترصد كل خطواته . تبعوه حتى دخل منزل عيسى بن موسى .. وظل جالسا معه ، وبعد فترة جاء أحد أتباع الخليفة يقول له :

ـ اذا أردت أمير المؤمنين خاليا فعجل ، لأن وفود فارس على وشك القدوم اليه . وطلب أبو مسلم من ابن موسى أن يذهب معه فاستمهله حتى ينهض

ويتوضأ . ولكنه غاب طويلا وظل التابع يلح ، وكأن أبا مسلم كان مغيبا . نهض وسار معه . وسار القادة خلفهما ، وبدأ أبو مسلم رحلته الثانية داخل « الرومية » ، ووقف القادة في الخارج وأخذ الخدم يحولون الفرش والوسائد بين الأروقة كأنهم يهيئون لمجلس طويل . وخرج أبو أيوب ليقول للقادة في هدوء :

ان الأمير أبا مسلم يريد أن يقيل عند الخليفة ، ويطلب منكم الانصراف ، وكان الخدم لا يزالون يواصلون النقل . وصدق القادة ما يرونه ، وكان الخليفة قد أعد لهم مكانا مريحا وهدايا جديدة . وبدت الامور صافية بالغة الهدوء ، كالسماء التي تغطي المدينة ، وفي الداخل كان الخليفة يبتسم ويتحدث في بساطة عن أشياء عديدة متفرقة .

وبعد برهة ، قال الخليفة بصورة طبيعية :

ـ سمعت عن سيفين أصبتهما من متاع عبد الله بن علي . أهذا السيف أحدهما ؟

وأومأ أبو مسلم موافقا . وفتح الخليفة كفيه يطلبه . وتردد أبو مسلم وهتف الخليفة :

ـ أرنيه .

ولم يكن هناك بد من أن يخلعه ويناوله اياه . وتأمل أبو جعفر صفحته الناصعة ثم وضعه تحت فراشه وهو يتمتم :

ـ هذا سيف عباسي . . لا سيف مسلمي .

وتبعته عينا أبي مسلم في قلق . أحس أنه قد وثق في الخليفة أكثر مما ينبغي . وقبل أن يقوم بأي خطوة كان الخليفة قد بدأ معه حسابه العسير البارد :

ـ اخبرني عن كتابك الى أبي العباس تنهاه فيه عن أخذ الأرض الموات .

أردت أن تعلمنا الدين . . !

قال أبو مسلم وهو يحاول الافلات من استفزاز الخليفة :

ـ ظننت أن أخذها لا يحل ، فلما أتاني كتابه علمت أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم .

ـ وكيف كان ظنك حين تقدمتني في طريق الحج .

ـ كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس .

ـ فماذا حين أتاك الخبر بموت أبي العباس ، ومع ذلك مضيت فلا أنت أقمت حتى نلحق بك ، ولا أنت رجعت الينا . .

ـ منعني منه ما ذكرت من ازدحام الناس ، فقد تأتي الكوفة فليس عندي لأمير المؤمنين خلاف .

فجارية عبد الله بن علي أردت أن تتخذها لنفسك . .

لا . . ولكني خفت أن تضيع ، فحملتها في قبة ووكلت من يحرسها ، وصرخ الخليفة في غيظ وقد زادت حجج أبي مسلم من غضبه :

وعصيانك لي ؟ وخروجك الى خراسان ؟ ومنعك رسلي من احصاء الغنائم ؟ وقتلك أبي سلمة . . ؟ وتحريضك على الغدر بابن هبيرة ؟وتغيير نسبك حتى تنتسب لآل العباس ؟ ومحاولتك الزواج من عمتي أمينة . . ؟ كل هذا . . وغيره . . هل عندك حجج أخرى . . ؟

وهتف أبو مسلم :

لا يقال لي هذا بعد بلائي في دولتك .

ونهض الخليفة صائحا :

ـ يابن الخبيثة لو بعثنا مكانك أمة سوداء لقامت بما قمت . انما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا ، ولو كان ذلك اليك لبقيت عاجزا ما أصبت فتيلا .

وصفق بيده فاقتحم الحرس المكان ، وحاصروا أبا مسلم الذي أدرك كل شيء . ورفع عثمان بن نهيك يده بالسيف ، ولكنه ارتعد حين لمح بريق عيني أبي مسلم . وهبطت الضربة خفيفة فلم تصب الا حمالة سيفه . وهتف أبو مسلم :

ـ يا أمير المؤمنين . . استبقني لعدوك .

فصرخ الخليفة :

ـ لا أبقاني الله اذن ، أي عدو لي أعدى منك . . ؟ . . اضربوه قطع الله أيديكم .

وهوى الحارس الأول على ذراعه . . والثاني على ساقه . . والثالث على خاصرته . . والرابع على رقبته . . وتعالت دقات الدفوف من الخارج تغطي على كل الصرخات ، وتشربت الأبسطة الحمراء كل ما سال عليها من الدماء وانتفض الجسد الذبيح الانتفاضة الاخيرة . ثم هدأ كل شيء . وهدأ الخليفة أيضا . . وكف عن الارتعاد ، وجلس ساكنا على العرش ، ولف الحرس الجسد الدامي في الابسطة ، ودخل أبو أيوب وانحنى أمام الخليفة وهو يقول :

الآن يا مولاي . . اكتملت خلافتك . □

البيت العربي

قسم خاص

مجلة الأسرة والمجتمع

هموم المنزل
بين الزوج
والزوجة

الغيرة
وحش
بعيون
خضراء

رسالة باريس

عطور باريسية

بقلم : الدكتور نبيل شعبان

هل صحيح أن المرأة الفرنسية هي نموذج التألق والجمال ؟ وأن الرجل هو نموذج الأناقة ؟ التلفزيون الفرنسي ـ شاهد من أهلها ـ يقدم اجابة عن هذا السؤال في برنامج أذاعه عن نظافة أبناء عاصمة النور والجمال ! .

لا ندري ما هو مفهوم النظافة لدى الفرنسيين . هل النظافة تخص كل المجتمع أو أنها شيء مقتصر على البعض فقط ، وهذا البعض منهم ، هل هو ميسور الحال أو من فقراء القوم ؟ وهل النظافة لديهم مرتبطة بالحالة الاجتماعية والاقتصادية ؟ وهل يعتقد بأن النظافة أمر يجوز ويجب تنفيذه أو يمكن أن نضعها في جدول نأتي اليها أحيانا وننساها أحيانا أخرى ؟ كل هذه الاسئلة وغيرها خطرت على بالي عند مشاهدتي لبرنامج في التلفزيون الفرنسي بالقناة الثانية وعنوانه (الفرنسيون ، هل هم غير نظفاء ؟) مقدم البرنامج يقول بأن هذا الاعتقاد موجود فعلا ولكن كل فرنسي يرمي التهمة على مواطن آخر ويبعدها عن نفسه .

وللوصول الى الحقيقة إختط معدو البرنامج أساليب متعددة منها الاستبيان السري والمقابلة والاحصاء . وتبين من خلال هذا كله، كبر المأساة ومدى عدم نظافة الناس في بلد أوروبي في نهاية القرن العشرين . وموجز ما أورده البرنامج هو أنه في المعدل يستعمل الفرنسي صابونتين في كل عام ، ويستهلك فرشاة أسنان كل عامين وأن ٢٠٪ من السكان لا يستبدل ملابسه الداخلية الا أحيانا ، وثلث الفرنسيين لا يغسل يديه أكثر من مرة واحدة في اليوم الواحد . وأن ٣٨٪ من النساء و ٢٢٪ من الرجال فقط يهتم بنظافته اليومية ، وأن ٩٠٪ من السكان لا يستحم أكثر من مرة واحدة أسبوعيا ، علما بأن ٩٢٪ من المساكن مجهزة بحمام واحد على الاقل ، وأن معدل ما يقضيه الفرنسي داخل هذا الحمام يصل الى ١٥ دقيقة يوميا . ويستفسر مقدم البرنامج عما يفعله الفرد هناك خلال كل تلك الفترة . وقد يكون الجواب عن استفساره هذا واضحا عند معرفتنا بأن الفرنسيين ينفقون على العطور وموانع الرائحة مبلغا يزيد على ١٣ مليار فرنك سنويا .



جنون اقتناء الحيوانات



نظافة عاصمة النور والجمال . أو نظافة الظاهر .

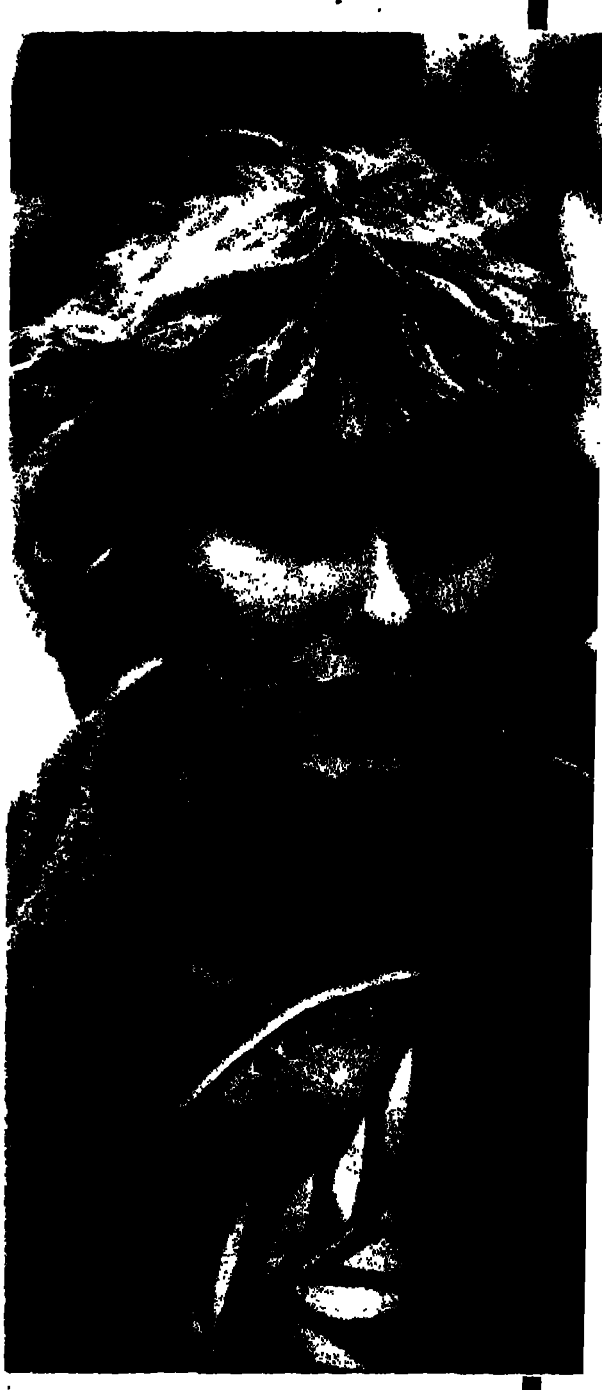
تصور عزيزي القارىء بأن كل فرنسي ينفق مبلغا يصل الى ٢٦٠ فرنكا سنويا لتغطية روائح جسده وعرقه بينما لا ينفق أكثر من ٨ فرنكات سنويا على ما ينظفه فعلا ألا وهو الماء والصابون . وشاهدنا في البرنامج نفسه مقابلة مع ثلاث سيدات احداهن تعمل في الاسعاف والطب ، والثانية تعمل بائعة ملابس ، والثالثة تعمل في تقليم الاظافر في (صالون تجميل) .

ان ما أوردته الطبيبة عن قذارة أجساد مرضاها وملابسهم قديعتقد بأنه مبالغ فيه أو قد لا يصدق اطلاقا ، وبائعة الملابس كانت تشكو من الرائحة النتنة عندما تضطر للاقتراب من زبائنها عند تجربتهم الملابس الجديدة فتبتعد مسرعة عنهم ، أما عاملة صالون التجميل فقد ذكرت بأن عملاءها في غالبيتهم نظفاء لأنهم يأتون بعد أخذ موعد مسبق فتكون أرجلهم قد غسلت .

ولكن البرنامج المذكور لم يتطرق الى شكل آخر من أشكال إغفال النظافة ، وهذه المرة ليست نظافة الاجسام وانما نظافة البيئة والمحيط ، وهذا ما يقوم به الفرنسيون بوساطة كلابهم المدللة التي يزيد عددها على ثمانية ملايين ونصف مليون كلب منها ٥٠٠,٠٠٠ كلب في باريس نفسها (كل أسرة تقريبا تملك كلبا في باريس ، ولكن ليس بالتأكيد لكل أسرة طفل) . هذه الكلاب الباريسية ترمي ٥٠ طنا




رغم جمال المنظر الا أن بقايا الطيور تزعج المسئولين عن النظافة


ليست قضية نظافة داخلية بل تعدى الامر الى تعمد التشويه باللون والرسم . لقد راح زمان الاناقة وجاء زمن الجنون .

من الفضلات الصلبة و٢٠٠,٠٠٠ لتر من الفضلات السائلة على حدائق وأروقة وأرصفة باريس يوميا مما يؤدي الى تلوث المكان والهواء ، ويسبب احراجا وازعاجا للآخرين . المشكلة ليست خافية على أحد ، وهي ليست خافية على من لا يملك كلبا أو على الزائر الأجنبي وسواه من السائحين . ومن هنا بدأ البحث عن حل . بلدية باريس مثلا ، خططت أرصفة الشوارع ورسمت في أمكنة مختلفة منها صورة كلب ، وهذا المكان يكون عادة عند مصب مياه تنظيف الشوارع (باريس مجهزة بشبكة أنابيب تحت حافة أرصفة الشوارع تفتح يوميا لتنظيف ما يتراكم عند حافات الشوارع من أوساخ) ودعت أصحاب الكلاب الى أين يصطحبوا كلابهم الى تلك المواقع

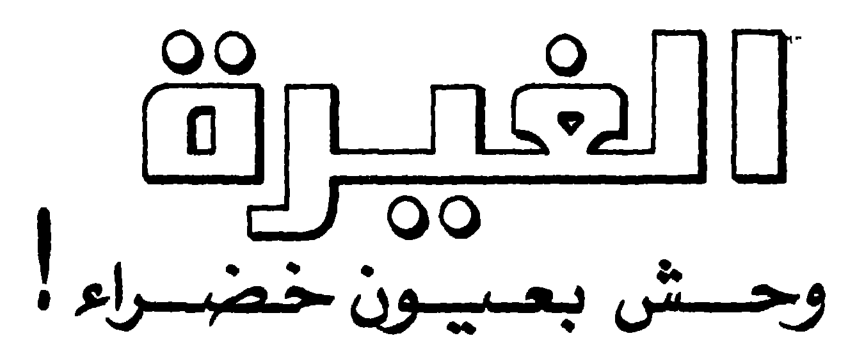


على رصيف الطريق جلسا ... أحدهم يصبغ الالوان والاخر سعيد وفي النهاية يدفع أجرا .

المخططة لقضاء حاجتهم بدلا من قضائها على قارعة الرصيف . ومقترح آخر دعا الى فرض غرامات مادية على كل صاحب كلب يـتـرك له العنان لتوسيخ المدينة ، وذلك أسوة بمدينة نيويورك حيث الغـرامة تصل الى ١٠٠ دولار . وقد دعا أحدث اقتراح الى بناء مرافق صحية خاصة بالكلاب في أنحاء مختلفة من الشوارع والساحات تتصرف من خلالها فضلات تلك الحيوانات الى المجاري العامة . وحتى هذه اللحظة لم تصل مدينة باريس الى الحل الأمثل ، علما بأنها قد حصصت دراجات بخارية ذات خزانات ، تسير على الارصفـة لسحب تلك الفضـلات تنفيـذا لأحـد المقترحات .

هذا ـ عزيزي القارىء ـ جزء من همومهم ، وقد لا تكـون تلك الهموم مقتصـرة على الفـرنسي فقط ولكنها شائعة في عالم الغرب . وعجبا لها من هموم وعجبا لها من حلول للتغلب عليها . اذ لم أجد من يقترح أن يقلل الناس هنا من نفقاتهم على شراء علب طعام للكلاب ، والاكتفاء باطعامها مما يتركه الانسان على مائدته ، وأن يرسل الوفر المادي (وهو حتما بالملايين) الى الجائعين من بني البشر ، أو يعطى لتحسين حالة العاطلين عن العمل عندهم . .

نـظافة الجسـد أو المسكن أو المدينـة أمـر يتعلق بأخلاق الناس وأعرافهم وتاريخهم وتربيتهم . ولكن هل تعلم بأن قصور الفرنسيين ومنها قصـر فرسـاي الشهير لم يكن يحتوي على مرافق صحية ، فيا ترى هل كانت تكفي العطور البـاريسية ؟ □



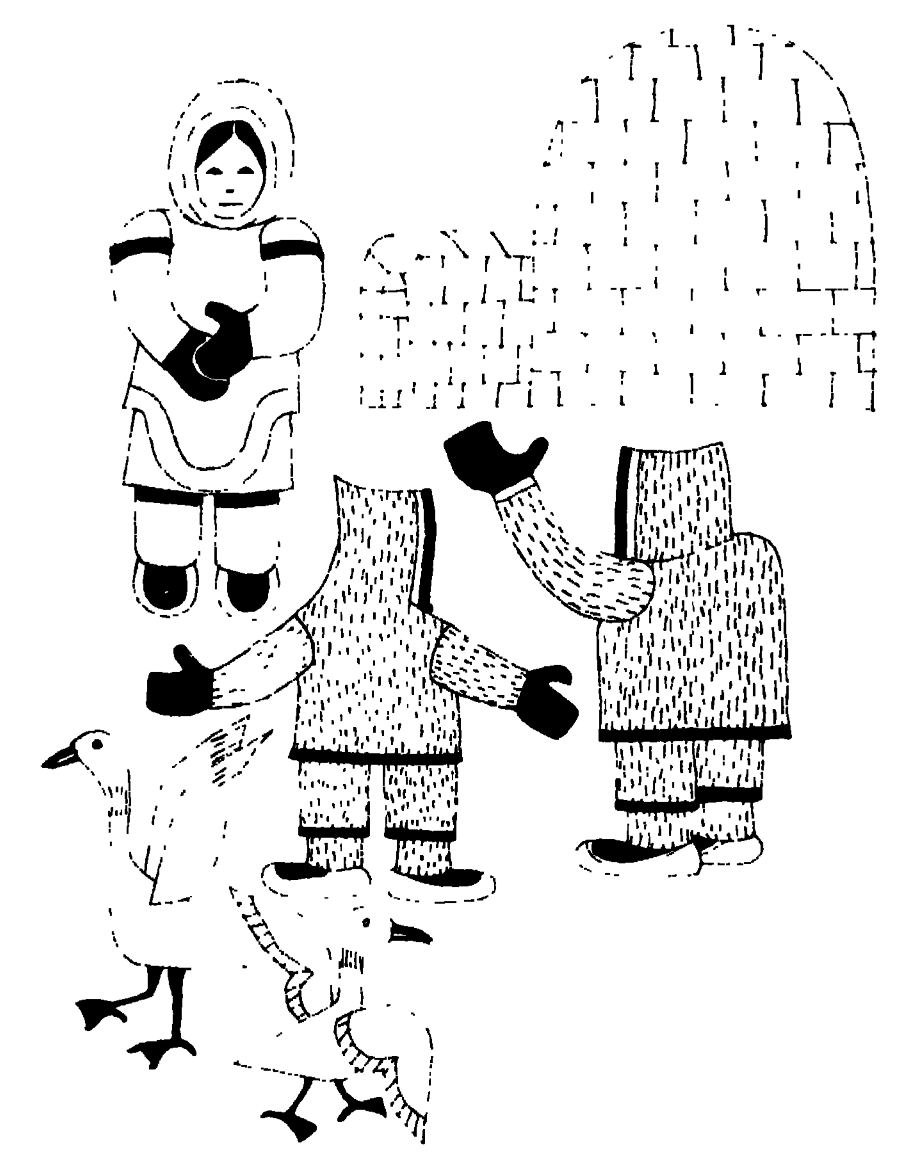
بقلم : راجي عنايت

« كلنا قد انتابنا في وقت من أوقات حياتنا الاحساس بالغيرة ، ومنا من تخلص من هذا الاحساس والبعض لم يزل ، واذا كنت ترغب في الخلاص من هذا الوحش الرابض في أعماقك فاقرأ هذا المقال بعناية » .

يعتبر التآلف أرفع أنواع العلاقات البشرية ، وهو الهدف الأسمى في العلاقة الزوجية . والصخرة الراسخة التي يمكن أن تستقر عليها الحياة الزوجية السعيدة . والغيرة هي عامل قوي من عوامل هدم هذا التآلف وتخريبه ، وهي ظاهرة سلبية عامة ، لا تقتصر على مجتمع معين أو درجة معينة من التطور الحضاري . ومن أهم اشتراطات تواصل الحياة الزوجية السليمة ، أن يعرف الزوجان كيف يواجهان مشاعر الغيرة ، وكيف يعملان على تحويلها الى طاقة ايجابية تدعم حياتهما الزوجية السعيدة .

وقد أطلق الشاعر وليم شكسبير على الغيرة تعبير « الوحش ذو العيون الخضراء » ، وهو بهذا يشير الى ما يبديه البعض من تقبل لمشاعر الغيرة باعتبارها مؤشرا من مؤشرات الحب العميق ، رغم ما تحمله من تخريب لذلك الحب العميق . أما الشاعر ميلتون فيطلق على الغيرة تعبير « جحيم المحبين المجروحين » . . وهذه التعبيرات ، رغم ما مر من سنوات على اطلاقها ، ما زالت لها نفس القوة والمصداقية .

ويقول علماء الأجتماع أنهم فشلوا في العثور على مجتمع يخلو تماما من الغيرة . لكنهم وجدوا أن ما يثير الغيرة في مجتمع ما ، يختلف تماما عما يثيرها في مجتمع آخر . على سبيل المثال ، يقول العالم النفسي رالف هوبكا ، من ولاية كاليفورنيا ، بالولايات المتحدة الامريكية ، ان الزوج من قبائل يورك الهندية بكاليفورنيا ، كان في القرن التاسع عشر يدخل في عراك حقيقي مع أي رجل يتجاسر على طلب كوب ماء من زوجته . أما الزوج من قبائل الاسكيمو المعروفة باسم « اما ساليك » فيصل به الأمر الى حد السماح للضيف بالاتصال بزوجته ، شريطة أن يعطي هو الاشارة التي تفيد قبوله لهذا . ومع ذلك فهو يثور ، ويصل به الامر أحيانا الى قتل الرجل الآخر ، اذا قام بهذا الاتصال دون اذن منه .



بين التحدي والالتصاق

وفي المجتمعات الحديثة ، غالبا ما ينظر الى الغيرة باعتبارها مقياس الحب . خاصة اذا ما كانت هذه المجتمعات تتبنى فلسفة رومانتيكية بالنسبة للحب والزواج . ومن الملاحظ أن المجتمع الذي يعطي وزنا كبيرا لقيمة التملك والملكية الخاصة ، يصبح فيه الناس أكثر رغبة في تملك الأشياء والبشر معا . . ولذلك فمن بين الأشياء التي تشجع على الغيرة ، اعتبار الزوجة عنصرا من عناصر ملكية الزوج . وفي كتابهما عن « الغيرة » يتحدث جوردون كلانتون ولين سميث عن تباين احساس الرجل والمرأة بالغيرة ، في المجتمع الامريكي المعاصر ، فيقولان :

يميل الرجال ، أكثر من النساء ، الى انكار احساسهم بالغيرة ، بينما تميل النساء الى التصريح بمشاعرهن والاعتراف بغيرتهن الرجال يعمدون في التعبير عن غيرتهم الى العنف ، والى القتل أحيانا . وتكون مثل هذه الانفجارات متبوعة بحالة من اليأس والقنوط في أغلب الاحيان .

والرجال عندما يغارون يركزون على النشاط الجنسي والحسي للمرأة ، وهم غالبا ما يطالبون المرأة بسرد كامل لكل التفاصيل الدقيقة لما جرى . أما النساء الغيورات فيملن أكثر الى التركيز على التورط العاطفي لأزواجهن مع نساء أخريات .

غلطة في الموضوع

ويورد الكاتب روثرغان قصة طريفة نشرتها الصحف تحت عنوان « صدقيني يا حبيبتي . . هناك غلطة في الموضوع ! » وهو يعتمد على وقائع تلك القصة الواقعية للتدليل على أن مشاعر الغيرة عند الرجل والمرأة تظهر بعدة أشكال .

تبدأ القصة كالتالي : ساد الاندهاش مئات الأزواج والزوجات ، عندما وجدوا أنفسهم مطالبين بأن يقدموا التفسيرات لشركاء حياتهم ، بعد أن وصلتهم الخطابات التي أرسلتها مؤسسة العقول الالكترونية ، التي تتولى الاتصال البريدي نيابة عن العديد من المؤسسات التجارية والمالية . كان الخطاب يشكر الزوج أو الزوجة ، على اختياره أو اختيارها فندقا معينا يقع على أطراف المدينة للاقامة به في الشهر القادم ، ويتمنى أن يحظى منه أو منها بزيارة قادمة سعيدة .

فقد اعتاد فندق اكسفورد بمدينة شيكاغو أن يرسل الى مؤسسة العقل الالكتروني البيانات الخاصة بمن أقاموا فيه كل شهر . على أن تتولى المؤسسة ارسال خطابات الشكر للنزلاء نيابة عن الفندق ، وتتمنى لهم اقامة بالفندق كشكل من أشكال الدعاية والتنشيط ، وتوطيد الصلة مع الزبائن . وقد حدث الخطأ في مؤسسة العقل الالكتروني حيث استبدل الشريط الخاص بأسماء وعناوين نزلاء الفندق ، بأسماء وعناوين أحد المتاجر الكبيرة .

هكذا تلقى أربعة آلاف شخص من سكان المدينة وضواحيها . ذلك الخطاب الرقيق الذي يشكرهم على اقامة لم يقوموا بها في الفندق . . !

ما أن وصلت هذه الخطابات ، حتى بدأت أجراس تليفونات الفندق في الرنين بشكل متواصل . وخلال ساعات تلقى الفندق ٥٠٠ مكالمة من الأزواج والزوجات الذين استولى عليهم الشك في أن شركاء حياتهم قاموا بمغامرة عاطفية ، خلال اقامتهم السرية في ذلك الفندق .

يقول مدير الفندق ان احدى السيدات اللاتي تلقين الخطاب ، وهي أم لثلاثة وحامل في الرابع . اتصلت بالفندق تقول ان زوجها ثار ثورة جنونية ، واتهمها أن الجنين الذي في أحشائها ليس ابنه . واتصلت أخرى وهي تبكي قائلة : « أرجوكم اشرحوا لزوجي الذي ركبته الغيرة ، انني لم أكن يوما من نزلاء فندقكم » . .

وقد أثارت ردود الفعل دهشة مدير الفندق ، فقد خاب أمل احدى السيدات عندما علمت أن الخطاب كان مجرد خطأ من العقل الالكتروني . وكانت هذه الزوجة قد اتخذت اجراءات الطلاق من زوجها . قالت آسفة لمدير الفندق : « كنت أطمع في استغلال الخطاب كمستند في قضية الطلاق » .

وكان تعليق مدير الفندق على ما جرى « يبدو أن من الأزواج والزوجات من لا يكنون الكثير من الثقة بشركاء حياتهم هذه الايام ! . . »

فنانة الخزف القادمة

وحقيقة الأمر ، أن كل رجل أو امرأة قد مارس في وقت ما من حياته الزوجية الاحساس بالغيرة ، وان اختلف مدى هذا الاحساس .

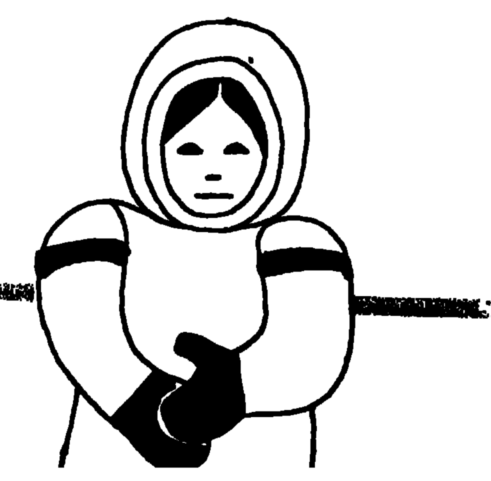
وبالنسبة لعدد كبير يتحول احساس الغيرة هذا ، الى ذلك الوحش ذي العيون الخضراء الذي تحدث عنه شكسبير . ولكن ما هو السبيل الى ترويض ذلك الوحش ؟

يقول خبراء علم النفس الاجتماعي أن الخطوة الأولى هي الاعتراف للطرف الآخر بمشاعر الغيرة .

والخطوة التالية ، هي بحث ما اذا كان الخطر الذي يشعر به الطرف الغيور ، حقيقيا ، أم من صنع خياله . وللتدليل على هذا ، ندرك واقعة حقيقية بطلتها سيدة في الثلاثين من عمرها وهي أم لطفلين . تعترف السيدة قائلة :

تعلمت من تجربتي الخاصة أن الغيرة ليست أكثر من ضياع لجانب من طاقاتنا . فمنذ عدة سنوات قال زوجي ، أستاذ الخزف ، ان فتاة من مدينة بعيدة ، كانت تراسله منذ زمن ، أرسلت اليه تطلب أن تأتي لتدرس فن الخزف على يديه . لم يكن لدي اعتراض على ذلك ، فقد كان لزوجي العديد من التلاميذ والتلميذات من صغار الفنانين ، لكني تساءلت : لماذا استمرت المراسلة بينهما لعدة شهور ؟ . . ولماذا كنت في ذلك الوقت أفتقد الأمان في علاقتنا ، وأمر بحالة تشبه الاكتئاب ، فقد قام خيالي بخلق سيناريو كامل لما سيحدث بين زوجي وهذه الفتاة عندما تصل . وأخذت أرسم للفتاة صورة ملكة من ملكات الاغراء اللاتي يظهرن على الشاشة . . الجسد والملابس والحركات . وكلما اقترب موعد وصول الفتاة كان توتري يتضاعف . وقد كدت أتجمد في مكاني عندما طلب مني زوجي التوجه معه الى محطة السكة الحديد لاحضار الفتاة الى البيت .

بالطبع ، لم أحاول أن أفصح لزوجي عن مخاوفي ، عندما طلب مني أن أصحبه لاحضار « صديقته الجديدة » . وقفت أنتظرها على رصيف القطار ، ثم ما لبثت أن ظهرت فتاة خجولة جدا ، تبدو في نفس الوقت على قدر كبير من المودة والرقة . نظرنا الى بعضنا نظرة طويلة ، ثم حدث كما لو كنا قد وقعنا في حب بعضنا من أول نظرة .



كانت اقامتها معنا ممتعة ، وأصبحت منذ ذلك اليوم صديقة ، بل أفضل صديقاتي ، وغالبا ما أضحك الآن كلما تذكرت الغيرة التي تملكتني ، أو الخوف المجهول الذي استولى على نفسي لعدة أسابيع . وتأكد لي أن عقل الانسان قد يتحول الى عدو له ، اذا ما ترك له العنان ، يعربد بدون ضابط .

الاحتمالات الستة

ورغم أن الحديث مع الطرف الآخر حول مشاعر الغيرة التي يشعر بها الانسان يأتي بنتائج طيبة في أغلب الأحيان ، الا أن الأمر يقتضي من الشخص أن يبدأ بالاجابة عن عدد من الاسئلة : ما الذي يتوقعه الطرفان بالضبط من بعضهما في المواقف المختلفة ؟ وما هي التصرفات التي تعتبر مقبولة في التعامل مع الجنس الآخر ؟ وما هي المحرمات والمحظورات ؟ ثم ما مدى القلق الذي يشعر به الشخص في هذه المرحلة ؟

أخصائي العلاج النفسي ، وصاحب الخبرة الخاصة في المشاكل النفسية والعائلية ، دكتور لاري كونستانتيني ، يضع قائمة تتضمن ستة احتمالات يمكن أن تثير الغيرة ، وأن تؤثر على علاقة الحب والتآلف وهي :

١ ـ فقدان الشخص لكرامته أو احترامه لذاته .

٢ ـ الاحساس بنقص في اشباع الاحتياجات البشرية (جنسية أو عقلية أو عاطفية . . الخ) .

٣ ـ نقص القدرة على التحكم في النفس ، وضعف العلاقة مع الطرف الآخر .

٤ ـ ضعف القدرة على التوقع ،وهبوط الثقة في الطرف الآخر وامكانية الاعتماد عليه .

٥ ـ نقص الاحساس بالخصوصية ، بالكيان الفردي ، وبالحدود الذاتية ونقص فرص الاختبار الخاص .

٦ ـ تناقص الزمن الذي يمضيه الشخص مع الطرف الآخر ، وضعف قنوات الاتصال به □





المشاركة في أعمال المنزل

هل يتقاسمها الزوج مع زوجته ؟

اعداد : وفاء طه ناجي

• مازال الرجل يرى أن مساعدة زوجته فى أعمال المنزل اهانة له وانتقاصا من قدرة ، ورغم أن هذا مفهوم خاطىء الا أن أحدا لم يتساءل لماذا ؟ وكيف يرضى الزوج لزوجته بما يكرهه لنفسه ؟

لم تعد المشاركة في عبء الحياة الزوجية .. منطقة ممنوعة ، فقد اقتربت منها وتناولتها أقلام كتاب وباحثين ، وتعرضت لها برامج اعلامية ضمن ارساء حق المرأة فى العمل ، ومنذ ذلك الحين ولاأحد يرى فى قضية المشاركة الا جانبها المادى وهو راتب الزوجة . وبين اجتهادات كثيرة حول هذا الأمر نسى الناس واغفلوا المعنى الحقيقى للمشاركة .. وهى الحياة داخل المنزل، ونحن نحاول أن نثير القضية مع أطرافها .. الزوجة والزوج والأم - التى تولت التربية والاعداد - وأساتذة الاجتماع .. لكى نحاول أن نخرج بتفسير لظاهرة المشاركة فى البيت العربى .

الزوجات أولا ..

تقول . . . وهى طبيبة شابة : ان أهم أسباب نجاح المرأة فى عملها هو دور الزوج فى مشاركتها الأعباء الملقاة على عاتقها اذ يتقبل عن طيب خاطر مساعدة زوجته فى أعمال البيت تقديرا منه لجهودها ، ومشاركتها فى الاحتياجات المالية للأسرة ، ولأننى زوجة لرجل ، يعتبر أن أدنى مساعدة فى شئون البيت هى اهانة له بكل المقاييس ، فاننى مازلت الهث وراء استكمال دراستى التخصصية ، وهى جزء لا يتجزأ من عملى كطبيبة ، وذلك بسبب ضيق الوقت ، فأنا

أغلب الأحيان أعجز عن التوفيق بين مسئولياتي نحو عملي ونحو بيتي وأبنائي .

وتقول احدى العاملات في حقل التدريس : الواقع أن معاناتي الحقيقية تنحصر في أن زوجي يتناقض مع نفسه كثيرا في أمور مسئوليات العناية بالبيت . والحكاية .. أننا بدأنا حياتنا الزوجية بعيدا عن الأهل .. أهلي وأهله ، ولم يكن زوجي يدخر وسعا في المساعدة في متطلبات البيت ، وكثيرا ماكان يشاركني في غسل الثياب وكيها ، أو في تحضير بعض وجبات الطعام الخفيفة ، وكان لذلك أثره في أن نستمتع معا بقضاء أوقات ممتعة خارج البيت ومع الأصدقاء ، دون معاناة أي منا من مشاعر الارهاق التي اختصت بها المرأة أمدا طويلا ، ولكن الأمر يتبدل تماما عندما يقوم بزيارتنا الأهل .. أهلي أو أهله .. لافرق فتنقلب شخصية زوجي تماما .. ويتلاشى اهتمامه بمتاعبي ، وبالتالي لايقوم بأي محاولة للتخفيف عني . بل يتكلم باستعلاء وبلهجة آمرة منفرة كأنما يقول لهم :

« انا هنا سيد البيت على طريقتكم ، وزيادة العبء على زوجتي لايعني ان اتخلى عن ذلك المفهوم » من هنا وجدتني أكره أهلي وأهله ، وأصبحت أجد في زيارتهم لنا معاناة مضاعفة ، فبالاضافة الى الأعمال الكثيرة في البيت على أن أتحمل نفسية زوجي المتعبة بسبب دوره المتناقض في علاقتنا .

أما السيدة د أ .. فتقول : بسبب طبيعة عملي في احدى الشركات أضطر الى العودة للشركة مرة أخرى بعد الظهر ، ولاينتهي دوامي قبل الثامنة مساء بينما يعود زوجي في الثانية ظهرا ، ونحن زوجان متفاهمان كثيرا ، وتقوم علاقتنا على التقدير والاحترام المتبادل ، وهو يبدي رغبة حقيقية في مساعدتي ، ولكن بعد التجربة تأكد لي أن انجازي لأعمال البيت على أية صورة أفضل من مساعداته .. انه يقلب الأشياء رأسا على عقب لأظل في النهاية اعاني الارهاق مع زوج « متفهم » .

وتقول السيدة س . ن ، وقد كانت تعمل في مهنة الصحافة :

مشكلتي الأساسية هي انصراف زوجي تماما عن شئون أبنائنا ، فعندما وصلت ابنتي الى المرحلة الثانوية ، وأصبح ابني مراهقا في الثانية عشرة من عمره تطلبت رعايتهما جهودا اضافية .. سواء في متابعة مستوى تحصيلهما العلمي واستذكارهما لدروسهما أو في حمايتهما من مخاطر تلك السن التي كثيرا ما تخلف آثارا سلبية على شخصيات الأبناء ، اذا لم تعالج بحكمة وتوجيه سليم حاولت كثيرا أن أوفق بين عملي ورعايتهم بعدما يئست من مشاركة أبيهما،لكني وتعبت ، وترك القلق الدائم بصماته على ملامحي ، وفي النهاية فضلت البقاء في البيت حرصا على مستقبلهما . والعجيب أن زوجي اعتبرني قد تخليت عن مشاركته في الانفاق على احتياجاتنا !!

أزواج وأمهات

انتهى كلام الزوجات .. فماذا يقول الأزواج ـ الطرف الثاني في العلاقة ـ ؟ وماذا تقول الأمهات وهن البعد الثالث اللاتي تولين مسئولية اعداد وتربية الأزواج
يقول محمود ..

في الواقع أن زوجتي تبالغ كثيرا .. عندما تقول أنني لا أساهم في أعباء البيت .. والحقيقة أنها ترفض مساعدتي . والحجة دائما واحدة "أنك تسبب خسائر أكبر من حجم المساعدة" ، وتنسى أن علاقتي بذلك النوع من الأعمال حديث جدا بالقياس الى خبرتها فيه منذ كانت في بيت أسرتها .. الزوج يحتاج وقتا حتى يقوم بعمل ترضى عنه زوجته .

أما ... فيقول : دفعتني زوجتي دفعا للتخلي عن مساعدتها ..رغم أنها لا تمل طوال الوقت من الشكوى من كثرة الأعباء عليها .

وتقول احدى الأمهات . . لدى ثلاثة أبناء صبى وفتاتان ، وانى اعترف بمساهمتى السلبية فى تربية ابنى . . فقد انصب اهتمامى طوال فترة طفولتهم على ضرورة أن تتعلم البنات كل فنون الطبخ وترتيب البيت بما فى ذلك فراش أخيهم وخزانة ملابسه ، وعندما كبر ابنى ، لم يكن يعرف كيف يلتزم بأبسط الأشياء ، مثل وضع ملابسه فى الخزانة ، وبعد زواج ابنتى كنت أقوم بأعباء البيت كلها وحدى .

أم أخرى . . . تقول : لاحظت ان ابنى لديه ميل لمساعدتى فى أعباء البيت . . وكثيرا ماكان يقوم بترتيب فراشه . وأحيانا كان يحضر الافطار لنا جيعا ، وتصورت فى لحظة أن مساهمته فى الأعمال المنزلية تعنى أنه سيصبح رجلا ضعيف الشخصية ، فأجبرته على ترك المهام المنزلية لأقوم بها أنا وأخته الصغيرة .

هذه النماذج موجودة بيننا . . وحكايات المعاناة لدى المرأة العاملة خصوصا الزوجة والأم كثيرة ومتباينة . فما هى الأسباب وراء احجام الرجل فى مجتمعنا العربي عن مشاركة زوجته فى أعباء البيت ، ومتى يتخلص الزوج من المفاهيم الموروثة التى انعكست آثارها على الأسرة بكاملها ؟ وكيف تفهم قضية المشاركة على وجهها الصحيح .

حول هذه الاسئلة يجيب الدكتور أحمد أبوزيد أستاذ الانثروبولوجيا محاولا تفسير الظاهرة فيقول :

« عندما تمارس المرأة العربية العمل بعد زواجها فلابد أن يتم ذلك عن طريق الاقتناع بينها وبين زوجها . فاذا كان الاقتناع كاملا بضرورة أن تعمل وتسهم فى الأعباء المالية للأسرة ، فلابد أن يكون هناك اقتناع بالتالي بمشاركة الرجل فى كل الأعباء الأخرى ، وهنا تبرز مشكلتنا التى تتدخل فيها عوامل عديدة ، على رأسها القيم الاجتماعية السائدة ، وبالتالى التنشئة الاجتماعية للفرد » .

المجتمع العربي مجتمع أبوى

ويستمر د . ابو زيد قائلا : « ان مجتمعنا مجتمع أبوى ، بمعنى أن السلطة تكون فى يد الرجل ، فله مكانة أعلى من مكانة الأنثى ، وعلى ذلك فان الصغير لايقوم بأي عمل من أعمال البيت ، ولايسهم بأدنى مساعدة كأن يرتب فراشه مثلا ، بل تكلف الاناث بالقيام بأعمال المنزل كلها ، فينشأ الولد على رفض المساعدة فى البيت ، بل ويأنف من تلك الأعمال التى تقوم بها أخته . والنتيجة أن كثيرا من الأزواج يقفون مكتوفى الايدى أمام الأعباء المتزايدة على المرأة فى البيت ، ونحو الأبناء ، بل ان هناك ازواجا يمثلون أعباء اضافية على زوجاتهم ، وللأسف أعرف الكثير من المثقفين الذين يريدون زوجة تسير وراءهم طوال الوقت . . فهم يلقون الورق وأعقاب السجائر فى غير أماكنها الصحيحة .

ويستطرد د . أحمد أبوزيد فى حديثه فيقول : « الحقيقة أن الأساس فى تحميل أعباء البيت على المرأة وحدها يأتى نتيجة أن أنظمة اجتماعية خلال مراحل معينة من التاريخ هى التى خلقت وضعا للمرأة أدنى من وضع الرجل ، بمعنى أن الظلم الواقع عليها ليس من قبل الرجل كرجل ، ولكنه من قبل المجتمع الذى لعب فيه الرجال الدور الأساسى فى كل شىء . وقد أثبتت الدراسات الانثروبولوجية ، دراسات ماقبل التاريخ ، أن النساء فى عصر الجماعية القبلية كن يتمتعن بمشاركة الرجال لهن ، وأن العشيرة التى كان يعمل جميع أفرادها رجالا ونساء كانت مجتمعا يعترف بمساعدة الرجل للمرأة عندما تزداد التزاماتها .

وينهى د . أحمد أبوزيد حديثه قائلا : « بعد كل ما سبق نجد أنه من الصعب تغيير اتجاهات الرجل بعد أن نشأ فى هذا الوضع الاجتماعى ، ولكن أمامنا فرصة واسعة من أجل أن نتدارك

ـلك في تربية أولادنا ، علينا أن نعلمهم أن المساهمة في أعمال البيت ليست عيبا أو اهانة . . واحكاما للحق فان هناك اتجاهاً حقيقياً للمشاركة من قبل الرجل في أعمال البيت ، وان كانت في اغلب الحالات ليست تطوعية ، كما أنها ليست مسألة اقتناع ، ولكنها ضرورة فرضتها ظروف عمل المرأة . ولاشك أن ذلك يبشر بأمل كبير .

تطوير القيم الاجتماعية

وحول امكانية تعديل القيم الاجتماعية السائدة يحدثنا د . يحيى الحداد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت فيقول :

« توزيع العمل بين المرأة والرجل في البيت وخارج البيت هو أساس التوازن الجديد الذى تقتضيه التطورات التى تشهدها مجتمعاتنا العربية ، بما أفرزته من زيادة في احتياجات الأسرة المادية ، وما اقتضته من اتاحة الفرصة لكافة الموارد البشرية ـ رجالا ونساء ـ لمواجهة تحديات التنمية واعداد الرجال والنساء وتأهيلهم للمشاركة المنتجة الفعالة . ان تطوير القيم بما يدفع الرجال الى تحمل مسئوليات أكبر في هذا الدور ، واعدادهم لتحمل المسئولية المشتركة في المنزل والعمل ، يتطلب جهودا مكثفة في المجالات التالية :

أولا : توجيه المناهج الدراسية بحيث تستهدف ثقافة مشتركة للابن والابنة ، بهدف تكوين الاتجاهات الايجابية بين كل من الجنسين ، باعتبارهما شريكين في الحياة . وتتضمن هذه الثقافة المشتركة توضيح مسئولية الجنسين في تطوير المجتمع المعاصر ، والمعرفة بقضايا التطور العلمى والتكنولوجي ،وتوضيح الاتجاهات السليمة نحو الأبوة المسئولة في تكوين الأسرة وتربية الأبناء .

ثانيا : تثقيف الابن والابنة في البيت والمدرسة



ووسائل الاعلام المختلفة ، لتفهم مسئولية الشريكين في تكوين الأسرة على قدم المساواة ، سواء كان ذلك بالنسبة لمسئوليات العمل في المنزل ورعاية الأبناء ، أو غير ذلك من أمور الأسرة التى تتطلب المشاركة بين الزوجين في اتخاذ القرارات .

ثالثا : أن يراعى الأباء والأمهات تنشئة أبنائهم ـ خاصة الذكور ـ على مفاهيم ترفض تفوق الذكر على الأنثى ، وما يترتب على ذلك من اختلاف وتمييز في التربية والمعاملة الأسرية .

ويستطرد د . يحيى فيقول :

« والحقيقة أن الاشكالية النسائية بالنسبة للرجل لم تطرح بعبارات جديدة الا منذ فترة قصيرة ، وذلك بفضل العلوم الطبيعية (الفسيولوجيا والبيولوجيا وعلم الوراثة) ، لان المرأة ظلت لفترة طويلة تعانى وضعا أقل ، نتيجة لطبيعتها الأنثوية والتزامها الطبيعي بوظيفة الأمومة بين وظائف أخرى ، من هنا تكونت أنظمة تفسير هذا الوضع بأنه يعنى أفضلية الرجل عليها » .

وماذا بعد . . ؟

تكلم أطراف العلاقة ، وسمعنا رأى العلم ، ولم يبق ما نقوله ، الا أنه ليس وردا ان نطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة بمفهوم يختلف عن قيم واخلاق مجتمعاتنا العربية التى يحددها ديننا الحنيف ، ولكن ما نطرحه للنقاش هو المشاركة في الحياة بين الزوجين ، هذه المشاركة التى يحث عليها الدين وتفرضها التطورات الاجتماعية المختلفة ، فقد كان رسول صلى الله عليه وسلم لايأنف من عمل شيء بيده ، وكان يعين زوجاته وقد وصفته زوجته السيدة عائشة (رضى الله عنها) بأنه كان في مهنة أهله كما روى عنه أنه كان يخصف نعله ويرتق ثوبه ، وهو القائل (عليه الصلاة والسلام)« خدمتك زوجتك صدقة » وكان أرحم الناس وأضحكهم في بيته فهل يستجيب الرجال . . ؟ ! □

هـو .... المشاركة

● كانت مفاجأة بالنسبة لي ، لم أنم ليلتها ولم أعرف للراحة طعما . كنا في زيارة عائلية ، وفوجئت بالعائلة الصديقة التي كنا في زيارتها تسأل زوجي عن آخر أخبار القضية التي أقامها ضد الشركة التي كان يعمل بها وأثناء طريق العودة سألته عن القضية ولماذا أقامها وما موقفه فيها ؟ الا أنه لم يجب بشيء وأخذ يردد بسعادة : من تدخل فيما لا يعنيه سمع مالا يرضيه . . »

ورغم أنني اعتدت هذا من زوجي دائما . الا أن هذه الحادثة البسيطة قد فجرت داخلي احاسيسي بعدم الرضا ، فمنذ اليوم الأول لزواجنا وحتى الأن وأنا لا اعرف عنه شيئا الا العموميات الشديدة ، مثل أنه ترك العمل في الشركة وانتقل الى شركة أخرى ، أو أنه قدم أوراقه للعمل بالحكومة . . حتى مواعيد عمله لا أعلمها على وجه الدقة . وبدءا من مواعيد عمله ، ومرورا بحقيقة دخله وراتبه ، وانتهاء بكل تفاصيل حياتنا ، يحرص زوجي على الا أعلم عنها شيئا ، وعندما أحاول أن أناقشه في



تصرفاته هذه ، ولماذا يخفي عني ما يجب أن أعرفه بوصفي شريكة حياته ورفيقته في تحمل المسئولية ، ينظر الى طويلا ثم يصدمني قائلا « اذا كان ينقصك شيء في حياتك أو كنت تفتقدين الراحة في أي شيء فقولي . . وأنا ألبيه لك » ويظل النقاش بيننا عقيما ، هو يرى أن الزوجة ليس من حقها أن تعرف شيئا عن حياة زوجها ، وأن دورها مجرد القيام بالاعباء المنزلية من طهي وتنظيف وترتيب ، حتى مصروف البيت يتولى هو تقديره ، ويقدم في أول كل شهر مبلغا ويطلب مني أن أدبر حياتي بهذا المبلغ من المال ، وأعترف أنني لم أكن اشكو أبدا من عجز الميزانية فقد كان تقديره دائما مصيبا الا أنني لا أعرف ماذا تبقى معه ؟ وأين تذهب نقوده ؟ . . وكل أحاديثنا في البيت لاتتعدى الثرثرة حول مسلسل في التلفزيون ، أو حادثة مثيرة قرأها في الجريدة ، أو أخبار الجيران ، أو دعابات وضحكات يخلقها هو ونضحك عليها . . ولكن خارج باب المنزل لا أعرف عنه شيئا ؟ حتى أسماء زملائه لا أعرفها . . وصديقاتي يعرفن وقائع يوم ... جهن في العمل . . بل منهم من يقول لي أخبار آخر فستان ، أو آخر خناقة بين زميلات وزملاء مع أزواجهن . . صحيح أننا لاأريد من زوجي كل هذه التفاصيل . . ولكن قليلا مع المعايشة والمشاركة له في همومه وآماله . . في عمله مع أصدقائه تكفي . . . أليس من حقي كزوجة أن أعرف ما يحيط به وأخفف عنه . . أم أنا مجرد دمية في البيت ؟ . .

هدى

هي...

علمني التاريخ

● قصة من التراث علمتني حكمة هامة في الحياة ،فقد خطفت امرأة طفلا من جارة لها ، وذهبت به الى القاضي .. كل تدعي أمومته ، فقال القاضي : لاحلّ الا أن أقطع الطفل قسمين ، لكل واحدة منكما قسم ، وعلى الفور وافقت الخاطفة في الوقت الذي جزعت فيه الأم ، فحكم القاضي للام بصحة الأمومة واسترداد الطفل .

منذ الصغر وأنا أدرس هذه القصة ، وأضحك من خيبة الخاطفة التي فضحتها عواطفها ، ومن جزع الأم الذي أظهر حنانها ، فلو كانت عاقلة عقلا فوق العاطفة لقالت للقاضي .. ما جدوى أن تقسم الطفل قسمين ، أنت تقتل الطفل وأنا أريده حيا لا ميتا ، وأنت تعاقب طفلا لاذنب له ، ولو كانت الأم أكثر عقلا ووعيا لقالت للقاضي :

عفوا يا سيدي القاضي أنت تحكم فيما لا تملك .. جئناك لتقرر من منا الأم فاسأل القرية التي كنا فيها ، والطرقات التي سرنا عليها ، أما أنا فسوف أقاتل من أجل طفلي ، أو اقتلني أنا ودعه فالأمومة فوق القانون . ولكن كلتا المرأتين لم تفعل هذا ولا ذاك .. كلتاهما أثبتت أن عواطفهما أقوى من عقلهما ، وأسبق في التفكير في رد الفعل ، وبعد ذلك ، ومع الزمن ، عرفت لماذا لا تكون المرأة قاضية ، انها قضية اختلاف نوعي وفروق فردية . ورغم هذه القناعة ، تأتي زوجتي وتريدني أن أقلب ميزان الكون وأغير مفاهيمي ، تريد أن أشركها في كل تفاصيل حياتي ، وأطلب منها المشورة ، وهي لن تدلي برأي صائب ـ وهذا ليس تعسفا مني تجاهها ـ ولكنه إحقاق لواقع ، فهي سوف تغلب العاطفة ، ولن تفصل وجدانها عن الموضوع ، ولن يكون تعلمها محايدا ، مثلما أتناول أنا مشكلة ما تواجهني حتى لو كنت أنا طرفا فيها . تريد مني أن أحكي لها عن زميلاتي وزملائي في العمل وعلاقتنا ، ومن المنطقي أن يكون بين زملاء العمل احتكاكات واختلافات يومية نتيجة للتفاعل الانساني ، أو يكون بينهم مزاح ودعابة .. فماذا ستكون النتيجة لو رويت كل هذا ..؟ لا أستبعد اطلاقا أن تناقش زميلا لي فيما فعله معي ، أو تعلق على سلوك زميل آخر لم تره حتى لو كان زائرا لبيتي ، وبالتالي سوف يكون لديها آراء مسبقة في الناس وعن الأشخاص والموقف .. وهذا شيء لا أقبله ، ورغم جهدي ، ألا أجعلها تشكو من شيء ، ومحاولتي أن أوفر لها حياة كريمة هانئة ، وأن أجعل من ساعاتي معها بسمة وضحكة ، بدعابة من هنا وقصة مسلية من هناك .. وطرفة عن الزملاء .. وحكاية من شقاوة طفولتي .. رغم كل هذا فهي تصر على أن تشغل رأسها بي .. تصر أن تعرف همومي وعملي وراتبي . وعجيب أمر المرأة اذا رأت الوردة أعجبتها وخافت شوكها .. وان اشتهت العسل خشيت وخز الأبر .. واذا أتتها الوردة والعسل نغص حياتها شوقها للشوك ووخز الابر وحل الهموم والتفكير .. ولله في خلقه شئون .

هو

من الحياة

ذكريات الربيع في خريف العمر!

بقلم : منير نصيف

فجأة وجدت نفسها تقف امام الصورة الصغيرة التي تضعها في مكان قريب من فراشها .. صورتها مع الشاب الذي اختارها منذ اكثر من ثلاثين عاما مضت لتشاركه رحلة الحياة .. ومدت يدها وامسكت بالصورة التي عاشت معها تلك الاعوام الطويلة .. كانت تبدو جميلة في فستانها الأبيض .. وراحت تتفرس في هذا الوجه الذي لم يبق منه الا صورته .. كانت رائعة في شبابها الذي ذبل مع الأيام .. هو أيضا كان وسيما ، وكان يحمل في بداية رحلته طموحا واصرارا عجيبا .. لابد ان تنجح هذه التجربة .. سوف يقف وحده ويتحدى العالم من أجلها هي .. فقد كان يجد دائما في قربها منه وتعلقها به وحبها له القوة التي دفعته وتدفعه دائما الى العمل والكفاح والسير في الطريق الذي اختاره لنفسه !!

ولكن ما الذي دفعها اليوم الى الوقوف أمام هذه الصورة القديمة ؟ . صحيح أنها كانت تختلس النظر اليها بين الحين والحين اثناء النهار الطويل الذي اصبح يمضي الآن ، وهو يزحف بعد أن خلا البيت من الأطفال الذين كبروا وتزوجوا واصبحوا يستقلون بحياتهم .. كانت عيناها تتجهان اليها دون أن تشعر ولكن للحظات قصيرة لاتلبث بعدها ان تتركها وتبتعد عنها ، وربما تذهب معها في رحلة قصيرة ، أشبه ماتكون باغفاءة لاتلبث أن تصحو منها على عمل صغير ينتظرها في البيت ..

ولكنها اليوم ، ولا تدري كيف وجدت نفسها تذهب في رحلة طويلة بعيدة مليئة بالذكريات .. لأن اليوم هو عيد زواجها .. وفي المساء سوف تستقبل المدعوين الذين سيجيئون ليحتفلوا معها ، هي وزوجها بهذه المناسبة السعيدة ..

وأحست بالتعب وهي واقفة في مكانها والصورة بين يديها ، صورتها هي وزوجها ، ليلة زفافها ، فجلست على مقعد قريب لتريح جسمها المتعب ووضعت الصورة بجوارها فوق مائدة صغيرة ، ومالبثت ان وجدت نفسها تذهب بعيدا الى بداية تلك التجربة التي عاشتها مع الرجل الذي مازالت تعيش معه ماتبقى لهما في رحلة الحياة ..

لقد كانت رحلة طويلة شاقة مليئة بالسحب والانواء والامواج .. كانت بحرا واسعا تتلاطم امواجه ، وقد راحت السفن تسير فوق سطحه .. سفن صغيرة وسفن اخرى كبيرة من كل حجم ولون .. كلها تطفو على السطح ، وكلها تحاول ان تدرأ عن نفسها خطر الموج



المتلاطم ، حتى تستطيع أن تصل بمن فيهـا الى شاطىء الأمان . .

حقيقة استطاعت سفينتها الصغيرة ان تصل ، ولكن بعد رحلة قاسية كادت خلالها ان تصطدم بالصخور ، لولا يقظة ربانها الذي تشبث بها ، ونجح في ابعادها عن الخطر الذي كان يتربص لها ، وهي ماضية في رحلتها وسط الامواج العاتية . . فقد كان يحب سفينته ، وكان يحب ركابها ويتعلق بهم ، وكان على استعداد دائما لان يضحي بحياته من اجلهم !

* * *

ومضت بها الذكريات . . انها لاتزال تذكر تلك الأيام الحلوة التي امضتها معه خلال فترة خطوبتها القصيرة . . كان ابوها رجلا محافظا لم يكن يسمح لها بالخروج مع خطيبها وحدهما . . ومع ذلك فقد كانت اللحظات القصيرة التي يقضيها معها الشاب الذي جاء يطرق باب البيت طالبا يدها ، وسط والديها واخوتها كافية لأن تجعلها اسعد فتاة في العالم . كان يجلس قريبا منها ويحدثها عن آماله واحلامه للمستقبل الذي ينتظرهما بعد الزواج . كان مرحا خفيف الروح حاضر النكتة . . لم يكن هناك شيء يمكن ان يعكر سماء تلك اللحظات السعيدة ، التي كان يأتي فيها لزيارتها في بيت والديها بعد ان ينتهي من عمله . .

انها لاتنسى كيف كان يغار عليها ، وهو ينقل اليها الانفعالات التي كانت تعتمل في صدره ، وهو يحدثها عن الفرحة التي تملأ قلبه ، لأنه عرف كيف يفوز بها . . وكانت تنظر اليه وتتأمل عينيه ، فلا تجد فيهما الا كل الصدق في كل مايقوله لها . . وقد كانت تبادله هذا الحب ، وكانت تعد معه الايام التي ستنتقل بعدها الى العش الصغير ، الذي سيبدءان فيه حياتها الجديدة !

ولكن البداية كانت صعبة ، فقد كان دَخْلُ زوجها الصغير بالكاد يكفي مطالب الحياة الاساسية . . وبدأت رحلة الكفاح بعد أيام قليلة من الزواج . كان همه الاول ينحصر في البحث عن عمل آخر يستطيع ان يضاعف به دخله . . وكان لاينام الليل . . كان يعمل ثماني عشرة ساعة في اليوم . . وكانت تسهر بجواره تشجعه وتدفعه الى الاستمرار . . وكان يستمد من وقوفها

بجانبه ومساندتها له القوة والصبر والجلد ، وخاصة بعد ان انجبت له زوجته طفلها الأول . فقد بدأ يشعر بالمسؤولية تتضاعف ومطالب الحياة تلح عليه وتشغل كل تفكيره . .

وشقي وتعب كثيرا ، ولكنه لم يكن وحده ، فقد كانت معه دائما في كل خطوة وفي كل ازمة ، ومع كل مشكلة وقفت عائقا في طريق حياتهما الجديدة التي حفلت بالعمل والعرق والجهد الذي لايهدأ . . فقد كانت تحبه ، وكان بدوره يعيش لها وحدها ، فقد اصبحت هي وطفلها يملآن كل ساعة ، كل لحظة من حياته حتى وهو منكب على عمله . . لم تكن صورتها تغيب عن مخيلته . . كان يراهما في كل شيء من حوله ، وكانت سعادة هذه الأسرة الصغيرة ورفاهيتها هما شغله الشاغل في صحوه ونومه !

***

انها ماتزال تسمع كلماته ترن في اذنيها ، عندما كانا يختلفان ، وما اكثر ماكانت خلافاتهما في الاشهر الأولى من الزواج ، ولكنها كانت اشبه ماتكون بسحابة عابرة ، لاتكاد تظهر في السماء التي تظلل حياتهما حتى تختفي بنفس السرعة التي تجمعت بها . . لقد كان يقول لها : « الزواج ياعزيزتي بداية وليس نهاية . . انه لايعدو ان يكون اكثر من خطوة قصيرة ، لابد ان تجيء بعدها خطوات وخطوات في الطريق الطويل ، من أجل بناء اسرة سعيدة . . ومع هذه المسيرة لابد ان يختلف الزوجان . . لابد ان تتعثر خطواتهما . . المهم هو ان يجدا في النهاية ارضا مشتركة يستطيعان الوقوف عليها ، قبل ان يعودا الى مسيرتهما من جديد !

كان يفلسف الحياة أحيانا ، وينقل إليها بعض مايعجبه من قراءاته في الكتب . . وكانت تجد فيما يقوله لها في كثير من الاحيان وصفا رائعا للعلاقة التي يجب ان تكون بين الزوجين المتحابين . . كان يقول لها :

« يجب ان ندرك شيئا هاما . . هذا الكلام ليس من عندي وانما هو خلاصة التجارب التي مر بها من سبقونا الى هذه التجربة . . اعظم واكبر تجربة في حياة الرجل والمرأة . . انهم يشبهون الزواج بطفل صغير ، لايختلف كثيرا عن طفلنا الذي رزقنا به الله . . تعالى نقف قليلا عند ذلك الجهد الذي نبذله من أجل رعايته وتربيته والمحافظة عليه . . بدون هذا الجهد قد تعتل صحته وقد يتعرض للمرض ، وربما الى ما هو اخطر من ذلك ! »

« والزواج ياحبيبتي طفل صغير ، في حاجة الى كل هذه الرعاية والعناية والحب والغذاء . . انه في حاجة كل يوم وكل ساعة الى زاد جديد ، يبعث فيه الدفء ويعيد اليه الروح ، حتى لايتحول الى جسد بلا حياة !

وتذكرت الزوجة وهي ماضية في استعادة ذكريات السنين الطويلة التي عاشتها مع الرجل الذي وهب نفسه لاسعادها هي وطفلها . . وتذكرت فجأة عملا هاما ينتظرها ، فقامت تجر ساقيها جرا ، فلم تكن ترغب في ان يقطع حبل الذكريات ، التي وجدت نفسها فجأة تعود اليها ، وتعيش فيها بكل وجدانها ، اي شيء مهما كان هاما وعاجلا . .

وانهت ماكان يجب ان تنهيه ، ثم عادت مسرعة الى حيث كانت تجلس امام الصورة التي بعثت في رأسها كل هذه الخواطر لتكمل رحلتها مع الماضي



البعيد القريب ، وكأنه كان بالامس فقط ، لايفصل بينه وبينها سوى تلك الخطوط الناعمة التي بدأت تظهر على وجهها معلنة غروب شمس الربيع . . كل شيء كان يبدو لها كما لو كان قد حدث بالامس القريب . . ووجدت نفسها تهمس لنفسها : كم هي قصيرة حياة الانسان على الارض ! »

ومدت يدها الى الصورة التي رافقتها طوال رحلتها وراحت تتأملها من جديد ، ثم مالبثت أن اعادتها الى مكانها وسادت معها الى ذكرياتها من جديد !!

* * *

انها مازالت تذكر الشعور الذي كان يسيطر عليها في كثير من الاحيان بالملل من الحياة التي تعيشها . . لا لأنها تكرهها . . بالعكس فقد كانت راضية بما قسم الله لها ، ولكنها كانت في بعض الاحيان تشعر ان عمل زوجها المرهق قد اخذه بعيدا عنها ، وأنها في حاجة الى ذراعه لتسند اليها رأسها المتعب ! كانت تتوق أحيانا الى مرافقته في رحلة بعيدا عن البيت ، تملأفيها رئتيها برائحة البحر ، وتستعيد من خلالها النشاط والحيوية والحنين الى البيت الذي ابتعدت عنه ولو لفترة قصيرة !

وكانت تسرّ اليه بمشاعرها . قالت له يوما : خذني في رحلة قصيرة مع طفلنا . . ابني في حاجة الى التغيير . . أريد ان ارى الريف . . اريد ان اجلس تحت شجرة امضي في ظلالها النهار ! .

وفعل ، وكان يوما من أجمل ايام حياة هذه الاسرة الصغيرة . . وفي طريق عودتها الى البيت قال يهمس في اذنيها : « يجب ان تعلمي دائما انني احبك ! »

قالت : ولكن الحب وحده لايكفي انني اعيش بين جدران اربعة ، وسلواي الوحيدة في وحدتي هو طفلنا الصغير . . انني في حاجة اليك . . انني أشعر احيانا انني احدث نفسي !

ـ الشعور بالملل ياحبيبتي هو ألدّ أعداء الزواج . واذا بدأ الملل يتسلل الى قلبي الزوجين أو احدهما ، فمعنى ذلك ان هناك خطأ لابد من تصحيحه ، وانا اعترف لك بأنني مخطيء . ان عملي يأخذ كل وقتي ، اعدك بأن اخصص المزيد من الوقت لك ولطفلنا !

قالت : أنا لا اشكو . . ولكن لاتنس ان تكرار الاعمال التي اقوم بها في وقت معين وفي ساعة محددة يوما بعد يوم واسبوعا بعد اسبوع . . هذا التكرار ياعزيزي هو الذي يولد الشعور بالملل والضجر . . هو الذي يفقد الحياة طعمها ولذتها !

ـ ولكن الا ينطبق هذا علي أنا ايضا ؟

ـ لا . . لأنك تخرج كل يوم ، وتلتقي بوجوه جديدة . وترى صورا جديدة للحياة ، لا أراها أنا في عالمي الصغير المحدود داخل البيت .

* * *

تذكرت هذا الحوار بكل دقائقه وتفاصيله ، وكأنه دار بينها وبين زوجها منذ بضع دقائق مضت ، لامنذ عشرات السنين . . ودمعت عيناها وأسرعت الى منديلها الصغير تجفف به دموعها ، قبل أن تتجه الى الباب الخارجي لتفتحه . . فقد كان هناك من يطرق الباب . . في البداية كان الطرق خفيفا ، فلم يصل الى اذنيها وهي مستغرقة في رحلتها مع الذكريات . . ثم اشتد الطرق وتلاحق ، وعندئذ شعرت ان زائرا قد جاء فأسرعت تفتح الباب . .

وكانت المفاجأة . . لقد كانت أمها العجوز تقف امامها وجها لوجه وقد استبد بها القلق . . جاءت لتشارك في الحفل الصغير بمناسبة عيد زواجها . .

ـ أين كنت . لقد انقضت دقائق طويلة وأنا واقفة وراء الباب اطرقه بشدة حتى بدأ القلق يساورني . هل انت بخير يا ابنتي ؟

ولم تجب . . فقد اسرعت تلقي برأسها الصغير فوق صدرها ، ثم انفجرت تبكي ، كما يبكي الاطفال ! □

طبيب الأسرة

لوقاية ابنك من أمراض الصيف

● ماذا تفعلين لوقاية ابنك من أمراض الاسهال والجفاف ؟

مع بداية الصيف حيث درجة الحرارة العالية ، يبدأ تعرض الأطفال لأمراض الصيف . وعلى كثرة أمراض الصيف الا أن أخطرها هو الاسهال والجفاف ، فهناك من ٥ - ٨ ملايين طفل يموتون سنويا بسبب هذا المرض ، وعدد كبير من الاطفال الذين يحالفهم الحظ وينجون من الموت يصابون بأمراض في خلايا المخ مما يؤثر على النمو أو يصيبهم بخلل عقلي .

وعلاج المرض لا يتم الا في مستشفى وتحت عناية ورعاية الأطباء ومن هنا فان دور الام يقتصر على سبل الوقاية وملاحظة الطفل للذهاب به الى المستشفى في أسرع وقت .

الدكتورة ليلى الفزيع طبيبة الاطفال تقدم لك عزيزتي الام بعض المعلومات عن هذا المرض . . تقول د . ليلى :

يكثر هذا المرض في الصيف حيث تتكاثر الحشرات ، وحيث تتسبب الحرارة الشديدة في اتلاف الاطعمة ، وخاصة الحليب الذى يعتبر الغذاء لمعظم الاطفال ، وهذا كله لا ينفي اخطاء التغذية وانعدام النظافة خاصة في الشهور الاولى من عمر الطفل ،

ومن هنا فانه لا بد للام من التعرف على الاسلوب الصحيح في تحضير الطعام لطفلها ، وفي اختيار النوع المناسب من الحليب الذي يتلاءم وعمره ، وضرورة الابتعاد عن الحليب الدسم الطازج . خاصة في الثلاثة أشهر الاولى .

والاهم من كل ذلك تشجيع الرضاعة الطبيعية ، وبيان مدى فائدتها وأهميتها في السنة الاولى من حياة الطفل . ولكن الرضاعة الطبيعية أيضا وان كانت تغني عن تعقيم المياه وزجاجة الحليب الا أنها تحتاج للنظافة أيضا ، وضرورة العناية بالثديين قبل وبعد الولادة ، فحليب الام يغني عن أي نوع من الغذاء لانه يعطي مناعة للاطفال ، ويكون حائلا بين الطفل والعدوى .

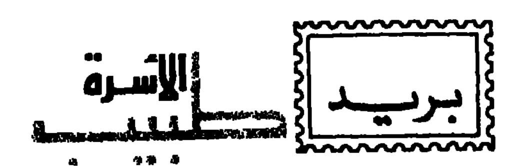
أعراض الجفاف :

قد تلاحظين أن عدد مرات التبرز تزداد لدى طفلك وتكون في معظم الأحيان لينة ، يصاحبها قيء ، وخمول في حيوية الطفل ، وقد يبدو الطفل

غائر الوجنتين والعينين ، واذا لمست بيدك رأس الطفل ستلاحظين انخفاضا في اليافوخ الى جانب صابة الفم بالنشفان وباختصار يبدو الطفل وكأنه شيخ كبير .

والعلاج هنا يكون سهلا وسريعا ، اذا استطاعت الام أن تلاحظ الحالة وتعرضها للعلاج من البداية . لان تأخر ملاحظة الحالة يؤدي الى تأخر علاجها ، حيث يدخل الطفل المستشفى ويمنع الطفل عن الحليب نهائيا ، ولا يعطى سوى السوائل والمغذيات السائلة ، إما عن طريق الفم وإمّا الوريد .

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆



هرمون الغضب Adrenaline

قرأت فيما أقرأ عن هرمون يدعونه بهرمون الغضب . والحقيقة أنني بالرغم من شغفي بالقراءات الطبية لم أسمع بمثل هذا الهرمون ، ولا الى أية غدة ينتمي ، ولا الى مفعوله في الجسم ، فهل لي ببعض المعلومات المفصلة ؟

ولكم شكري وتقديري .

س . ي .
حمص ـ سوريا

تقع فوق الكلية غدة صمّاء تفرز عدة هرمونات ، وهذه الغدة التي يدعونها الغدة فوق الكلوية ، أوغدة الكظر ، تتكون من شقين :

الشق الأول هو الخارجي ويسمى بالقشرة Cor-tex أو اللحاء ، والشق الثاني هو الداخلي ويسمى باللب او النخاع . Medulla

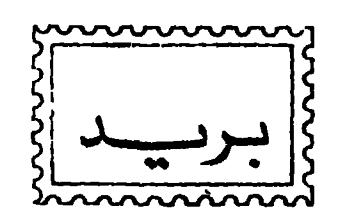
ان نخاع الكظر يفرز هرمونات أهمها هرمون الادرنالين أو الابينفرين Adrenaline Of Epinephrine ، كما يفرز هرمونا آخر يدعى نور أدرنالين Noradrenaline ، وهذه الهرمونات التي تفرز في الاحوال الطبيعية للانسان بكميات قليلة لها تأثير يشبه تأثير العصب السمبثاوي Sympathatic ، الذي يدعى في العربية بالعصب الفردي ، أو العاطفي ، لانه يستثار عند زيادة العاطفة كالخوف والغضب .

لهذا فان هرمون الأدرنالين يزداد افرازه لمواجهة المواقف العاطفية ، وأهمها الخوف والغضب ، ومن هنا حل هذا الهرمون اسم هرمون الغضب مجازاً ، لان تأثيره على الجسم يتسم بالاعراض التي نلحظها عندما يستثار الانسان والحيوان ، أوعندما يغضب .

وتأثير هذا الهرمون الذي يفرزه الجسم عند الاستثارة هو لاعداد الجسم وتهيئة اعضائه لمواجهة متطلبات الموقف الدفاعي أو الهجومي .

ان الادرنالين يعتبر قابضا للاوعية الدموية ، وخاصة في الجلد والانسجة المخاطية ، وأوعية الكلية والاحشاء ، باستثناء شرايين القلب التاجية ، وأوعية المخ والرئتين التي تتسع مع فرط الادرنالين ، كما تزيد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم ، وتتوتر العضلات وتبطىء الأمعاء والمثانة .

لهذا يستفاد من الأدرنالين وزميله النورادرنالين في عدة مواقف استطبابية ، منها ايقاف النزيف في مواضع عدة ، كنزيف الرعاف من الأنف ، أونزيف الاسنان بعد قلعها .





كما يستفاد منه في تقليل النزيف والالم اذا مزج بمخدر موضعى فى العمليات الجراحية البسيطة مثل الجلد او الأسنان وما اليه .

وقد وجدت له . . فوائد عامة أخرى أهمها معالجة مواقف الحساسية الشديدة كالربو الشعبي أو الارتيكاريا الجلدية ، وأحيانا يستعمل في حال توقف القلب كلية عن العمل .

ان النورأدرنالين يشبه زميله الادرنالين ولكنه أقوى منه فى قبض الأوعية الدموية وأضعف منه فى الحقول الأخرى .

امراض الجنس

Sexlinked diseases

قرأت فيما أحب ان أقرأ من كتابات طبية عن أمراض مرتبطة بالجنس ، فهل هذه تعنى أمراضا جنسية تنتقل عن طريق الاتصال الجنسى غير المشروع ؟ .

ق . ن/ طرابلس الغرب ـ ليبيا

الأمراض المرتبطة بالجنس هى تلك التى ترتبط بجنس دون آخر ، ذكرا كان أو انثى ، وعادة ما تعبر عن أمراض متوارثة عبر كروموزومات الجنس أو صبغيات الجنس .

فمن المعروف أن عدد كروموزومات الخلية البشرية (أو الصبغيات) هو ٤٦ كروموزوما ، اثنان منها للجنس يحددان الجنين هل هو ذكر أم انثى . ويطلق عليهما اسم كروموزوم واى (Y) بالانجليزية وكروموزوم اكس (X)

ولما كانت البويضة التى تنطلق من مبيض الام هى نصف خلية ، فانها تحمل ٢٣ كروموزما ، منها واحد للجنس هو دائما من نوع (X) لان خلايا الانثى دائما تحمل كروموزومين من نوع (X) . بينما الحيوانات المنوية القادمة من الذكر هى أيضا نصف خلية وتعد ما بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ مليون تحمل ٢٣ كروموزوما ، منها واحد للجنس ولكن نصف الحيوانات المنوية تحمل كروموزوم (واى) Y ، والنصف الآخر يحمل كروموزوم (اكس) (X) .

ومن التقاء البويضة حاملة كروموزوم اكس (X) مع حيوان منوى يتحدد نوع الجنين .

فاذا كان الحيوان حاملا لكروموزوم (X) كان نصيب الجنين أن يكون انثى ، أما لو صادفت البويضة تلقيحا بحيوان ذى كروموزوم Y فالجنين يكون ذكرا .

وقد اكتشف العلماء مؤخرا أن الكروموزومات هى التى تحمل صفات الوراثة ، عبر أحماض نووية تسمى بالجينات أو الموروثات .

وقد لوحظ أن كروموزوم واى (Y) لا يحمل على متنه أية مورثات على نقيض ما هو كروموزوم اكس (X)

ومن هنا نجد أن الام تنقل لمولودها الذكر أمراضا خفية عندها مثل مرض الهيموفيليا (أو النزاف) ومرض (عمى الالوان) فهذه لا تظهر الا على الذكور فقط يرثونها من أمهاتهم فقط بالرغم من أن الام تبدو ظاهريا سليمة معافاة .

وهذه ما يطلق عليها عادة أمراض مرتبطة بالجنس .

مساحة ودّ

الحوار الذى تأخر

لم أشهد بداية القصة ، ولكنني شاهدت نهايتها ، رأيت الفصل الأخير وهو ينسج يوما بعد يوم ، وطوال عشرة أشهر كانت الأحداث فيها تتصاعد ، كان كل يوم يمر يقربني أكثر من تفاصيل القصة وأحداثها .

وبرغم معايشتي للتفاصيل الدقيقة ، الا أنني لم أستطع أن أكون حكما ، ولم أستطع أن أحدد من منهما الظالم . . . فكلاهما مظلوم . . فقد تزوجا منذ ثلاثة عشر عاما ، زوجة تكبر الزوج باحدى وعشرين سنة ، كان في العشرين يوم أن تزوجها في بدء حياته العملية ، وهي سيدة لديها بعض الأعمال التي تدر عليها دخلا طيبا ، لم يطمع منها ماديا بصورة مباشرة ، بقدر ما كانت زيجة فيها عامل من عوامل الاستقرار . فهي تملك بيتا ، لا تطالبه بالكثير من نفقات البيت ، هي في توهج ماقبل المغيب ، وهو في توهج مـاقبل الشـروق !! ومضت الحياة ، كان كل يوم يمر يضيف اليه وينقص منها . . يزداد هو خبرة وثقافة ونضجا . . ويذبل صباها وجمالها ، وهي تقرأ بصعوبة ، وتقرأ فقط ما يمكنها من ادارة أعمالها . . . كانت الأيام تحمله قسرا الى سنوات الرجولة والحيوية والحركة ، كما تحملهـا قسرا الى سنـوات الهدوء والاستكانة والوداعة ، وجاءت الأزمة . . بعد سنوات طوال لم تعد هي كما كانت ، ولم يعد هو قادرا على أن يعطيها شيئا . . ولم يتفجر الموقف بينهما فجأة . . بل على مدى سنوات . .

كان كل عام يمر يبعده عنها . . حتى وصلت العلاقة الى مرحلة الجفاف الكامل ، ولم يعد أي منهما قادرا على التحمل والعطاء على الأطلاق . . . وأصبحت الحياة جحيما . . وفي باطن المأساة تكمن الكوميديا . . عندما يبحث هو عن شيء يستدعي بقاءه خارج البيت . . تبـحث هي عن كل ما يبقيها ساهرة في انتظاره لتحاكمه ، وكان حتما أن تحدث المواجهة . . هي بمنطق الأنثى الذي لا يعترف الا بحقها ، ولا يرى أنها تسير نحو الستين ، وهو برجولة الثلاثينيات . وكانت المواجهة حادة ودامية . . حاول هو كثيرا ألا يجرحها وأن يبقى على خيوط الوفاء والعرفـان بأيـام طيبة مضت ، وظلت هي تحـاصره بخنـاجر كلمـاتها لكي يواجهها . . وسقطت الأقنعة . . وتمزق ستار الحياء والعرفان . . وانطلقت كلمات تأخر النطق بها ثلاثة عشر عاما . . فجرحت وأدمت ولم تبق على شيء . . فقد تمثل الانسان في أبشع صورة . . حيوان يقتل دفاعا عن رغبات وغرائز لم تهذبها الألفة ولم يعـد يسمو بهـا الوفاء . □

محمود عبدالوهاب

العربي العربي العربي من ربع قرن

اتجاهات في تراثنا الثقافي

العدد الثامن عشر مايو - ١٩٦٠



البحث في اتجاهات الفكر ، يحتاج ، معرفة التراث الثقافي قديمه وحديثه ، وا ، استقراء ظواهر الحياة السياسية والفكرية والاجتماء والفنية والأدبية في الماضي والحاضر .

فماهي هذه الاتجاهات ؟

١ - اتجاه الفكر العربي الى النظر العقلي ، وإيمانه بقدرة الانسان على الكشف عن الحقيقة . فالدعوة الاسلامية قامت على تنبيه العقل وتوجيهه الى النظر في الوجود واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع الى ماحواه الكون من النظام والترتيب ، واشتباك العلل والمعلولات ، ليصل بذلك الى القول ان للكون صانعا عالما حكيما قادرا ، بل ان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح وارساءها ، واثارة السحاب لانزال الماء واحياء الأرض ، وانبات النبات وانعاش الحي ، كل ذلك آيات بينات تدعو العقل الى النظر في الوجود .

وقد نشأ عن نزوع الفكر العربي الى النظر العقلي فرق فلسفية كثيرة دعت الى الاعتماد على سلطة العقل ، والى القول بحرية الارادة ، كالمعتزلة الذين ذهبوا الى ان العقل نور في القلب ، يعرف الحق من الباطل والخير من الشر والحسن من القبيح . وكالفلاسفة الذين قالوا ان سعادة الدنيا والآخرة لاتنال الا بالعقل .

كما أن كتب العرب في الطبيعة والكيمياء والطب لاتقتصر على الاحكام الغيبية المجردة ، بل تشمل على كثير من الملاحظات والتجارب . فالأطباء يذكرون تجاربهم ، وعلماء الطبيعة والكيمياء يقيمون التجارب لاثبات صحة احكامهم . لقد آمنوا جميعا بقيمة التجريب ، واستخدموا العلم في خدمة الانسان ، حتى لقد ورثت أوروبة عنهم ما نسميه اليوم بالروح الباكونية نسبة الى الفيلسوف الانجليزي باكون ، تلك الروح التي تتخذ العلم وسيلة للسيطرة على الطبيعة . وقد أثبت التحقيق التاريخي ان العرب هم واضعو قاعدة (جرب واحكم) فطبهم تجريبي ، وفلكهم تحقيقي ، وهندستهم تطبيقية ، وكيمياؤهم عملية .

نعم انهم لم يصلوا في العلوم التجريبية الى الدرجة

التي وصلت اليها أوروبة الحديثة ، ولكن مشاهداتهم الصحيحة وملاحظاتهم الدقيقة هيأت اسباب تكوّن لعلم الحديث .

٢ ـ ميل الفكر العربي الى الاستيعاب والاحاطة ، ونعني بهذه الاحاطة عناية العرب بجميع العلوم على السواء ، خلافا للرومانيين الذين لم يكن لهم في العلوم الفلسفية والحكمية أثر عميق ، فبرزوا في الاخلاق والحقوق والادارة والسياسة ، ولم يبرزوا في الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء .

لقد أدت هذه الرغبة في الاحاطة الى اقبال العرب على نقل جميع العلوم الى لغتهم والى استيعابها في مدة قصيرة . فكان لهم في هذه العلوم فضل الحفظ والابقاء أولا ، ثم فضل الاختراع والابتكار ثانيا . ويندر ان يجد الناظر في تاريخ الأمم الماضية حركة فكرية بلغت من السعة والشمول ما بلغته حركة الترجمة عند العرب .

وهم لم يعملوا على نقل العلوم اليونانية والفارسية والهندية الى اللغة العربية فحسب ، بل عملوا بصورة غير مباشرة على حفظها ونقلها الى العالم أجمع . وقد اعانهم على هذه الترجمة اتساع لغتهم ، وقدرتها على الشمول والاستيعاب ، فاشتقوا من المواد الأصلية مصطلحات عربية أصيلة لاتشم من خلالها رائحة الترجمة ، حتى لقد أصبحت هذه المصطلحات وما يناسبها من المعاني مرتبطة بعضها ببعض ارتباط الاشارة بالشيء المشار اليه ، أو ارتباط الصورة الحسية بالشيء المحسوس ارتباطا محكما . وأصبحت اللغة العربية بذلك لغة ثقافية شاملة ، تتسع لجميع العلوم ، لاتجاريها في هذا الشمول والاحاطة لغة من لغات العالم .

على انه ينبغي لنا ان نطعّم ميلنا الى الاستيعاب والاحاطة بالميل الى التخصص، لان العلم الحديث أوسع من ان يحيط به عقل واحد . ومن شروط التعمق في العلم التخصص في موضوع واحد او في جزء من موضوع واحد ، فاذا تم لنا ذلك استطعنا ان نغني لغتنا ، وان نجعلها قادرة على استيعاب ثمرات العلوم كلها . .

٣ ـ الميل الى التوحيد ، فالعرب يعتقدون ان الله واحد لا أول لوجوده ولا آخر لأبديته . وفلاسفتهم يؤمنون بوحدة المعرفة والحقيقة ، ووحدة الدين والفلسفة . والمعرفة والحقيقة متفقتان لان العقل واحد . والحكمة والشريعة متفقتان لأن الحقيقة واحدة .

وهذا الميل الى التوحيد يتجلى أيضا في كلام فلاسفتنا على الصفات الالهية . نظروا في الصفات فرأوا ان يردوها أولا الى صفة واحدة كالعلم والقدرة ، ثم حاولوا ان يجعلوها عين الذات . ثم رأوا ان يسلبوها عن الذات . فتعدد الصفات عندهم لايؤدي الى كثرة في ذات الله . لانه كما يقول ابن سينا واحد لايصدر عنه الا واحد ، فعلمه لايخالف قدرته ، وقدرته لاتباين علمه ، بل هو واحد من كل وجه .

ان هذا الميل الى التوحيد هو المحرك الأساسي للفكر العربي في ماضيه وحاضره ، فهو يؤمن بوحدة العقل ووحدة النفس ، ويعتقد ان الطبيعة الانسانية واحدة في جميع الناس . وهو يؤمن بالوحدة ايمانه بالمساواة ، ويؤمن بالمساواة ايمانه بالحرية .

٤ ـ الميل الى الحرية والتسامح ، فقد كان الفقيه والمتكلم والمتحدث والنحوي والمتأدب والفيلسوف والفلكي والمهندس يجلسون للتدريس في المسجد ، أو في المدرسة التابعة للمسجد ، فينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ، ومن مجلس الحديث الى الأدب ، واذا دار الحديث بين العلماء عن مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في المناظرة والاقناع والالزام ، وأخذ التسامح بينهم مأخذه . ولم تكن هذه الحرية خاصة بطائفة من الطوائف ، بل كان الناس في التمكن منها سواء ، وانما كان التفاضل بين الناس بالعلم والعمل والانتاج .

هذه بعض اتجاهات الفكر العربي ذكرتها هنا في أهم عناصرها وأدق مقوماتها ، ولا حاجة بي الى القول ان هنالك منازع أخرى كثيرة لايتسع المجال لذكرها هنا ، كالميل الى الحياة العملية ، والميل الى الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة . . . . الخ . . □

د . جميل صليبا

مسابقة العربي

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا

الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا

٨ ـ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الأسئلة

١ ـ السنة الضوئية وحدة مسافة اصطلح عليها علماء الفلك وتبلغ (٦) مليون مليون ميل .. فلو افترضنا أن علماء الفيزياء اصطلحوا على وحدة مسافة أخرى وسموها السنة الصوتية .. فكم ميلا تبلغ هذه السنة الصوتية ؟

٢ ـ يؤكد الفلكيون ان حجم الشمس يبلغ (٤٠٠) ضعف حجم القمر ... ترى لم يبدوان متساويين حجما ... ؟

■ نظرا لأن بعد الشمس عنا يبلغ ٤٠٠ ضعف بعد القمر ..

■ نظرا لضوء الشمس الباهر الذي يبهر البصر ولا يسمح للعين بالتحديق فيها وتقدير حجمها ..

■ نظرا لأن سرعة دوران الشمس حول نفسها تبلغ ٤٠٠ ضعف سرعة دوران القمر حول نفسه .

٣ ـ أي المدن الأوروبية التالية أكثر شبها بالبندقية .. المدينة ذات الشوارع المائية ؟

■ امستردام

■ فينا

■ جنيف

٤ ـ السيخ فرقة هندية معروفة تسعى الى نيل الاستقلال الذاتي في ولاية البنجاب التي تشكل أكثرية بين سكانها .. ترى ما هو محور معتقداتها الدينية ... ؟

■ الوحدانية

■ معتقدات السيخ لا تختلف عن المعتقدات الهندوسية .. فهي أقرب الى الوثنية ولا تمتّ الى الوحدانية بصلة .

٥ ـ اللغة الآرامية ، لغة السيد المسيح في سبيلها الى الانقراض .. وقد اختفت في أكثر البلدان التي انتشرت فيها في الماضي البعيد باستثناء بلدة واحدة تقع في سوريا .. فأي بلدة هذه ... ؟

٦ ـ ما الفرق بين الخِطْبة والخُطبة ... ؟

٧ ـ في العالم سلسلتان من الجبال تعرفان باسم جبال الألب .. احداهما سلسلة جبال الألب الاوروبية .. وهي الأشهر ولا ريب .. فأين تقع سلسلة جبال الألب الاخرى .. ؟

■ نيوزيلنده

■ الولايات المتحدة الأمريكية

■ الاتحاد السوفياتي

٨ ـ ثمة مدينة تعرف باسم أكرون Ak ron وتعتبر عاصمة المطاط في العالم .. أين تقع هذه المدينة ... ؟

■ في ماليزيا .. الدولة الأولى في زراعة المطاط في العالم

■ في البرازيل ... موطن المطاط الأصلي

■ في الولايات المتحدة الامريكية

٩ ـ معدن البوكسايت Boxite معدن معروف ويستخرج من خامة الألمونيوم .. لم سموه بهذا

ثقافية

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٨ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول يوليو ١٩٨٥ .

الاسم . . . ؟

■ لأنهم صنعوا منه الصناديق الحديدية في بادىء الامر

■ لأنهم أدخلوه في صنع قفازات الملاكمة (بوكس)

■ سمي بهذا الاسم نسبة الى مدينة (لي بوكس) Le Baux الفرنسية التي اكتشفوا المعدن فيها . . .

١٠ ـ من هو العالم الايطالي الشهير الذي حوكم وأدين وفرضت عليه الاقامة الجبرية في منزله طوال سنوات . . الى أن مات . . قبل نحو ٣٠٠ سنة،وما الذنب الذي ارتكبه حتى لقي هذه المعاملة القاسية في خريف حياته . . . ؟

١١ ـ أي الوحدات التالية خاصة بقياس الضغط الجوي وأيها خاص بقياس الضوضاء وأيها خاص بقياس قوة العواصف . . . . ؟

■ الرختر ■ الدسيبل ■ المليبار

١٢ ـ هل يوجد ليل ونهار على سطح القمر . . وكم يبلغ طول كل منهما اذا وجدا . . ؟

■ يبلغ كل منهما نحو ١٤ يوما من أيام الارض

■ ليل القمر أطول من نهاره . . فالأول يبلغ نحو (٢٠) يوما من أيام الارض،والثاني لا يزيد على (٨) أيام فحسب .

■ نهار القمر أطول من ليله . . ونهاره هو الذي يبلغ نحو ٢٠ يوما من أيام الارض . . بحيث لا يزيد ليله على (٨) أيام .

العدد ٣١٨

مايو ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أو على ورقة منفصلة ترفقها معه

الإجابة على الأسئلة :

١ ـ . . . .

٢ ـ . . . .

٣ ـ . . . .

٤ ـ . . . .

٥ ـ . . . .

٦ ـ . . . .

٧ ـ . . . .

٨ ـ . . . .

٩ ـ . . . .

١٠ ـ . . . .

١١ ـ . . . .

١٢ ـ . . . .

الاسم : . . . .

العنوان . . . .

مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي الثقافية مسابقة العربي

حل

١ - عباس بن فرناس حاول الطيران عدة مرات ولكنه فشل وأصيب بكسور في عظامه دون أن يموت . أما فشله فمرده الى أن جسم الانسان لم يخلق ليطير . . . . فعضلات صدره ضعيفة وخفيفة الوزن . . فهي أعجز من أن ترتفع بجسمه في الجو . . بخلاف عضلات صدر الحمام التي يبلغ وزنها نصف وزن جسم الحمام تقريبا . . وتجدر الاشارة الى أن عباس بن فرناس من علماء الأندلس وأصحاب الصناعة والفن فيها وقد توفي عام ٨٨٨ م.

٢ - رسائل اخوان الصفا تناولت الرياضيات والمنطق وعلم النفس وما بعد الطبيعة والتصوف والتنجيم وما الى ذلك . . ولم تُعن بالشعر والأدب ولا التاريخ والسير . . ومما يذكر أن جمعية اخوان الصفا جمعية سياسية دينية فلسفية ظهرت في القرن العاشر واتخذت من البصرة مقرا لها .

٣ - الأميبا حيوان . . انها من أبسط أشكال الحيوان . . وهي تعيش في الماء العذب أو المالح أو في التربة وبعضها يعيش في أمعاء الانسان نفسه . . والأميبا تتحرك كسائر الحيوان .

٤ - تبلغ المسافة التي قطعها القطار (٢٠٠) كيلومتر . . مادام قد قطعها في رحلة الذهاب بأربع ساعات ، وبسرعة ٥٠ كيلومترا في الساعة . . ومعنى هذا أن رحلة الاياب التي بلغت سرعته فيها ٢٥ كيلومترا في الساعة قد استغرقت ٨ ساعات . . فسرعة القطار بالمتوسط في الرحلتين تبلغ اذن : ٤٠٠ ÷ ١٢ = ٣٣ كيلومترا وثلث الكيلومتر في الساعة.. وغني عن البيان أن ٤٠٠ كيلومتر هي مجموع المسافة التي قطعها القطار في كلتا الرحلتين ، و ١٢ ساعة هي مجموع الساعات التي استغرقتها الرحلتان . . ومتوسط السرعة المطلوب انما هو حصيلة تقسيم المسافة على الزمن . . أي ٤٠٠ ÷ ١٢ = ٣٣ كم وثلث الكيلومتر .

٥ - حمام الزاجل هو الأسرع . . اذ تبلغ سرعته ١٠٠ كيلومتر أو تزيد في بعض الأحيان ، ولا تزيد

مسابقة العدد ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

سرعة أسرع الجياد على ٧٠ كيلومترا في الساعة .

٦ - ربح الرجل في كل من الصفقتين الأولى والثانية ١٠ دنانير . . ومعنى هذا أن مجمل ربحه فيهما ٢٠ دينارا .

٧ - رفع الأمريكيون ابان حرب الاستقلال نفس العلم الذي فرضته عليهم بريطانيا قبل الحرب وقوامه العلم البريطاني نفسه . .

٨ - لفظ الموهير مشتق من أصل عربي هو (المخيّر) . . وهو من شعر الماعز الممتاز .

٩ - القناة المقصودة هي قناة الثرثار . . التي تقع في العراق ، على طريق بغداد - الفلوجه باتجاه ابو غريب والتي تصل بين نهري دجلة والفرات . . .

١٠ - تبدو لك بعض الأقمار الصناعية ثابتة تبعا لارتفاعها وللسرعة التي تنطلق بها في مدارها . . وتبلغ هذه السرعة (٢٨٠٨٣) كم / س على ارتفاع ١٦٠ كم . .و (٢٧٤٥٥) كم/س على ارتفاع ٤٨٠ كم و (٢٥٨٩٠) كم/س على ارتفاع ١٦٠ كم . . . ولا تزيد تلك السرعة على (٣٨٠٠) كم/س اذا بلغ ارتفاع القمر الصناعى (٣٨٦٠٠) كم أي ما يعادل المسافة بين القمر والكرة الأرضية .

١١ - العبارة صواب . . . فالاسم جبو هو الاسم الذي أطلقوه على احد فيلة حديقة حيوان لندن .

١٢ - القلة ضد الكثرة ، والقُلّة هى الجرة ، والقَلّة هي النهضة من علة أو فقر .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٥ فبراير ١٩٨٥

الجائزة الاولى : فادي فاضل . Fadi Fael Poste Restante 2 41000 zegreb yugoslavia.

الجائزة الثانية : فادي عادل جمال الدين - شوران - ص . ب (١١٣ - ١٣٥) بيروت - لبنان

الجائزة الثالثة : صالح يوسف عقيل - اربد - صمد - الاردن .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - محمد نجيب مبروك علي / مدرسة سيهات الثانوية - سيهات ٣١٩٧٢ - المنطقة الشرقية - المملكة العربية السعودية .

٢ - حكيم ادريس / الزنقة ٤ الرقم ٧٠ - حي السلام - فاس - المملكة المغربية .

٣ - مرزة كريم / الجزائر - غليزان - ص . ب (١٧٥)

٤ - الياس اسكندر / المدرسة الابتدائية - منجم المثلوب - ٢١٣٠ المثلوب - الجمهورية التونسية .

٥ - عبد العزيز سليم عدي / أبو ظبي - ص . ب (٢٨٧١) - دولة الامارات العربية المتحدة .

٦ - علي أحمد الحسن المريان / سلطنة عمان - الشرقية - فلج المشايخ - مدرسة فلج المشايخ الاعدادية .

٧ - محمد أحمد الكاساني / الجماهيرية الليبية - طرابلس - جامعة الفاتح - ص . ب (١٣٦١٣) .

٨ - بيبها حمود المختار السالم / كلية العلوم - جامعة الكويت - دولة الكويت .

معركة بلا سلاح

حرية الحركة

حرية الحركة من الأمور الجديدة باهتمام اللاعب الجيد ولا تقل أهميتها أحيانا في تقرير مصير الدور عن فرق المادة ، ومن اللاعبين من يضحّي بقطعة أو أكثر ليتيح لقطعه المزيد من الانتشار وحرية الحركة . ويمكن تعريف حرية الحركة بمجموع النقلات شبه القانونية* المتاحة لكل لاعب ، وباحتساب هذا المجموع نحصل على مقياس جيد لحرية الحركة التي يتمتع بها اللاعب . ولو افترضنا أن وحدة حرية الحركة تساوي عُشر البيدق وهي القيمة التي يتبناها مبرمجو الشطرنج الآلي لخرجنا بالمعادلة التالية لتقويم الأوضاع الشطرنجية المختلفة :

مجموع النقط = المادة + (١ر. × الحركة)

ولتوضيح هذا الأسلوب في تقويم المواقف نورد الدور التالي بين البطلين سباسكي وفيشر والذي يعتبر أشهر أدوار عام ١٩٧٢ على الاطلاق :

فيشر (أبيض)	سباسكي (أسود)
١ ـ جـ ٤	هـ ٦
٢ ـ ح - و ٣	د ٥
٣ ـ د ٤	ح - و ٦
٤ ـ ح - جـ ٣	ف - هـ ٧
٥ ـ ف - ز ٥	ت

حرية الحركة (أبيض) ٣٩ (أسود) ٢٩

مجموع النقط = ١ و . × (٣٩ - ٢٩) = ١

بالرغم من تساوي المادة فان الأبيض يعتبر متقدماً بما يساوي بيدقاً واحداً .

٦ ـ هـ ٣	حـ ٦
٧ ـ ف - حـ ٤	ب ٦
٨ ـ جـ × د ٥	ح × د ٥
٩ ـ ف × هـ ٧	و × هـ ٧
١٠ ـ ح × د ٥	هـ × د ٥
١١ ـ ر - جـ ١	ف - هـ ٦
١٢ ـ و - أ ٤	جـ ٥
١٣ ـ و - أ ٣	ر - جـ ٨
١٤ ـ ف - ب ٥	أ ٦
١٥ ـ د × جـ ٥	ب × جـ ٥

حرية الحركة (أبيض) ٤٤ (أسود) ٣٥

مجموع النقط = ١ و . × (٤٤ - ٣٥) = ٩و.

لا يزال الأبيض متقدماً

١٦ ـ ت	ر - أ ٧
١٧ ـ ف - هـ ٢	ح - د ٧
١٨ ـ ح - د ٤	و - و ٨

* لأنها تشمل جميع النقلات المتاحة حتى النقلات التي يقع الملك فيها تحت الكش

الأبيض	الأسود
١٩ ـ ح × هـ ٦	و × هـ ٦
٢٠ ـ هـ ٤	د ٤
٢١ ـ و ٤	و - هـ ٧
٢٢ ـ هـ ٥	ر - ب ٨
٢٣ ـ ف - حـ ٤	م - حـ ٨
٢٤ ـ و - حـ ٣	ح - و ٨
٢٥ ـ ب ٣	آ ٥

التقويم : المادة متساوية

حرية الحركة (أبيض) ٣٥ (أسود) ٣٤

مجموع النقط : ١ و . × (٣٥ - ٣٤) = ١ و

يكاد الأبيض يتساوى مع الأسود

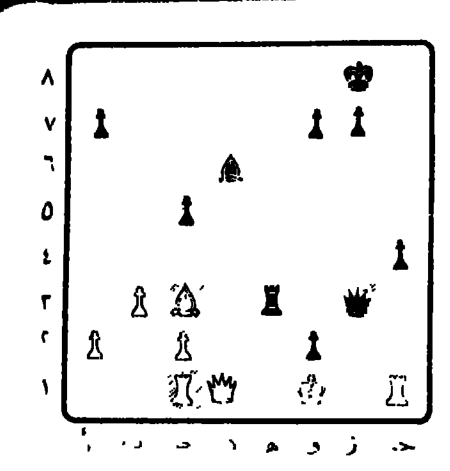
الأبيض	الأسود
٢٦ ـ و ٥	هـ × و ٥
٢٧ ـ ر × و ٥	ح - حـ ٧
٢٨ ـ ر ١ - و ١	و - د ٨
٢٩ ـ و - ز ٣	ر - هـ ٧
٣٠ ـ حـ ٤	ر - ب ٧
٣١ ـ هـ ٦	ر (ب) - جـ ٧
٣٢ ـ و - هـ ٥	و - هـ ٨
٣٣ ـ أ ٤	و - د ٨
٣٤ ـ ر - و ٢	و - هـ ٨
٣٥ ـ ر - و ٣	و - د ٨

المادة لا تزال متساوية ولكن الأبيض يتفوق في حرية الحركة بمقدار ٦ر١ نقطة

الأبيض	الأسود
٣٦ ـ ف - د ٣	و - هـ ٨
٣٧ ـ و - هـ ٤	ح - و ٦
٣٨ ـ ر × و ٦	ز × و ٦
٣٩ ـ ر × و ٦	م - ز ٨
٤٠ ـ ف - جـ ٤	م - حـ ٨

التقويم : لم تعد المادة متساوية الآن لأن الأبيض قد ضحى برخه مقابل حصان وبيدق ولكنه مع ذلك يعتبر متفوقاً من حيث حرية الحركة فمجموع النقط الآن يساوي : ٤١ - ٢٥ = ٦ر١ وليس هذا التفوق نظرياً فحسب فقد أثبتت التجربة صحته فيا ان لعب الأبيض :

٤١ . و - و ٤ حتى أعلن الأسود استسلامه .



مسابقة العدد

مسألة رقم (٢٩)

الأسود يلعب ويميت الشاه في نقلتين

الفائزون بحل المسابقة رقم ٢٦
عدد فبراير ٨٥

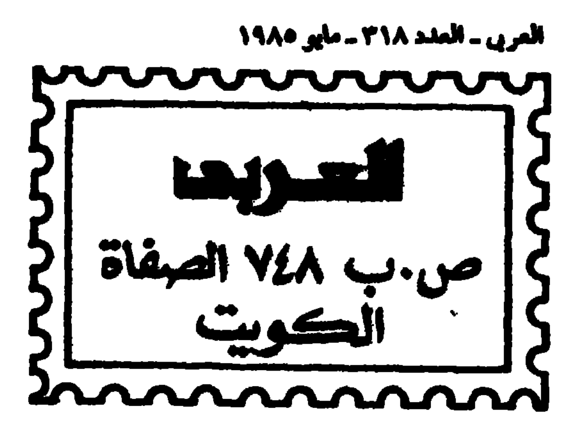
الفائزون باشتراك سنة كاملة :

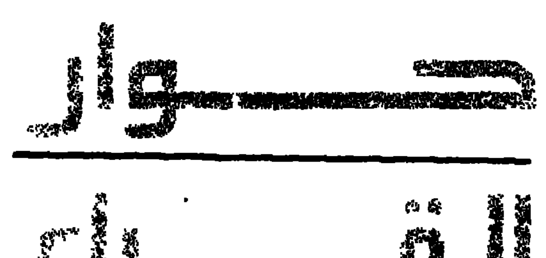
١ ـ حسين الرفاعي ـ الاسكندرية/ح . م . ع
٢ ـ تريزا روحي ـ الخرطوم/ السودان
٣ ـ لمياء أبو خشانه ـ قابس/ تونس
٤ ـ محمد المنير ـ دمشق/ سوريا
٥ ـ عدنان عبد الغني ـ بغداد/ العراق

الفائزون باشتراك ستة أشهر

١ ـ ياسين الكنج ـ الرميثية/ الكويت
٢ ـ أنور محرز ـ ابو ظبي/ الامارات
٣ ـ محمد سطوبيسي ـ الزقازيق/ ج . م . ع
٤ ـ شاكر يوسف ـ السابس/ البحرين
٥ ـ سالم سليمان ـ أبها/ السعودية

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"





كلمة

رسائل القراء كثيرة .. والاختلاف فيها كثير ومتعدد ، كما أن المطالب والاقتراحات فيها كثيرة أيضا . ونحن أمام هذه المطالب والاقتراحات نبدو فى حيرة من الأمر .. فالبعض يريد منا زيادة صفحات « حوار القراء » حتى تأخذ معظم الرسائل طريقها فوق صفحات العدد .. وصوت آخر ينادينا من أقاصى المغرب العربي يطلب منا تخصيص ركن للتعارف مع أبناء العروبة ، وقائل آخر يقول : لماذا لا تعودون الى صورة الصفحة الثانية .. ومطالب عديدة كل يريد تحقيقها له .. والحرص على تحقيق رغبات القراء ومطالبهم غاية رسالتنا فى « العربي » ولكن هناك اعتبارات ، وهناك عراقيل تقف أمام تحقيق ما يريد كل قارىء .. فالعذر للقراء .. وخير الناس أعذرهم للناس ..

المحرر

الشباب زهرة الأمم

● الشباب هم البذرة فى الأرض .. والبذرة تحتاج الى مناخ ملائم ومناسب حتى تنمو وتزدهر لتعطي ثمارها .

وحتى يستطيع هؤلاء الشباب الوقوف على أقدامهم فانهم يحتاجون الى عناصر مادية واجتماعية ووجدانية وسياسية ، وكل هذه العناصر تتفاعل وتتكامل بنظام دقيق ومحسوب باحكام . وليس من شك فى أن كل جانب من هذه الجوانب تعترضه آلاف العقد فى الدول النامية بشكل عام ، الأمر الذى يترتب عليه أن نجد شبابا لديهم شعور قاتل « بالدونية » وعدم الكفاءة . ولما كانت أغلب المشروعات تحمل معانى ودلالات على طبيعة شخصيات الشباب ، التى نحن فى حاجة كبيرة الى اعادة بناء الانسان من جديد ، وهذا البناء يتم من خلال الايمان والالتزام بكتاب الله تعالى .

ان روح ديننا السمح تقوم على الايمان بالله والعقيدة الراسخة ، والايمان والعقيدة يحصلان للانسان مجموعة من القيم والمبادىء التى لا تقوم الحياة بدونها .

حلمى محمد متولى/ الدقهلية ـ مصر العربية

لا ينكر أحد دور الشباب فى بناء الأمم ، فهم العطاء المتدفق الذى يستطيع بناء الحضارات لاوطانهم .. ومتى ما توافر مناخ الحرية والحماس لجيل الشباب ، فانه يبدع فى العطاء دون حدود ، ويبنى دون يأس ..

اعداد : يوسف الشهاب

ديمقراطية الكويت

● قرأت ما تناولته الصحافة عندنا «أجهزة المذياع . حول الانتخابات البرلمانية في بلادكم ، التي تصدر منها كل شهر مجلة كل مواطن عربي ، والتي تحمل اسم « العربي » ولقد أعجبتنا هذه الروح الديمقراطية التي تسود فوق أرضكم ، وهي ر ح نعتز بها نحن كما تعتزون بها ، لأن الأمة العربية جسد واحد ، ولأن الكويت قد أعطت الوجه الحقيقي المشرق للديمقراطية والحرية والاخاء بين أبناء الشعب الواحد . . هنيئا لكم في مناخ الحرية والود والتعاطف الذي يسود أرضكم ، وهنيئا لنا نحن العرب بالكويت البلد العربي الأصيل الذي يعمل بالشورى من أجل بناء الكويت وشعبها . .

محمد بلعباس ـ وهران . . الجزائر

الحياة الديمقراطية في الكويت ليست جديدة على هذا البلد . . فقد كان أبناء الكويت القدماء يعملون يدا واحدة ، لا فرق بين حاكم ومحكوم . . وما تعيشه الكويت من حياة ديمقراطية هي امتداد لذلك الماضي الذي عاشت عليه وأصبح جزءا منها . .

الناس معادن . . فلا تعجب

● كانت دهشتنا كبيرة نحن قراء « العربي » في منطقة الاحساء بالمملكة العربية السعودية ، حين رأينا أن العدد الممتاز من المجلة ليس مصحوبا بالهدية التي تقدمها العربي للقارىء مع مطلع كل عام . .

ودهشتنا أكثر حينما رأينا أن هذه الهدية تباع في محلات الزجاج « البراويز » وبأسعار تفوق أسعار المجلة ذاتها ـ وهذا بعيد عن أهداف المجلة كما نعلم ، ونرجو أن لا تتكرر هذه التصرفات مرة أخرى ، لاننا نعلم جيدا أن العربي حريصة على تقديم الثقافة والمعرفة للقارىء أكثر من حرصها على المال . .

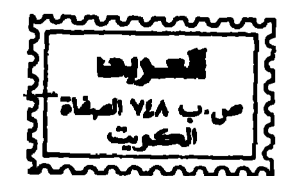
ابراهيم سليمان الدخيل ـ الاحساء السعودية

هدية العربي تباع كما هي العادة مع العدد . هذا هو هدفنا ، واذا كان هناك من يبيعها دون العدد فذلك اجراء شخصي من بعض أصحاب المكتبات ، ويمكن للقارىء أن يطالب بهديته من بائع المكتبة ، كما يمكن الرجوع أيضا الى مكتب الموزع فذلك حق من حقوقه ، ولا نستطيع بالطبع مراقبة كافة أصحاب المكتبات فالمسألة تتعلق بمعدن البائع ،ولا تتعجب من هذا السلوك . .

نحن أمة الحضارة

● ليس التحضر هو تقليد واتباع أساليب التصنع في حياتنا والتظاهر بمظاهرنا الخارجية ، لاننا أمة سبقت أمم العالم الأخرى في الحضارة والتطور ، وأعرف الناس الى رفع الأسس والمبادىء ، ولدينا من العلماء في شتى العلوم المختلفة الذين تركوا ابداعهم العلمي واضحا على مسيرة الانسان في هذا الكون .

واذا كان هذا هو ماضي أمتنا العربية التي أشرقت شمس علومها على اختلاف أصقاع العالم ، فاننا لابد وأن نعود الى احياء ذاك العصر الذهبي الزاهر ، الذي



حوار القراء

كانت عليه أمتنا يوم أن كان الغرب يغط في ظلمات الجهل والتخلف .

بولس كامل الشيخ - الجمهورية السورية

كم يتمنى المرء أن تعود أمتنا الى العصر المشرق الذى كانت عليه ، لكن الأماني لا تأتي بالكلمات ، بقدر ما تأتي بالعمل المخلص ونبذ الأحقاد والضغائن فيما بين أمة العرب . .

استطلعوا حضرموت

● دأبت مجلة العربي ، على نشر استطلاع شهرى يسلط الضوء على قطر عربي أو اسلامي ، ويعطى القارىء صورة عن طبيعة جانب من الحياة اليومية في الدولة ذات العلاقة بالاستطلاع ، لكنكم منذ زمن بعيد لم تقدموا لنا استطلاعا عن محافظة «حضرموت» في جمهورية اليمن الديمقراطية ، حتى يقف القارىء في شتى أقطار الوطن العربي على ما وصلت اليه بلادنا خلال السنوات الأخيرة . .

حسين محمد الدحيمي - عدن - اليمن الديمقراطي

لسنا في غفلة عن اليمن الديمقراطي ، فكل بلاد العرب أوطان للعربي . ولو رجعت الى عدد العربي (سبتمبر ١٩٨٤) لوجدت استطلاعا عن الحياة الجديدة في اليمن الديمقراطية . على أى الحالات فنرجو أن نقوم باستطلاع جديد مرة أخرى في بلادكم باذن الله .

توضيح من الدكتور الفرا حول خريطة الوطن العربي

● إثر اصدار خريطة الوطن العربي ، هدية العدد الممتاز (يناير ١٩٨٥) التي أشرف على إعدادها الدكتور محمد علي الفرا ، وردت من عدد من القراء الكرام بعض الرسائل التي تتعلق بملاحظاتهم حول الحدود وغير ذلك من الانتقادات .

وننشر فيما يلي التوضيح التالي من الدكتور محمد علي الفرا :

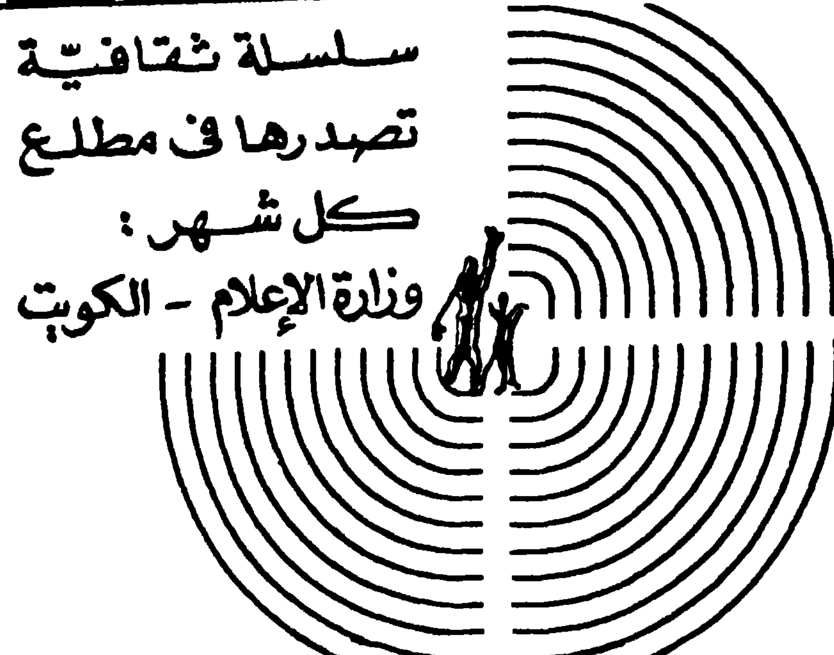
وردت رسائل كثيرة من القراء الكرام يحتجون فيها على الحدود بين بعض أقطار الوطن العربي ، كما يعتب فريق آخر لعدم ذكر قطر معين بحدوده ضمن الخريطة .

ونحب أن نوجه عناية القراء الكرام الى أن الحدود من المسائل التي لاتزال قائمة بين كثير من أقطار الوطن العربي ، ولذلك وتجنبا للاشكال استخدمنا « الحد اللوني » بين بعض المناطق للدلالة على أن الحدود بانتظار التسوية النهائية .

وبسبب مشاكل الحدود أصبحت كثيراً من دور النشر العالمية التي تصدر الاطالس والخرائط تحرص على كتابة العبارة التالية في أسفل الخرائط (لا صلاحية لهذه الخريطة فيما يتصل بالحدود الدولية)

أما ما يعتقده البعض من أننا استبعدنا بعض الاقطار من خريطة الوطن العربي ، فانه مع تقديرنا للروح العربية العالية التي يتحلى بها القراء الاعزاء ، ونحن نشاركهم هذا الشعور القوي النبيل ، إلا أننا رغم ايماننا بوحدة جميع التراب العربي قد حرصنا على أن تشمل خريطة الوطن العربي جميع الاقطار التي اعترفت بها جامعة الدول العربية على المستويين الاقليمي والعالمي .

من المسرح العالمي



١٨٨

أول مايو



تأليف : تانكرد دورست

ترجمة : د. عبد السلام اسماعيل

مراجعة : د. مصطفى ماهر



كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

مايو ١٩٨٥م

الإسلام وحقوق الإنسان

د. محمد عمارة

الكتاب التاسع والثمانون

٥٠٠ فلس

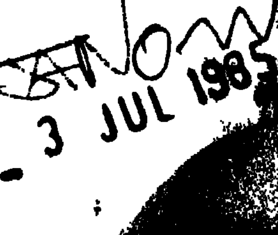
المراسلات :
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

زيران ، ١٩٨٥ م



مع العدد : العربي الصغير









العــــــدد ٣١٩ يونــيو ١٩٨٥

العربي

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

عنوان المجلة
ص. ب ٧٤٨ صفاة - الكويت
تلفون ٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس: MITR-44041 KT
المراسلات بإسم رئيس التحرير

AL-ARABI
Issue No.319 June.1985 P.O. Box 748-Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by: Ministry Of Information - State Of Kuwait.

الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

الإشتراكات ترسل الطلبات إلى: قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص. ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلي:
الوطن العربي ٤ د.ك - باقي دول العالم ٦ د.ك

ثمن النسخة

الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٢٥٠ درهماً
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع دينار
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليماً	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكاً
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران


العلم
في حياة الإنسان
مراجعات حول
العروبة
والإسلام
وأوربا !
طبائع البشر
حوار لا مواجهة
دراسات حول
الإسلام والعصر
صدر من
سلسلة
كتاب
العربي
الفصلية
• الحرية .. للدكتور أحمد زكي
• العلم في حياة الانسان .. للدكتور عبد الحليم منتصر
• المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة .. لمجموعة من الكتاب
• مراجعات حول العروبة والاسلام واوروبا .. للدكتور محمود السمرة
• الحياة والناس والوحدة في دول الخليج العربي .. لمجموعة من الكتاب
• طبائع البشر .. للدكتور فاخر عاقل
• حوار لا مواجهة .. للدكتور أحمد كمال أبو المجد

عزيزي القارئ

مهنة الصحافة لاتعرف المستحيل . . ولاتعترف بالعبارة التي تقول « ليس في الامكان أبدع مما كان » فهناك دائما مجال للتطوير والتجديد وتقديم صحافة أفضل .

والكلمة المكتوبة . . والكلمة المصورة . . هما دليلا الحركة الدائمة على ساحة العمل الصحفي . وحين تتحرك الكلمة نحو آفاق أوسع . . وتتسع العدسة لتلتقط صورة أرحب وأشمل . . فان ذلك يعني المزيد من الانطلاق في عالم لايعترف بالجمود . . لأن الجمود ضد حركة الحياة .

و « العربي » في حركة مستمرة لاتتوقف ابدا . . انها تتحرك باستمرار من أجلك ـ عزيزي القارىء ـ لتقدم لك كل جديد بالكلمة . . والصورة . . ودون أن تهمل جانبا من الجانبين . . لأنها تعرف أنه بقدر ماتكون الكلمة أبرز تعبيرا . . تكون الصورة أبلغ تأثيرا . . وقد كان هذا هو مادأبت عليه « العربي » منذ انطلاقتها الاولى عندما زاوجت بين الكلمة والصورة في استطلاعاتها العميقة من أجل أن تكون بحق عيون قرائها على العالم . .

ولعل النجاحات المستمرة في هذا الميدان كانت وراء اختيار « اليونسكو . لمجلة العربي لتدير ـ بالتنسيق معها ـ الندوة المشتركة لمناقشة فكرة انشاء وكالة أنباء عربية مصورة تحت شعار « دراسة سبل اقامة مؤسسة عربية للخدمات الصحفية المصورة » وقد عقدت هذه الندوة في الكويت بين ٢٠ و٢٢ من ابريل الماضي للاسهام في ادخال الصورة كعنصر اعلامي واتصالي في النهضة الاعلامية الجديدة . . وتسجيل مظاهر الحياة العربية لحفظها وجعلها في متناول الدارسين والباحثين . . وقد استطاعت العربي أن تقدم خبراتها وصورا من نجاحاتها في هذا المجال ، وهو ماشهد به الخبراء والمتخصصون والاعلاميون المشاركون .

وتستطيع ـ عزيزي القارىء ـ أن تلاحظ ـ وأنت تطالع هذا العدد الخاص الذي يصدر مع مطلع شهر رمضان المبارك ـ ان هدف المزاوجة بين الكلمة والصورة ، والرسم أيضا ، تعبير مستمر ومتجدد لحركة « العربي » المتواصلة . فالعربي تنطلق من اجلك الى بروناي . . لتكون أول مجلة عربية تدخل سلطنة التحديات . . بالقلم والعدسة . . وهي تقدم لك نسيجا آخر من التاريخ والأسطورة والشهادة في قصة مدينة الكوفة . . وهي تذهب بك الى الأندلس لتشهد دخول عبد الرحمن الداخل قبل ١٢٠٠ سنة . . وحين تكون اللوحة المرسومة أجدى لاثارة حنينك الى الماضي القريب فإنها تقدمها لك في صورة ذكريات رمضانية . . وحين يكون الحنين الى بعيد فإنها تأخذك في رحلة مع الجبرتي وهو يصوم رمضان . . ثم تنتقل معك الى حديث عن الحاجة الى الاسلام في هذا الزمان . . وحديث آخر عن الحساب الفلكي وتحديد بدايات الشهور القمرية . . ثم تحكى لك لماذا كان الافطار على تمر منذ عهد الرسول الكريم .

ان العربي تتحرك ـ عزيزي القارىء ـ بك ومن اجلك . . بالعدسة والريشة والقلم . . ولعلك تجد في هذا العدد بين يديك غذاء روحيا يحاول اشباعك . . وريا طيبا يخفف تعطشك . . ورمضان كريم .

المحرر

محتويات العدد



مسجد عمر سيف الدين من أبرز معالم بروناي .. سلطنة التحديات [طالع ص ٣٦]

استطلاعات ومقابلات

أبواب العربي

المراسلات باسم رئيس التحرير .. والمجلة غير ملتزمة باعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء .

العربي ـ العدد ٣١٩ ـ يونيو ١٩٨٥



البيت العربي

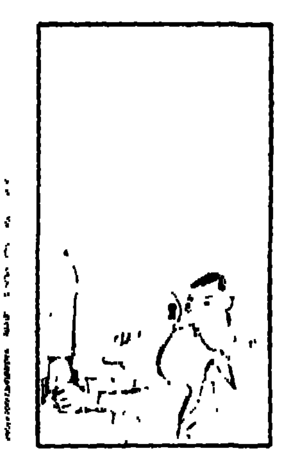
مجلة الأسرة والمجتمع

بقلم الدكتور محمد الرميحي



ومعوقاته في الوطن العربي

- لا يزدهر الإبداع في أجواء القهر والتسلط والإستبداد .
- الإبداع مبشر بالتغيير وناقد للقائم وجالب للبديل الأفضل .
- البيروقراطيون حجر عثرة في وجه المبدعين .
- متى يصبح الوطن العربي منطقة ثقافية واحدة تتنقل نتاجاتها الإبداعية بينها دون قيود ؟



لعل من الاشكالات الاولى التي تطرح نفسها عندما نتحدث عن الابداع ، هو الخلط الكبير في المعنى بين لفظي «الابداع» و«البدعة» . فالأول مقبول ، والثاني مرفوض منا لأسباب تراثية معروفة .

وليس بعزيز علينا أن نميز هذا الخلط إذا رجعنا الى شيء من الدقة اللغوية،أولا في مدلولها الوضعي وصِيَغِه ، وفيما يغلب على الالفاظ بعد ذلك من اصطلاح او مألوف اجتماعي متداول ، فاللغويون يقولون ان مادة « بدع » تفيد اختراع الشيء وانشاءه على غير وجود سابق ، ثم يأتي علماء الاسلام فيضعون صيغة « البدعة » فيما يقرب من المصطلح الشرعي لتدل على « الدخيل الممقوت » الذي يجافي العقيدة والفرائض والتشريع ، وهم

يستندون في ذلك الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء في سياقه « . . . ان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النـار » . على أن من السلف الصالح من جذب هذه اللفظة من هذا المدلول الضيق الى رحابة مدلولها اللغوي فقال : ان البدعة بدعتان : بدعة هدى ، وبدعة ضلالة .



أما صيغة « الابداع » فقد كانت أسعد حظا من شقيقتها « البدعة » ، فلم تخرج عن مدلولها اللغوي كثيرا حينما غلب عليها إنشاء المعنويات بوجه عام والفنون الجميلة بوجه خاص ، وهي على اي حال تظفر بالاحتـرام ، والاجلال في كل مدلولاتها ، حتى ليمكننا بعد هذا التوضيح أن نقول ان هذا الخلط بين الصيغتين قد يحسم ايضا بالمواقف وانفعالاتها ، فإن كان الشيء المبتكر موافقا لهوانا وصفناه بالابداع ، وان كان على غـير مانحب ونهوى وصفناه بالبدعة .

واذا كان من المتفق عليه ان ابداع الشيء هو انشاؤه على شاكلة غير مسبوقة ، فإن الابداع الثقافي يعني انتهاج نهج جديد وصياغة غير مسبوقة في فنون القول كالشعر والنثر وفنونها ، وفي مجال الفنون التشكيلية كالـرسم والنحت والتصوير وسائر الفنون الجميلة من موسيقا وتمثيل إلى غير ذلك . ولا يبتعد عنصر الابداع عن العلم والعلوم حينما يُحتنف مخـاضها الالهـام والتخيل والتأليف ، أي ان المبدعين هم أولئك الدين يضيفـون العناصـر الجديدة في نطاق فن ما ، او يستحدثون نهجا مبتكرا في دراسة او بحث ، وأدنى درجات الابداع هي وضع القديم في صياغة مستحدثة لم يكن عليها من قبل .

وقد فسرت المدارس النفسية المختلفة دوافع الابداع طبقا لتوجهات كل منها واجتهاداتها ، فقد قال البعض : ان دوافع الابداع هي الانفعال الخلاق ، ومدرسة ثانية تقرر ان دوافع الابداع تكمن في إعلاء الرغبـات الخبيئة أو الكشف عنها ، ووجهة ثالثة تقول : ان الابداع هو تعويض عن الشعور بالنقص الذي يحسه الانسان فيلجأ الى الاتيان بالجديد حتى يستكمل نقصه .

الخصائص العقلية للمبدع :

☐ وقد اتفقت جهرة من علماء النفس على طبيعة الخصائص العقلية للمبدع ، وحصرها في أربعة عوامل رئيسة هي : الطلاقـة ، والمرونـة ، والتوسع ، والاصالة . كما جرى تحديدهم لكل منها على الوجه التالي :

الطلاقة : وتعني القدرة على انتاج الجديد من الافكار فيما يمس مهمة معينة او موضوعا محددا .

والمرونة : وهي القدرة على النتاج الفكري الذي يظهر تحرك الانسان من مستوى فكري الى مستوى فكري مغاير .

والتوسع : ويعني القدرة على اضافة تفاصيل على صلب الموضوع الى فكرة اساسية تم انتاجها في السابق .



والأصالة : وهي القدرة على الوصول الى افكار لم يتوصل اليها ويكاد صاحبها أن ينفرد بها ، كما تكشف عن إلتماع ذكائه ، واتساع مد فكره .

وهناك عوامل مساعدة ترفد هذه العوامل الأربعة الرئيسة لم يغفلها علماء النفس ، وهي القدرة على التحليل والتجريد والترابط ، ولمح التوافق والتفارق ، واضاف بعضهم ان الاحساس بالمشكلات وتقييم الموضوعات الانسانية عاملان مهمان في دفع القدرة الابداعية لدى الفرد الى ظهورها وفاعليتها .

ومهما تعددت هذه التفسيرات النفسية فإنها تصب في مجرى واحد كبير ، هو ان القدرة على الابداع موفورة لدى كثير من الافراد في مجتمعات مختلفة على وجه كوننا الارضي .

واذا كان الابداع في البدء موجة من ضياء الفكر الذي يتبلور فيما بعد على اشكال وصيغ مبتكرة ، فان علماء النفس يذكرون لنا نوعين من التفكير في هذا المجال : اولهما ما يسمى بالتفكير المطابق ، والآخر بالتفكير المخالف ، أما الأول « المطابق » فهو التقليدي المصادق لما يقوله الناس في تفسير الظواهر والمسائل ، وأما الثاني « المخالف » فهو الذي يختط سبلا غير مطروقة ليس للناس بها إلف ولا وجه مشابهة في تفسير الأشياء والمسائل .

كما يربط البعض بين الابداع والذكاء على أن الثاني سابق للأول ولكنه ليس بالضرورة متسببا فيه ، فكل مبدع ذكي ، وما كل ذكي بمبدع ، ذلك لأن الذكاء الحبيس المتنحى عن مجاله لا يتصور منه أي انجاز أو ابداع .

وتذهب دراسات كثيرة لتفسر الابداع من وجهة نظر نفسية قد تعيننا على فهم بعض المؤشرات التي ينطوي عليها موضوعنا هذا ، ولكنها لا تبلغ بنا كل ما نريده ، فالابداع له جناحان : اولهما ذاتي نفسي ، والآخر مناخي بيئي ظرفي ، ويتمثل الجناح الأول في كونه عملية انسانية نفسية تعتمل داخل المبدعين ولا سبيل الى استجلاء خفاياها الا من خلال انفسهم ، وكثير منهم يغلق أبواب نفسه ويحجب دوافع الابداع لديه ، ويبدو ان الخفاء طبيعة ملازمة لذلك التفاعل النفسي المركب ، في تدرجه من لحظة الالهام الى فترة الكمون ثم خروج الفكرة الى النور،وبروز صورتها في احدى صيغ الابداع من فنون القول أو التجسيم أو التصوير أو الايقاع وما الى ذلك ، وهذا العمل جميعه محفوف بالدوافع النفسية الناشطة،ومشبع بالنبض النفسي العميق .

أما الجناح الثاني الذي وصفناه بالجناح « البيئي الظرفي » لوثوق ارتباطه بالمحيط الانساني في جوانبه المتعددة ، فهو ما أردنا ان نخلص اليه من كل ما سبق ونجعله ركيزة اهتمامنا في هذا المقال ، وجوهر القضية هنا انه لايكاد يخلو مجتمع انساني من عدة أفراد ـ رجالا ونساء ـ يمتلكون كل الخصائص والقدرات النفسية للابداع ، ولابد أن يقوم التفاوت بين هؤلاء

المبدعين في النوع والكم من جهة ، وفي مدى طواعية الظروف وصلاحيتها لمعونتهم - افرادا وجماعات - من ناحية اخرى ، سواء أكانت هذه الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية شاملة تنسحب على المحيط كله ، أم خاصة تقتصر على الاسرة أو الحالة الفردية ، فمادامت القدرات الاساسية موفورة للابداع فلابد ان يكون المعطل لها شيئا من ظروف البيئة التي أوضحنا مجالاتها وحدودها .

المبدعون في اقطار الوطن العربي :

□ من المهم ان نؤكد أن أبناء الامة العربية بكافة أقطارها ، قد تشربوا نتاج الابداع الثقافي من المبدعين الذين سبقوهم أو عاصروهم من العرب والاجانب ، كما أنهم ورثة شرعيون للتراث الابداعي في ثوبيه العربي والاسلامي وغيرهما من ثياب ، ومن الصعوبة بمكان - ان لم يكن محالا - أن تجتث هذه الجذور الضاربة في أغوار التاريخ والمرتبطة بوشائج القربى ووحدة الثقافة .

ان الأمم المتحضرة في ايامنا الراهنة تصطفي المبدعين من ابنائها في كل مجالات الابداع ، بل انها تكفلهم وتذلل لهم سبل النشاط والابتكار ، ولا تألو جهدا في الاغداق عليهم بكل ألوان التكريم المادي والأدبي حتى تنفسح امامهم آفاق الانطلاق والابداع ، ولهذا فإنه لا يعد خروجا عن المألوف ان نتوافر على دراسة « معوقات الابداع » لدينا ، وان نتلمس كافة الوسائل والاساليب الكفيلة برفعها أو تذليلها على الأقل ، سعيا الى تحقيق الهدف المجتمعي الشامل في التقدم والتطور .

ان المناخ الصالح للابداع لا يتوافر بتعديل الظروف الراهنة الماثلة سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو غيرهما ، فهذه على اهميتها تتطلب ما يعلو عليها من عوامل التنشئة الاجتماعية الاولى للاطفال والشباب مما يدخل في نطاق الرؤية المستقبلية للمجتمع من طرق ملائمة للتربية والتعليم ، وتحليل القيم والاتجاهات الاجتماعية حتى يتبين منها مدى الدفع أو الاعاقة لنمو الابداع بين أفراد المجتمع .

ولن تستطيع هذه الصفحات ان تستوعب الأشخاص والأعداد الكثيرة للمبدعين في الثقافة بكل فروعها في أقطار وطننا العربي ، فهناك عشرات منهم يغزون ميادين الشعر والقصة والمقالة والنقد والتمثيل والرسم والنحت وسائر المجالات الثقافية الأخرى ، ولكن هذا النتاج الابداعي يترجح بين مختلف الاقطار . . فقد يكون في بعضها مازال هشا لم يصلب عوده ولم يضرب بعمقه في الارض ، وقد يكون في البعض الآخر متدثرا بالرمز في فنون القول خاصة ، وربما استغرقته الرمزية الغامضة حتى أوصلته الى الطلاسم والمعميات في أقطار ثالثة . . وقد يقصر كل ذلك عن الوقوف على قدم المساواة مع الابداع الجيد من الفنانين والأدباء في أقطار عربية أخرى .

إن التصورات الجديدة في دراسات الابداع قد قاربت الشقة بين المبدعين في سائر البشر ، وأوضحت ان الفوارق بينهم ـ سواء تعلق بالكيف أو الكم ـ انما تخضع لتباين ظروف البيئة والمستوى الثقافي والعلمي للشعوب ، وان جميع هذه العوامل الاجتماعية والبيئية تمثل مؤثرا في الابداع اما بدفعه وانطلاقه واما بتعطيله وانكفائه .

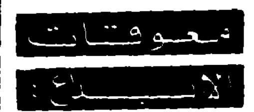
الابداع الثقافي مبشر بالتغيير

□ ان ظاهرة الانتشار النسبي لبعض الاشكال الابداعية الثقافية شابتها ـ في بعض الاقطار العربية ـ ظاهرة مرضية لا ينبغي لنا أن نغض الطرف عنها ، وأعني بها ظاهرة استجار الطاقات الابداعية وخصوصا في التأليف العلمي أو في مجالات فنون الكتابة الأخرى ، فهذه الظاهرة رغم ضآلتها فإنها ستترك ندوبا على صفحة تاريخنا الثقافي العربي ، وتدين ابداعنا المعاصر في ميدان الفكر .

وكما أسلفنا آنفا فإن ممارسة الابداع الثقافي حق لا يمكن لأي دارس موضوعي محايد أن يسلبه من أي شعب أو منطقة جغرافية ، وان من طبيعة كل مجتمع افراز طاقات مبدعة من ابنائه تتشكل في كمها ونوعها على استواء تطوره الحضاري والثقافي ، الا انه يجب القول بمراعاة التدرج والانضاج فلا يتوقع من هذه الطاقات الابداعية أن تحرق المراحل وتطوي الزمن لاهثة متعجلة لتعوض فيما بين عشية وضحاها سنوات التخلف المثقلة بالجهل والفاقة .

كما ان الابداع الثقافي ليس هدفا بذاته وانما هو وسيلة ضمن وسائل أخرى تهدف جميعها الى تقدم الأمة ورقيها والحاقها بركب الحضارة المعاصرة ، والابداع الى ذلك مبشر بالتغيير وناقد للقائم وجالب للبديل الأفضل .

وكثيرا ما يكون انفعال المبدع بقضايا أمته هو الدافع الأساسي في الابداع ، فلولا انفعال بيكاسو مثلا بوحشية الكتائب الاسبانية واستنادهم الى طائرات هتلر في تدمير القرية الرابضة في شمال اسبانيا لما حظي العالم باللوحة الخالدة « الجورنيكا » تلك التي وصمت الاضطهاد الدكتاتوري من جهة ، ومجدت المقاومة الشعبية الاسبانية من جهة أخرى ، وستظل هذه اللوحة وما يماثلها من أشكال الابداع صفحات مضيئة من التاريخ النابض بأسمى القيم وأنبل المشاعر .



□ واذا كانت حاجتنا الماسة في بناء مجتمعاتنا الجديدة تتجه أولا الى المبدعين فجدير بنا أن نسعى اليهم ، وأن نذلل ما يعترضهم من عقبات ، لأن المبدع المعوق طاقة غامضة راكدة ، ولا نستطيع أن نتعرف عليه بمجرد ادعائه ، وانما نقتنع بنتاج إبداعه في علم أو أدب أو فن ، ومن حقه علينا في الوقت نفسه ان نهيىء له فرصة الابداع ونطلق طاقته في مجال ابتكاره ، فيمضي باسهامه الخلاق في قافلة المبدعين الحقيقيين الذين يصنعون الحياة

الجديدة ، ويتركون العالم في غير الصورة التي ألفوه عليها ، ولن يتسنى لهم ذلك الا بانطلاقهم وتواصلهم مع مواطنيهم وخوضهم مشكلاتهم في جو اجتماعي مشبع بنسمات الحرية ، تلك الحرية الملتزمة المتنظمة النابذة للعبث والفوضى .

فالابداع لا يزدهر وينتشر في اجواء القهر والاستبداد والتسلط ، واذا قدر له أن يعيش في هذه الظلال السوداء فإنه يصطبغ بمرارة الكفاح وخطورة التحدي والمناضلة ، والمبدع الذي يستطيع أن يحقق هدفه أو بعضا منه في هذا النطاق الشرس فإنه يستحق من الانسانية مزيدا من الاعزاز والتكريم .

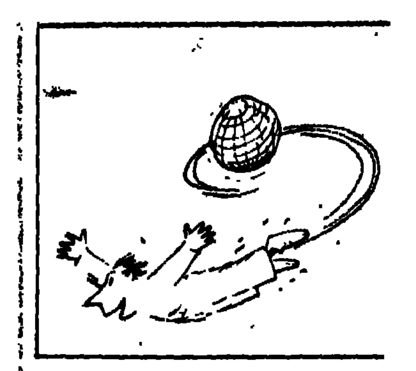
ومن شروط الابداع ايضا ان تقوم الصلة بين المبدع ومجتمعه في شتى فئاته وطوائفه ، وأن يضاعف عنايته واحتكاكه بالقاعدة العريضة من جمهرة الشعب وأغلبيته ، فمشكلات المجتمع وهمومه ومتطلباته،والمصالح العامة التي يبتغيها،والمفاسد التي يعاني منها والحياة المقبلة التي يرجوها ، لابد أن يقترب منها المبدع في معايشة صادقة تتفاعل مع حسه وفكره وتجاربه ومعارفه وتصوراته الملهمة ووعيه برسالته المتميزة ، وينتج من ذلك كله ابداع يخدم حياة المجتمع ويرسم الخطوات الأمينة على طريق النهوض والتغيير ، فضلا عما يبثه المبدع في مجتمعه من معارف جديدة ، وأفكار مضيئة ومشاعر ممتعة ، وذلك ما نطلبه من مبدعينا ازاء المتغيرات التي غزت حياتنا . ويرتكب المبدع خطأ فادحا حينما ينفصل عن مجتمعه ومواطنيه ، لأنه يحرم نفسه من معين الصدق في ابداعه ، ومن المجالات الحية النابضة التي ترفد هذا الابداع وتهيىء له البيئة الخصبة للازدهار والاثمار ، كما أن مجافاة المجتمع إخلال بأمانة الرسالة التي تقتضيه أن يندمج في مجتمعه ويتحسس أحواله ليعبر بصدق عن موقف ، أو يعطي لهذا المجتمع ما يتطلبه أو يوجه ارادته لتغيير لمس ضرورته .

وحينما ينسلخ المبدع عن مجتمعه ويغترب عن بني قومه - وهو بين ظهرانيهم - بروحه وفكره وتجاربه واستلهامه ، فان ابداعه يأتي مفرغا لا ينطوي على المضمون الحقيقي للابداع ، وكثيرا ما يجنح هذا الابداع العاق ليكون صدى للسلطة يعبر عن نظرتها ويتخذ مواقفها ، فلا يلمس منه المجتمع إلا سلبية عقيمة مراوغة لا تبني رأيا ولا تحرك ارادة ولا تبلغ هدفا ، ونرجو ألا ينجرف مبدعونا الى هذا المزلق الخطير .

فالمعوقات كما ذكرنا كثيرة في طريق الابداع ، ومنها ماهو موضوعي ينبثق من العوامل الخارجة عن المبدع ، ومنها ماهو ذاتي يتعلق بطبيعته وحركته .



□ وهي أخطر المعوقات للابداع بوجه عام ، فاتاحة الفرصة الاقتصادية أمام اشكال الابداع ، وتعهدها بالانفاق المالي ، وامداد المؤسسات الرسمية

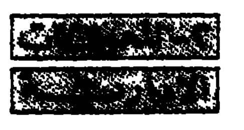


بالميزانيات التي تحقق لها الاقتناء ، وبرامج التفرغ والجوائز التشجيعية كلها علاقات ايجابية تحقق ارتباط الابداع بالناحية الاقتصادية ، كما أن توزيع النتاج الثقافي والفني وضمان الحقوق الاقتصادية للمبدعين من العوامل المهمة في توسيع دائرة انتقالها وتيسير اقتنائها . وحبذا لو اشتركت كل الاقطار العربية مع الموقعين على الاتفاقيات العالمية المتعلقة بحقوق المؤلفين والكتاب وطبقت بنودها على وعي بمسئوليتها ، فذلك أدعى في انصاف المبدعين وارتياحهم واطمئنانهم الى استيفاء حقوقهم .

ومازالت امام المبدع الثقافي عقبات اقتصادية ماثلة ، فحقوق التفرغ لمّا تولد بعد في بعض أقطارنا ، وهي غير واضحة في الأقطار التي أقرتها . والحقوق المالية في أيدي موظفي المؤسسات ، ونظرتهم الى المبدع في ايصالها اليه نظرة المشتري الحريص الى البائع المتحايل ، وكأن الشكل الابداعي بين أيديهم لا يعدو أن يكون بضاعة رخيصة كاسدة ، وهي معاملة تنطوي على الغمط والقهر معا ، فتتخذل الموهبة ، وتخمل الارادة ، وينكص الابداع على عقبه .

كما أن الحقوق الاقتصادية العامة للمبدعين غير مصونة ، وكثيرا ما تتعرض للنهب والقرصنة حينما يعاد تكوينها وتوزيعها وتدر على الآخرين فيضا من الاموال ، بينما صاحبها المبدع يعيش صفر اليدين .

وعلينا أن نتعجل استدراك هذا الامر حتى نستبقي هذه الطاقات الغالية المتميزة ، فقد انصرفت فئة منهم الى اعمال اخرى لا تمت الى الابداع بصلة .



□ وتأتي المعوقات الادارية في المرتبة الثانية من معوقات الابداع في منطقتنا،وهي معوقات نجمت عن المرحلة الحالية من تطورنا وأهمها الفهم المتدني لقيمة الأعمال الابداعية الثقافية وغمط قدرها ، فبعض المسئولين « البيروقراطيين » يهيمنون على اجراءات النتاج الثقافي ومراحله (كالطباعة وغيرها) أو مرحلة الفحص (كالرقابة على المصنفات الفنية) أو مرحلة التوزيع والنشر . فنجد من هؤلاء من قصر وعيه عن ادراك قيمة الثقافة وأثرها في حياة الشعوب فلم يعطها حقها من الاكبار ، ومن المعوقات أن الموكلين بوضع اللوائح والقوانين للابداع يقفون بها عند مستوى فهمهم وتفسيرهم فيقفون بذلك حجر عثرة في وجه المبدعين الذين ينطلقون الى آفاق رحبة ومستويات رفيعة لا يدركها غيرهم .

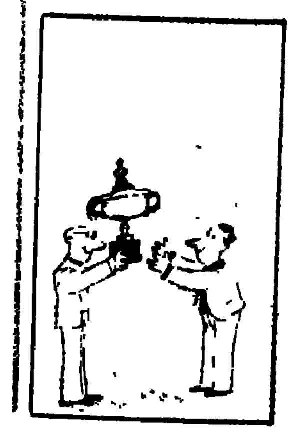
كما أن الصعوبات في النقل والتوزيع هي من الصعوبات الادارية التي تقف امام انتشار الابداع الثقافي ، فيعامل النتاج الثقافي على بعض حدودنا معاملة المهربات والممنوعات ، ولتجاوز ذلك لابد من السعي لجعل الوطن العربي منطقة ثقافية واحدة يسهل انتقال النتاجات الثقافية بينها دون قيود أو رقابة مسبقة .



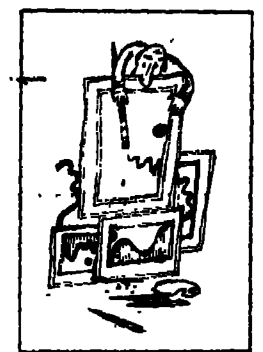
□ وهي معوقات داخلة في نسيج القيم الاجتماعية التي نحملها ومتفاعلة معها ، وعندما نقول ان المبدع الحقيقي هو صاحب الرأي المخالف الخلاق ، يتبادر الى ذهننا على الفور الصعوبات التي تواجهه في مثل مجتمعاتنا ،فإن من سوء الحظ أن نظام التنشئة الاجتماعية لدينا وكذلك نظام التعليم الذي يحتويه ويكمله يقتل في الاطفال والناشئة القدرات الابداعية،ويدعوهم دائما الى التفكير المطابق بدلا من التفكير الابداعي المختلف الخلاق . في الوقت الذي تحرص فيه المجتمعات الأخرى حرصا شديدا على أن تربي أطفالها وناشئتها على أسس التربية الخلاقة ، لأنهم سيعيشون زمانا مختلفا له مطالب مختلفة ويواجهون صعوبات مختلفة ، وفي الوقت الذي تهتم فيه الأمم بالقدرات الابداعية لدى الاطفال والراشدين على حد سواء ، يضيق كبارنا بتصرفات الاطفال التي تتسم بالحدة والنزوع الى التغيير . ونتخوف من مطالب شبابنا الجديدة ، ونحاول دائما اقرار مفاهيم تقليدية تسربت الينا من آبائنا معتقدين أن ابناءنا سيعتنقون نفس المفاهيم ، ولو تركنا الامور على طبيعتها لوجدنا هؤلاء الصغار يمارسون التقليد لأبائهم وأجدادهم في صورة تلقائية غير واعية جريا على التشبه بالأكبر ، والأكمل ، لكن ذلك لا يلبث أن يزول حينما يبلغون من النضج مبلغا يدفعهم الى تحقيق ذواتهم ومواجهة مشكلاتهم في حياتهم الخاصة ان عاجلا أو آجلا .

وتعج أمثالنا الشعبية بالحض على التوافق مع الكبار واحترام خبراتهم وأعمالهم وأقوالهم وتقديسها ، كما أن القيم الاجتماعية النابذة لبعض أشكال الفنون كالغناء والرسم في بعض قطاعات مجتمعنا مازالت سائدة ، وربما نظر الى الرجل أو المرأة المشتغلين ببعض الفنون كالغناء والمسرح نظرة امتهان تهبط بهم الى أسفل السلم الاجتماعي .

ومن القيم الاجتماعية المؤثرة على نظرتنا الى الابداع ، نظرتنا الى المرأة التي يراها البعض قاصرا دائما ، ويجب عزلها ، حتى أصبحت الرجولة تعني فيما تعنيه في عرف بعضنا السيطرة على المرأة ، لذلك فإنها تمنع في كثير من الاوقات من تفجير طاقتها الابداعية في الشعر والنثر والرسم والمسرح .. الخ ، لا لسبب إلا لأن المجتمع يرى في ذلك عيبا اجتماعيا من خلال الاسرة والراشدين الذكور .

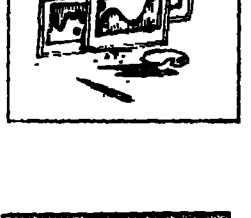


وقد يكون صغر حجم بعض مجتمعاتنا معوقا في حد ذاته للابداع الثقافي ، فالخبرة في هذه المجتمعات الصغيرة هي خبرة ضيقة ومحدودة ، كما أن الافراد يعرف بعضهم بعضا معرفة وثيقة ، ويضيق هذا النوع من المجتمعات بالاشكال الجدية في النقد ، وخصوصا النقد للابداع والمبدعين ، ومازال النقد في منطقتنا طفلا يحبو تشوبه العلاقات الشخصية وما تفرضه من محاباة لذوي العلاقات الودية ، وشطط وغلو مع الذين لا نرضى عنهم .



وبعض القيم الاجتماعية تفرض على المبدعين ممارسة ابداعهم في الخف وكأن الابداع مرض خطير أو تصرف مشين يمكن أن يرتد على باقي افر الاسرة بالعار والشنار .

ولعل طبيعة التركيب الاجتماعي ومستوى التعليم في مجتمعاتنا تجعل ننظر بشكل جاد وجديد لوسائل اعلامنا المرئية والمسموعة،ونمو اثرها في تشجيع الابداع أو تثبيطه،فهي في كل بيت وتصل الى كل واحة وقرية . ونطالب هذه الوسائل بأن تفسح للابداع جانبا من صدرها



□ اذا ما اتفقنا على أن للمبدع والابداع الحقيقين هدفا ساميا وجليلا يتمثل في احداث تغيرات في المجتمع نحو الافضل ، فليس من المستغرب أن يرتطم المبدعون وابداعهم بالسلطة السياسية التي تريد ان تصب الجماهير في قوالب جامدة،وتحرص على حشو أدمغتها بمفهوم غامض للاستقرار تفرضه حفاظا على هيمنتها ومصالحها ، وهي نظرة قاصرة لا تلبي مطلب المجتمع وحاجته الملحة الى التطوير والتغيير .

فالمبدع الحقيقي بطبيعة رسالته يندفع الى تحسس هموم مجتمعه ويتصدى لمشكلاته في مرونة وحرية ، فتضيق السلطة بابداعه الذي ينطوي على نقدها من قريب أو بعيد فتمارس سلطانها في احراجه والحد من نشاطه ، فيتحول بعض المبدعين الى الهروب ومغادرة ميدانهم ، أو يلجأ « البعض » الى الرمزية الشديدة الغموض في بعض الأحيان مما يحبط الابداع الثقافي ويقصر به عن بلوغ هدفه . وينتج عن ذلك ظاهرة مؤسفة هي الابداع المنحرف،ويصبح التأليف والنشر هدفين مقصودين لذاتهما دون أن تكون هناك قضية تثار أو رأي يبدى ، وكثيرا ما يجد هذا النوع الزائف من الابداع طريقه الى الصحف ومجلات الأدب والفكر ، وتتوارى الاصالة المجدية لتترك للتزييف العقيم مكانها ، كما يحدث في أسواق النقود حينما تطرد العملة الرديئة العملة الجيدة وتحتل مكانتها .

ولا ينبغي أن يغفل هذا الامر دون مواجهة أو معالجة ، ولابد من صوغ اطار توافقي للابداع تقبله السلطة ، وفي الوقت نفسه يحفظ للابداع خصائصه ويعطيه حرية الحركة في مجالات ازدهاره وفاعليته ، وهذه الصيغة تستوجب ان تكون أقرب الى التسامح منها الى التضييق والتشدد ، وأدنى الى الحرية منها الى القمع والتسلط ، صيغة تتوافر لها رحابة الحدود ومرونة الحركة بين دائرتي الحكم والابداع على أساس اننا جميعا ابناء وطن واحد نألم لضرره ونسعد بنفعه ، فلنتحاور اذن من منابر مؤسسات وقوانين يزدهر في ظلالها الابداع والاجتهاد،وتسهم في تقديم الحلول لمشكلاتنا الماثلة والمتوقعة .

محمد الرميحي

الحاجة الى الاسلام

فى هـــذا الــزمــــان

بقلم : الدكتور أحمد كمال أبو المجد

لايمكن للمسلمين أن يعمروا الكون الا اذا اكتشفوا قوانينه بالنظر العقلى الحر ، وبالتجربة العملية الدقيقة . . . والا اذا أقبلت أجيالهم على الحياة فى حماس وأمل ورغبة فى البناء . هذا بعض مايجتهد به الكاتب وما يدعو اليه .

لكن ، كيف ينظر الى هذا الزمان . . وعلى أية صورة يتصوره ؟ وما هو موقع الاسلام فيه ؟

لا أكاد استفتح حديثا عن الاسلام هذه الأيام حتى تداخلنى رغبة دفينة فى أن استمهل القراء حتى لا ينفضوا عنى . . باحثين عن حديث آخر أوثق اتصالا بما يرونه قضاياهم الحقيقية القائمة وعذرى فى هذا الاحساس ، وعذر القراء فيما يهمون به من الانصراف عن أحاديث الاسلام . . أننا ـ نحن المهتمين بالاسلام والمشغولين بقضاياه . . قد وقعنا ، أو وقع كثير منا فى خطيئتين . .

● الخطيئة الأولى : أننا منذ عشرات السنين نتحدث فنطيل الحديث ، ونقول فنكثر القول ، عن عظمة الاسلام وشموله وخلوده وكماله ، وأنه الحل الذى لا حل غيره لمشاكل المسلمين وغير المسلمين . . غير أننا لا نكاد نجاوز القول أو نعدوه ، ولا نريد أن ننتقل منه الى عمل ، يحرك الدنيا ، ويغير الواقع ، ويقدم الدليل الحقيقي على صحة المقولات التى نطرحها فى حماس بالغ والحاح شديد . .

● الخطيئة الثانية : أن كثيرا من الدعاة والمتحدثين عن الاسلام يصرون على أن يتعاملوا مع الناس من حولهم ، بشروطهم هم . . مانحين أنفسهم حق ترتيب الأولويات لهؤلاء الناس . . ومتصورين

للاصلاح والتغيير منهجا يبدأ خارج الواقع ، ويتحلل من كل الشروط والضوابط الموضوعية التي تحكم هذا الواقع وتحركه . والنتيجة الحتمية لهذا المنهج المتعسف أن يبحث الناس في هذا المنهج الذي يقدمه الدعاة المسلمون عن حلول لمشاكلهم الحقيقية القائمة ، فلا يجدون لكثير منها موضعا ولا ذكرا في برنامج أولئك الدعاة . وانما يجدون ـ بدلا منها ـ حلولا لمشاكل غير قائمة .. واهتماما مبالغا فيه بقضايا جزئية وهامشية ، لا يتصور أن يكون لها في التصور الاسلامي السوى ذلك المكان الرفيع ، وتلك المكانة الكبيرة التي ينحلها لها أولئك المتحدثون باسم الاسلام .. وهكذا يستقر في وجدان كثير من الناس ـ ولهم العذر في ذلك ـ أن ما يطرح عليهم باسم الاسلام ، لم يعد « نافعا » ، ولا « صالحا » ، ولا موصولا بالواقع الحي الذي يعرفونه ويعايشونه ويشتغلون به ..

ومن العسير بعد ذلك أن نظل نردد على الناس في كل مناسبة أن الاسلام غير المسلمين .. وأن هذا الطرح الذي يقدم اليهم على أنه « الاسلام » ليس إلا تفسيرا ذاتيا ناقصا أو فاسدا لمبادىء الاسلام ونصوصه .. فليس كل الناس قادرين على تجاوز النماذج التي تقدم اليهم ، والبحث عن تفسيرات أخرى سليمة وصحية لنصوص الاسلام ومبادئه ..

رؤية جديدة للاسلام

إن المدخل الصحيح لمواجهة هاتين الخطيئتين .. أن نتوقف عن الاستغراق الكامل في محاولات الاستدراك والمراجعة على الطروح الفاسدة لمبادىء الاسلام .. وأن نتوجه ـ بدلا من ذلك ـ الى تقديم رؤية جديدة للاسلام ومبادئه ، نستمدها من منهج واضح في فهم حقيقة الاسلام ووظيفته .. ومنهج واضح كذلك في كيفية التعامل مع النصوص الدينية .. نكشف عنه ونوضحه .. حتى يكون التفاف الناس حول الطرح الجديد قائما على أساس معلوم .. وليس انتقاء عشوائيا بين طروح متعددة ومتساوية ، يدعى كل منها حيازة الصواب واحتكار الحقيقة ..

والواقع أن الحديث عن حاجة المسلمين اليوم الى الاسلام ينطوي على سؤالين متميزين ، أعرف حق المعرفة أنهما يلحان على عقول كثير من المسلمين دون أن يجرؤ أكثرهم على التصريح بهما أو اخراجهما من دائرة الهواجس والأفكار المستترة الى دائرة البحث الصريح ..

● السؤال الأول : هل المسلمون المعاصرون في أزمة حقيقية تحتاج الى مفتاح لحلها ؟ . وهل هذه الأزمة جزء من أزمة عالمية تحكمها ظروف التطور التاريخي العام .. أم أنها أزمة خاصة بالمسلمين وحدهم ؟

● السؤال الثاني : هل لدى الاسلام ـ حقيقة ـ ما يتفرد به ، ويستطيع أن يقدمه علاجا لهذه الأزمة .. واستجابة لحاجات الناس في عصر جديد وظروف جديدة ؟

أما أن المسلمين في أزمة فهذه حقيقة لاتحتمل المكابرة ، ولا تحتاج الى حديث طويل .. وأخص مظاهر هذه الأزمة أمور ثلاثة أساسية :

١ ـ أن الكثرة الغالبة من مجتمعاتهم متخلفة اقتصاديا .. وقدرتها على التصنيع والانتاج والتصدير قدرة محدودة للغاية .. والرخاء الذي تعيشه بعض المجتمعات الاسلامية رخاء عارض أتاحه ظهور النفط ، وارتفاع اسعاره .. ومبادلته بسلع جاهزة أنتجها الغير .. حتى صار صحيحا في حقنا ـ نحن المسلمين ـ أننا نستورد غذاءنا وكساءنا ودواءنا وسلاحنا ..

٢ ـ ان الكثرة الغالبة من الدول الاسلامية منقوصة الاستقلال السياسي والاقتصادي .. تابعة ـ بدرجات متفاوتة ـ لدول كبيرة أو كبرى . وهذا أمر لاتجوز المكابرة فيه ، بل إن أكثر الشواهد تشير الى أن استمرار الفجوة بين الدول الصناعية المتقدمة وبين الدول الصغيرة التي لاتزال تشق طريقها نحو التقدم من شأنه أن يثبت هذه التبعية ، وأن يقلل فرص الاستقلال الحقيقي لهذه الدول النامية ..

٣ ـ أن « الشكل الاجتماعي والثقافي » لأكثر المجتمعات الاسلامية لم يتحدد بعد .. فنظامها القيمي غير واضح ، ونظام العلاقات الاجتماعية فيها ليست له صورة معلومة .. وكثير من القضايا الأساسية الخاصة بالثقافة واساليب المعيشة ،

و... ت الناس بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم بالأمم الأ... ى لا تزال قلقة ومعلقة . .

في الدين والحياة المعاصرة

لا تزال قضية القضايا في « الوجدان المسلم » هي السؤال عن كيفية التوفيق بين قيم الدين ومبادئه وشرائعه وشعائره من ناحية . . وبين صور الحياة المعاصرة التي وفد ويفد كثير منها من حضارات أخرى . . كما نبت بعضها في التربة الاسلامية نتيجة تطورات موضوعية طرأت وتطرأ تباعا على تلك التربة . .

ومن العبث الحديث عن قيادة المسلمين لركب الحضارة ، وعن دور ينتظرهم في توجيهها وترشيد مسيرتها ، وهم على هذا الحال من الضعف والتفرق والحيرة الهائلة ازاء شروط النهضة ، ما ينبغي أن يؤخذ منها . . وما يتحرجون ـ باسم الاصالة ـ من أخذه . .

إن القوة الذاتية ، وتماسك النسيج الداخلي للأمة ، هما المدخل الطبيعي والضروري لممارسة دور ـ أي دور ـ في التأثير على مسيرة الاخرين . . ولو كان هذا دور الناجح الذي يقترح الحلول النافعة . .

والى جوار هذه الأزمة المحلية مظاهر أخرى تعكس الأزمة الحضارية العالمية . . وأخص معالمها . . انتشار القلق . . وسيادة النرجسية وعبادة الذات . . والاندفاع المحموم نحو المادة ، وحيازة الاشياء واكتسابها . . والزهد في المحافظة على المودات والعلاقات الانسانية الحميمة والعميقة . . وما أدى اليه ذلك كله من انتشار العنف الفردي والجماعي بصورة لاشبيه لها في تاريخ الانسانية الطويل . . ومن المؤسف أن هذه الظواهر أعراض لأمراض تصاحب الخطو السريع على طريق النمو والتقدم الصناعي ، وما يتحقق من وفرة في السلع والخدمات . . لهذا ارتفعت الشكوى منها باعتبارها أعراضا « لازمة » في المجتمعات الصناعية المتقدمة . . وتلك التي شهدت تعاقبا وتسارعا في القفزات العلمية والصناعية . . وتراكما في الآثار الاجتماعية والنفسية لهذه القفزات كلها . . ومع ذلك فقد وجدت هذه الأعراض سبيلها الى أكثر المجتمعات الاسلامية ، وهكذا شاء الله لنا أن تجتمع علينا في هذه المرحلة من تاريخنا مظاهر أزمة التخلف . . وأعراض أزمة النمو السريع . . وصار على الذين يرفعون شعارات الاسلام وينادون باللجوء اليه لمواجهة « أزمة المسلمين » أن يبحثوا فيه عن مفاتيح لعلاج هذه الأزمة المزدوجة بشقيها هذين . .

ولكن هل يقدم الاسلام ـ حقيقة ـ مفاتيح لعلاج هذه الأزمة ؟ وماهي هذه المفاتيح التي ينفرد بها ؟ وكيف نضعها ـ عمليا ـ في متناول المجتمعات الاسلامية المعاصرة ؟

ان الاجابة المفصلة عن هذه الأسئلة تحتاج الى حديث طويل يجاوز ـ كثيرا ـ حدود مثل هذا المقال . .

ولكن هذه الاجابة ـ في خصوص واقع المسلمين تكمن في حقيقتين كبيرتين :

● الحقيقة الأولى : أن الخروج من أزمة التخلف الذي تعيشه المجتمعات الاسلامية لايمكن أن يتحقق بأدوات حضارية مقطوعة الصلة بالاسلام وحضارته وثقافته ونظامه القيمي . . ومهما بدا لبعض المحللين والمؤرخين والمصلحين من وجود « أدوات للنهضة » مستقلة تماما عن روح الحضارات المتميزة فإن الحقيقة التاريخية تؤكد أن التفاعل مع هذه الأدوات والاستجابة لتأثيرها لا يكتملان أبدا في اطار الشعور « بالغربة عنها » وهو شعور يضيع الثقة بالنفس . . ويزرع الاعتقاد بالعجز . . ان الدعوة الى الأخذ من ثقافة الأخرين ، مهما بدت مبررة ومقنعة فإنها تظل محملة بخطرين كبيرين : أولهما ـ أن تتحول الاستجابة لها الى استجابة مطلقة . . تأخذ مع « الأدوات الحضارية » «قيما حضارية » ، ومع الأساليب التقنية أساليب حياة ومعيشة ، ونظما للعلاقات الانسانية . . أي تحمل مع « أدوات النهضة » . . أدوات الانتكاس في ميادين أخرى . . وتنقل الى البيئة المحلية مع اسباب التقدم ، أمراض التقدم وأعراض الأزمة المصاحبة له . .

أما الخطر الأخر ، فهو خطر الاستجابة الناقصة نتيجة المقاومة الداخلية والباطنية الناشئة من الاحساس بالخطر . . والشعور بالغربة ازاء « أدوات التقدم » المستعارة . . ان الشعوب في مراحل ضعفها ، واحساسها بأخطار الغزو الثقافي

والسياسي ، تميل-بتلقائية غريزية ـ الى الانغلاق على نفسها ، واغلاق النوافذ في وجه التيارات الوافدة ، وتثبيت أقدامها في أرضها المحلية خوفا من أن تقتلعها العواصف القادمة . . وفي هذه المراحل يكثر الحديث عن الأصالة ، وضرورة المحافظة على ذاتية الثقافة . . وضرورة رفض « الأفكار المستوردة » . . كما تغلب نـزعة محافظة تتجه الى اجترار الماضي والالتصاق به . . خوفا من مجاهيل المستقبل وما يحمله . .

لهذا فإن استخراج أدوات النهضة . . وشروط التقدم من داخل الحضارة الذاتية . . يغدو المسلك الأمثل ، ان لم يكن الطريق الوحيد الفعال ، لمتابعة مسيرة التقدم متابعة لا يتهددها خطر الاندفاع الذى ينخلع أصحابه من ذاتهم . . ولا خطر الرفض والتحفظ ومقاومة « الأدوات الجديدة » لأنها وافدة وغريبة وتحمل في طياتها مداخل متعددة للتبعية ، وفقدان الاستقلال وضياع الهوية . .

ومن هنا تغدو عملية تجديد الفكر الاسلامي « واستخراج » شروط النهضة من باطنه عملية بالغة الأهمية في التوجه للخروج من الأزمة التي يعيشها المسلم المعاصر ، وتعيشها المجتمعات العربية والاسلامية القائمة . .

● الحقيقة الثانية : أن الاسلام ينطوي ـ حقيقة ـ على « أدوات النهضة وشروط التقدم » . . ولكن ظروفا تاريخية بالغة التعقيد دفعت بالشعوب الاسلامية ، وبكثير من روافد الفكر الاسلامي ، بعيدا عن اكتشاف القيمة الكبرى التي يمنحها الاسلام لهذه الأدوات كلها . . ومن ثم فإن تجليتها من جديد ، وتقديمها للناس في وضوح ، في ارتباطها العضوي بالتصور الاسلامي الشامل للانسان ودوره . . لا تزيد على أن تكون حركة تصويب وتصحيح . . واكتشافا ثانيا للتراث ـ في اطار نظرة وظيفية ـ غير شكلية للاسلام ومبادئه وشرائعه وآدابه . .

اكتشاف أدوات النهضة

ان هذا الاكتشاف المتجدد « لأدوات النهضة » يحتاج الى تحديد الأولويات في بيان التصور الاسلامي للحياة وللانسان .

ان إلحاح الاسلام على « تعمير الكون » باعتباره جوهر مهمة الانسان على هذا الكوكب . . هو المدخل لعلاج « الأزمة المحلية » التي تأخذ بخناق المجتمعات الاسلامية . . ذلك أن تعمير الكون له شروط وآليات ، وله مداخل وقيم خادمة وأخلاقيات . واذا كان في تراثنا الفقهي أن ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب . . فالحال كذلك ها هنا . . لا يمكن للمسلين أن يعمروا الكون . . الا اذا اكتشفوا قوانينه بالنظر العقلي الحر . . وبالتجربة العملية الدقيقة . ولا يمكن لهم ـ بعد ذلك ـ أن يستخدموا هذه القوانين الا اذا أحكموا المنهج العلمي في تغيير المجتمع والتأثير في الطبيعة . . والا اذا وجهوا جانبا كبيرا من جهدهم نحو تشكيل أوضاعهم الاجتماعية تشكيلا يعينهم على مواصلة السعي الذي لا يفتر بالعمل المنتج والمبدع . .

وهم في النهاية لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا من ذلك كله الا اذا أقبلت أجيالهم على الحياة في حماس وأمل ورغبة في البناء . . أما اذا أعرضت تلك الأجيال عن الحياة . . وزهدت فيها . . واعتزلتها . . بدعوى أن الشر فيها غالب . . وأن طويلها قصير على أي حال . . وأن الآخرة وحدها جديرة بالعناية والاحتفال . . فإن « البناء النهضوي » فيها ـ ينهار من أساسه . . كما أن فرص التقدم تضيع كلها قبل أن تبدأ . .

لهذا لا نمل أبدا من الدعوة في الحاح الى تجلية أمور ثلاثة نراها وثيقة الصلة بتحريك هذا الاكتشاف الجديد لأدوات النهضة من داخل الاسلام وتصوره الشامل . .

١ ـ الأمر الأول الالحاح على انسانية الاسلام . . وارتباطه بسياق التطور الانساني ، وتاريخ التجربة الانسانية . . ان هذا الالحاح من شأنه أن يتيح قدرا أكبر من تبادل التجارب الحضارية في غير احساس ـ خاطىء ـ بالغربة عنها . . كما أن من شأنه أن ييسر للمسلم المعاصر اقتحام ساحة السباق التي ينفرد بها الآن الآخرون . . ويضع المسلمون أنفسهم خارجها . . وذلك حين يضعون أنفسهم وحضارتهم خارج « تاريخ الآخرين » . .

٢ ـ الأمر الثاني الالحاح على « دور العقل » في بناء النهضة . . وتصفية الحرب القديمة التي لا تنقضي بين

ـعقل والنقل » وبين التراث والتجربة المعاصرة . .
ـير العقل وابداعه لا تقوم نهضة ولا يتغير واقع . .
ـسلام لا يصنع للمسلمين نهضتهم ، وانما ينهض
م .

٣ ـ الأمـر الثـالث الالحـاح عـلى وجـود دور
للمكان » و « الزمان » و « والظرف الموضوعي » في
ـديد المضامين التي جاءت بها النصوص . . وذلك
ستنادا الى تجدد الحكمة الالهية ، والى ارتباط التشريع
بالمصلحة ، ودوران أحكـامه مـع مقاصـده ، والى
القواعد العديدة التي تقوم على هذا الأصل كقاعدة
منع الضرر ، ورفع الحرج ، وتغير الفتوى باختلاف
الأزمنة والأمكنة . .

والاسـلام ـ فوق ذلـك ـ حقيقة كـذلـك ـ عـلى
مداخل أساسية لتخفيف الأزمة الهائلة التي تواجهها
المجتمعـات المتقدمـة . . والتي تنتظر كـل قـادم الى
« نـادي الـدول الصنـاعيـة المتقـدمـة » وهي أزمـة
« الجفـاف » في المشـاعـر الانسـانيـة ، و « الفتـور
المتنـامي » في عـلاقـات النـاس بعضهم ببعض . .
والعزلة الموحشة التي تصنعها النرجسية والانغلاق على
الذات . . وما يصاحب ذلك من مـوجات القلق ،
والاحساس بكآبة الوجود الانساني ، والميل الهائل الى
العنف الذي دخل ـ فرديا وجماعيا ـ دائرة الانحراف
والمرض . .

قيم أوليـــة

ان الاسلام يخفف كثيرا من أعراض هذه الأزمة
من خلال إلحاحه على مجموعة من « القيم الأوليـة »
التي تتناول أكثر الدوائر قربا من « الذات الفردية »
وهي دائرة الأبوة والأمومة والنبوة ، دائرة الأسرة حيث
حول الاسلام علاقات « البر والمودة » في نطاقها من
مجرد قيمة اجتماعية ذات منطلقات غريزيـة الى أمر
وثيق الصلة بالعقيدة نفسها . . تال مباشرة في أهميته
والتذكير به لعقيدة التوحيد التي هي ركن الأركان في
تصوره الشـامل ، وبنائـه الفلسفي والايماني . . كـما
حـول الاسلام « عـلاقة الجـوار » من علاقـة تبادل
للمنافع المادية الى شعيرة دينية خاصة لا أدري كيف
غفل كثير منا عن دلالتها . وكأني بالنبي (ﷺ) وهو
يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه
سيورثه » . . كأني به ـ (ﷺ) كان يتجاوز ببصيرته
وقلبه النبوي الملهم ، مسافات الـزمان والمكـان . .
ويخترق حجب المستقبل ومـا يحمله من تغيرات . .
ويتصـدى بالعـلاج لأزمات النـاس فيها بعـد القرن
العشرين . .

ان من الحقائق المستقرة في عقيدتي . . أن كثيرا من
أحكـام الاسـلام أوصى بهـا النبي (ﷺ) ووجب
العمل بها منذ جاءت عن الله سبحانه . . ولكنهـا ـ
بالمفهوم التاريخي الشامل ـ ظلت مدخرة تنتظر قرونا
من الـزمان . . حتى جـاء الميقات المعلوم للحـاجـة
الهائلة اليها . . وهي حاجة تظهر في عصرنا هذا ،
وفي عصور مقبلة بما لم تظهر بمثله في عهد النبوة وصدر
الاسلام . .

ان التكامل في البناء القيمي الذي أقامه الاسلام
للعلاقات الانسانية يكشف في موضوعية كشفا رائعا
مؤداه أن الاسلام ـ حقيقة ـ يحمل مفاتيح فعالة لحل
أزمة التخلف التي تواجهها مجتمات المسلمين كما يحمل
مداخل أخرى مذهلة للتخفيف من الآثـار السلبية
للتقدم السريع ، والتي يتصورها كثير منا ضريبة لا
فكاك منها يدفعها كل راغب في التقدم المادي . .

فهل يحمل بعض مثقفينا عبء رحلة جديدة على
هذا الطريق الرائع ـ على وعورته ـ يجددون من خلالها
للناس أمر دينهم ويصلحون بها كثيرا مما فسد من أمر
دنياهم ؟ □

ثلاثة أشياء لاتحتملها الملوك

قال الخليفة المأمون العباسي : الملوك تحتمل كـل شيء الا ثلاثـة أشياء :
القدح في الملك ، وافشاء السر ، والتعرض للحرم .

ذكريات وصور رمضانية



بقلم : عبد الرحمن الشرقاوى

ما عرفت احتفالا أنبض بالروعة ، ولا أشرق بالبهجة كالاحتفال برمضان فى قريتى وفى قاهرة أولاد البلد بأحيائها العريقة : الحسين والأزهر والحلمية الجديدة وبركة الفيل والسيدة زينب والمنيرة . .

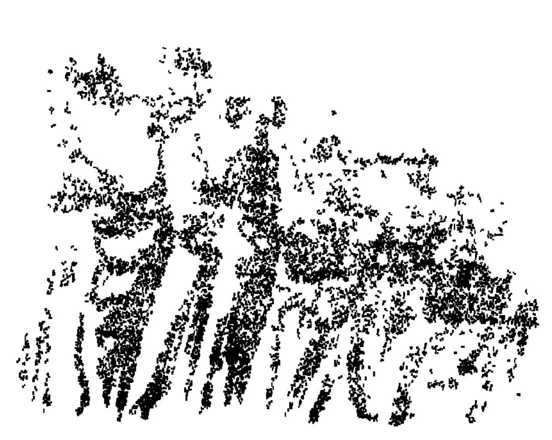
وفى الحق انى لأدرى ماذا اصاب الدنيا ، وماذا دهى الناس ؟! - لم تعد الاحتفالات بمقدم رمضان تشيع فيها الفرحة المشوبة بالحنين الى عصور الورع وجلال التقوى ، كما عرفناها ونحن صغار . . . ؟!

لقد حاولت منذ اصبحت أبا أن أعود أبنائى انتظار رمضان ، والاحتفال به ، وحمدا لله أننى نجحت فى أن أغرس فى قلوبهم الاحتشاد للشهر المبارك ، حتى إذا أصبحت جدا ، أخذت حفيدتىَّ الصغيرتين بمثل ما أخذت به أمهما وأخوالها حين كانوا صغارا . . وان الحفيدتين لتسألان حين يهل علينا شهر رجب وتشعران باحتفالنا بمقدمه - عن مقدم شهر رمضان المعظم ، لما ينتظرهما من ألطاف فى هذا الشهر المبارك .

وقليل من الناس استطاع أن يحتفظ بهذه العادة الطيبة : عادة الاحتفال بشهر رمضان . . ولكن أين مانصنعه اليوم مما شهدناه ونحن صغار . . ؟!

فى قريتى كان الناس يترقبون الشهر ، ويستعدون له بعد ليلة النصف من شعبان :

يستعدون له بتنظيف الطرقات أمام البيوت ، وشراء فوانيس للصغار ، وتوفير البن والسكر والشاى وما يشرب فى أثناء سهر الليالى . .



ومن تقاليد القرية كلما اقترب شهر رمضان أن ...ى الخصومات ، وأن يتصالح الناس ، مهما يكن ...هم من ثارات وضغائن !!
وكان أفضل الناس هو الذى يسعى الى أخيه بعد ...ت رؤية الهلال ، فيهنئه بمقدم الشهر المبارك ! . . يصابحه بالمصافحة قائلا : « رمضان كريم » . .
وعندما تثبت رؤية الهلال يوقد كل صاحب بيت ...راجا أمام داره ، وينطلق الصغار بالفوانيس . .
وبعد صلاة العشاء والتراويح تعمر قراءة القرآن المجوَّد أرجاء بيوت القادرين من أهل القرية . . حيث يتبادل الناس الزيارات ، يسمعون القرآن فى أول الليل فى هذا البيت ثم يسمعون ما بقى من الليل فى بيت آخر . . وكان فى قريتى داران تهتمان باختيار اثنين من أصحاب الصوت الحسن واتقان التلاوة ، ليسهرا طوال الشهر ، احداهما كانت دارنا ، والأخرى دار العمدة ، وكان القارىء فى كل من الدارين من بلد بعيد . . فكان يقيم فى قريتنا طوال الشهر المبارك ، لا يبرحها الى أهله الا ليلة واحدة في منتصف الشهر ثم يعود . . وهكذا كان أهل القرية لكثرة اختلاطهم بالقارىء يعتبرونه واحدا منهم . . ولأنه يجيد تلاوة القرآن ويعرف تفسيره ، فقد كان أهل القرية يستفتونه فى بعض أمورهم ، فيفتيهم ، فاذا لم يعرف قال لهم : « من قال لاأدرى فقد أفتى ! » .

وكنا نحن الصغار حينئذ نحاول أن نتعود الصوم ، ونقضى النهار نحاول أن نتعلم القرآن الكريم ، وأن نجوده ، ونقلد طريقة أحد القارئين فى التلاوة . . . . ونتنافس على القراءة ، ونتصايح فى المفاضلة بين القارئين أيهما أجود !!
وكان من الأعراف المستحبة فى رمضان أن يصنع القادرون طعاما كثيرا طيبا ، ويمدون الموائد فى القاعات الخارجية للدور ، ويفتحون الأبواب ليدخل كل أصحاب الحاجة من أهل القرية أو أبناء السبيل ويفطروا معهم . .
وفى الصيف تقام الموائد فى الطرقات عند الافطار ، فلا يمر بها صائم الا طعم ، أو تناول بعض الطعام حتى يعود الى بيته ، ان لم يكن من الفقراء أو المساكين أو أبناء السبيل . .
وأذكر أن السمر فى ليالى رمضان كان سمرا خصبا مثقفا . . فبعد أن يفرغ القارىء من تلاوة ما تيسر له من القرآن ، وفى خلال راحته استعدادا لاستكمال التلاوة ، كانت الأحاديث تدور حول تفسير ما تلاه من القرآن الكريم ، وتذاكر بعض الأحاديث الشريفة ، وبعض طرائف الحكمة من عيون التراث . . . ثم يتذاكرون حاجة أصحاب الحاجة ، ويتفقون على حلول للمشاكل ، ويتطوع القادرون للنهوض بحاجات غير القادرين ! وكان المتعلمون من



أهل القرية حين يختلفون حول تفسير القرآن ، يرجعون الى تفسير النسفى ، أو البيضاوى الذى طبع مكتوبا بخط اليد !

وكان الصغار يشعرون الى جوار الفرحة بطمأنينة غريبة . . . ذلك أنهم سمعوا من الكبار الحديث الشريف الذى يعلمهم أن الشياطين تصفد اذا جاء الشهر المبارك ، وان للصدقة فى هذا الشهر مكانة خاصة . . من أجل ذلك كانوا يجودون على زملائهم الفقراء بكل ما يأخذونه من آبائهم من « مصروف » شخصى . . .

وكانوا يتجولون فى الليل بلا خوف من العفاريت أو الجنيات ، ولقد يقتحمون الأماكن التى تثور حولها حكايات العفاريت والجنيات متحدين ، مطمئنين الى أنها لن تظهر لهم ، فلا شىء يمكن أن يؤذيهم فى ليالى رمضان . . فقد سلسلت الشياطين !!

وفى ليلة القدر ، وفى الليلة التى نظن أنها الأخيرة من رمضان أى ليلة رؤ ية هلال شوال كانت « الصوانى » الحافلة بأطايب الطعام تحمل الى بناء واسع فى القرية فرش بالحصير أو الأبسطة . . وتوضع الصوانى على الأرض . . فكل بيت قادر يخرج الصينية العامرة التى يجب أن يكفى ما فيها من طعام خمسة على الأقل . . ويجلس أصحاب الصوانى الى طعامهم ، ويتداعى على هذا الطعام الطيب فقراء أهل القرية وأبناء السبيل . . .

ويأكل الناس معا . .

حتى اذا فرغوا من الطعام وصلاة العشاء والتراويح فى ليلة القدر ظل الناس يتلون القرآن ، ويدعون الله . . أما فى ليلة العيد ، فيتزاحم الصغار على الخياطين ليحصلوا على جلاليبهم الجديدة قبل الفجر . فاذا حصلوا عليها ، عادوا فاستحموا ،وخرجوا مع الكبار يصلون العيد ، ثم زاروا المقابر اتعاظا واعتبارا . .

***

أما الاحتفال بمقدم رمضان فى القاهرة فقد كان له شكل آخر . .

فى ليلة الرؤ ية كانت تخرج المواكب من الناس كبارا وصغارا يقودهم أهل الطرق الصوفية ، تسبقهم الدفوف والطبول الى المحكمة الشرعية العليا ، اذا أعلن ثبوت الهلال ، علت الزغاريد ، و الشربات والحلوى ، وسارت المواكب جميعـ مسجد الامام الحسين ، وفى الساحة الواسعة المسجد تقام الأذكار ، وتلقى الخطبةفى فضل شهر رمضان . .

ويحدث هذا أيضا فى ساحة السيدة زينب ، واذا كان الوقت شتاء ممطرا أقيمت الأذكار داخل المسجد . . . كانت الساحة التى امام مسجد الحسين تظفر بأكبر التجمعات، تليها الساحة التى تقع أمام مسجد السيدة زينب ، ثم غيرها من الساحات فى المساجد التى تضم مقامات أولياء الله الصالحين .

ولقد أذكر أن بيوت الحلمية الجديدة والمنيرة والسيدة زينب كانت فى الأغلب بيوتا من طابق واحد أو طابقين على الأكثر ، ثم حديقة واسعة ، وفى الحديقة مكان خاص للضيوف . .

مازلت أذكر جمال الهدوء ، وعبق الأشجار والأزهار فى تلك الأحياء . . . وقد تحولت هذه البيوت الآن الى علب من الأسمنت المسلح تتكدس فيها الشقق ، وترتفع الى أكثر من عشرة طوابق . . . ماأحلى قاهرة ذلك الزمان . . ! . . كانت بيوت تلك الأحياء تشيع منها مع عبق الزهور ، وشذا البخور . روائح الشواء . . كلما اقترب المغرب :

وقت الافطار . . وكنت وأنت تسير فى الطريق قبيل المغرب تلمح زحام الناس داخل تلك البيوت . . فقد كان من عادة أهل القاهرة فى تلك الأيام أن يتبادلوا الدعوات على طعام الافطار . . وهى عادة أخذت تنقرض لأسباب كثيرة !!

وكانت حدائق المنازل تعمر بالموائد وقد فتحت الأبواب ، ليدخل منها من يريد الافطار ، فالدعوة عامة . . !

وكانت بعض الدور تعد الموائد فى الحدائق ، وفيها أمامها من طرقات ، ليطعم كل اصحاب الحاجات أو كل عابر سبيل . .

وبعد العشاء تقام صلوات التراويح فى المساجد ، وأحيانا فى البيوت . . ثم ترتفع أصوات القراء بتلاوة القرآن الكريم . . كانت الأصوات تتصاعد من تلك الدور شجية جليلة بلا مكبرات الصوت !! . .



المارشال .. في زيه شبه العسكري وعلى كتفيه وصدره مجموعة نياشين ، هي في الاصل أغطية زجاجات الاشربة الغازية وسيفه في يده استعدادا للمعركة ..!!

وفى أحياء الحلمية الجديدة والمنيرة وبركة الفيل والسيدة زينب أتيح لى سماع القرآن الكريم من كبار القراء فى ذلك الزمان ..

كان رمضان بهجة كبرى للأطفال .. فما يكاد شهر شعبان ينتصف حتى تستعد واجهات الحوانيت بزينتها التى تستكملها وتسفر عنها منذ ثبوت رؤية هلال رمضان .. وكانت الحوانيت تتفنن فى عرض فوانيس الأطفال وفى زخرفتها بألوان خلابة .. وكانت تلك الفوانيس الصغيرة تضم شموعا نحيلة ، ثم هجرت الشموع الى « البطاريات الكهربائية » .

كانت فرحة الأطفال أن يذهبوا الى الحوانيت ليختاروا بأنفسهم ما يحبون من فوانيس .. حتى اذا أهل الشهر المبارك ، خرج الأطفال بعد صلاة المغرب . فى ملابس جديدة ، وانتشروا فى الطرقات الهادئة جماعات جماعات يتغنون فى نغم جميل : « وحوى وحوى ايوحه .. بنت السلطان لابسة قفطان .. » الخ ... ثم يقفون أمام بيت أحد الأطفال لينادوا : « ادونا العادة .. رب خليكم » . فيخرج اليهم أهل هذا الطفل بالحلوى والمكسرات .. ثم يذهبون الى بيت طفل آخر

ويتغنون بالكلمات نفسها ، وهكذا حتى يعودوا الى دورهم قبل صلاة العشاء ، وقد ملأ كل منهم يده وجيبه وفمه بالحلوى والمكسرات من جوز ولوز وبندق وماشابه ذلك .

لم تعد طرقات القاهرة المزدحمة بالسكان ، ولا العمارات الشاهقة ذات عشرات الشقق . . لم يعد هذا التغير فى ظروف الحياة يسمح بهذه البهجة البريئة لأطفالنا . . ولكيلا يحرم بعض الآباء أبناءهم من هذه الفرحة التى كان يتمتع بها الآباء وهم صغار ، وجهوا الأطفال الى أن يتحركوا وحدهم دون أطفال الآخرين ـ فى حجرات بيوتهم ، ويطلبوا العادة (الحلوى والمكسرات) من آبائهم . . !

وكان من تقاليد رمضان التزاور فى البيوت ، والسمر البرىء بعد صلاة العشاء ، خلال الفترات التى يستريح فيها القراء . . ولكن أحدا لم يعد اليوم يدعو قارئا ليحيى ليالى الشهر المبارك بقراءة القرآن ، ولم تعد الندوات تعقد فى الدور ، فالمساكن الجديدة فى العمائر لاتسمح بهذا ، والناس يمضون سهرات رمضان الآن ما بين مشاهدة التليفزيون والاستماع الى الاذاعة . .

كان من معالم سهرات رمضان التجمعات فى المقاهى . . كانت هذه التجمعات تتحول الى ندوات ثقافية ودينية رفيعة المستوى ، أبطالها شيوخ وأدباء كبار،وشهودها هم مرتادو هذه المقاهى . . وكان أشهر هذه المقاهى على الاطلاق مقهى الفيشاوى فى حى الحسين . .

ومقهى الفيشاوى من أقدم مقاهى القاهرة ، وهو قائم على مستويات مختلفة من الارتفاع ، ملىء بالمرايا ذوات الأطر المذهبة وبالمصابيح والمقاعد التى تشهد بدقة الصنعة وسمو الذوق وعظمة فن الزخرفة الاسلامية . .

وهو مقهى فسيح ينقسم الى أركان . . لكن المبانى جارت عليه الآن !! . . . وبعد صلاة التراويح فى رمضان كان زوار هذا المقهى يتوافدون أرتالا ، كل جماعة تجلس فى ركن يضم عدة موائد ، ثم يبدأ الحوار الأدبى أو الدينى أو حوار النكتة بين الحاضرين . . وكان لهذا الفن نجومه وأبطاله : وأنا أعنى فن النكتة اللفظية التى تعتمد على براعة التلاعب بالألفاظ ، وذكاء توليد الكلمات ، وعلى سرعة البديهة . . ر لهذه المساجلات بالنكت أصول وقواعد فالمجموعة تنقسم الى طرفين يتساجلان ، على قمة فريق رئيس ومعه من يختاره من المعاونين من الظرف وأصحاب البديهة الحاضرة . والطرفان يتف على اختيار ما يسمونه القافية . . أى يختارون مهنة كالمحاماة أو الطب مثلا ، ويلقى كل طرف نكتة بألفاظ تتصل بالمهنة . . وكان الباعة المتجولون يشتركون أحيانا فى سجال النكتة وبصفة خاصة هؤلاء الذين يبيعون كتب التراث ، وكتب الأدب وكانوا قراء ممتازين ، ولديهم ذوق نقدى . . وتمر الساعات حتى يقترب موعد السحور ، فيدفع الفريق الخاسر ثمن الطلبات . . والفريق الخاسر هو الذى يسكت أو لا تضحك نكاته الآخرين بالقدر الكافى

ولقد تجد فى ركن آخر من مقهى الفيشاوى أومن غيره من المقاهى الكثيرة فى حى الأزهر بعض مجاذيب الحسين . . وهم رجال بلا عمل تركوا أنفسهم وساحوا فى حب الله الى جوار الحسين !! وكانوا يسمونهم الدراويش . . وكان من أشهرهم أيام الحرب العالمية الثانية رجل يرتدى بدلة صفراء ، ويضع على كتفيه وصدره مجموعة نياشين ، هى فى الأصل أغطية زجاجات الأشربة الغازية المحفوظة ، ويسمى نفسه : « الماريشال » . ويصدر تعليمات عسكرية لغيره من الدراويش !! وكان صديقا لعدد من ظرفاء ذلك العصر ، وأكثرهم ممن أدركتهم حرفة الأدب فهم شعراء وكتاب ، ولقد أذكر أنهم كانوا فى كل عام يقيمون حفلة تكريم للماريشال !

وكانوا يؤلفون فى تكريم الماريشال قصائد قصيرة كلها من الشعر الضاحك ، والماريشال يتلقى ما فيها من دعابة طيب النفس ، ثم يتلقى آخر الليل ما يجود به هؤلاء الشعراء الظرفاء شديد الامتنان !

ثم ينتظر حتى يمر العام ويعود رمضان ، فيعود اليه سمار لياليه . . ولقد أذكر بيتا من الشعر قاله أحد الظرفاء فى مطلع قصيدة مدح للماريشال ، وكان الماريشال أكثر الناس اعتزازا بهذا البيت وترديدا له :

التحيات رصعت بالنعال
تتهاوى على قفا الماريشال

***

فى أيام رمضان تعود الناس فى ذلك الزمان أن
.ا صيامهم بعد أن يخرجوا من أعمالهم بقراءة
.رآن .. فمنهم من يذهب الى المساجد ليصلى
صر ، ويظل بعد الصلاة الى ماقبيل المغرب يقرأ
.رآن فى مصاحف المسجد .. ومنهم من يؤثر أن
.ود الى بيته بعد صلاة العصر ليقرأ ما تيسر له من
.رآن الكريم ... ولكن الناس ما كانوا يتلون
.قرآن منفصلين : كل لحاله ، بل كانوا يتواعدون
.ذ اليوم الأول فى رمضان على أن يختموا القرآن مرة
على الأقل خلال الشهر المبارك ، فاذا التقوا كل نهار
تداكروا القرآن الكريم .. ومنهم من كان يختمه
مرتين أو ثلاثا ..

وكانت المساجد ـ وما زالت ـ تعمر بالوعاظ منذ صلاة الظهر ، حتى قبيل الفجر .. وفى بعض المساجد كان يتطوع بعض كبار القراء بتلاوة القرآن قبل صلاة العصر ، ما بين رفع الأذان الى القيام للصلاة ، وأحيانا ما بعد صلاة التراويح ، وقبل صلاة الفجر .. بعضهم كان يقرأ متطوعا قربى الى الله تعالى ..

الشهر المبارك فى ذلك الزمان كان يضطرب بألوان البر والتراحم ، فتعمر مساجد الله بالمصلين كما لاتعمر فى سائر شهور العام ، وتجرى الصدقات سرا وعلانية .. والناس أكثر حبا وايثارا بعضهم لبعض من سائر الأوقات ...

ان كثيرا من مظاهر الاحتفال برمصان قد انقرض الآن ، فلم يعد الناس يسمرون مند اقتحم عليهم التلفزيون بيوتهم وحياتهم ... ولم يعد الأطفال يتجولون فى الشوارع بالفوانيس منذ ازدحمت الشوارع والطرقات وحتى الأزقة بالعربات ، ومنذ أصبح البيت الصغير الذى لم يكن يزيد عن ثلاثة طوابق تسكنها أسر متعارفة ، منذ أصبح ذلك البيت الصغير عمارة ضخمة تسكنها أسر لايعرف بعضها بعضا ...

وكان من أبرز الصور الرمضانية فى ذلك الزمان « المسحراتى » .. وهو رجل من أهل الحى ، يطوف الحى بعد منتصف الليل الى ما قبل الفجر ، يدق على طبلة صغيرة ويتغنى قائلا : « اصحى يانايم وحد الدايم . » ثم ينادى الذين يسكنون البيوت فردا فردا ، ابتداء من سكان الطابق الأول حتى الثالث ، وهكذا ...

ولكن أبواق السيارات تغمر اليوم دقات طبلته الصغيرة العذبة ، فلا يسمعها أحد !! ولم يعد يتيسر له أن يعرف مئات الأسماء التى تسكن العمائر ذوات الطوابق العديدة ..

لقد اختفى المسحراتى من أكثر الأحياء ، وحل مكانه فى الاذاعة أو التلفزيون مغن يؤدى دور المسحراتى ..

ويا الله ... كم كانت جميلة مثيرة للوحشة تلك الكلمات التى تعوّد أن يلقيها المسحراتى فى إيقاع حزين ، وهو يودع الشهر الكريم فى الليالى العشر الأواخر ... ما زلت اذكر من ذلك الماضى الجميل كلمات المسحراتى وهو يودع رمضان فى إيقاع موحش : « لا أوحش الله منك ياشهر الصيام !! » ...

حتى إذا اقترب العيد ، نشطت الحركة فى الطرقات طوال الليل .. ذلك أن من التقاليد استقبال العيد بنوع من الفطائر اسمه كعك العيد .. تجتمع الأسرة لتعد عجينته ، وتسويه ، وتنقشه ومعها الأطفال الذين يغالبون النوم ويشتركون فى اعداد كعك العيد ، ولا يغمض لطفل منهم جفن حتى ينتهى اعداد الكعك ، ثم تدفع الأسر بالكعك الى فرن قريب ، ويعودون به بعد أن يخبز ، والأطفال ينتظرون لينثر عليه الكبار مسحوق السكر ، فيأكل الأطفال سعداء مما صنعت أيديهم ..

ما برحت بعض البيوت تتمسك بهذه العادة ، ولكنة العادة الجميلة توشك أن تنقرض تحت ضغط ظروف الحياة .

ومهما يكن من أمر ذبول هذه العادات الجميلة ، أو انقراضها ، فقد تنقرض منها الشعائر والاشكال ، ولكن ما تحتويه يبقى فى الأعماق ، ويتوارثه الصغار جيلا بعد جيل : ان رمضان هو شهر البركات والاخاء والتراحم ، وهو فرحة الصغار والكبار على السواء ..

أيمكن أن يكون مقدم رمضان المبارك هذا العام بشير إخاء بين المسلمين ، أو بالقليل مشرق عهد تحقن فيه دماء الأشقاء المسلمين الاخوة فى دين الله !!؟

نتمنى على الله ..! ... □

عتاب الضياع والزمن الغريب

شعـــــر :
عبـــــدالله
السيد شرف

وآتيك عند بزوغ النهار
حنانا .. وشوقا
يروم الأمان على راحتيك
شعاعا قويا ، يحن اليك
ويغمر وجهك دفئا ونبضا
عنــاقــا ووهــجــا
ثيابي .. نسيج بسيط الخيوط
كثـيـر الشـقـوب
ومــا كــان ذنـبـي
فماخيرونى بأى الثياب أجيء اليك
وما خيرونى بأى العطور أطل عليك
ومــا خيـرونـى !
فقد رافقونى وقالوا وداعا
فقلت وداعا زمان التمزق حتى الضياع
زمان التشتت بين الذهاب ..
وبيـن الايـاب ..
وقتلى مرارا بسيف النفاق
فلا تظلمينى
فلم أحن يوما جبينى وحرفى
أكنـت النـقـاء ؟
أكنـت الغـبـاء ؟
سألت الرياح ، وكل الطيور
تحيرت نجـما بعيد المدار
أكنــا الفــوارس ؟
أكنــا اللصــوص ؟
فما جاوبتنى
وضاعت خطانــا على الشـاطئين
وصـار العناق رتيبا قميـئا
وأمسى الفـراق كريه المـذاق
لماذا افترقنا .. وماذا جنينا ؟
حكـايا عذاب .. وأصداء ذكـرى
فصـول تدور .. ولا شـيء يبـقى
لماذا .. لماذا .. ؟
سؤال قـديم عمـيق الجـذور
فلا تسأليني .. فما عُدتُ أدرى
تعالى الى .. ونـامى بصـدرى
دعينى أفيــق على ساعـديك
اعانق فيك انكسـار القيد
ونور اليقين

* *

وآتيك يوما ..
صباحا .. مساء
تضيع الثوانى اذا ما التقينا
فــلا تأبهــين
فماذا يهم الزمان لدينا
وهل ضيعتنا سوى الأمنيات
وكر الثوانى
فلا تأبهين
دعينى أغنى
وهشى بوجهى ..
وهات الوساد ..
أتيت اليك وفوق الشفاه سؤال وآه
لماذا افترقنـا طـوال الفصـول
لمــاذا لهثـنا وراء السـراب
واعرف ان سواك السراب
فلا تسأليني سئمت السؤال
وضمى جفونك فوق المسجى
يعود انطلاقا ونبضا فتيا
ولا تهصريه بعنف العناق
وعنـف اللقـاء
وكونى حنانا .. وكفا رحيما
وكونى سلاما .. وحضنا رؤوما
وفكى القيود
دعينى أذوب على شفتيك
وأغدو طعاما لكل الطيور
ونبـضا يـدور
وينساب في حوصلات الجذور
فروعا تظـلل كل الحيارى
وضـوءا يطوف على مقلتيك
ومـوجات حـب
وزخـات عـطر
تبرعم عشقا بقلب السنين !

الحساب الفلكي في تعيين بداية الشهور القمرية

بقلم : الدكتور عبدالمنعم النمر *

الخلاف بين الأقطار الاسلامية حول بدء شهر رمضان بخاصة وبدايات الشهور العربية بعامة لا يكاد ينتهي . والمسلمون ينطلقون الى توحيد البدء والنهاية لشهر الصيام لما طبعوا عليه دينيا من حب التوحيد . فهل يمكن الاعتماد على الحساب الفلكي الدقيق في تعيين بدء الشهور العربية . . وماذا يقول علماء الدين وعلماء الفلك ؟

أمامنا نحن علماء الدين وعلماء الفلك موضوعان في غاية الأهمية بالنسبة للمسلمين لاتصالهما بأهم العبادات ، وهي : الصلاة ، والصيام ، والحج ، على الأخص . .

أولهما : ـ خاص بتحديد بدء شهر رمضان ونهايته ، وبدء شهر ذى الحجة ـ شهر الحج والوقوف بعرفة ويوم النحر ، والشهور العربية بعامة . . على مستوى العالم كله .

ثانيهما : ـ خاص بموعد بدء الصيام في اليوم ونهايته ، وكذلك أداء الصلوات الخمس ، وذلك في البلاد التى تقع في أقصى الشمال ، وأقصى الجنوب . . حيث يكون النهار أو الليل أحيانا نحو ثلاث ساعات أو أقل ، أو حيث يكون النهار الذى تشرق فيه الشمس مدته نحو ستة شهور ، أو يكون الليل كذلك ، فكيف يصوم المسلمون ويصلون في هذه البلاد ؟ وهي لا تظهر فيها علامات الأوقات ؟

---

* أحد كبار علماء الازهر واول رئيس تحرير لمجلة الوعى الاسلامى بالكويت،كما كان مديرا عاما للمعاهد الأزهرية بمصر. تولى مشيخة الازهر بالوكالة بين فترتى الشيخ عبد الحليم محمود والشيخ البيصار . وكان آخر مناصبه وزيرا للاوقاف . وهو عضو مجمع البحوث الاسلامية

هذان موضوعان في غاية الأهمية بالنسبة لكل مسلم وللمسلمين في الشمال والجنوب بصفة خاصة . . ويجب علينا نحن العلماء بالدين أو بالفلك أن نبين للناس ونرشدهم : كيف يصومون ، وكيف يصلون في هذه البلاد النائية . وكيف يحدد المسلمون بدء الشهور العربية أو القمرية التي تتصل بأحكام الدين ، أو ترتبط الاحكام بها . .

ولنبدأ بالموضوع الاول . . ولندع الحديث عن الموضوع الثاني الى حين . .

بدء الشهور العربية

ونعني بها الشهور القمرية ، وعلى الأخص الشهور المتصلة بعبادة الصوم والحج ، رمضان وذا الحجة . . فنحن نلمس من واقعنا أنه كلما اقترب شهر رمضان ، أخذ المسلمون يفكرون : متى يبدأ ؟ وفي أذهانهم ما يحدث كل عام من الخلاف بين الدول الاسلامية حول بدء الشهر ، ويتطلعون الى توحيد البدء والنهاية ، لما طبعوا عليه دينيا من حب التوحيد ، لاسيما بعد سهولة الاتصال السريع بين أجزاء العالم . ولم يكن هذا التطلع أو هذه الرغبة في توحيد البدء والنهاية والأعياد موجودة ، حين كان الاتصال المتوفر الآن غير متاح من قبل ، فكانوا يقنعون بالممكن المتاح ، من توحيد ذلك مع من يمكن الاتصال بهم سريعا بوسائلهم المحدودة ، قبل اختراع البرق ، والتليفون ، ثم اللاسلكي . فكانت رؤية كل منطقة للهلال هي القاضية بدخول الشهر ، عند أهل هذه المدينة أو القرية ، أو أهل الصحراء الذين يرونه . .

لذلك كان من الطبيعي أن يربط الاسلام بدء الشهور بالرؤية البصرية ، لأنها هي الوسيلة الوحيدة الممكنة في ذلك الوقت لاستطلاع القمر ، ومعرفة دخول الشهر . ولم يكن واردا أن يكلفهم الرسول صلى الله عليه وسلم بغير ذلك ، مما لم يكن متيسرا لهم . . لأنه يكون تكليفا بما لا يطاق « ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . ولهذا قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام : « صوموا لرؤيته (الهلال) وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » ، وقال : « لا تصوموا حتى تروه ، ولا تفطروا حتى تروه » . وكان العرب يعتمدون في حسابهم على الشهور القمرية التي سميت أيضا بالشهور العربية ، وكان لها أسماء انتهت أخيرا الى الأسماء المعروفة بها الآن : محرم . صفر الخ . . وتحدث القرآن عنها في سورة التوبة : « ان عدة الشهور عند الله أثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم » . وبين الرسول أسماء هذه الأشهر الحرم وهي : رجب وشوال وذوالقعدة ، وذوالحجة . . فربط الشهور بشيء محسوس متاح وهو رؤية الهلال . .

وقد جاءت رواية أخرى في هذا الحديث السابق تعلل الاعتماد على الرؤية بأنها الممكنة ، حين قال عليه الصلاة والسلام : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا ، وهكذا » يشير الى أنه ٢٩ يوما أحيانا ، و ٣٠ يوما أحيانا أخرى ، وذلك من خلال ما عرفوه من رؤيتهم للهلال على مر السنين . .

هذا التعليل بكونهم أمة لا تجيد الحساب ولا الكتابة يعطينا مفهوما طبيعيا ، وهو أنهم لو كانوا أمة تجيد الكتابة والحساب ، لأمكن الاعتماد على الحساب كوسيلة أخرى ، وهذا يعني أن الأمة الاسلامية حين تتقدم وتجيد الحساب الفلكي المقصود هنا كما حصل ، يمكنها الأخذ به في معرفة بدء الشهور القمرية . . لاسيما والرسول لم يقل : لا تصوموا إلا للرؤية . . ، بل قال : صوموا لرؤيته . . وكانت وسيلة الرؤية هي المتيسرة للجميع ، فكان الاعتماد عليها في ذلك الوقت هو المنطق الاسلامي الطبيعي ، حيث « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » . . وهذا لا يمكن أن يسد الباب أمام أية وسيلة أخرى جديدة يمكن بها معرفة دخول الشهر ، كوسيلة علم الفلك الموثوق به . . لاسيما وفي قوله صلى الله عليه وسلم « فإن غم عليكم فاقدروا له » ما يفتح لنا باب التقدير بالحساب لو أمكن ، بجوار وسائل التقدير الأخرى الممكنة . .

فالاعتماد على الحساب الفلكي الدقيق كوسيلة من وسائل إثبات دخول الشهر بابه مفتوح ووارد ، فاذا وصلنا إلى معرفة الحساب الفلكي معرفة عملية دقيقة ، كان لنا أن نعتمد عليه أيضا بجوار الرؤية . . فتكون عندنا وسيلتان لا وسيلة واحدة : الرؤية ، والحساب الفلكي . .

الفلـ..ون منذ عهد الرسول :

لكن في عهد الرسول ومن بعده إلى عصر النهضة العلمية علماء فلكيون بالمعنى الحقيقي للعلم الذي عرفنا فيما بعد، ونعرفه الآن . . بل كان هناك أناس يتحدثون عن الأفلاك والنجوم ، ويتخذون منها وسيلة نصب للإخبار بالغيب وخداع الناس بالتنبؤ عن المستقبل ، وسموا عند ذلك « بالمنجمين » الذين يتحدثون عن النجوم ومسارها أو مواقعها ، ويدعون أنها تنبئهم بحال الانسان ، ويرضون بذلك غرائز الناس في حب استطلاع المستقبل ، وهم غير صادقين فيما يتنبئون به . لأن أقوالهم لا تقوم على أساس علمي دقيق ، ولكنهم يرسلون الكلام إرسالا ، وقد يصدق مصادفة ، وغالبا لا يصدق . . ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام عنهم : « من صدق كاهنا أو منجما فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أبو داود .

وقد ألقى هذا ظلالا كثيفة على المنجمين الفلكيين القدماء ، وأدى الى عدم الالتجاء اليهم أو تصديقهم .

وهذا وإن كان واردا أصلا في عدم تصديقهم في الاخبار بالغيب ، الا أنه انسحب عليهم في جملة ما يقولون ، وصاروا غير أهل للثقة ، لا في أمور الغيب ولا في غيرها ، وأصبح على المسلم أن يتجنبهم ولا يثق في أقوالهم ، فأناس قيل عنهم انهم فلكيون أو منجمون ، وهذا شأنهم ، كيف يمكن أخذ رأيهم في بدء الشهر ونهايته ؟ . .

إذن : لم يكن هناك غير الرؤ ية وهي وسيلة وحيدة لمعرفة دخول الشهر . . ولذلك ترى الأئمة الكبار ، وتلامذتهم ، والفقهاء من أتباعهم في القرنين الأول والثاني ، يقررون بالاجماع في مجال بدء الشهر : أنه لا عبرة بقول المنجمين ، يعنون الفلكيين في ذلك الوقت الذى غلبت فيه تسميتهم بالمنجمين . وكلامهم هذا حق وصدق ، إذ لم يكن علم الفلك قد ارتقى حتى يوثق به . وبالتالى لم يكن عندهم مراصد ولا عرفوها . . فكان حكم الفقهاء في ذلك الوقت على أساس الواقع في أيامهم . .

لكن بعد النهضة العلمية في زمن العباسيين ـ كما نعرف ـ ارتقى علم الفلك ضمن العلوم التى ارتقت في عهد المأمون ومن تبعه ، وأصبح علما له قواعده وطرقه ونتائجه ، وله علماؤه المبرزون فيه ، وصارت هناك مراصد فلكية علمية متعددة لها وزنها . وكان هناك حول الخلفاء ـ بجوار علماء الفلك العلميين ـ منجمون يلجأ إليهم الخلفاء وغيرهم في استطلاع الأخبار الآتية النائية . أعنى ظهر العلماء الفلكيون الأصليون ، بجوار ما كان من منجمين فلكيين ، وتميز هؤلاء عن هؤلاء أمام الجميع . . وصار لعلماء الفلك أقوال علمية موثوق بها يمكن الاعتماد عليها في القول بحركة القمر والأرض ، وموقع الشمس والقمر والأرض ، وبالتالى في ميلاد القمر ، وأول الشهر القمرى . .

وعلى أساس هذا التطور العلمي ، تبعه تطور فقهي لدى بعض الفقهاء ، فلم يغضوا النظر عن تقدم علم الفلك ، ولم يسموا علماءه بالمنجمين الذين انعدمت الثقة فيهم ، بل سموهم بأسمائهم ، واعتبروا علمهم ، وبنوا عليه رأيهم ، ولاسيما فقهاء الشافعية ، وظهرت أقوال لهم باعتماد على علم الفلك بجوار الرؤ ية ، بل قالوا برد الشهادة بالرؤ ية ولو من عدول حين يشهدون بأنهم رأوا الهلال ، فى وقت دل الحساب الفلكى فيه على أنه لم يولد أصلا ، وبرروا ذلك بأن الشهادة ظنية وعلم الفلك قطعى ، والقطعى يرد الظنى . .

قال القليوبى الشافعى فى حاشيته على شرح الخطيب الشربيني عند قوله « وتثبت رؤ يه الهلال بعدل » قال : « أى إذا لم يدل الحساب القطعى على عدم إمكان رؤ يته ، » أى إذا دل على عدم إمكان الرؤ ية « لم يعمل بقول وشهادة العدل ، بل يحكم بكذبه » . قال العبادى : « وهو ما لا يجوز القول بخلافه » .

وتوقفوا عند هذا

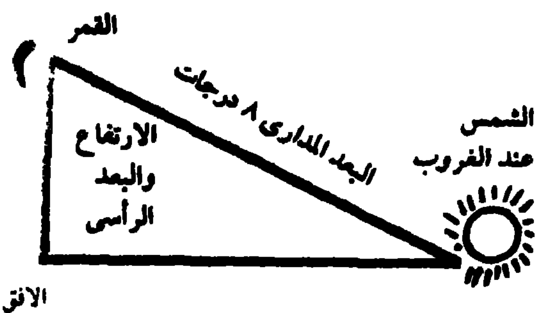
ووقف الفقهاء المتأخرون عند هذا الحد ، وظلت الرؤ يه هى الوسيلة الوحيدة عندهم لاثبات دخول الشهر . .

لم يخط أحد منهم خطوة متقدمة عما قاله هؤلاء الفقهاء من قبلهم ولم يقل واحد منهم : يمكن الاعتماد على الحساب وحده للقول بدخول الشهر بعد تقدم

علم الفلك وذلك تمسكا منهم بالحديث « صوموا لرؤيته . . » وكأن الرؤية علة للصوم عندهم لا وسيلة له . . وعلى ذلك صار العلماء يفتون حتى الآن بأنه لابد من الرؤية مع قولهم وشهادتهم بدقة الحساب الفلكي . . لأنهم لم يستطيعوا الخروج من دائرة التقليد الفقهي للسابقين والارتباط بهم ، إيثارا للراحة والسلامة . . وعلى هذا جاءت الفتاوى الحديثة ، وجاء قرار مؤتمر مجمع البحوث ١٩٦٦ م وقرارات مؤتمرات أخرى . .

ويبدو على كل هذه الفتاوى وهذه القرارات مسحة التمسك بالتقليد لما جاء في الكتب ، مع مايبدو من تناقض في موقفهم ، حين يعتمدون على الحساب في بعض الأحيان ، ويردون به شهادة العدول بالرؤية لأنه قطعي كما سبق ، بينما لايعتمدون عليه إذا دل دلالة قطعية على أن القمر موجود في الأفق بعد غروب الشمس ، ولكن تحول دون رؤيته موانع . . فلا يقولون بدخول الشهر ، لعدم الرؤية . .

وكان المنطق الطبيعي - منطقهم هم - يقضي بقبول الحساب في هذه الحالة أيضا والقول بدخول الشهر . . لكن تمسكهم بالرؤية ، وكأنها شرط أو علة ، هو الذي أدى بهم الى هذا التناقض في موقفهم . . وهو تناقض لا يصح أن يعيش طويلا ، إذ لايقبل منهم ثقتهم بالحساب الفلكي حتى يردوا به شهادة العدول ، ثم لايقترن به إذا دل على وجود الهلال في الأفق . . لكن مع ذلك رأينا المؤتمرات التي تعدد انعقادها في العالم الاسلامي : مجمع البحوث سنه ٦٦ ، مؤتمر الكويت في أوائل السبعينيات ، مؤتمرا استانبول في نوفمبر ٧٨ ، وفي ٧٩ ، ومؤتمر تونس في مارس ١٩٨١ ، ومؤتمر الجزائر في مارس ١٩٨٢ ، رأينا هذه المؤتمرات كلها يدور بحثها في إطار التقليد وعلى أن الرؤية لابد منها ، وكأنها شرط أو علة ، أخذا بما جاء في كتب الفقه ! ! حتى حين مالوا للقول باعتماد الحساب ، أعتمدوه حين يدل على أن القمر تمكن رؤيته وذلك حين يكون مرتفعا رأسيا من الأفق بمقدار خمس درجات يقطعها بعد غروب الشمس في ٢٠ دقيقة ويغرب بعدها ، ويكون البعد الزاوي . . وهو ميل القمر وبعده مكان غروب الشمس بمقدار ٨ درجات ، أعني يكون القمر عند الغروب بعيدا عن الشمس وضوئها بمسافة يقطعها القمر في ٣٢ دقيقة حتى تمكن رؤيته بعيدا عن



شعاعها عند الغروب هكذا ، وهذا كله من أجل أن الرؤية أو إمكانها اعتبروها شرطا أو علة لبدء الصوم لاوسيلة . . ، ولو تعددت المؤتمرات على هذا النحو ، حتى لو بلغت ألفا ، لما خرجت عن هده الدائرة المرتبطة بالأقوال القديمة الاجتهادية .

فكل مايقال فيها ويقرره العلماء الكبار ، إنما هو صورة من كتاب الفقه ، وكان تمسك العلماء بهذا القول التقليدي ، هو الذي لوى عنق بعض العلماء الفلك ، وجعلهم يتنازلون مع الأسف عن الحقيقة العلمية الكونية التي يثبتها الحساب الفلكي العلمي الدقيق ، ويسيرون في موكب الرأي الفقهي الملتزم بالأقوال القديمة ، وهذا فهم وتصرف في رأيي ورأى الكثيرين-كما قلت - غير سديد ، لأن الرؤية مجرد وسيلة اعتمد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، حين لم يكن أمامه غيرها ، فإذا وجدت وسيلة أخرى دقيقة كان من الممكن الاعتماد عليها . .

وعلى أساس أن الرؤية وسيلة وهو الفهم الذي أراه سديدا ، لأدلة كثيرة ، لايتسع المجال هنا لسردها ، يمكننا القول بدخول الشهر إذا دل الحساب الفلكي الدقيق المعمول به الآن عالميا ، وعلى أساسه تسير الطائرات والسفن وتنطلق الأقمار الصناعية ، ومراكب الفضاء ، ويحدد وقت الكسوف والخسوف بكل دقة ، إذا دل هذا الحساب على أن القمر ، أعني الهلال ، سيمكث فوق الأفق بعد غروب الشمس ولو لمدة دقيقتين . لأن الشهر يكون قد بدأ ودخل دخولا كونيا وطبيعيا وفعليا ولاقيمة لاعتبارنا نحن ، أعني لاعبرة باعتبارنا وتقديرنا إذا جاء مخالفا للطبيعة . . مادمنا نعرف وقت بدئه

ى عن طريق الحساب الفلكى العلمى العالمى
ة أخرى من وسائل المعرفة .
الذى لايجوز أن يكون محل شك الآن هو صحة
ـاب الفلكى الحديث ودقته فى تحديد أوائل
ـور القمرية العربية . والذى لايصح أن يكون
تردد منا فى الاعتماد عليه والأخذ به الآن هو هذا
ـاب الذى يمكن على أساسه معرفة أول كل شهر
ة حسابية دقيقة ، قبل حلوله بشهور وبسنين ، مما
معروف عالميا ، بالدخول الفلكية العالمية التى
تضع لمائة سنة مقبلة . .

وقد عقد مؤتمر فى لندن بدعوة من المركز الاسلامى الثقافى بها فى مايو سنه ١٩٨٤ واشتركت فيه ، وأوصى فى نهاية اجتماعاته بأن الحساب العلمى الفلكى لو قرر وجود الهلال فى الأفق بعد غروب الشمس ولو لدقيقتين فقد دخل الشهر ، ولو لم يره أحد . . وقد اشترك فيه بعض علماء الدين والفلك من العالم الاسلامى . . وكان هذا أول ملتقى فكرى اسلامى ، يقرر هذه الحقيقة ، برغم ما حاوله بعض المتخوفين من عراقيل ومحايلات حين الصياغة الاخيرة ، أمكن للكثرة القضاء عليها . .

فى مجمع البحوث بالازهر :

وفى شهر نوفمبر سنه ١٩٨٤ وصل الأزهر استفسار من منظمة المؤتمر الاسلامى فى جدة عن رأيه فى تقويم هجرى موحد ، لبداية الشهور القمرية والأعياد الاسلامية . . . الخ . .

وقد ألف المجمع لجنة من بين أعضائه لاعداد الرأى فى بدء الشهور القمرية ، واجتمعت اللجنة فى ٦ من شهر ربيع الأول ١٤٠٥ - ٢ / ١٢ / ١٩٨٤ ، واستعرضت الأحاديث الخاصة بهذا الموضوع ورأى الفقهاء حتى الآن ، كما استعرضت ما وصل اليه علم الفلك من تقدم كبير ، « حيث صار حسابه حسابا علميا دقيقا يفيد اليقين - وحددوا به أوقات الخسوف والكسوف ومكانها ومدتها تحديدا دقيقا . استطاع علماء الفضاء الاعتماد عليه فى أطلاق مراكب الفضاء للنزول على نقطة معينة من القمر أو غيرة ، وإعادتها الى نقطة معينة من الأرض كذلك . كما اهتم علماء الفلك بوضع جداول زمنية تبين موقع الشمس والقمر من الأرض ، وموعد غروب كل منهما فى كل بلد ، ووضعوا جداول فلكية لذلك لعشرات السنين المقبلة ، ليستعينوا بها فى حركه السفن والطائرات وغيرها ، مما يتعين علينا الاستعانة . . الخ » .

بعد أن استعرضت اللجنة هذا كله ، انتهت الى الرأى الآتى :

الاتجاه الى الرؤية أولا ، فإذا لم نتمكن منها ، أو تعارضت الرؤى فى البلاد الاسلامية ودل الحساب الفلكى الدقيق على أن القمر يوجد فى الأفق بعد غروب الشمس ولو بدقيقة واحدة ، يكون الشهر القمرى قد بدأ شرعا .

« ونظرا لأن البلاد العربية تتحد فى وجود القمر فى أفقها بعد غروب الشمس وإن اختلفت مدة مكثه من بلد وآخر ، يمكن للبلاد العربية أن تعتمد على الحساب الفلكى وتتوحد بذلك الاحكام المترتبة على ثبوت الهلال فى الـ قعة الكبيرة من العالم الاسلامى من حيث بدء رمضان ، والأعياد والحج وغير ذلك » .

« أما الـ الاسلامية التى تقع على الشرق من العالم العر لها حساباتها الفلكية التى قد تتفق مع البلاد العر . تختلف ، وعليها أن تتبع حساباتها الفلكية .

هذا هـ ى الذى انتهت اليه اللجنة ، ووضع أمام رئيس مع (فضيلة شيخ الأزهر) ليخاطب الجهات ـاه . وأستطيع فى النهاية أن ألخص ما سبق ريقه عملية يمكن اتباعها باستمرار .

و أن ننظر فى الحساب الفلكى فإذا دل على أن هـ القمر سيمكث فى الأفق مدة لايمكن رؤيته فيها ، نعتمد على الحساب فحسب فى القول بدخول الشهر ونعلن ذلك مقدما . ولانفتح باب محاولة الرؤية ليدخل منه الكذابون والمدعون لأغراض خاصة بهم ! !

فإذا دل الحساب على أن القمر سيمكث فى الأفق مدة يمكن رؤيته خلالها فلا مانع من أن نضم الرؤية للحساب من باب ليطمئن قلبى » الا لتكون الرؤية هى الفاصلة فقد تكون هناك موانع منها ، كغيم أو غبار الخ . .

وبهذا نسير فى عباداتنا على أساس يقيني ثابت معروف مقدما ، ولانترك هذه الأمور للاحتمالات والادعاءات . . وأرجو أن يتفق العلماء على هذا تمهيدا لاعتبار الحكومات له . □

العربي ـ العدد ٣١٩ ـ يونيو ١٩٨٥

أرقام

بقلم : محمود المراغي

أمطار تقلل حجم الأسرة .. وأمراض تزيد هذا الحجم !

في احدى الدراسات التي قامت بها المنظمات المتخصصة فى السكان والتابعة للامم المتحدة ، ثبت أن البلاد التي تعتمد على الري بالأمطار يقل فيها حجم الأسرة ..وانه على العكس من ذلك فانه في البلدان التي تعتمد في الزراعة والري على الأنهار منتظمة التدفق يزيد حجم الاسرة .

ربما كان الاطمئنان الاقتصادى سبباً في ذلك ، وربما كانت الحاجة ليد عاملة سببا آخر ، كما ثبت في بحث حول جواتيمالا حيث تزيد الحاجة للعمالة الزراعية في الأرض المروية ، وتقل في الأرض المعتمدة على المطر . . فيختلف حجم الاسرة تبعا لذلك . .يزيد في الحالة الاولى ويقل في الحالة الثانية .

وقد كان حجم الأسرة ، وتطوره ، واختلافه من بيئة الى أخرى موضع دراسات متعددة . . وكان للدول النامية مجال السبق في معظم الحالات .

تشير الأرقام أن البداية ـ وهي معدل المواليد ـ تتضاعف في الدول النامية اذا قورنت بالدول المتقدمة . . وبينما كان المتوسط السنوي للبلدان النامية في النصف الثاني من حقبة السبعينيات (٣٣) طفلا جديدا لكل ألف من السكان . . كان نفس المتوسط في الدول المتقدمة(١٦) في الالف فقط . . . وبكلمات أخرى فانه بينما يبلغ عدد الأبناء في الاسرة الواحدة بالدول المتقدمة أثنين في المتوسط ، يتضاعف هذا الرقم على وجه التقريب في الدول النامية .

وفي التفسير تأتي مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

* * *

قد يكون ملفتا للنظر أن يزيد معدل المواليد كلما زاد معدل الوفيات ، فعنصر الخوف من الموت والمرض وفقدان الابن يدفع الاسرة للمزيد من الانجاب . . على سبيل الاحتياط .

الارقام تعزز ذلك ، وبينما تسجل متوسطا عاما لحجم الاسرة في الدول النامية ، يزيد عن مثله في الدولة المتقدمة . . ترصد نفس الأرقام الفارق الشديد في معدل الوفاة عند الأطفال الرضع الذين يمثلون جزءا كبيرا من المشكلة .

خلال ثلاثين عاما تمتد من منتصف هذا القرن حتى عام ١٩٨٠ انخفض معدل وفيات الاطفال الرضع في الدول المتقدمة من (٥٦) في الالف من السكان . . . الى (١٩) في الالف . . بينما هبط

ـلك المعدل في الدول النامية من (١٦٤) في الالف الى (١٠٠) في الالف فقط . . . أي أنه بينما يفقد كل ألف من سكان الدول المتقدمة (١٩) طفلا رضيعا كل عام . . يفقد كل ألف من سكان أفريقيا ـ وهي النموذج الاكثر وضوحا ـ (١٥٠) طفلا في العام ، لذا عندما سئلت المرأة في (٢٠) بلدا ناميا حول العدد المرغوب من الاطفال تراوحت الاجابات والتي سجلها مسح ل[illegible] المنحدة بين ثلاثة وخمسة أطفال ، وبما يزيد عن المعدل القائم بالفعل . . أي أن الرغبات تسبق المعدلات الفعلية أيضا .

قد يكون القلق تفسيرا واضحا يدفع الأسرة للمزيد من الانجاب . أيضا ـ وعندما تعرف أن الظاهرة أكثر انتشارا في المجتمع الريفي ـ فإن التفسير قد يكون : المزيد من العزوة،فالأسرة الكبيرة . . وربما الاسرة ذات الرجال الاكثر عددا تحظى بنظرة اجتماعية أفضل في الريف . .

ولكن الأكيد ، وبخلاف العوامل الصحية وعوامل البيئة والعادات والقيم الاجتماعية فان هناك عنصرا آخر هو العنصر الاقتصادى ، الذي أشار اليه نموذج بلاد تعتمد على الامطار وبلاد تعتمد على الري بالانهار .

وبالطبع فان نظام الري ليس العنصر الوحيد في تحديد الحاجة الاقتصادية . . فالملكية أيضا تلعب دورها

في دراسة سكانية أجريت في تايلاند قال (٥٠٪) من الاسر المالكة للارض « الاطفال ميزة نحرص عليها » . . لكن تلك المقولة انخفضت الى (٤٪) بالنسبة للأسر التي لاتملك أرضا أو أعمالا خاصه تحتاج فيها الى أبناء يساعدون

أيضا ، وفي دراسات [illegible] ونبجلادش وايران ونيبال والفلبين وتايلاند [illegible] الخصوبة [illegible] الأسر تزداد كلما زادت مساحة الارض المملوكة . وكلما انضم عدد أكبر لفئة الملاك

نفس الشيء قد ثبت في مصر بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي . الذي أحال عددا كبيرا من

المعدمين الى ملاك للارض . . فقد زاد حجم الاسرة في القطاع الذي امتلك لاول مرة . . ليس لانه أصبح أكثر قدرة من الناحية الاقتصادية فقط ، ولكن لانه أصبح أيضا أكثر حاجة لابناء يشتغلون .

وتقول المشاهدات والابحاث : ان الطفل في الدولة النامية لايمثل ـ من وجهة نظر الأسرة ـ عبئا كبيرا . . فهو في عاميه الاول والثاني يعتمد تماما على ثدي أمه . . وهو بعد سنوات قليلة ، وربما قبل أن يذهب الى المدرسة ـ اذا ذهب اليها ـ يتحول الى قوة منتجة في الحقل وفي تربية الحيوان ! . . وهكذا أصبح متوسط ماتلده المرأة في كينيا ـ على سبيل المثال أيضا ـ (٣ ر٨) أطفال . . . وهو نفس المعدل الذي يتوافر للكثير من الأسر في الوطن العربي .

وبالطبع فان الامر يختلف من القرية الى المدينة ، فاذا استبعدنا الحاضرة التي لاتنجب بنفس القدر ، ولا تحس بحاجتها للابناء بنفس الكيفية ، بل تتحمل عبء كل وافد جديد للأسرة . . اذا استبعدنا هذه المناطق فان المعدل في الريف يزيد بطبيعة الحال عن المتوسط العام ، ليقفز حجم الأسرة في بعض الاحيان فوق العشرة أفراد .

الثقافة تلعب دورا في الحد من هذا الاتجاه . الانتقال للمدينة والى ميكنة الزراعة والى أنماط انتاجية مختلفة بشكل عام تدفع كلها لاتجاه آخر في الخصوبة وحجم الأسرة . .

ولكن ، بشكل عام تظل الظروف الانتاجية والاجتماعية الراهنة بالعالم الثالث ضاغطة في اتجاه الأسرة الكبيرة . وتظل المرأة معملا صغيرا لانتاج الأطفال حيث تقدم للعالم طفلا جديدا كل عامين أو ثلاثة في فترة خصوبتها التي تتوقف بعدها الانجاب

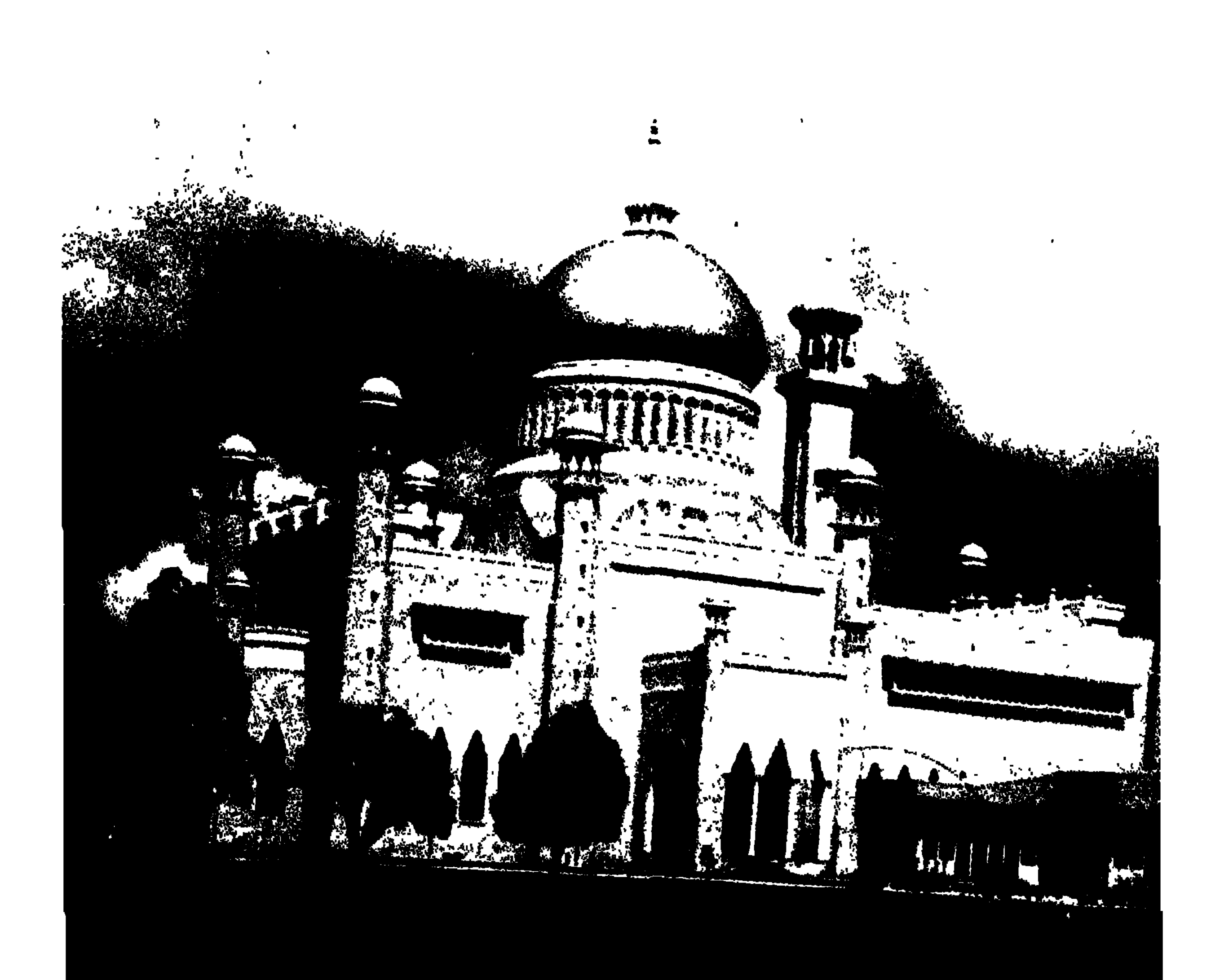
ومع ذلك فان المعدل العام لمواليد في العالم [illegible] بعد أن [illegible] الاقتصادية [illegible] والعقد [illegible] الاقتصادي يتحسن [illegible] فان [illegible] الأسرة الصغير يزيد في نفس الوقت [illegible]

بروناي

السّلطنة .. والتحدّيات

استطلاع: سليمان مظهر

تصوير: سليمان حيدر





فجأة

.. انطلق اسم « بروناي » ليصبح على ألسنة الجميع ... وتعددت التساؤلات وتباينت الاجابات .. وبدا الأمر كأنه سر الأسرار . ومع الانطلاقة الجديدة واجهت السلطنة موجة من التحديات تهدف للاساءة اليها في قلب العالم الاسلامي .... وكان لا بد « للعربي » أن تنطلق الى هناك .. تشهد وتسمع ... وتتابع مسيرة النجم الجديد .

في أقصى يمين الأرض :

قالوا لنا ونحن في انتظار الحصول على تأشيرة الدخول إلى بروناي : ... لا تصدقوا ما يزعمونه من أن بروناي دولة أوتوقراطية ... صحيح أن السلطان حسن البلقية معز الدين والدولة هو نفسه رئيس الوزراء وهو أيضاً وزير المالية ووزير الداخلية ... ولكن هناك وراء آخرون يشاركونه الحكم ... فأبوه سير عمر سيف الدين البلقية هو وزير الدفاع . وشقيقه مودا محمد البلقية وزير الخارجية .. وشقيقه مودا جفري البلقية وزير الثقافة والشباب والرياضة .. بالاضافة الى ثلاثة وزراء آخرين من خارج الأسرة المالكة .. !

وقالوا لنا : لا تصدقوا ما يشيعونه عن البذخ في قصر السلطان .. فقبة القصر وحدها هي المصنوعة من الذهب الخالص . بصرف النظر عن القاعات والأثاثات والأواني الذهبية .. . وحجرات القصر لا تزيد عن ١٧٨٠ حجرة الا بقليل ، كما أن تكاليف بنائه لم تتجاوز ٣٥٠ مليون جنيه استرليني بأسعار ما قبل سنوات ... كما أن تكاليف تأثيثه لم تزد عن ألف مليون دولار أمريكي ليس غير .. !

وقالوا لنا : لا تصدقوا ما يدعونه من أن الخيول الكريمة الثلاثمائة التي يملكها السلطان،تخصص لها أراض تتسع لأن تقوم عليها مدينة كاملة وحدائق للشعب .. فالشعب مرفه لا يدفع ضرائب ويتمتع بالضروريات والكماليات .. ودخل الفرد يصل الى ٢٢ ألف دولار في السنة .. كما أن الأرض المخصصة للخيول تعد ملاعب للبولو والسباقات بين السلطان وضيوفه .. ولكن الشعب يدعى اليها في بعض الأحيان .. للفرجة والمشاهدة .. !

وقالوا لنا : لا تصدقوا ما يفترونه من أن بروناي توصد أبوابها أمام العرب ، فالسلطنة ترحب بالوافدين للسياحة ـ حتى لو لم تكن هناك سياحة ـ كما أنها مفتوحة لمن يحصل على عقد عمل ـ حتى لو لم تكن هناك عقود عمل لمن يجهل لغة البلاد ـ والدليل هو أنكما أول اثنين من الصحافيين العرب تستقبلهما

السلطنة . . كما أن هناك أربعة مدرسين من الأزهر سيسمح لهم بدخول السلطنة خلال هذا العام . . !

هكذا قالوا لنا . . . وطلبوا الينا ألا نصدق كل ما قيل . . ولم نصدق بالطبع . . فقد كان لا بد لنا أن نقتنع . . حتى نستطيع أن نؤدي مهمتنا الصحافية في بروناي . . !

بروناي . . دار السلام

ولكن . . في أي جزء من خريطة جنوب شرق آسيا تقع بروناي سلطنة الجيب الاسلامية . . التي استقلت مع بداية العام الماضي . . وجاء في بيان استقلالها الموقع من السلطان أنها « مملكة ملاوية مسلمة ديمقراطية مستقلة وذات سيادة ، وذلك طبقاً لتعاليم الاسلام ووفقاً لأهل السنة والجماعة » .

تحتل سلطنة بروناي الشريط الساحلي الشمالي لجزيرة بورنيو ثالث جزر العالم مساحة،وقلب مجموعة جزر جنوب شرق آسيا . . وتبدو السلطنة على شكل قوسين تتداخل بينهما أراضي سرواك احدى ولايات اتحاد ماليزيا ، إضافة الى جزيرة لابوان . . . وتحيط بها أراضي دول أندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلاند . .

اسم بروناي اشتق من نهر بروناي (حالياً لمبانج) والذي ينبع من سرواك ويمر بالعاصمة بندرسري بيجوان . . ولا تزيد مساحة السلطنة حالياً عن ٥٧٦٥ كيلومتراً (نصف مساحة لبنان) . . ولغة الدولة الرسمية هي اللغة الملايوية . . ونقدها الدولار البروني (نصف الدولار الأمريكي) . . وتنقسم الى أربع مقاطعات هي (بروني/موارا) و (سيريا/بليت) وتيوتنج وتمبيورنج . .

وبرغم أن سلطنة بروناي موغلة في عمق التاريخ . . وكانت تشغل ذات يوم كل أراضي جزيرة بورنيو . . إلا أن أحداً ـ وخاصة في الوطن العربي ـ لم يكن يعلم عنها شيئاً الا بعد أن استقلت عن بريطانيا مع أول دقات الساعة الأولى بعد منتصف ليلة ٣١ ديسمبر ١٩٨٣ . . .

حول ذلك يعقب مدير الإعلام في بروناي « بيهي أوراتا خطيب حاجي بدر الدين » فيقول : « ان أصدقاءنا العرب لم يعرفونا الا بعد الاستقلال ومن



السلطان حسن البلقية
« معز الدين والدولة »

خلال الشائعات فقط . بينما معلوماتنا نحن عن أصدقائنا العرب واسعة » .

ولعل في ذلك بعض الحقيقة ، ولكن الواقع ـ وهو ما قلناه له ـ ان بروناي كانت معزولة عن الوطن العربي طوال سيطرة التاج البريطاني على مقدراتها على مدى ٩٤ عاماً ، وحتى خلال فترة الحماية البريطانية والتي لم تنته الا مع مطلع العام الماضي ، كانت الشئون الخارجية والجوازات وتأشيرات الدخول محتكرة في يد الانجليز وحدهم ، ولم يكن من مصلحتهم أن يتحقق تواصل مع أقطار الوطن العربي . ولهذا فقد حرم العرب والصحفيون خاصة من الحصول على « فيزا » للدخول ، وبالتالي لم يصل اليهم من أخبار بلادكم الا النزر اليسير ، واسمحوا لنا أن نقول:ان الصعوبات في الحصول على تأشيرة الدخول حتى بعد الاستقلال هي في تصورنا من بقايا التعقيدات التي اصطنعها الانجليز . .

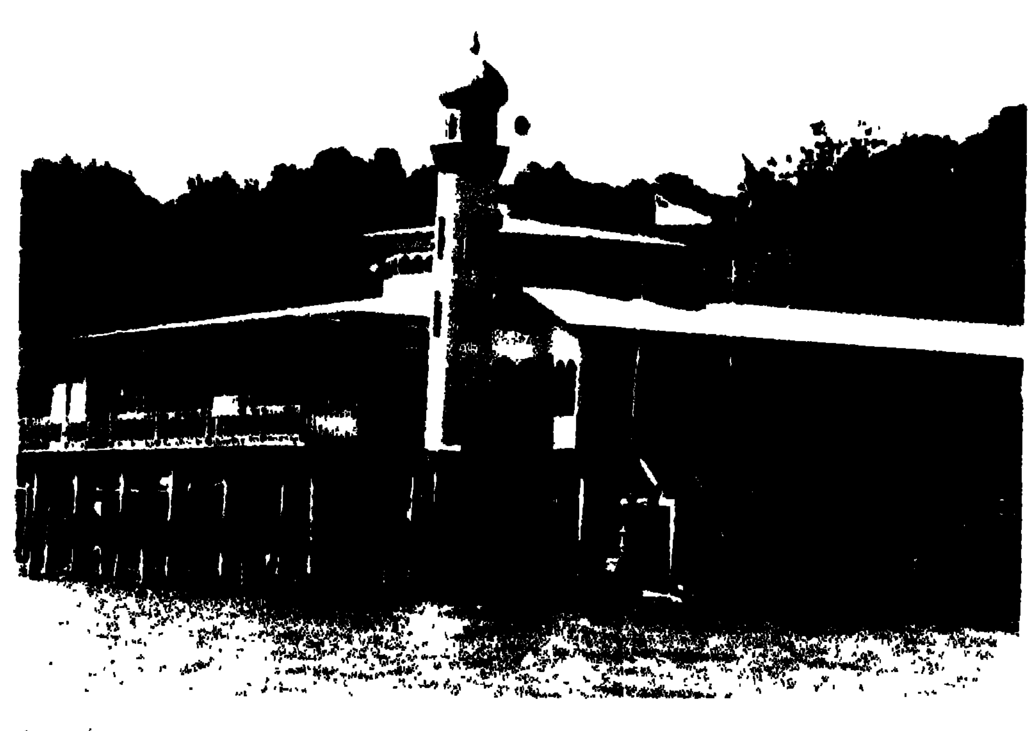
أبنـــاء الأرض :

وندخل بروناي . . ونبدأ جولتنا في شوارع العاصمة بندر سري بيجوان . . .

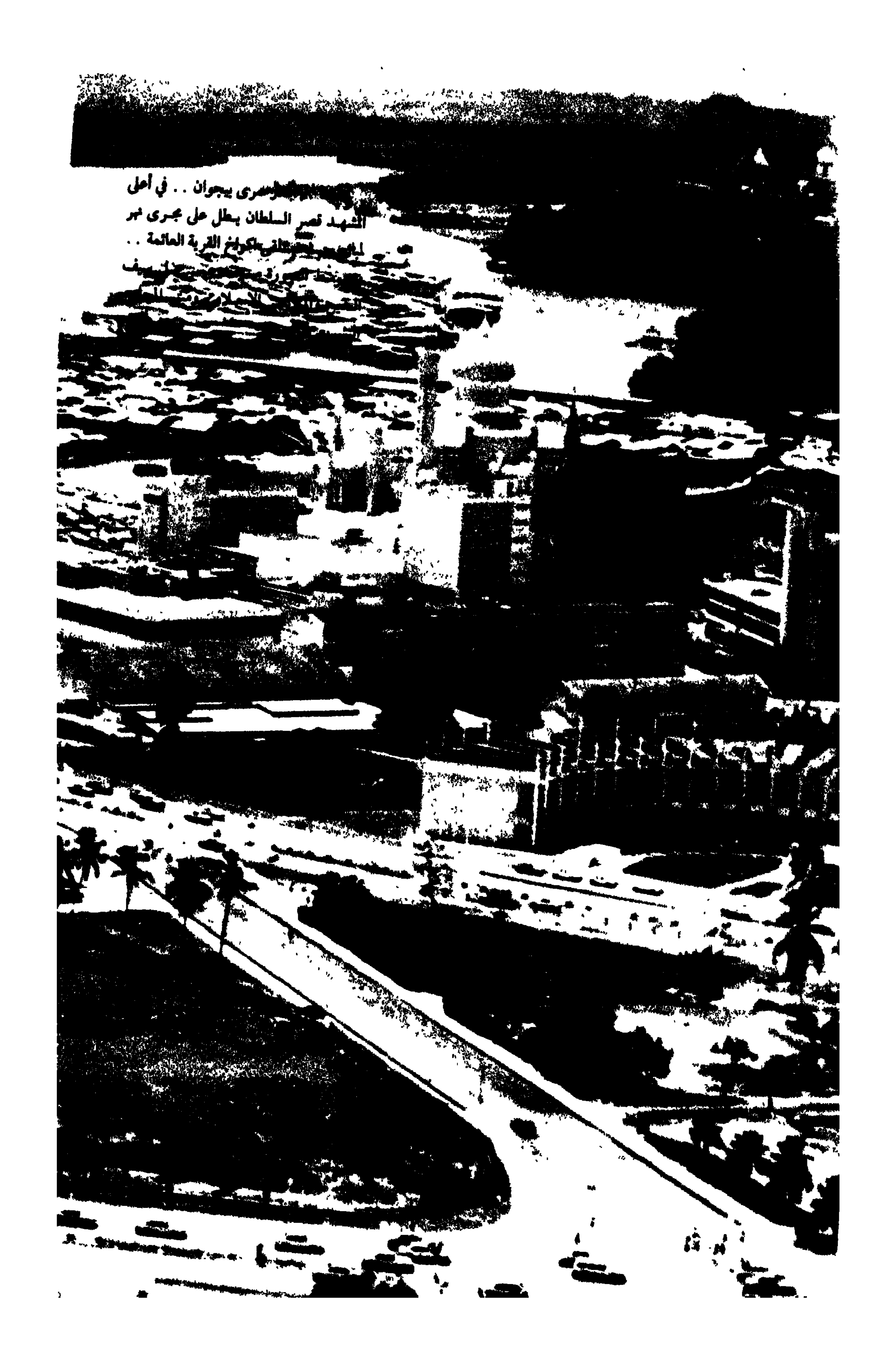
السير في الشوارع على الأقدام ، يتيح فرصة أكبر



* قصر الاستانة نور الأيمان . . بقبته الذهبية الشامخة وأسقفه ذات الأفاريز التقليدية والطابع الفني الذي تنفرد به بروناي .



كومبانج آير . . القرية العائمة بأكواخها ومسجدها ومدرستها تقوم على أعمدة خشبية مستقرة على قاع نهر لمبانج .



[illegible] سرى بيجوان . . في أعلى
المشهد قصر السلطان يطل على مجرى نهر
[illegible] القرية العائمة . .
[illegible]

للقاء الشعب والاندماج معه ، وفهم عاداته وطبائعه . الناس هنا يتمتعون بطبيعة سمحة وهدوء وتألق في الوجوه . لا أثر للاجهاد أو القلق ومنغصات الحياة . . . كل شيء من الخدمات بالمجان . . التعليم . . العلاج . . ولا ضرائب على الاطلاق . . فاهتمام الدولة هو رفاهية المواطن البروناوي الذي يطلق عليه اسم « بومي بونرا » اي ابن الأرض (والبروناويون)« أبناء الأرض » كلهم موظفون في أجهزة الدولة بمرتبات خيالية . . . لهم الحق في سكن بأجر رمزي ويمنحون المعدات والأموال لشراء البيوت وتعميرها . . ويمتلكون السيارات أيضاً بقيمة رمزية ، ويمكنهم الحصول على أية قروض من البنك الوطني للدولة دون إضافة أية فوائد ، ويغدق عليهم بالمنح والرحلات السنوية المجانية الى سنغافورة ، ولندن للاستجمام والتسوق . . وحتى فريضة الحج . . تيسرها الدولة وتتحمل نفقاتها عن مواطنيها المسلمين في قصدهم الى بيت الله الحرام .

وبرغم كل ذلك . . فما زال الكثير من أبناء الأرض ، متمسكين بالإقامة في القرية العائمة فوق نهر بروناي ، التي كان يعمرها أجدادهم الملاويون طوال قرون . .

ولكن . . أي قرية تلك التي شهدناها وطفنا حولها خلال جولتنا النهرية لمشاهدة أشهر قرية عائمة في العالم . . هي « كومبانج آير » . .

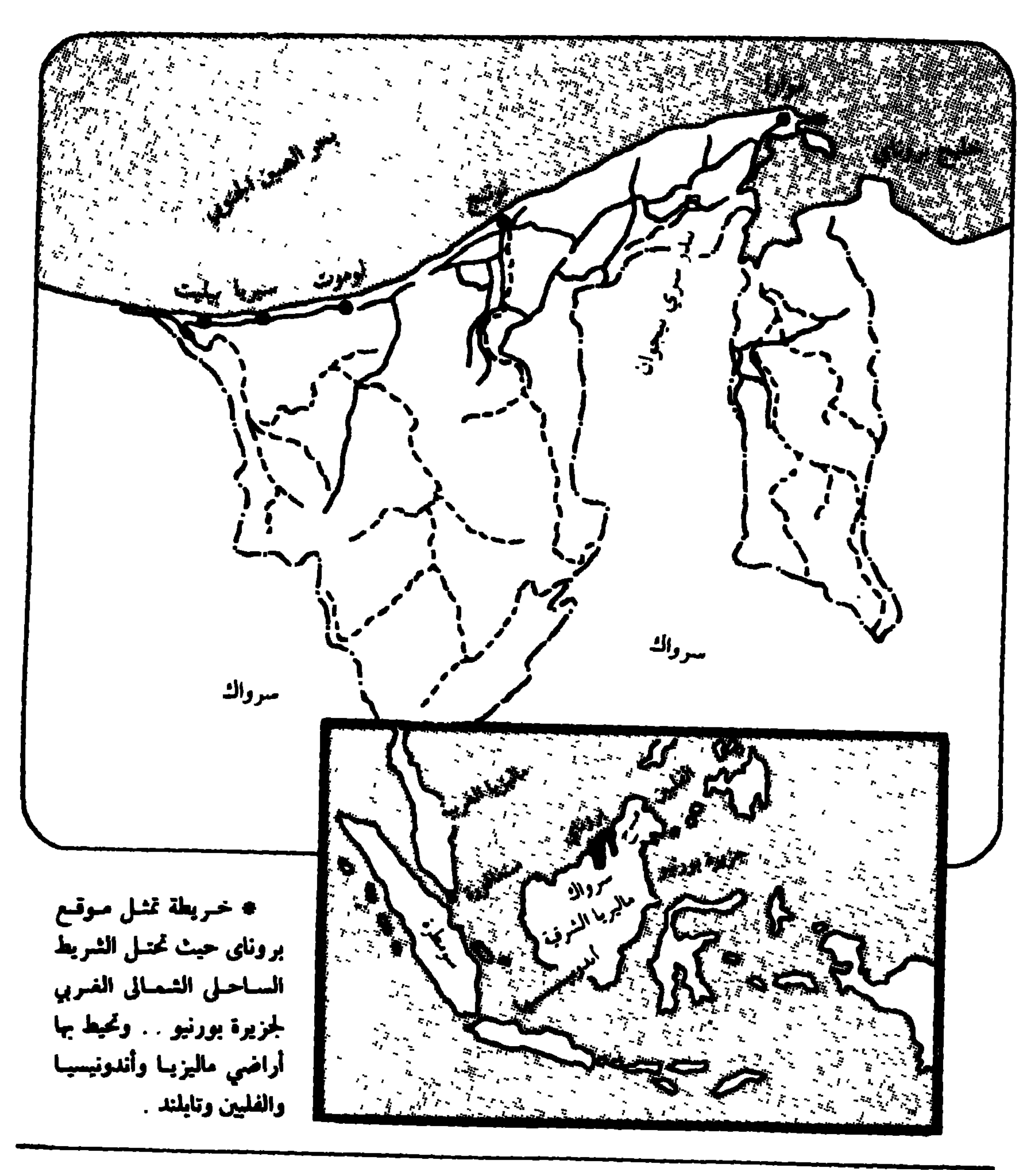
مئات الأكواخ العائمة تقوم على أعمدة خشبية مستقرة بارتفاع حوالي عشرة أمتار على قاع نهر « لمبانج » . . وكلها تتناثر بشكل منتظم على صفحة الماء ، وان كانت تتباين اتساعاً وحجماً ، كما أن منها ما يتسم بالبساطة والنظافة الواضحة ، وما يتميز بالفخامة والأناقة والثراء بالديكورات والزخارف والألوان . . ولكنها كلها بعيدة تماماً عن أكواخ الصفيح التي قد يتخيلها البعض ، فهي أكواخ من خشب صلب . ترتفع فوق هاماتها « اسريالات » التليفزيون الملون الذي لا تكاد تخلو منه كوخ واحد . وتطل من بين جنباته ونوافذها أجهزة تكييف الهواء . أما الانتقال بين البيوت العائمة أو بينها وبين العاصمة في الجانب الآخر من النهر ، فيتم في زوارق بخارية هي « تاكسيات بالايجار » تمخر الماء في سرعة مثيرة يسابق بعضها بعضاً ، فترسم خطوطاً فضية من الموج المتلاحق على صفحة المياه الزرقاء الممتدة... بين صيادو الأسماك في قواربهم يلقون بشباكهم يغترفون بها صيداً حلالاً ، تزخر به بعد ذلك جنبات سوق السمك في وسط المدينة وفي أهم شوارعها .

واذا كانت مياه النهر تطوق مساكن القرية ومعابرها ، إلا انك إذا أرسلت البصر فيها وراء القرية ، ستجد خلفها أروع مشهد من مواكب الخضرة والجمال . . لوحة رائعة على سفح التل الذي تغطيه أشجار الغابة وتتخللها معابر تبدو كخيوط العنكبوت .

هنا . . وبين أكواخ القرية العائمة - قامت ذات يوم بعيد مخابيء القراصنة . ففي أواسط القرن السادس عشر أقيم في هذا المنحنى الحاد من مجرى النهر أول كوخ خشبي كان هو النواة « لكومبانج آير » قرية الماء الشهيرة التي شيدها الهاربون من السفن الحربية الأسبانية ، فقد صادفوا فيها مأوى ملائماً لاستقرارهم في تلك البقعة المثالية التي تحتضنها التلال من الجانبين . ومن هذه المخابيء التي أسسها الهاربون وروّجوا فيها تجارة مزدهرة ، شهدت بروناي فترة طويلة من الازدهار وغدت سوقا لبضائع القراصنة وملجأ ووكرا لهم . وكانت الأساطيل والقوافل البحرية الصغيرة من القوارب الطويلة التي يحمل كل منها أربعين مسلحاً تنقض فجأة على السفن التجارية التي تجرؤ على الاقتراب من مداخل النهر . ويعود القراصنة بثعابين الكوبرا والفلفل وجوز الطيب ، وفي بعض الأحيان يظفرون بأسيرات من النساء والفتيات يكلفن بالعمل اليومي داخل أكواخ القرية . . ويتخذن وسيلة لإيناس القراصنة ولياليهم الصاخبة الماجنة .

الأستانـــة « نور الايمان » :

من آخر منحنى من منحنيات النهر ، وبعد آخر نوع من أكواخ كومبانج اير ، وعلى قمة أحد التلال الذي يبعد عن العاصمة بحوالي خمسة كيلومترات ، وفي بقعة كانت تأوي اليها الحيوانات المفترسة قبل سنوات . . يشمخ على جانب النهر قصر السلطان « الاستانة نور الايمان » .



● خريطة تمثل موقع بروناي حيث تحتل الشريط الساحلي الشمالي الغربي لجزيرة بورنيو .. وتحيط بها أراضي ماليزيا وأندونيسيا والفلبين وتايلند .

وعلى صفحة الماء وفي الزورق البخاري نطوف لنشهد المعالم الرائعة للقصر المستلقي على امتداد حوالي ٢٠٠ هكتار من الأرض على شاطيء النهر .. بينما مدخله الرئيسي يطل على الطريق الموازي من الجانب الآخر ، يحيط به ١٢٠ هكتاراً من الحدائق الزاهية الألوان دائمة الخضرة .

المبنى تحفة فنية رائعة .. بالغ الفخامة مهيب المنظر .. زاخر الترف بقبابه وأبراجه الذهبية المتلألئة . . .

الذين دعوا الى القصر خلال احتفالات يوم الاستقلال في ليلة الأول من يناير ١٩٨٤ يقولون ان أروقة القصر ممتدة تحت الأرض على مدى أربعة كيلومترات ، وتفضي الى موقف يتسع لأكثر من ٨٠٠ سيارة منها مائة موقف تتسع لسيارات السلطان وأسرته .. بالاضافة الى اسطبلات الخيول المجهزة كلها بمكيفات الهواء . والمبنى يضم أربعة مجمعات تتصل فيما بينها بأنابيب تكييف مركزي يصل طولها الاجمالي الى حوالي أربعة كيلومترات . وتعلو المبنى الرئيسي قبتان مجلدتان بالذهب الخالص . وحين نزل الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا ضيفاً على السلطان في

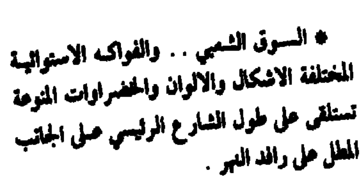


● وجهان من السوق . العجوز تحت مظلتها تحمل معاناة السنين . . فهل تتطلع الى المستقبل ؟









* السوق الشعبي .. والفواكه الاستوائية المختلفة الاشكال والالوان والخضراوات المتنوعة تستلقي على طول الشارع الرئيسي على الجانب المطل على رافد النهر .

الأستانة الجديدة خلال احتفالات الاستقلال التي دعي اليها حوالي خمسة آلاف شخصية مرموقة من سبعين دولة . . كان يحدق بدهشة ـ وهو الذي يعيش في قصر بكنجهام ـ الى سقف غرفة العرش المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة . . من حيث تتدلى أثنتا عشرة من ثريات الكريستال الخالص حول العروش الأربعة المورقة بالذهب . . عرش السلطان وعروش ابيه وأخويه الوزراء . . وكل ثريا تزن طنين ، وكل عرش كلفته ٧٠ ألف دولار . . أي أن العروش الأربعة وحدها تطلبت ٢٨٠ الف دولار .

حول مدى صحة هذه الأرقام سألنا الحاجي بدر الدين مدير الاعلام فقال : حتى هنا في بروناي ليس عندنا معلومات دقيقة عن عدد الغرف في القصر . لكن هناك مبالغات فيما نشر في الغرب،إذ قالوا إنه شبيه بقصور ألف ليلة وليلة . . وإن السلطان هو أغنى رجل في العالم . . . وليس هذا صحيحاً . أما عن نفقات السلطان فهو يدفعها من جيبه الخاص . . وهناك حاجز محكم بين مال الدولة والمال الخاص .

مرافقنا البروناوي من إدارة الاعلام ..« مصري ماتوسيني » يطل مزهوا إلى القصر الفخم ، ويقول ان الأسرة الحاكمة لا تشغل من القصر إلا ربع مساحته ، بينما الباقي يتألف من مركز إداري ومنشآت عامة لخدمة البروناويين . وهو يعبر عن زهوه بالقول،إن الأستانة الجديدة هي رمز رفاهية السلطنة وازدهارها . ودليل هذا الازدهار ان القصر إذا كان بناؤه قد تكلف حوالي ٣٥٠ مليون دولار أمريكي ، فان تأثيثه قد تطلب حوالي بليون دولار أمريكي ، ويقول مؤكداً:أن البروناويين لا يجدون غضاضة في تحمل الدولة عبء إنشاء مثل هذا المبنى ما دام يرمز الى استقلال السلطنة . . . وما دامت الدولة قادرة على ذلك . . وما دام الناس يشعرون بالسعادة والرضا وهم يمارسون حياة كل يوم . .

الناس والحيـــــــاة :

ولكن . . من هم هؤلاء الناس . . في بروناي ؟ المصادر الرسمية تقول ان عددهم بلغ هذا العام ٢٢٠ الف نسمة أغلبهم من الملايويين (١٣٥ ألف نسمة) يليهم الصينيون (٤٨ ألفاً) ، ثم الجنسيات الأخرى (٢٢ ألفاً بينهم ٥ آلاف بريطاني و ٢٥٠٠ من الهنود والباكستانيين والفلبينيين) . أما الباقون (١٦ ألف نسمة) فمن سكان البلاد الأصليين من قبائل الكادازان والايبان والدوسون يعيشون في الغابات الداخلية الكثيفة ، وان كان التطور قد شملهم فبدأوا يشاهدون التلفزيون ، ونبذ شبابهم الملابس التقليدية وتحولوا الى القمصان،والبنطلونات الجينز . . ولم يصرفهم ذلك عن مطاردة الوحوش بالأبواق والسهام المسممة التي يعتصرون لها السم من لب أشجار الأبيوه ، كما لم يَعُقْهُمْ عن تزيين أكواخهم بجماجم الجنود اليابانيين الذين كانوا يصطادونهم وهم يحتلون بلادهم خلال الحرب العالمية الثانية . . . !

حياة الناس هنا ليست شاقة أو متزمتة طوال الوقت ، وفي بلد بترولي قليل عدد سكانه،كثيرة موارده . . فان دخل الفرد يصل الى ٢٢ الف دولار أمريكي . . . واذا قارنا ذلك بما أعلنه البنك الدولي في إحصائه السنوي هذا العام من أن أعلى نسبة لدخل الفرد في العالم هو دولة الامارات (٢٤ ألف دولار) بينما تمثل الكويت المرتبة الثانية (١٩٫٦ ألف دولار) . . . . والثالثة سويسرا (١٧ ألف دولار) والسابعة الولايات المتحدة (١٣ الف دولار) . . فان هذا يعني أن بروناي تأتي بين المرتبتين الأولى والثانية ، وإذا كان الاحصاء لايشملها فلأنها لم تكن قد انضمت بعد لعضوية البنك الدولي .

المناخ الذي يعيشه الناس في بروناي استوائي مطير ، مع ارتفاع في الرطوبة يصل الى حوالي ٧٠٪ . والأمطار غزيرة دائمة بين شهري أكتوبر ومارس مع أمطار متقطعة بقية أيام السنة . والحرارة تتراوح في الصيف بين ٢٠ و ٣٠ درجة مئوية تنخفض شتاء الى ما بين ٢٠ و ٢٥ درجة . . فهو جو معتدل لا يتسم بشدة البرودة ولا هو شديد الحرارة بشكل عام .

البيئة الطبيعية التي يعيش عليها الناس أرض سهلية في أغلبها ، تتميز بتربة حمراء غنية بأكسيد المعادن . والسهول تنحدر ببطء شمالاً نحو مياه بحر الصين يتخللها عديد من الأنهار دائمة الجريان .

أما التربة في المناطق الساحلية فتكسوها رواسب طينية مع رمال مخلوطة بالحصى . وتغطي الغابات حوالي ٧٥٪ من المساحة الكلية للبلاد وهي غابات

استوائية تختلط بها الأشجار الموسمية الدائمة الخضرة . وعلى قمم الجبال تنتصب غابات معتدلة دفيئة . . وكل ذلك يتيح الفرصة لمحصول رائع من الأخشاب الصلبة والحمراء هي العماد الثاني لاقتصاد البلاد بعد النفط .

هذه الطبيعة في جوانبها المختلفة اتاحت الفرصة للعديد من الحرف المتنوعة التي كان يمتهنها السكان ، وخاصة صيد السمك في الأنهار ، وقطع الأخشاب وتصنيعها في الغابات ، والزراعة وبخاصة الأرز في المناطق الخصبة ، ورعى الماعز والأبقار في مناطق الحشائش والأشجار القصيرة ، بالاضافة الى الصناعات اليدوية الخشبية والمنسوجات والصناعات الجلدية وبخاصة بين الشباب والنساء . . ثم جدت في النهاية الصناعات المرتبطة بالنفط .

مسجد عمر علي سيف الدين :

في الليل . . كل شيء هادىء . . والطابع الاسلامي يحف بنا ونحن نخترق الشوارع الساكنة . ونرسل ابصارنا حيث الأضواء الزاهية الألوان تخترق حجب الظلمة من بعيد . وحين نقترب نجد أبصارنا تعلقت بقبة عالية تتلألأ ببريق الذهب من فوق مسجد عمر علي سيف الدين ، وتحتشد الوان قوس قزح تضيء جدران المسجد وقبابه . . وحتى أنموذج السفينة الملكية التقليدية القديمة المستلقية الى جواره وسط مياه النهر تزهو شامخة بألوانها وفنونها وما تفيضه زخارفها من شعاع ذهبي أخاذ . .

ولا تكفي زيارة الليل لاستجلاء المعالم الكاملة لمسجد السلطان عمر على سيف الدين . .

في صباح يوم الجمعة . . وقبل الصلاة الجامعة . . انطلقنا الى المسجد الذي يعد من أروع المساجد وأجملها في العالم الاسلامي .

بناء المسجد تتعانق فيه اللمسات الحديثة مع فنون العمارة الاسلامية بطابعها المغولي . الجدران مكسوة بالمرمر والأحجار الكريمة المجلوبة من إيطاليا . . والأعمدة الداخلية المقامة من جرانيت هونج كونج تبدو قائمة كأنها أشجار غابة في الخريف . . ولوحات النقوش البرونزية والمصنوعة في بريطانيا تضم زخرف رائعة تضفي على المكان ظلاً من القدسية السماوية .

أما المنبر فهو مثير للاعجاب ويعد من أروع المنابر في المساجد الاسلامية . ويتكون من جوسق يقف فوق ستة أعمدة خشبية غاية في الروعة ، يحمل فوقه قبتين بصليتين جلدت من الخارج بصفائح الذهب .

ولعل المئذنة من أكثر ما يلفت الأنظار في هذا المسجد وقد قامت مستقلة عن مبنى المسجد ، وتتألف من ثلاثة طوابق يتصل الأول بمبنى المسجد بوساطة ممر مسقوف . أما الجديد في المئذنة فهو ذلك المصعد الكهربائي الذي يستقله المؤذن مستغنياً به عن صعود الدرج .

الآن تعال بنا نخرج من الباب الأيسر للمسجد ، فسنجد أمامنا أنموذج السفينة الملكية التقليدية المبنية بالحجر وسط النهر . السفينة تتصل بالمسجد بواسطة طريق يمثل ممراً يوصل بينهما . طريق متسع محاط بسور من الحديد الزخرفي . وتزين جوانب السفينة نقوش وزخارف تقليدية تكشف عن جمال الفن الاسلامي . حتى الجوانب الداخلية تم ترصيعها بقطع الرخام المرمري والأحجار الكريمة والفسيفساء ذات الألوان الزاهية . ويتوسط سطح السفينة إيوآن منمنم يجلس فيه قاريء القرآن في المناسبات الاسلامية مثل ذكرى المولد النبوي والاسراء والمعراج ، وليالي شهر رمضان المعظم ، وخلال مسابقات حفظ القرآن الكريم .

مرافقنا أخبرنا أن بناء السفينة وزخارفها كلفتها وحدها حوالى مليون دولار أمريكي . . وأما تشييد المسجد فقد استغرق اربع سنوات من ١٩٥٤ الى ١٩٥٨ حيث افتتحه السلطان الأب عمر علي سيف الدين الحاكم الذي قاد بروناي الى عصرها الذهبي الحديث ، قبل أن يستخلف عام ١٩٦٨ ابنه السلطان مودا حسن بلقيه ، آخذاً عليه العهد أن توجه كل خيرات البلاد وثروتها الى خدمة الاسلام ونشر عقيدته .

السلطان السابق عمر علي سيف الدين يحضر كل اسبوع صلاة الجمعة ومعه أبناؤه . . ويستقبله المصلون كما شاهدنا بحفاوة بالغة . . لا تقل عن حفاوتهم بالسلطان مودا حسن وهو يدخل المسجد للصلاة .

ابو النهضة الحديثة :

والحق ان السلطان عمر علي سيف الدين يضعه البروناويون موضع الأبوة لنهضتهم فقد حمل على كاهله عبء مواجهة التحديات . فمنذ توليه السلطنة في عام ١٩٥٠ بدأ بتنفيذ الخطة الخمسية الأولى مستهدفاً التطوير وتسخير كل الطاقات في الميدان الاقتصادي . وقد اهتم بالطرق وتطوير وسائل الانتقال . . وأبرز مثال على ذلك الطريق الطويل الممتد من بندر سري بيجوان الى كوالا بليت ـ المدينة النفطية الرئيسية . وفي عهده بدأت الخدمات الصحية تأخذ مكانها لرفع المستوى الصحي لأبناء الشعب وأقيمت المدارس في مختلف أنحاء البلاد . . ولم تكن جهود السلطان في ذلك الميدان بأقل من جهوده في ميدان الشئون السياسية . فقد شكل مجلساً استشارياً يضم الشخصيات العامة ، ووضع دستوراً للبلاد هو أول دستور مكتوب تم إعلانه في ٢٩ سبتمبر ١٩٥٩ .

تضمن الدستور عدة أمور مهمة حول نظام الحكم في الدولة . وأنشئت ثلاثة مجالس ، أولها المجلس الملكي (مجلس البلاط) وثانيها مجلس الوزراء ، وثالثها مجلس الدولة . ونص الدستور على الغاء وظيفة المقيم البريطاني وحل محله المندوب السامي البريطاني . كما منح الدستور لبروناي حكماً ذاتياً داخلياً بينما ظلت الشئون الخارجية والدفاع تحت مسئولية انجلترا . وكان واضحاً أن الدستور يهدف الى السير بالبلاد على طريق الديمقراطية .

وفي عام ١٩٥٦ سجل أول حزب سياسي اتخذ له اسم حزب الشعب . وتبعه بعد ذلك تكوين الحزب الوطني وحزب الاتحاد وان حالت الظروف دون قيامها بمهامها . . وقد ارتطمت النهضة السياسية بالدعوة الى قيام اتحاد ماليزيا الذي اقترحه تنكو عبد الرحمن رئيس الوزراء الفيدرالي في الملايو . ودعيت بروناي للانضمام الى عضوية الاتحاد ومعها سنغافورة وسرواك وصباح . ورغم اقتناع بروناي بتأسيس الاتحاد ومبادئه ، الا أن الأمر كان يحتاج لمزيد من الوقت لدراسة فوائد هذا الانضمام الى الاتحاد .

وعندما استؤنفت المفاوضات لانضمام بروناي الى اتحاد ماليزيا جرت مناقشات عديدة بين المتفاوضين في كوالا لامبور واستمرت في لندن عام ١٩٦٣ . و[illegible] كل هذه المفاوضات بدا واضحاً أن الجانبين قد [illegible] في الوصول الى حل للموقف . وعندما أعلن [illegible] ماليزيا في النهاية في سبتمبر ١٩٦٣ لم تنضم بروناي الاتحاد .

وفي الأعوام التالية واصلت بروناي مسيرة [illegible] والثراء ، وزيادة الدخل القومي ، وخاصة بعد أن اكتشف النفط في أعماق البحر قرب الشاطىء عام ١٩٦٠ .

وفي عام ١٩٦٧ أعلن السلطان عمر سيف الدين فجأة تنازله عن العرش ليتولى من بعده ولده السلطان حسن بلقيه الذي أصبح بذلك السلطان التاسع والعشرين لبروناي . .

ولم تمض ثلاث سنوات حتى كانت انجلترا قد قررت سحب قواتها شرقي قناة السويس . وكان لذلك أثره على بروناي حيث عقدت عام ١٩٧١ اتفاقية جديدة مع بريطانيا لتؤكد لبروناي استقلالها بشئونها الداخلية ، على أن يستمر إشراف بريطانيا على الشئون الخارجية والمشاركة في مسئولية الشئون الدفاعية ، ومنذ ذلك الوقت تحول المندوب السامي البريطاني ليصبح ممثل الملكة في بروناي . وفي عام ١٩٧٨ وقعت اتفاقية صداقة وتعاون نصت على أن تسترد بروناي استقلالها الكامل في أول يناير ١٩٨٤

وكانت فسحة السنوات الخمس كافية لبذل المزيد من الجهد والعمل والتحدي والاعداد . لهذا لم يكن الاستقلال بحد ذاته حدثاً مفاجئاً بالنسبة لتيار الحياة في الدولة إذ استمر إيقاع العمل وإن كان قد بدأ يتزايد عما كان عليه من قبل ، وذلك كي تحقق الحكومة ما تأمل في إنجازه ، خاصة وأن الاستقلال قد تم في ظروف سياسية هادئة . . وهكذا بعد ٩٥ سنة انحسر ظل الانجليز وأعلنت بروناي أنها دولة اسلامية مستقلة ذات سيادة . . .

وهنا لا بد من عودة الى التاريخ :

فبروناي واحدة من أقدم الممالك المالوية الاسلامية . . وتشير الآثار التاريخية المتبقية الى أن جذورها تمتد الى أواخر القرن الرابع عشر عندما اعتنق حاكم الامارة « أوانج الان بتياتار » الاسلام



● من خلف أعمدة الايوان في وسط السفينة الملكية التقليدية . . يبدو المسجد بقبته الذهبية ومآذنه الأربع آية من آيات الفن المعمارى الرفيع .



● المصلون الصغار يفترشون سجاد الصلاة في فناء المسجد قبل صلاة الجمعة تأهبا لاداء الفريضة

وسمى نفسه السلطان محمد شاه الأول ، بعد أن قام بزيارة لمملكة ملقا لزيارة السلطان المسلم ، حيث اقتنع بالاسلام ودخل فيه ، ومنذ ذلك الوقت تولى الحكم ٢٩ سلطاناً . وقد تأصلت جذور الاسلام في بروناي عندما وفد من الطائف الشريف علي من نسل الامام حسن بن علي ، واستقبله السلطان استقبالاً حسناً . ومن ثم انتشر الاسلام انتشاراً واسعاً في مدة قصيرة ، فارتضاه واعتنقه معظم أبناء البلاد ، حتى أصبحت بروناي دولة إسلامية بعد ذلك وتزوج « الشريف علي » من ابنة السلطان أحمد ، وأصبح بعد ذلك السلطان الثالث لبروناي باسم السلطان بركات . وحكم السلطان بركات البلاد حسب مبادىء الشريعة الاسلامية . . وكان هو وراء قيام مملكة (كوتا باتو) . .

بلغت شهرة بروناي أوجها خلال حكم السلطان البلقية الذي كان يعرف أيضاً باسم « تاخودا راجام » أو « القبطان الطروب » .

فقد كان يحلو له أن يتجول براً وبحراً بين المناطق التابعة له وهو ينثر قبضات الفلفل في كل مكان يزوره . وتعتبر فترة حكمه العصر الذهبي لامبراطورية بروناي التي اتسعت لتشمل كل جزيرة بورنيو وحتى جزر سولو في الفلبين . ولا يزال قبر السلطان البلقية قائماً في كوتا باتو العاصمة القديمة لمملكة بروناي . . . . . .

ولكن في عام ١٥١١ وقعت مملكة ملقا في أيدي البرتغاليين ، وخلق ذلك تطوراً في مملكة بروناي التي حلت محل ملقا كمركز لانتشار الاسلام والتجارة في شبه جزيرة الملايو .

وفي بواكير القرن ١٩ بسطت القوى الاستعمارية الأوربية نفوذها في المنطقة كلها . . فسيطرت هولندا على الجزر الأندونيسية . . واحتلت بريطانيا بورما والملايو . واستولت فرنسا على الهند الصينية . . . .

فهناك في إقليم سرواك عقد جيمس بروك علاقة صداقة حميمة مع مودا هاشم عم السلطان عمر علي سيف الدين الثاني . وكان مودا هاشم قد ارسل من قبل السلطان لمساعدة أنديرا ماكوتا شاهبندر محمد صالح حاكم اقليم سرواك لإقرار الأمن في منطقته المضطربة ، وطلب مودا هاشم مساعدة بروك للقضاء على الاضطرابات في سرواك ، ومقابل هذه ا... تلقى بروك وعداً بمنحه قطعة من الأرض ، وعد... القضاء على الفتنة بدأ بروك يطالب بانجاز الو... وعندما بدأ مودا هاشم يراوغه ويحاول التحلص... وعده ، لجأ بروك الى التلويح بقوته العسكر... واضطر مودا هاشم الى تنصيب بروك حاكماً على ا... سرواك .

ولم تلق هذه التولية اقتناعاً أو ترحيباً من الحدم الشهبندر محمد صالح والمسئولين في سرواك . وانسحب محمد صالح عائداً الى بروناي،ولم تمض سنوات قليلة حتى كان مودا هاشم قد قتل مع أسرته على يد مجموعة من المناهضين لبروك . .

وأثار مصرع مودا هاشم غضب بروك حاكم سرواك الانجليزي . وأبحر على رأس مجموعة من سفنه الحربية الى بروناي للانتقام لصديقه . وسقطت بروناي بسهولة في يوليو ١٨٤٦ . ومنذ تلك اللحظة بدأ بروك يتخذ موقفاً عدوانياً من بروناي ، وبدأت سرواك تنسلخ تدريجياً عن السلطنة . .

وفي ديسمبر ١٨٤٦ أرغمت بروناي بالقوة على تسليم جزيرة لابوان للحكومة الانجليزية ، لتصبح مركز اتصالات للسفن التجارية الانجليزية التي تستخدم الطريق الهندي الصيني . . . . .

وفي عام ١٨٥٣ اقتطعت مناطق جديدة لتصبح ضمن نطاق سرواك . واستمر ذلك الاقتطاع حتى عام ١٨٦١

وعندما اعتزل جيمس بروك أصبح ابن عمه شارلس « الراجا الأبيض الثاني » وكان أشد حقداً على بروناي . وخلال حكمه اتسعت حدود سرواك كثيراً على حساب بروناي . . .

وبينما كانت سرواك مشغولة بتوسيع أراضيها في المناطق الغربية من بروناي . كانت شركة بورنيو الشمالية تمارس الشيء نفسه في سلخ المناطق الشرقية ، فسلبت مقاطعات أخرى لتنضم الى بورنيو الشمالية (صباح الآن) وظل ذلك الاقتطاع يتواصل حتى عام ١٩٠١ في ظل الحماية البريطانية . . .

فقد حدث في عام ١٨٨٨ أن وقعت اتفاقية بين السلطان « هاشم جليل أقوم الدين»والحكومة البريطانية أصبحت بروناي بموجبها محمية بريطانية .

وكان السلطان يحكم الدولة في ظل حماية بريطانيا التي لم تكن تتدخل في الشئون الداخلية ، بينما الشئون الخارجية والمالية تحت إمرتها ، وبهذا أصبحت بروناي تحكم حكماً داخلياً ذاتياً . وعلى أي الحالات فإن بريطانيا لم تمنع سرواك وبرنيو الشمالية من التوسع على حساب الأراضي البروناوية بينما ظلت تخادع بأنها تحمي بروناي . . . .

في ذلك الوقت كانت بروناي تملك معيناً مهما هو النفط . فقد جرى البحث عن النفط في بيرامبانج وجيرودنج وتوتنج ولابي في بدايات القرن العشرين . واستمرت الجهود بلا نتيجة حتى جاء عام ١٩٢٩ حين انبثق النفط من حقول سيريا . وبدأ التحول الخطير في حياة بروناي ونهضتها . . .

ومع ذلك فعندما قامت حرب الباسفيك احتل اليابانيون بروناي من ١٩٤١ حتى ١٩٤٥ . وجلبت الحرب صعوبات كثيرة للشعب . وتوقف إنتاج النفط . . . .

ومع أول العام المنصرم كانت بروناي قد نالت استقلالها الكامل واستأنفت مرحلة جديدة لمواجهة تحديات ما بعد الاستقلال . . . . . .

مواجهـــــة التحديـــــات :

التحديات التي تواجهها سلطنة بروناوي كثيرة ومتشعبة . . ويضرب بعضهـا بعمق في الماضي البعيد . . .

التفاصيل نتبينها من خلال ما شاهدناه من أحداث حياة كل يوم ، وما عرفناه ممن التقيناهم من المسئولين وأبناء الشعب ، وما تلقيناه من مدير الاعلام حين سألناه عن هذه التحديات .

لعل أبرز التحديات برزت مع القرن السادس عشر حين هبط الأسبان وبعثاتهم التبشيرية الى جزر الفلبين . لقد بذلت جهود كبيرة لمحاولة نشر المسيحية والامتداد بها لتشمل بروناي التي كانت تضم جزيرة بورنيو كلها . . وقد حاول الأسبان احتلال البلاد أكثر من مرة لنشر المسيحية . . . لولا أن واجهتهم مقاومة عنيفة من جانب السلطان وكبار رجال الدولة وأبناء الشعب الذين كانت روحهم الدينية الاسلامية تشد أزرهم وتلهب ذودهم عن الوطن والدين والحرية ، ولولا عنف هذه المقاومة ونجاحها في تلك الفترة لكانت بروناي الآن قرينة الفلبين دولة مسيحية . . .

ولا شك أن أخطر التحديات في تاريخ بروناي ذلك الانتقاص والاقتطاع المستمر من أراضيها خلال فترة السيطرة الاستعمارية البريطانية حين كانت أراضي الدولة تقتطع منها عنوة وبالقوة العسكرية ، حتى لم يعد لبروناي من أراضيها في جزيرة بورنيو كلها إلا هذا الشريط الساحلي الصغير في الركن الشمالي الغربي من الجزيرة . . . وكان من الممكن أن يقضى نهائياً على السلطنة لولا صلابة إهلها،ومضاء عزيمتهم في استبقائها دولة ذات كيان وشعب قائم بذاته وسلطاته وعقيدته .

ولعل من أبرز التحديات التي واجهتها بروناي في عصرها الحديث ذلك الجهد المكثف لتكوين جيش من أبنائها بعد أن كانت الحماية البريطانية تغل يدها عن تكوين مثل هذا الجيش أو تدريب أبناء الشعب على وسائل الدفاع أو التطوير العسكري . . حتى ان الدولة حين تأهبت لمواجهة مرحلة الاستقلال لم تجد لديها امكانات للدفاع عن نفسها مما اضطرها الى إعادة توزيع العسكريين الهنود (الجرخاز) تحت إمرة الضباط البريطانيين لحراسة التجهيزات الحساسة للنفط والغاز الطبيعي ، ودفعت عن طيب خاطر تكاليف خدماتهم حتى يتم إعداد جيش وطني . وحين رغب السلطان أن تظل قوات الجرخاز في بروناي تحت إمرته شخصياً بعد الاستقلال رفضت بريطانيا ذلك رغم جولات التفاوض التي استمرت حتى عام ١٩٨٣ مما أدى الى إحجام أعضاء الحكومة البروناوية جميعهم عن توديع المندوب السامي البريطاني لدى مغادرته السلطنة بعد انتهاء مهمته . . فبارحها ساخطاً مغضباً وتكللت جهود بروناي بالنجاح في مواجهة هذا التحدي حين اتجه السلطان الى بناء وتدريب جيش قوي يتكون من ٣٥٠٠ رجل مدربين تدريباً متقدماً ومسلحين بأحدث الأسلحة من معدات ودبابات وطائرات تحت القيادة الوطنية .

هناك تحديات من نوع آخر : تعانيها بروناي من أكبر الأقليات في البلاد . . . وأعني الصينيين .

فالأصول الصينية تشكل أكثر من ٢٣٪ أي حوالي

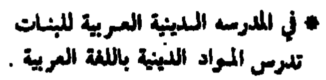
●الأيدي المدربة في مركز تدريب الفنون والصناعات اليدوية تستهدف المحافظة على التراث الفني من المشغولات الخشبية والمنسوجات والصناعات الفضية والمعدنية وأغطية الرأس والتطريز .



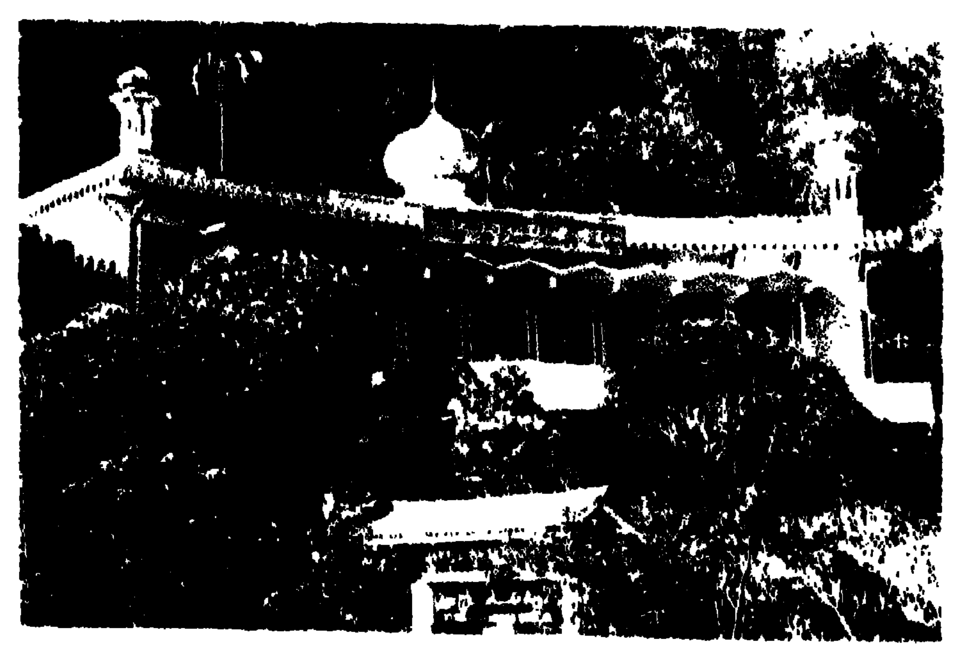




* في المدرسه الدينية العربية للبنات
تدرس المواد الدينية باللغة العربية .



* تشارك المرأة الرجل في مهام الشرطة والأمن
وتلعب دورا كبيرا في جميع مجالات الحياة .



• لايزال ضريح السلطان البلقية الاول قائما في كوتاباتو العاصمة القديمة . . غير
بعيد عن مدافن السلاطين ، تتصدرها لافتة تقول « قبة مقام دراج برول » .

ربع عدد السكان بينما الجنس الملايوي يشكل ٦٥٪ بخلاف السكان الأصليين للجزيرة والذين يمثلون ٦ر٦٪ بالاضافة الى ٦ر١٪ من الهنود والباكستانيين والسيلانيين و ٣ر٢٪ من الجنسيات المختلفة الأخرى .

الصينيون اذن هم أكبر الأقليات بعد الجنس الملايوي وهم دائمو المطالبة بالحصول على الجنسية ، وقد استشعروا القلق عندما تكررت مطالبتهم بالتجنيس فووجهوا بعقبات وشروط يصعب معها حصولهم على الجنسية .

وتبدو هذه المشكلة واضحة من هذه الفئة ذاتها والتي تتركز في القطاعات التجارية وقطاعات الخدمات . ولحساسية المشكلة أعلنت الحكومة أنها تمنح الجنسية لمن يستحق منهم على أن تتوافر الشروط ، وأول هذه الشروط هو تعلم اللغة الملايوية وهي اللغة الرسمية . فالذي يريد الحصول على الجنسية ينبغي عليه أن يتقن اللغة القومية للبلاد لأن جهله بها يعني استهانته بالاندماج بالشعب والعيش معه طوال حياته . والشرط الثاني هو قضاء ٢٥ سنة متتالية في البلاد ، وأن تكون لدى طالب الجنسية القدرة على التلاؤم مع البروناويين وقبول تقاليدهم وعاداتهم ، ثم أن تكون هناك حاجة قومية الى العمل الذي يؤديه . . .

هناك محاولات أخرى لترضية الصينيين ، ومن بين هذه المحاولات أنهم وكل اليهم تشييد مبنى المجلس الاسلامي الأعلى ومقر الشئون الدينية بجوار مسجد عمر علي سيف الدين . وكان ذلك بهدف إشعارهم أن المسلمين الملايويين لا يستغنون عن خدماتهم ومساهماتهم حتى في أعز ما يهتمون به ، كما لا يحملون أي تعصب من أي نوع تجاه العقائد الأخرى ، فالتسامح هو الأساس للعلاقات بين مختلف الفئات والأجناس في البلاد . ومما يطمئن الصينيين أكثر ، تلك العلاقة الوطيدة للسلطان البلقية مع سنغافورة ذات الأغلبية الصينية . ولأن السلطان يعرف مدى أهميتهم للاقتصاد فقد أكد لهم بنفسه ـ وخاصة لمن يمتلكون أعمالاً خاصة وممتلكات في القطاع الخاص ـ بأن أعمالهم لن تتأثر بالسياسة الاقتصادية والمالية الحالية . .

وكانت هناك تحديات أخرى في مجال السياسة الداخلية ما تزال آثارها باقية حتى الآن . .

الثـــــورة الشعبيـــــة :

بداية هذا التحدي كانت بعد اعلان الدستور وتصميم بريطانيا في اتفاقها مع السلطان على استمرار سيطرتها على شئون البلاد الخارجية وعلى الدفاع . .

وقد جرت الانتخابات على أساس الدستور الجديد عام ١٩٦٢ لتشكيل المجلس التشريعي والحكومة التنفيذية . وفاز حزب الشعب البروناوي بقيادة « الأزهري » ـ وكان الانجليز يتهمونه باليسارية ـ بجميع مقاعد المجلس ، ولكن الانجليز دفعوا السلطان الى منعه من تشكيل الحكومة ومن التمثيل النيابي في المجلس التشريعي .

وزاد الطين بلة أن انجلترا كانت قد أعلنت في ذلك الوقت عن مشروع بضم بروناي الى اتحاد ماليزيا . وهنا قاد الأزهري ثورة شعبية تعبيراً عن رفض هذا المشروع . وكان من أهداف الحركة أيضاً رفض بقاء القوات البريطانية .

وتم قمع الحركة الشعبية بالتعاون بين القوات البريطانية والسلطان . وأعلنت حالة الطوارىء ومنع حزب الشعب من ممارسة نشاطاته . وتم القبض على قادة الحركة وألقي بهم في السجون . ونفى الباقون الى خارج البلاد كما لجأ بعضهم الآخر الى ماليزيا . . .

ومنذ عام ١٩٦٢ والسلطان يحكم دون العودة الى مجلس تشريعي منتخب اكتفاء بمجلس استشاري يعين بنفسه أعضائه ويجتمع مرة واحدة كل عام .

والغريب أنه لم يمض عام واحد على تلك الحركة التي بدأت برفض الانضمام لاتحاد ماليزيا . . حتى كان السلطان نفسه قد أعلن هو الآخر رفضه الانضمام الى الاتحاد . .

ومع هذا ففي عام ١٩٧٥ عندما أصدرت الأمم المتحدة قراراً بانسحاب القوات البريطانية من بروناي ، تضمن القرار عودة المنفيين السياسيين واجراء انتخابات حرة . وإذا كان قد تم الافراج عن عدد من المعتقلين الا أن العديد من المنفيين الذين اشتركوا في ثورة ١٩٦٢ ظلوا في السجن حتى عام ١٩٧٧ ، كما توترت العلاقات مع ماليزيا بسبب مساعدتها لأعضاء حزب الشعب المنفيين . . ومنذ

بشل الثورة منعت جميع الأحزاب من ممارسة نشاطاتها ، ولكن ما يزال حزب واحد يمارس نشاطاته في المنفى وهو حزب جبهة الاستقلال الشعبيةالبروناوية بقيادة زين العابدين .

الدعايات الكاذبة :

وثمة تحديات أخرى لها أهميتها تواجهها بروناي مع نزعتها الشديدة الى تأكيد طبيعتها الاسلامية والحفاظ على عقيدتها دون أن يصرفها ذلك عن الاتصال بالعالم الخارجي،والاستفادة من التجارب العديدة الناجحة في الدول المتقدمة . . .

ولعل ذلك مما جلب عليها تلك الحملة الضارية من الإعلام الغربي مع بداية الاستقلال حين أعلنت قيامها « دولة مستقلة باسم بروناي دار السلام تظل الى الأبد مملكة ملاوية مسلمة ديمقراطية وذات سيادة طبقاً لتعاليم الاسلام » فقد كان ذلك البيان الحاسم سبباً للمؤامرة الصهيونية البريطانية حين وزعت المنشورات والدعايات الكاذبة منسوبة الى حكومة بروناي . . وكما يقول مدير الاعلام : ان الحملة بدأت في إحدى الصحف اللبنانية الكتائبية بينها لبنان تحت الاحتلال الاسرائيلي ، ليدفع الفلسطينيين وأهالي الجنوب اللبناني إلى النزوح عن وطنهم . فادعت هذه الاعلانات أن بروناي مفتوحة الأبواب للهجرة وانها تمنح القادمين اليها الجنسية مع مرتبات تصل الى ٢٤ ألف دولار . . وبلغت الحملة أشدها حين استغلت أيضاً للتشويش على بروناي الاسلامية بأنها ترفض وتطرد آلاف النازحين اليها للعمل ولا تسمح لهم بالدخول .

يقول مدير الاعلام :

لقد قرأت بنفسي صيغة هذه الحملات كما اطلعت على آلاف طلبات العمل التي تلقتها الحكومة . . ولكن الحقيقة هي أن بروناي لم تنشر ولا تعرف شيئاً عن هذه الادعاءات ولا دخل لها في كل ما نشر عن استعدادها لاستقبال المهاجرين من كل جنس دون تفرقة بين اللون والجنسية . . .

وللحقيقة أيضاً فان بروناي ليست في حاجة الى أي عمالة وافدة . . ولو كنا بحاجة الى الأيدي العاملة حقاً لكنا استعنا بمن هم أحق من جيراننا الذين يعانون كثرة الأيدي العاملة العاطلة مع ضآلة تكاليفها ، وخاصة انهم يتكلمون لغتنا الوطنية الملايوية ويعرفون الانجليزية مما يكفل لهم التوافق معنا وسلاسة الأداء للعمل في المرافق التي قد تحتاج اليهم . . هل يمكن أن نترك هؤلاء حين الحاجة ونلجأ الى أفراد آخرين من أي جهات أخرى يجهلون لغتنا ولا يعرفون تقاليد شعبنا ولا يسهل عليهم الاندماج والتأقلم مع أبنائنا ؟ . في الواقع أنه لم يكن يسعنا لمواجهة هذه الحملة ومواجهة آلاف القادمين الذين وصلوا الى مطار بندرسري بيجوان أو الذين اتجهوا الى سفاراتنا في سنغافورة وماليزيا للحصول على تأشيرة دخول الا أن نصدر بياناً يعلن « أن دائرة الهجرة لن تمنح التأشيرات لأولئك الذين يريدون العمل في نيجارا بروناي دار السلام دون الموافقة المسبقة على إجازات العمل ونخطركم أيضاً بأن جميع طلبات تأشيرات العمل يجب أن تصدر عن الموظفين المقيمين الذين بحوزتهم إجازاه ، مرخصة من وزارة العمل البروناوية »

البحث عن الخبرات :

نسأل مدير الاعلام :

ـ وهل ينطبق هذا على الخبرات المطلوبة في أي مجال من مجالات العمل ؟

ـ لو كان هناك نقص في الخبرات أو احتيج الى موظفين في المناصب الحكومية ، فإننا ننشر اعلانات في الصحف العالمية نطلب من أصحاب هذه الخبرات تقديم طلباتهم . .

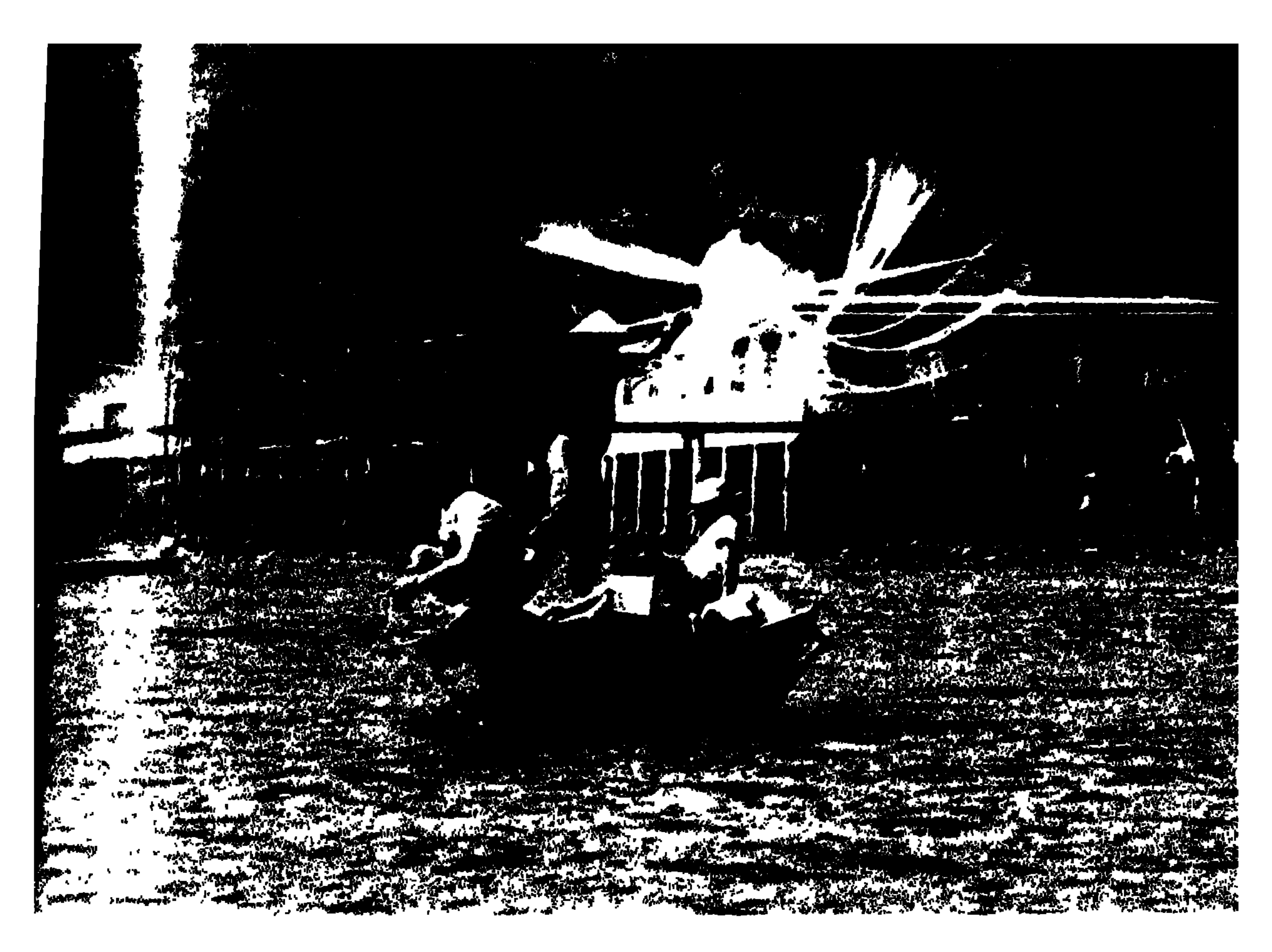
ـ هل لديكم أي عربي في أي من المناصب الحكومية حالياً ؟

ـ لا يوجد .

ـ حتى لو كانت الخطط الخمسية في حاجة الى أعمال جديدة ؟

ـ سأقول لك . . نحن في حاجة الى أطباء مثلاً . ونشرنا الاعلان في بريطانيا وفي الصحف الأوربية . . ولكن أحداً من العرب المسلمين لم يتقدم ضمن من تقدموا . . ولو تقدم أي منهم كان من الممكن أن يدرس طلبه حسب خبراته ومؤهلاته . .

ـ ولكن الاعلان لم ينشر في الدول العربية ؟



* شباك الصيد يلقيها الصيادون لصيد حلال .. وكان الصيد هو الصناعة الرئيسية للأهالي قبل النفط ، وتبذل محاولات لانعاش الصيد بالسنارة والشباك .

ـ نحن لا ننشر اعلانات لطلب الوظائف في الصحف العربية ، ولكن بعد أن تكون لدينا اتصالات دبلوماسية واسعة مع الدول العربية يمكن أن ننشر الاعلان في الصحف العربية ..

ـ هل هناك حاجة الى الأطباء فقط ؟

ـ الواقع أننا كنا في حاجة الى مدرسين .. ولكن المدرسين المطلوبين يجب أن يدرسوا باللغة الانجليزية واللغة الملايوية وهي لغة التدريس الرئيسية في المدارس ..

ـ ولكن عندكم مدارس عربية اسلامية ..

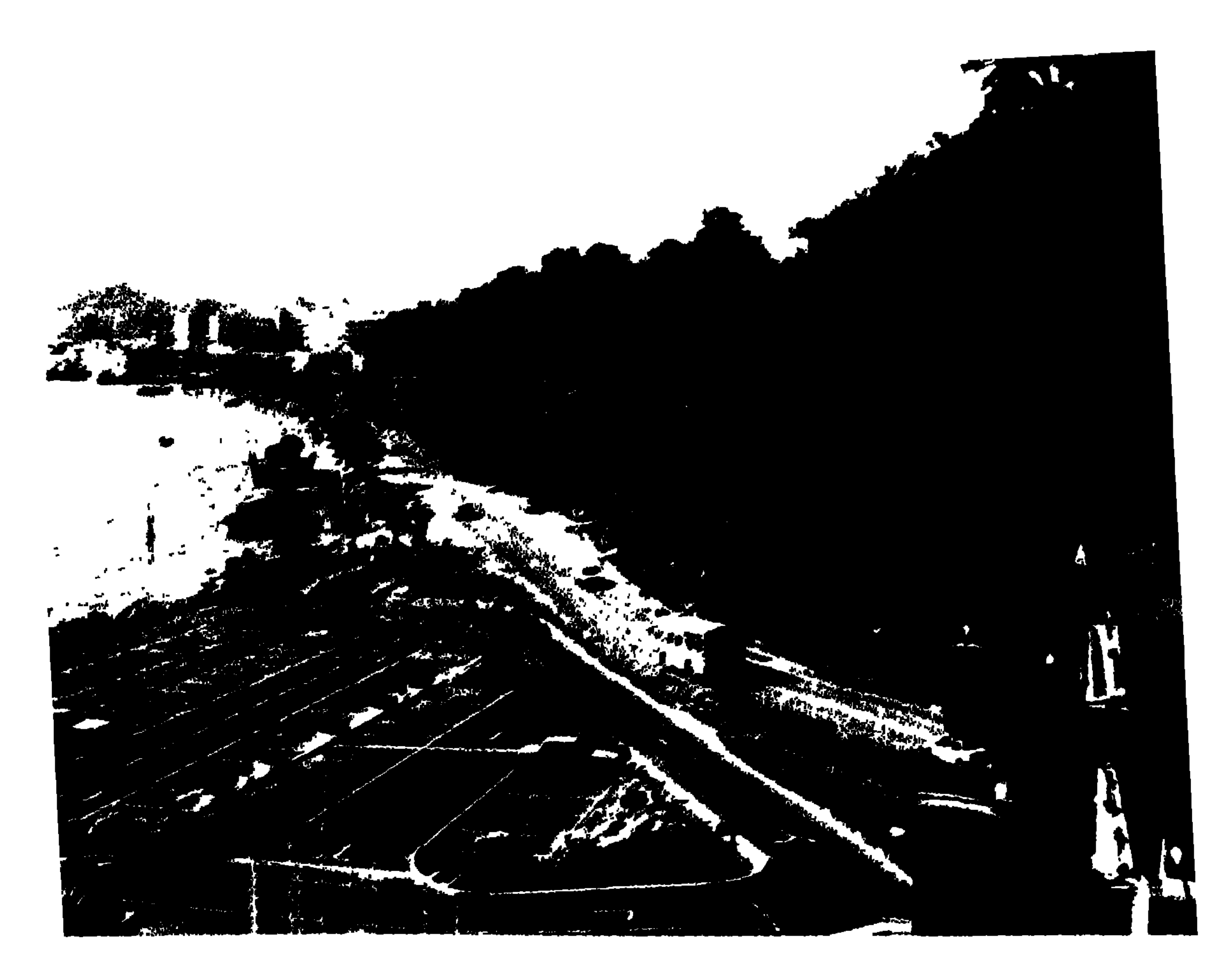
ـ المدارس العربية الدينية محدودة ويكفيها المدرسون الخريجون من أبناء البلاد . ولكن هذا لا يمنع اننا كنا في حاجة الى أربعة مدرسين للغة العربية وقد تم اختيارهم من خلال الاتصالات الحكومية مع الأزهر الشريف ، وعلى أي الحالات فان شغل مثل هذه الشواغر في المدرسين يتم عن طريق الاتفاق مع الحكومات ....

ـ وهل وصل المدرسون الأزهريون المطلوبون ؟

ـ ننتظر وصولهم هذا العام بعد أن وافق الأزهر على اعارتهم ..

الواقع أن هناك صلات وثيقة بين بروناي والأزهر ، وهناك عدد كبير من أبناء البلاد ممن يشغلون أهم المناصب في الدولة ولا يقلون عن سبعين من خريجي الأزهر ..

يقول لنا مدير الاعلام وهو أيضاً حاصل على العالمية الأزهرية مع درجة الماجستير في العلوم الدينية : أجدها فرصة لأحدثكم عن سياستنا في الاستعانة بالخبراء كما كنتم تتساءلون ... فنحن نختط طريقة نراها أصلح لنا على جميع المستويات ، إذ نرسل من أبناء البلاد بعثات ممن يراد لهم التخصص في أي مجال من المجالات ... يدرس ويعود إلينا حاملا الخبرة والتخصص الذي نريده ، ولا شك أنه سيكون أقدر على العطاء لأبناء بلده وهو الأدرى بلغته القومية وحياة مجتمعه .. وبذلك يستطيع أن يعطينا أكثر مما لو استقدمنا أحداً من الخارج لا يعرف لغتنا ويشق عليه التعايش مع مجتمعنا ....



* الى سيريا المركز الرئيسي لاستخراج وانتاج وتصنيع البترول
والطريق منبسط ممتد بين سفوح التلال الخضراء والمجرى الهادئ لنهر لمبانج

اقتصـــاديات ثابتـــة :

ولكن ماذا عن اقتصاديات بروناي .... ؟

لعل أبرز القطاعات وأهمها هو النفط والغاز الطبيعي ..

فلننطلق الى سيريا ... وبيليت .

هنا المركز الرئيسي للاستخراج والانتاج والتصنيع للبترول والغاز الطبيعي الذي يقوم عليه اقتصاد البلاد وثراؤ ها .

والواقع أن ازدهار بروناي دار السلام يرتبط بالنفط والغاز الطبيعي المسيّل،وهذا كله يشكل ٩٨٪ من مجموع صادرات البلاد التي بلغت عام ٨٤ أربعة بليارات من الدولارات وتمثل ٨٠٪ من خالص الانتاج القومي .

وهناك طابعان رئيسيان يميزان سياسة بروناي البترولية .. الطابع الأول العمل منذ بداية عام ١٩٨٥ على تخفيض الانتاج حين صدر قرار أخيراً بتخميص الانتاج من حوالي ٢٥٠ ألف برميل يومياً الى حوالي ١٥٠ ألف يومياً ، حفاظاً على مخزون البترول واحتياطيه ، وكذلك الرغبة في التقليل من الاعتماد على شركة (بروني شل) للبترول ، وأيضاً لإغراء قدوم شركات بترولية أخرى تمد للتنقيب . ويتم تصدير الانتاج كله بعد الاحتفاظ بعشرة آلاف برميل لاحتياجات السوق المحلي ..

أما الغاز الطبيعي فان شركة بروني شل تستغله وتبيعه لشركتي بروني شل للغاز الطبيعي المسيل والى جولد جاس وهي شركة تمتلكها بنسبة الثلث كل من شركة شل والسلطنة وشركة ميتسوبيشي اليابانية ..

وهناك اتفاق في عام ١٩٧٢ لمدة عشرين عاماً يكفل توريد خمسة ملايين طن من الغاز المسيل سنوياً لليابان ويبلغ الدخل الصافي للحكومة ما يعادل ٨٠٪ للضرائب وجمارك التصدير...

وحقول الغاز الطبيعي في سيريا تم افتتاحها عام ١٩٥٥ وكان هذا ايذاناً ببدء صناعة الغاز في بروني . وفي عام ١٩٧٨ بدأ تشغيل أضخم معمل للغاز

الطبيعي المسيل على المستوى العالمي باستخدام الغاز الطبيعي الذي يستخرج من الحقول البحرية .

التخطيــــط والمشاريــــع الجديدة :

ومع مزيد من اقتصاديات بروناي . . .

فلأن المصادر المعدنية محدودة فقد بذلت الجهود لتنويع مصادر الانتاج بخلاف النفط . .

ويتجه النشاط إلى الصناعات الخشبية والزراعة وصيد السمك وتطوير ذلك كله برغم العوائق التي تواجهها في ندرة الأيدي العاملة المتخصصة . .

ولا شك أن استغلال الأخشاب من أشجار الغابات التي تغطي حوالي ٨٠٪ من مساحة أراضي بروناي يمثل نشاطاً صناعياً كبيراً ويكفل اكتفاء ذاتياً بالأخشاب لسنوات طويلة قادمة . . .

أما صيد السمك الذي كان ذات يوم هو الصناعة الرئيسية للأهالي قبل النفط فقد اقتربت نهايته برغم أن بروناي تحقق ٧٠٪ من الاكتفاء الذاتي منه . .

أما الزراعة فهي تعاني أيضاً من قحط شديد . فالأرز والمطاط تدنى إنتاجهما كثيراً في السنوات الأخيرة لإغفالهما ، وإن كانت هناك جهود من أجل اكتفاء ذاتي لمحصول الأرز تبلغ نسبته ٣٠٪ . وفي الوقت الراهن تستورد بروناي حوالي ٨٠٪ من غذائها بالاضافة الى التيسيرات الكبيرة في حصول الأهالي على البضائع الاستهلاكية غير الغذائية . . . .

ومن عوائق التنويع الاقتصادي قلة وجود الأيدي العاملة الماهرة وغير الماهرة . فتفضيل المهن المكتبية والخدمات الحكومية مع ارتفاع المرتبات أصبح هدفاً للبروناويين مما جعل العاملين الجدد عاجزين عن الحصول على أماكن لهم ، فاتجهوا إلى الأعمال غير الحكومية ومحلات القطاع الخاص الاستهلاكية . . .

المتحــف الوطنــي :

نحن الآن في « كوتاباتو » على مسافة خمسة كيلومترات من أطراف العاصمة ، نطل على نهر بروناي من فوق تل يشرف على مجرى الماء . هنا يقوم مبنى رائع لوزارة الخارجية تحيط به الأشجار والحدائق ، ويبدو قمة في الجمال والأناقة ، فأسقفه مغطاة بالقرميد الأحمر وتمتد من فوق ثلاثة تشكيلات



* مقر مجلس الشئون الدينية والمجلس الاسلامي الأعلى في بروناي

من المباني ذوات الطبقات السبع . المبنى كان مقراً من قبل للمقيم البريطاني عندما كانت بريطانيا تتولى الشئون الخارجية قبل أن تتخلى عنها مع إعلان استقلال البلاد . منذ ذلك الوقت شغلت المبنى وزارة الخارجية التي يتولاها شقيق السلطان . . صاحب الهمة والوقار نيجران مودا محمد البلقية . . .

في هذه المنطقة كانت عاصمة بروناي الأولى في عهد السلطان بلقية الأول ، حيث يقوم ضريحه شامخاً بقبته المغطاة بصفائح الذهب ، والتي يعلوها شعار الدولة ورمز البلقية . والضريح محفوف بالحدائق وأشجار الغابة والزهور من كل اتجاه . .

وقريباً من نفس المكان كان يقوم قصر السلطان الذي شهده بحارة « ماجلان » عندما وصلوا الى جزيرة بورنيو ووقفوا عند مداخل النهر عام ١٥٢١ حيث استقبل السلطان ضابطهم بيجافيتا الذي كان أول من كتب عن ثراء السلطان وفخامة قصره وما يزدان به من الأحجار الكريمة واللآلىء التي تصل الواحدة منها الى حجم بيضة الدجاجة . . .

الآن . . وبعد أن اختفى القصر القديم وانتقلت العاصمة الى بندر سري بيجوان يقوم مبنى المتحف الوطني . المبنى مقام على جانب التل الذي تغطيه أشجار الغابة ، يضم ستة أقسام غير البهو الرئيسي الواسع . ويعتبر المبنى من أكثر المباني جمالاً وبهاء ورونقاً في بروناي الحديثة .

وعلى مسافة غير بعيدة من مبنى المتحف الوطني

زور فرعاً آخر وهو مركز تدريب الفنون والصناعات اليدوية . المركز يضم ست طبقات في كل منها قسم من أقسام التدريب الذي يستهدف المحافظة على التراث الفني الذي اشتهرت به بروناي سواء في المشغولات الخشبية أو المنسوجات أو الصناعات الفضية والمعدنية أو اغطية الرأس والتطريز .

وهناك فرع آخر يضم معرضاً للأبحاث الفنية والرسوم بريشة الفنانين العالميين .

وعلى مسافة منه في وسط العاصمة يوجد فرع آخر هو متحف آثار تشرشل الذي أقامه السلطان عمر علي سيف الدين الذي كان شديد الاعجاب بونستون تشرشل وجمع في متحفه كل آثاره وذكرياته وممتلكاته الخاصة مما لا مثيل له حتى في بريطانيا نفسها . ويتوسط ساحة المتحف الخارجية تمثال كبير لرئيس الوزراء البريطاني .

وعلى امتداد المسيرة نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع المبنى الرئيسي للشئون الدينية والمجلس الاسلامي الأعلى .

المسيـــرة الاســـلامية :

ويقودنا ذلك الى الوقوف على المسيرة الاسلامية في بروناي .

ونستوضح تفاصيل هذه المسيرة خلال اللقاء الذي جمعنا مع أعضاء مجلس الشئون الدينية ، اللقاء تم في ذلك المبنى القائم الى يمين مسجد السلطان عمر علي سيف الدين وهو لا يختلف كثيراً عن النمط الذي شيد به المسجد مع ملامح صينية واضحة في طريقة البناء والزخارف والشكل الخارجي ، وكان مهندسون وعمال صينيون هم الذين أنجزوا تشييد المبنى . .

المسلمون في السلطنة يربو عددهم على ١٣٥ ألف مسلم على مذهب أهل السنة والجماعة أصلاً والمذهب الشافعي فرعاً ، أما الباقون فمن غير المسلمين ، والأقلية منهم من غير الدينيين الذين يعيشون في أعماق الغابات .

ومع هؤلاء تجري المهمة الرئيسية للدعاة بجانب نشاطهم في نشر الدعوة والتعاليم الاسلامية فهم يضاعفون جهودهم لدعوة سكان القرى المترامية في الغابات من قبائل الموروث والداياك والدوسون والكادزان وغيرهم لاعتناق الاسلام .

وهم ينطلقون الى المساكن والبيوت في القرى البعيدة ويسلكون - ومعهم وسائل الاعلام من الأفلام المناسبة للدعوة وشاشات العرض - أحراج الغابات حتى على أقدامهم وأحياناً يستخدمون "الهليوكبتر" حيث يدعون الى الاسلام بالحوار والقدوة وحسن المعاملة .

الادارة الدينية تضم عدة أقسام أكبرها هو قسم المحاكم الشرعية وقسم الإفتاء وقسم التعاليم الاسلامية وقسم الزكاة وقسم الوعظ والارشاد . ولكل قسم أثره البالغ في تدبير شئون المسلمين .

أما عن قسم التعليم الديني فانه يقوم بتعليم الدين لجميع طلاب المدارس سواء كانت في المدن أو في القرى . ويحدثنا في ذلك حاج بسر بن حاج أبو بكر رئيس قسم التربية والتعليم الديني وهو من خريجي الأزهر - وكان يرافقنا لزيارة المدرستين الدينيتين العربيتين ويتجول معنا في فصولها

في هاتين المدرستين العربيتين تدرس المواد الدينية باللغة العربية بجانب المواد الأخرى وتدرس اللغة الانجليزية على انها مادة خاصة . . .

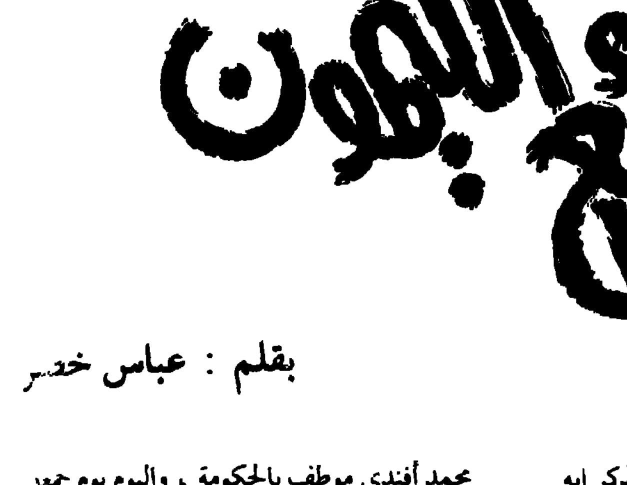
المدرسون الذين يدرسون المواد الدينية والعربية بعضهم من المتخرجين في جامعة الأزهر من أبناء البلاد وبعضهم الآخر معلمون ومدرسون معارون من سنغافورة وماليزيا ، وهم يتحدثون اللغة المحلية أيضاً .

قمنا بزيارة أخرى لكلية المعلمين الدينية التي تقوم باعداد المدرسين المتخصصين في التعليم الديني . الطلاب والطالبات الذين يلتحقون بهذه الكلية هم الذين حصلوا على شهادة الدراسة العامة بسنغافورة أو شهادة الدراسة الدينية بالعاصمة .

التعليم في جميع المراحل وفي كلية المعلمين بالمجان . والمبعوثون يوفدون الى انجلترا واستراليا وكندا وأمريكا وسنغافورة والى الجامعة الأزهرية بمصر على نفقة الحكومة .

ويقول حاجي ابراهيم محمد ان دولة بروناي رغم صغر حجمها لم تغفل واجبها نحو إعلاء كلمة الله ، بل انطلقت بجهودها الى آفاق جادة واعية لبسط هذه العقيدة الاسلامية المطهرة ونشر لوائها الخالد العظيم على هذه البقعة من العالم . □

قصة قصيرة



بقلم : عباس خضر

شعر محمد أفندي بالخزي ، بل هو لايذكر انه في حياته شعر بالخزي مثل ما شعر به في هذا الموقف . . وكيف كان ذلك ؟ لاتعجل ، فسيأتيك البيان الذي لايتأتى الا بتفصيل الحكاية ، فتذرع بالصبر ، ودعني أحكي لك .

محمد أفندي موظف بالحكومة ، واليوم يوم حمعا العطلة الأسبوعية ، وهو ممن يسمونهم ذوي الا حل المحدود ، الذين أصبحوا غير ماكانوا أيام كان بقال (ان فاتك الميرى تمرغ في ترابه) أصبحوا لاشيء ـ من الناحية المالية ـ ازاء ذوي الدخل المحدود ان



لانهاية . . كان فيما مضى يأخذ أولاده وأمهم ويتنزهون في عطلة الاسبوع . اما الآن فإن اسلم طريقة لمثله ان يستغني عما يمكن الاستغناء عنه ، فإن غول الاسعار يفغر فاه ، ويبتلع مرتبه الشهري ، ولايبقى منه شيئا . فهو يكتفي بالجلوس على مقهى ويختار مقهى متواضعا لرخص الطلبات فيه ، وان كانت كل المقاهي قد بسط ذلك الغول سلطانه عليها .

جلس محمد أفندي في المقهى كعادته في أيام العطلة ، والفصل شتاء يحلو التشمس فيه على الرصيف :رصيف المقهى الذي رصت عليه المناضد والكراسي .

وعند الانصراف صفق للنادل كي يعطيه ثمن المشروب ، ولكن هذا كان مشغولا عنه بكثرة الطلبات ، بل كان بصراحة (مسطولا) وهو هكذا دائما لايكاد يفيق . قال محمد افندي في نفسه : ولماذا أتعب نفسي ؟ فلأدعه وأذهب . . وأنصد ثمن المشروب ، ولن يتنبه الى ذلك ، فهو مسطول .

تحرك ماشيا ، قال له صوت من داخله :

ـ عيب

ـ ماهو هذا العيب ؟

ـ هو مشيك هكذا دون أن تدفع الحق لصاحبه .

ـ ومادا في ذلك ؟ انه يأخذ سبعة جنيهات في اليوم ، وأنا الموظف المتعلم آخذ خمسين جنيها في الشهر ، أي أن دخله أضعاف دخلي . .

ـ لو أن الامر كذلك لاستحل مالك من هو دونك .

ـ هل سترجع الى سابق عهدك ؟

ـ ان عدتم عدنا

ـ أنت سبب الفقر . . ستقول لي ماكررته على دائما : الفقر مع الشرف خير . . الى آخر حكمك الغالية .

ـ عجبا . . أتسخر مني وفعلك هذا يجعلك موضع السخرية بل موضع الاحتقار .

ـ أي عجب في أن آخذ من هذا المعتوه الجاهل قطرة من بحر يغدق عليه ؟

ـ انك بهذا التصرف تأخذ مالاحق لك فيه مهما صغر ؛ ألم تشرب الشاي ؟ فكيف لاتدفع ثمنه ؟

ـ ثمنه ؟ وهل كوب الشاي يساوي عشرة قروش ؟ انه لايتكلف اكثر من قرشين .

ـ واستمتعت بالجلسة تحملق في الرائحين والغادين والرائحات والغاديات .

ـ والله يا أخي ما استمتعت .

ـ لست أخاك مادمت تفعل هذا . وماذا تقصد بأنك لم تستمتع ؟

ـ أقصد أن الأمر بعكس ماتظن ، أوجع دماغي زعيق القوم هناك ، وسبابهم الذي يتناول الامهات بأقبح الألفاظ ، والذي يتبادلونه كأنه تحيات طيبات ، وأعجب أن الواحد منهم يتلقى بالضحك والمرح قذف أمه بكلمات تخدش الحياء .

ـ أنت محق في هذا الاستنكار ، ولكن ذلك لا يبرر أن تقع أنت أيضاً في الخطأ .

- لقد استرحت منك ومن فلسفتك زمنا
- ألم أكن سببا في راحة نفسك وإطمئنان بالك ، بعد أن كنت تعاني في أعماقك من جراء اخذك للرشاوى ؟
- أنا لم أكن أمد يدي لشيء من ذلك
- لم تمد يدك ؟ حقا لم تمد يدك بالفعل ، ولكن كان زبائنك يعرفون درج مكتبك الذي يدسون فيه النقود
- وماذا تريد الآن ؟
- أن ترجع وتعطي الرجل حقه
- لن أرجع ، وكماني منك وجع قلب .
- أنت حر .

مشى محمد افندي في طريقه الى البيت ، ليس البيت قريبا ، ولكنه يفضل المشي على انتظار الأوتوبيس والتعرض لمتاعب الزحام وهو لايفكر في ركوب تاكسي لأسباب كثيرة ، بعضها مفهوم لضيق ذات اليد ، حتى اذا لم يكن هذا الضيق فإن التاكسي لايقف ، والوقوف في طابور المجمع الاستهلاكي أسهل من الوقوف في انتظار التاكسي ، لأن ذاك مضمون فيه أن يصل الى مايريد وان طال المطال .. اما هذا فهو غير مضمون

وربما فكر في أن يكون سائقا لتاكسي يعمل عليه وقت الفراغ ، على أن يكون ملكه ولكنها أمنية بعيدة التحقيق . فمن أين له ثمن سيارة ولو بالتقسيط ؟ وربما يمكن أن يكون ذلك بالتقسيط لو لم يكن لديه هؤلاء العيال الذين بلغوا ستة ، والمصيبة أن أمهم حامل ، كثيرا ما قلت لها أن تذهب الى مكتب تنظيم الأسرة ، ولكنها تكذب علي وتقول إنها ذهبت ولم تنفع الأقراص ادكر أن المهنئات بزواجنا كن يقلن لها : يغلبك بالمال وتغلبيه بالعيال ، كانت المهنئات فقط هن اللائي يقلن ذلك ، اما الرجال فهم يعرفون خطل هذا الرأي ، وانه سلاح للمرأة قد يكون مفلولا ، وقد يرتد اليها بالوبال وسوء الحال

* * *

ظل محمد افندي ماشيا حتى اقترب من البيت ، ورأى على ناصية الشارع غلاما يبيع الليمون ، قد افترش الرصيف وجعل ينادي . الواحدة بقرشين . الولد هزيل ، ولونه أصفر كالليمون . ولابد أن ذلك يرجع الى سوء التغذية والحرمان ، ومع محمد افندي نحى الشفقة عليه جانبا ، وسا
أحد منه ثلاث ليمونات بخمسة قروش
قليلة في السوق ، فالبائع ليس معه قروش
الباقي ، وربما ادعى ذلك كي يظفر بالباقي
ييأس المشتري ويتركه له ان كان قليلا . .
الباعة يعطي كبريتا أو أقراصا من الحلوى (
لولا ان عندهم اليوم سمكا ما اشترى الليمون
احضر السمك امس من المجمع الاستهلاكي ،
في الصف الطويل ، وظل واقفا حتى انتهى
البيع ، قضى نحو ساعة واقفا في سبيل الحصول
السمك ، لأن ثمنه هنا أقل بكثير مما يباع به في
المجمعات ، اشترى كيلوين اثنين ، لكي يكون
الجمعة جمعة بحق . . وماهكذا تكون
الأسبوع .

اعطى الولد (بائع الليمون) ورقة بخمسة وعشرين قرشا ، على أن يأخذ منه الباقي ، وقف يتأمل الولد ، انه غلام في نحو الثانية عشرة من عمره ، يلبس جلبابا متسخا بعض الشيء ، لعله يتيم يساعد أمه واخوته الصغار على العيش لعل أباه فقير أو مريض لايقوى على العمل لاكتساب الرزق ، اعطاه الولد ورقة بعشرة قروش ، فدسها في جيبه وهو ذاهل ومايزال مشغول الفكر بما صنعه من مخاتلة نادل القهوة ، وعدم دفع ثمن المشروب

ما إن ابتعد عن بائع الليمون حتى سمع من ينادي وراءه :
- ياعم . . ياعم . . ياحاج
توقف حتى أدركه الغلام
- ماذا ؟
- كم دفعت لي وكم أخذت ؟

قال الولد ذلك وهو يلوح في يده بورقة ذات عشرة قروش .

قال محمد افندي وقد تنبه :
- آه نسيت . . . أكثر الله خيرك .
- خذ ياعم ، هذا حقك

دهش محمد افندي وجعل ينظر الى الولد نظرة تحتوي على معان كثيرة ، منها مقارنة موقفه بموقفه . . . وشعر بذلك الخزي الذي بدأنا به هذا الحديث □



□ سد مأرب.. واليمن الجديد

استطلاع: منير نصيف

رحلة ابن بطوطة في عالم المرأة

د. سعيد عاشور

التدخين هذا الوباء البشري

د. بدوي بدران

الليزر أشعة المستقبل

رؤوف وصفي

□ التاترا البولندية

استطلاع ملون.. صلاح حزين

□ وجهاً لوجه

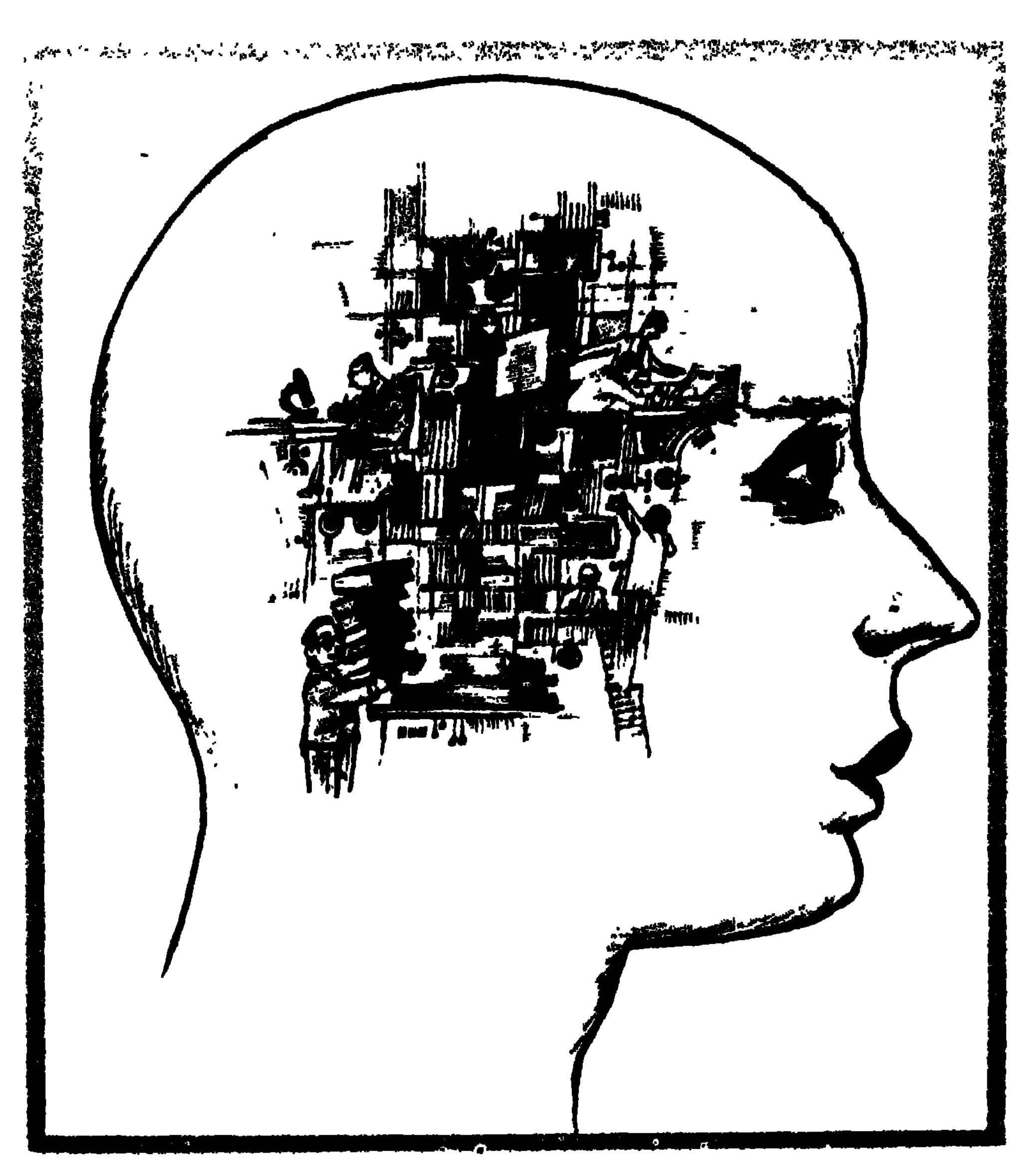
د. ملك عبد العزيز وفاروق شوشة

□ البيت العربي.. ملف كامل عن شؤون وشجون هذا البيت
□ مع الأبواب العلمية واللغوية والطبية والقصة والشعر

وتقرأ أيضاً للكتاب:

د. محمد الرميحي - د. فؤاد زكريا - د. إحسان عباس - د. ميخائيل سليمان - د. أمين العيوطي - فاروق خورشيد - د. عيسى درويش - محمد الفايز

رحلة داخل "القرية البشرية"



- المخ .. الدكتاتور العظيم ..!

جسم الانسان هو القرية الصغيرة التي يعيش فيها ومعها ، وقد يتصور البعض انه يعرف كل شيء عنها ، ولكن الواقع يقول غير ذلك ، فهناك أشياء كثيرة لا تزال غامضة ، او هي غير واضحة تماما بالنسبة للانسان العادي .

داخل أجسامنا محطة للقوى وجهاز للترشيح ومصفاة للتنظيف ودكتاتور يتحكم في كل عمل نقوم به .

ما هذا كله وكيف يراه العلماء وماذا يقولون عنه . . . !؟

اعداد وتقديم : منير نصيف



ـ الكبد والكليتان . . مائة وظيفة ووظيفة

هـذه رحلة قام بهـا المحـرر العلمي لاحـدى الصحف العالمية داخل جسم الانسان واختار أن يسميه « القرية البشرية » . ولم يكن وحده ، فقد رافقه فيها الخبراء ، وشملت الزيارة أهم المناطق في القرية لمعرفة ما يحدث فيها وما يصنعه العاملون بها ، وما يمكن أن نصنعه نحن لتوفير الحماية والرعاية لهم من أجل حياة طويلة . . حياة صحية سليمة .

كانت المنطقة الاولى التي بدأت بها الزيارة داخل القرية ، هي القلب . . قلب الانسـان الذي نبض لأول مرة في نعومة وأنت ما زلت جنينا في رحم أمك قبل مولدك بثمانية أشهر . وسوف يبقى معك دوما ليذكرك في رفق في كل لحظة من لحظات حياتك على الارض ، بأن كل شيء يسير على ما يرام . فالقلب لا ينام أبدا ! .

ان هـذه العضلة الصغيرة تصنـع المعجزات . تأمل قبضة يدك . . هذا هو حجم قلبك تقريبا . . ابسط يدك ثم اقبضها وعد فابسطها من جديد وكرر هذه الحركة سبعين مرة ، وعينك على عقارب ساعتك لمدة دقيقة واحدة . .

هذا هو الحد الأدنى من الجهد الذي يبذله القلب طوال سنى حياتك ففي بعض الاحيان يقوم القلب بضعف هذا العمل ، عندما تجري مثلا لتلحق بسيارة الاوتوبيس في الصباح ، ولكنـك اذا أحصيت عدد دقات قلبك في يوم هادىء فسوف تجدها مائـة ألف نبضة خلال الاربع والعشرين ساعة . أو ثلاثة ملايين نبضة في الشهر ، فـاذا امتد بـك العمر حتى بلغت الثمانين ، كان مجموع نبضات قلبك قد سجل على مدى هذه الرحلة ٢٨٨٠ مليون نبضة . . كل واحدة منها تقوم بضخ كمية من الـدم تتراوح بـين أوقيتين وثلاث أوقيات ، أي حوالي نصف فنجان شاي ، الى مختلف أنحاء الجسم ، حتى في اليوم الهادىء الذي لا يقوم فيه القلب بمجهود غير عادي ، نجد أن كميـة الدم التي يضخها خلال هذا اليوم تتراوح في المتوسط بين ثلاثـة آلاف وخمسة آلاف جـالون من الـدم الى أجزاء الجسم .

الغذاء خير دواء

هـذه المكينة الحيـوية التي لا تتـوقف عن العمل أبدا ، والتي بدونها تنتهي الحيـاة ، كيف نحميها ، ونحـافظ عليها ، ونسـاعـدهـا عـلى الاستمـرار في عملها ؟

هناك عوامل كثيرة تؤثـر على القلب وعـلى أدائه لوظيفته الحيوية . . ويقول الاخصائيـون ان نوعيـة الغذاء الذي تمتلىء به معدة الانسان من بين الاسباب الرئيسية التي تؤثر على القلب سلبا أو ايجابا ، فالقلب يتعب عندما نأكل كثيرا ونملأ معدتنا بالطعام ، وهناك مـواد غذائيـة معينة يجب أن نمتنـع عن الاكثـار من تناولها ، كاللحوم الدسمة ومنتجات الألبان والسكر والملح . وهذه كلها تؤثر على القلب تأثيرا سلبيا .

ماذا نأكل اذن ؟ الخضراوات الطازجة والفـواكه الطازجة أيضا والدواجن والأسماك والطماطا والخبز الأسمر . .

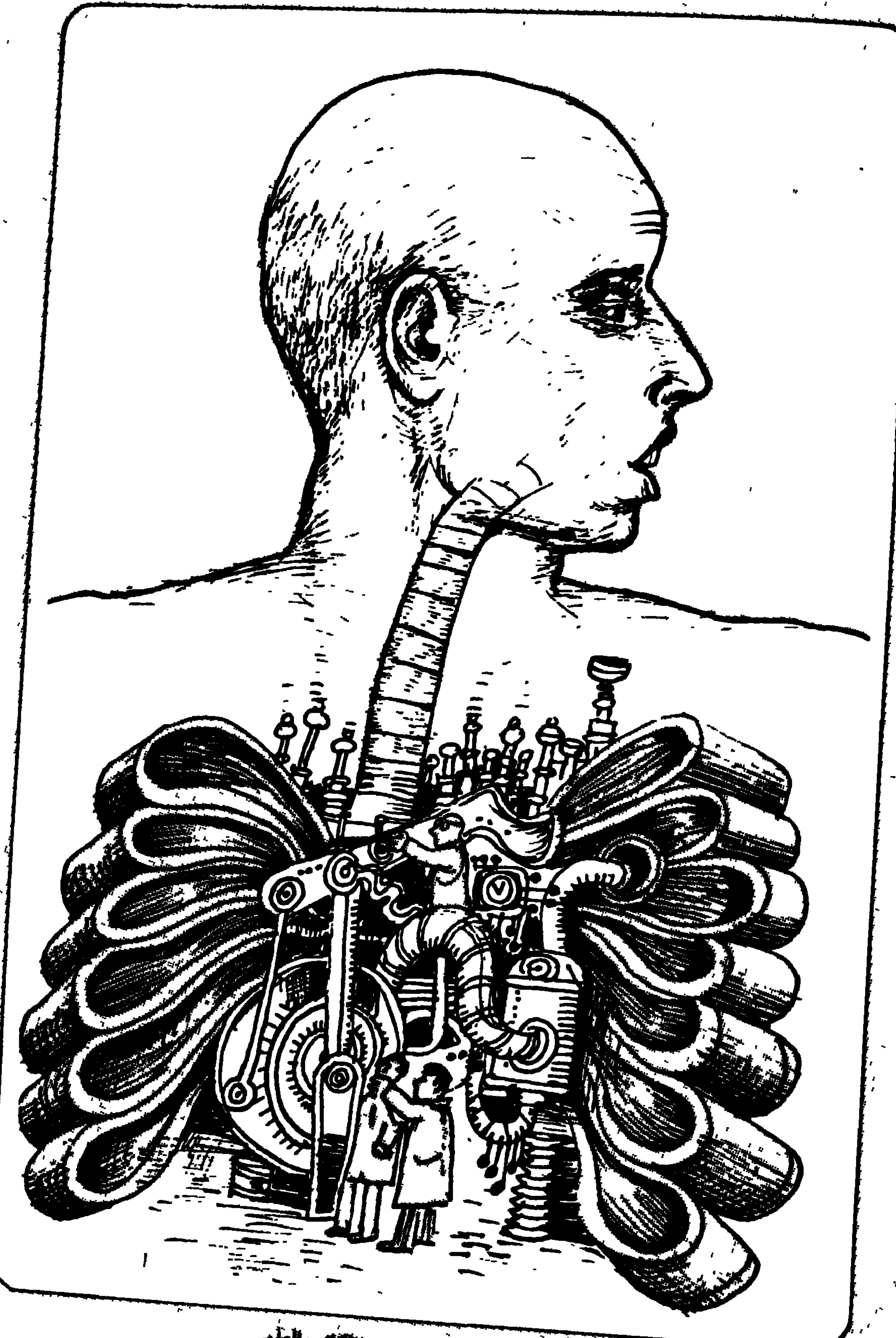
هـذا النهج في نـوعيـة الغـذاء التي تحمي القلب وتساعده على أداء وظيفته يقوم على أساس ما هو شائع بيننا ، وهو ألا نأكل كثيرا من المواد الدسمة ، وخاصة تلك التي تستخلص من الحيـوانـات ، فهي الـتي تتسبب في الاصـابة بمـرض تصلب الشرايـين نتيجة الارتفاع في نسبة الكولوسترول في الدم .

ولكن ما هو الكولوسترول ؟ انه مادة دهنية يفرزها الجسم بصورة طبيعية فاذا ازدادت تسببت في انسداد الشرايين .

والتغيير في نوعية الغذاء الذي يتناوله الانسان ، قد يكون ضروريا حتى لا يزداد وزنه ، لأن السمنة تؤدي الى مزيد من الاجهاد للقلب ، وتضاعف من خطر الاصابة بأمراض أخرى ، بما في ذلك ضغط الدم المرتفع .

ويقول أحد كبار الاخصائيين في أمراض القلب ، وهو الدكتور « كيث بول » : « انه لأمر مؤسف أن نتـرك الأمور تسـوء الى الحـد الـذي يصعب عنـده علاجها . اننا نعنى بسياراتنا أكثر من عنايتنا بقلوبنا . الامر لا يحتاج لأكثر من بعض الاجراءات الوقائيـة البدائية ، لكي نضيف سنوات الى عمر هذه الآلة التي تسكن أجسامنا » .

داخل القرية البشرية التي نجول فيها ، نجد أن القلب هو محطة القوى الحيوية التي تقدم خدماتهـا لسكان القرية جميعا ، وهو محطة على درجة عالية من الكفـاءة . ولكنها في حـاجة الى رقـابة وصيـانة من



- القلب والرئتان في تصور الكاتب العلمي

الخارج حتى تتمكن من أداء عملها بتدفق وهدوء ، انها في واقع الامر في حاجة الى الحماية .

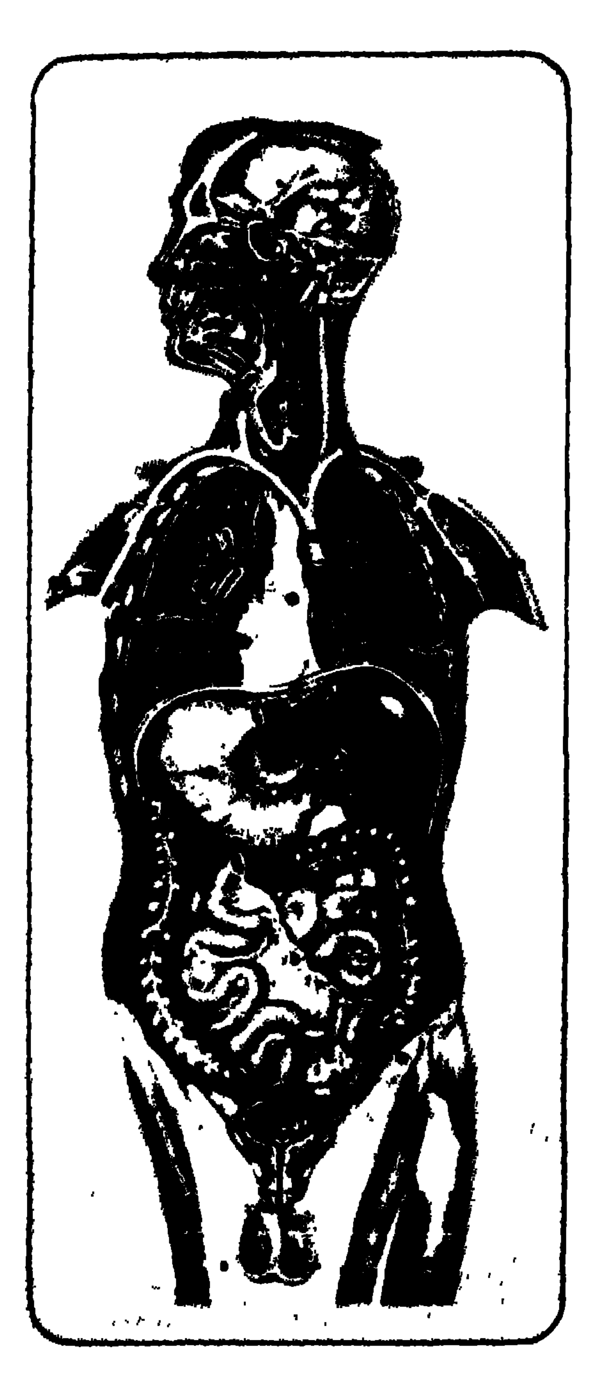
كيف تعمل هذه المحطة ؟ ان القلب في واقعه يتألف من محطتين للضخ لا محطة واحدة ، وكل محطة منهما تحتوي على غرفتين .. الأذين والبطين .. والاولى في كلتا الحجرتين تجمع الدم ، والثانية تدفع الدم ، فالشرايين تحمل الدم الأسود الذي انتهى من دورته حول الجسم الى الاذين الايمن الذي ينقله بدوره الى الغرفة المجاورة ، أو البطين ، ومن هناك يتم ضخ الدم عبر الشريان الرئوي الى الرئتين .

فالقلب والرئتان اذن عضوان في أسرة واحدة يعتمد كل منهما على الآخر .. وكل نفس يلتقطه الانسان يحمل معه شحنة جديدة من الأوكسيجين التي تتولى تنقية الدم وانعاشه وتعيد اليه لونه الأحمر القاني ، وتخلصه من ثاني أكسيد الكربون . وعندما تنتهي الرئتان من هذه المهمة تقومان بارسال الدم النقي الى الاذين الايسر ، ثم لا يلبث أن ينتقل عن طريق الصمام المترالي الذي يسمح بالخروج فقط دون الدخول الى البطين الأيسر . ومن هنا تبدأ مهمة ضخ هذا الدم النقي المتجدد الى الشرايين أو الاوعية الرئيسية التي تقوم بتوزيع الدم الى جميع أنحاء الجسم .

هذا هو نظام الدورة الدموية .. انها شبكة للمواصلات مثيرة للاعجاب فهي تنقل كل ما تحتاج اليه الحياة من مواد تموينية أساسية .. الغذاء والاوكسيجين والمعادن والماء وغيرها من مواد مساندة للبقاء .

وهي تجمع ، كما توزع ، فهي تلتقط الغذاء الذي يعتمد عليه القلب وكذلك المنتجات الجانبية مثل ثاني اكسيد الكربون والمياه الزائدة .. انها عملية منتظمة ومستقلة ، ولكنها مثل أي وسيلة أخرى من المواصلات معرضة للحوادث ! فاذا لم تحصل محطة القوى على ما تحتاج اليه من وقود يصيبها الخلل ، واذا سدت الطرق أو ازدحمت أصيبت حركة المرور بالشلل ، واذا لم تصل الامدادات في الوقت المناسب ، تعرضت القرية كلها للموت !

ومع هذا ، فان الحوادث المتوقعة ، كما يرى الأطباء العالميون ، يمكن تجنبها .. فالأمراض التي



- جسم الانسان قدرة الله تتجلى في خلقه

تصيب القلب والشرايين ترتبط ارتباطا مباشرا بتدخين السجائر وارتفاع ضغط الدم والغذاء غير الصحي ، والسمنة واهمال الرياضة البدنية .

ولا يعني هذا بالضرورة أن تلك العوامل هي السبب المباشر للاصابة بأمراض القلب الخطيرة ، ولكن هناك من الدلائل القوية التي تؤكد اشتراكها في التآمر على الجهاز الحيوي .

جهاز الترشيح !

من بين جميع الأعضاء الحيوية ، نجد أن الرئتين هما أكثر هذه الاعضاء تعرضا للخطر لأسباب عديدة ، في مقدمتها أنهما وحدهما اللتان تواجهان العالم الخارجي ، وربما يكون من حسن الحظ أن تقوم العوائق الدفاعية الموجودة في الأنف والحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين بالتعاون من أجل تنقية الهواء الذي نستنشقه وتخليصه من معظم ما يهدد حياتنا بالخطر . لهذا نجد أن الرئتين تقومان في واقع الامر بأهم وظيفة في الجهاز التنفسي . أما الدور الثاني الحاسم والخطر الذي تضطلعان به فهو وظيفتهما كمرشح للدم .

كيف تبدو الرئتان في بداية رحلة الحياة ؟ في الطفولة يكون لونهما أحمر قانيا ، وكلما تقدمنا في السن وجدناهما وقد اكتسيتا بالخطوط الرمادية والسوداء ، وكلما تعرضنا للغبار والتلوث ازدادتا سوادا . . إن لون رئتي عامل المنجم مثلا كلون الظلام الحالك .

ومع هذا يبقى دخان السيجارة ، أكبر خطر يتهدد الرئتين . إن آخر الاحصائيات تقول ان حوالي أربعين ألف شخص لقوا حتفهم في بريطانيا وحدها ، نتيجة لاصابتهم بسرطان الرئة خلال عام واحد ، وان حوالي مليونين يموتون كل عام بين المدخنين الذين يصابون بهذا المرض الخطير في جميع أنحاء العالم .

والى جانب هذا المرض القاتل الذي يصيب الرئتين نتيجة للتدخين ، هناك الضيق الذي يصيب القنوات الهوائية في الرئتين مما يؤدي الى صعوبة التنفس والى الاصابة بنوع من الالتهاب الشعبي المزمن .

الدكتاتور العظيم

والمخ هو الملقن والمهيمن على كل عمل ، على كل حدث ووظيفة ، دهاليز المخ التي هي منبع القوى تعتبر أكثر تعقيدا من أي بيروقراطية في العالم . ومع هذا فان هذه الدهاليز تؤدي وظائفها بكفاءة لا مثيل لها ، أما أبواب العقل أو المكتب الرئيسي فهي مفتوحة دائما ولا تغلق أبدا . ووراء هذه الأبواب تصطف الملفات التي تحوي صور ورسومات حياتنا ووجودنا .

ترى ماذا سنجد لو حاولنا أن ننفذ ببصرنا وراء هذه الابواب ؟ إن المخ البشري هو أعقد بناء فيزيائي في العالم وهو أكثر مناطق جسم الانسان مبعثا للحيرة ، وقد نجح المخ في اخفاء أسراره عن العلماء على مدى قرون طويلة .

كتب كارل جوستاف يوما يقول « كانت كل خطوة يخطوها العلم إلى الامام في دراسته لتاريخ العقل البشري تحمل معها انجازا يحويه الألم نتيجة العمل الشاق الذي بذل في سبيل الوصول الى هذا الانجاز ! »

والمخ مزدحم بالخلايا أكثر من أي نسيج آخر في الجسم ، وهو يمثل واحدا على خمسين من وزن جسم الانسان العادي ، أي مالا يزيد على كيلو جرام واحد ، ومع هذا فهو يستهلك خمس ما يحتاج اليه الجسم من دم وأكسيجين .

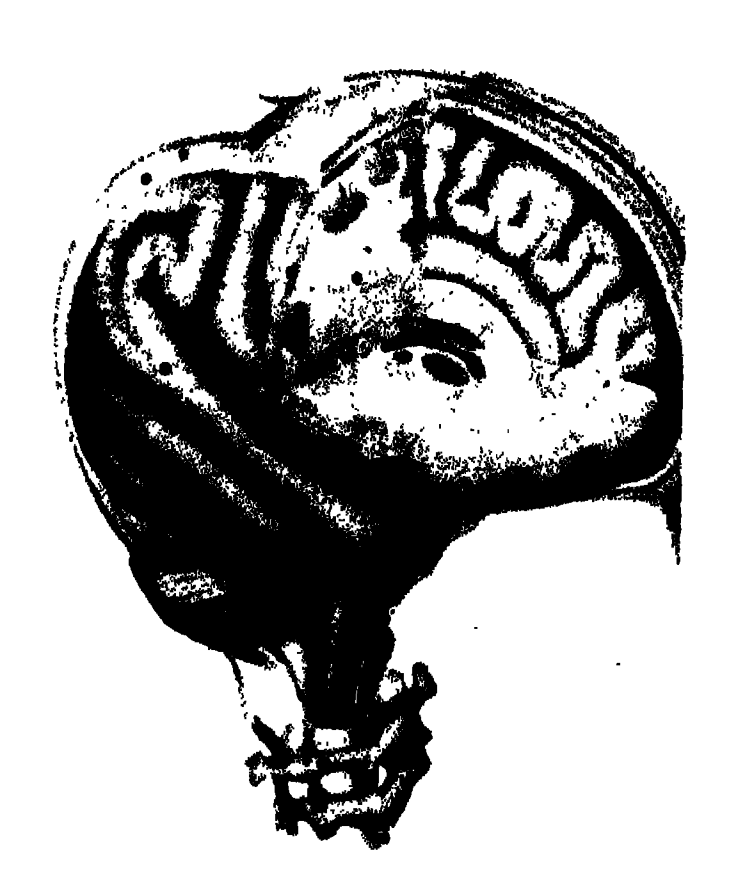
ولكن هل يحدث للمخ ما يحدث لبقية أعضاء الجسم ؟ والجواب لا . . فالمخ لا يفقد شيئا من وزنه عندما يفقد الجسم قليلا أو كثيرا من هذا الوزن ! ان ميكانيكية الدفاع البيولوجي توفر الحماية للمخ في فترات الجوع ، فهي تضحي بكل عضو آخر في الجسم في بداية الأمر ، لأنه عندما يموت المخ يموت جسم الانسان .

حاملو الرسائل !

الطفل عند ولادته يحتوي مخه على عشرة بلايين خلية عصبية ، وفي النحلة الصغيرة ٩٥٠ خلية من هذا النوع ، وفي النملة ٢٥٠ خلية ، وكل خلية من هذه الخلايا تتصل بجاراتها عن طريق عدة ألوف من وسائل الاتصال .

هذه الخلايا التي نولد بها لا تعوض ، ونحن نفقد كل يوم ما يقرب من عشرة آلاف خلية عصبية . . ولكن على أي أساس يتم اختيار هذه الخلايا التي تموت يوميا ، وما الذي يسبب لها الموت ، فهذا هو اللغز الذي لم يستطع أحد أن يجد له تفسيرا ! .

ومن الطفولة حتى البلوغ يزداد حجم المخ الى أربعة أضعاف ما كان عليه ، ومعظم هذه الزيادة تأتي من الخلايا الدُّبقية أو اللزجة ، وهي خلايا لم يكتشف



المخ وبلايين الخلايا .. تعيش وتفكر وتعمل

الاطباء وظائفها على وجه التحديد حتى الآن ، ولكنها تفوق في عددها الخلايا العصبية بنسبة عشرة الى واحد .

وتنتقل التعليمات والمعلومات من خلية عصبية الى أخرى ، عن طريق موجات كهربية ، وهذه الخلايا تنتج وتطلق حاملي الرسائل الكيميائية ، أو ما يعرف بأجهزة الارسال العصبية . ودراسة هذه الكيميائيات قد أصبحت فرعا جديدا من فروع العلم ، ومن المعتقد أنها ستؤدي الى الوصول الى سر الكثير من الاضطرابات التي تصيب المخ وتشل وظائفه .. وقد أدت البحوث التي أجريت الى علاج مرض بركنسون .

وأكبر جزء في المخ ينقسم الى نصفين ، النصف الايسر مرتبط بنشاط الجانب الايمن من جسم الانسان ، والعكس صحيح . وعند معظم الناس نجد أن الجانب الايسر يأوي النطق والقدرة الكلامية ، وهو المسيطر . وأي اصابة بهذا الجانب يكون لها آثار أكثر وضوحا . والسكتة الدماغية في هذه المنطقة تفقد ضحيتها القدرة على الكلام .

في القرن التاسع عشر ، أحس الدارسون للمخ من الرجال بسعادة عندما اكتشفوا أن مخ المرأة أقل وزنا من مخ الرجل بحوالي خمس أوقيات ، فقط أكدت هذه الظاهرة ، في رأيهم النظرية القائلة بأن المرأة أقل ذكاء من الرجل ، ولكن غرورهم ما لبث أن اصطدم بالواقع الذي أثبت أن وزن المخ يخضع لوزن جسم صاحبه . بل وأكثر من ذلك ، فقد ظهرت أدلة أخرى تقول بأن القسم الشمالي من المخ عند الرجل أقل حجما منه عند المرأة ! .

ولكن الاعتقاد السائد عند بعض أطباء الأعصاب ان هذا الاختلاف في حجم المخ ليس له أية علاقة بالاختلاف الذهني والعاطفي بين الرجل والمرأة . ولو ان البعض الآخر يرى أن الاختلاف بين الرجل والمرأة انما هو نتيجة لهرمونات الذكورة وهرمونات الأنوثة التي يفرزها جسم كل منهما .. ولكن أي اختلاف ؟ .. انه يكمن في طبيعة كل منهما وفي نظرته للامور وفي أسلوب تأثره وانفعاله بالأحداث !

أروع مصنع للترشيح !

يبقى بعد هذا الكبد والكليتان .. انها « الورش » التي تنقي الدم وتخلصه من الشوائب ، وتنتج الجزئيات الحيوية التي تحتاج اليها حياة الانسان .. انها أماكن عمل رائع ، بدونها لا يمكن أن تستمر الحياة في القرية البشرية . وانها وحدات حيوية في المنطقة الصناعية بجسم الانسان ، فالكبد هو المصنع الكيميائي الهائل الذي يقوم بمئات الوظائف ، والذي يقدم المنتجات الضرورية الى جميع أفراد الجماعة التي تعيش داخل القرية .

أما الكليتان فهما عبارة عن إدارة للتنظيف ومصنع للتخلص من النفايات يعمل بكفاءة عالية ، ويسهم الاثنان : الادارة والمصنع ، في جعل الحياة آمنة داخل القرية البشرية .

هذه رحلة الى الكبد والكليتين ، نعرض من خلالها المزيد عن كيفية عملهما وسبل المحافظة عليهما .

لقد حاول الاغريق والرومان التنبؤ بالمستقبل عن طريق الفحص الدقيق للكبد عند الانسان ، بينما كان فلاسفة العصور الوسطى يعتقدون أن أعراض الغضب والحزن تولد هناك في الكبد .

وقد دخلت كلمة « Liver » أي الكبد لغة « الانجلو سكسون » في وقت من الأوقات ، ومن المعتقد أنها مشتقة من فعل « To Live » ، أي يعيش . واذا صدق هذا ، فانه يعني أن أجدادنا كانوا أقرب الناس الى الحقيقة ، فالكبد مصنع كيمائي هائل معقد يسكن الجسم البشري ، وبدون انتاجه المذهل لا يمكن أن تكون هناك حياة .

خمسمائة وظيفة

ولقد أمكن التعرف على أكثر من خمسمائة وظيفة لهذا المصنع « الكبد » فهو يفرز مادة الصفراء التي تساعد على هضم الدهنيات ، ويصنع ويختزن مجموعة من الفيتامينات بما في ذلك فيتامين « B12 » الذي يعتبر ضروريا لقيام النخاع العظمي بوظيفته ، كما ينتج أيضا المادة الكبدية التي تمنع تخثر الدم أو الجلطة .

ويقوم المصنع أيضا بانتاج بروتينات بلازما الدم ، ويحلل المواد الدهنية ويحول البروتينات الى كربوهيدرات ، أي كربون واكسيجين وهيدروجين ، وغير ذلك كثير .

والكبد ، أكبر غدة في الجسم ، وهو يزن بين ثلاثة وأربعة أرطال ، وقدرته على تجديد نفسه من أهم وأبرز صفاته غير العادية . فقد يتمكن المرض من تدمير جزء كبير من الكبد دون أن يشعر صاحبه بأنه قد افتقد شيئا ، لأن الخلايا الجديدة لا تلبث أن تنمو لتحل محل الخلايا الميتة . والجراح يستطيع أن يستأصل سبعة أثمان الكبد المريض ، لأنه يعلم أن الكبد سيعوض ما فقده خلال شهور قليلة .

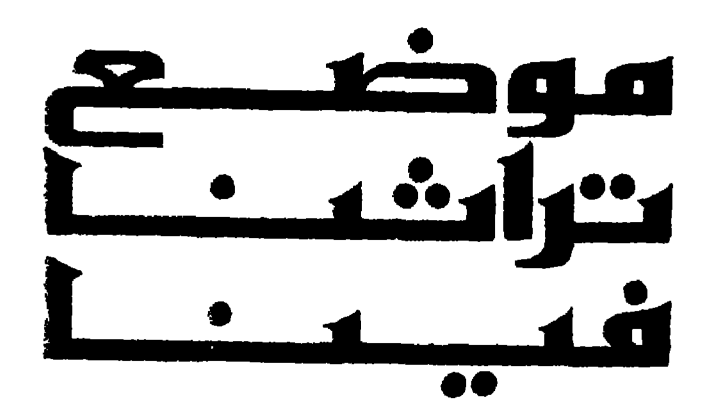
مصفاة التنظيف !

واذا كان الكبد هو المصنع الكيمائي في الجسم ، فان الكليتين هما المصفاة التي تعمل بكفاءة عالية لتنظيف الدم وهما في الوقت نفسه وحدة التخلص من النفايات . وفي أقل من خمس دقائق تستطيع هذه المصفاة القيام بتنقية الدم أثناء دورته في الجسم ، فهي تنظف الدم من الشوائب السامة وغير المرغوب في وجودها ، وذلك بواسطة ما يقرب من مليون و٠٠ بع مليون وحدة تصفية ، تعرف باسم « نفرون » أو وحدة الكلية .

وتستمر الكرات الدموية الحمراء والبيضاء في دورتها بفضل المواد الحيوية كالماء والجليكوز والمعادن والأحماض الامينية ، التي لا تلبث أن تمتص بطريقة منتظمة .

والكلية الواحدة عند الانسان لا يزيد وزنها عن احدى عشرة أوقية ، ومع ذلك فهي بالتعاون مع توأمها قادرتان على تنقية أكثر من لترين من الدم في الدقيقة الواحدة . ان الانسان يستطيع أن يعيش بكلية واحدة سليمة ، أما اذا أصيبت الاثنتان بمرض عطلها عن تأدية وظيفتها ، فسوف تؤدي النفايات التي يفرزها الجسم نفسه الى الاصابة بالتسمم ! والوسيلة الوحيدة لاستمرار حياة المريض الذي تعطلت كليتاه ، هي تنقية دمه بواسطة الكلية الاصطناعية ، الى أن يتم العثور على كلية سليمة يمكن زرعها له ، وتأتي هذه الكلية عادة من الأم اذا كانت حالتها الصحية تسمح باجراء عملية استئصال احدى كليتيها أو من الأشقاء ، وفي أحيان كثيرة من غرباء لا يمتون الى المريض بصلة ، بعد التأكد من مطابقتها لأنسجة المريض وفصيلة دمه .

ما هي الأسباب التي تؤدي الى مرض الكليتين وتعطلها عن تأدية وظيفتها الحيوية ؟ . . انها الحصيات التي تتراكم فيها نتيجة لحصول الجسم على كميات كبيرة من الكالسيوم . وأفضل وسيلة لتجنب الاصابة بالحصيات الكلوية هي شرب كميات كبيرة من الماء يوميا . . كميات تصل الى ثلاثة أو أربعة لترات في اليوم الواحد . . انها عملية غسيل طبيعية للكليتين ، يمكن أن تجنبها أكبر خطر يتهدد استمرارهما في تأدية وظيفتهما الحيوية . □



بقلم : الدكتورة بنت الشاطىء

ان ما يبذل من جهد لاحياء التراث تعبير عن أصالة أمة وادراك واع لحقائق وجودها ، ولكن التراث ليس غثاً كله وليس سميناً كله ، ففيه من هذا وذاك ، والاختيار مهمة غير يسيرة ينبغى أن يسهم بها كل ذي رأي وفكر ، هذا ما تذهب اليه الدكتورة بنت الشاطىء فى هذا المقال .

وقف بى الحديث في مقال سابق عند موضع ذخائر تراثنا لدى الغرب الحديث ، واعتزاز دول أوروبية كبرى بما تملك من كنوزه،وما بذل ويبذل مستشرقوها من عناية بتحقيقه ودرسه ، فهما لتاريخ الشعوب الاسلامية بالشرق الآسيوي الأفريقي ، وعقليتها ومزاجها ، ومادة لتاريخ الحضارة الانسانية في العصر الوسيط .

فماذا عن موضع تراثنا فينا ، فى العصر الحديث ؟

بدأ التفاتنا الى التراث ـ بعد ضيعة طالت ـ مع بوادر حركة اليقظة في القرن الماضى ، حيث أدرك روادها أن ارتباط اليقظة بجديد الغرب وحده ، يسلبها عنصر الأصالة ـ مناط صحتها وسلامتها ـ في الوقت الذى قدروا فيه حاجتنا الى روافد من المدنية الغربية الحديثة ، يساير بها تيار اليقظة روح العصر .

ولم تنفصل حركة إحياء التراث عن حركة اليقظة القومية ، بل كانت عنصرا جوهريا في برنامجها ، وموقعا من مواقع النضال التى تقاسمها الرواد فيما بينهم .

وفي كل مجال كان الاهتمام البالغ باستقراء ماضي تاريخنا ، يعطينا تجاربه ، ويصل ما انقطع من مسيرتنا الحضارية .

عصريون مجددون

ومن واقع تاريخ اليقظة ، نرى أن مهمة البحث عن جذور أصالتنا وإحياء تراثنا ، لم يحمل تكاليفها الأمسيون الذين يعيشون بعقلية الماضى ، بل نهض بها عصريون مجددون ممن اتصلوا بالغرب الحديث ونهلوا من موارد ثقافته : « الشيخ رفاعة الطهطاوى إمام البعثة التعليمية الى باريس في عصر محمد على » نقل الينا ما نقل من ثقافة الغرب الحديث ومدنيته ، وحرص في الوقت نفسه على جمع ما استطاع من ذخائر من تراثنا ، عمرت بها خزانته في « سوهاج » من صعيد مصر الأعلى . و « الامام الشيخ محمد عبده » تلميذ الأفغاني وصاحبه ، حملته الأوضاع السياسية على النزوح الى أوروبا،فتابع جهاده



للدعوة الى الاستقلال الفكرى والأصالة الاسلامية العربية . والشيخ « البشير الابراهيمي » واصل بقلمه ، في مقامه بمصر ، النضال المشهود لجمعية علماء الاسلام بالجزائر في معركة التحرير موصولة بماضيها الاسلامي ، وشخصيتها التي تعرضت لذرائع الاستلاب . و « الرئيس علال الفاسي » في مهاجره بالقاهرة ، زود حركة استقلال المغرب بعناصر من الفكر الأصيل ووعى الذات ، وكان منزله دارا لصفوة من الشباب المغاربة الطلاب بالجامعة المصرية ، يرعاهم ويوجههم ويجندهم لمعركة الأصالة .

وحمل « شوقي » « أمير الشعراء » اللواء من بعد « محمود سامي البارودي » الذى انضم الى كتيبة رواد اليقظة . مجددا للشعر العربي بأصيل منابعه في عصور الازدهار . فمضى به شوقي الى القمة ، في هذه المرحلة ، بجديد راسخ الأصالة ، ينبض بروح العصر ويعبر عن وجدان أمته ، لا يدين لغيرها بولاء ولا انتماء ، وهو الذى تعلم في أوروبا وتزود بثقافتها الحديثة .

الوطني هناك ، وعكف كذلك على تدبر القرآن الكريم ، يلتمس منه فى تفسيره اصول الدعوة الى تحرير الفكر الديني من الشوائب الدخيلة ، ويجاهد لاصلاح المجتمع بالدين . وهو الذى وجّه (مطبعة بولاق الأميرية) الى طبع ذخائر أمهات من تراث العربية والاسلام . وشيخ العروبة « أحمد زكي » عاد من أوروبا مزودا بالثقافة الغربية الحديثة ، ثم لم يلبث أن قام برحلات متتابعة الى أوروبا ، باحثا عن كنوز تراثنا،وناقلا الينا منها ما عمرت به مكتبته الزكية التي وهبها دار الكتب المصرية . والعلامة « أحمد تيمور » العصرى الثقافة والنشأة في جيله ، أنفق ماله بسخاء على ذخائر المخطوطات العربية ، وكان همه الشاغل اقتناء نوادرها ومطالعتها وفهرستها ، فترك منها لأمته خزانته التيمورية الغنية . « والأمير شكيب أرسلان » تابع من منفاه في أوروبا ، جهاده في الموقعين السياسى والفكرى ، لم ينفصل أحدهما عن الآخر في وعيه وفي كتاباته ، ومجالسه التي كانت مركز تعبئة فكرية لشباب جيله . و « عبدالرحمن الكواكبي »جعل من (أم القرى) منبرا

فضل الرواد

لم تكن حركة إحياء التراث اذن ، والدعوة الى الاتصال بماضينا ، صخرة رجعية ألقى بها الأمسيون في مجرى تيار اليقظة ، بل كانت بشهادة الواقع التاريخى مددا سخيا لهذا التيار ، أراد به الرواد والمجددون تعميق مجراه وتطهيره من شوائب الاغتراب ، وتأمين حيويته وسلامته ، بصدوره عن نبع أصيل في أرضنا الطيبة ، ومقاومة ذرائع الغزو الفكرى التي أرادت أن تبترنا من جذورنا،وتسلبنا وعينا لذاتنا ، وتشوه شخصيتنا بالاستلاب والطمس .

وبفضل أولئك الرواد ، شهدت المرحلة التي أعقبت الثورة العرابية ، حركة إحياء للتراث ذات اتجاهين :

الأول : نشر ذخائر المخطوطات مما بقى لنا من كنوزه الضائعة ، وما حمل أعلام الجيل من مصورات لمخطوطات في أوروبا . والاتجاه الثاني ، إمداد حياة الأمة ، في مختلف نواحيها ، بزاد سخى من ميراث عصور القوة والازدهار ، وعطاء الحضارة الاسلامية

في دورها القيادي الرائد ، في العصر الوسيط .

ونقدر أن جهود الرواد في إحياء التراث لم تستوعب إلا أقل القليل مما في خزائن الدنيا ، بل لم نحط علما بما بقي منه ، لا في خزائن الغرب وتركيا والهند والاندلس والأقطار الأسلامية التي ضمتها روسيا الى الاتحاد السوفيتي،وكانت حواضر علمية كبرى فحسب ، بل لم نحط علما كذلك بما لدينا من ذخائره ، في غيابات الخزائن المجهولة والخاصة ، بالمشرق والمغرب .

ومضى جيل الرواد وترك هذه الأمانة في أعناقنا ، نفي بها على المستوى الذى ينبغي لنا من نضج الوعي وتقدم الزمن بنا ، وعلمنا بما بذل المستشرقون وما يزالون من عناية بهذا التراث .

وانطلقت حركة اليقظة تغذ السير مع العصر الحديث ، وفي الميدان خَلَفٌ للرواد من علماء العربية والاسلام ، تابعوا خدمة تراثنا ، في رعاية هيئات علمية كبرى كدار الكتب المصرية ، والمجمع العلمي بدمشق وبغداد . . فنشرت مئات من أمهات الكتب في اللغة والأدب والتفسير وتاريخ الاسلام . وأخرجت مطبعة فاس ومطابع القاهرة مجموعة « المولى حفيظ سلطان المغرب » من كتب السيرة والتاريخ والأدب ، على نفقته . وشارك معهد تطوان في حركة إحياء التراث بنشر ذخائر من تراث العلماء المغاربة . وكان لدائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن ، نشاط مرموق وفضل مشهود في نشر ذخائر جليلة من تراث الاسلام ، وبخاصة كتب الحديث الأمهات ، وعلومه ورجاله ، فكانت الهند بها دار حديث .

ويمكن القول بأن حركة إحياء التراث التي أعقبت فجر اليقظة وامتدت الى منتصف القرن الحالي ، سايرت الوضع العام للمرحلة . . تلبي حاجتها وتعاني من أزماتها . والمرحلة يعرفها تاريخ الأمة ، مرحلة تعبئة للقوى واحتشاد لمعركة التحرير على الساحة الكبرى للعالم الاسلامي مشرقه ومغربه .

ويعرف كذلك ما تعرضت له من هزات القلق الجائح وهي تحاول التماس طريق للخلاص من نوازل الوقت ورواسب الاحتلال والتخلف ، وما عصف بها من تيارات متدافعه تأتيها من داخل ومن خارج . وتضغطها بين شد وجذب .

واذا كان استمرار بقية من الجهود لاحياء التراث وتأصيل المنهج العلمي لتوثيقه وتحقيقه ، معبرا عن وعي الأمة ونضالها عن أصالتها ، فكذلك كان ترك مجال التراث مستباحا لغير أهله ، والغفلة عن تسرب نوادر من ذخائره الى الخارج ، مظهرا لما أعوز المرحلة من وضوح الرؤية لموقع الوجود الحيوي للأمة ، فتركنا مخطوطات تراثنا بضاعة مبذولة لتجار السوق يهدرون مالها من حرمة وقيمة بطبعات سوقية شائهة . وتركنا الأجانب يجوسون خلال الديار بحثا عن مخطوطات يخرجون بها الى بلادهم على مرأى منا ومسمع ، ولم نتصور أن هذه المخطوطات تدخل في (الآثار) التي يحميها القانون ، ويعطي (الجمارك) حق مصادرة قطعة من نسيج أثري أو آنية قديمة ، ولاتصادر عشرات من مخطوطات مع أي أجنبي يخرج بها من بلادنا .

وكأن مناط الأثرية في مثل حجر رشيد ومسلة حورابي ، مادتهما الحجرية دون النصوص المدونة عليهما : وكأن المخطوط ليس أثرا ، لا بنص فحسب ، بل بورقة أيضا ومداده وخطه وغلافه ، من حيث هي مواد لتاريخ عصره وبيئته . . .

الغزو الفكري

مع النصف الثاني من هذا القرن ، حيث بدأت المرحلة الحالية من تاريخنا المعاصر ، انفصلت حركة إحياء التراث عن مد الحركة القومية . نوازل المرحلة شغلتنا عن الموقع الفكري ، فلم يكن عجبا أن يستغل العدو غفلتنا عنه فيهيىء له جنودا لا نعرفهم ، أو نعرفهم ولا نرتاب فيهم . وانكشف الميدان لغزو فكري وثقافي جائح ، مكن له منا ، ما بيننا من تصدع ، فنحن أبناء جيل أعوزه التعاصر الفكري والثقافي في مرحلة التلقي والتكوين والتأثر : فينا من تربى في مدرسة إسلامية حصنته من الجديد الوافد ، وفينا من أمضى مرحلة الحضانة العقلية والوجدانية في مدارس عزلته عن أمته . وفي دوامة الصدام بين هؤلاء الغرباء ، اهتزت الرؤية لقيمة تراثنا وجدواه . ودعا السائرون غربا ، الى التخلص من عبثه الباهظ والخلاص مما سموه « أكفان موتى وأضرحة قبور » يفسد ريحها مناخ العصر . . وجهروا بأن تعلقنا بميراثنا الروحي والتاريخي « وقفة جامدة

على مقابر السلف ، تحاول أن تزج بمجتمعنا داخل صناديق حديدية صغيرة لا تتسع لغير الدمى في طفولة الجنس البشري » .

وشقت هذه الدعاوى مجراها في وجودنا المعاصر ، يؤ ازرها تدفق التيارات الوافدة ، بوهم أن وجودنا العصري يتطلب أن نستعير ثقافتنا وفكرنا وأدبنا من الغرب القوي الغالب .

وفي غفلة عن الموقع الفكري بما أثقلنا من أعباء التنمية والقرصنة الصهيونية،وصراع القوى ومعارك الفتن والبغي الحاصدة ، تدفق جنود الاستعمار الجديد ودعاة ثقافة عصرية ومبشرين بالتقارب بين الشرق والغرب ، وغزتنا مؤ سسات ثقافية أجنبية قوية النفوذ ، بعضها يعتمد على ذكاء الحيلة وبراعة الاستدراج ، والاقتدار على وسائل النشر وأفانين الدعاية والاعلان .

دون الابقاء على أدنى فرصة للتكافؤ بين فكرنا القومي الأصيل ، وهذه البضاعة الأجنبية تدق لها طبول الدعاية وأجراس الاعلان ، وتتألق طبعاتها الأنيقة الفاخرة ومظهرها البراق الخلاب ، فتختطف الأبصار عن كتبنا في طبعاتها الرديئة وورقها الرخيص .

لكن الأمة لم تفقد وعيها في دوامة المرحلة .

وهي اذ تدرك استحالة العزلة الفكرية والثقافية في عصر الترانزستور تدرك كذلك أن لا بأس عليها من أي تيار وافد ، ما دام لفكرها القومي رسوخ لا تمسخه الطوارىء ولا تجتاحه التيارات . ولا يفوتها كذلك أن تفرق بين روافد من خارج تخصب وجودنا الفكري وتوسع آفاق ثقافتنا المعاصرة ، وبين أن تطغى هذه الروافد على المجرى الحيوي الأصيل ، فتطمسه وتطمره .

وآية هذا الوعي ، ما تداعى به قادة الف ضرورة فهم تاريخ الأمة،وتحريره من شوائب ا- والبتر والتشويه . وهي مهمة جليلة لا يتصور إمك البدء فيها ، بمعزل عن تراثنا الذي هو مادة هذ! التاريخ .

ولاحت على أفقنا بوادر استجابة للدعوة الى تعديل قوانين حماية الآثار ، بما يكفل حماية التراث .

وجدت هيئات علمية ومؤسسات ثقافية بمصر والشام والعراق والمملكة العربية السعودية والمملكة المغربية وتونس والكويت وقطر والامارات العربية في نشر ذخائر من تراثنا . وشاركت بعض دور النشر الكبرى في هذا المجال ، فنشرت دار المعارف بالقاهرة سلسلة الذخائر ، وأعادت دار المثنى ببغداد ، ودور النشر في بيروت ـ سلمها الله ـ نشر ذخائر أمهات مما نشرته قديماً معاهد الاستشراق ، ودائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، حين كانت الهند دار اسلام وحديث ، والطبعات المصرية والمغربية القديمة لكتبنا الكبار .

ولم يكن عجباً ، من وعي الأمة ، أن تتصدر كتب التراث قوائم النشر والتوزيع بشهادة النشرات الاحصائية لها ، وأن يكون لها الحظ الأكبر من الطلب في معارض الكتب بالعواصم العربية .

الذي نخشاه حقاً ، أن يغري هذا الرواج تجار السوق فلا يعنيهم فحص البضاعة الحاضرة ، وأن يقتحم الميدان دخلاء ليس لهم أدنى دراية بعلم التوثيق للمخطوطات ومنهج تحقيقها .

والله المستعان .

« فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال . » صدق الله العظيم . □

●

■ ان من يستخدم السراج فلا أقل من أن يضع فيه شيئا من الزيت .

(مثل رومانى)

■ الناقد هو الرجل الذى يفهم ويشرح مالم يقصده الكاتب بكتابته .

(هربرت بروكنو)



اعداد : الدكتور فريد الكيلاني*

انفصام الشخصية أو الشيزوفرينيا ، اسم لمرض عقلي يقول بعض المختصين انه مرض لا شفاء منه ، وان العلاجات المستعملة هي علاجات تسكينية لا أكثر .

لكن العلم والعلماء لا يرفعون راية الاستسلام ابدا ، ويستمرون فى ابحاثهم وتجاربهم ودراساتهم ، فما الذى توصلوا اليه او اكتشفوه من جديد بالنسبة لهذا المرض (الذهانى) او العقلى المنتشر فى العالم ؟

واخيرا . . تمكن الباحثون من الاكتشاف المبكر لأولى مراحل الاصابة بالشيزوفرينيا . فهل يتمكنون من منع استفحال المرض الى الحد الذى يستعصي فيه على العلاج ؟

ظل العلماء فى مختلف أقطار العالم يبحثون عن طريقة يتمكنون بها من تشخيص مبكر لبدء الاصابة بالشيزوفرينيا عشرات السنين .

وفي بحث حديث قام به بعض الاختصاصيين العالميين ، جرت محاولات عديدة لاستكناه الأعراض المبكرة للمرض فى الاطفال ، بحيث يصبح بالامكان التنبؤ بمن سوف يصاب بالمرض منهم ومن سيظل سليما معافى .

ويبدو ان العمل سيستمر لعدة سنوات قادمة ، يشترك فيه عشرات من علماء السلوك البشرى فى العالم أجمع ، اطلق عليهم اسم (مجموعة المخاطر الكبرى) .

وقد بدأت هذه المجموعة بالوقوف على شكل الاستدلال على البوادر الاجتماعية والنفسية الاولى التى تظهر على ضحايا هذا المرض الذى يفقد الانسان القدرة على استكناه الحقائق . وما يرمى اليه الباحثون طبعا هو معرفة مدى قدرة العلماء على وقف تفاقم المرض منذ بدايته ، او منعه لتخليص المعرضين للاصابة به من وباله .

* دكتور فريد الكيلاني ـ حائز على شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة كولومبيا باسيفيك ، ويعمل موجها للغة الانجليزية بوزارة التربية في دولة الكويت .

على تحمل الاعباء والضغوط التى يواجهها فى الحياة ، فاذا لم يستطع مواجهتها زاد امكان اصابته بالمرض وهم الآن يبحثون عن وقائع وحقائق يثبتون بها نظريتهم هذه ، بحيث يتمكنون من تحديد الاطفال الذين يكونون معرضين اكثر من غيرهم للاصابة بالشيزوفرينيا فى المستقبل .

الوراثة :

وقد وجه الباحثون اهتمامهم نحو اطفال لوالدين مصابين بالمرض ، ولذا فهم يعتبرون من الناحية الوراثية ، اكثر تعرضا للاصابة من غيرهم ، اذ لم تلحظ سوى حالة واحدة اصيب فيها بالمرض طفل لابوين سليمين . وقد اعتبرت هذه الحالة من حالات الاستعداد الشخصى للاصابة ، وبالتالى لا يمكن اعتبارها قاعدة عامة تندرج تحت موضوع البحث .

هؤلاء الاطفال ، كانوا يتعرضون لأوامر ونواه متناقضة من الوالدين ، هى فى معظمها سلبية لايتفهمها عقل الطفل ، ولكنه يجب على تنفيذها . ان مثل هذه العلاقة ، متى وجدت ، بين الطفل وابويه تعد فى رأى الباحثين بادرة قوية الدلالة على احتمال تعرض الطفل للاصابة بالمرض ، فمن بين (٦٥) خمسة وستين طفلا ممن شملهم البحث ، ثبتت اصابة (١٢) اثنى عشر منهم بمرحلة متطورة من المرض ، فما الذى كان يجرى بين الوالدين واطفالهم ؟



الأسباب :

لقد شهدت العقود السابقة باحثين وباحثات يشيرون بأصابع الاتهام الى بعض الامهات اللواتى يسببن لأبنائهن بتصرفاتهن الحمقاء الاصابة بالاعراض الاولى للمرض . فالشدة فى المعاملة تدفع بالابناء الى الكذب ، أي أن يقول الانسان اشياء غير حقيقية ، وهذا ما يعتبره السلوكيون اول بوادر هذا المرض اللعين ، ثم تطور البحث ، فأدخل علم الوراثة الى صلب الموضوع ، وعزا الاستعداد للاصابة بالمرض الى عوامل تتعلق بالجينات والتأثيرات البيوكيميائية التى تتعرض لها فتجعل صاحبها معرضا للاصابة اكثر من غيره ، اما الباحثون الآن فيقرنون هذه بتلك ، ويجمعون بين السببين ، ويبنون ابحاثهم على فرض وجود استعداد وراثى عند الشخص ، ومدى قدرة هذا الشخص

عندما كان احد الاطفال يعرب عن رفضه لما يطلبه منه والداه ، كانا يهاجمان الطفل المسكين ، ويضربانه بدلا من أن يبينا له خطأه ، ويسفهان مشاعره وافكاره ، بدلا من الاستماع لدفاعه عن نفسه ، وكثيرا ما يكون كلامهما غامضاً وغير مقنع للطفل الصغير . هذه الدراسة والنتائج التى توصل اليها الباحثون كانت اول خيط يوصل الى حقيقة علمية تظهر لاول مرة ، ويثبت انها النذير الاول للاصابة بالمرض .

وهناك بوادر أخرى تظهر فى وقت مبكر فى الاطفال المصابين بالمرض فى مراحله الاولى ، مع احتمال قوى لاستفحاله وتطوره نحو الأسوأ فى المستقبل ، منها نقص القدرة على التعبير اللفظى ، والرغبة فى البعد عن الناس،وفظاظة المسلك ، ولكن هذه البوادر تعد

دليلا اكيدا على احتمال وجود المرض فى مراحله الاولى ما لم يكن الطفل قد ولد لابوين مصابين ويحمل استعداداً وراثيا للاصابة مثلهما .

جديد البحوث :

ان اللهفة التى يبديها العلماء والباحثون للوصول الى معايير اكيدة يسهل بها التمييز بين الطفل الذى سيجتاز مرحلة الطفولة سليما معافى ، وبين الطفل الذى سيصاب بالمرض ، تعكس أبعاد هذه المشكلة المعقدة . فالباحثون الامريكيون يشيرون الى أن ٣٪ من افراد الشعب الامريكى هم فعلا مصابون بالمرض ، ولكن الكثير من هؤلاء لا تكون أعراض اصابتهم من الشدة بحيث تضطرهم الى اللجوء الى العلاج ، وقد يشفى بعضهم من المرض دون علاج . ومن الاعراض المعروفة للمرض اضطراب فى التفكير ، وفى قوة الملاحظة ، يرافقها سماع اصوات غريبة فى بعض الاحيان ، واشتغال الفكر بأمور خيالية وغير منطقية . وهذه الأعراض يشكو منها اكثر من مليونى امريكى . ويقدر الخبراء الامريكيون - كما ورد فى احصاء المعهد القومى الامريكى للصحة العقلية - الخسائر التى يتكبدها الاقتصاد الامريكى بمبلغ يفوق الـ (٢٠) بليون دولار فى كل عام نتيجة قلة انتاج المصابين فى الدرجة الاولى ، ثم نفقات علاجهم فى الدرجة الثانية .

التحدى :

كان عامل التحدى اكبر حافز للعلماء الى الغوص فى الاعماق ، لاستكناه حقائق المرض ومسبباته واعراضه الاولى . فقد ذهبت جهود اسلافهم وابحاثهم التى استمرت عشرات السنين عبثا ودون طائل ، ولكن العلم لا يستسلم للفشل فى أى ميدان ، خاصة وهو يواجه الامراض المستعصية فيعمل على التقليل من انتشارها والحد من استفحالها . ولذا ظلت جهود العلماء والباحثين متواصلة لا تعرف الكلل . ورغم أن العلاجات التى استعملت حتى الآن نجحت فى اخفاء عوارض المرض الظاهرة فقط ، الا أنها عجزت عن شفائه .

فقبل عشرين سنة كان شخص واحد يصاب من بين كل مائة شخص فى أية مرحلة من مراحل العمر بالشيزوفرينيا ، والنسبة مازالت كما هى حتى الآن رغم كل الجهود ، لأن الطرق التى تتبع فى معالجة المرض اليوم ، هى نفس الطرق التى بدأ تطبيقها في عام ١٩٦١ فى كوبنهاجن ، حيث اجرى الباحثون دراساتهم على (٣٠٧) من الأطفال لامهات مصابات بالشيزوفرينيا . والنتائج الاولية التى أسفرت عنها بحوثهم دفعت بغيرهم من الباحثين فى بلاد اخرى الى السير فى نفس الاتجاه ، واستمر ذلك فى عام ١٩٧٠ وما بعده ، وضمن مجموعات من الباحثين اطلقت على نفسها اسم (مجموعة الاخطاء الكبرى) وكلهم من العلماء فى هذا المجال ، وينتمون الى خمسة عشر مركزا للابحاث ، تنتشر فى كل انحاء العالم ، واجرت ابحاثها على (٣٠٠٠) طفل ، ويشمل هذا العدد (١٢٠٠) طفل لوالدين مصابين بالمرض ظهرت على (٣٥ الى ٤٠) منهم العوارض الاكلينيكية للمرض ، وهو عدد يفوق ما كان العلماء يتوقعونه فى الشعوب العادية .



فالطفل الذى يولد لابوين مصابين ، يكون احتمال اصابته بالمرض قويا بنسبة ثلاث الى ست مرات عن الطفل العادى الذى يولد لابوين سليمين ، ويرفع بعض الخبراء هذه النسبة الى اربعة عشر ضعفا ، ويذهب بعضهم الى القول ان الطفل الذى يكون والداه مصابين بالمرض يصل احتمال اصابته بالمرض الى (٣٥) ضعفا ، بالمقارنة مع الطفل الذى يولد لابوين سليمين .

ومع ذلك ، فقد اثبتت البحوث والتجارب ان معظم أطفال الوالدين المصابين قد لا يصابون بالمرض ، وقد كانت هذه الحقيقة أكبر تحد لنظرية وراثة المرض التى كان الباحثون يسيرون على هديها ، فكيف يستطيعون اذن تصنيف الاعراض والبوادر التى يفرقون بها بين اولئك الذين سيتطور معهم المرض واولئك الذين سيبقى المرض عندهم ساكنا خامدا دون أية ظواهر او بوادر ؟ ومن اين سيبدءون اذن ؟ وكيف سيوجهون جهودهم ؟

مقارنات :

واتخذ الباحثون والباحثات لهم طريقا جديدة . فقد بدأوا يقارنون بين طفل ولد لابوين مصابين بالشيزوفرينيا،وطفل آخر ولد لابوين لديهم اضطرابات وامراض نفسية أخرى غير الشيزوفرينيا . وهم يأملون ان يتمكنوا بهذه الطريقة من عزل الصفات التى يمكن أن يورثها الوالدان المصابان بامراض عقلية لأولادهما ، ومقارنة صفات الولد الاول بصفات الولد الثانى ، وتصنيف المشترك منها والمتباين ، ثم مقارنة هذه وتلك بصفات الطفل الذى ولد لابوين سليمين ، وليس فى سجلهما الطبى أية اشارة لاصابتهما بأى مرض نفسى أو عقلى .

ومازال البحث مستمرا بهذا الاسلوب منذ خمسة عشر عاما . والاطفال الذين بدأت الأبحاث عليهم وهم فى سن الخامسة اصبحوا الأن فى سن العشرين ، والمعروف أن معظم الاصابات بالشيزوفرينيا تكون فى مرحلة العمر التى تقع بين (١٥ و ٤٥) سنة ، ومعظم الاصابات تحدث فى بداية العشرينيات من العمر . وقد ظهرت فعلا اعراض الشيزوفيرينيا على ما يقرب من (٤٠) طفلا ، وهو رقم يفوق ثلاثة أضعاف ما كان يتوقعه الباحثون فى العشرين سنة التالية .

نتائج وفوارق

يقول الدكتور نورمان وات ـ استاذ علم النفس فى جامعة دينفر ، وأحد أبرز الباحثين فى هذا المجال ، وله عدة تحقيقات وابحاث تولت طباعتها جامعة كمبردج تحت عنوان « الاطفال المعرضون للاصابة بالشيزوفرينيا » ان بعض النتائج التى توصل اليها الباحثون تشكل ادلة قوية سيكون لها شأن مهم فى تحديد الفروق الرئيسية بين الاطفال الذين اصيبوا بالمرض والاطفال الذين لم يصابوا به ، وأورد الفروق الرئيسية التالية بين الفئتين :ـ

١ ـ الذين اصيبوا بالمرض كانت اصابات امهاتهم بالمرض مزمنة وشديدة ، وهؤلاء كانت بداية اصابتهم مبكرة ، واستمرت مدة طويلة ، وكانت بوادر الاصابة ظاهرة عليهم،كما ان امهاتهم كن فى غاية التخلف من الناحيتين الاجتماعية والشخصية .

٢ ـ الاطفال الذين اصيبوا بالمرض ولدوا بعد مخاض متعسر ، وغالبا ماكانت اوضاعهم فى بطون امهاتهم غير طبيعية قبل الوضع .

٣ ـ الاطفال الذين اصيبوا غالبا ما كانت نشأتهم الأولى فى مؤسسات او دور رعاية الاطفال ، او فى كنف اسر تبنتهم وتولت تربيتهم .

٤ ـ الاطفال الذين اصيبوا كانوا يخلقون حولهم المشاكل فى مدارسهم ، وهم يتصفون بالقلق وسرعة التأثر وحب العدوان .

تركز الطرق الحديثة التى تبشر بنتائج جيدة على الكيفية التى يجرى بها التعامل بين افراد اسرة الطفل المصاب ، فالباحثون فى جامعة كاليفورنيا فى لوس آنجلوس اتجهوا لدراسة هذا الجانب من المحيط الذى يعيش فيه الطفل ، وشملت الابحاث (٦٥) اسرة ممن ظهرت على أطفالهم أعراض المرض فى سن المراهقة ، متمثلة فى بوادر عدم التوافق والانسجام مع من حولهم ، واستمرت الدراسة مدة عشر سنوات ،

اصيب بالمرض خلالها اثنا عشر طفلا من افراد هذه الأسر ، ولكنهم لم يدخلوا الى المستشفيات ، والصفة المميزة لهذه الأسر كانت (الانهيار الخلقى) .

الاستعداد الوراثى :

ويرى الدكتور مايكل جولد شتين : ان الانهيار الخلقى فى الأسر لا يؤدى بالضرورة الى اصابة الاطفال بالمرض ، ولكن اذا كان لدى الاطفال استعداد وراثى للاصابة بالمرض فاحتمال اصابتهم يكون اكبر،فتعرض الطفل لطريقة شاذة فى التعامل مثل فرض أوامر وتعليمات سلبية على الطفل والتدخل فى كل كبيرة وصغيرة من شئونه الخاصة ، تجعل منه طفلا معرضاً لفقدان الرابطة بين الحقيقة والواقع الذى يعيش فيه ، وتحت ضغط هذه الظروف ، ينفصل تفكير الطفل عن مجرى سيره الطبيعى بسهولة ، ويصاب بالمرض

بعض الباحثين يعتقدون ان تعليم مثل هؤلاء الأطفال العادات الاجتماعية السوية قد يساعدهم على التخلص من المرض ، فمعظم المصابين بالشيزوفرينيا لهم تاريخ طويل مع المشاكل الاجتماعية ، وخاصة عندما يشبون عن الطوق ، ويدخلون مراحل التعليم العالى . ورد هذا فى بحث اجراه الدكتور جون ستروس ، استاذ علم النفس فى كلية ييل الطبية .

أعراض اخرى :

واتجه بعض الباحثين لاستكناه اعراض أخرى ومعرفة أسبابها كحالات الذهول والعجز عن التركيز ، وضعف الذاكرة . فقد ظهرت مثل هذه الاعراض على أطفال أخضعوا للبحث فى وقت مبكر من حياتهم . ضمن دراسة أجريت فى نيويورك .

ويقول الدكتور ليتمير كيملنج ـ مدير معهد البحوث النفسية فى مدينة نيويورك :«ان التغييرات المختلفة التى تطرأ على سلوك الأطفال المعرضين للاصابة كانت دائما مصدر حيرة للباحثين ، فأحد الصبية ثبتت اصابته بالشيزوفرينيا فى سن الثامنه عشرة ، وكان قد سجل فى ملفه حين كان فى المرحلة الابتدائية انه عصبى المزاج ، وتصيبه احيانا حالات من الشرود الذهنى . وقد وصفه احد مدرسيه بأنه (مقبت حقير ، يزدريه زملاؤه) ، وفى ملفه فى المدرسة الثانوية كتب عنه : (تنتابه نوبات من الانفعال المفاجىء وسورات من الغضب ، ويدخل فى عراك مع زملائه) ومع ذلك فعندما اصبح فى سنته الدراسية التاسعة ، اختاره طلاب فصله ليكون رئيسا عليهم».

وينصرف كل باحث فى هذا الميدان للبحث عن فئة من الاطفال تجمعها صفات سلوكية مشتركة ، ويتابع تطور مسلك افرادها الى أن يصاب احدهم او بعضهم بالشيزوفرينيا ، وتشمل الابحاث عادة ما يتعرض له كل فرد من افراد هذه الفئة من ضغوط خارجية قبل أن يصاب بالمرض .

يقول الدكتور وات : «لم يثبت حتى الآن أثر الضغوط الخارجية على تطور المرض واستفحاله بين الأطفال ، فالحالات التى جرت متابعتها كانت تصرفات افرادها السلوكية أكثر تعقيدا مما كان يتصور ، لم يظهر المرض الا على عدد قليل ممن اخضعوا للدراسة ، كما أن الصفات السلوكية المشتركة بين من أصيبوا بالمرض فعلا كانت أيضا قليلة» .

وخلاصة القول ، ان البحث فى هذا المجال يثير الكثير من القضايا الاخلاقية ، فاخضاع طفل للبحث ، ومتابعة كل تصرفاته مدة طويلة من الزمن ، هو فى حد ذاته عمل غير اخلاقى ، فقد يلحق هذا التصرف وهذه المتابعة اللؤوبة بطفل برىء ـ قد لا يصاب بالمرض ابدا ـ اذى بليغا من الناحية النفسية ، ماكان ليلحق به لو أنه اعفى من هذه المتابعة ، وقد فطن الباحثون لهذه الناحية فى وقت متأخر ، وكل ما استطاعوا ان يفعلوه للتقليل من الضرر الذى قد يلحق بالاطفال الذين يخضعون للبحث هو اخفاء اسماء المعرضين منهم اكثر من غيرهم للاصابة بالمرض ، خاصة اذا كان هؤلاء الأطفال قد ولدوا لأبوين سليمين ، وتكليف المدرسين بتوجيه الاسئلة لهم بدلا من الباحثين ، لكي يبدو الامر طبيعيا بالنسبة لهم . □

منتدى العربي

الرأي ، والرأي الآخر .. والحوار الحر وطرح مختلف وجهات النظر .. هو أبرز الطرق للوصول الى الحقيقة .. وعندما نلتقي الأفكار تبدأ المعرفة الحقيقية

قضية

هل آن الأوان لقول فصل في ترجمات تفسير القرآن ؟

بقلم : الدكتور حسن المعايرجي

القضية هنا ليست قضية ترجمة القرآن الكريم ـ حيث أمكن حصر ٤٣٥ ترجمة الى اللغات الأوروبية ، وحوالي ١٢٠٠ ترجمة الى اللغات الأخرى ـ ولكن القضية هي : هل هي ترجمة معان أم ترجمة تفسير ؟ وهل آن الأوان للجهات المختصة أن يكون لها قول في هذا الأمر .. وأن يتحقق مشروع مجمع ترجمات التفسير ضمن مشروعات القرن الهجري الخامس عشر ؟

ينتشر الاسلام دون توقف منذ أن بلّغ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسالته الى البشرية كافة . وبلغ المسلمون الآن حوالي المليار نسمة ، ينتشرون على مساحة متوسطة من العالم تزيد على ربع مساحة المعمورة ، وتقدر هذه المساحة بـ ٣٧ مليون كم٢ من أصل ١٣٦ مليون كم٢ من اليابسة .

ويعيش ثلث المسلمين على شكل أقليات تحت حكومات شيوعية أو وثنية أو مسيحية أو يهودية ، ويبلغ ما أمكن حصره من اللغات التي استعملها المسلمون في ترجمة أو محاولة ترجمة معاني القرآن الكريم حوالي ١٢٤ لغة،وهذا العدد لا يمثل الا جزءا بسيطا من اللغات التي يستعملها المسلمون ، حيث أن هناك شعوبا اسلامية كثيرة ليس لديها تفسير مطبوع للقرآن الكريم بلغاتها حتى الآن ، وان كانت بعض الشعوب الافريقية لديها تفاسير شفوية غير مكتوبة تتناقلها الألسن مشافهة .

وكان يصاحب انتشار الاسلام في الصدر الاول انتشار مواز للغة العربية ، بحيث أن الحاجة الى تفسير للقرآن الكريم بغير العربية كانت قليلة أو غير واردة ، ولم يبدأ ظهور تفاسير باللغة الفارسية الا في عام

٣١٠هـ حيث تم ترجمة تفسير الطبري .

وفي عام ٧٢٤هـ تم ترجمة نفس التفسير الى التركية ، أما الاردية وهي لغة أحدث من السابقتين فقد ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآني الكريم فيها عام ١١٩٠هـ والتي قام بها مولانا شاه رفيع الدين .

وقد كانت التفاسير وترجمة المعاني تنبع من حاجة اسلامية ، وبأيد اسلامية أمينة على تبليغ رسالة الاسلام ، ومعاني القرآن الكريم لمن لا يحسن العربية .

محاولات للتحريف

بعد فتوحات المسلمين في أوروبا والاندلس ، واحتكاك المسلمين والمسيحيين في الحروب الصليبية وغيرها ، بدأ المسيحيون في ترجمة معاني (القرآن الكريم) في محاولة للتعرف على « كتاب محمد » أو التعرف على « القانون التركي » أو على « قرآن محمد » كما كانوا يطلقون عليه ، وهكذا فقد ترجم القرآن الكريم الى اللاتينية بمعرفة رهبان ديركلوني عام ٥٠٨هـ ، وحفظت هذه الترجمة لدراسات الرهبان للتعرف على دين المسلمين ، ولم تطبع الترجمة الا في عام ٩٥٠هـ ، ومن هذه الترجمة نقلت ترجمات الى الفرنسية والالمانية والانجليزية وغيرها من اللغات الاوروبية ، حيث أن المترجين حينذاك لم يكونوا على علم باللغة العربية ، فوجدوا الترجمة اللاتينية أقرب منالا بالنسبة لهم . وبعد هذا التعرف المبدئي بالاسلام والذي تم عن طريق هذه التراجم ، اشتد ساعد الاوروبيين في حربهم للاسلام ، وظهرت حركات التبشير والاستشراق لتنقض على تراثنا الاسلامي ، وتعمل على طمس معالم النور والاضاءة فيه ، اما بحرقه كما حدث في أسبانيا ، أو بنهبه وحفظه في مكتباتهم وجامعاتهم ، او بدراسته واثارة الشبهات حوله كلما أمكنهم ذلك ، وكانت ترجمة معاني القرآن الكريم وسيلتهم لتحريف الكلم عن مواضعه او لصرف أقليات اسلامية سقطت تحت حكمهم عن النص القرآني الكريم ، وتحويلهم الى ترجمة ميسرة بلغتهم كما حدث في بلغاريا ، اذ قام المبشر الالماني « هوبه » A.II.Hoppe وفريق من الدارسين بعمل ترجمة باللغة البلغارية لشعوب البوماك المسلمين .

وكان هذا الحدث آنذاك حدثا اعتبره المبشرون عيدا ، وكالترجمة التي قام بها القس جودفري ديل بالسواحلية ووزعها على مراكز التبشير ومدارس الاحد في شرق افريقيا حتى يمكن محاجة المسلمين عن علم ومناقشتهم عن معرفة . وهكذا نجد أن ترجمة معاني القرآن الكريم قد استغلت بشكل مقصود واستعملها غير المسلمين لمحاربة الاسلام .

وظهر في الميدان آخرون يترجمون معاني القرآن الكريم لخدمة أغراضهم ومعتقداتهم ، واقصد بهم الأحمدية القاديانية التي كان لها وما زال نشاط كبير في الترجمة ، واوقفوا الاوقاف لهذا الغرض حتى انهم ترجموا معاني القرآن الكريم الى أغلب اللغات الاوروبية كما ترجموه الى السواحلية لأهمية هذه اللغة التي تستعمل في شرق ووسط افريقيا ، وسبقت الترجمات الأحمدية في بعض اللغات ترجمات أهل السنة . وامتلأ الميدان بترجمات فاسدة ـ يقوم بها صليبيون او يهود او قاديانيون ـ أغلبها مترجم عن غير العربية . فالنسخة البلغارية مثلا هي نسخة مترجمة عن الالمانية ، والالمانية عن الانجليزية ، والانجليزية عن اللاتينية ، واللاتينية عن العربية ، ولا أدري كم بقي من المعنى القرآني الاصيل بعد هذه الرحلة الطويلة .

الترجمة الحديثة للقرآن

وفي العصر الحديث ظهرت ترجمات بأيد مسلمة من أهل السنة ، وهذه الترجمات وان كانت متأخرة جدا الا انها قد سدت فراغا طالما أشفق منه العارفون بخطورة ما نحن فيه من اهمال لتبليغ رسالة الاسلام الصافية الى المسلمين بألسنتهم المختلفة ، وقد سبقنا بالفضل في هذا اخواننا من علماء المسلمين في الهند من أمثال يوسف علي وأبي الاعلى المودودي في الانجليزية ، وحميد الله في الفرنسية ، وغيرهم في اللغات الاخرى .

وبينما كانت الترجمات لمعاني القرآن الكريم تتزايد بكل لغات الأرض الصالح منها والفاسد ، الموجّه للتبليغ منها والموجّه لحرب الاسلام ، كان المسلمون في معركة حامية فيما بينهم ، وكان الجدل يدور فيما بينهم حول : هل يجوز أن نترجم القرآن ؟ وهل ترجمة

القرآن تسمى ترجمة معان أو ترجمة تفسير؟

وفي الوقت الذي أمكن حصر ٤٣٥ ـ ترجمة في اللغات الاوروبية وحدها وما زالت في تزايد ، ناهيك من اللغات الآسيوية والافريقية ، وحيث تناهز الترجمات في اللغات الاسلامية الكبرى الثلاث : التركية والاردية والفارسية ما يقرب من ١٢٠٠ ترجمة ، دارت المعركة مستمرة بين انصار الاباحة ، وانصار التحريم ، وانصار الاباحة بشروط ، ومازالت هذه المعركة تعتمل في النفوس حتى وقتنا الحاضر .

وقد كان لتراجع اللغة العربية عن الانتشار لمواكبة انتشار الاسلام أثر كبير في تزايد الحاجة الى تفاسير مترجمة ، وقد قال ابن تيمية في هذا الصدد : « ان اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب،فان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا باللغة العربية ، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال : « تعلموا العربية فانها من دينكم ».

فتعلم العربية للمسلم واجب ، ونشر العربية يجب أن يكون خطا موازيا تماما للدعوة الى الاسلام ، ومن الجهة المقابلة يقوم واجب الترجمة لمن لا يعرف العربية من المسلمين،حتى يعرف تعاليم الاسلام والى ان يتعلم العربية . فالترجمة مرحلة تنتهي بانتشار العربية بين المسلمين .

مجمع للترجمات

ان هناك دراسات ضمن مشروعات القرن الهجري الخامس عشر لقيام مجمع لترجمات تفسير القرآن الكريم .

وتهدف الدراسة التي يقدمها المشروع الى ما يأتي :

١ ـ حصر ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات المختلفة .

٢ ـ جمع نسخ من هذه الترجمات لتكوين مكتبة لها تساعد الباحثين والمحققين والمترجمين .

٣ ـ عمل دليل لهذه الترجمات يبين الجيد منها ويحذر من الترجمات المشبوهة .

٤ ـ اختيار بعض الترجمات الجيدة في كل لغة وطبعها وتوزيعها على المسلمين .

٥ ـ تكوين لجنة لاختيار تفسير عربي مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلمين .

فأما عن حصر الترجمات فقد تم حصر بعضها في اللغات المختلفة بجهود فردية متناثرة ، وقد قام الاستاذ محمد حميد الله بعمل قائمة للترجمات باللغات الأوروبية . وقام مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية باستانبول بعمل قائمة للترجمات باللغات الاوروبية والآسيوية والافريقية ، وما زال العمل يحتاج الى جهود اخرى لتعميق هذا الحصر واستكماله ، ثم متابعة رصد هذه الترجمات وتسجيلها عند ظهورها ، وعمل مثل هذا يحتاج الى متخصصين في عمليات الفهرسة واعداد القوائم والاستعانة بالمكتبات والجامعات في الدول المختلفة .

وعن جمع نسخ من هذه الترجمات فقد أصبح هذا العمل ضروريا يتطلب جهدا ومتابعة لحفظ نسخ من كل ترجمة تصدر بأي لغة في العالم ، وجمع ما سبق صدوره منها ، وتصوير المخطوط لتكون من هذا وذاك مكتبة من هذه الترجمات يستفيد منها الباحثون والمحققون والمترجمون ، كما أنها تحفظ هذه الترجمات من الاندثار أو الضياع بتصويرها على ميكروفيلم وحفظه .

وهذا العمل ـ على ما فيه من صبر وجهد ـ سيجمع بين ثناياه بلا شك الترجمات الجيدة والسيئة ، وبالتالي فانه يحتاج الى ارسال متخصصين يقومون بجمع هذه الترجمات من الدول المختلفة ، مستعينين بالهيئات الدبلوماسية الممثلة للدولة في الخارج لجمع ورصد هذه الترجمات ، والتعرف على المجموعات الخاصة الموجودة لدى الافراد والهيئات لتصويرها ، والحصول على فهارسها ، او شرائها ان تيسر ذلك .

دليل للترجمات

وللبدء والشروع بهذا الدليل ، لابد من تكوين لجان لدراسة ترجمات كل لغة ، وتقييم هذه الترجمات ولمعرفة الجيد ورصد الاخطاء في الفاسد منها ، ووضع ذلك على شكل دليل يبين الاخطاء الموجودة في الترجمة ان كانت بها اخطاء ، ويحدد مدى دقة هذه الترجمة وهل يمكن الاعتماد عليها . بعدئذ تصنف هذه

الترجمات في عدة مستويات تُسهِّل على مستعملي هذه الترجمات تقييمها ومعرفة الصالح منها وغير الصالح .

وهذا العمل يحتاج الى محققين باللغات المختلفة على مستوى علمي قرآني رفيع .

ويمكن في ضوء عمل اللجان في المرحلة السابقة اختيار ترجمة أو ترجمتين من كل لغة لطبعها وتوزيعها على المسلمين ، الى حين اتمام المرحلة الخامسة .

لجنة للاختيار

ولاشك أنه قد آن الأوان لتكوين لجنة لاختيار تفسير عربي مناسب يترجم الى اللغات الأساسية الواسعة الانتشار بين المسلين ، وأمام هذه اللجنة عدة مهام تبين فيما يلي :

أ ـ الاختيار :

وهذه المرحلة في تقديري قد سبق تنفيذها ولو جزئيا باصدار التفسير الوسيط الذي قامت به لجنة من علماء الازهر الشريف لهذا الغرض ، والخطوة التالية هي ترجمة هذا التفسير الى اللغات المختلفة ، ان كان اختيار هذا التفسير ما زال ساريا ومقبولا من علماء التفسير .

ب ـ الترجمة :

وهذه المرحلة تحتاج الى جهود كبيرة ومكثفة تقضي بتكوين لجان كثيرة للترجمة ، تختص كل لجنة منها بإحدى اللغات وتكون الاولوية للغات التي يستعملها الكثرة من المسلمين ، ثم ننتقل الى اللغات الاقل انتشارا وهكذا .

وتكون هناك لكل لجنة ترجمة لجنة للتدقيق والمراجعة .

جـ ـ الطبع :

ثم تبدأ عمليات الطبع والاخراج لهذه الترجمات المعتمدة ، وهذه العملية تحتاج بالطبع الى مطابع هائلة تستمر في تزويد المسلمين في شتى انحاء الارض بما يحتاجونه من تفاسير بكل اللغات ، ولعل مطبعة المدينة المنورة القرآنية هي من أنسب الاماكن لهذا العمل .

د ـ التوزيع :

وهو من أهم العمليات وأكثرها كلفة وأدقها تنظيماً حيث أن اتقان هذه العملية يؤدي الى وصول التفاسير الى الايدي التي تحتاجها . وكثيرا ما تطبع التفاسير ولا تصل الى مستحقيها في البلدان المختلفة ، ولعل موسم الحج من أنسب المواسم لوصول هذه التفاسير الى مختلف الشعوب كما أنه يمكن انشاء او اقامة مراكز في افريقيا وآسيا لتقوم بعملية للتوزيع هذه .

هذه باختصار دراسة مبسطة لفكرة المجمع وأهدافه ومهماته ، وهي لعمري مهمات كثيرة وشاقة ، وتحتاج الى عمل دائب من رجال يعملون بروح المجاهدين ، وليس بأسلوب الموظفين المحترفين ، كما تحتاج لسنين طويلة من العمل الجاد المستمر .

وأحمد الله على فضله ، فبجهد فردي أمكن جمع مكتبة كبيرة من الترجمات ، وما زالت هذه الترجمات في نمو مستمر كما أن هناك ثبتا مكتبيا (بيبليوجرافي) للترجمات في طريقه للطبع بعد عمل شاق طويل ، كان الفضل فيه يعود الى مركز الابحاث للتاريخ والثقافة والفنون الاسلامية باستانبول ، كما أن رابطة العالم الاسلامي قامت بطبع العديد من الترجمات الجيدة ، كالترجمة اليابانية للمرحوم الحاج عمر ميتا ، والترجمة الانجليزية ليوسف علي ، وهي بصدد طبع مليون نسخة من ترجمة تركية ، هذا علاوة على ترجمة بالصينية واليوربا والهوسا ، كما ألفت لجنة لعمل ترجمتين جديدتين بالانجليزية والفرنسية .

كما أن التفسير الوسيط يعتبر تفسيرا جيدا جاهزا للترجمة للغات المختلفة ، أي أن هناك أعمالا متناثرة يمكن جمعها في صلب مراحل تنفيذ المشروع ولن تكون البداية من فراغ ، حتى تشرق شمس اللغة العربية على أمم المسلمين . □

■ الرجال العظام . . . . اذا كانوا أكبر منا فذلك لأن رءوسهم أعلى من رءوسنا ولكن أقدامهم هي تحت مثل أقدامنا .

(باسكال)

منتدى العربي

تعقيبات

حول «أورام الثدي»

تعقيب .. ورد على التعقيب

تلقت « العربي » تعقيبا من الدكتور فؤاد فاضل جميل الشيخلي بالعراق على مقال الدكتورة فاطمة الغرباوي الذي نشر بالعدد الممتاز من العربي يناير ١٩٨٥ ، وردت الدكتورة فاطمة الغرباوي على التعقيب بتوضيح آخر ننشرهما عملا بحرية النشر

يقول الدكتور الشيخلي :

« قرأت في العربي العدد رقم ٣١٤ (بالعدد الممتاز) وفي موضوع أورام الثدي (بقلم الدكتورة فاطمة الغرباوي » بعضا من المصطلحات الطبية التي استخدمتها دون رجوعها الى المعجم الطبي العربي الموحد ، والذي تم العمل بموجبه منذ سنوات ، حفاظا على علمنا الطبي ولغتنا الجميلة ، وخدمة لمرحلة تعريب العلوم الطبية في وطننا العربي . وقد وجدت أن الدكتورة فاطمة لم يحالفها الحظ أيضا في تبويب المقال ، فمثلا جاءت المسببات في نهاية الموضوع ، والتشخيص بعد العلاج دون اعطائنا المعنى المقصود منها ، فمثلا في ص ١٣٨ (التشخيص المبكر) تدعو المرأة الى تشخيص المرض بنفسها ، وهذا مخالف لتعاليم الطب .

وفي ص ١٣٩ تقول : (أما الفيتامينات فلا توجد علاقة ثابتة بينها وبين الوقاية من السرطان ، ولكن لوحظ انخفاض في نسبة الاصابة عند قوم يهتمون في طعامهم بفيتامين (أ و ج) ان هذه الجملة يمكن فهمها ، ولكن عندما تعود وتذكر (ولا يعلم للآن كيف يحارب فيتامين ج هذا المرض في الجسم ، ولكن يعتقد بأنه يعطل تحول بعض المواد غير الضارة في الطعام الى مواد سرطانية في الجسم) . وإليك الآن الاخطاء في المصطلحات الطبية

* ورم غددي ليفي Fibroaclenaua والصحيح ورم ليفي غدي .
* درنة Tubercule والصحيح أم. ليست درنة بل تليف (Fibros)أوكيس (Cyst)لأن الدرنة من التدرن وهو (السل) T.B
* الموجات الصوتية Sonar وصحتها الموجات فوق الصوتية (Mammogrophy) لم تترجمها الدكتورة فاطمة ، بينما ترجمتها هي تخطيط الثدي أو رسمه بالاشعة السينية .
* طبيب كلينيكي Physician وصحته ، طبيب سريري .

اضافة لذلك أهملت أهمية الفحص النسيجي السريري (Clinical Pathology) الذي يلعب دورا مهما في التشخيص ، وان ماذكرت من عدم دقة بعض أجهزة التشخيص مثل الأشعة السينية وتحت الحمراء ، وأخذ العينة ، ماهي الا التسلسل الطبي المتبع في طب العالم المتقدم دون اللجوء الى ماهو أكثر تعقيدا .

ورد على التعقيب

حول تعليق الأخ الدكتور فؤاد الشيخلي من العراق الشقيق حول مقالي عن أورام الثدي في مجلة العربي . . يسعدني الرد على ماورد به

أولا : عن دعوة المرأة لتشخيص مرضها بنفسها واستنكاره لذلك ، فان هذا الامر معمول به منذ سنوات ، بل تنادي به كل الاوساط الطبية الحديثة ضمن برامج مايسمى بالفحص المبدئي ، الفحص الجموعي أو Screening system وأخذا بهذا المنهج ، ثبت أن أكثر من ٨٠٪ من الحالات المكتشفة حديثا تمت بواسطة المريضة نفسها ، لاكتشافها كتلة غريبة في الثدي ، أما الـ ٢٠٪ الباقية فتدخل في نطاقها الحالات المحولة من طبيب العائلة الى الأخصائي ، أو ضمن نتائج البحث عن ورم مبدئي

واني أدعو الزميل الكريم لقراءة بعض المراجع الآتية وغيرها ، والتي تلج هذا الموضوع تفصيليا : -

* كتاب : Diagnostic Radiology/1984
* كتاب : Diagnosis of Breast Disease 1983

نشرة : Clinical Symposia (CIBA) Volume 32, Breast Lumps 1980

وغيرها كثير يعجز المقام عن ذكره . .

كلها تبين أهمية تعليم المرأة كيفية فحص نفسها بنفسها دوريا ، لتلجأ فورا الى الطبيب اذا ما اكتشفت أي كتلة غير طبيعية في أي من الثديين أو كليهما .

ثانيا : من جهة عدم ترتيب النقاط حسبما ذكر ، فهذا لايضر شيئا في الموضوع على ماأظن ، فهو ليس محاضرة في مدرج جامعي حتى نتمسك بالنظام التسلسلي ، وانما اردنا تشويق القارىء الذي لايعلم شيئا عن الموضوع . .

ثالثا : من جهة التعريب والترجمة ، فانا أحيي في أخي حرصه على اللغة العربية وأغبطه في هذا وأشاركه . الا أني قد استعنت بمعجمين آخرين غير الذي ذكر ، ومنهما أخذت الترجمة الآتية :

Adenoma في معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف - الناشر مكتبة النهضة في بيروت وبغداد - صفحة ٢٤ ورم غددي . أما المعجم الثاني فهو المعجم الطبي - الصيدلي الحديث للدكتور علي محمود عويضة - الناشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ففي هذا المعجم صفحة ٤٩ كانت الترجمة هي ورم غددي .

- اما كلمة Tubercule أو Tubercle فالاثنتان في معجم الدكتور شرف صفحة ٩١٥ ترجمتها تضم مرض السل وكذلك : درن ، درنة صغيرة ، حـ ة صغيرة ، حدبة مستديرة - نتوء مستدير - جسم حبي صلب - والمفهوم في موضوعنا هو الحدبة المستديرة النتوء أو الكتلة ، ولم يقصد بها مرض السل.

- الموجات الصوتية . . كلمة Sonar هي اختصـ للكلمات ound Echo Navigalion & Ranging

وقد استخدمت قبلا للرادار في الحرب العالمية الثانية ، وهي تستخدم مجازا مع كلمة الموجات الصوتية لتعني الموجات فوق الصوتية .

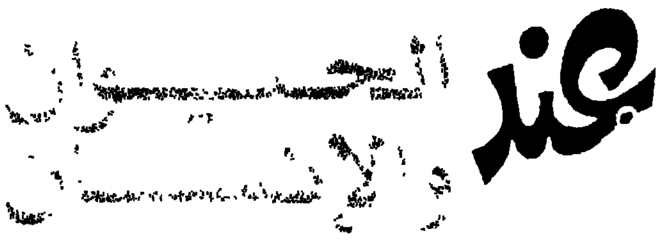
- عدم ترجمة كلمة Mammography الى العربية لم يكن عن اهمال ، وانما في سياق الموضوع كانت الجملة التي اوردت : « . . . . اما الفحص الذي يعتمد عليه فعلا فهو الاشعة السينية ومايعمل للثدي يسمى Mammography وأظن ترجمة أطول من هذا تعتبر جدلا لالزوم له .

- لم أهمل الفحص النسيجي السريري ولكن مررت عليه مرورا خفيفا في جملتي . . عند ثبوت الورم . . تعمل عينة نسيجية . . لاخذ قطعة من الورم أو استئصاله برمته . . وهذا أفضل .

رابعا : عندما ذكرت عدم دقة بعض الفحوصات الطبية الأخرى بالمقارنة بفحص الاشعة ، فهذه حقيقة مؤكدة ومعروفة في كل الأوساط الطبية ، فهي عوامل مساعدة فقط وليست مقررة ، وأغلب المراجع الطبية ان لم تكن كلها متفقة تماما على هذا الرأي .

خامسا : اما عن الفيتامينات وعلاقتها بمرض السرطان عموما - فربما لم اكن في مقالي واضحة تماما وانما قصدت أن ثمة علاقة بين نقص الفيتامينات وظهور الامراض الخبيثة ، وبينت بعض النظريات التي تفسر ذلك ولاأخالني اخطأت التعبير في هذا .

تبقى نقطة أخيرة أحب ذكرها ، وهي أن فكرة طرح بعض الموضوعات الطبية الشائعة في المجلات العربية واسعة الانتشار هي بالمقام الاول وقائية وليست علاجية . وكثير من العامة على اختلاف درجات ثقافتهم يجدون تلك المعلومات على قصورها بالنسبة للعاملين في ميدان الطب - يجدونها مفيدة وجيدة - ومقامنا هنا قطعا ليس بالنقاش العلمي الطبي الذي نتمتع به في مجالسنا العلمية الدورية في المستشفيات والمؤتمرات . □



بقلم : الدكتور صلاح بركات

الماء ، لاحياة للكائنات بدونه ، فهي تجدّ في طلبه ما استطاعت وتتنازع من أجله كي ترتوي . . وهبها الله ما أتاح لها ايجاد السبيل لحفظ حياتها ، حينها تندر في الأرض والسماء .

بينت أبحاث العلماء المتخصصين بأن آلية العطش عند الانسان آلية معقدة ، صعبة الاكتشاف ، وذلك بسبب اشتراكها مع الحاجة الى الغذاء .

فالتغذية تسبب الظمأ ، ومن هنا فان طلب الماء خلال وجبات الغذاء عند أغلب الناس أمر معروف. ان شعورنا بالحاجة الى الماء يبدأ من مستوى الخلايا في أجسامنا ، فحاجة هذه الخلايا للماء تجعلنا نشعر بالظمأ .

يمكن القول بأن هناك نوعين من الظمأ :

الظمأ الأسموزي ويحدث عندما تكون الخلية بحاجة للماء ، وذلك عندما يبدأ ماء الخلية بالخروج منها عبر أغشيتها الهيولية متجها نحو الوسط المحيط بها لتمديده ، لان تركز المواد المنحلة من أملاح وسكاكر

أصبح أعلى مما هو عليه في داخل الخلايا . وهذا التباين في التركيز يؤدي الى اختلاف في الضغط الأسموزي داخل وخارج الخلية ، فيتحرك الماء بانتقاله من الخلايا (ضغط اسموزي منخفض) الى الوسط المحيط ذي الضغط الأسموزي العالي ، وهذا النوع من العطش نصاب به عندما نأكل أغذية مالحة .

النوع الثاني هو الظمأ الناتج عن انخفاض كمية الماء الكلية عن الحد المطلوب للجسم ، وبالاضافة الى الماء الموجود داخل الخلايا فان هناك نوعا آخر للماء يتواجد في الفراغات البينية ، الموجودة مابين الخلايا في سائر الأغشية المكونة للجسم لذا فان الحاجة للماء لاتنتج عن زيادة تركيز الوسط الخارجي ، وانما تنشأ عند حدوث نزيف دموي أو تعرق ، او اسهال شديد .

آلية الظمأ :

ان الية الظمأ الأسموزي مازالت غير واضحة تماما بالرغم من الاكتشاف الأخير الذي أدى الى تحديد أمكنه الخلايا الدماغية المسيطرة على احداث هذا النوع من الظمأ . فقد ظهر من خلال تجارب أجريت على الجرذان والماعز ، بان حقن مراكز معينة داخل المنطقة الدماغية المسماة بالهيبولاتوس بمحاليل ملحية ، تراكيزها أعلى بقليل مما هي عليه في المحلول الدموي قد أحدث عند الحيوان الرغبة لشرب الماء وبالعكس فان حقن حيوان ظمآن بمحاليل ملحية ذات تراكيز أقل مما هي عليه قد أدى الى غياب رغبة الشرب الموجودة عنده . ويستخلص من ذلك بأن تركيز الملح يلعب دور العامل المحفز لخلايا الهيبوتلاموس الدماغية على احداث رغبة الشرب عند الحيوان لتأمين حاجته من الماء . لكن آلية استقبال هذه الاشارات الكيميائية ، أو هذه الأملاح من قبل الخلايا الدماغية السابقة الذكر وتحويلها الى اشارات سلوكية مازالت غير معروفة .

أما الظمأ الناتج عن انخفاض مقدار كمية الماء الكلي في الجسم فيمكن تفسيره كما يلي : من المعروف أن أي انخفاض في كمية الدم تكون مترافقة مع انخفاض في الضغط الشرياني ، وهذا الأخير يعمل على انتاج هرمون (الرنين) في الكلية لرفع ضغط الدم ، وهذا الهرمون يتحول بالدم تحت تأثير هرمون آخر يتم تكوينه داخل الكبد ، الى هرمون جديد يؤثر على نوع الخلايا الدماغية غير معروفة بالتحديد ، عن اظهار الرغبة للحصول على الماء . بالفعل فقد وجد أن حقن الحيوان بأحد هذين الهرمونين يسبب لديه حالة العطش .

غلاف الجسم :

ان التعرض المباشر لأشعة الشمس الحارة - ولفترة طويلة في المناطق الصحراوية أمر ضار ، لأنه يعمل على رفع درجة حرارة جسم الكائن . وهذا يتطلب تبخير كمية من الماء من جسمه للمحافظة على درجة حرارته ثابتة ، وبالتالي حاجته الى الحصول على الماء ليعوض مافقده ويتخلص من عطشه .

وعلينا ألا ننسى أن هناك اشعاعات مؤذية للجسم موجودة مع الاشعاعات الشمسية الاخرى ، وهذا الاذى يزداد كلما كانت فترة التعرض أطول . لذلك كانت تغطية جسم الكائن النباتي أو الحيواني ضرورية حتى تقيه من العوامل السابقة ، فالفحص الميكروسكوبي يرينا أن الطبقة الخلوية الخارجية من البشرة سواء عند الحيوان أو النبات مغطاة بطبقة تقي من تأثير الاشعاعات الشمسية ، وتحول دون نفاذ الماء ، فخلايا البشرة عند ديدان الأرض تفرز طبقة رقيقة من مادة الكيوتيكل تقي وتحفظ أجسامها من العوامل الخارجية . ولكن بسبب رقة هذه المادة فان هذه الكائنات تعيش في الأماكن الرطبة داخل التربة أو تحت الصخور والحجارة والاخشاب وغيرها وبذلك تكفل حماية نفسها من خطر الجفاف والحرارة الزائدة ، وهذا الغلاف تزداد سماكته عند الحيوانات المفصلية الأرجل . وهو هنا يتكون من مادة الكيتين القرنية ، ويحيط بكامل أقسام الجسم ويشكل هيكله الأساسي بالاضافة الى ذلك فان هذا الغلاف يمنع نفاذ الماء من جسم الكائن . واذا فحصنا هذا الغلاف أو هذه الطبقة الموجودة فوق خلايا البشرة عند الزواحف والطيور ، والحيوانات الثديية ، لوجدنا أنها تتكون من مادة قرنية تحتوى على كمية كبيرة من الكيراتين .



الحمار ، من الحيوانات الصبورة على العطش .

وهي عبارة من مادة بروتينية ليفية غير قابلة للذوبان . هذه المادة تشكل العنصر الأساسى الكيميائي للمادة القرنية،وتنشأ عن خلايا كيراتينية تموت وتتصلب مشكلة بذلك طبقة لاينفذ منها الماء . ويلاحظ بأن هذه الطبقة تنسلخ عن الجسم وتعوض بطبقة جديدة أخرى مماثلة تنتج عن تكاثر الخلايا الموجودة في الغشاء القاعدي لخلايا البشرة . وتغطي هذه الطبقة الكيراتينية جلد بعض الحيوانات بغطاء كالريش عند الطيور ، والشعر عند الحيوانات الثديية . ويفيد هذا الغطاء في منع خروج حرارة جسم الكائن عن طريق الاشعاع ، أما الحيوانات التي لاتحتوى جلودها على كمية كافية من مادة الكيراتين فقد أكملت حمايتها ضد تبخر الماء منها بالعيش بالمناطق الرطبة أو المائية كالضفادع مثلا ، هذه الحيوانات تتصف أيضا بوجود طبقة من خلايا بشرية نشطة متميزة يطلق عليها اسم الامنيوت .

التنظيم الحراري :

ان الصحارى الموجودة على علو منخفض من سطح البحر لاتسبب متاعب في حفظ المياه عند الحيوانات القاطنة فيها فحسب ، بل تشكل مصاعب هامة في عملية التنظيم الحراري لديها ، لأن درجة حرارة الوسط تكون مرتفعة بشكل عام وتزيد من قدرة الحيوانات على تحملها . ان التخلص من الحرارة يكون اقتصاديا أكثر عن طريق تبخير الماء،فعملية تحويل الماء من سائل الى بخار يحتاج الى حرارة . وخروج الماء من الجسم بشكل بخار سواء عن طريق التنفس او اللهاث يسبب انخفاضا في درجة حرارته ولكن حيوانات الصحارى لا تستطيع أتباع هذا الطريق للتخلص من حرارتها الزائدة ، لسبب بسيط ، هو قلة الماء الموجودة في تلك المناطق وهذه المشكلة المزدوجة تحل باحدى طريقتين :

إما باحتمال الجسم لارتفاع درجة الحرارة الداخلية له ، أو بأن يتبع طريقة مايتلاءم فيها مع هذه البيئة الحارة.ان الحيوانات الصحراوية الكبيرة الحجم ، كالجمال مثلا تظهر مقاومة واحتمالا للعطش بغية خفض درجة حرارتها ، فاثناء النهار ، نجد جسم الجمل يستطيع امتصاص كمية كبيرة من الحرارة ، ويتخلص منها عندما يصبح الجو أكثر برودة أي خلال ساعات الليل . وقد قيست درجة حرارة مستقيم الجمل خلال ساعات النهار صيفا فوجدت ٤٠,٧ م ، وهذه تهبط الى ٣٤,٧ م خلال الليل الصيفي . أما الحيوانات الصغيرة الحجم ، فانها أيضا تتجنب ارتفاع درجة حرارة جسمها لكن بطريقة اخرى ، اذ أن معظم هذه الحيوانات ليلية النشاط ، ويعيش أغلبها داخل جحور في الأرض متجنبة بذلك تبخر المياه من أجسامها ، وارتفاع درجة حرارتها الداخلية . وهناك حيوانات اخرى صغيرة الحجم لكنها نهارية النشاط ، وتقي نفسها من أشعة الشمس المباشرة عن طريق اختبائها في ملاجىء خلال ساعات الظهيرة ، حيث يمكنها التخلص من الحرارة الناتجة عن حركة العضلات ، او عن طريق الاشعاع الحراري بواسطة صيوان الاذنين الكبيرتين لاحتوائه على كمية كبيرة من الأوعية الدموية .

ان حصول الحيوان على المياه يمكن أن يتم بعدة صور أو طرق ، أولاها الامتصاص الحر للماء أي تناول الماء العادي سواء من الأنهار أو الينابيع عن طريق الفم ، وهذه الطريقة تعتبر الوسيلة الرئيسية في سد

حاجة الحيوان من الماء ، وهناك أنواع اخرى تؤمن قسما من مياهها عن طريق امتصاص الرطوبة الجوية عبر أغشية الجسم الخارجية بالجلد، كما أن تناول الاغذية وخصوصا الطازجة تزود الحيوان بالماء الكافي بعض الأحيان ، وقد تغنية في بعض الحالات عن تناول الماء الحر ، لكن حيوانات الصحارى نادرا مانجد الماء العذب بصورة مستمرة لتؤمن ماتحتاج . وان وجدته يوما فقدته خلال أيام . ومع ذلك فانها

تعيش ولكن تعيش بالاقتصاد فيه وجمعة بشتى الوسائل ، ولندرة المياه في الصحراء فان على الحيوانات أن تتبع احدى طريقتين : اما جمعة من مصادره الطبيعية ، او صناعته وتركيبه داخل جسمها . وهذه الصعوبة الموجودة في طريقة الحصول عليه جعلت الاقتصاد والتقشف عنوان استعماله ، وخاصة اذا كان الماء يركب داخل أجهزة الجسم ، فالجرذ الكنغرى لايشرب الماء أبدا ، وغذاؤه يتشكل من الحبوب والبذور النباتية الجافة التي تنخفض المياه فيها الى حد كبير . ويعتمد العمليات الكيميائية للحصول على الماء،فعمليات الاستقلاب للاغذية ، واكسدة كل من الدهون والسكاكر تنتج جزئيات من الماء .وهذا الماء الداخل الى الجسم ، تخرج منه جزءا أيضا سواء أراد الحيوان ذلك أو لا ، ولكنه يستطيع بفضل مالديه من آليات بيولوجية أن يتحكم في كمية الماء الخارجة منه ، فالماء يتبخر ويخرج من الجسم عن طريق غدد التعرق الموجودة في جلده ، وعملية التعرق هذه تفيد الحيوان في خفض حرارته نتيجة البرودة الناتجة عن تبخر الماء. وعلى الحيوانات أن تحد من هذه العملية رغم فائدتها الجمة ، لان الماء قليل الوجود .

أشكال التكيف :

وعملية الحد هذه تختلف من حيوان لآخر ، فالنمل الصحراوي والعقارب والزواحف نجدها قد غطت جلدها بطبقة كتيمة تمنع نفاذ الماء ، ومنها من يزيد على هذه الطبقة الكتيمة بطبقة اخرى شمعية تضمن منع خروج الماء عن طريق تبخره من الجلد ، والحيوانات الاخرى كالطيور واليربوع والجرذ الكنغري تستغنى عن غدد التعرق ، فتقل بذلك كمية

الماء الخارجة من سطح الجلد لدرجة كبيرة،أما الطر[illegible] الرئيسية لخروج الماء من جسم الحيوان فتكون بص[illegible] الطرح مع فضلات الطعام أو نواتج استهلاكية ، و[illegible] هو معلوم فطرح هذه الفضلات أمر حيوي لارج[illegible] فيه ، لانها سامة للجسم ولكن لدى الحيوانات آليا[illegible] ونظما تحد من حروج الماء عن هذا الطريق،فمنها م[illegible] يعمل على تركيز المادة السامة في البول ، وهي ماد[illegible] البوله وبالتالي تقل كمية الماء المطروحة ، أو أن تطر[illegible] الحيوانات هذه الفضلات بصورة شبه صلبة أو صلبة تماما ، وذلك يتم بامتصاص الماء قبل طرحه سواء من البول أو البراز كما عند الطيور مثلا . وهناك حيوانات اخرى تتخلص من هذه الفضلات السامة بطريقة أجدى ، اذ أن هذه الفضلات تتحول عند بعض الحيوانات بفضل طرق كيميائية الى مواد صلبة سامة يمكن اختزانها داخل الجسم بدون أي خطر أو أذى عليه ، فالحراشف الموحودة على أجنحة الفراشات ماهي بالحقيقة الا امكنة لوضع الفضلات الناتجة عن عمليات الهضم والاستقلاب ، وفي الوقت نفسه فانها اي هذه الفضلات مسؤولة عن تلون هذه الحراشف واعطاء الفراشات تلك الالوان البديعة ، ولو دققنا النظر في انوف النعامات وطيور اموبرديكس والسحالي الأمريكية أو الافريقية لوجدنا غددا أنفية تقوم بافراز الاملاح الزائدة عن حاجة الجسم دون استهلاك يذكر للمياه .

لقد درست آليات ونظم الحفاظ على المياه عند كثير من حيوانات الصحارى وطريقة تأمين تلك الحياة ، فالقوارض الصحراوية ونجدها على نوعين من المآكل والغذاء ، فالقوارض الرطبة اي الحيوانات التي تتغذى على النباتات الخضراء مثل حيوان البالكة المتغذى على أشجار الصباريات ، والنوع الثاني من القوارض يتغذى على الحبوب الجافة كاليربوع والجربيل هذه الحيوانات تدعى بالقوارض الجافة ، وقد قدر تركيز مادة البولة في بول القوارض الجافة فوجد انها تزيد عن تركيز الاملاح في ماء البحر بمرتين او بثلاث مرات ، وجفاف برازها يزيد بخمس مرات عن براز الجرذ الابيض ويعتبر الجرذ الكنغري من القوارض الجافة ، فهو يتغذى على الحبوب والمواد الجافة النباتية ، ومصدره الوحيد من الماء يأتي كما ذكرنا عن طريقة استقلاب وأكسدة السكاكر والدهون

.روتين الموجودة في البذور ، وقد قدر بأن كمية الماء يحصل عليها من ١٠٠ غرام من الحبوب بحوالي ، سم او ما يعادل ٥٠مل ، وفي بعض التجارب حبرية غذى هذا الجرذ بحبوب من فول الصويا . ..نعلوم عن هذه الحبوب بأنها تحتوي على قدر كبير من ماء بالمقارنة مع بذور النباتات الصحراوية ، ولكنها نفس الوقت ذات محتوى بروتيني اعلى من سابقتها ، فوجد ان هذا الحيوان يموت بسرعة اذا لم يعط الماء العادي ، وكما سبق ذكره فان هذا الجرذ لا يشرب الماء ، وعلل هؤلاء الباحثون تلك الظاهرة الغريبة على الحيوان بأن عمليات الهضم والاستقلاب للبروتينات تؤدي الى انتاج مادة البولة ، هذه المادة يزداد انتاجها بزيادة نسبة البروتين الموجودة في الحبوب ، هي سامة للجسم لذلك فانه يقوم بطرحها خارج الجسم ، ويحتاج في ذلك الى كميات أكبر من الماء كلما زاد انتاجها،وطرحها يتم عن طريق الكلية ، والتغذي على مواد جافة جدا يميز بعض الأنواع الحيوانية كالماعز الأسود الموجود عند البدو الرحل في فلسطين،هذا الماعز قادر على اكل القمح اليابس الجاف ، ويعود ذلك الى مقدرته الخاصة على هضم السليوز ، وكذلك قدرته على طرح مادة البولة بصورة مركزة ، وبعض الأنواع من القوارض الرطبة يرتبط وجودهابشكل عام بوجود نبات معين ، فتتواجد حيث توجد وتختفي مع اختفائها ، فالعروة بينهما لا انفصام فيها ، كالجرذ الصحراوي الصغير .

الجرذ الكنغري لا يشرب الماء أبداً .

وهو يتغذى على أوراق وسوق النباتات السرمقية Chenopdiacees(هذه النباتات من ذوات الفلقتين كنبات السرمق)ونبات رجل الاوز الطبي . وهذه الأنواع النباتية متأقلمة مع الحياة الصحراوية ، وتستمد حاجتها المائية من المياه الجوفية الأرضية ، ولا توجد الا في تلك الأماكن،فهي بذلك نباتات دالة على المياه الجوفية ، وهي تمد الجرذ بحوالي ٩٠٪ من حاجته من الماء ، ولهذا نراه يتواجد بالقرب منها بشكل دائم ، فيحفر أوكاره بقربها لينعم نفسه بأوراقها الطازجة وبظلها المحدود . ان القوارض التي تتغذى على الحبوب الجافة ، نادرا ما تتحمل الدرجة العالية من الحرارة ، فالملاحظ أنه اعتبارا من درجة ٤٠ م يبدأ فقدان الماء من جسم الحيوان ، ويتراوح ما بين ١٠٪ و ٢٠٪ من وزن الحيوان بالساعة ، وهذا الفقد يزداد مع ارتفاع درجة الحرارة ، وتعتبر درجة ٤٤ م او ٤٥ م درجة حرارة قاتلة للقوارض ، ومن حسن حظ تلك الحيوانات أنها تختفي في حجورها حين ارتفاع درجة الحرارة ، حيث تجد في هذا الجحر درجة حرارة مناسبة تتراوح ما بين ٢٠ و ٣٠ م والرطوبة العالية والتي تبلغ في بعض الحالات ١٠٠٪ .

وتبدو الجمال أكثر الحيوانات اثارة للدراسة لقدرتها المميزة على تحمل مشاق الصحراء من نقص بالمياه والغذاء وارتفاع الحرارة فيها ، هذه الحيوانات درست من قبل العديد من الباحثين نذكر منهم شميدت ونلسن.هذه المقدرة جعلت تلك الحيوانات سادة المناطق الصحراوية ، والسفن التي تمخر عباب الرمال ، فالجمال تتحمل الجفاف القاسي ، وتستطيع تحمل فقدان المياه من جسمها لدرجة كبيرة ، فتصل الى ٢٧٪ او ٣٠٪ من وزنها . فاذا كان وزن جمل ٣٠٠ كغ فانه يتحمل نقصا من وزنه ٩٠ كغ ، وهذا النقص يكون بصورة ماء .

هذا الفقد في ماء الجسم لا يؤثر في طبيعة السائل الدموي له ، ويكفي عشر دقائق لتعويض هذا الماء ، اذ يستطيع شرب ١٠٠ لتر من الماء خلالها ، وهذه الكمية من المياه تتوزع داخل جسم الحيوان ، وتصل الى خلاياه خلال ساعتين من الزمن ، أما كمية الماء التي يستطيع الجمل شربها ، فقد بينت الاختبارات انه يستطيع شرب ١٦٧ ليترا من المياه على دفعتين ، أو ١٨٦ ليترا على ثلاث دفعات ، اي ما يعادل نصف

وزنه تقريبا ، بينما الحمار الأهلي المحروم من الماء استطاع شرب كمية من الماء تعادل ربع وزنه بدفعة واحدة ، ولكن هذا لا يعني أن الجمل يكون مستودعا للمياه كما في حالة النباتات الصحراوية التي تختزن المياه في سوقها أو أوراقها ، بل يستخدم تلك في عملية التوازن المائي لجسمه وفي تنظيم حرارة جسمه أيضا فقد وجد أن الفرق بين درجة حرارة الجمل في النهار ودرجته في الليل تتغير بشرب الماء ، فكانت لجمل يشرب بشكل اعتيادي يومي ما بين ٣٧ م ٣٤,٥ م ، والفرق بينهما كان يتراوح ما بين ٢ و ٣ م اما درجة الحرارة لجمل محروم من الماء فكانت ما بين ٣٤,٥ م و ٤٠ م وكان الفرق يتراوح بينهما ما بين ٥ و ٦ م . ويتضح من ذلك أن درجة حرارة جسم الجمل متغيرة نسبيا ، فهي ترتفع بالنهار فتصل الى ٤٠ م وتنخفض بالليل لتصل ٣٤,٥ م وهذا التغير يتأثر كما بينا بالماء ، ويعود سبب ارتفاع حرارة الجمل بالنهار الى امتصاص جسمه لحرارة الوسط المحيط ، هذه الحرارة تصرف اثناء الليل دون استعمال الماء في ذلك ، وارتفاع حرارة الجمل في النهار يفيده ، فهو من ناحية يقلل الفرق ما بين درجة الحرارة الداخلية له ودرجة حرارة الوسط به ، ومن ناحية اخرى هذا الارتفاع يكبح استمرار ارتفاع درجة حرارته ، ويلعب وبر الجمل دورا في عملية العزل الحراري فيقلل من التبادل ما بين حرارة الجسم وحرارة الوسط المحيط ، كما تعمل هذه الأوبار على الحد من كمية الماء المتبخرة عبر غدد التعرق الموجودة على سطح الجلد . وكلما ازدادت كمية الأوبار في وحدة المساحة ، كلما كانت عملية العزل أكبر وأعلى .

الجمل والعطش :

وتتجنب الجمال فقدان الماء عن طريق التنفس بالمحافظة على كمية بخار الماء الموجود بهواء الزفير بفضل الاغشية المخاطية الأنفية والمتصفة بقابليتها لامتصاص الماء ، فالهواء المستنشق جاف وحار ويمتص أثناء دخوله الى الرئتين عبر الانف ماء الأنسجة المخاطية الانفية ، هذا الامتصاص يسبب تبريد الانسجة وخفض حرارتها ، وحينما يصل هواء الشهيق هذا الى الرئتين فانه يتش[illegible] بالرطوبة ، وبنفس الوقت ترتفع حرارته حتى تص[illegible] وتعادل حرارة الجسم ، وعند الزفير يحتك هـ[illegible] الهواء بالاغشية المخاطية الانفية الباردة نسبيا وبالتالي فان بخار الماء في هذا الهواء يتكاثف ع[illegible] هذه الانسجة ، وتتناقص درجة حرارة هـو الزفير ، هذا النوع من التبادلات الحرارية والمائ[illegible] موجود عند حيوانات اخرى كالزرافات والحر[illegible] الكنغري ، لكنها تصل عند الجمال الى اعقده[illegible] بسبب نوعية الاغشية المخاطية ، وقد نتساء[illegible] احيانا : كم من الوقت يستطيع أن يبقى الجمل محروما من الماء ؟ ان صيغة السؤال بهذه الصورة ليست دقيقة ، بسبب وجود عدة عوامل تؤثر في حاجة الجمل الى الماء ، فقدرة الجمل تختلف باختلاف الفصول ، فتزداد خلال الصيف بسبب ارتفاع الحرارة وانخفاض الرطوبة الجوية ، وتتناقص خلال شهر الرطوبة شهر الأمطار ، شهر الشتاء البارد . وقدرة الجمل على تحمل العطش تقل اذا كان العمل الذي يؤديه مجهدا ومتعبا . وهناك عامل آخر يلعب دورا كبيرا في قدرة الجمل على تحمل العطش ، وهو نوعية الغذاء الذي يتناوله ، فاذا كان يتغذى على النباتات الخضراء فهذه النباتات ذات محتوى عال من المياه يستطيع ان يسد حاجته للماء منها وعلى العكس من ذلك حينما يتغذى على المواد الغذائية الجافة ، فحاجته للماء تزداد ، وقدرته على تحمل العطش تقل ، فاذا كان الجمل في مراع خضراء وفي فصل الشتاء فان صبره على فقدان الماء يصل الى عدة أشهر ، وهذا ليس بالغريب ، فالانسان حينما يتغذى على العنب او على البطيخ ، او على الخضار والبرتقال ، فانه يستطيع أن يستغنى عن شرب الماء ولو لمدة قصيرة ، اذ ان هذه الأغذية تحتوي على نسبة كبيرة من الماء . وقدرة الجمال على السير وتحمل مشاق السفر لا تقل عن قدرته على تحمل العطش . واخيرا ، يمكننا القول بأن الحيوانات الموجودة في بيئة معينة تبدي بعض مظاهر من التأقلم أو التغيرات المناسبة ، حتى تستطيع العيش فيها ، فالارض معمورة بالكائنات في كل بقعة منها ، وان بدا لنا غير ذلك . □



بعد ١٠٠ سنة على مؤتمر برلين حول غرب أفريقيا

كيف تآمرت المافيا الأوروبية

لتقسيم القارة الإفريقية واستعمار دولها ؟

بقلم : الدكتور أحمد الأمين البشير

مرت مائة سنة على مؤتمر برلين الذي حضرته ١٤ دولة أوروبية في تجمع يشبه تجمع « زعماء المافيا » لتقسيم القارة الافريقية الى مناطق نفوذ ، والاتفاق على قواعد للعبة يلتزم بها الجميع دون اعتبار لمصالح السكان وتطلعاتهم . .
في هذا المقال استعراض لأحداث المؤامرة والأسرار التي صاحبت تنفيذها .

مرت أوروبا الغربية في الفترة ما بين عامي ١٨٨٣ و ١٨٩٦ بما يعرف بالأزمة الاقتصادية الكبرى ، وقد تميزت بانخفاض في الاسعار والارباح وسعر الفائدة ، وازدياد في انتاج السلع المصنعة ، وارتفاع في البطالة ، وذلك بسبب دخول معظم دول أوروبا الرأسمالية عصر التصنيع أو الثورة الصناعية ، بعد ان كانت وقفا على انجلترا فقط .

ولقد نجم عن ذلك ارتفاع في المنافسة بينها على الاسواق ومصادر المواد الخام ، مما قاد الى التخلي تدريجيا عن سياسة السوق المفتوحة . والاتجاه الى سياسة الاحتكار ، وإقامة الموانع الجمركية والسياسية والعسكرية على أسواقها وأسواق مستعمراتها .

قاد هذان التطوران الى التنافس والتكالب على افريقيا ، بحسبانها آخر التخوم التي تقتحمها جحافل الرأسمالية الاوروبية،وطلائعها من مكتشفين ورحالة ومبشرين وتجار . وكان قد قام في كل دولة منها « لوبي » استعماري يمارس ضغوطه على السياسيين والموظفين لحماية المصالح الرأسمالية المختلفة فيما وراء البحار ، وحيازة المزيد من المستعمرات ، واغلاق ابوابها دون تجار الدول الاخرى .

وكان البرلمان البريطاني قد كون لجنة برلمانية لتحري الموضوع ، واقتراح الحلول له في عام ١٨٨٦ ، وقامت اللجنة بدراسة الموضوع ، واقترحت ايجاد المزيد من الاسواق الجديدة في المستعمرات القائمة ، والسعي للحصول على مزيد من المستعمرات الجديدة في افريقيا . وكانت الدول الاوروبية الصناعية الاخرى قد وصلت الى نفس النتيجة بطريقة أو بأخرى ، وقامت لديها حالة عامة تتطلع الى التوسع الجغرافي وترحب به .

وهكذا شهدت الفترة القصيرة بين عامي ١٨٧٦و ١٩١٢ احتلال واستعمار القارة الافريقية (مساحتها ١١,٧٠٠,٠٠٠ ميل مربع) ماعدا ليبيريا (ومساحتها ٤٣,٠٠٠ ميل مربع) والحبشة (ومساحتها ٧٤١,٧٧٦ ميلا مربعا) بواسطة سبع دول أوروبية هي بريطانيا العظمى وفرنسا والمانيا وإيطاليا والبرتغال وبلجيكا واسبانيا (مساحتها مجتمعة ٨٠٢,١٥٦ ميلا مربعا ، أي ما يساوي ٥/٤ مساحة السودان وحده و ١/٣٥ من مساحة القارة الافريقية) .

مراحل الصراع على افريقيا

توصف هذه الفترة بأنها فترة الصراع أو التكالب على افريقيا ، اذ اشتدت المنافسة خلالها بين الدول الاوروبية ، وبلغت مرحلة كان لابد معها من عقد مؤتمر يضع قواعد اللعبة الاستعمارية ، حتى لاتقود المنافسة الى حرب اوروبية يصعب احتواؤ ها .
ويمكن تقسيم فترة التكالب التي استمرت ستة وثلاثين عاما الى ثلاث مراحل هي :
المرحلة الاولى وتمتد من ١٨٧٦ الى ١٨٨٤ ، وقد تم فيها تقسيم القارة الى مناطق نفوذ يعترف فيها المتنافسون فيما بينهم ـ رغم غياب الاحتلال الفعلي ـ بحق وضع اليد للدولة المعنية .
وتمتد المرحلة الثانية من ١٥ نوفمبر ١٨٨٤ الى ٢٦ فبراير ١٨٨٥ فترة انعقاد المؤتمر التي استمرت حوالي مائة يوم ، وهي فترة طويلة لانعقاد مؤتمر حتى بمقاييس تلك الايام . وكانت أغلب الاجتماعات والتسويات قد حدثت خارج أروقة المؤتمر ، ولم تكن مقصورة على غرب افريقيا ، وانما شملت القارة الافريقية بأجمعها .
● أما المرحلة الثالثة فتمتد من عام ١٨٨٥ الى عام ١٩١٢ ، وقد تم خلالها احتلال القارة عمليا ، وتقسيمها الى مستعمرات بين المتنافسين . ولان التقسيم قد تم في الغالب في قاعات الاجتماعات المغلقة في وزارات الخارجية الاوروبية وسفاراتها بين الدبلوماسيين الاوروبيين ، فقد اصبحت الحدود للمستعمرات الافريقية مجرد خطوط مستقيمة لاتحكمها اعتبارات جغرافية أو بشرية أو تاريخية ، ولعل هذا يفسر ماتعاني منه بعض الدول الافريقية في أيامنا هذه من مشاكل الاقليات والحروب الاهلية وانعدام مقومات الأمة الاساسية .

والذي يهمنا في هذه المقالة هو المرحلتان الاولى والثانية اللتان شهدتا انتقال الصراع حول افريقيا من مرحلة التنافس السلمي بين الدول الاوروبية الى مرحلة الاحتلال الفعلي . ويتفق المؤرخون على تطورات ثلاثة ادت الى هذه النقلة ، وان اختلفوا



هكذا كان المستعمرون يسوقون أبناء الارض عبيدا في بلادهم

حول أيُّها أكثر اهمية . وهذه التطورات هي انشاء الملك ليوبولد الثاني ، ملك بلجيكا للاتحاد الافريقي العالمي في عام ١٨٧٦ في بروكسل ، واحتلال انجلترا المنفرد لمصر في عام ١٨٨٢ ، وأخيرا دخول المانيا الموحدة دوامة التنافس على المستعمرات في افريقيا في عام ١٨٨٤ . وقد اعقب كل تطور من هذه التطورات حركة ونشاط أوروبي محموم ، تقفز بالتكالب الى مستوى اعلى من الحدة والتوتر والمؤامرات والتحالفات بين الدول الاوروبية الرأسمالية .

ليوبولد الثاني . . ونقطة البداية

اعتلى الملك ليوبولد الثاني عرش بلجيكا (مساحتها ١١,٧٨١ ميلا مربعا) في عام ١٨٦٥ ، وكان احد الملوك والامراء الذين دعاهم الخديوي اسماعيل لافتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩ ، ولعل ما رآه وماسمعه اثناء تلك الأيام الحافلة بالهرج والاسراف والأبهة والمؤامرات قد أثار انتباهه والهب خياله ، وحرك كوامن طموحه غير المحدود لحيازة جزء من الامكانات والثروات الطائلة السائبة في افريقيا .

في ذلك الوقت كانت تسيطر على الدبلوماسية الاوروبية فلسفة « توازن القوى » على مستوى الدول والاحلاف ، وقد نجحت تلك الفلسفة منذ مؤتمر فيينا في عام ١٨١٥ في تحقيق نوع من السلام النسبي لم تنعم به اوروبا في المائة عام السابقة لذلك . ولقد فطن الملك ليوبولد الثاني الى ثغرات تلك الفلسفة من افتقاد للثقة بين الحلفاء واستعداد للوقوع في حبائل الدسائس والاشاعات فيما يختص بالاعداء . واستغل الملك ليوبولد هذه الثغرات لخدمة اهدافه الى اقصى الحدود وبنجاح مدهش .

وقد تفتق ذهنه في عام ١٨٧٦ عن انشاء الاتحاد الافريقي العالمي ذي الاهداف الانسانية المعلنة ، اما الاهداف الحقيقية فقد كانت انتزاع بقعة غنية مثل مصر يسيطر هو على مقدراتها شخصيا ، بعد أن رفض البرلمان البلجيكي ، لاسباب واقعية ، مساندة مغامرات ومطامع الملك التوسعية من خلال الدبلوماسية .

وجّه الملك ليوبولد الثاني الدعوة الى كبار المكتشفين والجغرافيين والمبشرين والرأسماليين « البراجماتيين » الذين يؤمنون مثله بتحقيق أعلى نسبة من الارباح مع عمل القليل من الخير للتمويه . وكان هدف الاجتماع الاول تكوين اللجنة التنفيذية للاتحاد ، وانشاء اللجان الفرعية في مختلف البلدان الاوروبية ، لاعطائه الصبغة الدولية ، مع سيطرة الملك ليوبولد الثاني عليه . وأبدت الحكومتان الانجليزية والفرنسية تشككهما منذ البداية في الاتحاد وفي نوايا الملك ليوبولد ، وكونت كل منها جمعيتها الجغرافية المنفصلة للقيام باسمها بنفس العمل .

كذلك أن الكامرون محمية المانية وأثار دخول المانيا كطرف في التنافس وبالشكل المتواتر الخطوات الذي حدث به مخاوف جميع الاطراف المعنية ، فلم تكن المانيا من الدول التي يمكن تجاهل مطامعها أو قوتها العسكرية . أما بسمارك فقد بدأ ، بعد ان ارضى اللوبي الاستعماري الالماني ، يحاول الاستفادة من عضويته في النادي الاستعماري واستغلالها في صراعه الدبلوماسي في اوروبا للاحتفاظ بتوازن القوي لمصلحة المانيا . وكان ذلك الهدف شغله الشاغل .

بدأ اولا بمساندة فرنسا في رفضها للاتفاقية البريطانية البرتغالية التي أشرنا اليها آنفا ، ثم اعلن ترحيبه باقتراح البرتغال لتدويل مشكلة الكونغو ، وذهب ابعد من ذلك بأعلان استعداده لعقد المؤتمر في برلين . وفي سبتمبر ١٨٨٤ اجتمع بسمارك بوزير خارجية فرنسا جولس فيرى ، واتفقا على أجندة المؤتمر وخطوطه العامة واهمها : -

● اشتراط الاحتلال العملي بدل ادعاء مناطق النفوذ مما يعطي المانيا فرصة لانتزاع المزيد .

● تحديد الخطوات الضرورية لتأكيد حرية التجارة في حوض نهر الكونغو وحرية الملاحة في حوض نهر النيجر ، وهذا سيخدم المصالح الفرنسية

ولم تجد انجلترا بدا من الموافقة على الاشتراك في المؤتمر خوف الانعزال ، رغم احساسها بالتآمر الفرنسي الالماني ضدها ، ولكنها اعلنت مقدما عن رفضها تدويل المناطق السفلى من حوض النيجر ، وفي نفس الوقت اصدرت اوامرها لقنصلها في لاجوس (ادوارد هويت)للحصول على اكبر عدد من الاتفاقيات مع السلاطين في المنطقة ، حتى تواجه المؤتمر بالامر الواقع . وقد شهدت الاسابيع السابقة على انعقاد المؤتمر خطوات مماثلة من جانب الدول الاوروبية الاخرى للعب « بورقة » الامر الواقع الرابحة .

مؤتمر برلين

تقول المؤرخة الانجليزية سيبيل كراو ان اهمية المؤتمر كانت سياسية ودبلوماسية في الدرجة الاولى ، وتضيف ان اسهامه في مجال القانون الدولي مبالغ



واستمرت الشخصية الأفريقية تحافظ على تراثها برغم المستعمرين

فيه ، اذ ان دراسة مواده تكشف مدى فشلها في تحقيق الهدف الذي صيغت من أجله .

ولعلنا لانبالغ إن شبهنا المؤتمر من وجهة النظر الافريقية بأنه تجمع شبيه بتجمع زعماء « عصابة المافيا » في الولايات المتحدة لتصفية خلافاتهم أو تجميدها على الاقل ، وتقسيم البلاد الى مناطق نفوذ ، والاتفاق على قواعد للعبة يلتزم بها الجميع مستقبلا . لم يخرج مؤتمر برلين عن ذلك فأفريقيا لم تكن سوى ميدان تمارس فيه اللعبة الاستعمارية الاوروبية دون ادنى اعتبار لمصالح اهلها وتطلعاتهم .

حضرت المؤتمر أربع عشرة دولة هي : المانيا وفرنسا وانجلترا والنمسا والمجر وبلجيكا والدنمارك والسويد والنرويج واسبانيا والولايات المتحدة وهولندا

ايطاليا والبرتغال وتركيا . ولم تحضره سويسرا التي علنت حيادها منذ مؤتمر فيينا في عام ١٨١٥ .

أجاز المؤتمر قرارين اساسيّين يقولان بحرية التجارة في نهر الكونغو وحرية الملاحة في حوض نهر النيجر . واشترطت الاحتلال الفعلي واخطار الدول الأخرى بذلك الاحتلال كتابة حتى لايحدث سوء تفاهم . ونجحت انجلترا في الحصول على موافقة المؤتمر على ألا يطبق ذلك بأثر رجعي ، وهو امر لم تكن المانيا وايطاليا سعيدتين به لوصولهما متأخرتين لحلبة التنافس على القارة الافريقية.واغتنمت المانيا فرصة انعقاد المؤتمر وقامت باجازة الاتفاقيات التي حصل عليها المكتشف الالماني كارل بيترز في شرق افريقيا ، واعلنت حمايتها على مستعمرة تنجانيقا « تنزانيا » .

كان الملك ليوبولد الثاني هو فارس الحلبة دون منازع ، فخرج منها بأكبر الغنائم وأهمها وهي الكونغو . وكان قد أعلن اثناء المؤتمر تغيير اسم الاتحاد العالمي للكونغو الى « دولة الكونغو الحرة » ، واعترفت بها الولايات المتحدة اولا ، وتبعتها فرنسا والمانيا لاقتناعها جميعا بأنها ستقف في وجه المطامع الانجليزية .

واشترط المؤتمر ان تصبح التجارة في المستعمرة حرة ومفتوحة للجميع . اما في حالة نشوب حرب بين الدول الاوروبية فيصبح حوض نهر الكونغو محايدا ، وقد اتبع المؤتمر في تدويل نهر الكونغو اتفاقية فيينا ١٨١٥ ، حيث دولت مجاري الأنهار الكبرى في اوروبا .

ولم يفت على المؤتمرين اعطاء المؤتمر صبغة انسانية ، اذ نصت المادة السادسة على تحريم الرق وتجارة الرقيق ، ومراعاة مصالح الأهالي المادية والانسانية،وايصال نور الحضارة الغربية ومنجزاتها اليهم . كما اكد المؤتمر على اعطاء المبشرين والعلماء والمكتشفين وممتلكاتهم رعاية خاصة ، بغض النظر عن جنسياتهم أو أديانهم .

ورغم ان المؤتمر كان للدول الا ان المستشار بسمارك والملك ليوبولد قد لعبا بقوة شخصيتهما وحنكتهما السياسية وفهمهما لطبيعة الصراع الدولي المعاصر ونفوس القادة دورا جوهريا . وخرج بسمارك بأمبراطورية كونها في فترة لاتزيد على العام ، بينما خرج ليوبولد بدولة يفوق حجمها حجم دولته عشرات المرات .

حدد مؤتمر برلين مصير القارة الافريقية ، وباكتمال احتلال فرنسا للمغرب في عام ١٩١٢ وقعت جميع القارة الافريقية ماعدا ليبيريا التي كانت تحت الحماية الاميركية غير المباشرة ، والحبشة التي حمتها مسيحيتها ومقاومتها ، تحت السيطرة الاوروبية.ولم تحم الافارقة بسالتهم ومقاومتهم، إذ كان الصراع بين حضارتين مختلفتين . على المستوى السياسي كانت تمثل اوروبا الدولة القومية بكل امكانياتها وتمثل افريقيا بكل محدوديتها الممالك والامبراطوريات القائمة على التحالف القبلي . اما على المستوى التقني فكانت اوروبا تحارب بالاسلحة النارية الاتوماتيكية ، بينما كانت افريقيا تحارب بالاسلحة التقليدية العتيقة،وكانت النتيجة معروفة مقدما .

الاسلام والتكالب الاوروبي على افريقيا

لعب الاسلام دورا مهما في مقاومة الاحتلال الاوروبي للقارة الافريقية ، الذي تصدى له المسلمون الافارقة بالايمان والصلابة التي لاتقبل الضيم . وكانوا قد رأوا في الاستعمار الاوروبي ملامح الصليبية القديمة تبعث من جديد . وبينما واجهت الممالك والقبائل الافريقية غير المسلمة الاستعمار الاوروبي من منطلق سياسي اجتماعي اقتصادي ، اتخذت مقاومة المسلمين الافارقة له بعدا دينيا هاما ، وتحولت المقاومة الى جهاد في سبيل الله ، ووجدت اوروبا عنتا ورهقا في السيطرة على المناطق المسلمة لم تجده في سواها . ورغم ان المسلمين الافارقة قد خسروا المعركة مثل سواهم من اهل افريقيا الا انهم كسبوا حرب العقائد ، فلقد اعطتهم المواجهة فالهزيمة تلك القوة الروحية الدافعة التي أبقت نار العقيدة متقدة في صدورهم ، حتى بدأت قلاع الاستعمار تتساقط منذ منتصف الخمسينيات من القرن العشرين ، ولم تنجح الادارات الاستعمارية والدوائر التبشرية في اخماد جذوتها ، وتلك ملحمة لايتسع المجال للدخول في تفاصيلها . □



نسيج من التاريخ والأسطورة والعلم

استطلاع : محمود عبدالوهاب
تصوير : أوسكار متري

هذه مدينة لا يمكن أن يكون الانسان محايدا تجاهها .

فهنا أول عاصمة اسلامية للحكومة خارج المدينة المنورة ، وثاني مدينة بناها المسلمون .

هنا مدرسة العلم .. ومقر الامام ، ومهد واحدة من أضخم الحوادث في التاريخ الاسلامي ، وأكثر حركاته تأثيرا على مسار التاريخ كله ..



قبة مسجد الامارة من الذهب الخالص ، والمسجد صلى فيه الامام وفيه استشهد

هذه مدينة يمترج ترابها وتاريخها بالأسطورة والبطولة والشهادة والمجد والعلم . ها هي الكوفة أخيرا بعد ساعتين من بغداد ، مدخل المدينة تمتد على جانبيه مزارع النخيل ، ووجوه الناس فوقها مسحة نبل وحزن ، فالاصوات خافتة هامسة ، والأسود والأخضر راية المدينة وزيها ، والمدينة كلها تتلخص في شارعين طويلين رئيسيين ، تتفرع منهما عدة شوارع جانبية . البيوت قديمة لا يزيد ارتفاع طوابقها عن طابقين شديدة البساطة والتواضع ، وكما تبدأ المدينة محاطة بمزارع النخيل فهي تنتهي بمزارع النخيل أيضا لتبدأ مدينة النجف .

وبين المبتدى والمنتهى تختصر المدينة داخلها تاريخا ثريا . . العودة اليه تعطينا فهما لحزن الناس وخفوت الأصوات .

لغة وتاريخ

سميت بالكوفة . . وكوفة لغة « تجمع » فيقال « تكوف الجند » أي اجتمعوا . فهي كوفة الجند . . أي مكان تجمعهم ، كما يقال تكوف الرمل أي تجمع . . وكل رمل يخالطه حصباء يسمى كوفة ، وكما يقال ان القوم في كوفان أي في أمر يجمعهم ، فالكوفة لغة تجمع ، وهي بنشأتها كانت تجمعا للجند فهي كوفة لهم . . ولكن أي جند . . ؟

أنشأ الكوفة القائد العربي سعد بن أبي وقاص فاتح بلاد الفرس ، وذلك في سنة ١٧هـ ، وهي ذات السنة التي أنشئت فيها البصرة . . وتقول روايات أخرى أنها أنشئت بعد البصرة بعامين . . وآخرون يقولون بل بعام واحد ، فهي انشئت بين أعوام ثلاثة ١٧ أو ١٨ أو ١٩ هجرية،ليس قبل وليس بعد .

وجاء انشاؤ ها بعدما لاحظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هزالا وتغيرا في صحة الجند المسلمين ، فأرسل اليه سعد يقول : « ان جو وبيئة العراق قد أثرت على الجند » فكتب اليه عمر « ان العرب لا يوافقون إلا ما يوافق إبلها » من بلدان ، ثم أوصاه أن يختار « منزلا بحريا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر » وأمر أن تخطط المدينة حول المسجد ، وأن يكون المسجد مركزها ثم دار الامارة ، وأن يختط المسجد على عدد مقاتلي الجيش ، وأن تكون مناهج المدينة أربعين ذراعا ، وما يليها ثلاثين ذراعا ، وما بين ذلك عشرين ، والا تنقص الأزقة عن سبع أذرع ليس دونها شيء والا يرتفع بناء الدور .

فبنيت الكوفة على هذا التخطيط ، مسجدها في المنتصف يسع أربعين ألف مصل ، وبجواره دار الامارة وحولها منازل الجند .

وكان اختيار الموضع الذي بنيت عليه الكوفة متروكا لسعد بن أبي وقاص ومعاونيه ، فاختاروا موضعا قريبا من مملكة الحيرة في عصر ما قبل الاسلام ، هذه المملكة التي اشتهرت بملوكها « المناذرة » وعمالتهم للفرس،ودفاعهم عن أطراف دولة الفرس ، وهذا الاختيار في رأي غالبية المؤرخين له ما يبرره ، ويأتي في سياق قواعد بناء المدن أو تخطيط المدن الاسلامية ، فقد كانت المدن الاسلامية تنشأ في مواقع على قرب من مدن سابقة ، كما هو الحال في البصرة والفسطاط . ولهذا ما يبرره ،فالاقامة في المدن القديمة أمر مأمون حشية انقلاب اهلها أو دسائسهم وغدرهم ، والمدن القائمة لها تقاليد وعادات وبيئة قد لا تناسب طبائع العرب ، أو تدخل اليهم بعضا من الترف في مرحلة كانوا أكثر ما يكونون حاجة الى شدتهم ، ثالث الأمور هو انتشار وانشاء مجتمعات اسلامية جديدة بقيمها وأخلاقها ، وذلك عصب قيام الدولة الاسلامية ، ويرجح هذا المذهب ان انشاء المدن الجديدة تم في عصر عمر بن الخطاب

بنيت الكوفة ولم تكن حروب الفرس قد انتهت ، وكانت أخصاصا من قصب ، وكان أهلها اذا قاموا بغزوة قلعوها وتصدقوا بها ، فاذا عادوا بنوها ، حتى تولى امارة الكوفة المغيرة بن شعبة ، بعد ما عزل ابن الخطاب سعد بن أبي وقاص ، فبنيت المنازل من الطوب اللبن من غير ارتفاع .

وظلت الكوفة مدينة اسلامية هادئة لا يميزها شيء عن بقية المدن ، الا أساطير القدامى والممالك القديمة حول أرضها . . الى أن انتقلت فجأة الى قلب حركة التاريخ وقتئذ ، وساهمت وعايشت واحدة من أكثر حركات التاريخ الاسلامي تأثيرا في الدولة الاسلامية والمسلمين حتى يومنا هذا .



مدير إدارة التربية والتعليم يتحدث عن تطور التعليم بالكوفة

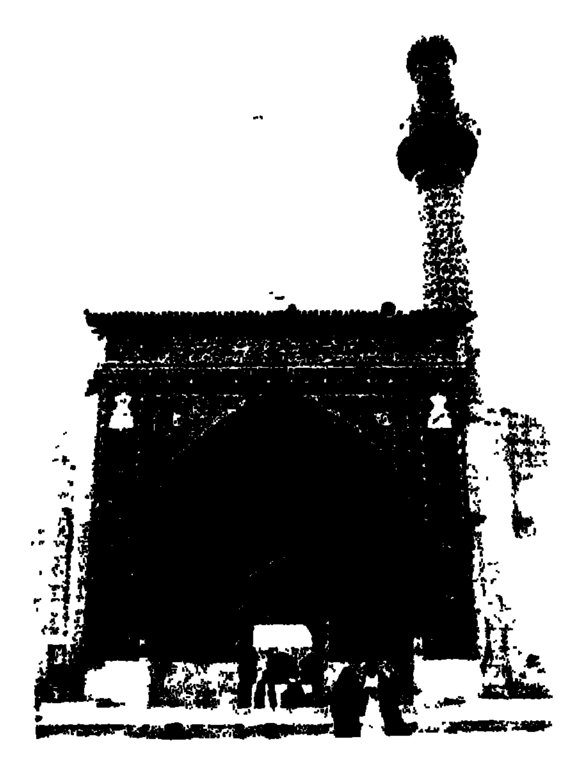
أساطير القدامى

كان لبناء الكوفة بالقرب من مدن وممالك قائمة ، أثر بالغ في انتشار ثقافات خاصة بتلك الممالك والمدن ، وقد كان يجاور الكوفة مملكة الحيرة . مقر حكم المناذرة اللخميين ومملكة الفرس الساسانيين ، ومازالت هناك الى اليوم آثار الخدق الذي بناه « سابور ذو الأكتاف » أحد ملوك الفرس ، في ذات المنطقة التي قامت عليها أرض الكوفة ، كما لايزال باقيا الى اليوم في الأذهان أسطورة « الغريين » وهي أسطورة حولها أكثر من رواية وأكثر من اسم ، ولا يستطيع باحث تاريخي مدقق أن يجزم بصحة شيء فيها ، الا وجود الغريين كليهما ، وانهما هدما في أخريات العصر الاموي وأوائل العصر العباسي والغريان هما قبران قد أقيم فوقهما بناء ، وتختلف الروايات في شخصية من ساهما هل هو المنذر بن امرؤ القيس والمعروف باس ماء السماء ، أم هو النعمان بن المنذر وكلاهما من ملوك الحيرة . ولا يدور الاختلاف حول صاحبها فقط بل ينتقل الى السبب ، فراوية تقول ان ابن امرؤ القيس كان في جلسة شراب ، فأغضبه نديماه ، فقتلهما ، فلما أصبح أفاق وندم ندما شديدا ، فأمر بالصومعتين بعد دفنهما ، وكان له في كل سنة يوماد ، يوم نعيم ويوم بؤس ، وكان يقيم في اليومين بجوار الغريين فمن مر به في يوم نعيمه منحه مائة من الابل ، ومن مر به في يوم نحسه قتله وغرى البناء بدمائه ، ومن هنا عرف الناس الصومعتين « المقبرة » باسم الغريين ، وتتعدد الروايات حول هوية المدفون في القبرين وهل هما فلان وفلان أم هما معنية النعمان وجارية أخرى أم . الى آخر عدد كبير من الأسماء

ولا يهم كثيرا من الباني ولا من المدفون ، ولكن تراث هذه الاسطورة بالمعاني المختلفة فيها باختلافات أسماء البناء . نشر مناخا خاصا للأرض وما حولها فهذا وفاء صديق لاصدقائه يدفعه الى أن يكون بكاؤه وبكاء الناس بالدم ، أو وهذا ذكر الناس للاحباب بأن يكون يوم في العام هم يتذاكرون لوعة الفقد وأسى الابتعاد . فيصبح اليوم يوم بؤس ، وهكذا ، ولم تكن هذه الأسطورة فقط وما صاحبها من أساطير وحكايات فرعية كثيرة تتعدد بتعدد كيفية رواية الأسطورة الأصلية ، بل كان لوجود عدد من أديرة النصارى والرهبان والراهدين وقصص وتراث عنهم يتواتر بين القائمين على خدمة الأديرة والساكن فيها وأهل المنطقة الأصلية . وكان هذا كله أثر في خلق مناخ لوجدان عام للكوفة وأهلها ، يتميز بالنبل ورهافة الحس وشفافية الوجدان والعاطفة .

ولعل ما زاد في تعميق الأمر أكثر أن جيش خالد ابن الوليد ثم جيش سعد بن أبي وقاص كانا يضمان عددا كبيرا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن أكثر الصحابة تأثيرا واحتكاكا بالناس ومساهمة في تعميق هذه الأحاسيس والمشاعر هما الصحابي خباب بن الأرت ، الذي عاش بالكوفة حتى مات ودفن بها ، وهو أحد السابقين ، وكان يعذب في الجاهلية بالحرق ، والصحابي الجليل وقارىء رسول الله عبدالله بن مسعود ، وكان رضي الله عنه على رقة عوده وضعفه صاحب صوت . وعنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أراد أن يسمع القران رطبا فليسمعه من ابن مسعود » .

وهكذا ساهمت حضارات قديمة وعوامل من حياة جديدة في صياغة وجدان مدينة قائمة من أساسها على



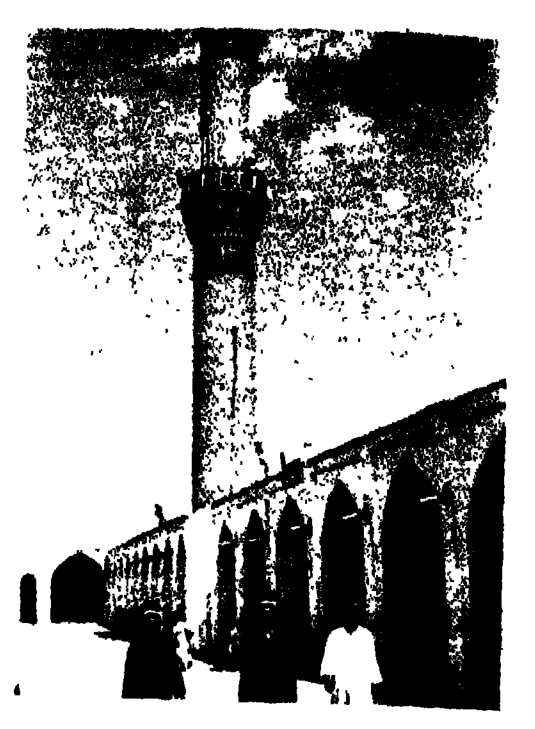
مسجد الامارة مازال سوره القديم كما هو ، واضيف اليه كثير من التجديدات .



مصلى ومقام الامام جعفر الصادق في جامع السهلة ، والزوار يدعون الى الله تبركا وقربى .



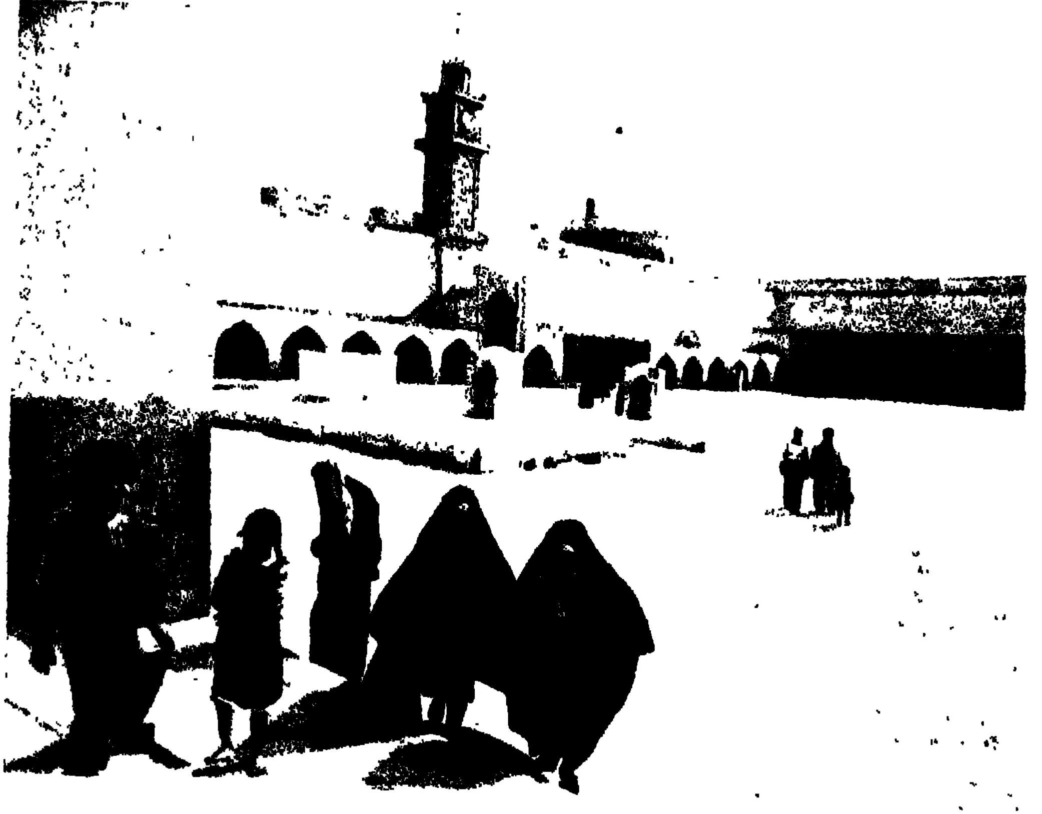
بقايا خندق الكوفة الذى كان يحيط بالمدينة ، وما زالت بقايا القنطرة كاملة .



مسجد السهلة . . يقولون أن به مصلى الأنبياء ابراهيم ونوح وادريس .



طالبات يدرسن الفقه في كلية الفقه أحد معالم المدينة .



من كل الأقطار والبقاع يتوافد زوار مسجد السهلة رجالا ونساء .

أنها فداء الله ، سكانها تركوا قبائلهم ومواطنهم ، وجاءوا يرفعون راية دين الله ، وينشرون رسالته ، مدركين وباقتناع بأنهم قد لا يعودون ، ويقبلون هذا برضى الشهداء ، فكانوا كما يقول ويروى عنهم ابن عباس : يتصدقون ببيوتهم قبل الغزو واذا عادوا بنوها ، كي يكون آخر ما فعلوه بدنياهم صدقة تطهرهم وتقربهم من الله عز وجل ، الذي نذروا أنفسهم فداء له ولدينه فهم الشهداء الاحياء .

وهذا وحده كان كافيا ليشكل وجدان وثقافة المكان . . المدينة .

عصر الإمام

منزل أبيض صغير على مقربة من بقايا دار الامارة ومسجد الكوفة . . هذا هو بيت الامام علي ـ عليه السلام ـ مازال قائما بنيانه . . ومازالت البئر التي في وسط الدار تصخ ماءها ومازال المكان الذي غسل فيه بعد استشهاده قائما ومازال حزن الناس وبكاء الاطفال والنساء ودعاء الرجال له رطبا حارا كأنه لقي ربه فجر اليوم .



زراعة النخيل احد النشاطات الرئيسية .

كان خروج الامام علي لموقعه الجمل قرب البصرة ، ثم استقراره في الكوفة ، بمثابة نقل للخلافة من المدينة المنورة مقر رسول الله وخلفائه أبي بكر وعمر وعثمان الى الكوفة لتصبح أول عاصمة للحكومة الاسلامية خارج المدينة ، وكانت ظروف الفتنة الكبرى ومقتل عثمان رضي الله عنه وصراع وطمع معاوية في الخلافة ضمن أهم الأسباب التي دفعت الامام علي الى الاستقرار بالكوفة ، ليكون أكثر قرب من الصراع الذي كان هو أحد أطرافه ، ليبدأ بذلك جزء هام من تاريخ مدينة الكوفة تؤرخ به ، وامتد أثره في تاريخ المدينة لمدى طويل .

كان أهم سببين للثورة على عثمان الاغراق في ملذات الدنيا،وحظوة أقاربه مما أثار حفيظة فقراء المسلمين ، ولذا فقد كان جمهور الثائرين عليه من فقراء المسلمين والرعاة والعبيد ، والسبب الثاني هو ابتعاد عثمان وكثير من ولاته عما كان يسنه رسول الله في الحكم ، ووفق ما حكم به أبو بكر وعمر ، ولذلك فقد كان أتباع علي هم الفقراء والقراء والحفاظ وكثير من الصحابة الذين كانوا يرون في سياسة عثمان ابتعادا عن سنة رسول الله ونهج الراشدين أبي بكر وعمر .

وتجمع هؤلاء في الكوفة مع امامهم . . وكانت النتيجة شديدة الاثارة والعجب ، فعلى المستوى الحضاري والعلمي عرف تاريخ الفكر الاسلامي . . مدرسة الكوفة وهي مدرسة قائمة بذاتها في الفقه ، وينتسب اليها نمط من خط الكتابة العربية ، وفيها وضعت أولى قواعد علم النحو والصرف ، فقد لاحظ الامام عليه ـ السلام ـ أن لغة العرب أصابها اللحن لاحتلاطهم بالاعاجم ، فدعا اليه أبا الأسود الدؤلي وقال له ، اكتب ما أملي عليك . . كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ، وان الاشياء ثلاثة ظاهرة ومضمرة ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر (يعني اسم الاشارة) . . ثم قال لابي الاسود انح هذا النحو يا أبا الأسود . . فعرف علم النحو ، أما الفقه فإمامه الأشهر أبو حنيفة النعمان الذى تتلمذ في الكوفة على يدي الامام الاكبر جعفر



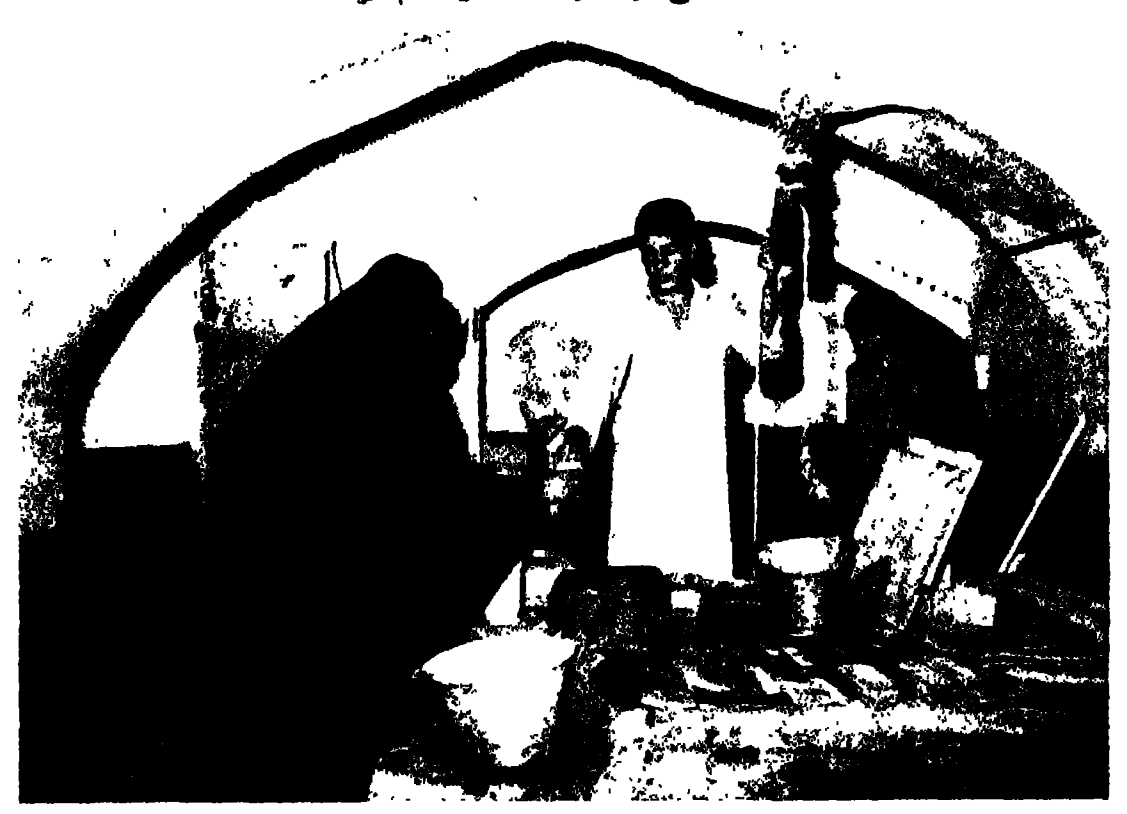
من الهند والباكستان جاؤوا يزورون المسجد والمدينة .

الصادق عليه السلام ، وعلم الكلام ينتهي أساس وضعه الى الامام علي رضي الله عنه لا جدال ، وعلوم الصوفية « كعلم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف» تنتهي نسبتها إلى علمائه « كالشبلي والجنيد والبسطامي ومعروف الكرخي . . »كلهم ينتسبون الى مدرسة الكوفة ، وجابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء والكندي ينتمون الى ذات المدرسة ، وتأتي أهمية مدرسة الكوفة العلمية الى أنها ظلت لفترة تعبيرا عن اتجاه فلسفي في الفكر الاسلامي ، أرساه ورسخ قواعده الامام علي ، فهو قد جعل الدين موضوعا من موضوعات التفكير والتأمل ، ولم يقصره علي رضي الله عنه على العبادة واجراء الأحكام ، ومن هنا فان ابتداء النظر والتأمل الفلسفي في الفكر الاسلامي يبدأ بمدرسة الكوفة العلمية ، وبعصر الامام علي ، وهو ذات العصر الذي شهد بدايات واصول كل الفرق الاسلامية من شيعة وخوارج الى القائلين بعودة رسول الله صلى الله عليه وسلم»وان عليا أمين على الدعوة حتى عودته ، الى القائلين بتناسخ الأرواح ، وكثير من الاعتقادات والفرق التي مازالت فروعها واستمرارها قائما الى يومنا هذا .

وعلى النقيض من هذه النتيجة الباهرة على المستوى العلمي والحضاري كانت النتيجة السياسية ، فقد ظهرت الانشقاقات بين أتباع الامام ، إما لتطرف أو غلو في التفكير فاتهمه البعض بالمروق والكفر ، بينما رفعه بعض الغلاة الى مصاف الأنبياء وان جبريل قد اخطأ الوحي ، وإما لأن معاوية اشترى واستمال منهم من قدر عليه ، ولأن الصراع كان بين مثل أعلى وإمامة دين ومبدأ ضد دنيا ومال . . فان نتائج السياسة لم تكن على وفاق مع المثل الأعلى . . وجاء اغتيال الامام وهو يؤدي صلاة الفجر ، ليضيف بعدا مأساويا على المدينة ، ويزرع بها حزنا لا ينتهي مازال الى اليوم رطبا حارا ، وكأن الامام استشهد صباح اليوم فقط .



مسجد الامارة . . وأفواج الزوار يزورون مصلى الامام علي حيث استشهد .



بئر الماء في صحن بيت الامام علي عليه السلام مازال يضخ ماءه ، ويأتي الزوار يشربون منه ويمسحون وجوههم حبا وبركة


هنا كان يجلس الامام الاعظم
جعفر الصادق وصار موصع
جلوسه وصلاته مزارا وتبركا

المدينة الدينية

لم يكن استشهاد الامام آخر الثمار المرة في فم الكوفة ، فقد شهدت طرقاتها مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وهو يسحب الى دار الامارة ، ويلقي به من فوق القصر الأبيض ، وشهدت رأس الحسين بن علي محمولا فوق رمح وخلفه عقيلات البيت الطاهرات يسرن حفاة ، وباستشهاد الحسين حسم الصراع ، وبدأت الكوفة تشهد عصرا من الاضطهاد . . مما جعل شجرة الحزن ترتوي ، وعلى فترات متباعدة كانت تلمع شخصيات تنير الطريق ، أوتحيي مدرسة الكوفة،فظهر الامام جعفر الصادق الذي يقول عنه أحد الرواة:دخلت الكوفة وفي مسجدها كان في مجلس الامام جعفر ٩٠٠ عالم ، واليه ينتهي مصدر تحديد قبر الامام علي ، الذي ظل سرا يحتفظ به خاصته وذووه خشية التمثيل بالقبر .

وخلال الاضطهاد الذي دام فترة حكم الأمويين (٤٠ - ١٣٢هـ) شهدت الكوفة محاولات الانتفاض أشهرها وأعمقها أثرا في الفكر الاسلامي ثورة زيد بن علي الذي ورث عن جده الامام الحسين الفصاحة والخطابة ، وقد نشأ بالمدينة المنورة ، واختلف مع الامام جعفر الصادق ، وقاد التيار الثائر من آل البيت ، وهو التيار الذي رفض الوقوف عند حدود الامامة الدينية ، وآثر العمل السياسي الثوري ضد الأمويين ، وفعلا بايعه كثير من الناس سرا في عام ١٢٠هـ ، وفي عام ١٢٢هـ أعلن ثورته في الكوفة ، فقاتل معه المعتزلة وانصاره وأهل بيته ، وهزم ومثل الامويون بجثمانه،ثم حمل ابنه يحيى رسالته، واتخذ الكوفة مقرا له ، وجمع آثاره وجهوده الفقهية التي تعد أساس المذهب الفقهي للشيعة الزيدية .

ولم يخفت الاضطهاد ويهدأ الا في عصر العباسيين ، وابتنى هارون الرشيد قبة لضريح الامام علي وعرف المكان باسم المشهد ، وسمح بزيارته هو وقبر الامام الحسين علنا وجهرا ، وتركت المدينة أخيرا - منذ ذلك الحين - العنان لحزنها ودمعها أن ينطلق .

كانت ظروف الكوفة منذ نشأتها بموقعها وقربها من الفرات عاملا على استقرار السكان ، الا ان التغيرات والعوامل السياسية جعلت المدينة مسرحا لحركة التاريخ ، ورغم ان الناس مارسوا نشاطا اقتص[ـاديا] متميزا قصروه في بادىء الأمر على الزراعة ، الا [أن] هذا النشاط سرعان ما تقلص وظهرت نشا[ط] الغزل ، فنسجوا غطاء مميزا للرأس إبتدعوه وسمي باسم المدينة « الكوفية » وكان الغزل والن[سيج] وزراعة النخيل والشعير والارز أهم السم[ات] الأساسية للنشاط الاقتصادي ، ومع توازن وانته[اء] العداء الأموي وبعض التحفظ من قبل بعد[ي] العباسيين ، بدأ دور المدينة الدينية في الظهور ، فأنشئت المساجد ووسعت وأقيمت الأضرحة ، وبنيت القباب ، وأصبحت المدينة بالاضافة الى مدينة النجف الاشرف التي تبعد عنها مسافة لا تزيد عن كيلو متر واحد . . اصبحتا مزارا رفيع المكانة لجمهور المسلمين عامة والشيعة باختلاف فرقها خاصة ، حتى بلغ الأمر أن يأتي الناس الى المدينة للصلاة في مسجد الامام علي وزيارة بيته ، وزيارة مشهد الامام الحسين سيرا على الاقدام ، وليس هذا فقط ، فالثابت تاريخيا أن الامام عليا أوصى بأن يدفن في ذات المكان الذي دفن به وأن خباب بن الأرث قد دفن بأرض بظهر الكوفة تسمى « بالثوية » ومن هنا فان هناك آلافا من موتى المسلمين من جنسيات مختلفة وبلاد مختلفة يوصون أن يدفنوا بذات المكان ، فيحملهم أهلهم وذووهم للدفن في الأرض الطهور حيثما أوصوا .

هذه العوامل كلها مع الحزن الموروث في المدينة مع ثقافتها ووجدانها الخاص تسهم في خلق ما يعرف « بالمدينة الدينية » والتي يمتد تأثيرها من الثقافة والسلوك الى التأثير في ظهور نوعيات من المهن ، وتغلب لنوع من النشاط الاقتصادي ، فعرفت الكوفة أنواعا من النشاط الاقتصادي لتلائم الزيارات الدينية ، فبدأ سكانها - على قلتهم - يتجهون الى نشاط الخدمات ، ليقابلوا حاجات الوافدين ، فانتشرت محلات الأطعمة والمشروبات والباعة الجائلين أمام المساجد والمزارات المقدسة ، يبيعون الثياب والعقود والمصاحف والليمون . . وكل شيء ، ومعهم عدد من السائلين والطالبين للصدقات ، حيث يطيب للزوار الوفاء بالنذور والتصدق في هذه الأماكن . . هذا التأثير لم يتسع نطاقه كثيرا ، صحيح أن الكوفة بذلك أصبحت بؤرة



الطريق الرئيسي في الكوفة تتفرع منه شوارع جانبية تحدد معالم المدينة

جذب ، لكن صغر المدينة النسبي (شارعان رئيسيان طوليان تتخللهما شوارع جانبية) لم يتح الفرصة كثيرا لقوى البشر أن تنجذب الى هذا النشاط الاقتصادي ، ولعله مما ساعد في ذلك قوة الضغط الادارية في السنوات الأخيرة لضمان عدم التسرب من مرحلة التعليم الاجباري ، بالاضافة الى توسيع نطاق التعليم وانشاء معاهد مهنية ، بالاضافة الى التعليم العام ، وكان انشاء كلية للطب بجوار كلية الفقه نوعا من أنواع التوجيه الاجتماعي ، لتقليل ظاهرة التسرب الى نشاط الخدمات والتحول الى نشاط انتاجي .

ولعل قراءة أرقام الطلاب في مراحل التعليم المختلفة يؤكد هذا المعنى ، ولكي نتابع الرقم فانه يحسن أن نوضح الصورة اداريا ، تقع مدينة الكوفة في محافظة النجف ، التي تنقسم اداريا الى قضاء النجف وقضاء المناذرة وقضاء الكوفة ، وكل قضاء يتكون من المدينة التي يسمى بها وعدد من القرى التي تتبعه اداريا ، وفي هذا الضوء فان عدد الطلبة في المرحلة الابتدائية بقضاء الكوفة يبلغ ٢٧ ألفا و ٦٩٨ طالبا منهم ١٤ الفا و ٥٧٩ ذكورا و ١٣ الفا و ١١٩ اناثا . ويبلغ عدد الطلبة في المرحلة الثانوية ٧ الاف و ٧٧٧ طالبا منهم ٥ آلاف و ٢٤٢ ذكورا والفان و ٥٣٣ اناثا . ويبلغ عدد المدارس في قضاء الكوفة ٣٩ مدرسة ابتدائية ، ١٩ منها بنين و ٢٠ بنات ، و ١٢ مدرسة ثانوية للبنين وخمس مدارس للبنات ، بالاضافة الى ست روضات أطفال .

رغم كل هذا فانه يبقى للكوفة سمات ومعالم المدينة الدينية ، فهي مرار ومحطة لسفر المسافرين الى العتبات المقدسة بالنجف الأشرف ، وهي بداية



أطلال وبقايا قصر الامارة .. مازالت القوائم كما كانت ، من فوق هذا القصر ألقى زياد بن أبي مسلمة ابن عقيل .

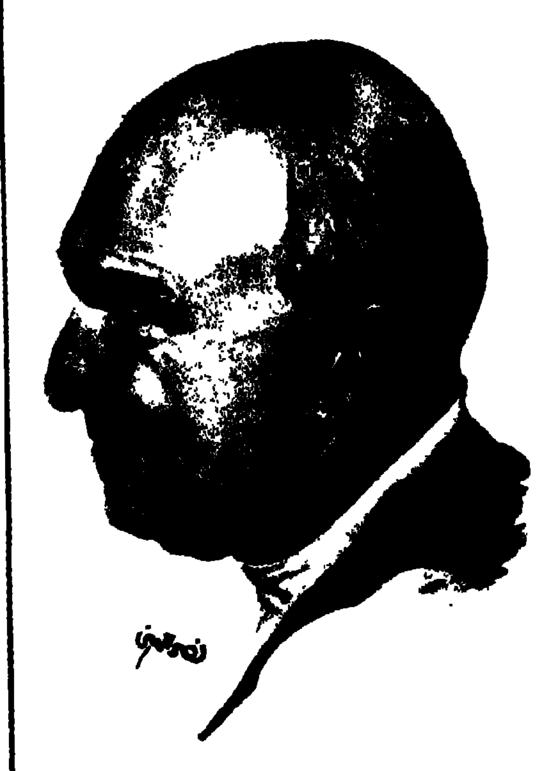
البوابة الى عالم العتبات .. وبها يبتدىء الزائر للعتبات ، وعندها ينتهي تماما كما ابتدأنا وانتهينا .

المبتدى والمنتهى

عند أول المدينة ووسط مزارع النخيل ينتصب مبنى كلية الطب ، الذي كان استراحة سابقة للملك فيصل في عهد الملكية ، وبعد المبنى والمزارع . تقوم صوامع تخزين الحبوب والتمور مقابل نهر الفرات ليسهل نقلها بوسائل النقل النهري .. ويمتد الشارع الرئيسي بعد ذلك بالبيوت والمنازل البسيطة على جانبيه ، حتى يفضي بك الى ساحة مسجد مسلم بن عقيل الذي صنعت قبته من الذهب الخالص .. ثم بعد مسافة قصيرة نصل الى مسجد الكوفة الذي مازال يحتفظ بذات سوره القديم .. وداخل المسجد يتوافد الزوار على الصلاة والدعاء في ذات المكان الذي ضرب فيه الامام علي وهو يصلي الفجر .. وبعد سور المسجد تقع بقايا عمارة دار الامارة ، التي لم يبق منها الا قواعدها في الأرض ، وبجوارها مباشرة دار الامام علي . الناس تدخل وتخرج باكية ، على يسار المدخل غرفة الحسن والحسين ، وفي باحة الدار الغرفة التي غسل فيها الامام ، وداخل الدار وامام غرفته بئر ماء لم تنصب بعد ، يجلبها ويوزعها صبي في العاشرة ، ويتوافد الزوار حريصين على أن يشربوا من ماء البئر ، ويمسحوا بمائها على رؤوس أطفالهم ووجوههم ، وعلى الجانب الآخر من المدينة يقع مسجد « السهلة » وهو مسجد بالغ الاتساع ، تقول لوحات الرخام الرسمية على جدرانه ـ كما ويؤمن الناس أيضا ـ ان هذا الموضع الذي بني فيه المسجد يحوي أماكن صلاة وعبادة سيدنا ابراهيم ابي الانبياء وابنه اسحق ومصلى ادريس ونوح وهود وصالح ومهبط آدم عليهم السلام وبه مصلى الامام جعفر الصادق ، وهو واحد من الأماكن التي يحرص الزوار على زيارتها والصلاة بها .

في رحلة العودة يصحبنا زوار أتموا الزيارة بترتيبها الكوفة فالنجف ، وعلى وجوههم مسحة رضا وايمان وتحية وداع للامام ، ونلتقي بزوار قادمين يملؤهم شوق وعيونهم باكية والسنتهم تلهج بقراءة السلام ... هاتفة السلام عليك ياامام الحق .. ياكبير القلب .. ياعظيم المقام .. وتتوالى أفواج الزوار للمدينة (التاريخ) التي يمتزج ترابها وتاريخها بالأسطورة والبطولة والشهادة والمجد والعلم . □

وجهاً لوجه





جان ديزانتي و أحمد الشيخ

****

* لم يعد ممكنا أن يظهر اليوم فلاسفة يعيدون الامساك بكل وجوه الثقافة .

* ثقة بعض الناس في المعرفة العقلانية كفّت عن أن تكون مطلقة .

* نعم ، الفن يمكن أن يكون طريقا للخروج من أزمة العقلانية .

* المهمة الجوهرية للفلسفة هي النقد طوال اليوم .

* على الفيلسوف أن يتدخل في القضايا السياسية ولكن دون مساومة .

****

ح

« وجها لوجه » تخرج « العربي » هذه المرة من محيطها الى افق عالمي شاسع . والحوار هذ

المرة مع الفيلسوف الفرنسي المعاصر جان توسان ديزانتي ، الذي يعتبر أحد ابرز الاسماء في ساحة

الفلسفة الفرنسية المعاصرة .

يجري المقابلة ، أحمد الشيخ ، الكاتب العربي الذي يدرس الفلسفة في جامعات فرنسا ، حيث

حاوره حول مجموعة من التساؤلات الخاصة بوضع الفلسفة الفرنسية اليوم .

ماهي الحالة التي وصل اليها الفكر الفرنسي اليوم ؟ هل فقد ريادته التي كان يتمتع بها سابقا خاصة بعد رحيل جيل العمالقة من أمثال سارتر ولاكان وريمون آرون وغيرهم ؟ .

وهل صحيح أن هناك ظاهرة انسحاب الفلسفات العلمية والعقلية في الغرب كما في الشرق ، أمام فلسمات اللاهوت والروحانيات ؟ ثم ما هي أزمة العقلانية المعاصرة وكيف يمكن الخروج منها ؟ ماهي علاقة الفلسفة بالسياسة والصحافة ؟ وما هو الدور المتبقى للفيلسوف في المجتمع المعاصر ؟ ...... عن هذه التساؤلات ، وغيرها ، أجابنا الفيلسوف المعاصر جان توسان ديزانتي الذي يمثل مع ميشيل فوكو وجاك دريدا أبرز الاسماء اللامعة في ساحة الفلسفة الفرنسية المعاصرة .

تتنوع اسهامات هذا الفيلسوف عبر حقول نظرية المعرفة وتاريخ الفلسفة والفلسفة السياسية .

بدأ حياته الفكرية داخل الحزب الشيوعي الفرنسي ، ثم انفصل عنه بعد أحداث المجر ، ليتجه بعد ذلك نحو العلوم الدقيقة ، وفلسفة العلوم والرياضيات والمنطق ، يعمل حاليا استاذا للفلسفة الحديثة والمعاصرة بجامعة السوربون ، من أهم مؤلفاته : مقدمه في تاريخ الفلسفة ، مدخل إلى الفينومينولوجيا ، النماذج الرياضية ، الفلسفة الصامتة ، الفيلسوف والسلطات (كتاب مقابلة معه) ، وأخيرا ، (مصير فلسفي) وهذا نص الحوار الذي أجريناه معه :

هل هناك فلاسفة ؟

● يتحدث البعض ، بنوع من القلق ، حاليا حول حالة الفكر الفرنسي بصفة عامة ، وأنه لم يعد يتمتع بتلك المكانة التي كان يشغلها سابقا ، وتتزايد هذا القلق خاصة بعد رحيل جان بول سارتر دون أن يبرز اسم آخر على نفس الدرجة من الأهمية ، بل هناك من يتحدث عن حالة من الضعف والانهيار أصابت الفكر الفرنسي في مجمله . كيف تنظر لمثل هذا النوع من التساؤل القلق ؟

- منذ وفاة سارتر ، اعتقد أنه لا يوجد أحد قد شغل المكانة التي احتلها ، كما لا أعتقد أن هناك من يقوم بذلك ، لكن هذا لا يعني أن الفلسفة الفرنسية غائبة . هناك نوع من الانتقال في طبيعة الاهتمام أو الجهود المبذولة . فالجهود الفلسفية الموجهة نحو تأسيس المعرفة في أصولها الأولى ، قد استنفدت أغراضها ، لا اعتقد أنه يوجد في فرنسا ، أو في أي مكان آخر ، فلاسفة بالمعنى التقليدي للكلمة ، أي الفيلسوف الذي يأخذ على عاتقة مهمة تأسيس كل التشكلات الثقافية في كل الميادين . في الوقت الحاضر ، لا يمكن القول أن هناك شخصاً مثل هسرل ، أو حتى ماكس فيبر . لم يعد ممكنا أن يظه اليوم فلاسفة يعيدون الامساك بكل عالم الثقافة . ل صار الفكر اقليميا ظرفيا يبحث في قضايا محددة

داخل حقل محدد . وقد أخذ الفكر الفرنسي الذي لا ينبغي أن نقصره على الفلسفة في شكلها التقليدي بهذا الاتجاه منذ وقت طويل بدءا من الستينيات في أعمال بارت وفوكو ودريدا . فيما يتعلق بالفلسفة بالمعنى المهني للكلمة ، أي الناس الذين ينتجون ما نسميه فلسفات في الجامعات ومراكز الابحاث ينبغي أن نلاحظ ان ما يوجد منها في فرنسا لا يعتبر غريبا عما هو موجود في انجلترا أو المانيا أو أمريكا ، والاختلاف يعود الى الطريقة التي نشأ وتكون بها الفلاسفة في فرنسا . فالفلاسفة لدينا لايهتمون كثيرا بالمنطق أو الرياضيات أو ما يسمى بالعلوم الدقيقة ، وجهتهم تسير أكثر نحو ما يسمى بالعلوم الانسانية ، وهذا ما يفسر أن الفلسفة الفرنسية ، تبدو في الخارج ، كما لو كانت ، الى حد ما ، مغلقة على نفسها وتقاليدها ،

● لكن ، في السابق ، كان هناك ما يمكن أن يكون أولوية أو ريادة للفكر الفرنسي في العالم الغربي ، هل انتهت نهائيا هذه الريادة ؟

ـ الفترة الكبرى لريادة الفكر الفرنسي كانت في القرن الثامن عشر ، انتقلت هذه الريادة الى المانيا مع بداية القرن التاسع عشر ، واذا كان هناك حديث عن الفلسفة فانها كانت تصنع في المانيا ، وما تطور من فكر في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية كان كرد فعل ، ووجدت الفلسفة الفرنسية جذورها في المانيا ، في فينومينولوجيا هيجل وبدأت تظهر أنماط ومعالجات جديدة لهيبولیت وكوجيف كان ذلك ردا في واقع الامر ، على ما كان سائدا من ممارسة فلسفية متحجرة في بعض الاوساط الجامعية

الفيلسوف جان توسان ديزانتي يحاور احمد الشيخ

وربما هذا ما يعطي البعض الانطباع بحالة التأخر التي تنتاب الفكر الفرنسي . وحتى في حالة التأخر هذه فهذا لا يعني خسارة كبيرة بالنسبة للفكر ، لأننا في هذه الحالة نفكر ونتفتح تجاه أماكن أخرى ومفكرين آخرين في حقول الفكر والتاريخ والسياسة ، وبالتالي أرى أنه ليس هناك ما يدعو لليأس أو القلق ازاء مصير ومستقبل ما يمكن أن نسميه الفكر الفرنسي .

أزمة ثقة

● يلاحظ انه خلال السنوات العشر الماضية كان هناك نوع من العودة الى اللاهوت ، والتخلي عن الفلسفات العلمية والعقلانية . هذه الظاهرة لا

تنطبق فقط على ما أطلق عليه « الصحوة الاسلامية » ، بل نجد ملامح في الغرب أيضا ، وفي فرنسا بالذات نجد الدعوات اللاهوتية ، يهودية أو مسيحية ، تشغل مساحة لا بأس بها من مجمل الحياة الثقافية والروحية . فهل تنظر الى هذه الظاهرة على أنها ظاهرة حقيقية ؟ واذا كان الامر كذلك فكيف تفسرها ؟ وكيف تنظر الى الدلالات التي تشير اليها في بلد كفرنسا ، له تاريخ وتراث كبير في الدعوة للفلسفات العقلانية . . . ؟

ـ أعتقد أن ما تشير اليه يعود بشكل عام الى واقع عدم رضا كثير من الناس عن حياتهم في قلب المجتمع المعاصر ، انهم يعملون نفس الاشياء المرتبة والمنظمة في أوقات محددة . يعيشون في حياة مرتبة ومنسقة بشكل مرعب ، لذلك يبحثون عن الرضا داخل كل ما هو ليس في القاعدة أو النظام . يبحثون في الهامش ضد الاشكال العقلانية . يبحثون عن الرضا في الخيال ، في بعض أشكال الخيال ، لكن ما الذي يغذي الخيال أكثر ؟ انه اللاهوت والمقدس . اذن ، فالناس ، أو بعض الناس ، يبحثون في هذا الاتجاه نظرا لعدم احساسهم بالرضا ، طالما ظل لديهم انطباع بأن ما يحدث في العلم العقلاني لا يخصهم مباشرة بل يسعى لتهديد مستقبلهم من جهة أخرى ، لا أريد أن يفهم مما أقول أن هناك أزمة في العلم والمعرفة ، لكن أريد أن أشير ببساطة الى أن ثقة بعض الناس في المعرفة العقلانية كفت عن أن تكون مطلقة . هنا نحن أمام ظاهرة عدم ثقة تعود الى أن الاكتشافات والتقنيات لم يعد مسيطرا عليها . فالعلم قد صار أكثر تعقيداً . كما لم يعد غالبية الناس يفهمون القواعد التي يملكها رجال العلم أو يتبعونها في عملهم . او بتعبير آخر انهم يتساءلون عن هدف العلم ومصيره وما يمكن أن يؤدي اليه من تهديد لمجمل البشرية عبر حرب نووية . فضلا عن تزايد وعي الناس بهذا العامل ، هناك أيضا على الجانب الأخر ، الفلسفات العقلية الكلاسيكية التي كانت ترسم صورة منجزة وتامة للعالم ، لم تعد ممكنة التحقق بدورها ، في مواجهة تنوع المعرفة والممارسة والواقع .

فهناك ادراك متزايد لا أقول فقط بعدم كفايته بل بتحجر بعض التصورات عن العالم التي تقدم تفسيراً أو صورة لا تسمح بهروب أى شيء منها . لذلك فقد حدث أن الناس ، بدلا من تبني العقلانية ، شكّوا فيها وفي هذه الحالة يكون الطريق أمام اللاهوت أكثر اغراء .

دور الفلاسفة

● **كيف يمكن ، في تصورك ، الخروج من أزمة الفلسفة العقلانية دون الالتجاء لاغراءات اللاهوت والمقدس والخيالي ؟**

ـ أعتقد أن ذلك دور ما يمكن أن نسميه بالفلسفة، لكن ليس فقط بالمعنى المهني للكلمة هناك دور متواضع وبطيء يمثل التزام عمل أجيال نحو تأسيس أشكال للمشاركة في المجتمع . هذه المشاركة توجد في اللاهوت وفي الطقوس والعقائد التي تشكل رؤية موحدة وعامة بين الناس ، حيث كل واحد يتعرف على الآخر ، لكنها غير مؤسسة في الجسم الاجتماعي . إذن ينبغي إثارتها ، وهنا فإن على الفلسفة والفكر بشكل عام أن يثيرا هذا الشعور بالمشاركة ، واقتسام الحياة بين الناس ، حتى لا يشعر أحد بأنه غريب عن العالم وعن الآخرين الذين يحيطون به في مجتمعه . هذا هو دور الفيلسوف ، أى تمهيد الطريق من ميدان لآخر ، وتأسيس أشكال ومبادىء للمعرفة غير منغلقة على نفسها ، بل يمكن أن تمر بين الناس العاديين . بالطبع هذا شيء مثالي ، وليس من المتوقع تحقيق ذلك حتى النهاية . لكنه ، على أي حال واحد من أكبر الأدوار الواقعة على عاتق الفلسفة في المجتمع المعاصر ، من خلال نشر وتوزيع أسس المشاركة والاقتسام بين أكبر قدر ممكن من الناس .

● **للخروج من أزمة العقلانية تقول إحدى المدارس الكبرى في الفكر الانساني المعاصر ، مدرسة فرانكفورت ، بأن الحل يوجد عن طريق الفن . ما رأيك ؟**

ـ نعم الفن يمكن أن يقوم بذلك شرط أن يكون منتشرا أولا ، وأن يتمكن الناس من إدراك معنى

ومغزى العمل الفني ، ثانيا وشرط أن ندخل على علاقاتهم الخاصة مع العمل الفني علاقاتهم الخاصة بالعمل بشكل عام . فأي انتاج إنساني يمكن أن يعامل كعمل فني . لذلك أرى أن كلمة فن ينبغي أن تفهم في معناها الأكثر عمقا وانتشاراً حتى نصل الى اعتبار كل انتاج انساني نوعاً من العمل الفني ، سواء كان ذلك في مجال العلم أو العمل أو الموسيقا .

● أليس من السهل انتشار الفن ، لهذا الغرض ، أكثر من الأعمال الفلسفية ؟

ـ نعم ، التفكير والفرح يؤديان الى صلة لايتميز بها الخطاب الفلسفي بالطبع . لكن تبقى المشكلة في انتاج لغة تسمح بمشاركة واقتسام العمل الفني بين الناس ، لذلك على الفلسفة ان تتخلص من اشكالها التقليدية في التعبير ، وما سيعيش بعد ذلك ، هو حاسب الفكر الموجود في الفلسفة وليس اشكال تعبيرها . بتعبير آخر ، الفلسفة لايمكن ان تعيش الا اذا تخلصت درجة من ضوابطها وعاداتها التقليدية في التفكير .

الفلسفة والسياسة

● بخصوص غموض اللغة الفلسفية امام الجمهور ، هذا يقودنا لقضية علاقة الفلسفة بالسياسة ، فهناك نقد يوجه للفلسفة،والفلاسفة عندما يقومون بوضع مسافة بينهم وبين السياسة ، حفاظا على جوهر العمل الفلسفي . كما يوجه النقد أيضا للفلسفة والفلاسفة عندما يزيلون هذه المسافة ، ويوحدون بين الفلسفة والسياسة على أساس انهم لم يعودوا فلاسفة بل صاروا سياسيين . . أعني في الحالتين يوجه اليهم النقد،في الاولى بسبب انعزالهم داخل أسوار الجامعة ، وفي الثانية بسبب انغماسهم في الحياة السياسية ، كيف تنظر لهذا النقد المزدوج لعلاقة الفلسفة والفلاسفة بالسياسة ؟

ـ أرى أن المهمة الجوهرية للفلسفة هي النقد ، نقد طوال اليوم ، لايمكن أن تقول إن اللحظة ليست ملائمة الآن لعمل مثل هذا النقد أو ذاك ، أو ليست اللحظة ملائمة للتساؤل أو التشكيك في هذا الموقف أو ذلك المحتوى الذي استشعر عدم الرضا عنه ، أو القول سنرى ذلك فيما بعد ، لأنه مع مرور الوقت نجد أن الضرورة السياسية تولد أخرى ، وهكذا فان مهمة الفلسفة في النقد تؤجل دائما ، وفي النهاية تتكيف مع الوضع القائم ويصير الفلاسفة مطربين محترفين ، ومرتبطين عضويا بهذا النشاط السياسي أو ذاك ، ثم يعتقدون بصحة مواقفهم بعد ذلك مع نسيان أنها تمت من منظور التأجيل المستمر للنقد ، لكن مايقومون به في الواقع لاينتمي للفلسفة بحساباتها ومشروعاتها الخاصة ، أقول ذلك لأنني أعتقد بأن الفيلسوف عليه ان يتدخل في القضايا السياسية ، لكن بشرط الا يخشى مخاطرة الحاجة ، أو المساومة مع الافكار الايديولوجية المتناقضة مع حقائق الاشياء . نعم عليه ان يتدخل لكن بدون مساومة هناك شكلان للتدخل في السياسة : ان يتدخل الفيلسوف ويندمج بنفسه كجزء من حركة سياسية ، ويلتزم بالصمت أو التبرير في بعض الاحيان ، تحت ذريعة ان الامور على مايرام ، أو انها ستتحسن فيما بعد . وهناك تدخل آخر يبقى فيه الفيلسوف ساهرا أو حذرا أو ناقدا لمستقبل الحركة السياسية التي يرى فكره قريبا منها ، وعليه ان يغامر بنقدها وتصحيحها حتى لو أدى الامر الى رفضه داخل هذه الحركة

● نعود مرة أخرى لغموض اللغة الفلسفية الشائع . اطلعت بخصوص علاقة الفلسفة بالصحافة ، على محاولتين الاولى نشرت في الملحق الادبي بصحيفة لوموند على اثنى عشرة حلقة شاركت أنت بواحدة منها ، بهدف نقل الفلسفة عبر الصحافة اليومية الى القارىء ، والمحاولة الثانية كانت لجان مارش دوميناك في كتابه . « تحقيق عن الافكار المعاصرة » . في البداية أود أن اسأل هل من الضروري نقل الفلسفة عبر الصحافة الى القارىء ؟ وهل ذلك ممكن دون أن يؤدي الى تشويه جوهر الفلسفة ؟

- القضية هنا معقدة الى حدما ، ليس فقط بالنسبة لرجل الفلسفة ، انها قضية ما أشير اليه باستمرار عن انتاج نوع من المشاركة واقتسام ثمرات المعرفة بين الناس . يمكن ان نأتي بعالم على شاشة التليفزيون مثلا ويقول لنا بعض الاشياء عن المعرفة في مجال تخصصه ، لكن هذا الاسلوب لاينتج مشاركة بالضرورة ، بل لابد من جهود دؤوبة تسمح للناس ان يصلوا الى مستوى عال من الوعي والاهتمام العقلي . معظم الناس في تصوري على قدر من الثقافة ، بدرجة أو بأخرى ، من حيث انهم يمتلكون لغة ، مهما كان نوعها ، وثقافة قد تكون غنية هنا ، أو أقل غنى هناك . قد يكون لهم تراث عريق أو ماض حديث . أعتقد بالنسبة لمستقبل الاشياء لابد من ايجاد الوسائل ، والاتصالات التي تسمح بتوزيع واغناء المشاركة . ينبغي تعميق وتنويع الاتصالات بين المجموعات والفئات والطوائف . ، كذلك ينبغي تنويع أماكن الاتصال وتمهيد الطريق بين هذه الجماعات .

يبقى الهدف من وراء ذلك وهو خلق قدرة النقد والفهم والتأمل عند كل فرد على أرضه الخاصة .

حركة تحويل المجتمع

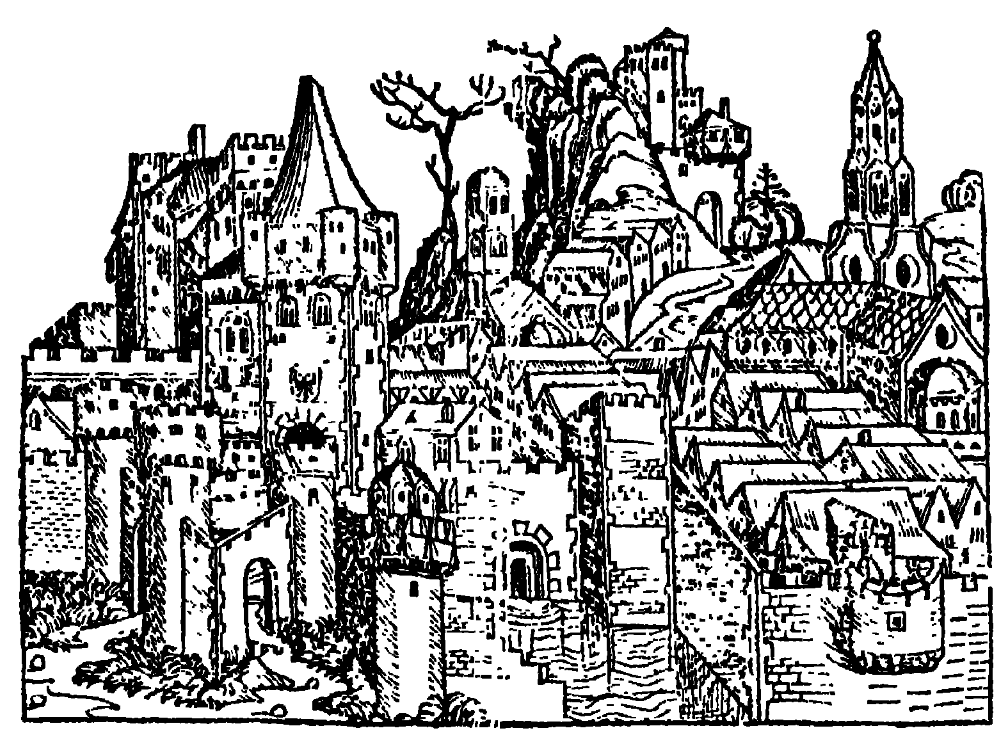
● البعض ينتقدون « مبادىء فلسفة ديزانتي السياسية » ؟ ماهي مبادىء فلسفة ديزانتي السياسية ، كما تراها أنت ، وليس الذين يوجهون اليك النقد ؟

- فكري السياسي واضح تماما وبسيط جدا في نفس الوقت . أولا ، أتشكك في كل الاحزاب المنظمة ، ثانيا ، أعتقد أن هناك قضايا يجب الدفاع عنها . لكن هذه القضايا لم تعط مرة واحدة والى الابد لنأخذ منها موقفا مطلقا . بل تعاش في هذا الميدان ، أو في تلك المنطقة النائية من العالم ، في فيتنام بالامس ، والسلفادور اليوم . . . أو أي شيء آخر ، هكذا التزم ، كما يقولون ، قضية في اثر قضية . ليس بالضرورة أن يكون الالتزام على مستوى طويل الامد لتحويل المجتمع باسره ، فعندما نلتزم على هذا النحو ماذا يحدث في العادة ؟ يحدث اننا نعطي لاداة هي الحزب ، مهمة قيادة حركة تحويل المجتمع ، لكن ماذا يحدث حينئذ أيضا ؟ مانراه هو ان الحزب يتحول الى مجتمع على غرار المجتمع المراد تحويله . انا مع الموقف الذي يقول انه في كل ظرف ينبغي اختيار الحل الذي يساعد في اتجاه التغيير الى الامام . .

قضية الحرية

● رغم انه لايوجد في كتاباتك تركيز أساسي على قضية الحرية ، هل يمكن تفسير موقفك السياسي إنطلاقا من تأكيده على حرية الانسان أولاً ؟

- في الواقع لم أسهب كثيرا في الحديث عن الحرية ، لكن هذا لايعني انها قضية لم تكن تشغل حيزا كبيرا من اهتماماتي . والشيء الذي يرعجني كثيرا في قضية الحرية هو تلك المسافة القائمة بين التصورات الخاصة بالحرية ، التي يكاد يجمع معظم الناس عليها ، وبين الممارسة الاجتماعية التي تدور دائما من شكل لآخر ، ومن مكان لآخر حول عبودية واستخدام الافراد لغايات لاترتبط بهم . فنفترض ان الناس احرار ، على مستوى الفكر ، لكن تعاملهم كأدوات للاستخدام في الواقع . لذلك لايمكن ان نتحدث عن مشكلة الحرية ميتافيزيقيا فقط . ليست القضية هي تأسيس الحرية في تصورات وإعلان أن الناس أحرار . القضية هي ان نطرح عن قرب ، آلية هذا النظام الذي ينتج ظاهرة « الاستخدام » . بالطبع لايمكن ان نسلك دون ان نخدم ، لكن ما أعنيه هو تلك العلاقة الخفية التي تفرض سلوك الناس وتجبرهم على القيام بأعمال لاترتبط بهم . لابد من تحديد العلاقة بوضوح ، في الحقل الاجتماعي ، وتحديد النقطة التي يصبح تحرر الناس من خلالها مستحيلا ، أو تلك التي يكون فيها الناس في حالة استخدام لايستطيعون الانفكاك منها ، كما لايعرفون ماذا يفعلون . هذه النقطة من الاستخدام أو الاكراه ، والتي تصل بالفرد الى حد الحصار وتثبيت علامة العجز التام تتطلب تحديدات ودراسات متنوعة لتشخيص بنية ظاهرة الاستخدام ونظام الاكراه □



رسم تخطيطي لما كانت عليه العمارة في القرون الوسطى في ساليرنو كما تصورها الرسام

ساليرنو..

جسر عبرته المعارف الطبية الاسلامية الى أوروبا

بقلم : د . حسن فريد أبو غزالة

هذه وقائع محفورة في لحم التاريخ . . تشير الى أن الدور العربي الاسلامي في الحضارة كان بارزاً وواضحاً وأساسياً في القرون الوسطى . وهي التفاتة الى جسر من الجسور التي عبرت عليها المعارف الطبية العربية الاسلامية الى أوروبا .

على مقربة من نابلي وعلى بعد ثلاثين ميلا من جنوبها الشرقي ، يقع خليج ساليرنو ، حيث تقبع بلدة صغيرة ، أو بتعبير أدق هي بقية من مدينة كبيرة ، كان لها في التاريخ موقع مميز سميت باسم ساليرنو .

أيام الرومان القدامى كانوا يدعونها ساليرم Salerm بينما أطلق عليها الفرسيون اسم ساليرن ، أما الاسم الأصيل لها فهو ساليرنوم .

إن مدينة ساليرنو كما عرفها العرب القدامى لاتعدو اليوم أن تكون قرية أثرية تحتضن قبر البابا

غريغوري السابع ، غير أن شهرتها الاولى التي يفخر بها أهلها هي كونها البلد الذي اخترع البوصلة البحرية على حد زعمهم ، كما أنها مهد أقدم الجامعات الأوروبية التي قامت في العصور الوسطى المظلمة .

في نهاية القرن الثاني عشر ومستهل القرن الثالث عشر الميلادي كان في أوروبا ثلاثة مراكز علمية متخصصة .

وأول هذه المراكز كان في باريس ، وقد اشتهر بعلم اللاهوت والآداب . وثاني هذه المراكز كان في بولونيا حيث اشتهر بعلوم القانون أما المركز العلمي الثالث فهو مركز ساليرنو الذي تخصص في علوم الطبابة .

واذا لم يكن من الامانة أن تدعى هذه المراكز بالجامعات فهي في الواقع مراكز علمية متخصصة ، لان لفظ الجامعة Universitus كان اصطلاحا قديما يطلقونه على ما يدعى اليوم بالرابطة أو النقابة ، ثم انحصر الاصطلاح مع الايام ليقتصر على اتحادات المشتغلين بالعلم والتعليم من استاتذة وطلاب .

أما ما نعرفه اليوم بالجامعة فقد كان البديل له هو اسم المدرسة العامة ، ومن هنا عرف مركز ساليرنو العلمي باسم مدرسة ساليرنو الطبية .

اصحاب الفضل

لا أحد يعرف على وجه الدقة كيف نشأت هذه المدرسة ونمت ، ولا من بذر بذورها الاولى ، ولكن الشواهد تشير كما يشهد كتاب التاريخ أن علماء العرب لهم فضل أصيل في نشأتها ، عندما نقلوا اليها علوم العرب وحضارة المسلمين من صقلية الى جنوب ايطاليا .

عندما كانت الأديرة المسيحية هي المراكز العلمية المعتمدة في أوروبا خلال العصور الوسطى المظلمة ، ولم يكن فيها من العلوم سوى تعاليم الدين الكهنوتي المحافظ .

تقول المستشرقة الالمانية زيفرد هونكة مؤلفة كتاب « شمس العرب تسطع » :ـ « لقد غمرت مدرسة ساليرنو علوم العرب في التطبيب والمداواة في سيل عرم . ثم ما لبث هذا السيل في علم العرب أن فاض من ساليرنو وامتد الى شواطىء أوروبا وخلجانها ومدنها ، فأحال الصحراء الى جنة وارفة من بنات الفكر ، تتفيأ ظلالها الانسانية جمعاء » .

ثم تستطرد المستشرقة الألمانية لتقول في موضع آخر :ـ

« ان أصل ساليرنو يضيع في أفق الاساطير ، ولكن الحقيقة أن تأسيسها يعود فضله الى أربعة رجال هم : يوناني ولاتيني ويهودي ثم عربي يدعونه عصلة «Adala» ولعل من الارجح والأصوب أن اسم عضلة هذا هو اسم محرف من اسم عبد الله أو ربما اسم عطا الله .

يقول الدوميلي في كتابه « العلوم عند العرب » « ان تاريخ نشأة مدرسة ساليرنو مظلم حقا ، ولكن الاسطورة ترجع فضل تأسيسها الى أربعة أساتذة مختلفي العقائد والاديان هم :

هيلنوس ـ وكان يقرأ على تلامذته باللغة العبرية .

وبونتوس ـ وكان يقرأ على تلامذته باللغة اليونانية .

وعبد يلا ـ وكان يقرأ على تلامذته باللغة العربية .

ثم الاستاذ ساليرنوس الذي عرفت المدرسة باسمه وكان يقرأ باللغة اللاتينية » .

ان دائرة المعارف البريطانية تؤكد هذا المعنى فتذكر :ـ

« ان أهمية ساليرنو التاريخية تتمركز حول مدرستها الطبية التي بني هيكلها على أربع ثقافات هي اللاتينية والاغريقية والعبرية والعربية » .

والواقع أن الطب العربي والحضارة الاسلامية عامة قد تسربا الى أوروبا في العصور المظلمة عبر ثلاثة مداخل هي :

١ ـ الاندلس وجنوب فرنسا .

٢ ـ الحروب الصليبية عند اختلاط الاوروبيين بالعرب والمسلمين على أرض فلسطين .

٤ ـ صقلية وجنوب ايطاليا حيث تولت مدرسة ساليرنو مهمة حفظ الامانة .

ولعل الكاتب المؤرخ جورج سارتون في كتابه عن تاريخ العلم يؤكد هذا المعنى فيذكر : « لو لم تنقل

اليا كنوز الحكمة اليونانية ، ولولا اضافات العرب الهامة لتوقف سير المدنية عدةقرون » .

ويشارك سارتون رأيه هدا كاتب آخر هو دي فو حين يقول :

« ان الميراث الدي تركه اليونان في الطب لم يحس الرومان القيام به ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وانمائه ، حتى سلموه الى العصور الحديثة » .

هده هي ساليرنو التي حملت مشعل الفكر الطبي قرونا ، ثم أخدت تصمحل مع الأيام وتتلاشى الى أن أغلقها نابليون بونابرت عام ١٨١١ .

حضور فاعل

وقد أكد العرب وجودهم العلمي وحضورهم الطبي في مدرسة ساليرنو ، من خلال العديد من الأساتذة العظام الذين أهْدَوْا للتراث الانساني العديد من المؤلفات والابحاث

ان الغرب يعتمد كتاب الطبيب الجراح روجرز الساليري الدي كتبه عام ١١٧٠ م ، تحت اسم « العمليات الجراحية » على أساس أنه أقدم رسالة في الجراحة في عالم الغرب ، وليس كتاب روجرز هذا سوى معلومات من كتاب « كامل الصناعة » ومؤلفه هو الطبيب العربي « المجوسى » الذي ترجمه عن العربية أستاذ من ساليرنو هو « قسطنطين الافريقي » .

والمتصفح لكتاب روجرز الساليرني سوف يجده متخما بالاسلوب العربي في العلاج . فقد أشار الى علاج الغدة الدرقية بالأعشاب البحريه ، وهو ما يتفق معه رأي الطب الحديث الذي أكد ثراء منتجات البحر بمادة اليود ، اللازمة لصناعة هرمون الغدة الدرقية ، ثم عرج روجرز على علاج المفاصل بمركبات الدهب ، وهو أسلوب عربي قديم معروف .

أما عن قسطنطين الافريقي أشهر تراجمة مدرسة ساليرنو ، وأحد كبار أساتذتها ، فالموسوعة البريطانية كتبت عنه ما يلي :

« انه مغامر اشتهر في الطب ، وقد كان نصرانيا ، ولكنه عربي القومية ، ولد في قرطاجنة بتونس عام ١٠٢٠ للميلاد ، وقيل عنه انه درس الطب في حواضر العالم الاسلامي ، وقد نشأ وترعرع في صقلية ، وكان يتقن اليونانية واللاتينية بالاضافة الى لغته الاصلية ، وهي اللغة العربية التي كانت سائدة في ذلك الزمان . وقد ترجم قسطنطين العديد من كتب الطب من اللغة العربية الى اللغة اللاتينية » .

هذه بعض اللمحات عن مدرسة ساليرنو الطبية ، التي أكدت وجود الحضارة الاسلامية عامة والطبابة خاصة ، كعلامة طريق على درب التراث الانساني □

●

مع هيلين كيللر

قالت هيلين كيللر فى وصفها للناس الذين لاتراهم ولكنها لاتكاد تمد يدها لتصافحهم حتى تعرف من هم ؟ قالت : « لقد التقيت بناس لايشعرون بالحياة حتى أنى عندما أمد يدى لمصافحتهم أشعر أنى اصافح عاصفة باردة هوجاء ولكن ماأكثر الأيدى التى امتدت لمصافحتى فوجدتها مليئة بالدفء الذى لا البث ان أشعر أنه قد احتوى قلبى ! » .

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص

قاموس العربي

ن

نازيّة

حركة سياسية اجتماعية سادت في ألمانيا ، وانتهت بهزيمة دول المحور * عسكريا وسياسيا في الحرب العظمى الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ، وأصل الكلمة ألماني مشتق من اختصار تعبير الوطنية الاشتراكية التي كان يمثلها « حزب العمال الاشتراكي الوطني » .

ولم تظهر النازية من فراغ ، بل كانت كافة الظروف تمهد لظهورها ، وأول هذه الظروف شروط الصلح الفادحة التي أملاها الحلفاء المنتصرون على ألمانيا المنهزمة في الحرب العالمية الأولى ، ففي مؤتمر السلام الذي عقد في فرساي بفرنسا في عام ١٩١٩ فرض الحلفاء على الألمان دفع تعويضات تصل الى ١٢٠ مليارا من الماركات الذهبية ، وكان هذا انتقاما سياسيا متهورا ، فقد حمل الحلفاء الألمان ديونهم للولايات المتحدة ، والخسائر الناجمة عن تدمير الاسلحة والعتاد الحربي ، والنفقات اللازمة لبدء عمليات انتاجية جديدة تضخ الدم في شرايين الاقتصاد المنهارة ، حتى معاشات ضحايا الحرب حملها الحلفاء لألمانيا ، وكان رأي الاقتصاديين أن هذه التعويضات فوق طاقة الاقتصاد الألماني ، وأنها تحتاج الى بناء الاقتصاد الألماني ، حتى يستطيع أن تكون صادراته أكثر من وارداته ، فيحقق فائضا يسمح له بدفع التعويضات ، وهذا كله لايمكن أن يحدث الا اذا عادت الدكتاتورية والنزعة العسكرية الى ألمانيا ، وهذا ماحدث . فبعد عام ١٩١٩ بدأت الأزمة الاقتصادية في ألمانيا تشتد ، وبالمقابل نشط أعضاء حزب العمال الألماني ، وقدم الحزب برنامجا من ٥٢ نقطة (عام ١٩٢٠) هذا البرنامج الذي عاد أدولف هتلر وشرحها في كتابه « كفاحي » الذي كتبه في السجن (١٩٢٣ - ١٩٢٤) وبدأ في نشره اعتبارا من عام ١٩٢٥ . وتتلخص هذه الأفكار في تفوق الجنس الآري « ألمانيا فوق الجميع » ، واعادة تقسيم المستعمرات عن طريق الحرب ، وتقوية الدولة وسيادتها وذوبان الأفراد فيها ، والغاء معاهدة فرساي ، وضم كل الأجزاء الأوروبية التي تتكلم الالمانية .

والنازية بذلك ليست فلسفة ولانظرية سياسية ، ولكنها مجرد حركة سياسية واجتماعية ، فهي تستمد

* تعبير يطلق على محالف ألمانيا : ايطاليا - اليابان .

ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ى



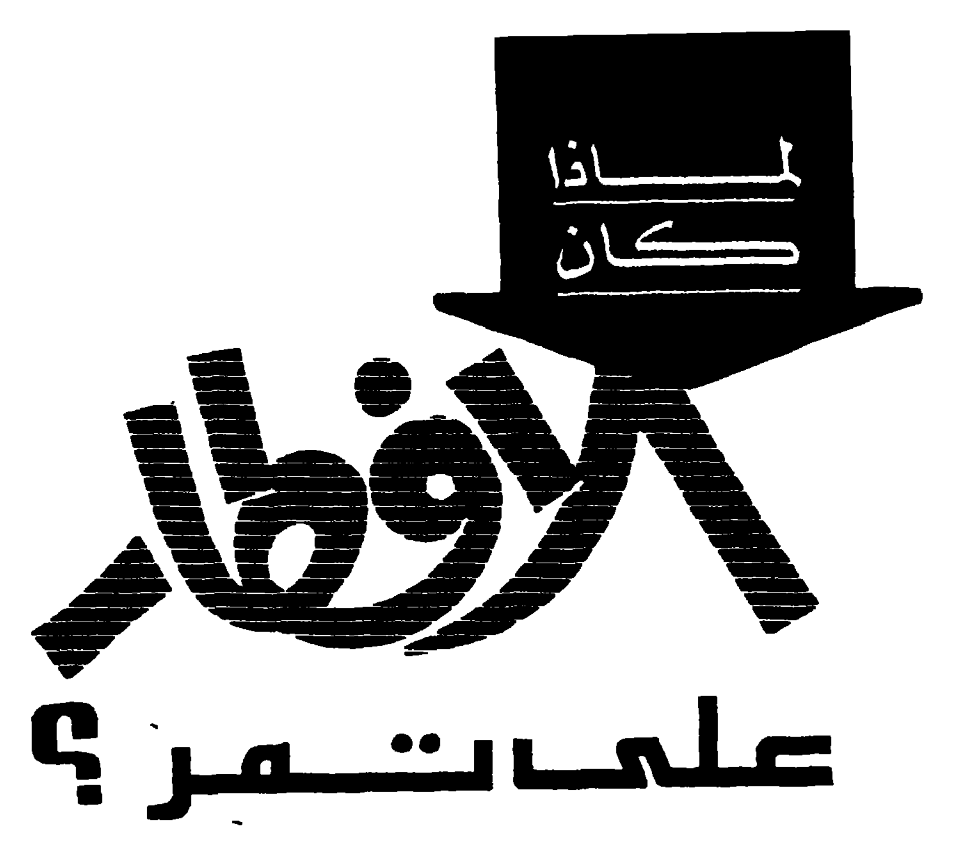
ادولف هتلر

أفكـارهـا من خليط من الكتـابـات والفلسفـات والنظريات ، ففكـرة التفوق كتبهـا جوبينـو في عام ١٨٥٣ ـ ١٨٥٥ في مؤلفه « مقال حول عدم تساوي الأجناس البشرية » وفكرة السوبرمان هي ابنة أفكار نيتشه ، والحرب والقوة من هيجل ، وتعظيم الدولة ودورها من هيجل أيضا . ومن هنا فان النازية لم تكن تعتمد في جوهرها الفكـري الا على فكـرة أساسيـة محورية ، وهي تفـوق الجنس الآري ، وهذه فكـرة تشبه الأفكار (القروية) من حيث سذاجتها وضيق أفقها ، واقترابها من منطق العصبية الريفية والتفوق العائلي .

ولكن لأن المناخ والتربة الاجتماعية في المانيا كانت مهيأة لتقبل هذه الفكرة ، فقد لمعت النازية بسرعـة شديدة ، فعنـدما انضم « أدولف هتلر » الى حـزب العمال الألماني استطاع أن يستغل الغضب والضيق والسخط من الازمة الاقتصادية ، وعندما توالى تنديده بالاحتكارات الصناعية الكبيـرة جذب اليه جماهير غفيـرة من الطبقـة المتوسـطة ، واستطاع بـواسـطة أصواتها أن يحصل على ١٠٧ مقاعد في البرلمان في عام ١٩٣٠ ، وبعد ذلك بعامين أصبح له ٢٨٨ عضوا ، فوصل الى منصب المستشارية ، وأستطاع أن يفرض نفوذه تماما في ٣٠ يناير ١٩٣٣ ، وبوصول هتلر الى الحكم بدأت أفكار النازية في التـطبيق ، وكان أول ماطبقه من أفكار فكرة تفوق العنصر الآري ، فأبعد كل من لاينتمي الى هذا الجنس من المناصب العامة ، منـع الزواج المختلط ، كـما أمر بتعقيم الضعفـاء ، وفـاشية الحـزب لاتتضح في مثـل هذه السلسلة من الاجراءات اللا انسانية بعد وصوله الى الحكم ، بل قبل ذلك فقد كان للحزب فريق من الصاعقة يتولى مهام حماية الاجتماعات وتخريب اجتماعات الخصوم من الأحزاب الأخرى ، والتي ألغـاها هتلر بعـد ما وصل الحزب الى الحكم . وبهزيمة المـانيا في الحـرب تحطم النظام النازي الذي حاول أن يفرض فكـرته الفردية الضيقة على امبراطورية عالمية . □

■ المحدث اللبق هو الشخص الذى يجعلك تنصت إليه اثناء وجوده ، وتفكر فيه عندما يذهب بعيدا عنك .

« مكسيم جوركى »



بقلم : حلمي الخولي

الإلف والعادة يحجبان المعرفة ، فالمرء لا يحفل بادراك كنه الأشياء التى يتداولها ظناً منه بأنه خبير بها عالم ، ولكن اخضاعها للبحث والنظر يريه كم يعوزه من معرفة ! وهذه مقولة تصدق ـ أكـثر مـا تصـدق ـ عـلى التمـر ، فنحن نجهله لأننا نـألفـه ونـظن بـأننـا نعـرفـه !

التمر هو ثمرة النخيل ، وحتى يتم نضج هده الثمرة تمر بعدة أطوار يكـون أولها الـطلع ثم الخلال ثم البلح ثم السر ثم الرطب ثم التمر واكتمال الشيء عـند نهايته فالتمر هو أحلها جميعا .

ومجازا يطلق لفظ « بلح » على تمر النخيل ، وهو « الرطب » اذا تم نضجه ولما يجف بعد ، وهو التمر اذا جـف .

التمر في التاريخ :

دلت الحفريات التي أجريت في مقابر الفراعنة عـلى شدة تقـديرهم لـه ، حتى نقشوه عـلى جدران معابدهم ، وأشادوا بفوائده غضا وجافا وتمرا ، وفي كثير من الأديرة القبطية كتابات ومذكرات تدل على مدى ماكان للتمر من قيمـة غذائيـة عند القسـاوسة والرهبان .

وفي تاريخ العرب وقصص حياتهم وحروبهم دور كبير للتمر كغذاء رئيسي من أغذيتهم بصورة تفسر لنا كيف استطاعوا ان يجدوا القدرة على أن يقاتلوا الدول والجيوش،ويفتحوا البلاد والأمصار وليس في بطونهم سوى بضع تمرات ، وعثر على نوى البلح بمصر من العصر الحجري .

في القرآن والسنة :

ذكر القرآن لفـظة النخل والنخيـل عشرين مـرة منهـا : « وجعلنا فيهـا جنات من نخيـل واعنـاب » (يس/٣٤) ، « ينبت لكم بـه الـزرع والـزيتـون والنخيـل » (النحل /١١) ونخيـل صنـوان وغـير صنوان يسقي بماء واحد » (الرعد /٤) ، « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقري عينا » (مريم ٢٥/٢٦) ، ولم يـأت ذكر القرآن الكريم للنخل هباء ولكن لما لهذا النوع من

واس ماجه . كلهم في الأطعمة عن عائشة رضي الله عنها) .

انواعه . « قال قدماء أطباء العرب في التمر : كثير الانواع حتى انه يربد على خمسين صنفا ، وأجوده العراقي الرقيق القشرة، الكثير الشحم، الحلو النصيح الذي اذا مضغ كان كالعلك - اللبان - . وأكثر مايشأ بالبلاد الحارة اليابسة التي يغلب عليها الرمل كالمدينة المنورة والعراق واطراف مصر »

مكونات التمر ومحتوياته :

« يحتوى التمر على مواد سكرية تبلغ في نسبتها ٧٠٪ ومن هذه المواد السكرية سكر العنب ، سكر الفواكه ، سكر القصب » ويحتوى البلح على نسبة كبيرة من السكر (٢٠٪ - ٣٠٪) ، والتمر أفضل من البلح اذ يتركز فيه السكر حتى يصبح حوالي (٧٠٪ - ٨٠٪) ، ولذلك فهو أفضل الفواكه من ناحية القيمة الغذائية وان كان ينقصه فيتامين « ج » ، ويحتوي التمر على معادن كثيرة مهمة منها البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والفسفور ، والبلح يحتوى على نسبة عالية من الاملاح المعدنية القلوية ولذا فهو من الادوية المعادلة لحموضة الدم ، كما يحتوى على نسبة عالية من الفسفور ويحتوى على فيتامين (أ) ، و « ب » ، و « ب٢ » ويحتوى ايضا على نسبة من البروتينات ، كما يحتوى على الياف سيلولوزية .

قيمته الغذائية : يقول الدكتور محمد هاشم : « ان البلح - هذه الفاكهة الصحراوية الممتازة - هو الغذاء الرئيسي الذي يتناوله سكان الصحراء وله الفضل في منحهم القوة والرشاقة والطول والمناعة ضد الامراض وذلك لانه يعد غذاء كاملا بكل ما في الكلمة من معنى ، وللبلح قيمة غذائية مرتفعة لاتقل عن اللحوم اذ البلح يحوى ميزاتها كلها، ولكنه ليس له شيء من اضرارها التي قد تحدث نتيجة للاكثار منها ، ولذلك كان البلح فاكهة غذائية مفيدة وطعاما شعبيا مهما، وهو كذلك دواء صالح للامراض نافع لكثير من العلل »

كما يؤكد هذا الاستاذ عبد الرزاق نوفل بقوله : « قد اثبتت الدراسات العلمية والفحوص المعملية والتحاليل الكيماوية أن للبلح قيمة غذائية تماثل قيمة اللحوم ولكنه ليس له شيء من أضرارها ، وأنه



التمر من فوائد عديدة، غذاء ودواء

وكان للتمر نصيب في السنة المباركة - « عن سليمان بن عامر الضبي الصحابي ، رضى الله عنه » ، عن النبي ﷺ قال : « اذا أفطر احدكم فليفطر على تمر ، فان لم يجد ، فليفطر على ماء فانه طهور » رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، وعن أنس رضى الله عنه قال:(كان رسول ﷺ يفطر قبل أن يصلي على رطبات ، فان لم تكن رطبات فتميرات فان لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء) رواه ابو داود والترمذي وقال حسن وثبت في الصحيح : « ان أبا الهيثم بن التيهان لما ضافه النبي ﷺ وأبوبكر وعمر رضى الله عنهما ، جاءهم بعذق - وهو من النخلة-كالعنقود من العنب فقال له : هلا انتقيت لنا من رطبه ! فقال : احببت أن تنتقوا من بسره ، ورطبه (صحيح مسلم بشرح النووى ٤ - ٧٢١) . وثبت عنه أنه قال:« بيت لاتمر فيه جياع اهله (رواه أحمد ومسلم في صحيحه وابو داود والترمذي

أفضل الفاكهة من هذه الناحية اذ يحتوى على العناصر اللازمة للغذاء وكذلك على الفيتامينات ، فهو غذاء صحي » .

أثره على صحة الجسد :

البلح يحتوى على البروتينات التي تقوم بعملية البناء ، فهي التي تبني خلايا الجسم ، وتجدد ما يبلى منها ، كما يحوي نسبة عالية من السكريات ، وهذه معظمها من سكر العنب وسكر الفواكه وهي سريعة الامتصاص وسريعة التمثيل ، لاتحتاج الى عمليات هضم ولا الى عمليات كيماوية معقدة مثل الدهون والنشويات ، ولذا فهو أفضل الاغذية التي تمد الجسم بالطاقة التي تبعث في خلايا الجسد النشاط .

« ويحتوى التمر على معادن كثيرة مهمة ، وهذه المعادن لها أهميتها فيما يتعلق بالعمليات الكيماوية في جسم الانسان،وتدخل في تركيب انسجته،ونقص أحدها يكون له اثر ضار على الجسم ، فمثلا الفوسفور : كل ١٠٠ جرام من التمر تحتوى على ٤٠٠ مليجرام من الفوسفور ، بينما لاتزيد كمية الفوسفور الموجودة في فاكهة ما ، عن ٢٠ مليجرام من نفس الكمية ، والفوسفور يدخل في تركيب العظام والاسنان،وهو الغذاء للحجيرات النبيلة في دماغ الانسان وهي حجيرات التناسل والتفكير .

يحتوي البلح على فيتامين «أ» وهو موجود بنسبة عالية تعادل نسبته في اعظم مصادره ـ أي تعادل نسبته في زيت السمك وفي الزبدة ـ ، ومن فوائده انه يحفظ رطوبة العين وبريقها ويقوى الاعصاب البصرية ، ويساعد على النمو والرشاقة ويجعل النظر نافذا في الليل والنهار ، ويقول الدكتور محمد هاشم : « ان البلح يحتوى على فيتامين « أ » ولذلك فهو يحفظ رطوبة العين وبريقها ، ويمنع جفاف الملتحمة والعشى الليلي وجفاف الجلد ، والبلح يفيد الشيوخ الذين بدأوا يعانون قلة السمع أو ضعف الاعصاب السمعية ، ويقول الدكتور هشام الخطيب : « يحتوى البلح على فيتامين ب[1] ، ب[2] وهذه الفيتامينات تساعد على تقوية الاعصاب وتلين الأوعية الدموية ، كما ان الالياف السيلولوزية التي يحتويها البلح تساعد على تنشيط حركة الامعاء ومرونتها،ويستطيع من اعتاد تناولها أن ينجو من حالات الامساك المزمن .

وللبلح أهمية خاصة لتكوين أجسام الاطفال وخصوصا العظام ـ لما يحتويه من نسبة عالية من الفوسفور ، فهو يحافظ على النمو الطبيعي لعظامهم

أثره على الصحة النفسية :

يقول الاستاذ عبد الرزاق نوفل : « ان الدراسات العلمية قد أثبتت ان البلح يضفى السكينة والهدوء على النفوس القلقة والمضطربة » . . ويقول الدكتور محمد هاشم : وهناك صفة نفسية هامة للتمر ، وهي أنه يضفي السكينة والدعة على النفوس القلقة المضطربة ، وكذلك المزاج العصبي الناجم عن نشاط الغدة الدرقية الرابضة في مقدم العنق حين ازدياد افرازاتها ، وقد عرف أخيرا بأن بعض النباتات والثمار لها خاصية الحد من نشاط الغدة الدرقية ، نذكر منها الجزر والسبانخ واللوز والمشمش وفي طليعة هذه النباتات التمر . ويقول : « لذلك فاننا ننصح باعطاء كل طفل ثائر عصبي المزاج بضع ثمرات من التمر في صباح كل يوم لتضفى السكينة والهدوء على نفسه ، فتحد من تصرفاته واضطرابه ، بل اني أنصح كل قارىء لايستسيغ تناول الافطار أن يأخذ تمرات مع كوب الحليب صباح كل يوم فتزوده بالوقود اللازم لفكره وجسده طول النهار بخلاف تهدئة اعصابه » .

أثره على الصحة العقلية والجنسية :

يقول الدكتور محمد هاشم : التمر غني بالفوسفور ، والفوسفور هو الغذاء المفضل للحجيرات النبيلة في دماغ الانسان ، وهي حجيرات التفكير والتناسل،ولذا كان للتمر أهمية كبرى في تعويض ما يفقده أرباب الفكر والقلم ، وما يصيب الشباب من انهاك تناسلي عندما يندفعون وراء شهواتهم »[1] ، ويقول الاستاذ عبد الرزاق نوفل :

---

(١) الأدوية والقرآن والكريم ـ د . محمد محمد هاشم ص١٣ بتصرف .

احتواء التمر على الفوسفور فانه يقوى العظام ويرفع معدلات التفكير » ولهذا ينصح العلماء والأطباء المفكرين بجعله في طعامهم للمحافظة على معدلات التفكير حتى لايصاب العقل بالاجهاد المكر .

أثره العلاجي والوقائي :

« يعتقد العلماء أن وجود الاملاح المعدنية القلوية في التمر تسبب تعادل حموصة الدم المتأتية عن تناول النشويات بكثرة ، والمعروف أن حموصة الدم هي السبب في عدد غير قليل من الامراض الاسرية الوراثية كحصيات الكلى والمرارة ، والنقرس وارتفاع ضغط الدم والبواسير وغيرها[٢] .

ويقول ابن قيم الجوزية : وهو اكثر الثمار تغدية للبدن بما فيه من الجوهر الحار الرطب واكله على الريق يقتل الدود ، فانه مع حرارته فيه قوة ترياقية ، فاذا أديم استعماله على الريق جفف مادة الدود واضعفه وقلله أو قتله وكما انه مقو للكبد ملين للطبع ، يزيد في الباه ولاسيما مع حب الصوبر [٣] .

ويقول الدكتور محمد هاشم : « البلح يفيد في حالات اضطراب المحاري البولية ويدر البول ويساعد الجهاز الهضمي وينبه حركته ، ويسبب في الامعاء لينا لطرد البقايا الغدائية فيزيل الامساك . واذا ما أكل البلح قبل نضجه فانه يوقف الاسهال ويسبب الامساك ، ويستعمل مغليا في الالتهابات ويوقف النزيف الدموي الذي يتسبب عن البواسير والتهابات اللثة » . ويقول الدكتور محمد هاشم : قيل انه يقطع السعال المزمن واوجاع الصدر ، ويستأصل البلغم وخصوصا اذا أكل على الريق ، ويغذى كثيرا ويولد الدم القوى ويصلح اوجاع الظهر ، ويقوي الكلى المهزولة ، واذا طبخ بالحلبة وشرب قطع الحمى البلغمية، وبالارز يصلح المهزولين وبالحليب يقوى الباه ، واذا أحرق نواه أنبت هدب العين وأحد البصر وسود العين ومنع الجرب .

ويقول الاستاد عبد الرزاق نوفل « وقد قرر العلم أخيرا ان بالرطب هيرمونا اسمه « البيتوسين » يقوى العضلات الرحمية وينظم الانضباطات العضلية ، ومن عجب ان هذا الهرمون - البيتوسين - يقوم بعمل وعكسه في آن واحد طبقا لحاجة الجسم فهو يزيد من الطلق في الحوامل عند الولاده ، اذا كان الطلق باردا ويقلل منه اذا كان حاميا اكثر مما يجب ، فهو ينظم الطلق ويجعله متوازنا مع درجات اكتمال الحمل وساعات الولادة فهو اكبر مساعد دوائي للوضع ، ويتداول هذا الهرمون طبيا الآن بعد استخلاصه من الرطب فعلا ، كما وجد ان لهذا الهرمون خاصية منع النزيف عقب الولادة والوقاية من امراض الولادة وعلى رأسها حمى النفاس وهكذا تقرر الاية الكريمة « وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلي واشربي وقرى عينا » أن مريم سيساعدها هرمون الرطب وستكون هادئة النفس مستقرة الخاطر[٤] ، ويقول الدكتور محمد هاشم : وتبين من البحوث التي اجريت أن البلح منبه لحركة الرحم وزيادة قوة انقباضاته ، أي انه يقوى العضلات الرحمية والانقباضات العضلية في الحمل المتقدم فقط مما قد يجعله مساعدا للوضع اثناء الولادة [٥] .

الحكمة النبوية في الفطور على تمر :

يقول ابن قيم الجوزية : « وفي فطر النبي ﷺ من الصوم على الرطب ، أو التمر تدبير لطيف جدا ، فان الصوم يخلي المعدة من الغذاء، فلا تجد الكبد ما تجذبه وترسله الى القوى والاعضاء ، والحلو أسرع شيء وصولاً الى الكبد وأحبه اليها ، ولاسيما اذا كان رطبا فيشتد قبولها له فتنتفع به هي والقوى » .

والتمر يحتوى على نسبة عالية من السكريات حوالي ٧٠٪ ومنها سكر العنب والفواكه ، والمعروف علميا أن هذه المواد السكرية سريعة الامتصاص سريعة

---

(٢) المرجع السابق

(٣) الطب النبوي . ابن قيم الجوزية . تعليق الدكتور قلعجي ص٣٤٣ .

(٤) القرآن دواء فيه وقاية وشفاء ص ١٠٥ - ١٠٦ (بتصرف) .

(٥) الأدوية والقرآن الكريم ص ١١٣ - ١١٤

التمثيل لاتحتاج الى عمليات هضم معقدة لتتحول الى مواد اخرى ـ دكسترين ـ ثم الى مواد سكرية قابلة الامتصاص كما يحدث في هضم النشويات .

ولذا فان المواد السكرية تمتص بسرعة وتعوض الجسم عن نقص السكر في الدم اثناء الصوم ، وتزيل الأعراض الناتجة عن نقص السكر في الدم مثل عدم القدرة على الحركة المثلى،والشعور بالضعف والكسل وزوغان البصر،وعدم القدرة على التفكير والتركيز ، مع ان الصائم يشعر بالشبع بعد أخذ المواد السكرية بفترة .

وهنا تظهر الحكمة النبوية الشريفة في البدء بتعاطي مادة سكرية كالتمر،ثم يقوم المسلم بعدها الى الصلاة ، وعندما ينتهي منها يتناول طعاما خفيفا يسد جوعه ويفي بحاجة جسمه من الغذاء دون شعور بالتخمة أو الامتلاء ، وهذا النمط من الافطار له فوائد منها :

أ ـ ان المعدة لاترهق بما يقدم اليها من غذاء دسم وفير ، بعد ان كانت هاجعة نائمة طوال ثماني عشرة ساعة تقريبا ، بل تبدأ عملها بالتدريج في هضم التمر السهل الامتصاص،ثم بعد نصف ساعة يقدم اليها الافطار المعتاد .

ب ـ ان تناول التمر أولا يحد من جشع الصائم يقبل على الاكل بعجلة دون مضغ أوتذوق .

جـ ـ تهضم المواد السكرية في التمر خلال نصف ساعة،فاذا بالدم يترع بالوقود السكري الذي ينتشر في انحاء الجسم،ويبعث في خلاياه النشاط فيزول الاحساس بالدوخة والتعب سريعا .[٦]

ولو اتبع الصائمون هذه السنة النبوية لتحلوا عن الكثير من العادات غير الصحيحة من الفطور التي تسبب فوضى في الطعام،فيملئون بطونهم ويصابون بالتخمة ، ويحدث في اعقاب الفطور ضيق في التنفس وسرعة في ضربات القلب نتيجة لضغط المعدة الممتلئة على الحجاب الحاجزوالقلب ، علاوة على اصابتهم بعسر الهضم واضطرابات معدية ، ويركنون الى الكسل والدعة ، وتكثر الغازات المعدية والمعوية ويكثر التحشؤ،وبعد ذلك يلقي الصائم التبعة على الصيام ويتهمونه ، وهم في الحقيقة المتهمون

فلو اتبعوا سنة المصطفى ﷺ ماتعبوا وما استكانوا ، ولو اتبعوا أوامر الدستور الأسمى القرآن الكريم «كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين » [٧] لجنوا أسمى الثمار من الصيام في قوله تعالى : « وأن تصوموا خير لكم » [٨] ـ صدق الله العظيم . □

---

(٦) الدكتور هشام الخطيب ـ الوعي الاسلامي

(٧) الانعام / ١٤١

(٨) البقرة / ١٨٤

■ دع للموتى خلود الشهرة ، وللأحياء خلود الحب .

(طاغور)

■ الخوف لايرهب غير القلب الفاسد .

(شكسبير)

■ ان السماء ترى ، ولكنها ترى بعيون الشعوب ، والسماء تسمع ، ولكنها تسمع بآذان الشعوب .

(كونفوشيوس)





بقلم : دكتور محمد المنسي قنديل

في كل سطر من سطور تاريخه كان الجبرتي يفتقد العدل ، كان نصيبه من الزمان خمسين شهرا من رمضان ، امتلأت كلها بالعنف والفوضى والخوف وتقلب الأحوال . لم يمر منها شهر كالآخر ، فماذا عن ذكريات الجبرتي . . وقصة رمضان ؟

في شهر رمضان كانت المنارات تضيء والأدعية ترتفع ويصلي المشايخ التراويح في الازهر ، ويقرأ الفقهاء البخاري في القلعة ، ويتجدد في ليلة القدر حلم الخلاص المنتظر والعدل المفتقد ، حدود الله التي كان الجبرتي يحلم أن تسود ولو لمرة واحدة ، بلا جبروت من القوي على الضعيف ، بلا غش في المعاملات أو خيانة أو طعن في الظهور ، بلا تسلط ولا كذب ولا رياء ، تلك الفكرة النقية عن العدل الاسلامي التي انبثقت أمامه من الكتب الصفراء وضاعت وسط طوفان المظالم اليومية واختلال أمور الزمان .

خمسون رمضان وهو يؤرخ لكل شيء في ذلك الكون المختل ، تعلم من أبيه أن للكون مواقيت تحكمه ، ولم يكن أبوه فقيها عاديا يكتفي بالفقه ، وأحكام الشريعة ، ولكنه كان ميقاتياً يهتم بالرياضة وعلم الفلك ويجيد حساب الأشهر القمرية ، وتعلم منه أن بؤرة كل هذه المواقيت هو شهر رمضان ، اذا اختل اختل الزمان كله .

وحتى بعد أن كف بصر عبد الرحمن الجبرتي حزنا وكمدا لم يتوقف عن تسجيل أحوال الكون ، كان يبحث عن شيء ما يربط كل هذه الأشياء المتنافرة ، هؤلاء المماليك الذين جاءوا من السهوب البعيدة وارتفعوا في زهو ، ثم هووا كالطيور المذبوحة ، علماء الازهر والمشايخ ـ وكان هو واحدا منهم ـ كيف قادوا الشعب مرة ، وتلاعبوا به مرتين ، وأجهضوا ثورته أكثر من مرة ، الأشراف والمحتسبون اللصوص ، والاغوات المرتشون ، فقراء المجاورين ، الشعراء الحالمون ، الصناجقة ، الأنبياء الكذبة ، خدام المساجد ، العربان ، الدراويش ، غراميات الهوانم ، أسعار الأسواق ، مواعيد الأوبئة ، صعود

النيل وهبوطه ، عمارات المساجد والبيوت والقنوات والترع . . عالم هائل تشكل عبر العديد من الحقوب ، ولادة عسرة ، شارك فيها المماليك والعثمانيون والفرنسيون والارنؤ ود والانجليز . .

خمسون رمضان لكل شهر منها مذاق مختلف ، ولكن في حياة الجبرتي وفي تاريخه هناك رمضانات فاصلة لم يأت قبلها ولم يأت بعدها شبيه لها .

رمضان القهر ١٧٩٩م - ١٢١٣ هـ

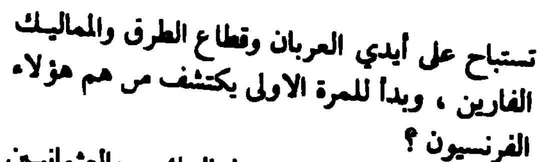
ريح باردة تهب على المقطم ، كأنها قادمة من زمن لم يأت بعد ، ارتعد الجبرتي وارتعد بقية المشايخ ، كانوا فوق أعلى قمة يحدقون عبثا في السماء المظلمة لعل الهلال الغريب يبدو ولو للحظة خاطفة . لم يكن بين المشايخ اتفاق سابق ولم يصدر اليهم أمر مباشر ، ولكنهم كانوا يدركون جميعا أن هذا الهلال يجب أن يظهر في هذه الليلة لأن ساري عسكر الفرنسي نابليون بونابرت لن يرضى بأقل من ذلك .

كانت القاهرة نائمة أسفل المقطم ، حيوان خرافي منكسر الروح ، غريبة تحت الرايات الفرنسية ، مريرة بطعم الهزيمة ، والريح تزوم تبعث الخوف في أحلام النيام.لم يكن هناك فائدة من التردد ، وقال الجبرتي بصوت ضعيف : لقد رأيته ولم يرفع أحد من المشايخ رأسه ليراجع كلماته،ولكنهم ضموا العباءات على أجسادهم وهمهموا (ثبتت الرؤيا) وهبطوا .

لم ترتفع الأدعية ولم تضىء المنارات،وهنأ ساري العسكر المشايخ تهنئة مقتضبة ، أكد لهم أنه كان ينوي الصيام معهم لولا أنه على سفر يضطره أن يرحل بجنده الى الشام كي يقضي على أقرب الجيوش العثمانية اليه ، وخصوصا أمير عكا المدعو الجزار . . كان يريد أن يترك القاهرة وهي مدينة منضبطة ، لا يختل فيها شيء حتى الظواهر الطبيعية ، فبعد أن فشلت ثورة المدينة منذ شهرين فقط لم يعد الفرنسيون يأمنون لشيء . . حتى لتأخر الهلال . .

كانت هذه هي كذبة الجبرتي الأولى ، ولكن الناس كانوا صُوّماً من شدة القهر ، كانت مدافع الفرنسيين أشد قسوة من كل الفتاوى ، وأصابعهم تمتد الى كل مكان تنزع أُلفة العالم القديم وسكينته ، لعله ألف ظلم المماليك وجهل البشوات وغطرسة الانكشارية ، ألف كل هذه الأشكال الشائهة . علاقة الحاكم بالمحكومين،وتعود أن يؤجل حُلم بالعدل عاما بعد عام . ولكنه رغم كثرة معارفه والمكتبة التي تملأ بيته ، لم يكن يعرف شيئا عن هؤلاء الفرنسيين حتى مرق « قنبر » مدافعهم من فوق رأسه . ويبدو أنه لم يكن وحده في ذلك ، فحتى (مراد بيك) كبير المماليك أغرق في الضحك عندما سمع من الجواسيس ان جيش الفرنسيين لا يملك خيولا كافية وأن معظم أفراده يسيرون على أقدامهم وقال مؤكدا لمن حوله . . سوف ندوسهم تحت سنابك خيولنا ، وخرج اليهم وهو في أتم زهوه وأبهته ، كان هو وفرسانه يركبون الخيول العربية المطهمة ويرتدون الملابس الحريرية ويتخذون الاسلحة المطعمة بالجواهر والياقوت ، أما عمائمهم الضخمة فقد كان يعلوها ريش مالك الحزين ، ووقف الفرنسيون في مواجهتهم . مربعات زرقاء كالحة اللون مرتعدة مبهورة بشمس الصحراء القوية وبمنظر الاهرامات الشامخة ، وحين صرخ مراد بيك يدعو جنوده للانقضاض عليهم انفتحت عليه أبواب الجحيم ، لم يستطع أن يصل اليهم أو أن يرى وجوههم ، كانت تفصل بينه وبينهم مساحة شاسعة من الرمل والبارود والجثث المتفحمة ، هؤلاء المماليك الاوغاد خاضوا معركة انتحارية غريبة ، لم يكونوا يفهمون ما يحدث بالضبط . ولم يكن في مقدورهم التراجع . عاشوا حياتهم الطويلة بلا شرف ، سرقوا وغشوا وظلموا وأكلوا السحت ، ولم يكن أمامهم الا أن يموتوا ميتة مشرفة ، وعندما فتش الفرنسيون ثياب جثثهم وجدوها مكتظة بالدراهم ، كانوا قد خاطوها في العمائم والاحزمة وتكة السراويل ، وكانت سروج جيادهم مليئة بقطع الحلوى والسكر النبات ، قاموا بآخر هجوم للفرسان في التاريخ ، وبعد ساعتين فقط تبدد جيش المماليك وسقطت مدينة القاهرة .

فر الجبرتي مع من فروا خوفا من أن تستباح المدينة المهزومة كأنها لم تستبح كل هذه القرون الماضية ، ودخل نابليون القاهرة ليكتب في مذكراته (من الصعب أن يجد الانسان بلدا أكثر غنى وشعبا أشد بؤسا وجهلا وضراوة) ، ولم يعد الجبرتي الا بعد ثلاثة أشهر بعد رحلة هرب مروعة ، شاهد مصر كلها فيها



شاهدهم يضربون الناس العزل بقسوة ، يسلطون عليهم المدافع طوال اليوم ، ويقتحمون الازهر بخيولهم في الصباح ، شاهد ذل المشايخ وانتهاك النساء ، وتظاهر بونابرت بالاسلام وارتدائه العباءة والعمامة بشكل يثير الضحك والفجيعة فهتف « يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف . . »

وفي اليوم التالي تقابل مع الشيخ الشرقاوي ، كان كل منهما يعرف أنه قد كذب وان الهلال الذي يصوم الجميع من أجله كان كاذبا ، ولكن الذي خفف عليه هو بدء رحيل (بونابرت) الى الشام « وقفا معا ليشاهدا خروج الحملة ، جنود قصار القامة يحملون الأثقال الكثيرة ، خلفهم محفات النساء والجواري البيض والحبشيات اللاتي استولوا عليهن من بيوت المماليك المهزومين ، وتزيا أكثرهن بزي النساء الافرنجيات ، كانت رغبتهم هذه في مطلق الانثى سببا آخر في عدم اقتناع الجبرتي بهم ، فالعدل الاسلامي يجب أن يأتي من أكثر الطرق نقاء ، وظل الجبرتي طوال شهر رمضان يسجل انتصارات هذا الرجل الذي لا ينهزم أبدا ، وهو يعبر الصحراء يستولي على العريش ثم غزة وخان يونس ويافا ، وتبقى معركته الفاصلة تحت أسوار عكا ، بدا واضحا أن الجزار لن يلبث أن يسقط مع أول أيام العيد ، ولكن الجزار باشا لم يسقط . .

تستباح على أيدي العربان وقطاع الطرق والمماليك الفارين ، وبدأ للمرة الاولى يكتشف من هم هؤلاء الفرنسيون ؟

كان الجميع أجانب ، المماليك ، والعثمانيين والشراكسة ، ولكن هؤلاء الفرنسيين كانوا أجانب من نوع مختلف كأنهم جاءوا من كوكب آخر ، لقد أصابوه بالحيرة والارتباك حين رأى دقة أعمالهم وحين خاطبوا جانب العقل فيه ، وشاهد آلات القياس والمعامل والمطبعة ومناظير الرصد ، العلوم التي كان أبوه - وهو من بعده - جائعا اليها ، كانوا أقل ظلما من المماليك والاتراك،يدفعون ثمن ما يشترونه ويعتمدون على التفاهم بدلا من النهب . ولكنه لم يستطع أن يألفهم ، كان في أعماقه يرفض أن يأتي العدل عن طريقهم وهم غير مسلمين ، وعندما ثارت المدينة عليهم تجسد في داخله هذا الرفض .

رمضان الثورة ١٨٠٠ م - ١٢١٤ هـ

لم يظهر الهلال ، ولكن ظهر أغا تركي « عثمانيلي » فخم . . اخترق المدينة في زهو المنتصرين يتزاحم الرجال والاطفال لرؤيته ، وترتفع أصوات النساء بالزغاريد كان هذا الأغا هو أول بشائر الخلاص من الفرنسيين ، ما أغرب دورة الزمان منذ عام واحد فقط ، لم يكن هؤلاء الفرنسيون قابلين للهزيمة ، لكن بونابرت يعود خائبا بعد أن عجز عن اقتحام أسوار عكا . وما يلبث أن يتسلل عائدا الى فرنسا وجيشه محاصر من البحر بسفن الانجليز ومن البر بجيوش الترك ، ومن الداخل بحرافيش الناس وأهل البلاد الذين رفضوا رغم كل شيء أن يتآلفوا معه ، لم يكن أمام الفرنسيين الا الاستسلام وقبول مساعي الصلح والانسحاب بشكل مشرف .

كان الجبرتي مشغولا بمرض ابنه خليل ، ورغم ذلك وجد قليلا من الوقت للذهاب الى تحية الأغا مع بقية المشايخ ، اكتشف أن الاغا كان مفطرا وعلل ذلك بأنه كان على سفر ، واكتشف أيضا أنه ليس أغا مهما ، انه أغا الجمارك والمكوس ، لم يكن يحمل الحرية ولكنه كان يحمل فرمانا بطلب النقود ، ثلاثة آلاف كيس لترحيل الفرنسيين ، وثلاثة آلاف كيس أخرى لدخول العثمانيلي ، كان على الناس أن يدفعوا للاثنين معا ، ورغم ذلك وافقوا وهتفوا:(سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكفرة) ، وطاف الاطفال في الشوارع وهم يهتفون (الله ينصر السلطان ويهلك فرط الرمان) .

ساد الوئام بين الفرنسيين والعثمانيلي أخيرا ، أصبح هدفهما المشترك هو استنزاف كل درهم من الناس ، سُمح لهم بنزول القرى والبنادر بفرض الاتاوات ومصادرة المحاصيل،وبدأ الفرنسيون يجمعون سلاحهم ويبيعون أمتعتهم وأخلوا كل القلاع خارج القاهرة . بل وأخلوا أيضا قلعة الجبل ، وكان الاتراك مشغولين بجمع الاموال فلم يتنبه أحد لأهمية احتلال القلعة . وعاد ابراهيم بيك اللص المملوكي القديم يطلب الكساوى والثياب والطرابيش له ولمماليكه . وجلس الوزير الاعظم مصطفى باشا في بلبيس ينتظر اللحظة المناسبة التي يقفز فيها على المدينة .

ولكن الامور لم تسر سيرها الطبيعي ، اختلف جندي فرنسي مع انكشاري ، حول امرأة ، حول كيس من الدراهم ، أو غلام أو كأس من الخمرة ، ولكن كل واحد رفع السلاح وبدأت الاشتباكات بين الفرنسيين والعثمانيللية في شوارع المدينة . وساد المدينة جو من التوتر ، وزاد هذا التوتر عندما اكتشف الفرنسيون أن الاتراك كانوا يخدعونهم

كانوا يريدون أن يقدموهم فريسة سهلة للاسطول الانجليزي الذي كان واقفا يتحين الفرصة في انتظارهم ، واكتشف « كليبر » ساري عسكر الفرنسيين الجديد أن هذا الاستسلام على طول المدى لن يحقق له شيئا حتى الافلات بجلده ، فقرر أن يلقن الاتراك درسا ، جمع جنوده ، وهجم على جنود الوزير الأعظم ، ولم يكن الوزير ماهرا في القتال مهارته في جمع الأموال ، لقد انهزم سريعا وفر بسرعة أكثر من هزيمته بعد أن أخذ ثمن الحرية من الشعب الذي جاء لتحريره .

ومن خيبة الأمل ، من قسوة الاحباط بدأ الناس العزل ثورتهم الثانية قبل أن تندمل جراح الثورة الأولى ، أغلقوا أبواب المدينة وأقاموا المتاريس وأنشئوا معملا للبارود ، واجتمع الحدادون والسباكون ليصنعوا مدافع بدائية وبدءوا القتال ، وكالعادة رد الفرنسيون بوحشية مبالغ فيها ، حاصروا المدينة ومنعوا عنها الطعام والمؤن ثم أخذوا يصلونها بالمدافع ، ولكن الثورة استطالت وهم يتقاتلون من متراس الى متراس ، ومن مسجد الى مسجد ، مواجهة مستمرة ودامية خاضها المصريون من فرط الحنق ورغبتهم في الخلاص،وخاضها الفرنسيون بوحشية اليائس الذي لا يجد لنفسه مهربا آخر .

أصابت هذه الثورة الجبرتي بهزة عنيفة جعلته يتنبه الآن فقط أن القوه الحقيقية هي لأهل الشارع المصري ، للحرافيش والزعران الذين خاضوا معركة رهيبة امتدت لكل مكان لقد رفضوا الخلاص على أيدي الزعماء الاتراك . كذلك رفضوا توسط المشايخ بينهم وبين الفرنسيين من أجل الصلح،وقاتلوا على أنقاض مدينة نصف محرقة حتى كانت لحظة النهاية . غيَّمت السماء غيما كثيفا وأرعدت رعدا مرعجا وأمطرت مطرا غزيرا وسَيلت سيلا كثيرا ، والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار لأنهم في خارج الأقبية وهي لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية ، وقاتل أهل بولاق جهدهم



موا أنفسهم في النيران حتى غلب الفرنسيون عليهم حصروهم من كل جهة ، وقتلوا منهم بالحرق والقتل ملوا بالنهب والسلب وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما شيب من هوله النواصي ، وصارت القتلى مطروحة بالطرقات والأزقة واحترقت الابنية والدور

خيم صمت الهزيمة على المدينة المحترقة ولكن كليبر دفع ثمن هذه الوحشية ، فبعد شهر ونصف فقط على اخماد الثورة انتقم شاب من مدينة حلب يدعى سليمان الحلبي للشعب كله حين طعن كليبر طعنة قاتلة وهو يتنزه في حديقة قصره بالازبكية

رمضان الفوضى

١٨٠٤ م - ١٢١٨ هـ

اختطف الجنود عمامة الجبرتي من على رأسه فأخذ يجري في شوارع القاهرة وقد أحس أن جسده كله قد تعرى . وعندما وصل الى بيته في الصنادقية كان يرتعد وظل عاجزا عن لقاء الناس أسبوعا كاملا

كانت الاهانة هي الفعل اليومي المباح في شوارع القاهرة ، وخطف العمامة هي أهون هذه الافعال ، فاليد التي تخطف دون أن يحاسبها أحد يمكنها أن تهوي بالسيف دون أن يحاسبها أحد أيضا . جاء رمضان هذا العام دون بهجة فلم يعمل له أي احتفال أو تطلق له المدافع خوفا من عربدة الجند ، كان العثمانيللي قد كسبوا معركة لم يخوضوها واستباحوا مدينة لم يفتحوها . دخلوا يحملون الخلاص من الكفرة فأصبحوا هم أشد كفرا ، دخل الوزير الأعظم مصطفى باشا على رأس موكب النصر الطويل وسط عساكر مختلفة ، ارنؤود ، سكرجية ، انكشارية ، عساكر شامية ، مماليك مغاربة ، كتبة وأغوات وقصاة عسكر ، دخلوا دخول الظافرين بعد أن انسحبت جيوش الفرنسيين ، وفور أن استقروا في أماكنهم القديمة أعلن القاضي التركي أن مصر كانت (دار حرب) وبالتالي فان للجيش التركي حق الفتح ، وبذلك تصبح أرض مصر كلها ملكا للسلطان ، وثار شيوخ الازهر ، فالقاضي يعطي بذلك فتوى شرعية تبرر السلب وتبيح النهب ، ورغم اسقاط هذه الفتوى فقد مارست كل الطوائف التي دخلت في صحبة الوزير عملية النهب بطريقة فجة . في كل يوم كان لصوص الانكشارية يهبطون على الأسواق كالجراد ، يقتلون بلا تمييز ويغتصبون النساء ، وينتهكون الغلمان ، حتى ان الجبرتي حذر ابنه خليل من الهبوط في الشارع لأي سبب من الأسباب

وجاء رمضان قاسيا ، غيمت السماء كأنها تعلن عن عدم رضاها وهطل المطر حتى انهارت البيوت القديمة على رؤوس ساكنيها ، وأراد الوزير الأكبر أن يسافر فصادر كل السفن الكبيرة الموجودة في الاسكندرية ووصل الباشا الجديد ففرضوا ضريبة جديدة وأكلوا المزروعات قبل أن يكتمل نموها ، سار الارنؤود في الاسواق يجاهرون بالافطار ويصادرون السمن والاغنام والخضراوات حتى امتنع وصول الفلاحين الى المدينة .

كأنه لا يوجد خلاص من هذه الفوضى المروعة

ذهب الجبرتي الى نقيب الاشراف السيد عمر مكرم ، ألا يوجد خلاص يا سيدنا ؟ كان الجبرتي يبحث عن دور له هو وبقية العلما ، فالأمور تتردى الى حضيض مؤلم ، وطلب منه السيد عمر مكرم أن يمر عليه الليلة بعد الافطار ، وبعد أن صليا العشاء معا سارا وسط الدروب الضيقة . أمامهما خادم يحمل مصباحا وخلفهما حارسان وكان الجبرتي قد ربط عمامته حول رأسه باحكام ، سارا الى بركة الازبكية فبدأ الجبرتي يشعر بالخوف ، فهذه المنطقة حيث تجتمع القصور والبيوت السرية والغواني تصل فيها عربدة الجند الى ذروتها ، وكان عمر مكرم يسير واثقا . وتحققت مخاوف الجبرتي فظهرت فرقة من جنود الارنؤود (شر من مشى على الارض) وتوقف الجبرتي ووضع يده على رأسه ، ولكن الجنود أفسحوا طريقا للسيد ، وحيوا به ، فقادوهما معا الى منزل كبير ومجلس واسع ملىء بكبار الارنؤود والقادة ، وفي الوسط كان محمد علي قائدهم الأكبر جالسا ، تعرف عليه الجبرتي على الفور رغم أنه لم يشاهده الا في موكب الوزير الاعظم ، عندما صافحه كانت يده صلبة باردة كأنها قطعة من الصوان وعيناه - مثل الذئب - نافذتان تحملان صرامة لا تعرف الرحمة ، جلس الجبرتي وشرب القهوة ورد على كلمات الترحيب ولكنه لم يشعر بالراحة ، كان يرتجف كلما

وقعت عينا الذئب عليه . وبدأ محمد علي يسأل عن كل شيء . الفيضان والضرائب والمكوس وأنواع الزراعات وتجارة البهار والاقطاعات ، وعندما عرف من السيد عمر مكرم أن الجبرتي يسجل حوليات التاريخ يوما بيوم وأنه ألف كتابا بعنوان (مظاهر التقديس في زوال دولة الفرنسيس) وأهداه للوزير الاعظم الذي أرسله للسلطان فأمر بترجمته إلى التركية ، عندما علم ذلك اتجه بكليته الى الجبرتي وأخذ يمطره بالاسئلة عن المماليك والحرافيش والزعران والفرنسيين والتجار . . وجاهد الجبرتي حتى يجيبه اجابات مراوغة ، كان هناك شيء في هذا الرجل جعله يأخذ جانب الحذر منه . ولكن كان من الصعب تضليله ، فهو يتمحص كل اجابة ويعرف الكثير عما يسأل عنه . كان يريد التأكد من أشياء بدت غامضة لدى الجبرتي وهو الذي خبر صفوف كل لصوص هذا الزمان ولكنه فكر في نفسه انه اذا كان هذا الرجل لصا حقا فهو أكبر هؤلاء اللصوص وأعلاهم شأنا ، وراقب السيد عمر مكرم وهو يتحدث معه بود زائد . . وهو يعطيه كل ما يطلبه وعندما عادا كان المساء باردا والمدينة نائمة والكلاب تنبح ووجد الجبرتي نفسه يسأل السيد ذات السؤال السابق . .

لم تقل لي يا مولانا . كيف يكون الخلاص ؟

ولم يتح الظلام للجبرتي أن يرى التعبير المرسوم على وجه السيد عمر مكرم ولكنه سمعه يقول في تأكيد حازم :

خلاصنا سوف يكون على يد هذا الرجل .

رمضان الأحزان
١٢٣٧ هـ - ١٨٢٢ م

لحظة سلام نادرة تلك التي تتبع صلاة الفجر ، فالمدينة التي سهرت طوال الليل حتى موعد السحور تبدأ غفوتها الاولى قبل شروق الشمس ، والفجر يبزغ في جلال وهدوء من خلف تلال المقطم ويتسلل الضوء بين بقايا الأدعية والصلوات . هذا هو صباح ليلة القدر .

والقارئون الذين سهروا في القلعة حتى أتموا تلاوة البخاري لم يعطهم الباشا شيئا فانصرفوا منكسي الرؤوس . وظل خليل بن عبد الرحمن الجبرتي ساهرا في قصر الباشا كان يمارس وظيفته الجديدة التي ورثها عن أبيه وجده الميقاتيه . أن يكون مؤقتا للصلاة وهلالي رمضان وشوال . وعندما بدأ اللون الرمادي يغطي المدينة هبط من القلعة في طريقه الى (الصنادقية) لم يكن باقيا على العيد الا يوم أو يومان وسوف يزف الى عروسه التي اختارها أبوه له ، ابنة صديقه الشيخ الخشاب .

هبط خليل سلم القلعة الحجري الطويل ، وركب بغلته وضم العباءة حول صدره وبدأ ينحدر في درب المحجر الضيق . ولكنه وجد خمسة رجال يسدون عليه الطريق . كانوا يرتدون ري الارنؤود ويمسكون السيوف ، ولأول وهلة حسب أنهم لصوص يريدون سلب نقوده أو بغلته ولكنه رأى بينهم وجها يعرفه حق المعرفة ، انه محمد بيك الدفتردار زوج ابنة الباشا شخصيا . وصهر الباشا لا يمكن أن يسرق بهذه الطريقة وقبل أن يتساءل خليل عما يحدث كان الدفتردار يقترب منه وهو يغرس سيفه في بطنه صائحا : متى يكف أبوك عن قلة أدبه في حق الباشا ؟

شهق خليل وغرس الاربعة الآخرون سيوفهم في جسده ، تصالبت السيوف فلم يسقط من على البغلة حتى نزعوها من جنبه ، هوى على الارض فحملوه ووضعوه فوق ظهر البغلة مرة أخرى ، كانت تعرف طريقها جيدا الى بيت سيدها في الصنادقية ، وعندما فتح أهل البيت الباب وجدوا الجثة باردة وقد استنزفت كل قطرة من دمائها . كانت البغلة كلها مغطاة بالسائل الداكن اللزج وتأمل الجبرتي وجه ابنه مدهوشا كأنه يراه للمرة الاولى . الفم مفتوح من فرط الدهشة ، والعينان محملقتان من هول المباغتة ، رسالة لا يخطىء أحد فهمها . قال في مرارة : فعلها الباشا ، ولم يكن هناك أي عزاء ، كيف يمكن أن يحلم بالعدل وفي الدنيا رجال من أمثال محمد علي ؟ أنزلوه وغسلوا جسده الممزق وطيبوه بالزعفران وأدخلوه في الأكفان كأن كل الصفحات الكثيرة التي عكف الأب على كتابتها طوال هذه السنوات قد تحولت الى كفن لابنه . تلقى العزاء وهو لا يرى من يعزونه . الآن انتهى زمن الكتابة وأصيب التاريخ بالموت ، خرج الى شوارع المدينة . مدينة غريبة وضع محمد علي بصماته على كل شيء فيها ، هدم وأبدل وصادر وامتلك ، لم يترك لأهلها سوى المقابر . جلس في مكان خارج

القاهرة فوجد القلعة في مواجهته . تطل عليه في شماتة . الآن . . الآن فقط انقصفت الاقلام . . انظري الى أولادك وهم حولك مشتتون متباعدون مشردون.استوطنك اجلاف الاتراك واليهود وأرزال الارنؤود ، صاروا يقبضون خراجك . ويحاربون اولادك . ويقاتلون أبطالك ويقاومون فرسانك ، ويهدمون دورك ، ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ، ويطمسون بهجتك ونورك ، قضي الأمر ، وخلصت مصر لمحمد علي ولا حول ولا قوة الا بالله .

أجل لم يستطع الجبرتي أن يحب محمد علي ، لم ينس تلك البرودة التي كانت تطل من عينيه الناهدتين في تلك الليلة الرمضانية البعيدة . لقد عارض طويلا في أن يعمل ابنه معه ولكن الباشا هو الذي فرض عليه ذلك ، أراد أن يضعه رهينة بين يديه لعله يتراجع فيكتب التاريخ كما يريده الباشا لا كما كان يحدث . حتى حركة الرمان أراد تاجر الدخان أن يتدخل فيها كيف يمكن أن يحبه وهو الذي أخلف كل وعوده . تعهد للعلماء بتحقيق العدل بين الرعية وضمن السيد عمر مكرم هذا التعهد برقبته ، جعلهم يقفون خلفه حتى صعدوا به الى القلعة رغم أنف السلطان ، وبدأ ميزان العدل في النقصان . وكان أول ضحاياه هو عمر مكرم نفسه . نفاه بعيدا وحرم عليه دخول القاهرة . ووعد المماليك بأن يعيد لهم مجدهم الغابر ثم ساقهم الى القلعة وشرب معهم القهوة وتصاحك لمدة ساعة ثم أمر جنوده أن يذبحوهم جميعا . وعد الفلاحين بتقسيم الاقطاعات القديمة ورفع ظلم الملتزمين والمحتسبين عن أعناقهم ثم سلب منهم كل شيء وأصبح هو المالك الوحيد لكل مصر ، بطينها ونهرها وناسها.حقق فتوى القاضي التركي بطريقته الخاصة حتى ضيعة الجبرتي الصغيرة التي كان يعيش على ايرادها سلبها محمد علي . ترك له الكفاف وهم العيال وضيق المعاش .

كان منفيها ولا يمكن أن يكون غير ذلك ـ كان يحلم بالعدل الاسلامي ولا يمكنه أن يحلم حلما آخر ، وعندما خرج الوهابيون من عرض الصحراء يطالبون بالاسلام نقيا كما أنزل وحد نفسه يتعاطف معهم . وجد فيهم البديل لكل العذابات التي شاهدها الاسلام على أيدي شواذ الارض ولكنه شاهد جيش محمد علي وهو يستعد للخروج لمحاربتهم ، شاهد جنوده وهم يأكلون ويشربون في وضح النهار ، وهم يصيحون (نحن مسافرون للجهاد) م يكونوا جيشا ولم يكونوا مجاهدين كانوا بؤرة حقيقية للفساد ، يسكرون ويربون ويلوطون .

كيف كان يمكنه أن يسكت على كل هذا . . ومحمد علي يمتلك الصنعات ويزيف العملة وهو يحاول أن يغريه بالمناصب أحيانا . . وبالموت في سجن القلعة أحيانا أخرى . وهو يكلف صديقه الشيخ حسن العطار بكتابة تاريخ مضاد لتاريخه . أدرك الجبرتي ان الزمان لن يستدير الا دورة واحدة ، عليه أن يكون شاهدها الوحيد . لقد كلفته الحقيقة غاليا ، ذهب البكاء ببصره ولم يعد قادرا على التدوين . وأصابه العجز والشيخوخة ، فلم يعد قادرا على فهم هذا العالم العريب .

جلس حزينا في داره ، مريضا ، أعمى تقريبا ، ومات في صمت ، وبعد فترة قصيرة احترق منزله في الصنادقية بصوره غامضة ، وأتى على المكتبة الكبيرة التي ورثها وأضاف اليها ، وأتى على جزء كبير من التاريخ الذي دونه ولم يكتب له أن ينشر أبدا . □

الزوج المثالى

الرجل الأصلع زوج مثالى ! هذه هى نتيجة الاستفتاء الذى قام به عالم النفس المجرى الدكتور استفان بوكر لأكثر من ثمانمائة زوجة على مدى خمس سنوات كاملة . فقد أجمع ثلاثون فى المائة من الزوجات على انهن يعتبرن أنفسهن أسعد زوجات فى العالم ، وعندما التقى بوكر بلزواجهن الذين نجحوا فى اسعادهن ، وجد انهم جميعا قد فقدوا شعر رؤوسهم . . !

تقاسيم على الخفيف

١

أنا لا أحسِنُ الغناء لأني
بُحَّ صوتي من الأسى والرثاءِ
هاكُ القوسَ والربابةَ عني
وامد... الكأسَ وحدكُمْ أصدقائي

٢

لم أ... ...عراً ، ولكنَّ قومي
جه... ...رب ، تحت شمس الظهيرة
فا... ...حافقي ، فصار حُذاءً
ف... على فلول المسيرة

٣

أنا ... أبقيْتُ عمري
تحت شب... ...ديقة زهرِ
عَلَّ دمعي ، في الطَّلِ ، يحكي إليها
أو جراحي على التَّوْبيج ، فتدري

٤

جئت يوما لأسرق الصبح وهجاً
وأساوي الضياء بين الناس
ثم لما عشِيتُ - من فرط نوم
جندلتني بنادق الحرَّاس

٥

لغد أصْبحُ الصَّباح ، وأمْسي
هو يومِي ، وكل تاريخ أمسي
ياغداً أنفِقُ الحياة عليه
أوافيكَ عند حفرة رمْسِي

٦

ما على النهر من تَعِلَّةِ ظام
ما على البحر من فُلول الغَمام
يسعُ الصدرُ ألفَ طعنة ظهرٍ
إن يكن صدر واثقٍ مقدامِ

٧

جيء بالعدل في المزاد الكبير
قيل ماذا تبيع ؟ قال ضميري
قال لصٌّ إلى سعادة قاضٍ
هل يساوي لديك شرْوى نقير

٨

خلِّ عينيك في السماء لئلاَّ
تقَعا منك في زحام المدينةْ
أعينُ الناس هاهنا من زجاجٍ
والعِرابُ العتاق أمستْ هجينةْ

٩

خالني السَّيدُ الوزيرُ « نزارا »
فحني نصف جذعه إكبارا
ثم لمَّا سُمِّيتُ باسْمي أوْرى
ناجِذيْه ، فازْورَّ عني ازْوِرارا

١٠

تسألين الغريب مافي جرابهْ
غيرُ بوْحِ الأسى ، ونوْح عذابهْ
يا ابْنتي لو عرفتِ من طارق الليلِ
شربت الصباح من أهدابهْ



شعر : يوسف الخطيب

١١

في فلسطين كنت خبأت قلبي ،
وأغانيَّ ، عند ضِفَّة نهر
فإذا الريحُ هامستْ في بلادي
قصبَ الماءِ ، ذاع أجملُ شعري

١٢

يا رئيسَ التحرير بالله زِدْني
بعضَ علم ، ويا مديرَ الاذاعهْ
قد حفظنا الأخبار عن ظهر قلب
نبِّنا بعْدُ عن . . قيام الساعهْ . .

١٣

دَعْ على الدرب جُرحنا المطلولا
شرفُ الجرح أنْ يضيء السّبيلا
قسمةُ الله أن نكون « الضحايا »
في ذوينا . . وأن نكون « الدّليلا »

١٤

سرْ حثيثاً إلى دُنا أحلامِكْ
فالتواني تفرُّ من أيّامكْ
وأذِبْ شمعةَ الحياة عطاءً
لا تدعْ للتراب غير عظامكْ

١٥

طَلعتْ ذئبةٌ من البحر ترْعى
غَنَم الله في تُخُوم القبيلهْ
غَنَمُ الله كنَّ في القفر أشتاتا
وكان الأكباشُ في القيْلولهْ

جمال العربية

صفحة لغة

بقلم : محمد خليفة التونسي

الخصم والنضوج والنوادى .. كلمات فصيحة

عشرات بل مئات من الكلمات يجرح بعض اللغويين فصاحتها ، ولا حجة لهم سوى أنهم لم يجدوها في نص أدبي أو معجم ، كأنما هم قد استقرءوا كل المراجع ، أو كأن المعاجم قد استوعبت كل الكلم الفصيحة ، وكل هذا وهْم .

كنا - قبل سنوات - قد عرضنا طائفة من هذه الكلمات التي ينكر بعضهم فصاحتها لهذا السبب ، ونعود الى مثلها اليوم .

١ - خصْم : قال أحد الاساتذة الزملاء هنا انه شهد محاضرة مع آخرين ، وكان بينهم أستاذ من دكاترة الفلسفة درّسها في أكثر من جامعة أو أكثر من بلد ، فبينما هما خارجان من المحاضرة أخبره الدكتور أن من أخطاء المحاضر أنه نطق كلمة (خَصْم) بمعنى أحد الخصوم ، وأن صوابها (خِصم) بكسر الخاء ، أما الخَصْم عنده فمعناها اقتطاع جزء من شيء كما يكون ثمن سلعة أو دين مئةً مثلا فيستنزل الى ماهو دون ذلك .

ثم سألني الزميل عن رأيي في كلام صاحبه فقلت له : لم تمر بي كلمة (خِصم) فيما عرفت من لغتنا الفصيحة ، وانما هي تحريف عامي للكلمة الفصيحة (خَصْم) ، ولو كان صاحبك يقرأ القرآن الكريم لتوقف عن التخطئة ، لورودها فيه ثلاث مرات : مرة في سورة (ص) عند ذكر داود : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ، إذْ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا : لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق » . وفي سورة (الحج) في الخصومة بين المؤمنين والكافرين « هذان خصمان اختصموا في ربهم » .

والخصم يطلق على المفرد والمثنى والجمع ، ويستوي فيه المذكر والمؤنث لانه في الأصل مصدر ، وان كان هنا صفة أو وصفا ، ولكن يراعى فيه الوصف فيثنى ويجمع فيقال : خصمان وخصوم ، وكذلك يقال في المبالغة (خَصِم) ، فيقال كما في القرآن : « بل هم قوم خَصِمُون » ، ومن المبالغة « خصيم » أيضا والجمع « خُصَماء » كما في قوله تعالى في خطابه للنبي : « ولا تكن للخائنين خصيما » .

ومعنى الخصومة أصلا « الجدل » ، ولكننا قد نستعملها بمعنى « العداوة » لان الجدل كثيرا ما يؤدي الى التغاضب والتباغض والقطيعة والعداء ، وهذا الاستعمال من المجاز المرسل ، اذ أطلق السبب « الجدل » ويراد به النتيجة « العداء » .

٢ - نضوج : تذكر المعاجم والنصوص الادبية

مصـدرين للفعل « نضـج » هما : نَضْج ونُضْج ، يقال : نضج اللحم ، أو الثمر ، أو العقل : أدرك غايته واستواءه ، فهو ناضج ، وللمبالغة « نضيج » بالمعنى نفسه ... ، ولم تذكر المراجع المصدر الذي نستعمله كثيرا وهو « نضوج » ونرى نحن صحته مع ندرة أمثاله ، وذلك أن الفعل اذا كان على وزن فعل ثلاثيا لازما مكسور العين لا يدل على معنى ثابت ولا لون أو عيب ، فمصدره غالبا على « فَعَل » مثل : ندم ندما ، وأسف أسفا ، وعمى عمى ، وعور عورا

وان دل عـلى لون فمصـدره على زنـة « فُعْلة » مثل : حمر حمرة ، وخضر خضرة ، وان دل على معنى ثابت كان مصدره على « فعولة » مثل : يبس يبوسة ، والا كـان المصدر عـلى أوزان عدة ، فهـو مرة عـلى « فَعال » مثل : نشط نشاطا ، ونفد نفادا ، أو على « فُعول » مثل : صعد صعودا ، ولحق لحوقا ، وقدم قدوما ، فيمكننا أن نقيس « نضج » على هذا الاخير فنقول : نضج نضوجا ، وهذا المصدر شائع سائغ ، وللافعال اللازمة على هذا الوزن مصادر على أوزان أخر .

٣ ـ النوادي : يجمع « النادي » على « أندية » ، وهذا الجمـع يعده بعض اللغـويين شـاذا ، ومن هؤلاء صـاحب الصحـاح ، وصـاحب مختـار الصحـاح ، وصاحب لسان العرب ، وحجتهم القاعدة الصرفية وهي أن « أفعلة » يكون جمعا للاسم الرباعي اذا كان ثـالثه حـرف مـدّ مثـل رغيف وأرغفة ، ودعاء وأدعية ، ولكن هذا الجمع سمع كما في قول الخنساء من بعض مراثيها في أخيها صخر :

ولأَجُ أنْـدِيـةٍ ، شهـاد أنـديـة
حـمّـال ألـويـة ، للجيش جـرار

ويجمع « أندية » على « أنديات » كقـول : كثيرة عزة :

لهم أنـديـات بـالعشي وبـالـضحى
بهـاليـل يـرجـو الـراغبـون نهالهـا

ولكي تطرد القاعدة السابقة عند بعضهم ـ وهو محمد بن يزيد ، كما جاء في لسان العرب ـ يرى أن « أندية » جمع « نَدِيّ » ، « وذلك أنهم يجتمعون فيه » ، والنادي هو المجلس الذي « يندو » اليه الناس أي يتنـادون اليه ، ويتجـالسـون فيـه ، وهو يسمى كذلك سواء كان فيـه أهله أو كان خـاليا منهم .

و « النوادي » جمع قياسي .

والقاعدة عند الصرفيين هي أن « فواعل » تكون جمعا مطردا لكل اسم مذكر لغير عاقل اذا كان ثالثه حرف مدّ ، وأمثلته كثيرة ، يقال : شاهد شواهد ، وناجذ نواجذ ، وساعد سواعد ، وسـامر سـوامر ، وسـاتر سـواتر ، وشـاحص شـواخص ، وغـارب غـوارب ، وعامـل عوامـل ، وداع دواع ، شـارب شـوارب ، باعث بـواعث ، دافـع دوافـع ، رافـد روافـد ، راضع رواضـع ، ويلاحظ أن الصرفيين يسمون هذه الكلمات أسماء ، وليست هي بأسماء ، بل صفات نقلت الى الاسمية ، فهي ليست أسماء محضـة ، ولاصفـات محضـة ، والفرق بين الاسم « المحض » والصفة « المحضة » أن الاسم يدل على مسمى ، والصفة تدل على موصوف بها ، وهذا النوع من الكلمات يسمى عند بعض علمائنا « الصفة الغالبة »

وهنـاك جمع آخـر نادر ، هـو « أنـداء » ومفـرده « نَدًى » بمعنى النادي وشاهده قـول شبلي بن معبـد البجلي يرثي بنيه ، وكانوا قد أصيبوا بالطاعون

فـوحـدي سـاهلي وجـدمـا ، عـبر أنهم
شـبـاب يـزينـون الـنُّدَى ومشـيب

وهذا الجمع « أنـداء » قياسي ، لان « أفعـال » يكون جمعا لما وزنه « فعـل » مثل أسبـاب وسبب ، أنفاس ونفس ، أنفار ونفر ، أشجار وشجر .

وكل هذه الجموع صواب : النوادي ، والأندية والأنداء ، والجمعان الأولان أشيع استعمالا .

■ ان شئت أن تفهم المرأة ،فتفحص ثغرها عندما تبتسم . وان أردت ادراك طوية الرجل فانظر الى بياض عينيه عندما يغضب .

(جبران خليل جبران)

جمال العربية

صفحة شعر

هكذا غنى الآباء

التدبير واليقظة في الحرب

لقيط بن يعمر الإيادي

قيل . إن لقيط بن يعمر الإيادي الذي تنسب اليه هذه القصيدة كان كاتبا في ديوان كسرى ملك فارس ، وكانت قبيلة إياد قد اشتدت حاجتها الى المرعى والماء لحيواناتها من أجل قحط وقع في شمالي جزيرة العرب ، فخرجوا الى ريف الجزيرة في العراق ، حيث تكثر الزراعة والمياه . وكانت الجزيرة تحت حكم الفرس ، فلما سمع كسرى بغزوتهم لها أعد جيشا لاخراجهم منها ، وكان لقيط يعرف ذلك بحكم منصبه ، فأرسل هذه القصيدة الى قومه يحذرهم العواقب وينصحهم بالتأهب لها ، وقيل ان كسرى بلغه خبر القصيدة فقطع لسان لقيط وغزا إيادا

والقصيدة ٥٥ بيتا تعد من أجود الشعر،موضوعها وصف إعداد كسرى للحرب ، وما يجب على إياد من الاستعداد للدفاع ، وإثارة حماستها له ، وشروط القائد التي يسعي أن تتحقق له .

وقد اخترنا منها هذه الأبيات لأن تراكيبها مأنوسة .

يـا أيهـا الـراكـبُ المُـزْجي مـطيّـتـه ... الى الجـزيـرة مُـرتـاداً ومـنـتـجـعـا[١]

أبْـلـغْ إيـاداً ، وخـلّل في سـراتهـمْ ... أنّي أرى الرأي - إنْ لمْ أُعصَ - قد نصعا[٢]

يـا لهـف نـفـسـيَ إن كـانـتْ أمـورُكـمْ ... شتّى ، وأُحْكِم أمـرُ النـاس ، فـاجْتمعا

ألا تخـافـون قـومـاً ، لا أبـاً لـكـمُ ، ... أمشَـوْا إليكمْ كـأمثـال الـدُّبى سـرعـا[٣]

أبـنـاء قـوم تـآووكـم عـلى حـنـقٍ ... لا يـشـعـرون أضـرَّ اللهُ أم نـفـعـا

فَـهُـمْ سـراعٌ إلـيـكـمْ بـين مُـلتـقِطٍ ... شـوكـا ، وآخـر يجْني الصـابَ والسُّلعا[٤]

في كـل يـوم يَـسُنُّـون الحـرابَ لـكُـمْ ... لا يهْجعـون إذا مـا غـافـلٌ هـجـعـا

لا الحـرثُ يشغلهم ، بـل لا يـرَوْن لهُمْ ... مـن دون بَيْضَتِكـم رِيًّـا ولا شِبَـعَـا[٥]

وأنـتـمْ تحـرثـون الأرض عـن سـعـةٍ ... في كـل مُعـتـمـر تبـغـون مُـزدرعـا

وقـد أظـلّكُـمْ مـن شـطر ثـغـركـمْ ... هـولٌ لـه ظُلَمٌ . تغشـاكمُ قـطـعـا

●●●●

مـالي أراكـم نـيـامـاً في بُـلهنـيـة ... وقـد تـرون شهاب الحرب قـد سطعا

فـاشفـوا غليـلي بـرأي منكمْ حصـد ... يصْبـحُ فؤادي لـه ريّان قـد نقعا

ولا تكـونـوا كمنْ قـد بـات مكتنعـا ... اذا يقـال لـه : افـرجْ غمّـة ، كنعـا

يـسـعـى ويحـسـبُ أن المـال مخـلـدهُ ... إذا اسـتـفـاد طـريـفـا زاده سـمـعـا

فـاقْـنـوا جيـادكـمْ ، واحْـموا ذمـاركـمْ ... واستشعروا الصبر . لا تستشعروا الخرعا[10]

صُـونـوا جيـادكمْ ، واجلُوا سيـوفكمْ ... وجـدّدوا للقسيّ النّبـل والشّـرعـا[11]

اذكـوا العيـون وراء السّرْح واحـتـرسـوا ... حتى تُـرى الخيـل من عـدائـهـا رُجعـا

لا تُـثـمـروا المـال لـلأعـداء ، إنهم ... إن يـظـهـروا يحـتـووكم والـتـلاد معـا

والله مـا انـفـكّـت الأمـوالُ مـذ أبـد ... لأهـلهـا - ان أصيـبـوا مـرّة - تـبـعـا

يـا قـوم ، إن لـكـمْ مـن إرْث أوّلـكـمْ ... مجـدا قـد أشفقتُ أن يفنى وينـقـطعـا

مـاذا يـردُّ عـلـيـكـم عـزُّ أوّلـكُـمْ ... إنْ ضـاع اخـرُه ، أو ذلّ واتّـضـعـا

يـا قـوم ، لا تـأمـنـوا - إن كنتمْ غُيُـرا ... عـلى نـسـائـكُـم - كـسْـرى ومـا جـمـعـا

قـومـوا قيـامـاً عـلى أمشـاط أرجلكُمْ ... ثم افزعوا ، قد ينالُ الأمْن منْ فـزِعا[12]

●●●●

وقـلّـدوا أمـركـمْ لله دَرّكـمْ ... رحْب الـذراع بـأمـر الحرْب مضـطلعا

لا مُـتْـرفـاً إن رخـاءُ العيش سـاعـدهُ ... ولا اذا عضّ مـكـروه بـه خـشـعـا

لا يـطعـمُ الـنـوم الا ريْـث يبْـعـثـه ... همٌّ يكـاد شـبـاهُ يقْصم الضّلعـا[13]

مسـهّـد الـنـوم تـعـنـيـه أمـورُكـمْ ... يـروم مـنـهـا الى الأعـداء مطّلعـا

مـا انفك يحلب هـذا الـدهـر أشـطُـرهُ ... يـكـون مـتّـبـعـا لـوراً ومـتـبـعـا[14]

ولـيـس يـشـغـلـه مـال يـثـمّـره ... عنكم ، ولا ولـدٌ يبغي لـه الـرفـعـا[15]

لـقـد بـذلت لـكـم نـصـحـي بـلا دخـل ... فـاسـتيـقـظوا ، إن خـير العلم مـا نفعـا[16]

---

(١) المزجي مطيته . السائق دابته المرتاد الباحث المتجع طالب الماء والنبات (٢) خلّل في سراتهم امش بين سادتهم نصع ظهر . (٣) الدبى . صغار الجراد سرعاً . بسرعة (٤) الصاب والسّلع نوعان من الشجر المر

(٥) لا يرضون الا قطعكم حذريا ، وفناءكم (٦) تطلبون عن حق استغلال كل أرض صالحة للزراعة .

(٧) جاءكم الهول من جهة المكان الذي يتوقع منه هجوم الأعداء (٨) حصد . ناصح نقع : ارتوى

(٩) اكتنع وكنع : خشع وذل (١٠) اجمعوا حيولكم ، واحموا موطنكم

(١١) احفظوا خيولكم ، وجهزوا سيوفكم ، وجددوا للأقواس السهام والأوتار (١٢) استعدوا بكل قوتكم .

(١٣) لا ينام حتى يحس بالعزم ينخسه حتى يكاد يكسر ضلوعه (١٤) مجرب للحرب ، يحسن القيادة كما يحسن الانقياد

(١٥) لا يشغله جمع المال ، ولا الاشتغال بأولاده طمعاً في رفعتهم (١٦) نصحتكم دون خداع

قصة قصيرة مترجمة



بقلم : إد والاس

ترجمة : طارق يوسف أسعد

إستيقظ على رنين الهاتف ، ألقى بالأغطية جانبا ثم اعتدل في فراشه،وتحسس بقدميه الأرض الباردة باحثا عن حميه . نهض متثاقلا وأضاء الغرفة ، ثم رفع سماعة الهاتف قائلا بصوت يغالبه النعاس : « الدكتور بنسون يتحدث » . كان صوت رياح شهر نوفمبر وهي ترتطم بجدران منزله الأبيض الصغير ينذر بمقدم شتاء قارس هذا العام ، وبعد أن أنهى المكالمة نفض عن نفسه الخمول وارتدى ملابسه على عجل ، ثم اتجه الى المنضدة الموجودة في وسط الغرفة ، ورفع ساعته القديمة ، وألقى عليها نظرة سريعة ، وهو ناقم على المهمة التي في انتظاره . كانت الساعة تشير الى الثانية بعد منتصف الليل،فأخذ يندب سوء حظه ويلعن الأطفال الذين يختارون دائما أوقاتا غير مناسبة ليخرجوا الى الحياة ويملئوا الدنيا صخبا وضجيجا ، ثم رفع حقيبتين احداهما صغيرة أطلق عليها سكان البلدة حقيبة الأتعاب ، والأخرى كبيرة نسبيا بها معدات التوليد ، لذا أطلقوا عليها حقيبة التوليد . توقف لحظة لاشعال سيجارة ثم وضع علبة السجائر في جيب معطفه ، وما ان فتح الباب حتى لفحته الرياح الباردة بشدة ، فشعر وكأن مشرط جراح يمر على وجهه ، فأخفاه تحت ياقة المعطف ، وجرى منحنيا حتى وصل الى (الجراج) أدار محرك السيارة بصعوبة بالغة ، وهو يسعل عدة مرات حتى كادت أنفاسه تنقطع ، وما ان خرج بالسيارة من المرآب حتى بدأت في السير بخفة وسرعة ، وفي الطريق أخذ الدكتور بنسون يتذكر وجه السيدة سورلى ، وهي نفسها السيدة التي على وشك الولادة ، وتذكر أنها قد أنجبت ما لا يقل عن اثنى عشر طفلا حتى الآن ، وأنه قد قام بتوليدها في كل تلك المرات ، والعجيب أنها لم تنجب أيا من أطفالها في ضوء النهار أو حتى في جو معتدل ، كان الطريق الى مزرعة عائلة سورلى طويلا وموحشا ، فدب الملل في نفسه وهو لا يرى أمامه الا طريقا ممتدا الى ما لا نهاية ، ولا تستطيع عيناه اختراق حاجب الظلام ليرى الحقول على جانبيه ، ولهذا فقد شعر بالسرور والارتياح لدى رؤيته رجلا يسير وحيدا على أحد جوانب الطريق ، فأبطأ من سرعة السيارة ،

* من مجموعة A Case of suspicion, by ED WALLACE



ونظر الى الر... ...اجه مشقة بالغة في السير بسبب مقاومة الرياح لته... حاملا معه حقيبة صغيرة تحت ابطه ، فأوقف الـ... على الفور ، ودعاه الى الركوب ، فرحب الرجل ... الى الفور ، وبعد أن استقر في مكانه ألقى علي... خاطفة ثم سأله : « الى أين أنت ذاهب ؟ »

فأجابه الرجل : « الى ديترويت » . فأعاد النظر اليه . كان الرجل نحيفا ، ذا عينين صغيرتين سوداوين دامعتين من تأثير الرياح والرمال . لف الصمت الرجلين برهة ، حتى قطعه الرجل سائلا بصوت أجش : « هل أجد معك سيجارة من فضلك ؟ » فأومأ الطبيب برأسه ثم بدأ يفك أزرار معطفه لكنه تذكر أنه قد وضع علبة سجائره في جيب المعطف الخارجي ، فأخرج العلبة وقدمها اليه دون أن يرفع عينيه عن الطريق ، فتناولها الراكب بلهفة ، ثم فتش في جيوبه باحثا عن عود ثقاب حتى وجده ثم أشعل سيجارة ، وأخذ منها نفسا عميقا ، حبسه في صدره فترة ليست بالقصيرة ، ثم تأمل علبة السجائر وقلّبها بين يديه قبل أن يسأل الطبيب : « هل تمانع لو أخذت سيجارة أخرى أدخنها فيما بعد ؟ » وقبل أن يجيب الطبيب انتزع سيجارة ووضعها في جيبه بحرص ، عندئذ شعر الدكتور بنسون بيد الرجل تنزلق داخل جيب معطفه فنظر الى الرجل الذى قال على الفور : « سأعيد علبة السجائر الى جيبك » ، فسارع الطبيب بانزال يده ليتلقى علبة السجائر بنفسه ولكنه شعر بشيء من الانزعاج عندما اكتشف أن العلبة قد أصبحت داخل جيبه بالفعل ، فلفهما الصمت من جديد قطعه الطبيب قائلا : « اذن فأنت ذاهب الى ديترويت » . فأومأ الرجل برأسه وقال : « نعم ، سأحاول أن أجد عملا في أحد مصانع السيارات هناك » فسأله الطبيب : « هل أنت ميكانيكى ؟ »

فأجاب الرجل : « تقريبا . فقد كنت أقوم بقيادة احدى الشاحنات منذ نهاية الحرب ، ولكنى فقدت عملى منذ شهر مضى » . فسأله الطبيب : « وماذا كنت تعمل أثناء الحرب ؟ »

فأجاب الرجل : « كنت مجندا في وحدة الاسعاف الطبي على جبهة القتال مباشرة ، وكانت مهمتى هي قيادة احدى عربات الاسعاف »

فابتسم الطبيب قائلا : « حقا ؟ . اذن فقد كنت تعمل في مجال قريب بعض الشيء من عملى ، فأنا طبيب اسمى الدكتور بنسون »

فضحك الرجل وقال : « اذن لهذا السبب تملأ رائحة العقاقير الطبية أنفى منذ أن وطأت قدمى سيارتك » ثم اكتست ملامحه بشيء من الجدية وهو يقول : « اسمى ايفانز »

سادهما الصمت بضع دقائق ، وبدأ الراكب يتململ في كرسيه ، ثم انحنى ليضع حقيبته على أرضية السيارة ، فانتهز الطبيب تلك الفرصة ليلقى على ايفانز أول نظرة فاحصة عن قرب ، كان رجلا ضئيل الجسم ذا وجه شديد الشبه بوجه القط ، فلم يشعر ... حة لملامحه ، ولفتت نظره تلك الندبة العميقة ... وجنة الرجل ، كانت وردية اللون ولامعة ، ... واضح أنها حديثة ، وعندئذ تذكر السيدة أوت ... ، فانتابه القلق ، ومد أصابعه الى جيبه باحثا عن ... ة ، وفوجىء بأن جيبه كان فارغا ، فبحث في ... جيوبه ولكن بلا جدوى ، وهنا أيقن أنه يحمل لصا في سيارته ، وأن حدسه قد صدق عندما لم يشعر بالارتياح لهذا الرجل ، فمد يده بخفة وحرص ودون أن يلفت ... اه الرجل حتى لمس الجراب الجلدى الذى يحتفظ ... به بمسدسه الآلى ، فأخرجه بمنتهى الحرص ثم أوقف السيارة بفرملة مفاجئة ، ودفع فوهة المسدس بقوة في جنب ايفانز ، وهدده بلهجة حا... قائلا : « ضع الساعة في جيبى والا . . . »

فشعر ايفانز بالهلع ، ورفع ... الى أعلى وهو يقول بصوت مرتجف : « يا الهى ... لقد ظننتك يا سيدى . . . » فقاطعه الطبيب وهو يزيد من ضغط المسدس على جنبه قائلا ببرود : « ضع هذه الساعة في جيبى قبل أن ينفد صبرى وتفلت رصاصة من فوهة المسدس »

فلم يعقب الرجل بشيء ، ولكنه وضع يده داخل جيبه وأخرج الساعة ، ومد يده المرتجفة ناحية الطبيب الذى تلقى الساعة بيده اليسرى ، دون أن يرفع بصره عن الرجل ، ولاتزال يده اليمنى قابضة على المسدس ، ثم وضع الساعة في جيبه وفتح الباب ثم دفع الرجل بعنف ، وألقاه خارج السيارة وصاح بغضب : « لقد خرجت من بيتى في هذه الساعة

المتأخرة من الليل لأنقذ حياة امرأة ، ولكنى للأسف أضعت الكثير من وقتى في محاولة لمساعدة لص مثلك »

وقبل أن يتمكن الرجل من نطق أى كلمة أغلق الطبيب باب السيارة بعنف ، ثم أدار المحرك وانطلق على الفور ، محاولا تعويض ما أضاعه من وقت ، ولحسن حظه وجد أن الطريق الصاعد الى أعلى الجبل حيث توجد مزرعة عائلة سورلى أقل وعورة مما توقع ، كما أن السيد سورلى كان قد أرسل أكبر أولاده حاملا مصباحا قويا لينتظر السيارة أسفل الطريق ، لمساعدته أثناء مرور السيارة على الجسر الخشبى العتيق الموصل الى طريق المزرعة .

والواقع أن خبرة السيدة سورلى الطويلة في انجاب الأطفال قد ساعدتها كما ساعدت الدكتور بنسون كثيرا ، اذ أنها لم تجد أى مشقة في اخراج هذا الوليد الى الحياة حتى ان دكتور بنسون لم يحتج الى حقيبته الكبيرة المسماة حقيبة التوليد ، وبعد أن علا صراخ الوليد ، غسل الطبيب يديه ثم أشعل سيجارة وجلس يتحدث مع السيد سورلى ، فتذكر ايفانز وقال « لقد حاول أحد الأوغاد سرقتى ، كنت قد أركبته معى في السيارة وأنا في طريقى الى هنا » . ثم شعر بالفخر وهو يردف قائلا : « لقد سرق ساعتى ، لكنى ارغمته عندما دفعت بفوهة مسدسى في جسمه ، فأعادها لى وهو يرتجف مثل الفأر المذعور » ، فابتسم السيد سورلى وهو يستمع الى تلك القصة المثيرة ثم قال : « انى سعيد أنك قد تمكنت من استرداد ساعتك ، لأننا كنا سنواجه مشكلة عويصة لتحديد الوقت الذى ولد فيه ابنى ، وبالمناسبة ما الوقت الذى ولد فيه بالضبط ؟ »

فأخرج الطبيب الساعة وسار ناحية المائدة حيث وضع المصباح قائلا : « لقد ولد الطفل منذ نصف ساعة مضت ، والساعة الآن تشير الى . . . »

وهنا توقف عن الكلام وهو يحدق في الساعة التى في يده ، كان زجاجها مهشما ، وميناؤها مكسورا ، فقلب الساعة وقربها من المصباح فلاحظ وجود كلمات محفورة على ظهرها ، فدقق النظر وقرأ المكتوب عليها بصوت مرتفع « الى المجند ايفانز بقسم الاسعاف الطبى ، الذى تمكن بشجاعته الفائقة من انقاذ حياتنا في ليلة الثالث من نوفمبر عام ١٩٤٣ ، قرب الحدود الايطالية (الممرضات . نيسبيت ، وجونز ، ووبحيب) » وهنا صعق الدكتور بنسون عندما تذكر أنه ترك ساعته على المائدة الموجودة قرب فراشه قبل أن يغادر منزله □

مقالات في كلمات

■ لقد درست طبائع النساء طويلا ، وإني لأفاخر بأني لم أضع وقتي سدى ، فقد عرفت انني لا أعرف عنهن شيئا .

« بلزاك »

■ يمكن للرجل أن يكتم سر غيره خيرا من سر نفسه . أما المرأة فتكتم أسرارها خيرا من أسرار غيرها .

« لابروير »

■ قد تغفر المرأة القسوة والظلم ، ولكنها لا تغفر عدم المبالاة بها

« روسو »

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوي

انقلاب في صناعة الآلات الكاتبة

من المعروف أن ترتيب (كورق) QWERTY هو الترتيب الذى تقوم عليه الآلات الكاتبة الانكليزية جميعها .. فهو الترتيب الذى توصل اليه كريستوفر لاتام شولز - مخترع الآلة الكاتبة - وذلك بعد الجهود الطويلة المضنية التى بذلها فى السبعينيات من القرن الماضى .

والتسمية كورق مستمدة من الحروف الستة التى تجدها فى السطر العلوى من أسطر الآلة الكاتبة . ولا ريب أن الجهود التى استنفدها هذا الترتيب لم تضع هباء .. فقد حل مشكلة تشابك حروف الآلة بين حين وآخر ، سواء أسرع الضارب فى ضربه أو لم يسرع ، ووفر على هذا الضارب التوقف عن الضرب من أجل فك التشابك واعادة الحروف الى مواضعها .. وقد تمكن شولز من ذلك باعادة ترتيب حروف الآلة الكاتبة ترتيبا خاصا مناسبا .

فبدلا من أن ترتب حروف الآلة ترتيبا أبجديا عمد الى تحديد الحروف الأكثر استعمالا فى اللغة والى نشرها على الآلة هنا وهناك ، وحرص على أن يكون بعضها بعيدا عن بعض .. فيحد بذلك من احتمالات تشابكها بالقدر الممكن .

اذن لم يهدف ترتيب كورق الى سرعة الضرب على الآلة الكاتبة ، وانما فقط على

TRADITIONAL KEYBOARD

هذا هو ترتيب كورتي التقليدي

DVORAK KEYBOARD

وهذا هو الترتيب المبتكر الجديد - ترتيب دفوراك .

الحد من تشابك حروفها .

ولطالما نـدد الخبراء بهـذا الترتيب الذى تجاهل السرعة فى عصر السـرعة ، لاسيما أن صناعة الآلة الكاتبة قد أحرزت من التقدم التكنولوجى ما يضمن تجنب التشابك دون اللجوء الى ترتيب كورتى ، وما يسمح بترتيب جديـد لحروف الآلـة الكـاتبة يستهـدف السرعـة فى الضـرب عليها .

وفجـأة حملت الينـا أنبـاء العلم خبـر ابتكـار تـرتيب جـديـد لحـروف الآلـة الكـاتبة ، يحـل محل الترتيب القـديم ، ويضمن للضـارب على الآلـة سرعـة فى الضرب كبيرة .

امـا المبتكـر فهـو أوغست دفـوراك (Dvorak) العـالم السيكـولـوجى والبروفسور فى جامعة واشنطن . . ويعتبر دفوراك هذا رائدا فى علم الارجونومكس وهو العلم الذى يبحث شؤون التعـامل والتفاعل بين الانسان والآله .

وأمـا الترتيب الـذى ابتكـره ، والـذى يستهدف السرعة فى المقام الأول فقـوامه وضـع الحركـات (أو حـروف العلة فى الانجليـزية) وكـذلك الحـروف الخمسة الأكثر استعمالا على السطر الأوسط من أسطر الآلة الكاتبه

فهذا السطر يمكن الضارب من كتابة ٣٠٠٠ كلمـة ، اذا كـان حسب تـرتيب دفوراك ، ولا يمكنه فى كتابة أكثر من ١٠٠ كلمة اذا كان حسب ترتيب كورتى

تقول بتريشا كابلوس ، المشرفه على أعمـال الطبـاعـة فى احـدى الـدوائـر الحكومية : انت تشاهد الضارب على آلة دفوراك فتبدو لك يداه وكأنهما واقفتان لا تتحركان . وما ذلك إلا لأن قسطا كبيرا من الطباعة تتم على السطر الأوسط

متى يموت الانســـان ؟

يؤكد فريق من الخبراء الطبيين فى جـامعـة أوزاكـا . انهم نجحوا فى الابقاء على القلوب حية فى عدد من المرضى الذين ماتت أدمغتهم وتوقفت عن العمل نهائيا ، ويقولون انهم تمكنـوا من اطالة حياة قلوب اولئك الموتى طوال ٥٤ يوما . .

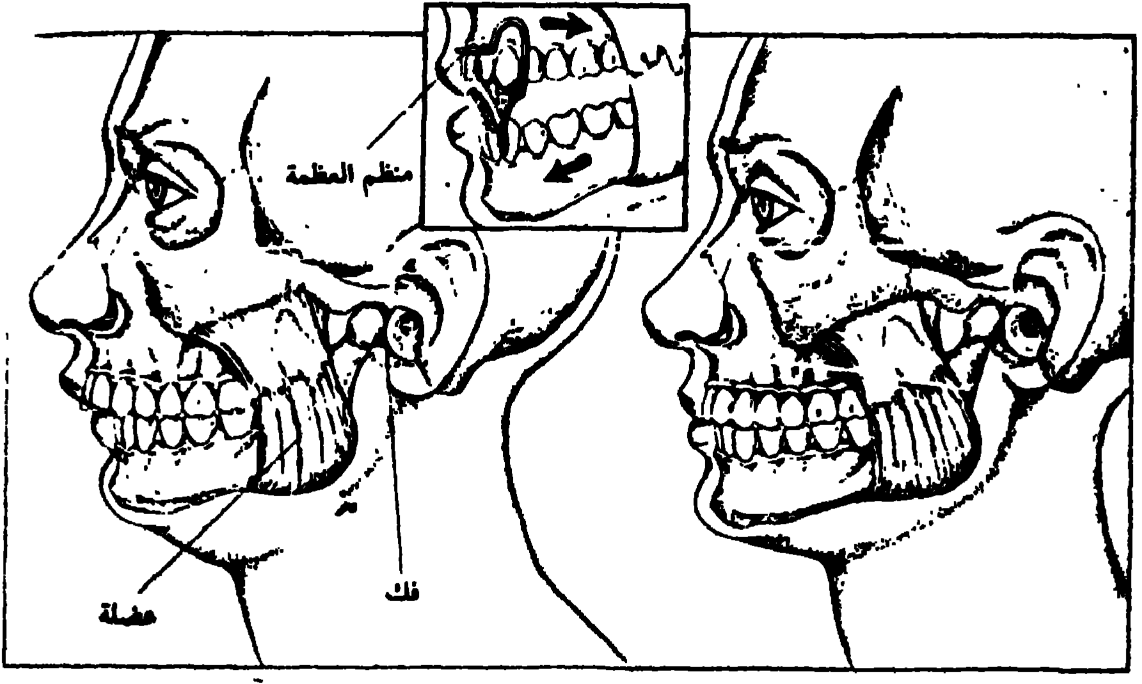
ويـذكـر الـدكتـور (تـسـويـوشى سوجيموتو) رئيس الفريق ، بأن التجربة الغريبة والفريدة انما تمت بمساعـدة احد الهرمونات التى تحافظ على ضغط الدم عند مستوى معين

وتجدر الاشارة الى أن القلب قد يظل حيا لمدة بضعة أيام بعد موت الدماغ . نقول بضعة أيام لا ٥٠ يوما . .

تقويم الأسنان بين القديـــم والحـــــديث

طريقة تقـويم الاسنان بـالأسلاك التقليدية طريقة عقيمة ومملة ، وذات تكاليف بالغة ، هذا مـا يؤكده الـدكتور ليون كوسيك Kussick ، الذى يمارس طب تقـويم الاسنـان ـ عـلى طـريقتـه المبتكرة ـ فى مدينـة لنفجستون فى ولايـة نيوجرزى . . ولعل أسوأ ما فى الطريقـة التقليدية ، كـما يؤكد الـدكتور كـوسيك ايضـا ، هو التشـويـه الـذى تحدثـه فى الوجه . . وجه الفتى او الفتاة التى تتلقى العلاج . . والأهم من ذلك كله هـو أن الطريقة التقليدية خطأ فى خطأ . كـما يعتقد ويبين الدكتور كوسيك . .

فالعلة فى الاعوجاج الذى يستوجب التقـويم انما تكـون فى الغالب فى الفـك الذى يحمل الاسنان . . . لا فى الاسنان نفسها . . . والعمل على تقويم الاسنان ـ دون عظام الفك والعضلات انما يؤدى فى



أسلوب تقويم الأسنان الجديد لا يحتاج الى أكثر من قطعة من السلك صغيرة (انظر الرسم الصغير العلوي) ، تركب في الليل ولمدة ثلاث ساعات فقط اثناء النهار . . . حتى يرجع الفك الأعلى الى الوراء قليلا . . الى مكانه الأصلي وذلك في غضون مدة تتراوح بين ١-٣ سنوات .

معظم الأحيان الى تفاقم الاعوجاج لا الى تقويمه .

أما الطريقة التي ابتكرها الدكتور كوسيك وطبقها بنجاح طوال عشرين سنة ، فقوامها قطعة بسيطة من الاكريليك (انظر الرسم رقم ٢) توضع في المكان المناسب ، فتحدث التغيير المطلوب في النسق الطبيعي لنمو الفك . . ذلك أنها تبقي الفم مفتوحا ، وتعمل على دفع عظمة الفك الأسفل الى الأمام ، ومن شأن هذا الدفع أن يعرض عضلات المضغ للضغط . . ويؤدي الى دفع عظمة الفك الأعلى الى الوراء . . وهكذا يختفي النتوء القبيح الذي تراه في الرسم رقم (١) ويحل محله الوضع السوي للفكين والاسنان كما ترى في الرسم رقم (٣) .

ولعل الفرق الأساسي بين الطريقتين ليس في بساطة أداة التقويم الجديدة فحسب وانما في عدم وجوب تثبيتها في الفم ، لتبقى فيه ليل نهار ، وطوال سنوات العلاج كما هي الحال في أسلاك التقويم التقليدية . . فأداة التقويم الجديدة لا توضع الا في الليل ولمدة ثلاث ساعات فقط من ساعات النهار . . وهي كفيلة في تلك الساعات بشد الفك الأعلى الى الوراء ودفع الفك الأسفل الى الأمام .

وتمتاز طريقة التقويم الجديدة بأنها دائمة الأثر ، ولا تحتاج الى توطيد بين سنة وأخرى ، أضف الى ذلك أنها تصلح للصغار ، وخصوصا بين سن الخامسة والسابعة ، وتستغرق ما بين سنة وثلاث سنوات . .

وتجدر الاشارة الى أن عدد الذين عالجهم الدكتور كوسيك بنجاح بلغ حتى الآن ٢٠٠٠ مريض .



مكتشفون ومخترعون

الكسندر جراهام بل
مخترع التلفون ١٨٤٧ - ١٩٢٢

ولد الكسندر جراهام بل فى ادنبره فى الثالث من شهر مارس سنة ١٨٤٧ وكان أحد ثلاثة أخوة أنجبهم الأب المدعو الكسندر ملفيل بل .

وتخرج الكسندر الابن من الثانوية الملكية فى ادنبره وهو فى الرابعة عشرة من العمر ، ثم واصل حضور بعض المحاضرات فى جامعة ادنبره ، الا أنه مدين ثقافيا الى أهله وذويه . .

فقد اشتهرت العائلة بخبرتها الطويلة وكفاءاتها الفريدة فى تقويم النطق وتحسين القدرة على الخطابة . وشمل اهتمامها الصم بصفة خاصة . . . .

وعمل الكسندر جراهام بل في التعليم فى بلدة ألجن ، وعكف على دراسة الصوت فى تلك الفترة ، فجمع بين الدراسة والتدريس وظل العالم المعلم فى آن معا طوال حياته .

وفجأة مات أحد أخوى الكسندر بمرض السل . وما لبث الأخ الآخر ان لحق بالأول وخشى الأبوان على الكسندر من نفس المصير ، وقد اعتلت صحته كثيرا فقرروا الهجرة الى امريكا سنة ١٨٧٠ ، واستقروا قرب مدينة برانفورد فى انتاريو بكندا وهناك تحسنت صحة الولد بأسرع مما توقعوا . .

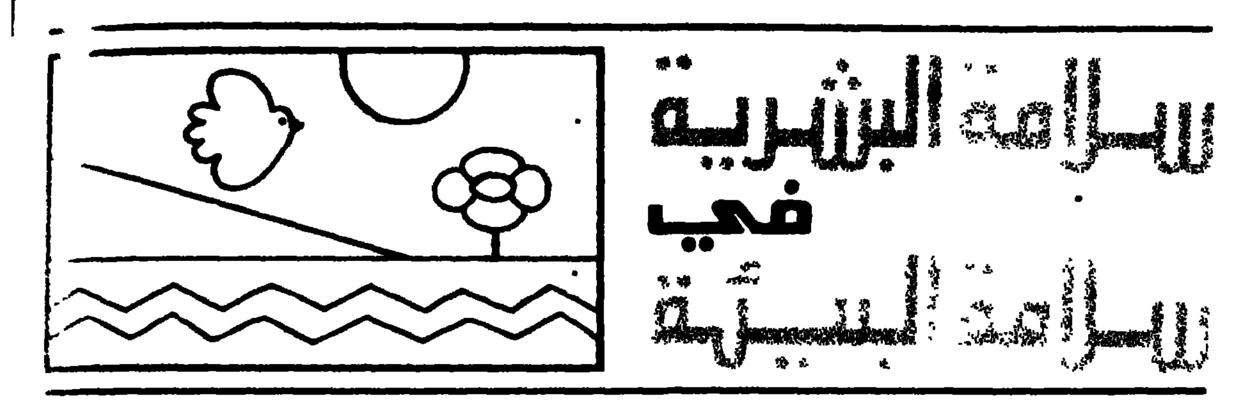
وحاضر الكسندر جراهام بل فى بوسطن سنة ١٨٧١ وكان محور محاضراته الطريقة الفذة التى ابتكرها أبوه لتعليم الصم ، واصاب فى محاضراته تلك من النجاح ما جعل الجامعات والمدن الأمريكية الأخرى تقبل على دعوته لالقاء المحاضرات فى الموضوع نفسه موضوع تعلم الصُم . .

وأقدم الكسندر على افتتاح مدرسته الخاصة بتدريب مدرسى الصم وذلك فى بوسطن سنة ١٨٧٢ ، وفى السنة التالية (١٨٧٣) عين استاذا (بروفسور) فى جامعة بوسطن ؛ فسيولوجيا الصوت . .

واكتشف البروفسور شابا يدعى توماس واطسون . وكان تقنيا يعمل فى تصليح الآلات والماكينات،وينعم بالصفات والميول العلمية التى فقدها الكسندر ، وسعد واطسون بأن يكون مساعدا للبروفسور الكسندر

وتجدر الاشارة الى أن الكسندر كان يسعى منذ زمن الى ابتكار جهاز يسهل على المرء مخاطبة الصم . . واكتشف بالصدفة ان الاهتزازات التى يحدثها الصوت الانسانى فى طبلة حديدية تكون بالقرب من مغناطيس ملفوف بسلك موصل للكهرباء ، من شأن تلك الاهتزازات ان تحدث تيارا ضعيفا يمكن نقله بواسطة الكابلات ليصل الى طبلة أخرى فيحدث هذا التيار فى تلك الطبلة الثانية مثل الاهتزازات الاولى التى أحدثها الصوت الانسانى فى الطبلة الأولى . عندئذ انصرف الكسندر عن جهاز الصم وصب اهتمامه هو ومساعده واطسون على جهاز التلفون .

وهكذا واصل الكسندر وواطسون جلساتهما الطويلة ليلة بعد ليلة تمكنا من تطوير جهاز التلفون الذى نعرف وتسنى لهما تسجيله لدى دائرة الاختراعات والبراءات فى سنة ١٨٧٦ .



التربة تراب يعج بالحياة

يحسب البعض أشياء كثيرة في عداد الجماد .. وما هي بجماد .. وتأتي التربة على رأس تلك الأشياء ، تربة الحقل وتربة حديقة المنزل . فهي رمل وتبدو لهم ميتة ، ولكنها حية وتعج بصنوف عديدة من الأحياء .

ويقدر جون فولك ، مدير قسم الأبحاث في مؤسسة سميثونيان المعروفة ، عدد الأحياء التي تتوارى في التربة ، تربة حديقة المنزل « بنحو ٢٠ - ٣٠ صنفا من النبات وحوالي مائة صنف من الحيوانات التي يسمح حجمها برؤيتها بالعين المجردة ، ناهيك بالحيوانات الصغيرة الدقيقة غير المرئية ، فهذه كثيرة لا تعد ولا تحصى »

ولو أنت دققت النظر قليلا لرأيت جموعا كبيرة من الذباب أو النحل أو الحشرات الأخرى التي تعيش وتفرخ بين أوراق الحشائش حتى الطيور تستمد الغذاء من الحديقة أكثر بكثير مما تستمده من الحقول ، وقد تستطيع ان ترى على أوراق الحشيش أيضا الحشرات واليرقات التي تعيش على ما تمتصه من رحيق كحشرة المنة مثلا .. وقد لا تفوتك رؤية البراق العرياد (Slug) وهو يدب ببطء شديد فوق التراب ، غير مبال بالخنافس التي قد تعترض سبيله ، أو الحلزون أو صرّار الليل أو الدودة ذات الالف رجل أو العناكب أو النمل .

على أن ما يختفي تحت سطح الارض من الكائنات


رسم يصوّر ويكبر بعض سكان التربة في الحدائق المنزلية

ية يبلغ أضعاف ما يظهر فوقه . . فهناك توجد
جذور النباتات،وتوجد أيضا الديدان الخيطية
nematodes التي تعيش على البكتريا والفطريات،
وعلى ديدان خيطية أخرى مثلها . . وهناك بيوض
الحشرات التي لا تلبث أن تفقس ، والخلد الذي يظهر
في بعض الحدائق - بل تحت سطحها - ليحفر الممرات
أو الانفاق التي تشاركه استعمالها الزّبابة (Shrew)
والفئران بما فيها فأر الحقل (Vole)
أما الرائحة المميزة التي تلازم تربة الحديقة فمردها
الى صنوف من البكتريا وخاصة البكتريا الطفيلية ،
التي تسبب مرض الحارش في الماشية والتي يصنعون
منها مضادات الحيويات . فهذه توجد بالملايين في
التربة ، وفي طبقة الدبال بالتحديد (humus) تلك
الطبقة التي تأتي تحت جذور النباتات مباشرة
ولعل أطرف ما يذكر عن التربة ان الفساد
والتفسخ والانحلال - وهي علامات أو مؤشرات
الفناء في كثير من الأحيان - لا تعدو كونها مقومات البقاء
في حياة التربة



البحر المتوسط . . والتلوث

لعل البحر المتوسط في طليعة بحار العالم جميعا من حيث التلوث . والمقصود هنا ليس التلوث العرضي الذي تحدثه بقع الزيت ، والذي لايلبث ان يزول بتأثير الشمس والعوامل الجوية ، وانما التلوث الثابت الذي تسببه مياه المجاري والفضلات الانسانية والمواد الكيماوية التي كانت ومازالت تقذف في البحر . فهذا تلوث ثابت ، كما ذكرنا ويحتاج الى الجهود الدائبة المتواصلة للتخلص منه . ثم ان ضرره لايقل عن ضرر تلوث الزيت ، ان لم نقل يفوقه أضعافا . وحسبك أنه سام ، يقضي على الحياة بشتى صورها ، ويتسبب بانتشار الأوبئة والامراض . وقد بلغ من تعرض البحر المتوسط هذا التلوث أن أصبح الاسم اللائق به هو البحر الأسود المتوسط لا البحر الأبيض . .

تلك هي حصيلة الدراسات والأبحاث الواسعة التي قامت بها وكالة يونيب UNEP الدولية . . أو ان شئت الاسم كاملا : وكالة البيئة والتلوث التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، فقد أقامت هذه الوكالة نظاما متكاملا لدراسة تلوث البحر المتوسط وتحديد ابعاده ، وانشأت لهذا الغرض (٨٤) مختبرا بيئيا ، تعمل ليل نهار على رصد التلوث الذي تعاني منه مياه البحر . ولا يتسع المجال هنا لاكثر من الاشارة لبعض الحقائق التي تمخضت عنها تلك الأبحاث ، ولبعض الاجراءات التي باشرت أو حضّت على اتخاذها .

وأول ما يذكر هو أن ٩٠٪ من الفضلات الانسانية كانت وما زالت تقذف الى مياه البحر المتوسط دون أي معالجة مسبقة . وغني عن البيان أن الدول الراقية جميعا تحرص أشد الحرص على معالجة الفضلات

الانسانية في وحدات آلية وكيمياوية خاصة تضمن تحويل تلك الفضلات الى سماد نافع وماء صالح للرى .

وقد تبين للوكالة الدوليةأن شبكات المجارى في كثير من المدن الواقعة على سواحل البحر مهترئة بالية بقدر عجزت معه السلطات المعنية عن اكتشاف أنابيب تلك الشبكة . . وتبين لها أيضا ان ما يقارب ٦٠٪ من أحياء اثينا غير متصل بشبكات المجارى الرئيسية .

أضف الى ذلك الملوثات الكيماوية التى تقذفها المصانع الى مياه البحر . المصانع القائمة على الشواطىء الفرنسية والايطالية والاسبانية . وقد شملت تلك الملوثات فيما شملت الزئبق والكادميوم والمود المشعة،وتعتبر هذه المواد على رأس القائمة السوداء التى تحظر الوكالة الدولية قذفها الى البحر حظرا تاما

لا عجب اذن أن انتشرت الأمراض والأوبئة في المنطقة على النحو التالى :

الكوليرا في الشواطىء الايطالية .

التيفوئيد في الشواطىء الاسبانية والفرنسيه .

الديزنطارية في كافة الشواطىء .

الكباد الفيروسى في كافة الشواطىء

ولا عجب أيضا ان حظرت السباحة حظرا تاما مياه الشاطىء الأزرق ، الشاطىء الفرنسى الشهير عالم السياحة . .

من هنا كانت الخسائر الكبيرة التى منى بها سكا المنطقة ، وهي منطقة سياحية ، كما هو معروف ويؤمها نحو ١٠٠ مليون سائح سنويا . .

أما الاجراءات التى تقرر اتخاذها لمكافحة تلوث البحر المتوسط فتشمل في المقام الأول المختبرات الأربعة والثمانين التى أقيمت في بقاع مختلفة من شواطىء البحر ، والتى سبقت الاشارة اليها . وتشمل أيضا مخططا شاملا لتنظيف المياه بواسطة المعدات والأجهزة الحديثة الخاصة بتنظيف مياه البحر وتنقيتها من شتى الملوثات . .

وتشمل تلك الاجراءات كذلك قيام الدول المطلة على البحر المتوسط بتجديد شبكات المجارى فيها ، وتجهيز مصانعها بمختلف الأجهزة الكفيلة بقياس التلوث أو مكافحته . وتقدر تكاليف هذه الاجراءات بحوالى ١٠,٠٠٠ مليون دولار ، وتتحمل الدول الصناعية الثلاث ـ فرنسا وايطاليا واسبانيا ـ القسط الأوفر من تلك التكاليف . .

وتجدر الاشارة الى أن هذه الاجراءات تم بحثها والاتفاق عليها في مؤتمرات وندوات عديدة حضرتها كل الدول المطلة على البحر المتوسط ما عدا ألبانيا .

من أجل المحافظة على الجنس

■ اكتشف العلماء ان احدى فصائل سمك الشعاب المرجانية تتميز بخصائص فريدة وغريبة في حياتها التناسلية . . فهي مكونة من مجموعات . . وهذه المجموعات مكونة من اناث ، ولا يوجد بينها الا ذكر واحد يفى بأغراض المجموعة كلها .

ولما كانت احتمالات فقدان الذكر ـ وهو فرد واحد كما ذكرنا ـ احتمالات كثيرة ، كانت احتمالات تقلص تلك المجموعة أو انقراضها احتمالات كثيرة أيضا .

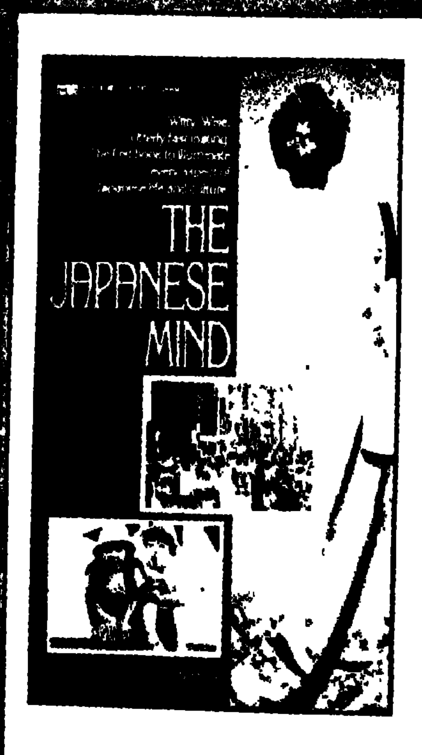
ولكن اناث المجموعة سرعان ما تتصرف لدى غياب ذكرها أو فقدانه . . أو لا تلبث الكبرى من



تلك الاناث أن تغير جنسها وتستبدل أنوثتها بالذكورة في غضون بضع ساعات ، ولا تكاد تمضى عشرة أيام حتى يبدأ الذكر الجديد بتلقيح اناث المجموعة ، تماما كما كان يفعل الذكر القديم .

وبذلك تصبح المجموعة في مأمن من الانقراض .

كتاب الشهر



العقل الياباني

تأليف : روبرت كريستوفر

عرض : د . فتحي أمين مجدلاوية

(لن تقوم قائمة للاقتصاد الياباني بعد اليوم) .
هذا ما كتبه أحد المراسلين الصحافيين عن اليابان سنة ١٩٤٥ ، فهل صدقت هذه النبوءة ؟
وما الذي يقوله مؤلف كتاب (العقل الياباني) عن التجربة اليابانية ؟

كتاب الشهر

نشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٨٣ وأعيدت طباعته عام ١٩٨٤وهو يقع في ٣٥٠ صفحة من الحجم الكبير ، ويتكون من خمسة أجزاء تحتوي معلومات استقاها الكاتب من الممارسات اليومية للفرد الياباني ، ومن خلال وجوده في اليابان ابان الحرب العالمية الثانية ، وأثناء الدمار النووي الوحشي الذي تعرضت له بعض المدن اليابانية . حيث كان الكاتب ضمن القوة العسكرية الامريكيه في اليابان ، وشاهد بأم عينه الممارسات الوحشيه والدمار الذي حل فيها

ناهيك عن المجاعة والأمراض التي تفشت بين الناس أثناء وبعد الحرب ، بالاضافه الى الاشعاع النووي الذي ما زالت آثاره باقية حتى الآن .

في نهاية عام ١٩٤٥ قال الصحفي «Parrot» في رسالة بعثها الى صحيفة نيويورك تايمز :(لن تقوم قائمه للاقتصاد الياباني بعد اليوم . فقد أصبحت اليابان دولة صغيرة متقوقعة على نفسها) فالى أي مدى صدقت نبوءة باروت ؟ والى أي مدى استطاع الشعب الياباني أن يعيد ماضي آبائه وأجداده العريق من جديد ؟ وما هو المستوى الاقتصادي والصناعي والتجاري الذي استطاع الشعب الياباني تحقيقه بعد الحرب العالمية الثانية ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئله يضعها في هذا الكتاب روبرت كريستوفر الذي شغف بالدراسات الشرقية ، وأصبح اهتمامه باليابان والشعب الياباني بلا حدود .

العقل والعاطفة :

إن أفضل طريقة لغزو العقل الياباني هي معرفه اللغة التي يفكر بها اليابانيون ، والتي يصفونها أحيانا بلغة الشيطان . فاللغة اليابانية ليس لها أي ارتباط باللغات الأخرى ، بعكس اللغة الانجليزية ، التي لها علاقات بلغات كثيرة كالالمانية والفرنسية والاسبانية . ويعتقد علماء اللغة أنه بالرغم من أن اللغة اليابانية تنتمي الى عائلة اللغات الايطاليه التي تضم اللغات الكورية والمنغولية والتركية بالاضافة الى الهنغارية والفنلندية ، الا أنها بعيدة عن كل هذه اللغات . فاللغة اليابانية الحالية هي نتاج التزاوج الفاشل بين اللغة اليابانية الاصلية غير المكتوبه التي ترجع الى خمسة عشر قرنا واللغه الصينية القديمه ، فقد استمدت اللغة اليابانية آلاف الرموز من اللغة الصينية كأداة تعبير للكتابة .

وبالاضافة الى اللغه ، فقد شمل التأثير الصيني الناحية الروحية ، ووجد اليابانيون ضالتهم في مبادىء (كونفوشيوس) الاخلاقية ، التي تؤكد على الوفاء وآداب المعاشرة والعلاقات الانسانيه وأهمية التعليم والعمل الجاد

ومع ذلك فعدد اليابانيين الذين يطلقون على أنفسهم (الكونفوشيين) قليل ،مقارنه بمدى تغلغل مبادئها في نفوس الشعب الياباني

يعتبر الشعب الياباني شعبا متجانسا . لذا فان من الصعوبة بمكان أن تعطى الجنسيه اليابانية لأي قادم مهما كانت مدة اقامته في البلاد . ولا تزال القبيلة تلعب دورا مهما في تحديد وضع الفرد في اليابان

وعلى الرغم من هذا ، فان نحو مليوني نسمة من اليوراكيومين هم ضحايا التفرقة العرقية والاقتصادية ، بالاضافة الى ما يقرب من ٦٠٠ ألف كوري ياباني ولدوا في اليابان وينتمون الى الجيل الثالث ، ويعانون من التفرقة الشبيهة مما يعانيه الزنوج في الولايات المتحدة الامريكية .

وفي الواقع يعتقد اليابانيون أنهم أسمى وأرقى شعوب الأرض جميعا ، ومع أن هذه الفكرة قد ترعرعت بعد الحرب العالمية الثانية ، الا أنها عادت في العشر سنوات الأخيرة من جديد .



نظام التعليم :

يعتبر نظام التعليم في اليابان من أرقى الأنظمة في العالم وأكثرها فاعلية وتطورا ، بالرغم من أن مجموع ما تنفقه الدولة على التعليم لا يزيد عن ٣ - ٥٪ من الميزانية العامة للدولة ، وذلك بالمقارنة مع كل من كندا التي تنفق ما مجموعه ٨ر٧٪وبريطانيا ٢ر٦٪ والولايات المتحدة الامريكية ٦٪،وقد أثبت الطالب الياباني أنه أكثر علما وجدية وثقافة من الطالب الامريكي ، علما بأن نسبة الطلبة الى المدرسين هناك تعتبر أعلى نسبة في العالم كما أن المدارس اليابانية أكثر تماسكا وثباتا من حيث كيفية ونوعية التدريس عنها في الولايات المتحدة . فهناك على سبيل المثال لا يوجد ما يسمى بالرسوب أو الفشل التعليمي ، وخاصة في مراحل التعليم الالزامية (النظام التعليمي في اليابان يقسم الى ٦ سنوات ابتدائي وثلاث سنوات

ـ) كما أن انتقا ... رحلة الى مرحلة
يعتمد على ادائه ال ... حصو ... ليوم
ـ اسي وأدائه لـواحـ ... شـ ... كيفيـ
الزام . فهذان الشرطـ ...
ـن مرحلة إلى أعلى

وعلى الرغم من النجاح ... ـه الطالب الياباني على مستوى التعليم الالزامي ، الا أنه من الغريب حقا أن نجد أن نظام تعليمه في الجامعات اليابانية أقل كفاءة منه في الجامعات الامريكية ، ويعود السبب في هذا الى أن معظم الجامعات اليابانية مكتظة بالطلبة . فعلى سبيل المثال تضم قاعة الدراسة مالا يقل عن خمسمائة طالب مما نتج عنه اهمال الاهتمامات الفردية . اضافة الى هذا فان رواتب الاساتذة في الجامعات تعتبر قليلة بالمقارنة مع رواتب الاساتذة في الجامعات الامريكية .

المرأة والمجتمع :

تلعب المرأة اليابانية دورا اجتماعيا وسياسيا ما زال محدودا في المجتمع الياباني ، وقد حاولت المرأة اليابانية أن تحقق مكاسب مادية ومعنوية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية لكن الحصيلة لم تكن بقدر الطموح ، فعلى الصعيد السياسي لم تتمكن المرأة أن تحصل على أكثر من ٢٩ مقعدا من أصل ٧٦١ مقعدا في البرلمان عام ١٩٨١ ، ولم تصل سوى امرأتين فقط الى منصب الوزارة . أما على المستوى الاقتصادي فلم تكن الامور أفضل حالا ، واليوم فان ٤٨٪ من النساء فوق ١٥ سنة يقمن بالعمل . بالاضافة الى ذلك فان هناك جيشا من الفتيات غير المتزوجات ممن يعشن في بيوت آبائهن،وينفقن جزءا من مرتباتهن على الحاجيات المستقبلية لبيت الزوجية،وجزءا آخر على الملابس والرحلات.وقد أطلق عليهن لقب (الارستقراطيات غير المتزوجات) كما أن نسبة تعليم الفتيات قد ازدادت عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانيه ، فلقد وصلت نسبة من ينهين الثانوية العامة ٩٥٪ ونسبة من يلتحقن بالجامعات والكليات والمعاهد الى ٣٠٪ منهن .

كتاب الشهر

الطبقية في اليابان :

هناك حقيقة لا بد أن نضعها نصب أعيننا وهي أن عادات كالانحناء والاحترام تعتبر ممارسات وطنيه تقليدية ، وليس لها علاقة بالطبقات الاجتماعية أو تتخلف المجتمع الياباني .

بالاضافة الى ذلك فان اليابانيين الموسرين لا يفصلون العزلة عن باقي طبقات المجتمع مثلما يفعل أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة في الولايات المتحدة الامريكية ، ممن يتمركزون في أحياء راقية مثل (مانهاتن) التي تعتبر من أجمل وأغلى الاماكن في العالم ، والتي لا يستطيع الفقير حتى مجرد التفكير في السكن فيها . ان ظاهرة تمركز الاثرياء في أماكن محددة ليس لها وجود في اليابان حيث أن معظم الاحياء تضم المنازل الفخمة والمجمعات السكنية الباهظة الثمن ، التي تقف جنبا الى جنب مع المنازل الخشبية الفقيرة والحوانيت الصغيرة والبنايات المكتظة بالمكاتب .

الجريمة والعقاب :

على الرغم من أن اليابان دولة رأسمالية صناعية متطورة ومنفتحة على العالم ، الا ان الشعب الياباني يعتبر من أكثر الشعوب حضارة والتزاما بالعادات والتقاليد واحتراما للقانون . ودليل على ذلك الدراسة التي أجريت في اليابان عام ١٩٧٩ . وبينت أن مجموع الجرائم التي ارتكبت في اليابان لم تتجاوز ١٧١ جريمة بما فيها استخدام الأسلحة النارية . وبالمقارنة مع دراسة أجريت في مدينة نيويورك الامريكية عام ١٩٧٨ تبين أن نسبة الجريمة في ارتفاع مستمر فعلى سبيل المثال نجد أن حالات الاغتصاب أكثر ثمانية أضعاف عما هي عليه في اليابان ، وجرائم القتل عشرة أضعاف ، أما بالنسبة لحالات السطو المسلح فقد بلغت ٢٢٥ ضعفا عما هي في اليابان . وفي المقابل فان نسبة جرائم العنف في اليابان انخفضت بشكل ملحوظ في العشرين سنة الأخيرة .

وسائل الاعلام والصحافة :

يعتقد الكثيرون بأن الشعب الياباني من أنبغ شعوب العالم على الاطلاق،ففي بداية عام ١٩٨٢ قام عالم النفس البريطاني ريتشارد لين بدراسة لقياس معدل الذكاء عند الأطفال اليابانيين بين سن السادسة والسادسة عشرة ليقارن مستوى ذكاء الفرد الياباني بمستوى ذكاء الامريكي من نفس السن ، وقد سجلت الاحصائية التي قام بها ريتشارد أن معدل الذكاء لدى الاطفال اليابانيين وصل الى ١١١ بينما وصل المعدل الى ١٠٠ فقط عند الاطفال الامريكيين . وأن هنالك ما مجموعه ٢٪ فقط من الأطفال الامريكيين وصلت نسبة ذكائهم الى ١٣٠ بينما وصلت النسبة الى ١٠٪ عند الاطفال اليابانيين ان السبب في ارتفاع نسبة الذكاء عند الأطفال اليابانيين ، كما بينت الدراسة ، يعود أساسا الى نظام التعليم في اليابان والذي ليس له حدود كما يقول (ريتشارد) ويلعب الكتاب دورا بارزا في حياة الفرد الياباني فمؤسسات النشر اليابانية تصدر ٣٥ الف عنوان جديد سنويا تقريبا ، معظمها يتعلق بالرواية والقصة والخيال العلمي . ويمثل هذا الرقم ضعف ما ينشر في الولايات المتحدة الامريكية سنويا .

لقد اكتسب الروائيون وكبار الكتاب اليابانيين أمثال ياسوناري كاواباتا وكوبو ابيه ويوكيو مشيما شهرة عالمية لما لهم من قدرة على اثارة مشاعر الناس ، وللاسلوب الرفيع الذين كتبوا به قصصهم ورواياتهم .

وبالاضافة الى الانتشار الواسع للكتاب في يابان ، فهنالك الاهتمام الكبير بالاخبار والصحف يومية والمجلات الاسبوعية والشهرية والدوريات فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن أكثر من ٩٣٪ من الشعب الياباني يقرأ الصحيفة اليومية كما أن ٩٠٪ منهم تصلهم الصحيفة الى المنازل ، وتعتبر هذه أعلى نسبة في العالم بعد السويد التي تأتي في المرتبة الاولى بين دول العالم جميعا من حيث قراءة الصحيفة اليومية

أما نظام التلفاز الياباني فيعتبر كما يقول الكاتب من افضل الأنظمة في العالم أجمع ، من حيث التطوير والتنويع في البرامج وتعدد محطات الارسال وعدد ساعات البث الموزعة بين القطاع الخاص والقطاع الحكومي . فهنالك ما مجموعه ١١٥٠٠ محطة مختلفة جميعها تدار بواسطة مؤسسة الارسال التلفزيوني الياباني التي تشغل البرامج التعليمية والتثقيفية ما يقرب من ٧٠٪ منها أما بالنسبة للمحطات الخاصة والتي يبلغ مجموعها حوالي ثلاثة آلاف محطة فان معظم برامجها (حوالي ٧٠٪) اجتماعية ترفيهية مسلية

أما التلفاز التعليمي الياباني فانه يبث برامج صباحية ومسائية الى المدارس حيث أن كل فصل يحتوي على تلفاز تعليمي وعليه ما زالت اليابان تستحوذ على المرتبة الاولى بين دول العالم من حيث الكفاءة وقد وضعت خطة لعام ١٩٨٤ من قبل المسؤولين لبث برامج متنوعة في العلوم والتجارة والآداب والانسانيات لما مجموعه عشرة آلاف طالب للاستفادة من برامج التلفزيون الياباني في المنازل وشملت الخطة بث ما مجموعه خمس محاضرات متنوعة أسبوعيا .



الصناعة بين الديمقراطية والبيروقراطية

يقول الكاتب إن الديمقراطية في ... وصوح ... عما هي عليه في الولايات المتحدة الامريكية ... من حيث التشكيل ... فللتنظيمات دور ... في حياة الشعب الياباني وخاصة ... كبار الساسة اليابانيين والذين ... الى تنظيمات ذات جذور عميقة راسخة أما عن البيروقراطية فهي مختلفة في مفهومها وتطبيقاتها عن الولايات المتحدة الامريكية فالبيروقراطيون اليابانيون يلعبون دورا سياسيا كبيرا ويساهمون مساهمة فعالة في المصلحة الوطنية هذا بالاضافة الى مسئوليتهم المباشرة عن التوقعات والتحديات المستقبلية للدولة في السنوات القادمة الى جانب توحيد الأهداف . وذلك من خلال الوثائق والدراسات التي تصدرها الوزارات والمؤسسات المختلفة للدولة والتي تتضمن الاقتراحات المطلوبة للعمل المستقبلي كل في مجال اختصاصه

ويقر الكاتب بحقيقة لا يمكن انكارها عندما يقول

ان التقدم الذي أحرزته اليابان في مجال التقنيات الحديثة مؤخرا جعل العالم بأسره في حالة من الرعب والفزع من قدرات هذا الشعب . ويزداد هذا الشعور عاما بعد عام مع الانجازات العظيمة التي تقدمها اليابان في جميع المجالات وخاصة الحاسب الآلي المصغر الذي غزا العالم في العشر سنوات الاخيرة وبالرغم من هذا فمازال هنالك بصيص من الامل يراود العديد من الامريكيين بأن الولايات المتحدة الامريكية سوف تستعيد مجدها السابق في مجال الاختراعات الحديثة التي استطاعت اليابان أن تشتريها بثمن بخس وتطورها وتصبح منافسا قويا للولايات المتحدة الامريكية

نظرة مستقبلية :

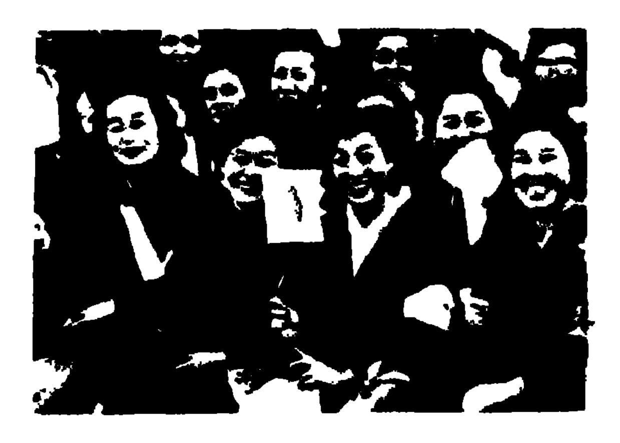
في ابريل من عام ١٩٨٠ قال رئيس وزراء اليابان السابق ماسايوشي أوهيرا في كلمة ألقاها في هيروشيما .

(لقد تحولت الولايات المتحدة من قوة كبرى الى

كتاب الشهر

قوة أقل تماسكا اقتصاديا وقد آن الأوان للمبادرة من أجل تعزيز العلاقات الامريكية اليابانية) ان تعليمات أوهيرا تشير بشكل واضح الى المشكلات الاقتصادية المستعصية التي تواجهها الولايات المتحدة الامريكية التي تتفاقم يوما بعد يوم وعليه فقد قامت مجموعة استشارية يابانية رفيعة المستوى بدراسة الوضع الاقتصادي الياباني الحالي ، وما سيكون عليه مستقبلا . وتوصل الفريق الى أن الانتاج القومي الياباني سوف يزداد بنسبة ٢٠٪ عما هو عليه في الولايات المتحدة الامريكية في عام ٢٠٠٠ وقد أثارت هذه النتائج الرعب في قلوب كبار الاقتصاديين اليابانيين خشية أن تكون الولايات المتحدة الامريكية قد فقدت الرغبة والقدرة للمحافظة على التوازن الدولي .

ان المستقبل يبشر بالخير لليابانيين وخصوصا أن الاختراعات الحديثة في مجال الحاسب الآلي المصغر والانسان الآلي سوف تقلل من العمل الاسبوعي لليابانيين ، وفي المقابل سوف تستمر ساعات الفراغ والاستجمام في الازدياد ومن المتوقع أن يزداد عدد الانسان الآلي ويصل الى مليون في نهاية هذا القرن ، وسوف يقوم بأداء أعمال أكثر تعقيدا عما هي عليه في وقتنا الحاضر .



خاتمة :

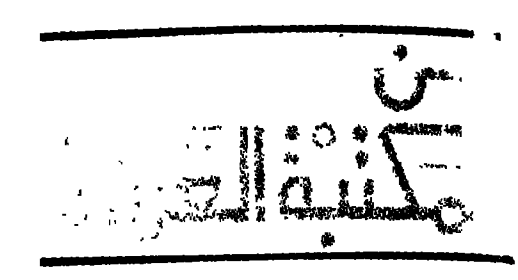
ان الحديث عن اليابان والشعب الياباني حديث مشحون وخصوصا فيما يتعلق بالامور الاقتصادية والسياسة والاستراتيجية .

فلم يكن يخطر ببال أحد ، حتى اليابانيين أنفسهم بأن مجموعة من الجزر الجبلية التي تخلو تقريبا من الموارد الطبيعية الهامة ، والتي تحولت ركاما في الحرب العالمية الثانية أن تصبح ثاني أعظم قوة صناعية في العالم .

لقد أدت الحرية الشخصية في اليابان الى تماسك المجتمع ، وخلقت ما يسمى بالتوازن والوحدة الاجتماعية ، وذلك بعكس ما حدث في أوروبا وأمريكا ، حيث أدت الحرية الشخصية الى تفكك المجتمع وتجزئته .

وقد أصابت مدينة (ديترويت) الامريكية خيبة أمل كبيرة بالتحدي الياباني الناجح ، وغزت السيارات اليابانية الاقتصادية الصغيرة الاسواق الامريكية ، وأصبحت منافسا خطيرا للصناعة الامريكية . واستطاع اليابانيون بناء أساس قوي لهم في الاقتصاد القومي الامريكي وذلك من خلال السيطرة على بعض الشركات الصناعية والتي وصل عددها الى ٢٢٥ شركة تعمل بصورة أو بأخرى لصالح اليابان . كما أن ما نسبته ١٠٪ من اجمالي صادرات الولايات المتحدة الامريكية ، قد شحنت الى الخارج عن طريق شركات تدار بواسطة رؤوس أموال يابانية . وهناك أكثر من ٩٠ ألف عامل وموظف يعملون مباشرة لصالح شركات يابانية .

بالاضافة الى أكثر من ربع مليون آخرين يعملون لصالح اليابان بطريقة غير مباشرة ويدينون بحياتهم الى رؤوس الأموال اليابانية في أمريكا . □



الشورى وأثرها في الديمقراطية

تأليف : الدكتور عبدالحميد اسماعيل الانصاري

مراجعة :
الدكتور عبد الله أبوعزة



قضية الشورى هي أخطر وأهم القضايا التي تركت وتترك أثرها على حياة أمتنا في ماضيها وحاضرها ومستقبلها . وفي غياب الشورى يسود الطغيان وينشر الارهاب ظله القاتم وحيث تفتقد الشورى يصبح التناحر والمحسوبية والسرقات وغيرها من مظاهر الحياة اليومية ، أمراضا تنهك جسد الامة ، وتهده وتعجزه عن القيام بأعباء البناء ، وعن التصدى لهجمات الأعداء .

فماذا في كتاب الشورى وأثرها في الديمقراطية ؟؟

إن غياب الشورى يمكن المنحرفين واللصوص والطغاة من اخفاء كل جرائمهم ، وييسر لهم الاستمرار في الاجرام ، ويسد الطريق أمام محاولات الاصلاح ، وامام النهضة الحقيقية التي تتطلع اليها الأمة ، لذا كان كتاب « الشورى وأثرها في الديمقراطية » الذى نحاول تقديمه للقراء في هذه السطور القليلة ، خليقا بأن يلقى ما يستحقه من عناية قراء العربية ، والمهتمين بأمر مستقبل هذه الامة ، سواء على المستوى العربي أو الاسلامي .

وكتاب الدكتور الانصاري ليس أول كتاب يعالج موضوع الشورى ، ولن يكون آخرها ، لكنه - فيما أعلم - من أهم هذه الكتب ، وأكثرها شمولا ، ويقع الكتاب في أربعمائة وخمسين صفحة ، وقد أعده مؤلفه لينال به درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، وهو يضم مقدمة وفصلا تمهيديا يتلوه بابان وفصل ختامي . ويتناول المؤلف في الفصل التمهيدى تعريف الشورى والديمقراطية ، ثم ينتقل ليعالج موضوع الشورى ضمن الباب الاول في ثلاثة فصول ، حيث يتصدى لبحث حكم الشورى وما اذا كانت واجبة أو مندوبة ، ونتيجة الشورى وما اذا كانت ملزمة لرئيس الدولة أو كانت معلمة ، كما يتناول تحديد أهل الشورى ، ومكان المرأة ، وأهل الذمة في المجالس الشورية . وهو في كل ذلك يستنطق النصوص ، ويستعرض آراء القدامى والمحدثين ، والمؤيدين والمعارضين لكل موقف ، ثم يعرض وجهة نظره مؤيدة بما يراه من أدلة أو استنتاجات .

من المكتبة العربية

أما في الباب الثاني فيتناول موضوع الديمقراطية في فصلين ، يستعرض في أولهما مقومات الديمقراطية من حيث مبدأ حكم الأغلبية ، وصور الحكم الديمقراطي ومسيرات كل ذلك ، والأسس التي تبنى عليها شرعية المعارضة في النظم الديمقراطية باعتبارها ضمانة للحريات والحقوق ، مع القاء ضوء خاص على دور الأحزاب ، بينما يستعرض في الفصل الثاني مبدأ الانتخاب التمثيلي وطرائقه ، وما يعترضه من مشكلات وما يثور حوله من حوار وجدال .

ويخصص المؤلف الفصل الختامي من كتابه (للمقارنة بين نظامي الشورى والديمقراطية لابراز أوجه المغايرة وأوجه الاتفاق وأوجه التأثير المتبادل) (ص ز من المقدمة) ، وذلك لمعرفة إمكانية الاستفادة من التجربة الديمقراطية المعاصرة ، ومن ناحية اخرى لنبين الى أى مدى يساهم نظام الشورى الاسلامي في تصحيح بعض أوجه الديمقراطية المعاصرة . (ص٢٢٥)

وقد خلص الدكتور الأنصاري الى أن الشورى واجبة على رئيس الدولة وليست من المندوبات (ص ٩٧ ـ ١٠٨) كما تبنى الرأى القائل بأن نتيجة الشورى ملزمة لولي الأمر حين تجتمع أغلبية أهل الشورى على رأى محدد ، وذلك بعد أن ناقش الآراء المخالفة وردّ حججها (ص ٢١٤ ـ ٢٢٢) أما عن أهل الشورى فقد مال المؤلف الى تحديدهم عن طريق الانتخاب الشعبي ، ودحض جميع الآراء التي دعت الى ايجاد نوع من الوصاية على المجلس النيابي المنتخب (٢٤٦ ـ ٢٥٧) . كذلك أيّد المؤلف أهلية المرأة لعضوية المجلس النيابي (٢٦٥ ـ ٣٢٠) . بل اعتبر أن ذلك (يدخل في باب الواجب الكفائي ، لانه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) (ص٣٢٠) ورأى جواز مشاركة أهل الذمة في عضوية المجالس النيابية في الدولة الاسلامية . . (ص٣٢٥)

أما في معرض المقارنة بين الشورى والديمقر[اطية] فقد اشار ابتداء الى أن (الشورى جزئية في [نظام] اسلامي متكامل ، له فلسفته الخاصة ، وأهد[افه] الخاصة ، وكذلك فان الديمقراطية نابعة من نظا[م] فلسفة وأهداف معينة ، وقد طبق كل منهما في [بيئة] مختلفة (ص٤٢٧) ومع ذلك فقد انتهى الى ا[تفاق] الشورى والديمقراطية فيما يتعلق باختصاص المجا[لس] التمثيلية بالمسائل التشريعية ومناقشتها ، واتفاقهما [من] حيث اعتبار رأى أغلبيه أعضاء المجالس التمثيلية ومن حيث حق المعارضة في التعبير عن رأيها ، غير [أنه] شدد على شرط الالتزام بالقيم الاخلاقية والديني[ة] والسلوك الحسن في عضوية المجالس النيابية . مـ[ن] وجهة نظر الشورى الاسلامية (ص٤٢٩) ، وتوصل المؤلف الى امكان استخدام النظام الحزبي في ظل الشريعة الاسلامية ، وذلك لان العمل الحزبي من الضرورات التي يستلزمها العمل السياسي في عصرنا . وقد اشترط الالتزام (باطار الشريعة واصولها) في ذلك (ص٤٣٨) .

ولست أزعم انني اقدم للقارىء ملخصا لمادة الكتاب في هذه السطور القليلة ، وانما أردت أن ابين رؤوس الموضوعات التي يتناولها بالدراسة والمقارنة والتحليل ، وهي موضوعات في غاية التشعب ، لا يمكن أن تلخص في مراجعة كهذه ، كما أن لجوء المؤلف الى استعراض وجوه الآراء المتعددة التي عرفها الفكر الاسلامي قديما وحديثا يفتح الكثير من الآفاق للتأمل والتفكير ، ويزيد المادة تشعبا .

ولعل من تمام التعريف بهذا الكتاب أن نأتي بمقتطفات من بعض فصوله ـ تحت عنوان « مبدأ حكم الأغلبية » « وصور الحكم الديمقراطي » يقول المؤلف :

« يجعل النظام الديمقراطي الحكم للاغلبية ، حيث إنها المعبرة عن ارادة الامة ، ومعنى ذلك ان ارادة الامة ليست ارادة المجتمع ، بل هي إرادة الغالبية . وهذا قد يوحى بأن ارادة الاقلية لا يلتفت اليها ، فكيف يمكن التوفيق بين اهمال الاقلية وبين معنى الديمقراطية بحسبانها تعبيرا عن جميع الارادات المتصارعة في الامة ؟ ثم إن حكم الاغلبية يتخذ احدى ثلاث صور في التطبيق الديمقراطي وهي : الديمقراطية المباشرة والديمقراطية النيابية ،

. . يمقراطية شبه المباشرة . أما الديمقراطية المباشرة
. . أقدم صور الديمقراطية ظهورا ، وهي التى
. ذت بها المدن الاغريقية ، واقل الصور انتشارا في
. مصر الحاضر ، اذ لا وجود لها الا على نطاق محدود
. . دا وفي بعض المقاطعات السويسرية الصغيرة أما
. الديمقراطية غير المباشرة (النيابية) في هذا النظام يختار
الشعب من آن لآخر نوابا يتولون الحكم لمدة محدودة
باسمه ونيابة عنه ، فلا يزاول الشعب سلطاته
بنفسه ، بل يقتصر دوره على اختيار نواب عنه ، وتعد
بعد ذلك ارادة هؤلاء النواب معبرة عن ارادة الناخبين
(اى ارادة الشعب) فدور الشعب في هذا النظام
مقصور على انتخاب الهيئة النيابية ، ثم لا يشترك
معها في الحكم . .

وأما الديمقراطية شبه المباشرة فهي التى يمكن أن
نعدها نظاما نيابيا متطورا . فهي تقوم على أساس
برلمان منتخب مع الرجوع الى الشعب في بعض الأمور
الهامة التى تمثل في مظاهر الديمقراطية شبه المباشرة .
وهي مزيج من الديمقراطية النيابية والديمقراطية
المباشرة أو نظام وسط بينهما . والشعب في هذا النظام
يعتبر سلطة رابعة بجوار السلطات الثلاث ، وقد
انتشر هذا النظام في الآونه الاخيرة نتيجة انتشار
التعليم والثقافة وزيادة الوعى السياسى ، وكعلاج
لعيوب النظام النيابي .

ويتحدث المؤلف عن مبدأ شرعية المعارضة
فيقول : تقوم الديمقراطية على ساقين ، أحدهما مبدأ
حكم الاغلبية ، والثانية مبدأ شرعية المعارضة ، أما
المعارضة فتلعب دورا بارزا في نظم الحكم
الديمقراطية ، ووجودها مبدأ أساسي في هذه النظم ،
وهو الذى يسمح بوصف تلك النظم بأنها حُرة . .

ويرجع السبب في الاعتراف بحق المعارضة الى أن
فلسفة الديمقراطية تكمن في المذهب الفردى الحر
الذى ينتهى الى القول بوجود حقوق طبيعية .

ويتضح مركز الحريات عامة في النظام الديمقراطي
اذا عرفنا أن الحريه هي جوهر النظام الديمقراطى ،
وهي بهذا الوصف تخضع السلطة الديمقراطية
لهيمنتها ، وكما أن القواعد الدستورية تعد أسمى من
القواعد التشريعية ، فكذلك تعد مبادىء الحرية أعلى
مكانا من وسائل الديمقراطية واوضاعها وأشكالها .
فمركز الحرية في النظام الدستورى كوضع النظام في
النظام القانونى كله فاذا تعارضت المبادىء
الديمقراطية مع الحرية وجب تغليب الحرية ، لان
الحرية هي غاية النظام الديمقراطى ، ومبادىء
الديمقراطية كلها وسائل لغاية أساسيه هي كفالة
الحرية للفرد وللجماعه ، ولا يجوز أن تعطل الغاية
الوسائل المستمرة لتحقيقها ، كما لا يجوز تغليب
الشكل على الجوهر وكذلك تتضح أهمية
المعارضة في أنا اذا سلمنا للأغلبية بحق المنع والمنح ،
فقد سلمنا بمبدأ احتكار الصواب احتكارا مطلقا ،
وتجارب العالم كله في السياسة والتاريخ تدلنا على أن
خطأ اليوم قد يكون صواب الغد والعكس صحيح .

ولا مراء في أن لنا بعض الملاحظات على بعض
الآراء الجسرئية التى تبناها المؤلف ، وعلى طريقة
البحث المتبعة في بعض فصول الكتاب بيد أن هذه
الملاحظات تدور حول هنات بسيطة ـ في رأينا ـ لا
تقلل من قيمة الكتاب ، ولا تغض من وميض فكره .
وانني أدعو كل المهتمين بالنهضة الاسلامية ، وكل
المعنيين بقضايا الفكر العربي ، وقضايا الفكر
الاسلامي المعاصر ، أدعوهم جميعا الى قراءة هذا
الكتاب الجليل الفائدة . □

اربعة اركان

قيل انه كان يكتب على مدخل كل مدرسة في الاندلس هذه العبارة
الدنيا تستند على أربعة أركان : علم الأفاضل ، وعدل الأكابر ، ودعاء الصالحين ،
وبسالة الشجعان .

مكتبة العربي

مختارات

حرب فلسطين ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨

(الرواية الاسرائيلية الرسمية)

ترجمة : أحمد خليفة
الناشر : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت
عدد الصفحات . ٧٧٥ صفحة من القطع الكبير

يغطي هذا العدد الكبير من الصفحات فترة لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ الحرب الفلسطينية الاسرائيلية ، التي تمخضت عن كارثة ١٩٤٨ ، والفترة المذكورة تمتد من ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وحتى نهاية الانتداب البريطاني في ١٥ مايو ١٩٤٨ .

ويقول : د وليد الخالدي الذي قدم للكتاب « ان هذه الفترة هي أخطر مرحلة فاصلة في تاريخ القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني منذ بدء المد الصهيوني عام ١٨٨٢ . . فقد شكلت أحداث تلك الفترة ، في آن ، النهاية المنطقية لكل ما سبق ، كما شكلت نقطة البداية لكل ما تلا في ساحة الصراع العربي ـ الصهيوني »

والكتاب ترجمة عن العبرية للرواية الاسرائيلية لما حدث في تلك الفترة الحاسمة من صراعنا مع عدونا الصهيوني ، وذلك اعتمادا على مصدرين : الأول « تاريخ الهاغاناه » للمؤرخ الصهيوني يهودا سلوتسكي ، والثاني « تاريخ حرب الاستقلال » الذي يعكس وجهة النظر الرسمية الاسرائيلية .

وبترجمة هذا الكتاب الى اللغة العربية ، تسد ثغرة كبيرة وخطيرة في المكتبة العربية ، ناجمة عن عدم معرفتنا بالطريقة التي ينظر بها الصهاينة الى مجرى الصراع بيننا وبينهم . وخلال هذا العرض لـ... الاسرائيلية لهذه المرحلة يتكشف لنا الكثير من الا... والخفايا التي أحاطت بأحداثها . ولا ننسى أحـ... ننبه الى عدم وجود كتابات عربية رصينة وموثقة ... الفترة الحرجة من تاريخنا العربي .



مئة عام من تاريخ اليمن الحديث

الكاتب د . حسين عبد الله العمري
الناشر . دار الفكر ـ دمشق
سنة النشر : ١٩٨٤ م
عـدد الصفحـات والحجم : ٤٠٧ صفحـات من الحجم المتوسط

يتابع الباحث في هذا الكتاب بشيء تفصيلات ما حصل في اليمن خلال مئة عام ، (من سنة ١٧٤٨ حتى سنة ١٨٤٨)

يقول المؤلف في مقدمة الكتاب « هذه الحقبة الحافلة بوجوه النشاط السياسي والحضاري لليمنيين لم يسبق لأحد أن تناولها بالدراسة والبحث من قبل ، وليس بين أيدينا عنها الا بعد بث أغلبها في بطون كتب لا تزال مخطوطة ، تنتظر بعثها ونشرها محققة » .

وبالرغم من أن الباحث يركز على فترات حكم بعض الأئمة في اليمن ، بداية من فترة حكم المهدي عباس ، ووصولا الى حكم الامام محمد بن يحيى ، الذي قتل جزاء ما اقترفه في تهاونه في حق الوطن ، واستدعائه الاتراك من الحديدة الى العاصمة صنعاء ، فانه يلتفت الى تسجيل بعض الادوار التي لعبها بعض الفقهاء والأدباء في الحياة العامة . كابن الامير والشوكاني والآنسي وابن اسحق وغيرهم .



البطالة المقنعة في الوطن العربي

الكاتب : سمير عبده
الناشر : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق

ـنة النشر : ١٩٨٤ م
ـدد الصفحات : ٢٨٠ من القطع الصغير

تستخدم عبارة « البطالة المقنعة » لوصف حالة العاملين الذين يقومون بأعمال هي دون مستواهم الانتاجي . انهم يندرجون ، رسميا ، في عداد العاملين لكنهم انتاجيا ، شبه عاطلين عن العمل هذه الظاهرة التي تعاني منها المجتمعات المتقدمة تتحول في المجتمعات النامية ومنها مجتمعاتنا العربية ، الى نوع من الامراض المستعصية

منذ البداية يضعنا المؤلف في صورة حجم الكارثة عبر الأرقام التالية :

نسبة العاملين من اجمالي سكان الوطن العربي ٢٧،١٪ ، يعمل منهم ٢٥٪ في الزراعة . ومن بين مجموع نساء الوطن العربي البالغ ٨٥ مليون امرأة ، لا تعمل منهن سوى ٤،١٤ ملايين ولا تزيد انتاجية العمل على صعيد الواقع العربي عن ٢٠٪ فقط من قوة العمل الاجمالية .

ومن خلال دراسة تاريخية اجتماعية مقارنة يشق المؤلف طريقا صعبا يكاد يخلو من البيانات والمعلومات والاحصاءات الدقيقة ، ليقدم دراسة تتسم بالجدية حول واحدة من أهم مشكلات الوطن العربي .

■

اتصالات الفضاء

الكاتب : حمدي قنديل
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات : ٤١٢ من القطع الكبير

يقدم المؤلف هذا الكتاب على أنه « كتاب مرجعي للجامعات ، أوصت بوضعه اللجنة العربية المشتركة للاتصالات الفضائية » . فجيل طلبة الجامعة الحالي قد ولد بعد غزو الفضاء عام ١٩٥٧ كما يقول المؤلف في مقدمته .

ومع ذلك فالكتاب ليس دراسة تقنية جافة ، بل يتضمن تحليلا للآفاق التي تفتحها تكنولوجيا الفضاء والمشكلات التي تثيرها للمجتمع ، مثل المشكلات القانونية المتعلقة بمبدأ سيادة الدول ، ومبدأ حرية الاتصال . وقضايا أخرى تتعلق بالغزو التقني والذاتية الثقافية

وبأسلوب شيق وبسيط يتناول الكاتب مختلف أشكال استخدامات الفضاء ، مع تركيز على الاستخدام السلمي للاقمار الصناعية ، والبث التلفزيوني ، والجوانب القانونية التي تنشأ عن كل ذلك . ولا ينسى الكاتب أن يفرد في كتابه فصلا عن القمر الصناعي العربي « عربسات » الذي أطلق في فبراير من هذا العام .

■

١٢ رئيس وزراء

اسم الكاتب : أحمد فوزي
الناشر : مكتبة الفكر العربي للنشر والتوزيع ـ بغداد
سنه النشر . ١٩٨٤
عدد الصفحات : ٣٨٠ صفحة من القطع الكبير

من بين ٢٣ رئيسا للوزراء تسلموا المنصب في العهد الملكي في العراق ، اختار الصحفي والسياسي العراقي أحمد فوزي ١٢ منهم ، وحاول أن يرسم لكل منهم « صورة قلمية » يقدمها للقاريء بعد أكثر من ربع قرن من زوال العهد الملكي في العراق .

ويضم هذا الكتاب « حكايات سياسية وصحفية » هي عبارة عن ذكريات يغلب عليها طابع الطرافة والمعلومة الخفيفة عن عدد من رؤساء الوزراء العراقيين في تلك الفترة المضطربة من تاريخ العراق والمنطقة . ومن بين هؤلاء من كانت له توجهات وطنية مثل رشيد عالي الكيلاني ، أو توجهات ليبرالية يمينية مثل محمد فاضل الجمالي الى شخصيات عرفت بارتباطها بالمستعمرين الانكليز خارجيا وسياسة القمع في الداخل مثل نوري السعيد وصالح جبر .

ورغم أن الكتاب لا يعد مرجعا تاريخيا لتلك الفترة وتلك الشخصيات الا أنه يضيء بعض الجوانب في تلك الشخصيات التي كانت في قمة الهرم السياسي آنذاك .

عبد الرحمن الداخل يعود إلى الأندلس

"المنكب" في الأندلس تحتفي بصقر قريش



بقلم : الدكتور عفيف بهنسي

عبد الرحمن الداخل الذي أسس الدولة العربية في الأندلس ، وافتتح عهود الحضارة فيها ، كان موضوع لقاء عربي اسباني في مدينة ساحلية من مقاطعة غرناطة في الأندلس ، تسمى المونييكر . أو المنكب . فما هي مناسبة اللقاء ؟



مدينة المنييكر (المنكب)

لقد كان مشروع هذا اللقاء قد ظهر في ذهن عمدة هذه المدينة السيد خوان كارلوس أباديس بانغواس وهو شاب متحمس يدل اسمه وملامحه وعنفوانه على اتصال بأصل عربي . فاسم أباديس تحريف لكلمة (عبيدينيس) ولعل هذا الاسم المحرف انتقل أيضا الى العربية ، ونحن نعرف بلا شك اسم عبد الحميد بن أباديس ، كما نعرف أسماء اخرى مثل اباديس بن حبوس الصنهاجي أمير غرناطة في القرن الحادي عشر ، وهذا الاسم كغيره من الأسماء ذات الأصل العربي ما زال منتشرا في الاندلس حتى يومنا هذا . وتعاون مع عمدة المدينة أساتذة اختصاصيون في التاريخ والآثار ، ومنهم مستعربون يتقنون العربية ويقومون بتدريسها في جامعات غرناطة ومدريد ، او هم يدرسون التاريخ الأندلسي ويقدمون أبحاثا جادة فيها . كما تعاون معهم ممثلو الجامعة العربية ، والسفراء العرب ، وجمعية الصداقة السورية الاسبانية ، والمعهد العربي الاسباني للثقافة ، وجامعات الاندلس ، وكانت رئيسة الشرف الملكة صوفيا ، ملكة اسبانيا .

ولقد كان هدف اللجنة المكونة لتنفيذ هذا اللقاء ، الاحتفال بمرور ألف ومائتي عام على وفاة عبد الرحمن الداخل ، الذي مات في الاندلس عن خمسة وخمسين عاما ، وحكم الاندلس مدة اثنين وثلاثين عاما .

وعبد الرحمن الداخل هو ابن معاوية بن الخليفة هشام بن عبد الملك ، ولد في الشام وفيها شب ثم مضى الى الاندلس متخفيا ، وكان في العشرين من عمره ، هاربا من سطوة أصحاب الاعلام السوداء الذين هدفوا الى القضاء على الخلافة الأموية . واستطاع بعد جهد شاق استمر خمس سنوات أن يصل الى الاندلس ، وكانت المنكب (بتشديد الكاف) هي أول مرفأ أندلسي استقبله ويطلق عليها اليوم اسم المونييكر .

واستطاع عبد الرحمن الداخل الذى جاء وحيدا أعزل أن يتسلم زمام الحكم في الاندلس ، وان يعيد تكوين الدولة العربية فيها ، وأن يصبح بسرعة خارقة الامير القادر على تحقيق وحدة البلاد وازدهارها ، واستمر عهده الزاهر من بعده بزعامة اعقابه حتى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر .

ونظرا لاهمية عبد الرحمن وعهد الخلافة في تاريخ حضارة الاندلس ، رأى المسؤولون في الاندلس اليوم أنه « من الاهمية توضيح أعمال وشخصية هذا الحاكم الاموى الشجاع والعظيم ، ومن الواجب التعمق في نتائج تكوين الدولة واستقرارها بعد أعمال الفتوح الاولى . وايضاح طابع المشاركة والتسامح الكبير الذى أكده عبد الرحمن في بناء الدولة وتوطيد أركانها » .

ان المونييكر التى تعتز أنها أول من استقبل عبد الرحمن على أرض الاندلس ، قامت بكشف الستار عن تمثال ضخم لعبد الرحمن سيصبح رمزا للمدينة ، ولقد تم ذلك ضمن نطاق لقاء عربي اسباني تبادل فيه علماء الاسبان المستشرقون واختصاصيون من العالم العربي ، شخصية عبد الرحمن ودوره في تأسيس الدولة الراسخة في الاندلس ، ثم دراسة المجتمع الاندلسي في العصر الاموى،والتطور التاريخى من الامارة الى الخلافة ، كما أعدت طاولة مستديرة لدراسة أبعاد عبد الرحمن الاول في العالم الراهن .

لقاء حافل

لقد تم اللقاء في المنكب او المونييكر وشارك فيه عدد من المؤرخين والكتاب والشعراء العرب والاسبان ، نذكر منهم حسين مؤنس ، ومحمود مكي ، والشاعر عبد الوهاب البياتى ، ومحمود صبح ، ومونتاريز ، وغامبوتي ، وكارمن لويس ، وغيرهم .

تم ذلك ضمن اطار ثقافي حافل تزينه الموسيقا الاسبانية العربية (المقام خوده) والرقصات (الفلامنكو) والعروض المسرحية العربية الاسلامية التى أسهمت فيها بنات غرناطة الجميلات .

ذلك في حديقة الماخويلو التى تحوى أجنحة متنوعة



رأس من البرونز يمثل عبد الرحمن الداخل

كل جناح مبنى وفق طراز محلي ينسب الى احدى المدن الاندلسية المعروفة - غرناطة وقرطبة واشبيلية وطليطلة وغيرها . وحوت هذه الأجنحة معارض أسهمت فيها البلاد العربية ، مما جعل هذا اللقاء احياء للاخاء العربي الاسباني توجته حفلة موسيقية غنائية شعرية تمت في بيت عربي « الناهرا » ، وهو بيت رائع تزينه نقوش غرناطية مدجنية (مودخار) مليئة بالكتابات العربية .

ويشرف هذا البيت على حديقة اندلسية مليئة بالرياحين والياسمين واشجار البرتقال ، وفي هذه الحديقة القى الشعراء العرب والاسبان قصائدهم التى ترجمت الى اللغة الاخرى ، وفيها رقصت الاسبانيات اروع الرقصات واكثرها جدية وحماسة وعزف على القيثار مهرة العازفين .

كان هذا اللقاء وهذا الاحتفال مناسبة لتوضيح دور المنكب في استقبال عبد الرحمن الداخل ، وكان مناسبة للاحتفال بمرور/١٢٠٠/عام على وفاة هذا القائد الشجاع (صقر قريش) وانه لسبق يسجل

صحاب هذه المبادرة اللبقة في تكريم هذا الامير طموح .

المنكب : هي مدينة ساحلية تقع في خليج واد حفوف باشجار ثمرة الافوكاتو والموز وازهار دوار القمر والنفلة .

والمدينة قديمة ، فلقد تم فيها العثور على آثار تعود الى عهد الفينيقيين واستطاع عالم الآثار « مولينا » أن يكتشف اثارا ثمينة اودعت في متحف غرناطة تبين وصول الفينيقيين الى المنكب مند القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، كما عثر على اثار معالم الوجود الروماني ، وما زالت سواقي المياه العالية قائمة ومستعملة حتى اليوم منذ ذلك التاريخ تظهر عالية على امتداد ثمانية كيلو مترات .

وجميع الحفريات الأثرية ما زالت مكشوفة لتعريف السائحين والزائرين على جهود مثمرة في مجال التنقيب عن ماض قديم .

وتبين أن القصر الروماني انشىء على آثار اغريقية ، كما انشئت الكنيسة في القرن السادس عشر على مستودع ماء روماني قديم . وتنتشر بيوت المنكب صاعدة على قمم الجبال المشرفة على البحر ، واذا كانت البيوت الحديثة تتصف بتنوع العمارة وجمالها ، فان البيوت التقليدية ما زالت محتفظة بطابعها الاندلسي الجميل ، مجموعة من الجدران والسقوف القرميدية تنفتح فيها نوافذ صغيرة تنسكب منها شلالات الورد والرياحين من أحواض موزعة هنا وهناك ، تطل كلها على طريق مدرج صاعد حتى قمة الجبل . هذه هي مدينة المنكب التقليدية ، التي تمتد على عرض يزيد عن العشرين كيلو مترا وهي لا تبعد كثيرا عن غرناطة ، فعلى مسافة خمسة وثمانين كيلو مترا زار قصر الحمراء المشاركون في هذا اللقاء ، والحديث عن هذا القصر الرائع ذو شجون فهو آخر معاقل العرب والمسلمين في الاندلس،ومن غرناطة نزحوا بعد ثمانية قرون من المجد ما زالت اثاره ظاهرة حتى اليوم .

وعلى مسافة سبعين كيلو مترا من المنكب تقع (مالقا) موطن الفنان الكبير بيكاسو .

يبدأ الحديث عن عبد الرحمن الداخل من تمثاله الذى صممه ونفذه الفنان ميغل مورينو الغرناطي ، والذى اقيم على صخرة ضخمه في كنف احدى الكتل الجبلية التى تتوسط الساحل في المنكب . وهو بارتفاع خمسة أمتار ومن البرونز ، ويمثل عبد الرحمن بوجه يشبه الصقر يتجه الى افق بعيد ويقف بثبات ، وبيمينه سيف دمشقي يتكىء عليه ، قد ارتدى عقالا في رأسه ورمى على كتفيه عباءة قصيرة ، وبدت قامته المشوقة الفتية مشابهة للوصف الذى نقل عنه نحات التمثال، فلقد ذكر المؤرخون « أنه أصهب خفيف العارضين ، طويل القامة ، نحيف الجسم أعور له ضفيرتان » .

كان عبد الرحمن شخصية فذة ، اهتم بتربيته والده معاوية وجده هشام ، نشأ على الامارة وتعلم في الشام الفروسية وقرض الشعر ، وبعد وفاة أبيه جمع له هشام أخماس الأندلس لصالحه ، اهتماما به وتقديرا له . وكانت أمه « راح » تنسب الى قبيلة مكناسة المغربية او قبيلة مغيلة ، وقد فقدها صغيرا وكانت شقيقته أم الاصبع تحنو عليه ، ولقد ولد عبد الرحمن في الشام عام ١١٣ هـ - ٧٣٢ م وشب فى الرصافة أو في دمشق في كنف جده الخليفة هشام . وحتى عهد الخليفة مروان .

ثم قام العباسيون بثورتهم على الامويين عام٧٥٠م فذبحوا افراد هذه الاسرة ، وكان عبد الرحمن واحدا ممن نجوا باعجوبة ، وتعتبر قضية نجاته وانتقاله متخفيا الى الاندلس عبر المغرب ، ولمدة خمس سنوات ، من أروع القصص المثيرة في التاريخ .

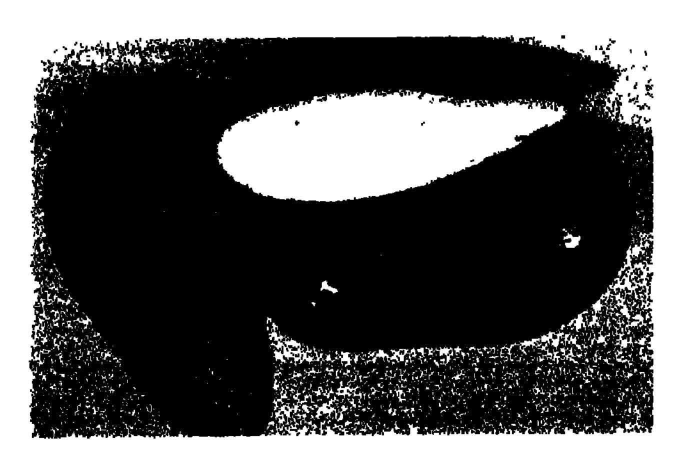
الرحلة الى الأندلس

ولنسمعه يتحدث عن قصة خروجه من الشام اذ يقول :

« لما اعطينا الامان ثم نكث بنا بنو ابي فطرس وأبيحت دماؤنا ، أتانا الخبر وكنت متبذا من الناس ، فرجعت الى منزلي آيسا ونظرت فيمن يصلحني وأهلي ، وخرجت خائفا حتى صرت الى قرية على الفرات ذات شجر وغياض ، فبينا أنا ذات يوم بها وولدى سليمان يلعب بين يدى ، وهو يومئذ ابن اربع سنوات ، فخرج عني ثم دخل الصبي من باب البيت باكيا فزعا ، فتعلق بي فجعلت ادفعه وهو يتعلق



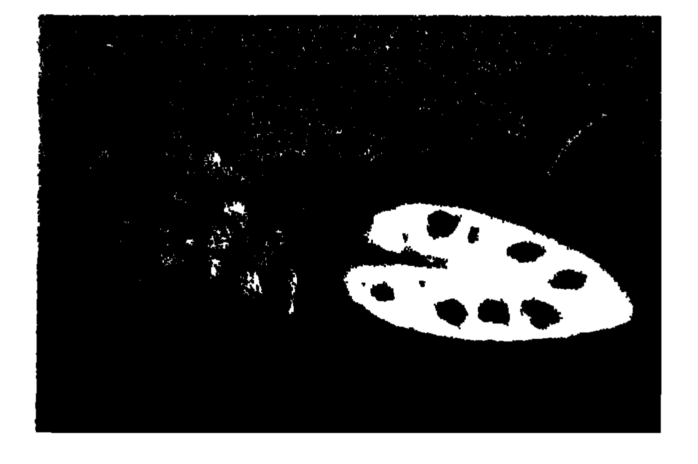
الماخويلو



فاكهة المنكب



تمثال عبد الرحمن الداخل في المنكب من الخلف





القرية القديمة في المنكب

بي ، فخرجت لانظر واذا بالخوف قد نزل بالقرية ، واذا الرايات السود منحطة عليها ، واخ لي حدث السن يقول لي : النجاة فهذه رايات المسودة ، فأخذت دنانير معي ونجوت بنفسي واخى ، وأعلمت اخواتي بمتوجهى ، فأمرتهن أن يلحقني مولاى بدرا ، واحاطت الخيل بالقرية فلم يجدوا لى اثرا ، فأتيت رجلا من معارفي وامرته فاشترى لي دواب ، وما يصلحني ، فدل علي عبد له العامل ، فأقبل في خيله يطلبني ، فخرجنا على أرجلنا هرابا والخيل تبصرنا ، فدخلنا في بساتين على الفرات فسبقنا الخيل الى الفرات ، فسبحنا ، فأما أنا فنجوت وفرسان الخيل ينادوننا بالامان ولا أرجع ، وأما اخي فانه عجز عن السباحة في نصف الفرات فرجع اليهم بالامان واخذوه فقتلوه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثكلا ومضيت لوجهى فتواريت في غيضة حتى انقطع الطلب عني ، وخرجت فقصدت المغرب فبلغت افريقيا » .

كان عبد الرحمن قد مضى من دمشق الى فلسطين ومنها الى مصر ثم سار الى برقة وبقى متخفيا فيها زمنا ثم مضى الى افريقية (تونس) . فلما علم به عاملها جد في طلبه ، فمضى الى أهل امه من قبيلة مغيلة في نفزاوه ، وكان مولاه الدمشقي بدر قد وصل اليه ، فأرسله الى أهل الاندلس يدعوهم الى نفسه فأرسلوا اليه مركبا ووفدا فاصطحبوه الى الاندلس ، وكان أول مكان وطئت فيه اقدامه في الاندلس هو المنكب ، عام ١٣٨ هـ - ٧٥٦ م . ثم مضى الى رية وشذونه ثم اشبيلية فبايعه اهلها فورا ، ثم اتجه الى العاصمة قرطبة رافعا الراية الخضراء لاول مرة .

وكان يوسف الفهرى أميرا على الاندلس في قرطبة ، وقد فوجىء بظهور عبد الرحمن المنتصر السريع ، الذى دخل قرطبة وكان يوسف غائبا عنها ، ثم عاد فقاتله وتصالحا ، حتى اذا عاد وثار على عبد الرحمن ، لقى الهزيمة وقتل مع ابنه ، وانتهى دوره كما انتهى دور الصميل الذى مات مسموما .

إمارة قرطبة

وما ان استقر اميرا فى قرطبة حتى انصرف اولا الى استئصال الفرقة والفتن وصد العدوان . ولعل أروع



انتصار حققه ضد عدوان خارجي كان عام ٧٧٧ ، اذ قام شارلمان بتأييد من خصوم عبد الرحمن بحملة ضخمة ، وتقدم شارلمان أولا في الاندلس ، ثم تجهز له عبد الرحمن في العام التالي فرده على عقبه . وقتل عددا من قواده من أشهرهم (رولان) الذى خلد بشعر معروف باسمه .

كان جيش عبد الرحمن حسن التنظيم والتجهيز ، ولقد بلغ عدده اربعين الف مقاتل ، كما استطاع أن ينهض بعمارة بحرية لعله اراد بها ان يصل الى الشام من البحر ، ولكنه لم يفعل على الرغم من ان المنصور حاول ازاحته بتعيين امير ارسله لذلك ، هو العلاء ابن المغيث ، وكانت النتيجة ان قتل العلاء وحشى رأسه بالملح والكافور واعيد الى المنصور وكان في الحج ، فصاح قائلا « الحمد لله الذي جعل بيننا وبين



مشهد عام للمنكب

مثل هذا من عدونا بحرا » . وكان المنصور قد اطلق على عبد الرحمن لقب صقر قريش .

ولقد وصف المؤرخون عبد الرحمن فقالوا ، « كان فصيحا لسينا شاعرا عالما حليما حازما ، سريع النهضة في طلب الخارجين عليه ، لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ، ولا يكل الأمور الى غيره ، شجاعا ، مقداما بعيد الغور ، شديد الحذر ، سخيا جوادا » .

وقام عبد الرحمن بتوحيد الاندلس . وما أن توطد حكمه حتى قام بأعمال عمرانية هامة ، فأنشأ القنوات وبنى حول قرطبة سورا وشيد منية الرصافة وهى قصر يشبه قصر جده هشام فى بادية الشام ، وجعل لهذا القصر بستانا زرع فيها ضروبا من الاغراس كالدراق والرمان ، واتى من الشام بنخلة لعلها الاولى في الاندلس فغرسها في بستانه .

وكان عبد الرحمن شاعرا مجيدا ، فوصف هذه النخلة في أبيات من الشعر الرقيق الذى يعبر عن عاطفة الحنين الى الشام ، حنين يملأ فؤاده رغم سلطانه وروعة النجاح الذى توصل اليه .

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى في التغرب والنوى
وطول التنائي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة
فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي

عمارة المسجد

ومن أهم الأوابد التى أسسها عبد الرحمن جامع قرطبة الذى أخذه عن جامع دمشق بأقسامه وتوابعه ،

وقد استمر خلفاؤه بتوسيعه خاصة في عهد ع الرحمن الثاني والحكم الثاني ، ثم اكتملت عمارته اواخر القرن العاشر ابان حكم المنصور . ويبدو ه المسجد بعد اكتمال عمارته من أروع المنشآت العر الاسلامية ، يتجلى ذلك في أقواسه وأعمدته و محرابه وقبته الفخمة ، وفي خزفه الجميل وفسيفسا وكتاباته الرائعة . ومن المؤسف أن هذا المسجد ، و حوله فردناند الثالث عام ١٢٣٦ الى كنيسة و ضمنه كاتدرائية ضخمة .

وهو اليوم أشبه بمزار يحيط الكاتدرائية اضيفت اليه تماثيل ولوحات زيتية وزخارف معدنية هي من أعمال الفنانين الاسبان ، من أمثال أروفة والونصوكاتو وبالو مينو وغيرهم .

ويطلق على المسجد اليوم اسم « المسكيتا » ويزوره سنويا ملايين السياح وتعود عائداته الى الكنيسة .

ولقد أنشأ عبد الرحمن ايضا المدارس والمكتبات التى أغناها بالمخطوطات الهامة ، ويعتبر عهده قمة في الازدهار الذى قام على مبادىء ثلاثة ، التسامح مع أهل الذمة ، وتوحيد البلاد ، وبناء الدولة المتقدمة .

واستمر خلفاؤه من بعده ما يقرب من الثلاثة قرون ، وكانت قرطبة في عهدهم (جوهرة العالم) وكان فيها مائة وثلاث عشرة داراً ، وواحد وعشرون ربضا وسبعون خزانة كتب،وحوانيت شتى تباع بها الكتب ، ومساجد وقصور وحمامات،وكانت شوارعها على مسافة أميال مضاءة بالمصابيح،وأرضها معبدة بالبلاط الحجرى والأجرى .

ولقد حقق عبد الرحمن في الاندلس أول نظام اجتماعي اشتراكي ، ويقول المؤرخ الهولندى دوزى « ان عبد الرحمن قد قضى على امتيازات الطبقة الدينية والنبلاء وحسن احوال المستخدمين والعمال » . ويتحدث الاستاذ الحايك عن قرطباس بن غبطشة الذى كان يملك الف ضيعة ، فوزعها عبد الرحمن ولم يبق له الا عشرون ضيعة .

ان اقامة هذا التمثال الضخم في المنكب ، المدينة الجميلة الأندلسية ، هو بمثابة عودة جديدة لعبد الرحمن ضمن اطار من الصداقة والتفتح الواعي لدور هذا البطل العظيم في بناء تاريخ الاندلس . □



جامع قرطبة (الاقواس)



جامع قرطبة (المحرم)

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

الزي العماني
قوس قزح
من الألوان

هل انتهى
عصر
المعلم؟







العمانيون شعب يعشق الزخارف والالوان في ملابسه .

الزي العماني

قوس قزح من الألوان الزاهية

بقلم : ثريا البقصمي

زي أي شعب ليس تعبيرا عن ذوق ومزاج عام فقط بل هو نتاج حركة المجتمع في مراحل مختلفة ، ورحلتنا في هذا الموضوع مع زي شعب عربي كانت حضارته منذ فجر التاريخ قائمة على الاتصال بالشعوب والبلدان المجاورة .

عمان ذلك البلد الذي يكمن فيه سحر الشرق الأخاذ ، حيث يجتمع السهل والجبل والبحر ، ويتبلور عن كل هذا « كرنفال » من الأزياء الشعبية البسيطة المُترجِمة ترجمة حية عن تقاليد وعادات شعب عريق في حضارته وأصوله ، فقد كان للمدن الواقعة على المناطق الساحلية فرصة كبيرة للتأثر بالغنائية الزخرفية واللونية للأزياء الهندية والزنجبارية والافريقية ، التي حملها التجار العمانيون معهم ، شكل حلي وأقمشة وزخارف زخرت بها قطع الاثاث الخشبية . وبقيت المناطق الداخلية تعاني من العزلة نظرا لصعوبة اتصالها بالساحل ، ولهذا فان أزياء عمان الداخل تميل الى البساطة ، بعيدة عن البهرج اللوني والزخرفي ، فهي أقل تعقيداً ، وأكثر عملية ، وتميل إلى الالوان الداكنة ، وذلك لكيلا تكون عرضة للاتساخ نظرا لعدم وجود بديل لها وخصوصا ان هذه المناطق كانت تعاني من الفقر الشديد في الموارد الطبيعية .

شهادة رحالة :

والعمانيون بشكل عام يولون اهتماما كبيرا لأزيائهم ، لانها توثق شخصيتهم وتدل على المناطق والفئات التي ينتمون اليها ، وقد زار الرحالة البريطاني المشهور « جيمس سلك باكنجهام » مسقط ١٨١٦ فوصف ثياب أهل عمان ومدح بساطتها وأناقتها كما أشار بأن ثياب الاغنياء لاتختلف قيمة عن ثياب أقل الناس شأنا وأفقرهم ، وقد كان هذا الوضع في ذلك الزمان ، أما في الوقت الحاضر ، ونظرا للفوارق الطبقية ، والغلاء ، فقد ظهرت أزياء للاغنياء لايستطيع ارتداءها العامة ، فبعض أغطية الرأس الرجالية ، يبلغ سعرها ما يعادل الألف دولار .

زي المرأة والتحجب :

تولي المرأة العمانية اهتماما كبيرا لزيها وقد ظلت الكثيرات من العمانيات محافظات على أزيائهن الشعبية ، رافضات للازياء العصرية الحديثة ، وتعتبر المصوغات الفضية والذهبية من أهم مكملات الزي النسائي العماني ، وتختلف ملابس النساء من منطقه الى أخرى . فنساء الساحل ملابسهن زاهية الالوان متعددة الأقمشة ، وتتفق النساء العمانيات في ستر رءوسهن بغطاء للرأس يسمى باللحاف ، وقد كانت نساء المدن الى وقت قريب ، يلبسن حجابا على الوجه فوقه عباءة سوداء ، أما نساء البدو فانهن يلبسن برقعا يسمى « بالبطولة » وهو يغطي أنوفهن ويعطي شكلا مثل شكل الطيور ، ولون البرقع أزرق لامع . وبعض نساء البدو ملابسهن سوداء طويلة مع حجاب سميك لايظهر إلا عيونهن من فجوات مستطيلة خاصة ، الا أن النساء في وسط عمان يظهرن سافرات ولايلبسن الحجاب أو البرقع الا في الريف وتبدأ الفتاة في التحجب عند سن البلوغ .

الزي العماني النسائي :

تلبس المرأة العادية « الفستان » ذا الاكمام الطويلة والذي يكون أحادي اللون ، وتحت هذا الفستان تلبس السروال المنتهي بحواش مزخرفة ، ويضيق عند الكاحل ، وفوق الفستان تلبس الثوب ، وهو يختلف حسب المناطق ، ففي الجنوب يكون طويلا من الخلف قصيرا من الامام لسهولة الحركة ، وملابس نساء عمان أكثر تنوعا في الالوان من أي ملابس أخرى في شرق الجزيرة ماعدا نساء الاكراد ، وتظهر ملابس النساء وكأنها منتقاة من ألوان الطيف الزاهية ، وفي بعض الاحيان يلاحظ افتقاد التناسق اللوني ، ومن الالوان المحبة والمنتشرة في عمان اللون الاسود والارجواني ، ويعود سبب انتشار الالوان الفاقعة الى التأثيرات الهندية والزنجبارية ، ونساء المناطق الساحلية تكثر في ملابسهن الالوان البرتقالية والصفراء والخضراء ، ونجد هنا كساء اضافيا آخر يلبس فوق الثوب ويتألف من قطعتين كبيرتين مخاطة إحداهما الى الاخرى وتسمى « ليسوا » . وفي الشتاء تلبس النساء البدويات



نباتات ، زهور ، ألوان زاهية ، تشترك في مهرجان لوني لغطاء رأس هذه الفتاة العمانية .



* الى اليمين : فتاة عمانية من صور ترتدي وشاحا ثريا بزخارفه
* الى أسفل · البدوية و « البطولة » قناع الوجه الذي يشبه منقار الطيور
* تعشق العمانية الحلي الذهبية والفضية وترتديها بإسراف كبير
* الى اليسار : أنوثة وسحر شرقي، لحاف لغطاء الرأس « وبناحر » تطوق المعصمين









الخنجر العماني وغطاء الرأس من أهم مقومات الزي العماني

« السباعية » وهي تشبه « البشت » العباءة الرجالية ، وتتكون من وبر الجمال ، ولعدم وجود تمييز بين الفصول المناخية طوال العام ، يلاحظ الثبات في الزي وفي نوعية الاقمشة ، وتلبس النساء في المناطق الشرقية وصور رداء خاصا اسمه « شطحة » وهو « شال » يتألف من قطعتين معقودتين ببريم مزركش ، وبعض عباءات النساء تنتهي بحواش مزركشة ملونة تسمى « بالمحضية » وتنسج عليا ، ونساء مسقط يرتدين زيا شبيها بالزي الهندي « البنجابي » وهو الفستان والسروال الطويل .

الزي العماني والتقاليد :

ان من أطرف التقاليد التي تتعلق بالزي العماني هي فترة الحداد التي تقضيها الارملة بعد وفاة زوجها ، وهي تعبر عن مدى حزنها ليس بلبس الملابس السوداء كما هو سائد عند معظم شعوب العالم ، بل تقوم بلبس جميع ملابسها من فستان وسروال وغطاء للرأس ، بصورة عكسية أي بالمقلوب وذلك للدلالة بأن حظها قد انقلب والدنيا قد أدارت وجهها عنها ، وتبقى على هذه الحالة لمدة أربعة أشهر وهي فترة العدة ، وأما بالنسبة للافراح والاعياد فان الاختلاف الوحيد الذي يطرأ على زي العمانية ، هو أنها تلجأ للبس الفساتين من الاقمشة المطرزة الحريرية ، الباهظة الثمن ، وتهتم اهتماما كبيرا بمصوغاتها التي يثقل وزنها مما يعيق حركتها ، وتضع الخواتم في أنفها ، ويمتد سلسال رفيع من خاتم الأنف حتى طوق صغير يحيط بالرأس وتضع الخواتم كذلك في أصابع قدميها ، وتتحلى بالأساور المسماة « بالبناجر » ، والقلائد ، التي تحمل تسميات مختلفة مثل « المجلس »و« الوشاح » . وفي منطقة صور تخرم اذن العروس اثني عشر خرما لتضع اثنتي عشرة حلقة في الأذن ، وأكثر النساء تهافتا على الذهب هن نساء منطقة الظاهرة حيث يصعب عليك تمييز العروس من كثرة كمية الذهب التي تلبسها النساء .

ألوان الزي العماني :

في الماضي كان التطريز من أحب الأمور بالنسبة للمرأة العمانية ، والفتاة التي تذهب لبيت زوجها دون أن تلم الماما شاملا بجميع فنون التطريز تعد زوجة قاصرة أشبه بالمرأة التي لاتعرف طهو الطعام ، ويكون التطريز غالبا بخيوط ذهبية أو فضية ، وقد أطلقت المرأة العمانية على ملابسها تسميات مختلفة لكي تستطيع تمييزها ، فالاقمشة الهندية تسمى « بالبريم » « أبو مشاطة » « أبو الشواهد » « حرقاني » وهناك أنواع مختلفة من الأثواب أهمها ثوب « مركب » ويدخل فيه أكثر من عنصر ، وثوب « سويس » الذي يعتبر من أحسن الاثواب لجودة نسيجه ، وثوب « طش المطر » وهو من نسيج ناعم خفيف كرذاذ المطر ، والمرأة العمانية تحرص على أن تكون الملابس



تتدلى من طرف « الحلابية » العمانية عروة قطنية تضمخ بالبخور والعطور

مناسبة لأبعاد جسمها ، وترفض الزي الذي يخالف ذلك وتعتبره قبحا في الملبس

أزياء الرجل العماني :

يحاول الرجل العماني أن يضيف طابع الوقار الى زيه ، فهو يلجأ الى الاحتشام والرزانة في اختيار الألوان ، ويرتدي « دشداشة » وهو ثوب غالبا ما يكون أحادي اللون ، ويحبذ اللون الابيض وله ربطة خاصة على العنق ، وسر هذه الربطة أنها تضمخ بالعطور والطيب ويقربها العماني الى أنفه في حالة انزعاجه من أية روائح كريهة ، والعمانيون رجالا ونساء يتخذون العطر باسراف كبير . ويضع العماني حول وسطه حزاما يكون عادة من الخيوط الفضية ، وذلك لحمل الخنجر ، والخنجر العماني معقوف له جراب مطعم ومحلى بالفضة أو الذهب . عموما ، والرجل العماني يعتبر خنجره يعتبر ساقطا في زيه ووقاره ، وفي المناطق الجبلية والتي تكثر فيها الأشواك يحمل العماني معه عصيا صغيرا كالأسوب يحتوي على بعض الملاقط وهذا اجراء عاقل ، لان الاشواك المتساقطة من الاشجار الكثيرة قد ترشق بالجسم ، في تلك البلاد ، لذلك فان الملاقط ضرورية لانتزاعها ، ويحمل بعض الرجال قوارير فضية يحفظون فيها كحلا لتكحيل عيونهم .

والكساء الذي يلي الثوب هو الوزرة أو « اللنجي » ، وتلف الوزرة حول الجسم ويكون لونها عادة من الالوان الزاهية الصارخة ، وكثيرا ما تكون هي الكساء الوحيد الذي يلبسه عامة الناس في أثناء عملهم اليومي تحت الشمس الحامية ، ويلبس العماني فوق ثوبه الابيض ، في معظم الاحيان « البشت » وهي عباءة قد تكون سوداء أو بنية أو بلون القهوة . أو ضاربة الى البياض،وتكون أطرافها محلاة بالخيوط الذهبية ، ويلبسون « الصنادل » الجلدية في أقدامهم ، أما غطاء الرأس عند الرجال فيختلف بالنسبة للمكان ، فسكان المناطق الداخلية يلبسون عادة العمامة البيضاء ، وسكان الساحل يلبسون طاقية تسمى « بالكمة » وتحوكها النساء وهي غنية بالزخارف ، ويلبس بعض العمانيين عمامات كشميرية ذات ألوان فاتحة زاهية ، وفي الدوائر الحكومية يفرض على الموظفين لبس العمامة العمانية ، أما الطاقية فهي لفترة ما بعد الظهر ، والرجل العماني ، أنيق ، يميل للتناسق اللوني في ملبسه ، ونراه في الاسواق والأماكن العامة يحمل غالبا عودا خيزرانيا رفيعا ، يستعاض به عن الخناجر الباهظة الثمن ، التي أصبحت مقصورة على الأثرياء والرجال ذوي المستوى الاجتماعي الرفيع ، وكذلك كبار السن الذين بقي لهم من ذكريات شبابهم خنجر معقوف حاد النصل ، ينام في جراب فضي يحكي الكثير عن أيام خلت ، وذكريات مضت □

هل انتهى عصر المعلم ؟

اعداد : ريم الكيلاني

● القضية قديمة ومعادة . أي نوع من أنواع التقنية أكثر ملاءمة لنا ؟ هناك حقيقة لا يختلف عليها أحد هي .. أن الانتصار الهائل الذي حققه العلم في الآونة الأخيرة قد وسع الآفاق والمدارك أمام الانسان . ليضمن له حياة سهلة خالية من أية متاعب . ثم ماذا بعد ؟

أصبحت التقنية اليوم هي الأداة الأولى التي يعتمد عليها اعتمادا أساسيا في عملية التعليم ، حتى انها بدأت تنذر بغياب العنصر البشري في العملية التربوية والتعليمية ، واختفاء المعلم عن منصة التعليم . وهنا نتوقف لنتساءل : هل يلتحق الطفل بالمدرسة ليتلقى العلم ، والعلم فقط ؟ وهل المدرسة مؤسسة تعليمية لاتعنى بشئون التربية التي هي من واجبات البيت أولا وأخيرا ؟ هل دخول الآلة الى كل بيت وكل مدرسة سيجعلنا عبيدا لها تتحكم بنا كيفما تشاء . وأخيرا هل سننجح في التحكم بها ونحد من تأثيرها علينا ؟

نحن - أبناء العالم النامي - غير صانعين للآلة ، ولسنا مبدعين لها ، بل هي أداة غريبة دخيلة على مجتمعنا وعلى أفكارنا وعلى عقول أبنائنا ، فما هي آثارها السلبية على المجتمع ؟ هل يؤدي غياب العنصر البشري الى متابعة الطفل لهذه الآلة بشكل مستمر ولفترات طويلة ؟ وماهي نتيجة حرمان الطفل من فرصة الاحتكاك بالأفراد من حوله ؟ هذا الاحتكاك الذي يعد أمرا ضروريا بالنسبة للعملية التربوية ، والا نشأ الطفل منعزلا عن الآخرين ، وهذا هو أحد الأهداف التربوية التي ننشدها في السُلّم التعليمي

التعرف عن قرب :

لرصد ماتفعله الآلة في العملية التعليمية ودورها بدأنا بزيارة ميدان عملي . توجهنا الى ادارة التقنيات التربوية التابعة لوزارة التربية بدولة الكويت . حيث أثبتت الدراسات والبحوث أن الطلبة لم يشاهدوا أية برامج تلفزيونية تعليمية داخل الفصل الدراسي في أية مادة على الاطلاق . وذكر معظم المدرسين أنهم لايستقبلون تلك البرامج لأنها لاتؤدي الى النتائج المرجوة . كما تم التعرف على وجود العديد من المشاكل التي تواجه ادارة الوسائل التعليمية ، سواء من ناحية نقص الامكانات الفنية والبشرية ، وعدم وجود الحوافز الضرورية ، وعطل بعض الأجهزة . مما يؤدي في كثير من الاحيان الى عدم إمكان تسجيل برامج على مستوى جيد ، بالاضافة لعدم وجود عمليات متابعة وتقويم بالدرجة اللازمة ، وعدم اهتمام أجهزة توجيه المواد المختلفة بتحديد مواعيد دقيقة للبث تتمشى مع خطة الدراسة

ونتساءل ، ترى ماهي أهم الاتجاهات العالمية الحديثة في استخدام جهاز التلفزيون التعليمي ، أو غيره من التقنيات المستعملة داخل المؤسسة



- المختبر اللغوي وسيلة حديثة لتعلم اللغة بالطريقة السليمة

التعليمية ؟ يجب حسن ادارة التقنيات

لاشك أن التعليم اليوم لم يعد كما في الماضي ، فهو يواجه الكثير من المشكلات نتيجة لسرعة تطور المجتمعات ، وزيادة اعداد الملتحقين بالمدارس ، ونقص عدد المدرسين ، وصعوبة تحديد الأهداف ، وانتشار تكنولوجيا التربية ، وظهور العديد من طرق التعليم المختلفة .

والتلفزيون التعليمي تتعدد استعمالاته ، فقد يقدم المادة التعليمية كاملة للمقرر ، أو انه يستعمل كمساعد أو مكمل يقدم مادة ترتبط بدقة بمحتوى المادة الرئيسية للمقرر ، ولكنها لاتقدم عادة اذا لم يستخدم التلفزيون مميزات استخدام التلفزيون التعليمي ، بحيث يجمع بين الصوت والصورة ، وبين قوة التأثير وقوة الحركة ، ويتوجه الى حاستين من أهم حواس الانسان .

يستطيع التلفزيون التعليمي أن يجمع فيما يقدمه من برامج العديد من الوسائل التعليمية ، مثل الصور ، والشرائح ، والافلام ، والنماذج ، والعينات ، والخرائط ، والتجارب ، والعروض ، بشكل متكامل ومترابط لايستطيع أن يقوم به مدرس الفصل ولذلك كثيرا مايطلق على التلفزيون التعليمي بأنه الوسيلة الجامعة ، أو وسيلة الوسائل .

من مزايا التلفزيون التعليمي أيضا : يعمل على رفع مستوى العملية التربوية ، بما يقدمه للمدرسين من أنماط جيدة للتدريس ، وأساليب استخدام ملائمة للاجهزة والأدوات والوسائل التعليمية ، مما يعمل على الارتفاع بمستواه ، ولكن هذا لايعني أن التلفزيون التعليمي خال من العيوب ، اذ يعتبر وسيلة اتصال ذات اتجاه واحد ، مما يجعل دور المشاهد سلبيا في معظم الاحيان .

وبرغم هذا العيب الا انه يساعد على تكوين علاقات مترابطة مفيدة راسخة ، بين كل مايتعلمه التلميذ ، وذلك عندما تشترك الحواس في تشكيل الخبرة الجديدة ، وربطها بخبراته السابقة .

واكتشاف أوجه الشبه والاختلاف بين الاشياء ، فيعمل بذلك التلميذ على تصنيف هذه الخبرات وتعديلها كلما اكتسب خبرة جديدة .

الوسائل التعليمية تساعد في تنويع أساليب التعليم لمواجهة الفروق الفردية بين التلاميذ ، حتى يسير كل تلميذ في تعلمه لموضوعات المنهج حسب قدراته واستعداداته ، ويختار من الوسائل مايحقق له التعليم الأفضل الذي يناسب استعداداته وميوله

شاهد من أهلها :

ولكن مارأي الاحصائيين النفسيين والتربويين في الوسائل التربوية ، وهل هي تهدد دور المعلم في فصله ؟ وتقلل من دوره في التعليم والتربية ؟ مدير ادارة التقنيات بوزارة التربية في دولة الكويت سليمان الحميدان يقول « مما لاشك فيه أن للتلفزيون والفيديو تأثيرا كبيرا على النشء ، وخصوصا اذا علمنا أن النشء يقلد مايشاهده ويتفحص مايراه عبر الشاشة ، كوسيلة لارضاء الحاجات الاساسية لديه .

وهناك ثلاثة انواع من البرامج التلفزيونية :

أولا : البرامج الموجهة للنشء داخل المدرسة ، وهذا النوع من البرامج لاغبار عليه

ثانيا : البرامج التلفزيونية المبثوثة عبر قنوات التلفزيون العام ، وهذه البرامج موجهة الى الناس عامة ، وليست مقصورة على فئة معينة ، وهنا تكمن الخطورة من أن تؤثر بعض البرامج التلفزيونية والمسلسلات التي تتضمن الكثير من العنف والعلاقات المنحرفة على نفسيات النشء .

ثالثا : الدائرة التلفزيونية المغلقة ، أو مايسمى بالفيديو ، والذي يبث برامجه داخل المنزل نفسه ،

ابعاد التأثير التلفزيوني كما يقول العلماء : لاتحدي اذا لم تتفق ونماذج السلوك والقيم التي تغرسها الأسرة في أبنائها ، فإن ما يحدث غالبا هو التمسك بالقيم الأسرية ، ونبذ القيم التلفزيونية ، وخصوصا اذا كان الاستقرار العائلي هو السائد ، وان عدم وجود خبرة حقيقية حياتية لدى النشء ازاء موضوع ماهو المحك في قوة تأثير التلفزيون عليهم

ويكمل السيد الحميدان حديثه « تسهم الالة في اكساب الطفل مهارات الاتصال بالبيئة المحيطة به ، والتفاعل معها ، وبقدر مانكون قادرين على اعداد البرامج التعليمية وادخالها بالالة ، يكون الاكتساب أكثر وأشمل ، وهنا يتجلى دور المشاركة بين المدرس والالة ، فالألة ماهي الا وسيلة تقوم لنقل مشكلة يلزم شرحها للنشء ، ويقوم المدرس باعداد الرسالة « الدرس » ليرسلها عبر الوسيلة « الالة » ، ويقوم المدرس بدور الناقل لتلك الرسالة ، اما الطالب فهو المستقبل لها « وتحدث الاستجابة المطلوبة

من هنا يتضح أنه لاغنى عن العنصر البشري في عملية التعليم ، ودور الالة يقتصر فقط على تسهيل دور المعلم ، فالالة جهاز أصم لايمكنها ان تحس بشعور النشء ، ولا تجيب عن استفساراته الا في حدود المرسوم لها « ويأتي العنصر الاساسي « المدرس » ليقوم بحل الصعاب .

تعتبر الوسائل التعليمية أساسا من أسس برامج التعليم والتدريب والتثقيف والاعلام التي تتطلبها التربية المستمرة ، اذ يتيح التلفزيون والراديو والأفلام المتحركة والثابتة وغيرها من الوسائل كالالات التعليمية والحاسبات الالكترونية إمكانات لاحصر لها في مواقف التعليم المستمر ، سواء داخل المدرسة أم خارجها ».

ونلتقي بالدكتور حسين الطوبجي احصائي التقنيات التربوية بكلية التربية بجامعة الكويت ، ليتحدث حول موضوع غياب العنصر الاساسي في



استقرت الآلة في كل مدرسة وأصبح الكمبيوتر جهازا أساسيا وضروريا يسهم في رفع مستوى عملية التعليم ، وفي زيادة إقبال الطالب على الدراسة المصحوبة بالتطبيق العملي



التقنية في مدارس التربية

العملية التربوية ، يقول الدكتور الطوبجي « ان للعنصر الاساسي شأن مهم في العملية التعليمية والتربوية ، ومن المؤسف حقاً ان توزيع وقت الطفل اليومي لايسمح له بوقت كاف لينهل من جميع مصادر الثقافة كالمدرسة والبيت والمجتمع ، ونادرا ماتسجل الهيئة التربوية برنامجا ثقافيا تعليميا يقدم عن طريق الاذاعه والتلفزيون وتوزعه على المدارس

الآلة وسلوك التلميذ :

ويواصل الدكتور الطوبجي قوله : « قد تقدم هذه التقنيات صورة غير واقعية للطفل أو للشاب عن موضوعات كثيره تختلف وعاداتنا وتقاليدنا ، وخصوصاً واننا لم نصل بعد الى مستوى من التطور الاجتماعي والادراك الثقافي ، ينمشى مع التطور المادي الآلي للمجتمع »

أما الدكتور نبيل علي خبير الكمبيوتر ، الذي تولى قضية تعريب جهاز الكمبيوتر يقول : « ان الكثيرين يعتقدون ـ للأسف الشديد ـ بأن عدم وجود هذا الجهاز داخل المنزل لدليل تخلف اجتماعي حقا ، متناسين أنه قضية أكبر من ذلك بكثير

ان التفاعل بين الكمبيوتر والتعليم معقد للغاية ،

ومن هنا فانه لابد من اعادة تدريب المعلم ليتمكن من ممارسة عمله باسلوب جديد الى جانب ضرورة وضع برامج معينة لمرافقة دور العنصر وحسبما يضيف الدكتور نبيل قائلا : فالكمبيوتر في مجتمعات العرب قضية اختلفت فيها الآراء ، فالبعض يرى انه سيعجل من عملية التنمية ، والبعض الاخر يقول انه سيخلق مزيدا من الفرقة الاجتماعية

الا أن مهمة ادخال الكمبيوتر سواء للبيت أم للمؤسسة التعليمية ستحدد بشكل واسع اثاره الحقيقة سلبا وايجابا مع مراعاة ضرورة تغذيته ببرامج عربية أصيله ، والا سنترك اطفالنا نهباً للبرامج الغربيه ، وماتزرعه فيهم من قيم ، وخصوصا وان الطفل لن يشعر حينئذ بأصالة ثقافته العربيه وقيمتها

فهل نظام التعليم العربي بالكمبيوتر قادر حقا على ذلك ؟ كيف سيدمج الكمبيوتر بشكل ملتصق مع وسائل التعليم الأخرى ؟ سيظل التحدي الحقيقي كيف نهيئ المدرسة لتقبل الكمبيوتر كأداة تعليم ، وكيف نهيئ الطالب لتحويله من عملية التلقي السلبي التي تطغي على نظام التعليم الى اسلوب حل المشاكل الذي يبرز فيه الكمبيوتر بصفته وسيلة لحل المشاكل ومحاكاة الواقع

والكمبيوتر ، وان كان أفضل في طبيعته من التلفزيون باعتباره جهاز تبادل ، يجري من خلاله حوار بين المستخدم والآلة ، وليس مجرد وسيلة لنقل المعلومات . وسيكون الكمبيوتر وسيلة تقديم المادة التثقيفية ، ولكن الجزء السلبي والحقيقي الكامن وراء الكمبيوتر هو أنه يعمق عادة الحوار مع الآلة ، ويضعف قدرات الاتصال بين الانسان والانسان

اين نقف ؟

نحن الان بين اتجاهين . التطور العلمي يزحف علينا . شئنا أم أبينا ، ولامفر من أن يفتح مناقشة قوميه حول القضية . . هل نسمح للالة أن تقتحم الفصل وتقف بين الطالب والاستاذ ؟ وأي نوع من الالة . . ؟ وماذا سيعني أن تخرج أجيالنا القادمة من المدرسة بثقافة متطورة عن تطور مجتمعاتها . القضية مهمة وخطيرة فهل نلتفت ؟

هو.... قتلني

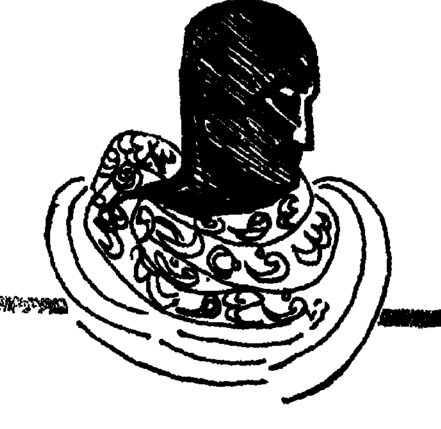
● كان ذلك من اثني عشر عاما ، ومازلت أذكر هذه الأيام . كأنها حدثت بالأمس فقط ، كنت أستعد لامتحان اتمام الدراسة الثانوية ، الأسرة كلها تعيش معي أيام السهر والتوتر والاستذكار ، عندما احترق ستار التوتر والقلق زائرا لوالدي . . جاء في وسط هذه الأيام يطلب يدي ، وبعيدا عني دارت مناقشات ومفاوضات وتفصيلات كثيرة - لم يشركني أحد فيها . فقط بعد آخر أيام الامتحان علمت أنه تحدد أن يعقد قراني ، وأزف اليه بعد عشرة أيام ، وأن أهلي قد اشترطوا عليه أن أتم تعليمي الجامعي . ومرت أيام الفرح ، وصمما بيت ، وكانت صويحباتي كلما سألنني عن « أخبار الزواج » أرد قائلة أنني أحيا فوق السحاب . ولم يدم بي الحال طويلا ، فقبيل انتهاء الصيف انقلبت معاملته ، وصارت المشاجرات لأتفه الأسباب ، وفي بادىء الأمر لم أفهم سببا لهذا التغيير ، ولكن الأمر لم يطل ، فقد اتضحت الأسباب عندما سألته متى سأقدم أوراقي الى الجامعة ، ففوجئت به يحاول أن يتنصل من وعده ، وبدأ معي سلسلة من المناقشات حول جدوى الجامعة والتعليم ، ومضايقات الشباب غير المسئولين لزميلاتهم ، ولم ينقذني من « غسيل المخ » هذا الا والدي ، فقد تولى تقديم أوراقي للجامعة ، وما ان بدأ العام الدراسي وبدأت أذهب الى الجامعة حتى بدأت مرحلة جديدة من المشاجرات عن حياته التي لا تطاق ، وعن عدم استعداده لتناول طعام ليس مطهوا في نفس اليوم ، و و . ووصل الأمر به في النهاية الى أن منعني من الذهاب الى الجامعة ، وكل يوم وهو ذاهب الى عمله يغلق الباب بالمفتاح ، كي لا أغادر البيت في عدم وجوده وأذهب الى الجامعة ، وضاعت محاولات الأهل لاقناعه . وذهبت أدراج الرياح مناقشاتي معه عن أهمية التعليم بالنسبة لي ، ومرت أيام تكاملت لتصبح شهورا وسنين . . وجاءت أول مولودة . . كي تمنحني صبرا ويزداد عبء العمل في البيت فيلتهم كل وقتي . وتوالى مجيء الأطفال ، وأصبح الثلاثة يأخذون وقتي كله بالاضافة الى أعمال البيت التي لا تنتهي ، وفي الفترة الأخيرة لاحظت أن زوجي يخجل مني ، يتهرب من دعوة أصدقائه وزوجاتهم الى البيت ، واذا جاء الينا أحد ينبه عليّ أكثر من مرة ألا أتحدث فيما لا أعرف ، وكثيرا ما تأتيه دعوات لحفلات عائلية ، فيذهب وحده ويعتذر لمرض ألم بي ، صرت بالنسبة اليه مربية أطفال ومدبرة منزل ، ولا يدور بيننا حديث الا ويتهمني بالسطحية . . حتى تربية الأولاد صار يتولى هو مهام مراجعة دروسهم « فأبناؤ نا - بعد أن أدخلناهم المدارس الأجنبية - لم أعد أنا صالحة كي أذاكر لهم » . . هكذا قالها لي صراحة وهو لا يدري أنه يضع في قلبي خنجرا ، ويصيبني بالخجل من نفسي أمام أبنائي والناس كلهم .

هدى



انتحرت

● قد أكون أخطأت - أعترف بعد كل هذه السنين - ولكن الذنب لا أتحمله وحدي، بل تشاركني هي بعض القدر في الوزر والخطأ. كان ذلك منذ كانت هي طالبة في المدرسة الثانوية، كان سيرها كل صباح وهي ذاهبة الى المدرسة كفيلا بأن يستوقف شباب الحي كلهم وقتها كان الزمان غير الزمان.. وكانت جميلة الشباب تعطل العقل عن أن يعمل. ولا أعرف أي شيطان وقتها تقمصني فلم أسمح لها أن تكمل تعليمها الجامعي، ولم تعرف الرقة طريقا اليّ وأنا أرى بكاءها ولم أسمع لرأي أبيها وأهلها، نعم كان خطئي يومئذ واضحا لاجدال فيه ولعله مما ساعدني على الاستمرار في الخطأ قلة خبرتها في ادارة عمل البيت، فقبل أن تتصاعد الخلافات الى نقطة اللاعودة كانت تذهب الى الجامعة وتعود منهكة القوى، فتأكل وتنام ثم تستيقظ لتدرس، كانت الساعات التي أمضيها معها قليلة، وأي رغبة مني للخروج أو زيارة أحد تقابلها رغبة منها في الدرس أو الوقوف في المطبخ لاعداد طعام الغد. كان جو البيت في المساء يمتلىء بروائح الطعام ورائحة المياه الساخنة والصابون والملابس المغسولة التي جمعت من فوق الحبال كانت حياة لا تطاق، وأعترف الان أن هذا كله



كان أرحم مما وصلنا اليه الان، فعندما بدأت أرصد ما سيقودنا اليه انكبابها على أعمال البيت وتربية الأطفال فقط، فبدأت أشتري لها الكتب، وأحاول أن أدفعها للقراءة، وأشتري لها شرائط تعليم اللغة الانجليزية، في محاولة لرفع مستوى احاديثها وعدم نسيانها للغة، وكان حرصي شديدا كل يوم أن أعود بالجرائد والمجلات الاسبوعية، فقط كي تقرأ وتتابع، ولكنها كانت تأخذ الجرائد لتنظف بها الزجاج، وتعطي المجلات للاطفال كي يتمتعوا بصورها الملونة، ويقطعوا صورها مقابل ساعة تنامها هي، حتى شرائط تعليم اللغة برغم عدم صلاحيتها لان تسجل فوقها مادة اذاعية ثانية. نست في وضع قطعتي عود ثقاب في أسفل الشريط. وسجلت عليها موسيقا راقصة لكي ترقص عليها كمحاولة منها لكي تنقص من وزنها، ولم تعد تستطيع الحديث عن شيء الا عن طرق طهو الطعام المختلفة، وكيفية اعداد أصناف جديدة منه، حتى صرت أسمعها بأذني من أصدقائي وزوجاتهم حينا على سبيل الدعابة، وحينا على طريقة المدح، وأنا أعرف أنها في باطنها لا تعني سوى السخرية. وكانوا يقولون انني مروج كتاب «دليل الطهي الحديث» وبعدما سمعتها أكثر من مرة أعترف صرت أذهب بدونها الى أية دعوة، وأعتذر عن دعوات كثيرة كي لا أحرج نفسي وأحرجها معي، قد أكون كما تقول هي دائما انني قتلتها، ولكنها ساعدتني بأن انتحرت ولم تحاول أن تنقذ نفسها

هو

من الحياة

« كانت جميلة رقيقة كالنسيم ، وكنت أحبها ، فقد كانت أجمل من الحياة »
« كيتس »

حتى نهاية العمر

بقلم : منير نصيف

ترى ماذا تقول هي ؟ ماذا تقول المرأة التي وجدت في بيت الرجل الذي اختارها والذي رضيت به زوجا فأعطاها الحب الذي تبحث عنه كل فتاة في الزواج ؟

ان المرأة تعرف ماتريد وتبذل كل مافي وسعها لتحقيق هدفها من الحياة ، فاذا بلغته ، تمسكت به وحرصت عليه ، وضحت بكل شيء في الدنيا في سبيل اسعادالرجل الذي أحبها فأعطته قلبها ، إنها على استعداد لأن تذهب الى آخر العالم من أجل المحافظة على بيتها وزوجها وأطفالها . ولكن هل استطاع الرجل ان يفهم المرأة ؟ لقد قال شاعر الانجليز توماس اليوت يوما :

« لم استطع ان أفهمها أبدا . . ولم يزدني قربها مني الا حيرة في أمرها . . ولكنني استطيع أن أقول بعد هذا انني لم أعرف رجلا استطاع أن يعيش بغير امرأة ، ولكن قلة هم هؤلاء الذين عاشوا لإمرأة واحدة ! »

وبالرغم من هذا ، فان المرأة لاتؤمن بصدق رأي الرجل فيها . . فهي ليست لغزا كما يقول ، والرجل ليس في حاجة الى ذكاء خاص لكي يفهمها . . ان الأمر كله لايتطلب منه أكثر من مجرد وقفة قصيرة ، يتعرف من خلالها على طبيعة هذه الانسانة الرقيقة انها لاتريد منه أكثر من ذلك الشعور الذي تتوق الى رؤيته في عينيه وفي كل تصرفاته معها . الشعور بالحب والاحترام ، انها تريد أن تحس بأنها ليست مجرد انسانة تعيش معه من أجل إسعاده ، فمن حقها أيضا أن يعمل هوعلى اسعادها . فعندما تبكي المرأة فهي تحاول أن تقول لزوجها من خلال دموعها . « أنت لاتعرف شيئا عن طبائع النساء . ولو أنك عرفت لما فعلت مافعلت ! » انها ببكائها تحاول أن تدفعه دفعا الى القيام بمحاولة جديدة لفهم حقيقة مشاعرها ، فهي تريد بدموعها أن تصور له قسوة الجرح الذي أصابها نتيجة لتصرفاته معها . انها تدعوه لان يأخذها بين ذراعيه وأن يقول لها : « انني أحبك . . وأنا في حاجة الى عطفك ورعايتك » .

* * *

وهذه قصة من واقع الحياة . . قصة زوجين سعيدين قد نجد فيها المعنى الذي ذهبنا اليه في بداية هذا الكلام . .



كانت البرقية التي تنتظره على مكتبه في الصباح تحمل نبأ المرض الخطير الذي تعاني منه أم زوجته ، وكانت تحمل أيضا بين كلماتها القصيرة توسلا بالسماح لابنتها بالمجيء ، لأن حالة الأم تقول أنها قد لاتعيش طويلا اذا هي تأخرت عن السفر لرؤيتها !

وطوى البرقية ووضعها في جيبه ، وترك عيادته التي ازدحمت بالمرضى ، واسرع عائدا الى البيت . لقد كان في استطاعته أن يتصل بها تليفونيا وينقل اليها الخبر ، ولكنه كان يشفق عليها من الصدمة . لابد أن يكون قريبا منها ليهون عليها . انها في حاجة الآن أكثر من أي وقت مضى ، على امتداد زواجهما الذى استمر لأكثر من عشرين عاما ، لأن تضع رأسها الصغير فوق صدره . لابد أن يكون هناك ليمسح لها دموعها بمنديله .

وعاد ، وادار المفتاح في قفل الباب . وأحست به ، وأسرعت اليه مهرولة . انها أول مرة يترك فيها عيادته ومرضاه ، ويعود الى البيت في مثل هذه الساعة . ولم يستطع أن يخفي ماكان يعتمل في صدره في تلك اللحظة ، فقد فضحته نظرات عينيه . ولكن كيف يبدأ ، وماذا يقول ..؟ ولم يجد في النهاية الا أن يضع يده في جيبه ويخرج منه البرقية ويدفع اليها بها ، ثم يلف بذراعه كتفيها الرقيقتين ، ويلثم شعر رأسها الأسود الناعم بشفتيه في حنان ، ويقول : « إنها مازالت بخير ياحبيبتي . هي فقط في شوق شديد

لرؤياك .. لاتنسي انك ابنتها الكبرى » .

وارتمت بين ذراعيه ، وحملها الى فراشها وقالت في صوت خفيض وكأنها تحدث نفسها : « أمي .. أمي مريضة .. دعني أذهب اليها .. أريد أن أراها » .

***

وحزمت حقيبتها الصغيرة ، وانطلقت بهما السيارة الى المطار .. ونزلا .. وراحا يشقان طريقهما وسط زحام المسافرين ، كانا يمشيان ببطء وهدوء ، وكأنهما ينتزعان أقدامهما من الأرض انتزاعا .. وقد تأبط ذراعها بينما حمل حقيبتها بيده الاخرى .. وكانت لاتكف عن التطلع الى ساعتها ، فقد كانت تتعجل الرحيل .. وكان يمد يده الى وجهها ليبعده عن الساعة التي شغلتها ، وعلى وجهه ابتسامة بذل جهدا في انتزاعها من داخل نفسه التي يمزقها القلق والألم . كانت عيناه تحملان كل الحب والحنان ، وهو يتطلع اليها ويحاول ان يخفف عنها .. الى أن وصلا أخيرا الى المكان الذي كان لابد أن يفترقا فيه .. ولكنها تشبثت بذراعه .. مازال هناك بعض الوقت الذي يمكن أن يقضيه معها ، بجانبها .. وجلسا على مقعدين متجاورين .. وقالت وهي تجفف دموعها التي كانت تنساب من عينيها في صمت « أوصيك بأبنائنا . اعرف انهم كبروا ولكنهم في حاجة اليك .. هذه أول مرة افترق فيها عنهم وعنك وعن البيت الذي جمعنا طوال هذه الأعوام ، عد اليهم مبكرا ، اعطهم بعض وقتك .. أنت الآن الأم والأب معا » .

وأرادت أن تسترسل .. ولكن صوت النداء الذي يذكر المسافرين بموعد قيام الطائرة انطلق عبر مكبرات الصوت ، وقاما في تكاسل ، ولأول مرة منذ بدأت تستعد لهذه الرحلة المفاجئة التي تسافر فيها وحدها ، تمنت الزوجة لو أن فترة الانتظار طالت بعض الشيء .. ان الفراق يعذبها .

ووقفا بضع لحظات ينظران بعضهما الى بعض .. التقت العيون في عناق طويل وكانت غارقة في الدموع ، وارتمت الزوجة بين ذراعي زوجها الذي راح يمطرها بالقبلات ، وابتعدت عنه ، ولكنها مالبثت أن احست بشيء يشدها اليه .. لقد نسيت أنها كانت مازالت تمسك بيده .. وتركتها في تردد ومشت تجر ساقيها جرا .. ووقف هو في مكانه يمسح دموعه ، ويلوح لها بيديه ، الى أن اختفت السيارة التي تقل الركاب الى الطائرة التي سوف تحملها بعيدا عنه لأول مرة ..

ولكن الزوج لم يترك مكانه ، لقد بقي واقفا ينتظر .. وعندما رأى الطائرة تحمل أعز انسانة الى قلبه تتحرك ، ثم تجري فوق أرض المطار مسرعة لتحلق بعد ذلك في الجو .. انطلق يبكي كما يبكي الأطفال .

***

في تلك الليلة لم ينم كان ابناؤه الثلاثة يلتفون حوله في انتظار المكالمة التليفونية التي ستحمل اليهم صوتها من بعيد ، وتطمئنهم على وصولها بالسلامة ودق جرس التليفون أخيرا .. وسمعوا صوتها وهي تتحدث اليهم : « أمي بخير وقد زال عنها الخطر . أنا أيضا بخير ، ولن أغيب عنكم طويلا .. لقد افتقدتكم . ان صورتكم لم تغب عن مخيلتي لحظة واحدة طوال الرحلة الطويلة . الى اللقاء يا أحبائي »

وبعد أيام قليلة كان الأب والابناء في المطار لاستقبال الأم العائدة .. وجاءت .. وقالت وهي توزع عليهم حبها وقبلاتها : « لم استطع أن احتمل فراقكم ، ماكاد الطبيب يطمئنني على صحة أمي حتى أسرعت أجمع ملابسي عائدة اليكم .. الى بيتي الذي افتقدته ، وعشت معه على البعد كل لحظة من لحظات الايام الطويلة التي بدت لي وكأنها دهر ! » .

ماذا في هذين الزوجين ليس في غيرهما ؟

انها العلاقة التي نشأت بينهما ونمت وتطورت .. فقد تعلم الاثنان معنى الحياة في الزواج .. هو طبيب ناجح ، ولكن نجاحه لم ينسه بيته وزوجته واطفاله .. فقد كانت حياته في البيت جزءا أساسيا من عمله الذي حقق فيه كل هذا النجاح .. كانت زوجته بالنسبة له هي صديقته المخلصة وأمه الحنون ، وكان يعتبر نفسه دائما ابنها الأكبر .

هي أيضا لم تكن تنظر اليه كزوج وأب لأبنائهامنه فحسب ، فقد كان هو كل شيء في حياتها . . كان الأب والزوج والأخ والاس والصديق الوفي الذي تعتمد عليه .

***

وفي البيت الصغير الذي قضت فيه أجمل سني عمرها ذهبت الزوجة السعيدة في رحلة مع الأيام التي قضتها بعيدا عن بيتها وعن ابنائها وزوجها . . وأدهشها ذلك الشعور الغريب الذي انتابها عندما وجدت نفسها تعود وحدها الى بيت أبويها . . البيت الذي نشأت فيه وكبرت . . لقد أحست أنها غريبة وسط والديها واخوتها . . وعبثا حاولت أن تتخلص من هذا الاحساس الغريب ، حتى وهي تلقي بنفسها بين ذراعي أمها التي حملتها وربتها .

هل هو شعور غريب حقا ذلك الذي انتاب الزوجة الأم وهي تجد نفسها عائدة الى بيت أبويها ؟

علماء النفس يقولون غير هذا . . فهم يرون في الزواج عادة،ونحن وحدنا الذين نستطيع أن نجعل منه عادة نريد أن نتخلص منها ، أو نحوله الى أسعد رباط في الحياة .وهي مسؤولية الرجل والمرأة على السواء . .

***

الاثنان في بداية حياتها الجديدة يواجهان أصعب تحد يمكن أن يواجهه رجل أو امرأة . . ولكن اذا ادرك الزوجان ان استمرار هذه الحياة لن يتحقق الا بقدر كبير من الحب والاخلاص والتضحيات ، امكن ازالة أهم وأخطر العقبات التي تهدد سفينة الزواج بالغرق .

والزوج ينسى ولكن الصور الجميلة التي مرت بحياتها في وقت أو في آخر ، لاتغيب أبدا عن رأس الزوجة ، ولكن حتى القائلين بهذه النظرية كثيرا مايقفون في حيرة ازاء مايحدث غير هذا الذي يقولون به .

فالزوج الذي يحب زوجته ، يحمل لها في قلبه كل الذكريات الحلوة التي عاشها معها . . انها في عينيه دائما نفس الفتاة الصغيرة الجميلة التي مشت وهي تخطر بجواره بفستانها الأبيض ليلة الزفاف . . وهي الأم الشابة التي انجبت له طفله الأول الذي مازالت صرخته وهو يستقبل الدنيا تدوي في أذ[illegible] ، فهو الذي جعل منه أبا ، ثم هي بعد ذلك وقبل ذلك الفتاة التي اختارها من بين كل نساء العالم لتشاركه حياته . .

وتبقى الصورة الجميلة لفتاة احلامه وزوجته وأم أبنائه في مخيلته لاتفارقها لحظة واحدة مهما تقدم بها العمر .

ليست المرأة وحدها اذن هي التي تعيش مع الذكريات الحلوة . . الرجل ايضا لاينسى . . وان نسى فما اسهل مايعود اليها . . كلمة رقيقة ، او ايماءة . . او ابتسامة تعود أن يرناها على هذا الوجه الذي أحبه ، قادرة على أن تعيد الى ذاكرته كل لحظات حياته السعيدة مع المرأة التي أحبها ومازال يحبها حتى نهاية العمر !

■ خيال المرأة مندفع للغاية . . انه يقفز من الاعجاب الى الحب وفي لحظة واحدة يقفز من الحب الى الزواج .

« جين أوستن »

■ قد تنسى المرأة الرجل الذى انتشلها من الوحل . . ولكنها لن تنسى الرجل الذى دفعها الى الوحل . .

(كليم)

طبيب الأسرة

أمراض الجلد والحسّاسيّة لدى الأطفال

قد تلاحظ الأم بعض الالتهاب في جلد طفلها سواء في الوجنتين او قاع الأرجل او ظهر اليدين واحيانا على البطن .

وغالبا ما تسرع الام إلى إستعمال أنواع مختلفة من الأدوية والمراهم في محاولة لتهدئة هذه الالتهابات والانتفاخات التي قد تتقرح في أحيان كثيرة

وهنا نتساءل ما سبب هذه الالتهابات الجلدية وعلاجها ، وكيف تخفف الام حدة الألم عن طفلها المصاب ؟

الدكتور يحيى سليم أخصائي الأمراض الجلدية يقول . هناك مرض يسمى باكزيما الأطفال ، وهو عادة يصيب الأطفال في سن ثلاثة أشهر ، كما يظهر في الأطفال الذين ينحدرون من أسر عادة يكون فيها تاريخ لمرض الحساسية ، ويظهر على صورة ربو او حساسية في الأنف والبلعوم ، او في العين او على صورة حساسية جلدية .

ويرث الأطفال من آبائهم صفة تجعل جلدهم جافا،وهو عادة يتهيج بسرعة محدثا حكة ، وهذه تؤدي لالتهاب في الجلد .

مثلا يصاب الطفل باكزيما الأطفال ثم يشفى منها عند سن سنتين ، ثم يصاب بنوع آخر من الالتهابات الجلدية في سن الخامسة او السادسة ، ثم يتحسن ، او قد يختفي المرض الجلدي ليظهر على الطفل بعد ذلك الربو او قد تظهر كل هذه الأعراض في نفس الوقت ، وهذا المرض يزداد عادة تحت تأثير ظروف مختلفة

فالعوامل البيئية والجوية مثل زيادة البرد والجفاف ، او ارتفاع درجة الحرارة والغبار وازدياد نسبة الرطوبة ، جميعها تؤثر على جلد الطفل الحساس الذي هو بحاجة لجو معتدل باستمرار

من المعروف ان مثل هؤلاء الاطفال يعانون من اضطراب في نظام المناعة لديهم . ونظام المناعة في الجسم يعتمد على الأجسام المضادة لمسببات الحساسية او خلايا المناعة ، وكلاهما يكون معيبا بنسبة معينة في مثل هؤلاء الاشخاص ، وقد لوحظ انهم يكونون عرضة أكثر من غيرهم للاصابة بالالتهابات الصديدية او أمراض الفطريات والفيروسات مثل الثاليل ، وبالتالي فان هؤلاء الاطفال لايطعّمون اثناء حدة المرض ضد الجدري ، كما تجب المحافظة عليهم لسهولة التقاطهم للعدوى خصوصا الفيروسات

ولابد من توفر وسائل الاسعاف في مثل هذه الحالات ، وتدريب الأهل على وسيلة الاسعاف

مع توافر العقار الفعال في حالة تعرض الطفل للمسب

ويتساءل معظم الناس عن صلة الطعام بهذا النوع من الحساسية . ونحن نعتقد أن نسبة منهم يشكون من أنواع معينة من الطعام تزيد عليهم الحساسية كالحليب والبيض والسمك والجوز والفول

وكما أسلفنا فإن أهم الاشياء التي تزيد من هذه الحساسية هي المواد الغريبة العالقة في الهواء ، مثل الفضلات الحيوانية كالعث المرئي او طلع النباتات والأزهار أوالغبار أوالفطريات أولعاب الحيوانات وخصوصاً القطط والكلاب العالقة في الجو المحيط

كما وأنها تزداد من الروائح الحادة ومختلف المساحيق او الأتربة العضوية وغير العضوية

العالقة بالجو

وتزداد أيضاً من الرطوبة لتسبب ... الشديد وقد يسبب لبعض نوع من الحساسية التلامسية من المواد العضوية وغير العضوية وليس من الغريب أن نقرأ هذه الحساسية في عين المريض بها

وعادة مايكون الجلد جافاً ويتشقق بسهولة وخصوصاً ظهر اليدين والقدمين ، ويبدو الجلد باهت اللون غير نضر ، كما تظهر بعض الثنايا تحت العين وتظهر ايضاً البقع الجافة على الوجه

عادة يظهر المرض بعد سن الخامسة او السادسة على شكل التهاب جلدي يصيب الثنايا وخصوصاً أمام الكوع وخلف الركبتين وعند الرسغ والكاحل،وقد تتحسن الحالة المرضية عند سن ثلاث سنوات بنسبة ٦٠٪

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

بريد طبيب الأسرة

القـــزم

● أنا شاب قصير القامة ، أو باصطلاح أصدق فأنا قزم ، وقد فكرت في الزواج ، ولكنني متردد لتخوفي من أن يرث أولادي هذه الصفة التي تلاحقني وتعذبني . وقد رأيت أن أستفتيكم في الأمر فهل لي في اجابة من طبيب

م . خ . ـ دمشق

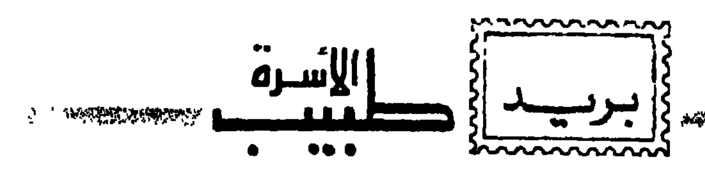
لقد تعارف الناس على اصطلاح القزم يطلقونه على كل قصير القامة ، ضئيل الجسم ، دون تمييز أو تمحيص في الأسباب أو الفروق أو الصفات المصاحبة لقصر القامة

والواقع أن هناك أكثر من سبب وأكثر من صورة للأقزام . ولهذا فهم يتفاوتون في الحجم والطول والقوى العقلية أو البدنية .

من الخطأ أن نطلق اسم القزم على من قصرت قامتهم لسبب أو لآخر ، كالوراثة أو نقص التغذية ، أو الضعف العام ، أو ربما مرض معوق ، فالطب يحدد أمراضاً معينة تقف بطول الانسان أو حجمه عند حد ما أثناء نموه خلال فترة الطفولة

ولعل لقب القزم أصدق ما يطلق على انسان أصابه خلل في افراز هرمون النمو ، الذي تتولى افرازه غدة في المخ تدعى الغدة النخامية

ان قصور الغدة النخامية عن افراز الكمية الكافية في هرمون النمو أثناء الطفولة ، يؤدي الى توقف النمو أو بطئه على أقل تقدير ، مما يحول بين الانسان وبلوغه الطول والحجم الطبيعي ، وهذا ما يدعى بلغة الطب



قزماً Dwarf ويبدو الانسان قصيراً ، صغيراً ، ضئيل الحجم ، بالرغم من بلوغه التام وتقدمه في العمر ، وهو رغم هذا يبدو مكتمل القوى العقلية ، ومتوازناً في نسبة أعضائه بعضها الى بعض ، ان هذه الصورة من الأقزام مألوفة ولكنها ليست عائلة .

ومن صور الأقزام الأخرى ما يسمى بالقماءة Cretinism وسببها قصور في إفراز الغدة الدرقية لهرمونها المسمى بالتيروكسين ، أو ما يعرف في العربية باسم الدرقية خلال فترة نمو الطفل ، مما يؤدي الى قزم قميء الشكل ، ملوث العقل ، معتوها وغير مؤهل لحياة صحيحة جسداً ، وعقلاً .

ان هاتين الصورتين من اختلال افراز الغدد الصم ، سواء منها النخامية ، أو الدرقية ، لا تلعب فيهما الوراثة دوراً حيوياً وانما قد تكون الوراثة سبب ؛ صورة ثالثة لعلها أكثر صور الأقزام شيوعاً ، وتسمى بالدحدحة حيث تتوقف عظام الأطراف وهي الساق والذراعان عن الطول ، بينما تبقى عظام الجسم على حالها ، ولهذا يبدو القزم ضخم الجذع والرأس ، ولكنه قصير الساقين والذراعين ، هذا الى أنه قوي البنية ، سليم التفكير ، ومتين العضلات .

ان هذه الصورة من قصر الطول هي التي قد نشاهدها غالباً في ميدان الألعاب البهلوانية والسيرك ، وتلعب الوراثة - كما قلنا - دوراً أساسياً . فانظر الى أي الصور تنتمي ، أو لعل الأفضل ان يستشار طبيب مختص في الغدد الصم في أسرع وقت ممكن

التهاب المفاصل المزمن

● أعاني منذ مدة من آلام في المفاصل وخصوصا مفاصل الركبتين ، وقد راجعت أكثر من طبيب ولم أسمع من احد سوى النصيحة بانقاص الوزن ، مع وصفهم لي بأقراص الاسبرين ولا غير ، فهل لكم أن تدلوني على العلاج الأفضل

ي . د . ع.المنامة

هو اكثر أمراض المفاصل الروماتيزمية شيوعا ، لدرجة يقال معها أنه يصيب ٨٠ - ٩٠ ٪ من الناس الذين تجاوزوا سن الستين من العمر

وقد يدعى في لغة الطب بالمصال العظمي ، ومن اسمائه الأخرى ، الظلاع ، او الالتهاب العظمي المفصلي . والتهاب المفاصل المزمن من أمراض التقدم في العمر ، التي تتسم بالتآكل ، حيث تفوق سرعة تآكل الانسجة سرعة بنائها ، لهذا يتآكل وسط الغضروف المغلف لعظام المفاصل ، ويقابل هذا نمو وتكاثر في أطرافه ، مما يؤدي الى ظهور حبيبات على سطح الغضروف ، ومن ثم يؤدي الى خشونته ، مما ينتهي الى صعوبة الحركة والآلام المتزايدة

ان الشعور بتصلب المفاصل يكون أبرز ما يكون بعد النوم والراحة ، وربما أحس المريض أو سمع أصوات الاحتكاك الناتجة من عظام المفاصل المتصلبة الخشنة .

من المألوف أن نجد صورة التهاب المفاصل المزمن شائعة بين النساء اكثر مما هي شائعة بين الرجال .

وتقول بعض الاراء الطبية أن الوراثة لها دور حيوي في الاصابة به ، ولكن المتفق عليه أن البدانة والكسل في الحركة لهما دور فعال يؤدي الى الاصابة بالتهاب المفاصل المزمن .

إن علاج هذا المرض يعتمد في الاساس على تخفيف الوزن الى الحدود الطبيعية لتخفيف العبء عن المفاصل المصابة مع الحركة والرياضة الخفيفة كالمشي والسباحة ، ولكن دون اجهاد ، وغالبا ما ينصح الأطباء المريض باللجوء الى العلاج الطبيعي والمداومة على الحمامات الساخنة ، والكمادات بالاضافة الى بعض العقاقير التي يصفها الطبيب لتخفيف الألم ، والمساعدة على الحركة ، والتي تتصدرها اقراص الاسبرين كأفضل علاج مصاحب للعلاج الطبيعي .

مساحة ودّ

انسانيتنا .. والآلة

مازلت أذكرهم جميعاً وكلما مرت بنا السنون وتعاقبت ، يزداد احساسي بالولاء والعرفان نحوهم وهذه الأيام افتقدتهم بشدة وأحسست بأن شيئاً رائعاً سيختفي من حياتنا ومازالت الذاكرة تحمل بوقائع أيامي معهم فترة الصبا المبكر ، والشيخ حامد معلم اللغة العربية بعمامته وقفطانه ، وفي مرحلة تالية الأستاذ فاروق أمين المكتبة . وفي مرحلة ثالثة الاستاذ لاشين والاستاذ جعفر و وأسماء كثيرة لوجوه مديدة الطيبة . أعترف - ولا يحرجني اعترافي - أن فضلهم فاق حدود العطاء فقد امتد عطاؤهم خارج جدران غرفة الدراسة يعلموني كيف أقرأ .كيف أفهم ما أقرأ ؟ وكيف افكر وأخرج من التفكير المنظم بفكرة قابلة للتحقيق والتنفيذ ، وكان صبرهم طويلا وحنانهم عطيا .قلوبهم مفعمة بالطيبة والأبوة وكان معي من زملاء العمر من يحظى بهذه الرعاية التي كنا نلقاها دون أي جهد منا أو طلب فيكفي أحدنا أن يسأل او يستفسر أو يتفوق أو حتى يتكاسل كي تشمله هذه الرعاية . وكانت غرفة المعلمين في فترات الراحة تمتلىء بنا كخلية نحل . وراح زمان وجاء زمان ومع سير الايام ما كانت ذكراهم في القلب تنقص . وفي العين دمعة . كلما سمعنا أن واحداً منهم حدث له مكروه وهذا الاسبوع ذهبت بدعوة لزيارة صديق في احدى الشركات وكانت المفاجأة الشركة تعد شرائط تعليمية تستخدم بواسطة جهاز « كمبيوتر » صغير يمكن تشغيله على جهاز التلفزيون ، وفوق شاشة التلفاز تتوالى الدروس . هذا درس في النحو وقواعد اللغة ، وآخر في التاريخ ، وثالث في الجغرافيا ، وهذه معادلة رياضية و و . وبقدر الدهشة من تقدم العلم وامتداده ليشمل كل نواحي النشاط الانساني بقدر ما أحسست أن شيئا يسرق من داخلي أو أن الصورة ينقصها شيء . . فأين عمامة الشيخ حامد وهو يشرح الممنوع من الصرف ، وأين سعاله الدائم ، وأين ضحكته ومداعباته ، أين خطة صمت الاستاذ جعفر حتى نصمت جميعا ، فيبدأ بتحية رقيقة ثم يسرح بنا بين بيوت أين الوجوه الطيبة والرعاية والحب ، وأين الانسان ؟ وطوال طريق العودة الى المكتب كان عقلي يفكر كيف سيتعلم جيل قادم بدون معلم وكيف ستكون القيم وانماط السلوك من خلال كتاب وشريط تلفزيوني . . وهل كل ما يبتكره العلم يصلح لنا ؟ وماذا يكون العلم بلا انسانية المعلم . . وتذكرتهم جميعا مرة ثانية واطبقت عليهم حنايا القلب خشية أن يسرقهم زمان التقدم والتطور التقني زمان الكمبيوتر والآلة

العربي العربي العربي من ربع قرن

القوميّة العربيّة ووعي الناس

العدد التاسع عشر يونيو ـ حزيران ١٩٦٠



أنا أعجب لأولئك الذين يشغلون أنفسهم بإثبات وجود القومية العربية إثباتا منطقيا محضا ، وأعجب ـ أكثر ـ لأولئك الذين يحاولون هدم القومية العربية هدما (منطقيا) محضا

ويذكرني هؤلاء وأولئك بالمرحوم (المازني) حين كتب فصلا (منطقيا) لطيفا يثبت فيه أن طه حسين رجل أسطوري لم يوجد على ظهر البسيطة قط !

ويكاد يغيب عن هؤلاء وأولئك أن القومية العربية لا يبنيها منطق ولا يهدمها منطق ، لأنها أولا ، موجودة ، ولأنها ، ثانيا ، حية ، ولأنها ، ثالثا ، بنت التاريخ لا بنت منطقهم

ومشكلة المنطق في السياسة أنه ـ بخلاف المنطق في العلوم الطبيعية المجردة كالكيمياء والفيزياء ـ سلاح مرن مطاط يمكن للغرض الشخصي أن يستعمله كيفما أراد ، فيبدو وكأنه يعبر عن حقيقة موضوعية بعيدة عن الغرض الشخصي ، بينما هو في حقيقة الأمر غطاء شفاف للغرض الشخصي ذاته ، وواضح أن علم السياسة ، لو كان علما حقيقيا كالعلوم الطبيعية المجردة ، لما كانت ثمة حاجة الى هذه المذاهب السياسية الكثيرة التي تتراوح بين رجعية وتقدمية ، رأسمالية واشتراكية ، دكتاتورية وديمقراطية ، قومية وغير قومية ، ثورية وتطورية

ولكن في علم السياسة ـ في الواقع ـ ثغرات هي من طبيعة وجوده ، تنأى بأحكامه عن دقة الأحكام الفيزيائية والكيميائية ، وتجعله في مستوى بين الفن الذي ليس لأحكامه رابط عقلي ، وبين العلم الطبيعي الدقيق

فالفكر السياسي ، أولا ، يختلف عن علوم الطبيعة في أن مادة بحثه ، المجتمع الانساني ، مادة حية ، وهي لذلك مادة متطورة متغيرة لا تكاد تثبت على حال واحدة ، لأن الحياة لا تعرف الثبات .

والفكر السياسي ، ثانيا ، يختلف عن علوم الطبيعة في أنه فكر (هادف) لا يكتفي بأن يصف ويحلل ويفسر كما فعل ابن خلدون ، وانما هو فكر يرمي الى غاية يريد تحقيقها ، إنه يرمي الى أن يرسم الطريق ، دائما لمجتمع أفضل وأسعد وأرقى وهو لا يصلح لأن يكون فكرا سياسيا ، البتة ، حين يتخلى

عن رسالته هذه . ولكنه حين يجعل هدف رسالته ، انما يدخل عنصر الارادة الانسانية في بحثه بدل عنصر العقل المجرد ، وهو بذلك يتخلى عن قليل أو كثير من تجرده وعلميته المطلقة ، سيما وان عنصر الارادة الانسانية عنصر لا تجد منه قيد ولا يربطه رابط

واذا كان الفكر السياسي فكرا هادفا وذا غاية فهو اذن يختلف عن علوم الطبيعة أيضا في أنه يعبر عن حاجة في المجتمع يحاول أن يلبيها . وهو من اجل ذلك فكر مرتبط بواقع وبيئة وظروف سائدة معينة

ولن يكون للفكر السياسي قيمة ، ولن يكون له معنى ، ولن يكون قريب من الوصول الى اهدافه الا اذا اندمج في حياة المجتمع . وبمعنى آخر لن يكون للفكر السياسي وجود حي الا اذا عاش التطور وعاش التاريخ بمعناه الواسع الحي

التاريخ الذي هو التيار الحي الساري في المجتمع ، لا التاريخ الذي هو الماضي فحسب ، ولا التاريخ الذي هو مستندات ووثائق فحسب ، بل التاريخ الذي هو حياة المجتمع المتطور المتغير والذي يبدو في كل ما تمكن للمجتمع أن يعبر به عن نفسه ، في ادبه ، في أساطيره ، في بهجته وفي حزنه ، في عمله وفي نضاله ، في معاركه التي يكسب ، وفي معاركه التي يخسر ، بل في عفويته التي لا تحدد ولا توصف ولكنها تحس احساسا غريزيا فحسب

الفكر السياسي الصادق الحي لا يكون اذن من نتاج المنطق العقلي وحده ، ولا هو محاكمة عقلية فحسب ، وانما هو الفكر الذي يعيش مع الحياة ، والذي يصنعه التاريخ

هنا يصبح الفكر السياسي نبراسا ينير الطريق ، ونورا يهدي عفوية التغيرات الطارئة في المجتمع

لذلك كان أولئك الذين يظنون انهم يخلقون القومية العربية حين يضعون لها الاسس والقواعد ، أو يجعلونها عرضة عن نقد ناقد أو تهديم حاسد ، واهمين ، لان القومية العربية ، ككل حقيقة وجودية ، لم يخلقها الفكر المجرد وانما خلقها الاحساس غير الواعي والاندفاعة الغامضة في نفس الشعب العربي . هذا الاحساس وهذه الاندفاعة التي لم تأت . ضعفا ، عرضا و [illegible] هي نتاج تاريخ طويل عمل في نفوس [illegible] وصنع المجتمع العربي [illegible] من امة [illegible] في جميع [illegible] حياته

فالذي خلق القومية العربية ليس الفكر القومي العربي ، وانما هو تاريخ الأمة العربية ، هو كل ما عانته ، وكل ما سعدت به . هو كل ماضيها وحاضرها وامالها ، هو كل انتصاراتها وهزائمها . هو مجدها ودها ، هو نضالها ومعاركها ، هو مصيرها الذي ساقتها إليه الأحداث ، هو لعبها وأشعارها وأساطيرها وأغاني أمهاتها لأطفالها ، هو بكلمة واحدة حياتها

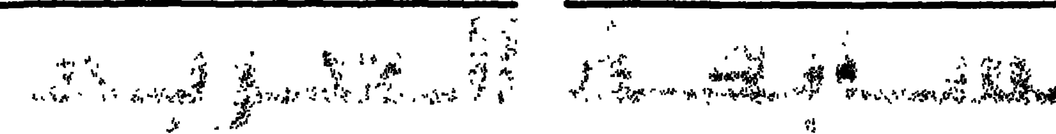
ان كل الذي يمكن للفكر السياسي ان يقوم به هو أن ينسجم مع هذا التيار الخلاق ويعيش لينمكن من تحليل هذه العوامل التي خلقت التيار ، وخلقت ذلك الاحساس الغامض الغريزي ، وان يرجعها الى أصولها ، وان يفهم حقيقة القوى العاملة في نفسه الأمة، وأن يحاول توجيه هذه القوى الموجهة التي تنسجم مع التيار التاريخي الذي يسيطر ، وأن يحول هذا الاحساس الغامض إلى وعي مدرك ، إنه يقوم بالقاء الضوء على تعرجات تجري في ظلام فراغ واضحه . ولكنه لا يخلو شيئا من عدم

وليس ثمة أكثر وهما من أولئك الذين يظنون - على العكس - أن بامكانهم تهديم القومية العربية بهدم الأسس المنطقية التي تبرر وتفسر وجود القومية العربية

إن جميع الافكار السياسية التي لا تتصل بالحياة الأصيلة للمجتمع ، ولا تنبع منها ولا تشعر بشعورها ، ولا تعرض لما تتعرض له هذه الحياة ، ستبقى زبدا على السطح ، مصيرها ان تذهب جفاء ، لانها غريبة عن حياة الأمة . خاصة بأصحابها ، لا للشعب ولا لحياته

ومهما طفا الزبد على وجه الماء الجاري حتى يبدو الماء وكأنه زبد كله ، فلن يكون الزبد إلا زبدا ، يبقى على سطح الماء لا يبعد إلى الأعماق أبدا

الدكتور منيف الرزاز




جوائز المسابقة
الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الثانية ٣٠ دينارًا و الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

١ ـ لغة الصفير (سلبو Selbo) لغة قوامها الصفير . فلا حروف فيها ولا كلمات ولا اشارات ولا أصوات عبر صوت الصفير . وهي لغة التخاطب بين سكان بعض الجزر الواقعة في المحيط الأطلسي فأي جزر تلك ـ

* جزر الكناري
* جزيرة سيشل وما اليها
* جزيرة كالدونيا وما اليها

٢ ـ اسكندنافيا . مصطلح جغرافي وحضاري . . ترى أي الدول يشملها هذا المصطلح :

* السويد والنرويج .
* السويد والنرويج والدانمرك .
* السويد والنرويج والدانمرك وفنلندة وبعض الجزر القريبة من هذه الدول .

٣ ـ بلاد الانجليز . تسمى أحيانا المملكة المتحدة وأحيانا أخرى بريطانيا العظمى . فما الفرق بين الاسمين أو الوحدتين من حيث المساحة ان كان ثمة فرق . ؟

* لا فرق يذكر بينهما من حيث المساحة ، فمساحة بريطانيا العظمى مساوية تقريبا لمساحة المملكة المتحدة
* مساحة بريطانيا العظمى هي أكبر . فالتسمية تعود الى أيام الامبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس .
* مساحة المملكة المتحدة هي أكبر فهي تضم كل الاراضي التي تشملها بريطانيا العظمى ـ وتضم بالاضافة الى ذلك كله شمال ايرلندة

٤ ـ هاسا عاصمة التبت ، مدينة حسنة لعلة الارتفاع ، وقد اشتهرت بقلة الحرائق التي تشهدها علل :ـ

* نظرا لقلة الأوكسجين الموجود في جو هاسا .
* نظرا لمادة فعالة ضد الحريق طورها رهبان هاسا البوذيون . وهم الذين اشتهروا بالمشي في النار دون أن يصابوا بأذى . . وذلك بسبب تلك المادة التي يطلون بها أجسامهم وملابسهم فتقيهم شر النار . .

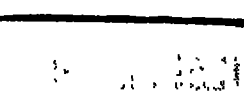
٥ ـ ايها أصح قولك :ـ
صفر اليد أو صفر اليد أو صُفر اليد ـ بمعنى أن ليس في يده شيء ؟

٦ ـ عصارة الميموزا المستخرجة من شجرة الميموزا الافريقية . تستعمل على نطاق واسع في احدى الصناعات التالية :ـ

* صناعة الصابون .

يونيو ١٩٨٥

اكتب الحلول في هذا "الكوبون" أوعلى ورقة منفصلة ترفقها معه



الاجابة عن عشرة أسئلة من الاسئلة المنشورة ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣١٩ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو أول اغسطس ١٩٨٥

* صناعة الورق .
* دباغة الجلود .

٧ ـ أي دول العالم هي الاولى في زراعة الشاي الأحمر ؟

٨ ـ أقلام الحبر الناشف الواسعة الانتشار تعرف باسم بك وهو اسم الشركة التي تصنع هذه الاقلام . ترى ماهي جنسية هذه الشركة ؟

* يابانية .
* مجرية
* فرنسية

٩ ـ جزر العذارى الامريكية اشترتها الولايات المتحدة عام ١٩١٧ . فمن أي الدول اشترتها ، وما المبلغ الذي دفعته ثمنا لها ؟

١٠ ـ أي الدول الافريقية المستقلة ترفع علما يشبه علم الولايات المتحدة . ؟ علّل ذلك بايجاز .

١١ ـ الاسكيمو واللابيون والزولو أسماء شعوب أو قبائل . اثنان منها متجانسان والثالث ناشز فأي هذه الاسماء الناشز . . . ؟

١٢ ـ ثمة مضيق في أمريكا يبلغ طوله (٥) اميال وعرضه ميلان ويطلق عليه اسم البوابة الذهبية فأي مضيق هذا ؟

مسابقة العربي الثقافية

حل

١ ـ الحنيف هو المستقيم المتمسك بالاسلام . والاحنف هو من اعوجت رجله الى داخل فهي حنفاء وهو أحنف

٢ ـ سمي سيمون بوليفار بالمحرر لأنه حرر الدول اللاتينية الخمس التالية :

* فنزويلا سنة ١٨١٣ كولمبيا سنة ١٨١٦
* الاكوادور سنة ١٨٢٢ البيرو سنة ١٨٢٣
* وشمال البيرو سنة ١٨٢٥ وهذه الاخيرة هي التي سميت فيما بعد بوليفيا نسبة الى المحرر بوليفار

٣ ـ الهنود هم الذين يملكون أكبر رصيد شعبي من الذهب

٤ ـ لاسبيل الى تحديد الشجرة التي أكل منها ادم وحواء عليهما السلام . فالقرآن الكريم لم يحددها وكذلك التوراة والانجيل لم تحددا تلك الشجرة من قريب أو من بعيد ويعزى الزعم بأنها شجرة تفاح الى أكويلا بونتيكوس ، المترجم اليهودي الذي ترجم التوراة من العبرية الى اليونانية

٥ ـ الجدري ، وجدري البقر بالذات ، هو الداء الذي عالجه ادوارد جنر سنة ١٧٩٦ وداء الخمرة الخبيثة هو المرض الذي عالجه لويس باستور سنة ١٨٨١

٦ ـ لاعلاقة للجلفنة بالمطاط إطلاقا . فهي معالجة خاصة بالمعادن والحديد خاصة . أما معالجة المطاط فتسمى (فلكنة) وتكون فلكنة المطاط بتسخينه مع الكبريت وذلك بقصد تقسيته . وقد ابتدعتها شارلز جوديير (١٨٠٠ ـ ١٨٦٠)

٧ ـ الجزيرة المقصودة هي بورنيو ، أكبر جزر الهند الشرقية ، اما الدول الثلاث التي تتقاسمها فهي اندونيسيا وتخصها من الجزيرة منطقة كاليمانتان .. وماليزيا وتخصها منطقة سرواك وصباح .. اما الدولة الثالثة فهي بروناى التي استقلت في مطلع السنة الحالية ١٩٨٥ .

٨ ـ لافرق في التوقيت بين دول الشمال ودول الجنوب مادامت تقع على نفس خطوط الطول . فالفرق في التوقيت أنما يترتب على وقوع المدن على

خطوط طول مختلفة . . كالقاهرة وواشنطن مثلا ولما كانت فرنسا وجنوب افريقيا متحاديتين من حيث خطوط الطول . كان الفرق في التوقيت بينها لايزيد على ساعة او ساعتين . وذلك تبعا للمدن او المواقع المقصودة

٩ ـ خط التوقيت الدولي خط اصطلاحي يصل بين القطب الشمالي والجنوبي ويسير بمحاذاة خط الطول ١٨٠ درجة . وقد جعلوه معوجا بقصد تجنب مروره بالمناطق المأهولة ولولا ذلك لتسبب الخط بكثير من الاحراج لسكان المناطق التي يمر بها . فلو انك قطعت هذا الخط من الغرب الى الشرق لوجب عليك تحريك عقارب ساعتك ٢٤ساعة الى الامام بحيث تكسب يوما كاملا والعكس بالعكس ان انت قطعت الخط من الشرق الى الغرب فالخط الدولي إذن لايمر بأية دولة او جزيرة مأهولة على الاطلاق وهو غير خط جرينتش كما يتضح في الخرائط

١٠ ـ الكلمة الناشزة هي سجينسو فهذه الكلمة هي الاسم الثاني للمصارعة اليابانية (جودو) ، بينما الكلمات الثلاث الاولى (هوكايدو ـ شيكوكو ـ وهونشو) انما هي اسماء بعض الجزر التي تتكون منها اليابان

١١ ـ الرها مدينة لانهر وتقع في تركيا وتعرف أيضا باسم أورفا وإديسي فتحها العرب سنة ٦٣٩ ويمر بها نهر الفرات في أعاليه

اما نهر جيحون فهو نهر في خراسان ويصب في بحر اورال واسمه القديم هو اكسوس

١٢ ـ لفظ امجاد هو صيغة الجمع لكلا الكلمتين مجد ومجيد .

الفائزون في مسابقة العدد ٣١٦ مارس ١٩٨٥

الجائزة الاولى اسمهان جودت مراش / دمشق ـ الجمهورية العربية السورية
الجائزة الثانية . مروة حسن عباس المهدى/ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة
الجائزة الثالثة بيسان زهير الرحى / حيطان ـ دولة الكويت .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ محمد أحمد نصر / مصر الجديدة ـ القاهرة ج . م . ع
٢ ـ كفاح محمود حسن بريشي / الاردن ـ اربد
٣ ـ راضية المحمودى / سهج ليبيا ـ تونس ـ الجمهورية التونسية
٤ ـ محمد خشاب / تعنيف ـ ولاية معسكر ـ الجمهورية الجزائرية
٥ ـ محمد عبدالرحمن النحلاوي / الرياض ـ المركز العربي للدراسات الامنية ـ المملكة العربية السعودية
٦ـ عبد المجيد حسن عبدالله / عار دلمون ـ المنامة ـ دولة البحرين
٧ ـ صالحة أحمد سالم / كريتر ـ عدن ـ اليمن الجنوبي
٨ ـ ABDUL GHANI ABDUR RAHMAN MAUNATH BHANJAN (INDIA)

معركة بلاسلاح

● ماراثون العصر ●

لا تزال مباراة البطولة حتى كتابة هذه السطور محتدمة بين بطل العالم الحالي اناتولي كاربوف (٣٣ سنة) والمواطن الروسي جاري كاساروف (٢١ سنة) وتعتبر هذه المباراة أطول مباراة على البطولة في تاريخ اللعبة ، وقد تحطم في تحطيم العديد من الأرقام القياسية كعدد أدوار مباراة البطولة ، وعدد أدوار التعادل وعدد أدوار التعادل المتابعة ، وأقل عدد من النقلات في الدور الواحد ويضيف البعض أقل مباريات البطولة إثارة وأبعثها على الملل

والنتيجة حتى كتابة هذه السطور هي ٥ـ٣ لصالح بطل العالم الحالي* والدور التالي هو الدور الذي حقق فيه المتحدى أول فوز له في المباراة . (افتتاحية الدفاع الهندي للوزير) .

كاسباروف (أبيض)	كاربوف (أسود)
١) د ٤	ح - و ٦
٢) جـ ٤	هـ ٦
٣) ح - و ٣	ب ٦
٤) ح - حـ ٣	ف - ب ٧
٥) أ ٣	د ٥
٦) حـ × د ٥	ح × د٥
٧) و - جـ ٢	ح - د ٧
٨) ح × د٥	(مفاجأة هـ ٤ هي المعتادة)
٨) .	هـ × د ٥
٩) ف - ز٥	و ٦

(فيها اضعاف للمربعين « هـ٦ » و « ر٦ » مما أوقع كاربوف في متاعب جمة فيما بعد)

١٠) ف و ٤	حـ ٥
١١) ر ٣	ر ٦
١٢) حـ ٤ !	و هـ ٧
١٣) ف - ر ٢	ف - ر ٧
١٤) حـ ٥	و ٥
١٥) و - د ٢	ف و ٦
١٦) ر حـ ١	ر حـ ٨
١٧) ر حـ ٣	ر حـ ٦
١٨) ر - هـ ٣	ر - هـ ٦
١٩) ر × هـ ٦	و × هـ ٦
٢٠) ح ز ٥	و هـ ٧
٢١) د × جـ ٥	ح × جـ ٥
٢٢) ح × ز ٦	د ٤

(بهدف تبادل الأفيال وتهديد حـ ١)

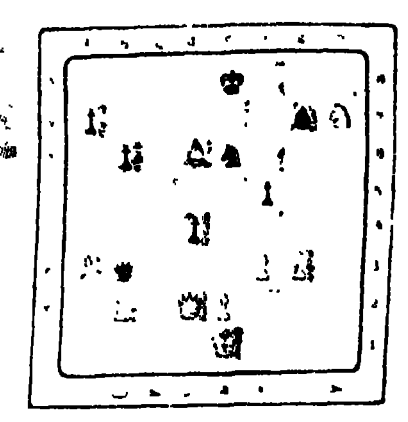
٢٣) ر ٧	ف × ز ٧
٢٤) ف × ب ٧	و × ب ٧
٢٥) و ٣	و د ٥ ؟

(كان الأحرى به أن يعزّز موقفه بـ د ٦)

٢٦) ر × حـ ٧	ر × حـ ٧
٢٧) ح × حـ ٧	و - ب ٣
٢٨) ف - د ٦ !	ح هـ ٦ !

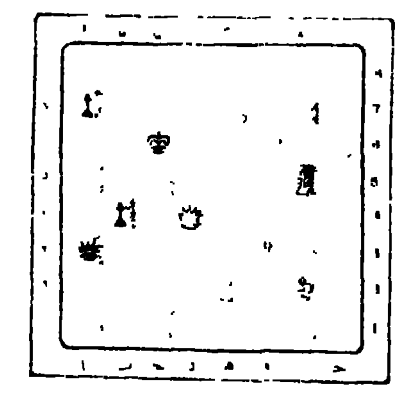
---

*اوقف الاتحاد الدولى للشطرنج المباراة في النصف الثاني من فبراير ٨٥ لاستنزافها لطاقة البطلين على ان تستأنف في نهاية العام الحالي



كان هم الأسود في النقلات التالية إبعاد وزير الأبيض عن ر ٥
والسيطرة على جناح الوزير ولكن تأتي الرياح بما لاتشتهي السفن

٢٩) ح ر ٥	ف - حـ ٦
٣٠) ف و ٤	ف × ر ٥
٣١) ف × ر ٥	ح × ر ٥
٣٢) و × ر ٥	و × ب ٢
٣٣) و × و ٥	و حـ ١ +
٣٤) م و ٢	و هـ ٣ +
٣٥) م - و ١	و حـ ١ +
٣٦) م - ر ٢	و × أ ٣
٣٧) و حـ ٥ +	م د ٧
٣٨) و ر ٤ +	م - حـ ٦
٣٩) و × د ٤	ب ٥
٤٠) ر ٤	ب ٤
٤١) ر ٥	

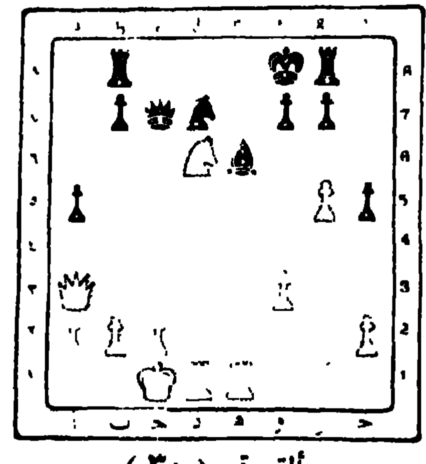


استسلم كاربوف قبل استئناف المباراة بتسعين دقيقة بعد أن أدرك ان العامل الأساسي في كسب الدور لن يكون السبق في ترقية البيدق بل الحماية التي توفرها البيادق للملك الأبيض على عكس ملكه المكشوف .

حل المسألة (٢٨)

١) ف و ٦	ز × و ٦
٢) م و ٨	و ٥
٣) ح و ٧ كش مات	

مسابقة العدد



مسألة رقم (٣٠)

مات بثلاث نقلات أو يفوز بالوزير

الفائزون بحل مسابقة مارس ١٩٨٥

الفائزون باشتراك سنة كامل .

١ ـ عبد الرزاق العريشي ـ فاس / المغرب
٢ ـ عبدالرؤوف بشير ـ ام درمان / السودان
٣ ـ حازم السيراون ـ دمشق / سوريا
٤ ـ كمال حاويش ـ دسوق / ج م ع
٥ ـ حبيب محمد ـ عدن / اليمن

الفائزون باشتراك ستة إشهر

١ ـ قيس بن مهدي ـ جربة تونس
٢ ـ أمير الغرباوي ـ المحيحل / الكويت
٣ ـ حسن النجار ـ الزرقاء / الأردن
٤ ـ هشام الجندي ـ [illegible] ج م ع
٥ ـ جهاد علوب ـ [illegible]

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء

كلمة

هذا هو عام الشباب والشباب يعني العطاء وتدفق الحياة والحركة المستمرة في رحلة الانسان خلال مسيرة حياته . والشباب لايتوقف عند هذا الانسان ، بل هو يصل الى مراحل نمو الدولة ، فهي أيضا تعيش عصر الشباب ، حين تستطيع الدولة أن تقف على أقدامها وتؤدي دورها بين دول العالم المتطور ، والأزهار هي الأخرى تطوف في حياتها على مرحلة الشباب حين تأخذ روائحها الزكية بالوصول الى من حولها من البشر ، ثم سرعان ما تنجلي هذه المرحلة الى مرحلة « الكهولة » واختفاء تلك الرائحة التي كانت تزخر بها تلك الازهار في بساتينها . .

فالشباب اذن مرحلة مرور بين الولادة والكهولة ، وهي من أغلى مراحل الحياة ، وهي فوق هذا كله صورة القلب ورحلته مع الحياة والشباب شباب القلب كما هو شباب الانسان . .

المحرر

المصطلحات الاجنبية

● قرأت في العدد ٣١٣ الصادر في ديسمبر ١٩٨٤م مقالا للدكتور « فهمي جدعان » بعنوان « نظرية التراث » ويدور موضوع المقال حول فكرة التراث . وقد طرحه المؤلف بموضوعية وتحليل علمي ومنطقي ، الا أنه لفت نظري ورود بعض المصطلحات الغربية في المقال مثل « السوسيولوجيا » وغيرها دون أن أجد لها تفسيرا على صفحات المجلة ، وقد لاحظت تكرار هذه الظاهرة في عدة مقالات على صفحات « العربي » مما ترك امامي أكثر من علامة استفهام ، فلماذا يصر الكتاب العرب على استخدام مثل هذه المصطلحات بصفتها الأعجمية ، وهل لغتنا العربية قاصرة عن ايجاد كلمات تفي بمعاني المصطلحات الاجنبية

حمد أحمد حمد - سدير
المملكة العربية السعودية

نحن مع القارىء العزيز فيما تساءل عنه . واللغة العربية غنية بالمصطلحات التي تعطي ذات المعنى ، لكن ينبغي أيضا أن ندرك أن بعض المصطلحات الأجنبية قد لاتتوفر لها المصطلحات العربية التي تعطي المعنى الحقيقي للشيء المقصود ، ونحن في العربي نحاول دائما ايجاد المصطلحات العربية لتأخذ طريقها الى جانب الأجنبية التي قد نستغني عنها في بعض الأحيان

اعــداد : يــوسف الشهاب

رقى الأمم .. وتطورها

● للأمم كما للافـراد مواقـف ، سواء الى التطور أو التأخر ولعـل من أسباب تـأخر الأمم ـ وهي عديدة ـ منها جهل رجالها ، وفساد اخلاق قادتها ، وضعف ايمانهم ، وانحراف شبابها ، والعاملين فيها عن المثل الانسانيه والقيم الاخلاقية وتعاليم السماء . واما تطورهـا فيعود الى اتسـاع رقعة الاطـلاع على المعارف المختلفة والتمسك بكتاب الله وتعاليمه قولا وفعـلا ، والتحلي بـالأخلاق الحميـدة الفاضلة التى وضع قواعدها سيد الخلق عليه الصـلاة والسلام ،

ويطالعنا التاريخ بـالافكار والاحـلال ماكـان للامه العربية من مجد ورفعة وحضارة زاهره ، حيث كانت راية العروبه والاسلام خفاقة من قلب الجزيرة العربية الى أقصى العالم ، ثم أصبحت محط أطمـاع الغزاة والفاتحين والمستعمرين من التتار والمغول والصليبيين وسـواهم ، فتـوالت عـلى العـرب النـوائب بسبب انحراف الأمة العربية عن التعاليم السماوية والأخلاق الحميدة ، وقد أدى هذا الى انحطاط الامة العربـية وضعفها ، ثم ما لبثت أن أخذت تنفض عن عيونها السنة الكرى ، حيث تأجج في قلوب أحرارها أتون الاحساس القومي ، فهبت في أواخر القرن التاسع عشر في طليعة شعوب السلطنة العثمانية ، تطالب بتحقيق الاصلاحات الهامة ، وذلـك لتعمق الفكرة الاسلامية .

ان عصر ازدهار العروبة الذي أفل نجمه نريـد بزوغه من جـديد ، ولا يـأتي ذلك إلا عن طـريق التمسك بتعاليم الدين والتحلي بالاخلاق الفاضلة ، والتسلح بالعلم والمعرفة ، وكلها من عوامل ازدهار الامم وتطورها

الدكتور محيي الدين السفرجلاني
دمشق ـ سوريا .

صار عمر العربي ٢٧ عاما

● اتابع منذ سنوات صـدور مجلتنا « العـربي » التى تخاطب لسان كل مواطن عربي ، فتزيـد من ثقافتـه وعلمه وآدابه ، وتصحبه مطلع كل شهر في رحلة الى أحد الاقطار العربية والاسلاميه ، لتسلط الضوء على جانب من نشاط هذا القطر او ذاك . لكنى ومـع متـابعتى « للعـربي » لاأعــرف حتى الآن بـدايــة صدورها ، لانى لم أكن أتابعها آنـذاك ، حبذا لـو اعطيتمونا نبذة قصيرة عن ميلاد «العربي» التى تصدر في الكويت البلد العربي الذى يخدم كل العرب عبر هذه المجلة .

عبيد سالم باخميس ـ حضر موت
اليمن الديمقراطى

رحلة المجلة بـدأت في ديسمبر ١٩٥٨م ـ وكـان المرحـوم الاستـاذ الـدكتـور أحمـد زكي أول رئيس لتحريرها ، وقد احتفلت المجلة عام ١٩٨٣م باليوبيل الفضى من عمرها المديد بعون الله . وقد أطفـأت المجلة سبعا وعشرين شمعة ، ولاتزال تضىء شمعه جديده في عالم الثقافة والادب مع مطلع كل شهر

حوار القراء

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

رقي المجتمعات . . . له ثلاثة عوامل

● ان رقي الأمم وتطورها يعتمد على ركائز أساسية . لعل أهمها وجود فئة من أفراد المجتمع تتمتع بعقول نيرة قادرة على الخلق والابداع وهذه الفئة لها حق القيادة والريادة ، لأنها قادرة على استنباط حقائق جديدة اضافة الى المتاح من عناصر العلم والمعرفة . ويمكن تصنيف هذه الفئة الى اتجاهين متباينين احدهما « سقراطي » النزعة نسبة الى سقراط . والآخر « جاليلي » المنحى نسبة الى جاليليو . أما أصحاب الأول فيبرز سقراط بينهم وهو الذي كان من ذوي العقول النيرة ، والذي أخذ مكانه في تعليم المجتمع الذي عاش فيه رغم ماواجهه من سطش وطغيان ، لمنعه من أداء رسالته . وأما جاليليو فقد استطاع عقله أن يستنبط حقائق مذهلة عن الكون ، وأن يصل بتجاربه الى معارف كبيرة ، لكنه تراجع عن الحق وأنكر ما توصل اليه من علم ، بعد أن تصدت له قوى الشر ووضعته في قفص الاتهام

وأما العامل الثاني في تقدم المجتمعات الانسانية ، فانه يقع على عاتق من بيدهم ناصية الأمور . وهؤلاء يعتقد بعضهم أن الحكم مسؤولية وليس امتيازا ، ولنا في امير المؤمنين اكبر دليل وبرهان . في قصته مع الطفل الذي بكى من أجله عمر بن الخطاب . وحكاية الرجل الذي جاء يخفف من بكاء أمير المؤمنين ، ثم رده عليه في قوله ، رضي الله عنه: « والله لو أن شاة في سواد العراق ضاعت لاعتبرت نفسي مسئولا عنها » وأما العامل الثالث الذي يؤثر في رقي المجتمعات فهو جمهرة القوم وغالبيتهم . وهم الفئة القادرة على العمل والانتاج ، والتي تستطيع أن تستوعب العلوم والمعارف ، ووضعها موضع التطبيق العملي في خدمة العمل واتقان الانتاج .

محمد بن رشيد ـ عمان ـ الاردن

ردود خاصة

● **الى القارىء يوسف عبدالله ـ دولة البحرين**

بخصوص اقتراحك الخاص بزيادة مساحة صفحة المسابقة ، سوف نأخذه بالاعتبار في أعدادنا القادمة بعون الله

● **القارىء أحمد حمزة خضر ـ من كفر الدوار مصر العربية**

ما اقترحته حول اجراء لقاء فكري كل شهر مع كاتب عربي وآخر عالمي ـ هو اقتراح نشاركك فيه . ونحن نقدم الآن لقاء (وجها لوجه) وهو يشمل الاقتراحين معا ، ويلقي الضوء على هذه الفئة من المثقفين العرب والأجانب .

● **القارئة منى بلة ـ الدار البيضاء ـ المغرب**

لم تغفل « العربي » عن حياة البربر ، فقد قامت باستطلاع عنهم قبل فترة ، لكننا سوف نقوم بزيارة أخرى لهذه القبائل لمعرفة ما طرأ على حياتهم من تغيير



جائزة الكويت

[illegible] مؤسسة الكويت للتقدم العلمي [illegible] الإنتاج العلمي وتشجيع العلماء والباحثين [illegible] العلوم والآداب والفنون [illegible] المؤسسة من خلال [illegible] الجوائز [illegible] المستوى الحضاري [illegible]

وموضوعات جائزة الكويت لسنة ١٩٨٤ في المجالات المختلفة هي كما يلي:

- ١. العلوم [illegible] Environmental Science
- ٢. العلوم [illegible] Corrosion
- ٣. العلوم الاقتصادية والاجتماعية: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية [illegible] في الوطن العربي Social and Economic Aspects of Community Development in the Arab World
- ٤. الفنون والآداب: التراجم الأدبية Literary Biographies [illegible] Mechanics in [illegible]
- ٥. [illegible] التراث العربي والإسلامي [illegible] Arab Heritage

وتخصص مؤسسة [illegible] عشرة آلاف دينار كويتي [illegible] عشرة [illegible] الكويت [illegible] المؤسسة [illegible]

[illegible] الشروط الآتية

- ١. [illegible]
- ٢. [illegible]
- ٣. [illegible]
- ٤. [illegible]
- ٥. [illegible] الجوائز [illegible]
- ٦. [illegible] الإنتاج [illegible]
- ٧. [illegible] ١٩٨٤ [illegible] ٣١ [illegible] ١٩٨٤
- ٨. [illegible]

السيد / مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

[illegible] الصفاة [illegible] الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع
كل شهر:
وزارة الإعلام - الكويت

١٨٩

أول يونيو ١٩٨٥

الكذاب

تأليف : بيير كورني

ترجمة وتقديم : ميخائيل بشاي

مراجعة : د. حمادة ابراهيم



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونيو ١٩٨٥ م

الغرب والعالم

الجزء الأول

تأليف: كافين رايلي

ترجمة: د. عبد الوهاب المسيري

د. هدى حجازي

مراجعة: د. فؤاد زكريا

الكتاب التسعون



المراسلات:

توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص ب ٢٣٩٩٦ الكويت

العديد من أكثر ساعات العالم روعة ابتدعت في جنيف

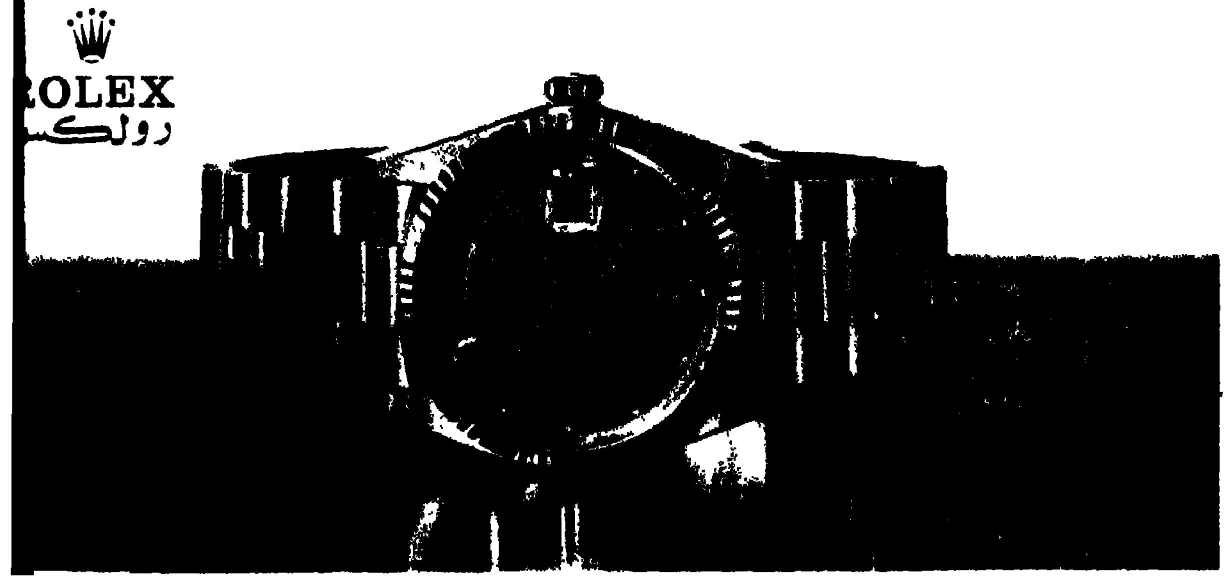
ساعة بشكل هندسي دائري منمق ترجع الى عهد الامبراطورية الفرنسية (١٨١٠-١٨٢٠) . يعكس كل من الأجزاء الناقلة للحركة والعلبة المزخرفة البراعة الفنية الفائقة التي تميز بها حرفيو جنيف .

مجموعة ولزدورف ومحمل
تيمنًا بمؤسس رولك
هانز ولزدو
تتجلى المو
التقليد
الفن
لصانعي الساع
في جنيف في قوة ابداع السا
الفريدة . رولكس أويستر
تقتضي علبة ساعة كرونو
اويستر ما لا يقل عن ١٦٢ عملي
مستقلة ودقيقة وماهرة، حي
يتم نحتها من قطعة معدنية
لا شك في أن هناك طرقاً أخر
سهولة يتم بها صنع ساعة .
ولكن، ليس لدى رولكس ا
للتفرغ الى مثل هذه الطرق

ساعة بشكل مسدس ترجع الى عهد النهضة الفنية في فرنسا . عند ضغط الزناد تنطلق زهرة من نهاية الماسورة فتعمل كمرشة لعطر فواح . الساعة مبيتة داخل عقب المسدس . الأجزاء الناقلة للحركة والمينا من ابداع جنيف . مثل هذه الساعة تحتل ركنًا في



ROLEX
رولكس



ساعة رولكس داي - ديت كرونومتر متوفرة بالذهب عيار ١٨ قيراطاً مع سوار ملائم .